# الوهابية

## دين سعودي جديد

﴿ كشف المستور في تاريخ نجد المبتور ﴾

الكتاب : الوهابية ـ دين سعودي جديد
المؤلف : سعود بن عبد الرحمن السبعاني
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٢
رقم الإيداع : ٢٠١٢/١٤٩٦٢
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 112 - 3

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٨٠٥٣ ش الجامعة الحديثة. الهضبة الوسطى ـ المقطم ـ القاهرة
ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢) ـ ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : إسلام الشماع




# الوهابية
## دين سعودي جديد

# WAHHABISM
## NEW SAUDI RELIGION

﴿ كشف المستور في تاريخ نجد المبتور ﴾

نبذة مُختصرة عن بداية ظهور الوهابية
ودراسة ميسرة لما آلت إليه أوضاعها في هذا العصر

سعود بن عبد الرحمن السبعاني
By: SAUD AL SABAANI

# الإهداء

أعظم هدية وأجزل عطاء وأغلى مُكافأة تُقدم للمظلوم والمُفترى عليه هي وثيقة البراءة ودليل كشف الحقيقة، حتى ولو جاءت تلك الشهادة بعد قرنين ونصف من الزمان، وعليه فإن هذا الكتاب المتواضع الذي سطره العبد الفقير السبعاني هو بمثابة الوثيقة التاريخية لكشف ما جرى في تلك الحقبة، وهي شهادة براءة مُستقاة من الكُتب والمصادر التاريخية، وعلى رأسها المصادر "الوهابية" نفسها.

تلك الوثيقة المُتآخرة دليل إثبات وبراءة لكلِّ مَنْ شُوهت سمعتهم عمدًا في سبيل تحقيق الأهداف الشخصية والمآرب الذاتية الخبيثة، وستكون بإذن الله برهانًا قاطعًا لتبرئة من سقطوا ضحايا لتلك الدعوة الوهابية المزعومة.

كتابي المتواضع هذا هو بمثابة مُرافعة شخصية مني أمام القراء وأمام عدالة أصحاب الضمائر الحية، وهو دفاع مشروع في كافة الشرائع وموازين العدالة السماوية، مُدعَمًا بشهادة وتقييم جمهور العقلاء، وكذلك بأسانيد من ذاق أسلافهم الأمرين عندما نُحروا مرةً على مذابح الوهابية بتهمة الشرك والكفر، وأخرى أُبيحت دماؤهم تحت ذريعة الخروج عن طاعة ولي أمر الوهابيين.

كتابي هذا هو تذكير وتوثيق بالمصادر التاريخية لما أُقترف من جرائم وحشية وفظائع وأكاذيب بحق أولئك الأبرياء الذين سقطوا ضحايا لتلك الطموحات السلطوية المريضة، وأهُدرت دماؤهم باسم الإسلام البريء من تلك الممارسات الدموية الشنعاء غير الإنسانية.

وإنني أضع مرافعتي تلك أمام عناية وعدالة الشرفاء المُحايدين المُنصفين وأطرحها تحت طائلة ميزان الشريعة والشرعية الإسلامية العادلة، لتكون هي الحَكَم وهي المقياس لما جرى ويجري.

وسوف أترافع عن جميع أسلافي وأسلاف أبناء الحرمين الشريفين الذين نُحروا وذُكوا كضحايا العيد في تلك الفترة المُظلمة وما تبعها، وسوف أنبري لكشف الحقيقة المُغيبة وأذود عن حقوق وأعراض وسمعة أولئك الأجداد العظام المظلومين والمُفترى عليهم، بتهم زائفة كالشرك بالله والكفر والهرطقة، وسأضطر لأن أكون مُحاميًا عن كل ضحايا الوهابية دون استثناء أو تمييز حتى ولو كان ذلك الضحية هو "سليمان بن عبد الوهاب" شقيق صاحب تلك الدعوة الموتورة، وأجري على الله سبحانه وتعالى.

وعليه فإن كتابي هذا مُهدى إلى:

أولاً : إلى كل الأبرياء والمظلومين والمُفترى عليهم من أسلافنا الذين سقطوا وأريقت دماؤهم الزكية غدرًا وعدوانًا منذ أن ظهرت تلك الدعوة الوهابية المشؤومة وحتى الآن، وليكن هذا الكتاب شهادة براءة لهم ورد اعتبار لكل الذين أبيحت دماؤهم وشُرِّدوا تحت شعار الإسلام السعودي الجديد.

ثانيًا : لكل أبناء الشمال وقراها النُجباء، ولكل الشهداء الأبرار، وإلى حُكَّام حائل الشرعيين من شرفاء آل رشيد وإلى كل الحوايلة (أهل حائل) البسطاء الأبرياء الذين أهدرت دماؤهم الزكية تباعًا بدون جريرة أو ذنب، فقُتلوا صبرًا وهم يذكرون الله ويؤمنون برسوله في مساجدهم العامرة، فأُبيدوا وأريقت دماؤهم وأستبيحت أعراضهم منذ ظهور دعوة ذلك الدعي "ابن عبد الوهاب" وحتى الآن، حيث استمرت ضدهم تلك المجازر الوهابية الرهيبة بعد قرن ونصف من الزمان وكانت الحُجة دائمًا هي نصرة الدين السعودي الجديد ورفع راية التوحيد المزعومة ونشر الدعوة الوهابية الموتورة.

وأخيرًا : هو مُهدى إلى ذكرى روح الأمير المغدور "عثمان بن معمر التميمي" أمير العيينة، ذلك الأمير النبيل الذي ضُحي به وهو يُصلي في أحد بيوت الله، والذي كان من أول المُصدِّقين بمزاعم "محمد بن عبد الوهاب"، وأول من أيَدَّ ودعمَّ الدعوة الوهابية، فكان أول ضحاياها وأول من تمَّ الغدر به وتصفيته قربانًا لتلك الدعوة الدموية الغادرة !.

فقد كان الأمير عثمان بن معمر من أوائل ضحايا محمد بن عبد الوهاب، وهو أول من أجاره وآواه في بيته وهو من زوَّجه بعمته الأميرة الجوهرة بنت معمر، فكان جزاؤه من قبل ابن عبد الوهاب جزاء سينمار، حيث سقط عثمان بن معمر مُضرجًا بدمائه الزكية عند محراب مسجد العيينة، وذلك بعد أن قتله أتباع محمد بن عبد الوهاب بدمٍ بارد من خلال فرمان وفتوى وهابية حاقدة غادرة صدرت من قبل شيخهم الموتور، فتمَّ تصفية الرجل في أحد بيوت الله وهو يتلو تسليمة صلاة الجمعة!.

حيث ذكر المؤرخ النجدي الوهابي الهوى والعقيدة عثمان بن بشر في كتابه الموسوم: (عنوان المجد في تاريخ نجد) ما نصه:

« ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة وألف، وفيها قُتل عثمان بن معمر في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة، حيث أُنتدب لقتله أناسٌ من المُسلمين من جماعته، وذكروا أنهم تحققوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء وممالأتهم، وقيل إنهُ أتاه كتاب من محمد بن عفالق يُحرضه على مُعاداة "المُسلمين" ونقض بيعتهم ووعدهم، وكانت بنته الجوهرة تحت عبد العزيز بن سعود وهو جد ولده سعود، وحين قُتل عثمان بن معمر كان سعود رضيعًا ولم يتم السنتين، ولكن ليس في الدين مُحاباة، فلما سلَّم تسليمة الصلاة، قام إليه من ذكرنا فقتلوه، ومن مشاهير من قتله، حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد الباهلي وموسى بن راجح ».۞(•)

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ تأليف: عثمان بن بشر.

(•) سيأتي ذكر وتحليل تلك الحادثة المُريعة بالتفصيل لاحقًا بين طيات هذا الكتاب.

# المُقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدّنا وحبيبنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾ .

{البقرة: ١٥٩}

**لا شك أن للوثيقة التاريخية والشهادة المكتوبة والموثقة أهمية كبيرة في معرفة وكشف الحقيقة الغائبة أو المُغيبة عمدًا، وكذلك فهي تعتبر مصدرًا علميًا نزيهًا وأيضًا تُعد كشاهد عيان أبجدي ثابت ما زال حيًا ينبض بالمعلومة المدونة على صفحات تلك الرقع أو المُجلدات وإن كانت مُجرد أوراقًا صماء مُهترئة لكنها قطعًا تحمل من الأفكار والأسرار والحقائق الكثيرة بين طياتها القديمة، وهذا أشد ما يخشاه أولئك المُدلسون وعُتاة لصوص التأريخ وكافة مُزوري ومُغتالي الحقيقة الدامغة ومُخفي الحلقة المفقودة.**

**وللأسف فإن تأريخ شبه الجزيرة العربية وخلال ثلاثة قرون خلت يكاد يكون عقيمًا وفارغًا يخلو من عملية التدوين التاريخي المُنظم، إلا من بعض المصادر الشحيحة والقليلة جدًا والنادرة والتي تُعد على أصابع اليد، بل إن أغلب أحداث تلك الحقبة دوَّنها مُستشرقون أجانب ورحالة أوربيون، وفي ذلك الصدد يقول المؤرخ النجدي حمد الجاسر: « إن أكثر من كتبوا في تاريخ الجزيرة العربية في هذا القرن وفي تاريخ نجد على وجه الخصوص هم من الأجانب عنها ».**

ومع هذا فلم تسلم تلك المصادر التاريخية الشحيحة هي أيضًا من العبث والتزوير والتحريف والبتر، فقد تعرضت تلك المصادر اليتيمة للإتلاف المُتعمد والإخفاء المقصود والتزوير المكشوف، لأغراض سياسية معروفة، أو لعقدة نقص شخصية أو قبلية أو سياسية يُعاني منها من قام بتلك العمليات الجبانة المُمنهجة من بتر للحقائق وتغييب الحقيقة وطمس الوقائع التاريخية المعروفة والأحداث المهمة لغاية في نفس مرخان هذه المرة وليس في نفس يعقوب.

ومما لا ريب فيه أن آل سعود هم من ألدّ أعداء الحقيقة وأشد خصوم للكلمة الصادقة، وهم من أعتى المزورين فتكًا وعبثًا بالوثائق والمخطوطات التاريخية القديمة، وهم من أسوأ وأفظع المُغتالين لذلك التاريخ العربي الجزيري المُتأخر والشحيح أيضًا، والسبب أنهم يُعانون من عقدة النقص التاريخية ويخشون من انكشاف حقيقتهم للجمهور، ومن ثم ظهور الحقائق الدامغة والقصص الحقيقية التي تفضح مؤامراتهم الدنيئة وتُبين أصلهم الوضيع، وتكشف مسيرتهم المشبوهة مما سيؤثر على سمعتهم المُصطنعة ويتضح خداعهم للناس ويفضح تدينهم الكاذب وفبركتهم للأحداث التي يُظنون واهمين أنهم قد أزالوا آثارها أو طمسوها من صفحات تأريخ الجزيرة العربية نهائيًا وللأبد.

ليس هذا فحسب، بل إن آل‌سعود قد خلقوا أجيالاً كاملة من المُغيبين والمُضلَلين حيث يجهل هؤلاء تاريخهم القريب جهلاً مُطبقًا، ولا يعرف أغلب الشباب في شبه جزيرة العرب أهم الحوادث التي دارت على تلك الأرض المعطاء، فأغلب الجيل (السعودي) الممسوخ لا يعرف شيئًا عن تاريخ بلده الحقيقي خلال فترة الثلاث قرون التي مضت، بسبب التزوير والتعتيم والتجهيل المُتعمد.

وكم من خريج لمادة التاريخ في المدارس والجامعات السعودية، لا يعرف أن بلاد الحرمين الشريفين أو ما يُسمى حاليًا مجازًا بـ(السعودية)، قد سيطر عليها المصريون لمدة ٢٣ عامًا متواصلة في عهد والي مصر محمد علي باشا وولده إبراهيم باشا – بأوامر من قبل دار الخلافة الإسلامية في اسطنبول.

بل أني رأيت كثيرًا من هؤلاء الشباب المُغيبين يفاخر ويُجادل رعايا الدول العربية الأخرى بنبرة الغرور والتعالي، بالقول إن ما يُسمى بالسعودية هي البلد الوحيد الذي لم يُحتل قط !.

وهو يجهل أن العاصمة الوحيدة في العالم العربي والإسلامي التي مُسحت من على الخارطة، هي عاصمة آل سعود الأولى "الدرعية" على يد القائد المصري إبراهيم باشا، مما جعل آل سعود ينتقلون لاحقًا إلى عاصمة "دهام بن دواس" ـ الرياض ـ لتكون عاصمة جديدة وبديلة لهم.

ويجهل هؤلاء أيضًا أن حاكم الدرعية آنذاك عبد الله بن سعود قد استسلم طائعًا خاضعًا إلى القائد المصري إبراهيم باشا، فأخذه أسيرًا إلى مصر مع أفراد أسرته وبعض أحفاد محمد بن عبد الوهاب، ومن ثم تمَّ إعدامه لاحقًا في اسطنبول، وقيل إن إعدامه قد تمَّ بواسطة الخازوق.

وبسبب الجهل التاريخي المُطبق الذي يستشري في بلاد الحرمين الشريفين، وبعد تفكير عميق وبحث وتأجيل طويل دام لعدة سنوات ولأسباب شخصية ومنطقية قررت أخيرًا ـ وأجري على الله تعالى ـ أن أباشر في كتابة تلك الدراسة السياسية / التاريخية المُختصرة والتي تتناول بدايات وأسباب نشوء الحركة الوهابية لصاحبها محمد بن عبد الوهاب، أو ما يُطلق عليها محليًا بالدعوة النجدية.

والقيام بتوثيق ذلك الزواج الكنسي / الكاثوليكي التي تمَّ عقده بين هذين المُحمدين، في أحد بويتات الدرعية القديمة، حيث تمت الشراكة بين صاحب تلك الدعوة الدموية محمد بن عبد الوهاب وبين صاحب الدرعية الطامح آنذاك محمد بن سعود، هذين الشريكين اللذين تقاسما تلك الكعكة لاحقًا فيما بينهما على أنقاض وأشلاء أبناء وأحفاد الصحابة في بلاد الحرمين الشريفين، وهي مُغمسة بدماء عشرات الآلاف من الأبرياء العُزل، تحت مظلة الإسلام السعودي المزيف وغطاء التوحيد المزعوم.

حيث استمرت تلك القسمة "السعوهابية" الضيزى واستمرت تلك الشراكة الدموية المشبوهة حوالي القرنين والنصف من الزمان، وما زال هؤلاء الشُركاء لحد الآن يسترزقون باسم الإسلام ويتعيشون بشعار الدين ويتقنعون بالتدين الزائف، وإن بدت تلك الحركة هزيلة وأخذت بالتآكل من الداخل لأسباب داخلية وخارجية سوف يأتي ذكرها تباعًا بين طيات هذا الكتاب والكتاب الذي سيليه بإذن الله.

ولا يظن البعض أن عملية البحث والتدقيق وسبر أغوار تلك الحركة الوهابية النجدية الخارجة عن الجماعة كان أمرًا سهلاً ويسيرًا باعتباره بحث مطروق ومُيسر للجميع من خلال المصادر السعودية الرسمية، أي مثلما تُكتب وتؤلف مئات الكتب وتُطبع في السعودية لغرض التسويق والتضليل والتطبيل والتمجيد بتلك الحركة، والتي تتركز مهمتها بتزكية رأسيها وتمجيد ورثتها منذ أن بدأت وحتى الآن. ومُخطئ كل من يظن أن مثل هذا البحث والخوض في هكذا تفاصيل مُغيبة وغائبة، وطرق مواضيع حساسة هو أمرٌ سهلٌ ومُتيسر للجميع، وواهمٌ من يعتقد أن العملية يسيرة ولا تحتاج لجهد أو وقت أو تفرغ للمُراجعة وبذل المجهود المُضني لسبر أغوار تلك الأحداث التي وقعت منذ حوالي قرنين ونصف من الزمان وربطها ببعضها البعض، خصوصًا في ظل هيمنة سعودية طاغية ومُطلقة على كل ما يُنشر ويطبع محليًا وعربيًا، وفي ظل وجود مساعي سعودية حثيثة بقيادة أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز لتزوير وتلفيق الحقائق وفبركة وطمس كل التواريخ التي تطال آل سعود ولو بسوء يسير، أو تروي وقائع وحوادث سلبية لا تصب في صالح تاريخ آل سعود.

ليس هذا فحسب، بل إننا أمام مشروع سعودي ضخم ومُمنهج لتزوير وتحريف وبتر، وأحيانًا تشذيب وتهذيب الكُتب التاريخية القديمة، ليس تلك الكُتب المُصنفة على أنها ضد آل سعود وضد الوهابية، بل أنا أتحدث هنا حتى عن المراجع والكتب التاريخية التي تصبُّ في النهاية في صالح آل سعود، لا، بل طال التحريف حتى ترجمة كُتب الرحالة الأجانب الذين زاروا شبه الجزيرة

العربية خلال القرنين الماضيين، حيث باتت تتم وفق هوى الرغبة السعودية، فيتم تغيير المُصطلحات التي لا تجاري المرحلة ويتم تهذيب الكلمات التي قد توحي بما لا يُحمد عقباه، لتفريغ كُتب الرحالة الأجانب من مضمونها.

والدلائل في هذا الجانب كثيرة ومُثيرة وتحتاج لكتب ومؤلفات عديدة كي تُبين مقدار ذلك العبث والتلف الذي مارسه أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز شخصيًا هو ومستشاريه من خلال ما يُسمى بـ"دارة الملك عبد العزيز" وعن طريق مؤرخين وكُتاب ومُحققين ومُترجمين مُرتزقة مُتخصصين في تزوير الحقائق وتحريف الوقائع والتلاعب بالكلمات المُترجمة ومحو وطمس كل معلومة تاريخية أو خبر لا يُصب في صالح آل سعود أو لا يخدم دعوتهم الوهابية، ولهذا فإن المال السعودي منذ عهد عبد العزيز وحتى الآن كان على الدوام سباقًا في طمس وتحوير وتغييب الحقائق، والأمثلة والأدلة على ما أقول كثيرة وعديدة، ولا تحتاج لبراهين، لكنني سأذكر بعض الحالات على سبيل المثال لا الحصر..

فبالإضافة لضباط المُخابرات الإنجليز من المُستعربين وبعض الكتبة والموظفين واللاجئين العرب من المُرتزقة الذين عملوا مع عبد العزيز وسخرهم لكتابة مراسلاته ومن ثم تدوين سيرته الذاتية وتوثيق الأحداث المُهمة التي جرت في عهده، أو حتى ممن تملق آل سعود رغبةً بالمال أو ردًا للمعروف، بدءًا من ضابط الاستخبارات البريطاني جون فيلبي وخير الدين الزركلي وحافظ وهبة وفؤاد حمزة ومنير العجلاني وبهجت الأثري وغيرهم الكثير.

ثم أصبحت حرفة التدبيج والتزلف والتملق في الكتابة والتزوير والتحريف في الكُتب والمراجع والوثائق التاريخية تجارة رائجة لأصحاب النفوس الرخيصة وباتت مهنة لكل من أراد الربح السريع وجني المال الوفير وخصوصًا أولئك المُتزلفين لآل سعود المُنتقصين تاريخيًا.

ولا بد لي هنا من أن أذكر أنموذجًا صارخًا لتلك المُحاولات البائسة، وهو أنموذج للكاتب العراقي محمد بهجت الأثري الذي يُعتبر حالة مُكررة من ضمن تلك الحالات الاسترزاقية الرخيصة التي امتهنت التطبيل والتزمير لعبد العزيز بن سعود وأبنائه، وذكري له هنا على سبيل المثال لا الحصر.
فهذا الأثري هو مواطن عراقي الجنسية يُقال إنهُ من أصل كردي من مدينة أربيل سكنت أسرته في الرصافة ببغداد، وكان تلميذًا لدى السيد محمود شكري الآلوسي، ومن ثم عمل مُمثلاً للعراق في رابطة العالم الإسلامي في المدينة المنورة، ولما تقاعد من وظيفته استقر في السعودية وبدأ يُمارس هوايته المُفضلة في العبث والتحريف بكتب التاريخ وأولها كُتب أستاذه ومُعلمه – محمود شكري الآلوسي – بحجة الترجمة والتحقيق أيضًا، فحولها إلى كتب نفاق وتزلف وتملق للملك عبد العزيز ولآل سعود كي يكسب ودهم ويسترزق من ورائهم المال، وقد نال ما أراد، حيث حاز لاحقًا أي في عام ١٩٨٦م، جائزة ما يُسمى بالملك فيصل للآداب العالمية، نظيرًا لخدماته الكتابية وتشويهه للتاريخ وعبثه في كُتب التاريخ وأولها كتابات معلمه الراحل، محمود شكري الآلوسي.
وبالرغم من كون محمد بهجت الأثري مواطن عراقي الجنسية، إلا أنهُ عندما نقل تلك المُناظرة الكتابية القديمة التي جرت بين الشيخ العراقي داود بن سليمان الخالدي الشهير بابن جرجيس صاحب كتاب (صلح الأخوان)، وبين حفيد محمد بن عبد الوهاب المدعو عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، فقد بتر رأي مواطنه العراقي وهمشه، فلم يطرح رأي الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس كاملاً، بل اختصر رده ببضعة أسطر يتيمة بحجة التلخيص، بينما قام بنقل ردود عبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب والتي بلغت عدة صفحات، وبالمُقابل لم يورد إلا فقرة وحيدة ومبتسرة من أسئلة ابن جرجيس!.
وكل من قرأ وسيقرأ تلك المُناظرة الفقهية بين الطرفين في كتاب (تاريخ نجد) للآلوسي، والذي حققه وطبعه تلميذه العاق محمد بهجت الأثري بعد موت

الآلوسي بعشرات السنين، سيُفاجئ وسيتساءل باستغراب: لماذا لم يورد الأثري رسالة ابن جرجس كاملة كما فعل مع خصمه عبد اللطيف آل الشيخ ؟! ومحمد بهجت الأثري هذا أنموذج واحد من مئات النماذج الأرزقية التي تبرعت طائعة لتشويه وطمس تاريخ نجد خدمة للريال السعودي العتيد.

ولدينا أنموذج آخر من مُزوري التاريخ وهو الكاتب السوري منير العجلاني، الذي فرَّ من سوريا في فترة الاحتلال الفرنسي ولجأ لنجد، وبدأ يتقرب لحاشية عبد العزيز بن سعود، فأصبح لاحقًا مُستشارًا علميًا فيما يُسمى بـ(دارة عبد العزيز)، وبتزكية من قبل حفيد محمد بن عبد الوهاب، المدعو حسن بن عبد الله آل الشيخ، فألفَّ خمسة أجزاء مما اسماه بتاريخ السعودية، ليرد المعروف لآل سعود على طريقته الخاصة في العبث والتزوير بحقائق التاريخ.

فقد كان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يشعر بالنقص لأنهُ كان صنيعة الإنجليز بجدارة، وكان يغضب كثيرًا على من يُشيد بخصومه حتى ولو بالكلام أو الذكر العابر، وعلى رأس هؤلاء الخصوم الذين يُثيرون حفيظة ونقمة عبد العزيز كان أسرة آل رشيد حُكَّام حائل ونجد الشرعيين، وربما ما ذكره الباحث عبد الله البسام في مُقدمة تاريخ الذكير الذي عُرف باسم ـ خزنة التواريخ النجدية ـ عن فقدان المسودة الأصلية لتاريخ الذكير، وعن ردة فعل وتصرف عبد العزيز بن سعود الحاقد والموتور، وذلك عندما صادر بنفسه نسخة أصلية من الكتاب الخاص بالمؤرخ مقبل الذكير! فقط لأن ذلك الكتاب كان فيه ذكر ومدح لأمراء حائل آل رشيد، فتضايق عبد العزيز بن سعود كثيرًا من المؤرخ وصادر الكتاب بنفسه، وهو دليل قاطع على خبث ولؤم عبد العزيز بن سعود وأبنائه من بعده، وهو يدل أيضًا بصورة قاطعة على مقدار حقده وبغضه وشعوره بالنقص أمام أسرة آل رشيد العريقة. حيث يذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام عن تلك الحادثة، في مُقدمة كتاب الذكير فيقول:

«حدثني خالي صالح بن منصور آل أبا الخيل، فقال: كان لي صحبة قوية مع المؤلف "مقبل بن عبد العزيز الذكير" وكنتُ في الأحساء زمن إدارته لمالية الأحساء، فجاء خطاب من الملك عبد العزيز يطلب منه الكتاب، فبعثه إليه ولم يعد. والكتاب غير مرغوب فيه عند الملك عبد العزيز لأن فيه مدحًا لبعض أفراد آل رشيد، ووقت طلبه لم يمض على استيلاء الملك عبد العزيز على حائل إلا نحو أربع سنوات».[۞] - انتهى الاقتباس-

وبالمُناسبة فإن أصل الكتاب كان يحمل عنوان - خزنة التواريخ النجدية - وقيل إن الشيخ مقبل الذكير كان قد أطلق عليه في مرحلة سابقة اسم - العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية - وكانت هذه النسخة بخط المؤلف موجودة في جامعة بغداد سابقًا، وأما الطبعات السعودية فهي كالعادة حملت اسمًا آخر يواكب المرحلة السعودية الجديدة ويمُجد بحكم آل سعود وعصرهم، حيث طبعت النسخة السعودية تحت اسم مُضحك ومُزري يدل على عقدة النقص السعودية من مُجريات وأحداث التاريخ، حيث حملت النسخة المطبوعة في السعودية، اسم: (مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود).

وهذا جزء بسيط ويسير من عمليات التلفيق والتزوير السعودي للتاريخ المدون ولعناوين الكتب أيضًا.

أما أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز فقد حرص مُنذ البداية على أن يعبث بالمصادر التاريخية الخاصة بتاريخ نجد رغم شِحها وضياع بعضها وتوزع البعض الآخر في بقية أصقاع المعمورة، وكان يتضايق كثيرًا إذا ما وجد أي كتاب يحمل اسم الوهابية أو لقب الوهابي؛ عربيًا كان أم إنجليزيًا؛ فيطلب بتغييره على الفور ويستبدله بمُصطلح (السعوديين أو الموحدين) حتى ولو كان مؤلف الكتاب رحالة أجنبي قد فارق الحياة منذ مائة وخمسون عامًا أو أكثر.!

---

[۞] مُقدمة- خزنة التواريخ النجدية "مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود" تأليف: مقبل بن عبد العزيز الذكير.

وكان سلمان على الدوام يطلب من مسؤولي دارته أن يجدوا لهم مُترجمين مُختصين، لكي يترجموا كُتب المُستشرقين والرحالة الأجانب، كي يستطيعوا من خلال هؤلاء المُترجمين تغيير المُسميات وتهذيب المُصطلحات التي لا تصب في صالح آل سعود، مع أن مهمة المُترجم الشريف النزيه هي الترجمة الحرفية دون زيادة أو نقصان إلا في حالة وضع بعض التوضيحات التي ترفق في الحاشية أسفل الصفحة، وإلا فسيكون المُترجم قد أخلَّ بشرفه المهني وباع ضميره، ولكن في حالة آل سعود فكل شيء ممكن ومُباح، فهم يستطيعوا أن يجدوا مُترجمين مُرتزقة يبيعوا ضمائرهم بسهولة ويسيرونهم حسب أهوائهم، وبسلطة الريال السعودي العتيد.

فلدينا مثلاً على سبيل المثال لا للحصر، المترجم محمد خير محمود البقاعي الذي ترجم فصل تاريخ الوهابية في كتاب الفرنسي فيلكس مانجان والذي كان يحمل عنوان ( تاريخ مصر في عهد محمد علي - تاريخ الوهابية ) فحوَّله المُترجم البقاعي إلى اسم جديد وفق رغبة وهوى دارة عبد العزيز، فأصبح عنوانه ( تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية)!، مع أن مانجان كتب في كتابه فصل مُختصر عن تاريخ الوهابيين وأسمى ذلك الفصل الخاص بنجد (تاريخ الوهابية)، لكن المُترجم البقاعي أصرَّ على أن يُطلق اسم "السعودي" أو "السعوديين" على أي ترجمة لأي كلمة تأتي في الكتاب تحمل اسم الوهابيين أو الوهابي، التي كتبها المؤرخ الأصلي مانجان في كتابه!

ليس هذا فحسب فقد تجاهلت دارة سلمان بن عبد العزيز مخطوطة تاريخية قديمة ومهمة، ولم تطبعها كسائر المخطوطات والكُتب الأخرى، بل عندما قامت إحدى دور النشر المصرية قديمًا بطباعتها على صيغة كتاب، تمَّ منع الكتاب من الدخول إلى السعودية!. وأقصد هنا مخطوطة مُفتي الشافعية في مكة أبان فترة الخلافة الإسلامية الشيخ أحمد بن زيني دحلان، والتي حملت

عنوان: (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام)، مع أن مخطوطة الشيخ دحلان لها أهمية تاريخية كبيرة، وتعتبر من الوثائق القيمة والهامة لتاريخ الحجاز وسيرة الأشراف، وخصوصًا توثيقه للحملات العسكرية لوالي مصر محمد علي وأبنائه على شبه جزيرة العرب.
وقد أشاد الباحث الألماني في الدراسات العربية والإسلامية جوزيف شاخت بأهمية تلك المخطوطة النادرة، وقال عن مُؤلف الكتاب الشيخ دحلان أنهُ يُعتبر المؤلف الوحيد لتاريخ مكة خلال القرن التاسع عشر.

طبعًا سبب عدم طبع تلك المخطوطة الدحلانية القيمة في دارة عبد العزيز معروف للجميع، وسبب منع دخول الكتاب لنفس المخطوطة والمطبوع في مصر منذ عقود إلى السعودية، لأن محتوى المخطوطة لا تصب في صالح آل سعود، ولأن الشيخ أحمد بن زيني دحلان كان شافعي المذهب وقد فند كل حجج الوهابيين الواهية وعرى كل أطروحاتهم التكفيرية وفضح جهلهم المُطبق بالعقيدة الإسلامية، والحقيقة عندما قرأت مخطوطة دحلان الأصلية وخاصة في رده على الوهابيين، وجدت أن هذا الرجل مُتمكن جدًا في فهم العقيدة الإسلامية، ولم يبق ولم يذر للوهابيين وقد أسقط كل مصداقية لمحمد بن عبد الوهاب وأتباعه، ولهذا فقد أتهمه الوهابيون المعاصرون بتهمة التصوف وعبادة الأضرحة والتمسح بالقبور، لأنهم إما يتهمون مخالفيهم بالرفض أو بالتصوف، هذا هو ديدنهم وهكذا تعودوا دائمًا.

وشخصيًا أنصح أي باحث تاريخي أو أي شخص يُريد أن يصل لحقيقة ما طرحه محمد بن عبد الوهاب في زمانه، أن يرجع إلى مخطوطة الشيخ أحمد زيني دحلان وسيجد الرد الشرعي الوافي والكافي والشافي على الوهابيين.

كذلك لم تقم دارة عبد العزيز بطباعة كتاب الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف الموسوم (وسط الجزيرة العربية وشرقها)، وبالرغم من وجود الكثير من المؤاخذات والملاحظات على عقيدة صاحب تلك الرحلة، وتحامله على الدين

الإسلامي كدين سماوي بسبب نظرته المُسبقة الخاطئة ومن ثم تصرفات هراطقة الوهابيين الذين رسخوا لديه تلك النظرة السلبية نحو الإسلام، ولكن كان لزامًا على الدارة السعودية لو كانت جادة فعلاً في البحث والتنقيب عن المصادر التاريخية أن تُترجم ذلك الكتاب المُهم، لكي يطلع أبناء الحرمين الشريفين على رحلة بالجريف التي قام بها إلى شبه جزيرة العرب قبل حوالي الـ ١٥٠ عامًا، ويقرؤوا ما رآه ودونه ذلك الرحالة الأجنبي الغريب عن المنطقة وعن نجد تحديدًا.

وحينما تمَّ ترجمة وطباعة الكتاب المذكور الخاص برحلة وليام بالجريف إلى وسط الجزيرة العربية وشرقها في مصر، بواسطة المجلس الأعلى للثقافة هناك، تمَّ منع تداول الكتاب في داخل السعودية! وربما كانت الميزة التي يتميز بها الرحالة وليام بالجريف عن غيره من الرحالة الأجانب، أنهُ كان مُثقفًا مُطلعًا وذكيًا جدًا، مع أن لديه فلسفة لاهوتية وآراء دينية مغلوطة وناقمة على الدين الإسلامي، ربما بسبب التشويه المُتعمد من قبل الأوربيين بسبب الحملات العثمانية العسكرية على قلب أوربا، وللأسف فقد ازدادت نقمته وتحامله على الإسلام والمُسلمين بعد أن التقى بثلة الوهابيين في الرياض.

وبعيدًا عن مُقارناته اللاهوتية، فإن بالجريف استطاع أن ينقل لنا صورة حية وواقعية للرياض قبل١٥٠عام، وكان لماحًا يعرف كيف يتفرس ويختار الشخصيات المهمة والمُلمة بالأحداث، فيتحدث معهم بلباقة ويأخذ منهم المعلومات والأخبار القيمة، وقد استغل مهنته كطبيب مُتطفل على الطب في استخلاص تلك المعلومات والأخبار، وساعد بالجريف في مهمته أنهُ كان صبورًا ويتحدث اللغة العربية بطلاقة، وأيضًا كان لديه خادم أو مساعد لبناني مسيحي ـ ماروني، فهو الآخر أفاده في عملية التحري وسبر أغوار الأشخاص الذين يتم استخلاص الأخبار منهم، ولهذا فقد كانت المعلومات والأخبار التي أوردها بالجريف في كتابه مهمة جدًا عن تلك الفترة، وفيها تقصي لبعض الحقائق.

وَرب قائل يقول: وكيف عرف هذا الرحالة الإنجليزي المدعو وليام بالجريف بكل تلك المعلومات والأخبار النجدية الخاصة، وكيف علم بأحداث كانت قد سبقت وصوله إلى الرياض بعشرات السنين!؟

الجواب: أن بالجريف كان يستقي المعلومات من أهل البلاد ومن سكان الرياض أنفسهم، وخصوصًا من قبل أولئك المرضى الذين كان يُعالجهم، وأهم تلك المعلومات التاريخية كان قد استقاها من والد عبد الكريم المدعو إبراهيم في الرياض، والذي كان عارفًا بالوقائع وشاهد عيان على أغلب الأحداث الماضية، بينما كان ابنه عبد الكريم مُتعلمًا ولديه مكتبة زآخرة بالكتب، وقد أوضح بالجريف ذلك الأمر في كتابه، ومن خلال إبراهيم وولده عبد الكريم فقد استطاع بالجريف أن يستقي معلومات تاريخية مهمة عما حدث في الدرعية وعن الرياض وبقية مناطق إقليم العارض، خصوصًا عن فترة الإبعاد والإقامة الجبرية لآل سعود وآل الشيخ في مصر، وأما عن طريقة بالجريف في استقصاء الأخبار من خلال زبائنه الذين تعرف عليهم، وعن تلك المعلومات والأحداث السابقة التي توصل إليها بالجريف في الرياض، يقول في كتابه:

« والشخص الثاني المهم الذي استقبلناه بعد جوهر، كان من نوعية مُختلفة، إذ كان أقل مرونة من جوهر، وأقل امتنانًا، ولكنه كان يصلح لرحلتنا في الرياض من بعض النواحي، إنهُ عبد الكريم، ولد إبراهيم الذي ارتبط مؤخرًا بالأسرة الوهابية عن طريق المُصاهرة، والذي يزعم أنهُ من نسل أعيان العارض... » ... الخ.

إلى أن يقول: « ولا يزال إبراهيم المُسن والد عبد الكريم مضيفنا، يتذكر الغزو المصري وحصار الدرعية. وقد حكى لنا الكثير من الأحداث عن هذا الموضوع، وكان هو نفسه شاهد عيان فيها، وسوف أورد بعضًا من هذه الحكايات في الفصل الذي سوف أخصصه لأسرة آل سعود الليمفاوية» ... الخ.

إلى أن يقول في مكان آخر من كتابه: « سوف أتتبع في الإطار العام الذي سوف أحدده هنا للأسرة المالكة الوهابية، هي وحروبها، وثوراتها وازدهارها ثم قيامها من جديد، على الروايات التي استمعت إليها من أهل هذه البلاد، ولن أزيد على ذلك أو أنقص منه. ومسألة احتواء مثل هذا التاريخ على العديد من التجاوزات من ناحية التواريخ بل وحتى في الأشخاص، واختلاف ذلك عن ما سجله أو نشره الآخرون عن مثل هذه الموضوعات، مسألة أعرفها وأعيها جيدًا، يُضاف إلى ذلك أنني لا أدعي أن هذه الروايات فائقة الدقة، برغم أنني أرى أن هذه الرواية قد تكون أوضح بكثير عن الروايات الأخرى، وتنطوي على كثير من الاحتمالات الجوهرية... » ... الخ.

إلى أن ينهي حديثه فيقول: « واختصارًا للحديث، فإنني سوف أعرض في الاستطراد التاريخي التالي كل ما سمعته دون مدح أو قدح ولن أدون سوى ما سمعت ولن أحاول تمحيصه أو تحليله أو تمييزه على غيره»[۞]. انتهى الاقتباس

ولذلك نرى أن دارة عبد العزيز تتخذ آلية انتقائية وأسلوب مزاجي حتى في ترجمة كُتب الرحالة الأجانب الذين زاروا نجد وأقاموا في الرياض رغم أهمية ما ذكروه في رحلاتهم، وتلك أمثلة بسيطة وعابرة لمزاجية الأمير سلمان بن عبد العزيز وعبث موظفي دارته الانتقائيين، ليس في الكُتب المحلية والعربية فحسب، بل تعدى ذلك إلى ترجمة الكتب الأجنبية الخاصة بأدب الرحلات لشبه الجزيرة العربية.

بل إن سلمان بن عبد العزيز قد استحدث إسعافات خاصة بالكُتب وليس بالبشر، حيث أعلن سموه عبر وسائل الإعلام السعودية، قائلاً: ( أن أي مواطن لديه كُتب قديمة أو مخطوطات وثائق أثرية ومراسلات تاريخية مهمة تعرضت للتلف، فإن إسعافات "الدارة السعودية" جاهزة ومُستعدة للوصول إلى صاحب تلك المخطوطات والكتب في أي رقعة من المملكة)!.

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

**وقد بثت قناة العربية السعودية تقريرًا مُفصلاً كان يتحدث عن توفير خدمات الإسعافات الأولية الخاصة بترميم ومُعالجة الوثائق التاريخية في السعودية، وذلك عن طريق تخصيص سيارات إسعاف فورية مُجهزة بطاقم مختص في تقييم الوثائق والكتب الأثرية المهمة والخطيرة.!**

**تخيلوا معي فقد خصص أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز، سيارات إسعاف فورية خاصة بمعالجة الوثائق والمخطوطات وترميمها حسب الزعم وتجاهل إسعافات الطوارئ البشرية!!**

**وفي نهاية ذلك التقرير التلفزيوني الذي بث على قناة العربية السعودية، ذكر المذيع السعودي ملاحظة هامة وتسترعي الانتباه، حيث قال: ( إن الدولة إذا وجدت أن تلك الوثيقة الشخصية لها قيمة تاريخية فأنها سوف تصادرها من أصحابها، وأما إذا كانت مُجرد عقد أو وثائق وكتيبات غير ذات أهمية فإنها تأخذ أجور مالية من قبل أصحابها لقاء المُعالجة والترميم والتجليد ) ؟!**

**لاحظوا كيف يتذاكى سلمان بن عبد العزيز على المواطنين، وكيف يبذل جهود حثيثة وماكرة لدفع الناس لإخراج تلك الوثائق والمخطوطات القديمة من خزائنهم، بحجة الإصلاح والترميم، ولاحظوا أنهُ هنا يُريد تشجيع أصحاب الوثائق الدفينة المخفية، ومعرفة من لديه وثيقة تاريخية مهمة أو مخطوطة نادرة من خلال تلك الخدعة لكي يستولي عليها سواء بالمال أو حتى بالقوة.**

**وهذا يُثبت أن أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز كان حريصًا جدًا ليس على اقتناء تلك الوثائق والصكوك والكُتب النادرة فحسب، بل هو يسعى جاهدًا للاستيلاء عليها لغرض إتلاف وطمس وإخفاء جميع الوثائق التي تحوي أسرارًا خطيرة والكتب التاريخية القديمة التي تسرد الأحداث القديمة وحتى المُعاصرة لبلاد الحرمين، بل لن تستغرب حينما تعلم عزيزي القارئ أن سلمان بن عبد العزيز كان قد أرسل من يشتري له كتاب المؤرخ النجدي الزبيري عثمان بن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد) المخطوطة الأصلية من أحفاد المؤرخ عثمان بن بشر وجلب تلك النسخة المحفوظة في بلد الزبير في**

العراق بعد الغزو الأمريكي للعراق وانفراط عقد الأمن وتفكك عرى الدولة العراقية، وهو يعلم جيدًا أن تلك المخطوطة التي يقدر عمرها بأكثر من ١٦٠ عامًا، تعتبر من المُقتنيات والتراث القومي للدولة العراقية ولا يحق قانونًا لأحفاد المؤرخ المُعاصرين بيعها أو إخراجها من العراق، بل لهم الحق فقط بالاحتفاظ بها ولكن في حال بقاء المخطوطة في مكانها وهو بلد الزبير في العراق، هكذا يقول القانون الدولي الذي لا يفهمه سلمان بالنسبة لأحقية وملكية المخطوطات والوثائق التاريخية القديمة والنادرة.




ـ سلمان بن عبد العزيز يتسلم من حفيد المؤرخ النجدي عثمان بن بشر ، المخطوطة الأصلية التي كانت محفوظة في بلد الزبير والتي كتبها المؤرخ بخط يده قبل ١٦٠ عامًا ، والتي هُربت من الزبير بعد احتلال العراق ـ

والأمر المزعج في استحواذ سلمان بن عبد العزيز على النسخة الأصلية من مخطوطة المؤرخ عثمان بن بشر -عنوان المجد في تاريخ نجد- أنهُ سيخفي معالمها وسيشوه أحداثها كما شوَّه من قبل الكثير من المخطوطات والكُتب، ولو كان سلمان بن عبد العزيز جادًا في خدمة التُراث والبحث التاريخي فليقم بطباعة تلك المخطوطة كما هي وبدون تحريف أو تزييف أو مسخ.

ورُبَّ سائلٍ يقول: وما الذي يزعج سلمان بن عبد العزيز إلى تلك الدرجة ويجعله حريصًا كل هذا الحرص إلى حد إخفاء الحقائق التاريخية القديمة التي حدثت في الماضي وذهبت وأصبحت بحكم الأرشيف في التاريخ؟

الجواب: أن أبناء وشعب الجزيرة العربية يختلفون عن بقية الشعوب العربية الأخرى خاصةً فيما يتعلق بالاعتماد على مواقف وسير الأجداد والافتخار بهم، والتمسك بمجريات التاريخ المُشرف واتخاذ حوادثه كمُثل عليا لهم، وجعل أبطاله قدوة حسنة يستلهمون منهم العبر، وأشراره عبرة سيئة ومثار للسخرية، فالكلُّ في جزيرة العرب مثلاً مازالوا يُعيرون إحدى القبائل العربية بقصة قديمة لم تثبت صحتها، مفادها أن أبناء تلك القبيلة كانوا قد سرقوا (خُفي الرسول) عليه أفضل الصلاة والسلام، فما بالك إذا كان أحدهم قد سرق حجرة الرسول ﷺ ونهب كل مُقتنياتها من مصاحف وكتب وأسرجة، كما فعل الجد الأول لآل سعود (سعود بن عبد العزيز)، الذي تجرأ وسرق حجرة النبي واستولى على النفائس من داخل الحجرة النبوية، ومن ثم قام بسلب الحجيج العُزل وسفك دمائهم، وحينما أمسك القائد المصري إبراهيم باشا بابن اللص سعود المدعو عبد الله بن سعود وأرسله إلى مصر للتعزير، كان عبد الله يحمل معه صندوقًا صغيرًا فيه بقايا سرقات والده سعود من حجرة النبي ﷺ، لعلها تشفع له عند حضرة السلطان العثماني، فتخفف من حكمه ويسلم على رقبته.!

إذن شخص مثل سلمان بن عبد العزيز؛ جده الأول سعود كان لصًا سارقًا نهب حجرة النبي ﷺ وقاطعًا للطريق وهاتكًا لحُرمات المُسلمين؛ قطعًا لا يرغب في

أن يطلع أبناء الحرمين الشريفين على تاريخ أسرته المُخزي ويكتشفوا ماضيهم الدموي والمليء بالغدر والخيانة والجرائم والمخازي.

ولهذا فإن سلمان بن عبد العزيز ومنذُ أكثر من نصف قرن وهو يقود حملة تشويه وتزوير شعواء للتأريخ الخاص بشبه الجزيرة العربية، حيث تكللت جهوده الشيطانية تلك، بإنشائه لما يُسمى بـ"دارة عبد العزيز" والهدف منها طبعًا هو تزوير الحقائق وسعودة التأريخ في بلاد الحرمين الشريفين وجعله تأريخًا سعوديًا عائليًا مُفلترًا وممسوخًا يبدأ من تاريخ محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب ويمر بدخول عبد العزيز الرياض، وينتهي بهم فقط، ومن ثم إلغاء وتشويه كل ما قبلهم.!

وهدفه أيضًا الاستحواذ الكامل على المعلومة ومصادرة أي كتاب قديم أو مُصدر تاريخي مهم أو وثيقة نادرة لدى المواطنين في أرض جزيرة العرب خوفًا من عواقب تلك الوثائق القديمة، إذا ما ظهرت للعلن وكشف عن فحواها ومكنوناتها، والتي فيها الكثير من الحقائق والقصص والقصائد النبطية التي تبين حقيقة تلك القسمة المشبوهة التي تمت بين محمد بن سعود وشريكه محمد بن عبد الوهاب، وتكشف طبيعة العلاقة الخدمية بين آل سعود وأسيادهم الإنجليز وتبين كذلك الأصل الوضيع لآل سعود وتفضح سريرتهم الخبيثة وسيرتهم الدموية وسيوفهم الإنجليزية الرخيصة المُخضبة بدماء الأبرياء.

بل أن سلمان بن عبد العزيز أمر بمصادرة الكثير من الكتب الصادرة حديثًا، والتي تنتقد السياسة السعودية المُعاصرة، فما بالك بالكتب والمصادر القديمة، وبالمُقابل؛ سمح لكتب أُخرى تُسيء للإسلام وتتهكم على الرسول الكريمﷺ !
وسبب منع الكُتب التي تنتقد السياسة السعودية لأن مؤلفيها كانوا قد استعانوا بمصادر تاريخية من الخارج لا تصب في صالح آل سعود وتذكر حقائق حرجة ومؤلمة لطالما حاول آل سعود إخفاءها وتوريتها عن العامة. وهذا يُدلل أن سمعة آل سعود وسيرتهم هي مُقدمة في شرعهم "السعوهابي" على سيرة

وعرض الرسول ﷺ، وأن تاريخهم المُخزي ممنوع الاقتراب منه أو المساس به ومُحرم على الآخرين الخوض فيه، وما عداه فهو مسموح ومُباح.

كما استدعى سلمان بن عبد العزيز شخصيًا بعض الرواة الشعبيين، ممن تعودوا على سرد بعض القصص التراثية المحلية وحفظ الأشعار النبطية الخاصة بأحداث نجد والحجاز خلال القرنين الماضيين من خلال تسجيلها على أشرطة كاسيت متواضعة، وطلب منهم عدم التطرق لأي شيء يُسيء لآل سعود، وحذرهم من ذكر أي معركة أو قصيدة فيها هزيمة أو ذم وقدح لوالده عبد العزيز أو جده عبد الرحمن أو بقية أفراد عائلة آل سعود من الماضين، وقد سُحبت ومُنعت النسخ القديمة من الأسواق وتمت مصادرتها، كما تمَّ استبدالها بتسجيلات جديدة وهزيلة كلها تُمجد وتُطبل لآل سعود وتُشيد بتاريخهم المشبوه، وتتغنى بمنجزات العميل الإنجليزي العتيد.!

فأشدُّ ما يُثير حنق وحفيظة آل سعود هو تدوين التأريخ الحقيقي غير المزيف لشبه الجزيرة العربية، وأمير الرياض سلمان تحديدًا هو نسخة طبق الأصل من والده عبد العزيز خصوصًا في مسألة الحقد والحسد والضغينة، التي أشار لها "بالجريف" عن طبائع وأخلاق أهل العارض المليئة بصفات الحسد والحقد والضغينة. وأشدُّ ما يُغضب سلمان هو عندما يسمع من البعض أي ذكر أو إشادة بشجاعة ورجولة خصوم والده وأسرته، أو من يُشيد بأعداء آل سعود التقليديين كأسرة آل رشيد حتى ولو بصفة الكرم أو الشجاعة! لأنهُ يعرف جيدًا أن والده وجده عُرفا بالجُبن والمكر والمُخادعة واتصفا بالبخل والتقتير، وكانا يفِرَّان من اللقاء في المعارك إذا ما حمي الوطيس، حتى سُمي جده عبد الرحمن بـ"الشرود"، وأما أبوه عبد العزيز فقد كان يحتمي بمكان آمن لكي «يُدربل» أي يستخدم المنظار الإنجليزي لمُتابعة سير المعارك عن بعد، حتى أطلق عليه إخوان من طاع الله مُسمى (أبا الدرابيل) أي أنهُ لم يكن يُقاتل بنفسه وبنصل سيفه في المعارك، بل ينأى بنفسه عن وطيس المعركة وينتظر

نتيجتها الحاسمة، ثم يظهر إذا انتصرت قواته، فهو يفعل بالضبط مثلما كان أبوه عبد الرحمن بن فيصل يفعل في المعارك.

وإلا فهل يُعقل أن سلمان بن عبد العزيز حريصًا كل هذا الحرص على وثائق وعقود الناس وكتبهم القديمة، بحيث هيأ لهم سيارات إسعاف فورية خاصة ومزودة بأحدث الأجهزة، يتم الاتصال بها من خلال أرقام مُخصصة لخدمة المواطنين، وكل من لديه وثائق أو كُتب أثرية تأتيه تلك الإسعافات الحديثة على جناح السرعة لكي تعالج تلك الوثائق التاريخية من التلف!
بينما نرى بالمُقابل أن المرضى السعوديين يموتون في بيوتهم ويُفارق الحياة المُصابون في الحوادث المرورية على طرق الموت السعودية، وإسعافات وزارة الصحة السعودية الخاصة بنقل المصابين لا تصلهم إلا بعد فوات الأوان، أو ربما لن تأتي أبدًا حتى يُفارق الضحية الحياة!

فهل هنالك مجنون يُصدق أن أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز يتلطف ويتعطف لكي يُرسل إسعافاته الخاصة تلك ولأي مكان في السعودية من أجل أن يُنقذ ويُعالج تلك الوثائق القديمة؟!
ولكن كما يُقال إذا عرف السبب بطل العجب.

كما ويُشارك عددٌ لا بأس به ممن اختارهم أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز بعناية في تلك الهواية المَرضية المُدمرة للكُتب والمراجع التاريخية، حيث يضم فريقه مجموعة مُنتقاة من أعداء الحقيقة وجيوش جرارة من المُرتزقة، فبالإضافة إلى كبار موظفيه فيما يُسمى بالدارة وعلى رأسهم المدعو فهد بن عبد الله السماري وهنالك أيضًا أحفاد محمد بن عبد الوهاب النشيطين في مجال التشويه والتزوير. وكان من أبرز هؤلاء الوهابيين الأحفاد في مجال التحريف والتزوير وبتر المعلومات هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكذلك العابث الآخر عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، وهؤلاء الأحفاد كانوا مولعين كثيرًا بطمس الحقيقة وإخفاء وتعتيم كل

الحقائق التي تتعلق بجدهم صاحب الدعوة والمجازر الدموية الرهيبة بحق الأبرياء، وقد وجد سلمان بن عبد العزيز ضالته في مساعي هذين الحفيدين الذين سبقاه في مجال العبث والتزوير.

ولا لوم على أحفاد آل الشيخ المُعاصرين إذا ما اجتهدوا واستماتوا في تجميل الصور وترتيق الجرائم والكوارث التي اقترفها جدهم الأول محمد بن عبد الوهاب، فالمثل العربي يقول: "كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجبة" وهؤلاء الأحفاد هم قطعًا مُعجبون ومُغرمون حتى الثمالة بمجازر جدهم محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة أو الشركة التي أوصلتهم للعز والجاه والمال المُغمس بدماء الأبرياء، كيف لا، وهو من أمَنَ وكفل لهم ولبقية أفراد الأسرة الوهابية العيش الرغيد ومنحهم المكانة المرموقة والسلطة والنفوذ على مدى قرنين ونصف من الزمان.

فهؤلاء الأحفاد الوهابيون البائسون ظنوا واهمين أنهم يستطيعون وبسهولة من خلال بعض خربشاتهم أن يُخفوا معالم الجرائم الوهابية التي اقترفها جدهم محمد بن عبد الوهاب بمُشاركة جد آل سعود محمد وأبنائه وأحفاده من بعده، وذلك من خلال وسائل الحذف والبتر والطمس والتغيير والدس والترقيع، أو عن طريق استخدام طرق التهذيب والتشذيب للأحداث في كتب التاريخ المتواضعة، تارة بحجة الترجمة وإعادة النسخ والطباعة، وأخرى بدعوى التحقيق والتعليق. فقد عبثوا بالكثير من الكتب التاريخية وخصوصًا ما قاموا به من حذف وبتر بعض ما جاء في الأخبار الواردة في الكتابين التاريخيين الذين دوّنهما المؤرخان النجديان حسين بن غنام وعثمان بن بشر، واللذان حملا اسم تاريخ نجد بطريقة أو بأخرى، علمًا أن كلا المؤلفين هما وهابييّن حتى النخاع، بل إن حسين بن غنام لا يُعتبر مؤرخًا مُنصفًا، لأن كتابه المذكور كان قد دونه بأمر ورغبة مُلحة من قبل محمد بن عبد الوهاب شخصيًا، كما إن كتابه المذكور لم يكن تاريخيًا بالمعنى الأكاديمي، بل كان ترجمة وسجع لمآثر وسيرة محمد بن عبد الوهاب الشخصية، وهو عبارة عن سرد وذكر لبعض

**مواقفه والمعارك التي خاضها أتباعه، ومع هذا لم تسلم المخطوطة الأصلية من كتاب حسين بن غنام من العبث والتشويه السعودي المُعاصر، فقد طال الكتاب الكثير من التحريف والتزوير والبتر. فالنسخة الأصلية وكما هو معروف كانت بعنوان: (روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام)، فاستعانوا بكاتب عربي سوري يُدعى الدكتور ناصر الدين الأسد، لكي يُعيدوا ما دونه ابن غنام، وقام هذا المؤرخ المُستأجر بمشاركة عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ بمسخ؛ وليس نسخ؛ كتاب حسين بن غنام، حيث قاما بطمس وتحوير وتشذيب هذا الكتاب الوهابي الصرف فشوهاه بحجة الترجمة والتحقيق، ومن ثم أطلقا عليه اسم جديد وهو (تاريخ نجد للشيخ الإمام حسين بن غنام)، وقد حذفوا منه الكثير من الأخبار والرسائل، وألغوا المُصطلحات الوهابية الصرفة، وأضافوا له أيضًا العديد من المعلومات والآراء، حتى يُخيل للقارئ أن هذا الكتاب يتحدث عن العصر الحديث ويُناقش إشكالات الوهابية المُعاصرة!.**

**وكان بإمكان ناصر الدين الأسد لو كان فعلاً حريصًا على المصداقية العلمية والنزاهة الأكاديمية، أن يضع الأخبار والنصوص الأصلية التي ذكرها حسين بن غنام في كتابه؛ وإن كانت على طريقة السجع المُمل؛ والشبيهة بسجع السديس في خطبه السجعية العصماء في منبر الحرم؛ ثم يضع تحت كل نص اختصار أو توضيح مُبسط لما جاء في ذلك النص الأصلي، وبهذا يكون قد ترك للقارئ الخيار في الإطلاع، فإن أراد قراءة النص الأصلي الذي دوّنه ابن غنام بنفسه سيجده، وإذا استعصى عليه فهم أسلوب ابن غنام في ذكر الأخبار والحوادث سجعًا، فيمكنه قراءة النص المبسط الذي كتبه ناصر الدين الأسد، لكن ما حصل هو تشويه ومسخ مُتعمد لكتاب حسين بن غنام، والهدف من ذلك المسخ والتحريف والتشذيب؛ لا يخفى على كل لبيب.**

**وكانت الطبعة الأولى لمخطوطة حسين بن غنام قد طُبعت في عام ١٣٣١هـ - ١٩٥١م بمدينة بومباي بالهند على صيغة كتاب، ولا يُعرف تحديدًا من الذي قام بطباعة تلك النسخة من المخطوطة في الهند، هل هي الحكومة السعودية**

أم خصوم الوهابية من أجل أن يطلع الناس على مُعتقداتهم، وللأسف فإني لم أحصل على الطبعة الهندية القديمة. وأما الطبعة الثانية فقد طُبعت في مطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٨هـ وقد تمَّ طباعتها على نفقة عبد المحسن بن عثمان أبابطين صاحب المكتبة الأهلية سابقًا بمدينة الرياض، وقد ألحقها بالطبعة الثالثة في عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م بمطبعة المدني، وطبعة البابي الحلبي المصرية هي التي اعتمدتها في كتابي وبحثي هذا.

ومن ضمن المحذوفات المعلومة والمفضوحة في كتاب حسين بن غنام في النسخة الممسوخة التي أصدرتها الدارة السعودية وجعلت منها نسخة إلكترونية مجانية على شبكة الانترنت، وهي الموجودة والرائجة حاليًا في الأسواق، هو حذفهم للأخبار التي تتعلق بتحركات سليمان بن عبد الوهاب المناوئة لشقيقه محمد بن عبد الوهاب، وكذلك طمسهم لبعض الأخبار التي تفضح حقيقة الدعوة النجدية، حيث ذكر ابن غنام بعض الحوادث التي تُدين الدعوة الوهابية دون أن يشعر، فرغم أن المؤرخ كان وهابيًا حتى النخاع إلا أنهُ كان يدون بلسان عصره، وعليه فقد فضح ابن غنام؛ دون أن يُدرك؛ دموية ومادية الدعوة الوهابية، فمثلاً يذكر لنا ابن غنام خبرًا عن تلقي عبد العزيز بن محمد بن سعود لخمسة خيول من "المُرتد" عن الإسلام الوهابي سويد أمير جلاجل، كانت في الحقيقة عبارة عن رشوة قدمها لعبد العزيز، لكن ابن غنام أطلق عليها مُصطلح مُهذب أسماه (نكالاً) وإلا أي إسلام هذا يُقايض الدين ببضعة خيول! ولأن الخيول قد أعجبت إمامهم عبد العزيز فقد تخلى عن دينه الوهابي وقبل برشوة سويد وعفا عنه، فيقول ابن غنام في مخطوطته:

«وفيها غزا المُسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطئ جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مُرتدًا قبل ذلك الحال، فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسًا فطاب بها عبد العزيز نفسًا لكونها خيلاً بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة»[۞]

---

[۞] كتاب تاريخ نجد:"روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" تأليف/ حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

كما يذكر حسين بن غنام في نسخته الأصلية كيف باغت عبد العزيز وغدر بالقصمان في شهر رمضان، وكيف هتكهم "المُسلمون" لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان حسب رأي الوهابيين، وكيف قام عبد العزيز بقتل رجالهم ومن ثم عاد إلى الدرعية بأموالهم ليتقاسمها كغنيمة وسلائب حرب اغتنمها من أهل القصيم الوثنيين المُشركين حسب قوله، حيث يذكر حسين بن غنام:

«ثم إن عبد العزيز أمرَّ بالرجوع على من مشى معه من الدول وتبعه حين فرغ من أمر المجمعة وغزا بالجيش من ذلك المكان، وكان ذلك في أثناء شهر رمضان، فجدَّ سائرًا في ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وقد هجعت البرية وكانت من قرى القصيم، فأناخ عندها في ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن يزيله النور من الظلام أوجاله، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا في ذلك غاية الحال، ولكن الله الكبير المتعال، سلط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمُسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال، وهتك المُسلمون البلد في ذلك المجال ودخلوها في تلك الحال، وأخذوا جميع ما بها من الأموال، ثم نودي فيها بالأمان بعد ما قُتل من أهلها رجال، وأقام بها عبد العزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيهم أمر عظيم من المخافة فرغبوا في الدخول في الإسلام والانقياد لمنير تلك الأحكام ورفض ما يُعبد من الأوثان والأصنام، وأقبلوا على عبد العزيز في تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام، ثم رجع عبد العزيز يُريد الدرعية ليقسم الغنيمة فيها بالسوية».

ويبدو أن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وصديقه الباحث السوري ناصر الدين الأسد أرادا أيضًا حذف العبارات السوقية المُبتذلة التي كان ينعت بها حسين بن غنام خصوم محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وأبنائه، ولهذا سعيا معًا لتهذيب أسلوبه المُنحدر في شتم وقذف الأعداء، إضافة إلى التخلص من أسلوب السجع المُمل الذي كان يستخدمه ابن غنام خصوصًا حينما ينساق مُتملقًا في تدبيج المديح فيخرج عن صلب الموضوع، وينشغل

في ترتيب قافية السجع حتى ولو لم تكن موافقة لقواعد اللغة العربية، فنراه مثلاً يحكم على نية وطوية الأمير عثمان بن معمر وينعته بالنفاق وخبث النفس والرجس وغيرها من صفات لا تليق أن تخرج من فم من يزعم التدين ويدعي الورع كحسين بن غنام مدون وحبر محمد بن عبد الوهاب، وعن بعض أوصافه لابن معمر في كتابه، قال عنه مثلاً: « وكانت تلك الغزوة من غير رضاء عثمان بن معمر ومشورته لما يتهمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية،إلا أن هذه الوقعة زادته رجسًا إلى رجسه وخبث بها دغل نفسه».

كما وجَّه حسين بن غنام في كتابه اتهامات وشتائم لأمير بني خالد وقال عنه أنهُ كان فسادًا أخلاقيًا ورماه بتهمة الزنا دون شهود عدول، حيث قال عنه:
« ثم أن الشيخ لما أعياهم رد ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا وكان قبحه الله مُغرمًا بالزنا مُجاهرًا به غير مختف بذلك، وحكاياته في ذلك مشهورة وقصصه فيها غير محصورة».

ووصف مكرمي نجران بالخزي والقبح لأنهُ استطاع أن يهزم قوات الوهابيين في عقر دارهم، فقاتلهم بشرف وفروسية منقطعة النظير، ورفض أن ينقض عهده ويخلف وعده حينما عرض عليه حاكم الأحساء المال في سبيل أن يعود معه للهجوم على الدرعية، مع هذا قال عنه حسين بن غنام: «وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن هبة الله قبحه الله وأخزاه».
أما وصفه لأهالي نجد ممن كان ينقض عليهم الوهابيون بغتة في الأشهر الحرم، فيغدر بهم عبد العزيز وأتباعه وينكسروا أمام غيلة قواته، فقد كان ابن غنام يتلفظ عليهم بألفاظ نابية أقل ما يُقال عنها أنها ألفاظ بذيئة، حيث يصف حال قتلى أهل سدير مثلاً بعد انكسارهم أمام من يُسميهم هو بالمُسلمين، أن كل ميت منهم قد أعطى للأعداء استه أي دبره، فيقول:
«وقُتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المُسلمين إسته».

ويبدو أن أحفاد محمد بن عبد الوهاب من أسرة آل الشيخ، ومن خلال تفحصهم لما ورد في كُتب الغنام والبشر، فقد وجدوا أن في تلك الكتب الوهابية حتى العظم ثغرات قاتلة، يُمكن أن يستغلها خصومهم فتُدين بطريقة أو بأخرى الدعوة الوهابية، ومن السهولة بمكان أن تفضح سريرة جدهم المُلهم محمد بن عبد الوهاب وتبين الدوافع الحقيقية وراء دعوته المشبوهة، وذلك من خلال تلك الأخبار العشوائية المُختصرة والعبارات المُدبجة العابرة التي دونها هؤلاء المؤرخين الموالين غير المُحترفين.

علمًا أن أولئك الكُتاب أو المؤرخين كانوا من عتاة الوهابيين، ولم يفكروا ولو مُجرد التفكير أن يسيئوا أو يدينوا شيخهم محمد بن عبد الوهاب، بل قطعًا هم قد أخفوا وغيبوا الكثير من الجرائم، ولكن سرد الأخبار على طريقة الأولين توضح دون قصد منهما ذلك الخلل الكبير والجرم العظيم الذي وقع فيه شيخهم محمد بن عبد الوهاب ومن كان معه الذين كفروا أبناء الجزيرة العربية وأحلوا سفك دمائهم، وهذا الشيء قطعًا لا يُرضي أحفاد محمد بن عبد الوهاب المُعاصرين وكذلك لا يُسعد أحفاد شريكه محمد بن سعود وعلى رأسهم سلمان بن عبد العزيز، فحاولوا صياغة تلك الكتب حسب مواصفات العصر الحالي ففصلوا وصمموا الأخبار المذكورة لما يتوافق مع الرؤية الحالية ويُحاكي العقلية المُعاصرة. ولهذا فهم يعتقدون واهمين أنهم يستطيعون تحريف وحذف بعض الفقرات والجمل التي تضر بالدعوة الوهابية وتدين مُمارسات جدهم، وذلك من خلال بتر بعضها وتهذيب وتشذيب البعض الآخر، وأحمد الله أنني مازلت أحتفظ بنسخ قديمة بعض الشيء من كتاب حسين بن غنام (تاريخ نجد) وكذلك كتاب عثمان بن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد)، وإن كانت طبعات وليست مخطوطات أصلية، ولكنها أرحم بكثير من النسخ السعودية الحديثة، مما جعلني أكتشف بعض خيوط تلك اللعبة وأطلع على تفاصيل الخطة الخبيثة في عملية البتر والتشويه الشنيعة للمصادر التاريخية، فعندما قارنت بين نسخة الدارة السعودية الحديثة من كتاب عثمان بن بشر؛ التي تكفّل بطباعتها

أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز وحققها عبد الرحمن آل الشيخ، وبين النسخة القديمة منذ الخمسينيات الموجودة لدي.. وجدتُ أن هنالك فرقًا كبيرًا وبونًا شاسعًا بين النسختين وأن هناك تشويهًا مُتعمدًا قد تمَّ وهنالك عبثًا واضحًا وجليًا قد حدث في نسخ الدارة السعودية لغاية في نفس سلمان وعبد الرحمن آل الشيخ، ويستطيع أي قارئ بسيط أن يكتشف ذلك التحريف والتشويه المفضوح من خلال مُقارنة ما جاء من أحداث ووقائع في النسختين معًا.

وعمومًا فكتاب حسين بن غنام وإن كان لا يصلح لأن يكون مرجعًا أو مصدرًا تاريخيًا مُحايدًا، لأن صدوره تمَّ وفق رغبة مُلحة من قبل محمد بن عبد الوهاب ليدافع عن نفسه، والكتاب هو بمثابة ترجمة شخصية لسيرة محمد بن عبد الوهاب، مع هذا تعرض ذلك الكتاب الوهابي الصرف للمسخ والحذف والتحريف، وأما كتاب عثمان بن بشر فهو نوعًا ما (وأقول نوعًا ما) أفضل وأرحم بالمُقارنة مع كتاب حسين بن غنام، من ناحية النقل والترتيب، لأنهُ كان يروي أشياء كانت مقبولة في وقته، لكنها الآن أصبحت تُدين وتفضح مُقترفيها، كعمليات السلب والنهب والقتل على الشبهة وحرق النخيل وهدم البيوت وتخريب ودفن الآبار وأشياء أخرى سيأتي ذكرها تباعًا بين طيات هذا الكتاب، ولهذا فقد تعرض كتابه هو الآخر للتشويه والتحوير.

أما الحفيد عبد الرحمن آل الشيخ فهو يعرف جيدًا أن هنالك نسخًا كثيرة قديمة من نفس كُتب حسين بن غنام وعثمان بن بشر كالتي بحوزتي، وأن الطبعات القديمة مازالت متداولة وبحوزة الناس، لذلك اخترع هو ودارة سلمان لنا عذرًا أقبح من فعل، لا يُصدقه حتى حمار جده الذي خرج به من العيينة!

فتعالوا نرى كيف برَّرت دارة سلمان بن عبد العزيز وكيف برَّر عبد الرحمن آل الشيخ حفيد محمد بن عبد الوهاب في كتابه، تلك العَملة الشنيعة وكيف فسروا ذلك التحريف والبتر المُشين والمفضوح..

حيث يدعي حفيد محمد بن عبد الوهاب ومعه الدارة السعودية أن عثمان بن بشر كان قد خطَّ هذا الكتاب في نسختين، وأنهُ كان قد حذف كثيرًا من تلك الأخبار التي لم يكن يرى بصحتها، إلا أن ذلك الكتاب المَعني لم يصلنا! علمًا أن كل النسخ مُتشابهة في أحداثها لأن المؤلف واحد وكل النسخ متداولة. ورُبَّ سائل يسأل كيف علم عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ بهذا الأمر، وبينه وبين ابن بشر حوالي قرن ونصف من الزمان؟! ولماذا لا يثبتون ذلك من خلال الوثائق، بحيث يرفقون صورًا لما زعموا أنهُ قد خُطَّ بيد عثمان بن بشر، لأنهم لم يرفقوا في نسخة الدارة عما زعموا أنهُ تراجع من قبل المؤلف عثمان بن بشر؟

لأن حجة عبد الرحمن آل الشيخ ومعه الدارة كما جاء في مقدمة كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد" الذي قام هو بتحقيقه، حيث زعم: ( أن عثمان بن بشر قال في معرض سرده لبعض الحوادث، ذكر أنهُ زاد في بعض الحوادث من خلال معلومات تأكد من صدقها، وقد حذف البعض الآخر مما لم يتثبت من صحتها) فلماذا لم يرفقوا ما ذكره ابن بشر بين طيات الأخبار كما جاء في النسخة الأصلية؟

ومع هذا وحسب زعم عبد الرحمن آل الشيخ والدارة أيضًا، فهذا يعني أن المؤرخ عثمان بن بشر كان حريصًا على كتابة الأخبار الموثوقة وإضافة المُستجدات، وهو حريص أيضًا على مسح المعلومات المشكوك فيها، ولا ينتظر من أحد أيًا كان أن يقوم بالتصحيح بالنيابة عنه بعد مرور أكثر من ١٥٠ عامًا، وهو لم يكن أصلاً بحاجة لا لعبد الرحمن آل الشيخ ولا لدارة سلمان بن عبد العزيز، لكي يبتروا ويضيفوا ويزوروا حسب مزاجهم ووفق أهوائهم.

وقد بررت دارة سلمان بن عبد العزيز عملية الشطب والحذف والتحريف في كتاب ابن بشر، في مُقدمة النسخة السعودية الأخيرة الخاصة بالدارة، والتي

**حققها عبد الرحمن آل الشيخ، بالقول: «هذه النسخة التي نقدمها للقارئ الكريم هي أدق النسخ وأوفاها، وحيث ذكر ابن بشر في معرض سرده للحوادث سنة ١١٥٧هـ ما يفهم منه أنهُ خط كتابه هذا مرتين. وأنهُ عند إعادة كتابته زاد في بعض الحوادث معلومات تأكد من صدقها. وحذف البعض الآخر مما لم يتثبت من صدقها. وقال في ص٤٠ ما نصه مما يؤكد ذلك:"واعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر...الخ. ثم تحقق عندي أنهُ ليس لها أصل بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة."».[۞]**

**لاحظوا كلمة (ما يُفهم من) أي عملية الفهم هنا كيفية وحسب المزاج، علمًا أنني شخصيًا قد قرأت كتاب عثمان بن بشر الموسوم بـ "عنوان المجد في تاريخ نجد" مرتين وبجزأيه الأول والثاني، حيث جُمعا في مُجلد واحد، وأطلعت على أكثر من نسخة مطبوعة، وتمعنت في ما جاء فيهما من أحداث ووقائع من الجلدة إلى الجلدة، ولم أجد ما ذكرته الدارة ولا ما زعمه عبد الرحمن آل الشيخ من ادعاء كاذب ومُشين، من أن عثمان بن بشر، قد قال بنفسه، أنهُ حذف أو صحح بعض الأخبار!.**

**وعمومًا فالنسخة التي اعتمدتُ عليها مازالت لدي وهي قديمة بعض الشيء وليست طبعة جديدة، أي طُبعت منذ حوالي الـ ٥٠عامًا، ولم أعثر شخصيًا على ما ادعوه من أن عثمان بن بشر قال في كتابه: « واعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر ..... الخ. ثم تحقق عندي أنهُ ليس لها أصل بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة».**

**وعليه فإن دارة سلمان بن عبد العزيز ومعها عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ كانت قاعدتهم في الحذف والتحريف تستند على كذبة اخترعوها هم وترتكز على فهم ساذج ونية خبيثة ومُبيتة، وهم هنا يبررون فعلتهم تلك للقارئ الساذج بالقول:**

---

**[۞] كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد. تأليف/ عثمان بن بشر: نسخة الدارة السعودية المُحرفة.**

( بما أن المؤرخ عثمان بن بشر قد ألغى بعض الأخبار التي ذكرها في حق عثمان بن معمر، حينما اتضح له عدم صحتها، وزعموا أنهُ قد ذكر ذلك الأمر في كتابه، إذن فمن حقنا نحن أيضًا أي إدارة "الدارة" وعبد الرحمن آل الشيخ أن يشطبوا ويبتروا أي خبر لا يرونه مناسبًا بحق الوهابية وأتباعها أو يمس بسيرة ومسيرة محمد عبد الوهاب دون قصد من المؤلف الوفي للوهابية، تحت ذريعة أن ابن بشر سبقهم في الحذف والتعديل، وأنهُ سبق وأن ألغى أشياء لم يتأكد من صحتها )!.

والمعلوم والمعروف لدى جميع الباحثين ولكل المؤرخين والمُهتمين بالتدوين التاريخي، ولدى كل المؤسسات العلمية ومراكز البحوث المُحترمة، أن من لهُ الحق الشرعي والحصري في أن يُضيف أو يُلغي أو يحذف أي فقرة من أي كتاب، هو المؤلف صاحب الكتاب أو المخطوطة فقط ولا غير.

إلا أن المُزري في حالة عبد الرحمن آل الشيخ هذا الذي قام بتحقيق كتاب عثمان بن بشر المذكور، أنهُ يُريد أن يُثبت لنا أكاديميته وحياديته وحرصه في مجال البحث العلمي والتدوين التاريخي فكتب مُلاحظة في بداية الكتاب تدينه وتثبت عدم مهنيته، حيث يقول في ملاحظته:

« ملاحظة: لا يخفى على القارئ الكريم أني لم أتعرض لإصلاح ما جاء في كتاب عنوان المجد من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية مع كثرتها في الكتاب وذلك مُحافظة مني على النص والأصل ».

سبحان الله لاحظوا الدجل والضحك على الذقون، وشاهدوا النزاهة والأكاديمية المُصطنعة التي يتحلى بها حفيد الإمام، فهو يُحاول أن يوهم القارئ البسيط أنهُ باحث أكاديمي حيادي وحريص على بقاء الأصل في اللغة والإملاء وحتى الأخطاء النحوية كما هي، بينما هذا الحفيد الموتور ينسى أنه قام بشطب وبتر الكثير من الحوادث والأخبار بحجة أن هنالك نسخة ثانية من الكتاب، يزعم هو فقط مع دارة سلمان بن عبد العزيز أن ابن بشر قد حذف منها بعض الحوادث!

وينسى أن الجميع لديهم نسخ أخرى من طبعات قديمة من تاريخ ابن بشر الموسوم بـ "عنوان المجد"، ولم يذكر لا سابقًا ولا حتى لاحقًا أن هنالك نسخة أخرى مُختلفة بأخبارها ومعلوماتها من كتاب ابن بشر، إلا في عقولهم المريضة وداخل سريرة مزور التاريخ سلمان بن عبد العزيز.

وعليه فإنني أنبه القارئ الكريم أن كلاً من عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكذلك عبد الرحمن آل الشيخ قد قاما بإلغاء وشطب عدة حوادث ومواقف مهمة، وقد عبثا وحورا مُتعمدين بالجُمل وبالمعاني لكي تصب في صالح سيرة جدهم محمد بن عبد الوهاب، منها على سبيل المثال لا الحصر، إحدى كرامات جدهم محمد بن عبد الوهاب، وقصته مع الفارس الفريد الظفيري[۞]!!

حيث لم يذكر قط عبد الرحمن آل الشيخ تلك الحادثة المذكورة في كتاب ابن بشر، رغم أنها موجودة ومدونة في النسخة الأصلية من كتاب "عنوان المجد" لابن بشر على الأقل في النسخة الموجودة لدي! فكان على عبد الرحمن آل الشيخ لو كان فعلاً مُحايدًا أن يذكر تلك الواقعة في نسخة الكتاب ـ الطبعة السعودية، ومن ثم يُشكك في الهامش بصحتها أو يُقلل من أهميتها، لا أن يحذفها بالكامل من الكتاب الذي دُون قبل أكثر من ١٥٠ عامًا.

وهو لم يكتف بالحذف فقط، بل تعود على تحوير وقلب بعض المعاني لما جاء في سرد ابن بشر لعدد من الحوادث، سأورد بعض الأمثلة السريعة والمُختصرة، ففي الكتاب الأصلي لابن بشر مثلاً يقول عن حادثة هدم قبر الصحابي زيد بن الخطاب رضي الله عنه:

« ثم أن الشيخ أراد أن يهدم قبة قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه التي عند "الجبيلة" فقال لعثمان: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضلَّ بها

---

[۞] سوف آتي على حكاية الفريد الظفيري بين طيات هذا الكتاب ضمن سياقها لاحقًا.

الناس عن الهدى. فقال: دونكها فاهدمها، فقال الشيخ: أخاف من أهل بلدة الجبيلة أن يوقعوا بنا ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي ».[۞]

بينما يذكر عبد الرحمن آل الشيخ في نفس النص ولكن في كتاب عثمان بن بشر المزيف، طبعة الدارة السعودية، فيقول ما نصه:
« ثم أن الشيخ أراد أن يهدم قبة قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه تعالى، أتى عند بلدة الجبيلة فقال لعثمان: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى. فقال: دونكها فإهدمها، فقال الشيخ: أخاف من أهل بلدة الجبيلة أن ينصروها، ويقعوا بنا ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي ».[۞۞]

لاحظ كيف أن الجملة الأولى واضحة وجلية ومُختصرة، في أن محمد بن عبد الوهاب كان خائفًا من أهل الجبيلة ولا يستطيع هدمها إلا بحضور الأمير عثمان بن معمر شخصيًا، ولم يرد في تلك الجملة كلمة (ينصروها) أي القبة، لكن عبد الرحمن آل الشيخ أراد أن يوحي للقارئ أن أهالي الجبيلة كانوا وثنيين مُشركين ويُناصرون القُبب الوثنية الموضوعة على القبور، بينما الحقيقة أنهم رأوا أن ليس هنالك مُبررًا لأن يُهدم قبر صحابي جليل لم يؤذِ أحدًا سوى مُسيلمة الكذّاب وأتباعه.

ثم لاحظوا الجملة الثانية في نسخة الدارة وكيف زاد فيها عبد الرحمن آل الشيخ وغيَّر أماكن الكلمات فارتبك المعنى وحرف الكلم من مشاعر الخوف التي عبَّر عنها محمد بن عبد الوهاب شخصيًا، وذلك بخوفه من بطش أهل الجبيلة به وبأتباعه، إلى تحوير الجملة فبدت وكأنهُ يخاف من أن أهل الجبيلة ينصرون تلك القبة.

---

[۞] كتاب عنوان المجد في تاريخ مجد \ تأليف عثمان بن بشر: النسخة الأصلية القديمة.

[۞۞] كتاب عنوان المجد في تاريخ مجدا\ تأليف عثمان بن بشر: نسخة الدارة السعودية المُحرفة.

تلك هي أمانة عبد الرحمن آل الشيخ في النقل والنسخ، وهذا التلاعب بالألفاظ وتحوير الكلام القصد منه رفع صفة الجبن والخوف عند جده محمد بن عبد الوهاب، وجعل معنى الخوف عام وشامل، مع تنبيه القارئ هنا أن عبد الرحمن آل الشيخ قد كتب ملاحظة ألزم بها نفسه، عندما قال فيها إنهُ لم يغيِّر في الكلمات أو الأخطاء النحوية حفاظًا على سلامة وأصل النص!.

أما التحريف الآخر فهو عن أول غزوة للوهابيين على خيام للبدو خارج الدرعية، حيث يقول في النسخة الأصلية القديمة ما نصه:
« ثم أمر الشيخ بالجهاد وحضهم عليه فامتثلوا. فأول جيش غزا من سبع ركايب، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها، لأنهم لم يعتادوا ركوبها، فأغاروا. أظنه على الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين» - انتهى الاقتباس -

أما عبد الرحمن آل الشيخ فيذكر في النسخة المزورة التي طبعتها الدارة عن نفس الواقعة ما نصه:
« ثم أمر الشيخ بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، وحضهم عليه فامتثلوا، فأول جيش غزا سبع ركائب، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها لأنهم لم يعتادوا ركبوها، فأغاروا أظنه على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا» انتهى الاقتباس

فدققوا في النص الأصلي، هل ستجدون جملة (بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله) ؟!
فمن أين أتى حفيد محمد بن عبد الوهاب بتلك الجملة المسمومة الملغومة والتي يمكن تأويلها في سفك دماء هؤلاء البدو المساكين وسلب أموالهم وهتك أعراضهم؟

مشكلة ابن بشر أنهُ كان يتحدث بلسان عصره، ولم يكن بحاجة للتقية أو المناورة أو المُجاملة والتملص من أفعال الوهابية، فكان يكتب براحته وعلى

سجيته، وهو مُعتقد تمام الاعتقاد بأوامر وتعاليم وتوجهات محمد بن عبد الوهاب، سواء بتكفير من لا يتبعه أو سلب ونهب أموال من لا يؤمن بدعوته، ولهذا يرى عبد الرحمن آل الشيخ والدارة وغيرهم، أن ما جاء في تاريخ ابن بشر، يُعتبر كارثة حقيقية على الوهابية الحديثة. ثم نأتي لحادثة اغتيال عثمان بن معمر في المسجد التي ذكرها ابن بشر في النسخة الأصلية؟ فابن بشر يقول في النسخة القديمة الأصلية نصًا:

«(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة وألف) وفيها قتل عثمان بن معمر في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة، انتدب لقتله أناس من جماعته ذكروا أنهم تحققوا من نقض العهد وموالاة الأعداء وممالأتهم. وقيل إنهُ أتاه كتاب من محمد بن عفالق يحرضه على مُعاداة المُسلمين ونقض بيعتهم ووعدهم، وكانت بنته تحت عبد العزيز، وهو جد ولده سعود. وحين قتل عثمان، وسعود رضيع لم يتم السنتين، ولكن ليس في الدين محاباة، فلما سلَّم من الصلاة قام إليه من ذكرنا فقتلوه. ومن مشاهير الذين تولوا قتله، حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد الباهلي وموسى بن راجح. وكان ذلك في منتصف رجب من هذه السنة». - انتهى الاقتباس -

أما النص المشوه والمبتور في كتاب عثمان بن بشر نسخة الدارة التي عبث بها عبد الرحمن آل الشيخ فقد جاء في سرد تلك الحادثة ما نصه:

« ثم دخلت سنة ألف ومائة وثلاث وستين، وفيها قتل عثمان بن معمر، وذلك لما تبين منه موالات أهل الباطل، وإذلال من عنده من المُسلمين وتقريبه لأعدائهم، وأشتهر منه الشقاق والخلاف، وتحقق عند الشيخ ذلك منه،وجاء إليه أهل بلد العيينة وشكوا إليه الخوف من غدره، قال لمن قدم عليه منهم، أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، ومُعادات من عاداه، وموالات من والاه، ولو أنهُ أميركم عثمان، فبايعوه على ذلك، وتتابعوا على البيعة أفواجًا، فداخل عثمان الخوف والرعب، ثم أرسل إلى ابن صويط رئيس الظفير، يحثهم

**ويدعوهم إلى المجيء عنده، فلما تحقق أهل البلد مما عزم عليه من ذلك، عزم رجال منهم على قتله والفتك به، ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد الباهلي، فلما فرغت صلاة الجمعة، وخرج سرعان الناس، قتل في المسجد فلم يشهر في ذلك سنان، ولا انتطح عنزان فلما بلغ الخبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، ركب إلى بلدة العيينة، وذلك أنه خشي الاختلاف، وذلك ثالث يوم من قتله. فاطمأنت لقدومه القلوب، وحصل الرأي والمشورة في الأمير بعده ».**

**ولاحظ هنا أن عبد الرحمن آل الشيخ كتب جملة "وفيها قتل عثمان بن معمر" ولكنه بتر جملة (في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة)، والسبب كي لا يصدم القارئ الرصين المُحايد بجريمة اغتيال رجل مُسلم مؤمن كان يؤدي صلاة الجمعة في المسجد، ومع هذا يحلون سفك دمه في المحراب!**

**ولو قارن القارئ بين النص الأصلي الذي دوَّنه ابن بشر، وبين النص الذي صاغه عبد الرحمن آل الشيخ، سيجد مقدار التحريف والتزوير الواضح الذي وقع متعمدًا في نسخة الدارة السعودية، والمصيبة أن هذا المزور العابث يتبجح في بداية الكتاب، أنهُ لم يتعرض لإصلاح ما جاء في كتاب عنوان المجد من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية مع كثرتها في الكتاب، وذلك مُحافظة منه كما يزعم على سلامة النص والأصل! فهل مرَّ عليكم من قبل مثل هذا الأفاق الأثيم؟**

**طبعًا عمليات التزوير والتحريف والطمس والبتر في كتاب ابن غنام وكتاب ابن بشر في الطبعات الحديثة للدارة، لا تُعد ولا تحصى وتحتاج لبحث كامل وكتاب خاص ليس هذا مجاله، ولكن القصد من إيرادي لبعض تلك الأمثلة هنا، كي أوضح للقارئ البسيط غير المُلم وأثبت للجميع مدى الضرر البالغ الذي ألحق بكتب التاريخ والمصادر الشحيحة بسبب ذلك الهوى والعبث السعودي والتحريف المُتعمد الذي مارسه ويُمارسه سلمان بن عبد العزيز وأتباعه فيما يُسمى بدارة عبد العزيز في الرياض.**

ولهذا فقد كانت مُهمتي صعبة وعسيرة، وتحتاج لجهد كبير في مجال البحث والتنقيب والمُقارنة بين المصادر التاريخية وتتطلب مني تفرغًا تامًا واهتمامًا أكثر مما لو كان البحث يتحدث عن الشأن السياسي المُعاصر، لذلك كُنت مُرغمًا على البحث عن تلك المصادر والإطلاع وقراءة جميع المؤلفات التي تناولت تلك المرحلة، سواء كان الإطلاع على مؤلفات سخيفة لبعض المؤرخين والكُتاب السعوديين الرسميين أو قراءة بعض كُتب التاريخ لبعض المؤلفين العرب المُتزلفين، أو من خلال مُتابعة كل ما كتبه المؤرخين العرب والمُسلمين الأوائل، أو عن طريق قراءة كُتب الرحالة الأجانب والمُستشرقين الذين دونوا ملاحظاتهم عن تلك الفترة وبغض النظر عن توجهات وميول هؤلاء المدونين، سواء كان هؤلاء الكُتاب تابعين وموالين للوهابية أو مؤيدين بعض الشيء ومُتعاطفين مع تلك الحركة لأسبابهم ومصالحهم الخاصة، أو ربما كانوا من أشد الخصوم لها وممن تضرروا من قمعها وغطرستها، أو كانوا حياديين حتى.

ولغرض إثراء محتوى البحث وتوثيق الأحداث فقد قمت ولله الحمد بالإطلاع وقراءة حوالي الـ ١٠٠ مرجع تاريخي ما بين مخطوطة وكتاب من كتب التاريخ المُتعلقة بأخبار نجد وشبه جزيرة العرب، وأطلعت على عدة مصادر تاريخية لها علاقة بمادة البحث، بعض تلك المراجع كُنتُ قد قرأتها في السابق، ولكن تطلب مني الأمر قراءتها من جديد كي أستحضر الأحداث وأربطها مع بعضها البعض، ولذلك سوف يكون هذا البحث التاريخي بإذن الله تعالى على غير ما جرت عليه العادة، أو على عكس ما هو مُتعارف عليه ومتوقع دائمًا من خلال المنشورات السعودية الرسمية حول دراسة تلك المرحلة الغابرة وتقييم الحركة الوهابية، فقد تعودنا من كَتبة آل سعود سواء كانوا من السعوديين المُتنطعين أو من بعض المُرتزقة العرب المُحابين، كثرة تدبيجهم وتزلفهم وتملقهم وإبداء مراسم الطاعة والولاء وطقوس الإشادة والتزكية والتقديس لمحمد بن عبد الوهاب وحركته الوهابية.

وعليه فإنني سأتناول في هذا الكتاب بدايات تلك الحركة النجدية، وأبين أهم الإشكالات والمُتناقضات التي وقعت فيها وأتت بها تلك الدعوة الوهابية، وذلك من خلال تلك الدراسة المُختصرة والتي ستناقش وتحلل العوامل التي أدت إلى انتشار تعاليم الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وكذلك رصد التطورات التي واكبتها والتحديات والأخطار التي أحيقت بها وبأتباعها سواء بانكفائها على يد قوات إبراهيم باشا ابن محمد علي والي مصر، ومن ثم عودتها على استحياء فيما يُسمى بالأسرة السعودية الثانية، أو من خلال انبعاثها من جديد في بداية القرن الماضي أو في عهد ما يُسمى بـ"الأسرة السعودية الثالثة" وحتى وقتنا الحاضر ومحاولة الغوص في عمق تلك التجربة الدموية لسبر أغوار هذه الدعوة الدخيلة وتحليل الإشكالات والتناقضات وبعض الهرطقات التي اتسمت بها تلك الحركة السياسية المُقنعة بلباس الدين والتدين.

فمنذ أكثر من قرنين من الزمان وتلك الحركة السياسية المؤدلجة والمُسماة بالدعوة الوهابية تنتعش وتنتشر في محيطها دون عوائق أو موانع، وقد وجدت في مرحلة ما من المراحل الحاضن والداعم من قبل السيد الأبيض المُستعمر الغربي لتكون شوكة في خاصرة الأمة وعاملاً مؤذيًا ومزعجًا لكيان دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول لغرض إشغالها وإضعافها، أو لتكون لاحقًا كعائق مذهبي وعامل مُعطل يُجهض أي مشروع ديني أو قومي وحدوي في المنطقة، سواء كان هذا المشروع يتعلق بالوحدة العربية أو حتى الوحدة الإسلامية، ومع هذا وجدت لها البيئة المُناسبة والأنصار بالرغم من عمليات الإقصاء وسفك الدماء الذي مارسته تلك الدعوة الإقصائية عبر مسيرتها خلال تلك الفترة الزمنية.

لقد استطاعت حركة محمد بن عبد الوهاب النجدية الدموية أن تهمش الدعوة المُحمدية العالمية الغراء، وسعت بما تملك للتهوين من رسالة الرسول الأعظم وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، ونجحت في أن تمحور الدين الإسلامي

وتشد انتباه أتباعها حول شخصية مغمورة ليس لها أثر أو أي مكانة إسلامية مرموقة أو انجاز حضاري يُذكر سوى سفك الدماء وسلب ونهب وتشريد المُسلمين، وقد برعت تلك الحركة في تكفير الآخرين وتصفية المُخالفين لها جسديًا والتخلص منهم وإزاحتهم عن طريقها، وأن تضع هالة مُقدسة على مُدع طارئ يُدعى محمد بن عبد الوهاب.

فقد زعم محمد بن عبد الوهاب منذ البدء أن سبب ظهور دعوته "الوهابية" هو لأجل التوحيد ولغرض القضاء على المُمارسات الشركية والبدع والضلالات السائدة، وتطهير البلاد من براثن الشرك والكفر والموبقات واقتلاع شروك الكفار من قلب جزيرة العرب، أو في نجد تحديدًا، وهو ادعاء باطل ومردودٌ عليه وتدحضه كل الوقائع والدلائل والأخبار المدونة من خلال تلك الفترة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر، فقال: " إني فرطكم وأنا شهيدٌ عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح الأرض وإني والله لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تتنافسوا فيه".

ومع هذا فقد أباح ابن عبد الوهاب لنفسه ولأتباعه اقتراف المجازر الدموية والقتل بالجملة وسفك الدماء بالريبة والظن والدخول في نيات البشر وتكفيرهم والقصاص منهم على مبدأ الشبهة فقط، بينما الدين الإسلامي حرَّم تكفير المُسلم دون بينة ثابتة أو إصرار على الكفر البواح، إلا أنهُ هو وأتباعه قد كفَّروا المسلمين بالمعصية وهو مُعتقد معروف لفرقة الخوارج الذين قال النبي ﷺ عنهم (الخوارج كلاب النار). فقد قال رسول الله ﷺ: (أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال؛ وإلا رجعت عليه) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر، وعند البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه: إذا قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما. الحديث.

وعند البخاري عن ثابت بن الضحاك أن رسول الله ﷺ قال: "من رَمَى مؤمنًا بكفرٍ؛ فهو كقتله". فقد ثبت عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: ( إن مما أتخوف عليكم: رجل قرأ القرآن، حتى إذا رؤيت بهجته عليه، وكان ردء الإسلام؛ اعتراه إلى ما شاء الله، فانسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك) قال: قلت: يا رسول الله، أيهما أولى بالشرك: المرمي أو الرامي؟ قال: (بل الرامي) أخرجه الطحاوي والطبراني، وجود سنده الحافظ ابن كثير في تفسيره سورة الأعراف، الآية (١٧٥) والحديث بمجموع طرقه حسن.

لقد زعم محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بأنهم أخرجوا الناس من الشرك والكفر إلى التوحيد، وكأنهُ نبيٌ جديدٌ جاء بما لم يأتيه الرسول الأعظم ﷺ! إلا أنه على أرض الواقع قد أخرج النجديين ـ حسب قوله ـ من عبادة القبور المزعومة إلى عبادة الأشخاص وتقديس الأمراء السعوديين، وهو ما جرَّ على أبناء الحرمين الشريفين الويلات والبلاء والخنوع المتوارث بسبب تلك الدعوة الوهابية المُستخذية للبشر، والتي تُكفّر الخروج على الحاكم الخائن والعميل الموالي للكفار والطاغية المُستبد المُجرم وتمنحه العصمة والحصانة المُطلقة! لا بل إن محمد بن عبد الوهاب هو أول من سنَّ سُنة سيئة جديدة وابتدع بدعة غريبة لم يسبقه إليها أحد من قبل، وهي تقاسم السلطة والنفوذ بين شيخ الدين ورأس السلطة ومن ثم توريث الدين والسلطة بين عائلتين انتهازيتين طفيليتين شرهتين، تآمرتا على الإسلام وعلى المُسلمين وسخرَّتا كل ثروات وخيرات المُسلمين ومواردهم لدعم أعداء العرب والإسلام، وهذا ما سيأتي ذكره لاحقًا.

وقد آثرت أن أقوم أنا شخصيًا بتلك الدراسة لعدة أسباب، أولاً كوني مُسلمٌ سُني ولله الحمد والمنة وأسير على خطى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام وديدني الدائم هو "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وأنا على مذهب صحابة الرسول ومن تبعهم أولئك الذين ساروا على الجادة المُحمدية

**الغراء ولم يحابوا أو يُجاملوا أو يداهنوا في قول الحق، حتى قال قائلهم، وهو الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في خطبته الشهيرة: (أيها الناس من رأى منكم مني اعوجاجًا فليقومه، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه). وهو القائل: أحب الناس إلى من رفع إلى عيوبي. وهو القائل: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني احد منكم تهيبًا مني. وهو القائل لمن قال له وهو على المنبر: اتق الله يا عمر (لا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها). وكان شعار الصحابة الدائم:"كل يؤخذ من قوله ويُرد إلا صاحب هذا القبرﷺ".**

**وهذا سيسقط حجة الوهابيين الدائمة من أن كل من ينتقد شيخهم أو يُبين خلله أو يوضح الزلل العظيم الذي وقع فيه، ويكشف المجازر الرهيبة التي اقترفها صاحب دعوتهم المُقدسة بنظرهم، ومن ثم يذكر صفة الغيلة والغدر التي اتسم بها محمد بن عبد الوهاب، حينما غدر بمن ساعده وآواه وزوجه بعمته! فهو بنظر هؤلاء الأتباع الذين ران الله على قلوبهم، لا يعدو إلا أن يكون شيعيًا رافضيًا أو صوفيًا أو مُبتدعًا، حيث تعود أتباع الوهابية على أن يرموا خصومهم بأشنع الصفات وعلى رأسها الكفر والشرك والزندقة والهرطقة والخروج عن الدين، أما هم ودينهم الوهابي الجديد فهم الفرقة الناجية الوحيدة حسب تصنيفهم وقناعتهم البائسة.**

**وثانيًا كون العبد الفقير لله تميمي النسب وحائلي الأصل فلا مجال هنا للمُزايدة عليَّ في هذا الجانب، كما أنني أعرف جيدًا ما حلَّ بمدينة حائل الأسيرة وما تعرض له أهلها الكرام من خلال السرد والنقل الموثق، خصوصًا حملات التكفير الوهابية الأخيرة وعمليات القتل والتهجير وسفك الدماء الزكية بفتاوى وهابية تكفيرية مُشرعنة، يفرض عليَّ لزامًا، أن أوضح وأدون بعض تلك المجازر الرهيبة التي اقترفت بحق هؤلاء الناس الأبرياء الذين لم يقترفوا**

ذنب سوى أنهم لم يقبلوا بمذهب ابن عبد الوهاب، أو بالأحرى أنهم لم يستسيغوا مبادئ الدين السعودي الجديد، وقطعًا سيكونون خصومًا لابن عبد الوهاب وأتباعه يوم القيامة، وهذا أقل واجب أخلاقي أقدمه لقومي ولمن سقطوا جراء تلك الدعوة الدموية من أبناء جلدتي. ومن ثم فتاوى أتباع ابن عبد الوهاب المُعاصرين وعلى رأسهم عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين وأتباعهم، الذين أحلوا تدمير وحصار العراقيين لمدة ١٢ عامًا، والتي ذهب ضحية ذلك الحصار الجائر مليون ونصف مدني عراقي، كان بينهم نصف مليون طفل بريء لا ذنب لهم سوى أنهم كانوا وقودًا لفتاوى السلاطين من عبدة الدرهم والريال من أتباع ابن عبد الوهاب، فكل هؤلاء الضحايا ستبقى دماؤهم الزكية مُعلقة برقاب كهنة الوهابيين الجُدد وعلى رأسهم عبد العزيز بن باز أحد كهنة الدين الوهابي الجديد ومحمد بن عثيمين وغيرهم، أولئك القساوسة والرهبان الذين شرعنوا للغزو الأمريكي ومهدوا لولي أمرهم أن يجلب المارينز لكي يُدنس بلاد الحرمين الشريفين، وعليه فهم قد أباحوا سفك دماء العرب والمُسلمين البريئة بيد أسيادهم الأمريكان سواء في عملية احتلال العراق أو أفغانستان.

ولا أنسى أن أذكر هنا أن بعض الإخوة الذين يُدركون جيدًا تلك الفظائع والكوارث التي جلبها محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من بعده، قد نصحوني وترجوني ألا أكتب شيئًا يمنح الأعداء فرصة للشماتة أو التشفي، وخصوصًا أنهم يشعرون بحساسية شديدة من خصومهم الشيعة وباتوا يتخندقون مع الشياطين في سبيل ألا يمنحوا فرصة للشيعة أن يشمتوا بهم!! هكذا يفهمون ويتصرفون.

وكان هذا الطلب المُلّح من قبل بعض الإخوة بالنسبة لي أمرًا يدعو للضحك والأسى معًا، فأنا حينما أكتب لا أستحضر الطائفية ولا المذهبية، لأنني أتجرد من تلك القيود والمؤثرات النفسية، وقطعًا سوف لن يُسر أتباع الوهابية بما سيقرؤونه لأنهم تعودوا التطبيل والتقديس لصنمهم محمد بن عبد الوهاب،

وأنا شخصيًا لن أقبل أن يُتهم أجدادنا بالكفر والشرك والزندقة من قبل أتباع الوهابية ثم علينا أن نقف عاجزين ومكتوفي الأيدي عن الدفاع عنهم بحجة أو تحت ذريعة كي لا نعطي الشيعة المُبرر لكي يشمتوا في أهل السُّنة!

ثم من قال إن الوهابية تُمثل أهل السُّنة والجماعة؟

وهل من المعقول أن نصمت صمت القبور أمام من يطعن بدين وشرف أجدادنا ويكفرهم حتى لا يجد الشيعة ضالتهم في دفاعنا عمن نُحب!

فمن يبحث عن الحقيقة يجب عليه أن يستقل برأيه ويذكر الحقيقة كما هي مهما كانت قاسية ومؤلمة للبعض.

وأنا أزعم أن بحثي هذا هو عبارة عن دراسة نقدية أرى أنها مُتجردة من الناحية المذهبية، وهو جهد واجتهاد شخصي وتحليل خاص بي ولا ألزم أحدًا أن يأخذ به، لكنني مُتأكد أن ما سأثيره هنا وأقدح به الأفكار، سوف يُحرك بعض المياه الراكدة طوال تلك العقود في عقول البعض ممن تكلست أدمغتهم ودبغت أفكارهم فأصبحوا يُقدسون صنم ابن عبد الوهاب وباتوا كالببغاوات يُرددون ما يسمعونه من مشايخهم ومراجعهم من خلال التلقين دون فهم أو إدراك أو حتى تمحيص أو مراجعة.

وسيعرف كل من لديه لبٌّ صالحٌ وعقلٌ صحيحٌ ويمتلك فطرةً سليمةً وفكرًا نيرًا أننا كمُسلمين موحدين لدين الله ورسوله، فأننا نؤمن بالله الواحد فقط، ونتبع رسالة خير البرية وخاتم الأنبياء الرسول العربي القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وكل من جاء من بعده مُدعيًا سفاكًا للدماء، فهو قطعًا دجال آشر وإن تقنع برداء التجديد أو تلفح بالتوحيد أو تلبس بآيات الله العظام وتمسح بأحاديث الرسول البريئة من هؤلاء الأدعياء.

وقد جاء في قول الله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ وكلُّ من يتاجر أو يزايد أو يتخذ من الدين ستارًا ويلوي عنق العقيدة لتحقيق مآربه الشخصية وأهدافه الخاصة، سيأتي اليوم

الذي يُفضح فيه أمره وتنكشف سوءته وسيكون الله تعالى هو خصيمه وليس البشر. اللهم اجعلني شوكة في حلوق أعدائك ولا تجعلني عدوًا لك أو خصمًا لنبيك المُصطفى ﷺ حاشى وكلا.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين،

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،

خالق الخلائق أجمعين، وجاعل العداوة قائمة بين الإنس والشياطين،

مادامت الشمس تشرق من مشرقها ، والروح في جسدها ، إلى يوم الدين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الطغاة الظالمين.

سعود بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد الحمد

ابن إبراهيم المفيدي العنبري العمروي التميمي المعروف بالسبعاني

## صورة النسخة الأصلية من كتاب: عنوان المجد في تاريخ نجد

## لمؤلفه عثمان بن بشر



صورة للكتاب الأصلي الذي ألفه المؤرخ النجدي عثمان بن بشر ۞ في عام ١٨٥٣م، والموسوم بـ(عنوان المجد في تاريخ نجد)، والكتاب كما يظهر في الصورة كان على هيئة مخطوطة دونها عثمان بن بشر بخط يده، وتُعتبر تلك النسخة الأصلية نادرة جدًا، وهي غير النسخة التي كانت موجودة في الزبير۞۞، والنسخة أعلاه معروضة في المتحف البريطاني ويظهر عليها جليًا ختم المتحف البريطاني.

۞ توفي المؤرخ النجدي عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر في عام ١٢٩٠هـ، في التاسع عشر من جمادى الأخرة، ودفن في بلد جلاجل، وهو من أعيان قبيلة بني زيد المعروفة في بلد شقراء من بلدان الوشم، ولعثمان بن بشر أحفادًا عاشوا إلى وقت قريب جدًا في بلد الزبير في العراق، وربما يكون قد ورث أحفاد ابن بشر تلك النسخة الأصلية من كتابه من جدهم المؤرخ النجدي المعروف.

۞۞ وقد جلبت المخطوطة الأصلية لتاريخ نجد، وهي النسخة الكاملة التي كانت محفوظة في بلد الزبير بالعراق في عام ٢٠١١م، وأعطيت إلى سلمان بن عبد العزيز، حيث قام حفيد المؤرخ النجدي عثمان بن بشر، وهو اللواء علي بن ناصر البشر باستخلاصها من ملكية أحفاد عثمان بن بشر الآخرين في الزبير وأهداها إلى سيده سلمان بن عبد العزيز.

# تمهيد

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**

**﴿ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ﴾ .**

**لقد اختلف العلماء والفقهاء في تفسير وتحديد هوية تلك الطائفة المنصورة، والراجح أنها تلك الطائفة التي تلتزم بشرائع الله وتنصر دعوته، وتسعى لإقامة دين الله الحنيف في الأرض دون أن تريق دماء الأبرياء أو تدعي العصمة وتحتكر الحق، أيًا كان نوع وجنس تلك الطائفة الإسلامية المذكورة.**

**كما أن وجود تلك الطائفة لا ينحصر في زمان معين ولا بمكان محدد، فقد تكون في الشرق أو الغرب أو في الشمال أو الجنوب، في الحجاز أو في مصر أو العراق أو في الشام وربما في بيت المقدس، أو في أي مكان آخر، وقد قيل: إن نهاية وجود هذه الطائفة يكون ببيت المقدس، وذلك قبل قيام الساعة، والواجب أن يسعى المسلم أن يكون من أهل تلك الطائفة، أيًا كان مكانها.**

**ولَمَّا سَمِعوا قولَه ﷺ في حَديثِ الافْتِراق:{ وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي إلى ثلاثٍ وَسَبْعينَ فِرْقَة، كُلُّها في النَّار إلاَ واحِدَة }، ادَّعت كُلُّ فِرْقَةٍ أنَّها هِي النَّاجِيَةُ كما حَكى الله عَن اليهودِ والنَّصارى في قوله تعالى : { وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }[البقرة: ١١٣]. مَعَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَيَّنَ في أخر الحَديثِ المُرادَ مِنَ الفرْقَة النَّاجيَةِ، فقالَ: { وَهُمْ ما كُنت أنا عَلَيه وَأَصْحابي}، أو كما قال. وَرَدَّ الله تَعالى عليهم بقولِهِ: { قَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أو نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ١١١-١١٢].**

**والذي جاء في الحديث النبوي الشريف والذي يضعف البعض أسانيده بعدة روايات منها: « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ». وفي رواية أخرى جاء: « ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » وفي أخرى « كلها في الجنة إلا واحدة » ومع أن ذلك الحديث وبجميع رواياته المُتعددة لم يرد في الصحيحين.. لا في البخاري ولا حتى في مسلم، إلا إنه أُتخذ من قبل البعض كدليل قاطع لتزكية النفس وكشعار للتكفير أيضًا.**

**مع أن جميع روايات هذا الحديث ذكرت أنهُ حديث صحيح، ولكن الحقيقة أن أغلب تلك الروايات كانت ضعيفة إلا رواية واحدة فقط، والتي تحدثت عن حتمية افتراق الأمة وليس عن تفضيل وتزكية الفرقة الناجية، وهي الرواية التي ذكرت عدد الفرق الإسلامية، ولكن لم تذكر أنها كلها في النار إلا واحدة.**

**والرواية الصحيحة مُستقاة من حديث نبوي شريف رواه أبى هريرة ورواه أيضًا أبو داود والترمذي وبن ماجة وبن حبان والحاكم وفيه يرد الحديث :**
**« افترقت اليهود على إحدى - أو اثنتين - وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».**

**ونلاحظ هنا أن الحديث النبوي الصحيح قد خلا من عبارة «كلها في النار إلا واحدة »، وهي النقطة الجوهرية والحاسمة للجدل، والتي لطالما دفعت بالكثيرين إلى قناعات وهمية وغير موجودة أصلاً.**

**إذن ما دون هذه الرواية الصحيحة فالبقية تعتبر روايات ضعيفة، إنما قووها بانضمام بعضها إلى البعض، والذي يراه بعض العلماء أن التقوية بكثرة الطرق لا يؤخذ بها دائمًا، خاصة والأمر هنا يتعلق في أمور العقائد التي تستوجب التوثيق الشديد.**

ولهذا فما فتئت كل فرقة من فرق المسلمين أو مذهب من المذاهب الإسلامية تتمسك بتلك الزيادة في الحديث، وتجدهم يصرون على أنهم هم المقصودين بذلك الحديث الانتقائي، وترى الكثير من الفرق الإسلامية تتشبث طوال قرون مضت بأنها هي الفرقة الناجية التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف، والمروي عن الرسول محمد ﷺ: «إنَّ أُمّتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة» طبعًا مع الزيادة الطارئة والمذكورة أعلاه، أي كلها في النار إلا واحدة!
حتى أصبح مضمون ذلك الحديث المَحقون بتلك الزيادة المعلومة، من أسباب القلائل والفتن، ومن أهم مسببات التشرذم في عالمنا الإسلامي، وبات يشكل وهم العصمة لدى البعض، ووجد البعض الآخر فيه حجة ومحفّز للتراشق بالكفر ومبررات التكفير.

وقد ازدهرت وانتشرت الكثير من الدعوات المذهبية والأيدلوجيات الدينية وحتى الحركات السياسية تحت غطاء الاصطفاء الرباني لها، والاختيار الإلهي لأنها حسب فهمهم وإيمانهم أنها فرقة ناجية أو حتى حركة مُختارة فاضلة قُدِّر لها أن تنقذ هذه الأمة من الضياع والتشتت والكفر أحيانًا، وأنها هي الوحيدة التي على صواب وتنتهج طريق الحق، بينما بقية المسلمين هم كفار وخوارج.

وربما ماذكره الرحالة وليام جيفورد بالجريف الذي زار الرياض عام ١٨٦٢م فيه تأكيد لتلك النوازع والإيمان بالعصمة والاصطفاء الرباني للوهابيين كما يزعمون، حيث يذكر بالجريف ما جاء في خطبة عبد اللطيف آل الشيخ في جامع الرياض، إبان حصار عنيزة من قبل عبد الله بن فيصل بن تركي، وكيف كانوا يصفون أمير عنيزة زامل السليم [*] بأنه كافر، وأنهم هم (أهل الرياض) الفرقة الناجية من النار من بين بضع وسبعين فرقة! فيذكر بالجريف في كتابه "وسط الجزيرة العربية وشرقها" :

---

[*] أمير عنيزة وهو زامل بن عبد الله السليم الثوري السبيعي.

« أذكر جيدًا عصر أحد أيام شهر نوفمبر، عندما كان الجامع الكبير مليئًا بالمُستمعين، ثم حدث شيء من الهرج والانفعال على أثر وصول أخبار جديدة من عنيزة، والانتصار الذي حققه "المُسلمون" على زامل الكافر هو وجماعته. كان الواعظ في ذلك اليوم، هو عبد اللطيف (آل الشيخ)، وكان موضوعه الالتزام بالإيمان الصحيح، وخطر البدع الحديثة، ولتأكيد موضوع الموعظة، روى عبد اللطيف شيئًا من الأثر، الذي ينص على أن محمدًا ﷺ قد أخبر صحابته بنبأ عظم مفاده أنهُ مثلما كان اليهود مقسمين إلى إحدى وسبعين مذهبًا مختلفًا، ومثلما كان المسيحيون مقسمين إلى اثنين وسبعين نحلة، فإن إخوانه في الدين سوف ينقسمون إلى ثلاثة وسبعين مذهبًا، وأن اثنين وسبعين فرقة من هذه الفرق سيكون مآلها إلى نار جهنم، وفرقة واحدة هي التي سيكون مآلها إلى الجنة". وهنا توقف الواعظ عن الكلام برهة صغيرة مثلما فعل ماسيلون Massillon بعد أن مرَّت بقية "بنو إسرائيل" ناحية اليمين! وهنا سرت بين جمهور الحاضرين موجة من الفرح والنشوة، ويواصل عبد اللطيف حديثه بعد ذلك رافعًا صوته، ليروي للحاضرين كيف راح الصحابة بعد سماع الإعلان المخيف، يسألون :"يا رسول الله، ما هي علامات تلك الفرقة السعيدة الناجية التي ضمنت الجنة"؟ ويرد عليهم الرسولﷺ قائلاً :"هم أولئك الذين يتبعوني أنا وصحابتي". ثم يردف عبد اللطيف قائلاً بصوت خفيض يوحي بالاقتناع التام "وهؤلاء وبرحمة الله، هُم نحنُ أهل الرياض"».[۞] انتهى الاقتباس.

ونلاحظ هنا من خلال سرد وليام بالجريف لهذا الموقف، كيف أيقن عبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب أنهُ هو فقط ومعه جماعته أهل الرياض، هم الفرقة الناجية من مجموع الثلاثة وسبعين فرقة من المُسلمين، أما بقية الفرق بالإضافة إلى خصومهم من أهل عنيزة وغيرها من مناطق نجد المُتمردة

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م، للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف

والرافضة للانطواء تحت راية فيصل وأبنائه، فهم كفار وخوارج عن الملة، ومآلهم جهنم!

ويذكر أستاذ الفلسفة الإسلامية والشاعر العراقي المعروف جميل صدقي الزهاوي الذي عاصر عهد الأمير محمد بن رشيد عن مروق فرقة الوهابية الباغية عن إجماع المُسلمين في كتابه الفجر الصادق:

«وبعد : فقد قال النبي ﷺ : (ستفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)، فكان الأمر كما قال الصادق الأمين عليه صلوات رب العالمين، فقد افترقت هذه الأمة فرقًا شتى خالف أكثرها ما جاء به الله ورسوله، ومرق غالبها عن سُنن الدين، وحاد عن محجة اليقين، ولكن الفرقة الناجية هي التي اتبعت كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ وثبتت على الصراط السوي والمنهج الحنفي، غير طائشة فيه ولا مارقة عنه. ومن أخر تلك الفرق الهالكة، وأعداها للدين، وأشقها لعصا المُسلمين الفرقة الوهابية التي مازالت منذ نشأتها إلى هذا اليوم، تدأب في الغي مُتلاعبة في الدين، خارجة وقتًا بعد آخر على ولاة المُسلمين، لما تزعمه من أن من خالفها من الأمة الإسلامية واقعٌ في شرك الشرك! يجب عليها بزعمها الفاسد ومُعتقدها الباطل، قتاله حتى يؤوب إلى بدعتها. وهي كلما بغت ردت الدولة المؤيدة كيدها في نحرها، وأطفأت شرر شرها، وها هي اليوم قد رفعت راية عصيانها، وتجاهرت بوخيم عدوانها، حتى أرسلت الدولة العلية أيدها رب البرية، كتيبة خضراء من مؤيدي عساكرها، تدميرًا لجماعة تلك الفئة الباغية، وقطعًا لدابرها».[۞]

وكثيرًا ما تتأصل وتتكاثر تلك التنظيمات والدعوات في بداية نشوئها بفعل التقوقع والانطواء على الذات والبعد عن البيئات المُخالفة لها خوفًا من التفنيد والنقد والتكذيب من خلال طرح الأدلة والبراهين، وإذا صادف وأن واجهت تلك الحركات الناشئة خصوم ورافضين لها في بداياتها، فإن أقرب الطرق للتخلص

---

[۞] كتاب : الفجر الصادق \ تأليف : جميل صدقي الزهاوي.

من هؤلاء الأعداء المُفترضين هو التصفية الجسدية والاغتيال كي لا يقفوا حجر عثرة أمام ذلك المشروع التبشيري حتى ولو كان سلاح أولئك الخصوم هو مُجرد الكلمة والقلم.

ويساهم جهل الخصوم وعنصريتهم وتعاليهم أحيانًا بنمو وازدهار تلك الحركات المتواضعة والهزيلة، فكثير من الحركات الدينية مثلاً منحها خصومها الموتورون أوكسجين الحياة ورفدوها بالذخيرة اللازمة من المؤيدين والأتباع بسبب غباء وحمق أعدائها فدفعوا الآلاف ليتخندقوا مع تلك الدعوات والحركات الدينية؛ ليس بدافع القناعة التامة بأطروحاتها أو الإيمان بأهدافها، بل نكاية بأعدائها، وهذا ما حدث مع الحركة الوهابية حيث تكاتف الكثير من أهل السُّنة معها نكاية بالشيعة وأتباعهم ممن ساهموا بجهلهم وغبائهم المطبق برفد تلك الحركة التكفيرية وجعلها الملاذ الآمن لكثير من أبناء السُّنة والجماعة؛ خصوصًا في وقتنا الحاضر، رغم تاريخ الحركة الوهابية الدموي، والتي قتلت من أهل السُّنة والجماعة أكثر مما قتل الشيعة بكثير!

بل أن أول من ردَّ على هرطقات الوهابية وفندَ أفكارها الدموية وأهدافها المصلحية هم من أهل السُّنة والجماعة، حيث لم يكن للشيعة حجة أو حضور آنذاك كي يردوا عليها ويطرحوا أنفسهم كمُنافسين أو أندادٍ لها.

وللعلم فإن أول من أنكر وثرب على محمد بن عبد الوهاب هو والده الشيخ الحنبلي عبد الوهاب قاضي العيينة، وأول من ردَّ ردًا فقهيًا مُفصلاً عليه هو شقيقه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في رسالته الشهيرة التي حملت اسم (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب) والتي طبعت لاحقًا على هيئة كتاب حمل اسم : "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية".

وقد فنّد َسليمان بن عبد الوهاب من خلال تلك الرسائل والمُكاتبات، جميع أطروحات شقيقه محمد بن عبد الوهاب وعرَّى فكره.

وأشهر رسالة خالفت الوهابيين وعرَّت أطروحاتهم التكفيرية وتهكمت من ادعاءاتهم، كانت للشيخ العراقي الحنبلي العلامة داود بن سليمان بن جرجيس صاحب كتاب "صلح الإخوان". والذي لم يجرؤ أتباع الوهابية لحد الآن على نشر رسالته الأصلية التي كتبها قبل مائة عام تقريبًا، لما فيها من حجة قوية وبرهان ساطع وتفنيد لهرطقاتهم، فأضطر حفيد محمد بن عبد الوهاب المدعو عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، أن يرد عليها دون أن يرفق الرسالة الأصلية الكاملة للشيخ العراقي!. ففضح حفيد محمد بن عبد الوهاب نفسه دون أن يدرك ذلك، حيث كان يرد في كل مرة على أسئلة الشيخ داود، وذلك بإيراد فحوى سؤاله وهو ما يدلل على غباء وسذاجة من أصحاب تلك الدعوة القمعية التي تقصي آراء مخالفيها وتحتكر الرد الأوحد دون إيراد حجة الآخر، ومع هذا يخونهم ذكاؤهم ويقعون في شر أعمالهم.

إذن لم يكن للشيعة أي دور في الرد على الدعوة الوهابية في بداية نشأتها، بل إن أهل السُّنة والجماعة؛ وخاصةً الحنابلة؛ هم من ردُّوا على أتباع الوهابية وفنَّدوا ادعاءاتهم الباطلة.

لكن غلاة الشيعة بدؤوا متأخرًا بالرد على الوهابيين فمنحوهم المصداقية بسبب ضحالة وضعف حجة هؤلاء الموتورين الناقمين على عموم أهل السُّنة والجماعة، ولهذا شارك هؤلاء دون قصد في دفع كثير من السُّنة للتخندق مع الوهابيين؛ رغم خلافهم العميق مع الوهابية، لأن هؤلاء المذهبيين كانوا أسوأ بكثير من أتباع الخارجي محمد بن عبد الوهاب، فمنحوا الوهابية الحضور والجمهور، وكانت أغلب حججهم موتورة وملفقة فدفعت الكثيرين للتعاطف مع الوهابيين نكاية بهؤلاء الطائفيين.

وللعلم فإن الحركة الوهابية لم تلتفت أصلاً لمسألة الجهاد ضد الكفار وأعداء المُسلمين وتحرير الأمصار؛ سواء من اعتداءات المُستعمرين كالإنجليز والفرنسيين والطليان وغيرهم، بل عُرفت الوهابية بانعدام مُساهماتها في

الذود عن حياض الدين والأوطان من خلال تاريخها الذي قارب على الثلاثة قرون من الزمان.
فمثلاً أغلب الفاتحين والمُحررين والمُقاومين والمُجاهدين في العالم العربي والإسلامي لم يكونوا قط وهابيين، ولا حتى سلفييّ العقيدة، بل أغلبهم كان من مذاهب وتوجهات سُنية لطالما كفَّرها الوهابيون وسخروا منها، وسوف أفصل في هذا الأمر تباعًا. فعلى سبيل المثال لا الحصر :

القائد المملوكي صلاح الدين الأيوبي مثلاً مُحرِّر القدس وهازم الصليبيين كان أشعريًا صوفيًا، قادري الطريقة (أي على طريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني) ولم يكن سلفيًا، حيث يقول المقريزي: "إن صلاح الدين أول من أنشأ خانقاه للصوفية بمصر ووقف عليها أوقافًا كثيرة وكان سكانها يعرفون بالعلم والصلاح وولي مشيختها الأكابر".

وأما القائد التركي المُسلم محمد الفاتح فقد كان أشعريًا ماتريديًا ومع هذا لم يكن سلفيًا ولا وهابيًا. ولا ننسى أن محمد الفاتح هو الذي ذكره الرسول ﷺ في حديثه المشهور في مسند الإمام أحمد :"لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش".
طبعًا سيأتيك أتباع الوهابية المُتحمسون ويضعفوا هذا الحديث النبوي الشريف فقط لأنهُ لم يقدر لهم أن يفتحوا هم القسطنطينية ففتحوا الدرعية بدلاً عنها!.

أما المجاهد الليبي عمر المختار كان صوفيًا ينتمي إلى الطريقة السنوسية المشهورة جدًا في ليبيا، وهي طريقة صوفية صحيحة تتبع الكتاب والسنة وتنبذ الشرك والخرافة التي يتحجج بها الوهابيون في تكفير الخلق، إذن الشيخ عمر المُختار هو الآخر لم يكن وهابيًا. والطريقة السنوسية رسمت منهجها العقدي على ضوء الكتاب والسنة فكما قال شيخها محمد بن علي السنوسي : "اعلم أن سبيل القوم إتباع النبي ﷺ في الجليل والحقير، وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة".

حيث تعلَّم عمر المختار في إحدى زوايا الكفرة على يد كبار علماء ومشايخ السنوسية في مقدمتهم الإمام السيد المهدي السنوسى قطب الحركة السنوسية، فدرس اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولكنه لم يكمل تعليمه كما تمنى.

وعليه فلم نسمع للوهابية أي فتوحات إسلامية ولا أي تحرير للبلدان العربية والإسلامية المُستعمرة والمُحتلة من قبل الصليبيين!.

لأن الوهابية تُعاني أصلاً ومنذ وجودها من الجمود وضحالة الاجتهاد وانعدام مفهوم الجهاد العام ضد الغزاة والأعداء الغاصبين وخصوصًا جهاد الكفار، وكان جلُّ اهتمامها ومشروعها منصبًا وموجهًا للداخل، ومنذ انطلاقها سخَّرت مفهوم الجهاد الوهابي لسفك دماء أبناء الجزيرة العربية تارة بالتكفير وأخرى بحجة الخروج عن ربقة واستعباد ولي الأمر (السعودي) المزعوم، لغرض تثبيت حكم آل سعود وتقاسم السلطة الدينية معهم في الدرعية وما جاورها فيما بعد.

ومن ثم تحولت الوهابية بعد الاستقرار والسيطرة على أغلب أنحاء شبه الجزيرة العربية إلى مؤسسة بابوية كهنوتية دينية رسمية، أي أنها قد أممت الحركة وأصبحت مهمتها الرئيسية هي التسويق للنظام السعودي والترويج لمشايخ الوهابية والتبشير بهذا الدين السعودي الجديد.

طبعًا اختلف الأمر قليلاً في نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين، حيث ظهر مفهوم جديد خرج من رحم الوهابية السعودية دون مشيئتها وانشق عنها، سُمي لاحقًا بالتيار الجهادي أسسه بعض شباب بلاد الحرمين الشريفين الذين خرجوا للجهاد في أصقاع المعمورة، ومن ثم تبناه تنظيم القاعدة فأصبح إستراتيجية وبات أولوية ملحة للتنظيم لاحقًا، وهذا ما دفع المدرسة الوهابية الرسمية الأم للبراءة من ذلك التنظيم العاق والتنصل من توجهاته الجهادية ومن ثم نعت أتباعه بالخوارج!.

فوقع تنظيم القاعدة في حرج شرعي اضطره لاحقًا إلى أن يتبنى أيديولوجية خاصة به، ويتبرأ من الأيديولوجية الوهابية الحديثة، ولكنه بقي مُتمسكًا بتعاليم المدرسة الوهابية القديمة، فوقع في حالة من الفصام والتشتت والخلط، وهذا ما سيأتي ذكره في الكتاب القادم.

إذن الوهابية كحركة دينية أو دعوة تصحيحية؛ حسب زعم أتباعها؛ كانت تبحث لها عن مُلك خاص وتسعى لجذب أتباع ومُريدين وتكوين مدرسة أصولية مهمتها عصمة السلطان وتقديس مشايخ السلطة ما دام هم مُستمرون في خدمة السلطان، ولم يكن هَم تلك الحركة نصرة الدين وتخليص الناس من براثن الوثنية والضلالات والبدع؛ كما زعم محمد بن عبد الوهاب حينها، وكما يُصِّر أتباعه الحاليون؛ ولحد الآن؛ على تلك المزاعم.

فجميع الدلائل تشير إلى أن تلك الدعوة وُجدت أصلاً لتتقاسم السلطة وتشرعن قانونًا جديدًا على غرار ما لقيصر لقيصر وما لله لله!. فأصبح شعارها الجديد: ما لآل سعود لآل سعود، وما لآل الشيخ لآل الشيخ، حيث تقاسم محمد بن عبد الوهاب كعكة الدين والسلطة مع شريكه صاحب الدرعية محمد بن سعود، وأصبحت الإمارة والسلطة السياسية لابن سعود وأسرته من بعده، والإمامة أو الكهنوت والسلطة الدينية ممثلة بالكنيسة النجدية هي من حصة محمد بن عبد الوهاب وذريته من بعده.

وهكذا تقاسم الرجلان بلاد الحرمين الشريفين، وأصبحا مكملين لبعضهما البعض، وسيتم مناقشة تلك القسمة الضيزى في الفصول القادمة، وبذلك تحولت جزيرة العرب ولأول مرة عبر تاريخها ومنذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة على ظهور الرسالة المحمدية الغراء إلى مزرعة خاصة وملك عضوض تقاسمه اثنان من أكبر العتاة وأفظع سفاحي القرن الثامن عشر.




# نبذة مُختصرة عن أحوال نجد قبل وما بعد الإسلام

## ▪ إقليم العروض - نجد :

صنَّف بعض المؤرخين العرب أرض اليمامة على أنها إقليم مستقل عن نجد، وجمعوا اليمامة والبحرين في إقليم واحد أطلقوا عليه مسمى "العروض"، والحقيقة أن اليمامة كانت ومازالت جزءًا لا يتجرأ من إقليم نجد، وكانت اليمامة عاصمة لنجد على مدى قرون طويلة، وحتى حينما انحسر اسم اليمامة وصارت المنطقة تعرف باسم "العارض" لم تشمل معها إداريًا لا البحرين ولا حتى الأحساء واستفردت لوحدها بهذا المُسمى، ومع أن مُسمى العارض مازال يُمثل نفس أرض اليمامة التاريخية المعروفة، والعارض هو أحد أسماء جبل طويق، وقيل إنهُ سُمي بالعارض لأنه يعترض طريق القادم من اليمن إلى البحرين. وجبل طويق أو العارض عبارة عن هضبة جيرية ضيقة في شرق نجد ويمتد من الشمال إلى الجنوب لمسافة تقارب ٨٠٠ كم وينحدر جانبه الشرقي بشكل تدريجي إلى أن يغوص في رمال الدهناء، بينما ينقطع جانبه الغربي بشكل مفاجئ.

وكما قلت فربما بالغ بعض الجغرافيين العرب القدامى حينما صنَّفوا إقليم العروض على أنه يضم منطقتي اليمامة والبحرين (المقصود بالبحرين هنا طبعًا البحرين الكبرى التي كانت تضم جزيرة البحرين والأحساء في السابق)، وجعلوا اليمامة هي المنطقة الواقعة ما بين الأفلاج حتى منطقة القصيم ثم منها باتجاه الشرق حتى الصمان والدهناء حيث تتصل بمنطقة البحرين التي تمثل وسط وشمالي المنطقة الشرقية وقطر والبحرين الحالية، ومن خلال قراءاتي ومُتابعتي لكُتب بعض المؤرخين العرب الأوائل فوجدت أنهم ينسخون المعلومات نصًا ممن سبقهم من المؤرخين العرب دون مراجعة أو تدقيق، ولهذا فإذا وقع أحد المؤرخين القُدامى في خطأ ما، يتكرر نفس الخطأ في كُتب بقية المؤرخين الذين نقلوا عنه فيما بعد. وكان ياقوت الحموي والهمداني ممن صنَّفا اليمامة على أنها تتبع لإقليم العروض هي والبحرين، حيث يقول الحموي في كتابه "مُعجم البلدان" :

« وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيه من صحاري نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدا ونجد تجمع ذلك كله وصار الجبل نفسه وهو سراته وهو الحجاز وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازا والعرب تسميه نجدًا وجلسًا والجلس ما ارتفع من الأرض وكذلك النجد والحجاز يجمع ذلك كله وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان... إلخ ».[۞]

ويذكر الحسن بن حمد الهمداني كذلك في كتابه "صفة جزيرة العرب" قائلاً :
«وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها، ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله».[۞۞]

ونلاحظ أيضًا أن بعض المؤرخين العرب الأوائل قد صنفوا هجر (الأحساء حاليًا) على أنها بوابة اليمن للقادمين من جهة العراق، فابن خلدون في تاريخه مثلاً، يعتبر هجر هي بوابة اليمن للقادم من جهة العراق، حيث يقول في كتابه : «فأما عبد القيس وكانت مواطنهم بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين وهى بلاد واسعة على بحر فارس من غربيه وتتصل باليمامة من شرقيها وبالبصرة من شماليها وبعمان من جنوبها وتعرف ببلاد هجر ومنها القطيف وهجر والعسير وجزيرة أوال والأحسا وهجر هي باب اليمن من العراق وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس وممالكهم وكان بها بشر كثير من بكر بن وائل وتميم في باديتها ، فلمَّا نزل معهم بنو عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك

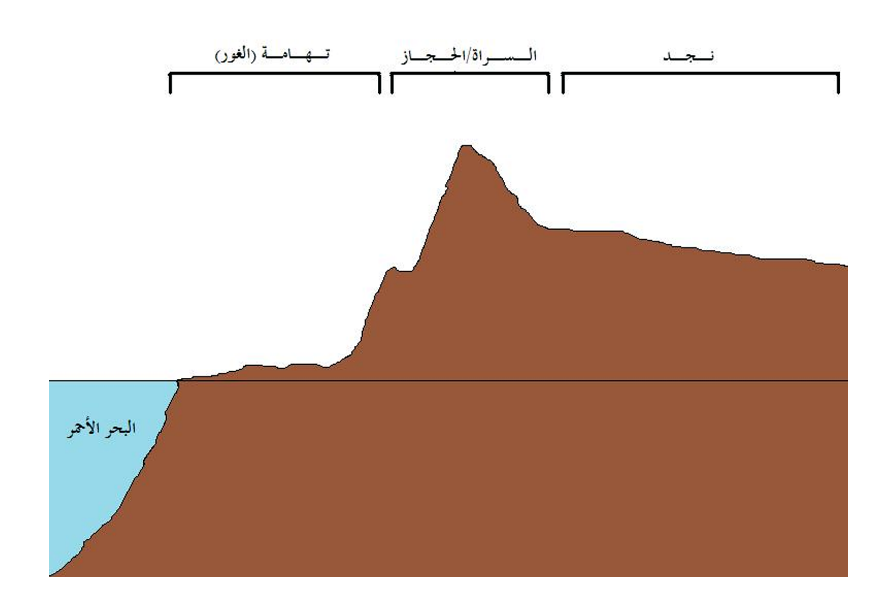
---

[۞] كتاب : معجم البلدان\ تأليف : ياقوت الحموي.
[۞۞] كتاب : صفة جزيرة العرب \ تأليف : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.

**وقاسموهم في الموطن ووفدوا على النبي ﷺ بالمدينة وأسلموا... الخ».** ۞

**والنجد في اللغة العربية هو المكان المُرتفع والمُتسع المساحة، ويضاده مُصطلح "الغور" وهو المكان المنخفض الغائر، فهنالك النجد وهو المكان العالي، والغور وهو المكان المنخفض، وكل مكان مُرتفع وشبه منبسط يُطلق عليه نجد، ولهذا نجد عدة أنجُد في المنطقة العربية.**

**وقد أطلق الجغرافيون العرب والمُسلمون على عدة مواقع في شبه الجزيرة العربية مُسمى نجد، مثل نجد اليمن وهو الهضبة الواقعة شرق سراة اليمن جنوبًا عن صحراء الربع الخالي، سُمي نجدًا لارتفاعه عن تهامة اليمن وهي السهل الساحلي المحاذي للبحر الأحمر، وهنالك أيضًا نجد العراق، أما النجد الشهير والمعروف للقاصي والداني والذي حمل هذا الاسم طويلاً واستقر عليه ذلك المُسمى ، هو نجد الحجاز ، سُمي بذلك الاسم لارتفاعه عن تهامة الحجاز**




---

۞ كتاب: تاريخ ابن خلدون\ تأليف: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الشهير بابن خلدون.

وهو يفصل بين تهامة المُنخفضة ونجد المرتفعة القسم الشمالي من سلسلة جبال السروات، ولذلك سميت تلك الجبال بالحجاز أي الحاجز بين نجد وتهامة، وكما أسلفت فإن هناك عدة نجود واسعة وبعضها محصور في بلاد العرب فهنالك نجد جزيرة العرب الشاسع جدًا، وكذلك نجد اليمن وهنالك نجد بسيط مُتصل مع نجد الحجاز على أطراف العراق، ويعتبره البعض مكملاً لنجد الحجاز، وهنالك نجود أخرى لكنها غير ذات بال كما هي الحال مع نجد جزيرة العرب التي نالت الشهرة الكبيرة والتي تغنى بها الشعراء، وجاء ذكرها على لسان الرسول ﷺ في أحاديثه عن أرض الزلازل والفتن والتي سأتناولها في فصل خاص في هذا الكتاب.

ونجد بلفظ المُذكر وأحيانًا يلفظها العامة خطئًا بلفظ المؤنث، وأراضِ نجد مُرتفعة ويقع نجد في وسط الجزيرة بين الحجاز والأحساء وصحارى العراق والشام وإقليم اليمامة، ويحد نجد من الناحية الشمالية بسواد العراق ومشارف الشام، ويتصل به من جهة الشرق الأحساء إلى ناحية كاظمة، أما من ناحية الغرب فيحده الحجاز واليمامة والربع الخالي جنوبًا. وأرض نجد أطيب أرض في بلاد العرب.

وفي نجد أرض (العالية) وفيها جبل عكاد الذي لم تثبت اللغة العربية الفصحى بعد فسادها إلا في أهله.

وكان في نجد كثير من الواحات والخيول العربية الجميلة المعروفة بالكحيل أو كحيلان، وتلك الجياد الأصيلة مرغوبة في بلاد الدنيا كافة، وفي جنوب نجد تقع أرض اليمامة، وتتسم معظم أرجاء نجد بالجفاف والوعورة إلا أنها صالحة بشكل كبير للرعي وفيها أجود أنواع التمور ولهذا سكنتها قبائل البدو الرُحل على مرِّ التاريخ.

وعن الحيز الجغرافي والتعريف اللغوي لكلمة نجد، يذكر لنا ابن منظور في كتابه "لسان العرب" قائلاً :

« (نجد) النَّجْدُ من الأرض قِفافُها وصَلاَبَتُها (قوله: «قفافها وصلابتها» كذا في الأصل ومعجم ياقوت أيضًا والذي لأبي الفداء في تقويم البلدان قفافها وصلابها) وما غَلُظَ منها وأَشرَفَ وارتَفَعَ واستَوى والجمع أَنْجُدٌ وأَنجادٌ ونِجاد ونُجُودٌ ونُجُدٌ الأَخيرة عن ابن الأَعرابي وأَنشد لَمَّا رَأَيْتُ فِجاجَ البيدِ قدْ وَضَحَتْ ولاحَ مِنْ نُجُدٍ عادِيةٍ حُصُرُ ولا يكون النِّجادُ إلا قُفًّا أو صَلابة من الأَرض في ارْتِفاعٍ مثل الجبل معترضًا بين يديك يردُّ طرفك عما وراءه ويقال اعْمِلْ هاتيك النِّجاد وهذاك النِّجاد يوحد وأَنشد رَمَيْنَ بالطَّرْفِ النِّجادَ الأَبْعَدا قال وليس بالشديد الارتفاع وفي حديث أَبي هريرة في زكاةِ الإِبل وعلى أَكتافها أَمْثالُ النَّواجِدِ شَحْمًا هي طرائقُ الشحْمِ واحِدتُها ناجِدةٌ سميت بذلك لارتفاعها وقول أَبي ذؤَيب في عانةٍ بجَنُوبِ السِّيِّ مَشْرَبُها غَوْرٌ ومَصْدَرُها عن مائِها نُجُد قال الأَخفش نُجُدٌ لغة هذيل خاصّة يريدون نَجْدًا ويروى النُّجُدُ جَمَع نَجْدًا على نُجُدٍ جعل كل جزء منه نَجْدًا قال هذا إذا عنى نَجْدًا العَلَمي وإن عنى نَجْدًا من الأَنجاد فغَوْرُ نَجْد أَيضًا والغور هو تِهامة وما ارتفع عن تِهامة إلى أَرض العراق فهو نجد فهي تَرْعى بنجد وتشرب بتِهامة وهو مذكر وأَنشد ثعلب ذَرانيَ مِنْ نَجْدٍ فإن سِنِينَه لَعِبْنَ بنا شِيبًا وشَيَّبْنَنا مُرْدا ومنه قولهم طَلاَّع أَنْجُد أَي ضابطٌ للأُمور غالب لها قال حميد بن أَبي شِحاذٍ الضَّبِّي وقيل هو لخالدِ بن عَلْقمةَ الدَّارمي فقد يَقْصُرُ القُلُّ الفَتى دونَ هَمِّه وقد كانَ لَوْلا القُلُّ طَلاَّعَ أَنجُدِ يقول قد يَقْصُرُ الفَقْرُ عن سَجِيَّتِه من السخاء فلا يَجِدُ ما يَسْخُو به ولولا فقره لسَما وارتفع وكذلك طَلاَّعُ نجاد وطَلاَّع النِّجاد وطَلاَّع أَنجِدةٍ جمع نِجاد الذي هو جمعُ نَجْد قال زياد بن مُنْقِذ في معنى أَنْجِدةٍ بمعنى أَنْجُدٍ يصف أَصحابًا له كان يصحبهم مسرورًا كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَتًى حُلْوٍ شَمائِلُه جَمِّ الرَّمادِ إذا ما أَخْمَدَ البَرِمُ غَمْرِ النَّدى لا يَبِيتُ الحَقُّ يَثْمُدُه إلاَّ غَدا وهو سامي الطَّرْفِ مُبْتَسِمُ يَغْدُو أَمامَهُمُ في كُلِّ مَرْبأَةٍ طَلاَّعِ أَنْجِدةٍ في كَشْحِه هَضَمُ ومعنى يَثْمُدُه يُلِحُّ عليه فيُبْرِزُه قال ابن بري وأَنجِدةٌ من الجموع الشاذة ومثله نَدًى وأَنْدِية ورَحًى وأَرْحِيةٌ وقياسها نِداء ورحاء وكذلك أَنجِدةٌ قياسها نِجادٌ والمَرْبَأَةُ المكان المرتفع يكون

فيه الرَّبيئة قال الجوهري وهو جمعُ نُجُود جَمْعَ الجمْع قال ابن بري وهذا وهم من الجوهري وصوابه أن يقول جمع نِجادٍ لأن فِعالاً يُجْمَعُ أفْعِلة قال الجوهري يقال فلان طَلاَّعُ أَنْجُد وطلاَّع الثَّنايا إذا كان سامِيًا لِمَعالي الأمور وأنشد بيت حميد بن أبي شِحاذٍ الضَّبِّيّ وقد كان لَوْلا القُلُّ طَلاَّعَ أَنْجُد والأَنْجُدُ جمعُ النَّجْد وهو الطريق في الجبل والنَّجْدُ ما خالف الغَوْر والجمع نجود ونجدٌ من بلاد العرب ما كان فوق العاليةِ والعاليةُ ما كان فوق نَجْدٍ إلى أرض تِهامة إلى ما وراء مكة فما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد وقال له أيضًا النَّجْدُ والنُّجُدُ لأنه في الأصل صفة قال المَرّارُ الفَقْعَسِيُّ إذا تُركَتْ وَحْشِيّةُ النَّجْدِ لم يَكُنْ لِعَيْنَيْكَ مِمَّا تَشْكُوانِ طبيبُ وروي بيت أبي ذؤَيب في عانة بَجَنُوبِ السِّيِّ مَشْرَبُها غَوْرٌ ومَصْدَرُها عن مائِها النُّجُد وقد تقدم أن الرواية ومصدرُها عن مائِها نُجُدُ وأنها هذلية وأَنْجَدَ فلان الدَّعْوة وروى الأزهري بسنده عن الأصمعي قال سمعت الأعراب يقولون إذا خَلَّفْتَ عَجْلَزًا مُصْعِدًا وعَجْلَزٌ فوق القَرْيَتَيْنِ فقدْ أَنْجَدْتَ فإذا أنجدْتَ عن ثنايا ذاتِ عِرْق فقد أَتْهَمْتَ فإذا عَرَضَتْ لك الحِرارُ بنَجْد قيل ذلك الحجاز.... الخ».[۞]

وأما ابن خلدون فيذكر في مقدمته، مواقع وحدود نجد الطبيعية حسب رأيه، حيث يقول : « وفي الجزء السادس من غربيه بلاد نجد أعلاها في الجنوب وتبالة وجرش إلى عكاظ من الشمال. وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز ، وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر ، وتحتها أرض اليمامة ، وعلى سمت نجران في الشرق أرض سبأ ومأرب، ثم أرض الشحر. وينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي إلى الشمال كما مرّ. ويذهب في هذا الجزء بانحراف إلى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاة مدينة قلهات. وهي ساحل الشحر، ثم تحتها على ساحله بلاد عمان، ثم بلاد البحرين، وهجر منها في أخر الجزء».[۞۞]

---

[۞] كتاب : لسان العرب \ تأليف : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي.

[۞۞] كتاب: مقدمة ابن خلدون\ تأليف: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الشهير بابن خلدون.

- **نبذة مُختصرة عن أحوال اليمامة :**

لا يجد الباحث المُهتم بتاريخ شبه الجزيرة العربية أية مصادر ذات أهمية تتطرق إلى أحوال منطقة نجد وخصوصًا إقليم اليمامة وما جاورها خلال العشرة قرون الماضية، إلا بضع معلومات شحيحة ومُبتسرة، ويبدو أن تلك المنطقة عانت كثيرًا من التهميش والعزلة طوال قرون حتى لفها النسيان، أولاً بسبب الطبيعة الجغرافية المُغلقة للمنطقة كونها معزولة في وسط صحراء قاحلة، وكذلك بعدها عن مراكز الإشعاع الحضاري مما يحرمها من وسائل الاتصال والتواصل كالتدوين وطباعة الكُتب ونسخ الأخبار المتعلقة بتلك المنطقة، وثانيًا بسبب الهزيمة النكراء التي لحقت بقبيلة حنيفة التي كانت تقطن نجد بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم، في حروب الردة، وذلك بعد معركة اليمامة الشهيرة، ومن ثم مقتل زعيمهم الجبار مُسيلمة الكذاب، فتم كسر شوكة قبيلة بني حنيفة ثم تقوقعهم في اليمامة، ومن ثم ظهور ثلة من الخوارج كانوا أيضًا من قبيلة بني حنيفة كـ نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفي وكذلك نافع بن الأزرق، وأبو طالوت وهو من بني بكر بن وائل، وما جلبه هؤلاء من تخريب ودمار على اليمامة، وكذلك مجيء حكم الأخيضريين الجائر على السكان المحليين، بالإضافة إلى الجدب وشح الأمطار الذي أصاب أرض اليمامة، حيث أرغم قبيلتي ربيعة ومضر إلى الجلاء مُجبرين عن ديارهم من جو اليمامة، ومن ثم النزوح إلى البصرة والحجاز ومصر والسودان.

كل تلك التداعيات السياسية والدينية والاجتماعية والعوامل المناخية السيئة أدت إلى تفرق ربيعة ومضر، واندثار قبيلة بني حنيفة تحديدًا، فلم يبق منهم أحد في اليمامة إلا أسر قليلة مُتفرقة قد تكون من مواليهم، لأن القبائل حينما ترحل؛ فإنها ترحل على هيئة جماعات ولا يتخلف عنها أحد، وقد تفرقوا في أصقاع المعمورة، مع أن بعض المؤرخين يؤكد ويجزم أن قبيلة بني حنيفة قد

بادت واضمحلت فيما بعد، ولم يبقي منها إلا عائلات قليلة انضوت تحت راية بعض القبائل العربية القوية في المنطقة طلبًا للأمن والحماية، ولم يبقى لهم وجود فعلي يُذكر في اليمامة.

وعن تاريخ اليمامة يذكر لنا ابن الفقيه المقدسي في كتابه "مختصر كتاب البلدان" نبذة مُختصرة عن أحوال اليمامة ومنازلها وبعض سيرها حيث يقول: « سُميت اليمامة بامرأة من طسم بنت مرة، وكانت منازل طسم وجديس اليمامة وما حولها إلى البحرين ومنازل عاد الأولى والأحقاف وهو الرمل ما بين عُمان إلى عدن، وكانت منزل غسان بيثرب ومساكن أميم بالرمل ومساكن جرهم بتهائم اليمن ثم لحقوا بمكة ونزلوا على إسماعيل وكانت منازل العماليق موضع صنعاء اليوم ثم خرجوا فنزلوا حول مكة ولحقت طائفة منهم بالشام وبمصر وتفرقت طائفة منهم في جزيرة العرب إلى العراق، ويُقال إن فراعنة مصر كانوا من العماليق، كان منهم فرعون إبراهيم واسمه سنان بن علوان وفرعون يوسف واسمه الريان بن الوليد وفرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب وكان ملك الحجاز رجلا من العماليق يُقال له الأرقم، وكان الضحاك من العماليق غلب على ملك العجم بالعراق وهو فيما بين موسى وداود.... الخ. وعيون اليمامة كثيرة منها عين يقال لها الخضراء وعين يقال لها الهيت وعين بـ جو تجري من جبل يقال له الرام، وهو جبل مُعترض مطلع اليمامة يحول بينها وبين يبرين والبحرين والدو والدهناء، وبـ جو عين يقال لها الهجرة ولا يشرب ماؤها لخبثه، وبالمجازة نهران وبأسفلها نهر يقال له سبح الغمر وبأعلاها قرية يقال لها نَعام بها نهر يقال له سيح نعام، وأول ديار ربيعة باليمامة، مبدأها من أعلاها أولها دار هزان، قال واليمامة لبني حنيفة والبحرين لعبد القيس، والجزيرة لبني تغلب، وذات النسوع قصر باليمامة والمشقر فيما بين نجران والبحرين، وبتيل حجر عليه قصر مُشيد عجيب من بناء طسم، ومُعنق قصر عبيد بن ثعلبة وهو أشهر قصور اليمامة من بناء طسم على أكمة مرتفعة، والترملية حصن من حصون طسم، ويقول أهل

اليمامة غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال، ليس في الدنيا أحسن ألوانًا من نسائنا، ولا أطيب طعامًا من حنطتنا ولا أشد حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب من مائنا، فأما قولهم في نسائهم فإنهن دُريات الألوان كما قال ذو الرمة : كأنها فضة قد مسها ذهبُ. وكقول أمرؤ القيس : كبكر ِالمُقاناة ِالبياض ِبصفرةٍ. وذلك أحسن الألوان، ويُقال لا تبلغ مولدة مائة ألف درهم إلا يمامية».[۞]

أما أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، فيورد لنا نبذة عن أحوال اليمامة قبل الإسلام في كتابه "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع"، فيذكر :

« فأرض اليمامة حجر، وهي مصرها ووسطها، ومنزل الأمراء فيها، وإليها تجلب الأشياء. وأقامت سائر قبائل ربيعة، من بكر وتغلب وغفيلة وعنزة وضبيعة في بلادهم، من ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة، حتى وقعت الحرب بينهم في قتل جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان كليب بن ربيعة، وانضمت النمر وغفيلة إلى بني تغلب، فصاروا معهم، ولحقت عنزة وضبيعة ببكر بن وائل ، فلم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بلد إلى بلد ، وتنفيهم من أرض إلى أرض، وتغلب في كل ذلك ظاهرة على بكر، حتى التقوا يوم قضة، وقضة: عقبة في عارض اليمامة، وعارض : جبل، وقضة من اليمامة على ثلاث ليال، وذلك يوم التحالق، فكانت الدبرة لبكر على بني تغلب فتفرقوا على ذلك اليوم وتلك الوقعة، وتبددوا في البلاد، أعني بني تغلب، وانتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة، فيما بينها وبين البحرين، إلى أطراف سواد العراق ومناظرها، وناحية الأبلة (في البصرة)، إلى هيت (الأنبار) وما والاها من البلاد، وانحازت النمر وغفيلة إلى أطراف الجزيرة وعانات وما دونها، إلى بلاد بكر بن وائل وما خلفها من بلاد قضاعة، من مشارق الأرض، فقال الأخنس بن شهاب التغلبي، وكان رئيسًا شاعرًا، يذكر منازل القبائل :

---

[۞] كتاب : مختصر كتاب البلدان\ تأليف: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني. المعروف بابن الفقيه.

| | |
|---|---|
| لكـــل أنـــاس مـــن معـــد عمـــارة | عـــروض إليهـــا يلجئـــون وجانـــب |
| لكيـــز لهـــا البحـــران والـــسيف كلـــه | وإن يغـــشها بـــأس مـــن الهنـــد كـــارب |
| تطـــاير علـــى أعجـــاز حـــوش كأنهـــا | جهـــام أراق مـــاءه فهـــو آئـــب |
| وبكـــر لهـــا بـــر العـــراق وإن تـــشأ | حـــل دونهـــا مـــن اليمامـــة حاجـــب |
| وصـــارت تمـــيم بـــين قـــف ورملـــة | لهـــا مـــن حبـــال منتـــأى ومـــذاهب |
| وكلـــب لهـــا خبـــت ورملـــة عـــالج | إلى الحـــرة الـــرجلاء حيـــث تحـــارب |
| وبهـــراء حـــي قـــد علمنـــا مكـــانهم | لهـــم شـــرك حـــول الرصـــافة لأحـــب |
| وغـــارت إيـــاد بالـــسواد ودونهـــا | برازيـــق عجـــم تبتغـــى مـــن تـــضارب |
| ونحـــن أنـــاس لا حجـــاز بأرضـــنا | مـــع الغيـــث مـــا نلقـــى ومـــن هـــو عـــازب |

وعن تفرق قبيلة مضر قال : فلم تزل مضر بن نزار بعد خروج ربيعة من تهامة مقيمة في منازلها، من تهامة وما والاها، حتى تباينت قبائلهم، وكثر عددهم وفصائلهم، وضاقت بلادهم عنهم، فطلبوا المتسع والمعاش، وتتبعوا الكلأ والماء، وتنافسوا في المحال والمنازل، وبغى بعضهم على بعض، فاقتتلوا فظهرت خندف على قيس.. الخ. وظهرت تميم بن مرَّ بن أد بن طابخة وضبة بن أد بن طابخة، وعكل بن أد، إلى بلاد نجد وصحاريها، فحلوا منازل بكر وتغلب، التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم، ثم مضوا حتى خالطوا أطراف هجر، ونزلوا ما بين اليمامة وهجر. ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين وتلك الرمال حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في بلادهم قطر، ووقعت طائفة منهم إلى عُمان، وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة ونزلوا هنالك إلى منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار فرفضتها إياد، وساروا عنها إلى العراق».۞

---

۞ كتاب : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع \
تأليف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.

وعن هجرة ربيعة من نجد ورحيلهم إلى جهة العراق ووصولهم حتى تخوم تركيا الحالية، ومن ثم تفرق أبناء تلك القبيلة في بقية البلدان وعن تحضرهم وتخليهم عن حياة البداوة، يذكر لنا ابن سعيد الأندلسي في كتابه ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ـ ما نصه : « تاريخ ربيعة : ابن نزار بن معد بن عدنان بين ربيعة ومضر من الفخر والمناقضات بالأشعار ما يطول ذكره. وكلاهما كثير في العدد والشرف والعز، إلا أن النبوة والخلافة في مضر. وكان معظم العز لمن حاز البيت من ولد إسماعيل فحازته المضرية، وخرجت ربيعة عن أرجائه، فتشتتت قبائلها، وتفرقت في البلاد، فاختص منهم تغلب وبكر بن وائل بأطراف نجد من شمال الحجاز وشرقه، والبلاد الجزرية والفراتية التي تعرف الآن بديار ربيعة، منها سنجار ونصيبين. ثم إن تغلب وبكرًا وقعت بينهما حرب وائل، فانحازت بكر إلى الجبال، وهي جهات ماردين وميافارقين، فعرفت بديار بكر إلى اليوم. وسكن بنو عجل منهم مما يلي أرض العراق في جهات ذي قار وقراقر، وسكن بنو حنيفة باليمامة، وسكن عبد القيس بالبحرين، وسكن عنزة في جهة عبد القيس. ولم يبق الآن من ربيعة طائل على ما كان فيها من الكثرة والعظمة، وتفرقت قبائلها وبطونها في الحواضر والقرارات. ولقد دخلت بلاد ربيعة بالجزيرة الفراتية فلم أجد فيها من يركب فرسًا من تغلب ولا بكر، ولا لهم قائمة. وقد صارت دولة العرب هنالك لزبيد من طيء ولعبادة من المضرية، وتغلب وبكر دخلوا في الفلاحين، وامحي عنهم اسم العرب. ودخلت جزيرة العرب، فسألت: هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة ؟ فقالوا : لم يبق من يركب الخيل وفيه عربية وحل وترحال غير عنزة، وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين بقطع الطرقات وهتك الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنز في جهة تبالة؛ وغير ذلك لا نعلمه في المشرق ولا في المغرب». ۞

---

۞ كتاب : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب \ تأليف : علي بن سعيد الأندلسي.

ويبدو أن أول غزو خارجي تعرضت له اليمامة قبل الإسلام كان على يد ملك اليمن حسان بن تُبع الحميري، حيث تمت الاستعانة به من قبل قبيلة طسم لينصرها على قبيلة جديس عدوتها اللدود، وقد تناقل الرواة العرب أحداثًا وسير متواترة عن قبيلة طسم التي كانت تقيم في حَجر اليمامة (الرياض حاليًا) وقبيلة جديس التي تقيم في جو (بلدة اليمامة بالخرج) وما كان بينهما من عداوة وتنافس وحسد وصراع على السلطة، ويذكر أن قبيلة جديس ذلت على يد قبيلة طسم عندما حكمهم رجل يُقال له عملاق وقيل عمليق، وفرض هذا العمليق حكمًا أو تشريعًا مُهينًا يقضي أن لا تزف أي امرأة بكر من قبيلة جديس حتى تساق إليه أولاً فيفترعها وينكحها قبل زوجها!

فأدت ممارسات عمليق إلى أن تنتقم قبيلة جديس منه ومن قبيلته طسم فغدرت بهم، وذلك بعد أن أصاب العار أخت سيد جديس ويقال له الأسود بن عفار، وكان اسمها شموس، وقد قتل عمليق على يد الأسود بن عفار وأصبح بدوره حاكمًا على قبيلتي طسم وجديس، ويُقال إنهُ قد حكم بينهما بالعدل، ولكن رجلاً من قبيلة طسم يقال له رباح بن مرة، قد استغاث بأحد ملوك اليمن وهو حسان بن تُبع الحميري، فأجاب له طلبه وسار معه إلى اليمامة، فحاولت زرقاء اليمامة تنبيه قومها، فلم يصدقوها، فدفعوا الثمن غاليًا. ويبدو أن ملك اليمن الحميري قد وافق في أن يزحف على اليمامة وينتصر لقبيلة طسم المغلوبة من قبيلة جديس مُقابل أن يستولي هو على هذه المنطقة ويضمها لسيادته ومُلكه ، فقاد جيشه ومعه رجال من قبيلة طسم لغزو أرض اليمامة ، ثم لمَّا اقتربوا من بلدة الدلم (الخرج) قال رجل من قبيلة طسم لملك اليمن: إن لهُ أختًا متزوجة في جديس، يقال لها حذام، ليس على وجه الأرض أبصر منها، وإنها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث، وإنهُ يخشى أن تراهم وتنذر القوم بقدومهم، فطلب من الملك الحميري أن يأمر أصحابه وليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده لكي تعتم عليهم في مسيرهم. فأمرهم حسان بذلك، ففعلوا، ثم سار هو وجيشه، فلما نظرت اليمامة أبصرتهم

وهم عند جبل "الكلب" المعروف إلى الآن، فقالت لقبيلة جديس: لقد سارت عليكم حِمير. فقالوا: وما الذي ترين؟ قالت لهم: أرى رجلاً في شجرة، معه كتف يتعرقها، أو نعل يخصفها. فكذبوها، وكان ذلك كما قالت، فصبحهم ملك حمير حسان بن تُبع فأبادهم وخرب بلادهم وهدم قصورهم وحصونهم. ثم إن الملك الحميري أمر بالفتاة المُسماة حُذام (زرقاء اليمامة) ففقئت عيناها، فإذا فيها عروق سود، فقال لها : ما هذا السواد في عروق عينيكِ؟ قالت: حجر أسود يقال له الإثمد، كنت أكتحل به، وكانت فيما ذكروا أول من اكتحل بالإثمد، فأمر بأن تسمى هذه البلدة جو اليمامة.

وقد ذكر شعراء العرب تلك القصة ووثقوا بقصائدهم مسيرة ملك اليمن الحميري إلى اليمامة، ومن ذلك قول الأعشى :

| | |
|---|---|
| كوني كمثل الذي إذ غاب وافدها | أهدت له من بعيدٍ نظرةً جزعا |
| ما نَظَرت ذاتُ أشفارٍ كنظرتها | حقًا كما صدق الذئبي إذ سجعا |
| إذ قلّبت مقلةً ليست بمقرفةٍ | إذ يرفع الآل رأس الكلبِ فارتفعا |
| قالت أرى رجلاً في كفه كتف | و يخصف النعل، لهفي أيةً صنعا! |
| فكذبوها بما قالت فصبحهم | ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا |
| فاستنزلوا أهل جوٍ من مساكنهم | وهدموا شاخص البنيان فاتضعا |

ويورد لنا المؤرخ كرنيليوس فإن الآن فانديك الأمريكاني في كتابه " المرآة الوضية في الكرة الأرضية " الذي أصدره عام ١٨٨٦م، عن تاريخ طسم وجديس ما نصه : «وقبيلة طسم من ولد لود بن سام (تكوين ٢٢: ١٠)، وجديس من ولد جاشر المذكور آنفًا. سكنت هاتان القبيلتان معًا إلى أن وقع السيف بينهما فبادتا جميعًا. وقد ذكرهما أبو الطيب المُتنبي بقوله :

| | |
|---|---|
| أتمت الخلف بالشراة عداها | وشفى رب فارسٍ من أيادِ |
| وملوكًا كأمسِ في القرب منا | وكطسمٍ وأختها في البعادِ |

وقبيلة جرهم الأولى وقد وقع ذكرها وذكر عاد في شعر أبي الطيب، حيث يقول :

يقـــر لــــه بالفـــضل مـــن لا يـــوده ويقـــضي لـــه بالـــسعد مـــن لا يـــنجمُ

أجـــارعلـــى الأيـــام حتـــى ظننتـــه تطالبـــه بـــالرد عـــاد وجـــرهمُ

وقبيلة العماليق بن اليعازر بن عيسو (تكوين ١٢:٢٦)، هذه أشهر قبائل العرب البائدة، ولم يزل محفوظًا شيئًا من أسماء أحيائهم وقطع من أشعارهم، قال إنيف بن حكيم النبهاني :

جمعنـــا لهـــم مـــن حـــي عـــوف ومالـــك كتائـــب يـــردي المقـــرفين نكالهـــا

لهـــم عجـــز بـــالحزن فالرمـــل فـــاللوى وقـــد جـــاوزت حيـــي جـــديس رعالهـــا

وقال المُتلمس :

أَلم تَـــرَ أَن الجَـــوْنَ أَصْـــبح راســـيًا تُطِيـــف بـــه الأيـــامُ مـــا يَتَـــأَيَّسُ

يريد بالجون حصن اليمامة، ويُقال إنه من صنائع طسم وجديس. قال به الخطيب التبريزي في شرح ديوان الحماسة.

ومن أشعارهم قول عفيرة بنت عبادة الجديسية؛ وقيل اسمها عفار ويُقال لها الشموس من أهل اليمامة بنجد كانت تحرض قومها على عملاق ملك طسم وكان فاحشًا ظلومًا، فقالت رجزًا :

لا أَحَـــدٌ أَذَلُّ مِـــنْ جَـــديسِ أَهكـــذا يُفْعَـــلُ بِـــالْعَروسِ

يَرضـــى بِهـــذا يـــا لَقَـــوْمي حُـــرٌّ أَهْـــدى وَقَـــدْ أَعْطـــى وَسـِيقَ الْمَهْـــرُ

لَخَوْضُـــهُ بَحْـــرَ الـــرَّدى بِنَفْـــسِهِ خَيْـــرٌ مِـــنَ أَنْ يُفْعَـــلَ ذا بِعِرْسِـــهِ

وقول هُذيلة امرأة قرقس الجديسي التي أتت إلى عملاق تشكو إليه زوجها الذي طلقها وأراد أخذ ولدها منها فحكم عليها عملاق بأن تباع هي وزوجها

أتينـــا أخـــا طَـــسْمٍ لـــيحكمَ بيننـــا فأنفـــذ حكمًـــا في هُزَيلـــة ظالمـــا

لعمـــري لقـــد حُكّمـــتَ لا متورّعًـــا ولا كنـــتَ فيمـــا يُـــبرم الحكـــم عالمـــا

نـــدمتُ ولم أنـــدم وأنـــيَّ بعثرتـــي وأصـــبح يعلـــي في الحكومـــة نادمـــا

وكان انقراض القبيلتين على يد عملاق، فإنهُ لما هتك ستر الشموس الجديسية غار أخوها الأسود، فأحتال على عملاق حتى تمكن منهُ وهو في نفرٍ من قومهِ، فاغتالهم بسيوف أصحابهِ الجديسيين حتى أتى على أخرهم، وقال الأسود في ذلك :

ذوقـــي ببغيـــكَ يـــا طـــسم مجللـــة فقـــد أتيـــت لعمـــري أعجـــب العجـــبِ

إنَّـــا أتينـــا فلـــم نحفـــل بقتلـــهم والبغـــي هـــيج منـــا ســـورة الغـــضب

ولـــن يعـــود علينـــا بغـــيهم أبـــدًا ولـــن يكونـــوا لـــدى أنـــف ولا ذنـــب

فلـــو رعيـــتم لنـــا قربـــى مؤكـــدةً كمـــا الأقـــارب في الأرحـــام والنـــسب

ثم إن بقية طسم لجأوا إلى حسان بن تبع، فغزا جديسًا فقتل رجالها وأخرب بلادها، فهلكت القبيلتان معًا».۞

كذلك أورد الرواة العرب أبياتًا من الشعر قيل إن ملك اليمن حسان الحميري قيل إنهُ قالها بعد أن بسط نفوذه على بلدة "جو" اليمامة ومن ثم قام بتدميرها:

وسمّيـــتُ جـــوًّا باليمامـــة بعـــدما تركـــت عيونًـــا باليمامـــة همّـــلا

نزعـــت بهـــا عـــيني فتـــاةٍ بـــصيرةٍ رعامًـــا ولم أحفـــل بـــذلك محفـــلا

تركـــت جديـــسًا كالحـــصيد مطرّحًـــا وســـقت نـــساء القـــوم ســـوقًا معجّـــلا

أدنـــت جديـــسًا ديـــن طـــسمٍ بفعلـــها ولم أك لـــولا فعلـــها ذاك أفعـــلا

وقلـــت خـــذيها يـــا جـــديس بأختهـــا وأنـــت لعمـــري كنـــت في الظّلـــم أوّلا!

فـــلا تـــدع جـــوًّا مـــا بقيـــت باسمهـــا ولكنّهـــا تـــدعى اليمامـــة مقـــبلا

---

۞ كتاب: المرآة الوضية في الكرة الأرضية/ تأليف:كرنيليوس فإن الآن فانديك الأمريكاني–١٨٨٦م

وإذا صدقت نسبة تلك القصيدة إلى حسان بن تُبع ملك حمير، في أن اسم اليمامة لم يُكن متعارفًا عليه على تلك المنطقة من قبل دخوله إليها، فقد صدق الحميري ما وعد به، حيث لف اسم الـ "جو" طي النسيان، وبقي اسم اليمامة راسخًا في الأذهان إلى حد الآن.

ثم ضعفت قبضة دولة بني العباس على شبه الجزيرة العربية، وانحسرت سيطرتهم عن إقليم اليمامة في منتصف القرن الثالث ـ حوالي ٢٥٢هجري، فاستولى أحد "الحَسنيين" قيل إنهُ من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما وأرضاهما على الحكم في اليمامة، واتخذ من قلعة الخضرمة عاصمة له، ومن هنا عاد اسم اليمامة يتردد من جديد ولكن هذه المرة مع الخضرمة وقد تلاشى اسم "حجر" العاصمة السابقة واندثر كما زال اسم "جو" من قبله، إلا أن الغريب في أمر تلك الإمارة الطارئة والجديدة – إمارة الأخيضريين – أن المصادر تذكر أن حُكامها كانوا يعتنقون المذهب الزيدي!!

والسؤال الذي يطرح نفسه، بما أن هؤلاء الحكام الأخيضريين هم أصلاً من نسل الحسن بن علي رضي الله عنه؛ كما يزعم المؤرخون، فلماذا لم يؤسسوا إمارة علوية شيعية خالصة أو فاطمية مثلاً؟! ولماذا اختار أولئك الأخيضريون المذهب الزيدي تحديدًا لإمارتهم، وكلنا يعرف أن ذلك المذهب يُنسب في الأصل إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه، والذي كان قد خُذل ورُفض من قبل شيعته في الكوفة ولطالما شعر بالألم والمرارة من خذلان وخيانة أهل الكوفة له، ولما فشلت ثورته على الأمويين أستُشهد وهو يُقاتلهم لأخر رمق، فأقام لاحقًا المدعو الهادي يحيى بن الحسين الرسي دولة في اليمن واتخذ الزيدية مذهبًا لها، فأصبح بعدها المذهب الزيدي هو السائد في اليمن والذي يقترب من المذهب السُني منه إلى المذهب الشيعي.

وقد تأسست تلك الدولة الزيدية في اليمن التي تمثلت بمؤسسها الهادي يحيى بن الحسين الرسّي وأبنائه من بعده، المرتضي محمد والناصر أحمد وأبناء الناصر وأحفادهما، واستمرت تلك الدولة من عام ٢٨٤هـ - ٨٩٧م حتى عام ٣٧٠هـ - ٩٩٦م.

ويذكر لنا القاضي ابن فضل الله العمري الذي عمل في ديوان الإنشاء ككاتب سر في دولة سلطان مصر في القرن الثامن الهجري، في كتابه " التعريف بالمُصطلح الشريف" نبذة مُختصرة عن إمام الزيدية في اليمن وذلك من خلال المعلومات التي كان يستقيها من المُراسلات التي يكتبها للسلطان، وذلك أثناء فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث يقول:

« إمام الزيدية : وهو من بقايا الحَسنييّن القائمين بآمل الشط، من بلاد طبرستان، وقد كان سلفهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يُطيح رداءها، ويُشمت بها أعدائها، وهذه البقية الآن في بصنعاء وبلاد حضرموت وما والاهما من بلاد اليمن، وأمراء مكة تُسِرُ طاعته، ولا تفارق جماعته، والإمامة الآن من بني المُطهر، واسم الإمام القائم في وقتنا : حمزة ويكون بينه وبين الملك الرسولي باليمن مُهادنات ومفاسخات تارة وتارة، وهذا الإمام وكل من كان قبله على طريقةٍ ما (غيروها)، وهي إمارة أعرابية لا كِبر في صدورها ولا شَمم في عَرانيها، وهم على مُسكة من التقوى وترد بشعار الزهد، يجلس في ندي قومه كواحد منهم، ويتحدث فيهم ويحكم بينهم، سواءٌ عنده المشروف والشريف، والقوي والضعيف، وربما اشترى سِلعته بيده، ومشى في أسواق بلده لا يُغلظ الحِجاب، ولا يكِلُ الأمور إلى الوزراء والحُجاب، يأخذ من بيت المال قدرَ بُلغته من غير توسع، ولا تكثرٍ غير مُشبع، هكذا هو وكل من سلف قبله من عدلٍ شامل وفضلٍ كامل» ۞.

---

۞ كتاب : التعريف بالمُصطلح الشريف
تأليف: القاضي ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ٧٠٠هـ - ٧٤٩هـ.

فهل يا ترى كانت تلك الإمارة الأخيضرية التي قامت في اليمامة علوية المذهب في بداياتها، ثم ضعفت واضمحلت فسيطر عليها أئمة اليمن الزيود، فأصبح مذهب الإمارة زيديًا ؟

الحقيقة لا توجد إجابة شافية، ولا يُمكن الجزم بشيء، وذلك لعدم وجود أي مصادر تاريخية توضح طبيعة الحكم وتسلسل هذا الأمر، ورب قائل يقول إن الزيود هم أيضًا حُسينيين في الأصل، لأنهم ينتمون أساسًا إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يكن في بدايات التشيع أي اختلاف وخلاف بين العلويين والزيدية.

وبنو الأخيضر كما ذكرهم القلقشندي في مخطوطته "نهاية الإرب" جاء فيها :

«بنو الأخيضر تصغير أخضر، بطن من بني الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بن أبي طالب بن هاشم من العدنانية، وهم بنو محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن حسن بن الحسن السبط، كان لهم ملك باليمامة».[۞] - انتهى -

أما أبو الفرج الأصبهاني فيذكر في كتابه "مقاتل الطالبيين" أن أنساب بنو الأخيضر غير معلومة - ولو كانوا من آل البيت لما أغفل ذكرهم الأصبهاني - وهو يتحدث في كتابه عن مقاتل الطالبيين، حيث يقول في كتابه :

« وقتل القرمطي المعروف بابن الحباني بالكوفة عند وصوله إياها رجلاً من ولد طباطبا لم يقع إلى نسبه. وقتل بناحية اليمامة جماعة منهم يقال لهم : بنو الأخيضر، لم تقع إلينا أنسابهم. ثم استولوا عليها وعظم شأنهم فيها في عز القرامطة، وبلادهم في منعة لا يقدر معها عليهم».[۞۞]

---

[۞] كتاب : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب \ تأليف : أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي.

[۞۞] كتاب : مقاتل الطالبيين / تأليف : أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني.

أما الفخر الرازي فيذكر في كتابه "الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية" فيقول عن الأخيضريين : « نسب عبد الله بن موسى الجون. أعقاب إبراهيم بن موسى الجون : وأما إبراهيم. بن موسى الجون، فله ابن واحد اسمه يوسف لقبه ـ الأخيضر ـ كان أميرًا باليمامة، وله من الأبناء المعقبين ثلاثة : محمد الأخيضر أمير الأمراء باليمامة، خرج بالمدينة سنة خمس ومائتين. وإبراهيم، وأحمد له عقب قليل. وكان له ابن رابع يسمى إسماعيل، خرج بمكة في أيام المستعين لا عقب له. أما محمد الأخيضر، فله من الأبناء العقب بن ثلاثة : يوسف الأمير بحضرموت اليمن، ومحمد أبو عبد الله، وإبراهيم أمير الأمراء. وأما يوسف فأكثرهم عقبا، وله من الأبناء المعقبين ثلاثة : إسماعيل أبو إبراهيم الأمير بالحجاز، ومحمد الملقب بـ"زغيب"، في اليمامة، والحسن أبو محمد الأمير بالبادية. وكان ليوسف ابن رابع يسمى صالحا قيل : انقرض. وقيل : عقبه باق. إما إسماعيل فولده الأمير أحمد المعروف بـ"حميدان"قتيل القرامطة، وصالح ولهم عقب. وها هنا أخر الكلام في تفصيل ولد موسى الجون. وكان أبو نصر البخاري النسابة يقول : جميع ولد موسى الجون يلقبون بـ السويقين ـ. وقال غيره : بل هذا اللقب مختص بولد يحيى بن عبد الله بن موسى الجون». ۞

أما جمال الدين ابن عنبة فيفصل في نسب الأخيضريين في كتابه الموسوم بـ"عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب" ويذكر لنا أن جدهم موسى الجون كان أسود البشرة، ولهذا لقبته أمه هند بـ"الجون" أي الأسود كما يروي ابن عنبة، حيث يذكر : «والعقب من موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب، ويُكنى أبا الحسن، وقيل أبا عبد الله، وكان أسود اللون فلقبته أمه هند بـالجون، وكانت ترقصه وهو طفل وتقول: إنك أن تكون جونا أفرعا يوشك أن تسودهم وتبرعا، وكان موسى شاعرًا ولما قبض

---

۞ كتاب : الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية / تأليف الفخر الرازي.

المنصور على أبيه وأهله أخذه فضربه ألف سوط ثم قال له : أتعلم ما هذا؟ هذا سجل قاض عليك مني. ثم قال له: إني مُرسلك إلى الحجاز لتأتيني بخبر أخويك محمد وإبراهيم. فقال موسى : إنك ترسلني إلى الحجاز والعيون ترصدني فلا يظهران لي. فكتب إلى والي الحجاز أن لا يتعرض له، فخرج إلى الحجاز وهرب إلى مكة، فلما قتل أخوه حج المهدي محمد بن المنصور في تلك السنة فقال له في الطواف قائل: أيها الأمير لي الأمان وأدلك على موسى الجون بن عبد الله؟ فقال المهدي: لك الأمان إن دللتني عليه. فقال: الله أكبر أنا موسى بن عبد الله. فقال المهدي: من يعرفك ممن حولك من الطالبية؟ فقال: هذا الحسن بن زيد، وهذا موسى بن جعفر، وهذا الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن علي، فقالوا جميعًا. صدق هذا موسى بن عبد الله بن الحسن. فخلى سبيله، وعاش موسى إلى أيام الرشيد، ودخل ذات يوم فلما قام من عنده عثر بطرف البساط فسقط، فضحك الرشيد، فالتفت إليه موسى وقال: يا أمير المؤمنين إنه ضعف صوم لا ضعف سكر. ومات بسويقة، وفى ولده العدد والإمرة بالحجاز وعقبه من رجلين، عبد الله الشيخ الصالح، ويلقب بالرضا أيضًا وكان المأمون قد عين عليه وعلى علي بن موسى بن جعفر، فخرج عبد الله على وجهه هاربًا من بنى العباس إلى البادية ومات بها، وله شعر وقد روى الحديث، ومن إبراهيم بن الجون، وأمهما أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر وأم طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمان عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، وأمها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق. أما إبراهيم بن الجون فأعقب من يوسف الأخيضر وحده أمه قطبية بنت عامر من بنى الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وأعقب يوسف الأخيضر ابن إبراهيم بن موسى الجون من ثلاثة الأمير أبو عبد الله صاحب اليمامة يعرف بالأخيضر الصغير، وأبو الحسن إبراهيم، وأبو جعفر أحمد، وكان له أولاد أُخر منهم الحسن بن يوسف ظهر بالحجاز وقتله بنو العباس بمكة. ومنهم إسماعيل ابن يوسف ظهر بالحجاز وغلب على مكة أيام

المستعين وغور العيون واعترض الحاج فقتل منهم جمعا كثيرًا، ونهبهم ونال الناس بسببه بالحجاز جهد كثير، ثم مات على فراشه فجأة في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ولا عقب له، وقام أخوه محمد بن يوسف بعد وفاته وأزرى على فعله في السفك والنهب والفساد فأرسل المعتز بالسفاح الاسروشى في عسكر ضخم فهرب محمد منهم وسار إلى اليمامة فملكها وملكها أولاده بعده فهم هناك يقال لهم الأخيضريون، وبنو يوسف أيضًا. وولد الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف صاحب اليمامة اثني عشر ابنًا أعقب منهم ثلاثة، وهم يوسف الأمير وفيه البيت والعدد، وإبراهيم. وأبو عبد الله محمد بن محمد قتيل القرامطة، قتل هو وبنو أخيه إسماعيل وإبراهيم وإدريس الأكبر والحسين بنو يوسف الأخيضر سنة ست عشرة وثلاثمائة في موضع واحد حامى بعضهم عن بعض، وقد كان صالح بن يوسف أعقب وانتشر عقبه ولكنه انقرض. أما يوسف الأمير بن محمد بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن الجون فأعقب من ثلاثة رجال إسماعيل قتيل القرامطة ويكنى أبا إبراهيم، وأبو محمد الحسن، وأبو عبد الله محمد يدعى زغيبًا أما أبو عبد الله محمد زغيب بن يوسف ابن محمد فنقبه كثير منتشر، وأما أبو محمد الحسن بن يوسف بن محمد فأعقب من رجلين، وهما أبو جعفر أحمد أمير اليمامة، وعبد الله الملقب فروخًا أعقب أبو جعفر أحمد أمير اليمامة من رجلين وهما أبو عبد الله محمد الأمير، وأبو المقلد جعفر يلقب عبرية، له عقب كثير، أما أبو عبد الله محمد الأمير بن أبي جعفر أحمد بن الحسن بن يوسف فأعقب من ولديه أحمد وعبد الله لكل منهما ولد، وأما أبو المقلد جعفر بن أبي جعفر أحمد بن الحسن بن يوسف فأعقب من خمسة رجال محمد الأمير وعلي والحسن، ومقلد، وجعفر بن جعفر (وأعقب) عبد الله الملقب فروخا من رجلين إبراهيم الملقب بعيثار وعيسى، لهما أولاد وأولاد أولاد، فمن ولد إبراهيم بن عبد الله فروخ عيثار بن المنفقية وهو ابن الحسن ابن إبراهيم بن فروخ، ونقل الشيخ أبو الحسن العمري عن أبي الحسن الأشناني النسابة في الحسن بن إبراهيم غمزًا والله

أعلم. وأما أبو إبراهيم إسماعيل قتيل القرامطة ابن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر وقد ولي إسماعيل أمر اليمامة، قال الشيخ أبو الحسن العمري: ووجوه الأخيضريين اليوم من ولد إسماعيل. وأعقب من رجلين صالح أمير اليمامة، وأحمد الملقب حميدان يكنى أبا جعفر، وقال ابن طباطبا: أبا الضحاك. أما صالح بن إسماعيل فله محمد أبو صالح، ولمحمد بن صالح عبد الله يعرف بالجوهرة، وله ولد وأخوه وأما أبو جعفر أحمد الملقب حميدان، فله عقب كثير يقال لهم بنو حميدان. ومنهم بنو الدكين وهو أبو الفضل بن حميدان، وبنو الألف وهو أبو العسكر بن حميدان ومنهم الحسن بن حميدان أعقب من ولده معيد بن الحسن، وذو الوقار الفقيه العالم المتكلم الضرير المكنى بأبي الصمصام في قول من يصح نسبه بن محمد بن المعيد هذا والله أعلم. ومنهم محمد بن حميدان له بقية بالعراق - أخر ولد يوسف الأمير ابن محمد بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن أبي طالب. أما إبراهيم بن محمد بن يوسف الأخيضر فأعقب - على ما قال ابن طباطبا - من أربعة رجال وهم صالح أعقب من رجلين محمد له أولاد وأولاد أولاد وإبراهيم له ولدان محمد وأحمد ولهما أولاد، وحميدان اسمه أحمد، ومحمد. فمن بني أحمد حميدان صالح الدنداني القصير ابن نعمة بن محمد بن أحمد المذكور، لقيه أبو نصر البخاري، ورآه العمرى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ومنهم سليمان ويسمى سالمًا بن إسماعيل بن أحمد المذكور، أولد وأنكره ولده بنو الأخيضر. وأما أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف قتيل القرامطة فأعقب من ولديه يوسف ورحمة أبو يوسف، لهما أولاد، أما رحمة بن محمد بن محمد فولده أحمد بن رحمة له أولاد باليمامة وخرج إلى خراسان، وأما أبو الحسن إبراهيم بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم فأعقب من رجل واحد وهو رحمة أمه فاطمة بنت إسحاق ابن سليمان بن عبد الله بن الجون، وأعقب رحمة من أحمد بن رحمة ومحمد بن رحمة لهما أولاد وانتشار، ومن الحسين بن رحمة له أولاد ولأولاده أولاد،

ومن إسماعيل بن رحمة، له أولاد ولأولاده أولاد. أما أبو جعفر أحمد بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم فأعقب رجلين يوسف وعبد الله، أما عبد الله فعقبه بالحجاز، وأعقب من رجل واحد هو محمد بن عبد الله، وعقب يوسف باليمامة كان من إبراهيم ومحمد وهو الذي يقال له الفرقاني نودي عليه ببغداد وتبرأ من النسب فوجه إليه أخوه إبراهيم بن يوسف رسولاً قاصدًا فحمله إلى اليمامة، قال الشيخ العمري : وهذا يدل على صحة نسبه وله عقب هناك وقال الشيخ أبو عبد الله بن طباطبا الحسني : سألت أهل اليمامة من العلويين عن هذا البيت فلم يعرفه أحد منهم ولا ذكروا بقية لهم. حدثني الشيخ المولى السعيد العلامة النقيب تاج الدين أبو عبد الله محمد بن معية الحسني أن إبراهيم بن شعيب اليوسفي حدثه أن بني يوسف الأخيضر مع عامر وعايد نحو من ألف فارس يحفظون شرفهم ولا يدخلون فيهم غيرهم، ولكنهم يجهلون أنسابهم ويقال لهم بنو يوسف - أخر ولد يوسف الأخيضر وهم أخر ولد إبراهيم ابن الجون والله اعلم -. أما عبد الشيخ الصالح ابن الجون وعقبه أكثر بني الحسن عددًا وأشدهم باسًا وأحماهم ذمامًا، فأعقب من خمسة رجال وهم موسى الثاني، وسليمان، وأحمد المسور ويحيى السويقي، وصالح. أما صالح بن عبد الله بن الجون فهو أقل إخوته عقبًا أعقب من ولده ابى عبد الله محمد الشاعر، ويقال له الشهيد كان قد خرج على الحاج أيام المتوكل وأخذ وحبس بسر من رأى وطال حبسه، ومدح المتوكل بعدة قصائد وعمل في السجن شعرًا كثيرًا منه القطعة السائرة وهي : طرب الفؤاد وعاودت أحزانه *** وتلعب شغفًا به أشجانه. وبدا له من بعد ما اندمل الهوى *** برق تألق موهنًا لمعانه ».[۞]

---

[۞] كتاب : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب \ تأليف : جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨ هجرية.

وعن فقدان اليمامة لأهميتها بعد سيطرة الأخيضريين عليها، يذكر لنا المؤرخ أحمد بن محمد بن الفقيه ٢٩٠هـ، وهو من أهل القرن الثالث الهجري- التاسع الميلادي، حيث يورد لنا في هذا الصدد ما نصه :

« حجر سُرة اليمامة، وهي منزل السلطان والجماعة، ومنبرها أحد المنابر الأولية : مكة، والمدينة، واليمن، ودمشق، واليمامة، والبحرين، والكوفة. وجل أهلها من بنو عبيد، وبها كل القبائل"، ويؤكد ما تقدم أن حجرًا حافظة على كونها عاصمة لإقليم اليمامة، بعد نزاع طويل بينها وبين عدد من مدن اليمامة منذ عصر ما قبل الإسلام، وفي العصر الراشدي، والعصر الأموي. ومع هذا فقدت (حجر) بوصفها عاصمة لإقليم اليمامة مع قدوم بنو الأخيضر في منتصف القرن الثالث الهجري-التاسع الميلادي، ونقلهم العاصمة إلى مدينة الخضرمة الواقعة جنوب إقليم اليمامة».[۞] - انتهى الاقتباس-

وفي سنة ٦٥ هجري، سيطر الخارجي نجدة بن عامر الحنفي هو وأتباعه من الخوارج على حَجْر اليمامة ثم مضوا إلى الخضارم (الخرج حاليًا) فنهبوها، واقتسم نجدة الأموال مع جماعته، وقد طلب منهم نجدة أن يستغلوا أولئك العبيد والاستفادة منهم لصالحهم الخاص، وكان هؤلاء الرقيق سبق وأن أرسلهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان لغرض الزراعة والفلاحة في اليمامة لصالح الدولة، وكان عددهم يربو على ٤ آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وأبناء وأقارب، ولم يكونوا من ذوي البشرة السوداء كما يظن البعض، بل كانوا مُخلطين يغلب عليهم العنصر الفارسي والتركي، ولا شك أن هذا العدد الضخم من العبيد الذين أرسلهم معاوية إلى الخرج كان لهم تأثير ديموغرافي عرقي على التركيبة السكانية لمنطقة نجد بعد هجرة ورحيل أهلها، وكان لهم أيضًا دورًا ايجابيًا فعالاً في إحياء منطقة الخرج زراعيًا ومن المرجح أنهم وراء إنشاء تلك القنوات المائية التي تمر تحت الأرض.

---

[۞] كتاب : مختصر كتاب البلدان \ تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني. المعروف بابن الفقيه.

وقد ذكر المؤرخون العرب أن نجدة الحنفي كان قد استولى على قافلة خرجت من البصرة تحمل المال والمؤن إلى عبد الله بن الزبير، فسلبها نجدة وساقها إلى بلدة الخضارم في اليمامة.

وعن تلك الأحداث التي وقعت في اليمامة في عام ٦٥ للهجرة، يذكر لنا النويري في كتابه " نهاية الأرب في فنون الأدب" نبذة مُختصرة عن تلك الأحداث قائلاً :

« ذكر أخبار نجدة بن عامر الحنفي حيث وثب باليمامة وما كان من أمره : كان نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفي مع نافع بن الأزرق، ففارقه وسار إلى اليمامة، وكان أبو طالوت وهو من بني بكر بن وائل، وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس ابن ثعلبة، وعجية بن الأسود اليشكري، قد وثبوا بها مع أبي طالوت، فلما قدمها نجدة دعا أبا طالوت إلى نفسه، فأجابه بعد امتناع، ومضى أبو طالوت إلى الخضارم، فنهبها، وكانت لبني حنيفة، فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان، فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة أبنائهم ونسابهم أربعة آلاف، فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه، وذلك في سنة خمس وستين، ثم إن عيرًا خرجت من البحرين ـ وقيل من البصرة ـ تحمل مالاً وغيره يراد بها عبد الله بن الزبير، فاعترضها نجدة، فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت بالخضارم، فقسمها بين أصحابه، وقال : اقتسموا هذا المال بينكم ـ وردوا هذه العبيد، واجعلوهم يعملون بالأرض لكم، فإن ذلك أنفع، فاقتسموا المال، وقالوا : نجدة خير لنا من أبي طالوت، وذلك في سنة ست وستين. ولما تمت بيعته بينهم سار في جمع إلى بني كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، فلقيهم بذي المجاز فهزمهم وقتل فيهم قتلاً ذريعًا، ثم كثرت جموعه حتى بلغت ثلاثة آلاف، فسار إلى البحرين في سنة سبع وستين، فقالت الأزد : نجدة أحب إلينا من ولاتنا لأنه ينكر الجور، وولاتنا تجور؛ فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبد القيس، وقتل منهم جمع كثير، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف، وأقام بالبحرين. فلما قدم مصعب إلى

البصرة في سنة تسع وستين بعث إليه عبد الله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفًا، وقيل : في عشرين ألفًا ، فجعل يقول : اثبت نجدة فإنا لا نفر، فقدم ونجدة بالقطيف، فأتى نجدة إلى ابن عمير وهو غافل فقاتل طويلاً، ثم افترقوا، وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى، فحمل عليهم نجدة، فلم يثبتوا، وانهزموا، وغنم نجدة ما في عسكرهم. وبعث نجدة بعد هزيمة ابن عمير جيشًا إلى عمان، واستعمل عليهم عظية بن الأسود الحنفي، وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وابناه سعيد وسليمان، فقاتلوه، فقتل عباد واستولى عظية عليها، فأقام بها أشهرًا، ثم خرج عنها، واستخلف رجلاً يكنى أبا القاسم، فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد، فعاد إلى عمان فلم يقدر عليها، فركب في البحر وأتى كرمان، وضرب بها دراهم سماها العطوية، فأرسل إليه المهلب جيشًا، فهرب إلى سجستان، ثم أتى السند، فقتلته خيل المهلب بقندابيل. وبعث نجدة إلى البوادي من يأخذ صدقة أهلها، ثم سار نجدة إلى صنعاء في خف من الجيش، فبايعه أهلها، وبعث أبا فديك إلى حضرموت فجبى صدقات أهلها، وحج نجدة سنة ثمان وستين، وقيل في سنة تسع، وهو في ثمانمائة وستين رجلا، وقيل في ألفين وستمائة رجل، فصالح ابن الزبير على أن يصلي كل واحد بأصحابه، ويقف بهم، ويكف بعضهم عن بعض، فلما صدر نجدة عن الحج سار إلى المدينة، فتأهب أهلها لقتاله، وتقلد عبد الله ابن عمر سيفًا، فلما أخبر نجدة أن ابن عمر لبس السلاح رجع إلى الطائف، فلما قرب منها أتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، فبايعه على قومه، فرجع نجدة إلى البحرين، فقطع الميرة عن أهل الحرمين، فكتب إليه ابن عباس : إن ثمامة بن أثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم كفار، فكتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن أهل مكة أهل الله فلا تمنعهم الميرة، فخلاها لهم، وإنك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون، فخلاها لهم نجدة، لم تزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه أصحابه، على ما نذكره. والله أعلم. ذكر الخلاف على نجدة وقتله وتولية أبي فديك : قال : ثم إن أصحاب نجدة اختلفوا

عليه لأسباب نقموها منه، فخالف عليه عطية بن الأسود، وسبب ذلك أن نجدة بعث سرية برًا وبحرا، فأعطى سرية البر أكثر من سرية البحر، فنازعه عطية حتى أغضبه، فشتمه نجدة، فغضب عطية وفارقه، وألب الناس عليه، فخالفوه وانحازوا عنه، وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور، من بني قيس بن ثعلبة، فاستخفى نجدة، وقيل لأبي فديك: إن لم تقتله تفرق الناس عنك، فألح في طلبه حتى ظفر به أصحابه، فقتلوه، فلما قتل نجدة سخط قتله جماعة من أصحاب أبي فديك، ففارقوه وثار به مسلم بن جبير فضربه اثنتي عشرة ضربة بسكين، فقتل مسلم، وحمل أبو فديك إلى منزله». ۞ - انتهى الاقتباس-

ويبدو أن الخارجي نجدة بن عامر الحنفي ومن معه من خوارج اليمامة كان لهم مؤيدون كُثر من أهل "جو" حيث يقول فيهم الشاعر طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط الكلابي مخاطبًا الخليفة عبد الملك مروان بن الحكم ومعرِّضًا بأهل جو :

| | |
|---|---|
| يـــدي يـــا أمـــير المـــؤمنين أعـــذها | بحقوبـــك أن تلقـــى بملقـــى يهنيهـــا |
| فقـــد كانـــت الحـــسناء لـــو تمَّ شـــبرها | ولا تعـــدم الحـــسناء عـــاب يثنيهـــا |
| وإنـــك مـــسؤول بحكـــم في يـــدي | علـــى حالـــة مـــن ربنـــا ســـتكونها |
| تـــشد حبـــال الرحـــل في كـــل منـــزل | إلى شمـــال لا يمـــين تعنيهـــا |
| دعـــت لـــبني مـــروان بالنـــصر والهـــدى | شمـــال كـــريم زايلتهـــا يمينهـــا |
| ولا خـــير في الـــدنيا وكانـــت حبيبـــة | إذا مـــا شمـــالي زايلتهـــا يمينهـــا |
| وإن شمـــالا زايلتهـــا يمينهـــا | لبـــاق عليهـــا في الحيـــاة حنينهـــا |
| وقـــد جمعـــتني وابـــن مـــروان حـــرةٌ | كلابيـــة فـــرع كـــرام غـــصونها |
| ولـــو قـــد أتـــى الأنبـــاء قـــومي لقلـــصت | إليـــك المطايـــا هـــي خـــوص عونهـــا |
| وإن بحجـــر والخـــضارم عـــصبة | حروريـــة حبنًـــا عليـــك بطونهـــا |
| إذا شـــب مـــنهم ناشـــئ شـــب لا غنًـــا | لمـــروان والملعـــون مـــنهم لعينهـــا |

---

۞ كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب \ تأليف : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

وقد انتهت ثورة الخوارج النجديين لاحقًا بهزيمتهم واستتباب الحكم الأموي مرة أخرى، ولكن قامت بعدها ثورة بن أبي زينب العبقسي في هَجَر (الأحساء) ضد الأمويين في سنة ٩٦ هجري، لكنه قُتل أيضًا في موقعة الخضرمة في الخرج.

وبات من المؤكد أن اليمامة وعموم العارض لم يبق فيها وجود لقبيلتي مضر وربيعة العدنانيتين أبان حكم الأخيضريين، حيث رحلت تلكما القبيلتان بسبب الجدب الذي حل باليمامة وانحسار الأمطار وكذلك بسبب طغيان وجور حُكَّام الأخيضريين ضد هاتين القبيلتين، وقد حل بدلاً عنهما في نجد بعض القبائل اليمانية النازحة التي استوطنت في المنطقة، وكانت اليمامة بعد رحيل مضر وربيعة قد شغلتها أسر أولئك السبايا الأرقاء الذين أمر معاوية بن أبي سفيان بإرسالهم إلى اليمامة ليعملوا في الزراعة والتعدين والمهن الأخرى، ولهذا فقد تغيرت التركيبة السكانية لليمامة، ولم يبقى فيها كثافة سكانية يُعتد بها، إلا من بعض التجمعات القليلة في قرى صغيرة مُتباعدة وواحات متفرقة قطنتها بعض الأسر المُتحضرة، وجاورهم لاحقًا بعض القبائل العربية من البدو الرُحل، بعضهم استقر في المنطقة والبعض الآخر أكمل مسيرته نحو الشمال بحثًا عن الماء والكلأ.

وهذا يعني أن أغلب سُكان نجد العليا الأصليين قد هجروها في القرن الثالث الهجري واستمرت عمليات النزوح والرحيل القسري تتواتر، وبدأ يحل مكانهم سُكان جُدد أغلب الظن أنهم كانوا يتبعون لقبائل يمانية وعلى فترات مُتفاوتة، وأعتقد شخصيًا أن أغلب من بقي في نجد وهو ليس من أصول يمانية هو قطعًا من بقايا تلك الأسر المُسترقة التي تمَّ جلبها من الشام واستوطنت لغرض العمل والخدمة في اليمامة، وكما مرَّ معنا في نص النويري وكذلك ما ذكره ابن الأثير في كتابه " الكامل في التاريخ" من أن خليفة بني أمية معاوية بن أبي سفيان قد أرسل آلافًا من السبايا الأرقاء الذين كانوا عبارة عن مماليك جلبوا قسرًا إلى منطقة اليمامة لغرض العمل في ممتلكاته الزراعية في

الخضرمة، وهي منطقة زراعية خصبة تقع في جنوب اليمامة، حيث يورد ابن الأثير خبر أولئك الأرقاء في نص تعريفه للخارجي نجدة الحنفي، قائلاً :

«هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفي وكان مع نافع ابن الأزرق، ففارقه لإحداثه في مذهبه ما تقدم ذكره، وسار إلى اليمامة، ودعا أبا طالوت إلى نفسه، فمضى إلى الحضارم فنهبها، وكانت لبني حنيفة، فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف، فغنم ذلك وقسمه بين أصحابه، وذلك سنة خمس وستين، فكثر جمعه». ۞

وعليه فإن معاوية بن أبي سفيان كان يُريد توسيع الزراعة في نجد فأرسل إلى اليمامة مجاميع كثيرة من الرقيق للعمل هناك كفلاحين ومهنيين، حيث بلغ عددهم أربعة آلاف وهم من المُستعبدين الأرقاء، وقد كانوا عبارة عن مجاميع مُخلطة من كافة الأصول والمنابت كان يغلب عليهم العنصر الفارسي، حيث كونوا مُجتمعًا زراعيًا وراثيًا في إقليم اليمامة وبعضهم كان يعمل في بعض المهن والصناعات البسيطة كالتعدين، فكانوا هم النواة الأولى للمُجتمع النجدي المُهجن الجديد بعد جلاء قبليتي مضر وربيعة.

ويذكر لنا الهمداني عن موضع أو مكان يقع قرب اليمامة يُدعى العوسجة، كان به ألوفًا مؤلفة من الفرس المجوس ولهم بيوتًا للنار يتعبدون فيها شبيهة بالمعابد، وهم يعملون في مهنة تعدين الفضة والنحاس، حيث يورد قي كتابه "صفة جزيرة العرب" قائلاً:

« وعن يسار ذلك القتد وهو جبل أسود فيه مياه عذاب ضماخ وعنزة وقرى مقابلة له من الهضب والأجربة وسديرة قساس والضماخ هذه المياه الأربعة عذاب وبقيتها أملاح، فالمبهلة منها سمِّيت بذلك إن شرب من شربها أبهل في سراويله أو إزاره فينفذه، ثم من فوق ذلك مما يحفُّ الرَّيب إلى بلاد باهلة

---

۞ كتاب : الكامل في التاريخ \ تأليف : علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري ابن الأثير.

الضواحي وهي فسحاء من الأرض ليس فيها قران، ثم القرع وهو يصب في بطن السِّرادح مقابل للقهاد وبين شط السرداح وبين القهاد سهب يقال له الملاطيط واحده الملطاط سهب يقطع بينه وبين مثله قرانة الجبال وفي فرع الثنية ثنية السود سود باهلة وعن يمينه من دون الثنية ماء يقال له المغيرا، وقرية عظيمة يقال له العوسجة وهي معدن وكذلك شمام معدن فضة ومعدن نحاس وكان به ألوف من المجوس يعملون المعدن وكان به بيتا نار يعبّدان، والثنيَّة ثنية حصن ابن عصام معدن ذهب» ۞.

وعن أخبار وأحوال رقيق اليمامة الذين تكاثروا وتوالدوا حتى أصبحت اليمامة تتاجر بهم ذكورًا وإناثًا وتصدرهم إلى العراق والشام وبقية البلدان، حتى راجت سوق النخاسة في اليمامة وأصبحت لها شهرة كبيرة وبات تصدير رقيق اليمامة رائجًا وقد كثر عليه الطلب، ويذكر ياقوت الحموي في كتابه "مُعجم الأدباء" عن عملية استيراد الرقيق من اليمامة إلى العراق في عهد أبو جعفر المنصور فيقول:

« أبو جعفر، راوية أبي الحسن المدائني، والعتابي، كان راوية مكثرًا، موصوفًا بالثقة، وكان شاعرًا، وهو من موالي المنصور، ومات الخزاز فيما ذكره قانع ورواه المرزباني عنه، في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين، وكان ينزل في باب الكوفة، فدفن في مقابرها، وقيل : مات في سنة تسع وخمسين. وذكره المرزباني في المقتبس: فقال: حدثني علي بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد، بن طاهر، عن أبيه، عن محمد بن صالح، بن النطاح، مولى هاشم عن أبيه، قال: طلب المنصور رجالاً يجعلهم بوابين له، فقيل له: لا يضبطهم إلا قوم لئام الأصول، أنذال النفوس، صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة، فاشترى له مائتي غلام من اليمامة، فصير بعضهم

۞ كتاب : صفة جزيرة العرب \ تأليف : الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.

بوابين، وبقي الباقون، فكان ممن بقي خلاد، جد أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد، وحسان جد إبراهيم بن عطار، جد أحمد بن الحارث الخزاز»[۞]

ويذكر لنا أيضًا الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" نفس الرواية التي أوردها لنا ياقوت الحموي، حيث يقول:

« أَخْبَرَنِي علي بن أيوب القمي، قالَ: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، قالَ: أَخْبَرَنِي علي بن يحيى، قالَ: أَخْبَرَنِي عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه، عن محمد بن صالح بن النطاح مولى بني هاشم، قالَ: حَدَّثَنِي أبي، قالَ: طلب المنصور رجالا ليكونوا بوابين له. فقيل له: إنه لا يضبط هذا إلا قوم لئام الأصول، أنذال النفوس، صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة. فكتب إلى السري بن عبد الله الهاشمي، وكان واليه على اليمامة، فاشترى له مائتي غلام من اليمامة، فاختار بعضهم، فصيرهم بوابين، وبقى الباقون، فكان ممن بقى خلاد جد أبي العيناء، وحسان جد إبراهيم بن عطاء، وجد أحمد بن الحارث الخزاز راوية المدائني».[۞۞] - انتهى الاقتباس-

وقد أصبحت اليمامة من أشهر أسواق النخاسة في الولايات الإسلامية، واشتهرت الجواري اليماميات بارتفاع أثمانهن حيث بلغ سعر الجارية ١٠٠ ألف درهم، وكان يتم جلبهن إلى أسواق النخاسة في بغداد في العصر العباسي، وقد كان أحد ولاة اليمامة في العصر العباسي وهو محمد بن سليمان العباسي قد ملك عددًا كبيرًا من الرقيق في اليمامة، حيث ذكر أن عدد مواليه قد بلغوا خمسين ألف مولى، منهم عشرون ألفًا مُعتقون والباقون داخلون في عبيده متزوجون ولديهم ذرية.

---

[۞] كتاب : معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب \ تأليف: ياقوت الحموي.

[۞۞] كتاب : تاريخ بغداد أو مدينة السلام \ للحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ

ويُعتقد أن كثيرًا من أُسر العارض الحاليين ما هم إلا أحفاد لأولئك السبايا الأرقاء الذين تمَّ جلبهم عنوةً للعمل في مزارع اليمامة وبعضهم كان قد امتهن الصناعة والتعدين، وإلا فأين ذهب أسلاف أولئك الألوف المؤلفة من رقيق اليمامة؟

وأما مسألة نزوح قبيلتي مضر وربيعة من اليمامة فهي حقيقة ثابتة ولا جدال فيها ولا تحتاج لمزيد من الأدلة والبراهين، فقد ذكر لنا الرواة والمدونين العرب والمُسلمين، حكاية تلك الهجرة الجماعية التي خرجت من نجد، ووثقوا لنا سيرة رحيل قبيلتي مضر وربيعة عن أرض اليمامة، ومن ثم نزوحهم نحو البصرة والحجاز ومصر حتى وصلوا للسودان، وكانت كل قبيلة تنضم إلى أبناء عمومتها أو تنشئ لها كيانًا جديدًا خاصًا بها، فشاهدنا فروعًا من قبيلة بني تميم قد نزحت صوب البصرة لينضموا إلى أبناء عمومتهم من دارم ويربوع وبنو سعد وفروع أخرى من بني تميم ممن كانت ديارهم بالأصل قرب البصرة، وبعضهم كان قد استوطن هناك منذ عقود طويلة.

حيث كان زعيم بني تميم في البصرة بعد الفتح هو الصحابي التابعي المشهور ـ الأحنف بن قيس التميمي ـ، وكان الأحنف قد خرج إلى وادي السباع (مدينة الزبير حاليًا) أثناء معركة الجمل وكتب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلاً : إني مقيم في قومي على طاعتك، فإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد، وإن شئت أتيتك في مئتين من أهل بيتي! فأرسل إليه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، قائلاً : أن أحبس واكفف.

كما نزح قسم آخر من بني تميم لاحقًا ونزلوا على أبناء عمومتهم عند جبل طي ولهذا نجد بعض الأسر التميمية القاطنة في حائل يتواردون السير عن أسلافهم بالقول إنهم قدموا من جهة العارض ومن حوطة بني تميم، كما رافق قسم آخر من قبيلة بني تميم جيرانهم بنو حنيفة وأكملوا مسيرتهم معًا نحو

مصر والسودان، والقسم الآخر من بني حنيفة دخل البصرة أيضًا وجاور قبيلتي الدواسر والفضول من بني لام، ومعروف أن قبيلة بني لام قد استوطنت هي الأخرى في جنوب العراق منذ زمن طويل، وكانت قبيلة بني لام الطائية قد نزحت صوب العراق وعربستان منذ عدة قرون طويلة ولم يبقى منهم أحد في نجد، وقد تشيعوا لاحقًا.



وعن ذكر هجرات بني تميم المُتآخرة فيذكر لنا الرحالة بوركهارت الذي زار جدة سنة ١٨١٤م، أن بلدة قفار التي يقطنها بنو تميم في حائل، تضم أحفاد الأسر التميمية التي كانت قد نزحت من حوطة بني تميم منذ زمن، لأسباب الثأر وتجنبًا للانتقام، دون أن يذكر المزيد من الإيضاحات، حيث يقول :
« وهناك قرية أخرى تعود لبني تميم وهي قفار الواقعة في مقاطعة جبلي شمر، حيث تشتمل على أحفاد العائلات التميمية التي كانت هربت منذ زمن من الحوطة، تجنبًا للانتقام وعواقب الثأر. وهناك مستوطنة، قرية أخرى لبني تميم، سكانها جميعهم من المزارعين، وتقع ضمن ولاية وصلاحيات باشا بغداد تقع فيما بين الحلة ومشهد علي. ويتميز بنو تميم بطول القامة وهاماتهم العريضة، ولحاهم الكثة، وهي صفات تميزهم عن سائر البدو الآخرين».۞

ولهذا فالأكيد أن هنالك قبائل يمانية أخرى قد استوطنت في عالية نجد وحلت في أرض اليمامة بعد نزوح سكانها الأصليين، وقد قطنت تلك القبائل اليمانية في ديار قبيلتي ربيعة ومضر، ولأن اليمامة وما جاورها كانت ديارًا لهاتين القبيلتين، فكل من جاء بعدهما حُسب عليهما بالاسم فقط، حتى ولو لم يُكن مضريًا أو ربعيًا أصلاً.

ومن المصادر التاريخية التي وثقت تلك الهجرة العدنانية الكُبرى من إقليم نجد ومن اليمامة تحديدًا، يذكر لنا ياقوت الحموي في كتابه مُعجم البلدان نقلاً عن التابعي محمد بن سيرين، خبر نزوح قبيلة بني حنيفة إلى البصرة، حيث يقول: « وفيها (يعني في سنة ٣١٠هـ،) انتقل أهل قُرَان (بنو حنيفة) من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسمتهم وجدب أرضهم، فلما انتهى خبرهم إلى أهل البصرة سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثني بمال جمعه لهم فقووا به على الشخوص (الحضور) إلى البصرة فدخلوا بحال سيئة ، فأمر لهم ـ سبك ـ أمير البصرة بكسوة ، ونزلوا المسامعة

---

۞ ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

محلة بها والقرينة وملهم وليس بهما من بني حنيفة إلا القليل، بل أهل ملهم من قبيلة الفضول، وأهل القرينة من قبيلة الدواسر، وكانتا سابقًا لبني سحيم من مرة من الدوٌل من حنيفة».[*] -انتهى الاقتباس-

ويذكر لنا المؤرخ النجدي المُتأخر ابن عيسى في تاريخه أن قحط عظيم وجدب قد حل بأرض نجد مما دفع بقبيلة الفضول من بني لام إلى الهجرة من نجد والنزوح نحو العراق وتخوم إيران، حيث نزل الفضول فيما بين الحويزة والعمارة، فيقول :

« وفي سنة ١٠٨٥هـ : وهي سنة حرمان : وفيها حصل في نجد قحطٌ عظيمٌ، وغلاءٌ شديدٌ أكلت فيه الميتات، وجلا (رحل) كثير من أهل نجد إلى البصرة والأحساء، ومات كثير من الناس جوعًا، وفيها انحدرت بادية الفضول إلى العراق ونزلوا في نواحي الحويزة فيما بينها وبين العمارة، ولم يبقَ في نجد منهم إلا القليل» [**]

ويروي لنا أيضًا أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي المتوفى عام ٣٦٧هـ في كتابه الموسوم بـ"صور الأرض" والذي ذكر أنهُ قد دخل إلى اليمامة في سنة ٢٣٢هـ، حيث قد أكَّد بدوره تلك الحقيقة في كون قبيلتي مضر وربيعة قد هاجرتا من اليمامة، وهو يؤيد ما ذكره ياقوت الحموي نقلاً عن ابن سيرين، حيث يذكر هو الآخر :

« وأما اليمامة فواد، والمدينة به تسمى الخضرمة، دون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أكثر نخيلاً وثمرًا من المدينة ومن سائر الحجاز، وكانت قرارًا لربيعة ومضر فلما نزل عليها الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر فسكنوا بين النيل وبحر القلزم (البحر الأحمر) وقرَّت ربيعة ومضر هناك

---

[*] كتاب : معجم البلدان \ تأليف : ياقوت الحموي.

[**] كتاب: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها، وابتنوا بها غير منبر كالمحدثة التي بظاهر أسوان وكالعلاقي وهو المنهل الذي يجتاز به الحجيج إلى عيذاب...الخ. ويقول أيضًا في موضع آخر من الكتاب: وصادف ذلك دخول محمد بن يوسف الحسني الأخيضر اليمامة وانقشاع أهلها من جوره إلى أرض مصر والمعدن في آلاف كثيرة فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنتهم ووفودهم، وتكامل بالعلاقي قبائل ربيعة ومضر وهم جميع أهل اليمامة في سنة ثمان (وثلاثين) ومائتين. ثم ذكر أيضًا: أن المهاجرين من نجد بسبب جور بني الأخيضر يُعدون بالآلاف الكثيرة». ۞

إذن كانت أعداد قبيلتي ربيعة ومضر هائلة جدًا وكان الذين رحلوا وجلوا عن نجد يعدون بعشرات الآلاف، وحينما غادروا فإنهم غادروا زرافات، لهذا حينما ترحل القبائل مُجتمعة عادةً لا يتخلف منها أحد لكي لا يستفرد به الأعداء، ورحلة ربيعة ومضر تلك كانت شبيهة برحلة بني هلال المشهورة لهذا لم نعد تسمع ذكرًا لبني هلال في جزيرة العرب بعد جلائهم، لأنهم رحلوا بالكامل، ولا يُستعبد أن يكون جزء كبير من سِير تلك الرحلات النجدية التي قام بها الربعيون والمضريون قد اختلطت رواياتها مع السيرة الهلالية المعروفة.

وعن حلف بني هلال ورحلتهم الشهيرة وأسباب جلائهم عن شبه جزيرة العرب، وعن العوامل التي أدت إلى هجرة قبيلتي بني هلال وبني سليم اللتين تحالفتا لاحقًا، يذكر لنا شيخ المؤرخين المصريين أحمد بن علي المعروف بـ"تقي الدين المقريزي" في كتابه "البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" حيث يقول :

« الحلف الهلالي : قام هذا الحلف في فترة تزعزعت فيها القيم والأفكار إلى حد كبير، وكان لحركة القرامطة التي اتخذت مسرحها شرقي شبة جزيرة العرب، أثر في ذلك، إذ أدخلت على المجتمعات الإسلامية في ذلك الحين أفكارًا

---

۞ صورة الأرض \ تأليف : محمد أبو القاسم ابن حوقل.

غريبة عنها. وقد انضم إلى القرامطة في شرقي شبة الجزيرة العربية قبيلتا بني هلال وبني سليم، ولم يكن لانضمام هؤلاء البدو إلى حركة كهذه أثر يذكر في عقائدهم، اللهم إلا ما ظهروا به من رغبة في الشغب، وخضوع لإرادة غير موجهة. وكان منهم جماعة تنتشر في طريق الحج المؤدي إلى مكة لقطع الطريق والإغارة. وحدث أن تغلب بنو الأصفر على البحرين في سنة ٣٧٨هـ باسم العباسيين، وطردوا منها بني سليم الذين كانوا أعوانًا للقرامطة حينئذٍ. ورأى الفاطميون أن يستعينوا بهؤلاء الأعراب الأشداء، فشجعوهم على الهجرة إلى مصر. فيقول ابن خلدون: "ولما تغلب شيعة ابن عبيد الله المهدي على مصر والشام، وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على أعقابهم إلى قرارهم بالبحرين، ونقل أشياعهم من العرب من بني هلال وسليم، فأنزلهم بالصعيد وفي العدوة الشرقية من نهر النيل، فأقاموا هناك". كانت هذه الموجات أعدادًا هائلة، ولعل بني سليم كانوا أكثر من الهلاليين عددًا. تحولوا جميعًا إلى مصر ولإفريقية حتى لم يبقَ لهم عددٌ ولا بقية ببلادهم. وامتلأت بجموعهم الجهات الشرقية من الحوف الشرقي والصحراء الشرقية حتى بلغوا الصعيد الأعلى ولبثوا كذلك زمنًا، وانضم إليهم جماعات شتى من القيسية والسبئية، مثل فزارة "من القيسية" والمعقل "من اليمنية" وبطون أخرى من القيسية. وصار اسم "بني هلال" علمًا على هذه الجماعات المتنوعة المتحالفة، ولعل السبب في هذه التسمية، ما كان لـ(بني) هلال في ذلك الحين من نصيب في زعامة هذه الجماعات، وربما كان لسهولة الاسم ودورانه على الألسنة دخل في ذلك. ورأى الفاطميون الفرصة السانحة لاستغلال هذه القوة الكبيرة في محاربة دولة بني باديس، بالقيروان والمهدية، من بلاد المغرب، وكان مؤسسها الحقيقي، المعز بن باديس قد أعلن انفصاله عن الفاطميين في ذلك الوقت أبو محمد الحسن بن علي اليازوري على تسيير هذه الجموع الهلالية وحلفائهم إلى المعز لقتاله. ولبثت هذه الجموع تملأ فضاء الجانب الشرقي من مصر

عشرات من السنين وكانوا حينئذٍ "أهل بلاد الصعيد إلى عيذاب". وكانوا قد شغبوا وأثاروا القلاقل في هذه المنطقة، فأذن اليازوري لهم في عام ٤٤٢هـ للعبور إلى الجانب الغربي من النيل، والانتقال إلى بلاد المغرب لملاقاة المعز بن باديس وكانت لهم هنالك أحداث مثيرة ذكرها المؤرخون». (٦٧).

وعن نزوح قبيلة ربيعة من اليمامة ومن ثم استيطانها في صعيد مصر ووصولها حتى السودان، يذكر لنا أيضًا تقي الدين المقريزي في نفس كتابه أخبار متواترة عن الربعيين في مصر، وعما آلت إليه أمورهم فيما بعد، حيث يورد ما نصه :

« وكان بصعيد مصر أولاد الكنز أصلهم من ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان، وكانوا ينزلون اليمامة وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله أعوام بضع وأربعين ومائتين في عدد كثير وانتشروا في النواحي. ونزل طائفة منهم بأعالي الصعيد وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها. وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى أخربوها، فقامت ربيعة في منعهم من ذلك حتى كفوهم، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب بالعلاقى فكثرت أموالهم واتسعوا في أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آبارا. ورأس عليهم إسحاق ابن بشر مدة ثم خالف على بعض أهله. وكانت عيذاب لبني يونس من ربيعة ملوكها عند قدومهم من اليمامة فجرى بينهم وبين بني بشر حروب انهزموا فيها ومضوا من عيذاب إلى الحجاز ثم وقعت حروب بين بني بشر قتل فيها إسحاق فأحضروا إليهم من بلبيس الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يوسف المعروف بأبي يزيد بن إسحاق بن إبراهيم بن مسروق وهو ابن عم إسحاق بن بشر المقتول ، ويرجع نسبه إلى مسروق بن معدي كرب بن

---

۞ كتاب: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب

تأليف: أحمد بن علي المعروف باسم تقي الدين المقريزي.

الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان. وأم حنيفة صفية بنت كاهل بن أسد بن خزيمة، فولد حنيفة الدول وعدي وعامر وزيد مناة وحجر، وأمهم بنت الحارث ابن الدول بن صباح بن عنزة بن أسد، فولد الدول بن حنيفة مرة وثعلبة وعبد الله وذهلا وأمهم عبلة بنت سدوس بن شيبان، فولد ثعلبة بن الدول ابن حنيفة يربوع ومعاوية، فولد يربوع بن ثعلبة بن الدول ثعلبة وزيد في أخرين، فولد ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة عبيدا، فولد عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة مسلمة وزيدا والحارث قال الجواني وبنو الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن الدول فخذ بني مسروق بن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة المذكور. وإلى مسروق هذا ينسب كنز الدولة حامي أسوان وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان ولم يزل رئيسا على ربيعة حتى مات. فقام برياستهم بعده ولده أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن علي ويعرف بالأهوج المطاع، وهو الذي ظفر بأبي ركوة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقبه كنز الدولة وهو أول من لقب بذلك منهم. ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكنز الدولة، حتى كان أخرهم كنز الدولة فقتله الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سابع صفر سنة ٥٧٠سبعين وخمسمائة عندما خالف على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجمع لحربه وقتل أخاه أبا الهيجاء السمين ودعا للأمير داود بن العاضد، وكان قتله على مدينة طود بعد حروب كثيرة. كنانة هم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان، وهم بنو الليث وبنو ضمرة أبناء بكر بن عبد مناف بن كنانة، وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ولم تمكنهم قريش من التعدية إلى بلادها عند قدومهم من بادية الحجاز إلا بمراسلة بني إبراهيم بن محمد، وكان مع جماعة من أخلاط العرب دخلت في لفيفها.... إلخ.

إلى أن يقول: ذكرنا فيما سبق أن ربيعة قد توطدت مكانتها في الصعيد الأعلى وفي أرض المعدن بنوع خاص، وتحالفوا مع البجة "الحداربة" فقويت البجة بهم، كما قويت ربيعة بالبجة على من ناوأها من اليمن ومضر. وكان صاحب المعدن في زمن المسعودي المؤرخ ٣٣٢هـ أبا مروان بشر بن إسحاق. قال "وهو من ربيعة، يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية، وهم الحداربة، وهم المسلمون من بين سائر البجة، وباقي البجة كفار يعبدون صنما لهم" ونفهم من هذا أن ربيعة كان لهم خصوم من مضر واليمن كما كان لهم حلفاء من هؤلاء وأولئك أيضا، وكان من حلفائهم - غير مضر واليمن - طائفة من الحداربة وهم حضارمة أصلاً، والحضارمة يلحقون بنسب حمير بن سبأ، ولا يبعد أن يكون الحداربة عناصر شتى من أعقاب سبأ، كان منها قبيلة بلي، نزحوا إلى بلاد البجة قبل مجيء ربيعة بزمن طويل، يربو على ثلاثة قرون، وعندما صار لربيعة نفوذ في بلاد البجة، كان الحداربة قد توطنوها، وصاروا من أهلها، فعدوا طائفة من البجة. وفي عصر الفاطميين، تمكنت ربيعة وأحلافها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن بالعلاقي، وكانت أسوان مقرًا لها، وامتد سلطانها جنوبًا في أرض "مريس"، وكان زعيمهم حينئذٍ هو الذي أشار إليه المسعودي ووصفه بصاحب المعدن، أعني أبا مروان بشر بن إسحاق. وقد أقر الفاطميون هذه الإمارة الناشئة، واستعان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، بزعيم ربيعة في ذلك الحين في القبض على الثائر الأموي الأندلسي "أبي ركوة" وكان قد لجأ إلى الصعيد وهم بالفرار إلى بلاد النوبة. وسر الحاكم بأمر الله، وكافأ زعيم ربيعة بلقب "كنز الدولة" وتوارث أبناؤه هذا اللقب. ولم تزل الإمارة فيهم، وكلهم يعرفون بكنز الدولة. ويبدو أن الأيوبيين حين قدموا مصر، وتعقبوا الفاطميين للقضاء عليهم، كانوا يتوجسون خيفة من إمارة كنز الدولة، ظنًا منهم أنها تتشيع للفاطميين. فهاجم الأيوبيون بني الكنز، وهزموهم، وانسحب أكثرهم من أسوان إلى الجنوب.

واتخذوا بلاد مريس مركزًا لنشاطهم، ثم عاودوا الهجوم على أسوان مرات عديدة حتى استولوا عليها بعد سنة ٧٩٠هـ "وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب إلى أن كانت المحن منذ سنة ٨٠٦هـ وخرب إقليم الصعيد، فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ولم يبق للسلطان في مدينة أسوان وال". والجدير بالذكر أن من بني الكنز هؤلاء النواة الأولى التي تألف منها جماعة الكنوز الذين يعيشون في بلاد النوبة في سودان وادي النيل إلى يومنا هذا». ۞

ومع وجود تلك المصادر التي توثق هجرة مضر وربيعة من نجد، إلا أن هنالك من يُحاول أن يشكك في صحة تلك الهجرة الجماعية، دون دلائل ملموسة أو يستند على مصادر تاريخية معروفة، زاعمًا أن قبيلتي ربيعة ومضر لم ترحلا بالكامل، بل رحل جزء بسيط منهما، وبقي القسم الأكبر مُرابطًا في نجد، دون الاعتماد على أي مصدر تاريخي رصين من تلك الحقبة يُفند ما ذكره المؤرخون العرب، بل وذهبوا بعيدًا فجعلوا من قبائل ربيعة ومضر مُناصرين وداعمين للأخيضريين، وهو ما تنفيه كل الأخبار والوقائع والنتائج، إلا أن المؤكد أن هُنالك سُكان جُدد قد حلوا بدلاً من قبائل ربيعة ومضر، والثابت أنهم كانوا أقوام قحطانية يمانية.

وقطعًا بقي هنالك بويتات صغيرة وأثيرة تُعد على الأصابع سواء كانت تلك الأسر المُتبقية من مضر أو ربيعة، ربما تكون قد تخلفت عن الركب وانزوت في قرى معزولة وواحات نائية على أطراف نجد، إما حرصًا على ما لديهم من رزق أو خوفًا من البطش والتنكيل، وقد يكون أولئك المُتخلفون عن الركب انضووا تحت حماية قبائل أخرى، أو انعزلوا في بيئات ومناطق صغيرة متقوقعين على أنفسهم، ولكن ليس لدينا مصادر تاريخية تؤكد أو تثبت هذا الرأي.

---

۞ كتاب: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب
تأليف: أحمد بن علي المعروف باسم تقي الدين المقريزي.

والحقيقة أن هذا الأمر يحتاج لمزيد من البحث الموسع والدراسة المُستفيضة ويتطلب النبش والتنقيب في المصادر التاريخية لتلك الحقبة، وهو جهد مُضني يحتاج لإمكانات دولة وليس إمكانات متواضعة لأشخاص كجهود العبد الفقير، ولكن ما يهمني هنا هو أنني قد أشرت ونبهت إلى تلك القضية الهامة، وهي فرصة سانحة لبعض مراكز البحوث والدراسات الرسمية أن تباشر في البحث والتنقيب عن تلك الحقيقة التاريخية المُغيبة.

## ▪ الخضرمة والأخيضر في تاريخ وثقافة العراقيين :

من يسمع اسم الخضرمة لأول وهلة يعتقد أن لها علاقة بتعويذة العراقيين القدماء الشهيرة بـ"خضرمة الأعين السبعة" والخاصة بطرد الشر ورد الحسد ذات اللون الأزرق اللازوردي، والتي توارثها العراقيون عبر حضارات وادي الرافدين المُتتابعة، وربما يعتقد البعض الآخر أن اسم "خضرمة اليمامة" هو اسم طارئ من بنات أفكار محمد الأخيضر الذي أقام الدولة الأخيضرية في جو اليمامة، وأنهُ هو من أطلق اسم الخضرمة على عاصمته الزيدية المذهب، لكن الواقع يقول إن قلعة الخضرمة قديمة جدًا وقد سبقت وصول الأخيضريين إلى حكم اليمامة، فقد جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري أن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، قد منح أرض الخضرمة إلى ـ مجاعة بن مرارة بن سلمى اليمامي ـ، حيث يقول البلاذري في كتابه :

« وحدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا الحارث بن مرة الحنفي، عن هشام بن إسماعيل أن مجاعة اليمامى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا : "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب كتبه محمد رسول الله لمجاعة بن مرارة بن سلمى. إنى أقطعتك الغورة، وغرابة، والحبل، فمن حاجك فإلى" الغورة قرية الغرابات تلت قارات. قال : ثم وفد بعد ما قبض النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر فأقطعه الخضرمة. ثم قدم على عمر فأقطعه الريا. ثم قدم على عثمان فأقطعه قطيعة ـ قال الحارث:ـ لا أحفظ اسمها. وحدثنا القاسم بن سلام قال : حدثنا أبو أيوب الدمشقي عن سعدان بن يحيى عن صدقة بن أبي عمران عن أبى إسحاق الهمداني، عن عدى بن حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع فرات بن حيان العجلى أرضا باليمامة». ۞

---

۞ كتاب : فتوح البلدان \ تأليف : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ ـ ج ١

والخضارم على وزن الحضارم هم جمع لاسم خضرمة وهي حجر كريم أخضر أو أزرق مُخضر من الكوارتز ومع أن اسم الخضرمة يُعتبر غريبًا نوعًا ما كلفظ شاذ وغير مُتداول، ولكن ربما يكون له علاقة بالأحجار الكريمة وصناعة الفخار والخرز الأزرق والمُخضر والزمرد والعقيق الأخضر الذي يُجلب عادةً من اليمن، والذي يُصدر ويباع في العراق والشام، وربما بسبب الطلب على هذا النوع من الأحجار طغى عليه اسم الخضارم والخضرمة السائدة في العراق.

ولكن لا يُعرف تحديدًا هل هنالك علاقة بين مُسمى الخضرمة التي أصبحت عاصمة الأخيضريين والتي دامت فترتها قرابة الـ ٢٥٠ سنة، حيث بدأت في عام ٢٥٢هـ واستمرت حتى أواخر القرن الخامس الهجري، وبين معنى الخضرمة في ثقافة العراقيين القديمة التي ترمز إلى تلك التعاويذ الفخارية الزرقاء الشهيرة التي يتكون بعضها من سبعة عيون ذات اللون السماوي وأحيانًا اللون الأزرق القريب من اللون الأخضر، تلك التعويذة الرائجة التي يعتقد العراقيون أنها مُضادة للعين ورادعة للحسد حسب مُعتقداتهم القديمة.



- الخضرمة (ايقونة طرد الحسد) عند أهل العراق -

وعن بداية الأخيضريين واتخاذهم للخضرمة عاصمة لهم، يخبرنا ابن خلدون أن محمد الأخيضر كان قد هرب من الحجاز إلى اليمامة وملكها، ثم اتخذ قلعة الخضرمة عاصمة له، حيث يقول : (وولي مكانه أخوه محمد الأخيضر، وكان أسن منه بعشرين سنة، ونهض إلى اليمامة فملكها واتخذ قلعة الخضرمية).

ويعتقد شيعة العراق كثيرًا بفعالية تلك الخضرمة، فتجدهم يضعونها على بوابات وجدران منازلهم وعلى خلفية وداخل سياراتهم، وتطورت الخضرمة من شكلها القديم في العراق إلى أن أضافوا إليها رسمة الكف التي تحوي العين الزرقاء في وسطها، والتي ترمز برأيهم إلى كف العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وقد يكون الأخيضريين هم أيضًا آمنوا بتلك التعويذة الزرقاء المُخضرة، كونهم كانوا من غلاة الشيعة وأيضًا كونهم قدموا من العراق وهم يحملون ثقافة أهل البلد الذي عاشوا فيه، وقد عثر أخيرًا على بقايا جرار وقطع مكسرة من الفخار في آثار وأطلال الخضرمة عاصمة الأخيضريين القديمة، وكان لون بعض قطع الفخار مُخضرًا.



ـ تطور نماذج الخضرمة الطاردة للحسد لدى العراقيين ـ

**وقد تفاوتت ألوان الخضارم من اللون الأزرق الفاتح إلى اللون الأزرق الغامق حتى أصبحت تميل إلى اللون الأخضر في العهود القريبة ربما إيمانًا براية العلويين الخضراء.**

**حيث يعتقد العراقيون منذ القدم أن تعويذة الخضرمة الزرقاء ذات السبعة أعين التي يضعونها على واجهات البيوت هي حامية لهم من شر الجن وأعين الحُسَّاد، حيث يعود تاريخ تلك التعويذة القديمة إلى أيام البابليين القدماء، فقد كانوا يعتقدون أن الأرواح الشريرة أو الإشعاع المُنبعث من العين الحاسدة عندما يتشتت ينقسم إلى سبعة أقسام وحينها يفقد قابليته على الإيذاء حسب زعمهم، ومن هنا بدأ البابليون بتعليق تلك التعويذة الزرقاء في كل مكان سواء في قصور الملوك أو في الساحات العامة وحتى في الشوارع!**



**وبالإضافة إلى التشابه الكبير بين موروث الخضرمة في ثقافة أهل العراق واختيار اسم الخضرمة لتلك القلعة في اليمامة التي أصبحت لاحقًا عاصمة الأخيضريين، فهنالك أيضًا توارد آخر في المُسميات يجمع الأخيضريين وقصر الأخيضر التاريخي في صحراء العراق.**

حيث يُعد قصر الأخيضر الشهير في العراق من القصور الأثرية الرائعة التي يرجعها بعض المؤرخين إلى بقايا سيطرة أسرة الأخيضريين على نجد وتوسعهم نحو بادية العراق، ويقع قصر الأخيضر جنوب بغداد على بعد ١٢٠ كيلو مترا من وادي الأبيض في غربي محافظة كربلاء، والذي لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء جنوب العراق على بعد ٢٥ ميلاً عن مدينة كربلاء، وكان قصر الأخيضر من المحطات المهمة في طريق القوافل القديمة التي تمتد بين محافظة البصرة وحلب من جهة ووادي الرافدين وبادية الشام وهضبة نجد من جهة أخرى.

ومن الجدير بالذكر أن تاريخ بناء القصر غير معروف حتى يومنا هذا، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن "الأخيضر" كان تسمية لاسم أمير أمراء كندة، وقال البعض الآخر إن هذا البناء يعود إلى إسماعيل بن يوسف الأخيضر فارتبط اسم "الأخيضر" بتلك الشخصية.

أما أول من اكتشف هذا المكان وبالصدفة في العصر الحديث فهو الرحالة الإيطالي بيترو ديلا فاله Pietro Della Vallé الذي مرَّ به وهو في طريقه من حلب إلى البصرة عام ١٦٢٥م، وبعدها مرَّ به عدد من الرحالة الفرنسيين والإنجليز أمثال تافيرنييه Tavernier في عام ١٦٣٨م، وبيويس Beawes في عام ١٧٤٥م، وروبرتس Roberts في عام ١٧٧٨م، وتايلور Taylor في عام ١٧٩٠م. ثم استكشفه ووثقه أول مرة المستشرق الفرنسي ماسينيون Massignon سنة ١٩٠٨م، ووضع أول مخطط هندسي لأطلال القصر، إلا أن رسومه جاءت مملوءة بالأخطاء. وتولت المستشرقة الإنجليزية جرترود بيل Gertrud Bell في عام ١٩١٤م، وضع مخطط شامل ودقيق لجميع تفاصيل القصر والمسجد، وقد حظي الموقع بعد ذلك بدراسة مفصلة وشاملة على يد عالم الآثار الألماني أوسكار رويتر O.Reuther ، وأخيرًا هيأ عالم الآثار البريطاني كرسويل Creswel دراسة جديدة للقصر بعد أن قصده عدة مرات في السنوات ١٩٣٠م و١٩٣٣م و١٩٣٥م و١٩٣٦م.

ويقول المُستشرق الفرنسي لويس ماسينيون إن أحد الباحثين يعتقد أن حصن الأخيضر المذكور ربما سُمي باسم إسماعيل بن يوسف الأخيضر، ويرى باحث آخر، كتب دراسة خاصة عن هذا الحصن؛ أن الحصن بني في حدود القرن الثاني الهجري وأن سبب تسميته بالأخيضر يرجع إلى أن لونه يميل إلى الخضرة وسط المنطقة الصحراوية التي يقع فيها.

أما حول نسبته إلى إسماعيل بن يوسف بن الأخيضر فإذا ثبتت تلك العلاقة الاسمية فعلاً بين ابن الأخيضر هذا والحصن، فلا يمكن أن يكون الحصن من بناء الشخص المذكور، لأن القصر أقدم من عهده بكثير، ومن المُحتمل أن الحصن كان موجودًا أصلاً ولكن إسماعيل الأخيضر ربما قام بترميمه وأتخذه كقلعة مُتقدمة حصينة على جهة العراق، كما اتخذ الأخيضريون من قبل قلعة الخضرمة الحصينة كعاصمة لهم، بينما هي موجودة قبل وصول الأخيضريين إلى اليمامة بزمن طويل. الجدير بالذكر أن إسماعيل بن يوسف كان قد توفي في سنة ٢٥٢هـ، بعد أن أصيب بالجدري وكان عمره عند وفاته اثنتين وعشرين سنة ولم يكن له عقب.



ـ بقايا أطلال قصر الأخيضر التاريخي قرب مدينة كربلاء في العراق ـ

• **العلاقة بين الأخيضريين والخضيرية :**

**هنالك من ربط بين حُكَّام الخضرمة من الأخيضريين الذين استولوا على اليمامة وأقاموا لهم دولة خارجة عن سلطة الخلافة الإسلامية، وبين من يسمون حاليًا بالخضيرية في "السعودية"، وزعم أن من يُطلق عليهم الآن "الخضيريين" ما هم إلا أحفادًا لـ بني الأخيضر المذكورين الذين سبق وأن حكموا اليمامة وكانت عاصمتهم الخضرمة. وتلك النظرية أو الفرضية الاسمية ضعيفة جدًا ولا تصح لأن حُكَّام الأخيضريين قد بادوا وهم أفراد لأسرة واحدة معروفة، وليسوا جماعات وأقوام كُثر، فالأخيضريون هم أبناء محمد الأخيضر، وأبناؤه هم كل من يوسف وعبد الله وإبراهيم، وقد تولى يوسف بعد محمد الأخيضر، ثم خلفه ولده إسماعيل، ولما توفي إسماعيل تولى الحكم بعده أخوه الحسن، ثم تولى أحمد بن الحسن الحكم من بعد أبيه، واستمر أحمد بن الحسن حاكمًا على اليمامة حتى قضى عليه القرامطة قضاءً مبرمًا، وانتهى أمر الأخيضريين لغير رجعة، وقد اضمحلوا نهائيًا.**

**ويخبرنا ابن خلدون في تاريخه عن اليمامة، فيقول إن طولها عشرون مرحلة، وهي على بعد أربعة أيام من مكة، بلاد نخل وزرع وقاعدتها تُدعى حَجر بالفتح، وبها بلد اسمه اليمامة ويسمى أيضًا جو باسم الزرقاء، وكانت مقرًا للملوك قبل بني حنيفة، وقد اتخذ بنو حنيفة بعدها بلد حجر كمقر لهم، وبقي كذلك في الإسلام، وعن تاريخ دولة بني الأخيصر، يقول ابن خلدون :**
**«الخبر عن دولة بني الأخيضر باليمامة من بني حسن: كان موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن السبط لما اختفى أخواه محمد وإبراهيم طالبه أبو جعفر المنصور بإحضارهما فضمن له ذلك. ثم اختفى وعثر عليه المنصور فضربه ألف سوط فلما قُتل أخوه محمد المهدي بالمدينة اختفى موسى الجون إلى أن هلك وكان من عقبه إسماعيل وأخوه محمد الأخيضر ابنا يوسف بن إبراهيم بن موسى فخرج إسماعيل في أعراب الحجاز وتسمى**

السفاك سنة إحدى وخمسين ومائتين. ثم قصد مكة فهرب عاملها جعفر بسباسات وانتهب منزله ومنازل أصحاب السلطان وقتل جماعة من الجند وأهل مكة وأخذ ما كان حمل للإصلاح من المال وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وأخذ كسوة الكعبة وأخذ من الناس نحوًا من مائتي ألف دينار. ثم نهبها وأحرق بعضها بعضًا وأقام في ذلك خمسين يومًا. ثم سار إلى المدينة فتوارى عاملها وحاصرها حتى مات أهلها جوعًا ولم يصل أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل عساكر المعتز إلى المدينة فأفرج عنها ورجع إلى مكة وحاصرها حتى جهدها الحصار ورحل بعد مقامه شهرين إلى جدة فأخذ أموال التجار ونهب ما في مراكبهم ورجع إلى مكة وقد وصل إليها محمد بن عيسى بن المنصور وعيسى بن محمد المخزومي بعثهما المعتز لقتاله فتواقعوا بعرفة واقتتلوا وقتل من الحاج نحو ألف وسلبوا الناس وهربوا إلى مكة وبطل الموقف إسماعيل وأصحابه وخطب لنفسه ثم رجع إلى جدة واستباحوها ثانية. ثم هلك لسنة من خروجه. بالجدري أخر سنة اثنتين وخمسين أيام حرب المستعين والمعتز. وكان يتردد بالحجاز منذ اثنتين وعشرين سنة ومات ولم يعقب وولي مكانه أخوه محمد الأخيضر وكان أسن منه بعشرين سنة ونهض إلى اليمامة فملكها واتخذ قلعة الخضرمية وكان له من الولد محمد وإبراهيم وعبد الله ويوسف وهلك فولي بعده ابنه يوسف وأشرك ابنه إسماعيل معه في الأمر مدة حياته. ثم هلك وانفرد إسماعيل بملك اليمامة وكان له من الإخوة الحسن وصالح ومحمد بنو يوسف. فلما هلك إسماعيل ولي من بعده أخوه الحسن وبعده ابنه أحمد بن الحسن. ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة وانقرض أمرهم والبقاء لله. وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح ذكرهم صاحب كتاب زجار في الجغرافيا. ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه. وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقب أبا الكرام ابن موسى الجون وإنه خرج أيام المأمون بخراسان

وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة. ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحًا هذا بهذا النسب ولعله صالح الذي ذكرناه آنفآ في ولد يوسف بن محمد الأخيضر والله أعلم».۞

وشخصيًا رجعت إلى بعض المعاجم العربية القديمة التي تفسر معنى الأعلام والمُسميات، ووجدت أن ابن منظور صاحب معجم لسان العرب يذكر لنا عن معنى الخضيري، فيقول : « ويقال للأسود أَخْضَرُ. والخُضْرُ: قبيلة من العرب، سموا بذلك لخُضْرَةِ ألوانهم؛ وإياهم عنى الشماخ بقوله:

وحَلاَّهــا عــن ذي الأَراكَــةِ عــامِرٌ　　　أَخُــو الخُــضْرِ يَرْمــي حيــثُ تُكْــوَى النَّــواحِزُ

والخُضْرَةُ في ألوان الناس هي السُّمْرَةُ؛ قال اللَّهَبيُّ :

وأَنــا الأَخْــضَرُ، مــن يَعْــرِفُني؟　　　أَخْــضَرُ الجِلْــدَةِ في بيــتِ العَــرَبْ

يقول : أنا خالص لأن ألوان العرب السمرة؛ التهذيب: في هذا البيت قولان: أحدهما أنه أراد أسود الجلدة؛ قال: قاله أبو طالب النحوي، وقيل: أراد أنه من خالص العرب وصميمهم لأن الغالب على ألوان العرب الأُدْمَةُ؛ قال ابن بري: نسب الجوهري هذا البيت للهبي، وهو الفضل بن العباس بن عُتْبَة بن أبي لَهَبٍ، وأراد بالخضرة سمرة لونه، وإنما يريد بذلك خلوص نسبه وأنه عربي محض، لأن العرب تصف ألوانها بالسواد وتصف ألوان العجم بالحمرة. وفي الحديث: بُعثت إلى الحُمرة والأسود؛ وهذا المعنى بعينه هو الذي أراده مسكين الدارمي في قوله :

أَنــا مِــسْكِينٌ لِمــن يَعْــرِفُني　　　لَــوْنِيَ الــسُّمْرَةُ أَلــوانُ العَــرَبْ

ومثله قول مَعْبَدِ بن أَخْضَرَ، وكان ينسب إلى أَخْضَرَ، ولم يكن أباه بل كان زوج أُمه، وإنما هو معبد بن علقمة المازني :

---

۞ كتاب: تاريخ ابن خلدون\ تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الشهير بابن خلدون.

سَـــأَحْمِي حِمـــاءَ الأَخْـــضَرِيِّينَ إِنَّـــهُ أبـى النـاسُ إلا أن يقولـوا ابـن أَخْـضَرا
وهـل لِـيَ في الحُمْـرِ الأَعـاجِمِ نِـسْبَةٌ فـآنَفَ ممـا يَزْعُمُـونَ وأُنْكِـرا؟

وقد نحا هذا النحو أبو نواس في هجائه الرقاشي وكونه دَعِيًّا:

قلـتُ يومًـا للرَّقاشِـيِّ وقـد سَـبَّ المـوالي:
مـا الـذي نَحَّـاكَ عـن أَصْـ ـلِكَ مـن عَـمٍّ وخـالِ؟
قـال لـي: قـد كنـتُ مَـوْلًى زَمَنًـا ثـم بَـدَا لـي..
أَنـا بالبَـصْرَةِ مَـوْلًى عَرَبِـيٌّ بالجبـالِ
أَنـا حَقًّـا أَدَّعِـيهِمْ بِـسَوادِي وهُزالـي

والعرب تطلق الخضرة على السواد. وفي حديث الحرث بن الحَكَمِ : أنه تزوج امرأة فرآها خَضْراءَ فطلقها أي سوداء. والعرب تجعل الحديد أخضر والسماء خضراء؛ يقال: فلان أَخْضَرُ القفا، يعنون أنه ولدته سوداء. ويقولون للحائك : أَخْضَرُ البطن لأن بطنه يلزق بخشبته فَتُسَوِّدُه. ويقال للذي يأكل البصل والكراث : أَخْضَرُ النَّواجِذِ. وخُضْرُ غَسَّانَ وخُضْرُ مُحاربٍ : يريدون سَوَادَ لَونهم». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعليه فأظن أن هؤلاء الخضيرية هم أتباع وموالون لبنيّ الأخيضر، وليسوا من نفس أسرة الأخيضر، لأن بعد زوال الدولة الأخيضرية بقي هؤلاء بأعداد كبيرة مستوطنين في نجد وأصبحوا هم السكان المُقيمين الدائمين والراسخين في المكان، فأصبحوا هم أهل الديار الأقدم بعد رحيل أصحاب البلاد الأصليين من مضر وربيعة، وأغلب الخضيرية الحاليين؛ ولا أقول كلهم؛ هم بقايا أولئك الأرقاء الذين أرسلوا للعمل في اليمامة في عهد مُعاوية بن أبي سفيان ومن جاء من بعده، حيث تحولت اليمامة لاحقًا لأشهر سوق للنخاسة في بلاد العرب

---

۞ كتاب : لسان العرب \ تأليف : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي.

وقسم آخر من الخضيريين الحاليين هم بقايا العبيد الأفارقة الذين كانوا يُباعون ويُشترون في السابق، وقد تصاهر أولئك الأرقاء مع بعضهم البعض فخلفوا جيلاً ملونًا من السُكان، وأصبحوا يسمون بالخضيرية.

وهؤلاء الأرقاء كانوا في بداية الأمر عند جلبهم إلى اليمامة موالون لسلطان دولة الخلافة في الشام رغمًا عنهم، لأنهم مُجرد سبايا وأرقاء ولأن الدولة هي من تملك أمرهم وكون الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان هو أول من أمر بإرسالهم إلى الخرج ليعملوا في زراعة أراضي اليمامة وفي مهنة التعدين، وقد وطنهم في الخرج وقرى أخرى في نجد، ولهذا فهم كانوا محسوبين على خلافة بني أمية كسبايا وأتباع، ثم جاءت خلافة بني العباس فحوَّلوا ولاءهم لها بحكم الموالاة لمن يملك أمرهم، ولكن سرعان ما بدأت تضعف سلطة خلافة بني العباس على نجد ثم تلاشت بعد أن قويت شوكة الأخيضريين وانفصال إمارتهم في اليمامة عن دولة الخلافة الإسلامية، وما لبث هؤلاء الموالي المُستعبدون أن غيَّروا ولاءهم فشايعوا الحكام الجُدد من الأخيضريين بعد أن استقل هؤلاء بحكم اليمامة عن سلطة الخلافة في العراق، فأصبحوا موالي وأتباع للأخيضريين.

ولهذا يعتقد أغلب الباحثين والمُهتمين بتاريخ نجد أن أولئك الأرقاء هم أول من حمل اسمًا غير أسماء أسرهم في نجد كونهم كانوا أصلاً من السبايا المماليك والجواري، فكانت السابقة الأولى في جزيرة العرب أن تنتسب جماعات كبيرة وبأعداد هائلة لاسم عائلة حاكمة هم ليسوا من صلبها أصلاً.

وربما بسبب انتمائهم ومُشايعتهم لأسرة الأخيضريين الحاكمة، فقد دفعوا الثمن غاليًا لاحقًا، وذلك بعد زوال حكم تلك الأسرة المُتجبرة الظالمة على يد القرامطة، فزال حكم الأخيضريين وتلاشى سريعًا وجودهم وبقي هؤلاء الموالي مُهمشين ومُجردين من الحماية والدعم فبقوا لوحدهم في المنطقة، ولأنهم حملوا اسم تلك الأسرة الطاغية الجائرة فقد تحملوا لوحدهم إثم وتبعات

أولئك الحكام الطغاة الذين حكموا اليمامة لفترة ليست بالقصيرة، مع أن هؤلاء الأرقاء لم يكن لهم أي سلطة فعلية أو أي قرار سياسي نافذ، ولكن كونهم والوا وشايعوا الأخيضريين ومن ثم حملوا اسم الأسرة الحاكمة فتحملوا المسؤولية وأصابتهم الذلة وتعرضوا إلى نظرة احتقار من قبل بقايا القبائل العربية المتفرقة في نجد، وكذلك تمَّ ازدراؤهم من قبل بقية السكان الجُدد الذي استوطنوا في العارض، ولهذا ربما يكونوا قد حملوا لاحقًا مُسمى "الخضيرية"، كنوع من الاحتقار والتشفي بهم من قبل السكان وكذلك من قبل حُكَّام المناطق الجدد، وربما أطلق عليهم مُسمى الخضيرية، فحمل الشخص منهم بعد زوال حكم الأخيضريين اسم "الخضيري" لأن بسطاء العامة لا يلفظون الأسماء الصعبة بصورة صحيحة، وبدلاً من أن يقولوا الأخيضري قالوا الخضيري.

تلك فرضية لا يُمكن الجزم بصحتها تمامًا، ولكن هنالك من يعتقد بها ويتحمس لها كثيرًا بسبب تشابه المُسميات، وإذا صدقت تلك الفرضية المزعومة، فهذا يعني أن هنالك سابقة قديمة في الانتساب لغير الأب ولغير الأهل والقبيلة في نجد سبقت إطلاق مُسمى السعوديين المُستحدثة على أبناء الجزيرة العربية، تلك التسمية المسخ التي كانت وليدة من بنات أفكار ضابط الاستخبارات البريطاني جون فيلبي، ولا يُستبعد أن يكون جون فيلبي هذا، قد اطلع على تاريخ نجد وعرف مزاج وسيكولوجية السكان الجُدد للعارض، كونه كان مُطلعًا وباحثًا في تاريخ المنطقة.

إذن وحسب رأي أصحاب تلك النظرية الأخيضرية، فإن فئة الخضيرية الحاليين ما هم إلا أحفاد لموالي بني الأخيضر الحكام البائدين، أي أنهم كانوا أحفادًا لأولئك المستوطنين أو نزلاء اليمامة، وقد سبق لهم وأن حملوا مُسمى الحُكَّام السابقين، وهم مُجرد موالي وأتباع للأخيضريين، ولأنهم كانوا عبارة عن سبايا ومماليك من شرائح العبيد والجواري الأرقَّاء، فقد تعودوا على موالاة من يملك أمرهم فأُطلق عليهم الخضيرية.

وشخصيًا أجزم أنهُ سيأتي يوم؛ وهو ليس ببعيد؛ وسيزول آل سعود لأي سبب كان، وحينها سينتزع أبناء الحرمين الشريفين كرامتهم وينالوا حريتهم، وسيلحق العار والشنار بأتباع وموالي آل سعود ممن يتنطعون ويفتخرون الآن وبكل صلافة بأنهم "سعوديون" وحينها سينالهم نفس القدر من الذل والهوان والاحتقار الذي لحق بموالي الأخيضريين، وسينفر منهم الناس وينبذهم المُجتمع ويُعيرهم الجميع بمُسمى "السعوديين"، وربما سيتحور المُسمى لاحقًا كما حصل مع الأخيضريين، فيُطلق على موالي آل سعود لقب "السعادين" بدلاً من السعوديين، حسب ظروف ومفاهيم الزمان القادم.
وأنا أتحمل مسؤولية كلامي هذا أمام القراء، والأيام بيننا.

إذن في حال صدقت تلك الفرضية أو نظرية التبعية لبني الأخيضر، فإن مُصطلح أو مُسمى الخضيري أو الخضريين يعني أن هؤلاء القوم الحاليين هم أحفاد أولئك الموالي الذين جلبوا من بلاد الشام إلى اليمامة، كأرقاء واستقروا لاحقًا في اليمامة بعد أن هجرها سكانها الأصليون.

وعليه فإذا كان النظام السعودي وبعض مؤيديه قد استحدثوا مُصطلحًا عنصريًا أطلقوه على فئة من شرائح المُجتمع، أطلق عليهم مُسمى (طرش بحر) أي أنهم يطلقون مُصطلح مواطن غير أصيل على أولئك الذين جاء أجدادهم من قارة آسيا عن طريق البحر للحج ثم استقروا في الحجاز، إذن فمن خلال ما ورد ذكره فقد أصبح لدينا مُصطلح جديد يُسمى بـ(طرش البر) يوازي مُصطلح طرش البحر، وهؤلاء هم بقايا السبي الأموي، ممن أرسلهم معاوية بن أبي سفيان من الشام برًا لإحياء أراضي اليمامة في زمن خلافته، وكثير من أولئك الذين جلبوا إلى اليمامة قد تنجدوا واندمجوا.

وسأضرب مثالاً عابرًا أورده المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان، في كتابه "مصر في القرن التاسع عشر" حيث ذكر أن قوات إبراهيم باشا عند دخولها إلى بلدة شقراء في عام ١٨١٨م، عثروا في نفس البلدة على فتاة صهباء،

وقد استغربوا كثيرًا ما الذي جاء بتلك الفتاة الشقراء في هذا المكان النائي، ومن الذي جلب تلك البنت البيضاء في هذا المُجتمع النجدي المعزول، وأرجع الجنود المصريين سبب وجودها حسب رأيهم، ربما أنها كانت ابنة لأحد الحجاج الفرس المارين عبر نجد كون المنطقة كانت ممرًا لقوافل الحجيج القادمة من إيران والعراق، وربما والدها قد أضاعها في هذا المكان، حيث يقول إدوارد جوان :

« ومن مزايا شقراء عدا ما تقدم أنها قاعدة إقليم الوشم، وأنها قائمة في وسط سهل من الأرض لا يبعد عن المدينة بأكثر من ١١٢ كيلومترًا وأنها خط الاتصالات بالجهات الغربية التي يمر منها الطريق بين الرس والدرعية، ثم أن جبال طويق تحيط بها من جميع الجهات، ولها تجارة رائجة في الماشية والأصواف والسجاجيد مع دمشق وبغداد والبصرة، وفيها مساجد عديدة وشوارع عريضة وتحِف بها من الجانبين أشجار باسقة، دع ما أمتاز به رجالها من النشاط وكرم المثوى، ونساؤها من الجمال والعفاف، وطقسها من الاعتدال، وأخلاق أهلها من الدعة والسكون. ولتوفر هذه المزايا فيهم نجد أنهم يعمرون طويلاً، فلقد رأى المصريون بها امرأة في السابعة عشر بعد المائة من عمرها، لم تفقد شيئًا من شعرها ولا من جودة صحتها وحسن نطقها وعذوبة لفظها، واستوقفهم مرة منظر فتاة في الثانية عشرة من عمرها صهباء شعر الرأس (شقراء)، كالفتاة الإنجليزية، وقد رجحوا أن تكون فارسية الأصل من فارس الشمالية، وأن أباها تركها في هذا المكان أثناء الحج». ۞ - انتهى الاقتباس -

وربما فات على الجيش المصري أن نجدًا قد حوت ٤ آلاف أسرة أعجمية من الأرقاء، كان جلهم من الفرس والترك، وقد استوطنوا اليمامة مُنذ أكثر من ألف عام لتاريخ دخول المصريين شقراء.

---

۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية. \ تأليف: إدوارد جوان.

وعليه فقد أصبح مُسلمًا به أن أغلب القبائل القاطنة بمنطقة نجد في الوقت الحاضر هم يشكلون امتدادًا سكانيًا للقبائل اليمانية، فمنهم من هاجر إلى نجد قبل الإسلام، والبعض الآخر قدم إلى نجد قبل عدة قرون، وكانت الهجرات اليمنية نحو نجد والحجاز كانت مُتعددة ومتفاوتة ومختلفة الأسباب والأهداف، فأحيانًا يتم التدخل اليمني بطلب من أبناء المنطقة أنفسهم؛ كما حصل في صراع قبيلتي طسم وجديس، وأحيانًا تنزح قبيلة يمنية بأكملها نحو الشمال إما سعيًا وراء الماء والكلأ أو بسبب هزيمة لحقت بها، أو يُجلى البعض عنوةً عن ديارهم بسبب عوامل الثأر والدم، أو أحيانًا بدافع الأطماع وحب السيطرة على الأراضي والمراعي. وأما الهجرات الفردية فتختلف أسبابها وظروفها من شخص لآخر، إلا أن أغلب الهجرات الفردية كانت لغرض التجارة وكسب الرزق أو للإقامة بالقرب من الحرمين الشريفين.

وبسبب ذلك التواصل الحضاري والتلاقح العشائري والأسري القديم بين أهل اليمن وأهل نجد والحجاز فإن أهل نجد والحجاز يُعتبرون هم من أقرب شعوب المنطقة شبهًا إلى أشكال وسحن أهل اليمن سواء في تقاسيم معالم الوجوه، بل وحتى مسألة البنية الجسمانية كالقصر في القامة مثلاً، حيث تتشابه سحنتهم السمراء الحنطية وأحيانًا المُصفرة، وتتوافق ملامحهم كثيرًا مع صفات وأشكال اليمنيين. وهذا ليس غريبًا ولا خارقًا للعادة لأن أغلب قبائل العرب في الأصل كان مصدرها اليمن، فاليمن كانت هي الرافد والمنبع لتلك القبائل العربية العريقة عبر العصور، ناهيك عن التلاقح والتزاوج الحاصل عبر العصور بين أبناء اليمن وأبناء نجد والحجاز، وهو ما جعل الزائر الأجنبي لمنطقة شبه جزيرة العرب لا يُميز بين شعوب المنطقة بسبب تشابه أشكالهم وتقارب العنصر الوراثي بينهم.

ولدينا عدة مصادر تاريخية قديمة توثق وتؤكد يمنية أغلب القبائل العربية الكبيرة الموجودة حاليًا في بلاد الحرمين وفي إقليمي نجد الحجاز، وإن تبرؤا أو تنصلوا من أبناء جلدتهم فهو بدافع التفاوت المادي والطبقي ليس أكثر، بل

بالعكس فلو كان يفقه هؤلاء المُتعالون على أبناء جلدتهم لعرفوا أن الانتساب إلى اليمن يؤكد أصالة تلك القبائل العربية ولا ينتقص منها، لأن أرض اليمن هي منبع قبائل العرب، فعلى سبيل المثال يذكر لنا ابن حوقل في كتابه "صور الأرض"، وكذلك الاصطخري في كتابه "المسالك والممالك" يمنية قبيلة حرب المعروفة في نجد والحجاز، ومن خلال ما أوردوه من أخبار يثبتوا مرجعيتها إلى أرض اليمن السعيد، حيث يقولان: «و"ينبع" حصن بها نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتولاها أولاده؛ وبقرب ينبع جبل رضوي، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية، ورأيته من ينبع كخضرة البقل، وزعم بعض أصحابنا أنهُ طاف في شعابه وفيها ماء كثير وأشجار، وهو الجبل الذي زعم طائفة الكيسانية، أن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب حيًا مقيمًا به، ومنه يُحمل حجارة المسن إلى سائر الآفاق، وفيما بينه وبين ديار جهينة وبلي وساحل البحر ديار للحسنيين، يسكنونها ببيوت الشعر نحو سبعمائة بيت وهم بادية كالأعراب، ينتجعون المراعي والمياه بزي كزي الأعراب، لا تميز بينهم في خَلقٍ ولا خُلقٍ، وتتصل ديارهم فيما يلي المشرق بوادي ودان؛ وهو من الجحفة على مرحلة، وبينهم وبين الأبواء التي على طريق الحاج في غربيها ستة أميال، وبها رئيس الجعفريين، من ولد جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع، وبينهم وبين الحسن ابن علي ابن أبي طالب عليهما السلام حروب ودماء، حتى لقد استولت طائفة من اليمن يُعرفون ببني حربٍ على ضياعهم، وصاروا حزبًا لهم وألبًا عليهم وقد ضعفوا بخلافهم». ۞ -انتهى الاقتباس-

وكذلك عن ذكر الأصول اليمانية لقبيلة الدواسر صاحبة الوادي المعروف، هو ما ذكره لنا ابن فضل الله العمري؛ وهو من أهل القرن الثامن؛ في كتابه الموسوم بـ " التعريف بالمصطلح الشريف " ، حيث ذكر أن السلطان محمد بن

---

۞ كتاب : صورة الأرض \ تأليف : محمد أبو القاسم ابن حوقل.

قلاوون، سلطان مصر سبق وأن كاتب قبيلتين من عرب اليمن وهما قبيلة الدواسر وزُبيد، بشأن رغبته في شراء خيل أصيلة ذكرت لديهم، حيث يقول في كتابه :

«وأما اليمن فقد كانت كُتُب أمراء الأشراف وردت على حضرة السلطان، ولا يحضرني الآن أسماؤهم، وإنما كُتب إليهم نسبة هذه المُكاتبة إلا المنسوب إلى قُربى الإمام، فكتب إليهم بـ "السامي" بالياء، وأما الإمام فقد تقدم ذكره. وممن يُكاتب من عرب اليمن: (قبيلتا) الدَواسر وزُبيد. كان ذلك إلى رجالٍ منهم بسبب خيل (أصيلة) تُسمى للسلطان عندهم، وكُنا نكتب إليهم على قدر ما يظهر لنا بالاستخبار عن مكانة الرجل منهم. وكلها ما بين المجلس السامي الأمير وما بين مجلس الأمير ليس إلا ». ۞ -انتهى الاقتباس-

وقبيلة الدواسر بطون وأفخاذ كثيرة تفرقت في البلدان العربية، فكثير منهم بعُمان والبحرين والعراق ونجد، وديارهم وادي الدواسر والأفلاج وهم حاضرة وبادية.

أما صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" شمس الدين الشامي المقدسي، فيورد لنا من ضمن مخاليف اليمن (المخلاف في لهجة أهل اليمن هي الكورة أو المديرية أو المحافظة)، "مخلاف يام" ويام هي قبيلة عربية من قبيلة حاشد من همدان اليمن، والتي تجمع في بطنها كل من قبيلة العجمان وآل مرة وجميع قبائل نجران، وكل تلك القبائل الحالية قد استوطنت في نجد والحجاز وموطنها الأصلي منطقة نجران وفي العمق اليمني، حيث يذكر لنا المقدسي الذي زار اليمن في القرن الرابع الهجري، حيث أصدر كتابه سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، حيث يقول : « واعلم أن اليمن موضع واسع، قد أقمت به حولاً كاملاً، ودخلت هذه البلدان التي وصفت وغاب عني منه الكثير ، غير أني

---

۞ كتاب : التعريف بالمُصطلح الشريف\ تأليف:القاضي ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى٧٠٠هـ - ٧٤٩هـ

أذكر ما سمعت فيه من أهل الخبرة واستوعب مخاليفه وإن لم أطأ الجميع، لأنه بلد يميز بالمخاليف، وأذكر وضع جزيرة العرب وتمثيلها بوصف يقف عليه كل أحد إن شاء الله تعالى. ومن مخاليف اليمن: مخلاف صنعاء والخشب ورحابة ومرمل مخلاف البون مخلاف خيوان. وعلى يمين صنعاء: مخلاف شاكر ووادعة ويام وأرحب. ومن نحو الطائف مخلاف نجران وتربة والهجيرة وكثبة وجرش والسراة مخلاف بتهامة ضنكان عشم بيشة عك ومخلاف الحردة مخلاف همدان مخلاف جوف همدان مخلاف جوف مراد مخلاف شنوءه وصدى وجعفى مخلاف الجسرة مخلاف المشرق وبوشان وغدر مخلاف أعلا وانعم والمصنعتين وبني غطيف وقرية مأرب ومخلاف حضرموت مخلاف خولان رداع مخلاف أحور مخلاف الحقل وذمار مخلاف ابن عامر وثات ورداع مخلاف دثينة مخلاف السرو مخلاف رعين وكحلان مخلاف ضنكان وذبحان مخلاف نافع ومصحى مخلاف حجر وبدر وأخلة والصهيب مخلاف الثجة والمزرع مخلاف ذي مكارم والأملوك مخلاف السلف والأدم مخلاف نجلان ونهب مخلاف الجند مخلاف السكاسك. ومن نحو المعافر: مخلاف الزيادي نحلاف المعافر مخلاف بني مجيد مخلاف الركب مخلاف سقف مخلاف المذيخرة مخلاف حمل وشرعب مخلاف عنة وعنابة. ومن الوجه الآخر: مخلاف وحاظة مخلاف سفل يحصب مخلاف القفاعة والوزيرة والحجر مخلاف زبيد وبازائه ساحل غلافقة وساحل المندب مخلاف رمع مخلاف مقرى مخلاف ألهان مخلاف جبلان مخلاف ذي جرة مخلاف الميتم مخلاف الم. ومن ناحية ظهر صنعاء: مخلاف خولان لخلاف ميسارع مخلاف حراز وهوزن مخلاف الأخروج مخلاف مجنح مخلاف حضور مخلاف ماجن مخلاف واضع المعلل مخلاف العصبة مخلاف خناص وملحان حكم وجازان ومرسى الشرجة مخلاف حجور مخلاف قدم ويحاذي قرية مهجرة مخلاف حية والكودن مخلاف مسخ مخلاف كندة والسكون مخلاف الصدف». ۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم \ تأليف : البشاري شمس الدين محمد بن أحمد بن أبو بكر البناء الشامي المقدسي. ٣٥٦ هـ/٩٦٦م - ٣٧٥هـ/٩٨٥م.

ويذكر لنا أيضًا في العهود المُتآخرة الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي (Charles Doughty 1843-1926) عن الأصول اليمنية لقبيلة قحطان العربية الأصيلة، وداوتي هو الذي جاب جزيرة العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويُعتبر كتابه الترحال في الصحاري العربية Travels in Arabia Deserta من الكُتب المميزة التي ذكر فيها أحوال جزيرة العرب أي قبل أكثر من قرن من الزمان، حيث زار داوتي نجد في سنة ١٨٧٨م ومر على مدينة حائل التي حظي فيها بضيافة الأمير محمد بن رشيد الشهير بـ(المهاد) وقابل في مجلس أحد شيوخ قحطان المدعو حزام بن حشر، وحضر الحوار الذي دار بينه وبين الأمير محمد بن رشيد، حيث يذكر داوتي :

« أصبحت حائل الآن هي المركز لبادية الجزيرة على هذا الجانب من جبل طويق وفي محيط طريق الحج الشامي. وغالبًا ما تصل السفارات من القبائل ممن ليسوا من أتباع الأمير ابن رشيد، ولكن ممن هم مضطرين، بشكل أو بآخر، للتعامل معه. وقد لفت نظري من بين هؤلاء الأعراب الغرباء أفراد من قبيلة قحطان، تلك السلالة العريقة المنحدرة من بلاد اليمن والتي تدعى عرب الجنوب ـ مثلما يدعى الفرع الإسماعيلي من سلالة إبراهيم عرب الشمال. ويستغرب هؤلاء الرجال إذا ما سمعوا أحدًا يدعوهم بني قحطان. "هذي (كما يقولون هم) لغوة عنزه." ولقد أكدوا لي أن جد قبيلتهم هو النبي هود وكان منشؤهم في جبال الطور في منطقة عسير. ويقولون بأن إسماعين (كما يلفظونها بالنون) أخو جدهم هود. ولا يعرف هؤلاء الرجال شيئًا عن وجود قبر هود في الجنوب، وليس لديهم أي خبر عن انهيار سد مأرب (بل يرون أن هذه أشبه بحكايات العجائز : والذي على إثره تقول الأسطورة بأن العرب القدامى انتشروا في عالم الجزيرة الصغير). وأنشد لي أحدهم أهزوجة معروفة لكل قحطان منها البيت الذي يتحدث عن رمح هود الذي يشق الفضاء. وقد بادرني بعضهم سائلين "بالله عليك النصارى هم يعبدون الأصنام؟" ولا أعتقد أن هذه المفردة المأخوذة من الكتب معروفة لدى عرب الشمال.

والقحطانيون الموجودون الآن في حائل مجموعتان. لقد جاءوا برفقة الشاب حزام، شيخهم المهيب، قادمين من القصيم، تلك البلاد التي تغلغل فيها هذا الفرع من القبيلة خلال هاتين السنتين والتي تشمل في جزء منها ديرة عنزة التي هجرها ابن مجلاد بعدما أجلاهم منها عبيد بن رشيد. وعددهم مائتا بيت رحلوا من ديارهم في بلاد اليمن حيث لا تزال بقية القبيلة هناك. والآن للمرة الثانية ترسل هذه القبيلة الجنوبية التي تجوس في ديار ابن رشيد تطلب الصلح من الأمير الشمري، لكن الأمير؛ الذي لم تكن لديه الرغبة أن تقطن نجد هذه القبيلة الشموسة التي لا يؤمَن جانبها، صرفهم قائلاً لهم: أن يرعوا في المنطقة كضيوف، على ألا يرتكبوا أي عمل يندمون عليه، لكن الأمير يعتبرهم غرباء لا يأخذ منهم الزكاة ولا يحميهم ضد القبائل الأخرى. وأجاب المندوب القحطاني: "بالله عليك يا محفوظ أجل ما حنّاب حنا وايّاك عيال عم؟ ما همب الرشيد جعافرة من عبدة شمر اللي هي من عبيدة قحطان؟" لكن الأمير محمد رد بحزم "حنا ما نعرفكم، لا لغوتكم لغوتنا ولا طبعكم طبعنا. انهجوا، لا حنا منكم ولا انتم منا، وحنا لا نعينكم ولا نعين عليكم." وبحكم أنهم كانوا منبوذين لدى دولة الرياض؛ لأن خيانتهم كانت السبب وراء تصدع قوة الوهابيين القديمة، صارت قبائل نجد تتخطفهم، إضافة إلى عتيبة من الجنوب. وأصبح هؤلاء القحطانيون الدخلاء مُحاطين بالأعداء الأقوياء من كل جانب»[۞] -انتهى الاقتباس-

ولا أحد ينكر أن آل رشيد هم من فرع الخليل من آل جعفر من عبدة، ومعروف عبدة يعود نسبها إلى عبيدة قحطان، وهؤلاء القحاطين هم فعلاً أبناء عمومة لآل الرشيد، لكن مشاكلهم كانت كثيرة وحروبهم العبثية مُستمرة، وممارستهم للغزو والسلب كانت تدفع الجميع إلى مُجافاتهم والتنصل من أفعالهم وتنفر الآخرين منهم وإلى عدم التقرب منهم، ولو كان الأمير محمد بن رشيد صبورًا عليهم وبراغماتيًا لأحتضن قبيلة قحطان وقبلهم على علاتهم وحوَّلهم إلى جيش ضارب يستفيد منه في التوسع وصدّ أي اعتداء مُستقبلي على دولته ،

---

[۞] كتاب : ترحال في صحراء الجزيرة العربية \ تأليف : الرحالة الإنجليزي تشارلز مونتاغو داوتي.

لكن قبيلة قحطان؛ كما ذكر داوتي؛ كانت غير مأمونة الجانب وقد ذكر كيف خاضت لاحقًا حربًا ضارية مع القصمان وقبيلة مطير وكيف تمت هزيمتهم وتشتت شملهم وعادوا إلى ديارهم مُنكسرين.

وربما أراد ابن رشيد بقوله هذا أن يتخلص من مشاكلهم وينأى بنفسه عن حروبهم العبثية مع جيرانه، وربما فكر أن يبعدهم عن مراعي حائل والأراضي التي كانت تحت سلطته، وهذا بالقطع كان خطئًا استراتيجيًا وقع فيه أمير حائل، لأن نظرته كان ضيقة جدًا ومحدودة، وربما كانت نظرية الأمير متعب بن عبد الله آل رشيد عن "عدم ولاء البدو" هي الطاغية في حائل، مما جعل الأمير محمد يرتاب بأميرهم الشاب (الشيخ حزام بن حشر) ويُقرر أن لا يحتضن قبيلة قحطان، فخسر الطرفان لاحقًا.

حيث ينقل لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف وصفًا دقيقًا وتحليلاً لطباع وسيكولوجية البدو، ينقلها عن لسان الأمير متعب بن رشيد، وربما كانت تلك النظرة صحيحة في وقتها وهي السائدة آنذاك والتي جعلت الأمير محمد بن رشيد يرتاب في تحركات القحاطين، حيث يذكر لنا بالجريف قائلاً :

« قال لي متعب وهو يصف سلوك عباس باشا، وقوله الحق : "الرجل الذي يعتمد على مُساعدة البدو له، يشبه ذلك الذي يحتم على نفسه أن يبني له بيتًا على سطح الماء". وقد أيد الأمير متعب هذا التأكيد بأسباب جديرة بأن أسجلها هنا، نظرًا لأن هذه الأسباب وردت على لسان واحد من أولئك الذين مكنتهم خبرتهم الطويلة من تقييم الموضوعات تقييمًا سليمًا، ويستطرد الأمير، الذي أورد هنا معنى كلماته، وليست الكلمات نفسها :"البدو، لا وزن لهم في المعارك الحربية الخطيرة، بسبب افتقارهم إلى ألأسلحة والتجهيزات والنظام العسكري، علاوة على ضعفهم الكامل في المعركة المُشتركة، لأنهم ينقسمون إلى فرق وطوائف شتى بسبب صراعاتهم الصبيانية المُستمرة، والتي لا تسمح لهم بالتوحد حول أي هدف من الأهداف الحقيقية، حتى ولو لمدة شهر

واحد، البدو، علاوة على ذلك، هم مخلوقات اللحظة وحسب، البدو لا يهمهم سوى اللحظة الحالية، ولكن الأمس والغد عندهم لا شيء، والبدو ليس لهم هدف أو مبدأ وطني أو ديني، وليست بينهم روابط اجتماعية أو شعور وطني، كل واحد منهم مُنعزل على مصالحه الذاتية والخاصة، الجميع ضد الجميع، والكل أيضًا بدون هدف أو معنى، والبدو لا يهتمون بمن هم خارج عشيرتهم، أو حتى برجال قبيلتهم، إلا بقدر ما يصيبون منهم من منافع مُباشرة، أو الضرر الذي يصيبهم منهم، أصدقاء اليوم، أعداء الغد، ثم أصدقاء من جديد بعد غد، والآن، إذا كان ذلك هو حال البدو مع أبناء جلدتهم، فلابد أن يكون كذلك مع الغرباء عنهم، وسواء أكان سلطانًا، أو نائبًا أو تركيًا، أو مصريًا، أو إنجليزيًا، أو فرنسيًا، فالكل عندهم واحد، فهم لا يتعاطفون مع أي من هؤلاء، وليسوا على استعداد أن يرتبطوا بواحد أو آخر. ومحاباتهم الحقيقية والوحيدة تكون لمن يدفع أكثر، وعندما، وأنا هنا استعمل التعبير البدوي، "يكون طعامه ما يزال في بطونهم"، فمن المُمكن أن يؤدون عمله، ولكن أداء العمل هنا يكون مربوطًا باستفادتهم منه، وإلا يكون خطيرًا عليهم، وفي مثل هذا الحال قد يقر المرء أن البدو يقدمون الجمال ويحضرون الماء، أو قد يتشجعون ويُهاجمون وينهبون القرى المُجاورة لهم، أو القبائل الأضعف منهم، ولكن هذه الخدمات تكون من منظور الاستئجار أو الغنائم، ولا يكون ذلك مُطلقًا من قبيل حبهم أو تقديرهم لمُستأجرهم، كما لا يكون ذلك مُطلقًا بدافع الوطنية والشعور الوطني، وللتدليل على ذلك، سيكونون على تمام الاستعداد للانقلاب على حليفهم وصديقهم السابق ويسرقوه وينهبوه، في الساعة التي يتأكدون فيها أنهُ لم يعد قادرًا على تقديم المزايا لهم أو عاجزًا عن مُقاومتهم". هذا هو كلام الأمير متعب لحد الآن». ۞ -انتهى الاقتباس-

وبعيدًا عن أسباب ومُبررات الأمير محمد بن رشيد المفهومة حول عدم رغبته باحتضان قبيلة قحطان اليمنية، وتقريبهم منه ، لأن قبيلة قحطان كانت تُثير

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

القلاقل والمشاكل في البادية وربما خشي ابن رشيد أن يتورط معهم ويخوض حروبًا عشائرية طاحنة بالنيابة عنهم، خصوصًا وأن حائل أصبحت آمنة مُطمئنة ومحطة تجارية مهمة لمرور الحجاج في عهد محمد بن رشيد، وأية حروب أو إثارة للقلاقل أو أي حوادث سلب أو نهب تحصل في المنطقة سوف تهدد طريق القوافل القادم من العراق والشام، وحينها سيدفع أمير حائل ثمن تلك الخروقات وقد تفقد حائل مصدر رزقها الوحيد كونها محطة تجارية مهمة لمرور القوافل المُتجهة صوب الحجاز.

ويذكر ابن عيسى في تاريخه عن بعض تلك المشاكل التي كانت تُثيرها قبيلة قحطان في القصيم، قائلاً:

« ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائتين والألف : وفيها أقبل بن شويمان من الفيضة يريد بلد عنيزة، فصادفه شلاش بن العميشا من السحمة من قحطان ومعه ستة رجال من قحطان بين المذنب، والمربع فشووه وأكلوه، ثم ساروا إلى الوشم فصادفوا ابن شيخه خارجًا من بلد شقراء، فذبحوه في غويمض، وشووه ففزع عليهم أهل شقراء فقبضوا عليهم فأدعى أصحاب شلاش أن الذي قتله وشواه (شلاش) ابن العميشا وأنهم لم يُشاركوه في ذلك، وأقر شلاش أنهُ هو الذي قتله بنفسه، وأنهم لم يُشاركوه فيه،فدفعوه إلى أخي المقتول فقتله. ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائتين والألف: وفي هذه السنة نزل آل عاصم من قحطان على دخنة، وكثروا من الغارات على أهل عنيزة، فقام أهل عنيزة واستفزعوا الحبلان من (قبيلة) مطير، فنهضوا وصبحوا آل عاصم، وأخذوهم وقتلوا منهم عدة رجال منهم شيخهم حزام بن حشر». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

ولكن بعيدًا عن تلك الحوادث الفردية، فإن السائد في نجد أن كلما نزحت مجموعة سُكانية أو قبيلة عربية من اليمن واستوطنت في وسط جزيرة العرب لبضعة قرون أو حتى عقود تنكرت لمنبعها الأصلي، وتعالت على أبناء جلدتها، وهذا الأمر مازال دارجًا إلى هذه الساعة، حيث يعتقد الكثير من الساكنين لإقليم نجد الحاليين، والكثير منهم أصلاً هم من أسلاف أهل اليمن، مع هذا يعتقد هؤلاء أنهم أنقى دماءً وأرقى سلالةً من اليمنيين، ومازالوا ينتعون قبائل اليمن باللحوج !.

بينما البعض يعتبر أن تلك النظرة النجدية الفوقية حديثة العهد، ولم تكن موجودة في المُجتمع النجدي سابقًا، ويُعزي تلك النبرة الجديدة أو النعرة المُتعالية إلى ظهور البترول وشعور أهالي نجد تحديدًا بالرفاهية والغنى، ولهذا أصيبوا بالغرور والتعالي وهو ما يُسمى بمُصطلح "مُحدثو النعمة" فباتوا يخشون أن يُشاركهم أبناء عمومتهم تلك الثروة، فآثروا البراءة والتملص منهم والتعالي عليهم، مع أن الأحوال سرعان ما تتبدل من حال إلى حال، والنعم زائلة بزوال أسبابها ولا يدوم إلا وجه الله سبحانه وتعالى فقط.

وأما منطقة نجد فقد كان يُعاني أهلها من العوز والفاقة، وكانوا يتحاسدون فيما بينهم وهم في صراع دائم وتنافس أسري محموم على تولي زمام السلطة، وقد ذكر لنا التاريخ الجاهلي ذلك التنافس الدامي بين قبيلتي طسم وجديس البائدتين في اليمامة، وكيف كانت البدايات للاستعانة بالأطراف الخارجية للتمكين، وذلك حينما انتقمت قبيلة جديس من قبيلة طسم بسبب طغيان مليكهم فأفنوهم، وهرب أحدهم إلى أحد ملوك اليمن المدعو حسان بن تُبع الحميري ليطلب منه العون على خصومه.

وكذلك يذكر لنا الرحالة ناصر خسرو أثناء زيارته للمنطقة قبل حوالي الألف عام، أن هنالك تنافسًا محمومًا بين حزبين مُتحاربين في بلد الأفلاج، كانا يتقاتلان مع بعضهما البعض، والرحالة الإيراني ناصر خسرو في كتابه

السفرنامه ربما كان شاهد العيان الوحيد الذي وثق لنا نبذة مُختصرة جدًا عن أحوال نجد قبل حوالي الألف عام، وقد مرَّ خسرو بنجد في عام (٤٤٢هـ - سنة ١٠٥١م)، حيث زار الأفلاج واليمامة وبقي في نجد عدة أشهر، ووصف الحال المزري للقوم من الناحية المعيشية والاجتماعية، وذكر أن حُكَّام اليمامة كانوا زيودًا أي على المذهب الزيدي، وهو مذهب غالبية أهل اليمن! وهذا يعني أن هنالك علاقة وثيقة كانت بين اليمن وإقليم اليمامة، وربما هذا ما دفع الكثير من المُستشرقين الأجانب يخلطون بين نجد واليمن، ويبدو أن هنالك هجرات يمانية مُستمرة ونزوح دائم لبعض القبائل اليمنية التي استوطنت في نجد وحلت محل القبائل العدنانية التي رحلت عن المنطقة، ولهذا نجد أن اليمامة وما جاورها قد اعتنق سكانها المذهب الزيدي أثناء فترة مرور ناصر خسرو في اليمامة.

فمعروف أن الهجرات السكانية كانت تنطلق عادةً من الجنوب نحو الشمال، أي أن اليمن كانت لديها مخزون سكاني وافر من العنصر العربي وكانت مركزًا لانطلاق الهجرات البشرية نحو الشمال، ولهذا لا نجد هجرات عكسية من الشمال إلى الجنوب، وأغلب سكان جزيرة العرب قد نزحوا أصلاً من اليمن قبل وما بعد انهيار سد مآرب، واليمامة هي أقرب نقطة إلى المناطق الحضرية اليمنية، وكانت محطة تجارية بين البصرة وصنعاء حسب ما يذكر لنا ناصر خسرو في رحلته، ولو اطلع القارئ على الخارطة سيجد أن هنالك خطًا عموديًا تجاريًا مُستقيمًا بين كل من نجران - اليمامة - البصرة.

وقد عُثر على نقش يمني في عَبَدان منذ عهد قريب يدون "أقيال حِمير" من الأيزون وفيه أخبار حملتهم العسكرية في منتصف القرن الرابع الميلادي وتمثل هذه الحملات اندفاع الحميريين نحو الشمال، وأهم حملات الحميريين التي ذكرت في هذا النقش الأثري هي تلك التي بلغت مناطق اليمامة والبحرين شرق جزيرة العرب، وأرض الأزد؛ أزد عُمان؛ ومناطق قبائل معد ونزار وغسان. وهذا النقش يأتي موثقًا لما ذكر من روايات عربية قديمة متواترة

تذكر قيام ملوك اليمن في السيطرة على اليمامة في فترات مُتلاحقة، وهذا يؤيد ما نقله عرب الجاهلية من قصص وردت في قصائدهم عن ملحمة طسم وجديس وعن حملات ملوك اليمن وتبّع للسيطرة على نواحي نجد.

ولقد استمرت سيطرة ملوك وأئمة اليمن على أجزاء من اليمامة في القرون الماضية، أحيانًا برغبة السكان وأحيانًا رغمًا عنهم، وتكررت حالات الاستعانة وطلب الدعم الخارجي من قبل حُكّام اليمن طوال العهود الماضية، ففي سنة ١٠٧٣هـ، وفي عهد إمام اليمن أحمد بن القاسم جاء أحد أمراء البديع من الأفلاج يستنجد بالإمام والذي حاول بدوره التوسع في حكمه، فقام بمُراسلة بعض زعماء قرى المنطقة، وهو ما جاء في مخطوطة سيرة الإمام الزيدي المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم سنة ١٠١٩ـ ١٠٨٧هـ، (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار) من تأليف المؤرخ المطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله الجرموزي (١٠٠٣ـ١٠٧٦ هـ) حيث جاء في الجزء الثاني من المخطوطة :

« ومن أخبار الفقيه المذكور عن الجهات المذكورة وأهلها ما نقله القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال ـأطال الله بقاهـ مكاتبة إليَّ ومن لفظه: وقد وصلكم المملوك بسؤال إلى الفقيه أحمد بن ناصر الحيمي عن أحوال سفره فهذه عجالة راكب كتبتها والرسول يتقاضاني العزم إلى بعض المحال المباركة إلا أني استبطأت الكتاب إليك، فحاصل ما أخبرني به أنه لما وصل الشيخ غنام بن رشود المسمى الجميلي وهو أمير نصف البديع مستنصرا بجانب المولى ـأيده اللهـ وولده الصفي ـأيده اللهـ على من زعم المذكور أنهم بغوا عليه وهم مشايخ الشثور ـ بالشين المعجمة ثم المثلثة من بعدـ وهم محمد بن معني العريزي وسيف بن محمد وهلال بن فراس بهؤلاء شيوخ الشثور الذين شكى منهم العدوان وليس الأمر كما وصف بل هؤلاء الثلاثة أسد حالاً منه وأحسن استقامة ورام أن يجيبه المولى ـأيده اللهـ على ما يقول فاحتاط بإرسال الفقيه هذا بدعوة لهم وافتقاد الأحوال وحقايقها والبحث عن الطرقات

وأصحبه سيدي الصفي -أيده الله- كتبًا إلى يام وبني هاجر والمخضبة والمعضة والدواسر والسهول ولام وآل عثمان من اليمامة المعروفين بالخرج ومشايخ آل حسين من اليمامة أيضًا والشيخ تركي وإخوته من اليمامة وأصحبه كتابا أيضًا إلى مشايخ الخديمات أهل الروضة فسار الفقيه بالكتب فما لقيه أحد من القبائل المدعوة وغير المدعوة إلا بالترحيب والتكريم والتعزيز والتحشيم والدعاء للإمام عليه السلام، قال: فلما وصل البديع بلد الشيخ غنام الذي وصل شاكيا –وهي بلدة كبيرة لها ثلاثة أسورة وفيها ثلاثة حصون وساكنها نحو ألف رجل وفيها نحو ألفي بير- فأقام عندهم وبلغهم الرسالة وطلب منهم البيعة فدخلوا فيها ثم أنه خطب أيضًا للإمام وكاتبه وراسله مشايخ الشثور الذين شكاهم الشيخ غنام فدخل إليهم إلى بلدهم المسماة ليلى، وجدهم أحسن الناس طريقة واستقامة وامتثالا للإمام ولولده الصفي -حماهم الله تعالى- وأجاب عما نسبه الشيخ غنام إليهم من العدوان بأنه لم يتعرض لعناده لأذية إلا لأنه أباح المحرمات واعتدى على ضعفاء أهل الروض بنهبهم وأراد أن الإمام يجيبه إلى النصرة فيقبح المذكورين كيفما أراد مع أنه رجل عاد ظالم لا يقف عند الشريعة فقال مشايخ الشثور: هذا الذي كلفنا لمعاداته الذين غر هؤلاء فإذا أراد منا الإمام الكف فالسمع والطاعة. لكن عليه حفظ هؤلاء فاستقر الفقيه عندهم أحسن استقرار على إكرام وإنصاف وتزوج عندهم وأظهروا الطاعة ثم توجه للحج ولم يتيسر له دخول اليمامة، لكن اتفق بالشيخ محمد صنو الشيخ رأس اليمامة في مكة فطلب الاتفاق به فوافق عند الكعبة وأظهر التشوق الكلي وقال: يا فقيه أحب الله يشهد علي وإخوتي وقبائلي أحوج الناس للإمام وهو يرينا وجهه (وبلغ الفقيه الدعوة إلى ساير القبايل كما ذكرناه وامتثلوا والحمد لله رب العالمين)» ۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار
تأليف العلامة المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي ١٠٠٣- ١٠٧٦هـ

ويبدو أن سيطرة اليمنيين على نجد وانتشار المذهب الزيدي في المنطقة كان عن طريق نفوذ أئمة اليمن، حيث كانوا يرسلون فقهاء ومشايخ الزيدية إلى القبائل اليمنية القاطنة في اليمامة، وكان أولئك المشايخ يتزوجون منهم، ولهذا فإن غالبية قبائل نجد الحالية هم أسلاف تلك القبائل اليمانية التي حلَّت بمكان ربيعة ومضر، وإن ادعوا الآن أنهم يعودون في أصولهم إلى حنيفة وتميم اللتين رُحلتا عنوةً عن اليمامة زمن الأخيضريين كما مرَّ معنا.

والحقيقة الدامغة التي يرفض هؤلاء قبولها أن نجدًا قد تيمنت أي أصبحت يمانية، حيث طغت على سكانها الثقافة اليمنية، بل حتى لغة نجد العربية الفصيحة التي امتدحها المقدسي وأعتبر حينها أن أهل نجد وقبيلة هذيل هم الأفضل نطقًا للغة الضاد، نراهم قد اندثروا وتشوهت لغة العرب في ديارهم، وقد سبق وأن فصل علماء اللغة كثيرًا في طريقة نطق أهالي نجد للغة العربية خصوصًا قبيلتي ربيعة وأسد وبني تميم، ونسبوا لهم ما يُعرف بالكسكسة والكشكشة والعنعنة، أي نطقهم لبعض الكلمات التي تنتهي بحرف الكاف فليحقونها بحرف السين أو الشين، وفي العنعنة قلب الهمزة عينًا كقولهم فجأة: فجعأة، فأطلقوا عليها مُصطلح الكسكسة والكشكشة، حيث يذكر سيبويه عن تلك اللهجات قائلاً :

« واعلم أن ناسًا من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث. وإنما ألحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل. وذلك أعطيتكن، وأكرمكس. فإذا وصلوا لم يجيئوا بها، لأن الكسرة تبين. وقومٌ يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان. وذلك قولهم: أعطيتكش، وأكرمكش، فإذا وصلوا تركوها. وإنما يلحقون السين والشين في التأنيث، لأنهم جعلوا تركهما بيان التذكير».

والغريب أن كشكشة بني أسد انتقلت إلى قبائل اليمن في عصرنا الحديث هذا، فنجد أن الكثير من القبائل اليمنية الحالية تنطق حرف الشين في نهاية كل

كلمة تنتهي بكاف، فتجدهم يُلحقون نهاية حرف الكاف بحرف الشين مثلاً عند القول (أهلاً بك) ينطقونها هكذا : (أهلاً بش). وأما كسكسة ربيعة نجد فمازالت دارجة ومُستخدمة في القصيم وحائل ولكنهم أبدلوا حرف الكاف بحرفي تاء وسين معًا أي (تس) وليس كما ذكر سيبويه أنهم يلحقون حرف الكاف بحرف السين، كالقول مثلاً (كيف الحال) فينطقونها هكذا : (تسيف الحال). أما عنعنة تميم فقد انتقلت إلى قبيلة عتيبة وغيرها من القبائل البدوية الأخرى، فالعتبان على سبيل المثال ينطقون كلمة (إنك) هكذا : (عنك) فيقولون مثلاً : (ياعنك رجال)، وقد جاء في كتاب "تاج العروس من جواهر القاموس" لأبي الفيض محمد الحسيني عن فصاحة العرب ولكنة قبائل نجد، حيث يذكر :

« (المقصد الخامس في بيان الأفصح) قال أبو الفضل: أفصحُ الخلق على الإطلاق سيِّدُنا ومولانا رسولُ الله ﷺ قال عليه أفضل الصلاة والسلام 'أنا أفصحُ العَرَب' رواه أصحاب الغَريب، ورَوَوْه أيضًا بلفظ 'أنا أفصحُ منْ نطقَ بالضّادِ بيْد أنِّي مِنْ قُرَيشٍ' وإن تُكُلِّم في الحديث. ونُقِل عن أبي الخطَّاب بن دِحْية : اعْلمْ أن الله تعالى لما وضَع رسولَه ﷺ مَوْضِعَ البلاغ مِن وَحْيه، ونَصَبَه مَنْصِبَ البيانِ لدِينه، اختار له من اللُّغَاتِ أعربَها، ومن الألسن أفصحها وأبيَنَها، ثم أمدَّه بَجوامعِ الكَلِم، انتهى. ثم قال: وأفصحُ العربِ قُرَيشٌ، وذلك لأن الله تعالى اختارَهم من جميع العرب، واختار منهم محمَّدًا ﷺ، فجعل قريشًا سُكَّانَ حرَمِه وَوُلاةَ بيتِه، فكانتْ وُفودُ العربِ مِن حُجَّاجِها وغيرهم يَفِدُون إلى مكَّةَ للحَجِّ، ويتَحاكمون إلى قريش، وكانت قريشٌ مع فَصاحتها، وحُسْنِ لُغَاتها، ورقَّةِ ألسِنَتِها، إذا أتتْهم الوفودُ من العَرب تَخيَّروا من كلامِهم وأشعارهم أحسنَ لُغاتِهم، وأصفى كلامِهم، فاجتمع ما تَخيَّروا من تِلك اللغاتِ إلى سَلائِقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا تَرى أنك لا تَجد في كلامِهم عنعنَةَ تَميمٍ ولا عَجْرفة قيسٍ ولا كَشْكَشَةَ أسد ولا كَسكَسةَ ربيعة. (قلت) : قال الفراءُ : العنعنة في قيس وتميم تَجعل الهمزةَ المبدوءَ بها عينًا، فيقولون في إنك عِنّكَ، وفي أسلم عَسلم. والكشكشة في ربيعة ومضر

يَجعلون بعد كافِ الخِطاب في المؤنث شينًا، فيقولون رأيتُكِش ومررتُ بكِش. والكسكسة فيهم أيضًا يجعلون بعد الكاف أو مكانها سينًا في المذكّر. والفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاءَ عينًا. والوَكَم والوَهَم كِلاهما في لُغة بني كَلْب، من الأوّل يقولون علَيكِمْ وبِكِمْ، حيث كان قبل الكاف ياءٌ أو كسرةٌ، ومن الثاني يقولون مِنهِمْ وعنهِمْ وإن لم يكن قبل الهاء ياءٌ ولا كسرةٌ. والعجعجة في قُضاعة يجعلون الياءَ المشدّدة جيمًا، يقولون في تميميٍّ تميمِجّ. والاستِنطاء لغة سعْدِ بن بكرٍ وهُذيل والأزْدِ وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نونًا إذا جاورَت الطاءَ، كأنْطى في أعطى». ۞

ويبدو أن اللهجة العامية اليمانية قد طغت على المنطقة في فترة الأخيضريين وما بعدهم بسبب نزوح قبائل يمنية إلى إقليم نجد، فتحولت لهجات أهل نجد الجُدد إلى لهجة هجين أطلق عليها البعض خطئًا اللهجة النبطية، لكنها في الحقيقة هي لهجة عوام اليمن وقد تكون من لهجات حميرية، حيث ذكر لنا المقدسي في رحلته إلى اليمن أنهُ قد استمع إلى لغة غريبة في حمير اليمن لم يفهمها، وأما أهل عدن فقد كانوا ينطقون كلمة رجليه هكذا : رجلينه، ويديه ينطقونها : يدينه بإضافة حرف النون! وتلك كانت بدايات الانحطاط لقواعد اللغة العربية، وأنا أجزم أن تلك اللهجة الحميرية والعدنية تحديدًا قد انتقلت لاحقًا إلى نجد بعد رحلة المقدسي بفترة ليست بالطويلة، وذلك عن طريق تلك الهجرات اليمانية المُستمرة وكذلك من خلال التواصل البشري، فغلبت اللهجة العامية اليمنية على اللغة العربية الفصحى وأصبحت هي اللهجة السائدة الآن في عموم نجد وشبه الجزيرة العربية، حيث يذكر المقدسي :

« ومذاهبهم بمكة وتهامة وصنعاء وقرح سُنة، وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عُمان شراة غالبة، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعمان وهجر وصعدة شيعة ، وشيعة عُمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلا

---

۞ كتاب : تاج العروس من جواهر القاموس \ تأليف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني.

عُمان . والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم، وبالمعافر مذهب ابن المنذر، وفي نواحي نجد اليمن مذهب سفيان، والآذان بتهامة ومكة يرجع وإذا تدبرت العمل على مذهب مالك، ويُكبر بزبيد في العيدين على قول ابن مسعود: أحدثه القاضي أبو عبد الله الصعواني وقت كوني، ثم والعمل بهجر على مذهب القرامطة، وبعمان داودية لهم مجلس. أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصحار فإن نداؤهم وكلامهم بالفارسية، وأكثر أهل عدن وجدة فرس إلا أن اللغة عربية، وبطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم، وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه وليديه يدينه وقس عليه ويجعلون الجيم كافًا فيقولون لرجب ركَب ولرجل ركَل وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بروثة عند الاستجمار فألقاها وقال هي ركُس، وقد تعنى الفقهاء هذا فيجوز ما قالوه ويجوز أن يكون أستعمل هذه اللغة. وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلا أن أصح بها لغة هذيل ثم النجدين ثم بقية الحجاز إلا الأحقاف فإن لسانهم وحش». ۞ - انتهى الاقتباس -

وسنرى كيف يُطلق الفرنسي جان ريمون اسم اليمن على وسط الجزيرة العربية، وعلى الأخص القسم الجنوبي من نجد، وكذلك يفعل دو كورانسي في كتابه، وهما يقصدان اليمامة في كتابيهما، وهذا يدل على أن المُستشرقين الغربيين كانوا يصنفون اليمامة على أنها جزءٌ من أرض اليمن، وذلك بسبب التداخل الجغرافي والهجرات السكانية وطبيعة أنظمة الحكم، وذلك التصنيف لم يأتي اعتباطًا، وهؤلاء المُستكشفون الأجانب لم يتوهموا كما ظن مؤرخو آل سعود المُتأخرين، بل هم كانوا مُدركين جيدًا لما يقولون وواعين لما يدونوه من معلومات، فعلى سبيل المثال يذكر دو كورانسي في كتابه قائلاً :

« وشعر محمد (بن عبد الوهاب) بالصعوبات التي ستواجهه بها حياة الركود، وتبين له الخطر الذي سيلحق به إذا لم يُساند رسالته بالسلاح. كما تبين له

---

۞ كتاب : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم \ تأليف : البشاري شمس الدين محمد بن أحمد بن أبو بكر البناء الشامي المقدسي. ٣٥٦ هـ/٩٦٦م - ٣٧٥هـ/٩٨٥م.

ضرورة تغذية تعطشهم للغزو بقيادتهم ضد أعداء الله. لذلك خرج من اليمن وفتش عن حليف قوي يقبل السير معه، ولكن مُحاولاته لم تُثمر. ولما يئس من استجلاب الأمراء لمُساعدته، ابتعد عن المُدن الكبيرة. وقرر غزو الأماكن التي تتيح له نصرًا أسهل وخضوعًا أسرع لسلطته. وهكذا توجه نحو (ابن) سعود أمير الدرعية الذي أصغى له». [۞] -انتهى الاقتباس-

كما يذكر محمود شكري الآلوسي في كتابه "تاريخ نجد" عن أبرز أعراب بادية اليمن فيصنفهم إلى: « وعرب عُمان فهم قبائل كثيرة منهم المناصير ونعيم والسعد وكل من هذه القبائل يتفرع إلى بطون. وهم بعض من الآزد نزلوا عُمان لما تفرق الأزد في حادثة السد. وعرب بادية اليمن كثيرون، ومنهم غامد وزهران وبجيلة وأسعد وشهران وزبيد وبعض من يام. وكلهم من قحطان، ويتفرع من كل هؤلاء بطون كثيرة. وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهجر من ربيعة وغيرهم». [۞۞]

وعن صفات ومآثر أهل اليمن وطرز بنائهم، يُحدثنا أيضًا ابن الفقيه المقدسي في كتابه "مُختصر كتاب البلدان"، الأقوال المأثورة في أهل اليمن قائلاً :
« القول في اليمن : قال الكلبي سُميت اليمن لأن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكرًا من ولد أبيه، فنزل موضع اليمن، فقالت العرب تيمن بنو يَفطن، فُسميت اليمن، لأنها يمين الكعبة، ولما جاء أهل اليمن، قال رسول الله صل الله عليه وسلم، قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوبًا منكم، وهم أول من جاءنا بالمُصالحة، وقال الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية والإسلام يمانٍ، وقال أهل اليمن زين الحاج، وقال مُجاهد في قول الله عز وجل، فسوف يأتي الله بقوم يُحبهم ويُحبونه، قال سَبُى اليمن، قال وقدم رجل على النعمان بن المُنذر ، فقال أخبرني عن أهل اليمن ؟ فقال : أكثر

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.
[۞۞] كتاب : تاريخ نجد \ محمود شكري الآلوسي..

الناس سيدا، وأكثرهم جمعا،، قال فاخبرني عن بني عامر؟ قال : أعجاز النساء وأعناق الظباء، قال فـ تميم؟ قال : حَجرٌ إن وقعت عليه آذاك، وإن وقع عليك آذى. وقال رسول الله صل الله عليه وسلم : إذا تعذر على أحدكم الملتمس؟ فعليه بهذا الوجه وأشار إلى اليمن. وفي قوله عز وجل (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) الآية، قال هم أهل اليمن..... الخ. وباليمن من أنواع الخصب وغرائب الثمر، وطرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة، وقد تفاخرت الروم وفارس بالبُنيان وتنافست فيه، فعجزوا عن مثل غمدان ومأرب وحضرموت وقصر مسعود، وسد لقمان، وسَلحِين وصرواح ومرواح، ويبنون وهِندة وهُنيدة وفلثوم بَريدَة». ۞

ولو لاحظنا سكان نجد الحاليين فنجدهم أن سحنتهم سمراء مصفرة، وهي قريبة من سحنة اليمنيين والآسيويين، ويُشبه ناصر خسرو سحنة أهل اليمن بسحنة الهنود، حيث يعتقد أن الهنود أصلهم من اليمن، وهذا الأمر لا يستوي منطقيًا، كون الهند حضارة قديمة وأعدادهم هائلة وتفوق اليمنيين بمئات المرات، لكن هذا لا يمنع أن هنالك هجرات كثيرة لجماعات يمنية انطلقت من اليمن فوصلت إلى الهند وعموم شرق آسيا لغرض التجارة.

وعن وصف ناصر خسرو للحجاج اليمنيين الذين شاهدهم أثناء رحلته، حيث يقول : « وعامة حجاج اليمن يشبهون الهنود، فكل منهم يتشح بفوطة، وشعورهم متدلية، ولحاهم مُضفرة، وفي وسط كل منهم حربة قطيفية كالتي يتمنطق بها الهنود، ويُقال إن أصل الهنود من اليمن، وأن قتالة أصلها كتارة (الحربة)، ثم عُربت». ۞۞

---

۞ كتاب : مُختصر كتاب البلدان \ تأليف : البشاري شمس الدين محمد بن أحمد بن أبو بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بابن الفقيه. ٣٥٦ هـ/٩٦٦م - ٣٧٥هـ/٩٨٥م.

۞۞ كتاب : سفرنامه / تأليف : ناصر خسرو علوي سنة ٤٥٣ - ٤٥٥هـ/ ١٠٦٠-١٠٦٣م.

وعن البنيان والقصور وقدم العمران في اليمن يورد لنا ابن خرداذبه في كتابه "المسالك والممالك" ما ذكر عن قصور أهل اليمن، حيث يقول :

« البنيان باليمن : وقال أهل اليمن : بنت الشياطين لذي بَتَع ملك هَمْدان حين زوَّجه سليمان عليه السلام بلقيس قصورًا وكتبت في حجر: نحن بنينا بينين وبنينا سَلْحين وصِرواح ومرواح وبينون برحاضة أيدين وهِنْدة وهُنَيْدة وقلثوم بَريْدة وسبعة أمجلة بقاعة، قال ابن ذي جَدَن: أبَعْدَ بَيْنونَ لا عينٌ ولا أثرٌ *** وبعدَ سَلحينَ يبني الناس أبياتا. وقرئ بناعِط على قصر مكتوب: بني هذا القصر سنة كانت مسيرتنا من مصر، قال وهب بن منبّه: فإذًا ذلك منذ أكثر من ألف وستمائة سنة. ووُجد في حصن لشَمِر يُرْعِش بن ناشر أنعُم كتاب بالحميرية: هذا ما بناه شمر يرعش بعون سيده الشمس، ووُجد على باب مدينة ظفار مكتوب: لمن مُلك ظفار لحِمْيَرَ الأخيار لمن ملك ظفار لحبشة الأشرار، لمن ملك ظفار لفارس الأحرار، لمن ملك ظفار، لقريش التجار، لمن ملك ظفار، لحمير يُحار أي يرجع إلى حمير، وكانت الحبشة قد غلبت على اليمن فملكها منهم أربعة ملوك اثنتين وسبعين سنة ».۞

وأما الرحالة الفارسي ناصر خسرو ورحلته العجيبة التي قام بها إلى نجد قبل ألف عام، وعن المتاعب والمصاعب التي واجهها والأهوال التي لاقاها، يقول خسرو : « وبعد إتمام الحج استأجرت جملاً من إعرابي لأذهب إلى الحسا (الأحساء)، وقيل إنهم يبلغونهم من مكة في ثلاثة عشر يومًا. وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٤٤٢هـ - ٧ مايو سنة ١٠٥١م) الموافق أول خرداد القديم. .........الخ. ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخًا. وبعد ذلك مررنا بقلعة تُسمى "جزع". وعلى مسافة نصف فرسخ منها أربع قلاع، نزلنا عند أكبرها وتسمى "حصن بني نمير". وهناك قليل من النخيل، وبيت العربي الذي استأجرنا جملة

---

۞ كتاب : المسالك والممالك \ تأليف : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة.

في الجزع هذه. وقد لبثنا هناك خمسة عشر يومًا، إذ لم يكن معنا خفير يهدينا الطريق. ولكل قوم من عرب هذا المكان أرض مُحددة ترعى بها ماشيتهم، ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها، فهم يُمسكون كل من يدخل بغير خفير ويُجردونه مما معه، فليزم استصحاب خفير من كل جماعة حتى يتيسر المرور من أرضهم، فهو وقاية للمسافر، ويُسمونه أيضًا مُرشد الطريق (قلاوز). وقد اتفق أن جاء إلى (قلعة) الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا وهم بنو سواد، واسمه أبو غانم عبس بن البعير، فاتخذناه خفيرًا، وذهبنا معه، وقابلنا قومه، فظنوا أنهم لقوا صيدًا، فلما رؤوا رئيسهم معنا أسقط في أيديهم، ولولا ذلك لأهلكونا. وفي الجملة لبثنا معهم زمنًا، إذ لم يكن معنا خفيرًا يصحبنا. ثم أخذنا من هناك خفيرين، أجر كل واحد منهما عشر جنيهات، ليسيرا بنا بين قوم آخرين. وقد كان هؤلاء العرب (الدليلين) شيوخًا في السبعين من عمرهم، قالوا لي أنهم لم يذوقوا شيئًا غير لبن الإبل طوال حياتهم. إذ ليس في هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال، وكانوا يظنون أن العالم هكذا. وظللت أتحول من قوم إلى قوم، وأجد في كل مكان خطرًا وخوفًا، إلا أن الله تبارك وتعالى سلمنا منها. ثم بلغنا مكانًا في وسط أرض ملؤها الصخور يُسمى "سربا". رأيت به جبالاً كل منها كالقبة (جبال طويق)، لم أرى مثلها في أي ولاية، وهي من الارتفاع بحيث لا يصل إليها السهم، وملساء كبيضة الطائر، وصلبة بحيث لا يظهر عليها شق أو التواء. وقد سرنا من هنالك، فكان زملاؤنا في الطريق كلما رؤوا ضبًا قتلوه وأكلوه، وكانوا يحلبون لبن الجمال حيث وجد الأعراب. ولم أكن أستطيع أكل الضب أو شرب لبن الجمال (النياق). وفي كل جهة في الطريق شجر به ثمر في حجم حبة البسلة، فكنتُ أقنع بأكل حبات منها. وبعد مُعاناة مشاق ومتاعب كثيرة بلغنا "فلج" (الأفلاج)، في الثالث والعشرين من صفر (٤٤٣هـ - ١٠٥١م)». ۞

---

۞ كتاب : سفرنامه \ تأليف : ناصر خسرو علوي سنة ٤٥٣ - ٤٥٥هـ - ١٠٦٠-١٠٦٣م.

ويجب التذكير أن حين مرور ناصر خسرو بمنطقة نجد لم يُكن هنالك أية مدينة أو قرية معروفة كما هو معلوم الآن، خصوصًا إذا علمنا أن من أسس وأسمى مدينة الرياض لاحقًا هو دهام بن دواس الذي حكمها قبل حوالي القرنين والنصف، وعليه فأغلب بلدات نجد الحالية هي ليست قديمة النشأة باستثناء بلدتي اليمامة والأفلاج، التي يُسميها خسرو بـ(فلج)، ويذكر أن الأفلاج قد ُخربت بسبب التعصب، ولم يذكر لنا سبب ذلك التعصب؟ هل كان تعصبًا مذهبيًا أو قبليًا أو حتى أسريًا؟.

ويبدو أن حربًا أهلية حدثت بين فريقين أو أكثر في البلدة أدى إلى تدمير الأفلاج، لأنهُ يعود ويذكر بصورة مختصرة أيضًا أن هنالك خلاف كبير بين حزبين في البلدة، فلم يبقَ فيها إلا ١٤ قلعة فقط يسكنها اللصوص والمفسدون والجهلة حسب قوله، وأنها أي الأفلاج باتت مُقسمة بين حزبين بينهما خصومة وعداوة دائمة، وقد ذكر ناصر خسرو نقلاً عنهم، أنهم أخبروه بأنهم من أصحاب الرقيم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، مع أن أهل الكهف أو أصحاب الرقيم قيل إنهم في الأردن وليس في نجد!؟ وعن أحوال نجد ووصف بلدة الأفلاج أو فلج كما يُسميها ناصر خسرو، حيث يوثق لنا قائلاً : « ومن مكة إليها (الأفلاج) ثمانون ومائة فرسخ. وتقع فلج هذه وسط البادية وهي ناحية كبيرة، ولكنها خربت بالتعصب. وكان العمران حين زرناها، قاصرًا على نصف فرسخ في ميل عرضًا. وفي هذه المسافة أربع عشر قلعة للصوص والمفسدين والجهلة. وهي مُقسمة بين حزبين بينهما خصومة وعداوة دائمة. قد قالوا إننا من أصحاب الرقيم الذين ذكروا في القرآن الكريم. وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل. أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار. وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران ولم أرها هناك. وزراعتهم قليلة، وأجر الرجل في اليوم عشر سيرات من غلة (خمسة عشر مثقالاً)، يخبزها أرغفة، ولا يأكلون إلا قليلا، من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية، كما في رمضان، ويأكلون التمر أثناء النهار، وقد رأيت تمرًا

طيبًا جدًا أحسن مما في البصرة وغيرها. والسكان هنا فقراء وبؤساء، ومع فقرهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وهنالك تمر يُسمونه ميدون، تزن الواحدة منه عشرة دراهم. ولا يزيد وزن النوى به عن دانق ونصف. ويُقال إنهُ لا يفسد ولو بقي عشرين سنة. ومعاملتهم بالذهب النيسابوري، وقد لبثت بفلج (الأفلاج) هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها. لم يكن معي من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكُتب، والناس جياع وعراة وجهلاء، ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة، ولا يشترون الكُتب، وكان هناك مسجد نزلنا فيه، وكان معي قليل من اللونين القرمزي واللازورد، فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ووضعت في وسطه ورق الشجر، فرأوه وتعجبوا وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه. وقالوا لي إذا تنقش محراب هذا المسجد نعطيك مائة من تمرا، ومائة من تمرا عندهم شيء كثير، فقد أتى، وأنا هناك جيشًا من العرب وطلب منهم خمسمائة من تمرا، فلم يقبلوا وحاربوا، وقتل من أهل القلعة عشرة رجال، وقُلعت ألف نخلة ولم يعطوهم عشرة أمنان تمرا!! وقد نقشت المحراب كما اتفقوا معي، وكان لنا في المائة من التمر عون كبير، إذ لم يكن ميسورًا أن نجد غذاء، ولم يكن لدينا أمل في الحياة ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية، إذ كان ومهالك. ولم أرَ في الأشهر الأربعة التي أقمتها في فلج (الأفلاج) خمسة أمنان من القمح في أي مكان. وأخيرًا أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا، فأنه يحضر من اليمن إلى فلج (الأفلاج) حيث يباع للتجار». ۞

أما عن وصف اليمامة فيخبرنا ناصر خسرو الذي زارها قبل حوالي الألف عام وقد وجدها بأفضل حال من الأفلاج، حيث فيها سوق عامر بالصناع ومسجد جميل لكنه خاص بالمذهب الزيدي مذهب حُكَّام اليمامة في حينه، وتأتي زيارة ناصر خسرو في وقت لم تنشأ فيه بعد لا الدرعية ولا حتى الرياض، حيث يؤكد

---

۞ كتاب : سفرنامه \ تأليف : ناصر خسرو علوي سنة ٤٥٣ ـ ٤٥٥هـ ـ ١٠٦٠-١٠٦٣م.

أن حُكَّام اليمامة هم علويون منذ القديم وليس لهم منافس في اليمامة ذو شأن، وهذا يعني أن لهم باع ليس بالقصير في حكم اليمامة، قد لا يقل عن مائة عام على أقل تقدير، وأنهم كانوا يتبعون المذهب الزيدي، ويوالون أشراف مكة كونهم علويون أيضًا، وهذا دليل قاطع على أن اليمامة كانت تخضع لقبائل يمنية وغير مُستبعد أن تكون اليمامة تخضع لأئمة اليمن الزيديين في تلك الفترة.

وعن أحوال اليمامة يذكر خسرو في كتابه السفرنامه:

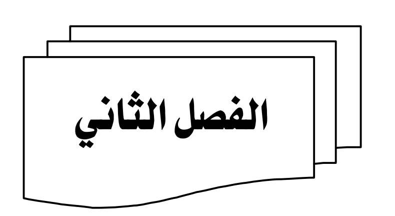
« وبالاختصار بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها. وباليمامة حصن كبير قديم، والمدينة والسوق، حيث صناع من كل نوع، يقعان خارج الحصن. وبها مسجد جميل. وأمراؤها علويون منذ القديم(•)، ولم ينتزع هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة، فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس. ومذهبهم الزيدية(••)، وهم يقولون في الإقامة (إقامة الصلاة) "محمد وعلي خير البشر، وحي على خير العمل". وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية (خاضعون للأشراف). وباليمامة مياه جارية في القنوات وفيها نخيل. وقيل إنه حين يكثر التمر يُباع الألف من منه بدينار. ومن اليمامة إلى الحسا (الأحساء) أربعون فرسخًا. ولا يتيسر الذهاب إليها إلا في فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر، فيشرب الناس منها، ولا يكون ذلك في الصيف». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

---

(•) يذكر المُستشرق الفرنسي شارل شيفر الذي قام بترجمة كتاب السفرنامه من اللغة الفارسية إلى اللغة الفرنسية عام ١٨٨١م، أن حُكَّام اليمامة في وقت زيارة ناصر خسرو هم من عائلة طباطبا، ورأسهم هو الإمام يحيى الهادي من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(••) الزيدية : هم أتباع مذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو المذهب الطاغ على أهل اليمن.

۞ كتاب : سفرنامه \ تأليف : ناصر خسرو علوي سنة ٤٥٣ ـ ٤٥٥هـ ـ ١٠٦٠-١٠٦٣م.




# بدايات الدعوة النجدية - الحركة الوهابية

# ولمحة مختصرة عن حياة محمد بن عبد الوهاب

قال تعالى : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ - المائدة ٣٢

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ - الفرقان ٦٨

خرجت الدعوة النجدية، أو ما يُطلق عليها الحركة الوهابية، من رحم الصحراء ومن عمق نجد وفي قلب اليمامة دار مُسيلمة الكذَّاب وأطلال قومه بني حنيفة، وربما سيُفاجأ الكثيرون من أن القرية التي خرج منها صاحب الدعوة "محمد بن عبد الوهاب" وهي قرية الجبيلة في العيينة، هي المكان ذاته الذي دارت فيه رحى معارك حروب الردة بين جحافل المُسلمين الذي أرسلهم الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه من جهة وبين جموع الكفار المُرتدين من بنو حنيفة بزعامة مُسيلمة الكذَّاب من جهة أخرى.

وقد دفن في أرض المعركة بالجبيلة في العيينة جثمان الصحابي الجليل زيد بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وكذلك ضرار بن الأزور الذين أستُشهدا في تلك المعركة، وكان لهم دورٌ كبيرٌ في هزيمة الدجال مُسيلمة الكذَّاب وجيشه، وخاصة الصحابي زيد بن الخطاب الذي شدَّ عزم المُسلمين بعد أن كاد بنو حنيفة أن يهزموهم ويكسروا عزيمتهم، ولولا ثبات وحمية وغيرة الصحابي زيد بن الخطاب الدينية لانهزم المُسلمين أمام إصرار وعناد واستماتة بني حنيفة على القتال في سبيل أحسابهم ودفاعًا عن أنفسهم.

حيث كان لزيد بن الخطاب في تلك المعركة يوم اليمامة موقفًا بطوليًا، وقد ثبت حينما شد جيش مُسيلمة على المسلمين وفتكوا بهم، فبادر زيد إلى رفع عزيمة ومعنويات الجيش فقام فيهم وقال : (والله لا أتفوه بكلمة إلا أن ينصرنا الله أو أهلك ) فقاتل حتى مزقته رماح المشركين ولم يتأوه إبرارًا لقسمه.

**إذن خرجت الدعوة الوهابية المذكورة من عقر ديار بني حنيفة أتباع مُسيلمة الكذاب، ومن بين مضارب قتلة الصحابي الجليل زيد بن الخطاب هو وبقية الصحابة الكرام الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم في سبيل بقاء ونصرة هذا الدين العظيم.**

**من تلك البقعة المشؤومة التي دارت فيها رحى معركة الردة خرج علينا محمد بن عبد الوهاب بدعوته الوهابية المزعومة، فكانت وبالا وشؤمًا وكأنها طعنة موجهة للمُسلمين جاءت نكالاً بشهداء اليمامة وطعنة غادرة في ظهر الصحابي زيد بن الخطاب، أو ربما جاءت بمثابة ثأر قديم لشخص موتور جاء يقتص وينتقم لمُرتدي بني حنيفة.**

## ▪ مولد محمد بن عبد الوهاب ونشأته :

**فيما يبدو أن ولادة محمد بن عبد الوهاب غير مؤكدة التاريخ، بسبب عدم وجود توثيق دقيق وتسجيل رسمي آنذاك، لذلك من الصعب معرفة تاريخ مولده بصورة قطعية وثابتة، فمؤرخو الوهابية يجزمون أنهُ وُلد في حدود سنة ١١١٥هـ (الموافق من ١٧٠٣م)، وذلك في قرية العيينة قرب مدينة الدرعية في قلب اليمامة، حيث يذكر ابن غنام وابن بشر أن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان المشرفي وُلد سنة ألف ومائة وخمس عشرة (١١١٥)هـ في بلدة العيينة على الصحيح.** ( انظر كتاب : روضة الأفكار لابن غنام، وكذلك عنوان المجد لابن بشر)**. أما تاريخ وفاته فيبدو أنهُ توفي سنة ١٢٠٦هـ وذلك حسب ما يذكر عثمان بن بشر في كتابه. وقد عمَّر محمد بن عبد الوهاب طويلاً حتى بلغ من العمر عتيًا حيث وصل عمره نحو ٩٢ عامًا وقد عاصر ثلاثة أمراء من آل سعود، كانت البداية مع محمد بن سعود ثم توفي محمد وجاء من بعده ولده عبد العزيز وبقي معه، ثم اغتيل عبد العزيز على يد درويش كردي، واستمر محمد بن عبد الوهاب مع الحفيد سعود حتى توفي في عام ١٢٠٦هـ حسب**

قول ابن بشر. ويصف عثمان بن بشر حال محمد بن عبد الوهاب خلال تلك المراحل بالقول : « كان الشيخ هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث السرايا ويُكاتب أهل البلدان ويُكاتبونه، والوفود إليه والضيوف عنده، والداخل والخارج من عنده : فلم يزل مُجاهدًا حتى أذعن أهل نجد وتابعوا، وعمل فيها بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبايعوا، فعمرت نجد بعد خرابها، وصلحت بعد فسادها ونال الفخر والمُلك من آواه، وصاروا ملوكًا بعد الذل والتفوق والقتال».[۞] - انتهى الاقتباس -

وهذا دليل على أن محمد بن عبد الوهاب كان شريكًا فعليًا في عمليات القتل وسفك الدماء وهتك الأعراض وسلب ونهب الأموال والحلال، ولم يكن آل سعود وحدهم مُشاركين في اقتراف تلك المجازر والجرائم، وأما قول ابن بشر، إن نجد في عهده قد عمرت وصلحت وازدهرت، فكل ذلك تمَّ بفعل عمليات النهب والسلب المُمنهجة وذلك من خلال إجازته لقتل المُسلمين وسلب أموالهم بحجة أنهم من المشركين، وكل تلك السرقات وحملات القتل والترويع وقطع الطريق على الحجيج والحدرات كان قد وثَّقهما كل من حسين بن غنام وعثمان بن بشر في كتابيهما، فأصبح هذان الكتابان دليلين قاطعين على مجازر الوهابيين وبشهادة أهل الدار وليس افتراءً من قبل الأعداء والخصوم، بل جاءت تلك الروايات المدونة بأيدي ابن غنام وابن بشر.

أما الشيخ أحمد زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر الخلافة العثمانية، فيذكر عن تاريخ ميلاد محمد بن عبد الوهاب يُخالف به ذلك التاريخ الذي ذكره ابن غنام حيث يذكر دحلان في كتابه: "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - فتنة الوهابية"، ما يلي : « ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥هـ. وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ تأليف : عثمان بن بشر.

الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد بن عبد الوهاب في عقيدته التي كفَّر بها المسلمين، وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمرهم وحقيقة حالهم فإن فتنتهم من أعظم الفتن التي ظهرت في الإسلام طاشت من بلاياها العقول وحارت فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين، واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائغة بنجد وقرأها، فقام بنصرته وإظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذَّاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول، فتابعه أهلها وسيأتي شيء من عقيدته التي حمل الناس عليها وما زال يطيعه على هذا الأمر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوى أمره فخافته البادية، وكان يقول لهم إنما أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك وكانوا في مبدأ أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم راموا حج البيت الحرام وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فأرسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب وطلبوا الإذن في الحج ولو بمقرر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فأمر مولانا الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة، ونظروا إلى عقائدهم فإذا هي مُشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الأول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الأنذال ووضعهم في السلاسل والأغلال، فسجن منهم جانبًا وفرَّ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبر ونأي عن هذا المقصد وتأخر حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فأرسلوا في مدته يستأذنون

في الحج فأبى وامتنع من الإذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الأمر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون إلا بدين الزنادقة فأبى أن يقر لهم في حمى البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم في الحج بعد أن ثبت عند العلماء أنهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود فلما أن وّلى الشريف سرور أرسلوا أيضًا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فأجابهم بأنكم إن أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام صرمة مثل ما نأخذها من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضًا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول فعلاً فجهز عليهم جيشًا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات إلى أن انقضى تنفيذ مراد الله فيما أراد، وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من العقائد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعدّ من المنظرين فإن ولادته كانت سنة ألف ومائة وإحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة، وأرَّخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث فعمره اثنتان وتسعون سنة وخلف أولادًا أخبث منه قاموا بنشر دعوته بعده) ».[۞]

كما يذكر عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد، أن محمد بن عبد الوهاب قد نشأ نشأة علمية؛ فأبوه القاضي عبد الوهاب بن سليمان كان يحثّه على طلب العلم ويرشده إلى طريق معرفته، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم ، وكان يجالس بعض أقاربه من آل مشرف وغيرهم من طُلاب العلم

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

وبيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء لاسيما الوافدين باعتباره بيت القاضي، ولابد أن يتخلل اجتماعاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ومن خلال تزكية مُفتي مكة أحمد زيني دحلان للشيخ عبد الوهاب قاضي العيينة وولده سليمان، وكذلك باعتراف مؤرخي الوهابية أنفسهم، فإن والد محمد عبد الوهاب بن سليمان كان شيخًا جليلاً وقاضيًا مُحترمًا وجده سليمان كان قاضيًا أيضًا، وكلهم كانوا فقهاء ومشايخ علم معتبرين في الدين، ومع هذا لم يكفّروا أحدًا ولم يسفكوا الدماء قبل مجيء الوهابية، وعليه فكل من انتقد وثرب على والد محمد بن عبد الوهاب موقفه المُضاد له، لأنهُ رفض بشدة تصرفات وهرطقات ولده، وقد نأى بنفسه عن تكفيره للناس، وخالفه في دعوته، فهم قطعًا لا يستطيعوا أن يطعنوا بنزاهة وعلم وفقه والده القاضي عبد الوهاب بن سليمان، وأيضًا لا يستطيعون أن يشككوا بمصداقية وعلم شقيقه سليمان أيضًا.

وقد وصف الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة، كذلك سيرة محمد بن عبد الوهاب في نفس كتابه "الفتوحات الإسلامية" تحت فصل فتنة الوهابية :
« كان ـ أي محمد بن عبد الوهاب ـ في ابتداء أمره من طلبة العلم في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان أبوه رجلاً صالحًا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته في كثير من المسائل، وكانوا يوبخونه ويحذّرون الناس منه، فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين، وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم أن زيارة قبر النبي ﷺ والتوسل به وبالأنبياء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم للتبّرك شرك، وأن نداء النبي ﷺ عند التوسل به شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك، وأن من أسند شيئًا لغير الله ولو على

سبيل المجاز العقلي يكون مُشركًا نحو : نفعني هذا الدواء، وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئًا من مرامه، وأتى بعبارات مزورة زخرفها ولبّس بها على العوام حتى تبعوه، وألف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر كثر أهل التوحيد ».[۞]

إلى أن قال :

« وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون: سيضل هذا أو يضل الله به من أبعده وأشقاه، فكان الأمر كذلك. وزعم محمّد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبرؤ من الشرك، وأن الناس كانوا على الشرك منذ ستمائة سنة، وأنه جدّد للناس دينهم، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) - سورة الأحقاف. وكقوله تعالى: ( وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ)-سورة يونس/١٠٦. وكقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ)- سورة الرعد/١٤. وأمثال هذه الآيات في القرءان كثيرة، فقال محمد بن عبد الوهاب: من استغاث بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك - يعني للتبرّك- وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفَى) - سورة الزمر/٣ ؛ إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفَى ) - سورة الزمر/٣. ثم قال: «روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين ، وفي

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

رواية عن ابن عمر أيضًا أنه ﷺ قال: «أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه» فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة" ا.هـ.
ثم قال :
"وممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بأفضل(*)، فقال من جملة كلامه: « يا ابن عبد الوهاب إني أنصحك أن تكف لسانك عن المسلمين»
ثم قال الشيخ أحمد زيني دحلان: "ويمنعون من الصلاة على النبي ﷺ على المنابر بعد الأذان حتى إن رجلاً صالحًا كان أعمى وكان مؤذنًا وصلى على النبي ﷺ بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم، فأتوا به إلى محمد بن عبد الوهاب فأمر به أن يُقتل فقتل. ولو تتبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لملأت الدفاتر والأوراق وفي هذا القدر كفاية" ا. هـ.
أقول : ويشهد لما ذكره من تكفيرهم من يصلي على النبي أي جهرا على المآذن عقب الأذان ما حصل في دمشق الشام من أن مؤذن جامع الدقاق قال عقب الأذان كعادة البلد : الصلاة والسلام عليك يا رسول الله جهرا، فكان وهابي في صحن المسجد فقال بصوت عال: هذا حرام هذا مثل الذي ينكح أمه، فحصل شجار بين الوهابية وبين أهل السنة وضرب، فرفع الأمر إلى مفتي دمشق ذلك الوقت وهو أبو اليسر عابدين فاستدعى المفتي زعيمهم فألزمه أن لا يدرّس وتوعده إن خالف ما ألزمه بالنفي من البلاد.

وقد جاء في رسالة ردَّ فيها عبد العزيز بن محمد بن سعود على أحمد بن علي القاسمي، أكَّد فيها على رأيه في عدم وجوب الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله، حيث يقول في نص رسالته :
« من عبد العزيز بن سعود : إلى جناب أحمد بن علي القاسمي، هداه الله، لما

---

(*) متن مشهور في المذهب الشافعي لعبد الله بن عبد الرحمن بَافضْل الحضرمي، واسم شرح ابن حجر هو المنهج القويم في مسائل التعليم.

يحبه ويرضاه ..... الخ. وأما قولك: وأوجب الصلاة عليه، وعلى آله في الصلاة. فالذي عليه أكثر العلماء: أن الصلاة عليه ﷺ وعلى آله في الصلاة لا تجب، وأوجبها بعض العلماء، مُستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ـ الأحزاب: ٥٦ وليس في الآية دليل: على أن الصلاة عليه فرض، لا تصح الصلاة بدونها، وأما الصلاة على آله : فلم نعلم أحدًا من العلماء أوجبها، وقال : إن من ترك الصلاة على الآل، لا تصح صلاته، بل هذا خلاف ما عليه أهل العلم، أو أكثرهم». ۞

وقال أيضًا الشيخ أحمد زيني دحلان ما نصه:

« كان محمد بن عبد الوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبه: "ومن توسل بالنبي فقد كفر"، وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم، فكان ينكر عليه إنكارًا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه، وقال له أخوه سليمان يومًا: كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟ فقال خمسة، فقال : أنت جعلتها ستة، السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للإسلام. وقال رجل آخر يومًا لمحمد بن عبد الوهاب : كم يعتق الله كل ليلة في رمضان؟ فقال له : يعتق في كل ليلة مائة ألف، وفي أخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله. فقال له: لم يبلغ من اتبعك عُشر عُشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك، فبهت الذي كفر. ولما طال النزاع بينه وبين أخيه سليمان، خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلى المدينة المنورة وألّف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فلم ينته. وألف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرد عليه وأرسلوها له فلم ينته. وقال له رجل آخر مرة وكان رئيسًا على قبيلة بحيث إنه لا يقدر أن يسطو عليه : ما تقول إذا أخبرك رجلٌ صادق ذو دين وأمانة

---

۞ كتاب : الدُرر السنية في الأجوبة النجدية – الجزء الأول.

وأنت تعرف صدقه بأن قومًا كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني، فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثرًا ولا أحدًا منهم، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك؟ فقال : أصدق الألف، فقال له : إن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذّبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك، فلم يعرف جوابًا لذلك. وقال له رجل آخر مرة: هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل؟ فقال له حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون، فقال له الرجل: إذن دينك منفصل لا متصل، فعمّن أخذته؟ فقال: وحي إلهام كالخضر!! فقال له : إذن ليس ذلك محصورًا فيك، كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الإلهام الذي تدعيه. ثم قال له : إن التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فإنه ذكر فيه وجهين ولم يذكر أن فاعله يكفر».[۞] ويعني محمد بن عبد الوهاب بقوله الستمائة سنة؛ أي القرن الذي كان فيه ابن تيمية وهو السابع إلى الثامن الذي توفي فيه ابن تيمية إلى القرن الثاني عشر. وهي التي كان يقول فيها محمد بن عبد الوهاب إن الناس فيها كانوا مشركين وإنه هو الذي جاء بالتوحيد ويعتبر ابن تيمية جاء بقريب من دعوته في عصره، كأنه يعتبره قام في عصر انقرض فيه الإسلام والتوحيد فدعا إلى التوحيد وكان هو التالي له في عصره الذي كان فيه وهو القرن الثاني عشر الهجري. وبهذا فقد كفَّر محمد بن عبد الوهاب مئات الملايين من أهل السنّة وحصر الإسلام به وبأتباعه، وكانوا في عصره لا يتجاوز عددهم نحو المائة ألف. وأهل نجد والحجاز الذي هو وطنه لم يأخذ أكثرهم بعقيدته في حياته وإنما كان الناس يخافون منه لما علموا من سيرته لأنه كان يسفك دماء من لم يتبعه، وقد فرَّ الكثيرين إلى الدول المجاورة خوفًا من سفك دمائهم، وقد هرب الآلاف من النجديين للزبير والكويت وقطر وبلاد الشام.

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

أما مفتي الحنابلة في مكة المتوفى سنة ١٢٩٥هـ الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي فقد قال في كتابه السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة في ترجمة والد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ما نصّه:

« وهو والد محمّد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تباين مع أن محمدًا لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشيخ عبد الوهاب هذا، أنه كان غضبان على ولده محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر، فكان يقول للناس :"يا ما ترون من محمد من الشر"، فقدّر الله أن صار ما صار، وكذلك ابنه سليمان أخو الشيخ محمد كان منافيًا له في دعوته ورد عليه ردًا جيدًا بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدمًا أو متأخرا كائنًا من كان غير الشيخ تقي الدين بن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه يرى كلامهما نصًا لا يقبل التأويل، ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم، وسمى الشيخ سليمان رده على أخيه "فصل الخطاب في الرد على محمّد بن عبد الوهاب" وسلّمه الله من شرّه ومكره مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد، فإنه كان إذا باينه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مُجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله. وقيل إن مجنونًا كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح، فأمر محمدٌ أن يعطى سيفًا ويدخل على أخيه الشيخ سليمان وهو في المسجد وحده، فأدخل عليه فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول : يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين ويكررها مرارًا، ولا شك أن هذه من الكرامات».۞

---

۞ كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \

تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

وقول مفتي الحنابلة الشيخ محمد بن عبد الله النجدي إن أبا محمد بن عبد الوهاب كان غاضبًا عليه لأنه لم يهتم بالفقه وربما لمُخالفته الصريحة لفقههم الحنبلي وهذا يعني أن محمد بن عبد الوهاب لم يكن من المبرزين بالفقه الحنبلي ولا بالحديث، وإنما جاءت شهرته بسبب دعوته الشاذة تلك، ثم أن أتباعه قد غالوا كثيرًا في محبته فسموه بـ شيخ الإسلام والمُجدّد، بينما قد تجاهله أغلب مترجمو السير وأصحاب كتب الترجمة وحوليات مشايخ الحنابلة، فلم يترجمه أحد من المؤرخين المشهورين في القرن الثاني عشر بالتبريز في الفقه ولا حتى في الحديث».

أما ابن عابدين الحنفي فقد قال في ردّ المحتار ما نصّه :

« مطلب في أتباع ابن عبد الوهاب الخوارج في زماننا: قوله :"ويكفرون أصحاب نبينا ﷺ"علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج، بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي رضي الله تعالى عنه، وإلا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر من خرجوا عليه، كما وقع في زماننا في أتباع محمد بن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة قتل علمائهم حتى كسر الله شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف». ا.هـ

وقال الشيخ أحمد الصاوي المالكي في تعليقه على الجلالين ما نصه :

« وقيل إن هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن في نظائرهم، وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم الوهابية يحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم » اهـ.

## ▪ نسب محمد بن عبد الوهاب :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي، قيل إنهُ مشرفي وهبي من تميم، وقد اختلف بعض المؤرخون في نسب محمد بن عبد الوهاب، فبعضهم قال إنهُ ينتسب لفرع المشارفة من قبيلة بني تميم، ومنهم حسين غنام حيث ذكر نسبه في كتابه : «أما نسبه فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن بريد بن مشرف. ولد سنة خمس عشر بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من البلدان النجدية... وتوفي الشيخ وله من العمر قريبًا من اثنتين وتسعين سنة».۞

وقد خالفهم البعض فقالوا إنه من آل فيروز، فقالوا هو: محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب آل فيروز من الوهبة من بني تميم!

وعارضهم آخرون فقالوا إن محمد بن عبد الوهاب من آل عكل بني عم بني تميم، فقالوا هو : محمد بن عبد الوهاب، يعود نسبهم إلى بني عكل إخوة بني تميم، بني عمهم.

وعكل تنسب أحيانًا إلى بني تميم على طريقة نسبة القوم إلى بني عمهم المشهورين والأكثر، وعلى أية حال فلو كان محمد بن عبد الوهاب عكليًا فيصح نسبته إلى بني تميم أيضًا ونسبته تكون صحيحة.

وهنالك أيضًا بنو عكل من بكر بن وائل، وربما هذا ما دعا البعض إلى نسبته إلى بني حنيفة، وهنالك أقوال أخرى مُختلفة في نسب محمد بن عبد الوهاب، وهذا يدل على أن نسبه ما زال محل اختلاف.

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وقد يكون محمد بن عبد الوهاب هو من المصاليخ فعلاً لأن بني حنيفة قد اندثروا، ولكن بما أن والدة محمد بن عبد الوهاب كانت تميمية فربما اختلط الأمر على بعض المؤرخين وأرجعوه لقبيلة تميم.

مع أن البعض يعتقد أن أسرته ربما كانت من بقايا بعض الأسر المُندثرة في نجد والتي تداخلت مع بعض القبائل العربية الأخرى،كما أن بعض المُستشرقين أصروا على أن محمد بن عبد الوهاب هو من عشيرة المصاليخ من عنزة، إلا أن الموثق لدى المراجع السعودية الرسمية أنه من بني تميم!

ولدينا قول للرحالة الإنجليزي وليام بالجريف الذي ذكر في كتابه، أن محمد بن عبد الوهاب من المصاليخ ويؤكد على ذلك بل ويزعم أنهُ لا يمكن لأحد أن ينسى أن محمد بن عبد الوهاب كان من المصاليخ!

وهو يؤكد في كتابه على الدوام أنهُ قد استقى معلوماته من أهل العارض أنفسهم، وهذا الانتساب يُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أغلب أهل نجد كانوا يجهلون حقيقة أصولهم العرقية أو على الأقل هم غير مُتأكدين من صحة الأصول العرقية لأغلب الأسر الحضرية المعروفة لديهم، فتجد كل أسرة تجتهد وتزعم أنها تنتمي لقبيلة مشهورة من القبائل العربية لكي تحافظ على مكانتها الاجتماعية وأحيانًا الدينية، والمُفارقة الغريبة هنا، أن آل سعود هم أيضًا سبق وأن ادعوا أنهم من عشيرة المصاليخ من قبيلة عنزة، ثم عاد سلمان بن عبد العزيز آل سعود وفنَّد ذلك الادعاء، ثم أصدر بيانًا رسميًا ذكر فيه أنهم (أي آل سعود) يرجعون إلى قبيلة حنيفة التي بادت بدورها واندثرت كما سيمر معنا.

وأما حفيده عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الذي عاصر الصراع على السلطة بين أبناء فيصل كل من عبد الله وسعود وعبد الرحمن، فقد أورد ترتيب أجداده في تعريفه لسلسلة نسب جده محمد بن عبد الوهاب، لكن الغريب أن عبد اللطيف لم ينسبه لبني تميم، حيث أورد في رسائله الشهيرة والتي جُمعت في كتاب عرف بـ(مجموعة الرسائل والمسائل النجدية)

ما نصه: « فأما نسب الشيخ فهو الإمام العلم القدوة البارع محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف». ۞

وبما أن أغلب المصادر السعودية المحلية تذكر أن محمد بن عبد الوهاب كان قد ولد في العيينة، وتنسبه إلى قبيلة بني تميم، فإن الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف الذي زار حائل والرياض قبل حوالي الـ١٥٠ عامًا من الآن، يُخالفهم الرأي حيث يذكر معلومات مُختلفة تمامًا عما هو معروف ومُتداول عن أصل ومكان ولادة محمد بن عبد الوهاب، فقد دون لنا في كتابه الموسوم: (وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م) أن محمد بن عبد الوهاب مصلوخيًا أي من فخذ المصاليخ، ويؤكد لنا بالجريف أنهُ استقى تلك المعلومات من قبل سكان نجد آنذاك، حيث يقول :

« كنا قد خلفنا وراءنا كثيرًا من القرى والهجر الأخرى قليلة الأهمية، منها القاصي ومنها الداني، إلى ما قبل وصولنا بساعات قليلة إلى طريق الهضبة الجميل عبر تموجات الهضبة التي تصعد حينًا وتنحدر حينًا آخر، إلى أن وصلنا مدينة حريملاء عند غروب الشمس، لنقضي فيها فترة المساء. هذه المدينة هي مسقط رأس الشيخ الشهير محمد بن عبد الوهاب، مؤسس هذا المذهب الذي يطلق عليه اسمه، والذي ينتشر حاليًا في نصف الجزيرة العربية تقريبًا، هذه المدينة تشكل بويب أو مفتاح معقل وسط نجد الرئيسي، الذي تحميه شقراء من ناحية الغرب، والخرفة من ناحية الجنوب، وشعيب وادي السّلي من ناحية الشرق، وهذه المداخل الأربعة تحتل المداخل المؤدية إلى ما كان يُسمى في الماضي باسم وادي مُسيلمة (الكذاب) وأصبح يُسمى الآن وادي حنيفة الذي تقع العاصمة الرياض في متاهته العميقة، والذي يُعد بمثابة القلب من نجد. وُلد محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الذي يحمل اسمه

---

۞ كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\ رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢هـ.

في مدينة "حريملاء" قبل منتصف القرن الماضي تقريبًا، ويمتد أصله النَسَبي الذي تناوله الكثيرون ولا ينساه أحد مُطلقًا إلى عشيرة المُصاليخ القوية، التي لا يزال الفرع البدوي منها يتجول في المناطق المُجاورة للزبير وفي الشمال الغربي من الخليج الفارسي (العربي)، وقد بدأ محمد بن عبد الوهاب حياته مثل كثير من النجديين، تاجرًا متجولاً، وكانت رحلاته الأولى في اتجاه البصرة وبغداد، أما مسألة زيارته لكل من إيران والهند والقسطنطينية كما يقول بعض المؤلفين، فهي غير مؤكدة في المصادر المحلية، التي تعد المصدر الوحيد الذي تيسر لي وأنا أكتب عن هذا الرجل» ۞.

ويؤيد ما ذهب إليه بالجريف أيضًا المؤلف الأمريكي ـ كرنيليوس فإن الآن فانديك ـ المعروف بالأمريكاني، في كتابه "المرآة الوضية في الكرة الأرضية" والذي دوَّنه في سنة ١٨٨٦م، حيث يذكر هو الآخر أن محمد بن عبد الوهاب يعود أصله إلى فخذ المصاليخ من ولد علي، أي من قبيلة عنزة، لكننا نجده يقول في مقدمة النص المكتوب نفسه، إن الطائفة الوهابية كما يسميها هو، منسوبة إلى رجل من تميم، ثم يعود وينسب محمد بن عبد الوهاب إلى فخذ المصاليخ، وهذا يعني أن هنالك غبشًا ولغطًا واختلافًا واضحًا في صحة نسب محمد بن عبد الوهاب منذ زمن طويل وقد جاء في كتابه:

« وفي أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن قويت الطائفة الوهابية، وهي منسوبة إلى رجلٍ من تميم يُقال له محمد بن عبد الوهاب سكن في درعية نجد، وكان يومئذٍ (محمد بن) سعود بن عبد العزيز العنزي من ربيعة الفرس شيخ البلد، ومحمد بن عبد الوهاب من المصاليخ من ولد علي، ولهذه القبيلة بواقي في نواحي زُبيد على خليج العجم، فاتفق سعود مع ابن عبد الوهاب على إذاعة تعاليمه، وكان ذلك نحو ١٧٦٠ مسيحية». ۞۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

۞۞ كتاب: المرآة الوضية في الكرة الأرضية\ تأليف: كرنيليوس فإن الآن فانديك الأمريكاني ١٨٨٦م

أما والدة محمد بن عبد الوهاب، فحسب الرواة السعوديين أيضًا هي ابنة محمد بن عزاز الوهيبي التميمي، أما زوجاتهُ فيُقال إنهن كُنَّ ثلاث زوجات أو ربما أكثر، وأما زوجته المشهورة التي عُرفت من خلال الأخبار المدونة والموثقة في تلك الفترة، فهي الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، عمة أمير العيينة الأمير عثمان بن معمر (ذبيح المسجد)، ولا يُعرف هل رُزق محمد بن عبد الوهاب منها بأبناء، أم كان أبناؤه من زوجات أخريات، خصوصًا وأنهُ قد تزوج في سن مُبكرة وهو في مرحلة المُراهقة، وذلك قبل أن يتزوج الجوهرة بنت معمر، وهل يا ترى تزوج محمد بن عبد الوهاب غيرهما لاحقًا أم لا؟
إلا أنني شخصيًا كمُتابع للأحداث، لا أعتقد أن الجوهرة بنت معمر، قد بقيت على ذمة محمد بن عبد الوهاب بعد أن فنيت عائلتها على يده هو وشركائه، خصوصًا بعد أن قام زوجها هو ومحمد بن سعود بالتآمر والغدر بابن أخيها الأمير عثمان بن معمر، الذي زوَّجها به عندما كان لاجئًا عندهم في العيينة.

حيث أن المصادر التاريخية اللاحقة شحيحة جدًا في هذا الجانب، خصوصًا أن بعد دعوة محمد بن عبد الوهاب، أصبح هنالك تشددًا واضحًا في قضية سرد سِير النساء وذكر المرأة على اعتبارها عورة لا يجوز التخاطب معها أو ذكرها من قبل الغرباء، وأصبح ذكر أسماء النساء يُعتبر من العيب والعار لدى الوهابيين، بينما كان أهالي نجد قبل تلك الدعوة المشبوهة لا يتورعون من ذكر أسماء النساء خصوصًا ممن لهن مواقف مُشرفة وصيت وشهرة، والدليل هو ما ذكره المؤرخون لنا من موقف الجوهرة بنت معمر التي أجارت محمد بن سعود كما سيأتي ذكره لاحقًا، والتي تزوجها محمد بن عبد الوهاب لاحقًا.

وسبب الخلط الوارد هنا وربما الجهل أحيانًا في الأنساب والأحساب، أولاً هو ما تعرضت له نجد أو منطقة العارض واليمامة تحديدًا من تغيير ديموغرافي بعد رحيل قبيلتي مضر وربيعة لأسباب قاهرة سبق ذكرها، ومن ثم مجيء أقوام أخرى سكنوا في ديارهم واستوطنوا في مناطقهم، فاختلط الحابل بالنابل.

وثانيًا بسبب وجود أُسر كثيرة من أحفاد أولئك الموالي والرقيق الذين جلبوا من الخارج واستوطنوا في قرى اليمامة، فأصبح هؤلاء (القراوية) أهل تلك القرى البدلاء لا يهتمون أصلاً ولا يعبئون بحفظ الأنساب، لأنهم من أصول غير عربية وغالبيتهم من الأعاجم جيء بهم عنوةً كأرقاء إلى اليمامة في فترة خلافة معاوية ابن أبي سفيان.

ومن يطلع على التاريخ سيجد أن منطقة اليمامة لم تشهد تنافسًا قبليًا بعد هجرة قبيلتي مضر وربيعة، فلم يعد هنالك وجود عربي ذو بال أو وزن يذكر، وانتهت عملية التنافس والتطاحن القبلي بعد تشتت القبائل العربية من اليمامة وحلَّت محلها الصراع والتنافس العقدي والمذهبي، واختفت النعرة القبلية، وبقيت اليمامة أطلالاً وخرائب بعد رحيل أهلها فبات البُوم ينعب بين أركانها.

ثم عادت الحياة تدريجيًا إلى اليمامة من جديد بعد عدة قرون، ولكن كانت تلك العودة جاءت بوجوه جديدة وسُكان جُدد، وبدأت تظهر بعض الصراعات الأسرية الضيقة، واتخذت كل أسرة من تلك الأسر اسمًا لقبيلة عربية معروفة في غفلة من التاريخ، لذلك فإن أغلب حاضرة نجد لم تكن تتشبث بمفهوم القبيلة كمرجع وملجأ إلا حديثًا، وكان عندما يُسأل الناس عن أنسابهم يرمون بثقلهم على إحدى القبائل العربية فيقولون إنهم من قبيلة كذا أو من فخذ كذا، فلم يعد المرء يميِّز ما بين ابن القبيلة فعلاً وبين الأدعياء، فأختلط الحابل بالنابل.

وعلى أية حال فالنسب والقبيلة وحتى المكانة الاجتماعية لا تُقدم ولا تؤخر لا في الخير ولا في الشر، ولن تشفع للمرء حينما يقترف جرائم أو فظائع بحق البشرية، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم، إذن وحسب رواية المؤرخين السعوديين الرسميين فهو محمد بن عبد الوهاب التميمي.

أما مؤلف كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب"، فهو يؤكد أن محمد بن عبد الوهاب كان تميميًا، ولكنهُ ينسبه إلى فرع سنان، ومعلوم أن

بني سنان هُم من بني سعد بن زيد بن مناة، بينما ترجعه المصادر السعودية إلى فرع المشارفة من الوهبة من تميم، حيث يذكر حسن جمال الريكي في كتابه سلسلة نسب محمد بن عبد الوهاب، دون أن يذكر اسم جده سليمان، وكذلك يُضيف أسماء جديدة لجدود محمد بن عبد الوهاب الأوائل، وكأنه يتحدث عن شخص آخر، حيث جاء في كتابه ما نصه:

«حدثنا عبد الله بن غنام الأحسائي، أخبرنا محمد بن ماجد، أنبأنا محمد بن ماضي النجديان، والكل ثقة، أن محمد بن عبد الوهاب هو من بني سنان قبيلة بني تميم، فهو محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن علي بن سعد بن سلمة بن فلاح بن عبد الواحد ابن حميد بن سالم بن سنان .... الخ». [۞] -انتهى-

ولا يكتفي صاحب كتاب (لمع الشهاب) عند هذا الحد من الترتيب التسلسلي والنسبي لمحمد بن عبد الوهاب، بل يدعي أن بدعة محمد بن عبد الوهاب المُسماة بالدعوة الوهابية كانت قد أدت أثناء ظهورها إلى شقاق وقتال دموي وقع بين بني تميم أنفسهم، عندما انقسموا إلى فريقين مُتناحرين، فريق مكون من أشقاء وأبناء عمومة محمد بن عبد الوهاب الأقارب جدًا، وفريق من أبناء عمومة محمد بن عبد الوهاب الأباعد نوعًا ما، وكلاهما من تميم، حيث يروي قائلاً: « قال بعض المُحدثين الثُقات: لما أراد محمد بن عبد الوهاب ظهور البدعة، جلس في بيته ثمانية أشهر، مُعتزلاً عن الناس، يَنظر في الكُتب دائمًا، فحين مضت المُدة، خرج على الناس يومًا وفي يده كتاب صغير الحجم، فقال: اشهدوا الله أني مُقتفٍ ما في هذا الكتاب، وأنا أقول إن الذي سُطر فيه الحق لا غير. فقام رجل اسمه عليّ بن ربيعة، وهو من كبار بني تميم، من قبيلة بني سعد، فقال له: يا محمد، أنت رجل شريف في قومك، لا تقُل ما ليس حقًا، فتندم بوقوع الفتنة بين الناس. قال: هذا الكتاب، اقرأه فإن وجدت فيه خللاً عاتبني به. فأخذ الكتاب وجعل ينظره من أوله إلى أخره، ثم رده إليه قائلاً :

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف : حسن جمال بن أحمد الريكي.

هذا حق فبين لما كيفية سلوكه، وما ينبغي أن يُتبع بسبب رواجه؟ فقال له محمد بن عبد الوهاب: طريق رواج هذا الأمر النصيحة، وبذل المعروف. فقال له علي بن ربيعة: فإن لم يجر بذلك؟ قال: بالسيف. فقال له: كيف يستحق القتل من لا يتبعه؟ فقال: لأنهُ كافر مُشرك! قال: أتقول هذا؟ قال: نعم، وهو اعتقادي. فتفرق المجلس ورجع هو إلى بيته فجاءه ابن عمه عبد الله بن حسين، فقال له: أحق ما نقلوه عنك يا ابن عمي من الخروج بهذا المذهب؟ فقال: نعم. قال له : والله والذي لا يُعبد غيره، إن دعوت أحدًا من بني سنان إليه، لأخطفن رأسك. فوقع بينهما تشاجر وجدال فأومئ عبد الله إليه بالسيف فأصابه بيده، كاد أن يُبريها، فقام بعض بني أعمامه ليمنعوه، فوقعت الفتن بين قبائل اليمامة. قيل قُتل ذلك اليوم حماد بن رشيد السعدي وصالح بن فهد السناني وجبير بن ناصر النهدي وسبعة نفر لم يُسموا بأسمائهم إلا أنهم من بني سنان خاصة». ۞ - انتهى الاقتباس -

وكما قلت فقد تردد كثيرًا وخصوصًا من قبل المصادر السعودية الرسمية على أنهُ كان من قبيلة بني تميم، لكن الخلاف كان واضحًا سواء اسم القبيلة أو في نسبة الفرع أو البطن الذي ينتمي إليه، ولهذا فإن الجزم بأنهُ ينتسب لقبيلة بني تميم فالمسألة فيها بعض النظر.

وبرأيي أن سبب التركيز هنا على تميمية محمد بن عبد الوهاب، وإصرار البعض على أنهُ من نسل تميم تحديدًا، فهو نوع من الدفاع المُستميت عنه وعن دعوته، وذلك من خلال التزكية المُطلقة له والعزف على وتر طيب الأصل والمنبت، وكأن هنالك بشر نُجباء مُختارون وغيرهم من الدون والرعاع، تلك الحجج السقيمة الواهية التي عادةً ما يستخدمها العنصريون الشوفينيون والتي يُدندن بها أتباعه إزاء كل من يُشكك بدعوته؟

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف : حسن جمال بن أحمد الريكي.

حيث أنهم يُحاولون تبرئته مما يُنسب إليه من أفكار وممارسات دموية خارجة عن سماحة الإسلام، ويريدون بذلك أن يرفعوا الشبهات عنه وعن دعوته النجدية، من خلال القول إنهُ من قبيلة تميم التي زكاها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وقال فيها:

وهو ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب العتق (١٢٢/٣) وفي كتاب المغازي (١١٥/٥- ١١٦) ومسلم في فضائل الصحابة برقم (١٩٨) عن أبي هريرة واللفظ هنا لمسلم: عن أبي زرعة قال: قال أبو هريرة : لا أزال أحب بني تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هم أشد أمتي على الدجال)، قال: وجاءت صدقاتهم، فقال النبي ﷺ : هذه صدقات قومنا)، قال وكانت سبية منهم عند عائشة، فقال رسول الله ﷺ: (أعتقيها؛ فإنها من ولد إسماعيل).

وهنا يُحاولون التدليس حيث يوحون للقارئ أن محمد بن عبد الوهاب كان تميميًا، والرسول يُزكي قبيلة بني تميم، وعليه فلا يمكن أن تكون دعوة محمد بن عبد الوهاب كاذبة، والرسول قد زكى قبيلته وقال إنهم أحب إلى قلبه!؟

وهذا هو التدليس بعينه والتلبيس أيضًا، لأن لو فرضنا جدلاً أن محمد بن عبد الوهاب كان تميميًا فعلاً فهل هذا يعني تزكية له كونه تميميًا فقط، أو هل هذا يعني أن كل من هو تميمي فهو معصوم ومزكى من قبل الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام؟

الجواب: لا طبعًا والدليل أن سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية هي المرأة الوحيدة التي خرجت في نجد وفي اليمامة أيضًا تدعي النبوة الكاذبة، فهل كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وحاشاه مُزكيًا لسجاح التميمية كونها تميمية فقط؟

بل على العكس فإن الرسول الكريم قد حذر من جهة نجد ورفض الدعاء لأهلها، وذكر أنها قرن الشيطان وبؤرة الزلازل والفتن، وهذا ما سنكشفه في

الفصول القادمة، فمثلاً قد جاء حديث روي عن أبي مسعود عقبة بن عمرو: [أشار رسول الله ﷺ، بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان ها هنا؛ ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر)].

وجاء في (الجامع الصحيح المختصر): [حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن إسماعيل قال: حدثني قيس عن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال : أشار رسول الله ﷺ، بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان ها هنا؛ ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر)]. كما جاء في حديث عمرو بن عبسة: [الإيمان يمان] في (مسند الإمام أحمد بن حنبل): [حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثني شريح بن عبيد عن عبد الرحمن بن عائذ الأزدي عن عمرو بن عبسة السلمي قال : كان رسول الله ﷺ، يعرض يومًا خيلاً وعنده عيينة بن حصن بن بدر الفزاري فقال له رسول الله ﷺ : (أنا أفرس بالخيل منك)؛ فقال عيينة : (وأنا أفرس بالرجال منك!) فقال له النبي ﷺ : (وكيف ذاك؟!)، قال: (خير الرجال رجال يحملون سيوفهم على عواتقهم جاعلين رماحهم على مناسج خيولهم لابسو البرود من أهل نجد!). فقال رسول الله ﷺ: (كذبت: بل خير الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان : إلى لَخْمٍ وَجُذَامَ وَعَامِلَةَ وَمَأْكُولُ حِمْيَرَ خَيْرٌ مِنْ آكِلِهَا، وَحَضْرَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، وَقَبِيلَةٌ خَيْرٌ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَقَبِيلَةٌ شَرٌّ مِنْ قَبِيلَةٍ. وَاللَّهِ مَا أُبَالِي أَنْ يَهْلِكَ الْحَارِثَانِ كِلَاهُمَا. لَعَنَ اللَّهُ الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ : جَمَدَاءَ وَمِخْوَسَاءَ وَمِشْرَخَاءَ وَأَبْضَعَةَ وَأُخْتَهُمْ). ثُمّ قال: ( أَمَرَنِي رَبِّي عَزّ وَجَلّ أَنْ أَلْعَنَ قُرَيْشًا مَرّتَيْنِ فَلَعَنْتُهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ فَصَلّيْتُ عَلَيْهِمْ، مَرّتَيْنِ)، ثُمّ قال: (عُصَيّةُ عَصَتْ اللّهَ وَرَسُولَهُ غَيْرَ قَيْسٍ وَجَعْدَةَ وَعُصَيّةَ). ثُمّ قال : (لَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ وَأَخْلَاطُهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ عِنْدَ اللّهِ عَزّ وَجَلّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، ثُمّ قال : (شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ نَجْرَانُ وَبَنُو تَغْلِبَ وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنّةِ مَذْحِجٌ وَمَأْكُولُ)].

بل مَن منا لا يعرف حكاية ذو الخويصرة التميمي مع الرسول ﷺ، وكيف اعترض ذو الخويصرة على قسمة سيد الخلق! حيث جاء في الحديث : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال : يا رسول الله اعدل، فقال: ( ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)). فقال عمر يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: (( دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس)).

## ▪ سمات محمد بن عبد الوهاب الشخصية :

لا شك أن محمد بن عبد الوهاب كان شخصًا ذكيًا ويمتاز بصفة الدهاء والمكر والحيلة، ولكنه كان مُخاتلاً غدارًا لا تؤمن بوائقه ولا وفاء له حتى مع أقرب الناس إليه، وأعني مكره بشقيقه سليمان وكذلك غدره بمن أجاره وآواه؛ وأعني الأمير عثمان بن معمر، وكان محمد بن عبد الوهاب صاحب إصرار وعزيمة قويان لا يستهان بهما خصوصًا فيما يتعلق بتنفيذ مشروعه الشخصي الذي تمحور في الوصول إلى المجد تنفيذًا لرؤية جده سليمان (إذا صحت تلك الروية)، ولكن نجاحه تكلل من خلال سفك الدماء واستغلال جهود ونفوذ الغير، لأنهُ في الحقيقة كان هيابًا جبانًا رعديدًا يخشى المواجهة ولم يذكر عنه قط أنهُ كان شجاعًا أو فارسًا أو منبريًا لأعدائه أو مواجهة خصومه، فحتى مُسيلمة حنيفة الكذّاب كان أجرأ منه وأرجل منه، وبرغم دجل مُسيلمة

وكذبه وأفكه وادعاءاته الزائفة بالنبوة الكاذبة إلا أنهُ كان فارسًا شجاعًا ولا أحد ينكر عليه ذلك حتى ألد خصومه.

أما دعي العيينة محمد بن عبد الوهاب فقد كان مراوغًا مُخاتلاً رعديدًا على الدوام ويستغل الآخرين ويستخدم كلَّ من حوله كبيادق وأدوات لتنفيذ مشاريعه وأهدافه الخفية ومن ثم الزج بهم في أتون المخاطر لتحقيق غاياته الدفينة، وكل الحوادث السابقة التي مرَّت به من خلال ما رواه مؤرخو الوهابية وليس خصومهم، ثبت أنهُ كان رعديدًا جبانًا لا يواجه خصومه أو أعداءه، ويفضل دائمًا خيار الهروب أو الفرار من المواجهة قبل أن يُفتك به، وقد تكرر هروب محمد بن عبد الوهاب أكثر من مرة، وأثبتت الوقائع أنهُ يبحث دائمًا عن كبش فداء ينفذ به أغراضه الدفينة ويُحقق من خلاله أهدافه المخفية.

وربما ظهرت شخصية محمد بن عبد الوهاب المُتقلبة البرغماتية الوصولية جليًا أثناء لقائه بقاضي البصرة المدعو حسين الإسلامبولي، فحينما دار النقاش حول آراء محمد بن عبد الوهاب المُكفرة للخلق، وعن الشبهات وآراء الخوارج في أفكاره، انهار محمد بن عبد الوهاب سريعًا وتنكر لكل أفكاره ومعتقداته وبدأ يتوسل بقاضي البصرة مُظهرًا الانكسار والضعة، ثم أخذ يستعطف قاضي البصرة بأن يرحمه ويرأف بحاله، لأنهُ مُجرد عابر سبيل غريب وطالب علم حلَّ بأرضهم، وأن مثل القاضي هو من يُكرم الضيف ويرفق به، هذا حسب ما جاء في طيات كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" للمؤلف حسن جمال الريكي، حيث يقول ما نصه :

« فلما عُزل عمر آغا عن البصرة وحكمها جرجس آغا مُسلما، ورفع القاضي شهاب الدين الموصلي من منصب قضاء البصرة، وجعل القاضي حسين الإسلام بولي مكانه، أُنبئ القاضي حسين بخبر محمد بن عبد الوهاب وصيته، فأرسل إليه : إني أريد زيارتك غدًا، فقال حُبًا وكرامة. فحين أصبح الصباح

ركب القاضي حسين مع تلاميذه وحشمه حتى أتوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فلما علم بوصولهم إلى الباب قام فالتقى القاضي وعانقه، وأجلس أعلى مجلس، فقال القاضي حسين : أيها الشيخ، بلغني عنك أنك تُحدث الناس بأحاديث لم تعهد في كتاب العلماء، وتفسر القرآن بوجوه لم ينزلها رب السماء، أتريد أن تُحدث أمرًا في الدين، أم اشتبهت عليك طريقة المُسلمين؟ فإن لم تمتنع عن تلك الشبهات الواهية وإلا فيهدر دمك ويُهتك حرمك، فتعذر هو من القاضي، وحلف بالله أنهُ ما قال شيئًا مما نُقل إليه وأخذ يُظهر الإخلاص ويلتمس ويُبدي العجز والانكسار ويقول: رجلٌ غريب طالب علم حلَّ بأرضكم إن رفقتم به فمثلكم يُكرم الضيف، وإن أساتموه فلا ضرر ولا حيف. فلما سمع القاضي حسين منه هذه الكلمات أمَّنه، وسار إلى بيته».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد تكررت مُناورات ومُراوغات محمد بن عبد الوهاب من هذا القبيل في بدايات دعوته، وظهر منه بعض المواقف الانهزامية حتى وهو في عز سطوته وجبروته، وسيمر معنا مُبايعته لشريف مكة وموقفه المُهادن عندما انتصر المكرمي على الدرعية، فقد كان محمد بن عبد الوهاب دائم المراوغة والمواربة والتملص أثناء الشدائد، وكان دائم الفرار والهروب من المواجهة عندما تشتد به الخطوب. فسواء كان هروبه المعروف من بلدة حريملاء ولجوئه إلى العيينة خوفًا من بطش "العبدين" في حريملاء المدعوين بـ الحميان، وذلك بعد أن تسورا عليه جدار منزله فخاف منهما وهرب من حريملاء وعاد لديرته العيينة... أو هروبه من قرية العيينة فيما بعد واختفائه في أحد بيوت الدرعية القديمة، خوفًا من خصومه ومن محمد سعود... أو فراره من البصرة وخوفه من الذين خالفوه في آرائه... أو حتى حينما أراد تحقيق حلمه القديم والمؤرق وهو هدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب، فلم يجرؤ أن يقدم هو بنفسه على تنفيذ تلك العملية ولم تتملكه الشجاعة فذهب

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف : حسن جمال بن أحمد الريكي.

يطلب العون من الأمير عثمان بن معمر ويرجوه ويحثه كي يقوم بالمُهمة بدلاً منه، وفعلاً قام المسكين عثمان بن معمر بتوفير الحماية اللازمة له لكي يهدم محمد بن عبد الوهاب ذلك القبر دون أن يعرف المغزى ودون أن يُدرك أنهُ سيكون أول من سيسفك دمه على يد هذا الدعي الدجال.

وكذلك موقف محمد بن عبد الوهاب المُرتعب حينما سعى أمير العيينة عثمان بن معمر في مساعي الصلح بين أمير الرياض الشرس دهام بن دواس وبين محمد بن سعود وشريكه محمد بن عبد الوهاب، وذلك وقفًا للحرب الدائرة بينهما وحقنًا لدماء المُسلمين، وقد نجح ابن معمر بإقناع دهام بن دواس في الدخول إلى دين محمد بن عبد الوهاب، فقام عثمان بن معمر بدعوة ابن دواس للصلح مع أهل الدرعية بعد صراع دموي طويل بينه وبينهم، وحينما وافق دهام بن دواس على القدوم إلى العيينة ليتصالح مع محمد بن عبد الوهاب؛ قام عثمان بن معمر بدعوة محمد بن عبد الوهاب للقدوم إلى العيينة ليحضر ويُبارك ذلك الصلح مع ابن دواس.

لكن محمد بن عبد الوهاب كعادته ارتعب وجبن مُدعيًا أنه شعر برائحة الخيانة وأنهُ ارتاب بمساعي ابن معمر؛ دون دليل ملموس، فقرر عدم حضور ذلك الصلح. ليس هذا فحسب، بل زاد كيده وتآمره ضده أمير العيينة عثمان بن معمر رغم مساعيه الطيبة، إلى أن أفتى بقتله لاحقًا، ولو أن محمد بن عبد الوهاب كان قد تشجع وتجرأ وقدم لحضور ذلك الصلح لحقن دماء المُسلمين ولقطع الشك باليقين، لكنه كان رعديدًا يعاني من فوبيا التآمر والغدر ومن هاجس الشك والريبة من قبل الجميع.

وعن تلك الحادثة يحاول تلميذه حسين بن غنام أن يُحرف أحداثها ويمنح شيخه العذر بعدم القدوم لحضور صلح العيينة، إلا أن الوقائع أثبتت عكس ادعاءاته، حيث جاء في كتاب ابن غنام :

« أنهُ (أي عثمان بن معمر) أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العيينة، وكان يتفوه في المجالس والمحافل أنهُ لمنهج الإصلاح مائل ولتكثير سواد المُسلمين فاعل والله أعلم أنهُ خائن خاتل، فحسن له تلك الأفعال وقدم إبراهيم مع دهام بلا إمهال فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان، وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهما من الأعيان، فصار سببًا لما ناله من الذل والهوان، فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهامًا إليه قصد، شق عليهم ذلك وعابوه، ولكنهم من الفتك به هابوه، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يُشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمُبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين، فاجتمع أهل البلد جميعًا وساروا إليه سريعًا، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة موّهَ عليهم مطلوبه وقصده، وقال لهم ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصلح ويتم بمجيئه المرام والصلح، ويدخل دهام في دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الإحكام، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم، ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا في قدومه الحيلة، يحثه على المجيء والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور، وقد ألقى الله في روع الشيخ خيانته وتحقق أنه لم يوف أمانته، بل حُكي أن الشيخ جاءه النذير يحذره من الحضور والمسير، وأبدى غاية الامتناع وأعتذر عن الموافاة والاجتماع». ۞

وربما سيدافع أتباع محمد بن عبد الوهاب وأنصار الوهابية بالقول إنه إيثاره الدائم بعدم المواجهة يُعتبر نوعًا من الذكاء والحنكة السياسية والانسحاب التكتيكي، وهو قد تأسى بسيرة الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام،

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

لأن الرسول ﷺ فرَّ من مكة ليلاً واتخذ غار حراء مأوى ليختبأ فيه هو وصاحبه الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه. والمُقارنة هنا غير منطقية ولا واردة أصلاً، لأن الرسول الكريم ﷺ، كان رسول هذه الأمة جمعاء وخاتم النبيين، وقد تكالبت عليه قريش وحلفاؤها وقد أعدوا العدة للفتك به، بعد أن انتخبوا رجلاً من كل قبيلة ليغتالوه ليلاً حتى يتفرق دمه بين القبائل، وذلك بعد أن فاوضوه وعرضوا عليه أن يكون سيدًا عليهم، لكنه رفض وأبى إلا أن يُتم دعوته الإسلامية الربانية الغراء ليهدي الأمة من بعده، ولم يكن عليه أفضل الصلاة والسلام أن يفر أمام نفرين من عبيد حريملاء ومعه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب. والرسول ﷺ خاض عدة معارك وقاتل بنفسه وبارز بسيفه وقد جرح في مواجهة خصومه، ولم يتوانى أو يُجبن قط، بينما محمد بن عبد الوهاب كان جبانًا هيابًا رعديدًا غير قادر حتى عن الدفاع عن نفسه، وكان يزج بالآخرين في أتون تلك المعارك العبثية ليحقق أهدافه ومشاريعه المشبوهة.

لكن أتباع الوهابية سوف يُجبرون مثالب محمد بن عبد الوهاب ويغطون على جرائمه، ويجيرونها بالعودة إلى السيرة النبوية، ويزعمون أنهُ كان يقتدي بالرسول الكريم ﷺ، خصوصًا تأليفهم لبعض الحوادث المُشابهة لسيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ـ وهذا ما سيأتي ذكره وكشفه من خلال الحوادث القادمةـ. ولكن يجب أن أذكر هنا أن محمد بن عبد الوهاب كان قد غادر العيينة في رحلته الشهيرة إلى المدينة المنورة ومن ثم إلى البصرة، وقيل إنهُ وصل لبلاد فارس، وبعدها قفل عائدًا إلى قريته العيينة بعد أن فقد الأمل في الترويج لأفكاره التكفيرية، وكاد أن يُفتك به في البصرة عندما حل ضيفًا على الشيخ محمد المجموعي، وقد فرَّ محمد بن عبد الوهاب بجلده وقطع المسافة من البصرة إلى الزبير (حوالي ١٥ كيلومتر) سيرًا على الأقدام، ولولا أن صادفه صاحب حمار "مكاري" من أهالي الزبير يُدعى أبو حميدان لهلك عطشًا في تلك المنطقة، ومع أن أهل الزبير لم يقصروا معه فأكرموا وفادته

وقاموا بدفع أجرة عودته لنجد بعد أن فقد كل مدخراته، لكنه وكعادته جزاهم جزاء سينمار، فما أن تمكن لاحقًا حتى أفتى بشن الحملات الدموية على بلد الزبير متهمًا إياهم بالشرك وعبادة القبور!

ثم عاد بعدها محمد بن عبد الوهاب من الزبير إلى العيينة فوجد أن والده القاضي عبد الوهاب بن سليمان، قد عُزل من دار القضاء في العيينة من قبل الأمير الجديد محمد بن معمر الملقب بـ"خرفاش"، وقد رحل والده وبقية أسرته إلى بلدة حريملاء المجاورة، فتبعه هناك وبقي في حريملاء يثير القلاقل والفتن، حتى وقع بينه وبين أبيه خلاف وكلام شديد، كما يذكر المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر، والحقيقة أن والده وشقيقه سليمان كانا قد سئما منه ومن هرطقاته وتصرفاته الرعناء، حيث بات يكفر ويبدع حسب هواه، فحذراه ونبهاه مرارًا من مغبة تلك التصرفات الخطيرة.

## ▪ محمد بن عبد الوهاب : حلم النبوة وعقدة زيد بن الخطاب رضي الله عنه :

من هنا تبدأ الحكاية، ومن عند قبر الصحابي زيد بن الخطاب تحديدًا سنعرف الأسباب الكامنة لخروج ذلك الدعي النجدي، ومن ثم نحلل ذلك الوهم الذي تلبسه وبات مسكونًا به فراوده ذلك الحلم في أن يصبح نبيًا أو رسولاً جديدًا يخرج من قلب نجد، وبين العقدة النفسية التي طاردت صاحب تلك الدعوة ودفعته لأن يقترف المجازر الدموية والفظائع البشرية بحق الأبرياء من المُسلمين في شبه جزيرة العرب وخارجها، فدفعته تلك العقدة النفسية الكامنة لأن ينقم من المُسلمين كافة، وجعلته أول ما بدأ بدعوته تلك بأن يُقدم على هدم وبعثرة قبر الصحابي زيد بن الخطاب وكذلك ضريح ضرار بن الأزور!.

ربما لكي ينسى الناس سبب مقتل الصحابي زيد بن الخطاب في تلك البقعة المشؤومة وينشغلوا بتعاليم دين مسخ جديد أو دعوة شيطانية مزعومة تخرج من بين ركام تلك القرية الموصومة بالعار والشنار الأبدي كون أهلها أول من خرجوا على دين مُحمد بن عبد الله ﷺ وقتلوا أخلص أصحابه، فدخلت تلك القرية الصغيرة التاريخ كأتعس أرض أريقت فيها الدماء الزكية من أجل نبوة شيطانية أراد دجال بني حنيفة آنذاك أن يروج لها، فتم القصاص منه بأمر من الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، ثم تبعه أحد أفراد تلك البلدة وهو محمد بن عبد الوهاب ليكمل تلك المسيرة الدموية الغادرة.

فلقد أراد محمد بن عبد الوهاب أن يُحقق نبوءة جده سليمان بظهور دين جديد في نجد أو مذهب جديد على يد أحد أصلابه، وبنفس الوقت أراد أن يتخلص وبقوة من كابوس مُسيلمة الكذَّاب الجاثم على صدره وإزاحة أرثه الثقيل، فقام بالمُعاجلة بهدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب، ليس لأن أهل اليمامة كانوا يزورون ويعبدون ذلك القبر كما يدعي هو وأتباعه.. بل لكي يطمس المعالم ويخفي أي أثر تاريخي أو ذكر لأي معلومة عن تلك المعركة التاريخية الفاصلة، فسارع بعملية إزالة آثار الصحابة كي يخفي ويغتال تلك الذكرى

المؤرقة له ولكي يرفع عن كاهله كابوس مُسيلمة الكذّاب الذي كان يُطارده في كل مكان، فكلما أراد أن يبشر بدعوته أو ينتقد أو يُنظر أو يحاول أن يطرح نفسه كداعية أو كمصلح ديني، ذُكر من جديد بأفعال قومه المُرتدين ونبز بآثار مواطنه مُسيلمة الكذاب، فيزداد حنقه ويشتد غضبه، وربما هذا ما دعا شيخ ومُفتي بلدة الرياض الحنبلي آنذاك الشيخ سليمان بن محمد بن سحيم إلى أن يُبدي اعتراضه الشديد على قيام محمد بن عبد الوهاب بهدم قبر الصحابي زيد بن الخطاب ويبعثر بقاياه في الفلاة مع قبور بعض الصحابة، ولهذا كان ابن سحيم يقوم بنبزه دائمًا كلما جرى السجال بينهما، حيث ذكر ابن سحيم في رسالته الشهيرة إلى أهل البصرة ما نصه :

«من الفقير إلى الله تعالى \ سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المُسلمين وخُدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد : فالذي يحيط به علمكم أنهُ قد خرج في قطرنا رجلٌ مُبتدعٌ جاهلٌ، مُضلٌ ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة، منها: شاع وذاع، وملأ الأسماع، وشيء لم يتعدَّ أماكننا بعد. فأحببنا نشر ذلك لعلماء المُسلمين وورثة سيد المُرسلين ليصيدوا هذا المُبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته. والقصد من ذلك: القيام لله ورسوله، ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى. فمن بدعه وضلالته : أنهُ عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجُبيلة : زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد (بن الوليد)، وأصحاب رسول الله ﷺ. وعمد أيضًا إلى مسجد في ذلك (المكان) وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا إتباع الهوى. ومنها أنهُ أحرق كتب "دلائل الخيرات" لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا، وأحرق أيضًا كتاب "روض الرياحين" وقال: هذا روض الشياطين. ومنها أنهُ صح

عنه أنهُ يقول : لو أقدر على حجرة الرسول(•) هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف لأخذت ميزابه، وجعلت بدله ميزاب خشب. أما سمع وجه قوله تعالى: (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ). ومنها: أنهُ ثبت أنهُ يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء. وتصديق ذلك أنهُ بعث إليَّ كتابًا يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جُهال ضُلال. ومن أعظمها : أن مَن لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حقٌ، يَقطع بكفره، ومن وافقه وصدقه في كل ما قال – قال : أنت مُوحد، ولو كان فاسقًا محضًا أو مكاسًا، وبهذا ظهر أنهُ يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله». (••) - انتهى الاقتباس -

وهكذا فقد أصرَّ محمد بن عبد الوهاب على هدم قبور الصحابة، وبعثرة رفاتهم لأسباب مجهولة للعامة، وغير مُقنعة للمُقربين منه، حيث كانت تبريراته واهية مرة بدعوى الشرك وأخرى خوفًا من الغلو، وأخيرًا وجد لنا أحد أحفاده في هذا العصر الحديث عذرًا مقبولاً لجده لم نسمع به من قبل، بحجة أن تلك المقبرة لم تكن للصحابة كما ظنوا الناس! بل إنها كانت قبور مُزيفة لأشخاص من أهل اليمامة، وظنها الناس قبورًا للصحابة، هكذا وبكل بساطة وجد حفيد محمد بن عبد الوهاب الحل السحري.

لقد كان محمد بن عبد الوهاب يكره البدو ويمقت أهل البادية، وكان مُتعصبًا لحاضرة نجد ولمقره اللاحق الدرعية أكثر من تعصبه للدين، لأن محمد بن عبد الوهاب كان يُعاني من عقدة الاضطهاد الديني وكان مسكون بهاجس العار المكاني للقرية التي ولد فيها وللمنطقة التي جاء منها، خصوصًا ما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة من ذكر سيء لأرض نجد والتحذير منها ومن أهلها، وكان هذا الأمر يزعجه ويؤرقه كثيرًا.

---

(•) تمَّ هدم حجرة الرسول ﷺ فيما بعد من قبل الوهابيين بزعامة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود.

(••) جزء من رسالة الشيخ سليمان بن محمد بن سحيم مُفتي وشيخ الرياض سابقًا إلى أهالي البصرة.

**وربما ما جاء في كتاب المؤرخ الوهابي حسين بن غنام في كتابه "روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" لفيه تأكيد جلي لما كان يُكابده محمد بن عبد الوهاب من مشاعر الغضب والعصبية لمنطقة نجد دون أن يشعر، حيث كان حسين بن غنام الذي عاصر محمد بن عبد الوهاب، من أشد أتباعه وأكثرهم تأييدًا لدعوته، بل أن محمد بن عبد الوهاب هو من طلب منه شخصيًا أن يوثق تلك الأحداث كي تكون مرجعًا للطائفة الوهابية فيما بعد، وبعد أن أسهب ابن غنام في سرد ممارسات من سمَّاهم "المُشركين العرب" طبعًا كان بإيحاء وتقرير من قبل محمد بن عبد الوهاب، حيث لم يترك قوم في أي مكان أو بقعة من بلاد العرب إلا وطعنهم في دينهم وذكر فيهم مثلبة وألصق بهم تهمة الشرك أو الهرطقة، لكي يُبرر استباحة الدماء وسلب المال وهتك الأعراض، لكنهُ عاد وذكر لنا مقولات لمحمد بن عبد الوهاب تستحق التوقف والتمعن أيضًا، حيث سيلمس القارئ من خلالها أن محمد بن عبد الوهاب كان مّتعصبًا لإقليم نجد واليمامة ومُهتمًا بتلك المنطقة أكثر من اهتمامه بالدين والعقيدة، حيث كان محمد بن عبد الوهاب يحتج على خصومه وعلى كل يأخذ عليه تكفيره للمُسلمين ممن يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله بالشبه وتنزيل آيات قرآنية عليهم حسب فهمه، فكان يرد عليهم مُستنكرًا، ولماذا لم يقل أحد لأبي بكر الصديق كيف تُقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويُصلون ويزكون؟!**

**وكلامه هذا ذكره مؤرخه الخاص حسين بن غنام في مخطوطته، حيث جاء فيها على لسان محمد بن عبد الوهاب ما نصه :**

**« ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره كيف تُقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويُصلون ويزكون»!. ۞**

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وأيضًا ما ذكره ابن غنام في كتابه عن قبة أبي طالب، وكيف كانت ردة فعل محمد بن عبد الوهاب سلبية وناقمة على قبر عم الرسول ﷺ حيث يقول :

« (فمن ذلك ما يُفعل عند) قُبة أبي طالب، وهم يعلمون أنهُ حاكم متعدٍ غاصب، كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراجًا ومطالب، فإن أعطي ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم مُعاديًا مُحارب. فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ونزول النوب الكوارب». ۞

ولا أدري ما الذي يُضير أو يُزعج محمد بن عبد الوهاب شخصيًا من توقير الناس لسيد من سادات العرب كـ"عبد المناف بن عبد المُطلب"، الذي عُرف بأبي طالب، وهو عمّ وكافل الرسول ﷺ، ووالد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، فيُركز عليه دون غيره وينسى اليهودي كعب بن الأشرف أو عبد الله بن أُبي بن سلول على سبيل المثال أو يتناسى عن عمد مواطنه وابن ديرته مُسيلمة الكذّاب الذي مرق عن الدين وقتل الصحابة بزعم النبوة الكاذبة؟ فهل سبب انزعاج محمد بن عبد الوهاب من عبد المطلب لأنهُ كان يُرعب إقليم نجد وأهلها في ذلك الزمان؟ أم كونه مات ولم يُسلم، حسب بعض الروايات؟

ويبدو أن محمد بن عبد الوهاب وأتباعه قد نسوا أو تناسوا مواقف أبي طالب المُشرفة مع الرسول الكريمﷺ وتجاهلوا مشاعر وحزن وألم الرسول العظيمﷺ عندما أبلغ بوفاة عمه وكافله أبو طالب الذي توفي نتيجة المرض والمُعاناة في شعب أبو طالب مُدافعًا ومُحاميًا عنه وعن أصحابه وعن دعوته الربانية، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، فحزن الرسول ﷺ لفقده حزنًا شديدًا حيث فقد بفقده المُحامي المخلص والعم الناصح فجعل عام وفاته عام حداد وحزن وألم، فسمي عام وفاته بعام الحزن وأمر على ولده علي ابن أبي طالب بتجهيزه ودفن بالحجون بمكة المكرمة.

---

۞ المرجع السابق .

وقد جاء في صحيح البخاري عن عمر وابن عمر إذ طلب من النبي ﷺ السقيا في انحباس القطر، وهو على المنبر يستسقي، قال ربما ذكرت قول الشاعر :

وأبـيض يستـسقي الغمـام بوجهـه ثمـال اليتـامى عـصمة للأرامـل

وهو يُشير هنا إلى شعر عمه أبي طالب، حينما كان بنو هاشم يستسقون قبل الإسلام بذاته الشريفة وهو طفل رضيع، فقال فيه عمه أبو طالب تلك الأبيات المذكورة، كما ذكرها أهل السير، وجاء فيها :

يلـوذ بـه الهـلاك مـن آل هاشـم فهـم عنـده في نعمـة وفواضـل

وأصـبح فينـا أحمـد في أرومـة تقـصر عنهـا سـورة المتطـاول

حلـيم رشـيد عـادل غـير طـائش يـوالي إلاهـا لـيس عنـه بغافـل

بل أن بعض الصحابة الكرام وكان على رأسهم عمر بن الخطاب كانوا قد توسلوا الله بأن يسقيهم الغيث باسم العباس بن عبد المُطلب العم الآخر للنبيﷺ فسقوا، ولم يعترض أحد من الصحابة ولم يُكفّروا عمر بن الخطاب على ما قام به، فقد جاء في الصحيحين أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، كان قد استقى باسم العباس عم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فقال : اللهم كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بعم نبينا العباس، فاسقنا، فسقوا.

وعن تلك السقيا يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب شعرًا، وذلك بعد أن استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشيبة عمه العباس بن عبد المُطلب، فيقول :

بعمـي سـقى الله الحجـاز وأهلـهُ عـشية يستـسقي بـشيبته عمـرُ

وبالمناسبة فإن كتاب حسين بن غنام الأصلي قد وردت فيه أخطاء عديدة في إيراد الأحاديث والآيات القرآنية، مما دفع حفيد محمد بن عبد الوهاب، المدعو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، لأن يقوم بتصحيح وتهذيب وتشذيب وطباعة كتاب ابن غنام كي يكون في المستوى المطلوب الذي يؤهل

لقراءته وقد أطلق عليه اسم (تاريخ نجد) لأن المخطوطة الأصلية كانت مليئة بالأخطاء والحشو بأسلوب السجع المُمل والمنفر للقارئ. ولقد صدق المؤرخ عثمان بن سند البصري رحمة الله عليه، عندما ذكر عن جهل الوهابيين، فقال: «وهُم يسمون أنفسهم بالسلف، ويزعمون أن لهم قدرة على أخذ الأحكام من الأحاديث النبوية، مع أني رأيت أعلمهم يقرأ في الحديث، ويقول : حدثنا الحَرْث بن هشام، بفتح الحاء وسكون الراء، ولم يعرف أن نحو الحارث مع (أل) يُرسم بدون ألف، ومَنْ جهل مثل هذا، أفهل يجوز له أن يستنبط الأحكام من الأحاديث النبوية، مع أنه لا يعرف اصطلاح علم الحديث، بل ولا الضروريات منه، وما ضرنا إلا جهلهم المركب، تجد الرجل منهم بدويًا جافي الطبع، كان يرعى الغنم، فأصبح يُفسر في القرآن بجهله وبرأيه». ۞

ومعروف أن محمد بن عبد الوهاب هو من طلب شخصيًا من حسين بن غنام تدوين ذلك الكتاب المسجوع، أي أن الكتاب قد دون بلغة أهل ذلك الزمان، حيث جاء على لسان ابن غنام في كتابه قائلاً: « ولما كانت منزلة العلم أعلى المنازل، والتحلي بحُلاه من أفخم الفضائل، لاسيما للأفاضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل ... أردت أن أصنف ما أشرق ضياؤه وأنتشر، وشاع في غالب الأقطار وأشتهر من الغزوات التي هي في مُحيا الدهر كالغُرر، والفتوحات الإسلامية التي مبدؤها العقد السادس من القرن الثاني عشر. فرأيت العوم في تياره خطيرًا، وركوب زاخر أمواجه حظيرًا، وتحققتهُ أمرًا عسيرًا، والإمام أيدهُ الله تعالى يَعزم عليّ في ذلك ويُشير، فشرعتُ فيه حتى أتقنتهُ تصحيحًا وتحريرًا، وتلقنتُ تلك المغازي ممن حوى الصدق في الصدق رياسة وتصديرًا... ». ۞۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.

۞۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

لذلك أراد محمد بن عبد الوهاب أن يجعل من حسين بن غنائم حواريًا له وكاتبًا لوحيه، ومدونًا لسيرته ومسيرته، وبنفس الوقت أراد منه التهوين من خصومه والطعن فيهم وتشويه سمعتهم كما حصل في حالة الأمير عثمان بن معمر، الذي انشغل حسين بن غنام بتشويه سمعته واتهامه بالخيانة العظمى ومن ثم تبرير قتله وهو يُصلي الجمعة في مسجد العيينة.

## ▪ البداية كانت في معركة اليمامة :

وقعت معركة اليمامة سنة ١١من الهجرة/ ٦٣٢م في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، واليمامة هي إحدى معارك حروب الردة الطاحنة، وكانت بسبب ارتداد بني حنيفة عن الإسلام، وتنبؤ رئيسهم مسيلمة بن ثمامة(•) الحنفي الكذاب، الذي كان يُكني أيضًا أبا ثمامة حسبما ذكر ابن إسحاق، والذي كان قد ادعى النبوة وزعم أن النبي عليه الصلاة والسلام قد أشركه في الأمر، وقال : «لقد أشركني معه في الأمر. ألم يقل لوفدنا أني لست أسوأهم؟ هذا لا يعني سوى أنه على علم بأني شريكه في الأمر».

ومما قوى أمر مسيلمة شهادة الزور التي شهدها له أحد كبار بني حنيفة وهو نهار الرجال بن عنفوة الذي شهد له ـ كذبًا ـ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يشركه في الأمر.

وكان هناك رجل اسمه (الرحال بن عنفوة) وقيل اسمه (الرجال) كان قد ارتد عن الإسلام وتآمر مع مسيلمة وأيده في ادعاءاته، ولقد مرَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبي هريرة وفرات بن حيان فقال لهم : "أحدكم ضرسه في النار مثل أحد" فلم يزالا خائفين حتى ارتد الرجال مع مُسيلمة وشهد له زورًا بأن رسول الله أشركه في الأمر معه، وألقى إليه شيئًا مما كان يحفظه من القرآن فادعاه مُسيلمة لنفسه فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة.

« قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا. زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا

---

(•) كان كبير بني حنيفة في الجاهلية رجل يُدعى ثمامة بن أثال الحنفي، وقد أسلم ثمامة وحسن إسلامه. وهنالك أيضًا وادي في اليمامة يُدعى وادي الثمامة وقد أقام به آل سعود لاحقًا منتزهًا بريًا في بر الرياض أسموه "بر الثمامة".

لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم، وقال أما إنه ليس بشركم مكانا، أي لحفظه ضيعة أصحابه وذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءوه بما أعطاه فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال إني قد أشركت في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه ألم يقل لكم حين ذكرتموني له أما إنه ليس بشركم مكانًا؛ ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن "لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى"، وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة وهو مع ذلك كان يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي، فأصفقت معه حنيفة على ذلك فالله أعلم أي ذلك كان».۞

وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، ثار مسيلمة الكذَّاب على الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقد وجه أبو بكر الصديق عكرمة بن أبي جهل لقتاله كما وجه شرحبيل لقتاله أيضًا ولكنهما فشلا، فوَّجه إليه خالد بن الوليد في جيش جمع خيار الصحابة والقراء، فلما سمع مُسيلمة دنو خالد، ضرب معسكره بعقرباء فاستنفر الناس فجعلوا يخرجون إليه حتى بلغوا ٤٠,٠٠٠ رجل اتبعه أكثرهم عصبية، حتى كان بعض بني حنيفة يشهد أن مُسيلمة كذَّاب وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم لكنه يقول : " كذّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر".

فنادى مسيلمة الكذَّاب قومه بني حنيفة وشحذ همم أتباعه قبيل المعركة الفاصلة بينه وبين المسلمين وأثار نعرة وغيرة الأعراب المعروفة عند الغزوات وقال : « اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تُستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم».

---

۞ كتاب السيرة النبوية \ تأليف : محمد بن إسحاق.

فكان بينهم وبين المسلمين يوم شديد الهول ثبت فيه بنو حنيفة بدافع العصبية القبلية وقاتلوا عن أنفسهم وأحسابهم قتالاً شديدًا، حتى انكشف المسلمون وكادت الهزيمة تلحقهم لولا رجال من ذوي الدين والحمية الدينية والغيرة على حرماته فثبتوا وصرخوا في الناس: "يا أصحاب سورة البقرة يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال".

وأمرهم خالد بأن يمتازوا حتى يعلم من أين يُؤتوا، ثم شدَّ المسلمون حتى فرَّ بني حنيفة إلى الحديقة التي تسمي حديقة الرحمن، وكانت منيعة الجدران فتحصنوا بها إلا أن المسلمين استطاعوا أن يقتحموها، فقتل فيها الدجال مُسيلمة وكان قاتله هو وحشي قاتل حمزة وقيل رجل آخر، وقد قتل في هذه المعركة خلق كثير من المسلمين وانتهت المعركة بعد أن قتل رأس الفتنة مُسيلمة الكذاب، فدعاهم خالد إلى الإسلام، فأسلموا عن أخرهم، ولا يُعرف حقيقةً هل كانوا صادقين في إسلامهم أم أنهم اتقوا بطش المسلمين بعد تلك المعركة الدموية، وقد ردَّ عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقين إلى المدينة.

وكان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، فلما انكشف بعض جيش المسلمين جعل زيد يقول : "أما الرجال فلا رجال، وأما الفرار فلا فرار" ثم جعل يصيح بأعلى صوته : "اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة" فوثب زيد بن الخطاب رضي الله عنه إلى الرّجال بن عنفوة فقتله، وأراح الأمة من شره ومكره، وجعل يشتد بالراية ينفذ بها في نحر العدو، ثم ضارب بسيفه وقاتل قتال الأبطال ثم قتل ووقعت الراية.

حتى سقط زيد شهيدًا،وعاد الناس إلى المدينة يبشرون المسلمين بالنصر على المرتدين، والتخلص من فتنة مسيلمة الأثيم، فرآهم عمر، ولم ير معهم زيدًا فبشروه بأن الله رزقه الشهادة. فقال عمر : "سبقني إلى الحسنيين. أسلم قبلي واستشهد قبلي" وهكذا كلما ذكر زيد كان عمر يقول : "ما هبّت الصبا إلا ذكرتني زيد بن الخطاب".

وقد قتل مُسيلمة الكذَّاب في معركة اليمامة، والمُفارقة الغريبة أن مُسيلمة قد قتل من قبل شخصين!. حيث اخترق جسده رمح وسيف في آن معًا، فكان الرمح من قبل وحشي، ذلك الرماح الذي قتل في يوم من الأيام اشرف الناس وهو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد عاهد وحشي نفسه أنهُ مثلما قتل أشرف الناس، فلا بد بعد أن أسلم أن يقتل ألدَّ أعداء الإسلام، وقد فعلها وقتل مُسيلمة الكذَّاب برمحه.

وأما صاحبة السيف الذي اخترق جسد مُسيلمة الكذَّاب في نفس الوقت الذي ألقى فيه وحشي برمحه نحو مُسيلمة، فقد كان ذلك السيف هو سيف أم عمارة (نُسيبة بنت كعب) والدة ذلك الفتي الذي سبق وأن قتله مسيلمة، وقد أخذت أم عمارة بثأر ابنها، فلله در تلك المرأة.

وقد انهزم بنو حنيفة وانكسرت شوكتهم وهوت رايتهم بعد مقتل نبيهم الدجال، فعادوا إلى الإسلام صاغرين، وبعد وفاة مسيلمة بن ثمامة الكذاب.

ومما جاء في الأخبار ومؤلفات السابقين عن حروب الردة وعن مُسيلمة الحنفي المُدعي للنبوة، علمًا أن مُسيلمة أصلاً لم يُسلم بل حاول أن يُجير الإسلام لصالح دعوته المشبوهة، وكان "مُسيلمة بن حبيب الحنفي"، ممن ادعى النبوة في مكة قبل الهجرة، وألف أسجاعًا، وكان قد طاف قبل التنبؤ، في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب، التي يلتقون فيها للتسوق والبيع والشراء، كنحو سوق الابلة في البصرة، وسوق لقه، وسوق الأنبار، وسوق الحيرة، وكان مُسيلمة يلتمس تعلُم الحيل والنيرجات، وقد اطلع على حسابات النجوم والأفلاك وقرأ لبعض المُتنبئين، وكان قد اتقن وأحكم حيل السدنة والحواة وأصحاب الزجر والخط، وخبر مذهب الكهان والعيلف والسحرة، وصاحب الجن الذي يزعم أن معه تابعه، ويبدو أن مُسيلمة لم يُسلم ولم ينطق الشهادتين، وما نقله بعض الرواة عن حكاية ارتداده عن الإسلام

ليست دقيقة، لأن مُسيلمة الكذَّاب لم يُسلم أصلاً، ويذكر لنا الطبري حكايته من الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فيقول :

« حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال حدثني بعض علمائنا من أهل المدينة أن بني حنيفة أتت بمسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ورسول الله جالس في أصحابه ومعه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك. حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة قال كان حديث مسيلمة على غير هذا زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا لنا في رحالنا وركابنا يحفظهما لنا قال فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم وقال أما إنه ليس بشركم مكانًا يحفظ ضيعة أصحابه وذلك الذي يريد رسول الله قال ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله فلما انتهى إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال إني قد أشركت في الأمر معه وقال لوفده ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني أما إنه ليس بشركم مكانًا ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ثم جعل يسجع السجعات ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى ووضع عنهم الصلاة وأحلَّ لهم الخمر والزنا ونحو ذلك فشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي فأصفقت بنو حنيفة على ذلك فالله أعلم أي ذلك كان ». (تاريخ الأمم والملوك – الطبري).

وذكر بعض المؤرخين أن مسيلمة الكذاب، بعد أن عاد إلى قومه كتب كتابًا إلى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، دعا فيه الرسول إلى تقاسم السلطة على شبه الجزيرة العربية وكتب له في السنة العاشرة من الهجرة : « من مسيلمة

رسول الله إلى محمد رسول الله : أما بعد، فإني قد أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض وقريش نصفها، ولكن قريشًا قومًا يعتدون»! فرد عليه الرسول الكريم : « بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، فالسلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

وقد قدم بكتاب مُسيلمة رجلان، فسألهما رسول الله عنه فصدقاه، فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما، وتذكر رواية أخرى أن مسيلمة قال للرسول يوم وفد عليه مع من وفد من رجال بني حنيفة : "إن شئت خلينا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك. فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم : لا ولا نعمة عين ولكن الله لقاتلك".

وتذكر رواية أخرى أن هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، قد كتب إلى النبي صل الله عليه وسلم، أن يجعل له الأمر من بعده على من يسلم ويصير إليه فينصره، فقال رسول الله: لا ولا كرامة اللهم اكفنيه، فمات بعد قليل.

وروي أن رسول الله، بعث حبيب بن زيد بن عاصم أحد بني النجار وعبد الله بن وهب الأسلمي إلى مسيلمة، فلم يعرض لعبد الله، وقطع يدي حبيب ورجليه.

وكذلك أورد لنا البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" بعض من أخبار حروب الردة، حيث ذكر : « خبر ردة العرب في خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه، قالوا: لما استخلف أبو بكر رحمه الله ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة. وقال قوم منهم: نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو منعوني عقالا لقاتلتهم. وبعض الرواة يقول: لو منعوني عناقا والعقل صدقة السنة. ـ وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير بن يزيد، عن الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود: لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه، لولا أن الله من علينا بأبي بكر. اجتمع رأينا جميعًا على أن لا نقاتل على بنت مخاض وابن

لبون، وأن نأكل قرى عربية، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين. وعزم الله لأبي بكر رضي الله عنه على قتالهم، فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية. فأما الخطة المخزية فإن أقروا بأن من قتل منهم في النار، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا. وأما الحرب المجلية فإن يخرجوا من ديارهم. ـ حدثنا إبراهيم بن محمد عن عرعرة قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: أخبرنا سفيان الثوري عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: قدم وفد بزاخة على أبى بكر فخيرهم بين الحرب المجلية والسلم المخزية. فقالوا: قد عرفنا الحرب المجلية، فما السلم المخزية؟ قال: أن ننزع منكم الحلقة والكراع، ونغنم ما أصبنا منكم، وتردوا إلينا ما أصبتم منا، وتدوا قتلانا، ويكون قتلاكم في النار. حدثنا شجاع بن مخلد الفلاس قال: حدثنا بشر بن المفضل مولى بنى رقاش قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن عمته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها. اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في واحدة إلا طار بحظها وغنائها عن الإسلام. قالوا: فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى القصة من أرض محارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردة، ومعه المسلمون. فصار إليهم خارجة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزاري ومنظور بن زبان بن سيار الفزاري أحد بنى العشراء في غطفان، فقاتلوهم قتالا شديدًا. فانهزم المشركون، واتبعهم طلحة بن عبيد الله التيمي فلحقهم بأسفل ثنايا عوسجة، فقتل منهم رجلاً، وفاته الباقون فأعجزوه هربًا، فجعل خارجة بن حصن يقول: ويل للعرب من ابن أبي قحافة. ثم عقد أبو بكر وهو بالقصة لخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي على الناس، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وهو أحد من استشهد يوم اليمامة، إلا أنه كان من تحت يد خالد، وأمر خالدًا أن يصمد لطليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد ادعى النبوة، وهو يومئذٍ ببزاخة،

وبزاخة ماء لبنى أسد ابن خزيمة. فسار إليه خالد وقدم أمامه عكاشة بن محصن الأسدي حليف بنى عبد شمس، وثابت بن أقرم البلوى حليف الأنصار. فلقيهما حبال ابن خويلد فقتلاه، وخرج طليحة وسلمة أخوه، وقد بلغهما الخبر، فلقيا عكاشة وثابتا فقتلاهما. فقال طليحة :

ذكرت أخي لما عرفت وجوههم وأيقنت أني ثائر بحبال

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا وعكاشة الغنمى عند مجال

ثم التقى المسلمون وعدوهم، واقتتلوا قتالاً شديدًا، وكان عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر مع طليحة في سبع مئة من بنى فزارة. فلما رأى سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين، أتاه فقال له: أما ترى ما يصنع جيش أبي الفصيل؟ فهل جاءك جبريل بشيء؟ قال: نعم. جاءني فقال: إن لك رحا كرحاه ويوما لا تنساه. فقال عيينة: أرى أن لك يوما لا تنساه. يا بنى فزارة! هذا كذاب. وولى عن عسكره فانهزم الناس، وظهر المسلمون، وأسر عيينة ابن حصن. فقدم به المدينة فحقن أبو بكر دمه، وخلى سبيله. وهرب طليحة ابن خويلد فدخل خباء له فاغتسل، وخرج فركب فرسه وأهل بعمرة، ثم مضى إلى مكة، ثم أتى المدينة مُسلمًا. وقيل بل أتى الشام، فأخذه المسلمون ممن كان غازيًا وبعثوا به إلى أبى بكر بالمدينة فأسلم، وأبلى بعد في فتح العراق ونهاوند. وقال له عمر: أقتلت العبد الصالح عكاشة بن محصن؟ فقال: إن عكاشة ابن محصن سعد بي وشقيت به، وأنا استغفر الله. وأخبرني داود بن حبال الأسدي، عن أشياخ من قومه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لطليحة : أنت الكاذب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك أن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئًا. فاذكروا الله أعفة قيامًا، فإن الرغوة فوق الصريح. فقال : يا أمير المؤمنين! ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله، فلا تعنيف على ببعضه. فأسكت عمر. قالوا: وأتى خالد بن الوليد رمان وأبانين، وهناك فل بزاخة، فلم يقاتلوه، وبايعوه لأبي بكر. وبعث خالد بن

الوليد هشام بن العاصي بن وائل السهمي أخا عمرو بن العاصي، وكان قديم الإسلام وهو من مهاجرة الحبشة، إلى بنى عامر بن صعصعة، فلم يقاتلوه وأظهروا الإسلام والآذان، فانصرف عنهم. وكان قرة بن هبيرة القشيري امتنع من أداء الصدقة، وأمد طليحة، فأخذه هشام بن العاصي وأتى به خالدا، فحمله إلى أبى بكر فقال: والله ما كفرت مذ آمنت، ولقد مرَّ بي عمرو بن العاصي منصرفا من عمان فأكرمته وبررته. فسأل أبو بكر عمرا رضي الله عنهما عن ذلك فصدقه. فحقن أبو بكر دمه. ويقال: إن خالدا كان سار إلى بلاد بنى عامر فأخذ قرة وبعث به إلى أبي بكر. قال : ثم سار خالد بن الوليد إلى الغمر، وهناك جماعة من بنى أسد وغطفان وغيرهم، وعليهم خارجة بن حصن بن حذيفة. ويُقال إنهم كانوا متسايدين، قد جعل كل قوم عليهم رئيسا منهم، قاتلوا خالدًا والمسلمين، فقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون.

وفى يوم الغمر يقول الحطيئة العبسي :

ألا كـــل أرمـــاح قـــصار أذلـــة     فـداء لا رمـاح الفـوارس بـالغمر

ثم أتي خالد جو قراقر، ويقال أتي النقرة، وكان هناك جمع لبنى سليم، عليهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزى السلمي وأمه الخنساء، فقاتلوه. فاستشهد رجل من المسلمين، ثم فض الله جمع المشركين. وجعل خالد يومئذٍ يحرق المُرتدين. فقيل لأبي بكر في ذلك. فقال : لا أشيم سيفًا سله الله على الكفار. وأسلم أبو شجرة فقدم على عمر وهو يعطى المساكين فاستعطاه، فقال له : ألست القائل :

ورويـت رمحـي مـن كتيبـة خالـد     وإنـي لأرجـو بعـدها أن أعمـرا

وعلاه بالدرة. فقال: قد محا الإسلام ذلك يا أمير المؤمنين. قالوا: وأتى الفجاءة، وهو بجير بن إياس بن عبد الله السلمي، أبا بكر فقال: احملني وقوني أقاتل المرتدين. فحمله وأعطاه سلاحًا. فخرج يعترض الناس فيقتل المسلمين والمُرتدين، وجمع جمعًا. فكتب أبو بكر إلى طريفة بن حاجزة أخي

معن بن حاجزة يأمره بقتاله. فقاتله وأسره ابن حاجزة. فبعث به إلى أبى بكر، فأمر أبو بكر بإحراقه في ناحية المصلى. ويقال: إن أبا بكر كتب إلى معن في أمر الفجاءة، فوجه معن إليه طريفة أخاه فأسره. ثم سار خالد إلى من بالبطاح والبعوضة من بنى تميم فقاتلوه، ففض جمعهم وقتل مالك بن نويرة أخا متمم بن نويرة. وكان مالك عاملاً للنبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى حنظلة. فلما قبض صلى الله عليه وسلم خلى ما كان في يده من الفرائض وقال: شأنكم بأموالكم يا بني حنظلة. وقد قيل إن خالدًا لم يلق بالبطاح والبعوضة أحدًا، ولكنه بث السرايا في بنى تميم، وكان منها سرية عليها ضرار بن الأزور الأسدي، فلقى ضرار مالكًا فاقتتلوا وأسره وجماعة معه، فأتى بهم فضربت أعناقهم، وتولى ضرار ضرب عنق مالك. ويُقال إن مالكًا قال لخالد : إني والله ما ارتددت. وشهد أبو قتادة الأنصاري أن بنى حنظلة وضعوا السلاح وأذنوا. فقال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما : بعثت رجلاً يقتل المسلمين ويعذب بالنار». ۞

كما ذكر البلاذري أيضًا في كتابه "فتوح البلدان" نبذة مُختصرة لا بأس بها عن دجال اليمامة مُسيلمة الكذاب، وأورد أخباره وادعائه للنبوة، ونهايته على يد جيش المُسلمين، حيث يذكر البلاذري :

« اليمامة : - قالوا: وكانت اليمامة تدعى جو، فصلبت امرأة من جديس يقال لها اليمامة بنت مر على بابها، فسميت باسمها والله أعلم. وقالوا: ولما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الآفاق في أول سنة سبع، ويقال في سنة ست، كتب إلى هوذة بن على الحنفي وأهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام، وأنفذ كتابه بذلك مع سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري ثم الخزرجي. فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدهم. وكان في الوفد مجاعة بن مرارة، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضًا مواتًا سأله إياها. وكان فيها

---

۞ كتاب : فتوح البلدان \ تأليف : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ - ج ١.

أيضا الرجال بن عنفوة فأسلم وقرأ سورة البقرة وسورًا من القرآن، إلا أنه ارتدَّ بعد. وكان فيهم مسيلمة الكذَّاب ثمامة بن كبير بن حبيب، فقال مسيلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت خلينا الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا، ولا نعمة عين. ولكن الله قاتلك. وكان هوذة بن على الحنفي قد كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجعل الأمر له من بعده، على أن يسلم ويصير إليه فينصره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا، ولا كرامة. اللهم اكفنيه. فمات بعد قليل. فلما انصرف وفد بنى حنيفة إلى اليمامة ادعى مسيلمة الكذَّاب النبوة، وشهد له الرجال بن عنفوة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه في الأمر معه. فاتبعه بنو حنيفة وغيرهم ممن باليمامة. وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبادة بن الحارث، أحد بنى عامر بن حنيفة ـ وهو ابن النواحة الذي قتله عبد الله بن مسعود بالكوفة وبلغه أنه وجماعة معه يؤمنون بكذب مسيلمة: "من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أما بعد فإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشًا لا ينصفون. والسلام عليك" . وكتب عمرو ابن الجارود الحنفي. فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي إلى مسيلمة الكذاب. أما بعد فـ(إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. والسلام على من اتبع الهدى). وكتب أبي بن كعب. فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر فأوقع بأهل الردة من أهل نجد وما والاه في أشهر يسيرة، بعث خالد بن الوليد ابن المغيرة المخزومي إلى اليمامة وأمره بمحاربة الكذَّاب مسيلمة. فلما شارفها ظفر بقوم من بنى حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة بن سلمى، فقتلهم واستبقى مجاعة وحمله معه موثقا. وعسكر خالد على ميل من اليمامة، فخرج إليه بنو حنيفة وفيهم الرجال ومحكم بن الطفيل بن سبيع الذي يقال له محكم اليمامة. فرأى خالد البارقة فيهم فقال: يا معشر المسلمين ! قد كفاكم الله مؤنة عدوكم، ألا ترونهم وقد شهر بعضهم السيوف على بعض،

وأحسبهم قد اختلفوا ووقع بأسهم بينهم. فقال مجاعة، وهو في حديده : كلا! ولكنها الهندوانية خشوا تحطمها فأبرزوها للشمس لتلين متونها. ثم التقى الناس فكان أول من لقيهم الرجال بن عنفوة فقتله الله، واستشهد وجوه الناس وقراء القرآن. ثم إن المسلمين فآءوا وثابوا، فأنزل الله عليهم نصره وهزم أهل اليمامة فأتبعوهم يقتلونهم قتلاً ذريعًا، ورمى عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق أخو عائشة لأبيها محكمًا بسهم فقتله، وألجاوا الكفرة إلى الحديقة فسميت يومئذٍ حديقة الموت، وقتل الله مسيلمة في الحديقة، فبنو عامر بن لؤي بن غالب يقولون: قتله خداش بن بشير بن الأصم، أحد بنى معيص ابن عامر بن لؤي. وبعض الأنصار يقولون: قتله عبد الله بن زيد بن ثعلبة، أحد بنى الحارث بن الخزرج، وهو الذي أرى الآذان. وبعضهم يقول: قتله أبو دجانة سماك بن خرشة ثم استشهد. وقال بعضهم : بل قتله عبد الله بن زيد بن عاصم أخو حبيب بن زيد من بنى مبذول من بنى النجار. وقد كان مسيلمة قطع يدي حبيب ورجليه. وكان وحشي بن حرب الحبشي قاتل حمزة رضي الله عنه يدعى قتله ويقول : قتلت خير الناس وشر الناس. وقال قوم: إن هؤلاء جميعًا شاركوا في قتله. وكان معاوية بن أبي سفيان يدعي أنه قتله، ويدعي ذلك له بنو أمية. حدثني أبو حفص الدمشقي قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن خالد بن دهقان، عن رجل حضر عبد الملك بن مروان سأل رجلاً من بني حنيفة ممن شهد وقعة اليمامة عن قاتل مسيلمة فقال: قتله رجل من صفته كذا وكذا. فقال عبد الملك : قضيت والله لمعاوية بقتله. قال: وجعل الكذّاب يقول حين أخذ منه بالمخنق: يا بنى حنيفة! قاتلوا عن أحسابكم. فلم يزل يعيدها حتى قتله الله. وحدثني عبد الواحد بن غياث قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كفرت العرب. فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم. ثم قال: والله لا أنتهي حتى أناطح مسيلمة. فقالت الأنصار: هذا رأي تفردت به لم يأمرك به أبو بكر، ارجع إلى المدينة حتى نريح كراعنا. فقال: والله لا أنتهى حتى أناطحه. فرجعت عنه الأنصار، ثم قالوا: ماذا صنعنا لئن ظهر أصحابنا لقد

خسسنا، ولئن هربوا لقد خذلناهم. فرجعوا ومضوا معه. فالتقى المسلمون والمشركون،فولى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال.فقام السائب بن العوام فقال: أيها الناس! قد بلغتم الرحال فليس لامرئ مفر بعد رحله. فهزم الله المشركين وقتل مسيلمة. وكان شعارهم يومئذٍ: يا أصحاب سورة البقرة».۞

وكان كثيرٌ من الناس يقصدون مسيلمة الكذَّاب ليسمعوا منه، وذلك بعد أن اشتهر أمره، وقد تمكن من التأثير في بعضهم، وكان ممن قصده المتشمس بن معاوية، عم الأحنف بن قيس التميمي الشهير. فلما خرج من عنده قال عنه أنه كذاب. وقد قال عنه الأحنف، وقد رآه أيضًا، وقد سئل كيف هو؟ فقال: ما هو بنبي صادق، ولا بمُتنبئ حاذق.

أما الطبري فيذكر لنا عن هرطقات وادعاءات مُسيلمة الكذَّاب في كتابه "تاريخ الأمم والملوك" وقد وثق بعض من مقولات مُسيلمة التي كان يزعم أنها آيات من السماء تنزل عليه، وكان "الرحال بن عنفوة" قد تعلم سورًا من القرآن الكريم، فنسب بعض ما تعلم من القرآن إلى مسيلمة الكذاب، فكان من أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة، حيث يقول الطبري :

« وكان مع ثمامة بن أثال قال وكان مسيلمة يُصانع كل أحد ويتألفه ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح وكان معه نهار الرجال بن عنفوة وكان قد هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه في الدين فبعثه معلمًا لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدد من أمر المسلمين فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة شهد له أنه سمع محمدًا صلى الله عليه وسلم يقول إنه قد أشرك معه فصدقوه واستجابوا له وأمروه بمكاتبة النبي صلى الله عليه وسلم ووعدوه إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه فكان نهار الرجال بن عنفوة لا يقول شيئًا إلا تابعه عليه وكان ينتهي إلى أمره وكان يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم ويشهد في الأذان أن محمدًا رسول الله وكان الذي يؤذن له عبدالله

---

۞ كتاب : فتوح البلدان \ تأليف : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ - ج ١.

بن النواحة وكان الذي يقيم له حجير بن عُمير ويشهد له، وكان مسيلمة إذا دنا حجير من الشهادة قال صرح حجير فيزيد في صوته ويبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم فعظم وقاره في أنفسهم قال وضرب حرمًا باليمامة فنهى عنه وأخذ الناس به فكان محرمًا فوقع في ذلك الحرم قرى الأحاليف أفخاذ من بني أسيد كانت دارهم باليمامة فصار مكان دارهم في الحرم والأحاليف سيحان ونمارة ونمر والحارث بنو جروة فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة واتخذوا الحرم دغلا فإن نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم وإن لم ينذروا بهم فذلك ما يريدون فكثر ذلك منهم حتى استعدوا عليهم ف قال إنتظر الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم ثم قال لهم والليل الأطحم والذئب الأدلم والجذع الأزلم ما انتهكت أسيد من محرم فقالوا أما محرم استحلال الحرم وفساد الأموال ثم عادوا للغارة وعادوا للعدوى ف قال إنتظر الذي يأتيني فقال والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس فقالوا أما النخيل مرطبة فقد جدوها وأما الجدران يابسة فقد هدموها فقال اذهبوا وارجعوا فلا حق لكم وكان فيما يقرأ لهم فيهم إن بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا إتاوة نجاورهم ما حيينا بإحسان نمنعهم من كل إنسان فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن وكان يقول والشاء وألوانها وأعجبها السود وألبانها والشاة السوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تمجعون وكان يقول يا ضفدع ابنة ضفدع نقي ما تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين. وكان يقول والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقامات لقما إهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناوئوه. قال وأتته امرأة من بني حنيفة تكنى بأم الهيثم فقالت إن نخلنا لسحق وإن آبارنا لجرز فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد لأهل هزمان فقال يا نهار ما تقول هذه ف قال إن أهل هزمان أتوا محمدا صلى الله

عليه وسلم فشكوا بعد مائهم وكانت آبارهم جرزا ونخلهم أنها سحق فدعا لهم فجاشت آبارهم وانحنت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرانها لانتهائها فحكت به الأرض حتى أنشبت عروقًا ثم قطعت من دون ذلك فعادت فسيلاً مكممًا ينمى صاعدًا قال وكيف صنع بالآبار قال دعا بسجل فدعا لهم فيه ثم تمضمض بفمه منه ثم مجه فيه فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار ثم سقوه نخلهم ففعل النبي ما حدثتك وبقي الآخر إلى انتهائه فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعا لهم فيه ثم تمضمض منه ثم مج فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم فغارت مياه تلك الآبار وخوى نخلهم وإنما استبان ذلك بعد مهلكه وقال له نهار برك على مولودي بني حنيفة فقال له وما التبريك قال كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمدا صلى الله عليه وسلم فحنكه ومسح رأسه فلم يؤت مسيلمة بصبي فحنكه ومسح رأسه إلا قرع ولثغ واستبان ذلك بعد مهلكه وقالوا تتبع حيطانهم كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يصنع فصلى فيها فدخل حائطًا من حوائط اليمامة فتوضأ فقال نهار لصاحب الحائط ما يمنعك من وضوء الرحمن فتسقي به حائطك حتى يروى ويبتل كما صنع بنو المهرية أهل بيت من بني حنيفة وكان رجل من المهرية قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئره ثم نزع وسقى وكانت أرضه تهوم فرويت وجزأت فلم تلف إلا خضراء مهتزة ففعل فعادت يبابًا لا ينبت مرعاها وأتاه رجل فقال ادع الله لأرضي فإنها مسبخة كما دعا محمد صلى الله عليه وسلم لسلمي على أرضه فقال ما يقول يا نهار فقال قدم عليه سلمي وكانت أرضه سبخة فدعا له وأعطاه سجلاً من ماء ومجَّ له فيه فأفرغه في بئره ثم نزع فطابت وعذبت ففعل مثل ذلك فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعل سلمي فغرقت أرضه فما جف ثراها ولا أدرك ثمرها وأتته امرأة فاستجلبته إلى نخل لها يدعو لها فيها فجزت كبائسها يوم عقرباء كلها وكانوا قد علموا واستبان لهم ولكن الشقاء غلب عليهم كتب إلى السري قال حدثنا شعيب عن سيف عن خليد بن ذفرة النمري عن عُمير بن طلحة النمري

عن أبيه أنه جاء اليمامة فقال أين مسيلمة قالوا مه رسول الله فقال لا حتى أراه فلما جاءه قال إنت مسيلمة؟ قال نعم، قال من يأتيك؟ قال رحمن، قال أفي نور أو في ظلمة؟ فقال في ظلمة، فقال أشهد أنك كذَّاب وأن محمدًا صادق ولكن كذَّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، فقُتل معه يوم عقرباء، وكتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن الكلبي مثله إلا أنه قال كذَّاب ربيعة أحب إليَّ من كذَّاب مضر فقتل معه يوم عقرباء». ۞

وعن فتح اليمامة وخديعة مجاعة بن مرارة بن سلمى اليمامي لخالد بن الوليد، في معركة اليمامة يروي لنا البلاذري قائلاً :

« وحدثني بعض أهل اليمامة أن رجلاً كان مجاورًا في بنى حنيفة، فلما قتل محكم أنشأ يقول: فإن أنج منها أنج منها عظيمة وإلا فإني شارب كأس محكم، قالوا: وكانت الحرب قد نهكت المسلمين وبلغت منهم، فقال مجاعة لخالد: إن أكثر أهل اليمامة لم يخرجوا لقتالكم، وإنما قتلتم منهم القليل وقد بلغوا منكم ما أرى، وأنا مصالحكم عنهم. فصالحه على نصف السبى ونصف الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع. ثم إن خالدًا توثق منه وبعثه إليهم، فلما دخل اليمامة أمر الصبيان والنساء ومن باليمامة من المشايخ أن يلبسوا السلاح ويقوموا على الحصون، ففعلوا ذلك. فلم يشك خالد والمسلمون حين نظروا إليهم أنهم مقاتلة، فقالوا: لقد صدقنا مجاعة. ثم إن مجاعة خرج حتى أتى عسكر المسلمين فقال: إن القوم لم يقبلوا ما صالحتك عليه عنهم واستعدوا لحربك، وهذه حصون العرض مملوءة رجالاً، ولم أزل بهم حتى رضوا بأن يصالحوا على ربع السبي ونصف الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع. فاستقر الصلح على ذلك، ورضي خالد به وأمضاه، وأدخل مجاعة خالدًا اليمامة. فلما رأى من بقى بها قال: خدعتني يا مجاع. وأسلم أهل اليمامة فأخذت منهم الصدقة. وأتى خالدًا كتاب أبى بكر رضي الله عنه بإنجاد العلاء

---

۞ كتاب : تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) \ تأليف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

بن الحضرمي، فسار إلى البحرين واستخلف على اليمامة سمرة بن عمرو العنبري. وكان فتح اليمامة سنة اثني عشر». ۞

وعن حكاية أسر مجاعة بن مرارة بن سلمى اليمامي يروي لنا الطبري :

« وكتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن طلحة بن الأعلم عن عبيد بن عُمير عن رجل منهم قال لما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء واستنفر الناس فجعل الناس يخرجون إليه وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثأرًا له في بني عامر وبني تميم قد خاف فواته وبادر به الشغل فأما ثأره في بني عامر فكانت خولة ابنة جعفر فيهم فمنعوه منها فاختلجها، وأما ثأره في بني تميم فنعم أخذوا له، واستقبل خالد شرحبيل بن حسنة فقدمه وأمر على المقدمة خالد بن فلان المخزومي وجعل على المجنبتين زيدًا وأبا حذيفة، وجعل مسيلمة على مجنبتيه المحكم والرجال فسار خالد ومعه شرحبيل حتى إذا كان من عسكر مُسيلمة على ليلة هجم على جبيلة هجوم المقلل يقول أربعين والمكثر يقول ستين، فإذا هو مجاعة وأصحابه وقد غلبهم الكرى وكانوا راجعين من بلاد بني عامر قد طووا إليهم واستخرجوا خولة ابنة جعفر فهي معهم فعرسوا دون أصل الثنية ثنية اليمامة فوجدوهم نيامًا وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم، وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم فأنبهوهم، وقالوا من أنتم؟ قالوا هذا مجاعة وهذه حنيفة، قالوا وأنتم فلا حياكم الله، فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد فأتوه بهم فظن خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتقوه بحاجته فقال متى سمعتم بنا؟ قالوا ما شعرنا بك إنما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من بني عامر وتميم، ولو فطنوا لقالوا تلقيناك حين سمعنا بك فأمر بهم أن يقتلوا فجادوا كلهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة، وقالوا إن كنت تريد بأهل اليمامة غدًا خيرًا أو شرًا فاستبق هذا ولا تقتله فقتلهم خالد وحبس مجاعة عنده كالرهينة. وكتب إلي السري

---

۞ كتاب : فتوح البلدان \ تأليف : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ - ج ١.

قال حدثنا شعيب عن سيف عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة وعبد الله بن سعيد عن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قد كان أبو بكر بعث إلى الرجال فأتاه فأوصاه بوصيته ثم أرسله إلى أهل اليمامة وهو يرى أنه على الصدق حين أجابه، قالا قال أبو هريرة جلست مع النبي صلى الله عليه وسلم في رهط معنا الرجال ابن عنفوة ف قال إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد فهلك القوم وبقيت أنا والرجال فكنت متخوفًا لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة فشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مُسيلمة فبعث إليهم أبو بكر خالدًا فسار حتى إذا بلغ ثنية اليمامة استقبل مجاع بن مرارة وكان سيد بني حنيفة في جبل من قومه يريد الغارة على بني عامر ويطلب دمًا وهم ثلاثة وعشرون فارسًا ركبانًا قد عرسوا فبيتهم خالد في معرسهم فقال متى سمعتم بنا فقالوا ما سمعنا بكم إنما خرجنا لنثأر بدم لنا في بني عامر، فأمر بهم خالد فضربت أعناقهم واستحيا مجاعة ثم سار إلى اليمامة، فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين سمعوا بخالد فنزلوا بعقرباء فحل بها عليهم وهي طرف اليمامة دون الأموال وريف اليمامة وراء ظهورهم، وقال شرحبيل بن مُسيلمة يا بني حنيفة اليوم يوم الغيرة اليوم إن هزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير خطيبات فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم فاقتتلوا بعقرباء وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة فقالوا تخشى علينا من نفسك شيئًا؟ فقال بئس حامل القرآن أنا إذًا، وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس وكانت العرب على راياتها ومجاعة أسير مع أم تميم في فسطاطها، فجال المسلمون جولة ودخل أناس من بني حنيفة على أم تميم فأرادوا قتلها فمنعها مجاعة قال إنا لها جار فنعم الحرة هي، فدفعهم عنها وتراد المسلمون فكروا عليهم فانهزمت بنو حنيفة، فقال المحكم بن الطفيل يا بني حنيفة ادخلوا الحديقة فإني سأمنع أدباركم فقاتل دونهم ساعة ثم قتله الله، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر، ودخل الكفار الحديقة وقتل وحشي مُسيلمة وضربه رجل من الأنصار فشاركه فيه. حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق

بنحو حديث سيف هذا غير أنه قال : دعا خالد بمجاعة ومن أخذ معه حين أصبح، فقال : يا بني حنيفة ما تقولون؟ قالوا : نقول منا نبي ومنكم نبي فعرضهم على السيف حتى إذا بقي منهم رجل يقال له سارية بن عامر ومجاعة بن مرارة، قال له سارية أيها الرجل إن كنت تريد بهذه القرية غدًا خيرًا أو شرًا فاستبق هذا الرجل يعني مجاعة فأمر به خالد فأوثقه في الحديد ثم دفعه إلى أم تميم امرأته فقال استوصي به خيرًا، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كثيب مشرف على اليمامة فضرب به عسكره وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرجال قال أبو جعفر، هكذا قال ابن حميد بالحاء بن عنفوة بن نهشل وكان الرجال رجلاً من بني حنيفة قد كان أسلم وقرأ سورة البقرة فلما قدم اليمامة شهد لمسيلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أشركه في الأمر فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من مسيلمة، وكان المسلمون يسألون عن الرجال يرجون أنه يثلم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه فلقيهم في أوائل الناس متكتبًا! وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره وعنده أشراف الناس والناس على مصافهم وقد رأى بارقة في بني حنيفة أبشروا يا معشر المسلمين فقد كفاكم الله أمر عدوكم واختلف القوم إن شاء الله، فنظر مجاعة وهو خلفه موثقًا في الحديد فقال كلا والله ولكنها الهندوانية خشوا عليها من تحطمها فأبرزوها للشمس لتلين لهم فكان كما قال فلما التقى المسلمون كان أول من لقيهم الرجال بن عنفوة فقتله الله». ۞

وقد أورد أهل الأخبار عدة كنى لمُسيلمة الكذَّاب فبعضهم قال: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة، وبعضهم اسماه مسيلمة الكذَّاب بن حبيب، بن ثمامة بن كبير، وقال آخرون هو مسيلمة بن حبيب، وجعلوا كنيته "أبا ثمامة" وقيل "أبا هارون" و"أبو ثمال"، وذكروا أنه كان يسمى بـ"الرحمان".

---

۞ كتاب : تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) \ تأليف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

وعن علامات وصفات مُسيلمة الكذاب، يذكر البلاذري :

« حدثني أبو رباح اليمامي قال: حدثني أشياخ من أهل اليمامة أن مسيلمة الكذّاب كان قصيرًا، شديد الصفرة، أخنس الأنف، أفطس، يكنى أبا ثمامة. وقال غيره: كان يكنى أبا ثمالة. وكان له مؤذن يسمى حجيرا، فكان إذا أذن يقول: أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله. فقال: أفصح حجير. فمضت مثلاً».[۞]

وأما عن شهداء يوم اليمامة، فيذكرهم البلاذري عددهم، ويورد بعض أسمائهم حيث يقول :

« وكان ممن استشهد باليمامة أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، واسمه هشيم ويقال مهشم. وسالم مولى أبى حذيفة، ويكنى أبا عبد الله، وهو مولى ثبيتة بنت يعار الأنصارية، وبعض الرواة يقول : نبيثة، وهى امرأة. وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية. وعبد الله، وهو الحكم بن سعيد بن العاصي بن أمية. ويُقال إنه قتل يوم مؤتة. وشجاع بن وهب الأسدي حليف بنى أمية يُكنى أبا وهب. والطفيل بن عمرو الدوسى من الأزد ويزيد بن رقيش الأسدي، حليف بنى أمية. ومخرمة بن شريح الحضرمي، حليف بني أمية. والسائب بن العوام أخو الزبير بن العوام. والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي. والسائب بن عثمان بن مظعون الجمحى. وزيد بن الخطاب بن نفيل، أخو عمر بن الخطاب، يقال قتله أبو مريم الحنفي، واسمه صبيح بن محرش. وقال ابن الكلبي : قتله لبيد بن برغث العجلي، فقدم بعد ذلك على عمر رضي الله عنه فقال: أنت الجوالق، واللبيد هو الجوالق. وكان زيد يكنى أبا عبد الرحمن، وكان أسن من عمر. قال بعضهم: اسم أبى مريم إياس بن صبيح. وهو أول من قضى بالبصرة زمن عمر، وتوفى بسنبيل من الأهواز. وأبو قيس بن الحارث ابن عدى بن سهم. وعبد الله بن الحارث بن قيس. وسليط بن عمرو، أخو سهيل ابن عمرو، أحد بنى عامر بن لؤي. وإياس بن

---

[۞] كتاب : فتوح البلدان \ تأليف : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ - ج ١.

البكير الكناني. ومن الأنصار: عباد بن الحارث بن عدى أحد بني جحجبا من الأوس. وعباد بن بشر بن وقش الاشهلي من الاوس، ويكنى أبا الربيع، ويُقال إنه كان يكنى أبا بشر. ومالك بن أوس بن عتيك الاشهلي. وأبو عقيل بن ثعلبة بيحان البلوى، حليف بنى جحجبا - كان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الأوثان. وسراقة بن كعب بن عبد العزى النجاري، من الخزرج. وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجاري - ويُقال إنه مات زمن معاوية. وحبيب بن عمرو بن محصن النجاري. ومعن بن عدى بن الجد بن العجلان البلوى، من قضاعة، حليف الأنصار. وثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير، خطيب النبي صلى الله عليه وسلم، أحد بنى الحارث بن الخزرج، ويكنى أبا محمد، وكان على الأنصار يومئذ. وأبو حنة ابن غزية بن عمرو أحد بنى مازن بن النجار. والعاصي بن ثعلبة الدوسي من الأزد، حليف الأنصار. وأبو دجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان الساعدي، من الخزرج. وأبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي، ويُقال إنه مات سنة ستين بالمدينة. وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك، وكان اسمه الحباب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم أبيه، وكان أبوه منافقًا، وهو الذي يقال له ابن أبي بن سلول. وسلول أم أبي، وهي خزاعية نسب إليها، وأبوه مالك ابن الحارث أحد بني الخزرج. ويُقال إنه استشهد يوم جواثا من البحرين. وعقبة بن عامر بن نابئ، من بنى سلمة من الخزرج. والحارث بن كعب بن عمرو أحد بنى النجار. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حبيب بن زيد بن عاصم، أحد بنى مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، وعبد الله بن وهب الأسلمي إلى مسيلمة، فلم يعرض لعبد الله، وقطع يدي حبيب ورجليه. وأم حبيب نسيبة بنت كعب. وقال الواقدي: إنما أقبلا مع عمرو بن العاصي من عمان فكفتهما مسيلمة، فنجا عمرو ومن معه غير هذين، فأخذا. وقاتلت نسيبة يوم اليمامة فانصرفت وبها جراحات. وهى أم حبيب وعبد الله ابني زيد، وقد قاتلت يوم أحد أيضا. وهى إحدى الامرأتين المُبايعتين يوم

العقبة. واستشهد يوم اليمامة عائذ بن ماعص الزرقي من الخزرج، ويزيد بن ثابت الخزرجي، أخو زيد بن ثابت صاحب الفرائض. وقد اختلفوا في عدة من استشهد باليمامة، فأقل ما ذكروا من مبلغها سبع مئة وأكثر ذلك ألف وسبع مئة. حدثني محمد بن ثمال اليمامي عن أشياخهم قال: سميت الحديقة حديقة الموت لكثرة من قتل بها. قال: وقد بنى إسحاق بن أبي خميصة، مولى قيس، فيها أيام المأمون مسجدًا جامعًا، وكانت الحديقة تسمى أباض. وقال محمد بن ثمال : قصر الورد نسب إلى الورد بن السمين بن عبيد الحنفي. وقال غيره : سُمي الحصن معتقا لحصانته. يريدون أن من لجأ إليه عتق من عدوه. وقال: الريا عين منها شرب الصعفوقة، وهى ضيعة نسبت إلى وكيل كان عليها يقال له صعفوق، وشرب الخييبة والخضرمة منها». [۞]

والغريب هو عندما قتل مُسيلمة الكذَّاب رثاه بعض شعراء بني حنيفة فقال أحدهم :

| | |
|---|---|
| لهفي عليك أبا ثمامة | لهفى على ركني تهامة |
| كم من آية لك فيهم | كالشمس تطلع من غمامة |

ويروي لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف الذي زار الرياض في عام ١٨٦٣م في عهد ما يُسمى بالإمام فيصل، حيث يذكر أن سكان الرياض كانوا يُلطفون ويخففون من ذنب مُسيلمة الكذاب بل ويمدحونه بالقول إنهُ كان رقيق القلب، وبعضهم كان يعتبره نبيًا أيضًا مثله مثل النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن الفرق أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان أكثر حظًا منه، هكذا! أي أن مُسيلمة الدجال الكذَّاب بنظر هؤلاء القوم كان نبيًا مثله مثل الرسول المُصطفى، لكن الحظ خانه لا أكثر ولا أقل.

---

[۞] كتاب : فتوح البلدان \ تأليف : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ - ج ١.

وعن تلك الحجج الخبيثة التي كان يتداولها بعض الوهابيين، يذكر لنا وليام بالجريف: « وأصبح مُسيلمة يرتبط بالخزي والعار والازدراء، وأُطلق على الوادي الذي كان يحمل اسم مُسيلمة، اسم وادي حنيفة، ومع ذلك فإن التعاطف الوطني (المناطقي) غالبًا ما يؤدي إلى التخفيف من حدة الكراهية المذهبية، وبذكر أهل الرياض مرارًا أن زعيمهم المنكوب (مُسيلمة الكذاب) كان رقيق القلب إلى حد الندم، وقد قال أحد المُتعصبين في الرياض ذات يوم، وعلى مسمع مني: كان محمد ومُسيلمة نبيين، ولكن نجم محمد كان مُبشرًا بالخير!». ۞ - انتهى الاقتباس-

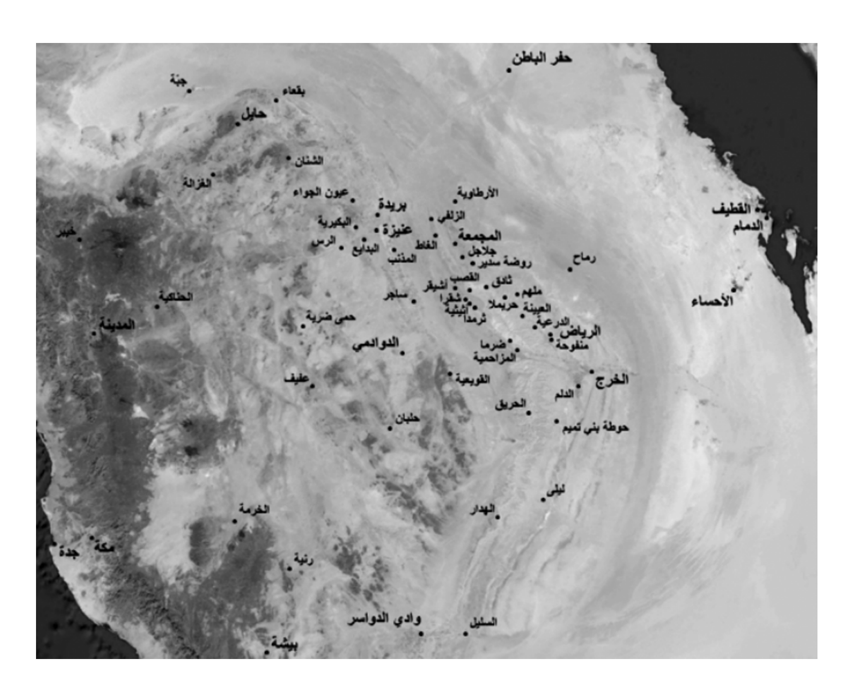
أما الرحالة السوري فتح الله الصايغ الحلبي الذي زار الدرعية عام ١٨١٣م، في عهد عبد الله بن سعود، فيصف لنا أحوال الإمام الوهابي عبد الله بن سعود، ويذكر أيضًا كيف كان ينظر ابن سعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف يُقيم نبوته ودعوته الإسلامية، حيث يقول :

«أما بخصوص صلاته فهو يتوضأ ويُصلي مثل المُسلمين: الكلام والفرض والسند والركوع والوضوء شيء واحد لا يُخالف المُسلمين، غير أنهُ لا يستقبل جهة مكة كمثل بقية المُسلمين، بل على أي جهة كان تجوز عنده الصلاة. والإمام الذي يُصلي به يدعو في أخر الصلاة، الحق سبحانه وتعالى أن ينصر القوم الموحدين على القوم المُشركين. الموحدون هم المُستقرون في وحدانية الحق، والمشركون المُسلمون. وأما بخصوص محمد ﷺ، فهو لا يبغضه ولا يُحبه، ويقول عنه إنهُ إنسان صالح عمل الخير وقرب الناس إلى الله بوساطة فصاحته وسعده وتقواه، وما عمله فهو شيء مقبول، وكل من عمل خيرًا يُشكر على فعل الخير ويُكرم نوعًا ما عن غيره، ولكن لا يُعبد ولا يُزار قبره ويُصلى عليه ويصير له هذا العدد من الاحتفالات الإلهية، لأن كل من أراد

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م – للرحالة الإنجليزي: وليام جيفورد بالجريف.

**يستطيع أن يكون إنسانًا صالحًا ويُشكر بين الناس ويُسمى مهديًا، إذ أن كل من أصلح فهو مهدي وكل من أفسد فهو دجال!».** [۞] - انتهى الاقتباس-




**- خارطة توضيحية لإقليم نجد وتبدو فيها بلدة العيينة مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب-**

---

[۞] كتاب رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية.

- **نبذة عن الصحابي الجليل زيد بن الخطاب (صقر يوم اليمامة) :**

هو زيد بن الخطَّاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أخو عمر بن الخطّاب الأكبر والأسبق إلى الإسلام كان يُكنى أبا عبد الرحمن.

كان زيد أسن من عمر وكان من المهاجرين الأولين أسلم قبل عمر ولقد حباه الله بسطة في الجسم، فكان طويلاً، أسمر اللون، ذا هيبة وجلال، وذا عزيمة ووفاء، وصدق وإخلاص، ولما كانت الهجرة إلى المدينة، كان زيد في صحبة أخيه عمر بن الخطاب، وخرج معهم بعض أهلهم وقومهم من المستضعفين يحتمون بهم، ولما وصل إلى المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معن بن عدي العجلاني حين آخى بين المهاجرين والأنصار بعد قدومه المدينة، وقد استشهدا كلاهما في معركة اليمامة..

شهد بدرًا وأحدًا والخندق وما بعدها من المشاهد وشهد بيعة الرضوان بالحديبية، وفي معركة أحد ضرب أروع المثل في التضحية والشجاعة والفداء، فقد تقدم منه أخوه عمر، وقال له : "يا زيد، خذ درعي كيما تقي بها جسمك من ألسنة الرماح، وأسنة البيض"، فقال زيد مبتسمًا : "يا عمر، إني أريد من الشهادة ما تريد".

وقد هاجر زيد بن الخطاب إلى المدينة مع أخيه عمر وعياش بن أبي ربيعة وخنيس بن حذافة السهمي (زوج حفصة بنت عمر) وسعيد بن زيد، وبني البكير الأربعة : إياس وعاقل وعامر وخالد.

فلما وصلوا المدينة نزلوا على رفاعة بن عبد المنذر في قباء، وقد آخى الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بين زيد ومعن بن عدي الأنصاري العجلاني، وسبحان الله فقد استشهدا جميعًا في اليمامة!!

ولم يتخلف زيد بن الخطاب عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في مشهد ولا في غزوة وحضر بيعة الرضوان بالحديبية، وفي حروب الردة دفع إليه خالد

بن الوليد لواء الجيش في معركة اليمامة ضد دجال بني حنيفة ـ مسيلمة بن ثمامة الكذاب ـ وقد قتل أحد كبار أعوان مُسيلمة وهو الرحال بن عنفوة، واستشهد في هذه المعركة.

لم يذكر له إلا موقف واحد يوم اليمامة عندما استحر القتل بالمسلمين فقام زيد ورفع من عزيمة الجيش، وقال: (والله لا أتفوه بكلمة إلا أن ينصرنا الله أو أهلك) فقاتل حتى مزقته رماح المشركين ولم يتأوه إبرارا لقسمه، وكان استشهاده في ربيع الأول سنة ١٢ هجري.

قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه \: رحم الله زيدًا سبقني إلى الحسنين أسلم قبلي واستشهد قبلي.

وقد قال عمر لأبي مريم الحنفي (قاتل زيد): أقتلت زيد بن الخطاب؟

فقال أبو مريم : أكرمه الله بيدي ولم يهني بيده.

فقال عمر : كم يا ترى قتل منكم المسلمون يومئذٍ؟

قال : ألفًا وأربعمائة يزيدون قليلا.

فقال عمر : بئس القتلى.

وقد تمَّ دفن الصحابي الجليل زيد بن الخطاب في قرية العيينة، وقد وضعت قبة مشهورة على قبره، وقد كانت أول قبة يهدمها محمد بن عبد الوهاب، بحجة إيقاف أهل اليمامة عن الشرك بالله!

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد دعا زيد بن الخطاب ليستخلفه وكان ذلك في حروب الردة فقال :قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أرزقها، وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه.

ويروي نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد: خذ درعي هذه يا أخي، فقال له: إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد فتركاه جميعًا.

- من كلماته يوم وقعة اليمامة :

قال زيد بن الخطاب يوم اليمامة يحفز همم المسلمين أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدمًا، وقد قال والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي، فقُتل شهيدًا رضي الله عنه.

- وفاته :

ويروي عمر بن عبد الرحمن من ولد زيد بن الخطاب عن أبيه قصة استشهاده فيقول :

«كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى ظهرت بنو حنيفة على الرجال فجعل زيد بن الخطاب يقول: أما الرجال فلا رجال وأما الرجال فلا رجال ثم جعل يصيح بأعلى صوته : اللهم إني اعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة الكذَّاب ومحكم بن الطفيل، وجعل يشد بالراية يتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قُتل رحمه الله عليه، فوقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتي من قبلك فقال : بئس حامل القرآن أنا إن أتيتم من قبلي، وقد قتل زيد بن الخطاب سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

وعن عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال : كان عمر يصاب بالمصيبة فيقول : أصبت بزيد بن الخطاب. وأبصر عمر رضي الله عنه قاتل أخيه زيد فقال له : ويحك لقد قتلت لي أخًا ما هبت الصبا إلا ذكرته.

وقال عمر بن الخطاب لـ متمم بن نويرة: يرحم الله زيد بن الخطاب لو كنت أقدر أن أقول الشعر لبكيته كما بكيت أخاك، فقال متمم: يا أمير المؤمنين لو قُتل أخي يوم اليمامة كما قتل أخوك ما بكيته أبدًا، فأبصر عمر وتعزى عن أخيه، وقد كان حزن عليه حزنًا شديدًا وكان عمر يقول: إن الصبا لتهب فتأتي بريح زيد بن الخطاب.

ولما قتل زيد بن الخطاب ونعي إلى أخيه عمر قال: رحم الله أخي سبقني إلى الحسنين أسلم قبلي، واستشهد قبلي.

أما حكاية هدم قبر زيد بن الخطاب في العيينة، فتلك قصة دونها المؤرخ النجدي عبد الله بن بشر في كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد" وسوف يأتي ذكرها في الجزء التالي.

▪ **هدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب :**

**يحدث عادةً عندما ينقلب حاكم ما أو نظام سياسي معين على نظام آخر، أن يقوم ذلك المُتغلب الجديد بعملية تغيير وتبدل شاملة، فيُسارع لتغييب وإخفاء معالم من سبقه، وطمس كل تاريخه وانجازاته حتى ينسى الشعب أو العامة تلك الفترة "الزائلة" السابقة وكي ينشغل الناس بمُنجزات وحضور ذلك الحاكم الجديد الذي يبشرهم بالمن والسلوى. وتلك سمة بشرية معروفة خصوصًا لدى أولئك المُستبدين والمُتسلطين والطامعين الواثبين على الحكم أو السلطة أيًا كان نوعها، وربما يرتبط ذلك الشعور أو التصرف بعامل الغيرة وحب التفرد والتملك لدى الإنسان، وهي محاولة للتفوق على إرث الغريم وطمس كل الماضي والتاريخ الذي يذكر الجميع بما فيهم الحاكم الجديد بذلك العهد الزائل.**

**لكن في حالة محمد بن عبد الوهاب فإن الأمر مختلف تمامًا، فهو لم يضمن السيطرة بعد، ولم يستحوذ على زمام السلطة، لكن كابوس مُسيلمة الكذّاب المزعج كان يُطارده ويرغمه على التخلص من ذلك الإرث الثقيل والماضي المؤرق، وأول الخطوات هي القيام بطمس وهدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، بحجة أن أهل اليمامة كان يتبركون بذلك القبر!. وكان يُدرك جيدًا أنهُ سيجد المُبرر الشرعي القوي لمسح كل معالم معركة اليمامة من على أرض العيينة، بدافع أن بناء القُبب فوق القبور لا يجوز شرعًا وتحت ذريعة الشرك وحرمة التبرك بالقبور، ثم بإمكانه أن يدعي أو يحذر من أن أهل العيينة أو اليمامة في العموم في زمانه بدؤوا يطوفون حول قبر زيد بن الخطاب ويتبركون بضريحه، كما يروج أتباعه الآن من خلال كتبهم وتنظيراتهم السخيفة، وبهذا سيجد الحجة الماضية والمبرر القوي لإزالة واجتثاث قبر زيد بن الخطاب من قاعه.**

**ولا يُعرف صحة ذلك الزعم ولم يتأكد أحد بعد من حقيقة أن أهل نجد وخصوصًا أهل اليمامة كانوا مُشركين يعبدون الشجر والحجر ويطوفون حول**

قبر ذلك الصحابي الجليل الذي قتله أصحاب مُسيلمة الكذَّاب في وقعة اليمامة، إلا من خلال روايات مؤرخي الوهابية الذين لم يتعدوا الاثنين فقط، ولو فرضنا جدلاً أن ذلك قد حدث فعلاً، فهل نلوم الميت، أم نحاسب الحي؟
وهل سنهدم الكعبة مثلاً لأن هنالك من تمسح بها أو يتمسح بجدرانها، أو نُزيل قبر الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام لأن هنالك من تعلق بأركانه؟

بل أن أهالي مكة كانوا يفقهون بالقرآن والأحاديث والسُنة أكثر من محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، حيث ذكر لنا الرحالة السويسري بوركهارت في كتابه حادثة عن سعود حفيد محمد بن سعود قائلاً :
«وقد تبنى سعود مفهومًا منافيًا للعقل، في أن أبناء المدن قد تربوا في ظلال من الجهل المطبق لدينهم الحنيف، وبالتالي كان يجب إرشاد أهل مكة (المكرمة) باعتبارها مدينة وحاضرة بالمبادئ الإسلامية الأولى. وعلى أية حال، فإن كتاب سعود لم يكن يحوي شيئًا جديدًا على أهل مكة (المكرمة)، بل كانوا يعرفون ما فيه قبل أن يصل إلى أيديهم. وعندما اكتشف سعود أن أهل مكة أكثر علمًا ومعرفة من أتباعه هو، كفَّ يده عن القيام بمزيد من نشر تعليماته فيما بينهم». ۞

كما يصف بوركهارت أيضًا حالة محمد بن عبد الوهاب النفسية قائلاً :
« أما محمد بن عبد الوهاب، فقد كان متحمسًا للتعاليم الإسلامية الأولى، وجوانحه تمتلئ بالسخط، وهو يرى بأم عينه التجاوزات والتعديات على هذه العقيدة وتعاليمها، من قبل المسلمين المعاصرين له - ليس هذا فحسب، بل ربما شعر عبد الوهاب بحقد وضغينة، بسبب ما عامله به الأتراك من ازدراء، بل وما لقيه من احتقار أهل المدن، حيثما حل وارتحل واعظًا إياهم بالعودة إلى الدين، ونبذ الانحراف والفوضى». ۞

---

۞ كتاب ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف جون لويس بوركهارت.

إذن حجة التبرك بالقبور كانت حجة باطلة وأن الهدف في العزف على أوتار تلك البدعة كان لأسباب نفسية سيكوباتية أكثر منها دوافع دينية وعقدية، فقد كان الهدف من تلك الأفعال هو تحقيق تلك النبوءة أو رؤية جده سليمان المشهورة والتي سيأتي ذكرها لاحقًا، ومنذ ثم محو العار الذي لحق بنجد وباليمامة والعيينة تحديدًا، عندما ارتد أهلها عن الإسلام وتبعوا دجالهم الكبير مُسيلمة الكذاب. فأراد محمد بن عبد الوهاب في أول خطوة له طمس ذلك القبر التاريخي الذي كان بمثابة الخنجر المغروس في خاصرته أو المعول الذي يُقيض أركان دعوته المزعومة القادمة، فوضع ذلك الهدف نصب عينيه قبل أن يتمكن بالكامل، لأنهُ سيعلم قطعًا أن معارضيه سيذكرونه دائمًا بتاريخ مُسيلمة الكذَّاب وسينكئون عليه الجراح بالترحم على الصحابي الجليل زيد بن الخطاب. فكانت الخطوة الإستراتيجية الأولى له هي طمس ذلك القبر الذي يُعتبر أهم "مَعلم" من مَعالم معركة اليمامة، ومن ثم تسويته بالأرض، حتى ينساه الناس فيرفع عن كاهله ذلك الحمل الثقيل ويبدأ مشروعه الديني الشخصي ويباشر بدعوته النجدية. فلم يجرؤ محمد بن عبد الوهاب على المُبادرة بهدم قبر الصحابي زيد بن الخطاب، لأنهُ كان يخشى الفتك به من قبل سكان الجبيلة، فتوجه إلى مضيفه الأمير عثمان بن معمر الذي آواه وحماه ليقوم بتلك المهمة وقد فعل.

وحتى عندما ردَّ محمد بن عبد الوهاب على الشيخ سليمان بن سحيم الذي نبزه أكثر من مرة، عن سبب هدمه لقبور الصحابة وعلى رأسهم قبر الصحابي زيد بن الخطاب في الجبيلة، فلم يستطع ابن عبد الوهاب أن يُبرر فعلته، وبدأ رسالته بشتم وتكفير الشيخ سليمان بن سحيم ووالده أيضًا وكانت لغته سوقية مُنحدرة المفردات ممزوجة باللهجة النجدية العامية، ثم بدأ بالحديث بأمور عامة كالشرك والغلو وغيرها من تُهم مُعلبة وجاهزة، لكنهُ لم يُبين السبب الرئيسي وراء هدمه لتلك القبور المُندرسة!. حيث جاء في بعض من رسالة محمد بن عبد الوهاب ردًا على الشيخ سليمان بن سحيم، قائلاً فيه:

«فيا سبحان الله ما من عقولهم تفهم أن هذا الرجل من البقر، التي لا تميز بين التين والعنب».

ويقول في رسالة أخرى ما نصه :

«الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت(•) قرطاسة فيها عجائب، فإن كان هذا قدر فهمك، فهذا من أفسد الأفهام، وإن كنت تُلبس به على الجُهَّال فما أنت برابح وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق، ولكن صائر لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ونُداريكم وودنا لأن الله يهديكم ويهديهم. وأنت إلى الآن أنت وأبوك لا تفهمون شهادة لا إله إلا الله. أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنك لا تعرفها إلى الآن ولا أبوك ونكشف لك هذا كشفًا بينًا لعلك تتوب إلى الله وتدخل في دين الإسلام إن هداك الله وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما، و(لا تجوز) الصلاة وراءكما وقبول شهادتكما وحظكما ووجوب عدواتكما كما قال تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. ...الخ».۞ - انتهى-

أما حسين بن غنام وربما أحد المُحقيين المُتأخرين حينما وجدوا أن محمد بن عبد الوهاب لم يجد مُبررًا مُقنعًا على هدم قبور الصحابة في موقعة اليمامة في أرض الجُبيلة، قاموا هم بالتبرير والتعليل المزاجي الافتراضي بالنيابة عنه، وذلك بقولهم أن تلك القبور الموجودة في منطقة الجُبيلة هي لم تكن أصلاً لأولئك الصحابة الذين قتلوا في معركة اليمامة في معركة الردة، بل كانت لأشخاص آخرين مجهولين، وكأن محمد بن عبد الوهاب كان لهذه الدرجة من الغباء والسذاجة، بحيث لم ينتبه إلى أن تلك القبور الثابتة منذ مئات السنين هي ليست للصحابة بل كانت قبور مزورة، ومع هذا لم يُبرر أو يتشبث بذلك العذر حينما حُشر في زاوية من قبل خصومه!.

---

(•) زعجت بلهجة أهل نجد : تعني أرسلت أو بعثت رسالة

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

فلو كانت تلك القبور التي دُمرت بأمر وتحريض من قبل محمد بن عبد الوهاب هي فعلاً ليست قبور الصحابة المعروفين وأنها مُجرد نصب عادية كما برَّر وزعم حسين بن غنام، لكان ابن عبد الوهاب الماكر أول المُشنعين بها، من باب أنها قبور مُزيفة وليست كما يظن الناس أنها للصحابة، لكنهُ رغم دهاءه ومكره لم يُبرر هدمه لتلك القبور كونها كانت قبور مزيفة، وأما ذلك العذر فقد جاء مدروجًا في كتاب حسين بن غنام، ولا يُعلم هل كان ذلك التعليل من تعليق ابن غنام نفسه أم من قبل الشخص الذي قام بتحقيق وطبع المخطوطة على هيئة الكتاب لاحقًا؟

وقد جاءت تلك الحجة بعد انتهاء رسالة محمد بن عبد الوهاب التي وجهها لـ سليمان بن سحيم، وقد جاء ذلك التبرير خارج سياق رسالة محمد بن عبد الوهاب، حيث جاء فيه :

« فالذي جرى من الشيخ رحمه الله وأتباعه أنه هدم البناء الذي على القبور والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك كذب ظاهر، فإن قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يُعرف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قُتلوا أيام مُسيلمة في هذا الوادي، ولا يُعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين، وقال للناس: هذا قبر زيد، فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبني على المقبرة إتباعًا لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور والنهي الغليظ الشديد في بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى ملكة من المعرفة والعلم». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ولاحظ هنا التدليس الواضح والجلي في الكلام وذلك من خلال الزج بالنص وكأنه جزءٌ لا يتجزأ من رسالة محمد بن عبد الوهاب التي جاءت ردًا على سليمان بن سحيم، بينما هذا الرد كُتب بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب، وربما يكون حسين بن غنام هو من دوَّنه.

كما يؤكد لنا مفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، في مخطوطته الشهيرة " السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" عن موضع مقبرة شهداء الجُبيلة فيقول:

« أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي النجدي مولدًا ومسكنًا: وُلد في بلدة العيينة تصغير عين، ونشأ بها فقرأ على فقهائها ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، فأقام فيها مدة وقرأ على أجلاء مشائخها منهم العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله العسكري شيخ الشيخ موسى الحجاوي وتخرج به وانتفع وقرأ على غيره (كالجمال يوسف بن عبد الهادي والعلاء المرداوي) وتفقه ومهر في الفقه فأجازه مشائخه وأثنوا عليه فرجع إلى بلده موفور النصيب من العلم والدين والورع، فصار المرجوع إليه في قُطر نجد والمشار إليه في مذهب الإمـام أحمد ، وانتفع به خلق كثير من أهل نجد وتفقهوا عليه، وألَّف مؤلفات عديدة منها (الروضة) ومنها (التحفة) ومنها (درر الفوائد وعقيان القلائد) وله تحقيقات نفيسة وتدقيقات لطيفة، وتوفي في ليلة الثلاثاء ثالث رمضان المبارك سنة ٩٤٨هـ، ودفن بمقبرة الشهداء من الصحابة في الجُبيلة (بضم الجيم) من قرى (العيينة) من أرض اليمامة، ضجيعًا للشهيد الجليل زيد بن الخطاب رضي الله عنه». [۞] -انتهى الاقتباس-

كما يؤيده المؤرخ النجدي إبراهيم بن صالح ابن عيسى في كتابه " عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر"

---

[۞] كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \
تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

عن صحة ما ذكره مفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد عن نسبة القبر المذكور للصحابي زيد بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، حيث يذكر لنفس الخبر في كتابه، قائلاً :

«وفي سنة ٩٤٨هـ : توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي النجدي الحنبلي ودفن في بلد الجبيلة المعروفة في وادي حنيفة ضجيعًا لزيد بن الخطاب رضي الله عنه».[۞]

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

## ▪ الأمير عثمان بن معمر أول المُصدقين به وأول المنحورين على يده !

عندما هرب محمد بن عبد الوهاب من حريملاء خوفًا من بطش أولئك العَبيد من أسرة «الحميان» الذين تسوروا عليه جدار منزله ليلاً، ولولا أن بعض المارة قد شاهدوا فعل الحميان وبدؤوا بالصياح عليهما فتركوا منزله وعادا أدراجهما، وفي نفس تلك الليلة قرر محمد بن عبد الوهاب الهرب إلى العيينة ودخل على أميرها مُستنجدًا ولاجئًا في حرمه، وكان أمير البلدة حينئذٍ هو الأمير عثمان بن معمر الذي حلَّ محل "خرفاش" فطلب منه محمد بن عبد الوهاب الحماية وأعلن نفسه كدخيل عنده.

والحقيقة أن الأمير عثمان بن معمر قد آثره واستقبله استقبال طيب، حيث أمَّنه وآواه وحماه، بل وزوَّجه لاحقًا من عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، (وللجوهرة ابنة معمر تلك حكاية مشهورة في المنطقة مع أحفاد مرخان سيتم ذكرها لاحقًا بالتفصيل)، وكالعادة بدأ محمد بن عبد الوهاب بالترويج لأفكاره والتسويق لدعوته، والحق يُقال فإن الأمير عثمان بن معمر لم يُقصِّر قط مع محمد بن عبد الوهاب، وذلك بشهادة مؤرخو الوهابية وعلى رأسهم المدون الخاص بمحمد بن عبد الوهاب وهو حسين بن غنام، وكذلك بشهادة عثمان بن بشر، حيث وثَّق لنا ابن غنام في مخطوطته سجعًا عن ذلك الترحيب والاستقبال الحافل من قبل الأمير عثمان بن معمر لمحمد بن عبد الوهاب الذي أتاه فارًا من حريملاء، فيقول في كتابه :

« ثم بعد ذلك عزم (محمد بن عبد الوهاب) على المسير عنها (حريملاء) والارتحال والإقامة بالعيينة فجدَّ في الرحيل والانتقال، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين الذي أحياه ذو القلب المنوّر فدخل منه شيء في قلبه، وأعلن عند جماعته وصحبه بتقريبه وحبه، فحين وصل تلك البلد قام معه عثمان وقعد وساعده على ذلك واجتهد وأمر الناس له بالإتباع، وعدم المُشاققة له والنزاع وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره وكلامه،

ويسلكوا سُبل الاستقامة ويظهروا توقيره وإكرامه وإبداء التعظيم له والاحتشام، تسمع أقواله وتطاع وتملأ الصدور والأسماع فصار للزيغ ارتداع وقمع وإقلاع وللحق والهدى أتباع ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة».[*]

أما المؤرخ النجدي والوهابي الهوى والعقيدة عثمان بن بشر فيقول في كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد" عن ذلك الموقف النبيل للأمير عثمان بن معمر إزاء ابن عبد الوهاب، حيث أورد قائلاً :

« فتلقاه بالقبال، وأكرمه، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، وعرض على عثمان بن معمر ما قام به ودعا إليه وقرر له التوحيد وحاوله على نصرته، وقال : إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله تعالى وتملك نجدًا وأعرابها، فساعده عثمان على ذلك فأعلن بن معمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».[**] -انتهى الاقتباس-

وقد فعل الأمير عثمان بن معمر وصدق بوعود دجال اليمامة وأبر هو بما وعده، فماذا كان مصيره؟

أما رواية حسين بن غنام مع أنهُ ليس من أهل نجد اليمامة، فهو أصلاً من الأحساء وقد جاء للدرعية فارًا من بلدته مُلبيًا لدعوة محمد بن عبد الوهاب فأصبح يدعى هو ومن جاء على شاكلته إلى الدرعية بالمُهاجرين وأما أهل الدرعية فيدعونهم بالأنصار، إلا أن حسين بن غنام يبدو حاقدًا ومُتحاملاً على الأمير عثمان بن معمر وذلك من خلال سرده للأحداث، وربما يرجع السبب وراء ذلك الموقف السلبي، إلى أن من زوده بتلك المعلومات المخونة للأمير عثمان بن معمر هو محمد بن عبد الوهاب نفسه، أو ربما كان يريد ابن غنام أن يُرضي محمد بن عبد الوهاب ويكسب وده من خلال تخوين ابن معمر، كي يُبرر لمحمد بن عبد الوهاب حادثة الغدر والفتك بعثمان بن معمر ، حيث يذكر

---

[*] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[**] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

لنا حسين بن غنام بعض الحوادث التي حتمًا سيلمس منها القارئ حقدًا وغلاً دفينًا وظاهرًا على الأمير عثمان بن معمر من قبل ابن غنام، حيث يخونه ويشكك بنواياه ويشمت بما آل إليه لاحقًا، فيقول في كتابه مثلاً :

« ثم دخلت سنة الستين بعد المائة والألف ١١٦٠هـ : وفيها وقعة دلقة....الخ. وكانت تلك الغزوة من غير رضاء عثمان بن معمر ومشورته، لما يتهمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية، إلا أن هذه الوقعة زادته رجسًا إلى رجسه وخبث بها دغل نفسه، ثم لما رجع كل إلى بلده وآب إلى مسكنه ومعهده، ومرَّ أهل حريملا إلى العيينة طلب عثمان بن معمر من أمير حريملا محمد بن مبارك العهد والميثاق على الإخاء والمُصافاة والاتفاق، وذلك لما أبطن من الشر كما كان شأن ذوي النفاق، مع أن قلبه قد ملئ من الرعب والوجل وخالطه الخوف والذل والخجل، ثم إن عثمان غشيه الندم وجلله الفشل حيث لم يكن مع الغزاة قد عزم، وخشي الإذلال والإهانة وتصديق ما يُرمى به من النفاق والخيانة، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود يستشفع إليه بكل صديق وودود في قبول العذر والاعتذار والصفح عن التخلف الذي صار، فقبلا منه جلي عذره رجاء منهما أن لا يعود إلى مكره، ثم إنهُ قدم إليهم ووفد عليهم ومعه وجوه أهل حريملا والعيينة وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد والقيام بالنصرة والاستعداد ولو إلى أية بلاد، فتوهموا فيه الصدق والوفاء وغاب عنهم ما كمن بقلبه واختفى، فعندها رأسوه وكبروه ورفعوه على المُسلمين وأمروه وصار ابن سعود له منقادًا ولأمره طالبًا مُرتادًا ولا يُخالفه ولا يُشاققه بل يُتابعه ويوافقه في السفر والبلاد والغزو والجهاد، وكان من أعظم ما على عثمان به نقم وأوضح ما رُمي به واتهم، أنهُ أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العيينة، وكان يتفوه في المجالس والمحافل أنهُ لمنهج الإصلاح مائل ولتكثير سواد المُسلمين فاعل والله أعلم أنهُ خائن خاتل، فحسن له تلك الأفعال وقدم

إبراهيم مع دهام بلا إمهال فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان، وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهما من الأعيان، فصار سببًا لما ناله من الذل والهوان، فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهامًا إليه قصد، شق عليهم ذلك وعابوه، ولكنهم من الفتك به هابوه، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يُشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمُبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين، فاجتمع أهل البلد جميعًا وساروا إليه سريعًا، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة موّهَ عليهم مطلوبه وقصده، وقال لهم ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصلح ويتم بمجيئه المرام والصلح، ويدخل دهام في دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الإحكام، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم، ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا في قدومه الحيلة، يحثه على المجيء والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور، وقد ألقى الله في روع الشيخ خيانته وتحقق أنه لم يوف أمانته، بل حكي أن الشيخ جاءه النذير يحذره من الحضور والمسير، وأبدى غاية الامتناع وأعتذر عن الموافاة والاجتماع». ۞

ونلاحظ هنا أن حسين بن غنام يرمي التهم جزافًا على عثمان بن معمر ويتبلى عليه من خلال ظنون وأقاويل ذكرها له محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، فقطعًا سيُبرر أعداء ابن معمر لأنفسهم حينما غدروا به واغتالوه لاحقًا وهو في مسجده يُصلي الجمعة، وحتى حينما جبن محمد بن عبد الوهاب وخاف فقرر عدم المجيء إلى العيينة لعقد الصلح مع دهام بن دواس، يُبرر ابن غنام خوف ورعب شيخه محمد بن عبد الوهاب على أنه فطنة وإلهام رباني، لأن ابن معمر كما يزعم هو كان خوانًا منافقًا ينوي به الشر، فلو كان محمد بن عبد الوهاب

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

فقيهًا مُسلمًا حقًا فلماذا لم يتعظ من قول الرسول ﷺ لمُعاذ بن جبل : "أفتان أنت يا معاذ"، ولو فرضنا جدلاً أن ادعاء الوهابيين صحيح وأن الأمير عثمان بن معمر كان يبطن النفاق ويُضمر الشر لمحمد بن عبد الوهاب كما يزعمون فهل يجوز سفك دمه وأين؟ في محراب المسجد وهو يُصلي! فلما لم يتخذ محمد بن عبد الوهاب من سيرة الرسول الكريم ﷺ قدوة له ولأتباعه، وكلنا قرأ موقفه المُتسامح من كبير المُنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي صرح بعداوته للرسول وقال كلمته الخبيثة (ليخرجن الأعز منها الأذل) وعندما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفتك به وقال للنبي ﷺ : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فنهاه النبي ﷺ وقال له: لا يا عمر: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

ويبدو لي أن الغرض من وراء ذكر رئاسة عثمان بن معمر للجيش هنا، والكشف عن أن محمد بن سعود كان يتبعه، ليس بقصد الاعتراف بمكانة وفضل الرجل وشجاعته، بل ليردوا على الخصوم إذا ما قالوا لهم أن الأمير عثمان بن معمر كان له السبق في دعم الدعوة ونصرتها وهو أول من آوى محمد بن عبد الوهاب وكان أول الْمُصدقين بدعوته، وعندما كانوا يغزون يكون الأمير عثمان بن معمر هو قائد الجيش وهو رأس حربته، فأرادوا أن يردوا على الخصوم ويُبرروا تلك الرئاسة على أنها منصبًا فخريًا ورئاسة صورية فقط، وجاءت بعطف ومنحة من لدن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب لتجربته وتكريمه لا أكثر ولا أقل، ورغم هذا الكرم الوهابي المزعوم فقد خانهم عثمان بن معمر، هكذا يُحاولون أن يفسروا الأمر، مع أن كل الأخبار المتواترة كانت تدل وتفصح بما لا يدع مجالاً للشك من أن الأمير عثمان بن معمر كان من أسرة حاكمة عريقة ومحمد بن سعود كان عاملاً لدى آل معمر، وهو ما جاء ذكره في بعض المصادر التاريخية، إذن الأمير عثمان بن معمر كان هو الحلقة الأقوى في تلك المُعادلة والشراكة الوهابية في بداياتها.

وعن تبعية محمد بن سعود لحكام العيينة آل معمر، يذكر لنا أصحاب كتاب "آثار الأدهار" لمؤلفيه سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة الصادر عام ١٨٧٧م، وكذلك ما نقله محمد صديق حسن خان القنوجي في كتابه "التاج المُكلل" أن محمد بن سعود كان عاملاً لدى صاحب العيينة الأمير ابن معمر، حيث يقولان :

« ابن سعود : هو محمد بن سعود النجدي، أحد مشايخ عرب عنزة، كان فيهم شيخ قبيلة المصاليخ، وله قرابة بعرب وائل وتغلب وشمر، كان شهمًا كريم الأخلاق وقورًا جوادًا متعقلاً، وجده سعود رأس بيته نزل الدرعية بقبيلته وكان من عمال ابن معمر صاحب (الـ) عيينة، ولما ظهر محمد بن عبد الوهاب بالدعوة الوهابية وانقبض عنه القرامطة لجأ إلى ابن سعود هذا فصدق دعوته وقام بتأييدها، وقد غره منه وعده أن يُسلطه على بلاد نجد، وكان ذلك نحو سنة ١٧٦٩للميلاد، وتزوج بابنة عبد الوهاب وانحاز إلى تصديق الدعوة مع ابن سعود رجال قبيلتهِ ففشت الدعوة الوهابية في البلاد وتكاثرت أتباعها من عرب تلك الجهات، وشرع حينئذٍ ابن سعود في التغلب على قبائل اليمن، فخدمه حظه وكثرت أنصاره، أحلافه». ۞

ولهذا يبدو أن الأمير عثمان بن معمر كان يُشكل عبئًا كبيرًا على محمد بن سعود وشريكه محمد بن عبد الوهاب، بسبب المكانة الاجتماعية والموروث القيادي الذي كان يحمله وكذلك بسبب تاريخ أسرته الحافل بالسلطة والمجد، ولأن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب كانا مثقلان بإرث ومكانة المعامرة، بسبب تبعيتهم إلى أسرة آل معمر فقد شعر الشريكان أنهما أمام وريث شرعي قوي لحكم نجد، ولن يرتاحا إلا إذا تخلصا من ذلك الكابوس المُعمري الجاثم على صدورهم، والذي بات يشكل خطرًا داهمًا عليهما، ويقف

---

۞ كتاب آثار الأدهار تأليف سليم لجبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة ١٨٧٧م و
كتاب : التاج المُكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول \ تأليف : محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري. ١٢٤٨هـ - ١٣٠٨هـ.

حجر عثرة أمام تطلعاتهما إلى السيادة على إقليم نجد كمرحلة أولى، وللأسف فإن الأمير عثمان بن معمر كان قد استغل أبشع استغلال من قبل محمد بن عبد الوهاب ومن ثم من قبل محمد بن سعود، وكان الرجل صادقًا في نيته وسعيه مع محمد بن عبد الوهاب حينما باشر دعوته في العيينة، بل أن حسين بن غنام يمتدح موقف الأمير عثمان حينما كان يُعاقب من يتخلف عن الصلاة ويأمر بتحصيل الزكاة، فكيف يحاججون خصومهم بموقف عثمان بن معمر، ثم يعودون ويغدرون به ويغتالونه وهو يُصلي بمسجده ؟!

فيذكر لنا حسين بن غنام في كتابه، كيف كان البعض من خصوم محمد بن عبد الوهاب يعترضون على مُعاقبة أمير العيينة عثمان بن معمر لمن تخلف عن أداء الصلاة، فيقول :

« وأضحت ألسنتهم بعد ذلك فيه مسرفة ووجوههم عنه مصروفة حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة، فذكر لنا عن تحقيق ويقين أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المُسلمين وتأديبه من لم يُصل جُملة وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين». ۞

ومن خلال كتبهم الوهابية الصرفة، سنرى حرص وجراءة وشجاعة ابن معمر، وبالمقابل سنرى خوف وتخاذل محمد بن عبد الوهاب، وقد اتضح الأمر جليًا عندما أراد محمد بن عبد الوهاب أن يقدم على هدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب، فجاءت ساعة الحسم التي أظهرت صدق نية عثمان بن معمر وكشفت مدى جبن وضعف محمد بن عبد الوهاب، وللعلم فإن تلك الرواية ذكرت على لسان المؤرخ النجدي عثمان بن بشر وهي مدونة في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد وليست ملفقة أو مستقاة من كتاب مشبوه أو مصدر يحمل الحقد أو الضغينة ضد محمد بن عبد الوهاب ودعوته النجدية ، حيث يذكر لنا عثمان بن بشر ما نصه في لحظة القرار بهدم قبر الصحابي زيد بن الخطاب :

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

« ثم أن الشيخ أراد أن يهدم قبة قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، التي عند "الجبيلة"، فقال لعثمان بن معمر: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى. فقال له عثمان بن معمر: دونكها فأهدمها. فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي!! فسار معه عثمان بن معمر بنحو ستمائة رجل، فلما قربوا منها ظهروا عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوها، فلما رآهم عثمان بن معمر علم بما هموا به، فتأهب لحربهم وأمر جموعه أن تنعزل للحرب، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها».

إلى أن يذكر: «أنهُ قد ذكر له أن عثمان لما أتاها، قال للشيخ نحن لا نعترضها. فقال أعطوني الفأس، فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها».۞ - انتهى الاقتباس -

أي أن الأمير عثمان بن معمر لما نجح في فرض سيطرته حول القبر وقبته بالقوة، قال لمحمد بن عبد الوهاب نحن لا نعترضها يقصد قبة القبر (أي لسنا مُلزمين بهدمها). فقال محمد بن عبد الوهاب إذن أعطوني الفأس، فهدمها حتى ساواها بالأرض. وهذا يُدلّل أن الرجل كان يحمل ضغينة وهمًّا كبيرًا ضد ذلك القبر تحديدًا، وها قد واتته الفرصة بدعم وحماية من الأمير عثمان بن معمر، فظهرت شجاعته فجأة وقام بهدم القبر وقبته بنفسه، وتلك كانت أهم إشكالية نفسية في شخصية محمد بن عبد الوهاب، فهو قد أزاح همًا كبيرًا كان جاثمًا على صدره، وذلك عندما توقع أنهُ نجح في طمس ذلك الأثر وأخفى معالم تلك المعركة التاريخية التي كانت تلاحقه بآثار العار والشنار حسب تفكيره.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

## ▪ جزاء عثمان بن معمر «ذبيح المسجد» كان جزاء سنمار:

كان عثمان بن حمد بن معمر من أول المُصدقين بدعوة دجَّال نجد محمد بن عبد الوهاب، وهو من أول الداعمين له، وأول من آواه وحماه في العيينة، وهو من زوَّجه من عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، وكان كريمًا سمحًا معه مُداريًا لخاطره متبعًا إياه في كل ما يقول، حتى أنهُ قد غامر بنفسه وسمعته حينما سار معه برجاله وسمح له بهدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب وهو يعلم جيدًا ما لهذا الصحابي الشهيد من مكانة عظيمة في قلوب ونفوس المُسلمين، ومع كل ما قدمه ابن معمر ورغم كل تلك التضحيات والخدمات التي أسداها لهذا الدعي فلم يحفظ محمد بن عبد الوهاب معروف الأمير عثمان بن معمر، ولم يتذكر مواقفه الرجولية والإنسانية معه ولم يحفظ له أسبقيته في تصديق دعوته، فقد تبَّخر كل شيء وانقلب الود والوئام إلى خصومة وعداء سافر من قبل ابن عبد الوهاب بعد أن طلب منه ابن معمر وبلطف وأدب أن يُغادر العيينة خوفًا من بطش حاكم الأحساء حينها سليمان بن محمد بن غرير الحميدي، فحمل محمد بن عبد الوهاب مشاعر الغل والحقد والضغينة معه ضد الأمير عثمان بن معمر حتى أحلَّ دمه لاحقًا وأمر أتباعه بقتله وهو يُصلي الجمعة في مسجد العيينة!!

وأما حسين بن غنام فيزعم عكس ذلك ويقول إن الذي حمل الغل والحقد والضغينة هو عثمان بن معمر نفسه، بينما كل الوقائع التاريخية لاحقًا تُشير إلى أن الانتقام والغدر قد بدر من قبل محمد بن عبد الوهاب وليس العكس، حيث يذكر ابن غنام عن دعوة الأمير عثمان بن معمر لمحمد بن عبد الوهاب للعودة معه إلى العيينة بعد أن أقام عند محمد بن سعود، ومن ثم كيف قام محمد بن عبد الوهاب بجمع أتباعه حوله ومن ضمنهم بعض أفراد أسرة آل معمر الناقمين على الأمير عثمان، قائلاً:

«فلما علم عثمان بن معمر بكل ذلك ندم على ما فعل من إخراج الشيخ، وعدم نصرته، وخاف منه أمورًا. فركب في عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها، وقدم على الشيخ في الدرعية، وأراده على الرجوع معه ووعده النصر والمنعة، فقال الشيخ: ليس هذا إلي، إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت، وإن أراد أن أقيم عنده أقمت، ولا أستبدل برجلٍ تلقاني بالقبول غيره، إلا أن يأذن لي، فأتى عثمان إلى محمد بن سعود، فأبى عليه، ولم يجد إلى ما أتى إليه سبيلاً، فرجع إلى بلده مُضمرًا العداوة والشر والغدر، وإن كان يُبدي مُشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد. إلى أن تكرر منه المكر، وظهر نفاقه وأنكشف أمره، فقام بقتله جماعة من أهل التوحيد، بعد أن انقضت صلاة الجمعة في مُصلاه بمسجد العيينة سنة ثلاث وستين بعد المائة والألف».[۞] -انتهى الاقتباس-

ولاحظوا هنا أن في هذه النسخة قد وضعوا جملة زائدة تقول (بعد أن انقضت صلاة الجمعة في مصلاه بمسجد العيينة)! كي يتنصلوا من سفك دم الرجل وهو يُصلي في داخل المسجد، حيث معلوم للجميع أنهم اغتالوه وهو يُصلي بعد أن كان يؤدي تسليمتي الصلاة، وهنا يبرز أثر التزوير بجلاء ووضوح تام.

أما الفاخري فقد اختصر عملية الاغتيال الدنيئة تلك للأمير عثمان بن معمر وهو يتهجد في بيت من بيوت الله بسطر واحد يتيم فقط، فنعته بالخيانة وحمل مسؤولية قتله لأبناء وطنه كما يزعم حيث يذكر:

« وفي سنة ١١٦٣ هـ: وفيها قتل عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر أمير العيينة يوم الجمعة في المسجد، قتله أهل وطنه لخيانته، وولوا مشاري بن معمر. وفي سنة ١١٧٣ هـ: وفيها هُدم قصر ابن معمر في العيينة بأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب».[۞۞]

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[۞۞] كتاب : تاريخ الفاخري \ تأليف محمد بن عمر الفاخري ( ت١٢٧٧هـ).

وقد كان محمد بن عبد الوهاب ذو شخصية انفعالية حدية ناقمة لا يتردد بسفك دم أي شخص يُخالفه في الرأي أو يختلف معه، أو لا ينفذ مطالبه ويعينه على مشروعه الدعوي المزعوم، وهذا ما يبدو جليًا من خلال رسائله الانفعالية المليئة بالتكفير والشتم والتعيير، وبسبب تلك التركيبة الشخصية السيكوباتية الناقمة لابن بن عبد الوهاب، فقد دفع عثمان بن معمر حياته رغم كل خدماته الجليلة ومناصرته لمحمد بن عبد الوهاب مذ أن كان شخصًا مغمورًا لا يعرفه الجميع ولا يتلفت إليه أحد، وحتى بعد أن ذاع صيته مع شريكه الجديد محمد بن سعود، استمر الأمير عثمان بن معمر في دعمه وتجييش الرجال لمُقاتلة أعداء محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، ومع هذا لم يغفرا له مساندته لهم ولا حتى لإرثه الأسري وتجرده أو بالأحرى استقلاليته، فأمرا بقتله وهو يتهجد في صلاة الجمعة! ولهذا فقد كان محمد بن عبد الوهاب ناقمًا وحاسدًا وكارهًا لعثمان بن معمر ومتوجسًا منه على الدوام، وهذا ما بدا واضحًا في كتاب حسين بن غنام، الذي دوَّن ما فيه من معلومات وأخبار برغبة وإملاء من قبل محمد بن عبد الوهاب نفسه، حيث يقول ابن غنام عن عثمان بن معمر: « وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثمان بن معمر أنهُ أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته، ويُزين له الاتفاق مع عثمان، والقدوم عليه إلى العيينة، على أن يظهر في أحاديثه بمجالسه أنه اهتدى، وانضم إلى الجماعة. فقدم دهام مع إبراهيم على عثمان، وكان ذلك كله من غير مشورة الشيخ وابن سعود، فحين رأى أهل البلد دهامًا وعلموا بما حدث شق عليهم ذلك، واجتمعوا جميعًا وساروا إلى عثمان. فلما رأى حالهم موهَ عليهم، وقال لهم: ليس لي مُراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح ويدخل دهام في دائرة الإسلام، فاطمأنت نفوس القوم. ثم أرسل عثمان إلى الشيخ وألحَ عليه في القدوم، ولكن الله ألقى في روع الشيخ ما استبان به من خيانة عثمان وغدره، فامتنع عن الذهاب، فحصروا ابن دواس

في القصر وهموا أن يفتكوا به، ولكن دهامًا هرب منهم تحت جنح الظلام. وعاد سليمان إلى ثرمدا وفارق منهج الحق».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن محمد بن عبد الوهاب كان يضع جواسيس وعيون تتلصص على الأمير عثمان بن معمر، وكان يوكل من ينقل له أخباره وتحركاته، ويبدو أن الطامعين في منصب عثمان بن معمر كُثر، ومنهم من كان لهم دور كبير في لعب هذا الدور الخبيث.

الأمر الآخر وهو أن الأمير عثمان بن معمر قبل أن يدخل ويعتنق الدعوة الوهابية كان أكثر حرية واستقلالية بحيث كان له الحق المُطلق في أن يعقد التحالفات والصلح وبناء علاقات تجارية مع من يشاء، وحينما دخل في شراكة ابن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، بات مُكبلاً ومُقيدًا بشروط والتزامات ثقيلة ومجُحفة، وربما هذا ما دعاه للتململ من تلك الشراكة المُرهقة.

ولاحظ هنا أن محمد بن عبد الوهاب وشريكه محمد بن سعود لم يُمسكا بدليل ثابت وملموس على كون ابن معمر قد خانهما فعلاً، لكنهما كانا يعتمدان في أحكامهما أولاً على نيتهما السيئة نحو ابن معمر، وثانيًا اعتمدا على مسألة التخمين والشبهة دون دلائل أو قرائن ثابتة، وأيضًا من خلال استقاء الأخبار من مصادر مشبوهة أغلبها كان حاقدًا على ابن معمر وطامعًا في مركزه، وتراهما يتخرصان بأقاويل وتوقعات على منوال (ظهر منه وقيل عنه وأراد أن يفعل وأدخل الشك في روع الشيخ). والخ.

والحقيقة أن الأمير عثمان بن معمر لم يكن أصلاً تابعًا لهما أو عاملاً لديهما، أو مُريدًا لمدرستهما أو حواريًا لمحمد بن عبد الوهاب، حتى يتهماه بالخيانة العظمى ومن ثم يهدرا دمه، بل على العكس كلاهما كان عاملاً وتابعًا لأسرة آل معمر فيما مضى ، وكان عثمان بن معمر أميرًا كابرًا عن كابر على بلدة كبيرة

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

كانت مُتفوقة ومنافسة للدرعية، وكان من حقه أن يفك عقد تلك الشراكة المُرهقة له متى ما شاء.
لكن محمد بن سعود كان يشعر بعقدة النقص أمامه كونه كان عاملاً لآل معمر، وكذلك محمد بن عبد الوهاب كان يكره عثمان بن معمر ويبغضه منذ أن كان لاجئًا عنده، لأنه يشعر بالاستصغار حياله، ولهذا كان يبغضه ويحذر محمد بن سعود منه لأن الأخير كان يخشى بدوره من قوة ونفوذ وتوسع ابن معمر، ولهذا توافقا معا وخططا منذ البداية للتخلص منه، وذلك من خلال استقطاب خصومه التقليديين من أسرة آل معمر الناقمين، ومن ثم حرضا على قتله من خلال فرمان تآمري أو فتوى وهابية ناجزة أباحت دمه، فتخلص محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب من ذلك الأثر المُزعج والتاريخ المُؤرق لهما.
وعن مشاعر الكره والحسد ونوازع الشك والريبة التي تنتاب هؤلاء القوم الذين يستحلون دماء المُسلمين الأبرياء بسبب تهيؤات مرضية مزمنة وشكوك قهرية ونوايا خبيثة، يُحلل لنا الرحالة الإنجليزي وليم بالجريف الذي زار منطقة العارض قبل ١٥٠ سنة، حيث وثق في كتابه الشهير "وسط الجزيرة العربية وشرقها" تلك النوازع العدوانية النفسية المرضية لدى أهل الرياض وما جاورها، حيث وصفهم بالجريف بأنهم أكثر الناس حقدًا وحسدًا وشكًا وريبة، وأنه لم يرَ قط قوم حاسدين في حياته مثل أهل العارض، ومع هذا يتظاهرون بأنهم يمقتون الحسد والحقد!
وقد ذكرتني مقولة بالجريف تلك بما يردده آل سعود حاليًا سواء كان سلطان بن عبد العزيز أو شقيقه سلمان أو حتى مشعل وعبد الرحمن، الذين ما فتئوا يرددون على مسامع الناس، تلك المقولة المستهلكة والدائمة (أنهم محسودون على هذه النعمة)! بينما في الحقيقة أنهم هُم من يُثير الضغائن ويحسد الناس، ويتمنى زوال نعمة الآخرين، لأن سمة وصفة الحسد والحقد وراثية في جينات آل سعود وآل الشيخ، ولهذا كثيرًا ما يرددون على مسامع القوم، كلمة الحسد والحقد، بينما هم نتاج وصناعة تلك البيئة الحاسدة الحاقدة الناقمة.

وأنا إن كنت أتفق مع وليام بالجريف في أن صفة الحسد والحقد والضغينة مُستشرية في أصقاع نجد بصورة عامة، وفي منطقة العارض تحديدًا، إلا أنني أختلف معه حينما يختزل عنصر العرب في وصفه لأهل العارض، ويضع مثالبهم وأمراضهم وهرطقاتهم على أكتاف العرب والمُسلمين، مع أن هؤلاء يعتبرون جزءًا بسيطًا وخليطًا من العرب والأعاجم نعتوا بالأعراب، الذي جاء ذكرهم في القرآن بأنهم الأشد كفرًا ونفاقا، لكن جهل وتحامل الرحالة الإنجليزي بالجريف في هذه المسألة جعله لا يميز بين غالبية العرب كأمة وبين ثلة بسيطة من الهجين وبعض الأعراب المُهرطقين تقطن في العارض، حيث يذكر وليام بالجريف عن تلك الحالة المرضية لدى أهل العارض، من خلال سرده حينما أراد فحص ذلك العبد المُدلل للقصر المدعو جوهر، حيث ذكر قائلاً: «إذ أسفرت ثقة مريضنا الأول بطبيبه، ومركزه الرفيع وأهميته، عن سمعة طيبة لنا في كل من القصر والمدينة، بل إن هذه المسألة كانت خبطة حظ لي، نظرًا لأن الزبون الأول كان من الزنوج، والعرق الأسود، باعتباره أقل من العرق العربي، من حيث القوة الفكرية وثبات العزيمة، لا يُعاني من الشك الشديد والحسد الدفين الذي يشيع بين المواطنين البيض. والحقد هو نقطة البلاء عند العرب، ومن يعيش بينهم فترة طويلة، يقف عن طريق التجربة والمعاشرة، على إدانتهم المتكررة لهذه الصفة الذميمة في أدبهم! ولكني لم أرَ قط في أي مكان زرته حسدًا دفينًا مثل الذي رأيته في العارض».۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

## ▪ سبب خروج محمد بن عبد الوهاب من العيينة :

بعد أن قام محمد بن عبد الوهاب بهدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب، وبدأ يُكفِّر ويبدع الناس واستمرت نشاطاته، وصل خبره إلى حاكم الأحساء آنذاك سليمان بن محمد بن غرير الحميدي، وقد اشتكى عنده بعض العربان من تصرفات محمد بن عبد الوهاب الذي كانوا يسمونه بالمطوع، أو مطوع العيينة، خصوصًا بعد أن أفتى برجم إحدى النساء في العيينة قيل إنها زانية، فأثاروا غضب حاكم الأحساء، وكون العيينة كانت تخضع ماليًا لنفوذ ابن غرير، لأنهُ كان يدعمها ماديًا ويمولها بالمؤونة والطعام، فقد أرسل ابن غرير كتابًا لأمير العيينة عثمان بن معمر يطالبه بقتل هذا الدعي المُفسد أو تسليمه له، وهدده بقطع خراجه، حيث ذكر عثمان بن بشر عن تلك الحادثة ما نصه:

« فبلغ خبره سليمان بن محمد بن غرير الحميدي قائد الأحساء والقطيف وما حوله من العربان، وقيل له: إن في بلد العيينة عالمًا فعل كذا وكذا وقال كذا وكذا، فأرسل سليمان إلى عثمان بن معمر كتابًا، وقال: إن هذا المطوع الذي عندك فعل وفعل، وتهدد عثمان وقال: أقتله، فإن لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء، وخراجه عندهم كثير، قيل لي أنه اثنا عشر مائة أحمر وما يتبعها من طعام وكسوة، فلما ورد كتابه ما وسعه مخالفته واستضم أمره في صدره، لأنهُ لم يعلم قدر التوحيد، ولا لمن نصره وقام به من العز والتمكين في الدنيا ودخول الجنة في الأخرة، فأرسل إلى الشيخ محمد وقال له: أنه أتانا خط من سليمان قائد الأحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا إغضابه». ۞

بينما حسين بن غنام يُذكر في كتابه تفصيلاً لحادثة رجم الزانية التي تسببت في خروج محمد بن عبد الوهاب من العيينة، فيقول: « وذكر السبب الذي حمل على ذلك فنقول:لم يزل الشيخ مُقيمًا في بلد العيينة على الحال الموصوفة

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

والطريقة المعروفة، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويُعلم الناس دينهم ويُميت ما قدر عليه من البدع، ويُقيم الحدود، ويأمر الوالي بإقامتها، وفي تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والردى الذين لم يستنشقوا من عرف الشريعة ريح الهدى وهي: أن امرأة من أهل العيينة زنت فأقرت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعًا، فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مرارًا، فسأل عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته فأمهلها أيامًا رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل مُستمرة على إقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات، فأمر الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع، فخرج الوالي عثمان وجماعة من المُسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان المذكور، فلما ماتت أمر أن يغسلوها وأن تُكفن ويُصلى عليها. فلما جرت هذه القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفًا وفزعًا، وانخلعت ألبابهم رهبًا وجزعًا، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية والخصلة المرضية السنية، والفعلة المحمودة السنية، ما لم يُعاينوا قبله مثله حزن، ولم يعرج على أسماعهم في سابق الزمن، وذلك لما ألفوه من الضلال والشرك، وما عاشوا فيه من الفواحش والإفك، كيف وقد أتاهم ما لم يحتسبوا ودهمهم ما لم يرتقبوا وطاف بهم ما لم يسعهم منه أن يهربوا، ومجت الأسماع ونفرت تلك الطباع ما ليس لهم به دفاع، مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع. ... الخ. ثم أن الشيخ لما أعياهم رد ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة، فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا، وكان قبحه الله مُغرمًا بالزنا مُجاهرًا به غير مختف بذلك، وحكاياته في ذلك مشهورة، وقصصه فيها غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا إن هذا يُريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور ويحسم مادة الأمكاس والعشور. فلما خوفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه، كتب إلى عثمان

المذكور يأمره بقتله أو إجلائه عن وطنه وألزم عليه في ذلك غاية الإلزام، وشدد عليه في حصول القصد والمرام، وصرح له في المكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فمالك عندي مُستباح، وليس علينا في ذلك من جناح، فآثر الدنيا على الدين وسلك منهج الباطلين، وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج». ۞

ويبدو أن حسين بن غنام قد موه في روايته وأدعى أن الزانية هي من اعترفت وجاءت برغبتها إلى محمد بن عبد الوهاب وأقرت أربع مرات بالزنى الصريح، بينما صاحب مخطوطة "كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب" وهو مؤلف مجهول نسخها في حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١هـ، قد تناقض روايته تمامًا، فهو يذكر أن ابن حاكم الأحساء كان متواجدًا ساعة وقوع الحادثة في العيينة وقد أجار تلك الزانية، وهذا يعني أن تلك المرأة المُتهمة بالزنى قد التجأت له واستجارت به ولم تقر بنفسها عدة مرات وتأتي طائعة كما زعم حسين بن غنام في روايته!

حيث يضيف صاحب تلك المخطوطة بعض الأمور الجديدة والمُتناقضة أيضًا حول ما زعم أنهُ اعتراف تلك الزانية بذنبها، خصوصًا أنهُ يعزو السبب الرئيسي وراء خروج محمد بن عبد الوهاب من العيينة هو كما تقدم بسبب إقامة حد الرجم على تلك المرأة المُتهمة بالزنا في العيينة، وقد تدخل ابن حاكم الأحساء وطلب منهم عدم تنفيذ القصاص لأن المرأة قد استنجدت بوالده الأمير سليمان بن محمد بن غرير الحميدي واستجارت به، وما ورد في النص يُفند قول المؤلف أن المرأة هي من أتت بنفسها لمحمد بن عبد الوهاب لكي يُقيم عليها الحد، فلو كانت كذلك لماذا يتدخل ابن حاكم الأحساء في قضية خاسرة ويتورط مع امرأة هي من جاءت بنفسها لتعترف وتقر بذنبها طائعة! وعن تلك الأحداث يقول صاحب المخطوطة:

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

« ورأينا أن الشيخ ابن عبد الوهاب لما قرأ العلم ورأى دين نبينا محمد ﷺ، أتى العراق ولا تحصل منهم تقويم دين نبيهم، لأنهم مفتونون في حب الدنيا. ومن بعد العراق خرج إلى ناحية مدينة نبينا ﷺ. فأراد أن يُظهر الدين فما باشره أحد، لأنهم مفتونون في عبادة الأوثان. وخرج ناحية حريملاء من قرى نجد. وهي ديرة أهله وأبيه. وأراد أن يُظهر الدين عندهم، ورآهم مُخالفين لأنهم ما هم بلد حكم. وهي بقدر ثلاثمائة رجل فقط. وكل رجل منهم يقول: الحق عندي، وأنا الشيخ. والثاني يعصيه. وذهب إلى ناحية العيينة لأنها بلد حكم وأن كبيرهم ابن معمر شيخ وادي حنيفة. وتزوج أخت حاكم البلد عثمان بن معمر (تزوج عمته وليست أخته). وقال: يا بُني تقوم الدين. وعاهد ابن معمر على ذلك. وأقام الجهاد مقدار مدة، وغنم. وقال له الشيخ: جاهد بنا ثرمداء، وأهلها أخوال ابن معمر. فما أراد جهادهم ولكن غزا عليهم ولا قتل منهم أحدًا. وثرمدا تبعد عن العيينة مقدار ثلاثة أيام لسير الجمال. ثم بعد ذلك أتت امرأة زانية وقالت: يا شيخ أقم الحّد عليّ! فأقام الحد عليها وقتلها. وكان محضرهم (حاضرًا) الدامي من أولاد حاكم الأحساء. وهو صاحب معاص. فذكر أن المرأة تستعين بسليمان حاكم الأحساء. وكتب (صاحب الأحساء) كتابًا إلى ابن معمر، أن الرجل الذي عندك تقتله وإلا تبعثه لي. فإن ما فعلت ذلك قطعت ما كان لك عندنا. وكان سليمان شيخًا قويًا، فجاء (ابن معمر) بالكتاب إلى محمد بن عبد الوهاب. وقال له: هذا كتاب حاكم الأحساء. وكان قد تابع الشيخ محمدًا من أهل العيينة أربعون رجلاً. فلما عرض الكتاب عليه، قال: ابعثني إلى ابن سعود محمد أبو عبد العزيز. وبعث معه أربع ركائب إلى محمد بن سعود. فلما جاء محمد بن سعود وقال له: يا شيخ ما يكون لك قعود عندنا ولا مسكن. فأنا رجل متعود على أكل الحرام، وأنت عالم زاهد. هل عندك أن تفتينا؟ قال له الشيخ محمد: نعم أنا أبقيك على ما أنت عليه من أكل الحرام، وأنت تتركني أسكن عندك أقوم الدين. فرضي ابن سعود بذلك». ۞

---

۞ كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

أما صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) فيذكر أن سبب مُغادرة محمد بن عبد الوهاب من العيينة هو بسبب شكاوى تقدم بها أكابر نجد إلى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي الذي كان حاكمًا على بني خالد والأحساء والقطيف وقطر، حذروه فيها من هرطقات محمد بن عبد الوهاب، ورواية حسن بن جمال الدين الريكي تتوافق مع رواية عثمان بن بشر، ويُعزي السبب لضغوط وكبيرة مارسها حاكم الأحساء سليمان بن حميد على الأمير عثمان بن معمر، لكنهُ أشار إلى عثمان بن معمر كان قد وعد محمد بن عبد الوهاب أنهُ سيعيده للعيينة حال هدأت الأمور، حيث يقول:

«وحدثنا رجل من أهل الدرعية يُوثق بقوله أن محمد بن عبد الوهاب أول أمره لما خرج عن قومه ومنزله بما أراده من الأمر جلا إلى العيينة قبل وصوله الدرعية واتفاقه مع محمد بن سعود، فالتجأ إلى عثمان بن معمر التميمي، حاكم العيينة، فاتفقا على إقامة هذا الأمر والدين، والعمل بالشرع الشريف، إذ لا ينفع علم بدون عمل قط، واجتمعا على أن يبطلا جميع ما سوى هذا المذهب من المذاهب الإسلامية وغيرها عمومًا، ووافقهم على ذلك كثير من أهل العيينة من وجوه البلد وأعيانها من خدم ابن معمر وحشمه، وبعض الناس الذين هناك لم يرضوا به، فاستمر محمد بن عبد الوهاب مدة بالعيينة، وربما بعض القوم من بلاد نجد لما سمع بصيته أتاه إلى العيينة وبايعه، وتاريخ وقوع هذا الأمر في سنة الخمسين بعد المائة والألف. وأما أكابر ومشايخ سائر نجد لم يرضوا بشيوع هذا الدين وإذاعته، لأنهُ يفسد عليهم قوانين كلية، وقواعد أصلية، وضعت عليها حكومتهم، اذ بلاد نجد وقبائلها إذا قلت لا ضابط لها محتوي على الكل، ولا هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم، بل كان كل من الحكام – حاكم بلدة مدينةً كانت أو قرية وفي البدو كذلك كل طائفة لها شيخ وكبير يرجع أمرهم إليه، والبداة إذًا قبائل شتى يرعون البراري والقفار ويشربون من المناهل والآبار، وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها فكل من تقدم كرمًا وشجاعة رضوا به كبيرًا لهم، وفيهم مشايخ صغار من

نفس القبيلة الواحدة يُخالفون رأي المشايخ الكبار، وكانوا البدو يتحاكمون في قصصهم وحوادثهم إلى العرف القبلي لا إلى الشرع، وقد يأخذ العرف منهم الرشوة وهي حقيقة ما يُعطى لإبطال الحق وأولئك الحكم طاغوت لكونهم يصدون الناس عن اتباع حكم الشريعة. وأما الحضر من أهل نجد فمرجعهم إلى الشرع في فصل الخصومات والدعاوى ما عدا وادي الدواسر وجبل شمر لأنهما إلى البدو أقرب منهما إلى الحضر، وكان الحضر أهل المدر من نجد دائمًا بعضهم يُحارب بعض على حسب مُقتضى الحال وصلاحه بنهج ما قررناه فيما مرَّ من أن كل حاكم له حوزبة خاصة فإذا أراد ملك غيره تسخيرًا حورب من جميع البلدان، وهكذا الشأن بينهم أبدًا، وقد يقع بينهم - كل أهل البلدان - صلح إذا قطع الطمع ظاهرًا. فلما حررناه غضبت حُكَّام نجد مُطلقًا إلا من عرفت منهم وهو عثمان بن معمر وصاحب الدرعية محمد بن سعود كما سنقف على حقيقة الأمر. وحين رأى أكابر نجد ما صدر من محمد بن عبد الوهاب وما يخشون من عاقبة صنعه شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها، فالتمسوا منه أن يمشي على والي العيينة ويُجليه من بلده. وإنما استمدوا من سليمان هذا لأن أهل نجد قاطبة لم يدركوا عثمان بن معمر ذلك الوقت إذ هو في غاية المنعة والنصرة وكثرة الجنود والمال الكثير، لأن بلاده أكبر مُدن نجد وأكثرها محصولاً وخراجًا، وأهلها أطوع لحاكمهم من غيرهم. فلما بلغ خبر محمد بن عبد الوهاب إلى سليمان آل حميد بما بلغه؟ كتب كتابًا إلى عثمان بن معمر: أن أخرج هذا الشيخ النجدي من بلدك إلى أخر جزيرة العرب أو أرسل به إليّ وأنا أبصر به، فإن لم تجبني إلى أحد هذين الأمرين أقطع وظائفك التي لك في الأحساء وأمنع جباتك عن تحصيل ما لك من النخيل فيها جزمًا، وكان لابن معمر عثمان في الأحساء مُلك نخيل وأرض رُز توارثها عن أكابره وأجداده يبلغ محصولها كل عامٍ ستين ألف ريال وذهب، وذكر له أيضًا: بأني أمنع تجار بلدك عن التردد إلى أطرافنا من الأحساء والقطيف وسواحل قطر

كالزبارة وغيرها. بل أمنعهم السفر عن كل بلدٍ أنالهم فيها. وكان إذًا سليمان آل محمد له يد طولى في أرض العرب سيما في نواحي العراق مما يلي نجد وفي نجد نفسها أيضًا، وكذلك أطراف الشام إذ معسكره كبير ودولته عظيمة وشجاعته معروفة وقومه الخوالد أهل بأس شديد وخلق عديدة وكان يغزو نجدًا إن لم يرضيه كل واحد من حكامها بشيء. فلما وصل كتاب سليمان بن محمد إلى عثمان ابن معمر التميمي صاحب العيينة، اهتم وكره عداوة سليمان آل محمد وغضب أيضًا لخروج محمد بن عبد الوهاب خفيةً، فقال له: إن مُحاربة هذا الرجل، يعني سليمان آل محمد، تصعب علينا أول الأمر وقد أكد القول بكيت وكيت، فالرأي بعد هذا أن تسير من العيينة على بركات الله إلى أي بلد شئت من أرض الله وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا فقال محمد بن عبد الوهاب: لا تخش من هذا الكلام، فإن الله ناصرك، وأنا أعوضك جميع المحاصيل التي انحبست عنك، أنا أسلمها لك كل عام ودع أن يجري هذا الأمر رغمًا عن أنف المُكره له. ولكن بعد ما بذل محمد بن عبد الوهاب النصائح لعثمان بن معمر بأن يواظب على هذا الدين وترويجه، عرف أن عثمان لا يمكنه الآن الاستقامة عليه ظاهرًا. فأنتقل محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلى بلد الدرعية». ۞ -انتهى الاقتباس-

وفي الحقيقة فإن عثمان بن معمر حاول أكثر من مرة أن يُلمِّح لمحمد بن عبد الوهاب بأن يُغادر من تلقاء نفسه دون أن يجرحه أو يحرجه، حيث شرح له الأمر وأطلعه على رسالة حاكم الأحساء، وتعامل معه بكل شفافية وأريحية ظنًا منه أنهُ سيفهم مغزى الرسالة من تلقاء نفسه ويُغادر العيينة.

لكن محمد بن عبد الوهاب أصرَّ على البقاء وحاول أن يُثني عثمان بن معمر، وأن يؤثر عليه بدعوى نصرة التوحيد والإسلام، إلا أن عثمان بن معمر كان يُدرك المخاطر التي ستحدق به ، ولم يرغب في تعريض بلدته للتدمير من أجل

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تأليف \ حسن جمال بن أحمد الريكي.

شخص واحد، أثار على نفسه المشاكل، وبدأ بتكفير الناس، فاستدعاه مرة أخرى وكان في هذه المرة صريحًا معه، مُعتذرًا منه وطلب منه بلطف أن يُغادر إلى الجهة التي يختارها.
قال عثمان بن معمر في المرة الثانية لمحمد بن عبد الوهاب حسب رواية عثمان بن بشر:
«إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره، لأنهُ لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا، فشأنك ونفسك وخل بلادنا، فأمر فارسًا عنده يُقال له الفريد مع خيالة منهم طوالة الحمراني. وقال: اركب جوادك وسر بهذا إلى ما يريد، فقال محمد بن عبد الوهاب: أريد الدرعية فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه».[۞] -انتهى الاقتباس-

## ▪ اغتيال الأمير عثمان بن معمر وهو يُصلي صلاة الجمعة في محراب مسجد العيينة!

كما ذكرت سابقًا، وكما تُشير كل المصادر التاريخية النجدية الرسمية منها وغير الرسمية، فقد كان أمير العيينة عثمان بن معمر من أوائل من صدَّقوا محمد بن عبد الوهاب، وهو أول من ناصره ودعمه بالقول والسيف، ومن خلال نفوذ ابن معمر وسلطته استطاع محمد بن عبد الوهاب الخائف المُرتعب أن يهدم قبر الصحابي زيد بن الخطاب، ومن خلال اتكاء محمد بن عبد الوهاب على ابن معمر كثر أتباعه وانتشرت دعوته، إلا أن أمير العيينة عثمان بن معمر كان رجلاً حُرًا مُستقلاً في رأيه ولا يقبل أن يتحول لتابع ذليل أو إمعة يسير خلف أي أحدٍ كان، ولهذا دفع حياته ثمنًا لكرامته واستقلاله وحياديته. فبعد أن غادر محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية كما مرَّ بنا سابقًا وتبناه محمد بن سعود، بقي ابن معمر حليفًا وصديقًا لمحمد بن سعود، ولم يحمل أي ضغينة أو عداء ضد محمد بن عبد الوهاب ، لأنهُ سبق وأن أطلعه بالحيثيات

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد – للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

والدوافع التي أرغمته للطلب منه مُغادرة العيينة، بل إن عثمان بن معمر كان قد قصد محمد بن عبد الوهاب بنفسه وهو مقيم في الدرعية بعد أن هدأت الأمور، وحاول استرضاءه للعودة من جديد للعيينة إلا أنهُ رفض الرجوع مُتحججًا بضيافة معزبه الجديد محمد بن سعود، وأن أمر عودته ليس بيده بل بيد شريكه الجديد الذي رفض بشدة مُغادرته، وذلك بعد أن عقدا حلفًا مُشتركًا يمنع التحالف مع أي طرف آخر، ويلزم الطرفين بعدم الإخلال بهذا العقد.

ويبدو أن محمد بن عبد الوهاب لم ينسَ ذلك الموقف العصيب والذي اعتبره موقفًا مهينًا له من قبل الأمير عثمان بن معمر وبقي راسخًا في ذاكرته، بل أنهُ استدعى الكثير من أتباعه ومُريديه في العيينة للقدوم إلى الدرعية، كان من ضمنهم بعض رؤساء "المعامرة" أي أسرة آل معمر، من المناوئين للأمير عثمان بن معمر، ليوغر صدورهم ويحرضهم عليه. وبقي يحمل الحقد على ابن معمر إلى أن تخلص منه لاحقًا وذلك عندما أفتى بإهدار دمه وتم قتله وهو يُصلي، وتلك هي سياسة محمد بن عبد الوهاب الدموية، حيث كان يُفتي بإهدار دم الشخص المُزعج أو غير المرغوب فيه، ثم يقوم الأتباع بتنفيذ تلك المهمة القذرة ويكون هو بعيدًا عن الحدث، وهذا ما جرى بالضبط مع عثمان بن معمر، وكذلك مع سليمان بن خويطر.

وربما كان الخطأ التاريخي الذي وقع فيه الأمير عثمان بن معمر والذي كاد أن يُغيِّر مجرى الأحداث بالكامل، أنهُ لم يستمع لتوجيهات أمير الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الحميدي، والذي أمره بأن يقتل هذا الدعي الأفاق ويتخلص من شره، أو يقوم بتسليمه إلى حاكم الأحساء مخفورًا ليقتص منه، لكن أخلاق وسجايا عثمان بن معمر وتربيته العربية ومروءته المضرية أبت عليه أن يغدر بضيفه، أو أن يسفك دم من التجأ إليه مُستجيرًا يطلب الحماية والأمان.

إلا أن الجاحد محمد بن عبد الوهاب كان ناكرًا للمعروف ولم يلتفت لتلك المواقف المُشرفة لعثمان بن معمر، والتي كان يعتبرها محمد بن عبد الوهاب

محطات عابرة في سبيل تنفيذ مشروعه الجهنمي، ولم يأبه لحرمة سفك الدم البريء أو يحسب حساب العيش والملح والعِشرة (بكسر العين) أو يهتم لعلاقة المُصاهرة والنسب، بل كان حاقدًا ناقمًا يتصيد على الأمير عثمان بن معمر الأخطاء والزلات، لكنه لم يستطع أن ينتقم منه ويُصفيه بدون سبب مقنع لأتباعه وأيضًا لحليفه محمد بن سعود صاحب السلطة والنفوذ في تلك المسألة، خصوصًا وأنهم كانوا في بداية الأمر بحاجة ماسة لدعم ومساندة عثمان بن معمر وقواته، وربما هو ما دفع محمد بن سعود لأن يسعى لعقد مُصاهرة سياسية مصلحية مع أمير العيينة، وأن يُزوج ابنه عبد العزيز من ابنة عثمان بن معمر الذي كان يشاركهم الغزوات ويمدهم بالمال والرجال. (هذا طبعًا إذا صحت رواية ابن بشر: من أن عبد العزيز بن محمد كان قد تزوج من ابنة عثمان بن معمر).

وحينما قويت شوكة محمد بن سعود وشريكه محمد بن عبد الوهاب، أخذ محمد بن عبد الوهاب يُثير الضغائن ويُحرض محمد بن سعود ضد عثمان بن معمر، وقد وجد ابن عبد الوهاب ضالته في نرجسية وتسرع ونزغ عبد العزيز بن محمد بن سعود الابن البكر لمحمد بن سعود، الذي كان كثيرًا ما يتملقه ويُشيد به ويمنحه الألقاب الفضفاضة والكُنى الطنانة، لغرض كسبه وتسييره حسب هواه ورغبته، حيث يذكر صاحب كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" بعض من تلك الحقائق فيقول:

« وكان إذًا في تلك الغزوات لم يظفر محمد بن سعود نفسه بل الرئيس وأمير الجيوش هو ابنه عبد العزيز، وذلك ليس لضعف من القوة لمحمد بن سعود، بل كان غير مُدبر للحروب. وابنه عبد العزيز ذو هيبة ووقار وتدبير، وكان قريبًا طبعه من طبع محمد بن عبد الوهاب، لذلك كان محمد بن عبد الوهاب يُحبه محبة مُفرطة، ويقول: هذا الإمام، هذا ناصر الدين، ويُثني عليه. فأول غزوة ركب فيها عبد العزيز بن محمد بن سعود على أهل الوشم اتفق معهم في البرية، فحاربوه وقتلوا منه خلقًا كثيرًا، وانكسر فرجع إلى الدرعية، ثم

ازداد قومًا، فغزاهم بغتة وهجم على بعض الحصون فدخلها قهرًا وجعل كل من فيها علقًا للسيف حتى الأطفال والشيوخ. فقيل له: هذا فعل لا يرضي الله به. أتقتل من لا يُقاتل؟ فسكت ولم يُجب حينئذ، لأنهُ خاف الانتقام ذلك الوقت يؤدي إلى الفتن. فلما فتح بلاد الوشم كلها ورتب فيها من رتب، وبايعه أهلها، وجعل فيها أميرًا على الكل من قِبله، كتب لمحمد بن عبد الوهاب يُخبره بجميع التدابير، ويُعلمه أن بعض عسكره أنكر عليه في قتل بعض الناس، فكتب له محمد بن عبد الوهاب كتابين أحدهما سرًا يُنبههُ فيه أنك لا تعجل على من خالفك، وأنك خذ معك من أهل الوشم فلانًا وفلانًا مع بيوتهم، وائتِ بهم إلى الدرعية لزمًا. وكتب كتابًا ظاهرًا أمره أن: اقرأه على جميع عسكرك، وقد ذكر فيه ترغيبًا لهم في رواج هذا الدين ومدحهم مدحًا، وأوعدهم النصر وجزيل الثواب». ۞ - انتهى الاقتباس -

لاحظ كيف كان يُعالج محمد بن عبد الوهاب الأمور، وكيف تصرف عندما جاءه كتاب عبد العزيز بن محمد ليبلغه أنهُ قام بقتل الأطفال والشيوخ العُزل في الوشم، وأن هنالك من أعترض عليه بشده من جنده من الذين نقموا عليه واعترضوا بشدة على قتل الأطفال والشيوخ العُزل، قائلين له: إن هذا الأمر لا يُرضي الله؟

ومع هذا عندما علم محمد بن عبد الوهاب بالأمر، فلم يُعاقبه أو يُعنفه أو يتبرأ مما فعله، بل طلب منه فقط بعدم التعجل، ولكنه سُرعان ما عاد ليؤكد عليه من جديد بأن يجلب معه بعض الأسماء المُعينة من وجوه أهالي الوشم إلى الدرعية، ليحتجزهم كرهائن وأسرى كي يلوي بهم ذراع أهل الوشم!!

وفي المُقابل وبعيدًا عن التشبيه أو المُقاربة بين الرسول العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبين هذا الدعي النجدي الدموي الغدار، فسترى الفرق كبير والبون شاسع بين الحادثتين ، فكلنا قد قرأ أو سمع حكاية أسامة

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تأليف \ حسن جمال بن أحمد الريكي.

بن زيد مع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، حينما أنَّبه كثيرًا وعنَّفه عندما قام بقتل رجل واحد فقط من بني مرة، كان قد نطق الشهادة حفاظًا على دمه وحلاله، فظل أسامة بن زيد نادمًا طوال حياته حتى تمنى لو أنهُ قد دخل الإسلام للتو حتى يجُب ما قبله.

حيث جاء في الحديث النبوي أن المُصطفي ﷺ قد أرسل سرية لتأديب أهل فدك، على رأسها غالب بن فضالة الليثي وفيها أسامة بن زيد. وعندما سمعوا بقدوم السرية هربوا إلا رجلاً واحدًا اسمه مرداس بن نهيك من بني مرة ساق غنمه في كهف بجبل مُجاور وصعد هو الجبل عندما رأي الخيل عن بعد فلما تلاحقت الخيل واقتربت سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب الرسول ﷺ فكبر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.. السلام عليكم.. فقابله أسامة بن زيد بسيفه وقتله وأخذ غنمه ثم رجعوا إلى الرسول ﷺ فوجدوه قد علم بما حدث وحزن حزنًا شديدًا، وقال لهم مستنكرًا أقتلتموه لتستولوا على ما معه؟ وقرأ على أسامة رد الله علي فعلتهم في قوله تعالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ صدق الله العظيم

قال أسامة استغفر لي يا رسول الله فرد عليه النبي حزينًا قتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله، كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بـ لا إله إلا الله؟! فقال أسامة: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل! فقال له الرسول: هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفًا أم لا؟ وظل النبي يردد أمامه وهو حزين أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله!! حتى قال أسامة : وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ ثم استغفر له المصطفى».

هكذا كان الإسلام، وهكذا هي صفات وأخلاق المُسلمين، على عكس ما أتى به محمد بن عبد الوهاب وأتباعه، حيث استباحوا قتل الأنفس البريئة، وأهدروا الدماء في سبيل السيطرة والنفوذ والغلبة.

ومن خلال رسائل محمد بن عبد الوهاب إلى عبد العزيز بن محمد يتضح لنا أنهُ كان مُسيطرًا عليه بالكامل، وهو من يُمليه الأوامر وهو من يُبرر له جرائمه ويُحلل له ويُحرم، حتى لو قام بقتل الأطفال والشيوخ العزل، وهذا يُبين لنا أن محمد بن عبد الوهاب قد أصبح صاحب القول الفصل في تصفية وقتل أي شخص لا يرغب فيه أو يشعر أنهُ ربما يُشكل خطرًا على دعوته.

ويبدو لي أن محمد بن عبد الوهاب كان يكره ويُبغض آل معمر كأسرة حاكمة في قرارة نفسه، وربما كان البعض منهم يتعالى عليه أو يُعيره بماضيه الوضيع، مما دفعه لأن يهدم قصرهم العامر ويسويه بالأرض لاحقًا.

فقد كان الأمير عثمان بن معمر حينما يُقاتل مع أهل الدرعية بجيشه كحليف ويهاجم أهل الرياض يطرح نفسه في تلك المعارك العبثية كندٍّ موازٍ لأمير الدرعية محمد بن سعود وليس كتابع أو أجير لديهم، بل عندما كان ابن معمر يخرج للغزو معهم، يكون هو على رأس جماعة محمد بن سعود وولده عبد العزيز ويكون هو قائد الجيش، خصوصًا وأن محمد بن سعود قد كبر في السن، فيكون عثمان بن معمر هو القائد العام وليس عبد العزيز الابن بحكم إمارته ومكانته وخبرته، وهذا الأمر كان يغضب ويثير حنق الولد الطامح النزغ عبد العزيز، لذلك كان كثير التذمر من تصرفات الأمير عثمان بن معمر، فكان والده محمد بن سعود يهوِّن عليه الأمر ويطالبه بضبط النفس لغرض تحقيق الأهداف والمآرب المرسومة، حتى أتت وقعة البطين !!

حيث رفض عثمان بن معمر أوامر عبد العزيز بن محمد الذي كان صهره حسب زعم ابن بشر، في أن يهجم على بلدة أهل ثرمداء ويحرق بساتينها، بعد أن خرج عنها الرجال وتحصنوا في قصر يدعى ـ قصر الحريص ـ ولم يبقَ

في البلدة سوى النساء والأطفال والدواب فقط! فأنف الأمير عثمان بن معمر باعتباره رجل مسلم وعربي أن يُهاجم أهل البلدة العُزل ويحرق مزروعاتها، بينما رجالها كانوا خارجين عنها، والبعض الآخر عزى السبب في رفض عثمان بن معمر للهجوم على ثرمدا في غياب رجالها، هو بسبب العلاقة الخاصة والوطيدة بينه وبين أميرها إبراهيم بن سليمان، حيث أن كلاهما كان من فخذ العناقر من بني تميم، ومهما كانت الأسباب فإن الأمير عثمان بن معمر رفض الإغارة على بلدة ثرمداء في غياب رجالها، وذلك موقف نبيل يُحسب له.

حينها أراد عبد العزيز أن يُرغم عثمان بن معمر كي يهاجم بلدة ثرمدا تحديدًا ويدمرها بنفسه ما دام رجالها مُحاصرين في قصر الحريص خارج البلدة، فأبى عثمان بن معمر ورفض ذلك الأمر مشحة بأهلها ومضنة بهم، كما يذكر المؤرخ الوهابي ابن بشر، وهو ما أدى إلى إيغار الصدور وإثارة محمد بن سعود عليه، وذلك عندما أبلغه ولده عبد العزيز بتلك الحادثة، ووجدها محمد بن عبد الوهاب فرصة سانحة لتشويه سمعته والتخلص منه لاحقًا. حيث يذكر عثمان بن بشر في كتابه ما نصه:

« وفيها وقعة البطين: وهو موضع قريب من ثرمدا من بلدان الوشم: وذلك أن عبد العزيز سار بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرمى وكبيرهم هبدان، ومعهم أهل منفوحة، وعثمان بن معمر بأهل العيينة وحريملا: وأمير الجميع عثمان. فنزلوا ناحية ثرمداء (•) ليلاً ورتبوا لهم كمينًا فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد بعدما أغاروا عليهم، فناشبوهم القتال، فلما التحم القتال خرج عليهم الكمين فانهزم أهل ثرمدا إلى قصر حولهم خارج البلد يُسمى قصر الحريص، فقتل من أهل ثرمدا نحو سبعين رجلاً، وكانت البلد خالية فأراد عبد العزيز من عثمان أن يقصدوا البلد ليأخذوها عنوةً،فأبى ذلك عثمان مشحةً بأهلها ومضنة

---

(•) ثرمدا: يكتبها المؤلف عثمان بن بشر في كتابه: ثرمدا ومرةً يكتبها ثرمداء، وأيضًا حدث نفس الشيء مع حريملاء، فآثرت أن أنقل النص كما هو دون تغيير.

بهم، فأخبر عبد العزيز بذلك أباه محمدًا والشيخ محمدًا بن عبد الوهاب، فمن ذلك وقع في نفوسهم على عثمان ».[۞]

أما حسين بن غنام فيقول عن وقعة البطين تلك في كتابه:

« ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف ١١٦١هـ: وفي السنة المسطورة أيضًا جرت وقعة عظيمة تسمى البطين لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين، وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملا وعبد العزيز حرسه الله تعالى بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما، والأمير على الجميع عثمان، فساروا إلى ثرمدا فنزلوا بها ليلاً حتى انفلق الصباح وبدا وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كمينًا يكون لهم إذا نشب القتال معينًا، فلما أصبح الصباح واتضح النور ولاح خرج أهل البلد إليهم وأقبلوا للقتال عليهم وتناشبت الرجال وضاق مجال القتال، خرج إذ ذاك عليهم الكمين فولى الكفار مُدبرين ومنح الله تعالى أكتافهم وقتل أشرافهم وكانت القتلى نحو السبعين على سبيل التحقيق لا التخمين، ثم بعد ذلك التجئوا إلى قصر يُسمى قصر الحريّص، فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة، فأشار عبد العزيز وجماعة معه على عثمان بدخول البلد والمعاجلة، فأبى عثمان عن ذلك وكانت منه مكيدة ومُخاتلة، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام ووبخه ولامه غاية الملام، ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى نهض مريدًا دخول البلاد من غير توقف ولا استرداد وأمر بذلك جميع أتباعه فبادروا لامتثال أمره واتباعه، ولكن كان الذي معه ذلك اليوم نزر يسير ومع عثمان الجم الغفير، ثم أن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة وصدور تلك المنازعة ارتحل راجعًا إلى بلاده وبقي عبد العزيز متحيرًا بين الدخول فيفوز بمراده أو اللحوق بعثمان فيوافقه في ارتياده، حتى اختار الله تعالى له ما اختار فجد في لحوقه، فلم يأتيه إلا أخر النهار، وأعظم ما صرف رأي عبد العزيز عن دخول البلاد قلة من

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

بقي معه من الأجناد فأشار عليه وجوه من بقي معه أن يلحق بعثمان، فلحق به وتبعه، إلا أن الأحوال متغايرة والقلوب بينهما متنافرة».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو واضحًا من خلال النص الأصلي التملق الواضح ومداهنة المؤرخ حسين بن غنام لسيده النزغ عبد العزيز بن محمد بن سعود، وذلك من خلال تحميل المسؤولية ووضع اللوم على الأمير عثمان بن معمر، وهذا هو ديدن الأتباع والأزلام، إذ لا تتوقع منهم كلمة حق أو انصاف كي لا يغضبوا أسيادهم، ومعلوم أن حسين بن غنام قد عاصر تلك الأحداث، وقد دون ما دونه بأمر من قبل سيده محمد بن عبد الوهاب كما جاء في مقدمة كتابه.

أما صاحب مخطوطة "كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب" فيذكر عن تحريض محمد بن عبد الوهاب للأمير عثمان بن معمر لكي يغزو ثرمداء، فيزعم أن سبب تخاذل ابن معمر وعدم قتله لأهل ثرمداء لأنهم كانوا أخوالاً له وربما أنف ابن معمر أن يساعد في قتل أخواله، حيث يقول: « وعاهد ابن معمر على ذلك. وأقام الجهاد مقدار مدة، وغنم. وقال له الشيخ: جاهد بنا ثرمداء، وأهلها أخوال ابن معمر. فما أراد جهادهم ولكن غزا عليهم ولا قتل منهم أحدًا. وثرمداء تبعد عن العيينة مقدار ثلاثة أيام لسير الجمال».[۞۞]

وأثناء عودتهم اشتكى عبد العزيز لوالده ولمحمد بن عبد الوهاب وأبلغهم ما جرى من ابن معمر، وكيف أنهُ رفض أن يهجم على البلدة ويُخرب زروع أهل ثرمداء، فحصل بينهم أخذ ورد، أبدوا فيه تشككهم من نوايا ابن معمر، الذي اضطر أن يذهب معهم مرة أخرى لثرمداء لكي يخربوا الزروع ويعودوا، كي لا يظنوا به الظنون. حيث يقول ابن بشر بعد أن ذكر أن عبد العزيز قد أخبر أباه محمدًا والشيخ محمد بن عبد الوهاب عن تصرف ابن معمر وقد وقع في أنفسهم على عثمان، ثم ذكر في نفس السنة وبعد الخبر الأول مُباشرة قائلاً:

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[۞۞] كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

« وفيها أيضًا سار الجميع إلى بلد ثرمدا والأمير عثمان بن معمر معهم، ولم يقع قتال فخربوا الزروع وانقلبوا راجفين (•)، وفيها ساروا إلى بلدة ثادق فأخذوا أغنامهم وقتلوا منهم سنة رجال، منهم محمد بن سلامة». ۞

ولاحظ هنا أن ابن بشر ذكر في أول الأمر أن ابن معمر رفض الإغارة على بلدة ثرمداء وتخريب مزروعاتها، بينما كان رجالها غائبون ومتحصنون في قصر الحريّص، ولكن بعد عودة عثمان بن معمر وعبد العزيز بن محمد للدرعية، وأبلغ عبد العزيز والده محمد وأيضًا محمد بن عبد الوهاب بالنزاع الذي دار بينهما وأعلمهما بما قام به ابن معمر، يقول ابن بشر أنهم وقع في أنفسهم منه؟!

أي أوغرت صدورهم منه، ويبدو أن نقاشًا حادًا دار بينهم وبين ابن معمر، فدفعهم للعودة من جديد فذهبوا لثرمداء وخربوا الزروع، ويذكر المؤرخ النجدي ابن بشر، أنهُ لم يقع قتال، وهذا يعني أن رجال ثرمداء ربما مازالوا متحصنين في قصر الحريص المذكور سلفًا، أو أن قوات محمد بن سعود وابن معمر، خربوا الزروع التي تقع خارج أسوار ثرمداء، وفي كلا الحالتين فهذا يدل على أنهم عادوا في وقت قريب جدًا بعد وقعة البطين لتخريب مزروعات أهالي ثرمداء، بعد أن حصل خلاف شديد بين المُحمدين مع ابن معمر ودار نقاش حاد بينهم، وربما شككوا في ولائه لهم، مما دفعه للذهاب معهم مُكرهًا والمُشاركة بتخريب المزروعات ربما دون قناعة منه، علمًا أن الرسول الكريمﷺ وصحبه الكرام قد نهوا بشدة عن قطع الأشجار وردم الآبار حتى مع ألد الأعداء من الكفار والمُشركين!

بينما حسين ابن غنام يذكر في كتابه أنهم عادوا لغزو بلدة ثرمدا في نفس السنة، لكنهم فشلوا في غزوتهم حيث لم يقع قتال بين الطرفين، فدمروا مزارع

---

(•) جاء في سرد عثمان بن بشر لتلك الواقعة في كتابه عنوان المجد ( وانقلبوا راجفين ) ويبدو أن المقصود وانقلبوا راجعين وليس راجفين، ولكن وقع خطأ مطبعي من الناشر.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

مزارع أهل ثرمداء وانقلبوا راجعين. وتخيل فإن المؤرخ ابن بشر يذكر أيضًا في نفس سياق الخبر، أنهم بعد أن خربوا مزروعات أهل ثرمداء، ساروا بطريقهم لبلدة ثادق فأخذوا أغنامهم وقتلوا منهم ستة أنفس، أي قتلوا ستة أنفس من المُسلمين بدون جريرة أو ذنب، ذكر منهم شخص يُدعى محمد بن سلامة، ولا أظن أن القارئ الكريم سيعتقد أن القتيل محمد بن سلامة هذا كان بوذيًا أو سيخيًا وهو يحمل اسم محمد!

وإذ يستغرب المرء من تلك الأفعال الوحشية الشنيعة لهؤلاء القتلة السفاحين، إذ كيف يحلون لأنفسهم سفك الدماء وحرق وتدمير الزرع والضرع تحت زعم تجديد الإسلام البريء منهم ومن أفعالهم، وبحجة رفع راية التوحيد المزعومة فأين مذابحهم الدموية وهمجيتهم تلك من وصايا الرسول ﷺ ، وأين هم من وصايا الخلفاء الراشدين من بعده لقادة جيوشهم أثناء الفتوحات الإسلامية حينما أوصوا جيوشهم الذين ذهبوا لقتال المُشركين وأصحاب الديانات الأخرى حينما أوصوهم: «أن لا تقتلوا شيخًا ولا امرأة ولا صبيًا ولا عابدًا في محرابه ولا راهبًا في صومعته ولا شابًا ما دام لا يحمل السلاح، ولا تقطعوا شجرة ولا تعفروا -تردموا- بئرًا، ولا تجهزوا على جريح ولا تمثلوا بقتيل».

ويبدو أن شخصية الأمير عثمان بن معمر كانت شخصية قوية جدًا ومُستقلة أيضًا فلا يُماري في قول الحق بالرغم من أن عبد العزيز حينها كان قد تزوج من ابنته حسبما يذكر ابن بشر، لكنه كان صارمًا معتدًا برأيه ولا يُمالي في مواقفه، وهذا الأمر قطعًا لم يُعجب "المُحمدين" ولا عبد العزيز أيضًا، لأنهم كانوا يبحثون عن أتباع مأمورين ومُريدين مُطيعين طاعة عمياء، وحتى الحلفاء الأقوياء كان يُفترض بهم أن يتصرفوا وفق رغبات المُحمدين وكان يشترط فيهم أن يُنفذوا الأوامر فقط ولا يُناقشوا أو يعترضوا، وتلك المواصفات طبعًا لم تكن تنطبق أو متوفرة في شخصية عثمان بن معمر الفذة.

ولهذا فإن محمد بن عبد الوهاب كان يعرف التركيبة الشخصية لـ عثمان بن معمر جيدًا بحكم لجوئه السابق في إمارة العيينة ومن خلال معاشرته له، وكونه أصبح صهرًا لآل معمر بعد زواجه من عمة الأمير الجوهرة بنت معمر، ويُدرك أيضًا أن الأمير عثمان بن معمر ليس من تلك النوعيات اللينة الطيعة التي يمكن أن تطوى بسهولة تحت عباءة أي أحد، فما بالك عندما يكون ذلك الأحد هو في الأصل كان لاجئًا ذليلاً كسيرًا في حمى ابن معمر، وهو محمد بن عبد الوهاب؟

لذلك فقد هيأ محمد بن عبد الوهاب منذ البداية خطة مُحكمة للتخلص من الأمير عثمان بن معمر، ومن ثم وضع البديل المُناسب مكانه، فمنذ وصوله إلى الدرعية كان قد استقطب بعض رؤوس آل معمر من المتذمرين والمُناوئين لعثمان، وهذا ما شعر به عثمان منذ البداية فكان حذرًا متوجسًا منه، لكنه لم يتوقع أن يُسفك دمه في محراب المسجد وهو يُصلي صلاة الجمعة، ويبدو أن الحذر هنا لم يغلب الغدر ولا حتى القدر.

ويذكر المؤرخ مقبل بن عبد العزيز الذكير في كتابه (مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود) عن بداية التخطيط المُبكر لمحمد بن عبد الوهاب في محاولته للتخلص من عثمان بن معمر حيث يقول:

«فلما بلغ أتباعه في حريملا وفي العيينة قبول محمد بن سعود بأمره، وهاجروا إلى الدرعية وهو نحو سبعين رجلاً فيهم بعض الرؤساء من المعامرة [•] أبناء عم عثمان المناوئين له، فأدرك عثمان خطأه في أخراج الشيخ، وعلم أنهُ فتح على نفسه بابًا من الشر، فأراد أن يستدرك ذلك فركب وقدم على الشيخ في عدة من رجاله، وحاول أن يسترضي الشيخ ليرجع معه ويقوم بنصرته ، فأحاله على محمد بن سعود فرفض ذلك ، فأخذ يدير الداء في

---

[•] المعامرة: يقصد بهم الكاتب هم حمولة آل معمر الموجودين بالعيينة وهم أبناء عمومة الأمير عثمان بن معمر.

الوسيلة التي يتلافى بها هذا الأمر، فلم يرى أسلم من المُتابعة، فيبايع الشيخ وتابعه، إما عن عقيدة وإما عن مكيدة ليدفع بها عن نفسه». [۞] -انتهى-

إذن فإن أمير العيينة عثمان بن معمر كان يدرك جيدًا أن محمد بن عبد الوهاب قد استقطب أعداءه والناقمين عليه في العيينة وأسكنهم عنده في الدرعية وعلى رأسهم أبناء عمومة ابن معمر لكي يلوي ذراعه ويبتزه، هكذا ظن عثمان بن معمر في بداية الأمر ولم يدرك أن محمد بن عبد الوهاب سوف يستخدمهم في اغتياله حتى وهو يصلي في المسجد!

ومما تقدم نجد أن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وولده عبد العزيز، قد وجدوا في الأمير عثمان بن معمر حليفًا مزعجًا وندًا قويًا لهم إضافة إلى التراكمات السابقة ومُخالفته لهم في بعض المواقف والغزوات، ولا ننسى موقف محمد بن عبد الوهاب المُتربص به والناقم عليه، والذي كان يرى في وجود عثمان بن معمر ذكريات ماضيه التعيس والقريب عندما كان لاجئًا دخيلاً عنده، وحينما كان عاجزًا ضعيفًا لا يملك من أمره شيئًا وأضطر أن يخرج من العيينة حسيرًا بأمر من ابن معمر، وهاهو الآن يأمر وينهي ويحل ويعقد، وتلك الحالة لا تستوي مع وجود الأمير عثمان بن معمر الذي واكب مرحلة الضعف والهوان التي عايشها محمد بن عبد الوهاب.

كل تلك الأسباب مُجتمعة جعلت محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود يكيدان للأمير عثمان بن معمر ويؤلفان ضده الأكاذيب والمؤامرات ومنها فرية الخيانة العظمى، أو هكذا زعموا عندما اتهموا ابن معمر بأنهُ قد تلقى رسالة سرية من محمد بن عفالق يُحرضه فيها على مُعاداة (المُسلمين) ونقض بيعتهم، أي اتهموه بالخيانة والتحضير لقتالهم والتآمر عليهم، دون أي بينة أو حتى دليلاً ماديًا ثابتًا وملموسًا ، لأنهم أصلاً كانوا يتربصون به منذ

---

[۞] كتاب : مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود\تأليف: مقبل بن عبد العزيز بن مقبل الذكير.

فترة، ولهذا أهدروا دمه وهو يُصلي، وقد أحل محمد بن عبد الوهاب سفك دمه، بحجة مُعاداة "المُسلمين" ونقض بيعتهم!!

حيث يُقّر المؤرخ الوهابي حسين بن غنام في كتابه، عن بداية محمد بن عبد الوهاب في التخطيط للإطاحة بالأمير عثمان بن معمر، وكيف جلب وفدًا من أهل العيينة وجعلهم يُبايعونه على أن يُعادوا من يُعادي دين الله ورسوله، ثم زجَّ فجأة باسم عدوه اللدود عثمان بن معمر في ضمن لائحة من يُعادون دين الله ورسوله، حيث قال لهم حتى وإن كان أميركم عثمان! أي أن عثمان بن معمر هو المُستهدف الرئيس بالتصفية والقتل من وراء تلك البيعة الوهابية الطارئة، فيذكر ابن غنام عن تلك الحادثة قائلاً:

« ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف ١١٦٣هـ: وفيها مقتل عثمان بن معمر جزاء لما أبطنه، وأضمر، وذلك أنه لما تزايد شره على أهل التوحيد وأخذ يعمل في إذلالهم بلا ترديد، وظهر للمُسلمين بغضه وبدا لهم منه هجرانه ورفضه وتبين لهم موالاته لأهل الباطل وما ربك عما أراده بغافل، وتحقيق تقريبه للمنافقين واستئلافه واشتهر شقاقه للمُسلمين واختلافه، وكانت حاله بذلك شهيرًا (ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا) فلما تحقق الشيخ عنه ما ذكر وتيقن ما سطر وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا إليه خشية الغدر والمخافة وتثبيت في تسطير هذه الأنقال وتحرير ما يرمى به من سيء الأفعال وتحقق ما له أنمى، وخشي على المُسلمين وقوع ما به رمي، قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العيينة أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاة من والاه ومُعاداة من حاربه أو ناوأه ولو أنهُ أميركم عثمان؟ فأعطوه على ذلك صفقة الإيمان فتتابعوا على البيعة أفواجاُ فملئ قلب عثمان رعبًا وانزعاجًا، فعند ذلك زاد ما به من الغل والحقد وزين له الشيطان أنهُ لا يفوز بالقصد حتى يفتك بأهل الإيمان ويجلي من يُسلم لأقصى البلدان فينجلي ما بقلبه من الهم والأحزان، فأرسل لابن سويط وإبراهيم بن سليمان

يحثهم ويدعوهم إلى المجيء عنده والاجتماع حتى يُنفذ ما عزم عليه بالمُسلمين من الإيقاع، فلما تحقق أهل الإسلام ما عزم عليه من ذلك المرام وأبرز الملك العلام لذوي الألباب من الأنام مصداق قوله (إن الله عزيز ذو انتقام) فتعاطى الأيمان على قتله من أهل التوحيد أناس أرادوا بذلك القربى وإراحة الناس وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النقمة والبأس ومن مشاهيرهم، حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد، فلما انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مُسرعين قتلوه في مسجده ومُصلاه وأريح المُسلمين من أذاه فلم ينتفض لذلك سنان بل لم تنتطح لمقتله عنزان، بل أغمدت والله المحمود قواضب الفتنة وأخمدت لواهب المحنة واطمأنت المسلمون (أم أبرموا أمرًا فإنا مبرمون - ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون)، فلما قدم إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير، فعجل الشيخ إلى العيينة المسير، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاذبوا عنان الرأي والمشورة والقضية في ذلك مشهورة في الترئيس والتأمير وتفويض الرياسة والتدبير، والكل بما يوافق مراده مُشير، إلا أن أهل التوحيد والإيمان، لاسيما من باشر أو سعى في قتل عثمان، حاولوا أن لا يؤمر من حمولة ابن معمر، وأن لا يولى عليهم منهم إنسان، خشية أن ينالهم منهُ ذل وهوان، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم، ولم يعرج على اجتهادهم، بل أبى وأعرض عن ذلك، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح المحجة للسالك، فرأس عليه مشاري بن معمر وكبره فيهم وأمر، وكان ذلك مُنتصف رجب، كما حققه من حسب». ۞

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ولاحظ أن محمد بن عبد الوهاب كيف يتخذ من الدين والعقيدة ستارًا ومطية لتنفيذ مآربه الشخصية وتحقيق أهدافه الخاصة، ومن ضمنها الانتقام وتصفية خصومه، فما دخل بيعة الدين ببيعة الاغتيال والبراءة من الأمير عثمان بن معمر؟ ثم من سمح له أن يهدر دم رجل مُسلم وهو يُصلي الجمعة مع الجماعة في المسجد ؟ ومن أعطاه الحق كي يصنف الناس ويُفصلهم ما بين مُسلم ومُرتد؛كما وصفوا من قبل رئيس ثرمداء ونعتوه بالمُرتد عن الدين الإسلامي؟ إذن هكذا تمت تصفية ذلك الرجل المُسلم الشجاع "السلفي الحقيقي" بالمفهوم الصحيح للسلفية، والذي كان يظن خيرًا بدعوة محمد بن عبد الوهاب، فآواه وصدقه وسانده ووقف معه في شدائده، فدفع حياتهُ ثمنًا لثقته العمياء به وبدعوته المزعومة، فقتلوه في المحراب وهو يُصلي في المسجد، وسفكوا دمه الزكي بينما كان يؤدي تسليمتي صلاة الجمعة!!

فأي دين وأي عقيدة يعرفها هؤلاء المُجرمون، وأي توحيد هذا الذي يتبجحون به، وهم يُبيحون سفك دماء المُسلمين في مساجدهم، والله تعالى في محكم التنزيل يقول: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» - النساء ٩٣-.

وعن حادثة اغتيال عثمان بن معمر المُريعة وسفك دمه الزكي وهو يُصلي صلاة الجمعة في مسجد العيينة، يذكر المؤرخ النجدي الوهابي العقيدة والهوى عثمان بن بشر، تلك الواقعة في كتابه قائلاً:

«(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة وألف) وفيها قتل عثمان بن معمر في مسجد العيينة بعد صلاة الجمعة، انتدب لقتله أناس من جماعته ذكروا أنهم تحققوا من نقض العهد وموالاة الأعداء وممالأتهم. وقيل إنهُ أتاه كتاب من محمد بن عفالق (*) يحرِّضه على مُعاداة المُسلمين ونقض بيعتهم ووعدهم ،

(*) ابن عفالق: هو محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي ولد في الأحساء وتوفي فيها (١١٠٠-١١٦٤هـ)، له مؤلفات في الفقه والفلك، وهو أحد أكبر علماء الحنابلة في عصره، بل هو مرجع الحنابلة في أسانيدهم، والشيخ ابن عفالق كان مُعاصرًا لابن عبد الوهاب ويُقال إنه كان شيخًا له، وله رد عليه سماه (تهكم المقلدين على مدعي تجديد الدين) فجزع ابن عبد الوهاب منه ولم يستطع أن يرد عليه.

وكانت بنته تحت عبد العزيز، وهو جدُّ ولده سعود. وحين قتل عثمان، وسعود رضيع لم يتم السنتين، ولكن ليس في الدين محاباة، فلما سلَّم من الصلاة قام إليه من ذكرنا فقتلوه. ومن مشاهير الذين تولوا قتله، حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد الباهلي وموسى بن راجح. وكان ذلك في منتصف رجب من هذه السنة»[۞] - انتهى الاقتباس -

ومن خلال ما أورده ابن غنام وابن بشر يتضح الآتي: أن الأمير عثمان بن معمر كان رجلاً مُسلمًا مؤمنًا بالله ومُحافظًا على صلاة الجماعة، وقد قُتل غيلة وغدرًا وهو في محراب المسجد أثناء تأديته لصلاة الجمعة، وقد انتدب محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود أشخاصًا مأجورين من أهل العيينة وكذلك من بعض أقارب عثمان وجماعته من المعامرة لغرض اغتياله، وهؤلاء هم ممن احتضنهم محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود في درعية الغدر والخيانة، وأولئك القتلة هم الذين سبق وأخذ محمد بن عبد الوهاب بيعتهم في الدرعية، وحرَّضهم على قتل الأمير عثمان بن معمر بحجة مُعاداة دين الله ورسوله.

فيبدو أن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وولده عبد العزيز لم يستطيعوا القضاء على ابن معمر من خلال المواجهة العلنية في الحرب، أو ربما لم يرغبوا في أن يفقدوا الكثير من رجالهم ولديهم فرصة سانحة لتنفيذ عملية اغتيال نظيفة ومحسومة ومُخطط لها بعناية وغير مُكلفة، وهذا ما حدث فعلاً، فحينما يقول عثمان بن بشر في كتابه "أنتدب لقتله أناس من جماعته" فالسؤال المطروح هو: من الذي انتدبهم؟

وكل الدلائل والقرائن تثبت بما لا يدع مجالاً للشك وتقول إن من أنتدب هؤلاء القتلة هم محمد بن عبد الوهاب وشريكيه محمد بن سعود وولده عبد العزيز، فالأول أفتى بكفره وخيانته فأحلَّ دمه ، وطلب من كل من أتبعه المُبايعة على

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

اغتياله، والآخران رحبا وتحمسا للتخلص من جار كبير وخصم عنيد، فكلفوا بعض الرجال الثقاة من أهل العيينة ومن بعض جماعة عثمان بن معمر، من الذين انتدبهم محمد بن عبد الوهاب لكي يقتلوه غيلة حتى وهو في بيت من بيوت الله العامرة!

وهذا ما يؤكده لنا صاحب مخطوطة "كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب" ويوضح بجلاء أن محمد بن عبد الوهاب، هو من أمر بقتل الأمير عثمان بن معمر، ليس هذا فحسب بل يوثق أن محمد بن سعود كان يشعر هو الآخر بالرهبة والخوف من أن يغتاله شريكه محمد بن عبد الوهاب كما اغتال ابن معمر، خصوصًا بعد أن همشه وسلط عليه ولده النزغ عبد العزيز، وجعل الحكم بيد الابن وهمش الأب، وسبب تخوف محمد بن سعود وحذره الشديد من محمد بن عبد الوهاب ليس لأنهُ أقدم على قتل ابن معمر فقط، بل لأنهُ شعر أن هذا الرجل مُجرم وفاجر ولن يرعوي في سفك الدماء، ويمكن أن يتخلص من أي شخص قريب منه حتى ولو كان صاحب فضل ومعروف كبير عليه، لهذا كان محمد بن سعود في أواخر أيامه دائمًا على حذر من هذا الغادر، حيث يذكر لنا صاحب المخطوطة عن غدر محمد بن عبد الوهاب وتلميذه عبد العزيز بن محمد بن سعود بالأمير عثمان بن معمر، فيقول:

« وقام ابن سعود وغزا من بلد على أربع ركائب. فوجد غنمًا لقوم يُسمون القرينية. فذبح راعي الغنم وأخذها. ثم بعدها أرسل ثماني ركائب على أهل القرينية لأنهم قريبون منه. ثم هذه القرية التي تُسمى عرقة. ويُحارب الثانية ويغزو بقدر أربعين ذلولاً. وبعث إلى جماعة له بالعيينة ثمانية رجال. وذبح عثمان بن معمر وعبيدًا حوله أربعين. ثم أنهُ ضجت القوم، وقالوا: مُريدون (أي موافقون). ولا اختلف منهم أحد. وملك العيينة والجبيلة. وهذه تبعد عن الدرعية بقدر ست ساعات. والله أعلم بالصواب. وبعد ما قتل ابن معمر، خاف ابن سعود منه، وقال: أخاف أن يقتلني. وأما الشيخ كان بذلك الوقت إذا خرج

من بيته إلى المسجد يمشي خلفه مقدار مائتي رجل. وإذا دخل كذلك. وأقام عبد العزيز من دون أبيه. وعاهده وحكمه بالجهاد. وأراد أن يغزو، فغزا عبد العزيز أولى غزواته».[۞]

وهذا تأكيد من أن محمد بن عبد الوهاب هو من يقف خلف عملية إغتيال الأمير عثمان بن معمر، وأن عبد العزيز بن محمد بن سعود هو من دبر عملية الاغتيال بالتآمر مع بعض أعداء ابن معمر في العيينة، ونطلع هنا ولأول مرة أن عبد العزيز كان قد أرسل ٨ رجال من أتباعه للمشاركة في اغتيال الأمير عثمان بن معمر والمقربين منه، أي من حرسه وخدمه، حيث يذكر صاحب المخطوطة أنهم -أي فرقة الاغتيال الغادرة- قد قتلت مع عثمان بن معمر ٤٠ عبدًا من عبيده وخدمه!. وأما البقية حينما راعهم ما شاهدوه من قتل وعلموا أن الأمير قد قتل غيلة وأن حراسه وعبيده تمَّ التخلص منهم، أعلنوا استسلامهم وأنهم مؤيدون لمن قتل ابن معمر، وهو شعور طبيعي لأن الأمر قد قضي وحسم، وقد تمت العملية بهدوء ودون منغصات.

ولا يُستبعد أن يكون مشاري بن معمر المذكور على رأس هؤلاء المُتآمرين من أسرة المعامرة أو آل معمر، لأن محمد بن عبد الوهاب عاد مُسرعًا للعيينة بعد مقتل الأمير عثمان بن معمر، وقد أصر على تعيين المذكور - مشاري بن معمر - أميرًا على العيينة بدلاً من المغدور عثمان بن معمر، حيث يُقول ابن بشر في نسخة الدارة السعودية من كتابه:

« ثم دخلت سنة ألف ومائة وثلاث وستين، وفيها قُتل عثمان بن معمر، وذلك لما تبين منه موالات أهل الباطل، وإذلال من عنده من المُسلمين وتقريبه لأعدائهم، وأشتهر منه الشقاق والخلاف، وتحقق عند الشيخ ذلك منه، وجاء إليه أهل بلد العيينة وشكوا إليه الخوف من غدره ، قال لمن قدم عليه منهم ،

---

[۞] كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، ومُعادات من عاداه، وموالات من والاه، ولو أنهُ أميركم عثمان، فبايعوه على ذلك، وتتابعوا على البيعة أفواجًا، فداخل عثمان الخوف والرعب، ثم أرسل إلى ابن صويط رئيس الظفير، يحثهم ويدعوهم إلى المجيء عنده، فلما تحقق أهل البلد مما عزم عليه من ذلك، عزم رجال منهم على قتله والفتك به، ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد الباهلي، فلما فرغت صلاة الجمعة، وخرج سرعان الناس، قتل في المسجد فلم يشهر في ذلك سنان، ولا انتطح عنزان فلما بلغ الخبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، ركب إلى بلدة العيينة، وذلك أنه خشي الاختلاف، وذلك ثالث يوم من قتله. فاطمأنت لقدومه القلوب، وحصل الرأي والمشورة في الأمير بعده». ۞

وهنا ينوه ابن غنام أن قتلة الأمير عثمان بن معمر رفضوا تولي أحد أفراد أسرة آل معمر للإمارة بعد مقتل عثمان، وذلك خوفًا وخشية من انتقامهم، لكن محمد بن عبد الوهاب أصر على تعيين مُشاري بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر، وهذا يعني أن مشاري كان شريكًا رئيسيًا في عملية الاغتيال، حيث يذكر ابن غنام عن تلك المُجادلة قائلاً:

« فعجل الشيخ إلى العيينة المسير، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاذبوا عنان الرأي والمشورة والقضية في ذلك مشهورة في الترئيس والتأمير وتفويض الرياسة والتدبير، والكل بما يوافق مراده مُشير، إلا أن أهل التوحيد والإيمان، لاسيما من باشر أو سعى في قتل عثمان، حاولوا أن لا يؤمر من حمولة ابن معمر، وأن لا يولى عليهم منهم إنسان، خشية أن ينالهم منهُ ذل وهوان، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم، ولم يعرج على اجتهادهم، بل أبى وأعرض عن ذلك، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح المحجة للسالك ، فرأس

---

۞ كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد. تأليف/ عثمان بن بشر: نسخة الدارة السعودية.

عليهم مشاري بن معمر وكبره فيهم وأمر وكان ذلك مُنتصف رجب كما حققه من حسب». [1]

ويذكر لنا مؤرخ البلاط السعودي المؤرخ اللبناني الماروني؛ أو بالأحرى المؤرخ الشخصي لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود؛ المدعو أمين فارس أنطوان الريحاني معلومة خاطئة، حيث يزعم في كتابه " تاريخ نجد الحديث ومُلحقاتها" أن محمد بن سعود كان قد ولى الإمارة في العيينة بعد مقتل الأمير عثمان بن معمر، إلى أحد أبناء عثمان بن معمر، وهذا محض هراء وتزوير فاضح، حيث تمَّ منح الإمارة إلى أحد الناقمين الواثبين على الأمير عثمان بن معمر، وهو مشاري بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر، كونه كان أحد أركان المُتآمرين على قتل الأمير الشرعي المغدور عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد بن معمر.

بينما نجد أن أمين الريحاني يُصر في كتابه على أن الولاية على إمارة العيينة كانت قد مُنحت إلى ابن عثمان بن معمر بعد مقتله، وهذا مُخالف للحقيقة، حيث يذكر في كتابه، قائلاً:

« وقد كان (ابن) سعود الأول إذا أخذ بلدًا يولي عليه أحد أبنائه، أي أبناء ذاك البلد المتوجين، كما فعل في العيينة التي كان عثمان بن معمر متوليًا الإمارة فيها لصاحب الحساء (الأحساء)، فقد تذبذب عثمان وتردد بين صاحبه وبين الموحدين (الوهابيين)، فقتل في المسجد بالدرعية، فولى (ابن) سعود ابنه مشاري بن معمر مكانه. وذلك برأيه كما يقول ابن بشر:"لا برأي الناس الذين أرادوا انقراض بيت معمر". وهذه الخطة التي اتخذها (ابن) سعود الأول هي خطة الملك عبد العزيز اليوم». [2]

---

[1] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[2] كتاب : نجد الحديث وملحقاته \ تأليف : أمين الريحاني.

بينما الوقائع تقول إن من ولي على إمارة العيينة بعد مقتل الأمير عثمان بن معمر، هو أحد أفراد أسرة آل معمر الناقمين على عثمان بن معمر وهو المدعو ـ مشاري بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر ـ حيث تمت توليته في عام ١١٦٣هـ، في شهر رجب من تلك السنة حتى خلع منها سنة ١١٧٣هـ، ومشاري هذا هو صهر محمد بن سعود، وهو الذي تولى ابنه محمد بن مشاري لاحقًا الإمارة في نجد، بحجة أنهُ الأولى بالحكم بعد مقتل وهروب آل سعود من نجد، بحكم أن أخواله كانوا من آل سعود، وذلك بعد تدمير الدرعية من قبل إبراهيم باشا، وقد تمَّ قتل محمد بن مشاري وولده مشاري كما سيأتي على يد تركي بن عبد الله سنة ١٢٣٦هـ.

كما ويذكر لنا حسين بن غنام في كتابه عن قيام محمد بن عبد الوهاب بهدم قصر آل معمر حيث يقول: « ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون ١١٧٤هـ: وفيها عزل الأمير محمد (بن سعود) والشيخ (محمد بن عبد الوهاب) مشاري بن معمر عن إمارة العيينة لأمور كثيرة ثبتت عنه شينة، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام وأمر سلطان بن محسن المعامرة على من بها من سائر الأنام، وأمر بهدم قصر آل معمر، فُهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر ».[۞]

ويؤكد عثمان بن بشر حادثة هدم قصر آل معمر، الذي تمَّ بأمر محمد بن عبد الوهاب وقد نُفذ الهدم تحت إشرافه، وكذلك يورد أمر محمد بن سعود بخلع مشاري بن إبراهيم بن عبد الله بن معمر، قائلاً:

«(ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف ١١٧٣هـ).... وفيها عزل محمد بن سعود مشاري بن إبراهيم بن معمر عن إمارة (العيينة) واستعمل عليها سلطان بن محسن المعمري. وسار الشيخ رحمه الله تعالى إلى العيينة فأمر بهدم قصر ابن معمر فهُدم».[۞۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[۞۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

الغريب أن محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد أن عينا ذلك المُتآمر مشاري بن معمر أميرًا على العيينة بدلاً من عدوهما اللدود ذبيح المسجد الشهيد عثمان بن معمر، عادا وعزلا مشاري هذا لاحقًا وعينا بدلاً عنه سلطان بن محسن المعمري!

وقد أبدى محمد بن عبد الوهاب بعدها حقدًا غريبًا وغلاً غير مسبوقًا على آل معمر، وتصرف بطريقة هستيرية موتورة، حيث قدم إلى العيينة وقام بهدم قصر آل معمر وسواه بالأرض! وهذا ما ذكره حسين بن غنام وعثمان بن بشر كما مرَّ أعلاه، وكذلك هو ما ذكره ابن لعبون في تاريخه، حيث قال:
« وفي سنة ١١٧٣هـ: وفيها عُزل مشاري بن معمر عن إمارة العيينة، وركب إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأمروا عليها سلطان(•) بن محسن المعمري وأمر (محمد بن عبد الوهاب) بهدم قصر عثمان بن معمر. فهُدم!».۞

ونلاحظ هنا أن محمد بن عبد الوهاب بعد أن كلَّف هؤلاء القتلة باغتيال الأمير عثمان بن معمر لم يأتي إلى العيينة إلا بعد أن أيقن وتأكد من أن عملية التصفية الجسدية لابن معمر قد نجحت وتم التخلص من الأمير عثمان بن معمر نهائيًا، فجاء على وجه السرعة كي يُسيطر على الأوضاع خوفًا من البلبلة، وثانيًا أنهم يعترفون من خلال كتاب حسين بن غنام أن من قتل الأمير عثمان بن معمر في المسجد، هم (أهل التوحيد) المزعوم، أي الوهابيون، وأن محمد بن عبد الوهاب أصرَّ كما أسلفت على تولي مشاري بن معمر الذي يُبدو كان شريكًا فعالاً في تلك المؤامرة الدنيئة، إذن تلك هي بدايات الدعوة الوهابية الدموية، التي يزعم أصحابها الآن أنها جاءت لغرض التوحيد والقضاء على الشرك وتحطيم الأوثان في جزيرة العرب!

---

(•) كتب ابن لعبون اسم سلطان بن محسن هكذا (صلطان) ويعود ذلك إلى ضعف واضح لديه في كتابة الأبجدية

۞ كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

فهل كان قصر ابن معمر وثنًا يُعبد أو يُطاف حوله كقبر زيد بن الخطاب كما زعم ابن عبد الوهاب، حتى يأتي محمد بن عبد الوهاب بنفسه فيتجشم عناء السفر من الدرعية إلى العيينة فقط ليهدم قصر الأمير عثمان بن معمر ويُساويه بالأرض، ذلك القصر المعمور المضياف الذي سبق وأن آواه وحماه وزوجه أيضًا! فسبحان الله فقد صدق الشاعر العربي عندما قال:

إذا أنــتَ أكْرَمــتَ الكَــريمَ مَلَكْتَــهُ          وَإنْ أنْــتَ أكْرَمــتَ اللَّئــيمَ تَمَــرَّدَا

وسبحان الله، فقد صدق القائل "بشِّر القاتل بالقتل ولو بعد حين" فقد شارك عبد العزيز بن محمد بن سعود في اغتيال بن معمر وهو يُصلي في مسجد العيينة من خلال التحريض وإرسال رجاله، فتمَّ اغتياله لاحقًا على يد درويش كردي وقيل شيعي متخف بزي درويش، وهو يُصلي في المسجد أيضًا، وقد ذكرت بعض المصادر أنهُ كان بتكليف من قبل باشا بغداد !

والحكاية مُختصرة كما نقلها المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي والمُقتبسة من كتاب "الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ" حيث يقول:

«والرواية لتلك الجريمة هي إقناع درويش كردي بأن يُعرِّض نفسه للموت بتخليص العالم من شخص عبد العزيز، لابد أن يُكتب له أجر عند الله، لذلك توجه هذا الكردي إلى الدرعية ووجد وسيلة للدخول في خدمة عبد العزيز، واجتهد في البداية للظفر بثقة سيده الجديد وتوصل إلى ذلك من دون عناء، فصار يحضر جميع الاجتماعات وأصبح هذا الخادم "المُخلص" يُرافق عبد العزيز في جميع تنقلاته، وأخيرًا أتى اليوم المُحدد لتنفيذ هذا الجرم القبيح، فوقف وراء عبد العزيز وهو يؤدي صلاته، وغافله بضربة من خنجره طرحته أرضًا، والتفت إلى سعود (*) الذي كان بالقرب من أبيه مُحاولاً ضربه، لكن حِيل

(*) جاءت في رواية عثمان بن بشر أن سعود لم يكن موجودً أثناء اغتيال عبد العزيز على يد الدرويش الكردي عثمان

دونه وذلك، وأصابته ألف طعنة أردته قتيلاً على الفور، ولدى تلقي باشا بغداد الخبر كافأ المُخبر مُكافأة سخية. وتولى سعود مكان أبيه». ۞

فسياسة التصفية الجسدية وعمليات الاغتيال والتخلص من الخصوم باتت ثقافة وهابية صرفة، وقد انطلقت تلك السياسة أو الثقافة الغادرة مع انطلاق الدعوة الوهابية، واستمرت حتى باتت نجد بؤرة للفتن والاغتيالات والتصفيات الأسرية حتى لا يكاد المرء يأمن على نفسه من غدر شقيقه أو ابن عمه، وربما حادثة قتل السيايرة من آل سيف في ضرمى، عندما أهدر محمد بن عبد الوهاب دمهم، فهو دليل آخر على دموية هذا الرجل الذي لا يعرف مبادئ الإسلام، ويستخدم وسائل القتل والاغتيال للخصوم على الشبهة ودون التأكد أو التروي وسماع الرأي الآخر.

حيث جاء أيضًا في كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لصاحبه عثمان بن بشر سرد لتلك الواقعة حيث يقول:

«(ثم دخلت السنة السابعة والستون ومائة وألف ١١٦٧هـ)... وفيها كان مقتل السيايرة في ضرمى المعروفون آل سيف، وهم صقر وإخوانه جار الله وغيث وعثمان، وذلك أن الأمير محمد بن عبد الله الذي هو من قبيلة آل عبد الرحمن المُسمين بالشيوخ الذي قتلهم آل سيف، قام عليهم هو وأهل الدين (الوهابيين) في البلد، وكان آل سيف بعد قتلهم الشيوخ أعجبوا بأنفسهم واحتقروا الراعي والرعية، واحتقروا أهل الدين الذين يُشار إليهم في البلدة ومقتوهم، فكثرت فيهم الظنون، وذكروا عنهم أن لهم يدًا مع الأعداء وموالاة لهم من أهل (الحريق) وغيرهم، وأنهم غير مأمونين من حدث، ورفعوا أمرهم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود وقالوا إن هؤلاء لا يؤمَنون من فتك في الدين واستدناء عدوانهم ، عوقبوا بالجلاء أضروا بالبلد

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانس.

وأهلها وسطوا بالأعداء فيها، فقال الشيخ والإمام: نحن جاهلون في حالهم فإن كنتم تحققتم منهم شيئًا فأمضوا فيهم بعلمكم،فمضوا عليهم وقتلوهم صبرا».[۞]

هكذا دون تحقق أو تتبع أو تأكيد من خيانة آل سيف، فقد أحل شيخ الوهابية محمد بن عبد الوهاب هو وصاحبه دمهم وأمر بقتلهم، فقط لأنهم علموا أن آل سيف احتقروا الوهابية "أهل الدين" والقصد أنهم لم يُلقوا بالاً لمطاوعة الوهابية الذين عينهم محمد بن عبد الوهاب في ضرمى، وعليه فقد أباحوا دمائهم وفق الظنون والشكوك فقط، لأن الراوي يقول فكثرت فيهم الظنون وأنهم غير مأمونون من حدث!!

وبالمُناسبة فإن سياسة الاغتيالات في داخل بيوت الله وثقافة القتل في المساجد قد سَنها وأحلّها الوهابيون، وطبعًا سبقهم إليها شراة الخوارج، وذلك عندما كلّفوا الخارجي عبد الرحمن بن مُلجم باغتيال ابن عم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والخليفة الراشدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وهو الذي قام بكفالته وتربيته فجزاه غدرًا وقام بطعنه بخنجر مسموم وهو يُصلي في مسجد الكوفة، وقد تمثل محمد بن عبد الوهاب بسيرة الغادر عبد الرحمن بن ملجم واتخذه مثلاً أعلى له، حيث خان من آواه وحماه وزوَّجه، فدفع بمن يقتله غدرًا وهو يُصلي الجمعة في مسجد العيينة.

وقد استمرت ثقافة الاغتيالات الوهابية فيما بعد اغتيال عثمان بن معمر في مسجد العيينة. فقد دبر مشاري بن سعود عملية اغتيال لابن عمه وخاله أيضًا تركي بن عبد الله آل سعود، وهو يُصلي الجمعة في مسجد الرياض أيضًا، من خلال رشوة أحد العبيد ويُدعى حمزة، والذي أطلق عليه النار بمُسدس كانوا يسمونه فرد، فأطلق العبد حمزة بارود المُسدس على سيده تركي بن عبد الله وهو في المسجد فأرداه قتيلاً! حتى أصبح فرد حمزة هذا مثلاً شهيرًا ودارجًا في نجد وضواحيها، وذلك بالقول «فرد حمزة ثاير،، ثاير».

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

والملاحظة الأخرى المُثيرة، التي جاءت فيما ذكره ابن بشر هو قوله: «وحين قتل عثمان، وسعود رضيع لم يتم السنتين، ولكن ليس في الدين مُحاباة، فلما سلم من الصلاة قام إليه من ذكرنا فقتلوه».۞

أي أن عثمان بن معمر كان والد زوجة عبد العزيز بن محمد بن سعود، وهو جد لابنه الرضيع سعود المذكور، حسب رواية ابن بشر، ومع هذا فإن الدين الوهابي الدموي لا يُعرف المُحاباة، كما يذكر!.

أي أن هنالك فتوى شرعية قد جُيرت باسم الدين الوهابي فأحلت دم الرجل وهو يُصلي، ولذلك يجزم المؤرخ النجدي الوهابي العقيدة عثمان بن بشر أن سبب مقتل الأمير عثمان بن معمر كان شرعيًا ولا غبار عليه لأن لا مُحاباة في الدين، حسب فهمه هو للدين والوهابية من خلفه! حيث يقول نصًا:

« وكانت بنته تحت عبد العزيز، وهو جد ولده سعود. وحين قتل عثمان، وسعود رضيع لم يتم السنتين، ولكن ليس في الدين مُحاباة، فلما سلَّم من الصلاة قام إليه من ذكرنا فقتلوه»!

سبحان الله يسفكون دم رجل مُسلم مؤمن بالله ورسله وكتبه، وهو أول من أيَّد ودعم الوهابية، وهو أول من أجار وحمى صاحبهم الغادر الفاجر، وسمح له أن يهدم قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب، وهو أول من طبق حد الرجم بتلك الزانية حسب ما أفتى به محمد بن عبد الوهاب، ومع هذا وبكل بساطة حكموا عليه بالموت غدرًا، وهو يتهجد في المسجد بعد صلاة الجمعة!.

فأي دين إسلامي يعرف هؤلاء القتلة، وبأي عقيدة يؤمنون، وأي دعوة توحيد يزعمون؟ فلعمري إن الدين الإسلامي الحنيف الذي أنزل على نبي الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ لهو منهم براء.

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**الأمر الآخر يذكر ابن بشر أسماء هؤلاء القتلة الذين أحلَّوا ما حرم الله واستباحوا حرمات مساجد الله، ثم يصفهم بالمشاهير، وكأنهم فتحوا القسطنطينية أو أعادوا أمجاد الإسلام!.**

**هكذا كانت بداية ذلك الدين السعودي الجديد المارق، عبارة عن غيلة وغدر وقتل وسلب ونهب وسفك للدماء في بيوت الله، دون خوف أو رادع، أو خشية من الله سبحانه وتعالى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.**

## ▪ التنافس على النفوذ بين إمارة العيينة والدرعية:

يبدو أن هنالك تنافسًا حادًا على التفرد بالسلطة والنفوذ في منطقة نجد، أو بالأحرى في منطقة العارض أو إقليم اليمامة تحديدًا، فقد كان الصراع على النفوذ يدور بين بلدة العيينة والدرعية، حيث لم تبرز الرياض بعد كمنافس قوي للدرعية إلا بعد مقتل أميرها ووثوب دهام بن دواس الذي بدأ يُثير المشاكل لحكام الدرعية.

ويذكر لنا بعض المؤرخون أن العيينة تقدمت تقدمًا عظيمًا في عهد أميرها عبد الله بن محمد بن معمر الذي تزخرفت في عهده العيينة وبلغت ذروتها بالقوة والنفوذ ما لم تبلغه مدينة أخرى في نجد قبلها، حيث كثر سكانها وزاد عمرانها، حتى أصبحت بلدة العيينة المدينة الأولى في نجد، إلا أن وباءً قد حلَّ بالبلدة فتوفي الأمير المشهور عبد الله بن معمر، وتولى من بعده الإمارة حفيده المُلقب بخرفاش.

وعن إمارة العيينة، يذكر لنا مُرتضى بن علوان الشامي الذي جاء في رحلة حج بين عامي ١١٢٠- ١١٢١هـ حيث زار بلدات العيينة ونفي وثرمدا ووصف العيينة قائلاً: « إنها أعظم الثلاث، وفيها من الحمض الكباد وانفاش، ما لا يوجد مثله إلا في صالحية الشام. وأما المياه فلا تقاس بغيرها طيبًا وصفاءً وهضمًا. وفيها أرزاق وخيرات كثيرة». ۞ -انتهى الاقتباس-

ويذكر الفاخري في تاريخه عن شهرة وسعة ملك أمير العيينة عبد الله بن محمد بن معمر، وعن الوباء الذي حل بالعيينة وراح ضحيته الأمير نفسه عبد الله بن معمر، حيث يقول: « وفي سنة ١١٣٨هـ: كانت وقعة العيينة، حلَّ بهم وباء أفنى غالبهم ، ومات فيهم رئيسهم عبد الله بن محمد بن معمر ، الذي لم

---

۞ كتاب : رحلة مُرتضى بن علوان إلى البلاد المُقدسة ومناطق أخرى، سنتي ١١٢٠- ١١٢١هـ.

**يذكر في زمنه ولا قبله في نجد من يُدانيه في الرئاسة ولا سعة المُلك والعدد والعدة والعقارات والأثاث، ومات ابنه عبد الرحمن وتولى ابن ابنه محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر المُلقب بخرفاش».** ۞

**أما قرية الدرعية فقد عمتها الفوضى والفتن وأصبح أحفاد مرخان يتقاتلون فيما بينهم على إمارتها، فقد قتل مقرن بن محمد بن مقرن على يد أبناء عمومته محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله، وأصبح زيد بن مرخان أميرًا على الدرعية. وذكر بعض المؤرخين صفات سيئة اتصف بها أهل الدرعية، منها الحقد والحسد والمكر والحيلة، وعدم الوفاء ونقض العهود، وربما هذا ما جعلها تندثر وتُدمر لاحقًا على يد القائد المصري إبراهيم باشا، حيث يصف صاحب كتاب (لمع الشهاب) أهل الدرعية بأقذع الأوصاف، قائلاً:**
**« اتفق الأمر حينئذٍ أن دهام بن دواس شيخ الرياض، المُسمى بحجر اليمامة سابق الأيام، كره استقامة الأمر لمحمد بن سعود حاكم الدرعية بواسطة محمد بن عبد الوهاب، حيث كان قبل هذا يكره محمد بن سعود ويُريد ذلته لأن أهل الدرعية أشر أهل نجد في طرق الحيل والخدعات، وأعظمهم حقدًا وعداوة، فأخذ ابن دواس يُلقي الحرب على أهل الدرعية حتى صار القتال من الجانبين، فقُتل يومًا ولدين كبيرين لمحمد بن سعود أكبر من ولده عبد العزيز».** ۞۞

**ويبدو أن زيد بن مرخان هذا كان حقودًا حسودًا كعادة أحفاد وأبناء مرخان وعادة أهل الدرعية أيضًا، فأراد الاستيلاء على العيينة، تلك البلدة الغنية الهانئة الوادعة والتي تفوقت على قريته الدرعية، وكان الحقد والحسد يأكل قلبه لكنه كان يخشى من سطوة الأمير عبد الله بن معمر، وبعد وفاة أمير العيينة القوي أراد ابن مرخان أن يستولي على العيينة بالقوة، بعد أن شعر أنها قد أصبحت ضعيفة وفقدت سطوتها بوفاة أميرها القوي عبد الله ، فكانت**

---

۞ **كتاب : تاريخ الفاخري \ تأليف : محمد بن عمر الفاخري ( ت١٢٧٧هـ)**
۞۞ **كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف : حسن جمال بن أحمد الريكي.**

نـهايته التعيسة على يد أميرها الجديد حفيد عبد الله بن معمر المدعو محمد بن حمد بن معمر.

وعن تلك الأحداث الدموية التي حدثت بين الإخوة وأبناء العمومة في تنازعهم على السلطة والنفوذ، حيث كان يتقاتل أحفاد مرخان فيما بينـهم، ومن ثم صراعهم مع جيرانهم، يوثق لنا حمد بن لعبون في تاريخه، نبذة مُختصرة عن تلك العداوات والحوادث المُميتة، حيث يذكر في كتابه:

« وفي سنة ١٠٦٥هـ: قُتل مرخان، قتلهُ وطبان واستولى على غصيبه، وهي سنة هبران المعروف.

وفي سنة ١٠٩٩هـ: وفيها قُتل مرخان بن وطبان، خنقه أخوه إبراهيم!

وفي سنة ١١٠٦هـ: وفيها توفي محمد بن مقرن بن مرخان راعي الدرعية. وفيها قُتل إبراهيم بن وطبان قتله يحيى بن سلامة.

وفي سنة ١١٢٠ هـ: قُتل سلطان بن حمد القبس راعي الدرعية (*) ، وتولى أخوه عبد الله ثم قتل.

وفي سنة ١١٢١هـ: تولى موسى بن ربيعة بن وطبان بن مرخان قي الدرعية.

وفي سنة ١١٢٩هـ: غدر خرفاش بـ زيد بن مرخان راعي الدرعية، وبدغيم بن فايز المليحي، وقتلهم. كما قتل محمد بن سعود بن مقرن عمه مقرن بن محمد وصفت له ولاية الدرعية، وقتل موسى بن ربيعة. وذلك أن مقرن استأذن زيدًا لما صالحه لتمام الاستئناس، والثقة فيما يظهر، فخاف (زيد) منه، وقال: ما آتيك حتى يكفل لي محمد بن سعود، ومقرن بن عبد الله بن مقرن، فكفلاه فأتاه في جماعة فهمَّ بقتله، وبانت منه شواهد الغدر، فوثب محمد بن سعود ومقرن منتصرين له على مقرن بن محمد، وحملا على مقرن ومن معه، فألقى نفسه مع فره واختفى في بيت الخلاء (المرحاض) فأدركوه وقتلوه، وردوا زيدًا إلى مكانه... ثم أن زيدًا لما كان قد مات عبد الله بن محمد بن معمر ، وضعفت

---

(*) لاحظ عزيزي القارئ فإن الرئاسة في الدرعية كانت لأكثر من طرف، وليس لأحفاد مرخان فقط، وكلٌّ يُطلق عليه "راعي الدرعية" كنوع من الشهرة والمعرفة.

العيينة بعد الوجبة، وهم في نوال أهلها، ومشى إليها بـ آل كثير وسبيع وغيرهم من ذي الحضر، فأرسل إليه خرفاش، وهو بعقربا (قائلاً): ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم، وأنا أرضيك، وأقبل واجهني، فأقبل إليه في قدر أربعين رجلاً، فأدخله القصر ومعه محمد بن سعود، وغيره، وواعد عليه من يرميه، بعدما توحد بدعم من فايز ونحره، فرمى زيد ببندقين لم تخطآه.

وفي سنة ١١٦٠هـ: وفي هذه السنة حصلت وقعة بين دهام بن دواس، وبين محمد بن سعود، قُتل فيها فيصل وسعود إبنا محمد بن سعود.

وفي سنة ١١٧٩هـ: توفي الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن رئيس بلد الدرعية، وتولى بعده ابنه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود». ۞

ومن خلال تلك المصادر النجدية التي وثقت تلك الحوادث نلاحظ أن هنالك حادثة مهمة جرت لمحمد بن سعود الذي أصبح لاحقًا أميرًا على الدرعية وشريكًا لمحمد بن عبد الوهاب صاحب ما يُسمى بالدعوة الوهابية، حيث استنجد بعمة أمير العيينة فأجارته، وتفصيلاً لتلك الحادثة أن محمد بن سعود قد دفعه طمعه هو وأبناء عمومته في الاستيلاء على خيرات العيينة، فوقع هو وزيد بن مرخان في مكيدة الداهية خرفاش، فحشر محمد بن سعود في إحدى غرف قصر محمد بن معمر، وقتل زيد بن مرخان، بينما أخذ محمد بن سعود يستنجد بعمة أمير العيينة المدعوة ـ الجوهرة بنت معمر (والتي أصبحت لاحقًا زوجة لـ محمد بن عبد الوهاب) فطلب إجارة تلك المرأة المُتنفذة ليكون (دخيلاً بوجهها) كي تعطيه الأمان، فأجارته الجوهرة بنت معمر وأنقذته من الموت المُحقق، فخرج سالمًا من العيينة ليُصبح بعدها أميرًا على الدرعية وغصيبة بعد أن قتل خرفاش ابن عمه الأمير زيد بن مرخان، وقد دون مقبل الذكير تلك الحادثة الشهيرة في كتابه "مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود" قائلاً:

---

۞ كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

«ذكرنا وفاة عبد الله بن معمر أمير العيينة في السنة الماضية، وولاية حفيده من بعده، ولم يكن له من المواهب الإلهية ما لسلفه، وكانت العيينة على وصفنا من القوة المادية، وكثرة الأموال فتنبهت مطامع المُجاورين وكان أسرعهم زيد بن مرخان صاحب الدرعية، فقد أغراه ما فيها من الأموال وعلى الخصوص بعد أن فقدت قوتها المعنوية بوفاة أميرها عبد الله بن معمر، فأراد أن يبتهل الفرصة لغنيمة ذلك الإرث الثمين، فجهز الجنود وسار إليها بقوة كبيرة من أهل الدرعية ومعه دغيم بن فايز المليحي رئيس سبيع، وبوادي سبيع وآل كثير وغيرهم، ومعه أيضًا محمد بن سعود، فبلغ خبرهم إلى محمد بن حمد بن معمر وأشتد عليه الأمر وعلم أنهُ لا طاقة له بدفعهم، وعلم أن لا ينجيه إلا الخديعة والمكر، وهي من الخلال التي يمتاز بها ضعيف الإرادة، وهي سلامه الوحيد، وإذا كانت عفونة في بعض الأحيان فإنها بمثل هذا الموقف على العكس بحجة أن الغاية تبرر الواسطة، فكتب كتابًا وأرسله إلى زيد بن مرخان فوافاه، وهو في عقرباء بالموضع المعروف قرب العيينة، يقول فيه: قد بلغني سيرك وما عزمت عليه وعلمت أنه ما ساقك إلا الطمع، وأنت تعلم أننا لسنا طعمة لأول أكل، وفي استطاعتنا الدفاع عن أنفسنا وأوطاننا إلى أخر نسمة، ولدينا من القوة ما يكفل لنا صد عدوان كل من أرادنا بسوء، ولكننا نفضل السلم ونقدمه، فإذا أعيانا الحصول عليه فذلك أخر عذرنا، وبما أني أعلم أنك تجمع هذه الجموع إلا بسائق الطمع، فإذا كان الأمر كذلك فما هي الفائدة التي تعود عليك إذا جعلتنا طعمة لهؤلاء البوادي، ولكني أعرض عليك أمرًا إن قبلته فهو لصالح الجميع، وهو أن تترك البوادي والجنود بموضعها التي هي فيه، وتقبل إليَّ مع بعض خواصك الذي تعتمد عليهم وتتفاوض معي فنعطيك ما يُرضيك، مما يعود عليك دون غيرك، ولسان حاله يقول: إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي». [۞]

---

[۞] كتاب : مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود \ تأليف: مقبل بن عبد العزيز بن مقبل الذكير.

إلى أن يقول مقبل الذكير في نقله لتلك الواقعة، فيذكر:

« جازت هذه الحيلة على زيد بن مرخان وانخدع بها، وأخذ يضرب أخماسًا بأسداس عما سيطلبه من أمير العيينة، ولم يتخذ الحيطة لنفسه ولا خالجه شك في نوايا ابن معمر، فأمر على ركابه واستصحب محمد بن سعود ودغيم بن فايز رئيس سبيع ومعهم نحو أربعين رجلاً، فقصد العيينة وتلقاهم ابن معمر عند باب القصر وأخذ بيد زيد بن مرخان حتى انتهى إلى الموضع المُعد لجلوسه فيه، فما استقر في مكانه حتى استقرت في جوفه رصاصتان كان فيهما خفة، فوثب محمد بن سعود ومن معه ودخلوا موضع من القصر تحصنوا فيه، فحصل بينهم مجادلة قتل فيها موسى بن ربيعة أمير الدرعية سابقًا، وكان جلويًا عند ابن معمر بعد إخراجه من الدرعية، فدعا ابن معمر محمد بن سعود ومن معه للنزول ولهم الأمان، فلم يقبلوا إلا بأمان عمته الجوهرة بنت عبد الله بن معمر فأعطتهم الأمان، ونزلوا ثم رجع محمد بن سعود إلى الدرعية وأستقل بإمارة الدرعية وغصيبة وتفرقت جنود زيد بن مرخان».[۞] - انتهى الاقتباس -

فسبحان الله هل كان زيد بن مرخان هذا ساذجًا وغبيًا إلى درجة الحمق، أم هو حظ وقدر الأمير محمد بن حمد بن معمر الذي أعمى بصر وبصيرة ابن مرخان وإلا فحتى الولد الغر، سيُدرك مرمى ويعرف ردة فعل ابن معمر في مثل تلك الظروف وذلك الموقف الصعب، خصوصًا بعد أن حشروه في الزاوية، ودفعوه للقتال دفعًا.

أما عثمان بن بشر فيذكر لنا في كتابه رواية مُقاربة لرواية الذكير، ولكنها مُختصرة ومُقتضبة جدًا، ولا أعرف هل كان سبب الاختصار منه أو ممن قاموا بطبع كتابه لاحقًا فاختصروا وطمسوا حسب مزاجهم، حيث يقول ابن بشر:

---

[۞] كتاب : مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود \ تأليف: مقبل بن عبد العزيز بن مقبل الذكير.

«(وفي سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ١١٣٩هـ) قُتل مقرن بن محمد بن مقرن صاحب الدرعية، قتله ابن أخيه محمد بن سعود بن محمد بن مقرن. وذلك أن مقرن بن محمد لما صالح زيد بن مرخان طلب من زيد أن يأتيه لتمام الاستئناس به والثقة، فخاف منه زيد وقال لا آتيك حتى يكفل لي محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله فكفلا له فآتاه زيد في جماعة، فهم مقرن بقتله وبانت منه شواهد الغدر فوثب محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله على مقرن بن محمد وحملا عليه، فألقى نفسه مع فرجة واختفى في بيت الخلاء(الكنيف) فأدركوه وقتلوه وردوا زيدًا إلى مكانه. وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد بن عبد الله ابن معمر المُلقب خرفاش صاحب بلد العيينة بزيد بن مرخان المذكور صاحب الدرعية وبدغيم بن فايز المليحي السبيعي وقتلهما وذلك أنهُ لما أصاب بلد العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبد الله بن معمر كما تقدم في السنة قبل هذه، طمع زيد بن مرخان وأتباعه في أموالها وأراد نهبها فساروا إليه بآل كثير وبوادي سبيع وغيرهم، فلما وصل الجمع عقربا أرسل خرفاش إلى زيد وقال له: إنهُ ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلى أكلمك من قريب وأناجيك، فسار إليه زيد في أربعين رجلاً ومعهم محمد بن سعود وغيره فأدخلهم قصره ثم أدخل رجالاً من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق فرموه ببندقين فلم يخطئانه فمات. فتنبه محمد بن سعود ومن معه ودخلوا في موضع وتحصنوا فيه، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية فأستقل محمد بعد هذه (الحادثة) بولاية الدرعية كلها ومعها غصيبة». [۞] - انتهى الاقتباس -

وكما هو معلوم فقد دُمرت مدينة العيينة لاحقًا بأمر من محمد بن عبد الوهاب، وأصبحت مُجرد خرائب وأطلال تنعب وتنعق بين جدرانها البوم والغربان، وقد

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

هجرها أهلها عند بداية الفتنة، وذلك بعد أن أمر محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود بقتل الأمير عثمان بن معمر واغتياله وهو يُصلي في مسجد العيينة، ثم بدأ التنافس والصراع الدموي بين أفراد آل معمر الباقين، ثم جاء محمد بن عبد الوهاب للعيينة بنفسه وأمر بهدم قصر آل معمر وتشريد كل من لا يتبع المذهب الوهابي، فهجرها أهلها وأصبحت أثرًا بعد حين.

وعن أسباب تدمير مدينة العيينة، والتي قام محمد بن عبد الوهاب بنفسه كما هو معلوم بتدميرها، بعد أن قام بهدم قصر آل معمر ومن ثم أجلى بقاياهم من العيينة، يذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف في كتابه "وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م" رواية وهابية ركيكة تكاد تكون مُضحكة كنوع من التبرير يتداولها الناس عن سبب تدمير تلك المدينة التي كانت تُنافس الدرعية، ولا يُلام بالجريف عما نقله لأنهُ مُجرد مدون لما يسمعه من الوهابيين أنفسهم، علمًا أنهُ يسخر من تلك الرواية، ويبدو أن الوهابيين أصروا على ترويج تلك الفرية كي يغطوا على جريمة شيخهم ابن عبد الوهاب وإعطاء رواية مُغايرة للحقيقة حتى يطمسوا حقيقة ما جرى للعيينة، حيث ينقل بالجريف في كتابه عن تلك الفرية المُضحكة قائلاً:

«وقد تزامن تقدم الحركة الوهابية مع انهيار وتدمير العيينة، ذلك الحدث الذي لم ينجم عن الحرب أو التآمر، حسب ما قيل لي، وإنما بفعل أسباب داخلية وبسبب التحلل الذي يُصاحب الحكم السيئ والاستبداد إن آجلاً أم عاجلاً، وحادث انهيار العيينة هذا، يُعتبر تاريخي بحد ذاته، غير أن المؤرخين النجديين جسدوه على شكل أسطورة شعبية، سوف أوردها هنا لأنها تساعد على تفسير الكثير من تحول العقل العربي برغم أني لا أعلق عليها بعد ذلك، أية أهمية تذكر. وتدور أحداث هذه الأسطورة الشعبية على النحو التالي: ذات مساء وبينما كان (الأمير) عثمان بن معمر خارج العيينة في رحلة صيد بصحبة مجموعة من الأعيان والحراس، قابل ابن معمر عند بوابة المدينة صبيًا مسكينًا، وهو الابن الوحيد لأرملة من الأرامل، كان يحمل على ظهره

حزمة من الحطب كان قد جمعها وحضر لبيعها في السوق. كان ابن معمر يتمنطق بسيف جديد لم يستعمله بعد، وعندما رأى ابن معمر ذلك الصبي، التفت إلى حاشيته، وعرض عليهم نكتة سخيفة، تقضي بأن يُجرِّب سيفه الجديد في ذلك الصبي الفلاح الموجود أمامهم! ولم يرتفع صوت أحد من تلك الحاشية مُعترضًا على هذا العرض البربري! وهنا يلكز ابن معمر جواده ليتقدم إلى الأمام، ثم يستل سيفه ويقطع الصبي إلى قسمين بضربه واحدة!! وكانت والدة الصبي المُسنة قد شاهدت هذا العمل البربري، من مسافة قريبة، وتقدمت الأم المُسنة ووقفت أمام جواد هذا الطاغية، ورفعت يديها إلى السماء ودعت الله أن ينتقم لها من ابن معمر ومن سلالته، واعتبارًا من تلك اللحظة؛ هكذا تقول الرواية؛ نضبت جميع الآبار الموجودة في الوادي، وذبلت البساتين وفي أقل من عام هلك الأمير هو وكل عائلته لأسباب غير معروفة! في حين تشتت أهل العيينة في كل أنحاء الأرض، وتركوا عاصمتهم المُدمرة تذكارًا أبديًا على الجريمة والعقاب!!».[۞]

بينما يروي لنا المُعارض الحائلي الشهير لنظام آل سعود، المُناضل ناصر السعيد في كتابه "تاريخ آل سعود" تبريرًا هزيلاً ومُضحكًا يسوقه آل سعود وآل الشيخ على أتباعهم ومُريديهم السُذج وذلك من خلال كتبهم الوهابية، مُتنصلين من جرمهم التاريخي في تدمير بلدة العيينة وتشريد أهلها، ومعزين السبب في فناء العيينة إلى ترهات وهرطقات مضحكة لا يُصدقها حتى المجانين، فيذكر لنا ناصر السعيد نقلاً عن مؤرخيهم قائلاً:

« وإنما المضحك المبكي أيضًا هو أن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود قد كتبا كذبًا لا تصدقها حتّى عقول الأطفال وما زالت في كتبهما الصفراء وأسطورتهما الكاذبة يعرفها أبناء شعبنا في نجد وتدرس أيضًا في المدارس تبريرًا من آل سعود وآل الشيخ لإفناء بلدة العيينة بكاملها ، حينما قال محمد بن

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

عبد الوهاب: (إن الله سبحانه وتعالى قد صب جام غضبه على العيينة وأهلها وأفناهم تطهيرًا لذنبوهم وغضبًا على ما قاله حاكم العيينة عثمان بن معمر، فقد قيل لحاكم العيينة بأن الجراد آت إلى بلادنا ونحن نخشى من أن يأكل الجراد زراعتنا، فأجاب حاكم العيينة قائلا ساخرًا من الجراد: سنخرج على الجراد دجاجنا فتأكله، وبهذا غضب الله سبحانه لسخرية الحاكم بالجراد وهو آية من آيات الله لا يجوز السخرية منها، ولهذا أرسل الله الجراد على بلدة العيينة فأهلكها عن أخرها!». ۞ - انتهى الاقتباس -

بينما الكل يعرف حقيقة ما جرى لابن معمر ويعلم الجميع من هو الذي أفتى بقتل الأمير عثمان بن معمر، وكيف قُتل وأين قُتل ولماذا قُتل، وأن كل تلك الروايات الهزيلة والسقيمة التي كان يُروجها الوهابيون لكي يبرروا جرائمهم ويبيحوا فعلتهم في تدمير العيينة، ويحللوا جريمة قتل وتشريد أهلها.

وعن بقايا وأطلال بلدة العيينة يُخبرنا المُقيم البريطاني الـ" ليفتانت كولونيل لويس بلي" الذي كان قد مرَّ بها وهو في طريقه إلى الرياض لغرض الاجتماع بـ فيصل بن تركي، أي بعد عدة عقود من التدمير والاندراس، حيث يصف لويس بلي مدينة العيينة قائلاً:

«وقد دخلنا إلى ذلك الوادي (وادي حنيفة) على وجه التحديد من المكان الذي تنتشر فيه (خرائب) بلدة العيينة المُتهدمة على طول بطن الوادي. وهذه البلدة التي تمتد أطلالها إلى مسافة طويلة؛ كانت العاصمة لسلالة بني عامر Beni Amer (يقصد "لويس بلي" آل معمر) كما أنها تدعي أيضًا بأنها المكان الذي وُلد فيه مؤسس الدين الوهابي. لقد كانت الأطلال تمتد في مجموعات متفرقة وتُغطي كل بطن الوادي على كِلا جانبي مسيلة الحصوي. إن عرض الوادي؛ على أية حال؛ لا يتجاوز عدة مئات من الياردات. بالرغم من أن البيوت مهجورة ، إلا أنها في الغالب لا تزال قائمة. كما أن بعض أشجار الجوى أو

---

۞ كتاب : تاريخ آل سعود \ تأليف: ناصر السعيد.

الأشجار الأخرى قد أضفت على المكان منظرًا خلابًا ومظهرًا حيًا. فعندما تنظر إلى المكان لأول وهلةٍ من المُرتفع، فإنهُ يُخيل إليك أنهُ مازال مسكونًا. إن مجهودًا عظيمًا كان قد بُذل في وقت من الأوقات للتحكم بمياه السيول التي تجري بعد هطول الأمطار عبر الوادي بعمق عدة أقدام، ومن ثم تخترق قلب البلدة من البداية للنهاية. وكانت جدران حاجزة من الحجر الجبري المُشذب، وكان بدون ملاط، تتبع مجرى السيل، وهي حالة لا بأس بها. وكانت تلك الجدران تعاود الظهور بين الحين والآخر لمسافة تقرب الميلين. لقد كانت حواف الجدران الحاجزة ممهدة تشبه رصيف الميناء، الذي بُنيت على طوله بيوت البلدة القديمة. ويقع الحصن أو القلعة القديمة الذي يُقيم فيه الرئيس في واحد من الفُرج الشرقية للوادي، محصورًا بين مُرتفعات العارض ومجري السيل. وقد وجدنا فلاحين أو ثلاثة فقط بين تلك الأطلال. وكان هؤلاء يسكنون في المنطقة السُفلى من البلدة، حيث كانوا يزرعون واحدة أو اثنتين من المزارع القديمة بمحصول جيد من الذرة. وكانوا يسقون هذه المزارع بواسطة زوج من الدواليب الفارسية (السواني). لقد كان الفلاحون مُهذبين، فنزلنا في مزرعتهم، حيث استرحنا هناك لمدة ساعة أو ما يُقاربها، وجددنا نشاطنا بشرب حليب الإبل. فسألنا الفلاحون من أين أتينا وإلى أين نحن ذاهبون؟ فلمَّا أخبرناهم بأننا إنجليز ذاهبون لمُقابلة فيصل، فبدا عليهم عدم القدرة على فهم منطق تلك المُقابلة».۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف : الليفتنانت كولونيل لويس بلي.

## ▪ ما بين حادثة سُراقة وحادثة الفرِيِّد:

درج الوهابيون على سرد قصص وروايات مشهورة وتدبيج حكايات خيالية ثم ينسبونها إلى محمد بن عبد الوهاب، حيث تعودوا على أن يضفوا عليه نوعًا من الهالة والتقديس، ويصفوه بصفات ومآثر الصحابة والتابعين بعد أن يُجيروا تلك الحوادث والمواقف النبيلة ويختمونها باسم ابن عبد الوهاب، فمرة تراهم ينسبون له حوادث تاريخية معروفة سبقهُ الرسول ﷺ عليها بعدة قرون؛ كما في حالة رجم تلك الزانية، ومرة تجدهم يصورونه وكأنه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه حينما كان يوزع طعام بيته على الفقراء والمساكين ويترك أهل بيته بدون زاد يتضورون جوعًا، وأخرى يجعلون محمد بن عبد الوهاب في مصاف سائر الرسل والأنبياء، ولكن سرعان ما تخونهم تعابيرهم وتفضحهم ألسنتهم فيكشفوا سر صاحبهم ويبينوا جرائمه الدموية بحق الأبرياء من عامة المُسلمين؛ وخاصةً البدو منهم، فيروي لنا مثلاً صاحب مخطوطة "كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب" عن مآثر وسجايا محمد بن عبد الوهاب فيقول:

«وكان الشيخ رحمه الله عظيم الجهاد. وكان لا ينام الليل من الجهاد. وكان رجلاً كريمًا في ذاته، قويًا للقتال. وكان يأمر قومه بالصبر على القتال. وكان يأمر بقتال الناس بالليل. وكان أكثر قتاله العرب (البدو) أصحاب بيوت الشعر، حتى أسلموا. وكان حين ظهور الإسلام (ظهور الوهابية) أصابهم جوع عظيم. وكان الشيخ لا يجد في بيته شيئًا من الجوع. وكان يُطعم الناس من بيته ويترك نفسه وأولاده. وكان رحمه الله شديدًا على الحرب يأمر الناس بالشجاعة. والله سبحانه أعلم بالصواب».[۞]

---

[۞] كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ ـ ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

ثم هل تذكرون حادثة سراقة بن مالك وفرسه الحرون وموقفه مع ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد ألف ودبج الوهابيين عدة قصص مزورة ومواقف شبيهة بمواقف الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كنوع من المُشابهة والتقديس، فقد نسج هؤلاء مثلاً رواية شبيهة بقصة سراقة مع الرسول الأعظم ﷺ، ولكن بطل قصتهم كان يُدعى الفريِّد (ينطق اسمه بتصغير الاسم كما يُنطق العويد) قيل إن الفريِّد هذا من قبيلة الظفير، لكن محور القصة تدور حول مُعجزات ومكرمات نبيهم الجديد محمد بن عبد الوهاب، لكن أولاً لنسرد حكاية سراقة مع الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم نعود لحكاية الفريّد مع محمد بن عبد الوهاب.

ففي حديث سراقة بن مالك رضي الله عنه قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذا أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفًا أسودة (مجموعة أشخاص) بالساحل أراها محمدًا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهى من وراء أكمة (ربوة مرتفعة أو تلة) فتسحبها عليّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر فخططت بزجهِ الأرض وخفضت عاليه (خططت أي أمسكت بأعلاه وجعلت أسفله في الأرض والزج حديده بأسفل الرمح – زيادة في التخفي) حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تُقربني حتى دنوت منهم (الرسول ﷺ وأبى بكر) فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت الأزلام فأستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره (تركهم وحال سبيلهم) فركبت فرسي وعصيت الأزلام حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبي بكر يكثر الالتفات، فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت

فلم تكد تخُرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثان (غبار) ساطع إلى السماء مثل الدخان فأستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له، إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال «أخف عنا» فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله ﷺ ورجع سراقة فوجد الناس مازالوا في طلب رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه فجعل يقول: قد أسترأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ها هنا (أي الجهة التي كان رسول الله ﷺ ذاهب إليها أمعانًا في إبعاد الخطر عنهم) فكان أول النهار جاهدًا عليهم (طالبًا لهم) وأخره حارسًا لهما.

تلك هي إذن حكاية سُراقة بن مالك مع الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، فما حكاية الفريد الظفيري مع نبي الوهابية الجديد؟

بعد أن طلب الأمير عثمان بن معمر من نزيله محمد بن عبد الوهاب أن يُغادر العيينة وخاطبه بكل تقدير واحترام، وشرح له الإشكالية في أن حاكم الأحساء طلب منه أن يقتله، ولكن شيمته ومروءته ترفض أن يغدر بمن التجأ إليه وأصبح ضيفه ونسيبه، فأمره أن يُغادر بسلام، ويكفي العيينة شر غضب أمير الأحساء القوي المُتنفذ آنذاك، وقد جعله يُغادر العيينة بسلام وأرسل معه من الحرس من يؤمن له الطريق ويحميه. إلا أن الوهابية لا يحبذون أن يظهر عثمان بن معمر بمظهر الأمير الشهم النبيل، ولا يطيب لهم أن يظهر صاحبهم بمظهر الجبان المنبوذ المُطارد في كل مكان، فلابد إذن أن يبالغوا في السرد ويُبهروا الحكاية ويضيفوا لها بعض الكرامات والبطولات الوهمية والمُغامرات الزائفة، حتى يظهر صاحبهم في موقف الرسول المُصطفى بين خلقه والمحمي من السماء، ويَصفون رحلته تلك برحلة البطولة والتحدي وطرق مسالك الهدى ومهاوي الردى في سبيل دعوته!.

فألّفوا لنا حكاية مُضحكة في حينها، ربما روَّجوها بسبب جهل الناس وعدم إطلاعهم على سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وربما برروا لأنفسهم بالقول لا ضير من المُبالغة والتقليد، ولنا في سيرة الرسول أسوة حسنة، حتى ولو كانت الحادثة مُفبركة وملفقة، لأن من يقرأ حكاية محمد بن عبد الوهاب مع الفارس الفريد، يشعر أنها سرد مُقلد ونسخ مُفند وتقليد مشوه لحكاية سراقة مع الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام!. حيث يذكر المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد في تاريخ حول تلك الحادثة بعد أن أمر محمد بن عبد الوهاب بمُغادرة الدرعية ما نصه:

« فأمر عثمان بن معمر فارسًا عنده يقال له الفريِّد مع خيالة منهم طوالة الحمراني. وقال اركب جوادك وسرْ بهذا الرجل إلى ما يريد، فقال محمد بن عبد الوهاب: أريد الدرعية. فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه، وليس معه إلا المروحة، وذلك في غاية الحر في فصل الصيف. فقال ابن معمر لفارسه الفريد: إذا أنت وصلت إلى "أخيه يعقوب" فاقتله عنده، وكان (موقع) يعقوب هذا رجلاً صالحًا قتل ظلمًا بين الدرعية والعيينة وجعل في غار جبل هناك على قارعة الطريق. ونسب الشيخ إلى أخوته لأجل الصلاح. فسار الفارس (الفريِّد) والشيخ أمامه وهو لا يلتفت ويلهج بقوله تعالى: ( *وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ* )(*) وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والفارس لم يكلمه. فلما همَّ (الفريِّد) بقتله؛ كفَّ الله عنه يده وأبطل كيده وقذف الله سبحانه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدما، فحرف جواده وأنصرف إلى العيينة، وقال لعثمان بن معمر لقد أصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي».۞ - انتهت رواية ابن بشر -

وللعلم فإن تدوين هذا الكتاب الخاص بعثمان بن بشر "عنوان المجد في تاريخ نجد" قد تمَّ تدوينه قبل حوالي قرن ونصف من الزمان.

---

(*) نسي عثمان بن بشر أن يكتب – له – وربما سقطت سهوًا في كتابة سياق الآية الكريمة: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)، فقمت بإضافتها.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**ونأتي الآن للتعليق على تلك الرواية المُستنسخة من رواية سراقة بن مالك: فمن خلال رواية ابن بشر نكتشف عدة ثغرات وضعف واضح في تلك الرواية الملفقة، فبالإضافة إلى أنها نسخة نجدية مُقلدة وغير محبوكة من حكاية سراقة الأصلية مع الرسول ﷺ فإن تلك الحكاية يشوبها الخلل والضعف وتثير عددًا من التساؤلات المنطقية في حال فرضنا جدلاً أنها حدثت فعلاً وأن وقائعها حقيقية...**

**ـ أولاً : ما الذي يدعو الأمير عثمان بن معمر لأن يسمح لمحمد بن عبد الوهاب أن يُغادر العيينة بسلام وأمام ناظريه وبنصيحة منه شخصيًا، ثم يحرِّض فرسانه كي يغدروا به قرب منطقة تسمى بـ"أخيه يعقوب"؟.**

**ثم يُحاول ابن بشر أن يربط بين حكاية الرجل الصالح يعقوب الذي قتل ظلمًا وعدوانًا وبين تقوى وصلاح محمد بن عبد الوهاب الذي نجى من غدر ابن معمر وغيلة فارسه الفريّد الظفيري، مع أنهُ كان الأحرى بالأمير عثمان بن معمر عقلاً ومنطقًا لو كان فعلاً ينوي قتل محمد بن عبد الوهاب، كان عليه أن يقتله في العيينة وهو بين يديه وتحت سلطته، ومن ثم يُثبت لحاكم الأحساء أنهُ أطاع أمره ونفذ رغبته، وهذا سيعطيه مكانة مميزة لدى ابن غرير، أو على الأقل يُسلمه إلى حاكم الأحساء ويريح نفسه ويتخلص منه ومن شره، وحينها سيتحمل ابن غرير مسؤولية ما يجري لمحمد بن عبد الوهاب.**

**ـ ثانيًا : لم يذكر لنا مؤرخو الوهابية سواء كان عثمان بن بشر أو حسين بن غنام، هل غادر محمد بن عبد الوهاب ذلك اليوم بلدة العيينة مع زوجته الجوهرة بنت معمر، أم طلقها أو تركها خلفه، وكيف قبل الأمير عثمان بن معمر بأن يقتل صهرهم وأن تُرمل عمته، وهو أصلاً من قام بتزويجها لمحمد بن عبد الوهاب؟**

**ـ ثالثًا : هل نسي عثمان بن بشر أنهُ ذكر أصلاً في نص الرواية نفسها، أن هنالك أكثر من فارس قد رافقوا محمد بن عبد الوهاب في رحلته، وهذا دليل**

قاطع وشهادة لعثمان بن معمر، أن الرجل كان حريصًا على سلامة محمد بن عبد الوهاب، ويخشى على حياته فآثر سلامته، حيث كان يخاف أن يُفتك به الأعداء أو اللصوص في الطريق، سواء كانوا من قبل أهل العيينة الموتورين منه، أو من قبل رجال ابن غرير، أو حتى من قبل قاطعي الطرق، فيحمل هو العار لمقتل ضيفه وزوج عمته، لذلك أرسل معه ثلة من الفرسان لحمايته، كان من بينهم الفريد الظفيري، وذكر شخصًا آخر يدعى طوالة الحمراني، وغيرهم، فلماذا لم يستطع الباقون قتل محمد بن عبد الوهاب إذا كان الفريّد قد تخاذل وخاف وتهاون، فما بال الآخرين لم يقدموا على تنفيذ تلك المهمة الخطيرة التي زعموا أن ابن معمر أوكلهم بها؟!

إذن الغرض من تلك الرواية السخيفة والسمجة كان لأمرين، الأول هو إظهار مكرمات ومقدرات نبيهم الجديد، وذلك بالقول إن محمد بن عبد الوهاب بثَّ الرعب في قلوب أعدائه، فأصابهم بالخوف والهلع، كما فعل الرسول الكريم ﷺ بسراقة وفرسه، والأمر الآخر هو إدانة وتخوين الأمير عثمان بن معمر حتى يُبرروا لاحقًا حادثة اغتياله في أحد بيوت الله، وإظهاره كرجل لئيم وغادر ومارق وخائن للعهود والوعود، وبأنه متآمر وخبيث، وكاد أن يفتك بنبيهم الجديد، لولا رعاية الله وإيمان شيخهم صاحب المكرمات.

ولا تنتهي عملية التشبيه والمُقارنة عند حادثة سراقة مع الرسول ﷺ، بل إنهم وجدوا حكايات أخرى مُشابهة لسير ومواقف الرسول الكريم ﷺ، فعلى سبيل المثال هنالك حكاية الزانية التائبة التي أرادت أن تتطهر من الذنب من خلال تطبيق حد الرجم عليها، فصدَّ عنها الرسول أكثر من مرة لعلها تنتهي ولا تعود إليه مرة أخرى، والقصة معروفة، حيث جاءت زانية تائبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبت منه أن يطهرها بعد أن حملت سفاحًا، فأمرها الرسول ﷺ أن ترجع بعد أن تضع مولودها. ثم رجعت بعد أيام وهي تحمل طفلها وطلبت من الرسول ﷺ أن يطهرها. فأمرها الرسول بالذهاب وعدم العودة إليه إلا بعد أن تفطم رضيعها ...الخ. وبقية الحكاية معروفة.

**لكننا نجد أن أتباع محمد بن عبد الوهاب وعلى رأسهم حسين بن غنام قد صاغوا لنا ذات الحكاية وعلى نفس المنوال ولكن بتحوير بسيط جدًا لتتواءم مع عدالة ورحمة نبيهم الجديد حيث يذكر ابن غنام في كتابه ما نصه:**
**« أن امرأة من أهل العيينة زنت فأقرَّت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعًا، فأعرض الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مرارًا، فسأل الشيخ عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته فأمهلها أيامًا رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل مُستمرة على إقرارها بذلك، فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات، فأمر الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع، فخرج الوالي عثمان وجماعة من المُسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان المذكور، فلما ماتت أمر أن يغسلوها وأن تُكفن ويُصلى عليها».** ۞

**لاحظ في النص أعلاه أن حسين غنام قد بادر في تلك الرواية إلى الزج باسم الأمير عثمان بن معمر على رأس هؤلاء الراجمين لتلك المرأة الزانية المزعومة، وقال إنهُ أول من بادر إلى رجمها وكأنهُ يُريد أن يوحي للقارئ بأن ابن معمر هو من يتحمل تلك المسؤولية الأخلاقية، ويتناسى حسين بن غنام أن تلك الرواية تصب في صالح الأمير عثمان بن معمر وتُدين خصومه المُتنطعين، حيث تُثبت للقراء أن هذا الرجل الذي اتهموه بخيانة الدين والتآمر مع المُشركين، كان مُسلمًا موحدًا ومؤمنًا بالله ورسوله ومطبقًا للشرع الإسلامي الحنيف، والدليل أنهم يذكرون في مصادرهم التاريخية أنهُ نفذ حكم القصاص في زانية، بعد أن أفتى برجمها محمد بن عبد الوهاب نفسه، وسبق وأن سمح له بهدم القبور التي كانت تثير جنون الوهابيين، ومع هذا خانوا الرجل وغدروا به وسفكوا دمه في محراب مسجده وهو يُصلي الجمعة!.**

---

**۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده**

ثم نأتي لحكاية وهابية أخرى ترددت في تلك الفترة ونُقارنها بإحدى السير النبوية، وهي مُحاولة قريش ثني الرسول ﷺ عن دعوته الربانية والتنازل عن رسالته مُقابل أن يزيدوا ماله وإذا رغب نصبوه ملكًا عليهم، وكلنا يذكر موقف الرسول ﷺ الثابت والصارم، وذلك حين وقف أبو طالب عم الرسول الكريم ﷺ وأشراف قومه يفاوضوه في بداية دعوته بغرض ثنيه عن المضي قدمًا في الدعوة إلى الله ونشر رسالته السماوية التي أمره الله بها. فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ، فلما جاء قال له: يا بن أخي! إن قومك قد جاءوني، وقالوا كذا وكذا فأَبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تُحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك، فقال النبي ﷺ لعمه:(والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه) فقال أبو طالب: امضِ على أمرك وافعل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدًا.

فنجد نفس الحكاية تقريبًا تتردد في ذلك الزمان ولكن بشكل آخر وبصورة أقل بريقًا وبعروض أقل سخاءً وأدنى درجة من عروض قريش للرسول الكريم، حيث يذكر لنا صاحب كتاب لمع الشهاب قائلاً:

« حُكي أنهُ جاء يومًا قبل السياحة مجلس قوم يتحدثون بأحوال الدنيا وجمع المال وأن حصول التفنن في المعاش به. قال رجل منهم اسمه سليمان بن راشد العنيزي، وكان رجلاً تاجرًا مشهورًا بالخير في تلك الناحية، لمحمد بن عبد الوهاب: أنت رجل قليل المال وكثير العيال، وكان تحت محمد بن عبد الوهاب حينئذٍ ثلاثة نسوة، وابنان وبنتان، وقال هذا أعطيك كذا وكذا قدرًا من مالي خذه، فسافر به إلى بلد الروم إلى نواحي حلب والشام، ولك في المضاربة النصف من النفع، وإن كان غيرك يُعطى الثلث، ولكن كرامة لك، فأشاروا عليه أهل المجلس قاطبة بقبول ذلك العرض وبالسَير فيه، فلم يقبل وقال: إن اشتغلت بالتجارة بقيت بأسر الذل والطمع، وفاتني فراغ البال في

تحصيل العلم والعمل، مع أن الرزاق يُهيئ الرزق فلا أسعى في طلبه بوجه مُلهي ومُتعب». ۞ -انتهى الاقتباس-

ويا ليته فعل واستمع لنصيحة العنيزي فعمل بالتجارة وترك خلق الله في حالهم، وسلموا بدمائهم وأعراضهم وأموالهم من شره وبطشه وشر شركائه المجرمين من آل سعود.

وقد استمرت عملية التشبيه والمُقاربة بين سيرة الرسول ﷺ، وبين سيرة محمد بن عبد الوهاب، من قبل أحفاده وأتباعه ومُريديه لغرض التنزيه ورسم هالة من القدسية حوله ووضعه في مصافي الرسل والأنبياء، بل إن أحد أحفاد محمد بن عبد الوهاب الأوائل المدعو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، لم يتورع من تشبيه جده بالأنبياء والرسل، عندما زعم أن الله سبحانه وتعالى قد أقام جده محمد بن عبد الوهاب مقام الرسل والأنبياء، وأن الله قد رحم من آواه ونصره - يقصد محمد بن سعود -ونسي غدر جده بأول من أواه وحماه وأكرمه وزوَّجه، وشبَّه ما جرى بين جده محمد بن عبد الوهاب وبين محمد بن سعود، أنهُ شبيه ما جرى بين الرسول الكريم وبين الأنصار في بيعة العقبة!!

حيث يذكر عثمان بن بشر عن تلك الهرطقة آل الشيخية في رسالة لحفيد محمد بن عبد الوهاب المدعو عبد الرحمن بن حسن، كان قد أرسلها له، ووضعها في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد، حيث جاء في مُقتطفات من تلك الرسالة: « فما زاد محمد إلا قوة وصلابة في دينه على ضعف منه وقلة في العدد والعدة وكثرة من عدوهم وذلك من نعمة الله علينا وعليكم، فرحم الله هذا الشيخ الذي أقامه الله مقام رسله وأنبيائه في الدعوة إلى دينه، ورحم الله من آواه ونصره فلله الحمد على ذلك. وفيما جرى من ابن سعود شبه ما جرى من الأنصار في بيعة العقبة». ۞۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

۞۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

- **تقاسم الغنيمة بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود:**

سعى محمد بن عبد الوهاب منذ أن أدرك عقدة النقص لديه والتي كان محورها يدور في كون بلد العيينة التي ولد فيها ونشأ هي في الأصل كانت أرضًا لموقعة دامية عرفت بمعركة اليمامة والتي دارت رحاها بين المُسلمين صحابة الرسول ﷺ وبين المرتدين الكفار بقيادة مُسيلمة الكذَّاب وأتباعه من بني حنيفة، وأن خيار الصحابة قد قتلوا في تلك الموقعة الدموية الفاصلة، ويبدو أن محمد بن عبد الوهاب كان يحمل عُقدة مكانية وزمانية أيضًا، حيث كان يرى مشكلة في كونه ولد في قرية صغيرة جدًا تشاء الظروف أن تحمل إثمًا عبر التاريخ، وتكون مقرًا لدجال زمانه مُسيلمة الكذَّاب وصحبه.
فأراد أن يمحو تلك الصورة النمطية المُلطخة بالعار، وقد سعى وبحث عن أنصار نافذين يبشرهم بالغنائم والأسلاب إذا ما ناصروه، ويعني طبعًا عن طريق عمليات السطو المسلح والسلب والنهب، وكان يبحث عن أتباع مُطيعين ليعينوه في محو تلك الصورة النمطية أو لنقل ذلك التاريخ المخزي للمنطقة ولبلدته العيينة تحديدًا، وقد كان أمير العيينة عثمان بن معمر أول هؤلاء الأنصار المُتنفذين المُغرر بهم، لكنه سرعان ما سئم من تصرفات محمد بن عبد الوهاب، ووصل معه لطريق مسدود بسبب إيغال ضيفه في دعاوى التكفير، وكذلك بسبب التهديدات المُستمرة والموجهة إليه من قبل حاكم الأحساء ابن غرير.

لم ييأس محمد بن عبد الوهاب حينما تخلى عنه الأمير عثمان بن معمر، فذهب إلى الدرعية ليبحث له عنه حليف نافذ جديد، يُحقق به أهدافه ويرسخ به مشروعه الشخصي، فقد كان محمد بن عبد الوهاب في الحقيقة يبحث عن مجد شخصي من خلال تحقيق مشروع ديني خاص به يصله إلى سدة القرار الديني حيث كان يطمح بالوصول إلى نتائج ملموسة ومكانة مرموقة عن طريق أداة عسكرية ضاربة أو وسيلة سياسية ناجعة يسخِّرها لصالحه، ولا ضير من أن يمنح تلك الوسيلة المُساعدة أو الأداة الظرفية بعض الشراكة الصورية.

ويذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف في هذا الشأن قائلاً:
« لقد ذكر التاريخ المتقدم للفرقة الوهابية في المجلد الأول الذي يبدو كافيًا للقارئ لإظهار العدوانية والغزو عند محمد بن عبد الوهاب وأتباعه وقائد آل سعود. وأن هذين الرجلين ومن بعدهم ـ وهم أشد حماسة ـ لديهم رؤية ليس لإيجاد فرقة دينية، ولكن لتأسيس إمبراطورية، وليس لتحويل جيرانهم إلى معتقدهم، بل لإخضاعهم». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

كما يذكر لنا جون جوردن لوريمر في كتابه "دليل الخليج" أن الحركة الوهابية وإن خرجت كدعوة دينية لكنها سرعان ما تحولت إلى حركة سياسية دنيوية طامعة، حيث يقول: «بدأت حركة الوهابيين في وسط الجزيرة حوالي منتصف القرن الثامن عشر، ورغم أنها بدأت كـ جماعة دينية، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى حركة سياسية دنيوية، وكانت نتيجتها قيام دولة مُتعصبة عدوانية. بل دولة نهابة أيضًا، تذرعت بوسائل الدين لكي تسلب وتنهب وترتكب المذابح في البلاد التي تجاورها، والتي أخفقت في التصدي للوهابيين بالنظر إلى فقدانها الحماسة والتنظيم العسكري. وقبل بداية الفترة التي نتعرض لها الآن، كان الوهابيون قد بدأوا من جهات مُتعاكسة يشنون الحرب على شريف مكة، ويُضايقون شيخ الكويت، واستطاعوا أيضًا السيطرة على جزء من إقليم الأحساء الذي كان يحكمه بنو خالد على الضفة الغربية من الخليج. وقد أرسل باشا بغداد حملة عليهم سنة ١٧٩٨م، لأن حدوده المواجهة لصحراء العرب، ظلت تتعرض لغاراتهم زمنًا طويلاً. ووصلت حملته إلى واحة الأحساء لكنها لم تتقدم إلى أبعد منها باتجاه عاصمتهم الدرعية، وقد أحدقت بالقائد التركي لدى انسحابه إلى العراق قوات كبيرة من الوهابيين، وعقدت بين الطرفين هدنة لمدة ٦ سنوات صدَّق عليها باشا بغداد فيما بعد، لكن الوهابيين لم يلتزموا بها. وفي سنة ١٨٠١م فوجئت مدينة كربلاء البعيدة في العراق التركي؛ وفيها

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

**محج الشيعة للحسين (رضي الله عنه)؛ بهجوم ساحق من جانب الوهابيين الذين أوقعوا مجزرة رهيبة بالسكان العُزل بعد أن تمَّ لهم الاستيلاء على المدينة، وقد أثارت الحادثة سخطًا عظيمًا في إيران على باشا بغداد لافتقاره إلى اليقظة والحذر».** ۞

**كما شملت غزوات الوهابيين على القوافل ومواكب الحجيج المارة عبر الجزيرة العربية ومن ثم قتلهم وسلبهم أموالهم ومتاعهم وكانت تلك الأسلاب تعتبر حلالاً زلالاً في شرع هؤلاء الخوارج الجُدد، بل كانوا يعتبرون أي عملية سلب أو نهب لعابري السبيل هي عبارة عن فيء من فيوء إسلامهم الجديد، فيذكر لنا حسين بن غنام مثلاً عن إحدى غزوات الوهابيين على إحدى القوافل التجارية القادمة من العراق إلى أهل حائل والتي كانت تحمل الطعام والكسوة، فيقول: « ثم دخلت السنة التي هي للمائة ختام وبها يكون الثاني عشر للقرون تمام ١٢٠٠هـ: وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومعه من عنزة فرقان، فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان قَّأم لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه، فتلقاهم بغارة مُزعجة مرهقة وأسنة ماضية للأرواح مزهقة فطاعنوا ساعة وحينًا ثم انكشفوا بعد ذلك انكشافًا رهينًا وكان كل منهم للذلة موثقًا رهينًا فغنم المسلمون تلك الأموال واستاقوا جميع الأعمال وقتلوا عددًا من الرجال».** ۞۞

**وعن نفس تلك الغزوة التي شنها حجيلان على تلك الحدرة يذكر الرواية عبد الرحمن المرشدي فيقول: « وفي سنة ١٢٠٠هـ: غزا أمير بريدة حجيلان بن حمد بلدة بقعا في جبل شمر ومعه أهل القصيم وناس من قبيلة عنزة واستولوا**

---

۞ **كتاب : دليل الخليج \ تأليف : جون جوردون لوريمر.**

۞۞ **كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ ـ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده**

على حدرة (قافلة) لأهل الجبل -أهل حائل- كانت قادمة من البصرة ومن سوق الشيوخ في العراق، وذبحوا بعض الجماميل وبعض حراس الحدرة».۞

ناهيك عن تلك الغرامات المالية الكبيرة التي فرضها الوهابيون على القبائل البدوية مرة بحجة عدم دخولهم طائعين في الإسلام، ومرة أخرى بزعم ارتدادهم عن الدين الوهابي، وأطلقوا عليها مُصطلح النكال فكانت تلك الأموال أو الخاوات التي تُجبى من البدو تعتبر مصدرًا ماليًا مُهمًا لشركاء المشروع الوهابي، فقد فرضوا غرامات على كل خيمة لبدوي وسنُّوا ضرائب باهظة على كل عشيرة أو سلف من أسلاف البادية.

وعن ذلك النكال الضريبي الذي كان يفرضه عبد العزيز بن محمد بن سعود على البدو يذكر لنا المؤرخ الوهابي حسين بن غنام، قائلاً:

« ثم دخلت السنة الثانية عشر بعد المائتين والألف ١٢١٢هـ: وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الواسطة حمود بن ربيعان، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكال فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئًا من الدراهم وعلى كل سلف ركابًا وسلاحًا وخيلاً جيادًا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزغوا إلى طريق المُبطلين، وكان التنكيل بالمال مما لا خفاء في جوازه ولا إشكال والمُعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة، وكانت هذه سُنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمُسلمين ارتباط، وفي الإسلام رغبة واغتباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتبان، ولم يبق ممن يسيم مواشي الآبال في تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ». ۞۞

---

۞ تسجيل صوتي مُفرغ من شريط كاسيت للراوية الحائلي المعروف عبد الرحمن المرشد- عن تاريخ حائل.

۞۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وقد جاء في تعليق أستاذ علم الاجتماع العراقي الدكتور الراحل علي الوردي، لبعض ما جاء في كتاب عثمان بن سند في تفسيره حول تراجع الوهابية بسبب اتخاذها لمبدأ التكفير، وكيف يُعزي أسباب استتباب الأمن في نجد لظهور الدعوة الوهابية، والوردي هنا يأخذ بنفس الرأي الذي أخذتُ به والذي يقول، إن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود هما أول من شرعن وأحلَّ عمليات السلب والنهب المُمنهجة، ولكنهما وجهاها نحو خارج حدود بلدة الدرعية في بداية الأمر، وهنا جعلوا أتباعهم في مأمن والآخرين أهداف مشروعة للسلب والنهب والقتل، ثم لما استحوذا على البلدات المُجاورة للدرعية، وسَّعا عمليات السلب والنهب وأتجها بها إلى خارج حدود نجد، وذلك بعد أن ضمَّا جميع المناطق ودانت لهما الحجاز بمكتها ومدينتها، فتوجها لاحقًا إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية. وهكذا أصبحت عمليات السلب والنهب تتم وفق عقيدة مُمنهجة وتنفذ من خلال جيوش مُدربة تقتل وتسلب وتنهب وتستبيح الآخرين باسم الإسلام الوهابي. وعن هذا الرأي يقول الدكتور علي الوردي:

« إن هذا القول الذي جاء به ابن سند هو تحليل اجتماعي لا بأس به، ولكننا نستطيع مناقشته من ناحيتين: الأول أنهُ اعتبر نزعة التكفير لدى الوهابيين من أسباب فشلهم وبغض الأمم لهم، وقد نسي أن هذه النزعة هي التي أعطتهم الحجة المشروعة لقتال المُخالفين لهم، ولولاها لما تهافتت القبائل البدوية على الدخول في الدعوة وأبدت ذلك الحماس المنقطع النظير. ومن الناحية الثانية يقول ابن سند إن قسوة الوهابيين في تأديب الناهب (السارق) والقاتل هي التي أمنت الطرق في الصحراء، وهذا رأي لا يخلو من وجاهة، ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول إن القسوة في التأديب لا تكفي وحدها في هذا الشأن، فالبدو الذين قامت ثقافتهم الاجتماعية على الغزو والنهب منذ قديم الزمان، لا يمكن أن يتركوا ذلك ما لم يجدوا مجالاً آخر (بديل) يعوضهم عنه على وجه من الوجوه. والواقع أن الدعوة الوهابية أشغلت البدو بغزو أوسع

نطاقًا وأكثر غُنمًا مما كانوا قد اعتادوا عليه من قبل، إنها فتحت أمامهم المجال لغزو البلاد المُجاورة بدلاً من غزو بعضهم بعضًا، فانثالوا على تلك البلاد يغنمون منها ما لم يكن يحلمون به في غزواتهم السابقة، وذك بالإضافة إلى ما سوف يفوزون به من غنائم كبرى في "جنة الفردوس". إن البدو بوجه عام لا يمكن أن يتركوا عادة النهب والغزو ما داموا بدوًا، إنما تتحول تلك العادة عندهم من صورة إلى أخرى».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد كان أمير الرياض دهام بن دواس بن عبد الله آل شعلان يُعتبر من الخصوم السياسيين الأشداء لابن سعود وحلفائه، ولم يُكن خلافه معهم خلافًا دينيًا أو مذهبيًا، ومع هذا فقد كان ابن دواس من أوائل المُعارضين الأشداء للحركة الوهابية بدافع سياسي بحت وليس ديني أو مذهبي، والطريف في الأمر أن محمد بن سعود الذي كان يحكم الدرعية سبق له وأن دعا أمير الرياض دهام بن دواس إلى اعتناق الوهابية، وقد أنذره إذا لم يتبع دعوة ابن عبد الوهاب وحذره من عاقبة البقاء على الشرك والضلال المُبين، فسخر منه ابن دواس، وأوضح أن دعوته ليس لها علاقة بالدين لا من قريب ولا من بعيد، وتهكم منه قائلاً: «ومن هو ابن مقرن ليحمل مفاتيح الجنة وينذر الناس بالنار؟».

أما أمير الدلم زقم بن زيد بن زامل فقد قال عن أولئك الوهابيين الخوارج شعرًا مُتحديًا إياهم، فيقول:

| | |
|---|---|
| يـا ديرتـي جعلـك عـن الوبـل تـسعين | مـع مثلـها يـا دار تمحـي سمايـاك |
| عـساك وادٍ مـن جهـنم تـصيرين | وسـعاير(ن) تاكـل مـن أقـصاك لأدنـاك |
| إمـا حميتـك مـن خـوارج هـلَ الـدين | وإلا دفنـت في هبـوةٍ مـن هبايـاك |

[۞] كتاب : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث \ تأليف : الدكتور علي الوردي.

وقد نجح محمد بن عبد الوهاب فيما بعد مرحليًا في تحقيق ذلك الهدف السياسي – الديني الاستراتيجي ولكن تشاء الظروف أن يستحوذ ذلك الشريك الطارئ أو الطرف الثاني لاحقًا على جلِّ المشروع الوهابي، وتحول أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب إلى موظفين وأتباع مُسيرين مهمتهم الرئيسية أن يضفوا الشرعية على حكم ذلك الشريك النزغ الطامح الذي احتكر الدين والدنيا، وهذا ما لم يحسب له محمد بن عبد الوهاب أي حساب.

حيث تحول محمد بن عبد الوهاب في أخر أيامه لمرجعية دينية مُقدسة وكهنوت بابوي شبيه بمكانة الآيات والمراجع في الحوزات الشيعية، وربما بدأت تلك المرجعية الدينية ممثلة بمحمد بن عبد الوهاب تفقد حضورها ونفوذها الطاغي كسلطة مُطلقة في عهد الحفيد سعود بن عبد العزيز بن محمد، وبقيت تلك المرجعية الوهابية مجرد رمز وكهنوت ديني لنجد، بسبب تراجع صحة محمد بن عبد الوهاب، الذي أورث المنصب الديني لأبنائه من بعده، كما أورث محمد بن سعود السلطة السياسية الشاملة من بعده لولده عبد العزيز الذي ورَّثها بدوره لسعود، الذي أصبح يستأثر نوعًا ما بتلك الشركة وبات هو صاحب الدعوة الوهابية الفعلي، خصوصًا بعد أن توفي محمد بن عبد الوهاب وكذلك أُغتيل والده عبد العزيز فبات هو الحاكم الفعلي المُطلق، أما أبناء محمد بن عبد الوهاب وأحفاده، فقد استمروا في دائرة القرار وضمن حاشية البلاط السعودي يقضمون بعضًا من كعكة السلطة، ولكن اقتصر دورهم كمُستشارين وقضاة وأتباع انتهازيين مُتملقين حتى يومنا هذا.

وكانت درجة الأهمية بالنسبة لأبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب، أي ما يُسمى بأسرة آل الشيخ بالنسبة لآل سعود تعتمد في نفوذها على حسب الظروف القائمة، وترضخ تبعًا للتعقيدات السياسية الجارية، فإذا كانت ظروف الحاكم السعودي جيدة ومُستقرة يقوم الأمير السعودي بتهميش نفوذ أفراد تلك الأسرة الطفيلية التي تشاركه النفوذ بواسطة السلطة الدينية وتعتاش على أكتاف المواطنين من خلال الإرث الوهابي، وأما إذا كان الأمير السعودي

ضعيفًا أو مُهددًا بأخطار خارجية أو حتى داخلية، فتراه يتودد ويتذلل إلى تلك الأسرة الوصولية، مُستغلاً سمعتهم الدينية لدى الأتباع السذج والمُغيبين، وحينها فلن يُضيع أفراد تلك الأسرة الانتهازية الفرصة للثراء الفاحش أو لاسترجاع نفوذهم ودورهم المتراجع، فكان أفراد أسرة آل الشيخ يمرون بفترات مد وجزر خلال مراحل الحكم السعودي الوسيط الذي تلا عهد محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب.

فمثلاً عن أخبار أحفاد آل الشيخ في أواخر فترة حكم الضرير فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود، الذي اتسم في أواخر حكمه بالضعف والتخاذل، أي في عام ١٨٦٣م، حيث يذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف وضعهم الاجتماعي والمالي قائلاً: « وقد تبوأت أسرة آل الشيخ أعلى المناصب القضائية والدينية في الإمبراطورية الوهابية، وجمعت ثروات طائلة، نأمل أن تكون بالطرق المشروعة، وأعضاء أسرة آل الشيخ الذين يحذون حذو سلفهم العظيم، لهم نفوذ قوي في الدولة، ومع أنهم لا يتزينون بالألقاب التي تقتصر على أفراد السلطة المدنية والسلطة العسكرية، إلا أنهم في واقع الأمر، يحكمون حُكَّام المناطق». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما يذكر بالجريف أيضًا بنوع من التهكم والسخرية اللاذعة عن أحد أحفاد محمد بن عبد الوهاب، المدعو محمد بن عبد الرحمن، حيث يصفه بالجريف بـ(الحمار)، أي الغبي والمغفل، وبالرغم من بالجريف يشيد بشخصية شقيقه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ويصفه بأنه مؤدب وأن بيئة مصر قد أثَّرت على أفكاره وعقليته كثيرًا، إلا أنه كان يسخر كثيرًا من شقيقه محمد آل الشيخ، الذي كان قد التحق هو الآخر قريبًا إلى الرياض من مصر، بعد أن تمَّ نفيه مع بقية أفراد أسرته، وعلى عكس شقيقه عبد اللطيف فقد عاد محمد آل الشيخ من هناك وهو يتحدث بلهجة عامية مكسرة عبارة عن لهجة نجدية ـ مصرية

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

مُهجنة، وقد ذكرني محمد آل الشيخ هذا بأحد أحفاد محمد بن عبد الوهاب المُعاصرين، وهو المدعو محمد بن عبد اللطيف بن إبراهيم والشهير محليًا بـ(ناب)، ويبدو أن جد هذا الناب الحالي هو محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ الذي وصفه بالجريف في كتابه بـ"الحمار".

ويروي لنا بالجريف بعض من تفاهات حفيد بن عبد الوهاب المدعو محمد وهو شقيق عبد اللطيف بن عبد الرحمن الذي سيرد ذكره كثيرًا في الفتنة التي وقعت بين عبد الله بن فيصل وأخيه سعود، حيث يُحلل لنا بالجريف شخصية محمد آل الشيخ في كتابه، فيقول:

« وعبد اللطيف لا يُعد المثل الأوحد لأسرته، لأنه الأخ الأكبر من بين عدد كبير من الأشقاء، غير أنهم جميعًا أقل منه موهبة وعبقرية. وأصغر هؤلاء الأشقاء هو محمد، الذي كان شخصية "أصيلة". كان قد عاد لتوه من مصر، التي قضى فيها عامين بين طلبة القصر العيني، وكانت شخصيته ينطبق عليها المثل العربي الذي يقول: "ذهب حمارًا وعاد حمارًا"! كان محمد آل الشيخ ضيق الأفق، وضيق الصدر، محبًا لاكتناز المال في العشرين، مثل السير جون كتلر John Cutler عندما كان في الستين. وكان حاملاً لرذائل دخيلة من القاهرة ليُطعم بها رذائل الرياض، وكانت لهجته غير واضحة مثل ذلك الذي "فقد" خلال سني ترحاله "لغته الأصلية، ولم يكتسب شيئًا عوضًا عنها"، وقد كنت أشعر بأنس بالغ وأنا استمع إلى تجاربه المصرية، وتعليقه على العِرق الفرعوني، وهو يتكلم بشكل غير لائق عن (المصريين) سكان الدلتا العظيمة. لقد استطاع أن يتابع المُحاضرات التمهيدية في كلية الطب، ولكنه لم يفهم منها سوى القليل جدًا، وما أن حل في النهاية، موعد حضور مُقرر التشريح، ومُشاهدة عجائب "المشرحة"، حتى قال محمد آل الشيخ لنفسه، إن عقيدته لا تستوعب أو تهضم تلك الأعمال التي تتعارض مع الإسلام الصحيح، وترتب على ذلك أن ترك كلية الطب هي والعاصمة. كانت تلك هي روايته عن هذا

الموضوع! وأنا لدي شك فيما قال: إذ ربما كان الغباء أو سوء السلوك هما السبب الرئيسي وراء هذا الطرد الذي ألبسه محمد آل الشيخ قِناع الانسحاب المُحترم. والواقع أنه كان واحدًا من الوحوش الضارية التي أسعدني الحظ بلقائها، وقد شرفت بكراهيته لي وتلطيخ سمعتي».[۞] - انتهى الاقتباس -

ولو لاحظنا فيما ذكره وليام بالجريف في النص أعلاه، فنجد أن هذا الحمار محمد آل الشيخ كما أطلق عليه الرحالة الإنجليزي، كان يسخر ويحتقر العنصر أو من الجنس المصري، ويتكلم عليهم بشكل غير لائق وفظ، وربما يجهل وليام بالجريف السبب الحقيقي وراء ذلك الكره الدفين وتلك النقمة التي يظهرها محمد هذا، حفيد محمد بن عبد الوهاب ضد المصريين تحديدًا !.

الحقيقة أن أسرة آل الشيخ وأسرة آل سعود كانوا ومازالوا يبغضون المصريين وينقمون عليهم، لأن محمد علي باشا وأبنائه حُكَّام مصر، كسروا شوكة الوهابيين وهزموهم شر هزيمة، بل لقد ساووا عاصمتهم الدرعية بالأرض وأخذوا أغلب أفراد آل سعود وآل الشيخ كأسرى حرب إلى مصر، ومحمد هذا كان والده من ضمن الذين رُحلوا قسرًا إلى مصر مع أسرته، وقد يكون محمد من مواليد مصر أو ربما يكون قد رُحل مع والديه وهو في مرحلة الطفولة أو المراهقة، أي أن محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ربما يكون قد ولد أصلاً في المنفى المصري، ولهذا تجده يشعر بالحنق والغيظ والمرارة والكره لكل ما هو مصري، وبسبب تلك العقدة النفسية إثر هزيمة الوهابيين على يد المصريين ومن ثم جلبهم كأسرى إلى مصر، تجده ناقمًا جدًا على المصريين، وربما يعتقد أنهُ يستطيع أن يقتص منهم من خلال شتمهم أو الازدراء بهم.

علمًا أن المصريين قد أثروا كثيرًا في البيئة النجدية، سواء من خلال الاحتلال العسكري المُباشر، واندماج العسكر مع سكان نجد لفترة جاوزت الـ ٢٢ عامًا،

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

أو من خلال الثقافة التي حملها الحكام المنفيون معهم إلى نجد من البيئة المصرية، وأقصد أفراد أسرة آل سعود وآل الشيخ الذين عادوا لاحقًا من المنفى المصري، حيث أثروا كثيرًا في مفردات اللهجة النجدية فدخلت كلمات مصرية على مفردات اللهجة النجدية بسبب ذلك التواصل العسكري والتلاقح القسري؛ مثلما حصل في لهجات أهل الشام والعراق وحتى مصر حيث تأثرت تلك الشعوب كثيرًا بمُفردات اللغة التركية، وذلك بسبب سيطرة الأتراك وإداراتهم لتلك البلدان لفترات طويلة.

فمثلاً نجد أن هنالك مفردات مصرية كثيرة دخلت على مفردات اللهجة العامية في نجد وخصوصًا على لهجة سكان العارض، لم تكن موجودة أصلاً في الذاكرة النجدية، وقد ترسخت ومازلت مُتداولة لحد الآن في مفردات اللهجة النجدية لتلك المنطقة، مثل كلمة (أيوا) التي باتت تتكرر كثيرًا في لهجة نجد، وأيضًا كلمات مثل (عبيط وعبط واستعباط) و(هبل واستهبال) و(بدري) و(كويس) و(بكرا) و(برضو) و(يادوب) و(قرف) و(زيوه وزي الزفت) أي مثله ومثل القطران، وكذلك جملة التعجب أو الاستهزاء التي باتت دارجة في نجد بالقول (لا،، يا شيخ) وغيرها من كلمات مصرية أصيلة وجدت مكانها واستقرت في لهجة أهل نجد، بل أن عبد الرحمن بن فيصل (جد آل سعود الحاليين) اشتهر في الرياض بلزمته الشهيرة التي كان يُرددها دائمًا وهي الكلمة المصرية (كويسة) وكان ينطقها مُخففة بدون تأكيد وليس كما ينطقها المصريين عادةً، وكانت تلك الكلمة غير مُستساغة لدى أهل الرياض في حينه، حتى لقبه البعض بـ(عبد الرحمن كويسة) فكل حاجة كانت تعجب عبد الرحمن بن فيصل كان يقول عنها مادحًا (كويسة)! ويُعتقد أنهُ قد استقاها من قبل والده فيصل بن تركي الذي قضى فترة طويلة في المنفى المصري.

أما التأثير الثقافي والاجتماعي المصري على منطقة الحجاز فكان أكثر بكثير من نجد، بسبب القرب الجغرافي وكون مصر كانت منارة حضارية، كما أن كسوة الكعبة والقناديل والأسرجة كانت تجلب سنويًا من مصر كهدية من واليها، ثم تعمقت تلك العلاقة لاحقًا بعد السيطرة المصرية على الحجاز، كما أصبحت مصر منفى لأشراف مكة وذلك حين حدوث أي خلافات أو صدامات أسرية مع بعضهم البعض، ولهذا فقد تأثر الحجازيون كثيرًا بالمصريين.

وعودة مرة أخرى لأحوال أحفاد محمد بن عبد الوهاب وعن تراجع نفوذهم ومكانتهم، لأنهم قد وقعوا في أواخر حكم فيصل بن تركي ضحية لتلك الصراعات الدائرة بين أفراد آل سعود الطامحين للسلطة، حيث كثر النزاع وازدادت الأطماع بين الإخوة على تولي الحكم خصوصًا بعد وفاة فيصل بن تركي، وكان على أحفاد محمد بن عبد الوهاب وعلى رأسهم عبد اللطيف بن عبد الرحمن أن يبايعوا كل من يثب على السلطة - وسوف أورد تفصيلاً موسعًا لما جرى بين الأخوين عبد الله وسعود أبناء فيصل من صراع دموي على السلطة، ودور المُفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في تلك الصراعات السعودية لاحقًا.

وربما ما ذكره المُقيم الإنجليزي الـ ليفتنانت كولونيل لويس بلي في تقريره الاستخباري (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين، في وسط شبه الجزيرة العربية) يُدلل على تراجع وتدني مكانة أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب لاحقًا، ومن ثم استئثار آل سعود بكلتا السلطتين الدينية والدنيوية، فقد تحول أحفاد محمد بن عبد الوهاب في عهد فيصل بن تركي إلى أتباع وموظفين في البلاط، وبعضهم أصبح مُجرد اسم فقط، حيث يصف المُقيم البريطاني لويس بلي تلك الحالة أثناء زيارته للرياض عام ١٨٦٥م، حيث يقول:
« إن صاحب السعادة في المجلس، يُدرك أن حوالي خمسين عامًا قد مضت على تحالف القبائل العربية، تحالفًا غير وثيق، في ظلال الدعوة الوهابية.

وكان هذا التحالف confederacy قد جعلها في أوج سلطانها السياسي. ولقد كانت الفكرة الدينية هي نواة هذا التحالف: العودة بالإسلام إلى نقائه الأول. وكان مُنشئ هذا المذهب ويُدعى محمد بن عبد الوهاب، وقد ولد في العيينة في وادي حنيفة، عاصمة أسرة بني عامر (يقصد المؤلف أسرة آل معمر) التي كانت تحكم آنذاك جانبًا من نجد أو مرتفعات شبه جزيرة العرب. وقد وجد محمد بن عبد الوهاب المُفعم حماسًا في زعيم الرياض (يقصد الدرعية) المُجاور والمُسمى سعودًا (يقصد محمد بن سعود) أداة للغزو والغنم. وقد أصبح هذان الرجلان ـ على التوالي ـ مؤسسي السلطة الدينية والسياسية للتحالف الوهابي، فالقبائل المكونة لهذا التحالف كانت تدعو نفسها الوهابيين أو رجال ابن سعود على حد سواء. ولبعض الوقت استمرت السلطة الروحية في أسرة ابن عبد الوهاب، لكن السلطة الزمنية ـ في خاتمة المطاف ـ قد اندمجت مع السلطة الروحية وأصبح آل سعود أئمة وأمراء في الوقت نفسه. وفي أيامنا هذه (يقصد المؤلف عام ١٨٦٥م) لم تكن أسرة محمد بن عبد الوهاب ممثلة إلا في ابنه وحفيده فحسب، وكان ابنه (حفيده) يعيش في عزلة، ولا يحظى بسلطة زمنية (سياسية) أو روحية، بينما كان الإمام (يقصد المؤلف فيصل بن تركي) يحظى في مركز الصدارة على كل علماء الدين، ويذكر (اسم) الإمام في الصلوات العامة بدعوات وكلمات مُساوية تقريبًا لما يُذكر به الرسول ﷺ نفسه. لقد تكَّون التحالف الوهابي ونما بفضل السياسة البارعة التي مكنت السلطة المركزية، من توحيد قبيلتين أو أكثر من القبائل التابعة لها، وتوجيهها ضد قبيلة مُعادية، التي سيستوعبها التحالف بعد سحقها، وبهذه الطريقة ضم الوهابيون كل شبه الجزيرة العربية تقريبًا، ولم يبق بمعزل عن الفتح سوى اليمن وساحل حضرموت، ثم تعرض التحالف الوهابي بدوره للغزو وهُزم، على يد الباشوات المصريين».۞

---

۞ كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف : الليفتانت كولونيل لويس بلي.

ثم يعود المُقيم البريطاني في بوشهر لويس بلي، ليؤكد أن فيصل بن تركي قد استحوذ تمامًا على المنصبين الديني والسياسي في شخصه، حيث بات يُطلق عليه لقب الأمير، وبنفس الوقت يُسمى بالإمام، ولهذا كان المستر بلي أثناء زيارته للرياض ومُقابلته لفيصل بن تركي، كان مرة يُدعوه بالأمير، وأخرى يسميه بالإمام، وهو يعتقد أن كلا المُسميين صحيحين، حيث يقول:

« يُمكن مُلاحظة أنني لقبت الحاكم الوهابي مرةً بالإمام ومرةً بالأمير دون تفريق. وفي الحقيقة أن اللقب الأصل للسلطة الزمنية، هو الشيخ، وحتى الآن، فإنهُ ليس من غير المألوف أن تسمع البدو يُسمون الأمير فيصلاً، بابن سعود أو الشيخ بالدرجة الأولى. ومع ازدياد السلطة الزمنية للحاكم الوهابي فقد أصبح يُلقب بالأمير، وهو اللقب الذي مازال يُعرف به في الغالب بين الأجانب. ولكن اللقب السائد بين أتباعه القريبين في العاصمة (الرياض) هو لقب الإمام، وهو لقب يدل ضمنًا على زعامة روحية. وهو بهذا يتمتع في القرن التاسع عشر، بامتيازات تلك الأيام الأولى الزاهرة، عندما كان يُمثل السلطة الروحية والسياسية شخص واحد له القول المُطلق في الأمور الدنيوية والأخروية». ۞

كما يذكر صاحب كتاب (لمع الشهاب) حسن جمال الريكي، عن أحوال أبناء محمد عبد الوهاب قائلاً:

« وكان معاصره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ابتداء حكومته. ولم يخرج عن إرشاد الشيخ محمد قط. فكان الشيخ في أيامه إلى أن توفي الشيخ قبل انقضاء عمر عبد العزيز بسنيات قليلة، كلما مرَّ في باب ذكر واتاه. ثم إنهُ شيخَ ابن الشيخ محمد وهو ولده الكبير الشيخ حسين الضرير، وأكرمه كإكرام أبيه الشيخ محمد ، فبقي الشيخ حسين بمنصب القضاء والحكومة الشرعية

---

۞ كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف : الليفتانت كولونيل لويس بلي.

مُستقلاً بها إلى أن مات عبد العزيز. فهو الذي غسل عبد العزيز بيده وصلى عليه قبل كل أحد وذلك بوصية عبد العزيز عند احتضاره، فإنهُ أوصى بهذا. والشيخ حسين رجل عالم لم يقصر عن رتبة أبيه إلا بشيء يسير. وأما حالة الشيخ حسين، فإنهُ كان أعمى بصير القلب يمشي في سكك الدرعية بغير قائده، ويمضي حيث شاء ويُخطي أي بيت أو موضع أراده، وكان من العجائب أنهُ يوضع له البسر في طبق فيُميز الأحمر منه من الأصفر بالقوة اللامسة. وقد جُرب مرارًا. هكذا نقل لنا. وكان يقولون أهل نجد هذا الرجل قد نور الله قلبه فهو من أحباء الله تعالى. وقد كان للشيخ حسين زوجة واحدة لم يزد عليها لا بنكاح ولا ملك يمين. وكان لا يقبل الضيافة من أحد ولما عرف الناس امتناعه لم يضيفوه.... الخ».

أما عن عهد سعود فيذكر الريكي عنه قائلاً أيضًا:

« وكان مُعاصره من أولاد الشيخ محمد الشيخ حسين الأعمى، الذي كان مُعاصرًا أبيه عبد العزيز. وقد تقدم ذكر أحوال الشيخ حسين. فبقى الشيخ حسين قاضيًا في أيام سعود إلى قبل وفاته بثلاث سنوات، فمات حسين وغسله أخوه الشيخ عليّ وصلى عليه آل سعود قبل عامة الناس. ودفن بجانب أبيه. ثم صارت المشيخة، وأمور الدين، والفتيا بيد الشيخ علي ابن الشيخ محمد، فأعزه سعود وأطاعه كإطاعة أبيه الشيخ محمد. وإلا أن الشيخ عليّ ليس بمرتبة الشيخ حسين في العلم والعمل. وكان الشيخ عليّ يُحب النساء جدًا. وهو رجل مطلاق، فهذا شأنه أن يتزوج امرأة وإذا مضى عليها عنده ستة أشهر أو أقل، احتج بحجة وطلقها، حتى قيل إنهُ نكح ما يزيد عن الخمسين أو الستين في مدة ثلاث سنين التي عاصر سعودًا فيها. ولكنه استقر بعد ذلك على أربعة نسوة».۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف حسن جمال بن أحمد الريكي.

أما بوركهارت فيذكر في عام ١٨١٧م عن أحوال أبناء محمد بن عبد الوهاب قائلاً:

« وفي وقت الحرب يتم تشكيل مجلس من حُكَّام المقاطعات، وشيوخ البدو الكبار، أما في أوقات السلم، فإن سعود لا يعود إلى أحد بالمشورة، إلا إلى علماء الدرعية، وهم ينتمون بشكل رئيس إلى أسرة عبد الوهاب مؤسس هذا المذهب الوهابي، ويكثر هؤلاء في الدرعية، ولديهم تأثير كبير على مجريات الأمور. ويطلق على هذه الأسرة: أولاد الشيخ. ولا أعلم بدقة حقيقة ما يملكون من امتيازات وحقوق إيجابية، ولكن الذي يقع عندي في دائرة التوكيد واليقين أن سعود يتشاور معهم في كل أمر هام قبل أن يأخذ به قرارًا نهائيًا. ورغم أن زعيم الوهابيين يبدو لنا سيدًا مطلقًا ومطاعًا، ولكنه يعرف غور أرواح عربانه إذا ما حاول حكمهم أو السيطرة عليهم بطريقة طغيانية». ۞

أما عثمان بن بشر فيذكر أن أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب كانوا ينالون حصة خاصة من بيت المال، حيث قسم سعود بن عبد العزيز مثلاً خراج بيت مال الأحساء على سبيل المثال لثلاثة أثلاث، كان من ضمن الخراج ثلث خاص بقصره وبيوت أبنائه وبيوت آل الشيخ جميعًا، حيث يقول ابن بشر:

« فذكر لي بعض خواص سعود ممن صار عنده قال: الذي يحصل من بيت مال الأحساء يُقسم ثلاثًا، ثلث يدخره لثغوره وخراجًا لأهلها والمرابطة فيه، وثلث خراجًا لخيالته ورجالاته ونوابه وما يخرجه لقصره وبيوت بنيه وبيوت آل الشيخ وغيرهم في الدرعية، وثلث يباع بدراهم وتكون عند عماله لعطاياه وحوالاته. قال: ويحصل بعد ذلك على ثمانون ألف ريال تظهر للدرعية». ۞۞

ثم تحول أحفاد محمد بن عبد الوهاب إلى ألعوبة رخيصة بيد آل سعود، وهم أيضًا ارتضوا لأنفسهم ذلك الدور وقبلوا أن يكونوا أداوت بيد آل سعود من أجل

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

۞۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

المال والجاه والمكانة الاجتماعية المرموقة، ويظهر ذلك جليًا عندما جلبهم مشاري بن عبد الرحمن ابن سعود كالأغنام، وبايعوه كولي أمر للمُسلمين بعد أن قتل خاله وابن عمه تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وحينما قُتل مشاري على يد عبد الله بن رشيد، جاؤوا وبايعوا فيصل كولي أمر للمُسلمين، فأصبحوا عبارة عن كهنة وقساوسة يضفون الشرعية على كل من يثب على السلطة في نجد من أحفاد محمد بن سعود، فتحولت الوهابية إلى ختم مقدس يمنح صاحب السلطة السياسية الشرعية المطلقة، من خلال مُباركة وتأييد هؤلاء الأحفاد البائسين.

حيث يذكر ابن بشر عن تداعيات ذلك الصراع الدموي بين مشاري بن عبد الرحمن وخاله تركي بن عبد الله، ومن ثم مقتل مشاري وتولي فيصل الحكم، قائلاً: « فلما رأى زويد العبد المشهور مملوك تركي عمه صريعًا شهر سيفه وجرح رجلاً من خدام مشاري، فلما لم يجد مساعدًا هرب إلى القصر، ثم أن مشاري ومن معه دخلوا القصر وحبسوا زويدا وجلس مشاري للناس يدعوهم للبيعة، فلما علم آل الشيخ وقوع هذا الأمر جلسوا في المسجد، فأرسل لهم مشاري فأبوا أن يخرجوا إلا بالأمان، فكتب إليهم بالأمان فأتوا إليه وبايعوه. ...... إلى أن يقول: ولما جلس فيصل على سرير الملك بتدبير مالك الملك الذي سخر الفلك، وعظ الناس وحضهم على طاعة الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب إلى قضاته يقدمون عليه، فقدم إليه الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو إذاك قاضي حوطة بني تميم وأخوه الشيخ عبد الرحمن بن حسين قاضي بلدان الخرج ..... فهنئوه بما بلَّغه الله تعالى من أخذ الثأر والمُعافاة للمُسلمين من الفتن والكبائر».[۞]

ولاحظ هنا أن الدجل السعودي ليس بجديد أو حديث الصنعة بل هو صفة قديمة متوارثة يتقنها آل سعود منذ زمن طويل، فلاحظ كيف يتقاتلون على المُلك

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

ويذبح بعضهم بعضًا ويغتال ابن الأخت خاله وابن عمه من أجل حطام الدنيا، ثم يأتوك ويحدثوك عن طاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وتلك هي الديباجة السعودية المعروفة التي أصبحت مُبتذلة، فكلما وثب أحدهم على السلطة، ادعى التدين وزعم تطبيق الشرع، وذرف دموع التماسيح على الإسلام والمُسلمين.

ونعود هنا لبداية محمد بن عبد الوهاب حينما غادر العيينة في عام (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) وهو خائف وجل يترقب، قاصدًا الدرعية بعد أن فشل في تسويق دينه الجديد في العيينة، ليحل ضيفًا على أحد سكان الدرعية ويُدعى محمد بن سويلم العريني السبيعي، وقد شعر العريني في بداية الأمر بالضيق والخوف كون هذا المطوع مُثير للقلاقل والفتن وأصبح مشهور بتكفيره للناس وبات رأسه مطلوبًا لحاكم الأحساء القوي المُتنفذ، وخشي العريني أن يعرف محمد بن سعود عن وجوده فيؤذيه ويحمله المسؤولية، فأخفى أمر وجوده في منزله وبقي محمد بن عبد الوهاب مُختبئًا في بيت العريني، حتى شاع خبر وجوده في الدرعية واضطر محمد العريني وشقيقه وابن عمه حمد بن سويلم، وبعض جماعته أن يذهبوا لشقيق محمد بن سعود الضرير المدعو ثنيان، وكذلك أرسلوا نسائهم يسترحمن زوجة محمد سعود المُتنفذة المدعوة بـ(موضي بنت سلطان بنت وهطان الكثيرية) والتي كانت تُدعى بـ موضي بنت ابن وهطان، والتي عرفت بالذكاء والدهاء والحنكة ليطلبوا منها الآمان وبنفس الوقت لكي يطرحوا عليها فكرة تبني محمد بن عبد الوهاب وجعله مطوعًا خاصًا للدرعية، ويبدو أن الدرعية في تلك الفترة لم يكن فيها شيخ مُعتبر. فأشارت موضي على زوجها محمد بن سعود بذلك الأمر وقالت: «إنَّ هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصّك الله به»، فقبل قولها.

ونلاحظ هنا أن تلك المرأة الماكرة تصرفت بعقلية السياسي المُحنك فنصحت زوجها أن يغتنم تلك الفرصة الذهبية، ويستغل ذلك المطوع الهارب في توسيع

رقعة نفوذه، وهو في النهاية لن يخسر شيئًا، بل وأشارت عليه أن يذهب إليه بنفسه ويُقابل هذا المطوع الفار، كي يمنحه نوعًا من الاحترام والتقدير حتى يقدسه الناس حينما يرون أميرهم وقد ذهب إليه بنفسه. فيذكر المؤرخ عثمان بن بشر: « فأراد أن يرسل إليه من يُحضره، فقالت له زوجته: سر إليه برجلك إلى مكانه، واظهر تعظيمه والاحتفاء به، لعل الناس أن يكرموه ويعظموه، فسار إليه، فدخل عليه في بيت ابن سويلم ورحب به، وقال: ابشر ببلاد خيرًا من بلاد وابشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين».[۞]

ويظهر هنا جليًا على الأقل من خلال ذلك الحوار البسيط الذي نقله ابن بشر إلينا، عن ذلك النقاش الذي دار بين محمد بن سعود وزوجته موضي، يتضح من خلاله أن القضية كانت قضية سلطة وطموح سياسي ومصالح خالصة، وليس قضية دين وعقيدة أو توحيد مزعوم، وأن موضي كانت ذات عقلية فذة ولديها بُعد نظر سياسي وبراغماتي، وتفكر بعقلية الربح والخسارة، ولهذا أقنعت زوجها بضم ذلك الطريد محمد بن عبد الوهاب تحت جناحه، ثم أمرته أن يذهب إليه برجليه بعد أن همَّ بإرسال الخدم لإحضاره كما يُحضر المطلوبين، وشرحت له الحكمة من وراء ذهابه بنفسه واستقباله، وذلك لغرض صنع نوع من الهالة والتبجيل المُصطنع لمحمد بن عبد الوهاب، حتى يهابه أهل الدرعية المنفرين منه، فيستمعوا له وينصتوا لما يقوله، ولا يخالفوه ويبجلوه ويطيعوه عندما يرون أميرهم يذهب إليه بنفسه. لقد كانت تلك المرأة الكثيرية زوجة محمد بن سعود داهية عصرها وتفقه في أمور السياسة أكثر من زوجها الأمير المتواضع القدرات، لذلك كان لها دور كبير في صنع إمارة آل سعود الأولى، أو التي يسمونها بـ"دولة آل سعود"، بالرغم من أنها لا ترقى لمصافي الدول.

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

ويذكر المؤرخ النجدي(•) عثمان بن بشر عن ذلك اللقاء الشهير في كتابه المذكور، طبعًا بعد الإسهاب في تدوين مرافعة محمد بن عبد الوهاب أمام سيده وحاميه الجديد محمد بن سعود، ومحاولة شرح عما كان عليه أهالي نجد من الشرك بالله والبدع والخزعبلات المزعومة ووو... الخ، حيث يذكر ابن بشر نص الرد الذي قاله محمد بن سعود لمحمد بن عبد الوهاب وجاء فيه: « وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن اشترط عليك اثنين: نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا. والثانية إن لي على أهل الدرعية قانونًا آخذه منهم وقت الثمار، وأخاف أن تقول لي لا تأخذ منهم شيئًا. فقال محمد بن عبد الوهاب له: أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثانية فلعل الله أن يفتح عليك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها». ۞ -انتهى الاقتباس-

بينما يذكر لنا حسن جمال بن أحمد الريكي مؤلف كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" والذي كتبه ودونه في عام ١٨١٨م الموافق ١٢٣٣هـ، النص الآتي: «فسمع محمد بن سعود بورود محمد بن عبد الوهاب وكان قبل هذا قد سمع بصيته وإظهاره مذهبًا جديدًا فجاء إليه، فصافحه وقال: هذه القرية قريتك والمكان أنت واليه، فلا تخشى أعداءك، والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا. فقال محمد بن عبد الوهاب: "أنت كبيرهم وشريفهم، أريد منك عهدًا على أنك تجاهد في هذا الدين والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك، وأن المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من بعدي"». ۞۞ -انتهى الاقتباس-

---

(•) تكرار تعريف المؤرخ على أنهُ مؤرخ وهابي حتى يُميز القارئ البسيط أن ما كتبه عثمان بن بشر ليس حياديًا البتة بل هو وهابي الهوى والتوجه، وكتابه هذا مليء بالتقديس والتزكية المُطلقة من قبل المؤرخ لـ محمد بن عبد الوهاب.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

۞۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف حسن جمال بن أحمد الريكي.

وهي لعمري كانت قسمة دنيوية وشراكة مشبوهة بين الاثنين اتخذوا من خلالها اسم الإسلام مطية لهم وجسرًا للوصول إلى مآربهم الخاصة ومطامحهم الشخصية.

أما الضابط الفرنسي جان ريمون، فيذكر في تقريره الاستخباري في مذكرته الشهيرة، والمأخوذة من كتاب "الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ" تأليف: لويس دوكورانسي، حين يقول عن حادثة الشراكة بين المحمدين وعن تلك القسمة التي تمت بينهما، فيتحدث عن محمد بن سعود ما نصه:

«وكان المذهب الجديد يتيح له فرصة الاستفادة من إقدامه، ولما كان يفتش عن سبب للقتال فقد سره الحصول على سبب مُحدد جاهز. لذلك اعتنق تعاليم عبد الوهاب، فكان لاعتناقه أثر عميق جعل أتباعه يقتدون به. وكان هذا التحالف من أسباب انتشار المذهب الجديد، فازدادت الحركة قوة وخرجت قوتها المتأرجحة وغير الثابتة عن مهدها، واتخذ هذا الشعب الجديد اسم الوهابيين، وهو اسم أخذوه من عبد الوهاب والد محمد كما أشرنا أعلاه. ووجد محمد و(محمد بن) سعود[*] نفسيهما على رأس هذا الشعب الجديد، فاقتسما فيما بينهما السلطة العليا، كان للأول السلطة الدينية وللثاني السلطة الدنيوية بعد أن تعاهدا على هذا التميز لدى ذرية العائلتين». ۞

ولنأتي هنا لأهداف هذين الرجلين الشيطانية، فكلاهما يسميان كل ما سيقومان به بالتوحيد والجهاد والنصرة للدين، ويبدو أنهما مدركان ومقتنعان تمامًا بما سيقومان به، بحيث أنهما يُكرران دائمًا مقولة المُسلمين ويسميان أعداءهما بالمُشركين، ويتهمان من كل يُخالفهما ثم ينفض عنهما بالمُرتد، وهما يزعمان الجهاد في سبيل الله وكأنهما سيفتحان الأمصار والثغور في بلاد الإفرنجة!

---

[*] ذكر الضابط الفرنسي جان ريمون في رسالته اسم (سعود) على محمد بن سعود، والسبب أن البدو كان يطلقون على الحاكم ابن سعود، فالتبس عليه الأمر.

۞ رسالة الفرنسي جان ريمون والمأخوذة من كتاب: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ\ لويس دوكورانسي

ثم يتدارك محمد بن سعود ويقول لصاحبه وشريكه في تقاسم السلطة لي شرطان للجهاد في سبيل الله؟

أي أنهُ كان جهادًا دنيويًا مشروطًا، وبغض النظر عن مفهوم وشروط الجهاد الحقيقي لدى هذين الشريكين، لكنهما اتفقا على أن يكون جهادهما المزمع جهادًا مشروطًا، ويبدو أن محمد بن سعود حمل هذين الشرطين متقاسمًا الرأي مع زوجته الماكرة، فقضية أن لا يتخلى عنهم محمد بن عبد الوهاب بعد أن يقوى أمره ويصلب عوده، وأنا أجزم شخصيًا أن هذا الشرط قد صيغ بلسان موضي الكثيرية، وأما شرط استخلاص الضريبة التي يجنيها محمد بن سعود من أهالي الدرعية فهو قطعًا كان شرطًا من بنات أفكار محمد بن سعود لأنهُ يُدرك القيمة المالية لما يفرضه على الناس من ضرائب ومكوس.

المُضحك في الأمر هو رد شيخ الإسلام كما يلقبه عثمان بن بشر في كتابه، فقد وجد المَخرج لمحمد بن سعود في أن يمتنع بفرض الجباية المالية على أهالي الدرعية، وذلك بقوله له: «فلعل الله أن يفتح عليك الفتوحات»!

نعم فقد كان يخطط محمد بن عبد الوهاب بإنشاء عصابة مُنظمة للسلب والنهب أو تكوين جيش من عُتاة اللصوص وقطاعي الطرق والقتلة مهمتهم سفك الدماء والنهب والسبي باسم الدين، وتحت راية التوحيد المزعوم، إذ ليس من المعقول أن يستورد محمد بن عبد الوهاب وحليفه محمد بن سعود رجالاً وأتباعًا من المريخ لتنفيذ مهماتهم اللصوصية، بل كان وقود تلك العصابة الدموية لاحقًا وأدواتها الحقيقية هم وللأسف أهالي الدرعية وما جاورها، ولهذا اجتهد ابن عبد الوهاب بأن يوقف عنهم ضريبة محمد بن سعود السنوية القاسية، ليس حبًا فيهم؛ ولكن رغبة منه في استقطابهم واستخدام سيوفهم لجز أعناق المُخالفين لمشروعه التوسعي، ومن ثم يُغريهم ويطمعهم بجني الربح الوفير وتحصيل المال السريع من خلال شن الهجمات الدموية وتسيير حملات الغزو والسلب والنهب والقتل وسبي النساء، تحت ذريعة تجديد للإسلام والدعوة إلى التوحيد ونصرة أهل الدين!!

المؤلم في تلك الشراكة الدنيوية، أنهم بعد تلك القسمة المشبوهة التي تمت بين الطرفين حينما تقاسم محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب تلك الكعكة، أو لنقل تقاسما السلطتين السياسية والدينية، بدؤوا بتصنيف الناس في نجد لفسطاطين، فسطاط أهل الحق وهم المُسلمون، وسوف تلاحظ أن في كل معركة أو هدر للدماء أو سبي للنساء يقوم به الوهابيون لاحقًا، سنرى كيف يذكر المؤرخان الوهابيان حسين بن غنام وعثمان بن بشر تلك الجرائم والمجازر الدموية، بالقول: أن المُسلمين انتصروا على عدوهم، أو أن المُسلمين غنموا الغنائم من عدوهم، وأن المُسلمين قتلوا فلانًا أو هجموا على الرياض، وهكذا، وكذلك أن أهالي تلك البلدات قد ارتدوا عن الدين الإسلامي، أو قولهم فلان "المُرتد"، وربما ما يذكره ابن غنام وابن بشر من حوادث قتل ونهب وسلب التي تتم باسم المُسلمين الموحدين بحق من يسمونهم هم بالمَشركين، لهو دليل قاطع على دجل وجرم هؤلاء الأدعياء، فمثلاً يذكر ابن غنام قائلاً: « وفي هذه السنة طلب أهل "المحمل" من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الدخول في الإسلام، وعاهدوهما على التوحيد، فقبلا منهم على أن يُعطوا نصف زرعهم وربع ثمارهم، فالتزموا بذلك..... إلى أن يقول: ثم غزا عبد العزيز بالمُسلمين، فساروا حتى نزلوا بلدة "القصب"، وأعدوا كمينًا خارج البلد، فلما ارتفع النهار خرج إليهم أهل البلد ونشب بينهم القتال، فهجم عليهم الكمين، وهزموهم وحصروهم في داخل البلدة. وقتل منهم: سيف بن ثقبة. ثم طلب أهل "القصب" بعد ذلك الدخول في الإسلام، وأن تجري عليهم شرائعه وأحكامه، فقبل منهم عبد العزيز ذلك وصالحوه على النخيل بثلاثمائة أحمر».[۞] -انتهى الاقتباس-

بينما الفسطاط الآخر فهم منذ تلك القسمة المشبوهة قد أصبحوا كفارًا ومُشركين ولن يسلموا أو يشفع لهم أحد إلا بالدخول إلى هذا الدين الجديد، أي

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

دين محمد بن عبد الوهاب وشركائه، ولهذا فأنني أصر على أن الوهابية كانت دينًا جديدًا، وليس حركة دينية تصحيحية أو مذهب فقهي عابر كما يعتقد البعض، ولكنها كانت عقيدة خارجية لدين ضلال ودجل وسفك للدماء وهتك للأعراض تحت ذريعة وغطاء الإسلام والتوحيد، بينما الدين الإسلامي الحنيف الذي أتى به سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ براءٌ من تلك الأفعال الشيطانية، فتخيل عزيزي القارئ بعد أيام قليلة من تلك القسمة المشبوهة بدأ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود يشُنان الهجمات الوحشية على البدو والأعراب المساكين المُجاورين للدرعية والذين لا يملكون إلا بعض الأغنام الهزيلة توفر لهم الحليب والاقط، فيغزونهم بحجة أنهم مُشركين! هكذا ودون أي مقدمات!. والمُضحك في الأمر أن محمد بن عبد الوهاب كان يدعو تلك الهجمات العدوانية الدموية بالجهاد في سبيل الله، بينما في الواقع هو يبيح سفك دماء المُسلمين وينتهك حرماتهم تحت غطاء التوحيد المزعوم، ولاحظوا هنا أننا لا نتحدث عن جهاد ضد الغزاة الأجانب، مثلاً ضد الروم أو الفرس أو حتى اليهود. لا،، بل نتحدث عن الجهاد وقتل أسر وعوائل بدوية مُعدمة وعلى أفراد عُزل بسطاء مُسلمين يتبعون دين محمد ﷺ، ويعيشون حياة كفيفة زادهم السمن واللبن ومساكنهم عبارة خيام متواضعة تقع بالقرب من الدرعية!

وعن أول غزوة للسلب قام بها أتباع محمد بن عبد الوهاب يذكر لنا عثمان بن بشر في كتابه، فيقول: «ثم أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالجهاد وحضهم عليه فامتثلوا. فأول جيش غزا من سبع ركايب (•) فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها، لأنهم لم يعتادوا ركوبها، فأغاروا. (يقول ابن بشر): أظنه على الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين». ۞

---

(•) سبع ركايب : يعني بها سبعة هجن من الجمال، ويبدو أن أهل الدرعية لم يتعودوا الغزو على الهجن، فقد كانوا مُسالمين يردون من يعتدي عليهم، لكنهم لا يشنون الهجمات على أحد، هذا قبل أن يأتيهم محمد بن عبد الوهاب ويحولهم إلى لصوص وقطاعي طرق.. لذلك سقطوا في البداية من على ظهور الهجن.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

تلك كانت البداية فقط، وسيأتي ذكر مفصل لجرائم محمد بن عبد الوهاب وشريكه محمد بن سعود وولده عبد العزيز وحفيدهما سعود، بحق المُسلمين في نجد وجزيرة العرب كافة، والمؤرخان الوهابيان ابن غنام وابن بشر يعترفان هنا صراحة دون أن يقصدان طبعًا أن تلك الغزوات الوهابية الدموية كانت لغرض السلب والنهب، ولا علاقة لها بالدين ولا بالعقيدة الإسلامية لا من قريب ولا من بعيد طبعًا، حيث يذكر ابن غنام مثلاً عن غزوة عبد العزيز بن محمد لبلد جلاجل، قائلاً: «وفيها غزا المُسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطئ جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مُرتدًا قبل ذلك الحال، فأعطاه عن ذلك من الخيل خمساً فطاب بها عبد العزيز نفسًا لكونها خيلاً بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة». ۞

وأما عثمان بن بشر فيذكر لنا في كتابه إحدى غزوات عبد العزيز للخرج فيقول: «( ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف ١١٧٣هـ) وفيها غزا عبد العزيز إلى "الخرج" فأوقع بأهل الدلم وقتل من أهلها ثمانية رجال ونهبوا بها دكاكين فيها أموال». ۞۞

لاحظوا هنا كيف يذكر عثمان بن بشر فعلتهم بالقول: (وقتل من أهلها ثمانية رجال ونهبوا بها دكاكين فيها أموال)! إذن تلك العلميات الدموية الوهابية السابقة والتي يسمونها بالجهاد ونشر التوحيد، كانت أشد بشاعة وجرم من عمليات السطو المُسلح الحاصل الآن على البنوك والمراكز التجارية وأسواق الذهب كما يحصل في وقتنا الحاضر!.

وعليه فإن تلك العمليات اللصوصية المُسلحة والمُنظمة أيضًا، التي كان يشنها محمد بن سعود وولده عبد العزيز كان الهدف الرئيس منها هو السلب والنهب

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

۞۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

والاستيلاء على الأموال والمُمتلكات، وليس نشر الدين كما يزعمون، لأنهم كانوا يقتلون الأبرياء العُزل ويسرقون المُسلمين الآمنين وهم مرتاحو البال والضمير، لأن عملياتهم تلك كانت مُجيرة بفتوى دينية شيطانية من قبل نبيهم الجديد الذي أحلَّ لهم القتل والنهب؛ وأعني هنا محمد بن عبد الوهاب، فقد أباح لهم الغزو والسلب وأعطى لهؤلاء اللصوص القتلة الحق الإلهي في سفك دماء الأبرياء، والاستيلاء على أموالهم ونهب ممتلكاتهم، تحت ذريعة أنهم مُشركون وكفار وخارجون عن الملة! وعليه فيجوز قتلهم وهتك أعراضهم والاستيلاء على أموالهم ومُقتنياتهم، حتى ولو كان في أول أيام العيد المُباركة حيث تعود آل سعود أن يُصبِّحوا المُسلمين بالقتل والتشريد في صباح أيام العيد، وذلك الفعل الشنيع لم يُعرف من قبل في جميع الأديان، حيث يذكر لنا حمد بن لعبون مثلاً في تاريخه، فيقول: « وفي سنة ١١٧٤هـ: وفيها صبَّح عبد العزيز (بن محمد بن سعود) النبطة بن فياض وعربه في القتال، فقتل منهم عشرة، منهم: سعد والقروي وأولاده، وغنموا عليهم إبلاً كثيرة نحو ثمانين ذلولاً، وأثاثهم وأمتعتهم، وفيها أيضًا سار عبد العزيز على الرياض فصبحهم ليلة العيد فاقتتلوا، فقُتل من أهل الرياض حمد بن سوداء، وعبد الرحمن الحريص، وأبو المحيا، وغيرهم، وقُتل من الغزو حزام بن عبيد، وعثمان بن مجلي، وغيره». ۞ -انتهى الاقتباس-

ولم يتوقف الأمر على القتل والسلب والنهب وأخذ الإتاوات والخاوات تحت زعم الزكاة، لكن الوهابيين استحدثوا نظامًا جديدًا للسرقات لم يعرفه أحد من قبل، وهو السطو على البلدان ومن ثم إرغام أهل تلك الديار على شراء حلالهم وممتلكاتهم من الغزاة، وهي شبيهة بالفدية التي تفرض على المخطوفين والمُرتهنين! فالوهابيون كانوا يخيرون أهالي القرى والبلدات النجدية عند تحصنهم في قلاعهم أو خلف أسوار المدن، بالقول: إما أن تشتروا منا نخيلكم

---

۞ كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف : حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

أو دوابكم وإما أن نحرق النخيل والمزروعات وندفن الآبار، ونستولي على الحيوانات سواء كانت إبلاً أو خيولاً أو حتى أبقارًا وأغنامًا، والمُزري أن أهالي تلك البلدات عندما يستسلمون ويأخذون الأمان من ابن سعود، يشترط عليهم أن يشتروا منهم أيضًا أموالهم من مصوغات وحلي وكذلك يجب عليهم أن يشتروا طعامهم المُخزن في البيوت، وإذا لم يدفعوا ثمنه سوف يستولي عليه ويُعتبر فيئًا لأهل الإسلام المزعومين!.

تلك السياسة الوهابية الخبيثة هي قطعًا ليست من شيم العرب ولا من مبادئ الإسلام في شيء، وتلك المُمارسات اللا إنسانية ليس لها صلة أو علاقة بالدين الإسلامي الحنيف ولا حتى بالعُرف الاجتماعي، بل هي أساليب ابتزاز قذرة تستخدمها العصابات الساقطة وقُطاع الطرق من عتاة المُجرمين، وهي وسائل اللصوص والخارجين عن القانون وليس من أخلاق أهل الإسلام قط، وسوف أطرح بعض الأمثلة السريعة من كتاب المؤرخ الوهابي حسين بن غنام، كدلائل وبراهين على ما أقول حتى لا يكون كلامي مرسلاً بدون أدلة أو أسانيد، حيث يقول حسين بن غنام في كتابه:

« ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٩هـ: وفيها سار عبد العزيز بالمُسلمين يُريد الخرج، فجدَّ المسير حتى إذا قارب الضيعة بعد الهجوع أناخ يُهيئ الجموع ويُعبئ أهل الغارة والكمين، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام، فعند ذلك شنَّ الغارة على أهلها وأخذوا من الأغنام، فخرج عند ذلك أهل البلاد وناوشوا المُسلمين الجلاد حتى بدت لهم من الكمين أسنة فأطلقوا للفرار أعنة وولوا جميعًا مُدبرين، وأقاموا في البلاد مُحتصرين، وقد قُتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلاً ورجع المُسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملا. ثم أن المُسلمين أخذوا في قطع الأشجار والنخيل فقطعوا من ذلك ما ليس بالقليل وذلك جميع نخل الشدي. ثم ارتحل عبد العزيز بالمُسلمين ونزل بالدلم ونوى حصار أهل زميقة

وعزم، فأقام عليها للحصار وأشرف أهلها على الدمار وخرب من نخلها وزروعها وقطع من أصلها وفروعها ثم أنصرف راجعًا إلى بلاده بعد نيل مراده». ۞

كما يذكر أيضًا ابن غنام:

«وفي سنة ١١٩٦هـ سار عبد العزيز بالمُسلمين إلى "الحوطة" فوصلها ليلاً، فأخذ في التأهب والاستعداد، ثم هجم على البلدة بعد أن صلى الصبح فخرج إليه أهلها جميعًا، فلما التقى الفريقان شد المُسلمون عليهم فهزموهم وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً، وألجأوهم إلى الاحتماء في داخل البلدة. فبقوا فيها زمنًا مُحاصرين لا يملكون الخروج منها، وقد جدَّ المُسلمون في تقطيع نخلهم وتخريب زروعهم حتى أوفوا بذلك غايتهم. ثم رحلوا عنهم إلى "نعجان" فأقاموا زمنًا، قطعوا شيئًا من نخلهم. ثم عادوا إلى بلادهم....الخ».

إلى أن يقول ابن غنام في مكان آخر:

« فلما علم أهل قرى الدواسر برجوع رئيس نجران إلى بلاده أصابهم الرعب من المُسلمين، فبادر الرجبان والوداعين إلى ربيع بن زيد وطلبوا منه الدخول في الإسلام، وأعطوه العهد. فقبل ذلك منهم، ووفد مع جماعة منهم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز وأخبروهما بما حدث. فحمد الشيخ الله تعالى، وأكرم وفادتهم، وأرسل معهم عبد الله بن فاضل ليعلمهم التوحيد والأحكام. وبقوا على ذلك ستة أشهر، ثم ارتدوا عن الدين فلما علم بذلك عبد العزيز جهز سليمان بن عفيصان مع جيش من المُسلمين وأرسله لقتال الرجبان والوداعين المُرتدين. فقدم عليهم، وصب عليهم العذاب، وأكثر فيهم القتل حتى ذلوا وهانوا. فطلبوا الدخول في الإسلام، فقبل سليمان منهم ذلك واشترط عليهم القدوم على عبد العزيز. فقدموا عليه في الدرعية وعاهدوا

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

عبد العزيز على الإسلام، واشترط عليهم أن يدفعوا ثلاثة آلاف ريال منها ألف مُعجلة. فقبلوا ذلك ووفوا به..الخ».

إلى أن يقول:

« ثم سار سعود بالمُسلمين إلى "حرمة"، فلما وصلها أقام حولها أيامًا، وكان في كل يوم يُقاتل أهلها ويقتل من الفريقين رجال، واستولى المُسلمون على نخل البلدة. فلما ضيَّق المسلمون عليهم، وطال حصارهم، وفقدوا الأمل في النجاة، طلبوا المُصالحة ودخلوا في الإسلام. فقبل منهم سعود، واشترط عليهم إزالة ما يُخشى منه الدين. فتعاهدوا على ذلك، واشتروا من سعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام. ثم أمر بهدم جميع قصور البلدة وسورها وما فيها من بيوت، وأجلى آل مدلج عنها».

إلى أن يقول في مكان آخر:

« فانهزم أهل "الروضة" ولجأوا إلى بلدتهم فتحصنوا فيها. فحاصرهم المسلمون إلى أن أقبل سعود بجيوشه فاستولى على جميع النخل. فلما طال الحصار على أهل البلدة -وكان في قلعتها أناس من آل ماضي ورجال لسعدون بن عريعر- ورأوا سعودًا قد شرع في قطع أشجارهم ونخلهم، وتحققوا الهزيمة، طلبوا من سعود الأمان، فأجاب طلبهم. فعاهدوه على الإسلام، واعتذروا من سوء ما بدر منهم، واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدراهم دفعوها نقدًا. ثم أجلى سعود آل ماضي عن البلدة، وأمر فيها عبد الله بن معمر ...... الخ».

إلى أن يقول ابن غنام في مكان آخر:

« ثم سار سعود بالمُسلمين إلى بلدة "الدَلّم" في "الخرج"، فخرج إليه أهل البلدة فقاتلهم وقتل منهم جماعة. فاضطروا إلى الاحتماء بقلعة بلدهم. واستولى سعود على جميع النخل. ،،،،،،، ثم فرَّ الباقون والتجأوا إلى قلعتهم، وبقوا محاصرين زمنًا إلى أن هموا بأن ينزلوا جميعًا إلى سعود مُستسلمين،

ولكن جماعة من آل زامل كانوا مع سعود أسروا إلى أهل البلدة بالبقاء في قلعتهم إلى أن يأخذوا لهم الأمان من سعود. ولما تمَّ لهم ذلك أعطاهم سعود الأمان اشتروا منه ما كان في بيوتهم من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام، ونقدوه ثمنها. ودخلوا في زمرة أهل الإيمان. وكان نخلها كافة فيئًا من الله على بيت المال. ....الخ. فلما انتشر ذلك وشاع بين الناس أصاب الفزع كثيرًا أهل الضلال، فأرسلوا إلى سعود يطلبون الدخول في الإسلام والطاعة. فأقبل أهل "الحوطة" وأهل "الحريق" وأهل "اليمامة" و"السلمية" وأهل "الخرج" كافة – على سعود، فأحكموا له عهد الإسلام. فاشترط عليهم أنواعًا من الغرامة عقوبة لهم، فأدوها نقدًا... الخ».

إلى أن يقول في موضع آخر:

« ثم اجتمع أهل القرى ـ قرى شمال الأحساء ـ في "القرين" فحاصرهم المُسلمون، وحاصروا أهل "المطيرفي"، فلما طال عليهم ذلك طلب أهل قرى الشمال جميعًا القرين والمطيرفي، وغيرهما – من سعود المُصالحة فصالحهم على نصف أموالهم. ثم أمر أهل "القرين" بالجلاء، فارتحلوا عنها..الخ».

إلى أن يقول:

« وسار سعود بالمُسلمين يُريد غزو أعراب الحجاز، فنزل على قرى بلدة "تربة" فناوش بعض الأعراب هناك القتال وهزمهم. ثم حاصر البلاد، وكان في كل يوم يجري بين الفريقين قتال حتى قتل من كل فريق نحو عشرة رجال. وممن استشهد من المُسلمين: محمد بن غشيان وكان يُعد من الشجعان. ثم شرع المُسلمون في قطع ما لأولئك الأعراب من نخيل، فاشتد الضيق بهم، ولم يستطيعوا أن يجدوا لأنفسهم نجاة ولا مخرجًا، فصالح أعلى قريتين من تلك القرى سعودًا على سلامة نخلهم، وقطع نخل قريتين أخريتين لسوء فعل أهلها. .....الخ».

ويقول ابن غنام في موضع آخر:

« وغزا محمد بن معيقل مع جيش أهل "الأحساء" والمهاشير وأهل "نجد" وقصدوا جزيرة "العماير" فلما اجتازوا إليها الصحراء، وبدت لهم الجزيرة، حاضوا إليها البحر - ولم يغز المُسلمون قبل هذه الغزوة في البحر - وخاضت معهم بعض الخيل. فلما وصلوا ساحل الجزيرة أغاروا على أهلها فقتلوا منهم عدة رجال. وأخذ المسلمون ما بها من الأموال، واستولوا على ست من الخيل، ونحو أربعين من الإماء، وحازوا كثيرًا من الخيام والسلاح والأمتعة والمال... الخ».

إلى أن يقول ابن غنام في مكان آخر:

« وأرسل كثير ممن حول مكة - من الأعراب، ومعظمهم من قبائل العتبان، إلى عبد العزيز يطلبون منه الأمان والدخول في الإسلام، وجعلوا حمود بن ربيعان رسولهم وسفيرهم بذلك إلى عبد العزيز. فأجابهم عبد العزيز إلى ما طلبوا، وجعل على كل بيت عدة دراهم عقوبة ونكالاً». ۞ - انتهى الاقتباس -

ومن خلال ما أورده حسين بن غنام في النص أعلاه نجد أن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وأبناءه قد سنُّوا سُنة خبيثة لم يسبقهم إليها أحد من قبل وهي إرغام أهل البلدات على شراء أموالهم ومتاعهم ودوابهم من الغزاة في سبيل أن يعفو عنهم ولا يعيثوا ببلداتهم فسادًا وإفسادًا، فيقول ابن غنام فيما ورد (أعطاهم سعود الأمان واشتروا منه ما كان في بيوتهم من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام، ونقدوه ثمنها)، أي أنهم يدفعون الأموال نقدًا له نظير بقاء ممتلكاتهم!

ولم تكن تلك الحادثة هي الأولى أو نادرة بل تكررت مرارًا، فقد أورد ابن غنام وابن بشر عدة حوادث مُشابهة ، حيث تمَّ إرغام الأهالي على شراء مُمتلكاتهم

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وحوائجهم ودوابهم من الوهابيين اللصوص مُقابل أن يعفو عنهم أو يكفوا شرهم، حيث يورد لنا ابن غنام نفس الحادثة جرت مع أهل الدلم فيقول:
« ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٩هـ: وفيها غزا سعود بالمُسلمين متعهم الله بنصره سنين، فجدَّ السير يُريد الدلم من الخرج وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج ...... الخ. فأقبل جميع من في البلد من المُقاتلة والأفزاع وراموا عن خلل النخل مُجالدة ودفاع، فلم يجدوا إليه من سبيل ولم يلفوا لهم به كفيل، فرجع كل منهم خاسئًا ذليل وقتل رجال من أولئك القبيل، واستولى سعود على جميع النخيل وحللها فنالت نفوسهم سؤلها وأملها، ومكث أهل البلاد كافة مُحاصرين في القلعة من المخافة وسحائب الذلة عليهم مظلة ونوائب الجلاء بهم مُطلة وشجعانهم من الرُعب مُستذلة وأقدامهم إلى الهروب مُستقلة ........ الخ. وقتل منهم رجال كثيرة منهم تركي بن زيد ورجال غيره شهيرة يزيدون على العشرين وأقاموا في القلعة مُحتصرين وهموا بعد ذلك اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المُسلمين نازل، فقال اثبتوا مكانكم وألزموا أوطانكم فأنا آخذ لكم الأمان وأحكم لكم عقد الاستئمان، فكان بينهم وبين سعود واسطة ولإحكام العهد رابطة فأخذ لهم من الأمان عقدًا وتمم لهم عهدًا واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام مما ليس بمحصور، واستقرت بينهم الأثمان فانتقدوها بذلك المكان ودخلوا في حصن الأمن والأمان وفي دائرة أهل الإيمان وأمر عليهم سليمان بن عفيصان، وكانت كافة نخلها في بيت مال فاء الله تعالى به ذو الجلال وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد ومن كان قبل ذلك بالسباب لهذا الدين معروفا وبالبغض لهُ مشهورًا موصوفًا».

وليس هذا فحسب فقد ألغى الوهابيون عادة الدخالة ومبدأ الاستجارة وطلب الأمان، تلك السجية النبيلة والتي امتاز بها العرب عن غيرهم والتي لم يتخلى عنها حتى عتاة كفار قريش، إلا الوهابيين فقد ضربوا بها عرض الحائط، فقد

**كانوا يستبيحون قتل الأسرى العزل وينتقمون من الدخلاء الذين يستجيرون بهم، لكن المُضحك أنهم كانوا يسمحون لهؤلاء الأسرى بشربة ماء أخيرة قبل عملية نحرهم على الطريقة الوهابية!.**

**ويبدو أن بدو الشمال سواء كانوا من قبيلة شمر أو قبيلة عنزة وغيرهم من قبائل الشمال؛ كانوا أرحم بكثير من بدو وسط نجد وبدو الجنوب، ربما لأنهم كانوا أقل إيمانًا بتلك الدعوة الدموية الشيطانية، وربما لأنهم مرغمين على إتباعها قسرًا تحت حد السيف، فتراهم لا يندفعون كثيرًا في تنفيذ المبادئ الوهابية.**

**وعن تلك المواقف المُخزية يوثق لنا الرحالة السويسري/ البريطاني: جون لويس بوركهارت بعض الأمثلة في كتابه، حيث يروي لنا ما حدث بعد اغتيال ثويني السعدون على يد العبد طعيس، ومن ثم تفكك جيشه وفرار البدو المرافقين له ولجوء بعضهم لمخيم جيش سعود بن عبد العزيز، حيث يقول بوركهارت: « بعد هذه الجرائم الوحشية التي ارتكبها الوهابيون ضد السكان في كربلاء عادوا إلى الصحراء حيث شنوا هجومًا على العربان المستقرين على نهر شط العرب، ولكنهم (أي الوهابيون) ذاقوا مرارة الهزيمة على أيدي عرب الزبير وعرب مشهد علي. وعلى أية حال فقد حمل هؤلاء الغزاة ما وصلته أيديهم وما جنته نهبًا وسلبًا، وعادوا به إلى بيوتهم. وبنهبهم لمرقد الأمام الحسين يكون الوهابيون قد نشروا وجهات نظرهم بشكل واسع، وبخاصة أن حملتهم الثانية إلى بغداد قد باءت بالفشل. وبالمقابل، وكرد فعل انتقامي ودفاعي، تحرك الشيخ ثويني ـ شيخ عشائر المنتفق مصحوبًا بأبناء عشيرته، ومحاربين من قبائل شمر والظفير، وبني كعب، وجنود من الأتراك، حيث ساروا باتجاه نجد، ولم يتوقفوا عند الأحساء، بل مضوا في طريقهم نحو الدرعية، ووصلوا بئر ماء يسمى الصبيحية، ويبعد مسيرة يوم من موقع آخر تتوفر فيه المياه بكثرة يدعى كويت Koweyt الذي يبعد بدوره مسيرة خمسة أو ستة أيام من الدرعية. وبينما كانت هذه القوات الزاحفة تخيم على بئر**

كويت، لقي قائدهم الثويني حتفه طعنًا على يد عبد من عبيد بني خالد وكان العبد (طعيس) وهابيًا متعصبًا متطرفًا. وهنا تقدم سعود بقواته نحو القوات الغازية، بينما لاذ الأتراك من جنود باشا بغداد بالفرار، وهام آلاف منهم بالصحراء، لا يعرفون الطريق، فتم ذبحهم على أيدي الوهابيين، أما الفرسان البدو، فقد تفرقوا في البلاد يبحثون عن ملاذ آمن، وعاد الكثير منهم بنفس الليلة إلى بئر الصبيحية، وذلك بحثًا عن الماء، يحدوهم الأمل أن يمرّوا دون أن يلحظهم أحد أو أن يعاملهم سعود كأسرى، ولكن سعود لم يخرج من جلده في عادته بالتعامل مع الأشخاص في مثل هذه الحالات، فأمر بهم وتم قتلهم جميعًا. لقد برهن عربان نجد، وعربان الصحراء الشمالية، على إنسانيتهم أكثر ممن سواهم. حيث خبأوا في خيامهم العديد من هؤلاء الفارين الذين عثر بهم حظهم، وزوّدوهم بالماء للطريق، وطلبوا إليهم المغادرة قبل أن يتبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. ولكن، وعلى النقيض من هذا التصرف الإنساني، فإن بدو الجنوب، وبخاصة قحطان وعتيبة، قاموا بذبح كل من لجأ إلى خيامهم مستجيرًا بهم، وفعلوا ذلك دونما رحمة أو رأفة منهم بهؤلاء الذين راحوا ضحية لا شيء. ولامناص من القول هنا، أنه ورغم ما هم عليه من تطرف مشين أو ما يتلقونه من تعليمات تصدر إليهم عن قائدهم، فإن هؤلاء البدو لم يكن بمقدورهم كتمان مشاعرهم أو حبسها بشكل تام، حيث نقل إلى شخصيًا شاهد عيان أنهم سمحوا لكل مشرد تائه أن يطفئوا ظمأهم قبل أن يتلقوا الضربة المميتة بضربة سيف وقطع الرأس عن الجسد. لقد سبق وذكرت أن زعيم الوهابيين ألغى الحقوق المترتبة للدخيل، وألغى الدخالة برمتها، ولم يسمع به أن أعطى أو منح الأمان لأي شخص يتوجب قتله بموجب القوانين الوهابية، وإنما يعامل كعدو في حالة إشهار السلاح، حتى ولو كان أسيرًا، أو تائهًا في رمقه الأخير جوعًا وعطشًا وإنهاكًا للقوة». ۞

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف: جون لويس بوركهارت.




# الصراع الأُسري بين آل عبد الوهاب

## ▪ مُسمى الوهابية
## وموقف القاضي عبد الوهاب وولده سليمان من تلك الدعوة:

جاء مُسمى الوهابية مجازًا نسبة لاسم والد محمد بن عبد الوهاب، حيث كان يُسميه الناس بابن عبد الوهاب، وقد تعود أهل نجد عامة أن يُطلقوا أسماء الشهرة والتعريف مقرونة باسم الأب أو حتى الجد، ولذلك يطلق البدو مُسمى ابن سعود على جميع أحفاد محمد بن سعود الأول، ولذلك شاع المُسمى على اسم الأب عبد الوهاب وليس على اسم الابن محمد صاحب تلك الدعوة، وقد يكون الناس وجدوا عائقًا وصعوبة في القول بتسميتهم بالمُحمديين نسبة لاسم محمد بن عبد الوهاب، كما أن سبب التسمية لم تأتي كما يظن البعض من قبل أعداء وخصوم الوهابيين فحسب، بل كانت تلك التسمية موجودة في أيام محمد بن عبد الوهاب نفسه، وكان يُطلق عليهم الوهابيون حتى من قِبل المُعجبين بهم وفي زمن مُعاصر لبداية تلك الدعوة، حيث كانوا يطلقون على أصحاب تلك الدعوة أو الطريقة؛ كما أسماها المؤرخ الحيدري البغدادي؛ بالطريقة الوهابية، كما سيأتي ذكره، بل أن أغلب المؤرخين الذين عاصروا تلك الدعوة كانوا يطلقون عليها الوهابية في ذلك الوقت ويسمون أتباعها بالوهابيين.

لكن ما نلاحظه حديثًا في وقتنا الحاضر أن الوهابيين يأنفون ويتنصلون من تلك التسمية التاريخية، وتثور ثائرتهم إذا ما دعاهم أحد أو سماهم بالوهابيين وعلى رأس هؤلاء أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز الذي يرفض وبشدة أن تُسمى دعوة محمد بن عبد الوهاب، بالوهابية، وتثور ثائرته كلما سمع أحدًا يُسمى تلك الحركة وأتباعها بالوهابيين، وهو يعتقد جازمًا أن هذا المُسمى قد جاء أصلاً من قبل الخصوم والأعداء، وأن المقصود به هو الإساءة والطعن!

وينسى سلمان بن عبد العزيز وبقية أفراد "دارته" أن جميع المؤرخين والرحالة الأجانب والمُستشرقين الغربيين وحتى الأتراك، وثَّقوا مُسمى الوهابيين ومُصطلح الوهابية في رحلاتهم ومذكراتهم اليومية قبل أكثر من قرنين من الزمان، دون ضغينة منهم أو موقف سلبي سابق من تلك الدعوة، بل أن بعضهم كان مُتعاطفًا كثيرًا مع تلك الدعوة، كالفرنسي فيلكس مانجان، الذي عاصر محمد علي باشا، وكذلك السويسري المولد والبريطاني الجنسية جون لويس بوركهارت، وكذلك الضابط الفرنسي المدعو جان ريمون، وغيرهم. بل أن لقب الوهابيّة كان دارجًا ومُتداولاً ومعروفًا في عهد محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، حيث استعمله الشاعر الشعبي حميدان الشويعر الخالدي على سبيل المثال في إحدى قصائده النبطية، وبالمُناسبة فإن حميدان الشويعر هذا كان مُعاصرًا لابن عبد الوهاب حيث توفي الشويعر حوالي عام ١١٦٠هـ، حيث يقول:

| | |
|---|---|
| الــنفس إن جــت لمحاســبها | فالــدين خيــار مكاســبها |
| كانـــك للجنـــة مـــشتاق | تبغـــي النعـــيم بجانبهـــا |
| اتبـــع مـــا قـــال الوهـــابي | وغـــيره بالـــك تقربهـــا |

............................ إلى نهاية القصيدة.

مع التأكيد هنا أن الشاعر النبطي حميدان الشويعر هذا لم يكن خصمًا أو عدوًا للوهابية، كما سيظن البعض أو سيعتقد الأمير سلمان بن عبد العزيز هو وكتبة دارته، بل على العكس من ذلك، فقد كان حميدان مواليًا للوهابيين وهو يُشيد ويبارك هنا بابن عبد الوهاب ويُطالب بإتباعه دون غيره، ويُمكن الرجوع إلى سيرة حميدان الشويعر للتأكد والإطلاع على قصيدته كاملة.

كما يُكابر بعض مريدي الوهابية على عدم صحة كتاب (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)، ويرفضون نسبته إلى الشيخ سليمان بن عبد الوهاب،

بحجة أنَّ مُسمى "الوهابيّة، ظهر مُتأخرًا ولم يواكب عصر محمد بن عبد الوهاب، وتساءلوا كيف يتهكم شخص على اسم أسرته ؟
والحقيقة أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب لم يؤلف كتابًا في رده على شقيقه محمد، بل كان يفند ادعاءاته من خلال الرسائل المُتبادلة بينهما ومن خلال مراسلاته مع آخرين لهم صداقة مع أخيه محمد كـ"حسن بن عبدان" وغيره، ولهذا فلم يؤلف كتابًا كما يظن البعض، ولم يطلق على الكتاب المُسمى المذكور، وأغلب الظن أن رسائل سليمان بن عبد الوهاب التي وجهها إلى شقيقه وإلى أتباعه قد جُمعت لاحقًا وقد طبعت مُتأخرًا بكتاب مطبوع في الهند، وتم اختيار ذلك العنوان من قبل دار النشر.

وهنالك عدة كُتب حملت نفس فحوى رسائل سليمان بن عبد الوهاب، ولكنها صدرت أيضًا بعناوين مُختلفة، وهذا يدل على أن العبرة لم تكن في العناوين ولكن في محتوى الكُتب، وحقيقة تلك الرسائل، ولدينا مثل واقعي وهو أن أغلب المؤرخين والمدونين النجديين السابقين لم يختاروا عناوين لكتبهم، بل بعضهم لم يدِّون اسمه حتى، والمتتبع للمؤرخين في نجد في تلك الفترة المُظلمة يجد أنهم نادرًا ما يُعنونون كتبهم بسبب ضحالة ثقافة التدوين، وقد تمت عنونة الكُتب لاحقًا في العهود المُتأخرة، ولذا تجد كثيرًا من كتب أهل نجد لها أكثر من عنوان.
ولهذا لم يكن أولئك المدونون الأوائل البسطاء في وارد اختيار عناوين براقة لكتبهم، بل رأينا أن جلَّ المؤرخين في نجد قد اختار عنوانًا واحدًا ومُتشابهًا لكتبهم جاء تحت عنوان (تاريخ نجد).

ولو جادل أتباع ومُريدو الوهابية وقالوا إن عنوان الكتاب الموسوم بـ(الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) غير صحيح وملفق، ولكن فحوى ما جاء في ذلك الكتاب صحيحة، وأقروا بدرجة الخلاف العميق بين الأخوين محمد بن عبد الوهاب وشقيقه سليمان بن عبد الوهاب، واعترفوا بمصداقية

الرسائل المُتبادلة بين الأخوين إثر ذلك الخلاف الدموي الحاد الذي نشب بينهما، والذي وصل إلى حد الحرب، لكان لاعتراضهم وجاهة وقبول، لكنهم ينفون نفيًا قاطعًا وجود أي صراع عائلي أو عداء مسلح كان قد وقع بين الأخوين، وهذا محض هراء وفضيحة بحق هؤلاء الأفاقين، لأن كل المصادر التاريخية ومن بينها المصادر الوهابية السعودية الرسمية تؤكد ذلك الصراع الدموي المعروف الذي نشب بين محمد بن عبد الوهاب وشقيقه سليمان.
علمًا أن مُفتي الحنابلة في مكة المُكرمة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي يؤكد في كتابه (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) على صحة ذلك الكتاب المذكور الذي ألّفه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في رده على شقيقه محمد، ولكن الكتاب كان يحمل اسم (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب)، وليس كما زعم بأنه يحمل اسم (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية).

وبالإضافة إلى الخلاف العميق الذي نشأ بين الشقيقين فمن المعروف أيضًا أن الأب الشيخ عبد الوهاب بن سليمان قاضي العيينة السابق، كان هو الآخر مُعارضًا معارضة شديدة ورافضًا لتصرفات ولده محمد، وكان كثير الانتقاد والتعنيف له، وقد حصل بينهما جدل وخلاف كبير، ذكره العديد من المؤرخين النجديين والحجازيين وحتى العرب، وكذلك الأمر ينطبق على شقيقه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي وصل الخلاف والعداء بينه وبين أخيه محمد إلى حد الحرب والقتال.
حيث يوثق لنا مُفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن حميد النجدي في كتابه وارد الذكر - السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة - نوعية ذلك الخلاف الأسري بين الشيخ عبد الوهاب وبين ولده المارق محمد، فيذكر لنا لمحة من خلال تعريفه لعبد الوهاب بن سليمان، فيقول :

«٤١٥ـ عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف، بوزن محمد التميمي النجدي. قرأ في الفقه على أبيه صاحب المنسك المشهور وعلى غيره وحصل على وتفقه ودرّس وكتب على بعض المسائل الفقهية كتابة حسنة، توفي سنة ١١٥٣ هـ، وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق لكن بينهما تباين، مع أن محمدًا لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عن من عاصر الشيخ عبد الوهاب هذا أنه كان غضبانًا على ولده محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته، ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر فكان يقول للناس ياما ترون من محمد من الشر، فقدر الله أن صار ما صار، وكذلك ابنه سليمان أخو محمد كان منافيًا له في دعوته وردَّ عليه ردًا جيدًا بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم مُتقدمًا أو متأخرًا كائنًا من كان غير الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فإنه يرى كلامهما نصًا لا يقبل التأويل ويصول به على الناس وإن كان كلاهما على غير ما يفهم، وسمي الشيخ سليمان رده على أخيه (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب) وسلمه الله من شره ومكره مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد، فإنه كان إذا باينه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مُجاهرة يُرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله، وقيل إن مجنونًا كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح، فأمر محمد (بن عبد الوهاب) أن يُعطى سيفًا ويدخل على أخيه الشيخ سليمان وهو في المسجد وحده، فأُدخل عليه فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه، فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول : يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين ويكررها مرارًا، ولا شك أن هذه من الكرامات». ۞

---

۞ كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

ولم يكن عبد الوهاب قاضيًا فحسب بل كان ملمًا بالأمور الشرعية والفقهية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وكان غالب أهل نجد يعودون في فتاواهم وفقههم إلى مشايخ الحنابلة في الشام سواء كان في دمشق أو حلب، حيث يذكر لنا مُفتي الحنابلة في مكة المُكرمة الشيخ محمد بن حميد النجدي في كتابه، أن خلافًا فقهيًا وقع بين الشيخ عبد الوهاب بن سليمان وبين الشيخ عبد الله بن عضيب الناصري التميمي حول حديث البركة، فاضطرا أن يحتكما معًا إلى مُفتي الحنابلة في دمشق الشيخ محمد أبي المواهب، حيث يقول ابن حميد : « ٣٧٢- عبد الله بن أحمد بن محمد بن عضيب الناصري التميمي نسبًا، النجدي مولدًا وموطنًا...الخ. وألّف رسالة في تحريم الدخان، و(قد) وقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي مُنازعة في حديث البركة في ثلاث خلط البر بالشعير، فقال أحدهما: للبيت لا للبيع، فقال الآخر بل للبيت وللبيع، وطال بينهما النزاع وزاد الشيخ عبد الوهاب على المترجم في الكلام فأرسلا سؤالاً إلى مُفتي الحنابلة وعلامتهم بدمشق الشيخ محمد أبي المواهب وارتضيا ما يقول، فأجاب بتصويب الشيخ المترجم وتأييد قوله، فعند ذلك أنشأ أبياتًا يذكر فيها ما سبق للشيخ عبد الوهاب من الحدة في الكلام، لا تحضرني الآن». ۞ -انتهى الاقتباس-

كما يذكر لنا صاحب مخطوطة (كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب) أن خلاف محمد بن عبد الوهاب مع أبيه كان خلافًا مبدئيًا أخلاقيًا وشرعيًا بسبب عدم رضا محمد عن تصرفات والده القاضي عبد الوهاب، حيث يزعم صاحب المخطوطة التي دونت فيما بين عام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١هـ، أن القاضي عبد الوهاب كان يتلقى بعض الرشا من قبل المُتخاصمين لديه، وأن ولده محمد لم يعجبه ذلك الحال فحاول أن يمنعه من أخذ الرشاوي لكن الأب لم يرتدع، ولهذا حدث الخلاف العميق بينهما، وعن ذلك الخلاف يذكر صاحب المخطوطة قائلاً:

---

۞ كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

«وبعد فهذا كتاب تاريخ كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. إنهُ لما رأى كثرة جهل الناس بدين نبيهم ﷺ، وذكر قول الله تعالى: { إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ }. ولمَّا كان صغير السن وجد أن أباه عَمّال يرتشي (أي يتعاطى الرشوة). فقال له: يا والدي هذا حرام عليك. فما يجوز لك أن تأكل الحرام. أما أبوه فاغتاظ منه. وقام عليه وأخرجه من بيته. وفي الوقت قام وخرج من البلد. وتوجه إلى ناحية البصرة. ومكث بها مدة ليست بطويلة. وخرج منها وتوجه لمدينة رسول الله ﷺ. وأقام بها مدة وخرج منها. ثم بعد ذلك أراد التوجه إلى ناحية نجد. فتوجه إليها ودخل لمدينة العيينة. ومكث بها مدة يدعو الناس إلى الإسلام. وأقام عندهم ستة أشهر وهم وإياه مقيمون الدين. ثم بعد ذلك ظهرت امرأة زانية فقام لها. وأقام الحَدَّ عليها. وعند ذلك اختلفوا أهل المدينة وأخرجوه من بينهم. وأمر شيخ العيينة بقتله. ففر هاربًا بالليل إلى ناحية مدينة الدرعية. فدخلها بعد غروب الشمس بقدر خمس ساعات كانت ماضية من الليل. فأتى شيخهم محمد أبو عبد العزيز. وقد عاهده على أنه يُقيم الإسلام ويُجاهد مدينة نجد. ومكث عندهم مدة سنتين ما جاهد أحدًا: لأنهم أناس ضعفى. ومدينتهم ليست قوية. ثم بعد ذلك أقام على ثمانية جمال عليها ستة عشر سقمانًا والباقي معهم رماح. ورجعوا ولم يُصيبوا غنيمة. وبعد ذلك غزوا علنيًا على عشرين جملاً، وأخذوا غنيمة بقدر خمسمائة قرش. وحاربهم راعي مدينة الرياض (دواس بن دهام). وبقي في حربهم ثماني وثلاثين سنة. وقتل من أولاد المُسلمين مقدار ثلاثمائة رجل. وقتل منهم أناس لا يُحصون. ثم بعد ذلك خرج من مدينة الرياض. وصارت من أملاك المُسلمين وفي يدهم. ثم بعد ذلك سار عليهم صاحب نجران، وقتل من المُسلمين اثنى عشر مائة (١٢٠٠) رجل».۞

---

۞ كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

ولو كان هذا الادعاء المزعوم صحيحًا (أي أن والد محمد القاضي عبد الوهاب كان مرتشيًا) فلماذا استمر الخلاف بين الأب وابنه، حتى بعد أن قام أمير العيينة خرفاش ـ محمد بن معمر، بعزل القاضي عبد الوهاب بن سليمان من سلك القضاء، ومن ثم رحل عبد الوهاب إلى حريملاء هو وأسرته؟
ولماذا تأجج الخلاف بين الأب عبد الوهاب وولده محمد في حريملاء أكثر مما كان عليه الحال في العيينة، وأصبح العداء مُستأصلاً بينهما، وكذلك الأمر مع شقيقه سليمان وذلك بعد أن بدأ محمد بن عبد الوهاب يُهرطق ويُكفر الناس.

وأنا أجزم أن صاحب تلك المخطوطة يعني تحديدًا ما جاء في رسالة الشيخ سليمان بن محمد بن سحيم الشهيرة التي أرسلها لعلماء البصرة الحنابلة وإلى علماء الأحساء يسرد فيها هرطقات محمد بن عبد الوهاب والتي من ضمنها استخلاص قضاة نجد لرسوم مالية زهيدة من الطرفين جزاء حكمهم أو مُقابل ما يقضون به، حيث يذكر ابن سحيم في جزء منها قائلاً :
« ومنها أنهُ يقول الذي يأخذه القضاة قديمًا وحديثًا إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن لهم بيت مال ولا نفقة إن ذلك رشوة، وهذا القول بخلاف المنصوص (عليه) عن جميع الأئمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول للخصمين لا أقضي بينكما إلا بجعل».[۞]

ويوثق لنا المؤرخ العراقي إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي في كتابه الذي ألفه قبل مائة عام تقريبًا والذي حمل اسم "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" حيث يذكر بعض من ذلك الخلاف، وبالمُناسبة فإن صبغة الله الحيدري هذا ليس شيعيًا كما يبدو للبعض في أول وهلة من خلال اسمه، أو صوفيًا كما سيرميه بعض الوهابيين بالتُهم الجاهزة المُعلبة ، بل كان مؤرخًا حنبليًا سلفيًا أثريًا "وهابيًا" حسب مُسمى الوهابية

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

لأتباعهم في هذا الزمان، وكان يُمجِّد كثيرًا بآل سعود ويُثني على الوهابية في بعض جوانبها، ويستنكر عليها في جوانب أخرى، حيث يقول:

«فأشهر علماء نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. الذي تنتسب إليه الوهابية، والنسبة إنما هي إلى الشيخ محمد لأنهُ الذي شيَّد أركان الوهابية دون أبيه، بل خالف أباه المذكور ووقع بينهما جدال ـ كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ـ فنسبت لعبد الوهاب مجازًا،..... الخ. فقرأ الشيخ محمد على أبيه الشيخ عبد الوهاب الفقيه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وكان الشيخ في صغره كثير المُطالعة لكتب التفسير والعقائد، وأظن كثرة مُطالعة الكتب بدون مُراجعة العلماء الأسانيد والأخذ عنهم هو الذي حمله على التعصب الذي شاع عنه، فإن العلم بالتلقي والاستقلال في الرأي يوقع في المهالك ومخالفة الجمهور وخرق الإجماع. فصار يُنكر على أهل نجد كثيرًا من الأمور، فلم يُسعفه أحد وإن استحسن إنكاره بعض الناس.... الخ. ولما وصل الشيخ محمد لبلدة حريملا لازم أباه الشيخ عبد الوهاب، وقرأ عليه ثانيًا وأظهر الإنكار على أهل نجد في عقائدهم فوقع بينه وبين أبيه الشيخ عبد الوهاب منازعة وجدال، وكذلك وقع بينه وبين الناس في بلدة حريملا جدال كثير، فأقام على ذلك مدة سنتين حتى توفى أبوه الشيخ عبد الوهاب رحمه الله تعالى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف».

ثم يذكر لنا صبغة الله الحيدري في مكان آخر من نفس الكتاب :

« وكان والد الشيخ عبد الوهاب، الشيخ سليمان فقيهًا أعلم علماء نجد في زمانه، وله اليد الطولى في العلم، وانتهت إليه رئاسة العلم في نجد، وصنف ودرس وأفتى، إلا أن الشيخ محمد لم يكن على طريقة أبيه الشيخ عبد الوهاب وجده الشيخ سليمان، بل كان شديد التعصب كثير الاعتراض على العلماء، وكان يُجوِّز قتال من خالفه، بل يعتقد كفره، ويُسمي قتال المُسلمين المُخالفين له جهادًا في سبيل الله تعالى، ويجعل أموالهم كغنائم الكفار، ويمنع من قصد

زيارة النبي ﷺ، والاستغاثة والاستشفاع به ﷺ إلى الله تعالى وسائر الأنبياء والأولياء وغير ذلك مما أطبق الجمهور على جوازه. ....الخ. إلا أنهُ بالغ في بعض الأمور، وحمل الناس على اعتقاد عدم الشرك فيما خالفه، وحثهم على قتال المُخالفين له وأحل أموالهم، وجعل قتالهم جهادًا في سبيل الله تعالى، وصار سببًا لإظهار هذه البدع الواهية والفتن العظيمة.... الخ».[*]

أما شقيقه الشيخ سليمان، فقد كان من أوائل من انتبه لخطورة ما يدعو إليه شقيقه محمد، ولم يكن أقل شدة من أبيه القاضي عبد الوهاب في مخالفة دعوة شقيقه المهرطق محمد، بل كان شديد الخلاف معه، ومن أوائل من وقف أمام دعوة شقيقه محمد صاحب الدعوة الوهابية، حتى وصل الخلاف بينهما إلى درجة المواجهة بالسلاح والقتال، وقد وثق المؤرخ الوهابي حسين بن غنام ذلك الصراع الدموي بين الأخوين في كتابه، ولكن في طبعة عبد المحسن أبا بطين، حيث يقول:

« ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف ١١٦٥هـ : واستنشق الشيخ من أخيه سليمان، أنه لأسباب الردة معوان، وأنه يلقي إلى الرؤساء وخاصة من الجلساء شبهًا كثيرة، وإنما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة، فلأجل إلقائه عليهم الشبه وترويجه عليهم بما خفي علينا واشتبه كاتبه الشيخ وناصحه، بل أنَّبه وكافحه وحذَّره شؤم العاقبة، وبيَّن له أنه لا يدرك مطالبه؛ فلم تجده النصائح والإنذار، فلم تجدي النصائح والإنذار، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجة الاستبصار والطمأنينة والسكنى في تلك الديار، بل طلب واختار ركوب كواهل الأخطار، وكان سليمان قبل أنْ يطير من الردة اللهب حين عذله الشيخ وعتب؛ أرسل إلى الشيخ رسالة حبَّر فيها كلامه ومقاله وزخرف فيها أقواله ـ ولكنها للعهد قد تضمنت، ولعقد الأيمان قد حوت وأحكمت ـ أنه إنْ وقع من أهل حريملا ارتداد لا يقيم يومًا في تلك البلاد ؛ فلم

---

[*] كتاب : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد \
تأليف : إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي..

يفِ بذلك الوعد، بل أخلف الميثاق والعهد وآثر السكنى والبقاء أيام الفتنة والشقاء، كيف لا وهو أبو عذرها، والباعث على تأسيس أمرها، والداعي إلى تأسيس قبيحها ونكرها».۞

وأما عن إصدار محمد بن عبد الوهاب أمره بقتل سليمان بن خويطر الذي اتهمه محمد بن عبد الوهاب بالتآمر مع أخيه سليمان ضده، فيذكر حسين بن غنام في كتابه، في طبعة أبا بطين:

« ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف ١١٦٧هـ: وفيها مقتل سليمان بن خويطر، وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية، وهم إذ ذاك بلد حرب؛ فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابًا وذكر فيه شُبُهًا مزخرفة، وأقاويل مغيّرة محرفة، وأحاديث أوهى من نسج العنكبوت، وأمرَهُ أنْ يقرأها في المحافل والبيوت،وألقى في قلوب أناس من أهل العيينة شبهًا مضرةً شينة، غيَّرتْ قلوبَ مَنْ لم يتحقق بالإيمان، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان، فكان يفعل ما به أُمر، فلما تُحققَ حاله واختبر أمر الشيخ به أنْ يُقتل؛ فقتل وامتثل أمره وقبل، ثم إنَّ سليمان على حالته لم يزل يرسل الشبه في الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل، ويبذل في ذلك الجد في العمل، ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة أبطل فيها ما موّه به سليمان وما قاله وعطل فيها كلامه وأقواله، نحا فيها منهج الصدق وبيّن واضح الثواب والحق، فهي بحر زخر تياره وطمى وسحاب همل ودقه وهمى زيَّن فلكها بنجوم التوحيد الزواهر وأشحن فلكها بعلوم التوحيد الزواخر تلين قلوب السامعين لقولها ويصغي لها أهل الهدى بمسامع دلائلها محروسة عن كل معارض وآياتها محفوظة عن كل مدافع»۞.

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

إذن ها هو دليلٌ آخر دامغ من كتاب المؤرخ الوهابي حسين بن غنام وهو الذي كان بمثابة مدون أو الحبر الخاص بمحمد بن عبد الوهاب، فهو يوثق لنا في النسخة الأصلية من مخطوطته والتي قام عبد المحسن أبا بطين بطباعتها في مصر عام ١٣٦٨هـ، وعليه فلا مجال هنا للمراوغة ولا حجة لأتباع الوهابية في تكذيب ما حدث خصوصًا وأن المصدر هو وهابي خالص.

وأما عن عملية الغدر التي قام بها محمد بن عبد الوهاب والذي أمر بتصفية سليمان بن خويطر، فيذكر عثمان بن بشر في تاريخه:

« وفي سنة ١١٦٧هـ: وفي هذه السنة أيضًا قتل سليمان بن خويطر وذلك أنه لما قدم بلد حريملاء خفية وهي حرب، كتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابًا، وذكر فيه تشبيهًا على الناس في الدين، فتحقق عند الشيخ أن ابن خويطر قدم العيينة بذلك فأمر بقتله، فقتل. وأرسل الشيخ رحمه الله إلى أهل العيينة رسالة عظيمة طويلة في تبطيل ما لبس به سليمان على العوام، وأطال فيها الكلام من كتاب الله وسنة رسوله».[۞]

وأما ما جاء في كتاب حسين بن غنام في طبعة الدارة السعودية الرسمية، والتي شوَّهها المؤرخ السوري ناصر الدين الأسد، وحذف منها الكثير من المعلومات والحقائق، فقد جاء فيها:

«وفي شوال من هذه السنة (١١٦٥هـ) ارتد أهل "حريملا" – وكان قاضيها سليمان بن عبد الوهاب، أخا الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وكان الشيخ حين علم أن أخاه يسعى في الفتنة ويُلقي على الناس الشبهات – قد أرسل إليه كُتبًا ينصحه فيها، ويؤنبه على ما كان يصنع، ويُحذره العاقبة، فأرسل سليمان إلى الشيخ رسالة زخرف فيها القول، وأكد فيها العهد، وذكر له أنهُ لن يُقيم في حريملا يومًا واحدًا إن ظهر من أهلها ارتداد.....

إلى أن تقول نسخة الدارة: ولكنه لم يلبث أن كشف عن غدره ومكره وحسده

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

لأخيه، وغيرته منه، فنقض العهد. وتألب أهل حريملا على من فيها من أهل التوحيد والإيمان فحاربوهم، وعزلوا والي البلدة وأميرها: محمد بن عبد الله بن مبارك، بعد أن أصابه منهم رجل اسمه ابن وحشان، ثم أخرجوه من البلد مع أولاده، وفرَّ معه غيره من أهل الدين..... فأتوا إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود فأخبروهما بما حدث، وشرحوا لهما الأمر.
إلى أن يقول: وفي هذه السنة أيضًا قتل سليمان بن خويطر، وسبب ذلك أنهُ قدم إلى بلدة حريملا خفية - وهم إذ ذاك بلد حرب- فكتب معه قاضي البلدة سليمان بن عبد الوهاب - أخو الشيخ- كتابًا إلى أهل العيينة ذكر فيه شُبهًا مُريبة وأقاويل مُحرفة وأحاديث مُضلة، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت. فألقى بذلك في قلوب بعض أهل العيينة شبهات غيرت قلوب من لم يتحقق الإيمان ومن لم يعرف مصادر الكلام. فأمر الشيخ به أن يُقتل فقُتل....
إلى أن يقول ابن غنام: ثم فتح المسلمون حريملا عنوةً فقد سار إليها عبد العزيز بن محمد بن سعود في نحو ثمانمائة رجل ومعهم من الخيل عشرون فرسًا. فأناخ شرقي البلد ليلاً، وكمن في موضعين: فصار عبد العزيز ومعه عدة من الشجعان في "شعيب عوجا" وكمن مبارك بن عدوان مع مائتي رجل في "الجزيع". فلما خرج عليهم الكمين الأول وصبروا حتى بدا لهم الكمين الثاني فلم يملكوا إلا الفرار، فتفرقوا في الشعاب والجبال. وقتل المُسلمون منهم مائة رجل، وغنموا كثيرًا من الذخائر والأموال وقُتل من المُسلمين سبعة..... الخ.
ثم يقول ابن غنام: ودخل المُسلمون البلدة، وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان. وصارت البلدة فيئًا من الله، ودورها ونخيلها غنيمة للمُسلمين. وفي هذه الوقعة هرب قاضي البلدة سليمان بن عبد الوهاب - أخو الشيخ - ماشيًا حتى وصل إلى سدير سالمًا. وولى عبد العزيز مبارك بن عدوان أميرًا على البلد، وأعطاه نفائس الأموال وخيره ما شاء من البيوت والبساتين، ولكنه لم يحفظ نعمة الله، فارتد بعد ذلك». - انتهى الاقتباس -

أما عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام فيذكر في كتابه "علماء نجد خلال ثمانية قرون" فيقول:

« والشيخ سليمان مخالف لأخيه الشيخ محمد ولدعوته ومعادٍ لها ورادٍ عليها، وكان حين ولاية الإمام محمد بن سعود عليها هو القاضي في حريملاء».[۞]

فمن هو إذن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب؟ وما علاقته بالدعوة الوهابية؟

هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان المشرفي النجدي، الحنبلي.
وهو الأخ الشقيق لـ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية التي خرجت في العيينة في اليمامة بنجد، وكان سليمان بن عبد الوهاب أكبر سنًا من شقيقه محمد وأكثر منه علمًا وفقهًا، وكان أوجه منه، بل كان بكر أبيه، وقد درس محمد بن عبد الوهاب عند شقيقه سليمان كما درس عند أبيه عبد الوهاب، وكان سليمان بن عبد الوهاب كما ذكر معاصروه متُبحرًا في الفقه عالمًا نبيهًا مقبولاً عند علماء نجد كافة، وكان موجبًا عند الزعماء والأمراء، ومرجعًا موثوقًا للعامة من الناس، ومسموع الكلمة لعلمه، وعقله، وتقواه، وإخلاصه، بل كان من أول المُبادرين للنهي عن المنكرات، والوقوف أمام انتشارها باللسان والقلم والنصيحة.

وقد أرسل سليمان بن عبد الوهاب بعد ثمانية سنوات من بدء الفتنة الوهابية رسالة مفصلة كانت بمثابة كتاب أو رسالة مطولة وجهها سليمان بن عبد الوهاب لـ حسن بن عيدان، وقد حملت لاحقًا اسمًا رمزيًا من صياغة الناشرين كان بعنوان "فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبد الوهاب"، وقد ورد هذا الاسم في كتاب محمد بن حميد الحنبلي "السّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة". ونفس هذا الكتاب موجود في المكتبة الأزهرية حيث يحتفظون بنسخة مخطوطة منه تحت عنوان: "الـردّ على منْ كفَّر المسلمين بسبب النذر

---

[۞] كتاب : علماء نجد خلال ثمانية قرون \ تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام

لغير الله والاستغاثة بغيره ونحو ذلك"، وهناك نسخة أخرى بالعنوان ذاته في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد. ويبدو أن سليمان بن عبد الوهاب لم يسم كتابه أو بالأحرى لم ينوي تأليف كتاب أصلاً، بقدر ما كانت عبارة عن رسائل مطولة رد فيها على هرطقات أخيه، وقد انتشرت تلك المخطوطة دون عنوان، فصيغت لها عناوين مختلفة حسب المكان والزمان، وحسب الناشر وحسب الأهواء والتوجهات، وربما أخر تلك العناوين المُختارة كان يحمل عنوان: "الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية".

فقد كان لهذا الكتاب أو تلك الرسالة أثرًا بليغًا في تعريف الناس بواقع العقيدة الوهابية ولهذا وقع رأيه موقع الرضا والقبول، لأن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب على علمه وصدقه ومقبوليته، كان شاهد صدق على أخيه محمد الذي عاشره وعاصره عن قرب، كما عاش تفاصيل وأحداث تلك الفتنة ومحدثاتها، وأعمالها وتصرفاتها، وقد سبر أغوارها، وشاهد بعينه تناقضاتها، ولمس بيده تلك الجرائم والويلات التي جرتها تلك الدعوة الدموية على الأمة وعلى الناس، فكانت شهادته مسموعة من باب (وشهد شاهد من أهلها).

وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « ما ظهر أهل بدعة إلا اظهر الله فيهم حجة على لسان من شاء من خلقه وهو أعلم بهم وأخبر». ولاشك فإن هذا الحديث النبوي ينطبق بدقة على حالة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، ويُحق فيه قول الشاعر:

نحــن أدرى وقــد نزلنــا نجــد أقـــصير طريقـــه أم طويـــل

ولذلك فقد رجع كثير من رؤساء القبائل وعلماء البلاد والعوام المُغفلين والمغرر بهم عن إتباع تلك الفرقة الخارجة، والالتزام بمذهب السُّنة والجماعة، وكذلك كان لقوة رأي وحجة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي عرضه في رسائله وصدق ما نقله من الآراء والأعمال أثرًا كبيرًا في ردع أصحاب تلك الدعوة وجعلهم يُراجعون أنفسهم، وقد اعترف كل الباحثين

والمُتابعين المُحايدين باستثناء أتباع الوهابية، بأن الشيخ سليمان كان ـ كأبيه ـ من أشد المُعارضين للفرقة الوهابية، قبل ظهورها للعلن وحتى بعد انتشارها، لما شاهده من ارتكاب الكبائر والمخالفات الشرعية والتكفير والفقه غير الراشد، وقد اجتهد سليمان وأبيه في نصيحة وتحذير صاحب تلك الدعوة، كما حذرا معًا الناس من مغبة وبراثن تلك الدعوة.

ولكن بعد أن ظهرت الدعوة الوهابية للناس وأصرَّ شقيقه محمد على المضي في غيه، بادر الشيخ سليمان إلى الرد عليه من خلال تلك الرسائل التي جُمعت لاحقًا في كتاب مطبوع، حيث انبرى سليمان لنقد وتفنيد تلك الدعوة المكفرة للمُسلمين بالشبه وتبيان خللها، والتبرؤ من عقائدها والانزجار من أفعال أتباعها وردع تصرفاتهم.

ولم يتوقف الأمر على موقف سليمان وأبيه فقط من تلك الدعوة، فقد ردَّ الكثير من مشايخ نجد وعلمائها على محمد بن عبد الوهاب وفندوا دعوته الضالة، ومن ضمن من خالفه الرأي كان سليمان بن محمد بن سحيم، ومربد المربد، والشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز النجدي، وداود بن جرجيس، وعبد الله بن عيسى المويس؛ أو المويسى، والشيخ أحمد المصري الأحسائي، وكذلك الشيخ أحمد بن علي القباني صاحب البصرة، وأيضًا رد على ابن عبد الوهاب الشيخ عطاء المكي الذي ألَّف رسالة سمَّاها "الصارم الهندي في عنق النجدي"، وكذلك مفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد. وربما من أهم من رد على هرطقات محمد بن عبد الوهاب هو الشيخ الجليل محمد بن عبد الرحمن بن عفالق.

ويذكر محمد بن عبد الوهاب في رسالة له موجهة إلى مطوع ثادق عبد الرحمن بن ربيعة شاكيًا له أسماء بعض من خالفوه ناقمًا عليهم ومكفرا لهم، وكيف يصف أحمد بن يحيى بالنجاسة وينعته بالكفر، فيقول في رسالته :

« فهذه خطوط المويس، وابن إسماعيل، وأحمد بن يحيى عندنا في إنكار هذا الدين والبراء منه ومن أهله، وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه، فإن استقمت على التوحيد وتبينت فيه، ودعوت الناس إليه، وجاهرت بعداوة هؤلاء خصوصًا ابن يحيى؛ لأنه من أنجسهم وأعظمهم كفرًا، وصبرت على الأذى في ذلك فأنت أخونا وحبيبنا».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد ذكر حسين بن غنام بعض الأسماء المعروفة من مشايخ نجد ممن خالفوا محمد بن عبد الوهاب وجادلوه، ولكنه اتهمهم بالحسد والغيرة والنقمة على ابن عبد الوهاب، حيث يذكر ابن غنام في كتابه:

« والذي تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لجج موجه الخطير وشمر فيه أعظم التشمير وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير حسدًا وبغيًا لفوزه بهذا الفضل الكثير والفخر النابل المُنير، سليمان بن سحيم وأبوه محمد من مطاوعة الرياض، والموانيس من أهل منيخ، وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق، فصار كل من هؤلاء مُعاندًا مُجادلاً مُشاقق وحذروا منه جميع الأنام، وأخرجوه بلا شك من حوزة الإسلام وأغروا به الخاص والعام خصوصًا السلاطين والحكام».[۞۞]

والحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق قد ألقم ابن عبد الوهاب حجرًا وأظهره أمام طلبة العلم والعلماء وحتى العامة كمدعي فارغ ومتسلق جاهل على أكتاف الدين، كونه مُتعالمًا ولا يفقه في التفسير ولا يعرف في أحكام الشريعة،وهذا ما جعل محمد بن عبد الوهاب يحقد أشد الحقد على الشيخ محمد بن عفالق، وقد ردَّ عليه ابن عفالق بكتاب أسماه "تهكم المُقلدين بمُدعي تجديد الدين" ومما جاء فيه من سخرية وتهكم بعدم إطلاع محمد بن عبد الوهاب

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[۞۞] المرجع نفسه.

وجهله، هو ما أورده لنا الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية" حيث ينقل لنا دحلان قائلاً:

« وقد أظهر عجزه لما سأله بعدة أسئلة ثم قال له ولا أكلفك إلا الاستخراج من الكُتب المُصنفة مع أن المُستنبط له ملكة راسخة في نفسه يُدرك بها جميع ذلك من غير مُراجعة، فمن أسئلته له: فأسألك عن قول الله تعالى والعاديات ضبحا إلى أخر السورة التي هي من قصار المُفصل، كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية، وكم فيها من مجاز مُرسل ومجاز مُركب واستعارة تحقيقية واستعارة وفاقية واستعارة عنادية واستعارة عامية واستعارة خاصة واستعارة أصلية واستعارة تبعية واستعارة مُطلقة واستعارة مُجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح والتجريد فيها، وموضع الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمُركب والتشبيه المُجمل والمُفصل وما فيها من الإيجاز والإطناب والمُساواة والإسناد الحقيقي والإسناد المجازي المُسمى بالمجاز الحُكمي، وأي موضع فيها وضع المُضمر موضع المظهر وبالعكس، وموضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جُملتين مُتعاطفتين، ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة، وما فيها من إيجاز قصر وما فيها من إيجاز حذف، وما فيها من احتراس وتتميم، وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من وجوه الإعجاز ومن طرق التحدي التي اشتملت عليها هذا السورة القصيرة مما هو منصوص على جميعه؟

ولم يقدر ابن عبد الوهاب على جواب شيء مما سأله الإمام الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق رحمه الله وجزاه الله خيرا».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية: الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

كما برز دور شيخ الحنابلة في الأحساء الشيخ الضرير محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي في تفنيد ادعاءات وهرطقات محمد بن عبد الوهاب، فأصبح ابن فيروز يُشكِّل كابوسًا وهاجسًا مؤرقًا للوهابيين وقد بذل محمد بن عبد الوهاب الكثير من المال والذهب من أجل التخلص من ذلك الخصم اللدود الذي وقف حجر عثرة أمام تطلعاته، وأثار حمية الناس الدينية عليه، كيف لا وهو الشيخ الحنبلي المُتبحر ذلك الخصم العتيد الضرير خصوصًا بعد أن قام الشيخ محمد بن فيروز بمراسلة السلطان عبد الحميد شخصيًا ليحثه في السعي للقضاء على دابر الوهابيين أولئك البغاة الخوارج. حيث يذكر لنا مُفتي الحنابلة في مكة المُكرمة الشيخ محمد بن حميد في كتابه أن طاغية العارض محمد بن عبد الوهاب كان قد بذل ٥٠٠ من القطع الذهبية لغرض اغتيال الشيخ الضرير محمد بن فيروز، لكنه فشل بسبب تخاذل ورعب من أرسلهم لتنفيذ تلك المهمة الغادرة، فاضطر الشيخ محمد بن فيروز لاحقًا إلى الفرار بأسرته إلى البصرة خوفًا من بطش الوهابيين وخشية من انتقام كبيرهم الحاقد الناقم عليه، حيث جاء في ترجمة حياة الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز في كتاب "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" فيذكر لنا عن سيرته الشيخ ابن حميد قائلاً :

«٦٢٧ - محمد بن عبد الله بن محمد بن فيروز التميمي الأحسائي : العلامة الفهامة كاشف المعضلات وموضح المشكلات ومُحرر أنواع العلوم ومُقرر المنحول والعقول بالمنطوق والمفهوم، ولد في مدينة الأحساء سنة ١١٤٢هـ ونشأ بها في كنف والده، وكف بصره بالجدري وهو ابن ثلاث سنين، وكان يقول لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأني كنت إذ ذاك لابسًا أحمر، ووضع الله فيه من سرعة الفهم وقوة الإدراك وبطؤ النسيان وشدة الرغبة والحرص والفتوح الباطنة والظاهرة ما يتعجب منه ... الخ.

وكان قصير القامة طويل الاستقامة عليه أنوار زاهرة وأثار العلم والصلاح ظاهرة مُهيبًا مُعظمًا عند الملوك، فمن دونهم مقبول الكلمة نافذ الإشارة بحيث

كاتب السلطان عبد الحميد خان يستنجده على قتال البُغاة الخارجين بنجد. ...... الخ. وكان الشيخ يرد عليهم (على الوهابيين) ويبين خطأهم وينصح الناس عنهم، فلهذا اتخذوه أكبر الأعداء وكفَّروه وصار عندهم يُضرب به المثل في عظم الشرك وأنهُ ممن أضله الله على علم! فلما رأى هذا منهم وهم في شوكة وصولة وفتك يسبى دارهم في ازدياد وعرف أنهم (سـ) يأخذون الأحساء فلم يطب له المقام بها وارتحل بأهله وأولاده ومن يعز عليه إلى البصرة وتبعه تلامذته فسافروا دفعات برًا وبحرًا مع غاية الخوف والوجل فسلمهم الله، ولما وصل البصرة تلقاه واليها عبد الله باشا بالإكرام والتعظيم وهرع إليه الخلق على مراتبهم للسلام عليه والتبرك برؤيته والتماس أدعيته، فكان يومًا مشهودًا امتلأت منه قلوب أهل البصرة سرورًا وطلب منه الباشا المذكور أن يقرأ صحيح البخاري في جامعه الذي بناه بسوق البصرة، فجلس الشيخ للإقراء وتكاثر الخلق حتى ضاق بهم المسجد، فوسعه الباشا لأجل هذا الدرس ..... الخ. وترجمه تلميذه الشيخ صالح بن سيف العتيقي (قائلاً) : هو العلامة أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن محمد بن فيروز إمام فضل عالم ورع تقي زاهد، رُبي في حجر والده صغيرًا واجتهد في طلب العلم وفقدت عيناه (البصر) وهو ابن ثلاث سنين، وحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو صغير و(قد) برع في العلم في حياة والده وكان إليه التدريس وكان عُمدة الحنابلة في الأحساء، قلَّ علم في العلوم إلا وله فيه سهم صائب من فقه وأصوله وحديث وأصول وتفسير ونحو وصرف ومنطق ومعاني وبيان وعروض وحساب وفلك وفرائض وطب وتعبير وغير ذلك، أوحد دهره وفريد عصره حسن الاعتقاد مهذب الأخلاق لا يهاب الملوك ولا يخاف في الله لومة لائم. ولا قرأ عليه أحد إلا كان في بيته يعوله مع عياله، ويقول لا يدرك من جماعتي أحد العلم إلا إذا كنت أعوله في بيتي، وكان كذلك، وكان يؤثر على نفسه ويعول في بيته نيفًا وسبعين نفسًا ولا ضاقت به الأمور إلا فرجها ربه، كثير الرضا بالقضاء والتسليم لأمر مولاه، قام في نصر الدين وقمع بدعة أهل العارض

المارقين حتى بذل عليه طاغيتهم خمسمائة أحمر ذهبًا لمن يقتله، وتسوروا عليه بيته ليلاً فلم يُمكنهم الله منه وزاد بعد ذلك في الرد عليهم والإنكار وحفه الله بلطفه، وله تآليف حسنة وأشعار رائقة، فمن تآليفه منظومة في معرفة المنازل والبروج اسمها عجالة المُستعجل نحوًا من ثلثمائة بيت، وتآليف في الحساب والجبر والمُقابلة».[*] -انتهى الاقتباس-

كما ردَّ عليه أيضًا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف (وهو أحد شيوخ محمد بن عبد الوهاب) بكتاب اسماه "سيف الجهاد على مُدعي الاجتهاد".

كذلك ردَّ عليه محمد بن سليمان الكردي، حيث ذكر المستشرق د.س.مارجليوث في مقالته: الوهابية في دائرة المعارف الإسلامية الأولى ١٩١٣- ١٩٣٦:

«أن محمد بن عبد الوهاب قد تكوَّن علميًا من خلال دراسته في المدينة على يد أساتذته، سليمان الكردي ومحمد حياة السندي اللذين اكتشفا ولاحظا عنده أمارات الهرطقة والابتداع والإلحاد».-انتهى-.

وأيضًا ردَّ عليه قاضي حرمة عثمان بن منصور وإبراهيم بن يوسف، والشيخ عثمان بن سند الذي وثق الكثير من وقائع ومجازر الوهابية، وكثيرًا ما سخر وتهكم عليهم هو الآخر في كتبه، حيث جاء في ذكره لهم في كتابه "مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود": «لأن هؤلاء الوهابيون تغالوا في إظهار النصح للإسلام، حتى خرجوا عن الحد، وأظهروا للناس بعض زخارف لا تروّج إلا على العوام فقط، وصاروا يكفّرون ما عداهم من المُسلمين، حتى أن بعضهم ألّف كتابًا، وذكر فيه إن الإمام السبكي مُشرك، وهُم يسمون أنفسهم بالسلف، ويزعمون أن لهم قدرة على أخذ الأحكام من الأحاديث النبوية، مع أني رأيت أعلمهم يقرأ في الحديث، ويقول: حدثنا الحَرْث بن هشام، بفتح الحاء وسكون الراء ، ولم يعرف أن نحو الحارث مع (أل) يُرسم بدون ألف ،

---

[*] كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

ومَنْ جهل مثل هذا؟ أفهل يجوز له أن يستنبط الأحكام من الأحاديث النبوية، مع أنه لا يعرف اصطلاح علم الحديث، بل ولا الضروريات منه، وما ضرنا إلا جهلهم المركب، تجد الرجل منهم بدويًا جافي الطبع، كان يرعى الغنم، فأصبح يُفسر في القرآن بجهله وبرأيه. ونعم وإن كان في زمنه ﷺ يرد عليه البدوي الجاهل الجلف فبعد مدة قريبة تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه، إلا أن ذلك لمشاهدته الأنوار النبوية فانبعث من ذلك النور قدر يسير فصّيره بتلك الحالة. أما في زماننا هذا فهؤلاء الوهابيون لا نشك في أن كل واحد منهم بمنزلة مُسيلمة الكذاب، فمن أين له نور؟ ومن أين له معرفة خاصة به؟ فضلاً عن أنها تتعداه لغيره».۞



- جنود وهابيون بريشة أحد الرسامين الغربيين -

---

۞ كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف : الشيخ عثمان بن سند البصري.

## ▪ بداية الخلاف والحرب بين محمد بن عبد الوهاب وشقيقه سليمان :

منذ البداية كان الخلاف مُستعرًا بين محمد بن عبد الوهاب وشقيقه الأكبر سليمان، ولطالما حاول أتباع الوهابية المُعاصرون نفي تلك الحقيقة وطمس ذلك الخلاف والعداء الصريح الذي وصل بين الشقيقين إلى حد القتال في وقعة حريملاء، والتعتيم المُتعمد عليه وعدم التطرق له لا من قريب ولا من بعيد!!

بل أن بعضهم اندفع كثيرًا وكذَّب وهاجم كل من يذكر أو ينوه بأن هنالك خلافًا حدث بين الشقيقين، خشية من اهتزاز صورة الوهابية وخوفًا من النقد والتقريع ومن ضعف حجة محمد بن عبد الوهاب، ودرءًا لشماتة الأعداء فيه، هكذا يفسر أتباعه نفاحهم المُستميت والعقيم واختلاقهم للقصص الكاذبة والروايات غير الصحيحة، يعتقدون واهمين أنهم من خلال سبك ونظم تلك الأكاذيب يدافعون ويُنافحون عن طوام وجرائم شيخهم، أو بالأحرى نبيهم الجديد.

لكنهم ينسون أو يتناسون أن مؤرخي الوهابية الذين عاصروا بداية تلك الحركة كـ حسين بن غنام وابن لعبون وعثمان بن بشر، أنهم سبق وذكروا جزءًا ولمحات من ذلك الخلاف الدموي في كتبهم، بحيث أغلقوا الطريق أمام غُلاة الوهابية لأي محاولة يائسة للترقيع أو التكذيب، فمثلاً سبق وأن أوردت ما ذكره حسين بن غنام عن إصدار محمد بن عبد الوهاب فرمانًا وهابيًا يأمر فيه بقتل سليمان بن خويطر، فقط لأنهُ كان يتعامل مع شقيقه سليمان ويؤمن بآرائه الدينية المُخالفة له، والتي كان يرويها على الناس، فحقد عليه محمد بن عبد الوهاب حقدًا شديدًا وأمر بقتله، وتلك الحادثة الدموية موثقة مثلما وثقت عملية اغتيال الأمير عثمان بن معمر وهو يُصلي الجمعة في مسجد العيينة، وهي حادثة جلية ولا مجال فيها للتعليل أو التبرير أو حتى التضليل، حيث توثق لنا بوضوح ذلك العداء المُستحكم بين الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، وبين شقيقه صاحب الدعوة الوهابية، حيث وثق لنا ابن لعبون عن

**تلك الحادثة في كتابه قائلاً: «وفي سنة ١١٦٧ هـ: وفيها قتل سليمان بن خويطر، وذلك أنهُ قدم إلى حريملاء، واجتمع بـ سليمان بن عبد الوهاب، فكتب معه نسخة إلى أهل العيينة، وكان فيها رد على أخيه (محمد)، وأمره أن يقرأها على من يثق به، فبلغ ذلك الشيخ محمد (بن عبد الوهاب)، فأمر بقتله، فقتل!».** ۞ - انتهى الاقتباس -

**وكما ذكرت سابقًا مما جاء في كتاب حسين بن غنام، وكذلك ما ذكره ابن بشر في كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد" عن ما أسمياه بتمرد حريملاء، بقيادة قاضي حريملاء الشيخ سليمان بن عبد الوهاب حيث تمَّ طرد أمير حريملاء محمد بن عبد الله وأتباعه من الوهابيين، المُعينين من قبل ابن سعود، بتحريض وتأليب من قبل الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، حيث يقول ابن بشر عن تلك الواقعة ما نصه:**

**« وفيها قام أناس من رؤساء أهل بلدة "حريملا" وقاضيهم سليمان بن عبد الوهاب في نقض عهد المُسلمين ومحاربتهم، وأجمعوا على ذلك فعزلوا أميرهم محمد بن عبد الله بن مبارك وأخرجوه من البلد ... الخ».** ۞۞

**ثم يقول ابن بشر في موضع آخر ما نصه:**

**« وفي هذه السنة فتحت حريملا عنوةً وذلك أن عبد العزيز بن محمد بن سعود سار إليها بنحو الثمانمائة، ومعه من الخيل عشرون فرسًا، فلما قرب منها أناخ في شرق البلد ليلاً وكمن في موضعين، فصار عبد العزيز ومعه عدة من الشجعان في الشعيب المُسمى بشعيب (عويجا) والكمين الثاني مع مبارك بن عدوان في مائتي رجل في الموضع المُسمى (بالجزيع)، فلما أصبح الصباح شنت عليهم الغارة فخرجت عليها أفزاع البلد، فانهزمت الغارة ورمت شيئًا مما فوق الركايب ليطمع فيها أهل البلد ، فناشبوهم القتال ، ثم خرج عليهم الكمين**

---

۞ **كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف : حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.**

۞۞ **كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.**

الأول فثبتوا له، فلما خرج عليهم الكمين الثاني ولوا منهزمين وكان الكمين قد حال بينهم وبين البلد، فتفرقوا في الشعاب والجبال، إلا من لم يخرج من البلد فقتل منهم نحو مائة رجل، وأنصرف عبد العزيز بعد ذلك قافلاً يريد وطنه. فعزم محمد بن عبد الله أمير ضرمى وأهل بلده بجيشهم – قيل إنهُ ثلاثة عشر مطية، ودخلوا البلاد وقصدوا مجلس البلد الذي في وسطها المُسمى (بالحويش) وأناخوا فيه. ونادوا بالأمان في البلد وبعثوا لعبد العزيز من يبشره بالفتح، فرجع عبد العزيز واستولى على جميع البلد ونادى فيها بالأمان لأهلها إلا من كان قد أحدث حدثًا من قبيلة آل راشد أو غيرهم، وصارت دورها ونخيلهم غنيمة للمسلمين، واستعمل فيها مبارك بن عدوان أميرًا».

إلى أن يقول ابن بشر: « وممن قتل ذلك اليوم من أعيان البلد في تلك الوقعة، أخو منيس محمد بن حمد ابن محمد بن سليمان، وحسن بن عبد الرحمن، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد الله. وهرب سليمان بن عبد الوهاب ماشيًا ووصل إلى سدير سالمًا، وقتل من الغزو نحو الثمانية. وذلك يوم الجمعة لسبع خلت من جمادى الآخر».[۞] - انتهى الاقتباس -

وهنا ومن خلال ما أورده حسين بن غنام وعثمان بن بشر يثبت لدينا يقينًا أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كان هو قائد ورمز ذلك التمرد أو المواجهة العسكرية التي وقعت في بلدة حريملاء ضد سلطة ابن سعود وضد شقيقه محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية، كونه كان القاضي والفقيه المُطاع ومن خلاله استلهم أهل حريملاء وجوب القتال للدفاع عن أنفسهم وعن بلدتهم والوقوف بحزم ضد أطماع وتوجهات الحركة الوهابية التي كانت تزعم آنذاك التوحيد والقضاء على الشرك المزعوم، ولهذا فهم يعتبرونه مرتدًا وكافرًا لأنهُ نقض عقد "المُسلمين" أي نقض عقدهم وعليه فهم يضفون

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

على أنفسهم لقب المُسلمين وعلى غيرهم صفة المُشركين. كما يتبين لنا أن سليمان بن عبد الوهاب كان يُقاتل مع أهل حريملاء ضد قوات عبد العزيز وشقيقه محمد بن عبد الوهاب وبقية أحلافهم، وهذا يعني أنهُ أصبح في حالة حرب علنية ومفتوحة مع شقيقه صاحب الدعوة، إلا أنهُ لم ينتصر عليهم بسبب قلة العدة والعدد، ولهذا فرَّ سليمان بن عبد الوهاب من حريملاء إلى سدير، وبقي فيها وربما حاول أن يكرر ثوراته ضد تلك الدعوة المزعومة ولكن دون جدوى.

إذن هذا دليل قاطع ومن مصادر وهابية رسمية توثق لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كان منذ البداية ضد الدعوة الوهابية، ليس ذلك فحسب بل أنهُ قاتلهم بحد السيف، ولكنه لم يوفق بسبب كثرة أعدادهم وتكالبهم على مدينة حريملاء فهزم وقمع وأخيرًا تمَّ نفيه.

وقد ذكر الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة في كتابه، أن سليمان بن عبد الوهاب كان قد هرب لاحقًا للمدينة المنورة ورد برسالة على ادعاءات شقيقه محمد صاحب الدعوة الوهابية يدعوه للكف عن التكفير وقتل الناس بدون جريرة فلم ينته.

بينما يذكر لنا ابن لعبون في تاريخه أن سليمان بن عبد الوهاب قد فارق أخيه كرهًا له، لكنه جُلب مع أهالي الزلفي ومنيخ رغمًا عنه وألزموه بالبقاء في العيينة، وبقي فيها حتى توفي هناك، حيث يذكر:

« وفي سنة تسعين بعد المائة والألف ١١٩٠هـ: وفد أهل الزلفي ومنيخ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز (بن محمد)، ومعهم سليمان بن عبد الوهاب وقد ابتعد من أخيه محمد وعبد العزيز كرهًا، فألزموه السكن في الدرعية وقاموا بما ينوبه من النفقة حتى توفاه الله فيها».[۞]

---

[۞] كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف : حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

ويبدو أن المؤرخين النجديين قد خلطوا بسبب تشابه الأسماء بين الشقيق سليمان بن عبد الوهاب وبين الابن سليمان بن محمد بن عبد الوهاب؛ والذي اشتهر هو أيضًا باسم (سليمان بن عبد الوهاب)، حيث تعوَّد الناس على تسميته باسم سليمان بن عبد الوهاب. وقد جاء ذكر سليمان بن عبد الوهاب الابن هذا في أحد أخبار المؤرخ عثمان بن بشر، وقد عاصر سليمان بن محمد بن عبد الوهاب الأمير سعود بن عبد العزيز وكان يُفسر ويقرأ الأحاديث على سعود في قصره، وهو ما اختلط على المؤرخين المُتأخرين فظنوه هو نفسه سليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد، إلا أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب لم يُعاصر سعود بن عبد العزيز، حيث ذكر لنا عثمان بن بشر تاريخ وفاته قبل أن يتولى سعود الحكم بعشرة أعوام، فينقل ابن بشر عن الابن سليمان فيقول :

« فإذا كان بعد صلاة المغرب اجتمع الناس لدرس عنده داخل القصر في سطح مجلس الظهر المذكور وجاء إخوانه وبنوه وعمه وبنوه وخواصه على عادتهم ولا يتخلف أحد منهم في جميع تلك المجالس الثلاثة إلا نادرًا، ويجتمع جمع عظيم من أهل الدرعية وأهل الأقطار ثم يأتي سعود على عادته، فإذا جلس شرع القارئ في صحيح البخاري، وكان العالم الجالس للتدريس في ذلك الموضع سليمان بن عبد الوهاب بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيا له من عالم نحرير، وحافظ متقن خبير. إذا شرع يتكلم على الأسانيد والرجال والأحاديث وطرقها ورواياتها فكأنه لا يعرف غيرها من إتقانه وحفظه إلى وقت العشاء الآخرة ». ۞ - انتهى الاقتباس -

والمقصود هنا طبعًا هو سليمان ولد محمد بن عبد الوهاب، وليس شقيقه سليمان، وهو ما اختلط على بعض المؤرخين، لأن سليمان بن عبد الوهاب كما قلت لم يُعاصر حكم سعود، فقد جاء في كتاب ابن بشر عن تاريخ وفاة سعود وفترة حكمه :

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**« (ثم دخلت السنة التاسعة والعشرون بعد المائتين والألف ١٢٢٩هـ)... وفي هذه السنة توفي الإمام قائد الجنود الذي اجتمعت له السيادة والسعود، سعود ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود جددت له البيعة في الدرعية في اليوم الذي قتل فيه أبوه. وأخذ البيعة له من جميع المُسلمين أمراؤه في النواحي والبلدان فأمنت البلاد وطابت قلوب العباد..... الخ.**

**إلى أن يقول : وكانت وفاته ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الأول من هذه السنة : فكانت ولايته عشر سنين وتسعة أشهر وأيام، وموته بعلة وقعت أسفل بطنه، أصابه بها مثل حصر البول».**[۞] - انتهى الاقتباس -

**ثم نعود لما ذكره ابن بشر في مكان آخر من نفس الكتاب وفي وقت سابق عن تاريخ وفاة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد بن عبد الوهاب وبإيجاز واختصار كبير، دون مزيد في المعلومات أو التفاصيل، حيث يذكر في كتابه ومن خلال سطر يتيم قائلاً :**

**«(ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف ١٢٠٨هـ)... وفي سابع رجب توفي الشيخ العالم الفقيه سليمان ابن عبد الوهاب اخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودفن في الدرعية».**[۞] - انتهى الاقتباس -

**إذن المقصود بـ سليمان بن عبد الوهاب الذي كان يقرأ على مسامع سعود من كتاب صحيح البخاري في قصره وأمام أبنائه وحاشيته، هو قطعاً سليمان الابن وليس سليمان الشقيق لمحمد بن عبد الوهاب، حيث توفي شقيقه قبل ١٩ سنة من تاريخ وفاة سعود، وقد مات قبل أن يتولى سعود الحكم بعد مقتل والده بحوالي ١١ سنة.**

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وبحسبة بسيطة نرى أن سعوداً قد توفي عام ١٢٢٩هـ، وكانت ولايته استمرت حوالي الـ ١٠ أعوام وتسعة أشهر، وعندما نطرح فترة حكمه من تاريخ الوفاة يكون سعود قد تولى الحكم - كما في نفس الكتاب- هو في شهر رجب من سنة ١٢١٨هـ، وعند الرجوع لتاريخ وفاة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، نجده أيضاً قد توفي في عام ١٢٠٨هـ في الكتاب!

إذن فإن الشقيق سليمان بن عبد الوهاب كان قد توفي قبل أكثر من عشرة أعوام وبضعة أشهر، من قبل أن يتولى سعود بن عبد العزيز الحكم، وعليه فهو إذن لم يتراجع عن مواقفه الصارمة ولم يتخلى عن عدائه المُحكم للوهابيين وهو لم يحضر قط لقصورهم، ولم يقرأ على مسامعهم صحيح البخاري، بل إن من فعل ذلك هو ابن محمد بن عبد الوهاب الشهير باسم (سليمان بن عبد الوهاب).

فربما أراد بعض الوهابيين أو مُريديهم أن يخلطوا الأوراق ويُرقعوا الأحداث ويُثبتوا لأعداء محمد بن عبد الوهاب أن شقيقه سليمان الذي لطالما عيروه به وانتقص بسببه، قد رجع نادمًا وعاد عن عداوته السابقة، وقد انضم لصف محمد بن عبد الوهاب، وأنهُ أصبح المُحدث والقارئ الخاص بالأمير سعود بن عبد العزيز، هكذا أرادوا أن يوحوا للناس مُتغافلين عن الخلاف التاريخي العميق وفارق العمر بين الاثنين!.

أما نسخة الدارة السعودية لكتاب حسين بن غنام فتزعم أن سليمان بن عبد الوهاب قد رجع نادمًا للدرعية، وكان قد أقلع عن مُعارضته السابقة وتاب عن ما بدر منه، وقد أكرمه شقيقه محمد بن عبد الوهاب، ووسع عليه رزقه ومعاشه، حيث جاء ما نصه:

« وفي هذه السنة قدم أهل "منيخ" وأهل "الزلفي" على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز في "الدرعية" لأداء السلام وتجديد العهد. ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب -أخو الشيخ- فأقام في الدرعية، ولاقاه الشيخ

بالقبول والإكرام، وأحسن إليه، ووسع عليه قوته ومعاشه؛ وكان هذا شأن الشيخ مع كل من يفد عليه، فكان سببًا لإنقاذ سليمان وصدق إيمانه وتوبته، وإقراره على نفسه بما تقدم منه. فوفى بما عاهد، فلم يوافه الموت إلا وهو في حالة رضية». ۞ - انتهى الاقتباس -

والحقيقة أن نسخة الدارة السعودية المطبوعة لكتاب حسين بن غنام نسخة مُحرفة بالكامل، وطباعتها بتلك الصورة المشوهة والمُحرفة كان الغرض منه هو الرد على الخصوم، وعمومًا فإن كتاب حسين بن غنام في الأصل لا يُعتد به ولا يُتكل عليه كمصدر موثوق لأنه كان غير أمين ولا مُحايد في النقل بسبب ولائه المطلق للوهابيين وانصياعه لشيخهم، ومما جاء في مخطوطته الأصلية التي تختلف قليلاً عن نسخة الدارة المشوهة، فيقول فيها:

« ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف ١١٩٠ هـ: وفيها قدم أهل منيخ وأهل الزلفي على الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) وعبد العزيز لأداء السلام وتجديدًا لعهد الإسلام. ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب، بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب، فقوبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشه، فدثر حاله حينئذٍ وأراشه ووسع عليه قوته ومعاشه، وكان هذا شأنه مع غيره، طيب الله في ضريحه مهاده وفراشه، فكان ذلك سببًا لإنقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحققه بهذا الشان، فقام في هذا الدين بتحقق وجزم ويقين، وأقر على نفسه وأعترف بما قدمه قبل وأسلف، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف، ومات ولله الحمد على حالة رضى بعد ما جرى منه وما مضى فلم يوافه القضا إلا بعد ما رفض ما كان عليه وانقضى». ۞۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : تاريخ نجد \ تأليف : حسين بن غنام \ نسخة الدارة السعودية المُحرفة.

۞۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

أما كتاب ابن بشر فقد تحاشى قدر الإمكان الخوض في شخصية سليمان بن عبد الوهاب، وأما قضية التفخيم والتبجيل الواردة فيما ورد في خبر ابن بشر بحق الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، فربما أراد من ورائه أن يُغطي على شيء ما أو يوحي أنهُ مات ميتةً طبيعية ولم يغتال أو يُسمم.

وقد اثبت لنا حمد بن لعبون فيما ذكره بتاريخه كما سيمر معنا، بما لا يدع مجالاً للشك أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب قد جلب إلى الدرعية عنوةً ورغمًا عنه وليس وفق رضاه أو رغبته الشخصية كما يدعى حسين بن غنام أو مثلما أراد أن يُلمح لنا عثمان بن بشر، فقد تمَّ إرغام الشيخ سليمان بن عبد الوهاب على القدوم إلى الدرعية باعتباره مُبعدًا وجلويًا عن ديرته، كما يحدث عادةً مع خصوم الوهابية، ولكننا لا نعرف بالضبط هل مات الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ميتةً طبيعية أم قتل غيلةً، سواء كان خنقًا أو تمَّ تسميمه ؟، وهل بقي في محل الإقامة الجبرية في الدرعية إلى أن توفي، أم أنهُ حاول الهروب فيما بعد وفشل؟.

وأما ادعاءات حسين بن غنام فلا يُعتمد عليها ولا يعتد بها بسبب ميوله وتوجهه الوهابي ولكونه دوَّن كتابه هذا أصلاً بأمر من قبل شيخه محمد بن عبد الوهاب، وعليه فلن يُدون حقيقة ما جرى لسليمان بن عبد الوهاب. خصوصًا وأن ابن سعود ومحمد بن عبد الوهاب قد تعودا على قتل خصومهما خاصةً أولئك الذين يرفضون الاستسلام ويقعون في الأسر، وكذلك تعودا على نقل كل من يستسلم من خصومهما للإقامة الجبرية في الدرعية، وأحيانًا يتم التخلص منهم بالسم أو الاغتيال وهم في مقر إقامتهم الجبرية.

وعن تلك السياسة السعودية الخبيثة، يذكر لنا المؤرخ السويسري/ البريطاني جون لويس بوركهارت، والذي عاصر سعود بن عبد العزيز، بعضًا من تلك الإجراءات القمعية والتعسفية قائلاً:

« وإذا ما تمَّ قمع القبيلة أو المقاطعة الثائرة وأعادهم إلى بيت الطاعة، فإن سعود يرسل إلى شيوخ الثائرين (بعد إبرام السلام)، ويُلحقهم (يضمهم) ضمن حاشيته في الدرعية، أو في مقاطعة مجاورة له، ويزودهم بالمؤونة الوفيرة. وبهذه الطريقة يكون قد أضعف تأثيرهم عند قبائلهم وعربانهم، ويعين بدلاً منهم شيوخًا آخرين يعتمد عليهم ويثق بهم، ويختارهم عادة من العائلات القوية في هذه القبائل أو البلدات، ويكونوا على خلاف ومشاحنات مع الشيوخ السابقين (الذين أضحوا عند سعود). وبهذه الطريقة، تكون الدرعية مركز تجمع أعداد كبيرة من شيوخ العربان من جزيرة العرب، بما فيها نجد، وهم ليسوا سجناء بالمعنى الحقيقي للسجن، ولكنهم لا يستطيعون الهروب من المنطقة المحددة لهم أن يبقوا فيها. وبناء عليه فإن أيًا من شيوخ العربان المعروف لدى قاطني الصحراء لا يستطيع الهروب من هذا المصير المنكود، في أن يذهب متخفيًا، وإذا ما حاول ذلك فإن أمره سيظهر على السطح وعند كشفه، سيكون مصيره أكثر سوءًا ونكدًا ». [۞] - انتهى الاقتباس -

وقد استمرت تلك السياسة السعودية الخبيثة في جلب الخصوم كرهائن أو منفيين من ديارهم للدرعية أو الرياض، وباتت تلك الطريقة متوارثة لدى آل سعود، حيث تمَّ ترحيل أسرة آل رشيد هم أيضًا بعد سقوط حائل، ونقلوا كأسرى ومُرتهنين إلى الرياض في عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، وقد خصص لهما نفقة مالية متواضعة، ومن ثم تمَّ اغتيال محمد الطلال آل رشيد، وزعموا حينها أن عبدًا من عبيده قام بقتله!!

لذلك فإن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب قد تمَّ جلبه عنوةً هو الآخر ليكون رهينة أو مُحتجزًا رغمًا عنه ليقيم في الدرعية إلى أن توفي فيها، وتلك الطريقة في جلب الخصوم كرهائن وكضمانات ومن ثم إذلالهم وكسر معنوياتهم، كانت سياسة سعودية سائدة ومعروفة لدى كل من محمد بن سعود

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

وولده عبد العزيز، طبعًا وبمباركة من كاهنهم محمد بن عبد الوهاب، الذي أمر بضرورة جلب سليمان بن عبد الوهاب شقيقه وعدوه اللدود إلى الدرعية ليقيم فيها رغمًا عنه مع أسرته كما ذكر ابن لعبون، بينما يذكر ابن بشر تلك الحادثة باختصار شديد ومرور عابر وتعتيم واضح، لما يُشكله ذلك الخبر من أمر مُحرج على مسيرة الحركة الوهابية، لكنه يُشير بوضوح إلى أن محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود قد أمرا سليمان بن عبد الوهاب أمرًا بالقدوم وليس رغبة منه أو كرمًا منهما، أي أنهما أصدرا أمرًا نافذًا إلى أهالي الزلفي بوجوب قدوم سليمان بن عبد الوهاب إلى الدرعية، ربما خوفًا من تحركاته المناوئة لهم وثوراته المتتالية ضد الحركة الوهابية، حيث يقول ابن بشر:

«(ثم دخلت السنة التسعون بعد المائة والألف ١١٩٠هـ) وفيها وفد أهل الزلفي وأهل منيخ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود ومعهم أخ الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، أرسل إليه الشيخ وعبد العزيز، وأمراه بالقدوم إلى الدرعية فقدمها وسكنها بأهله وعياله، فقاما بما ينوبه من النفقة حتى توفاه الله رحمه الله تعالى».[۞] - انتهى الاقتباس -

فمثلاً حينما يذكر ابن بشر أن أهل الزلفي وأهل منيخ وفدا على محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد، ليس معناه أنهم جاؤوا كوفود زائرة كما يظن القارئ!. بل المقصود أنهما جاءا يُبايعان محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد ، بعد حروب طاحنة ، قام عبد العزيز بن سعود خلالها بقتل أبنائهم وحرق نخيلهم وقطع زروعهم ودفن آبارهم.

لهذا فإن ابن بشر يُدلس الأحداث أحيانًا ويمر عليها مرور الكرام، إما لعدم إعجابه ورغبته بفحوى ذلك الخبر، أو يتعمد عدم التفصيل لأن وراءه تفاصيل يكون فيها حرج شديد وفضح صارخ لأصحاب تلك الدعوة ، فيتجنب الإسهاب

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

والتوضيح، ويختصر الأخبار المُحرجة بطريقة مشوشة تجعل القارئ لا يفهم شيئًا أو لا يستطيع أن يعرف أو يصل إلى الحقيقة، والدليل على ما أقوله، هو ما ذكره حمد بن لعبون في تاريخه الذي يسبق تاريخ ابن بشر والذي عاصر تلك الأحداث، حيث يوثق لنا ابن لعبون في كتابه "تاريخ ابن لعبون" أن محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود قد ألزما الشيخ سليمان بن عبد الوهاب على الإقامة الجبرية في الدرعية وذلك بسبب مخالفته لهما، حيث يقول: « وفي سنة ١١٩٠ هـ: وفد أهل الزلفي، ومنيخ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعبد العزيز (بن محمد بن سعود)، ومعهم سليمان بن عبد الوهاب، وقد ابتعد من أخيه محمد وعبد العزيز كرهًا، فألزموه السكن في الدرعية، وقاموا بما ينوبه من النفقة حتى توفاه الله». ۞ -انتهى الاقتباس-

وقد حاول أن يُدلس بعض أتباع وكتبة الوهابية زاعمين أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب قد تراجع في أخر أيامه وأعترف بغلطته وحسُنت وهابيته، لكن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام قد فند ادعاءاتهم الباطلة في كتابه "علماء نجد خلال ثمانية قرون" ودحض تلك المزاعم الوهابية الخائبة التي ادعت أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب قد تراجع عن موقفه السابق واعتذر عما بدر منه بحق دعوة شقيقه محمد بن عبد الوهاب، وأكد أن تلك الادعاءات المزعومة صيغت لأغراض دعائية محضة الغرض منها رفع العتب وتحسين سمعة محمد بن عبد الوهاب وسحب الحجج من أيدي خصومه، علمًا أن عبد الله البسام هذا هو وهابيٌ حتى العظم ، بل هو يُنكر وبشدة على الشيخ سليمان موقفه التاريخي المُشرف ضد أخيه الدجال محمد بن عبد الوهاب، حيث يقول في كتابه: « وقد قدم المُترجم (سليمان بن عبد الوهاب) إلى الدرعية عام ١١٩٠هـ وبقي فيها حتى توفي في عام ١٢٠٨هـ، وهذه الفترة هي قمة عز الدعوة، والحاجة إلى الدفاع عنها، ومع هذا لم نسمع له نشاطًا ولا صوتًا فيها

---

۞ كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف : حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

فدلتنا هذه الحال منه، وتلك النصوص المُتقدمة عن المؤرخين الذين بعضهم عاصر هذه الأحداث أن الشيخ سليمان بقي مُصرًا على مُباينة الدعوة السلفية وصاحبها، إلا أنهُ رضخ لسلطتها وقوتها. أما الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (حفيد محمد بن عبد الوهاب) فذكر أنهُ اطلع على رسالة تدل على رجوع الشيخ سليمان إلى دعوة التوحيد وانقياده مع أخيه، وقد نقلها الشيخ عبد اللطيف في بعض كتبه، وجاء في هذه الرسالة: "من سليمان بن عبد الوهاب إلى الإخوان أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد أبناء عثمان بن شبانة. ... أذكركم ما مَنَّ الله به علينا وعليكم من معرفة دينه، وأنقذنا به من الضلال، ولكن معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق...الخ". ومع ما هو مطلوب من سعة إطلاع الشيخ عبد اللطيف والثقة بما يراه، ومع أن الأولى هو حُسن الظن بالمُترجم، إلا أننا ونحن نكتب للتاريخ، فإني أرجح أنهُ لم يرجع عن مُعتقده الذي يراه وأن هذه الرسالة التي اطلع عليها الشيخ عبد اللطيف، وهي عندي أيضًا بخط مفروغ منها:"ضحوة يوم السبت بعد انسلاخ عشرين يومًا من ذي الحجة عام اثنى عشر وثلاثمائة وألف (١٣١٢هـ)، بقلم محمد بن عبد الله بن سليمان بن عياف". وليست نسبتها إليه صحيحة، فقد نسبت إليه إما لغرض حُسن الظن به وإبعاد المسبة عن أبنائه العلماء الصالحين، أو لغرض الرد على أعداء الدعوة الذين نفروا عنها بحجة أن أقرب الناس إلى صاحبها باينه فيها، أو لغير ذلك من المقاصد. وترجيحي ذلك لأمور: أولاً: أنهُ أقام وقعد بمُحاربة الدعوة السلفية مع علماء وقته، ولم نرَ أحدًا من هؤلاء رجع، وكل أتباعها ما هم إلا تلاميذ الشيخ محمد. ثانيًا: أنهُ لم ينزل الدرعية إلا كرهًا، كما ذكر ذلك ابن لعبون في تاريخه المخطوط، وابن لعبون معاصرٌ له. ثالثًا: أننا لم نرَ له نشاطًا في الدعوة، فإنهُ لن يكتفي بهذه الرسالة لو كان راجعًا إلى الحق. رابعًا: أنني اطلعت على رسالة من أحمد التويجري وأحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة يذكر كاتبها أنها من هؤلاء الثلاثة جوابًا لسليمان على رسالته، إلا أن فيها ما يدُل على أنها كُتبت بعد

**وفاة الشيخ محمد رحمه الله، مع أن وفاة سليمان كانت بعد وفاة الشيخ بسنتين فقط، فإنه من البعيد جدًا أن يبقى في الدرعية ثمانية عشر عامًا ساكتًا على مُعتقدة الأول، وأخوه موجود، ثم بعد وفاة أخيه يُعلن رجوعه وموافقته لأخيه! فلعلها كُتبت لنفس الغرض الذي كُتبت من أجله الرسالة المنسوبة إلى الشيخ سليمان».**[۞] - انتهى الاقتباس -

**والأكيد أن الشيخ سليمان بن عبد الوهاب عاش ومات ولم يتبع الحركة الوهابية وبقي على موقفه ولم يُطع حُكَّام الدرعية ولم يوالهم قط، وإلا لكانوا قد طبلوا وزمروا لهذا الخبر العظيم، والدليل على سخط وتحفظ الوهابيين على ما قام به الشيخ سليمان بن عبد الوهاب أنهم تجاهلوه بالكامل ولم يذكروا حتى عقبه من بعده، فلم نسمع لصلبه ذكر في مصادرهم التاريخية ولا حتى في وقتنا الحاضر، ولم يُشار إلى أحفاده في عصرنا كما هو الحال مع محمد بن عبد الوهاب الذي مازال أحفاد أحفاده موجودين الآن ويتبوءون مناصب رفيعة في مملكة آل سعود، من بينهم على سبيل الذكر لا الحصر، المفتى العام السعودي عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، ووزير الأوقاف السعودي صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وكذلك وزير العدل السعودي عبد الله بن محمد آل الشيخ وغيرهم الكثير.**

**كما أن المصادر السعودية الرسمية والمؤلفات الوهابية تتجاهل بالكامل مصير أبناء وأحفاد الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، لأنهُ كان يُشكل عثرة أمام دعوتهم واستمر طويلاً غصة وشوكة في حلوقهم.**

**فقد ذكر ابن بشر في كتابه أنهُ يُعرف لسليمان بن عبد الوهاب ابنان هما كل من عبد الله وعبد العزيز، حيث يقول:**

**« ومعرفتي من بنيه بعبد الله وعبد العزيز، وكان لهما معرفة في العلم، ويضرب بهما المثل في العبادة والورع»...... ثم عاد عثمان بن بشر وقال في**

---

[۞] كتاب : علماء نجد خلال ثمانية قرون \ تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام.

نسخة أخرى من كتابه "عنوان المجد": « وصار له أولاد لهم معرفة وماتوا وانقطع نسله».۞ -انتهى الاقتباس-

أما مُفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي فقد أتى على ذكر عقب الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في كتابه المعروف بـ"السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" فيقول ابن حميد إن سليمان قد أنجب ولدًا يُسمى عبد العزيز والذي خلف بدوره ابنًا يدعى محمدًا ولكن محمد قد توفي في الأحساء قبل والده، ثم لحقه الأب بعد فترة وجيزة، ولم يذكر لهما أي عقب، حيث يقول :

« وخلف سليمان (بن عبد الوهاب) المذكور عبد العزيز (وهو) من الفضلاء الأتقياء النجباء وأهل الورع البالغ في زمنه إلى الغاية، بحيث صار يُطلق عليه أنهُ أورع أهل العصر، وأخبرني عمي عثمان وهو من طلبة العلم وله اعتقاد عظيم في الشيخ المذكور لعبادته وزهده وصلاحه وورعه وتقواه، قال: رأيت النبي ﷺ في النوم كأنهُ في مسجد الجوز غربي عنيزة وكان الشيخ عبد العزيز المذكور يُصلي قدامه، فجئت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه وجلست عنده وقال هذا وأشار إلى عبد العزيز (بن سليمان) أورع أهل وقته أو من أورع أهل وقته (الشك من عمي) فقلت يا رسول الله كابن عمر في زمانه؟ قال: نعم. فكتبت للشيخ أبشره بذلك، فكتب إلي ما معناه أني لستُ من أهل هذا القبيل ولكن حُسن ظنك في الفقير أراك هذا وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقًا فالرؤيا تسر المؤمن ولا تغره، ونحوًا من هذا الكلام. وقد رأيت مكتوبه هذا عند عمي وخطه في غاية الحُسن والنورانية، و(قد) أصيب بولده النجيب الأديب الأريب الفاضل الذكي الشيخ محمد وكان قد قرأ وفهم وتميز وفاق أهل عصره بالحفظ، فمن محفوظاته مختصر المقنع وألفية الآداب وأظن وألفية المفردات والشذور. وألفية ابن مالك ومنظومة حروف المعاني للبيتوشي وجمع الجوامع النحوي

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**وغير ذلك، ولا أعرف مقاربة (له) في كثرة المحفوظات، و(قد) توفي سنة ١٢٦٣هـ في الأحساء وعمره نحو سبع وعشرين سنة. ثم توفي والده بعده بقليل رحمة الله عليهما وعلى جميع المُسلمين، وكان بعد واقعة إبراهيم باشا المصري في نجد سنة ٣٣ رحل إلى بلدان شتى فناسبته الأحساء فسكن فيها إلى أن مات رحمه الله تعالى».**[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] **كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.**

▪ **رسالة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب إلى حسن بن عبدان:**

**« بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي: الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله إلى يوم الدين أما بعد:**

**من سليمان بن عبد الوهاب إلى حسن بن عيدان سلام على من اتبع الهدى وبعد قال الله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وقال النبي ﷺ الدين النصيحة وأنت كتبت إليَّ كثيرًا من مرة تستدعي ما عندي حيث نصحتك على لسان ابن أخيك، فها أنا أذكر لك بعض ما علمت من كلام أهل العلم فإن قبلت فهو المطلوب والحمد لله وإن أبيت فالحمد لله فإنه سبحانه لا يعصى قهرًا وله في كل حركة وسكون حكمة (فنقول) اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وانزل عليه الكتاب تبيانًا لكل شيء فأنجز الله له ما وعده وأظهر دينه على جميع الأديان وجعل ذلك ثابتًا إلى أخر الدهر حين انخرام أنفس جميع المؤمنين وجعل (أمته) خير الأمم كما أخبر بذلك بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس وجعلهم شهداء على الناس قال تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس واجتباهم»، كما قال تعالى هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، الآية. وقال النبي ﷺ أنتم توفون سبعين أمة انتم خيرها وأكرمها عند الله. ودلائل ما ذكرنا لا تحصى. وقال صلى الله عليه وسلم لا يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة. رواه البخاري، وجعل اقتفاء أثر هذه الأمة واجبًا على كل أحد بقوله تعالى: « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» وجعل إجماعهم حجة قاطعة لا يجوز لأحد الخروج عنه، ودلائل ما ذكرنا معلومة عند كل من له نوع ممارسة في العلم. (واعلم) أن ما جاء به محمد ﷺ أن الجاهل**

لا يستبد برأيه بل يجب عليه أن يسأل أهل العلم كما قال تعالى: « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»، وقال صلى الله عليه وسلم هلا إذا لم يعلموا سئلوا فإنما دواء العيي السؤال وهذا إجماع قال في غاية السؤال، قال الإمام أبو بكر الهروي أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لأحد أن يكون إمامًا في الدين والمذهب المستقيم حتى يكون جامعًا هذه الخصال (وهي) أن يكون حافظًا للغات العرب واختلافها ومعاني أشعارها وأصنافها واختلاف العلماء والفقهاء ويكون عالمًا فقيهًا وحافظًا للإعراب وأنواعه والاختلاف عالمًا بكتاب الله حافظًا له، ولاختلاف قرائته واختلاف القراء فيها عالمًا بتفسيره ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه عالمًا بأحاديث الرسول ﷺ مميزًا بين صحيحها وسقيمها ومتصلها ومنقطعها ومراسيلها ومسانيدها ومشاهيرها وأحاديث الصحابة موقوفها ومسندها، ثم يكون ورعًا دينًا صائنًا لنفسه صدوقا ثقة يبني مذهبه ودينه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإذا جمع هذه الخصال فحينئذ يجوز أن يكون إمامًا وجاز أن يقلد ويجتهد في دينه وفتاويه، وإذا لم يكن جامعًا لهذه الخصال أو أخل بواحدة منها كان ناقصًا ولم يجز أن يكون إمامًا وأن يقلده الناس، قال وإذا ثبت أن هذه شرائط لصحة الاجتهاد والإمامة فقد كل من لم يكن كذلك أن يقتدي بمن هو بهذه الخصال المذكورة، (وقال) الناس في الدين على قسمين مقلد ومجتهد والمجتهدون مختصون بالعلم وعلم الدين يتعلق بالكتاب والسنة واللسان العربي الذي وردا به فإن كان فيما يعلم الكتاب والسنة وحكم ألفاظهما ومعرفة الثابت من أحكامهما والمنتقل من الثبوت بنسخ أو غيره والمتقدم والمؤخر صح اجتهاده وأن يقلده من لم يبلغ درجته وفرض من ليس بمجتهد أن يسأل ويقلد وهذا لا اختلاف فيه. انتهى. انظر قوله وهذا لا خلاف فيه. وقال ابن القيم في أعلام الموقعين لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم يجتمع فيه شروط الاجتهاد ومن جميع العلوم، قال أحمد المنادي سأل رجل أحمد بن حنبل إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهًا؟ قال لا، قال فمائتي ألف حديث؟ قال لا، قال

فثلاث مائة ألف حديث؟ قال لا قال، فأربع مائة؟ قال نعم، قال أبو الحسين فسألت جدي كم كان يحفظ أحمد؟ قال أجاب عن ستمائة ألف حديث قال أبو إسحاق لما جلست في جامع المنصور للفتيا ذكرت هذه المسألة، فقال لي رجل فأنت تحفظ هذا المقدار حتى تفتي الناس؟ قلت لا إنما أفتي بقول من يحفظ هذا المقدار (انتهى). ولو ذهبنا نحكي من حكى الإجماع لطال، وفي هذا لكفاية للمسترشد وإنما ذكرت هذه المقدمة لتكون قاعدة يرجع إليها فيما نذكره فإن اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالي من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا والله عشر واحدة، ومع هذا فراج كلامه على كثير من الجهال فانا لله وإنا إليه راجعون. (الأمة) كلها تصيح بلسان واحد ومع هذا لا يرد لهم في كلمة بل كلهم كفار أو جهال (اللهم) اهدِ الضال ورده إلى الحق، فنقول قال الله عز وجل إن الدين عند الله الإسلام وقال تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه»، وقال تعالى: «فان تابوا وأقاموا الصلوة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم» وفي الآية الأخرى فإخوانكم في الدين. قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة، وقال أيضًا لا تكونوا كالخوارج تؤولوا آيات القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهكوا الأموال وشهدوا على أهل السنة بالضلالة، فعليكم بالعلم بما نزل فيه القرءان انتهى، وكان ابن عمر يرى الخوارج شرار الخلق قال إنهم عمدوا في آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين رواه البخاري عنه فحينئذ ذكر الله عز وجل: «إن الدين عند الله الإسلام»، وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل في الصحيحين الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وان محمدًا رسول الله (الحديث)، وفي حديث ابن عمر الذي في الصحيحين بني الإسلام على خمس شهادة أن لا له إلا الله وان محمدًا عبده ورسوله (الحديث)، وفي الحديث وفد عبد القيس

أمركم بالإيمان».[1] ( ثم يستمر الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في حديثه باستعراض «شروط الإمامة في الدين»، حيث لا يجوز لأحد أن يكون إمامًا للمُسلمين وفقيهًا في الدين والمذهب المستقيم، حتى يكون جامعًا لهذه الخصال. فعليه أن يكون حافظًا للغات العرب واختلافها ومعاني أشعارها، واختلاف الفقهاء، عالمًا بكتاب الله وتفسيره واختلاف القراءات، وعالمًا بالحديث ودرجاته، ثم يجب أن يكون ورعًا دينًا صدوقًا ثقة وعلى كل من لم يكن كذلك أن يقتدي بمن هو بهذه الخصال المذكورة. فقد سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل: إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهًا؟ قال لا. قال: فمائتي ألف حديث؟ قال: لا. قال: فثلاثمائة ألف حديث؟ قال: لا قال: فأربعمائة؟ قال نعم. قال «أبو إسحاق»: لما جلست في جامع المنصور للفتيا، ذكرت هذه المسألة. فقال لي رجل: فأنت تحفظ هذا المقدار حتى تفتي الناس؟ قلت، لا، إنما أفتي بقول من يحفظ هذا المقدار.

ويضيف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب منتقدًا الدعوة الوهابية فيقول: «وإنما ذكرت هذه المقدمة لتكون قاعدة يرجع إليها، فإن اليوم ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم تكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا والله عُشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

وينتقد الشيخ سليمان بن عبد الوهاب تزمت دعاة الوهابية، ويقارنهم بالخوارج فيقول: قال الله عز وجل:«إن الدين عند الله الإسلام. وقال تعالى: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وفي الآية الأخرى: فإخوانكم في الدين».

---

[1] فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبد الوهاب\ تأليف: سليمان بن عبد الوهاب.

قال ابن عباس: «حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة» وقال أيضًا: «لا تكونوا كالخوارج تؤولوا آيات القرآن في أهل القبلة، وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين، فجهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهكوا الأموال، وشهدوا على أهل السنة بالضلالة». وكان ابن عمر يرى الخوارج شرار الخلق، قال إنهم «عمدوا في آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين» وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل في الصحيحين: «الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وان محمدًا رسول الله». وقال ابن القيم: «أجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا اله إلا الله وان محمدًا رسول الله، فقد دخل في الإسلام». ويقول الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كذلك اجمع المسلمون «أن المرتد إذا كانت ردته بالشرك فإن توبته بالشهادتين».

ويواصل الشيخ سليمان انتقاداته للدعوة الوهابية وظاهرة تكفير المسلمين لدى أتباعها: « إذا فهمتم ما تقدم، فأنكم الآن تكفرون من شهد أن لا إله إلا الله وحده، وأن محمدًا عبده ورسوله وأقام الصلاة، وأتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت مؤمنًا بالله وملائكته وكتبه ورسله، ملتزمًا لجميع شعائر الإسلام وتجعلونهم كفارًا، وبلادهم بلاد حرب. فنحن نسألكم من هو إمامكم في ذلك، وممن أخذتم هذا المذهب، فإن قلتم كفرناهم لأنهم مشركون بالله.. لكن أهل العلم قالوا في تفسير الشرك بالله أي ادعى أن لله شريكًا كقول المشركين هؤلاء شركاؤنا».

ويضيف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب:

«هذه التفاصيل التي تفصلونها من عندكم، أن من فعل كذا فهو مشرك، وتخرجونه من الإسلام، من أين لكم هذه التفاصيل، استنبطتم ذلك بمفاهيمكم، فقد تقدم لكم إجماع الأمة انه لا يجوز لمثلكم الاستنباط.. بينوا لنا من أين أخذتم مذهبكم هذا ولكم علينا عهد الله وميثاقه لنتبع الحق إن شاء الله.

ويوضح الشيخ سليمان بن عبد الوهاب درجات الشرك، فيقول: «فأما الشرك ففيه أكبر وأصغر، وفيه كبير وأكبر، وفيه ما يخرج من الإسلام وفيه ما لا يخرج من الإسلام، وهذا كله بإجماع. وتفاصيل ما يخرج مما لا يخرج، يحتاج إلى تبيين أئمة أهل الإسلام الذين اجتمعت فيهم شروط الاجتهاد، فإن أجمعوا على أمر لم يسع أحد الخروج عنه وإن اختلفوا فالأمر واسع، فإن كان عندكم عن أهل العلم بيان واضح فبينوا لنا وسمعًا وطاعة، وإلا فالواجب علينا وعليكم الأخذ بالأصل المجمع عليه».

ويقف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب عند قضية النذور للموتى، ويعلن بطلان «ادعاء شرك الناذر للموتى»، ويقول معترضًا على طرق استنباط مثل تلك الأحكام: «من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إذا دعى غائبًا أو ميتًا أو نذر له أو ذبح لغير الله أو تمسح بقبر أو أخذ من ترابه، أن هذا هو الشرك الأكبر، الذي من فعله حُبط عمله، وحلّ ماله ودمه».

ثم يوضح الشيخ سليمان بن عبد الوهاب هنا نقطة هامة جدًا لا ينتبه إليها الوهابيون، فيقول: «وإن قلتم أخذنا ذلك من كلام بعض أهل العلم كابن تيمية وابن القيم، لأنهم سموا ذلك شركًا، قلنا: هذا حق، ونوافقكم على تقليد الشيخين أن هذا شرك، ولكن هم لم يقولوا كما قلتم أن هذا شرك أكبر، يخرج صاحبه من الإسلام، وتجري على كل بلد فيها هذا، أحكام أهل الردة. بل من لم يكفرهم عندكم فهو كافر، تجري عليه أحكام أهل الردة، ولكنهم رحمهم الله، ذكروا أن هذا شرك وشددوا فيه ونهوا عنه، ولكن ما قالوا كما قلتم، ولا عُشر معشاره، ولكنكم أخذتم من قولهم ما جاز لكم دون غيره. بل في كلامهم رحمهم الله، ما يدل على أن هذه الأفاعيل شرك أصغر، وعلى تقدير.. ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد، ولم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد ولم يقولوا من تمسح بالقبور

وأخذ من ترابها فهو مرتد كما قلتم أنتم. فإن كان عندكم شيء ـ من الأدلة ـ فبينوه، فإنه لا يجوز كتم العلم، ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم، وفارقتم الإجماع وكفرتم أمة محمد ﷺ كلهم، حيث قلتم من فعل هذا الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر! ومعلوم عند الخاص والعام، أن هذه الأمور ـ أي التمسح بالقبور وغير ذلك ـ ملأت بلاد المسلمين، وعند أهل العلم منهم أنها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبعمائة عام، وأن من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم، لم يكفروا أهل هذه الأفاعيل، ولم يجروا عليهم أحكام المرتدين، بل أجروا عليهم أحكام المسلمين، بخلاف قولكم، حيث أجريتم الكفر والردة على أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين، وجعلتم بلادهم بلاد حرب حتى الحرمين الشريفين، اللذين أخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة الصريحة أنهما لا يزالان بلاد الإسلام، وأنهما لا تعبد فيهما الأصنام، وحتى أن الدجال في أخر الزمان يطأ البلاد كلها إلا الحرمين. فكل هذه البلاد عندكم بلاد حرب، كفار أهلها، لأنهم عبدوا الأصنام على قولكم، وكلهم عندكم مشركون شركًا مخرجًا عن الملة، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. فوالله إن هذا عين المحادة لله ولرسوله ولعلماء المسلمين قاطبة. فأعظم من رأينا مشددًا في هذه الأمور، التي تكفرون بها الأمة، ابن تيمية وابن القيم، وهما رحمهما الله، قد صرحا في كلامهما تصريحًا واضحًا أن هذا ـكالنذور وما يتصل بهاـ من الشرك الذي ينقل الملة، بل قد صرحوا في كلامهم أن من الشرك ما هو أكبر من هذا بكثير كثير، وأن من هذه الأمة من فعله وعاند فيه، ومع هذا لم يكفروه، كما يأتي كلامهم في ذلك إن شاء الله تعالى».

فأما النذر، يقول الشيخ سليمان، فنذكر كلام الشيخ تقي الدين ابن تيمية وابن القيم، وهما من أعظم من شدد فيه وسماه شركا فنقول: قال الشيخ تقي الدين: النذر للقبور ولأهل القبور كالنذر لإبراهيم الخليل عليه السلام أو الشيخ فلان، نذر معصية لا يجوز الوفاء به وإن تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء أو الصالحين كان خيرًا له عند الله وأنفع.

ويعقب الشيخ سليمان على كلام ابن تيمية هذا فيقول: « لو كان الناذر كافرًا عنده لم يأمره بالصدقة، لأن الصدقة لا تقبل من الكافر؛ بل يأمره بتجديد إسلامه، ويقول له خرجت من الإسلام بالنذر لغير الله». وقال ابن تيمية كذلك: « من نذر إسراج بئر أو مقبرة أو جبل أو شجرة، أو نذر له أو لسكانه لم يجز ولا يجوز الوفاء به، ويصرف في المصالح».
فلو كان الناذر كافرًا، يقول الشيخ سليمان، لم يأمره ابن تيمية برد نذره إليه، بل لأمره بقتله».

وأما الذبح لغير الله، فقد ذكره ابن القيم في المحرمات ولم يذكره في المكفرات، إلا أن ذُبح للأصنام أو لما عُبد من دون الله كالشمس والكواكب، كما أن أهل العلم ذكروا ما أهل به لغير الله، ونهوا عن أكله ولم يكفروا صاحبه، يقول ابن تيمية: «كما يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله تعالى من الذبح للجن، ولذلك نهى النبي ﷺ عن ذبائح الجن»، ولم يقل الشيخ ابن تيمية، من فعل هذا فهو كافر، بل من لم يكفره فهو كافر، كما قلتم أنتم!

وأما السؤال من غير الله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، فقد فصّله الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، إن كان السائل يسأل من المسؤول مثل غفران الذنوب وإدخال الجنة والنجاة من النار وإنزال المطر وإنبات الشجر، وأمثال ذلك مما هو من خصائص الربوبية، فهذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل، ولكن الشخص المعين الذي فعل ذلك لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة.. والآن أنتم تكفرون بالسؤال وحده.

وأما التبرك والتمسح بالقبور وأخذ التراب منها والطواف بها، يقول الشيخ سليمان، فقد ذكره أهل العلم: « فبعضهم عدَّه في المكروهات، وبعضهم عدَّه في المحرمات، ولم ينطق واحد منهم بأن فاعل ذلك مرتد كما قلتم أنتم، بل تكفرون من لم يكفر فاعل ذلك. وعلى تقدير هذه الأمور التي تزعمون أنها كفر، أعني النذر وما معه، فهنا أصل آخر من أصول أهل السنة، مجمعون

عليه، كما ذكره الشيخ تقي الدين ابن القيم نقلاً عنهم، وهو أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة، ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركًا أو كافرًا، أنه يُعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين له الحجة التي يُكفر تاركها».

ويشير الشيخ سليمان إلى أصل آخر وهو: «أن المسلم قد تجتمع فيه المادتان: الكفر والإسلام، والكفر والنفاق، والشرك والإيمان، وأنه تجتمع فيه المادتان ولا يكفر كفرًا ينقل عن الملة في مذهب أهل السنة. واعلم أن أول فرقة فارقت الجماعة «الخوارج»، الذين كفَّروا عليًا وعثمان ومعاوية ومن معهم، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وجعلوا بلاد المسلمين بلاد حرب، وبلادهم هي بلاد الإيمان، ويزعمون أنهم أهل القرآن، ولا يقبلون من السنة النبوية إلا ما وافق مذهبهم، ومن خالفهم وخرج من ديارهم فهو كافر، ويزعمون أن عليًا والصحابة رضي الله عنهم أشركوا بالله، ولم يعملوا بالقرآن، ويستدلون لمذهبهم بمتشابه القرآن، وينزلون الآيات التي نزلت في المشركين المكذبين في أهل الإسلام. ومع هذه الأمور الهائلة والكفر الصريح الواضح وخروجهم عن المسلمين، يلاحظ الشيخ سليمان، قال لهم علي رضي الله عنه لا نبدؤكم بقتال ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم معنا. ثم إن الخوارج اعتزلوا، وبدؤوا المسلمين- الإمام ومن معه- بالقتال، فثار عليهم علي رضي الله عنه، وجرى على المسلمين منهم أمور هائلة يطول وصفها ومع هذا كله، يقول الشيخ سليمان، لم تكفرهم الصحابة ولا التابعون ولا أئمة الإسلام، ولا قال لهم عليٌ ولا غيره من الصحابة، قامت عليكم الحجة وبينا لكم الحق.

وقال الشيخ ابن تيمية «لم يكفرهم عليٌ ولا أحد من الصحابة ولا أحد من أئمة أهل الإسلام، فانظر رحمك الله إلى طريقة أصحاب رسول الله ﷺ لعل الله يهديك إلى إتباع سبيل المؤمنين، وينبهك من هذه البلية التي تزعمون الآن أنها السنة، وهي والله طريقة القوم - يقصد طريقة محمد عبد الوهاب - لا طريقة علي ومن معه، رزقنا الله إتباع آثارهم! فإن قلت: أن عليًا نفسه قتل

الغالية ـ أي الغلاة، بل حرقهم بالنار وهم مجتهدون وأن الصحابة قاتلوا أهل الردة قلت: هذا كله حق، ولكن الغالية مشركون زنادقة أظهروا الكفر ظهورًا جليًا لا لبس فيه، وقالوا لعلي: أنت الله. فإن رأيتم من يقول لمخلوق هذا هو الله فاحرقوه، وإلا «فاتقوا الله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتقيسوا الكافرين على المسلمين بآرائكم الفاسدة ومفاهيمكم الواهية». وقد بيَّنا أن أهل الردة كانوا أصنافًا، منهم من ارتد عن الملة ودعا إلى نبوة مُسيلمة، ومنهم من أنكر الشرائع كلها، وهؤلاء هم الذين اعتبرهم الصحابة كفارًا، وكذلك رأى أبو بكر سبي ذراريهم وساعده على ذلك أكثر الصحابة، ثم لم ينقض عصر الصحابة حتى أجمعوا على أن المرتد لا يُسبى، فأما مانعو الزكاة منهم، المقيمون على أصل الدين، فإنهم «أهل بغي»، ولم يسموا «أهل شرك» أو هم «كفار»، وإن كانت الردة أضيفت إليهم لمشاركتهم للمرتدين في بعض ما منعوه من حق الدين.

ويختتم الشيخ سليمان بن عبد الوهاب كلامه في هذا الباب فيقول:

« لما تقدم الكلام على الخوارج وذكر مذهب الصحابة وأهل السنة فيهم، وأنهم منتسبون إلى الإسلام الظاهر، ويقول: «وأنتم اليوم تكفرون من ليس فيه خصلة واحدة مما في أولئك»، بل الذين تكفرونهم اليوم وتستحلون دماءهم وأموالهم عقائدهم عقائد أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، جعلنا الله منهم»).

طبعًا حاول أن يرد عليه شقيقه محمد بن عبد الوهاب في رسالة كان قد وجهها إلى أهالي العيينة، يُحاول فيها أن يُبطل بعض ادعاءات شقيقه سليمان، والمُلاحظ هنا أنهُ أرسلها لأهل العيينة تحديدًا، ولم يرسلها لشقيقه مُباشرة، ولم يُعنونها باسم سليمان بل عنونها باسم أهل العيينة، وهذا يُدل على أن هنالك خلافًا كبيرًا وعداءً مُستحكمًا بين الشقيقين، حيث ردَّ فيها على بعض اعتراضات شقيقه سليمان، ولمح فيها إلى جهله وعدم فهمه ووصفه

بشر الدواب تلميحًا، وقد تمَّ نشر تلك الرسالة في أخر كتاب حسين غنام، في طبعة الدارة لسعودية الرسمية، وهي دليل قاطع على وجود خلاف مُستحكم وعداء مُتأصل بين الشقيقين، وتلك الرسالة هي بنفس الوقت ردٌّ جليٌ وواضح على جميع كتبة آل سعود الذين ادعوا مرارًا وتكرارًا أن لا وجود لخلافات وعداء بيت الشقيقين، وأنها مُجرد إشاعات مُغرضة من قبل أعداء وخصوم الدعوة الوهابية، حيث جاء في مُقتطف منها مثلاً ما يلي:

«فمما فيه من الاعتبار: أن هذا الأعرابي الجاهل ـ لما ذكر له أن رجلاً بمكة يتكلم بالدين بما يُخالف الناس ـ لم يصبر حتى ركب راحلته، فقدم عليه وعلم ما عنده لِما في قلبه من محبة الدين والخير. وهذا فُسر به قوله تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ) أي: حرصًا على تعلم الدين لأسمعهم أي: أفهمهم. فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدلُ منه سبحانه لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين. فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعلم. وإذا كان الأعرابي الجاهل يطلب هذا الطلب، فما عذر من ادعى إتباع الأنبياء، وبلغه عنهم ما بلغه، وعنده من يعرض عليه التعليم، ولا يرفع بذلك رأسًا، فإن حضر أو استمع فكما قال تعالى:(مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ)».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

## ▪ الهالة والتقديس التي رافقت الدعوة الوهابية :

في البداية يجب أن نذكر أن مُخابرات الدول الغربية في تلك الفترة الاستعمارية كانت نشطة جدًا وفعالة في المنطقة العربية حتى تحولت بلاد الشام إلى بؤرة ووكر لجواسيس أوروبا، حيث وجدت تلك الدول الاستعمارية أن من مصلحتها ظهور حركات مُتمردة ومُسلحة مناوئة لكيان وسلطة الخلافة العثمانية مهما كانت توجهات وأهداف تلك الحركات الثائرة، ولذلك شجعت الدول الغربية آنذاك مثل تلك الحركات الانفصالية المُتمردة، والوهابية كانت من ضمن تلك الحركات الخارجة عن إجماع المُسلمين والتي ساهمت في إشغال الدولة العثمانية على مدى قرنين من الزمان، وقد رأت الدول الاستعمارية في بروز الوهابية عاملاً دينيًا ومذهبيًا مُهمًا وفعالاً سوف يُقوض من سلطة ونفوذ دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، فكانوا فرحين جدًا بظهور تلك الحركة اللصوصية الدموية المشبوهة، وكانوا يتباشرون فيما بينهم بظهورها المدوي الذي سيُقوض صرح تلك الإمبراطورية التركية/ العثمانية؛ كما يُسمونها.

وكان تفسير الأوربيين لبروز مثل تلك الحركة الدينية الوهابية الانفصالية على أنها ثورة همجية "عربية" ولكنها قطعًا ستطيح بالعنصر التركي البربري وتقطع أوصال امبراطوريتهم، وأن فكرتها الدينية ستبقى حالها حال بقية الحركات الدينية الأخرى التي تقوم على أساس عامل الخيال والأعاجيب وأحيانًا التقديس لأصحاب تلك الحركات المذهبية، لذلك لم يعبئوا بأفكارها أو مبادئها بقدر ما جذبتهم وأعجبتهم لأنها سوف تكون عاملاً مُهمًا في نخر أركان الخلافة الإسلامية التي كانت تقف حجر عثرة في طريقهم، حيث يذكر الضابط الفرنسي في العراق جان ريمون الذي كان يعمل في سلاح المدفعية الخاص بباشا بغداد، في مذكرة له، أو بالأحرى في تقرير استخباري سري موجهًا لوزير الخارجية في حكومة نابليون بتاريخ ٣٠ آيار ١٨٠٨م، أي أن

**تقرير ذلك الضابط الفرنسي الاستخباري كتبه قبل مائتين عام ونيف أي قبل حوالي القرنين من الزمان، ومن ضمن ما جاء فيه:**

**« قبل أن أقول كلمتي عن الوهابيين يقتضي أن ألاحظ بأني خلال إطلاعي على ما قيل لتنوير الناس حول أصول هذه الحركة وولادة بأسها وتقدمها السريع نحو المجد تبينت أنهُ لا يمكن أن يُضاف أي شيء جديد أو مشوق لما سرد عن هذه المادة من تفاصيل وأخبار. ويبدو لي أن المقال المنشور في جريدة "فرانكفورت" تحت باب: "أزمير في ١٥ أيلول ١٨٠٤م" هو بمجمله أصدق وأتم ما قرأت حول هذا الموضوع. وقد تفحصت بدقة كل ما ورد فيه وقارنته بالأخبار المتعددة التي وصلتنا هنا بالتداول، فلاحظت تشابهًا كبيرًا بين جميع الروايات تقريبًا، مع أني استطعت اكتشاف عدد الأخطاء في التواريخ، وابتعدت في مواقع كثيرة عن الخطوات التي اتبعها مدبج المقال المذكور، فأضفت بعض الحوادث على الأحداث الكبيرة التي يصف، فإني أعتقد ببقائي ضمن حدود الحقيقة، بالرغم من شعوري بقلة مهارتي في هذا العمل، وأعترف بأني لم أكن أنشد سوى تحليل هذه الوقائع وعرضها في ثوب جديد يُبعد الملل. وللوصول إلى غايتي فقد لازمت الدقة آملاً أن ينال جهدي في التقيد بهذه المزية الأهمية التي تعطى عادةً لكل جديد. البلاد العربية التي كانت في الماضي مهدًا لأقوى ديانة في العالم وأوسعها انتشارًا، أخرجت مجددًا حركة من هذه الديانة يبدو أنها ستأخذ أهمية مماثلة في آسيا. وهاهي تعمل على تقويض دعائم الإمبراطورية العثمانية. ومن المُعتاد لدى غالبية الأمم أن تظلل فترة نشوئها بظل من الخيال والأعاجيب !. فيُقال إن سليمان، وهو عربي فقير وبسيط وصادق من قبيلة النجديين (•) رأى ما يرى النائم، شعلة تخرج من جسمه، فتتخذ شكل عامود من لهب يجوب البوادي ويشعلها. فأخافت الرؤيا**

---

**(•) يقصد سليمان بن علي النجدي وهو جد صاحب الدعوة الوهابية محمد بن عبد الوهاب، والغريب أن جان ريمون لم يذكر أنه من قبيلة بني تميم، فقط قال إنهُ من النجديين فقط، وسوف يعود ويذكر لاحقًا أن محمد بن عبد الوهاب زعم أنهُ من سلالة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا ما يُرجح قولي إنهُ لم يكن تميميًا.**

سليمان الذي لجأ إلى استشارة مشايخ قبيلته، فأعلمه هؤلاء بأن ولدًا له سوف يدعو إلى مذهب جديد ويتبعه سكان هذه المنطقة، من البحر الأحمر حتى الخليج الفارسي. فلم تتحقق هذه النبوءة في ابن سليمان وإنما في حفيده الشيخ محمد، والسبب أن ابنه عبد الوهاب لم يكن على مستوى يؤهله للقيام بهذه المهمة الكبيرة، ومع ذلك فقد ترك اسمه للأتباع الجُدد».[۞]

إذن نكتشف هنا من خلال ذلك التقرير الاستخباري السري، أن الفرنسيين وغيرهم من الدول الغربية الاستعمارية كانوا مُهتمين جدًا بظهور الوهابيين ويُقال إن الفرنسيس أول من أرسل جاسوسًا إلى الحجاز ليتقصى أخبار الحركة الوهابية حيث جندوا المدعو "دومينغو فرانثيسكو بادي" الشهير بـ"علي بك العباسي"، وكانوا يتوقعون للحركة الوهابية شأنًا كبيرًا في المنطقة رغم أننا على قناعة تامة أن الغربيين لم يكونوا يومًا من المُريدين أو المؤيدين للإسلام، بل كانوا على الدوام أعداء ألداء لكل ما هو إسلامي ولكل من يحكم بمبادئ الشريعة الإسلامية الغراء حتى ولو كان بالاسم فقط، وهذا ما دفعهم للتآمر والتخلص من إرث الخلافة الإسلامية في اسطنبول، التي أطلقوا عليها لاحقًا مُسمى رجل أوربا المريض.

ثم يعود الضابط الفرنسي جان ريمون في تقريره الذي كتبه قبل أكثر من مائتي عام، ليقول إن محمد بن عبد الوهاب استغل تلك الرؤية المزعومة التي رآها جده سليمان في المنام، ليرسخ في أذهان أهل نجد قدسية تلك النبوة الإستباقية القادمة لكي ينظروا إليه ويقتنعوا بأنهُ نبي نجد الموعود. حيث يقول ريمون في نفس المذكرة:

«وهكذا يمكن القول بأن عبد الوهاب، الذي توفي منذ سبعين سنة، قد زرع غرسة في هذه الفرقة وأن ولده الشيخ محمد قد رعاها حتى أينعت. وبالفعل فإن الشيخ محمد، وهو رجل مقدام ذو حيلة، شجعته الاستعدادات الطيبة التي

---

[۞] رسالة الفرنسي جان ريمون والمأخوذة من كتاب: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ\ لويس دوكورانسي

خلفتها الرؤيا في أذهان القبيلة فأستخدمها بمهارة لجعلهم ينظرون إليه كنبي.(•) فلم يُلاق محمد بن عبد الوهاب كبير عناء في إقناعهم بذلك، بعد أن ساعد في الاعتقاد بقداسة مهمته كونه من سلالة محمد ﷺ (••). وقد استخدم صاحب الدعوة الجديد القرآن في كل صفائه، وتم حذف الأحاديث والروايات التي أضيفت لإملاء حياة النبي بالأعاجيب، وأراد أن يُنظر للنبي ﷺ كرجل حكيم وعادل فقط. فعلم أتباعه العبادة هي لله وحده، وأن كل من يقدس الأنبياء والأولياء ويعطيهم صفات هي للخالق يكون مذنبًا بحق الجلالة، وبين لهم أن السبيل الوحيد لنيل الرضا أمام الخالق هو الثأر من مدنسي ديانته. كما جعلهم يعتقدون بأنهُ هو منفذ غضب الله، وقد أرسل للقضاء على المُسلمين الكذابين. وهذه المبادئ وإن كانت تتبع بدقة من قبل هؤلاء، فقد كانت تشكل بطبيعتها حرمانًا متواصلاً من شأنه أن يُباعد بدلاً من أن يشجع رجالاً مازالوا مرتبطين بعاداتهم وتقاليدهم مغرورين باستقلالهم ومعتادين على السلب(•••) والنهب». ۞

ولهذا حرص الوهابيون على تقديس صنمهم الجديد فأصبحوا كغلاة الشيعة تمامًا سواء في تقديس مراجعهم أو إلى استنساخ وتجيير بعض الحوادث التاريخية ومن ثم نسبتها لشيخهم أو نبيهم الجديد كما مرَّ معنا، بل تفاجئ أن أتباع الوهابية أيام محمد بن عبد الوهاب كانوا يصفونه ببعض الألقاب المُقدسة والكُنى الروحية كما يفعل الشيعة اليوم تمامًا مع مراجعهم، حيث ترى

---

(•) يقصد جان ريمون أن الرؤيا الذي رآها جده سليمان عندما حلم أنهُ سيخرج من صلبه من يدعو لمذهب جديد، فقد استغلها محمد بن عبد الوهاب أبشع استغلال، حتى صور نفسه كنبي مُرتقب.

(••) لاحظ هنا أن جان ريمون يوثق قبل أكثر من قرنين من الزمان أن محمد بن عبد الوهاب كان يدعي أنهُ من سلالة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ربما اختلط عليه الأمر، أو أنهُ كان يُعرف بالمشرفي نسبة للأشراف وليس من مشارفة بني تميم، والله أعلم.

(•••) استغل محمد بن عبد الوهاب جوع وشغف أتباعه بالسلب والنهب فقام بتشكيل أكبر عصابة سلب ونهب عرفها تاريخ الجزيرة العربية، وكل تلك الروايات والادعاءات التي تتحدث عن فقدان الأمان وأن البدو كانوا يعيثون فسادًا في جزيرة العرب، وفي حقيقة الأمر أن كل هؤلاء كانوا أتباعًا للوهابية من الذين وجدوا ضالتهم بمهنة السلب والنهب والسبي مدعومة بفتاوى شرعية- وهابية تبيح لهم القتل والسبي باسم الدين وبتحليل من لدن شيخهم الذي كان يعتبر الضحايا مُشركين وكفار.

۞ رسالة الفرنسي جان ريمون والمأخوذة من كتاب: الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ\ لويس دوكورانسي

مؤرخي الوهابية كل من حسين بن غنام وعثمان بن بشر يُدبجون في كتبهم وكذلك حفيد محمد بن عبد الوهاب المدعو عبد اللطيف بن عبد الرحمن ويستخدمون لقب شيخ الإسلام عند التعريف بـ محمد بن عبد الوهاب، وكذلك يدعونهُ بقدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه وغيرها من ألقاب وكُنى ما أنزل الله بها من سلطان، والتي لا يستخدمها إلا غلاة الشيعة فقط مع أئمتهم ومراجعهم والتي لطالما سخر الوهابيون من تمسح الشيعة بأئمتهم وإطلاق مُختصرات لغوية مشفرة لبعض المُصطلحات الدينية مثل (عج = عجل فرجه، وقدس = قدس الله سره) وغيرها من التعابير الشيعية المفرطة بالغلو والتقديس.

فمثلاً يذكر لنا المؤرخ الوهابي حسين بن غنام في مخطوطته أوصاف ومآثر محمد بن عبد الوهاب أثناء ذكره لخبر مُبايعة سعود لولاية العهد، فيصف ابن عبد الوهاب بأوصاف مفرطة بالغلو وعجيبة وغريبة يخجل منها حتى عبدة الأوثان، فيقول: « ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف ١٢٠٢هـ: وفيها أمر شيخ الزمان وعلامة الوقت والزمان وحائز قصب السبق في الميدان ذو الحجج التي بهرت حين ظهرت والقواطع التي صدعت حين صدحت والبراهين التي قمعت إذ لمعت وسطت على الأعداء لما سطعت، المُزيل عن التوحيد برقعهُ المُبين لذوي الألباب حسنه وموقعه الجالي دجى الضلال والفالي للغواة الضلال، كاشف غيهب البدع والإشراك القائم في ذلك حسب الطاقة والإدراك وليس بمُداهن فيه ولا تراك، ناهج منهج البيان والصواب محمد بن عبد الوهاب – المُسلمين أن يُباعوا سعودًا على الإمارة بعد أبيه أطال الله تعالى عمره وصرف عنه السوء وأجاره وكثر جنده وأنصاره ومد في أجله طول الأمد وأنجح له ما أراد وقصد، فنهض إليه كافة الناس وتناوبت البيعة أنواعًا وأجناس وأعطوه الصفقة المُحققة من غير التباس».۞

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ليس هذا فحسب بل إن عامل التقديس والتبجيل لم يقتصر على محمد بن عبد الوهاب وحده، لكونه صاحب تلك الدعوة، بل شمل آل سعود الذين بدؤوا يتوارثون تلك المكانة الدينية، حتى باتوا يحملون لقب الإمام، بينما بقيت مكانة محمد بن عبد الوهاب راسخة في عقول الوهابيين، بحيث بات كالصنم المُقدس الذي لا يجوز انتقاده أو المساس به، بينما أبناؤه وأحفاده تراجعت مكانتهم كما سيمر معنا، والغريب أن الوهابيون كانوا يزعمون التوحيد النقي ويدعون السلفية الصافية ويكفرون من يُبجل ويُقدس غير الله، بينما هم كانوا ينظرون لأئمتهم وكأنهم رُسل وأنبياء معصومون حتى بعد موتهم فإنهم ينفعون ويضرون، ويعزون الكوارث إلى موتهم أو إلى غيابهم!!

فسنرى مثلاً كيف كان يُعزي المؤرخ النجدي الوهابي الهوى والعقيدة عثمان بن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)، فترات الجوع والقحط، وحلول الأوبئة المُميتة كالطاعون والجدري وغيرها من أمراض، ويرد سبب هجرات أهالي نجد إلى الزبير والبصرة، على أنها جاءت نتيجة لمقتل عبد العزيز بن محمد، ومرة بسبب مقتل تركي بن عبد الله على يد ابن أخته مشاري، وكأنهُ يقول إن هؤلاء الأمراء كانوا مُقدسين ولهذا حلت اللعنة على أهالي نجد بسبب غياب هؤلاء الأصنام الذين قتلوا أصلاً بسبب جرائمهم وتهالكهم على المناصب!!

فمثلاً يذكر ابن بشر في كتابه أكثر من مرة عدة حوادث طبيعية حصلت في نجد، منها قلة الأمطار وشح الأرزاق وتفشي الأمراض وارتفاع الأسعار والغلاء، ويُعزي ذلك لمقتل بعض أفراد آل سعود ممن يُطلق عليهم بالأئمة، فعلى سبيل المثال فهو يقول:

« وفيها قلَّ المطر وغلت الأسعار وصار سعر البر ستة أصواع وخمسة أصواع بالريال، والتمر خمسة عشر وزنة بالريال، وأصاب الناس مجاعة وجلاء كثير من أهل سدير للزبير والبصرة، وكان هذا الغلاء والقحط أوقعه

الله بعد قتل الإمام تركي وعلى وجه إقبال عساكر الترك كما سيأتي بيانه. وكان هذا الغلاء يشبه ما أوقعه الله من الغلاء بعد قتل الإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود، فإنه وقع الغلاء والقحط بعده في نجد سبع سنين كما تقدم».[۞]

أما الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف، فيرى أن الحركة الوهابية وجدت ضالتها، في تكفير الذين يدخنون السجائر، فاعتبروا التدخين من الكبائر وهو أشنع لديهم من القتل والزنى، ويعزى ذلك إلى أنهم وجدوا التدخين سبيلاً أو حجة شرعية للتوسع وزيادة النفوذ على حساب تلك المسألة التافهة، حيث يذكر في كتابه، أن القبائل العربية التي تقطن في جزيرة العرب كانت جميعها تدين بالإسلام وأنهم موحدون بالضرورة، فهم يصلون ويذكرون الله ويتبعون تعاليم الرسول محمد عليه أفضل الصلاة السلام، ولهذا فلن يجد عليهم الوهابيون من حجة أو سبيل كي يهاجمونهم ويرغمونهم على إتباعهم، إلا من خلال وجود ثغرات شرعية مُناسبة.
وهنا وجدوا ضالتهم في تكفير مُدخني التبغ، أو من يطلقون عليهم (شاربي المنكر) وبهذا بدؤوا يركزون على حرمة السجائر وتعزير شاربيها أكثر من تعزيزهم للقتلة والزناة!. وعن تلك الحالة الجديدة في الإسلام السعودي، يقول بالجريف: « ومبلغ ظني، أن قطع تاريخ المذهب الوهابي، الذي رويته في المجلد الأول، قد أوضح للقارئ أن فكرة القهر والهزيمة كانت ما تزال تسيطر على موقف محمد بن عبد الوهاب ومريده محمد بن سعود، من فكرة العقيدة أو الهداية. فكلاهما وربما الثاني أكثر من الأول، كان يتطلع لا إلى تأسيس مذهب وحسب وإنما إلى تأسيس إمبراطورية، ولم يكونا يتطلعان إلى ارتداد جيرانهم عن دينهم، وإنما إلى إخضاعهم. لقد كان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، رائدين مُتحدين من رواد الإسلام ، والسيف يرتبط بالإسلام بحكم الضرورة. والمشروع في تنفيذ هذا العمل، يتطلب ذرائع مقبولة ومهذبة

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

في الوقت الذي يتحتم فيه أن يكون هناك شعار فريد يُميز هذه الجماعة عن بقية الجماعات الأخرى. فالإقرار بوحدانية الله، والمواظبة على الصلاة مثل سائر أتباع محمد من غير الوهابيين، والبساطة في الملبس والثياب والعبارات والمقولات الخاصة، وكذلك غض البصر لم يكن كل ذلك كافيًا لتحقيق هدف كل من هذا أو ذاك، وضمان استعمال السيف، أو تمييز أولئك الذين استلوا سيوفهم عن أولئك الذين أشهرت عليهم تلك السيوف. ويرد على ذلك العدد الكبير من السكان الذين هاجمهم الوهابيون قائلين: "خلاصة القول، نحن أيضًا من أتباع محمد مثلكم، وليس هنالك أي فارق جوهري بيننا، فبأي حق، وبأي ذريعة تهاجمون إخوانكم، وتقتلوهم، وتستعبدونهم"؟ كان الأمر يحتاج إلى شيء إضافي، وهنا قفز التبغ كذريعة أمام الوهابي في الوقت المُناسب». [۞]

وأما كبيرة تدخين التبغ في نظر الوهابيين فهي أعظم من القتل والزنى وشهادة الزور، فقد تحايل بالجريف حينما كان في الرياض على المطوع عبد الكريم بن إبراهيم وهو أحد أصهار محمد بن عبد الوهاب، فأخذ يستفتيه في أكبر الكبائر، بحجة أنه جاهل ويخشى الوقوع في إحدى الكبائر، وأنهُ لم يجد جوابًا شافيًا لدى مشايخ وعلماء الشام، فشعر عبد الكريم بالزهو والغرور، وأجابه أن أكبر الكبائر هي إضفاء الصفات الإلهية على المخلوق، وثانيها شرب المنكر أي التدخين! بينما يرى عبد الكريم أن القتل والزنى وشهادة الزور هي ليست من الكبائر، وأن الله غفور رحيم، لأنها من الصغائر.

وعن نص ذلك الحوار "الفقهي" الدائر بين بالجريف وعبد الكريم، يقول:

« ولم يشك عبد الكريم أن أمامه باحثًا صادقًا، وأنه لن يرفض مد يده لمساعدة إنسان يغرق. وعليه، وبعد أن أضفى على نفسه مظهر العمق، وبصوت يُعبر عن الجدية التامة، قال قولته التي مفادها: "أولى هذه الكبائر هي أن تضفي الصفات الإلهية على أي مخلوق من المخلوقات". وهنا، يتعين

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

عليَّ أن أسوق ملاحظة مفادها: أن هذه الضربة موجهة إلى المُسلمين العاديين أتباع محمد ﷺ، الذين يصف الوهابيين عقيدتهم التوسطية، سواء أكان ذلك التوسط عن طريق الرسول محمد ﷺ أو عن طريق علي (رضي الله عنه)، على أنها وثنية مُباشرة وصريحة. ولو قدر لشيخ دمشقي أن يقول ذلك لأستبدل كلمة "الوثنية" بكلمة "الكفر". وأجبت عبد الكريم قائلاً:"هذا أمر مُسلم به، لأن جسامة هذا الذنب لا يرقى إليها أي شك. ولكن إن كانت هذه هي الكبيرة الأولى، فلابد أن تكون هناك أيضًا كبيرة ثانية فما هي"؟ وأجابني عبد الكريم على الفور، وبلا تردد: "إنها شرب المنكر". وهو يقصد بذلك تدخين التبغ. وتساءلت قائلاً: "وماذا عن القتل، والزنا، وشهادة الزور"؟ فأجابني صديقي قائلاً: "إن الله غفور رحيم، بمعنى أن هذه الذنوب هي من الصغائر"! وبرغم أني كدت أفقد السيطرة على انفعالاتي، رددت عليه قائلاً: "إذن الكبائر اثنان فقط وهما: الشرك والتدخين"؟ ويرد عليَّ عبد الكريم بكل جزم وتأكيد أن ذلك هو واقع الحال».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

## ▪ الوهابية وهاجس الشرك وعبادة الأوثان:

لقد ظلَّ الوهابيون منذ أن انطلقت دعوتهم، مسكونين بهاجس الشرك وعبادة الأوثان ومولعين بتكفير الآخرين ونعت كل من يُخالفهم أو يختلف معهم سياسيًا بالمُرتدين والمُشركين، فكانوا يُحاربون أي شيء لا يوافق أهواءهم أو توجهاتهم؛ مرةً بحجة الفتنة واختلال العقيدة، وأحيانًا بحجة سدًا للذرائع، وطبعًا أنا هنا أتحدث عن قطعان الأتباع وليس عن صاحب الدعوة الذي اتخذ عذر وذريعة الشرك وعبادة الأوثان غطاءً وحجةً لتمرير مشروعه التوسعي الدموي في سبيل الوصول إلى دفة السلطة الدينية من خلال مُشاركته الدنيوية المعروفة مع شريكه الآخر محمد بن سعود.

وحينما أتحدث عن قضية التكفير هنا فأنا لا أبُالغ أو أتجنى على الوهابية، فهم كانوا يفتخرون أنهم هُم المُسلمون فقط، وأما الآخرون فهم مُشركون وكفرة ومُرتدون عن الإسلام وعليه فليس أمام البقية إلا خيارين فقط للنجاة من بطش الوهابيين: فإما أن (يُسلموا)؛ وقطعًا هم مُسلمون أصلاً؛ ولكنني أقصد هنا أنهم يدخلوا في دين محمد بن عبد الوهاب الجديد، وإما أن يرفضوا تلك الدعوة الوهابية فيُعرضوا أنفسهم للتنكيل والتعزير والغزو في عقر دارهم فإما يُغتالوا ويُقتلوا صبرًا، أو يفروا بجلودهم إلى البلدان الأخرى والمناطق المُجاورة لشبه الجزيرة العربية كالعراق والشام.

ولنقرأ ما دوَّنه المؤرخ الوهابي حسين بن غنام كمثال عابر لا أكثر ولا أقل عن تلك الحالة المُزرية التي أبتلي فيها سكان الجزيرة العربية حيث لا مجال لهم حينها للحياد أو الانعزال، فيقول ابن غنام:

« ثم سار عبد العزيز والمسلمون معه إلى "ثرمدا" فسبقه إلى أهلها النذير، فتحصنوا فلم يستطع أن ينال منهم. فتبادلوا الرمي من بعيد، وقُتل من أهل البلد رجل واحد. ثم سار حتى نزل بين "الفرعة" وبين "أشيقر" وبنى هنالك

قصرًا للمُسلمين حصنًا وثغرًا، يُضيقون به على أهل أشيقر، فلم يزل ذلك القصر مأهولاً بالمُسلمين موصول العمارة حتى دخل أهل أشيقر الإسلام!.

....... الخ. إلى أن يقول: ثم سار المسلمون من "الدرعية" إلى "الرياض" فعدوا على حرس بلدة "مقرن" فقتلوا منهم ثلاثة، وأصابوا شعلان بن دواس، واستشهد من المُسلمين عبد الرحمن المهشوري، وحمد بن سليمان القاضي.

..... الخ. إلى أن يقول: وفي سنة ١١٧٦هـ غزا عبد العزيز بالمُسلمين "الرياض" مرتين: نزل في الأولى منهما حول البلد ليلاً فلما أحس أهلها خرجوا إليه فنشب بينهم القتال، فهزمهم وقُتل منهم أربعة، وقُتل من المُسلمين: دهمش بن سحيم. وفي المرة الثانية جعل الجيش يُرابط خارج البلدة، وأدخل نحو مائتين من جماعته فاختفوا في داخل البلدة. فلما أحس بهم دهام جمع رجاله وفرسانه وأراد أن يقتطع تلك الجامعة من الجيش ويفنيهم. فبادره المسلمون جميعًا، وأقبل الجيش من خارج البلد، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فُهزم دهام بن دواس، وقُتل من جماعته ستة رجال، وثلاثة من الخيل..... الخ.

إلى أن يقول: ثم غزا المُسلمون -وأميرهم عبد العزيز- الأحساء، وكانت خيلهم نحو ثلاثين، فأناخ في مكان يُسمى "المطيرفي"، وهجم على من كان فيه من المُشركين فقتل منهم نحو سبعين رجلاً، وأخذ المسلمون كثيرًا من الأسلحة والأمتعة والدواب...... الخ. إلى أن قال: وسار عبد العزيز بالمُسلمين إلى الرياض فنزل "المشيقيق"، فنشب بينهم القتال وقُتل من أهل الرياض ستة، ومن المُسلمين: ناصر بن عبد الله، ومحمد بن حسن الهلالي. وكاتب أهل الوشم وقراه عبد العزيز، ودخلوا في الدين، وبايعوا أهل الإسلام. وغزا المُسلمون وأميرهم عبد العزيز "جلاجل" وأراد مُحاربة شيخها: سويد، لارتداده. فساق إليه سويد خمسًا من الخيل فقبلها عبد العزيز وصالحه عليها.

......الخ. إلى أن يقول: ثم اتجه عبد العزيز منها إلى بلدة "الهلالية" ـ وهي من قرى "القصيم" ـ فوصلها ليلاً، وأعدَّ لها كمينًا. فلما أصبحوا حارب أهلها فهزمهم، وقتل منهم رجالاً. ودخل المُسلمون البلدة وأقام فيها عبد العزيز

أيامًا، فوفد عليه أكثر أهل القصيم، فدخلوا في الإسلام، وخرجوا مما كانوا فيه من عبادة الأوثان. فأخذ عبد العزيز عليهم العهد، ووضع عندهم مُعلمين يُعلمونهم التوحيد والشرائع والأحكام..... الخ. إلى أن يقول في مكان آخر:
وارتدّ جديع بن هذال ـ رئيس آل حبلان من عنزة ـ بعدما ادعى الإسلام وأعطى العهد. فخرج في جماعة معه، فصادفوا قومًا من مطير، فأراد الله أن ينصر مطيرًا عليه وعلى جماعته، فُقتل جديع وأخوه وثلاثة معهما...... الخ.
إلى أن ذكر حسين بن غنام مجزرة سعود بحق قرية الفضول حيث قال عن تلك المذبحة الرهيبة: وسار سعود بالمُسلمين يُريد "الأحساء"، فوصل "المبرز" فنازل أهلها وتراموا من بعيد. ثم رأى أن يتركهم فانصرف عنهم وسار إلى "الهفوف"، ولكنه لم يتوقف عندها، بل واصل سيره إلى قرية "الفضول" ـ في شرقي الأحساء ـ فشدَّ المُسلمون على القرية، فانهزم أهلها ولم يستطيعوا الفرار لأن المُسلمين ملكوا عليهم جميع الطرق. فالتجأوا إلى بيوتهم وتحصنوا فيها، فدخل المسلمون عليهم تلك البيوت وقتلوهم قتل النعمّ، وكانوا ثلاثمائة رجل قتلوا جميعًا. وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال وأنوع السلاح والحيوان والأمتعة والطعام، وكان شيئًا كثيرًا». ۞

ثم سنرى كيف يصف ابن غنام أهل القصيم بأقذع الألفاظ وكيف يحكم عليهم بالمذلة وبالتدرع بمدارع أهل النار، لأنهم فقط ارتدوا عن دعوة محمد بن عبد الوهاب، فيقول في كتابه المذكور عن القصمان:
« ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٦هـ: وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المُدلهم الجسيم وهو ارتداد أهل القصيم، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا في ذلك المرتع الوبئ الوخيم، وذلك أن كافة أهل القصيم إلا بريدة والرس والتنومة؛ لما أراد الله تعالى لهم المسكنة والذلة، وقضى عليهم في سابق الأزل بالهوان والمذلة وأن يلبسوا ثياب الخزي والعار

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ويتدرعوا بمدارع أهل النار ويتحلوا بحلية الأشقياء والفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار». [1] - انتهى الاقتباس -

أما ابن لعبون فيذكر لنا في تاريخه عن بعض تلك الغزوات الدموية التي يشنها سعود بن عبد العزيز باسم الدين وتحت زعم أنهم المسلمون فقط وغيرهم من الكفرة والمشركين، وبهذا فهم يستبيحون دماء الخصوم كونهم ليسوا على ملة ابن عبد الوهاب، حيث يقول:

« وفي سنة ١١٩٨هـ: توجه المسلمون وأميرهم سعود نحو الأحساء وواقعوا العيون، واستولوا على حله، وقتل ناصر بن عبد الله بن ناصر، وقتل اثنين أو ثلاثة، ثم انكفؤا على الخرج، واستصبحوا لأهل اليمامة، وقتلوا منهم قيمة تسعين رجلاً ولله الحمد والمنة، والأمر من قبل ومن بعد!! ». [2]

أما أهل وادي الدواسر فقد نالوا الأمرين من صاحب تلك الدعوة الدموية وشركائه، فقد كانوا على الدوام يهادنون ثم ينتهزون الفرصة ويثورون على الوهابيين ليتخلصوا من ربقة استعبادهم، واستمروا على هذا المنوال حتى تمَّ إرغامهم على اعتناق الوهابية عنوةً بعد أن دفعوا ألفي ريال نكالاً لعبد العزيز بن محمد وصاحبه، فقبلهم أتباعًا له، حيث يذكر ابن غنام في كتابه عن وادي الدواسر، فيقول: « ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف ١٢٠٢هـ: فخرج رؤساؤهم الفجار وقوادهم الأشرار وهما جماهر كبير الرجبان وحويل كبير الوداعين ذوي العصيان، فعمدوا إلى رئيس نجران وأخبروه بجميع ما كان وبثوا له ما جرى عليهم من أهل الإيمان، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان وندبوه على إغاثتهم سريعًا من غير توان..... الخ. فلما ذهب رئيس نجران منصرفًا وولّى ذليلاً مُنحرفًا ورجع إلى بلاده مُتأسفًا رجفت قلوب قرى الدواسر فكان بعضهم إلى طلب الإسلام مُبادر فطلب الرجبان من ربيع الدخول

---

[1] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

[2] كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف : حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

في الإسلام والإيمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين وكانوا في الإسلام راغبين وتتابع على ذلك كافة القرى فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فقرا، ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولا نصيب، ولكنهم يقولون ما برحنا حربًا يصاب منا ولا نُصيب، فانقادوا مُستسلمين وأذعنوا للدين مُكرهين، فلما صدر ذلك عنهم وفد ربيع وجماعة منهم على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر، فحمد الله تعالى وشكر وقابلهم بالحشمة والإكرام وأجزل عليهم الصلة والإنعام وطلبوا منه مُعلمًا للتوحيد والأحكام، فأرسل معهم عبد الله بن فاضل فكان لوظيفة التعليم فاعل، وبقوا على ذلك نحو ستة شهور ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور، وللشرك ورد وصدور وانشرحت لهم به صدور، واجتمع على ذلك الرجبان والوداعين وخلعوا عرى التوحيد والدين، ودخلوا فيما كانوا لهم مُعتاد وسُنن الآباء والأجداد وشربوا كؤوس الغي والفساد وأقاموا على الضلال في استبداد، وجاء الخبر عبد العزيز بذلك، فجهز لهم سليمان بن عفيصان مع جيش يُجاهدهم هنالك ويوردهم من الهلاك مسالك ويقحمهم منه أعظم المهالك، فسار بمن معه مُمتثلاً وقدم عليهم عجلاً فصب عليهم من العذاب عارض سكوب وشب فيهم لظى الخطوب، ودام فيهم القتل والقتال حتى أنكأ أهل الضلال ونكد عليهم العيش والبال وضاق عليهم الحال وعاينوا عقوبة الأفعال عاجلاً من غير إمهال، فبعد ذلك روضوا وهانوا ورغبوا في الإسلام ودانوا فطلبوا ذلك من سليمان، فأجابهم من غير توان وشرط عليهم القدوم على عبد العزيز معه في الحال والرضى بما يُريد من النكال، فقدموا معه إلى الدرعية راضين بما يصدر عليهم من قضية، فعاهدوا عبد العزيز على الإسلام وشرط عليهم في عقد الأحكام ألفي ريال وألف اتفق أن تُسلم في الحال، فالتزموا ذلك وتحملوه ووفوا به وسلموه».۞

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ومن خلال تلك المُقتطفات من الأخبار الدموية التي دونها الحواري المُقرب والحَبر الخاص بمحمد بن عبد الوهاب، المدعو حسين بن غنام، يتضح لنا أن أهل نجد وسكان الجزيرة العربية جميعهم باتوا كفارًا ومُشركين ويُعبدون الأوثان بنظر الوهابيين وأتباعهم، حيث صنف أهالي القصيم على أنهم مُشركين وكانوا يعبدون الأوثان، ولولا عبد العزيز لبقوا في وثنيتهم!!
وهذا مُخالف للعقل وحتى للمنطق، لأنهم قد زعموا أن الإسلام الرباني الذي جاء به رسول الهُدى محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، قد انتهى واضمحل أبان ظهور دعوة أو الدين الجديد لمحمد بن عبد الوهاب، ولهذا فهم يطلقون على خصومهم سمة "المُشركين" وأحيانًا "المُرتدين"، ويسمون ضحاياهم ممن يسقط ظلمًا وعدوانًا على أيديهم بالقتلى، أما من يسقط منهم ومن عصاباتهم فيطلقون عليهم مُسمى الشهادة!! هكذا.

المُضحك هو ما ذكره ابن غنام عن ذلك "المُرتد" المزعوم سويد أمير جلاجل الذي أخرجوه من الملة وفق مزاجهم، فهم صنفوه كمُرتد عن دينهم الوهابي الجديد وجاءوا عانين لقتله، لكنه استطاع أن يسترضي أميرهم وكبيرهم الذي علمهم الحرمنة، بأن أهداه خمسة من الخيل النجائب فسرعان ما رضوا عنه ونسوا قضية الارتداد عن دينهم الجديد!!

أما المُرتد الآخر حسب وصفهم، والذي خرج عن دينهم الجديد فهو أمير شمل عنزة الشيخ جديع بن هذال، وقد عزوا سبب مقتله على يد قبيلة مطير لاحقًا، إلى نقضه لعهد الوهابيين فعاقبه الله! ـ سبحان الله، انظروا كيف يتألون على الله ـ!

ثم تلك المجزرة الرهيبة التي اقترفها الوهابيون بحق الأبرياء في قرية الفضول بمنطقة الأحساء، بحيث قتلوا خلالها ثلاثمائة رجل مُسالم وسفكوا دمائهم بدم بارد، بل أن حسين بن غنام يصف قتلهم بقتل الحيوانات المُسالمة والأنعام العجماء، حيث يتهكم قائلاً:

"فدخل المسلمون عليهم تلك البيوت وقتلوهم قتل النعمّ، وكانوا ثلاثمائة رجل قتلوا جميعًا"!!

كما يذكر لنا عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه، كيف كان الوهابيون ينعتون خصومهم بالمُشركين، ويسرد لنا حادثة تاريخية عن إحدى المواجهات العسكرية التي دارت في ينبع بين قوات طوسون باشا ومعه قبيلة الحويطات، ضد قوات عبد الله بن سعود ومعه عثمان المضايفي، وكيف كان الوهابيون ينعتون خصومهم بالمُشركين، حيث يذكر الجبرتي في أخباره، قائلاً:

«واستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٦هـ، في منتصفه، وصلت هجانة ومعهم رؤوس قتلى ومُكاتبات مؤرخة في منتصف شهر العقدة، مضمونها: "أنهم وصلوا إلى ينبع البر في حادي عشرين شوال، واجتمع هناك العسكران البري والبحري، وأنهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية، وتُسمى قرية السويق، وفر ابن جبارة هاربًا، وحضرت عربان كثيرة، وقابلوا ابن الباشا، وأنهم مقيمون وقت تاريخه في منزلة الـ ينبع منتظرين وصول الذخيرة، وعاق المراكب ريح الشتاء المُخالف، وأنه ورد عليهم خبر ليلة أربعة عشر شهره، بأن جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبد الله بن سعود، وعثمان المضايفي، ومعهم مُشاة، وقصدوا أن يدهموا العرضى على حين غفلة، فخرج إليهم شديد شيخ الحويطات، ومعه طوائفه، ودلاة[*] وعساكر، فوافاهم قبل شروق الشمس، ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون: "هاه يا مشركون" ، وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية ، وغنموا منهم نحو

---

[*] الدلاة: يعرفهم لنا الجبرتي قائلاً: وهم طائفة ينسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز والمتأولة، وتلك النواحي يركبون الأكاديش وعلى رؤوسهم الطراطير السود، مصنوعة من جلود الغنم الصغار، طول الطرطور نحو ذراع، وإذا دخل الكنيف نزعه من على رأسه، ووضعه على عتبة الكنيف، وما أدري أذلك تعظيم له عن مصاحبته معه في الكتيف، أو الخوف وحذر من سقوطه، إن انصدم بأسكفة الباب في صحن المرحاض أو الملاقي، وتلك الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والإقدام في الحروب، ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة، ومنهم دون ذلك، وقليل ما هم، ولكونهم من تمام النظام رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه، خلاف الأجناس الغريبة، ومن بقي من أولئك يكون تبعا لا متبوعًا.

سبعين هجينًا من الهجين الجياد، محملة أدوات، وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين"، هذا ملخص ما ذكروه في الأجوبة التي حضرت».[۞] -انتهى الاقتباس-

ولم تنتهي الحكاية عند مسألة التكفير والاتهام بالردة عن الإسلام فقط بل أصبح الوهابيون مهووسين بالبحث عن أي حجة أو سبب لتكفير الخلق، فباتوا يرون في كل شيء مُخالف لمشيئتهم وتوجهاتهم، أو أي تصرف لا يُعجبهم سرعان ما يجيرونه في خانة الكفر والإشراك والهرطقة!
حيث يذكر الرحالة السويسري\البريطاني جون لويس بوركهارت عن بعض تلك الممارسات الوهابية التدميرية العبثية، في كتابه "ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين" قائلاً:

«لقد أصبح هدم وتحطيم القباب وأضرحة الأولياء ذوقًا مفضلاً لدى الوهابيين حيث كان ذلك أول ما يقومون به بعد انتصارهم، في كل من الحجاز واليمن وبلاد الرافدين وسوريا. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحدّ، بل تعداه إلى هدم قباب المساجد أيضًا. ففي مكة المكرمة لم تتمكن من البقاء جميع قباب قبور العرب المعروفين، حتى أن التدمير طال في مكة المكرمة مكان ولادة الرسول محمد ﷺ وأحفاده الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وخديجة رضي الله عنها أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وعمه أبو طالب، أقول جميع ما يخصهم من بناء تمَّ تدميره عن بكرة أبيه، وعندما كانوا يزاولون مهمة الهدم هذه، كانوا يرددون كلماتهم التالية: رحم الله من هدمها، ولا رحم من بناها».[۞۞]

أما المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي، فيذكر في كتابه (الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ) عن ممارسات الوهابيين في الحجاز وخصوصًا عندما احتل سعود بن عبد العزيز مكة المُكرمة حيث يقول:

---

[۞] كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار- الجزء الرابع \ تأليف المؤرخ: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.
[۞۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف: جون لويس بوركهارت

« وبينما كانوا يحصنون أنفسهم في جدة، (وكان ذلك في أوائل شهر رمضان ١٢١٧هـ، أي ٢٥ كانون الأول ١٨٠٢م)، توجه سعود إلى مكة على رأس جيشه المظفر فدخلها بدون مُقاومة وعامل سكانها مُعاملة طيبة باستثناء منيب أفندي قاضي مكة الذي عُزل ثم أعدم لعدم تقيده بالتعاليم الوهابية. ولحق به عشرون من المشايخ فذهبوا ضحية عقيدتهم. أما الباقون فكانوا أشد حذرًا إذ انصاعوا للأمر أو تلافوا بيان رأيهم. وباشر سعود، متقيدًا بتعاليم الوهابية، بهدم جميع أضرحة الأولياء داخل مكة وفي جوارها. وفي منتصف مكة ممر يبلغ طوله ربع ميل، يسمونه بالعربية "طواف"، اعتاد الحجاج الدوران حوله سبع مرات قبل مغادرة مكة. وقد أصبح هذا المكان منذ بضع سنوات مركز العمليات التجارية، فأقيمت حوله المتاجر لعرض البضائع التي تأتي بها القوافل. فأمر سعود بهدم هذه المتاجر مدعيًا بأنها تدنس "الطواف". واعتنى سعود بإرشاد أهل مكة ولكن ذلك لم ينسه الكنوز المُجمعة في الكعبة. وكان ضريح إبراهيم (النبي) مُغطى بسجادة ثمينة من نسيج الحرير والذهب. فأمر سعود برفعها ووضع حصيرًا من سعف النخيل مكانها. ولكنه لم يجرؤ على هدم الضريح لعلمه بالاحترام الذي يكنه العرب لإبراهيم وهو أقدم شيخ (نبي) خلدوا ذكره. إلا أنهُ هدم ضريح الحسن والقاسم اللذين كان الفرس يجلونهما أعظم الإجلال وحيث وضعوا كنوزًا ثمينة. وبعد أن اغتنى سعود بهذه الكنوز، فكر بالاحتفاظ بمكة».[۞] -انتهى الاقتباس-

ومن مهازل الوهابية هو ما ذكره الرحالة "جورج أوغست ڤالين" عن تحريم الوهابية لأكل الرز، بحجة أنهُ لم يكن متداولاً زمن الرسول ﷺ، حيث ذكر ذلك الخبر في كتابه "صور من شمالي جزيرة العرب" في منتصف القرن التاسع عشر أي في عام ١٨٤٥م - ١٨٥٤م، حيث يذكر: «في أيام الوهابيين الأولين كان تدخين التبغ، مثلاً، ممنوعًا منعًا باتًا بحجة أنهُ قد نبت ببول إبليس (كذا!)،

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

وكان لبس الحرير مُحرمًا على الرجال ولا يسمح للنساء كذلك بارتدائه إلا في حالات قليلة، وكان الشِعر والموسيقى واللهو من المُحرمات، وفرضوا قيود وموانع على أكل الأرز، بحجة أنهُ لم يكن من طعام العرب في أيام الرسول ﷺ، وأن الرسول لم يأكله، وهم ينصحون بأكل الشعير تفضيلاً على القمح، وأن الشعير أفضل غذاء للوهابي الصادق. واعتبر الاتصال الودي مع كل طائفة أخرى من المُسلمين عملاً غير مشروع مع الدعوة إلى الحرب ضدهم بوصفها واجبًا مُقدسًا. وأخبرني أهل حائل وهم يتهكمون بأن أتباع ابن سعود ما يزالون يخضعون لهذه القيود، ولموانع أخرى، في حين أنها زالت أو عُدلت عند عرب شمر اللذين عادت عليهم علاقاتهم المتواصلة بالعراق والحجاز ومصر والغرباء ممن زاروا أرضهم بحرية أكثر، فصار أحدهم يؤدي العبادة بثوب نصف حريري، أو يرتدي في ساعات أخرى ثوبًا حريريًا، إلا أن صلواته وهو يرتدي الحرير غير مقبولة، وصار أيضًا يُغض النظر عن تدخين التبغ، وقد أخذ هذا التدخين بالشيوع تدريجيًا، إلا أن مُدخنه مكروه ولا يُسمح له بأن يقوم بدور الإمام في المُصلين..الخ وعن تحامل الوهابيين على قرض الشِعر، فالشِعر في جبل شمر هو في بيته، والناس رجالاً ونساءً ترتجله، ويحفظ الصغير والكبير قصائد كثيرة، وأمراء آل رشيد هم شعراء كأمرؤ القيس الشاعر الشهير الذي كان ملكًا على هذه الأرض في القديم». ۞ -انتهى الاقتباس-

الغريب أن الوهابيين كانوا من ألد أعداء بقية المذاهب السُنية الإسلامية ووصل بهم الحال لهدر دمائهم تحت ذريعة ارتدادهم عن الإسلام، بينما كان الوهابيون من ألين وأرق الناس مع المُستعمرين سواء كانوا نصارى أو يهود، كما هم عليه الآن حالهم كونهم أتباع وحلفاء لأمريكا وبريطانيا وبقية الدول الغربية، والظريف أيضًا أنهم كانوا يحرمون تناول وجبة الرز، بينما في وقتنا الحاضر قد أصبحوا مُدمنين على تناول تلك الوجبة من مادة الرز ، وخصوصًا

---

۞ كتاب : صور من شمالي جزيرة العرب - في منتصف القرن التاسع عشر \ تأليف: جورج أوغست ڤالين.

تناول الكبسة!، ربما لغرض التعويض عن فترة الحرمان السابقة، بسبب ما مرَّ به أسلافهم من إجحاف غير مُبرر حتى في نوع وصنف الطعام، والرضوخ والاضطرار لقبول تلك الفرمانات الوهابية الصارمة.

وأيضًا كان الوهابيون مسكونين بهاجس الحسد، بحيث أنهم كانوا يهملون بعض المشاريع المهمة خوفًا من عامل الحسد، فصحيح أن الحسد ذُكر في القرآن الكريم، لكن الوهابيون كانوا يتعاملون مع قضية الحسد، بطريقة مَرضية، ولذلك لا نستغرب من أحفاد آل سعود الحاليين كثرة ترديدهم لكلمة الحسد في كل شاردة وواردة، حتى أنهم يبررون فشلهم وعمالتهم للغرب، بأنهم (محسودون على النعمة) ولهذا فإن الناس تذكر تلك الأشياء عنهم بدافع الغيرة والحسد!.

وعن تلك الحالة المَرضية التي عانى منها الوهابيون، يذكر لنا المُقيم البريطاني لويس بلي، في كتابه حكاية طريفة ومُضحكة عن عدم تطوير قنوات الري في نجد خوفًا من عيون الحساد، حيث يذكر بلي:

«٧٧- إن نجدًا نفسها تحتوي بين تلالها على بقايا قنوات ري كثيفة وقديمة، وكانت تراود الأمير (فيصل بن تركي)، الرغبة في إصلاح بعض هذه القنوات وخاصة تلك التي تتجه من المناطق المُرتفعة إلى سدير، لكن العلماء اعترضوا على ذلك العمل المُفيد، قائلين إن تنفيذه سوف يُعرضه للإصابة من عيون الحساد، وبالتالي فإن الضرر - يقينًا- سيلحق به شخصيًا (أي الأمير)».[۞]

كما دمر الوهابيون الكثير من الآثار التاريخية القديمة بحجة الخشية من الشرك وعبادة الأوثان، فيذكر لنا مقبل الذكير في كتابه عن تدمير مسلة سدوس الأثرية، على يد الوهابيين قائلاً:

---

[۞] كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

«وسدوس هذه من قرى الشعيب، وهي التي فيها الآثار القديمة التي يزعمون أنها من آثار طسم وجديس، وفيها المسلة المشهورة في التاريخ، التي هدمت بعد ذلك أثناء النهضة الدينية».۞

وعن ذلك العمود الأثري الغريب الذي كان موجودًا في السابق في قرية سدوس، يذكر لنا المُقيم البريطاني الليفتنانت كولونيل لويس بلي بعضًا من وصف وحال ذلك العمود التاريخي في عهد فيصل بن تركي، حيث كان بلي في زيارة للرياض للتفاوض مع الوهابيين، فيقول عن ذلك العمود الأثري:

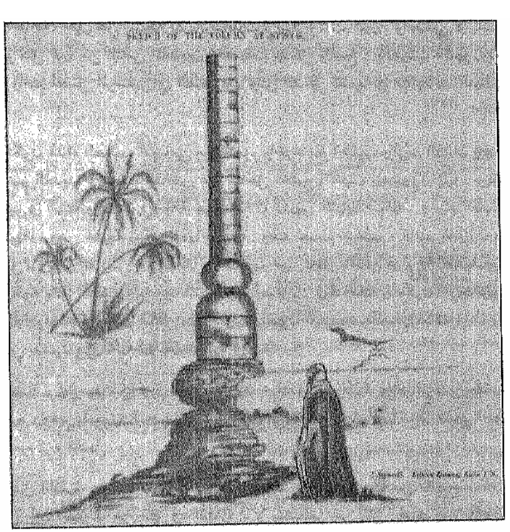
«٥٩- تقع بالقرب من حصن سدوس رابية مكونة من ركام وأنقاض ما قد كان فيها من مبانٍ عظيمة في زمن مضى، وينتصب على تلك الأنقاض عمودٌ رائع من الحجر المنحوت. ولقد كان رأسه مكسورًا ولكن اسطوانة العمود نفسه مازالت ترتفع إلى حوالي عشرين قدمًا. وكانت الكتل الحجرية مُستديرة حيث كانت كلُ كتلةٍ مُتناسقة في الحجم مع حجم العمود الذي ربما كان يبلغ قطره حوالي ثلاثة أقدام. وكانت القاعدة والقوصرة - والأخيرة مربعة - مقطوعة أيضًا من الحجر مُناسب لارتفاع العمود وقطره. لقد كان سكان القرية يستخرجون الحجارة والتربة من الأطلال المُجاورة، كما كانوا يأخذونها أيضًا من قاعدة العمود نفسه. وفي الوقت الحاضر فإن أساس العمود مُهدد بالانهيار نتيجة الحفر، لدرجة أن تحريك عدد قليل من الأحجار من القاعدة سينتج عنه سقوط العمود. يبدو أن الناس هنا لا يعرفون شيئًا عن تاريخ هذا العمود، كما أن الأمير (فيصل بن تركي) الذي سألته فيما بعد، لم يستطع أن يُعطيني أية معلومات فيما يتعلق بأصله. ولا يبدو أن هذا العمود قديم، كما كان الملاط في المواضع المُثبتة إلى بعضها من الطين. ومع هذا بدا أن الجميع متفقون على أن تاريخه يعود إلى فترة سابقة لعصر الرسول ﷺ. ومن المؤكد أنهُ لا يوجد في الوقت الحاضر في نجد من يستطيع تخيل أو تنفيذ بناء رائع كهذا. لقد كان هناك

---

۞ كتاب : مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود \ تأليف: مقبل بن عبد العزيز بن مقبل الذكير.

صليبان محفوران على أسطوانة العمود. فهل يكون هذا بعض بقايا إحدى الطوائف النصرانية التي دخلت الجزيرة العربية خلال القرون الأولى للمسيحية؟ ومهما كان أصل هذا البناء، فإن انتصاب رمز للنصرانية في قلب البراري الوهابية، يبدو نسبيًا الآن أقل غرابة من وجود هذا العمود المتناسق معماريًا بين مباني نجد. وقد أرفقت رسمًا تخطيطيًا للعمود، رسمه السيد ديوز بعد زيارتنا له بوقت قصير». [۞] -انتهى الاقتباس-

ويذكر لنا محمود شكري الآلوسي في كتابه تاريخ نجد، تعريفًا بسيطًا عن قرية سدوس، حيث يقول: «وسدوس هي من أقدم قُرى اليمامة وكانت تسمى (القُرية)، قال الهمداني: قرية بني سدوس من ذهل بن ثعلبة، وهي قرية جيدة وفيها قصر سليمان بن داود عليه السلام مبنى بصخر منحوت عجيب خراب، وبقيت القصبة، وقد بقي من ذلك القصر إلى أول القرن الرابع عشر للهجرة بناء شاخص كالمنارة، فيه كتابات منحوتة في الصخر، فلما رأى أهل القرية السياح يقصدون المكان لمشاهدة ذلك الأثر هدموه، فورًا من الأجانب». [۞۞]



مخطط لعامود سدوس أو "المسلة" بريشة ديوز Dawes

---

[۞] كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

[۞۞] كتاب : تاريخ نجد \ تأليف: السيد محمود شكري الآلوسي.

وكذلك من هرطقات الوهابية أيضًا هو الخبر المُضحك الآخر الذي ذكره محمود شكري الآلوسي أيضًا في كتابه تاريخ نجد، حيث يقول:

«وفي القرب من الهفوف بمسافة نصف ساعة في غربي المبرز، عين ينبع منها الماء الحار صيفًا وشتاءً، تُسمى بـ عين نجم وهي في مكان فسيح، وخلف نخيل طرف السيفة، عُمِر ما حولها بالزراعة وذلك سنة ١٢٢٥هـ وكان العوام يعتقدون أن من به عاهة إذا اغتسل في هذه العين يبرأ، وقد خشي بعض أهل العلم السلفيين الفتنة على الناس واختلال عقائدهم فدفنوها سدًا للذريعة وبعد انقيادها لزمام الدولة العثمانية أعادوها كما كانت، وبنوا عليها قبة ومباني لطيفة فعاد الناس ينتابونها»۞

فتخيلوا عين كبريتية دافئة أوجدها الله سبحانه وتعالى ليغتسل فيها الناس، حيث ثبت علميًا أن مياه العيون الحرارية وخصوصًا المياه التي تحتوي على مادة الكبريت، مُفيدة لعلاج الروماتيزم والأمراض الجلدية، فيأتي هؤلاء الرعاع الهمج، فيدفنوها خشية من الفتنة وخوفًا على عقيدة الناس وسدًا للذرائع حسب عقلهم السقيم!!

ومُقارنة بسيطة ما بين تلك المُمارسات البشعة للتعاليم الوهابية في نجد بقيادة ابن سعود، وبين ممارسات حاكم حائل ابن رشيد، على سبيل المثال وذلك عبر ما سجله بعض المُستشرقين والرحالة الأجانب في تلك الفترة، فإننا سنجد الفارق كبيرًا والبون شاسعًا بين الطرفين،كما جاء في كتاب الدكتورة مضاوي آل رشيد (السياسة في واحة عربية - إمارة آل رشيد) وذلك نقلاً عن كتب بعض المُستشرقين الأجانب الذين زاروا المنطقة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، حيث يذكر لنا بعض الرحالة قائلين:

« كما أبدى أمراء آل رشيد تسامحهم مع المُعتقدات الدينية للتجار الشيعة الذين كانوا بحاجة إلى الحماية والاطمئنان على حياتهم وسلامة ممتلكاتهم.

---

۞ كتاب : تاريخ نجد \ تأليف: السيد محمود شكري الآلوسي.

وحين كان داوتي في حائل ذكر أنهُ التقى تاجرًا أجنبيًا ثريًا هو السيد محمود "زعيم المشاهدة [التجار الشيعة في مشهد علي] وزهاء ٣٥ عائلة كانت مُقيمة في حائل. وأن سلع البازار [بضائع من بلاد النهرين] في غالبيتها بأيديهم". ويؤكد بالجريف أيضًا:"أن تجارًا من البصرة ومن مشهد علي وواسط وأصحاب متاجر من المدينة وحتى من اليمن، كانوا يُدعون بعروض سخية للمجيء ومزاولة أعمالهم في سوق حائل الجديدة". [كما سمح الأمراء للتجار المحليين وخاصة من منطقة القصيم بالنزوح إلى حائل لفتح متاجرهم وأعمالهم. وكان تجار القصيم مشهورين في وسط الجزيرة العربية بمهارتهم في التجارة ومجال الأعمال وقد مُنع طيلة سنوات التعصب الوهابي في أرضهم بيع واستهلاك عدد من السلع الكمالية مثل البن والتبغ والحرير. وفي جنوب نجد فرض الأئمة الوهابيون على أنفسهم وعلى الجماعات التي وقعت تحت هيمنتهم قواعد أخلاقية متزمتة، وكانوا مُعادين للتجار المحليين والأجانب الذين يجلبون بضائع كهذه من بلاد الرافدين وبلاد فارس، والذين كان غالبيتهم من الشيعة. وكان الحجاج والتجار الشيعة على السواء يتعرضون إلى مضايقات جسدية في الأراضي السعودية ـ الوهابية فقد كانوا يتجنبونها، وعلى النقيض من ذلك كان أمراء حائل مُتسامحين مع الاختلافات الدينية، وكانوا يشجعون التجارة بالسلع الترفية، بل إن بعضهم كانوا أنفسهم مُستهلكين لهذه السلع، فعلى سبيل المثال بذكر بالجريف: أن طلال بن رشيد كان "يُشاع عنه الانغماس في ملذات التبغ الهرطيقية وارتداء الحرير". ووصف يوتنغ التدخين في شوارع حائل دون أن يُثير عداء: بدأت أُدخن في الشوارع، يبدو أن هذا مقبولاً بسلاسة، حتى أن الناس في البازار والمتاجر والبيوت، كانوا يُقدمون لي نارًا كلما احتجت إليها. (يوتنغ] ». ۞ ـ انتهى ـ

---

۞ كتاب : السياسة في واحة عربية – إمارة آل رشيد \ تأليف: الدكتورة مضاوي آل رشيد.

ويبدو أن تلك البساطة والتواضع التي كان يحظى ويتحلى بها حُكَّام حائل من أسرة آل الرشيد، ومُعاملتهم الحسنة لبقية الطوائف والمذاهب وعدم تفريقهم بين الطبقات الاجتماعية سواء كان في اللون أو المهنة، وعدم تعصبهم الديني ونبذهم للتطرف المذهبي، وعدم خوضهم في الخلافات العقدية أو دخولهم في نيات البشر وعدم اتخاذ مبدأ التكفير والتبديع سلاحًا أو مطية لهم للولوج إلى السلطة. كل تلك العوامل قد دفعت بالكثير من التجار في داخل نجد وخارجها للقدوم إلى حائل، وكذلك دعت الحجاج الفرس والعرب القادمين من الخارج إلى أن يطمئنوا لحاكم حائل وأن يُفضلوا المرور بأراضي إمارته أثناء أداء مراسم الحج، فأصبحت حائل محطة تجارية مهمة وطريقها سالك وآمن للجميع، بل حتى أن بعض الشيعة العرب والفرس كانوا يأتون من مدينة النجف العراقية التي تسمى (مشهد علي) إلى حائل للعمل كجزارين وحدادين وباعة أقمشة ويشغلون مهن أخرى أثناء مواسم الحج، وقد عرفوا في حائل بالمشاهدة نسبة إلى مدينة النجف أو مشهد علي، فعلى سبيل المثال لا الحصر يذكر لنا الرحالة الألماني يوليوس أويتنج الذي زار إمارة حائل في عام ١٨٨٣م، مع رفيقه هوبر، حيث يصف بعض من تسامح أمير حائل في وقته، الأمير محمد الرشيد مع الجالية الشيعية في حائل قائلاً:

« وأخيرًا أصبح في مقدورنا الذهاب إلى المنزل الذي وضعه الأمير تحت تصرفنا، ولما كان حمود المجراد في أول مقابلة لنا معه في كاف قد قال لنا: إن الأمير ترك لكم الخيار إما أن تسكنوا في القصر أو في بيت مستقل وحدكم، ففضلنا الخيار الأخير، لأننا اعتقدنا أننا سنتكفل وحدنا بإطعام أنفسنا. ويقع المنزل في الحي الإيراني (يقصد حي المشاهدة)، وتعود ملكيته في الأصل إلى شخص فارسي عاد منذ فترة إلى مسقط رأسه في المشهد (المقصود مشهد علي- النجف وليس مشهد إيران)، وقد قام وكيله بتأجيره على الأمير بمبلغ ٦ مجيديات (٢٠ ماركًا) في السنة....الخ. كنت عاقدًا العزم اليوم على رسم بعض المناظر التصويرية، وكتابة بعض الجُمل على جدار القهوة التي كنا نقيم فيها (يقصد دار

القهوة في المنزل المذكور)، **فطلبت منهم القيام بدهان جدار الطين البنية من الأسفل إلى ارتفاع مترين بالجير الأبيض** (الجبس). **الخميس ١٨\١١\١٨٨٣م، مازالت جدران غرفة الاستقبال** (يقصد غرفة القهوة) **تبدو بالنسبة لي في حاجة إلى مزيد من التزيين، وقد قمت بنقش كلمة (يا علي)، على إحدى دعامات جدران الممر المؤدي إلى الفناء مُستخدمًا الألوان الخضراء الذهبية، وكنت أقصد من ذلك تكريم صاحب الدار الذي كان شيعيًا وكان سيشعر بالرضا كلما وقع بصره على النقش».**[۞] -انتهى-

**وأتوقع شخصيًا حينما سيعود ذلك التاجر الفارسي إلى حائل، ويجد منزله مرسومًا عليه دعاء (يا علي) سوف يعتقد أنها معجزة إلهية أو ربما هي من بركات الإمام نفسه. وهكذا فقد كان ابن رشيد يرحب بالشيعة ويعاملهم مُعاملة طيبة ولا يسمح لأحد بإيذاء المشاهدة أو التعرض لهم، وأصبح كثير من المشاهدة يعتزون ويقدرون آل رشيد، بسبب نبلهم وكرمهم وشجاعتهم وحسن تعاملهم، بل أن الكثير منهم استوطنوا في حائل، ولن تستغرب حينما تقرأ قصيدة مدح وثناء على ابن رشيد كتبها شاعر عراقي شيعي المذهب حيث أشاد في حينه بحاكم حائل -** الأمير **محمد بن عبد الله بن رشيد - ومدحه بقصيدة عربية فصيحة عصماء، أثنى بها عليه وعلى شجاعته وحكمته وأشاد بكرمه وعدالته رغم كونه حاكمًا سُنيًا ومخالفًا لمذهب الشاعر، وهذا يدل على أن حُكَّام حائل من أسرة آل رشيد كانوا مُحبوبين من قبل السُّنة كونهم على مذهب أهل السُّنة والجماعة، وكذلك فقد أحبهم الشيعة لعدالتهم وأمانتهم وحسن تعاملهم وعدم غدرهم بالحجيج، وأيضًا لكرمهم وحسن معشرهم، وهو عكس ما حاول ابن سعود أن يُشيعه عنهم.**

**وربما سنرى صدق تلك المشاعر الجياشة من خلال تلك قصيدة الشاعر العراقي الشيعي جعفر الحُسيني المُلقب بـ"بالحلي" التي قالها مادحًا حاكم نجد**

---

[۞] كتاب : رحلة داخل الجزيرة العربية \ تأليف: يوليوس أويتنج.

وأمير حائل آنذاك الأمير الشمري محمد العبد الله آل رشيد المُلقب بـ"المهاد"، حيث يقول فيها:

شَـكت خُيولـك طُـولَ الكـدِ والتعـبِ ... مهـلاً فمـا تركـتَ عـاصٍ مـن العـربِ
أتعبتهـا بالمغـازي واسـترحتَ بهـا ... وإنمـا تحـصلُ الراحـات بالتعـبِ
عرضـتَ خيلـكَ للبـيضِ الـصفاح ... وللـسمر الرمـاحِ وللأهـوالِ والنـوبِ
في كـلِ يـومٍ بحـزب الله راكـضة ... كأنهـا بالـسهام معقـودة الـذنبِ
مـا نفَّـضت تـرب نجـدٍ عـن معارفهـا ... حتـى مـشت للحـسا بالنـصرِ والغلـبِ
لـيس الأمـير الـذي يقـضي إمارتـه ... مـلازم الظـل لم ينهـب ولا يهيـبِ
بـل الأمـير الـذي يرقـى غوالبهـا ... ولا يبيـت بغـير الـسرجِ والقتـبِ
لا يـستحقُ جلـوس التخـت غـير فتـى ... قـد طـال مجلـسه في أظهـر النجـبِ
أرح جيـاد المهـارى واسـترح فلقـد ... بلغـتَ مـا تـشتهي يـا سـامي الرتـبِ
ذلـك كـل عزيـز في عـشيرتهِ ... حتـى حكمـت علـى البلـدانِ والطُنـبِ
لـكَ الجزيـرة مـن صـنعا إلى هجـرٍ ... إلى العـراقِ إلى مـصر إلى حلـبِ
أدبَّـتَ أعرابهـا مـن بعـدِ بغـيهمُ ... والعُـرب لم تثـنهم إلا عـصى الأدبِ
يـا طالمـا لمغـارات قـد التجـأوا ... وخربـوا دورهـم خوفًـا مـن الطلـبِ
واليـوم مـذ سـلموك الأمـر قـد عمـروا ... فـلا تـرى لهـم منـزل خـربِ
أضـحت مواشـيهم بالـدو آهلـة ... وارتعوهـا جـنيَّ الـروضِ والعـشبِ
ثـوبُ الرياسـة لم تلبـسه عاريـة ... بـل إنـه لـك ارثٌ مـن أبٍ لأبِ
ولم ينازعـك يـا ابـن الطيـبين بـه ... إلا الـذي نفـسه اشـتاقت إلى العطـبِ
إن تلقـك الخيـل ألـوت في أعنَّتهـا ... ومـا لهـا سـبب ينجـي مـن الهـربِ
جـاءوك والكـلُ يبغـي ثـاروالـده ... فمـذ رأوك انثنـوا نكـصًا علـى العقـبِ

لقــد غــضبت فكــاد الــسيف يأخــذهم ... لكــن حلمــك يمحــو ســورةَ الغــضبِ

ومــدعي العلــم مــنهم قــد رأى كتبًــا ... تدلــه أنــك المــذكور في الكتــبِ

يــرون في أخـــر الأزمـــان يملكهـــم ... ذو همـــةٍ غـــير هيَّـــاب ولا نكـــبِ

لم ينخـــدع بأكاذيـــب مزخرفـــةٍ ... وقولــه الحــقُ مــأمونٌ مــن الكــذبِ

بُعثــتَ خاتمـــة الأجـــواد في زمـــنٍ ... بــهِ فقــدنا الــسخا حتــى مــن الــسحبِ

لــو حــلَّ ضــيفك مــن ســلمى إلى أجــا ... وهــم ألــوف لأمــسوا في قــرى خــصبِ

مثــل الجــوابي لهــم تــترى جفــانكم ... تــرى صــغيراتها أعــلا مــن الهــضبِ

ففيــك مــا فجعــت طــيٌّ بحاتمهــا ... إذا انتهـــى كـــرم الآبـــاء للعقـــبِ

مــا حــاتم منــك أو معــن لــه شــبهٌ ... (ففــي الحميــةِ معنــىً لــيس في العنــبِ)

لله قومـــك مـــا أصـــفى قلـــوبهمُ ... كأنهــا خُلقــت مــن خــالصِ الــذهبِ

هــذا ابــن عمــك قــد طابــت ســريرتهُ ... ســيفٌ بيمنــاكَ إن تــضرب بــه تــصبِ

أخلـــصته لـــك خِـــلاً لا تفارقـــه ... ونفـــسه بـــسوى رؤيـــاك لم تطـــبِ

مُجـــرب إن رأى رأيًـــا أصـــاب بـــه ... ومـــن يوافقـــه بـــالرأي لم يخـــبِ

قــد أنجبــت فيــهِ قحطــان عــشيرته ... وآل قحطـــان كـــانوا جمـــرة العـــربِ

وان عبــد العزيــز (*) الــشهم لــيس لــه ... بغـــير حـــب العلـــى والمجــدِ مـــن أربِ

إذا أمـــرت مـــضى فيمـــا أمـــرتَ بـــهِ ... بهمـــهِ أوطأتـــه هامـــة الـــشهبِ

آل الرشـــيد بـــذكراكم يلـــذُّ فمـــي ... كعـــاطشٍ ذاق طعـــمَ البـــارد العـــذب

خـــذوها عراقيَّـــة أهـــديتها لكـــم ... ألفاظهـــا انتظمـــت كـــاللؤلؤ الرطـــبِ

هــذا جــزا مــا زرعــتم مــن مكــارمكم ... وزارعُ الكـــرم يجـــني طيـــب العنـــبِ

ثــم الــصلاة علــى الهــادي وعترتــهِ ... وصـــحبهِ ذوي الإيمـــان والحـــسبِ

---

(*) يقصد بـ"عبد العزيز" : هو الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد المُلقب بـ(الجنازة).

بل قد يستغرب البعض عندما يعلم أن أول مكتب حوالات مصرفية خارجية وجد في جزيرة العرب كان في إمارة حائل، حيث أوجده أمير حائل ابن رشيد ليسهل من خلاله عملية نقل الأموال ويحفظها من عمليات السلب والنهب، فكان الكثير من التجار والرحالة الأجانب يضعون أموالهم في مكاتب خاصة لإمارة حائل سواء كانت في الشام أو في العراق، فيودعون أموالهم الكاش لدى مكتب الحوالات الخاص بالإمارة والذي يديره وكيل الأمير هناك، ثم يستلمون أموالهم في حائل، وذلك من خلال صك مُعتمد يحمله صاحب المال معه.

وعن تلك الخدمة المصرفية المتطورة، تذكر المسز جيرتروود بيل، في رحلتها من دمشق لحائل عام ١٩١٣م، في رسالة مجيرة على أنها موجهة لوالدها في لندن، بينما هي ربما تكون موجهة للمسؤول الحكومي المشرف عليها في لندن، حيث تقول في نصها:

«دمشق ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٣م: أرسلت اليوم برقية أخشى أنها ستدهشك أطلب فيها إليك أن تحول برقيًا عن طريق ناشنونال بنك مبلغ ٤٠٠ جنيه عن طريق أوتمان بنك (البنك العثماني) في لندن لحسابي في أتومان بنك (البنك العثماني) هنا. أبرقت لك لأنني لم أكن أعرف إذا كنت أبرقت إلى ناشونال بنك مباشرةً إنهم سيعتبرون الطلب كافيًا دون أن يستلموه كتابيًا. لكني أسرع في التوضيح لك (وهذا مالا أستطيع توضيحه في البرقية). أن هذه ليست هدية أطلبها. أود أن أقترض المال من ناشونال بنك.والوضع هو كالتالي: بالقدر الذي أستطيع الاستنتاج فيه وعندي الآن قدر كبير من المعلومات من أطراف عدة، لم يكن هنالك سنة مُناسبة للسفر إلى الجزيرة العربية أكثر من هذه السنة. فالصحراء هادئة على نحو كامل ولن يكون هنالك أي صعوبة سواء في الوصول إلى حائل - وهي عاصمة ابن رشيد - وحتى مسافة أبعد. بالإضافة إلى ذلك عثرت اليوم على الرجل المناسب كدليل. كان مع السيد كاروثرز (Carruthers) منذ ثلاث سنوات. سمعت عنه وأمتدحه لي كثيرًا. واليوم

ظهر عند بسام الذي أخبرني فورًا أنني لن أجد شخصًا أكثر معرفة منه بجميع القبائل العربية. ويعتبر عثوري عليه ضربة حظ استثنائية. إنه الشخص الذي كان يجب أن أختاره من بين الجميع. فرص النجاح هنا كثيرة في هذا العمل. أما بخصوص النفقات، أنت تعلم أنني هذه المرة عليَّ أن أبدأ بشراء كل شيء أحتاجه هنا. وبقدر ما أستطيع أن أستنتج سنحتاج ١٧ جملاً (اشترينا حتى الآن واحدًا أو اثنين). وتكلف هذه الجمال ١٣ جنيهًا وسطيًا للجمل الواحد بما في ذلك معداتها. يقول بسام عليّ أن أحسب أنني سأنفق ٥٠ جنيهًا على الطعام الذي سنأخذه معنا، و٥٠ جنيهًا أخرى للهدايا مثل العباءات والكوفيات للرأس، والأقمشة القطنية .... والخ تبدو هذه نصيحة حكيمة لأن الأشياء تستحق أكثر مما هي هنا، والمنديل الذي ثمنه ٥ شلنات يعتبر هدية محترمة في الصحراء. ويبلغ الجميع ٣٢١ جنيهًا. يقول بسام أنني يجب أن آخذ معي ٨٠ جنيهًا، وأن أعطي ٢٠٠ إلى تاجر نجد الذي يسكن هنا، مقابل كتاب اعتماد يسمح لي أن أسحب المبلغ في حائل».[۞] - انتهى الاقتباس -

ومع أن مسز بيل وصلت إلى حائل ولم يكن الأمير سعود بن عبد العزيز المتعب آل رشيد موجودًا في البلد ولا حتى الخازن المسؤول عن صرف الاعتمادات كونه كان مرافقًا للأمير في الغزو، إلا أن المس بيل أصرت على ضرورة استلام حوالتها المالية كاملة حتى بدون وجود الأمير أو خازنه المُعتمد، فاضطرت جدة الأمير فاطمة السبهان أن تصرف لها مبلغ الـ ٢٠٠ جنيه، لأن السيدة جيرتروود بيل أرادت أن تغادر حائل إلى جهة العراق، وقد تمَّ إعطاؤها كامل الحوالة.

وعليك أن تتخيل كيف كانت حائل متطورة في ذلك الحين، بحيث أنها كانت تتعامل بنظام الحوالات المصرفية، وإن كانت بدائية بعض الشيء، لكنها آلية متطورة بالنسبة لأحوال جزيرة العرب في ذلك العهد.

---

[۞] كتاب : رسائل جيرتروود بيل (رحلة إلى حائل ١٩١٣-١٩١٤م).

وعلى عكس المعاملة الطيبة التي كان يتعامل بها آل رشيد مع أصحاب المذاهب الأخرى، كان الوهابيون يحتقرون أصحاب تلك المذاهب المختلفة معهم، بل ويرغمونهم على تبني العقيدة الوهابية كتشريع لهم، والأمر نفسه ينطبق على سكان الأحساء والقطيف سواء كانوا من الشيعة أو السُّنة، حيث أجبروا جبرًا على قبول العقيدة الوهابية، أو على الأقل قبلوا بان تُمارس تعاليمها في بلدانهم تحت وطأة السيف، حيث يذكر لنا المُقيم البريطاني الليفتانت كولونيل لويس بلي في كتابه (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية )، عن تلك الحالة قائلاً:

« ومرة أخرى ففي الأحساء والقطيف نجد أن حدّ السيف ببساطة هو السبب في إبقاء العقيدة الوهابية سائدة، فالناس هناك يُدخنون ويرتدون ملابس حريرية، وهم ناعمون ومتسمون بالمرح، وهناك من يؤكد أنهم يحتسون المشروبات الكحولية المُخمرة. وباختصار فإن الوهابية الخالصة تبدو وجهًا من وجوه الإسلام قاصرًا على الفقراء والمناطق النائية. ورغم أن الأهداف العسكرية أو السياسية قد تجعل الوهابية تستمر في الوجود بشكل مظهري بين المُجتمعات الثرية، إلا أنهُ عند الاحتكاك بالحضارة والتجارة فإن طبيعة الأمور في مثل هذه المناطق تجعل الوهابية في نهاية الأمر مُجرد اسم. ومن المعروف أن الوهابيين لا يعتبرون السُّنة أو الشيعة مُسلمين حقيقيين، وقد رد شريف مكة على ذلك بعدم الاعتراف بالوهابيين. فقد جرت العادة على القول بأن المُسلمين ليس لديهم إلا اثنين وسبعين فرقة ليس من بينها الشيعة الذين يُعتبرون كفرة، وقد أعلن شريف مكة الآن الشيء نفسه بالنسبة للوهابيين (أي تكفيرهم كرد على تكفير الوهابيين له) وبالإضافة لذلك فإن الأسرة الحاكمة في مسقط وتلك التي تحكم في نجد، تَسِم كل منهما الأخرى بالكفر».[۞]

---

[۞] كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

ثم يُضيف أيضًا المُقيم البريطاني لويس بلي في موضع آخر من كتابه، وصفًا اجتماعيًا وسيكولوجيًا لطبيعة أهالي الأحساء والقطيف، حيث يقول عنهم:

« إن الناس هنا يبدون مرحين بطبيعتهم ومكرسين أنفسهم للتجارة والزراعة. فهم يلبسون الحرير، كما يُباع علنًا في الأسواق. ولو أنني سمعت أخيرًا أن مبعوثين وشيوخًا قد أرسلوا من العاصمة (الرياض) إلى الأحساء للإنكار على الناس حياتهم المُنحلة ولتطبيق المُحافظة الوهابية المُتعصبة. ويظهر أيضًا أن هؤلاء المبعوثين قد صُرفوا فجأة عن مهامهم بإشارة من الأمير بدعوى أننا (أي الإنجليز) ستُهاجم سواحله، وأنهُ من الأفضل تأجيل الإصلاح الديني حتى تتم تسوية المُشكلات السياسية. ١٠٨ـ إن هنالك مناطق أخرى ضُمت بالفتح، وهي تختلف عن مناطق الوهابيين الحقيقية، من حيث العادات والتقاليد، مما جعلها لا تُساير حكم الوهابيين حقيقة، كمناطق الأحساء والقطيف على سبيل المثال، وأيضًا ـ وبدون شك ـ كالمشيخات الساحلية وسلطنة مسقط فيما لو أن هذه المناطق كانت قد أُجبرت على الاندماج في التنظيمات الوهابية. هذا نسبيًا، لأن هذه المستوطنات قريبة من البحر وعلى اتصال دائم مع الحضارة الخارجية، وفي مثل هذا التناسب فإنهُ سيُنظر إلى هذه الأنماط الثابتة والمُحافظة والتعصب الذي يلتزم بي حكم ديني يتقيد تقيدًا حرفيًا بتعاليم ظهرت في القرن السابع (الميلادي) على أنها مُضجرة ورجعية لا تُطاق وأن الأمل الوحيد للتخلص، في ظل احتمال امتداد السلطة الوهابية مرة أخرى، ربما يكمن في حقيقة أنهُ لكون هؤلاء الناس الذي يعيشون على الساحل، أكثر ذكاءً وثروة من الوهابيين في المناطق الوسطى فإنهم وبدون وعي منهم سيتفاعلون ويؤثرون على حكامهم أكثر من تأثير هؤلاء الحكام عليهم».[۞]

---

[۞] كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

وأما ممارسات الوهابيين القمعية في مكة والمدينة بعد الاحتلال فقد كانت عجيبة غريبة، وأما أساليبهم في مُعاقبة المُدخنين سواء السجائر أو النارجيلة فقط كانت مُخزية، علمًا أن أغلب الوهابيين كانوا مُدخنين أصلاً، ولكن تطبق تلك العقوبات كانت تُطبق على الضعفاء والمساكين ممن يضبطون في جرم التدخين، فأنهم يُجلدون في الأسواق وأمام الملأ بالسياط ويُطاف بهم تعزيرًا، حيث يعاقب المُدخن بالجلد سواء كان رجلاً كان أو امرأة، إلا أن الطريف في الأمر أنهم كانوا يجلدون النساء على مؤخراتهن، أما عقوبات حلق اللحى بالنسبة للرجال فقد كانت بدعة وهابية مشهورة ومعروفة!.

وعن تلك الممارسات المُضحكة المُبكية يذكر المؤرخ السويسري- الإنجليزي جون لويس بوركهارت، الذي عاصر فترة حكم سعود بن عبد العزيز، حيث يقول: « وبذلك أصبح أهل مكة وهابيين، حيث تمَّ إلزامهم بأداء الصلوات بشكل أكثر انتظامًا ودقة من ذي قبل، وأن يخفوا ملابسهم الحريرية، ويلغوا ارتداءها، وأن يقلعوا عن التدخين. تمَّ جمع كومة من أدوات التدخين والدخان نفسه في ساحة أمام مقر إقامة سعود، وجرى حرقها جميعًا، كما منع بيع الدخان...... الخ. وقد تمَّ جلد سيدة معتبرة في المدينة (المنورة) على عجيزتها لاتهامها بالتدخين على الشيشة، وقد تمَّ تعليق ماسورة التدخين من فوق عنقها، كما تمَّ ربط حبل بشكل لولبي على سائر جسمها من رأسها إلى أخمص قدميها، وساقوها بالمدينة تعزيرًا لها لتكون عبرة للآخرين............ الخ. وبالحديث عن التدخين فهو ممنوع علنًا ولكن المعروف جيدًا أن أهالي نجد مولعون بالتدخين، ويمارسون ذلك في بيوتهم، وكذلك نجد الوهابيين يدخنون ليلاً في مضاربهم ومعسكراتهم. أما فيما يتعلق بتدخين التنباك، فإن من المعلوم أن الكثير من العلماء المسلمين قد دوّنوا في فتاواهم بمنع ممارسة التدخين، حيث ينص المذهب المالكي على كراهية التدخين، كما أن العديد من العلماء في سائر أنحاء الدولة التركية يمتنعون عن التدخين على أساس المبادئ الدينية. وقد رغب الوهابيون بمنع تدخين المخدرات والمسكرات،

التي تستخدم كثيرًا في بلاد الشرق كونها مخالفة تمامًا للقرآن (الكريم)، والتي لا يمكن منعها بالتمام والكمال وتتعذر مراقبتها وضبطها. ولابد أن عبد الوهاب قد أدرك تمامًا أن أتباعه الذين يقدمون تضحيات كبيرة، بالامتناع عن التدخين سيتحولون تلقائيًا إلى أكثر الأعداء مرارة لجميع الفئات والأشخاص المُنغمسين في الملذات، والذين لم يعتنقوا المذهب الوهابي بعد. لقد كان تحريم الدخان واحدًا من الوسائل التي أشعلت الأفكار الوهابية ضد الأتراك، بحيث أصبحت كلمة السياق والعرض لدى المؤمنين حديثًا بالمذهب الوهابي. وقد كان تحريم التدخين هو أكثر الأمور صعوبة على العرب الداخلين في هذا المذهب الجديد، أما بقية التعليمات التي يتلقونها من الوهابيين فإنها تؤخذ برحابة صدر، ما عدا ما يتعلق منها بالتدخين. ومن المحرمات عندهم أيضًا: الصلاة فوق السبحة - أي المسبَحة - وهو سلوك عام لدى المسلمين، رغم أن تحريمه ليس موجودًا في قانون الشريعة. وقد أعلن الوهابيون أن مثل هذا السلوك غير مقبول، وألغوه من قائمة المسموحات. وقد قيل إنهم كانوا يرغبون تحريم احتساء القهوة، ولكن ذلك ليس في باب الحقيقة، ذلك أنهم يشربونها بدرجة مفرطة. وحاول سعود تدمير قبة الرسول ﷺ التي تعلو المرقد (الضريح) كما منع الحجاج الأتراك من الاقتراب من المدينة (المنورة)، بل من أي حيٍّ فيها. وأما القلة القليلة الذين حاولوا التسلل من ينبع إلى المدينة (المنورة) فقد ألقي القبض عليهم وأسيئت معاملتهم، وتم قص لحاهم، لأن الوهابيين يقولون إن الرسول محمد ﷺ لم يكن لديه لحية طويلة وكثة كتلك التي يرونها على الأتراك. لقد جرى ذلك كله من قبل الطبقات الوهابية الدنيا كنمط من السخرية والاستهزاء من الأتراك، وليس تنفيذًا أو طاعة لأي أمر أو قانون. ومع هذا كله فقد استمر الوهابيون في زيارة المدينة (المنورة) والتشرف بالسلام على (سيدنا محمد ﷺ) بزيارة المسجد النبوي (الشريف)، وليس قبر الرسول، وذلك بعكس ما عليه بقية المسلمين في هذا الشأن. ورغم

أن الوهابيين لم يهدموا قبر الرسول ﷺ إلا أن سعود اعتبر زيارة قبره نمطًا من الشرك، كما حرَّم ومنع أية صلوات أو طلبات أو مخاطبات للرسول ﷺ». [۞]

أما الرحالة وليام جيفورد بالجريف فقد أولى الحديث عن تحريم الوهابيين للتدخين اهتمامًا كبيرًا، وذكر أنه تحدث مع أحد سكان الرياض الوهابيين، يدعى عبد الكريم بن إبراهيم، وهو من أصهار آل الشيخ، حيث سأله عن كبائر الذنوب لدى الوهابيين، فأخبره بأن الشرك بالله أولاً، وثانيًا شرب المنكر "تدخين التبغ"، وقد دافع بالجريف عن التدخين وعدَّه عادة حضارية اجتماعية . كما روى بالجريف بعض القصص المُبالغ فيها والشبيهة بالخرافة التي يرددها أهل الرياض عن إيمان وإقناع، ويعزونها إلى عقوبات ربانية حلت على الذين يدخنون التبغ في السر، حيث يروي بالجريف في كتابه قصة طريفة، حيث يقول فيها:

« وينبغي أن لا يغيب عنا هنا ذلك الموضوع المُتكرر، وهو كبيرة شرب الدخان، بل إن هذه الكبيرة تؤيد بأحكام عينية ومُخيفة، تشبه، على نحو غريب، تلك الأحكام التي توردها الروح المسيحية الأدنى من اليهودية، في كتب التثقيف والتنوير الأوربية. من ذلك على سبيل المثال، يُقال إن رجلاً عاش حياة صحيحة وأن إسلامه لم يكن يشوبه أي شك، توفي ودفن في بلدة سدوس، تلك البلدة التي تقع على الحدود، والتي سبق أن مررنا بها. وصلى الناس على ذلك الميت، ودفنوه في قبره على شقه الأيمن ووجهه متجه صوب الكعبة، شأنه شأن أي مُسلم آخر عندما يموت. وتصادف أن أحد جيران ذلك المتوفى، عندما كان يُساهم في مراسيم الجنازة والدفن، سقط منه دون أن يدري، كيس نقوده الصغير في قبر الميت، وبقي الكيس مُغطى بالطين داخل قبر الميت. وعندما عاد الجار إلى منزله، اكتشف ضياع كيس نقوده، وبحث الرجل عن الكيس في كل مكان ، ولكن دون جدوى ، ولكنه سرعان ما توصل

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف: جون لويس بوركهارت

في النهاية إلى ما مفاده أن نقوده لابد أن تكون قد ذهبت إلى القبر قبل الأوان. ماذا يفعل الرجل؟ ونبش القبور أمر مكروه وممقوت عند المُسلمين وعند المُسيحيين المُعتادين. فاستشار ذلك الفلاح قاضي القرية الذي أفتاه بأن نبش القبر في مثل هذه الحالة لا يُعد ذنبًا، ولكنه نصحه أن من الحكمة أن ينتظر إلى دخول الليل تحاشيًا للفضيحة والقيل والقال. ويحل الليل ويبدأ "رجل البعث" المجاز عمله في النبش، ويسترد نقوده من قبضة الموت الباردة. ولكن هذا الفلاح اندهش وأصابه الرعب والفزع، لأنه رأى الميت قد تغير موضع وجهه عن الكعبة، إلى وضع مُعاكس تمامًا لذلك الوضع الذي سبق أن وضعه عليه. ويغطي الفلاح القبر بسرعة، ويعود إلى القاضي ليخبره بهذه المعجزة. واتفق الاثنان على تغيير وضع الميت بهذا الشكل، لابد أن يكون نتيجة لموته على الكفر، أو لارتكابه كبيرة من الكبائر، وفتش الناس منزله السابق، علهم يجدون دلائل أو إشارات إلى أعماله الشريرة. وراح الكبار والصغار يفتشون ويدققون، إلى أن اهتدوا إلى غليون صغير من العظم، كان مخبئًا بعناية في فتحة الجدار، وعرفوا من أنبوبه الأسود ورائحته الشيطانية أنه كان يستعمل مرارًا وتكرارًا، مما أثبت نفاق صاحبه المخزي. ويتضح الذنب، ويفسر العقاب العيني، ومما لاشك فيه أن هاوي مُنكر Shameful الدخان، أصبح يصلى نارًا حامية». ۞ - انتهى الاقتباس -

يُذكر أن الرحالة وليام بالجريف كانت لديه فكرة سيئة جدًا عن الإسلام، من قبل أن يأتي إلى شبه الجزيرة العربية، وكان يمكن أن يُغير نظرته المُسبقة عن الإسلام لو أنه التقى بمُسلمين راشدين أخيار، ويبدو أن بالجريف قد وجد ضالته في جهل هؤلاء الوهابيين، فأفرغ عُقده وحقده على الإسلام وضد النبي ﷺ ، بسبب تخلف وجهل أهل العارض، جامعًا كل المُسلمين في صورة أولئك الجهلة المُتخلفين الذين التقاهم في الرياض ، فقد كان يسخر كثيرًا في

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

كتابه من العرب والمُسلمين ويتهكم من الرسالة الإسلامية ومن النبي ﷺ، كلما وجد جهل أو غباء لدى أهل الرياض، وكأنهم هم العرب الوحيدون على وجه البسيطة وهم المسلمون فقط، وهذا غباء مركب ينطبق على الرحالة بالجريف نفسه.

كما تحدث تشارلز داوتي هو الآخر عن موقف الوهابيين من التبغ وقال مُتهكمًا: «إنهم يرونه بول إبليس».

وذكر ولفريد بلنت أن الوهابيين يحرمون بشدة تدخين التبغ، كما ذكر أن الوهابيين قاموا بكسر آلات استخدام التبغ.

وأشار مارجليوث إلى أن الوهابيين يحرمون التبغ، وأن فاعله يجلد، ولا يزيد على أربعين جلدة.

وأشار صموئيل زويمر إلى أن الوهابيين يمقتون التبغ، وأنه لا بد أن يُتجنب، كما ذكر أن الوهابيين لما دخلوا مكة على يد سعود قاموا بجمع أدوات التبغ فحرقوها، ويُضيف إلى أن التبغ يعد من البدع عند الوهابيين، وأنه محرم من بداية تأسيس الوهابية، ثم بعد ذلك تحدث عن بالجريف وسؤاله لصديقه عن كبائر الذنوب، وبعد ذلك تحدث عن الرحالة الريحاني وقصته مع رفيقه الذي يفزع وذلك بقفزة إلى أعلى عند رؤيته أحد المدخنين. ويرى صموئيل أن عددًا كبيرًا من الوهابيين يرون أن الشرك واستخدام التبغ من أعظم الذنوب.

ويشير ديفيد كوبر إلى أن الوهابيين يمقتون بشدة تدخين التبغ.

وأما مارجليوث فقال: « إن حلق اللحية أو السب مخالفة شرعية تستوجب المثول أمام القاضي».

كما نوَّه عدد كبير من المستشرقين في الحديث عن منع استخدام المسبحة، واختصار التسبيح بمفاصل اليد فقط.

وكما مرَّ فإن بوركهارت يقول: «إن الوهابيين حرَّموا الدعاء بالمسبحة، وهو أمر شائع لدى المسلمين مع أن الشرع لم ينص عليه، ومنعوا استعماله».

ويؤيده مارجليوث قائلاً: «إن الوهابيين يحرمون استخدام المسبحة،ولذا يرون أن التسبيح يكون بواسطة أصابع اليد بدلاً عن المسبحة ». وأشار صموئيل زويمر إلى أن الوهابيين يستخدمون مفاصل أصابعهم في التسبيح، ولا يستخدمون المسبحة، وذكر أن الوهابيين لما دخلوا مكة في عهد سعود قاموا بجمع المسابح وأشعلوا فيها النار. ويقول ديفيد كوبر: « منعوا استعمال السبحة في التسبيح عند الصلاة، واستعملوا الأصابع بدلا منها».

وأما المُقيم البريطاني الليفتنانت كولونيل لويس بلي، الذي ذهب خصيصًا لمُقابلة فيصل بن تركي، لغرض التعاون بين الطرفين فيما يُسمى بفترة الأسرة السعودية الثانية أي بعد تدمير الدرعية بعدة سنوات، فيذكر حادثة طريفة صادفته عن بداية دخوله مع مرافقيه إلى مدينة الرياض، وكيف تمَّ وضعهم في بيت خاص بالكفار ومعزول عن الناس، لأنهم كانوا يدخنون التبغ؛ أو المخزي كما كان يطلق عليه الوهابيون؛ حيث يروي بلي تلك الحكاية الطريفة في كتابه، فيقول: «٧٢- لقد قابلني خارج البلدة مبعوث من قبل الأمير (فيصل بن تركي)، وأبدى ترحيبًا مُقتضبًا وإن كان كافيًا، ومن ثم ذهب بي إلى بيت معزول تَحفهُ مزرعة، كان مُخصصًا للتُرك وغيرهم من الكفار. وبعد قليل جاء سكرتير الأمير(•) (العبد محبوب) الذي كان موضع ثقته، وأخبرني أنهم رؤوا أن من الأفضل إبقائنا بعيدًا عن البلدة لأننا نُدخن التبغ (المخزي)، مما قد يُعرضنا لاعتداء أحد علينا».۞ -انتهى الاقتباس-

---

(•) المقصود بسكرتير فيصل بن تركي هو (العبد المُهجن) محبوب بن جوهر، ويقول بالجريف إن جوهرًا هذا كان أحد عبيد الأمير تركي بن عبد الله، وقد أعتق ثم أصبح من كبار موظفي فيصل بن تركي وأمين خزانته، أما ولده محبوب فقد كان له نفوذ عظيم في القصر، وقد لقبه بالجريف بكبير الوزراء (Prime Minister)، وقدر عمره بحوالي ٢٥ سنة. انظر: Palgrave Narrative 11.98-101. وقد تطرق لويس بلي لهذا السكرتير المُتنفذ أو الخوي المُتسلط في بداية الكتاب، حيث قال عنه: (سابعًا – لقد دار الحديث عن خادم الأمير factotum أو حاجبه، المدعو محبوبًا الذي كان أبوه عبدًا حبشيًا مشهورًا من عبيد الأمير. ثم أن الأمير أعتقه ووهبه إحدى جواريه التي كان الأمير قد جلبها معه من مصر، ويُقال إنها كانت تنتمي إلى أصول كرجية من جورجيا Georgian.)

۞ كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

الجدير بالذكر أن فيصل بن تركي هذا هو جد عبد العزيز بن سعود، وكان في تلك الفترة التي قابله فيها المُقيم البريطاني شبه أعمى، حيث وصفه المُقيم البريطاني الليفتنانت كولونيل لويس بلي أثناء رحلته إلى الرياض بأنهُ كان كفيف البصر تمامًا، وربما كان يقصد لويس بلي أنهُ كان يُعاني من العشو أو ضعف كبير في البصر، ورغم وجود عدة أبناء لدى فيصل بن تركي، إلا أنهُ يبدو قد ترك زمام الأمور بيد عبيد القصر بسبب التنافس بين ولديه عبد الله وسعود، كما فعل لاحقًا أحد أحفاده وهو الملك سعود بن عبد العزيز، وذلك عندما سلم زمام الأمور في نهاية عقد الستينيات الميلادية لعبيد القصر فانقلب عليه أخوته غير الأشقاء فقام فيصل بن عبد العزيز بعزله ومن ثم الوثوب على عرشه. وقد تراخى فيصل بن تركي المذكور مع عبيده وخدمه في زمانه كما فعل الملك سعود لاحقًا، فأصبح العبد محبوب بن جوهر هو الكل في الكل في الرياض، وبات هو الشخص المُتنفذ في عموم نجد، على الأقل أثناء زيارة لويس بلي لفيصل، حيث يذكر هذا السياسي الإنجليزي في تقريره السري عن نفوذ ذلك العبد محبوب بن جوهر قائلاً:

« وفي صباح اليوم التالي بَكرت بزيارة الأمير (فيصل بن تركي) بعد تحديد موعد معه، واصطحبت مُترجمي فقط. وعندما وصلت لم يكن الأمير قد أكمل ارتداء ملابسه، فاستقبلني السكرتير(العبد محبوب) في البداية، وقد كانت تغلب على سلوكه الرعونة والفضول الزائدان عن الحد، لكن عندما دخل سيده لزم صمتًا زائفًا ولم يتلفظ إلا بترديد العبارات الدينية التي يرددها الأمير، مع أنهُ كان قد دخن سيجار الشيروت في غرفتي الخاصة كما طلب البراندي من المُترجم، أما في حضرة الأمير، فقد كان يتحاشى كل شيء عدا النفاق، ويؤكد أنهُ من المُستحيل أن تستمر الحكومة الوهابية مادام الناس يدخنون!!».[۞]

---

[۞] كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف: الليفتنانت كولونيل لويس بلي.




# هزيمة الوهابيين على يد زعيم الإسماعيلية مكرمي نجران

- **غزوة النجرانيين الأولى: معركة الحائر (حاير سبيع)**

بعد أن قويت شوكة الوهابية وزادت هجماتها على البلدات والقرى المُجاورة للدرعية والرياض، بدأ عبد العزيز بن محمد بن سعود بشن الهجمات والغارات الدموية على القبائل الأخرى المُجاورة كالظفير والعجمان وعنزة وغيرهم، مما دفع بصاحب نجران السيد حسن بن هبة الله المكرمي أن يرد عليهم اعتداءهم على أبناء عمومته العجمان فيغزوهم في عقر دارهم بجيش بسيط جدًا مكون من ٥٠٠ مُقاتل فقط، وذلك بسبب تخلف الكثير من جماعته عن المجيء معه، بينما جاء المكرمي مع ثلة من المُقربين منه فزعة ونصرة لقبيلة العجمان، وذلك بعد أن شن عبد العزيز غارة على قبيلة العجمان في موقعة قذلة، حيث قتل منهم عددًا من الرجال وأسر عددًا آخر، فجاء العجمان إلى المكرمي يستنجدون به.

ويبدو أن صاحب نجران حسن هبة الله المكرمي قد واجه مُعارضة شديدة من أتباعه، وقوبل طلبه بالرفض من قبل جماعته، حيث لم يؤيدوه في أن يغزو الدرعية من أجل العجمان، الذين ليس بينهم وبين أهل نجران اتصال أو تواصل، سوى أنهم من يام القبيلة الأم للجميع، فآثر الكثير من أهالي نجران أن يبقى عند أهله وبين نسائه، مطمئنًا في أرضه ومع دوابه، على أن يعبر الفيافي والقفار لغرض نصرة أبناء عمومتهم العجمان، وهذا الموقف المُشين يبدو واضحًا في قصيدة أحد أبناء عم المكرمي التي كتبها في نفس الفترة، حيث انتقد بشدة المُتخلفين عن الركب وعاب عليهم الدعة والجبن والتخاذل وحب الحياة، وعيَّرهم كيف آثروا البقاء مع نسائهم وبناتهم على أن ينفروا مع أميرهم وجماعته لأجل نصرة أبناء عمومتهم، وسوف أرفق تلك القصيدة المُعبرة للدلالة.

ففي رمضان ١١٧٧هـ / مارس ١٧٦٤م اتجه عبد العزيز بن محمد بقوات الدرعية إلى مكان يُسمى "قذلة" لغزو العجمان، فأخذهم على حين غرة وقتل

وأسر منهم الكثير ثم عاد للدرعية، مما دفع العجمان لأن يلجأوا للزعيم العام لقبيلة يام وهو المكرمي، كونهم أحد قبائل يام، فطلبوا نصرة حاكم نجران حسن بن هبة الله المكرمي الإسماعيلي المذهب، فاستصرخوه لنجدتهم وتخليصهم من جور وجرائم صاحب الدرعية وشريكه صاحب الدعوة الوهابية ولم يُخيب المكرمي رجائهم رغم المُعارضة من قبل الكثير من أهالي نجران لتلك الحملة، إلا أن المكرمي أبى أن يخذل أبناء عمومته فيعود عن كلمته ووعده لهم، فقد جمع المُقربين منه والمُطيعين له، فكون بهما جيشًا متواضعًا بلغ تعداده حوالي الـ ٥٠٠ مُقاتل فقط، وسار بهم إلى الحائر جنوب وادي حنيفة وشدد الحصار عليهم ولما علمت الدرعية بهذا الهجوم أرسلت جيشًا كبيرًا بقيادة عبد العزيز بن محمد بن سعود، فانهزم جيش الدرعية شر هزيمة، وانتصر عليهم مكرمي نجران في تلك المعركة الخاطفة وقتل من جيش الدرعية حوالي الألفين رجل من غير الأسرى، بينما يذكر المؤرخان النجديان حمد بن لعبون وعثمان بن بشر أن عدد قتلى الدرعية في تلك المعركة بلغ خمسمائة مُحارب وقد أسر منهم المئات، وكان ذلك في ربيع الآخر عام ١١٧٨هـ \ سبتمبر ١٧٦٤م، حيث اضطر الوهابيين صاغرين أن يعقدوا صلحًا مُهينًا مع حاكم نجران، ضمنوا له من خلال ذلك الصلح أن لا يُهاجموا العجمان مرة أخرى، وأن يُطلقوا سراح أسرى العجمان السابقين الذين أسرهم عبد العزيز في وقعة قذلة، كما أعادوا للعجمان كل مقتنياتهم وكسوهم جميعًا. حيث يذكر لنا ابن لعبون في كتابه (تاريخ ابن لعبون) وصفًا مُختصرًا لتلك المعركة حيث يقول:

« وفي سنة ١١٧٨ هـ: وفي هذه السنة في ربيع الثاني جرت وقعة الحاير المشهورة: وذلك أن العجمان لما قُتل منهم من قُتل، وأسر من ذلك ثاروا لأخذ الثأر، واستنقاذ الأسرى وجدوا في السير إلى صاحب نجران، وهو المُسمى بالسيد حسن بن هبة الله، وشكوا له ولسائر قبائلهم من الوعيلة، وجميع أيام ما جرى عليهم، واستنجدوهم في المسير إليهم، فأجابوهم إلى ذلك، وسار بهم

حسن وأقبلوا، فلما وصلوا الحاير حصروا الهملة، والفرع الذي عندهم، فلما تحقق عبد العزيز خبرهم استنفر جميع رعاياه من البلدان، فسار إليهم وهم على الحاير، فوقع بينهم بعض القتال، فأراد الله على عبد العزيز ومن معه الكرة، فولوا منهزمين لا يلوي أحد على أحد، فقتل منهم أهل نجران خمس مائة وأسروا ثلاث مائة وخمسين، وأخذوا تسع مائة بندق، وأخبرنا سليمان بن محمد بن ماجد، وكان ممن حضر الوقعة: أن الذي تحقق من قتلى أهل الدرعية سبعة وسبعون رجلاً، ومن أهل منفوحة سبعون، ومن أهل الرياض خمسون، ومن أهل عرقة ثلاثة وعشرون، ومن أهل العيينة ثمانية وعشرون، ومن أهل حريملاء ستة عشر، ومن أهل ضرما أربعة ورجل من ثادق، ويذكر أن ذلك في تحرير في مجلس جامع بينه وبين أناس من أهل هذه البلدان المذكورة، ومعهم بدو، وغيرهم ربما من لا يُحيط به علمه من أهل الحاير وسبيع وغيرهم، ويذكر أن الذي ضبط من الأسرى مائتان وعشرون، ثم بعدما رجعوا فدى الأسرى بأسرى من العجمان، ثم إن الشيخ محمد والأمير سعود أرسلوا إلى فيصل بن شهيل بن سويط شيخ الظفير، وأرسلوه إلى صاحب نجران، وقد وصل ناحية الرياض، وبذلوا له من المال ما أرضاه، فكسوا ما عندهم من الأسرى وأرسلوهم، وكان على موعد مع عريعر فاستنفر عريعر جميع بني خالد، وجميع أهل نجد سوى العارض، وشقرا، وضرما، فثنى الله عزم أهل نجران فأخلوا بالميعاد، ورحلوا راجعين إلى أوطانهم».[۞]

إلا أن حسين بن غنام يزعم في كتابه أن العجمان هم من بدأ الاعتداء على قبيلة سبيع فقتلوا منهم رجالاً ونهبوا مُمتلكاتهم، ولأن سبيع كانوا في الذمة؛ أي تحت طاعته؛ فقد قرر عبد العزيز الاقتصاص لهم وشن هجوم مُباغت على مضارب العجمان في قذلة ثم فتك بهم، فيقول ابن غنام عن تلك الواقعة:

«ثم دخلت السنة السابعة والسبعون ١١٧٧هـ: وفيها سار المُسلمون وأميرهم

---

[۞] كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف : حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه بره.. الخ. فلما وصل المُسلمون إلى رغبة فإذا غزو من أهل اليمن (العجمان) قد أخذوا فريقًا من سبيع في الذمة ونهبه، وأستولي على مال ذلك الفريق وسلبه، فأخبر ذلك الفريق عبد العزيز في أثناء الطريق فشمَّر ساعد الجد والعزم ورفع إزار الهمة والحزم، وسار في يومه ذلك من ساعته مع من معه من أحزابه وجماعته وحث على ذلك الجياد، لم يثنه حرسه الله البعد والبعاد ولا خوف ملاقاة الأجناد، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمراد ويبلغه ما أمله من أهل الفساد وأخذ سائرًا في أثارهم مُتطلبًا لأخبارهم حتى وصل إلى فيفاء سهلة تُسمى إذ ذاك قذلة، فإذا غزو اليمن (العجمان) قد ألقى بها رحله وطرح فيها ثقيله وثقله، فلم يكن لهم دون لقائهم ساعة ولا مهلة حتى تلاحمت الخيول والأبطال وتلاحقت بالجيوش والرجال وطال بينهم الطعان في ذلك المجال، وصدق المُسلمون النية لمولاهم فأنجح قصدهم ومناهم فشدوا على أهل الشرك والضلال، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال، فقتلوا منهم نحو الخمسين وأسروا مائتين وأربعين وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب ولم ينل المُسلمين مصاب، وكانت ركائب المُسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين وخيلهم نحو الأربعين، وانقلب المُسلمون إلى أهلهم راجعين، وكانت هذه الوقعة العظيمة والمنة الجسيمة في شهر رمضان فحصل السرور والتهان». ۞

وأما عثمان بن بشر فيسرد لنا أحداث تلك المعركة قائلاً:

«(ثُمَّ دَخَلتَ السنَة الثَّامنة والسبعون بَعَد المائة والألف ١١٧٨هـ)... وَفي هَذه السَّنَة في ربيع الآخر كانت وقعة الحاير المشهورة بحاير سبيع ، بين الخرج والرياض. وسبب ذلك أن العجمان لما قُتل منهم من قُتل وأسر منهم من أسر "في قذله" كما ذكرنا، جدَّوا في المسير إلى نجران لأخذ الثأر واستنقاذ الأسرى

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

فأتوا إلى صاحب نجران المسمى بالسيّد حسن بن هبة الله فشكوا له ولساير قبائلهم المعروفين بالوعلة وسائر يام واستنجدوهم واستصرخوهم على المسير معهم على المسلمين، فأجابوهم إلى ذلك فأقبل منهم جموع عظيمة فوصلوا الحاير المذكور وَحصروا أهله ومن كان عندهم من المسلمين، فلما تحقق عبد العزيز خبرهم استنفر إليهم جميع المُسلمين، فسار إليهم وهم على الحاير، فوقع بينهم قتال شديد فأراد الله الكسيرة على جموع المسلمين فولوا منهزمين فقتل منهم أهل نجران نحو خمسمائة رجل وأسروا أسرى كثيرة وحزن من حضر تلك الوقعة، أن الذي قتل من أهل الدرعية سبع وسبعون رجلاً، ومن أهل منفوحة سبعُون رجلاً ومن أهل الرياض خمسين، ومن أهل عرقه ثلاثة وعشرون رجلاً ومن أهل العيينة ثمانية وعشرون رجلاً، ومن أهل حريملا ستة عشر، ومن أهل ضرمى أربعة رجال، ومن أهل ثادق رجل واحد، ومع المسلمين بدو غيرهم من أهل الحاير وسبيع، ويذكر أن الذي ضبط من الأسرى مائتان وعشرين. وذكر لي أن عبد العزيز لما دخل ومن معه على الشيخ من مجيئه من هذه الوقعة لم يبادرهم إلا بقّوله تعالى (ولا تهنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس. وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين).

ثم أن الشيخ ومحمد بن سعود أرسلوا إلى فيصل بن شهيل شيخ الظفير وأرسلوه إلى صاحب نجران، وقد وصل ناحية الرياض فاسترضوه وأطلقوا له الأسرى الذين عندهم من العجمان وأطلق هو أسرى المُسلمين ورجع إلى وطنه». [۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

أما المؤرخ حسين بن غنام فكعادته يروي تلك الواقعة من خلال سجع طويل وممل وتبرير ساذج للهزيمة، وتجده يختصر أحداث تلك الواقعة المهمة ويبتر منها جميع الوقائع، فيقول في مخطوطته عن تلك الواقعة مُبررًا تلك الهزيمة النكراء قائلاً: « ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون ١١٧٨هـ: وفيها في ربيع الثاني جرت على المُسلمين وقعة الحائر ذات اللقب المشهور والاسم الظاهر وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية من وقوع أسباب المحن وفتح أبواب الشر والفتن وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوي الضلال والعصيان وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان أحوال الردة والافتتان وتمييز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوي التوحيد والكمال حتى يتميز ذلك لدى الناس ويظهر الطيب المبرأ من الأدناس من الخبيث المُتضمخ بالأرجاس ويشاهد حاله ويستبين (ولنبلونكم حتى نعلم المُجاهدين منكم والصابرين)، فكان سبب تلك الواقعة والنازلة الجامعة أن أهل اليمن (العجمان) لما أخذوا وأسروا وقتلوا في قذلة وقهروا، شمر للثأر أطراف الذيل وجدوا في السير للنهار والليل، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم والمسير إلى نجران والهجوم فشكوا لهم الحال وما عاينوا من الوبال وشرحوا لهم على التحقيق ما صدر عليهم بذلك الطريق وأن أصحابهم في الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على التوال ودعوهم إلى المسير والتسيار والأخذ لهم بالثار وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة والكل منهم مد للشر باعه، وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن هبة الله (المكرمي) قبحه الله وأخزاه، فجمع جميع أهل نجران من الحضر والبدوان والتأم معه قبائل اليمنان فأقبلوا سائرين على عجل حتى اجتمعت تلك القبائل والدول ووطئوا بلاد المُسلمين فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل والتعيين، فجمع عبد العزيز رحمه الله تعالى مُقاتلة المُسلمين والإسلام ممن بلغ سن الاحتلام وأمرهم بالتأهب والقتال والاستعداد للقاء ذوي الضلال وسار بهم جميعًا يُريد قرية الحائر وكانت من بلاد المُسلمين وقد أرسل لهم قبله مددًا يكون عونًا

وناصرًا، فلما وصل إليها وأشرف عليها وقد كان رئيس نجران بها نازل ولأركانها حافل وبقي بها مدة أيام وليال، كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال، وقد كان المُسلمون في مسيرهم إلى الحائر الذي نزل به ذلك العدو الجائر والجند المارق الفاجر يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذي يكون غالبًا به المُعاقبة والعقاب ويصير سببًا إلى الابتلاء من رب الأرباب، فحين التقى المُسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم في ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالي الرقاب حمى بينهم الوطيس، ولم يحصل بين الأبطال تنفيس، وبقي فرسان الإسلام تجول ورجالتهم تسأل الله النصر وتصول، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولكن أراد الله تكرمة أوليائه وخذلان أعدائه وتبيين حزب المؤمنين (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكتب على المُسلمين الهزيمة في ذلك اليوم وتبع ساقتهم أولئك القوم وحقت عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب على التحقيق واليقين أربعًا من عقود المئين، فصارت هذه الحادثة والنازلة الكارثة طهرةً وتمحيصًا للمؤمنين ومحقًا للضلال والمُعتدين ورفع درجات للمُستشهدين وعبرة للمُعتبرين». ۞ - انتهى الاقتباس -

ولاحظ هنا أن حسين غنام حاول قدر المُستطاع أن يُخفف من وقع تلك الهزيمة الكبيرة على القارئ البسيط، وذلك عندما جَير ذلك النصر الذي حققه المكرمي على قوات الدرعية وفي عقر دارهم، بأنهُ جاء نتيجة لمعركة سابقة (كان قد هزم فيها أهل اليمن في قذلة)، وهذا قطعًا غير صحيح، لأن أهل نجران كانوا منقطعين عن العجمان الذين استوطنوا نجد منذ عقود طويلة، لكن لما أصيب العجمان بهزيمة توجهوا لطلب العون والنصرة من حاكم نجران، وقد لبى طلبهم رغم مُعارضة الكثيرين وتخلف أغلب أهالي نجران عن تلك الواقعة.

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

كما أن حسين بن غنام لم يذكر عدد القتلى من أهل الدرعية تحديدًا أو من كافة المناطق الذين سقطوا في تلك المعركة، كما لم يورد عدد الأسرى الذين وقعوا في أسر المكرمي، وأيضًا لم يذكر عدد الجيش الوهابي أو عدد قوات المكرمي. ولاحظ أيضًا أن ابن غنام يُسمي أهل نجران والعجمان معًا بأهل اليمن، لأن نجران آنذاك كانت فعلاً تابعة لليمن، ومعروف أن قبيلة يام قبيلة يمانية، ولكن قبيلة العجمان كانت قد نزحت إلى نجد قبل عقود طويلة فتنجدت أي أصبحت قبيلة نجدية بالسُكنى، ولم تكن تلك المعركة أو الغزوة التي قام بها عبد العزيز على العجمان في قذلة، لها أي علاقة أو اتصال أو تنسيق مع أهل نجران، وهذا خلط واضح ومُتعمد من قبل المؤرخ الوهابي. ثم حاول حسين بن غنام أن يُضخم من حجم قوات أهل نجران مُتعمدًا فزعم أنها كانت قبائل ودول ربما لكي يُهون من وقع تلك الهزيمة النكراء، وذلك عندما زعم أن قوات أهل اليمن ضمت جميع أهل البلد من الحضر والبدو، وكذلك حينما ذكر زاعمًا أن قبائل يمنية أخرى قد انضمت إلى المكرمي، وهذا غير صحيح وتدحضه المصادر التاريخية، لأن حجم قوات المكرمي كانت مُتواضعة جدًا والتي لم تعدو على الـ ٥٠٠ مُقاتل فقط، مُقارنة بقوات عبد العزيز التي تخطت الأربعة آلاف مُقاتل، ثم يعود في نهاية الخبر فيُعزي تلك الهزيمة الساحقة إلى الابتلاء الرباني، وكذلك يرجعها إلى مشاعر الغرور والزهو والإعجاب والاعتداد بالنفس من قبل أتباع عبد العزيز، وعليه فقد استحقوا الانتقام من الله؛ حسب رأي ابن غنام، وهو يزعم أن تلك الهزيمة وقعت لتكون تطهيرًا للمُسلمين حسب قوله!. لا أدري ربما هو تبرير روحاني مُفعم بالقدرية لتلك الهزيمة الساحقة التي لحقت بالوهابيين على يد مكرمي نجران، مُغلفًا بأسباب ربانية يعتقدها الغنام وأشباهه لكي يُسوقوا تلك الهزيمة على أنها عقاب إلهي ورادع رباني للخونة الذين انقلبوا على أعقابهم وحالفوا المكرمي كي لا يتأثر الأتباع ومن ثم يوحوا إلى أتباعهم أن تلك المعركة التي هُزم فيها الوهابيون كانت شبيهة بمعركة أحد.

أما صاحب مخطوطة (كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب)، فيورد هو الآخر نبذة مُختصرة عن غزوة الحائر، حيث يقول:

«ثم بعد ذلك قام عبد العزيز ليغزو. وبينما هو سائر في طريقه إذ صادف غزوًا لأهل اليمن فنصره الله عليهم، وأوثق منهم ثمانين رجلاً. ومن جملتهم ابن أخت شيخ اليمن، يُسمى يوسف. وجاء الخبر إلى اليمن أن ابن سعود ربط ابن أخت شيخهم وأوثق عليه. فأرسلوا أهل اليمن يستنجدون بشيخ نجران، يُريدون منه العون على ابن سعود. ونجران اسم جبل. وأهله يُسمون بأهل نجران. فتجهزوا باثنى عشر ألف مُقاتل من فارس وراجل (الرقم مبالغ فيه كثيرًا ربما كان يقصد ١٢٠٠). وساروا ليغزوا ابن سعود. وجاء الخبر إلى ابن سعود، وركب ناحرهم بالحائر. ترى الحائر اسم بلد فيها نخل. وقام سيد نجران على أربعمائة سقمان وصنع لهم خندقا حفرًا، والعرب حولهم. وقال: لا أحد يرمي لها... وأقام شيخ نجران يشرب بشراب تين، فأقبلوا عليه دساكر المُسلمين. وقام الحرب على قدم وساق. فظفروا بقوم المُسلمين. وأصابوا منهم اثنتي عشرة مائة (١٢٠٠) رجل. وفي جملتهم ثلاثة إخوة لعبد العزيز. فجاء عبد العزيز إلى مدينة الدرعية، وأخبر الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقال له: يا شيخ قتلوا أولاد المُسلمين. فجاوبه، وقال له: لو أنت عرفت دينك وديانتك لكان الظفر يقر في هذه الغزوة. اقلع عن طريق الجهل وإلا فهم يخربون المسلمون بسببك. وكان الشيخ مزمعًا أن يتزوج بامرأة تلك الليلة. فاحتفى بها وأرسل إلى فيصل بن سويط، يقول له: اطلع إلى النجراني، وقل له أن يرد ويُطلق الأسرى المربوطين لنا عنده. وبعث له معه خمسمائة ذهبًا. وقد حصل. ورجع سيد نجران إلى بلاده وأهله بعدما أطلق سبيل الأسرى وأخلع عليهم. ومن بعد ما رجع النجراني بقدر عشرين يومًا أتى عُريعر حاكم الأحساء على الدرعية في عساكره. وحاصرهم مدة عشرين يومًا، فما حصّل منهم شيئًا. وبعث له ابن سعود فرسين جبر خاطر له. ورجع مخذولاً».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

وأما مؤلف كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) حسن جمال بن أحمد الريكي، فله رواية شبيهة كثيرًا برواية عثمان بن بشر، إلا أنهُ لم يذكر أن كانت هنالك معركة أخرى قد وقعت بين المكرمي وعبد العزيز بن سعود، وهو يتوسع توسعًا لا بأس به في سرد أحداث تلك الغزوة أو المعركة، كما أنهُ يختلف في إيراد الرقم المذكور لعدد جيش المكرمي، كما يُضيف معلومات جديدة ومُفيدة أيضًا، حيث يقول:

« وكان السبب في حرب عرعر المرة الثانية بعد المُعاهدة أنهُ وقع بين عبد العزيز وبين بادية اليمن تُسمى العجمان وكانت تسكن نجدًا، وهي واقعة مشهورة. وحاصلها أن عبد العزيز خرج غازيًا إلى ناحية الحجاز بأربعة آلاف مُحارب. فتوافق مع غزو العجمان وكانوا ألف مُقاتل، فحاربهم عبد العزيز وقتلهم أشر قتلة وأسر منهم ثلاثمائة رجل، ثم رجع إلى الدرعية، وقد هَمَّ بأن يتبع سلفهم، ويقطع دابرهم، لأنهم قوم فساد وشقاق، إلا أن محمد بن عبد الوهاب منعه، وقال له: أولئك من يام، وهي طائفة كبيرة، تسكن اليمن من بلاد نجران، بداةً وحضرًا، ونحن لا نحب حربهم. وأما العجمان فلما رأوا ضعفهم في نجد، وأنهم قليلون، سار بعض من رؤسائهم إلى نجران يستنصر بقومهم على عبد العزيز ليُخلص أسراهم من يده، فأنصروهم وجاؤوا معهم من يام نجران عدد ألف ومائتي رجل، منهم أربعمائة فارس وثمانمائة تفاق [*]، وأمير هذا الجيش حسن بن هبة الله المكرميّ، قيل إنهُ شريف من السادة، زيدي المذهب، وقيل ليس بعربي وإنما هو هنديّ، تولد بأرض نجران منذ أربعة أو خمسة أصلاب، وصار شهرتهم بالمكارمة، وأنهُ رجل ساحر يتعاطى علوم السيميا والحروف وهو بحسب الظاهر رافضيّ، وبالباطن عند من كشف عن حاله طبيعي مُنكر الصانع. فلما وصل حسن المكرمي بمعسكره هذا إلى أرض العارض سمع محمد بن عبد الوهاب بوصوله، فقال لعبد العزيز : سرْ له بخلق

---

[*] تفاق : أي حامل البندقية ، أو ما يُطلق عليه محليًا البواردي

عديد، ونازله، ولا تحاربه حتى يقع بيننا صلح، فإني لا أرى خيرًا في القتال مع هؤلاء القوم. ما تقول في أناس مسكنهم اليمن، ويدخلون لبَّ نجد في هذا العدد القليل مع أنهم عرفوا شوكتنا ولم يُبالوا بها؟ فإياك والحرب معهم، وإنما أمرتك بالخروج إليه، أتعرف الغاية؟ قال عبد العزيز: لا. قال له: ليكون إظهار هيبة لديه، ولأجل أن لا تختلف جماعتنا علينا، بأن يقولوا قد ضعف أمر هذا الدين ولقد هابوا الحرب مع رجل يامِيّ. فخرج عبد العزيز إلى المكرمي بأربعة آلاف رجل، والتقى معه عند الرياض، فجعل ينازله أين ما نزل، كأنه يُمانعه، والمكرمي، لما رأى أن أهل الدرعية لا يجسرون الهجوم عليه، قال لجماعته: هؤلاء القوم نعاج فبقاؤنا معهم بلا تقدم حرب لا رباح فيه، كروا عليهم بالسيف الساعة الساعة. فعمدوا على عبد العزيز وقومه، فالتزم عبد العزيز بالمدافعة حينئذٍ فوقع بينهم السيف والبندق من أول النهار إلى قبل الظهر، فأدبر عبد العزيز مُنكسرًا ورجع إلى الدرعية، وقد أُسر من قومه ستمائة رجل، وضربت رقاب أربعمائة. وقد هَمَّ النجراني بالهجوم على سور الدرعية، فأرسل محمد بن سعود، بأمر محمد بن عبد الوهاب بعض أولاده، غير عبد العزيز، وبعض نساء من أهل بيتهم، ومائة وعشرين فرسًا للنجراني، وكتب كتابًا يلتمس فيه الصلح. فلما رأى النجراني بذلهم الهدايا وإظهار عجزهم بإرسال الرسل من الرجال ونساء من آلهم، قال: الآن طابت نفسي وحصل الثأر. فكتب حينئذٍ كتابًا بأن أطلقوا الأسرى الذين عندكم، ونطلق أسراكم كذلك. فأرخصوا لأسرى العجمان والنجراني أرخص أسرى أهل الدرعية، لأنهُ كان يوفي بالقول. فعاد النجراني إلى بلده نجران بعدما مضى من الصلح ستة أيام. وتلك الحرب، هي التي دعت لمجيء عرعر ثانية إلى الدرعية، فإن عرعر، حين سمع بحرب النجراني، قال: هذه فرصة فإني اغتنمها. فركب بعسكره وبلغ حوالي الدرعية. واتفق ذلك اليوم الذي وقع فيه الصلح مع النجراني، وكان عسكر النجراني على بعد فرسخين من الدرعية، فنزل عرعر قريبًا منه بنصف فرسخ. فأرسل عرعر إلى النجراني بأن لله الحمد على هذا الاتفاق،

والذي حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المُبتدع، وعلى هذا إن شاء الله نريد مواجهتك، ونتمم الأمر بيننا وبينك على كيفية حربه، ولا نطيل الأمر. فكتب حسن بن هبة الله إلى عرعر يقول له: لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري الصلح بيننا وبينه لأنتظم الأمر على وفق خاطرك، لكن الآن نحن حصل مرادنا من الانتقام وقد طلب منا العفو، نحن أهل له عند المقدرة، وأعطيناه، فلا يمكننا إبدال القول. أما أنت فمختار بحربك معه، نحن لا نعترض بشيء. فلما وصل كتاب النجراني إلى عرعر، وعرف مضمونه، اغتم لأنهُ كان يحسب أنهُ معه، ولأن النجراني، وإن كان عسكره قليلاً قُدر بالألف ومائتي رجل، لكنه مكين الحماية والقوة، وشجاعة يام معروفة، قيل من عاداتهم في الحرب أنهم إذا حملوا لا ينكصون، ولو قتلوا عن أخرهم، ومن عاداتهم في الحرب، لو قتل كبيرهم، فلا يختلون ويقيمون أدنى شخصًا مقامه. ثم إن عرعر كتب كتابًا آخر إلى النجراني يُرغبه في الموافقة معه على حرب محمد بن سعود، وذكر له أيضًا إنك إن وافقتني على قلعه من هذه الأرض فلك كل عام مائة ألف ذهب تصلك إلى نجران. فرد جوبه النجراني قائلاً: لا يكون ذلك. كيف والشيمة هي حسن الوفاء بالقول. نعم إن أدركت منه الآن مرادك فيها، وإلا فإن أحدث بعد ذلك علينا شيئًا، فأنا بمُجرد سماعه أتيه، ولا يردني عنه شيء إما قتله أو الموت. ولما أيس عرعر من اتفاق النجراني معه حاصر الدرعية شهرًا ولم يُدرك شيئًا مما أراد. فرجع إلى الأحساء كما أسلفنا». ۞ - انتهى الاقتباس -

ونكتشف هنا من خلال رواية حسن الريكي في النص أعلاه، أن آل سعود وبمشورة من قبل محمد بن عبد الوهاب؛ قد أرسلوا نساءهم إلى المكرمي مع الهدايا، دون معرفة المغزى المُبطن أو الهدف من وراء إرسال آل سعود لنسائهم ومحارمهم إلى عدو صائل! فهل أرادوا أن يتوسلوا بالمكرمي ويدخلوا عليه من بـاب الحريم فيستعطفوه عن طريق بكاء محارمهم، ويطلبوا

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تأليف \ حسن جمال بن أحمد الريكي.

العفو والمغفرة منه من خلال استعطاف نسوة آل سعود له لأن الرجل عادةً ما يرأف بالنساء وينكسر قلبه ويلين أمام توسلات المرأة

ويبدو أن عادة إرسال النساء إلى العدو بعد الهزيمة والانكسار لغرض استعطاف الخصم كانت سائدة في إقليم اليمامة ودارجة في العارض، فقد ذكر حسين بن غنام في مخطوطته أن أهل بلدة "ملهم" هم أيضًا قدَّموا نساءهم كعربون صداق إلى سعود بن عبد العزيز حينما باغتهم فجأة ودخل على بلدتهم بقواته، ولم يوضح لنا ابن غنام في قوله أن أهل ملهم قدموا إليه النساء لكي يرضى عنهم سعود ويوافق بالمقصود، فهل كان يعني حسين بن غنام أن أهل ملهم أرسلوا نسائهم لكي يتوسلن ويستعطفن سعود بن عبد العزيز بأن يعفوا عن أهل البلد؟ أو أنهم قدموا له عدة نساء عبارة عن سبايا طائعات ليختار منهن جارية أو زوجة له، خصوصًا أن حسين بن غنام يقول في الخبر أن سعود قد (أنالهم شطر البغية) أي وافق على الشطر الأول مما ابتغوه منه، وأنهم (أدركوا بعض المنية) أي أن بعض منهم قد قُتل ولقي حتفه ومنيته على يد سعود، فيقول ابن غنام عن غزوة سعود لليمامة:

« ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف ١٢٠١هـ: وفيها غزا سعود بالمُسلمين فنزل أرض ملهم وأقام ينتظر إجماع المُسلمين فأتاه رؤساء الروسة من اليمامة وأخبروه أن آل بجادي يُريدون الارتداد وقد دبروا إحكامه وأجادوا على أهل التوحيد إبرامه، فشمر من ذلك الحين لإنقاذ المُسلمين وحقن دماء الموحدين فوصلها ليلاً وأدرك من التمكن منها نيلاً، فلما أصبحوا وتحققوه هموا بلباس الإسلام أن يُمزقوه فجالوا نظرهم فيه فنظر كل منهم أن ذلك لا يُفكه ولا يُنجيه فرموا جميعًا بأنفسهم إلى سعود وقدموا إليه النساء لكي يُوافق بالمقصود، فأنالهم شطر البغية وأدركوا بعض المنية وألزم عليهم (مُقابلة) الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) وعبد العزيز في البداية وأجلا عنهم أهل الفساد والإذاية ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم وأظهروا لسعود الامتثال وشرعوا بالمسير إلى عبد العزيز والارتحال، فلما توسطوا في قلب الفلاة كان

في قلوبهم أعظم هناة، وولوا إلى الحساء الأعناق وجدوا في الوجد إليها والإعناق وصمموا البعد عن اليمامة والفراق، فأمر عبد العزيز بهدم محلتهم التي تُسمى البنة وقد كانت باللهو مرنة فهدمت ديارهم وحقق دمارهم».[*]

ولهذا فربما فعل محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد مع المكرمي كما فعل أهل ملهم مع سعود، فأرسلوا نساءهم إلى خصمهم مكرمي نجران، سواء للتوسل به أو ربما للمُصاهرة، وليس لدينا أي تفاصيل عما حصل، ولكن والحق يُقال فإن المُكرمي كان صاحب نخوة ورجولة حيث كان وفيًا لأبناء عمومته العجمان رغم تخلف عدد كبير من أهالي نجران عن تأييده بالمسير، وذلك عندما فزع لهم ووعدهم أنهُ سيرد لهم أسراهم من قبل الوهابيين، وقد فعل، وكان شجاعًا وحازمًا أيضًا في القتال حيث هزم الوهابيين هزيمة ساحقة بأعداد بسيطة، فقد استطاع أن يكسر جيش ابن سعود المكون من أربعة آلاف مُقاتل كانوا يُقاتلون على أرضهم وبين أهلهم جماعتهم، ومع هذا نجح هو في هزيمتهم بجيشه المتواضع القادم من نجران والمكون من خمسمائة مُقاتل فقط، كان قد عبر بهم الجبال والقفار! ويُحسب هنا للمكرمي أنهُ كان صادقًا في وعده ووفيًا في عهده، فلم يخلف أو يتنصل من صلحه مع الوهابيين، حيث حاول حاكم الأحساء عريعر بن دجين أن يُثنيه بكافة السُبل عن عهده، وأن يُغريه بكل الوسائل لكي يلغي الصلح الذي تمَّ بينه وبين الوهابيين، وحثه على أن يخل بالوعد وأن يخلف العهد، لكن حسن المكرمي أبى ورفض عرض عريعر بن دجين رفضًا قاطعًا، بقوله: إن عدم الوفاء ليس من شيم الرجال، خصوصًا بعد أن طلب ابن سعود الصفح والعفو منه، فسامحه وعفى عنه، وعاد لنجران مكللاً بالنصر. ويبدو أن عريعر كان قد تخلف مُتعمدًا عن لقاء المكرمي عند الحائر ليرى نتيجة المعركة، كي لا يتورط هو في معركة خاسرة

---

[*] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وربما هنالك أسباب أخرى لا نعلمها، خصوصًا وأن المكرمي لم يكن لديه جيوش جرارة، وحينما علم عريعر بانتصار المكرمي ندم ندمًا شديدًا لأنهُ لم يُشاركه تلك المعركة، وحينها حاول إقناع المكرمي ليعود معه مرة أخرى لغزو الدرعية، رفض المكرمي طلبه بشدة وأصر على أن لا ينقض وعده خصوصًا وأنهُ لابد وقد أدرك أن عريعر رجل ماكر ولم يفي بوعده السابق. فسار عريعر إلى الدرعية لوحده بعد أن ظن أنه قادر على هزيمة ابن سعود وهو مكسور ومهزوم، لكنهُ لم يحظ بقتال مُباشر مع خصمه المكلوم، حيث تحصن عبد العزيز في الدرعية ولم يخرج إليه بسبب تداعيات ومخلفات الهزيمة التي تلقاها على يد المكرمي، فقام عريعر بقصف حصون الدرعية بالمدافع دون جدوى، حيث لم تؤثر مدافعه في جدران الدرعية المكينة، وقد عاد عريعر للأحساء دون فائدة، ولم يستطع الدخول للدرعية بسبب تحصينها، ولو لم يتخلف عريعر عن لقاء المكرمي مع جيشه عند الحائر حسب الاتفاق المبرم بينهما لقضوا على الدرعية نهائيًا، ولكن تأخر أو تردد عريعر أعطى مزيد الوقت للوهابيين للبقاء في درعيتهم، إلى أن جاءهم إبراهيم باشا وقضى عليهم لاحقًا.

ولما نزل جيش المكرمي بالقرب من قصر الغذوانيّة أخذت ترد عليه الهدايا والرسائل من صاحب الرياض دهام بن دواس وغيره من خصوم الوهابية الذين ضاقوا ذرعًا من تصرفات أصحاب الدرعية، فأخذوا يحرضونه على احتلال الدرعية ويعدونه بالمساعدة بالرجال والأموال، فقد وفد على المكرمي دهام بن دواس وأهدى إليه عدة هدايا، وأيضًا قدم عليه زيد بن زامل رئيس بلد الدلم، وكذلك قدم عليه فيصل بن سويط شيخ الظفير وأثنوا عليه، كما كتب إليه صاحب الأحساء عريعر بن دجين يخبره بقدومه إليه، وقد سبق وأن أبلغ المكرمي صاحب الأحساء عريعر بن دجين بعزمه على المسير لقتال الدرعية وعقد معه اتفاق للتعاون والاشتراك بالقتال، وقد ضرب له موعدًا للقاء عند حائر كما أسلفت، إلا أن صاحب الأحساء عريعر قد أخلَّ بوعده وتخلف عن

الموعد والمكان الذي حدده له المكرمي قرب الحائر، فلما بلغ صاحب الأحساء وهو في الطريق نبأ عقد الصلح بين الوهابية والمكرمي، كتب إليه كتابًا يحثه فيه على مواصلة قتال الدرعية ومما جاء في كتاب صاحب الأحساء إلى صاحب نجران الآتي:[ إننا نحمد الله على هذا الاتفاق الذي حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المبتدع ونحن إن شاء الله سنقوم بمواجهتكم ونُتم الأمر بيننا على كيفية حربه ولا نطيل الأمر]. فأجابه حسن هبة الله المكرمي قائلاً: [ لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري الصلح بيننا وبينه لانتظم الأمر على وفق خاطرك ولكن الآن حصل مرادنا من الانتقام، وقد طلب منّا العفو ونحن أهل له عند المقدرة وأعطيناه فلا يمكن إبدال القول، أمّا أنت فجرّب حربك معه ونحن لا نعترض بشيء]. فلما وصل كتاب المكرمي إلى عريعر شعر بالندم لكنه لم ييأس من فكرة تحريض المكرمي وكان يعده بالمُغريات في حال اشترك معه في قتال الوهابيين، فكتب بعد ذلك كتابًا آخر لصاحب نجران وجيشه يرغبه فيه ويحرضه على غزو الدرعية ويُمنيه بالمال والربح الوفير، ومما جاء في ذلك الكتاب: [ إنّك إن وافقتني على قلعه من هذه الأرض لك كل عام مائة ١٠٠ ألف من الذهب تصلك إلى نجران]. فرفض المكرمي ذلك العرض أيضًا وردّ عليه بكتاب مما جاء فيه الآتي: [ لا يكون ذلك، كيف والشيمة هي حسن الوفاء بالقول نعم إذا أنت أدركت منه مرادك الآن فيها، وإذا أحدث علينا شيئًا فأنا بمجرد سماعه آتيه لا يردني عنه شيء فإمَّا أقتله أو الموت].

وقد أثرت تلك الهزيمة العسكرية كثيرًا على معنويات الوهابيين، وباتوا يتحاشون التحرش بالعجمان خوفًا من غضب وانتقام المكرمي، أما قبائل يام فقد تباهت كثيرًا بهذا الإنجاز العظيم، وبات الجميع يتغنى بذلك النصر العسكري الكبير الذي حققه لهم السيد حسن هبة الله المكرمي، ومنذ ذلك الوقت طغت العصبية القبلية على العجمان وتجاهلوا القضية المذهبية والخلافات العقدية فيما بينهم، لأنهم وجدوا أبناء عمومتهم الإسماعيلية أول

من ينتخي لهم ويفزع معهم في المُلمات، رغم الخلاف المذهبي والعقائدي فيما بينهم.

وقد سطر الشاعر الحسام الحسين بن علي بن هبة الله قصيدة شعرية يوثق فيها تلك الملحمة التي عرفت بغزوة الحاير في نجد بقيادة عمه الحسن بن هبة الله جماد الآخر ١١٨٧هـ، قائلاً:

| | |
|---|---|
| بعــون الله مــشينا ثــم عزمنــا | وقطعنـــا القفــار الخاليـــات |
| وفي يـــوم مـــن الأيـــام جانـــا | رجـــال باشـــلايل ناعتـــات |
| بأعنـــاق الركايـــب علقوهـــا | مـــن العجمـــان قـــوم حاميـــات |
| فـــشمر عـــزم داعينـــا وعـــزم | وأوردنـــا الميـــاه الـــصافيات |
| وخـــاب الظـــن في نـــاس كـــثير | واختـــاروا الممـــات علـــى الحيـــاة |
| فقـــسم ضـــان هـــو يـــسقى ويرعـــى | ويـــسرح في الـــصباح مـــع الرعـــاة |
| ونـــاس في ظـــلال النخـــل ســـاهي | مـــع الخثـــرات يـــضحك والبنـــاتِ |
| فـــسارت عـــصبة فـــازت وحـــازت | ثـــواب الباقيـــات الـــصالحات |
| وكنـــا نقطـــع الخلـــوات عزمنـــا | ورافقتنـــا الجيـــاد المقرنـــات |
| وكمـــن شـــقة حزنـــا وخبـــت | ونـــسري في الليـــالي المظلمـــات |
| وأيـــدنا وثبتنـــا وأســـرنا | ســـوار اللطـــف تلـــك الـــسابقات |
| ويـــوم الحـــاير المـــشهور فزنـــا | مـــن الوقعـــات تلـــك الـــسابقات |
| وصـــالت جنـــدنا حقًـــا علـــيهم | بكـــل متقـــف عـــن الثقـــات |
| وأضـــحوا كالنخيـــل إذا تهـــافوا | وأمثـــال الـــضحايا المـــضجعات |
| وكـــم مأســـور مـــنهم قـــد أســـرنا | وآخـــر قـــد جـــاه مـــوت الفجـــاةِ |
| بحـــد ســـيوفهم قتلـــوا وحامـــت | علـــيهم كـــل طـــير حاميـــات |
| علـــى الألفـــين عـــددهم يزيـــد | كمـــا روتـــه الثقـــاة مـــن الـــرواة |

| | |
|---|---|
| ودار القـــول منـــا ثـــم مـــنهم | صـــلاح بـــالعقول الـــصافيات |
| وأخـــرج كـــل مـــسجون لـــديهم | مـــن العجمـــان قـــوم الـــسابقات |
| وأجنـــاب ومـــن في الحـــسب كـــانوا | لأنهـــم بقـــوافي الـــساهرات |
| فـــالله المهـــيمن جـــل حمـــدي | علـــى الـــنعم التـــوام الـــسابغات |
| وعرعـــر والكـــذوب خـــافوا وبـــاروا | بـــأقوال كـــذوب فاســـقات |
| فـــالرحمن حمـــدي ثـــم شـــكري | علـــى الـــنعم الجـــسام الغـــامرات |
| وســـيدي الحـــسن يهنـــاه فخـــرًا | يفـــوق علـــى النجـــوم الـــسامرات |
| وشـــاعت أخبـــاره كـــل في قطـــرا | وســـارت في أرض نجـــد والـــسرات |
| فـــدم في نعمـــة ودوام عـــزًا | تلاحظهـــا الأمـــور الـــصالحات |

وقد جاء في وصف مكرمي نجران على لسان حسين بن غنام في كتابه "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" وهو يورد الممارسات والطقوس الكفرية حسب قوله عند أهل اليمن، فيقول عن نجران :

« وعندهم الطامة العظيمة والمُعضلة الجسيمة وهي في أراضي نجران وما يليها من البلدان وما حولها من الأعراب والبدوان، وهو الرئيس المعروف عندهم السيد المُتقدم في رياستهم وسياستهم والمُطلق فيهم والمُقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره وتقديمه في جميع الأمور وتصديره، وقبح الغلو فيه والاعتقاد ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد، فصرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه للألوهية وسما حتى كادوا أن يجعلوه لله ندًا وقسما، وكان عندهم بذلك الحال شهيرا فتعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرا ».۞

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ويُقال إن محمد بن عبد الوهاب قد ارتعب كثيرًا وتشاءم من جيش نجران هذا رغم قلة عدده، وطلب من عبد العزيز أن لا يُنازلهم، وسوف يبذل جهوده لقبولهم الصلح، فعندما وصل جيش نجران إلى المكان المُقرر والذي تمَّ الاتفاق عليه مع صاحب الأحساء وهو - حائر سبيع - وكان في شهر ربيع الثاني عام ١١٧٨هـ، وقد عسكر المكرمي حولها وحاصر أهلها وكان فيها من أهل الدرعية أناس كُثر، ثم خرج جيش الدرعية متحفزًا لمقابلة ذلك الجيش المتواضع، حيث خرجت جيوش الدرعية مُتبخترة في ٤٠٠٠ أربعة آلاف مقاتل؛ أي سبعة أضعاف جيش نجران، وقد أسندت قيادتها إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود، وقد أوصاه شيخه محمد بن عبد الوهاب سرًا بالوصية التالية : « أن سر لهم بهذا الجيش ونازلهم ولا تحاربهم حتى يقع بيننا الصلح، فإني لا أتوسم خيرًا من وراء قتال هؤلاء القوم ... بما نقول في ناس مسكنهم اليمن ويدخلون في قلب نجد بهذا العدد القليل مع أنهم عرفوا شوكتنا فلم يبالوا بها، فإياك والحرب معهم وإنما أمرتك بالخروج إليهم حتى لا يختلف علينا فيقال: ضعف أمر هذه الدعوة، وهابوا الحرب مع رجل يامي».

ويبدو أن عبد العزيز وأفراد جيشه قد غشيهم الزهو والغرور كما يقول ابن غنام، وقد استكثروا عددهم وعدتهم وانغروا بقوتهم لدرجة لا حدَّ لها، وكانوا في مسيرتهم يظهرون ضروبًا من التيه والخيلاء معتقدين كل الاعتقاد بأنَّ عدوهم مهزوم لا محالة ولن يصمد أمامهم وأنَّه سيوليهم الأدبار حال دنوهم من معسكراته. ولمَّا وصل عبد العزيز بقواته إلى حائر سبيع لم يمهله عدوه فرصة للاستعداد والتفكير بل داهمه على الفور بالقتال مستعملاً البنادق، ثم رأى الزعيم النجراني أنَّ استعمال ذلك السلاح في المعركة مع جيش الدرعية لا يجدي نفعًا ولا يقرر نصرًا فأمر أتباعه باستعمال الشلف {الجنبية} فاستلوها من الأغماد وكرَّوا بها على جيش الدرعية فألحقوا به هزيمة منكرة بعد أن قتلوا منهم حوالي الـ ٥٠٠ رجل وقيل أكثر، حتى يُقال إن الرجل من يام كان

يقبض على ٥ رجال من جيش الدرعية لوحده وذلك بعد أن أصابهم الهلع والرعب! وقد أبلى النجرانيون شجاعة منقطعة النظير في البسالة والصمود، فعندما اشتدت رحى الحرب واحتمى وطيس المعركة عقل المكرمي نفسه ورابط في مكانه وقد تبعته الفوارس من صبيان يام، مما جعل الخوف والرهبة تدب في نفوس جيش الدرعية، ولما أدركت الدرعية أنها هُزمت أمام جموع يام بقيادة المكرمي، أوفدت فيصل بن شهيل بن سويط شيخ قبيلة الظفير إلى صاحب نجران ليعرض عليه استعدادهم للتفاوض معه لعقد صلح يُناسبه، فأجابه إلى ذلك بعد أن اشترط عليه أن لا يتعرضوا للعجمان مرة أخرى، وأن يُطلقوا سراح الأسرى السابقين الذين أسرهم عبد العزيز في واقعة قذلة من قبيلة العجمان المنتسبة لقبيلة يام وحينها سيُطلق هو أسراهم الذين كان قد أسرهم خلال حرب الحائر. ويبدو أن سبب اختيار الشيخ فيصل بن شهيل السويط لهذه المهمة السلمية، رغم عدائه الدائم مع حُكَّام الدرعية، وبالرغم من بغضه للوهابية، يعود لكونه يرجع أصلاً من الأشراف ولهذا سيكون له التأثير والمكانة لدى السيد حسن هبة الله المكرمي، وهذا ما تمَّ فعلاً حيث قبل بوساطته وأكرم وفادته. واحترام السيد حسن هبة الله المكرمي لرؤساء الظفير من شيوخ آل سويط ليس مُستغربًا، فالبرغم من أن آل سويط كانوا من أهل السُّنة والجماعة، فعند انتقال عشائرهم -الظفير- إلى العراق نظرًا للحروب الطاحنة بينهم وبين الوهابيين، فقد كانوا يحظون بمكانة واحترام كبيرين لدى العشائر العراقية الشيعية، حيث كان رؤساء العشائر في الناصرية العراقية يجلون ابن سويط وينهضون من أماكنهم عندما يدخل على مضايفهم، حيث يعتبرونه من سادة آل البيت الذين يجب توقيرهم وإفساح المكان لهم تقديرًا وتوقيرًا وإجلالاً لهم.

لذا فقد تمَّ الصلح بينهم على هذه الشروط وعقدوا بينهم اتفاقية عدم الاعتداء بوساطة الشيخ فيصل بن شهيل السويط، فأهدت الدرعية إلى المكرمي مائة وعشرون فرسًا من جياد الخيل وأموالاً كثيرة، فقبل هداياهم وأطلق أسراهم

ممن ووقعوا في أسره في معركة الحائر ثم قفل جيش نجران عائدًا إلى بلاده. ونستشف من أحداث وتداعيات تلك المعركة الطاحنة، أن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود قد تلقيا ضربة قاصمة وهزيمة ساحقة على يد خصم متواضع القدرات، والأنكى من ذلك أن تلك الهزيمة فد جاءتهم من رجل يتبع المذهب الإسماعيلي ولم يكن سُنيًا، ومع هذا آثروا الرضوخ والخنوع وقبلوا الصلح معه وعقدوا بينهم وبينه اتفاقية تقضي بعدم اعتداء، بينما تجدهم يسفكون دماء المُسلمين والأبرياء العزل من أبناء السُّنة والجماعة في نجد بحجة أنهم كفار ومُشركين!!

فحتى الرحالة الأجانب المُستشرقين تناولوا تلك الأخبار، وباتوا يُعرفون قبائل يام على أنهم أشداء لم يخضعوا للوهابيين، حيث يذكر جون لويس بوركهارت في تعريف اليامِيين، قائلاً:

« أما بني يام: فهم زرّاع في وادي نجران، وهم قبيلة مُحبّة للحرب، حيث عجز الوهابيون عن إخضاعها، ويتبع بعض أفرادهم المذهب الشيعي، وينقسم السنيّون منهم إلى فرعين صغيرين هما: العجمان وآل مرّة. بني خولان وهم في المنطقة المتاخمة لمنطقة إمام صنعاء».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

## ▪ غزوة النجرانيين الثانية: حصار الحاير

بعد أن انتصر حسن هبة الله المكرمي على الوهابيين في وقعة الحاير الشهيرة ورجوعه إلى نجران مكللاً بالنصر والغنائم، أصبح يُمثل ثقلاً كبيرًا وبات يشكل مُعادلة صعبة بين القوى المُتناحرة في شبه جزيرة العرب، وأخذ يتمتع بسمعة طيبة وبات لهُ صيت كبير بين القبائل والبلدات خصوصًا بعد أن خرج من نجران بثلة قليلة من أبناء قومه وتحمل مشاق وأهوال السفر لينقذ أبناء عمومته من قبيلة العجمان الذين انتخوا به ليفزع لهم ويفك قيد أسراهم من قبل الوهابيين، وزاد في احترام الناس له أكثر عندما حافظ على وعده ولم يخلف عهده ورفض كل العروض والمغريات التي قدمها له حاكم الأحساء الأمير عريعر بن دجين الذي قايضه لكي ينقض صلحه مع الدرعية ويعود لقتالهم من جديد مع صاحب الأحساء، لكنه أبى ورفض كل المغريات.

ويبدو أن أعداء حاكم الدرعية وخصوم الوهابية وجدوا في انتصار المكرمي على الوهابيين فرصة مواتية للتعاون مع المكرمي من جديد ضد الدرعية وضد الحركة الوهابية، فذهب بعضهم إلى نجران لعقد تحالفات مع أهل نجران وذلك بعد مرور ١١ سنة على معركة الحائر الأولى، في محاولة منهم لثني النجرانيين عن معاهدة الصلح السابقة التي أبرمها السيد حسن هبة الله المكرمي مع حُكَّام الدرعية. ولكن حسن هبة المكرمي يبدو أنهُ قد توفى في ١٢ جمادى الأول في سنة ١١٨٩هـ، أي أثناء الغزوة الثانية المذكورة على الدرعية والتي ذكرها حسين بن غنام ونوه عنها عثمان بن بشر.

حيث لا تذكر المصادر النجدية والسعودية أي معلومات دقيقة ومُفصلة عن تلك الغزوة الثانية للنجارين التي لم تحقق أي هدف ملموس، ما عدا بعض المعلومات المتناثرة هنا وهناك والتي وردت في كتاب حسين بن غنام عن تلك الغزوة والتي انتهت أحداثها بالصلح، وعلى أية حال فما دونه حسين بن غنام

كما سبق وذكرت فهو ليس بمحل الثقة بسبب موالاته وانحيازه الفاضح لمحمد بن عبد الوهاب والذي سبق وأن نوهت عنه في المُقدمة.

بل حتى عثمان بن بشر صاحب كتاب عنوان المجد، لم ينقل أية أخبار ذات أهمية أو أحداث تستحق الذكر أو معلومات مُفصلة عن تداعيات تلك الغزوة، وقد مرَّ عليها ابن بشر في كتابه مرور سريع، كما أنهُ لم يذكر أن حسن هبة الله المكرمي قد توفي سواء قبل فترة الغزو أو أثنائها أو بعدها، والمعروف عن ابن بشر أنهُ كان يُركز كثيرًا على مسألة ذكر أسماء الأموات من الأعلام، بينما نراه هنا قد اختصر الخبر على عكس ما نقله من معلومات وفيرة في الغزوة الأولى.

وحسب رواية ابن غنام أن حملة أهل نجران الثانية لم تُحقق أهدافها وأنها انتهت بعقد الصلح مع أهل الحائر، ولم يذكر ابن غنام أي تعرض أو هجوم على بلدة الدرعية، فلماذا توجهت الحملة للحائر تحديدًا دون الدرعية وهي العاصمة والمقر الرئيس للوهابيين!

كما يذكر ابن غنام أن المكرمي قد توفي بعد عودته من الغزو بسبب المرض الذي كان يُعاني منه، وأنهُ كان قد جلب إلى المعركة محمولاً على سرير للتبرك به فقط.

ويبدو أن سبب حملة النجرانيين على الحائر بسبب تخلي الوهابيين عن العقد السابق بينهم وبين مكرمي نجران فاستغل زيد بن زامل ومن معه ذلك الخلاف فذهبوا إلى رئيس نجران يستحثون السيد حسن بن هبة الله المكرمي ويستميلونه لصالحهم ويعدونه بالدعم والمال والغنائم، وربما استطاعوا أن يقنعوه بتأثير من أبنائه أو بعض المُتحفزين في نجران للسير معهم في غزو الدرعية مُقابل حصولهم على مال مُقدم وغنائم وسلائب كبيرة في حال تمَّ لهم النصر. لأن من الصعب إقناع الياميين وأهالي نجران بالقدوم لغزو الدرعية دون مُقابل مالي ومحفزات مغرية، فمن المعلوم أن المكرمي في غزوته

الأولى التي جيَّشها لاستنقاذ العجمان المأسورين في الدرعية، قد لاقى مُعارضة شديدة من قبل أتباعه ومُريديه وأخذ فترة طويلة وهو يُحاول إقناع قبائل نجران للسير معه، إلا أن أغلبهم أبى ورفض السير معه بدافع الدعة واللامبالاة لأمر العجمان، وعندما سار المكرمي إلى الدرعية سار ومعه المُقربون منه فقط، وهم من فخذ الوعلة كما جاء ذكرهم، وكان عددهم قليل جدًا مُقارنة بجيش الدرعية، حيث كانت قوات المكرمي حوالي الـ ٥٠٠ رجل فقط، بينما جيش الدرعية كان قد تخطى الـ ٤٠٠٠ مُقاتل، ومع هذا فقد هزمهم المكرمي وكسر شوكتهم وأوقع بهم هزيمة نكراء. وعليه فيبدو أن هنالك من حاول أن يستثمر ذلك النصر الساحق الكبير الذي حققه حسن بن هبة الله المكرمي سابقًا لصالح تحقيق منافع ومصالح شخصية، ولا يُستبعد أن بعضًا من شيوخ يام قد قبلوا العروض التي قدمها زيد بن زامل ووافقوا في أن يُقنعوا المكرمي بالذهاب معهم في تلك الغزوة غير المُبررة، خصوصًا وأن المكرمي لم يتعود شن حملات طائشة ضد أطراف بعيدة دون مسوغ أو مبرر مُقنع. ولهذا يبقى ذلك الدافع غائبًا وغير معلوم ولا توجد مصادر توضح تلك الأسباب والمبررات التي جعلت المكرمي يسير مع تلك الحملة وهو على فراش الموت! بحيث كان يُحمل طريحًا على سريره، مع أن بقية المصادر السعودية لم تذكر أن المكرمي كان على رأس ذلك الغزو النجراني، باستثناء ما ذكره ابن غنام في كتابه المسجوع، حيث أورد أن المكرمي كان مريضًا أثناء تلك الحملة وقد توفي مباشرةً بعد عودتهم من الغزو، وأنهُ كان يُحمل طوال تلك الحملة على سرير، حيث يذكر ابن غنام:

« ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٩هـ: وفيها سار رئيس نجران يُريد أهل الإيمان ومُحاصرتهم كافة في البلدان، فأقبل معه من سائر الأعراب ما لا يُقدر على عده حساب ولا تحصره الألباب، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطغام وأشخاص كالأنعام بل هم أضل منها في الأفهام، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار سارع إلى المسارعة والبدار خصوصًا سكان

الفيافي والقفار فأقبلت معه وبعده خيب الله قصده أصناف قبائل البادية كلها على أهل الحق عادية وجدوا لأهل التهيئة سيرًا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا) وساعده في ذلك الأمر والشان كل رئيس وحاكم شيطان من أهل نجدٍ وغيرهم من الحضر والبدوان وأعانوه على طمس هذا النور وإطفاء مصباحه المضيء في الديجور جميع أهل المعاصي والفجور بأنواع كثيرة من الأموال وأمدوه من النقود بما لا يخطر على البال ولا يحصره لسان المقال، وبارزوا في ذلك الكبير المتعال وحاربوا ذا العزة والجلال، فلم تنجح لهم آمال ولم يحصلوا من القول على حال، وأرسل له بطين بن عريعر من النقود ما ناف عنده على المقصود فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص، وأظهر له من أحمال الطعام من الحسا وأشخص، فقدم عليه من الحساء ثلاثمائة من الزاد فزال عنه الجوع والهم والأسى، وتلاحقت عليه الإمداد من الجموع والزاد وهو مُقيم على الحائر من تلك البلاد، وكل يوم يجري بينه وبين أهلها القتال والجلاد، وقد قتلوا منه في تلك المدة قريبًا من أربعين رجلاً في العدة فزال ولله الحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة، وذعر من معه من أجلاف الأعراب وعرفوا أن من قصده خسر وخاب وما أطمعهم في المجيء معه والإقدام إلا ما صدر عنه قبل ذلك العام وما عرفوا ما في ضمن تلك المرة للمُسلمين من العز والمسرة وما انطوت عليه من الحكم والأسرار ما لا تحيط به الأفهام والأفكار بل يحسبون أن ذلك لعقة عسل فرجعوا بخيبة الأمل وظنوا أن المُسلمين أكلة جزور فآبوا بالثبور والعثور، وكان عبد العزيز حرسه الله تعالى في تلك المدة والإقامة قد أرهف حده واعتزامه وصقل جده واهتمامه في تجهيز الجيوش والإمداد في كل قرية وبلاد، فأرسل إلى الرياض مددًا فأقاموا بها أمداد، وخرج سعود بلغه الله المقصود بالمُسلمين فعمد إلى ضرما وأقام في نواحيها وغاراته تراوح الأعادي وتغاديها وتباغت البوادي العادية وتفاجيها، فأغار هو وجنده المنصور على أهل اليمن ذوي الكفر والفجور، وكانوا بأرض العرمة يسيمون

وفي شعابها تلك الأيام يقيمون، فلم يرتفع بعض الأيام للشمس سنا ويجل تلك الأعراب الباغية من عيونهم وسنا إلا وهو قد أشرف عليهم ودنا ويحل لهم الكرب والعنا، فشنت عليهم فرسان المُسلمين الغارة، وكل شمر للقتال إزاره وجرى بينهم ذلك اليوم طعان وقتل من كل الفريقين فرسان، ثم رجع سعود بمن معه إلى ضرما وانهزم أولئك اليمنان عن رعي ذلك المكان، فاجتمعوا مع رئيس نجران على الحائر وأقاموا مع ذلك العدو الجائر حتى وقع بينه وبين أهلها الصلح فسار عنها ولم يحصل مما رام على نجح. ....الخ».

إلى أن يقول: « فنقلوا قبائل العجمان وحملوا معهم على سريره رئيس نجران، وقد أرهقه المرض والأسقام وأضنت جسمه مواد الآلام، وكان ذلك الرئيس في الشر قرين إبليس، وقد فتن أولئك الهمج من الناس مما يُبدي لهم من حساب الرمل والتخمين والأحداس، وافتتن أولئك البوادي وساروا له بالأموال الروائح والأغادي، فلم يشك أحد من جميع تلك الطوائف أن ذلك الرمال لأسرار الغيب حافظ عارف وعلى ما يحدث من المكونات مُحيط واقف، فكانوا إذا أرادوا القتال حملوه على سريره في المجال وقصدهم بذلك الاستنصار ورفع ما يحفهم من الآصار، فمات في أثناء انصرافه وشاهد جزاء سعيه وإسرافه، تحسر عليه مرارة الحزن جميع أصهاره وأسلافه وفقد تلك الكهانة والتنجيم كافة خلانه وألافه، وفاجأه وارد الحمام قبل وصول بلده وما فاز بمرامه».[۞]

وعلى عكس الغزوة الأولى فلم تكن لتلك الغزوة أهمية عسكرية تذكر، خصوصًا وأن النجرانيين لم يُنازلوا خصومهم في معركة مفتوحة كالسابق، وربما بسبب عدم رغبة الوهابيين في خوض حرب خاسرة مسبقًا، وبقيت جموع النجرانيين خارج الأسوار مع بقية الغزو، مُرابطين ومُحاصرين للحائر،

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

حتى تمَّ الَصُلح بين الطرفين كما يذكر ابن بشر، دون سرد المزيد من المعلومات والتفاصيل التي تفصل في مجريات تلك الواقعة وذلك الحدث، حيث يذكر ابن بشر باختصار شديد عن تلك الغزوة قائلاً:

«(ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٩هـ)..... وفيها قام زيد بن زامل صاحب بلد الدلم وحويل الوداعين الدوسري صاحب وادي الدواسر وغيرهم من رؤساء أهل الجنوب وبذلوا لأهل نجران مالاً معلومًا كثيرًا على أنه يسير لحرب المُسلمين. وذلك لما عهدوا منه قبل ذلك في وقعة الحاير المُتقدمة، فأقبلوا أهل نجران وجميع قبائل يام ومعهم الدواسر أهل الوادي وغيرهم قاصدين العارض، وسار معهم أهل الخرج ومن حولهم فأقبلت تلك الجموع، ونزلوا الحاير المعروف بحاير سبيع وقطعوا منه نخيلاً وجرى بينهم وبين أهله قتال. فقتل أهل الحاير على النجرانيين نحو أربعين رجلاً ثم صالحوهم ورحلوا عنهم وساروا إلى بلد ضرمى، فنزلوا عليها وحاصروها فقاتلوهم أشد القتال ودخلوا ناحية نخيلها، فثبت أهل البلد لقتالهم، ونصرهم الله عليهم فقتلوا من النجرانيين وأتباعهم في النخيل ثم أخرجوهم منها وخذلهم الله سبحانه، وارتحلوا راجعين إلى أوطانهم، وتفرقت بوادي العجمان بعدها ولا قام لهم قائم».[۞] -انتهى الاقتباس-

ومن خلال تلك الغزوة النجرانية التي ذكر ابن بشر نبذة مُختصرة جدًا عنها، نرى أن جموع النجرانيين ومعهم زامل صاحب الدلم وكذلك حويل الودعاني راعي الدواسر، قد فشلوا في اختراق أسوار الحائر وخسروا خلال ذلك الحصار حوالي الـ ٤٠ رجلاً من رجالهم، ثم تصالحوا مع أهل الحائر وتركوهم وذهبوا لمُقاتلة أهل ضرما، الذين استطاعوا بدورهم هزيمة وصد هجمة النجرانيين ومن كان معهم.. لكن السؤال ماذا عن الدرعية لماذا وجه الهجوم على الحائر تحديدًا وتركوا الدرعية ؟!

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

أما نسخة الدارة السعودية المشوهة فتذكر نقلاً عن كتاب حسين بن غنام أن تحركات زيد بن زامل مع مكرمي نجران منذ عام ١١٨٨هـ، على عكس ما ذكره ابن بشر في كتابه: عنوان المجد، حيث ذكر ابن غنام أن تحركات زيد بن زامل كانت في عام ١١٨٩هـ وربما لهذا علاقة في جعل تحركات زيد بن زامل قديمة مع حسن المكرمي الذي توفي في عام ١١٨٩هـ، حيث يقول كتاب الدارة: « وفي سنة ١١٨٨هـ أرسل زيد بن زامل رئيس الدلم إلى رئيس نجران مرة أخرى يستعديه على المُسلمين. وكان عبد العزيز قد أرسل إلى زيد بن زامل بنبذ العهد والأمان الذي بينهما، ويُخبره أنهُ ليس أمامه إلا الدخول في الإسلام، فلم يستجب له زيد، وغرته قوته، وأرسل إلى رئيس نجران. ثم ألحَّ عليه، وأرسل له رسولاً يُغريه بمال وفير إذا استجاب له. فاستمال المال لب رئيس نجران، واتفقا على أن يدفع زيد بن زامل إليه ثلاثين ألف زر معجلة - جمعها من رعيته وجماعته بالقهر والإذلال - وطلب زيد من رئيس نجران مُقابل ذلك أن يرسل إليه نفرًا من جماعته وخاصة قومه يكونون عنده رهنًا للوفاة بالشرط المُتفق عليه، فأرسلهم.......الخ.

إلى أن يقول: وفي هذه السنة، وفَّى رئيس نجران بما كان وعد به زيد بن سالم رئيس الدّلم. فسار في جماعته، وأقبل معه كثير من الأعراب، وسانده رؤساء نجد وحكامها بأنواع من المال والزاد وخاصة بطين بن عريعر – الذي تأمر على الأحساء بعد وفاة أبيه. وأقام رئيس نجران بمن كان معه ومن انضم إليه من قبائل البادية – في "الحائر" وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع وأنواع الطعام والمال. وكان كل يوم يجري بينه وبين أهل "الحائر" قتال، فقتلوا من جماعته نحو أربعين رجلاً من أجلاف الأعراب. وكان عبد العزيز في تلك الأثناء يعد جيوش المُسلمين ويعبئهم: فأرسل إلى الرياض مددًا وأقاموا فيها، وخرج سعود بجماعة من المُسلمين إلى "ضرمى" وأقام في نواحيها يُراوح الأعادي ويغاديهم بغاراته. وقد أغار أهل اليمن وهم نازلون بأرض "العرمة" فنشب بينهم قتال شديد، وقُتل من الفريقين رجال. ثم ترك عبد العزيز في

ضرمى عددًا من رجاله يكونون عونًا لأهلها ومددًا، وظعن عنها. ثم صالح رئيس نجران أهل "الحائر" ورحل عنها وسار إلى "ضرمى" فوصلها بعد أن غادرها عبد العزيز. وكان المسلمون قد استعدوا له وحصنوا البلدة وبروجها. فنشب بينهم القتال، وأكثر عليه أهل "ضرمى" الرمي بالبنادق من بين نخلهم وأشجارهم، فهرب كثيرون من جماعته، فانهزم بعد أن قتل ممن كانوا معه خلق كثير، وأصيب عدد كبير منهم بجراح. ثم تفرقت جماعته وتمزقت أجناده، وعاد كل منهم إلى بلده. وحملت قبائل اليمن معهم رئيس نجران على سريره، وقد أرهقته الآلام وأقضه المرض. وكان هذا الرئيس قد فتن أولئك الأقوام، بما كان يظهره لهم من أنواع الدجل والكهانة وحساب الرمل والتخمين وأسرار الغيب. فمات أثناء انصرافه من تلك الحرب». ۞ - انتهى الاقتباس -

ومن خلال روايتيّ حسين بن غنام وعثمان بن بشر فإن النجرانيين قد انسحبوا وعادوا أدراجهم لديارهم بعد أن عقدوا صلحًا مع أهل الحائر! والسؤال هو: ماذا جنوا من عقد الصلح المذكور، وهنالك صلح أصلاً معقود بينهما في السابق؟ ثم المفروض بهم أن يعقدوا صلحًا أو اتفاقًا مع حاكم الدرعية كما حصل في السابق وليس مع أهل حائر سبيع؟... فهل كانت تلك الغزوة موجهة في الأصل ضد قبيلة سبيع تحديدًا في الحائر فقط، ولذلك نجد أن الدرعية قد لزمت نوعًا من الحياد بحكم المُعاهدة السابقة، أم أن الدرعية قد آثرت عدم التدخل العلني خوفًا من تجرع مرارة الهزيمة كما حصل سابقًا؟

لا نملك معلومات دقيقة ومُفصلة عن تلك الواقعة الغريبة والتي لا وجود لأي ذكر للوهابيين فيها، ما عدى فرار عبد العزيز من ضرمى، ومن ثم محاولة تجيير صمودهم أمام النجرانيين لصالح للدرعية!.

والمُلاحظ هنا أيضًا أن عبد العزيز بن محمد بن سعود لم يتجرأ لمُلاقاة هذا الجيش المزعوم الذي كان يُحاصر الحائر، كما فعل في السابق!.

---

۞ كتاب : تاريخ نجد \ تأليف : حسين بن غنام \ نسخة الدارة السعودية المُحرفة.

وكذلك لم يذكر لنا عثمان بن بشر ولا حتى حسين بن غنام أي ردة فعل لذلك الحدث؛ سواء كانت سلبية أو ايجابية؛ من قبل محمد بن عبد الوهاب نفسه، ولم يكن لعبد العزيز أي دور قتالي ملموس في تلك الوقعة كما تمَّ ذكره في معركة الحائر الأولى باستثناء التجييش، وهذا أمر غريب فعلاً ويدعو للتساؤل.

وعمومًا فإن رواية ابن غنام ركيكة جدًا ومهزوزة بالكامل وفيها مديح وتدبيج لا معنى له وهو لا يذكر أي وقائع أو أية تفاصيل، ولا مواقف أو ردود أفعال حقيقية من قبل حاكم الدرعية، أو حتى من جانب زعيم الدرعية الروحي محمد بن عبد الوهاب!.

ثم أن العجمان أصلاً لم يكن لهم حضور قوي وفعال في تلك الغزوة النجرانية المزعومة، فعلى الأقل فإن ابن بشر لم يُشر لهم ضمن تلك الحشود المرابطة عند الحائر أثناء سرده لهذا التحالف، لكننا نجده في نهاية النقل يقول: أن بوادي العجمان قد تفرقت، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك!. بينما حسين بن غنام يقول في مخطوطته أن قبائل العجمان رحلوا بعد الصلح وحملوا معهم رئيس نجران وهو على سريره!. وهذا أيضًا أمر غريب فعلاً ويدعو للشك، لأن الذين قاموا بتلك الغزوة حسب الزعم، هم أهالي الدلم بقيادة زيد بن زامل ومعه راعي وادي الدواسر وبدعم من أهالي نجران من يام وخرج معهم أهل الخرج، ولهذا فإن تركيز ابن بشر على ذكر اسم العجمان تحديدًا وإهمال ذكر أصحاب فكرة الغزو الحقيقيين، يُدلل على أن ابن بشر كان يحمل ضغينة أو ربما موقفًا شخصيًا ضد العجمان، ربما لأنهم كانوا أصحاب الشرارة الأولى أو السبب الرئيس في هزيمة الدرعية في المرة الأولى، أو لأي سبب آخر نحن نجهله. وإلا فإن العجمان لم يتفرقوا ولم تستأصل شأفتهم كما زعم ابن بشر أو ربما من دون ذلك الخبر على لسانه، حيث بقيت قبيلة العجمان تتنقل، وهي من القبائل الشرسة التي كانت لها وقعات مشهودة وحوادث معروفة في نجد وخصوصًا في المنطقة الشرقية، بل على العكس فإن العجمان منذ وقعة الحائر

**الأولى قد عظمت شوكتهم وأصبح لهم شأن كبير لدى القبائل البدوية الأخرى في نجد لأنهم باتوا مدعومون من قبل مكرمي نجران الذي كسر شوكة وهيبة الوهابيين وهزمهم شر هزيمة. فبات للعجمان وزن وحضور في نجد لا يُستهان به، والدليل على قولي هذا هو دورهم الرئيس في هزيمة عبد الله بن فيصل حينما تحالفوا مع أخيه سعود، وكذلك انتصارهم الكبير لاحقًا في معركة كنزان، حيث سنلاحظ في التاريخ المُتأخر كيف استطاع العجمان لوحدهم هزيمة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود الذي كان مدعومًا من قبل الإنجليز وكان معه أيضًا كل من قبيلة الدواسر ومطير والهواجر، ومن ثم قيامهم بقتل شقيق عبد العزيز الأصغر المدعو سعد بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود في تلك المعركة المذكورة.**

**وأما قبائل يام فأصبح لها نفوذ ومنعة منذ أن استطاعت بقيادة المكرمي كسر شوكة الوهابيين، وبات الياميون يتغنون حتى اليوم بشجاعة ونخوة سيدهم حسن بن هبة الله المكرمي، حتى قال قائلهم فيه:**

**يا بيض غني لسيدنا الحسن بن هبه    غنت له البيض وارجف له حمام اليمن**

**جنبيته في يمينه مقدم المحربه    من ميد صعفان الأخضر ما حدٍ(ن) يقربه**

**وبالمناسبة فإن مؤرخي الوهابية جميعًا كانوا يُصنفون تلك القبائل القاطنة في مناطق الجنوب حاليًا، على أنها قبائل يمنية ويُطلقون عليهم مُسمى أهل اليمن أو مُصطلح (لحوج)، حيث كانوا ينسبونهم إلى بلاد اليمن السعيد، ولكن في بداية القرن التاسع عشر ومن خلال التخطيط والدعم الإنجليزي لعبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، الذي نجح في ضم تلك المناطق الجبلية الشاسعة لمملكته، ومن ثم ظهور البترول أصبحت تلك القبائل اليمنية العتيدة تنتسب للسعودية، ويحمل أفرادها اللقب السعودي دون مواربة، بل استغلهم آل سعود أبشع استغلال خاصة في سلك الجيش والشرطة وجهاز المباحث. ويبدو أن آل**

سعود كانوا يتشاءمون كثيرًا من سكان تلك المناطق الوعرة لأنهم يخشون سطوتهم وقوة بأس رجالهم،حيث زرع المكرمي في قلوب آل سعود والوهابيين الرعب والوجل، كيف لا وقد شاهدوا كبيرهم الذي علّمهم الوهابية، محمد بن عبد الوهاب وهو خائف ومُرتعب ومُتشاءم من لقاء هؤلاء القوم القلة الواثقين بأنفسهم، وقد حذر عبد العزيز من مغبة مواجهتهم، وربما كان سعود أيضًا هو الآخر يخشى مواجهة هؤلاء النجرانيين فكان يتحاشاهم حتى بعد موت المكرمي، حيث يذكر ابن غنام حادثة طريفة في هذا الشأن، قد تدل على رعب ووجل سعود من بأس هؤلاء اليمنيين كما يصفهم ابن غنام، حيث عاد سعود أدراجه حينما شاهد فرسان ظنهم من أهل اليمن، واتضح لاحقًا أنهم من قبيلة السهول الموالون له، وعن تلك الحادثة يقول ابن غنام:

« ثم غزا بالمُسلمين يطلب جماعة من أهل اليمن فأدركهم في أرض "الرويضة" ورئيسهم في قصر هناك، فأخذه سعود وقتله. ثم أغارت خيول المُسلمين على أولئك الأعراب فولوا مُنهزمين، فلحقهم المسلمون. ولكن الله شاء أن تطلع في تلك الساعة فرسان كثيرة من قبيلة "السهول" وكانوا داخلين في الإسلام ومُعاهدين للمُسلمين، ولكن سعودًا لم يعرفهم حين طلعوا عليه فرجع عن أهل اليمن. ولم يعرف السهول المُسلمين إلا وهم مدبرون فندموا على ما فعلوا».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

- **غزوات عبد الله بن فيصل بن تركي على قبيلة العجمان :**

وسنرى هنا كيف أن قبيلة العجمان قد أصبحت قوة شرسة مُهابة الجانب ولا يُستهان بها، حيث سببوا القلق والأرق لفيصل بن تركي مما دفعه إلى إرسال حملات عسكرية متعددة للبطش بأبناء تلك القبيلة، وقد اتخذ العجمان من صحراء الكويت كملاذ آمن لهم بسبب ملاحقات عبد الله بن فيصل لهم، وكان فيصل بن تركي قد أعدم أحد شيوخ العجمان وهو الشيخ فلاح بن حثلين الذي قيل إنهُ هاجم قافلة للحجيج وسلبهم أموالهم، فأمسك به فيصل بن تركي وأرسله إلى الأحساء مُقيدًا، ثم طافوا به في الأسواق في بلد الأحساء وضربوا عنقه هناك. وهو الأمر الذي دفع ولده لاحقا الشيخ راكان بن حثلين إلى محاولة الانتقام والاقتصاص لمقتل والده، مما اضطر فيصل بن تركي في فترة ما يُسمى بالأسرة السعودية الثانية، لأن يُجيش أغلب القبائل ويستنفر الجموع لكي يغزو تلك القبيلة المُتمردة على سلطة آل سعود، ويبدو أن العجمان في ذلك الوقت باتوا يواجهون قوة كبيرة وتحالف ضخم يفوق طاقتهم ولا قبل لهم به، ولهذا تعرضت قبيلة العجمان لعدة هزائم متتالية على يد عبد الله بن فيصل، وكانت حملات ابن سعود مكونة من مجاميع من القبائل الكثيرة والكبيرة جعلها تتحالف تحت رايته ضد قبيلة العجمان، هي شبيهة بتلك التحالفات الدولية الحالية التي تستنفر ضد دول العالم الثالث لغرض احتلالها أو كسر شوكتها. ويبدو أن العجمان في تلك الفترة قد وصلوا لمرحلة من القوة والاعتداد بالنفس وصل إلى حد الغرور بحيث باتوا لا يأبهون بأي غزو يتهددهم، وقد انقطعت علاقاتهم مع أبناء عمومتهم في نجران، ولم يعودوا بحاجة للتحالف مع بقية القبائل الأخرى بل أنهم لم يتحالفوا حتى مع أبناء عمومتهم القريبين منهم كقبيلة بني مرة، مما جعلهم لقمة سائغة لفيصل بن تركي وولده عبد الله، حيث أرسل فيصل ولده عبد الله في عدة غزوات للقضاء على تمرد قبيلة العجمان مُستخدمًا القوة والبذل ومُستغلاً تضحيات ودماء بقية القبائل البدوية الأخرى في جزيرة العرب.

وعن تلك الفترة القلقة والمليئة بالأحداث يذكر لنا المؤرخ النجدي إبراهيم بن صالح بن عيسى بعض لمحات من تلك الغزوات في الكتاب الذي طلب منه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود شخصيًا أن يدونه، والذي حمل عنوان (عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر)، علمًا أن هذا الرجل ليس أهلاً بالثقة أيضًا في مسألة الرواية والتوثيق والنقل المُحايد، وذلك بسبب إسرافه الكثير في المدح والتزكية لـ فيصل بن تركي بن سعود، وكذلك إطرائه وتبجيله لولده عبد الله بن فيصل ربما تزلفًا وتملقًا منه لحفيد فيصل الذي كان مُعاصرًا للمؤلف وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل، ومن ثم إغراقه في أسلوب التطبيل والتزمير المفضوح لآل سعود جميعهم، حتى تفوق بنفاقه وتزلفه على سابقيه حسين بن غنام، وعثمان بن بشر بمراحل كبيرة! لكن وجوب النقل هنا جاء لغرض آخر، وهو أن إبراهيم بن عيسى هذا كان مؤرخًا خاصًا بعبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، وعليه فأنا أنقل هنا وجهة النظر المُستقاة أصلاً من رأي آل سعود ومؤرخيهم في قبيلة العجمان وغيرها من القبائل والأسر التي كانت حاكمة، وأيضًا سنرى من خلال سرده كيف أن عبد الله بن فيصل قد هاجم قبيلة العجمان عدة مرات كانت إحداها في منتصف شهر رمضان تقريبًا وقتل منهم حوالي الـ ٧٠٠ عجمي، ومن ثم زفَّ بشرى مقتلهم إلى والده فيصل! ولهذا فقد وجدت أن من المُهم أن أنقل ما ذكره ابن عيسى، لأنني أعتقد جازمًا أن كُره وحقد آل سعود على قبيلة العجمان تحديدًا لا يُضاهيه كره إلا لقبيلة الظفير وربما لقبيلة شمر، وعليه فمن المُفيد جدًا أن يطلع أبناء تلك القبائل التابعة والخانعة والمُستخذية من قبل آل سعود، على وجهة نظر آل سعود فيهم وفي قبائلهم، خصوصًا أن تلك الفترة الزمنية لم تكن بعيدة كثيرًا، وسنأتي لاحقًا إلى معارك عبد العزيز مع قبيلة العجمان، في الكتاب القادم بإذن الله، وسأتطرق إلى أحداث معركة كنزان التاريخية.. ولكن أولاً لنقرأ ما كتبه مؤرخ عبد العزيز إبراهيم بن عيسى عن قبيلة العجمان، حيث يقول في كتابه:

«(ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٦هـ) وفي هذه السنة أظهرت بادية العجمان العصيان والمُحاربة للمُسلمين، وهم من همدان من قحطان ينتسبون إلى مذكر بن يام بن أصبا بن رافع ابن مالك بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان كما هو معروف في كتب الأنساب، وهم قبيلة سوء وأهل مكر وغدر وخبث وكانت مساكنهم فيما مضى من قبائلهم في نجران ثم ساروا إلى نجد ولم يكن لهم ذلك الوقت قوة يمتنعون بها، فكانوا يُحالفون العربان وينزلون معهم،ولمَّا كان في أيام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، صار رؤسائهم يحضرون عنده، ويتملقون عنده بالكلام، وكانت لهم ألسن حداد، فبذل فيهم الإحسان، وجمعهم على رئيسهم فلاح بن حثلين، وبذل فيهم العطاء، وأنزلهم ديرة بني خالد، فصار لهم بعد ذلك شوكة عظيمة، فعظم أمرهم، ولما تولى "الإمام" فيصل عاملهم بالإحسان، ثم إنهم أبطرتهم النعمة، فأنه لما كانت السنة الحادية والستين ومائتين وألف خرج حاج كثير من أهل الأحساء، وأهل فارس، والبحرين، وغيرهم، وأخذوا معهم حزام بن حثلين رفيقًا، فرصد لهم أخوه فلاح بمن معه من العجمان، بالقرب من الدهناء، واستأصل ذلك الحاج أخذا، ومعهم من الأموال ما لا يُعد ولا يُحصى، وهلك من الحاج خلق كثير عطشًا، فلا جرم أن الله لم يُمهل فلاح بن حثلين بعد هذه الفعلة الشنيعة، بل عجل له العقوبة، فإن "الإمام" فيصل بن تركي ظفر به في السنة التي بعدها – أعني سنة اثنتين وستين ومائتين وألف – وقيده وأرسله إلى الأحساء مُقيدًا، وطيف به في الأسواق في بلد الأحساء، ثم ضربت عنقه هناك، وصار ابنه راكان رئيسًا بعده على العجمان، وجعل يكتب إلى "الإمام" فيصل، ويتودد له، ويطلب منه العوض في أبيه، ويردد إليه الرُسل، ويطلب منه العفو، وأرسل إلى "الإمام" هدايا كثيرة من الخيل والركاب، ومازال كذلك حتى صفح عنه "الإمام"، وحضر بين يديه، وبايعه على السمع والطاعة، ثم بعد ذلك عظم أمره، وصار أشر من أبيه، فلما كان في هذه السنة أغار على إبل "الإمام" فيصل، وأخذ منها طرفا، ثم ارتحل بعدها من ديرة بني خالد، هو

ومن معه من العربان، إلى جهة الشمال، ونزلوا الصبيحية (الصباحية) الماء المعروف بالقرب من الكويت. ولما كان في شعبان أمر "الإمام" على جميع رعاياه من البادية والحاضرة بالجهاد، وأمر على ابنه عبد الله أن يسير بجنود المُسلمين لقتال عدوهم، فخرج عبد الله من الرياض في أخر شعبان من السنة المذكورة بغزو أهل الرياض، والخرج، والجنوب، واستنفر من حوله من البادية، من سبيع والسهول وقحطان، وكان واعد غزو أهل الوشم وسدير والمحمل عند "الدجاني" الماء المعروف، فلما وصل إليه وجدهم قد اجتمعوا هناك، فأقام هنالك ثلاثة أيام، ثم ارتحل منه واستنفر عربان مطير، فتبعه منهم جمع غفير وقصدوا الوفرا (الوفرة) الماء المعروف وعليها عربان من العجمان فهجدهم بياتًا وأخذهم، وانهزمت شرائدهم إلى الصبيحية وعليها آل سليمان وابن سريحه من العجمان، ثم ارتحل عبد الله من الوفرا وصبح العربان المذكورين على الصبيحية وأخذهم وانهزمت شرائدهم ونزلوا على ابن حثلين ومن معه من العربان، وهم على الجهرا (الجهراء)، ثم ارتحل عبد الله ونزل على "ملح" فقام رؤساء العجمان، وشجع بعضهم بعضًا، وعمدوا إلى سبعة جمال، وجعلوا عليهن الهوادج، وأركبوا في كل هودج من تلك الهوادج بنتًا جميلة من بنات الرؤساء، مُحلاة بالزينة. واستصحاب النساء الخرائد في وسط جموع الحرب عادة جاهلية بقيت إلى الآن، لأجل أن يُشجعن الفتيان، وينخن الفرسان والشجعان، فإن الفتيان والفرسان تدُب فيهم النخوة والغيرة، والحمية عن العار، فيُقاتلون العدو قتال المُتهالك، ثم قاموا إلى الإبل، فقرنوها ثم ساقوها أمامهم، وتوجهوا لقتال عبد الله ومن معه من جنود المُسلمين، وحصل بين الفريقين قتال شديد، يشيب من هوله الوليد، فانهزم العجمان هزيمة شنيعة، لا يلوي أحد منهم على أحد، فتركوا الهوادج والإبل، وجميع أموالهم، وقُتل منهم نحو سبعمائة رجل، وغنم المسلمون منهم من الأموال ما لا يُعد ولا يُحصى، وكانت هذه الوقعة في اليوم السابع عشر من رمضان من السنة المذكورة، وانهزمت شرائدهم إلى الكويت، وأقام عبد الله بمن معه من

الجنود على الجهرا مدة أيام، وأرسل البشارة إلى أبيه، وإلى بلدان المُسلمين، فحصل لهم بذلك الفرح والسرور، وانشرحت منهم الصدور، ولما وصل خبر هذه الوقعة إلى الزبير والبصرة سروا بذلك، لأن العجمان قد أكثروا من الغارات على أطرافهم، وأرسل باشا البصرة إلى عبد الله بن فيصل هدايا كثيرة، بصحبة النقيب محمد سعيد، وأرسل إليه رئيس بلد الزبير سليمان بن عبد الرزاق بن زهير هدية سَنية.

(ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائتين والألف ١٢٧٧هـ): وفيها اجتمع رؤساء العجمان وتشاوروا في أمرهم، فأجتمع أمرهم على المسير إلى عربان المنتفق فتوجهوا إليهم ونزلوا معهم، وتحالف رؤسائهم ورؤساء المنتفق على التعاون والتآصر على كل من قصدهم بحرب، وعلى مُحاربة أهل نجد من البادية والحاضرة، إلا من دخل تحت طاعتهم منهم. وسارت ركبانهم، وتتابعت الإغارات على أطراف الأحساء وعلى أهل نجد». [۞] - انتهى الاقتباس -

وسنلاحظ أن العداء لقبيلة العجمان قد تأصل كثيرًا أثناء تولي عبد الله بن فيصل للحكم بعد وفاة والده، فقد ازدادت هجمات عبد الله شراسةً في غزو ديار العجمان وقد هزمهم في معركة حاسمة قرب مدينة الجهراء في الكويت، فشتت شملهم وقام لاحقًا بحبسهم وإحراق منازلهم، وقد أصبح عبد الله بن فيصل من ألد أعداء العجمان، ولهذا سنرى لاحقًا كيف كان للعجمان الدور الرئيس في القضاء عليه وإسقاط إمارته، حيث انضم العجمان إلى طرف أخيه المُتمرد سعود بن فيصل وأصبحوا هم قوته الضاربة، ويعتقد أن سعود هذا هو من توجه بنفسه راغبًا إلى قبيلة العجمان أعداء أبيه وأخيه بعد أن يئس من الحصول على حلفاء، فاستغل عداءهم الشديد وثأرهم القديم مع أخيه عبد الله فجير عداءهم ونقمتهم لصالحه في سبيل التخلص من إمارة أخيه عبد الله،

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف : إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

والعجمان هم أيضًا قد عانوا الأمرين من ظلم وبطش عبد الله بن فيصل، فوجدوا ضالتهم في مؤازرة أخيه المتمرد سعود، ومن خلاله استطاعوا أن يثأروا لأنفسهم ويقتصوا لهزائمهم السابقة ليس من عبد الله بن فيصل فحسب بل من جميع القبائل البدوية الأخرى ومن سكان البلدات والقرى النجدية الذين عاونوا عبد الله بن فيصل وشاركوه في غزوا العجمان وتشريدهم ونهب أموالهم وحلالهم في المعارك السابقة.

وعن تلك الغزوات والمعارك الطاحنة والحوادث المُتكررة التي وقعت بين عبد الله بن فيصل من جهة وقبيلة العجمان من جهة أخرى، يذكر إبراهيم بن صالح بن عيسى في كتابه "عقد الدرر"، (مع التذكير أن روايات ابن عيسى ليست مُحايدة لأنهُ يميل بشدة إلى طرف عبد الله بن فيصل)، فيقول:

«ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائتين والألف: ولما جاءت الأخبار إلى الإمام فيصل، بمسير العجمان ومن معهم من عربان المُنتفق إلى أرض الكويت، وإن قصدهم المُحاربة للمسلمين أمر على جميع الرعايا من المُسلمين من البادية والحاضرة بالجهاد، وأوعدهم الحفنة الخبراء المعروفة في العرمة. ولما كان أخر شعبان من هذه السنة أمر فيصل ابنه عبد الله، أن يسير بجنود المُسلمين لقتال عدوهم، فخرج عبد الله المذكور من الرياض ومعه أهل الرياض، والخرج، وضرما والجنوب وعربان الرياض من سبيع والسهول، وتوجه إلى الحفنة ونزل عليها أيامًا، إلى أن اجتمعت عليه جنود المُسلمين، ثم ارتحل منها وتوجه إلى الوفراء فلما وصل هناك قدم عليه غزو عربان مطير وبني هاجر ثم ارتحل منها، وحث السير، وعدا على العجمان ومن معهم من المنتفق وهم على الجهراء القرية المعروفة بالقرب من الكويت، وكان النذير قد جاءهم بمسير عبد الله بن فيصل إليهم بجنود المُسلمين، وقد استعدوا للقتال وظنوا أنهم لمن حاربهم سيغلبون، وأنهم لمن عاداهم من الناس سيقهرون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وأرسلوا إلى من حولهم

من العربان ليحضروا عندهم. فلما جاءتهم الأخبار تداعوا إلى النصرة أفواجًا وتعاهدوا على الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود، وجاءوا بالنساء والأولاد والأموال فنزلوا على تلك الأشرار وقاموا يعرضون ويغنون، وأقبل عليهم المُسلمون وهم على تعبئة يهللون ويكبرون، فلما رأوهم فرحوا واستبشروا بقدومهم عليهم وجزموا أنهم لهم غنيمة قد سيقت إليهم وقالوا: أيظن عبد الله الفيصل أننا مثل من لقي من عربان نجد ألم يعلم أننا لظى الخطوب ونار الوغى والحروب لنا والهيجاء هي المراد والمُنى، ونحن لها وهي لنا، وسيعلم ذلك ويُعاين ويدري من هو عليه كائن. فلما قرب المُسلمون منهم نزلوا، فحين نزلوا ابتدرهم أولئك الطغاة وحملوا على أهل الإسلام حملة ليس وراءها مزيدٌ وظنوا أنهم مهما شردوا عليهم وشردوهم أعظم تشريدٍ وبددوهم أقبح تبديدٍ. فنهض إليهم المُسلمون وصدقوهم القتال وتجالدت الأبطال وصبر الفريقان وحمى الوطيس وصارت الهزيمة على العجمان ومن معهم من العربان لا يلوي أحد على أحد ولا والد على ولد وتبعهم المسلمون بالقتل وألجأهم المُسلمون إلى البحر وهو جازر فدخلوا فيه ووقف المُسلمون على ساحل البحر فمد البحر على من فيه من العجمان وأتباعهم فأغرقهم، وهم نحو ألف ومائة رجلٍ وقتل منهم خلائق كثيرةٌ، وغنم المُسلمون منهم من الأموال ما لا يُعد ولا يُحصى، وذلك في اليوم الخامس عشر من رمضان من السنة المذكورة. ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائتين والألف: وفيها أمر الإمام عبد الله بن فيصل على عمه عبد الله بن تركي بالمسير إلى الأحساء وأمره أن يحبس كل من ظفر به هناك من بادية العجمان، وأن يحرق بيوتهم التي في الرقيقة. فسار عبد الله المذكور في سرية من أهل الرياض والوشم وسدير. ولما وصل إلى الأحساء قبض على من وجده من العجمان هناك وحبسهم وأحرق البيوت والعشاش والصرائف التي لهم في الرقيقة».۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف : إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

▪ **التجاء سعود بن فيصل بن تركي بن سعود إلى مكرمي نجران الإسماعيلي !**

إن الصراع بين أفراد آل سعود فيما يُسمى الأسرة السعودية الثانية لم ينتهي، فما أن يخفت قليلاً حتى يعود مُستعرًا من جديد، فبعد وفاة فيصل بن تركي حدث شقاق كبير بين أبنائه، إذ خرج سعود بن فيصل عن طاعة أخيه الأكبر الذي عُين بعد وفاة فيصل كحاكم وإمام على الرياض، وقد قرَّر سعود خلعه بالقوة، وهنا تبرز شدة التنافس بين آل سعود أنفسهم على تولي زمام السلطة، ومن يقرأ ما كتبه مؤرخ عبد العزيز الخاص، المدعو ابن عيسى، عن حكاية فرار سعود ومن ثم التجائه إلى مكرمي نجران، فسوف لن يعجب قط إذا ما علم أن سعود بن فيصل هذا قد جيَّش الجيوش عدة مرات لمحاربة وقتال شقيقيه عبد الله ومحمد أبناء فيصل، ولكن تلك الحادثة تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك مقدار النفاق الديني الذي يتميز به آل سعود أدعياء السلفية المزعومة.

فآل سعود الوهابيون لطالما كفَّروا مكرمي نجران ومذهبه الإسماعيلي، لكنهم لا يجدون غضاضة في الاستنصار والتعاون مع مكارمة نجران إذا ما تعلق الأمر بالحصول على السلطة والنفوذ، وحينها توضع الوهابية في "الخِرج" كما يُقول البدو، والغريب أن جدَّ سعود بن فيصل الأول سبق وأن خاض قتالاً مريرًا مع جد هذا المكرمي، لكنهُ الآن يلجأ إليه وهو صاغر بعد أن ضاقت به السُبل، وعليه فإن الميكافيلية "السعوهابية" قديمة وفوق كل شيء.

حيث حاول سعود بن فيصل أولاً أن يستميل رئيس بلدان عسير محمد بن عايض إليه ويحرِّضه ضد شقيقه عبد الله، لكنه لم يستطع كسبه إلى جانبه، بسبب رفض الأخير التدخل في الشؤون الداخلية للإخوة، وعندما فشل سعود ذهب يطلب العون والنجدة من قبل السيد المكرمي.

وعن ذلك اللجوء والتعاون بين سعود بن فيصل بن تركي بن سعود، وبين مكرمي نجران أو السيد كما كان يُطلق عليه سابقًا، يذكر لنا المؤرخ إبراهيم بن عيسى قائلاً:

«(ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائتين والألف ١٢٨٣هـ): وفي هذه السنة خرج سعود بن فيصل من الرياض مُغاضبًا لأخيه عبد الله، إلى محمد بن عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير، فقدم عليه وأقام عنده مدة، وطلب منه النصرة، ولما علم "الإمام" عبد الله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض المذكور، أرسل إلى ابن عائض بهدية بصحبة الشيخ حسين بن حمد بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ سعد بن ربيعة، وكتب إليه بأن خروج سعود من الرياض من غير سبب يوجب ذلك، وأن مراده قطيعة الرحم والشقاق، وكتب إلى سعود يأمره بالقدوم إليه وأنهُ يُعطيه ما طلب، فأبى سعود أن يرجع إليه، وأقام الشيخ حسين وسعد بن ربيعة هناك مدة أيام، وقد أكرمهما محمد بن عائض غاية الإكرام، ولما يئسا من رجوع سعود طلبا من أبي مرعي الإذن بالرجوع، فكساهما وأعطاهما عطاءً، وأذن لهما بالرجوع، وأرسل معهما هدية جليلة "للإمام" عبد الله بن فيصل ورسالة إليه. على أن سعود بن فيصل قدم علينا وطلب منا المُساعدة والقيام معه، فلم نوافقه على ذلك وأشرنا عليه بالرجوع وترك الشقاق فلم يقبل، ولما تحقق سعود من ابن مرعي عدم المُساعدة له خرج من عنده وتوجه إلى نجران، ونزل على رئيس نجران المُسمى السيد (المكرمي)، وأقام عنده وطلب منه النصرة فأجابه إلى ذلك، وقدم على سعود في نجران فيصل المرضف من شيوخ آل مرة وعلي بن سريعة من شيوخ آل شامر، وكتب مبارك بن روية رئيس السليل بأمره بالقدوم عليه، وبعده القيام معه والنصرة له، واجتمع على سعود بن فيصل خلائق كثيرة من يام وأمده رئيس نجران بمال، وأرسل معه اثنين من أولاده، وخلقًا كثيرًا من جنده وأتباعه، فسار سعود بمن معه من الجنود، فقدموا على مبارك بن روية في السليل، ولما وصل الخبر بذلك إلى "الإمام" عبد الله بن فيصل أمر على غزو أهل سدير والمحمل أن يقدموا عليه في بلد الرياض، فتجهزوا وقدموا عليه، ثم أمر على أخيه محمد بتلك الجنود،

فالتقى الجمعان في المعتلا [•]، وصارت بينهم وقعة شديدة، وصارت الهزيمة على سعود وأتباعه، وقُتل منهم عدة رجال، منهم: علي بن سريعة، وأبناء رئيس نجران، وجرح سعود جراحات كثيرة في يديه، وفي سائر بدنه، وحصل في يديه عيب شديد وسار مع عربان آل مرة إلى جهة الأحساء، وقُتل من أتباع محمد بن فيصل عدة رجال، منهم: عبد الله بن حمد آل مبارك أمير بلد حريملاء، وعبد الله بن تركي بن ماضي من رؤساء روضة سدير، ثم قفل محمد بن فيصل بعد هذه الوقعة إلى بلد الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم. وأما سعود بن فيصل فإنهُ أقام عند آل مرة إلى أن برئت جراحه، ثم سار إلى عُمان وأقام هناك.

(ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائتين والألف ١٢٨٥هـ): وفيها أمر "الإمام" عبد الله بن فيصل على جميع بلدان المُسلمين بالجهاد، وخرج من الرياض يوم خامس عشر، فنزل على بنبان واستحق غزو أهل البلدان والعربان. فلما اجتمعوا هناك سار بهم إلى وادي الدواسر، وأقام هناك نحو شهرين، وأخذ منهم أموالاً كثيرة، وهدم بيوتًا وقطع نخيلاً لقيامهم مع سعود كما تقدم. ثم قفل راجعًا إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

[•] المُعتلا: (بضم الميم وسكون العين وفتح التاء ثم لام مفتوحة ممدودة) ضاحية من ضواحي وادي الدواسر، وقد عُرفت هذه الوقعة بسنة المعتلا لوقوعها عند هذا المكان.

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف : إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.




# أصل آل سعود والخلاف الكبير حول صحة نسبهم

## ▪ الروايات المُتداولة عن الأصول العِرقية لآل سعود :

يجب التنويه أولاً أن الخوض في مسألة الأصول والمنابت والجذور ليست ذات أهمية أو تأثير على مكانة أو مصير المرء، فيما لو كان الإنسان تقيًا نقيًا عادلاً حافظًا لحقوق الناس ومُحافظًا على دينه وعلى شرفه وكرامته، فالأصل والنسب لا يُقدم ولا يؤخر في إيمان وتُقى المُسلم، ولو كان الأصل والفصل هو المُقياس في الدنيا لما تآمر عبد العزى بن عبد المُطلب ـ أبو لهب ـ وهو عمّ الرسول ﷺ؛ على الإسلام وعلى الرسالة النبوية. والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى ).

لكن البحث والتنقيب هنا عن أصول آل سعود العرقية هو لغرض المعرفة والعلم بالشيء ولأنهُ مُكمل لموضوع الكتاب، فالقارئ سوف يتساءل عن أصل وفصل تلك الأسرة السعودية الطاغية التي حكمت نجد لعقود ثم استولت بمساعدة الإنجليز على كامل تراب بلاد الحرمين الشريفين.

ما بالك وأن هؤلاء القوم يحتقرون ويُعيرون فئات كثيرة من أبناء هذا الشعب المغلوب على أمره، فينعتوا بعضهم بأنهم مُجرد أجناس غير أصيلة ومن تبقى ما هم إلا "طروش بحر" كما يصفونهم، حتى أنهم مسخوا الشعب بأكمله بمُسمى "السعوديين" نسبة إلى جدهم الذي سرق حجرة النبي ﷺ المدعو سعود بن عبد العزيز، ولهذا فمن حق أي مواطن مُسعود رغمًا عنه أن يعرف أصل ذلك الاسم السعودي الذي دمغ به.

وعليه كان لزامًا على أبناء هذا الشعب الكريم أن يعرفوا أصول تلك الأسرة السعودية التي تحكمهم وتُصنفهم مراتب ودرجات حسب أهوائها، وتقسمهم وفق الجنس والمنطقة، وأعترف أن مسألة البحث والتنقيب عن أصول آل سعود هي مهمة شاقة وصعبة جدًا، وهي شبيهة بعملية البحث عن أصول

أولئك الذين ينتقص منهم آل سعود، ولهذا لا يُمكن الوصول إلى نتيجة حتمية إلا من خلال المُختبرات الطبية الحديثة وتحليل مادة الـ دي أن أي - (DNA) الخاصة بهم ومُقارنتها ببقية الأصول والمنابت.
ولهذا سوف لن أتوسع كثيرًا في طرق هذا الموضوع غير المحسوم أصلاً، وسأترك هذا الملف مفتوحًا إلى أن يستقر آل سعود أنفسهم في الثبات على أصل مُعين واحد يتفقون عليه جميعهم، وكما قلت؛ فإن النسب لن يُقدِّم أو يؤخِّر في النتيجة، سوى زيادة في المعرفة والعلم بالشيء لا أكثر ولا أقل.

فلدينا عدة آراء وروايات حول الأصل العرقي لآل سعود، فبعض المؤرخين نسبهم إلى فخذ المصليخ من قبيلة عنزة، والبعض الآخر أرجعهم إلى قبيلة بنو حنيفة البائدة أو المُندثرة، وهنالك من زعم أنهم من بني تميم، وآخرين أرجعوهم إلى أصول يهودية وأن جدهم مرخان أو (مردخان) كان قد اعتنق الإسلام تقية وادعاء زائفًا، لغرض السيطرة والتمكين.
وأنا شخصيًا لا أستطيع أن أجزم من أين ألقت بهم الرياح على أرض جزيرة العرب، ولا من أي فج جاء مردخان هذا، ولكن علينا أن نورد ما ذكره مؤرخو آل سعود وغيرهم عن ذلك النسب السعودي المجهول، لكي يعلم القارئ أن نسب آل سعود عليه خلاف واختلاف منذ زمن طويل.

فالمؤرخ النجدي الفاخري مثلاً يذكر لنا نبذة مقتضبة جدًا عن أصل آل سعود، يقول: «في سنة ٨٥٠هـ اشترى حسن بن طوق جد آل معمر العيينة من آل يزيد الحنيفيين. أهل الوصيل والنعيمة من ذريتهم آل دغيثر ورحل من ملهم ونزلها وعمرها وتداولتها ذريته من بعده. وفيها قدم مانع بن ربيعة المريدي على ابن درع صاحب حجر والجزعة من بلده القديمة وهي الدرعية التي عند القطيف، وهو من قبيلته، فأعطاه المليبيد وغصيبة المعروفة فنزلها وعمرها، واتسعت العمارة فيها والغرس في نواحيها، وعمرتها ذريته من بعده وجيرانهم».[۞]

---

[۞] كتاب : تاريخ الفاخري \ تأليف: محمد بن عمر الفاخري ( ت١٢٧٧هـ).

أما المؤرخ النجدي عثمان بن بشر فينقل لنا رواية قريبة من رواية الفاخري ولكن فيها بعض التفصيل حيث يزعم أن جد آل سعود الأول ويُدعى "ربيعة" كان قد قدم إلى اليمامة من منطقة القطيف ومن قرية تُدعى الدرعية، وذلك بعد أن تراسل مع ابن درع صاحب الحجر لغرض القدوم إلى صاحب الحجر، ثم منحه ابن درع أرض المليبد وغصيبة، ولكن سرعان ما تمرد أجداد آل سعود على آل يزيد حيث ناشبهم العداء ربيعة ثم قام ولده موسى وغدر بأبيه ربيعة وكاد أن يقضي عليه وجرحه بعدة جروح وهرب، ثم غدر موسى بآل يزيد الذين كانوا من بني حنيفة حسب ما يذكر الفاخري، وقد قتلهم وشتت شملهم كما يقول ابن بشر، وهذا دليل على آل سعود لم يكونوا من بني حنيفة وإلا لقال الفاخري وابن بشر أن جد آل سعود موسى قد قتل وشرد أبناء عمومته آل زيد الحنيفيين.

والغريب أن ابن بشر مرةً يذكر أن الذي قدم من القطيف هو ربيعة بن مانع، ثم يعود في نفس الصفحة فيذكر أن الذي قدم من القطيف هو مانع بن ربيعة، بينما الفاخري يؤكد أن من قدم من القطيف هو مانع وليس ربيعة، إلا أنهما متفقين أن جدهم قد أتى من القطيف.

إذن تلك الروايات التي ذكرها أتباع آل سعود ليست رصينة وفيها تملق ومُحاباة واضحة لآل سعود.

وعن بدايات آل سعود يذكر ابن بشر:

« وفي سنة خمسين وثمانمائة اشترى حسن بن طوق جد آل معمر (أهل العيينة) من آل يزيد أهل (الوصيل) و(النعمية) الذين من ذريتهم آل دغيثر اليوم وكان مسكن حسن ملهم، فانتقل منه إليها واستوطنها وعمرها، وتداولتها ذريته من بعده، والوصيل المذكور موضعان معروفان في الوادي أعلى الدرعية. وفيها قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديمة المُسماة بالدرعية عند القطيف، قدم منها على بن درع صاحب (حجر، والجزعة) المعروفين

قرب الرياض. وكان من عشيرته، فأعطاه ابن درع (المليبد، وغصيبه) المعروفين في الدرعية. فنزل ذلك وعمره واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها. وعمروها ذريته من بعده وجيرانهم، وذكر أن مانع المذكور كان مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف. ثم أنه تراسل هو ورئيس دروع حجر اليمامة بنو عم دروع القطيف لما بينهم من المراحمة، فأستخرج مانعًا من القطيف، فأتاه في حجر وأعطاه المليبد وغصيبه المذكورين وهما من نواحي ملكهم فاستقروا فيها هو وبنوه وما فوق غصيبه لآل يزيد الحنفيين إلى دون الجبيلة، ومن الجبيلة إلى (الأبكين) إلى موضع حريملا لحسن بن طوق جد آل معمر. ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه وحارب آل يزيد. ثم بعد ذلك ظهر ابنه موسى وصار أشهر من أبيه، وأستولى على المُلك في حياة والده، واحتال على قتل أبيه ربيعة فجرحه جراحات كثيرة وهرب إلى حمد بن حسن بن طوق رئيس العيينة، فأجاره وأكرمه لأجل معروف سابق له عليه، ثم أن موسى سطا بالمزايدة وجميع الموالفة على آل يزيد في النعمية والوصيل، وقتل منهم في ذلك الصباح ثمانون رجلاً وتشتتوا آل يزيد ولم تقم لهم قائمة». ۞

أما الرحالة السويسري/ البريطاني بوركهارت فيبدو أنهُ استقى معلومات مُشتتة من قبل بعض البدو الذي يلتقي بهم في رحلاته، فيذكر أن حمولة مقرن هم المصاليخ، ومجرن أو مقرن هم من قبيلة عنزة، وعليه فهو ينسب آل سعود إلى حمولة مقرن من عنزة، حيث يقول:

« أما عائلة سعود المؤسس السياسي لحكومة الوهابيين، فهو من عشيرة المصاليخ التي هي فخذ من قبيلة ولد علي من عنزة. وتسمى حمولة المصاليخ باسم "مقرن"، وكما يلفظه البدو أيضًا: مجرن، وهو الفخذ الذي ينتمي إليه (محمد بن) سعود الذي استقر في الدرعية، وأكتسب التأثير هناك،

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

حيث التقى مع محمد عبد الوهاب في توجّهه الديني وقصده إليهم. وقد كان محمد بن سعود أول من أطلق على نفسه لقب أمير، رغم أن قوته لا زالت قليلة وخافتة آنئذ، حيث لم يكن سوى سبعة من الرّكب (الهجانة) عندما خاض مناوشة مع بعض أعدائه، وذلك حسبما هي الروايات المتناهية إلينا».۞

ويذكر لنا ضاري الفهيد حفيد الأمير عُبيد بن رشيد في نبذته أن مشاري بن عبد الرحمن ابن مشاري بن سعود حينما جاءه الأمير عبد الله بن رشيد ليخرجه من القصر بعد أن اغتال خاله تركي بن عبد الله بن سعود، فقال مشاري لعبد الله بن رشيد أنهم -أي المُتقاتلين- أبناء عمومة وكلاهما من قبيلة عنزة، فما دخلك أنت بيننا وأنت القحطاني؟ حيث يورد ضاري الفهيد فيقول:
« فتكلم مشاري لعبد الله بن رشيد وقال: أنت ما يدخلك في مسألتنا ونحن من عنزة وأنت من قحطان».۞۞

أما المؤرخ السوري منير العجلاني فهو يلمز ساخرًا من جهل آل سعود بنسبهم، وهو يُشكك في معرفتهم لأصولهم حيث يذكر في كتابه "تاريخ البلاد العربية السعودية" أن أمراء آل سعود يعتمدون بالقول إن نسبهم إلى قبيلة عنزة، من خلال مقولة استقوها من والدهم عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي كان مُعاصرًا للمؤرخ، فيقول العجلاني:
«كثيرًا من أمراء آل سعود إذا سألتهم عن نسبهم القبلي أجابوك أنهم عنزة، وربما ذكروا لك كلمة حفظوها عن الملك عبد العزيز تؤكد هذه النسبة».

أمَّا الأمير السعودي هذلول بن ناصر بن فيصل بن ثنيان آل سعود الذي أصدر كتابًا بعنوان: (تاريخ ملوك آل سعود)، والذي يعتبر نفسه مؤرخ آل سعود، فيقول إنهم يرجعون إلى قبيلة عنزة ، وهو هنا يؤكد ما ذهب إليه المؤرخ

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

۞۞ كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها وديع البستاني نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

السوري منير العجلاني، حيث يذكر في كتابه أنهم من "المساليخ" ـ كتبها هكذا بالسين ـ، فيقول هذلول:

«الحاكم الأول: سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي من قبيلة المساليخ من عنزة من وائل من بني جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وسعود هذا هو الذي تنسب إليه هذه الأسرة الكريمة. وكان سعود حاكمًا على بلدة الدرعية وتوابعها من القرى، ولا نعلم مقدار مدة حكمه ولكن التاريخ أثبت أنهُ توفي عام ١١٣٧هـ وقد خلَّف من الأولاد أربعة: الأول وهو أكبرهم: محمد، والثاني ثنيان، والثالث مشاري، والرابع فرحان».۞

أما أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز فيزعم أنهم أي (آل سعود) من بني حنيفة تلك القبيلة التي بادت واندثرت، حيث يقول في رسالة له:

« تناول المتحدثون نسب أسرة آل سعود وهنا من قال إنهم من تميم وذلك غير صحيح والذي يجمعهم مع تميم أنهم من نزار بن معد بن عدنان. وناقش البعض أن آل سعود من عنزة، ولاحظت أن هنا فهمًا خاطئًا حيال تحقيق نسب الأسرة وأن القصد هو نفي نسبتها إلى عنزة أو التشكيك في وائلية عنزة، وهذا غير صحيح. فآل سعود وفقًا للمصادر المحققة هم في الأصل من المردة من بني حنيفة من بكر بن وائل، وجدهم هو جديلة بن أسد أخو عنزة بن أسد الذي يجمعهم جد واحد هو ربيعة، وبذلك فإن عنزة هم أبناء عمومتهم».

ويُصر سلمان بن عبد العزيز على أن آل سعود هم من بنو حنيفة رغم أن تلك القبيلة قد بادت واضمحلت.

وعن أصل تسمية بنو حنيفة بهذا الاسم يذكر لنا ابن دُريد في كتابه "جمهرة اللغة" فيقول: « وبنو حنيفة: بطن من العرب، وإنما سمي حنيفة لأنه لقي جذيمة ، أبا حي من عبد القيس ، فضرب جذيمة حنيفة فحنف رجله ، وضربه

---

۞ كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.

**حنيفة فجذم يده، فسمي هذا حنيفة وسمي ذاك جذيمة. وبنو حنيف: بطن من العرب».[۞]**

**أما الواقدي فيُخالفه في التفسير ويُرجع سبب تسمية حنيفة إلى اعوجاج أو حنف في ساق أم بني حنيفة، ولهذا السبب حملوا ذلك الاسم نسبة إلى حنف رجل أمهم كما يزعم، حيث يقول: « وذكر الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس أي وبني سليم وغسان وبني محارب أي وفزارة وبني نضر ومرة وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح ردًا عليه من بنى حنيفة (أي وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذّاب وقيل لهم بنو حنيفة لأن أمهم قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها) وثقيف، أي ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف».[۞۞]**

**ويؤكد ابن سعيد الأندلسي فينقل عن ابن حزم قوله أن بنو حنيفة قد بادوا واندثروا ولم يبق لهم باقية في اليمامة، حيث يقول:**

**« تاريخ حنيفة بن لجيم بن صعب: كان بنو حنيفة أجل قدرًا من عجل لما حازوه من بلاد اليمامة، واستمر فيهم الملك المتوارث. وذكر ابن حزم أنه لبني حنيفة بطون كثيرة، ولكنها غير مشهورة، ولم يبق الآن لحنيفة باليمامة ولا غيرها باقية. وملوك اليمامة قوم من عرب قيس عيلان».[۞۞۞]**

**ويبدو أن حنيفة قد التحقت مع بكر وتنصلت أو تبرأت طائعة من مُسمى حنيفة الذي كان شؤمًا عليهم، بسبب الهزيمة النكراء التي لحقت بهم بعد حروب الردة، وأنتسب بنو حنيفة إلى لجيم دون ذكر اسم حنيفة لأن العرب كانت تعيرهم بمُسيلمة الكذاب، وتنعتهم بذلك حتى شعروا بالعار والشنار من مُسيلمة وحنيفة.**

---

[۞] كتاب : جمهرة اللغة \ تأليف: محمد بن الحسن بن دُريد أبو بكر.

[۞۞] كتاب : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون \ تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي.

[۞۞۞] كتاب : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب\ تأليف: علي بن سعيد الأندلسي.

وعليه فإن ادعاء سلمان بن عبد العزيز بأن آل سعود من بني حنيفة أمر فيه شك كبير، خصوصًا أن تلك القبيلة قد اضمحلت منذ قرون، ولم يبق من أبنائها أحد حيث انضم من بقي منهم مع البكريين.

ولهذا كثر اللغط في نسب آل سعود، وربما بسبب هذا الجهل والاختلاف الكبير لدى آل سعود في معرفة نسبهم الحقيقي، وبسبب صفات المكر والخديعة وسجايا آل سعود الخبيثة آثر البدو أن يطلقوا عليهم صفة اليهودية، فهنالك كثير من أهل البادية نسبوا آل سعود إلى أصول يهودية وقد شرقوا وغربوا في يهوديتهم، ولا يوجد لدينا دليل قاطع موثق على ما يتداول ويروى من حكايات شفهية، مع أن المثل الدارج يقول لا دخان بلا نار، إلا أن تعدد وتضارب الروايات تُضعف المصداقية أحيانًا، فمنهم من قال إن آل سعود هم من يهود الدونمة في تركيا؛ ولهذا كان البدو يُعيرونهم بأحفاد حمر الطرابيش، وأن جدهم كان يُدعى بـ"مُراد خان"، ولهذا كان البدو يطلقون على جد آل سعود بلهجتهم الدارجة اسم (مردخان)، والبعض الآخر قال إن آل سعود هُم من بقايا بنو قريضة وبنو قينقاع الذين أجلاهم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من خيبر، وهنالك من يرجع نسب آل سعود إلى يهود البصرة، كما ذكر الراحل ناصر السعيد في كتابه (تاريخ آل سعود)، ولكنه للأسف لم يستند إلى مصادر تاريخية ولا حتى إلى رواة مُحددين، حيث ذكر أن جد آل سعود المدعو مردخاي كان تاجرًا يهوديًا من تجار البصرة، وقد وثق علاقته مع عرب المصاليخ من عنزة، ثم انتقل معهم لاحقًا إلى المنطقة الشرقية ثم إلى نجد، ولكنه لم يستند إلى أي مصدر تاريخي في كتابه، حيث يقول ناصر السعيد: «في عام ٨٥١ هـ ذهب ركب من عشيرة المصاليخ من قبيلة عنزة لجلب الحبوب من العراق إلى نجد، وكان يرأس هذا الركب شخص اسمه سحمي بن هذلول، فمر ركب المصاليخ بالبصرة، وفي البصرة ذهب أفراد الركب لشراء حاجاتهم من تاجر حبوب يهودي اسمه "مردخاي بن إبراهيم بن

موشي". وأثناء مفاوضات البيع والشراء سألهم اليهودي تاجر الحبوب من أين أنتم؟ فأبلغوه أنهم من قبيلة عنزة من فخذ المصاليخ. وما كاد يسمع بهذا الاسم حتّى أخذ يعانق كل واحد منهم ويضمه إلى صدره في عملية تمثيلية قائلاً: إنه هو أيضًا من المصاليخ لكنه جاء للعراق منذ مدة واستقر به المطاف في البصرة لأسباب خصام وقعت بين والده وأفراد قبيلة عنزة، وما أن خلص من سرد أكذوبته هذه حتى أمر خدمه بتحميل جميع إبل أفراد العشيرة بالقمح والتمر والتمن "أي الرز العراقي" فطارت عقول المصاليخ لهذا الكرم وسرّوا سرورا عظيمًا لوجود ابن عم لهم في العراق بلاد الخير والقمح والتمر والتمن، وقد صدَّق المصاليخ قول اليهودي إنه ابن عم لهم خاصة وأنه تاجر حبوب القمح والتمر والتمن، وما أحوج البدو الجياع إلى ابن عم في العراق لديه تمر وقمح وتمن حتى ولو كان من بني صهيون. ثم وما لهم وأصله؟ فالأصل ما قد حصل، وما حصل هو التمر والقمح والتمن.... الخ».۞

ومن المُرجح أن يكون آل سعود (خضيرية) أي من بقايا موالي الأخيضريين الذين حكموا اليمامة لعدة قرون، حالهم حال الكثير من سُكان العارض المُعاصرين والذين يُطلق عليهم اليوم مُسمى الخضيرية. وحينما أقول إنهم ربما كانوا من موالي الأخيضريين وليس من نفس الأسرة الأخيضرية التي حكمت اليمامة وعاصمتها الخضرمة، لأن أسرة بنو الأخيضر قد اندثرت وبادت حسب ما يذكر المؤرخون العرب، ولم تذكر المُصادر أي عقب لبني الأخيضر باستثناء رواية ضعيفة ذكرها ابن خلدون قال فيها أن أخر من تبقى من نسل بني الأخيضر هو شخص يُدعى صالح بن عبد الله بن موسى، حيث أصبح ملكًا في غانة الأفريقية، حيث يقول ابن خلدون:
« ثم هلك وانفرد إسماعيل بملك اليمامة وكان له من الإخوة الحسن وصالح ومحمد بنو يوسف. فلما هلك إسماعيل ولي من بعده أخوه الحسن، وبعده ابنه

---

۞ كتاب : تاريخ آل سعود \ تأليف: ناصر السعيد.

أحمد بن الحسن. ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة وانقرض أمرهم والبقاء لله. وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البجر المحيط ملك بني صالح ذكرهم صاحب كتاب زجار في الجغرافيا. ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه. وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقب أبا الكرام ابن موسى الجون وإنه خرج أيام المأمون بخراسان وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة. ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحًا هذا بهذا النسب ولعله صالح الذي ذكرناه آنفًا في ولد يوسف بن محمد الأخيضر والله أعلم».۞

علمًا أن الأخيضريين هم أيضًا قد وجد من يُشكك بنسبهم لآل البيت من بعض النسابة، حيث ذكر ابن عنبة في كتابه "عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب" أنهم كانوا يجهلون أنسابهم، وكانوا يدعون بـ"بني يوسف"، حيث يقول ابن عنبة: «وقال الشيخ أبو عبد الله بن طباطبا الحسني: سألت أهل اليمامة من العلويين عن هذا البيت فلم يعرفه أحد منهم ولا ذكروا بقية لهم. حدثني الشيخ المولى السعيد العلامة النقيب تاج الدين أبو عبد الله محمد بن معية الحسني أن إبراهيم بن شعيب اليوسفي حدثه أن بني يوسف الأخيضر مع عامر وعايد نحو من ألف فارس يحفظون شرفهم ولا يدخلون فيهم غيرهم، ولكنهم يجهلون أنسابهم ويُقال لهم بنو يوسف - أخر ولد يوسف الأخيضر وهم أخر ولد إبراهيم ابن الجون».۞۞

ولنضع في الحسبان أن أول ظهور لـ"حمولة مقرن" أو لأسرة آل سعود الحاليين في الدرعية جاء بعد فترة سُبات طويلة تبعت حكم الأخيضريين لإقليم

---

۞ كتاب: تاريخ ابن خلدون\ تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الشهير بابن خلدون.

۞۞ كتاب : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب \ تأليف: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨ هجرية.

اليمامة، وقد طفوا على الساحة بعد عقود طويلة من زوال حكم الأخيضريين الذين تمَّ سحقهم على يد القرامطة، ولا يُستبعد أن الأسر التي بقيت في اليمامة بعد اندثار حكم الأخيضريين كانوا من بقايا أُسر الرقيق الذين أرسلهم معاوية بن أبي سفيان إلى اليمامة، فقد بقيت تلك الأسر المُسترقة التابعة والموالية للأخيضريين لوحدها في اليمامة، دون أن يجدوا من يديرهم أو يوجههم أو يتسيدهم، فأنشأوا لهم كيانات قروية صغيرة خاصة بهم وأخذوا يتسيدون على بعضهم البعض، - ويستحسن العودة إلى الفصل الأول للإطلاع على تاريخ الأخيضريين بشكل موسع وأكثر تفصيلاً-.

ورب قائل يسأل: كيف للموالي والأرقاء أن يتسيدوا؟!

والجواب هو : حينما تسنح الظروف ويجتهد أصحاب الطموح وتعلو الهمم لن يقف الأصل والنسب عائقًا أمام تطلعات البشر، وقد رأينا السراج أبو مُسلم الخرساني كيف تسيد الجيوش في خلافة بني العباس وهو مُجرد مولى كان يصنع أسرجة الخيل لأسياده، ونفس الشيء حصل مع موالي اليمامة، فتلك الأسر التي جيء بها من الشام كان لهم دور كبير بعد زوال دولة بني الأخيضر، والأمثلة على الوثوب وقطف ثمار السلطة كثيرة، فقد شاهدنا وثوب شخصية هامشية غير معرفة مثل دهام بن دواس على حكم الرياض، فأصبح أميرًا مُطاعًا على سكان الرياض لعدة عقود، وعن سيرة دهام بن دواس يقول أمين الريحاني في كتابه:

« أشهرت الحرب على المُشركين في السنة الأولى (١١٥٧ هـ) من العهد الوهابي السعودي، فكانت الوقعة الأولى في الرياض بين رجال ابن سعود ورجال دهام بن دواس. ودهام هذا عصامي دون فضيلة أخرى له تذكر إلا الثبات. اغتصب الإمارة، وهو من خدام القصر واستمر أميرًا ثلاثين سنة في زمن الزعازع الدينية والفتن والحروب. كان دهام خادمًا لعبد يُدعى خميس قتل قاتل أمير الرياض زيد بن موسى أبا زرعة، وتولى مكانه. ثم فرَّ هاربًا

فتولى الإمارة دهام خادمه، فقامت عليه الأهالي، فاستنجد بابن سعود فانجده وأقره في مركزه. ولكن العبيد مناكيد؛ فكيف بخدامهم».[۞]

أما الفاخري في تاريخه فيذكر عن كيفية وثوب دهام بن دواس على إمارة الرياض، فيقول: « وفي سنة ١١٥١ هـ ظهر خميس العبد من الرياض وتولى فيها دهام بن دواس بشبهة أنهُ خال ولد زيد، وأنهُ ضابط له حتى يتأهل للمُلك، وإلا فدهام جلوي عند زيد مطرود من منفوحة، ثم بعد ذلك طمع في المُلك وطرد ولد زيد فأبغضه أهل البلد وهموا بعزله واجتمعوا لذلك، فخرج عليهم وقتل منهم رجلين أو ثلاثة وبقي خائفًا حتى أتاه المدد من محمد بن سعود وأميرهم مشاري بن سعود، وأقاموا عنده شهرًا حتى استقر الملك».[۞۞]

وعليه فإن هنالك احتمال كبير أن يرجع نسب آل سعود إلى موالي بني الأخيضر الذين قطنوا اليمامة بعد فناء حُكَّام بنو الأخيضر، لأن آل سعود الحاليين كان يطلق عليهم سابقًا بـ"حمولة مقرن" على اسم جدهم مقرن، ومن المؤكد أن اسم مقرن هو مُستوحى من اسم أحد أمراء بنو الأخيضر، وهو مقرن بن حميدان بن إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، لأن أغلب الموالي كانوا يتسمون تحببًا وولاءً بأسماء سادتهم.

أي أن أجداد مقرن كانوا يوالون الأمير الأخيضري مقرن بن حميدان، ولهذا سموا أبنائهم وأحفادهم لاحقًا باسمه أو سُمي أحد أجدادهم على اسم مقرن تُيمنًا به.

ورب قائل: وما دخل آل سعود بآل مقرن المذكورين، وهم يُدعون منذ زمن طويل بآل سعود؟

والحقيقة التي تغيب عن بعض الكثيرين، أن آل سعود لم يُعرفوا في السابق إبان الأسرة الأولى بـ"آل سعود"، بل كانوا يدعون في الدرعية بحمولة مقرن،

---

[۞] كتاب : تاريخ نجد الحديث وملحقاته \ تأليف: أمين الريحاني.

[۞۞] كتاب : تاريخ الفاخري \ تأليف: محمد بن عمر الفاخري ( ت١٢٧٧هـ).

وسبق وأن نوَّه أمير الرياض دواس بن دهام من خلال النقولات التاريخية إلى أن آل سعود كانوا يسمون بآل مقرن، حيث قال في رده على محمد بن سعود مُتهكمًا: «ومن هو ابن مقرن ليحمل مفاتيح الجنة وينذر الناس بالنار؟».

وعن وجود اسم مقرن في ترتيب الأسرة الأخيضيرية، يورد لنا النسابة المروي في كتابه "الفخري في أنساب الطالبيين" أن هنالك أسرة تدعى بني مقرن وهم من بنو حميدان من أبناء يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، حيث يقول: « ومنهم الأخيضريون، وهم بنو محمد الأخيضر أمير اليمامة ابن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون. منهم بنو حميدان، وهو أحمد الأمير ابن إسماعيل بن يوسف بن محمد الأخيضر. منهم بنو الألف، وهو الأمير أبو العسكر الألف. وبنو مقرن، وهو جعفر. وبنو دكين، وهو الفضل. وثلاثتهم بنو حميدان. ومحمد بن يوسف بن محمد الأخيضر ابن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون أبو عبد الله زغيب باليمامة».۞

وحُميدان هو تصغير لاسم أحمد ولد إسماعيل الأخيضري، ولكنه كان يُدعى حميدان تحببًا، ويبدو أن اسم التحبب هذا نجدي صرف، حيث درج أهالي نجد على إطلاق اسم حُميدان على أبنائهم، وهو تصغير لاسم أحمد وحميد.

وعلى ذكر اسم مقرن فقد كانت هنالك بلدتان قديمتان في اليمامة، هما بلدة معكال وبلدة مقرن، وهنالك أيضًا قرى صغيرة متفرقة تشكل ما يُعرف في التاريخ القديم بحجر اليمامة، وكانتا معكال ومقرن متجاورتين ومُتنافستين أيضًا حسب ما يذكر بعض المؤرخين، وهما على الدوام في خصام وصدام دائم، وتُحيط بالبلدتين أسوار طينية متينة.

ويُرجح البعض أن تسمية بلدة مقرن جاءت نسبةً إلى مقرن من آل حميدان من أبناء يوسف بن إبراهيم بن موسى الجو، وأن لا علاقة لتسمية بلدة مقرن

---

۞ كتاب : الفخري في أنساب الطالبيين \ تأليف: عزيز الدين أبي طالب إسماعيل بن الحسين بن محمد بن أحمد المرزوي الأزورقان.

باسم الأمير مقرن بن أجود بن زامل، لأن اسم بلدة مقرن ومعها معكال من الأسماء القديمة والتي سبقت عهد الأمير مقرن بن أجود زامل بن حسين الجبري.

وقد جاء في تاريخ الفاخري ذكرًا مُقتضبًا لمقتل أمير بلدة مقرن من آل مفرح أو آل مفرج دون مزيد من التفاصيل، حيث قال: « وفي سنة ١٠٣٣ هـ: وفيها قتلة آل مفرح راعي مقرن»[۞].

---

[۞] كتاب : تاريخ الفاخري \ تأليف: محمد بن عمر الفاخري ( ت١٢٧٧هـ).

- **مقتل عبد العزيز بن محمد بن سعود على يد أحد الدراويش وحكاية العبد طعيس:**

بعد أن تخلصت الدرعية من خصومها التقليديين، خصوصًا أولئك الأمراء والحكام المُجاورين لإمارة الدرعية سواء بعض الإمارات أو البلدات النافذة في نجد كالعيينة والرياض وغيرها من المناطق الأخرى، وبعد أن أصبحت عمليات السلب والنهب وقطع الطريق تُدر أموالاً طائلة على الدرعية، حتى باتت ترفل بالغنى والرخاء الاقتصادي نتيجة تلك الأعمال اللصوصية، حيث امتهنت الوهابية وسائل وطرق مُمنهجة للتسليب المُنظم، بحيث أصبحت الدرعية تُسير وتشن حملات عسكرية منظمة للسلب والنهب خارج حدود الدرعية وخارج نطاق إقليم نجد، ولهذا فإن الأهداف الرئيسية المُغرية لشن هكذا حملات، قطعًا ستكون نحو المناطق الغنية والثرية كالحجاز وتخوم العراق والشام، هذا بالإضافة إلى عمليات سلب ونهب عابرة لبعض القبائل التي رفضت الانضواء تحت راية الوهابية كقبيلة الظفير وعنزة مثلاً، التي نالهما القسط الأوفر من الهجمات والاعتداءات الوهابية.

ولهذا فقد أصبحت الدرعية تكسب الرزق الحرام مُغمسًا بدماء الأبرياء العُزل والضعفاء، من خلال قطع الطريق وسلب ونهب القوافل والحدرات، بالإضافة إلى فرض رسوم مالية كضريبة على بعض القبائل البدوية الخاضعة للنفوذ الوهابي، تحت بند أو حجة الزكاة، وكان عبد العزيز قد وجد ضالته في تلك الطريقة الناجعة في جني الأموال السنوية، وأما ولده سعود فقد آثر الكسب السريع وجني الغنائم الوفيرة دفعة واحدة من خلال غزو وتدمير المدن الغنية والمليئة بالخيرات وذات الحركة التجارية الدءوبة، سواء في بعض تخوم مناطق العراق أو في الشام أو حتى في الحجاز.

وكانت غزوات سعود المُتكررة على مدن العراق المُتاخمة لبادية نجد قد أدت بطريقة غير مُباشرة لاغتيال والده عبد العزيز، ربما ثأرًا أو نكاية لما أحدثه

سعود من مجازر دموية رهيبة في مدينة كربلاء العراقية الشيعية، حيث قام سعود بغزوها ونهب أموالها وقتل أهلها وتهديم القبة الذهبية على قبر الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأرضاهما، ويبدو أن ذلك الفعل الدموي غير الإنساني، قد أدى -والله أعلم- بالنتيجة إلى مقتل عبد العزيز بن محمد بن سعود من قبل ذلك الدرويش الكردي أو الإيراني، الذي اندس بين أهل الدرعية ليقتص من آل سعود آنذاك، حيث يذكر ابن بشر في كتابه عنوان المجد عن تلك الغزوة قائلاً:

«( ثم دخلت السنة السادسة عشر بعد المائتين والألف ١٢١٦هـ) وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة من جميع حاضرة نجد وباديها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك، وقصدا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين. وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمون وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوةً وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين. وأخذوا ما في القبة وما حولها وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال وقتل من أهلها قريب الألفي رجل».[۞] -انتهى الاقتباس-

بينما يذكر المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي نفس الرواية تقريبًا حول عملية الهجوم على مدينة كربلاء ومن ثم ارتكاب المجازر الدموية هناك، إلا أنهُ يذكر أن عبد العزيز هو من قاد ذلك الهجوم! فربما اختلط عليه الأمر أو أن الخطأ وقع من قبل الناسخ لاحقًا، ومن ثم يذكر لويس دوكورانسي حادثة اغتيال عبد العزيز على يد الدوريش الكردي ، إلا أنهُ يدعي أيضًا أن سعود بن

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**عبد العزيز كان حاضرًا مع والده عبد العزيز في نفس المسجد أثناء عملية الاغتيال، وأن الكردي عثمان حاول أن يصل إليه من بين الجموع، بعد طعن عبد العزيز ولكن تكاثر عليه القوم وأردوه قتيلاً قبل أن يصل إلى سعود، ولا ندري أي الروايتين أدق، حيث يقول لويس دوكورانسي في روايته:**

**« وقد انتظر عبد العزيز(•) حلول موعد العيد لمُحاولة الاستيلاء على البلدة (كربلاء)، وقام بتنفيذ خطته في ٢ نيسان ١٨٠١م. وكان ذلك اليوم يوم الحج(••) إلى مقام علي، فكانت البلدة شبه مُقفرة. وفجأة ظهرت ستة آلاف ناقة يمتطيها اثنا عشر ألفًا من الوهابيين الذين قضوا بسهولة على المُقاومة التي واجهتهم. وقد أثارتهم المُقاومة فعمدوا إلى القتل بدون تمييز، حتى أنهم بقروا بطون النساء الحوامل لكي لا يبقوا على أي ذكر في البلدة. وقد قيل إن عدد الضحايا في ذلك اليوم بلغ الثلاثة آلاف. وكانت الأسلاب هامة لدرجة كبيرة، وكان قبر الإمام مُغطى بسجادة مُطعمة بالمُجوهرات، وبعضها نادرة الحجم، فأصبح هذا الكنز وغيره من الكنوز الواردة من فارس غنيمة للوهابيين. وهدموا المسجد والمآذن، كما جردوا القبة من صفائح النحاس المُذهب الذي اعتقدوه من الذهب الخالص. وحُملت مائتا ناقة بالكنوز وسيقت إلى الدرعية. وأنهى عبد العزيز بتلك المغانم الضخمة دون أن يخسر رجلاً واحدًا من رجاله».۞**

**أما عن حادثة اغتيال عبد العزيز على يد الدرويش الكردي فيقول دوكورانسي: « والرواية لتلك الجريمة هي إقناع درويش كردي بأن يُعرِّض نفسه للموت بتخليص العالم من شخص عبد العزيز، لابد أن يُكتب له أجر عند الله، لذلك توجه هذا الكردي إلى الدرعية ، ووجد وسيلة للدخول في خدمة عبد العزيز ،**

---

(•) ذكر دوكورانسي أن عبد العزيز هو من هجم على كربلاء، والصحيح هو ولده سعود، ولكن الأمر كان قد صدر منه.

(••) ذكر دوكورانسي أن أهالي كربلاء عند الهجوم كان قد ذهبوا للحج إلى مدينة النجف. والصحيح أنهم ذهبوا للزيارة.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ. تأليف \ لويس دوكورانسي.

واجتهد في البداية للظفر بثقة سيده الجديد وتوصل إلى ذلك من دون عناء، فصار يحضر جميع الاجتماعات وأصبح هذا الخادم "المُخلص"يُرافق عبد العزيز في جميع تنقلاته، وأخيرًا أتى اليوم المُحدد لتنفيذ هذا الجرم القبيح، فوقف وراء عبد العزيز وهو يؤدي صلاته، وغافله بضربة من خنجره طرحته أرضًا، والتفت إلى سعود الذي كان بالقرب من أبيه مُحاولاً ضربه، ولكن حِيل دونه وذلك، وأصابته ألف طعنة أردته قتيلاً على الفور، ولدى تلقي باشا بغداد الخبر كافأ المُخبر مُكافأة سخية. وتولى سعود مكان أبيه.

وفي نفس الكتاب يُضيف جان ريمون عن نفس الحادثة قائلاً:

«لذلك فإن الفرحة التي عمَّت الدرعية لدى دخول مكة، لم يؤثر بها رفع الحصار عن جدة وتراجع الوهابيين، غير أن حادثًا أليمًا جعل الحزن يحل محل الفرح، إذ لم يكد سعود يعود إلى الدرعية، حتى وقع اغتيال عبد العزيز من قبل أحد خدمه. وكان هذا درويشًا كرديًا، قُتل أبناؤه الثلاثة في مجزرة الحسين، فعقد العزم على الانتقام.. وتقدم لخدمة عبد العزيز ونال ثقته. واغتنم ذات يوم فرصة مرافقته عبد العزيز للمسجد ، فطعنه بخنجر وهو يؤدي صلاته ، وكان ذلك في ٢٧ رجب أي ١٢ تشرين الثاني ١٨٠٣م. وتوفي عبد العزيز في الحال. وقبض على الجاني وحُكم عليه بالحرق. ولكن النار لم تؤثر في هذا الشهيد(•)، فاضطروا إلى قطع رأسه للتخلص منه».۞ - انتهى الاقتباس -

وبالرغم من أن تلك المجزرة التي حدثت في كربلاء قد آلمت الشيعة كثيرًا وأوغرت صدورهم، إلا أنهم لم يذكروا قط من خلال تواريخهم أنهم أرسلوا انتحاريًا أو فدائيًا يقتص لهم من آل سعود ويثأر لقتلاهم، مع أن أمر كهذا كانوا سيكون إنجازًا تاريخيًا كبيرًا لهم وسوف يتباهون ويفتخرون به حتمًا وسيتسابقون لنشره باعتزاز وسيحتفون حتمًا بمن قام به؛ لو كان شيعيًا فعلاً.

---

(•) يبدو في سرد دوكورانسي لنهاية الدرويش الكردي بواسطة الحرق هو نوع من المُبالغة ومحاولة لتخليد المُنفذ.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ. تأليف \ لويس دوكورانسي.

ولكن ربما دفعت تلك الحادثة الأليمة أحد أتباعهم ممن يعتنقون المذهب الشيعي إلى السعي بقوة لأخذ الثأر ممن قتل أبنائهم وسرق أموالهم وهدم أضرحة من يقدسون ذكراهم، دون أن يكون على اتفاق أو صلة بهم، ولا يُستبعد أنهم قد أرسلوا من ينتقم لتلك المجزرة، وربما اختاروا كرديًا شيعي المذهب ليقوم بتلك المهمة حتى لا يجلب الانتباه ولا يشك القوم به، وهذا الرأي ضعيف ولكنه وارد أيضًا، وقد شكَّك المؤرخون السعوديون أن يكون القاتل كرديًا لأن الكُرد حسب زعمهم من أهل السُّنة والجماعة والفاعل كان شيعيًا، وذلك بسبب جهلهم بالتركيبة المذهبية للأكراد، فمثلما يوجد أكراد مُسلمون فهنالك أكراد مسيحيون ومثلما يوجد هنالك أكراد من أهل السُّنة على المذهب الشافعي والحنفي، فإن هنالك أكراد شيعة كُثر وهم ما يُطلق عليهم "الشبك" في الموصل، وهنالك الأكراد الفيلية ويتواجدون في بغداد وبقية محافظات العراق وهؤلاء يُعتقد بأنهم أكراد من أصول إيرانية.

ولدينا أيضًا رواية مختلفة نوعًا ما عما ورد ذكرها صاحبي كتاب "آثار الأدهار" وهما مؤلِفان مسيحيان لبنانيان يُدعى أحدهما سليم جبرائيل الخوري والآخر سليم ميخائيل شحاتة، وقد ألفا كتابهما المذكور عام ١٨٧٧م، حيث ذكرا أن قاتل عبد العزيز بن سعود هو شخص إيراني الجنسية ويُدعى عبد القادر، وقد تمَّ تكليفه من قبل شاه إيران، ولا يُعرف حقيقة المصدر الذي اعتمدا عليه، وقد جاء في كتابهما:

« ثم زحف (سعود) إلى جدة وأقام على حصارها أحد عشر يومًا فتعذر عليه فتحها، فبذل غالب الشريف المال فرفع عنها الحصار، وفي هذه الأثناء قضي على عبد العزيز (بن محمد بن سعود) فإنه مات قتيلاً في منتصف ألسنة المذكورة (سنة ١٢١٨ هـ) وذلك أنهُ وثب عليه وهو يُصلي في المسجد رجلٌ شيعيٌ فارسيٌ من جيلان، اسمه عبد القادر وعاجله بضربة بين كتفيه ألقاه بها على الأرض يخبط بدمه، فاضطرب لذلك الحاضرون وألقوا القبض على القاتل وبادروه بأسنتهم فنهشت جسمه. أما سبب قتله (لعبد العزيز) فهو أن

ملك فارس نقم على ابن سعود لتمليصه بلاد القطيف وجزائر البحرين من ولايته، وتخريبه مشهد الحسين (رضي الله عنه) ولما لم يكن له طاقة في محاربته والتوصل إليه، عمد إلى الايقاع به بالحيلة، فأنفذ إليه عبد القادر المذكور فأتى (الـ) درعية وتظاهر بالتدين والعبادة، ولازم المعابد والمساجد حتى ظفر بمُبتغاه. وكان ابن سعود يحضر الصلوات في أوقاتها وذلك شأن غيره من أمراء الوهابية، وقيل بل قتله عبد القادر المذكور أخذًا بثأر عياله، وقد هلكوا بحد السيف حين أخذ عبد العزيز كربلاء (يقصد حينما أغار الوهابية على كربلاء)». ۞ - انتهى الاقتباس -

وبما أن الدرويش الكردي الذي اغتال عبد العزيز كان مصلاويًا حسب المصادر الوهابية، أي أنهُ من الأكراد الذين قطنوا الموصل، فربما يكون من الكُرد الشيعة الشبك، ولكن من المُستبعد أن يكون من الأكراد الفيليين لأن هؤلاء الأكراد قد اندمجوا أصلاً مع حواضر العراق ولم يعودوا يتحدثون اللغة الكردية أو يتواصلوا مع الأكراد منذ عقود طويلة.

لكن هنالك فرضية مُحتملة جدًا لم تأخذ نصيبها في الطرح، إلا من خلال ما ذكره حسن جمال الريكي مؤلف كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب)، وكذلك بعض التلميحات البسيطة التي صدرت في كتاب تاريخ ابن لعبون وتقرير جان ريمون، الذين ذكروا أن باشا بغداد ربما كان يقف وراء تلك العملية، حيث كان قد تلقى خبر اغتيال عبد العزيز بن محمد بن سعود، بمشاعر الفرح والغبطة والسرور الكبير، حيث قام بمُكافأة ذلك المُخبر الذي بشره بالنبأ وذلك من خلال منحه مكافأة سخية، وربما سيُلغي ذلك السيناريو المُتغافل عنه فرضية أن اغتيال عبد العزيز بن محمد بن سعود كان بتخطيط من قبل أهالي كربلاء.

---

۞ كتاب : آثار الأدهار \ تأليف: سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة، ١٨٧٧م.

وتلك الفرضية معقولة وأقرب إلى الحقيقة، حيث تعتمد على قيام الدولة العثمانية في الآستانة أو بمُبادرة من والي العراق نفسه بإرسال ذلك الكردي الانتحاري إذا ثبت أنهُ فعلاً كردي، كي يُخلصهم من براثن الفتنة الوهابية، ومن ثم يقضون على تمرد صاحب الدرعية الذي عاث في الأرض فسادًا وتخريبًا، وربما وجدوا في أن يضحوا بفرد واحد من رعاياهم، خيرًا لهم من أن يخسروا أفراد كُثر من خلال تسيير حملات عسكرية ضخمة تعبر الفيافي والقفار وتخوض في حرب عصابات خاسرة، عبارة عن عمليات كر وفر وغش واختفاء في مجاهل الصحراء التي يجهلون مسالكها، حيث لم يكن يُتقن العثمانيون حروب العصابات، خصوصًا وأن تشكيلات جيوشهم تعتمد على الحرب الميدانية.

والمعروف أن أغلب جند الدولة العثمانية كانوا من الأكراد المُطيعين، بل أن جنود الكيخيا علي الذين سار بهم إلى الأحساء كان أغلبهم من الأكراد الشرسين الذين لا تأخذهم رحمة بالخصم فبطشوا بأهل الأحساء، وربما أن هذا الكردي الدرويش الذي كان يُدعى عثمان حسب الرواية الوهابية، كان من أصحاب الطرق الصوفية ومذاهب هؤلاء الأكراد النقشبندية قريبة جدًا من مذاهب الشيعة، وهم يُمارسون نفس المُمارسات سواء في زيارة القبور أو بناء القباب على الأضرحة وإقامة الموالد والدعاء عند الأولياء، ولا يُستبعد أن ذلك الكردي قد اقتنع فعلاً بأن حاكم الدرعية كافر وسفاح وسوف يهدم قبور الصحابة والأولياء ولن يوفر أي قبر، فاليوم هدم قبر الحسين وغدًا سيهدم قبر أبو حنيفة والكيلاني، وخصوصًا وهم قد ضمنوا له كفالة أسرته بعد موته، ولهذا فقد قبل أن يقوم بالمهمة لصالح الدولة العلية سواء في العراق أو في المركز اسطنبول، والله أعلم.

ثم إن عملية اختيار الأب عبد العزيز رغم كبر سنه بدلاً من الابن سعود له مغزى سياسي كبير، فقد يكون الأمر صدر له باغتيال عبد العزيز ذاته، أو أن

هذا الكردي اندمج مع أهل الدرعية وخبر القوم، وتعايش معهم فعرف عنهم الكثير وأدرك أن عبد العزيز هو الرأس المُدبر الحقيقي وهو من يُدير العمليات ويأمر بسير الغزوات، وأما سعود فهو مُجرد ابن مطيع وأداة طيعة بيد والده في ذلك الوقت، وربما لم تسنح لهذا الدرويش الفرصة أو لم يستطع أن يقتلهما معًا في آن واحد مع وجود مجموعة من الحرس والعبيد والأخويا والمُقربين منهم، فانتهز الفرصة أثناء غياب سعود عن الدرعية وقام بطعن عبد العزيز فقتله، وطعن شقيقه عبد الله طعنة قاتلة لكنه لم يمت، ومن ثم تكاثر عليه القوم وقتلوه.

حيث يذكر عثمان بن بشر عن تلك الحادثة قائلاً:

« (ثم دخلت السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ١٢١٨هـ) وفي هذه السنة في العشر الأواخر من رجب قُتل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف المعروف في الدرعية وهو ساجد أثناء صلاة العصر، ومضى عليه رجل قيل إنهُ كردي من أهل العمارية بلد الأكراد معروفة عند الموصل اسمهُ عثمان، أقبل من وطنه لهذا القصد مُحتسبًا حتى وصل الدرعية في صورة درويش. ادعى أنهُ مُهاجر وأظهر التنسك والطاعة وتعلم شيئًا من القرآن. فأكرمه عبد العزيز وأعطاه وكساه وطلب الدرويش منه أن يُعلمه أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها مما كانوا يعلمونه الغريب المُهاجر إليهم، وكان قصده غير ذلك فوثب عليه من الصف الثالث والناس في السجود فطعنه في خاصرته أسفل البطن بخنجر معه قد أخفاها وأعدها لذلك. وهو قد تأهب للموت فأضطرب أهل المسجد وماج بعضهم في بعض ولم يكن يدرون ما الأمر. فمنهم المنهزم، ومنهم الواقف، ومنهم الكار إلى وجهة هذا العدو العادي، وكان لما طعن عبد العزيز أهوى على أخيه عبد الله وهو إلى جانبه وبرك عليه ليطعنه فنهض عليه وتصارعا وجرح عبد الله جرحًا شديدًا ثم أن عبد الله صرعه وضربه بالسيف وتكاثر عليه الناس وقتلوه وقد تبين

لهم وجه الأمر. ثم حمل الإمام إلى قصره وقد غاب ذهنه وقرب نزعه لأن الطعنة هوت إلى جوفه، فلن يلبث أن توفي».[۞] -انتهى الاقتباس-

أما حمد بن لعبون فيذكر لنا تلك الحادثة مُختصرة في كتابه الموسوم "تاريخ ابن لعبون"، حيث يقول:

« وفي سنة ١٢١٨ هـ: في العشر الأواخر من رجب، قُتل الإمام الرئيس العادل عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف، وهو ساجد في أثناء صلاة العصر، مضى إليه من الصف الثالث رجلٌ عراقي لا يُعرف له بلد، ولا نسب، شيطان في صورة درويش، ثم تبين بعد ذلك أنهُ رجل كردي من أهل العمارية: اسمه عثمان، أقبل من وطنه لهذا القصد مختبئًا، وأبدى ذلك لعلي باشا (والي بغداد)، وتوجه لقصده حتى بلغ مُراده وطعنه في خاصرته أسفل البطن بخنجر معه، قد أعده وتأهب للموت. فأضطرب أهل المسجد وماج بعضهم في بعض، ولم يدروا ألأمر، منهم المُنهزم، ومنهم الواقف، ومنهم الكار على جهة هذا العدو العادي غير مُتلعثم، لما طعن الإمام المذكور أهوى على أخيه عبد الله وهو في جنبه، وبرك عليه ليطعنه فقام ولابسه، وتصارع هو وإياه وجرح عبد الله جرحًا شديدًا، ثم أن عبد الله صرعه وضربه، وتكاثروا عليه الجماعة، وقد تبين وجه الأمر لأكثرهم، وقتلوه في مكانه، وحمل الإمام عبد العزيز، وهو قد غاب ذهنه. وقرب نزعه، لأن الطعنة قد هوت في جوفه، ولم يلبث أن قضى بعدما صعدوا به إلى المقصورة».[۞۞]

فسبحان الله يُمهل ولا يُهمل وقصاصه عاجل في الدنيا قبل الأخرة، فعندما قرأت تلك الحادثة خُيل إليَّ وكأنني أرى واقعة الغدر التي حاكها محمد بن سعود وولده عبد العزيز بإيعاز من شريكهم محمد بن عبد الوهاب، عندما قرروا الإجهاز على الأمير عثمان بن معمر وأن يغتالوه وهو يُصلي الجمعة في مسجد

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.
[۞۞] كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

العيينة، وكأن طعنة ذلك الكردي المجهول كانت قصاصًا عادلاً لتلك الطعنات الغادرة التي تلقاها صبرًا الأمير عثمان بن معمر، فليدركها ذوي البصائر وليتعظ منها أصحاب العقول والألباب فقط.

طبعًا لا يتورع المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر في أن يسبغ نوع من الهالة والقدسية على ذكرى سيده عبد العزيز بن سعود، وذلك بعد مقتله بعدة عقود، حتى أنهُ لقبه بمهدي زمانه، مُتناسيًا كل جرائمه ومجازره الدموية بحق الأبرياء سواء كانوا داخل نجد أو خارجها، حيث يقول ابن بشر في كتابه بعد أن يُطنب كثيرًا في مدح عبد العزيز بن محمد بن سعود قائلاً:
«وكانت الأقطار والرعية في زمنه آمنة مُطمئنة في عيشة هنية. وهو حقيق بأن يُلقب مهدي زمانه».

ويجب أن لا ننسى أمرًا مهمًا هنا، وهو أن عبد العزيز بن محمد وولده سعود سبق وأن تخلصا من ثويني السعدون عن طريق عملية اغتيال مُنظمة، قام بها عبد من عبيد بني خالد يُدعى طعيس، وربما أراد والي بغداد أو ربما باتفاق مع السعدون أنفسهم أن ينتقموا لدم ثويني ويثأروا من عبد العزيز وذلك بأن أرسلوا ذلك الكردي الانتحاري.
فربما أدركت أسرة السعدون أن عملية اغتيال ثويني كانت من تخطيط عبد العزيز بن محمد وابنه سعود، وهو ما أغاظ والي العراق علي باشا تحديدًا، الذي سبق وأن جهز ثويني بالعدة والعدد فتم اغتياله، ومن ثم ذهب هو بنفسه فحدثت الخيانات وسط حملته، فأراد أن يرد الصاع له بنفس الطريقة.

ولو نظرنا لما جاء في كتاب حسين بن غنام سنرى ذكر لبعض تلك الخيوط، حيث يقول:
« ثم دخلت السنة الحادية عشر بعد المائتين والألف ١٢١١هـ: وفيها وقعة أحزاب ثويني، ولما استقر بهجر عمود الدين والإسلام ونشرت على رغم العدى للهدى أعلام.....الخ. وتعاظم ذلك الأمر عليهم وأربى وسعوا في تغييره

شرقا وغربا، وتداعوا عليه عجمًا وعربا، ولم يعرفوا أن للدين ربا....... الخ. وأقام في ذلك الصغار والكبار واجتمع عليه السفلة والخيار، وشمر فيه ساعد الجد والإزار، فباءوا بالخيبة والأوزار مما كانوا فيه يمترون.......... الخ. وأرسلوها إلى الباشا سليمان وأقسموا له فيها أنهُ لا يصلح لهذا الشأن ولا يقوم بأعباء الرياسة ومُصادمة الكتائب والشجعان ومنازلة الجموع والأجناد من سائر العربان، ومقابلة هؤلاء العصاة العدوان ومقاتلة حضرهم والبدوان وإزالة أثرهم من الحسا، ومحاصرتهم في البلدان سوى ثويني من الأنام إنسان، ولا يقدر على ما ذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشان، فأطلقه ورئسه حتى ترى ما يُسر الأعيان ويقر الناظر له في العيان......... الخ.

فلما دعا الباشا ما حرروه ووعا ما أثبتوه وقرروه وتأمل مفهوم ما قد حبروه وعرف منطوق ما سطروه وفحوى ما كذبوا فيه وزوروه، أمر بإحضار ثويني عنده فأحضروه وخلع عليه ورأسوه فكبروه وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمروه، ولم يقف الباشا على حقيقة ما دبروه وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيروه وحذروه من هذا الذي نفروه...... الخ. فحين حظي ثويني بالرياسة ونالها وحاز من آمالها مناله نادى برفيع صوته، أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها وأعطى جماعته الإيمان على ذلك وأنالها وهم لإيمانه مصدقون... الخ. واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه، ورام هذا المرام لقوة بأسه وما شعر أنهُ مسوق إلى قطع رأسه واستيفاء بقية أجله وأنفاسه........الخ. فكان والعياذ بالله كالجادع أنفه بكفه، والباحث عن حتفه بظلفه، وهذا شأن الذين يستدرجون (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)......الخ.

ولقد بذلوا الجد في مساعدته وحققوا عزه وغلبته ونصره وما جال في خلدهم أنهُ قد حفر لنفسه من الشر حفرة وهيأ لمصرعه بيديه قبره».[۞]

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ولم يكتفِ المؤرخ حسين بن غنام بالتلميح في أن ثويني أُستدرج لكي يُلقي حتفه، بل نراه يذكر أيضًا أن سعود بن عبد العزيز كان يتهرب من مواجهة ثويني لهدف معين وشيء كان يضمره في صدره، وهو ما فسَّره البعض خطًا أنهُ جُبن وخوف من مُقاتلة ثويني، لكنه يعود ويذكر أن هؤلاء لا يدركون ما يُخطط له سعود ولا يعرفون ماذا ستكون عليه النتائج، ويبدو أن سعود كان ينتظر خبر اغتيال ثويني، والدليل أنهُ لم يُبادر بمواجهة جيش ثويني بل تهرب أكثر من مرة من لقائه، وحتى حينما قام قائد جيشه حسن بن مشاري بالمُسارعة واتخاذ موقع الطف كمعسكر لقواته وحرمان جيش ثويني من هذا، قام سعود وطلب منه الانسحاب من موقع الطف والقدوم على مياه أم ربيعة، وهو ما جعل البدوان المرافقين للوهابيين يتراجعون ويشعرون أن سعود خائف ومنهار ولن يستطيع مواجهة ثويني.

وعن تلك الأحداث يذكر حسين بن غنام، فيقول:

« ثم دخلت السنة الحادية عشر بعد المائتين والألف ١٢١١هـ: وخرج جيش أهل الحسا أخر شعبان وجيوش أهل نجد اجتمع أكثرها في شهر رمضان، وخرج سعود بلغه الله تعالى كل مقصود في النصف الأول من شوال في أحسن حال وأكمل بال، وقد أمر جيوش المُسلمين وإمداد الموحدين أن يكونوا عند العربان مُجتمعين وينزلوا طرف الصمان مُباراة لأولئك العربان وكبيرهم محمد بن معيقل، فكان أهل الإسلام كلما أقبل أولئك الطغام ونزلوا مكانًا آخر، ارتحل ابن معيقل ومن معه وجَد في ذلك وبادر حتى نزل المُسلمون قُرية ونزل أولئك بناحيتها بلا مرية، وكانت تلك الجنود والأحزاب تروم السبق على الطف وما يليه من غير ارتياب، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم فسبقوهم على ذلك وكان عقباهم الخسر مثواهم. ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود أقام على الحفر يجمع عليه الإمداد من كل أرض وبلاد ويرسلها إلى عربان المُسلمين وأجناد أهل التوحيد المُجتمعين. ....الخ. ولما تحقق عنده نزول ثويني وادي القرايا، أرسل حسن بن مشاري من جندية من تلك البرايا حتى يستريح منهم

البال ويحسن منهم الحال، فقد كانوا في كرب وأوجال لاسيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال وعدم نزوله عليهم تلك الأيام والليال، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والاحتيال ولم تتجاوز خيول أفكارهم للرأي مجال، ولم يفهموا ما ابتداه من نتائج ألباب الدهاة من الرجال ولم يسمعوا ما ورد في صحيح المقال "الحرب خدعة"....الخ. فقصر باع الأفهام، أن تدرك سرَّ التأني في ذلك المقام، وعدم المُبادرة بالإقدام وظنوا أنه إحجام ولم يتعودوا مُمارسة العقول بالتدبير والسياسة، ولم يتأهلوا للقيام بأعباء الرياسة وأضاعوا مواد الحزم وخبطوا خبط عشواء بلا يقين ولا جزم وحكموا بما لم يحيطوا به من علم، ولم يكونوا من غامضه على فهم، فاستحسنوا ما ليس بالحسن لكون المُقدمة لم تنتج لهم المطلوب في العلن.....الخ. فأرسل إلى حسن بن مشاري يأمره بأن يجمع عربان المُسلمين وجموعهم على مياه أم ربيعة لكونها منزلاً للقتال والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال، فعسى العدو إذا رأى هذا الحال يظنه رعبًا وأجفال، فيسرع في القدوم والإقبال فتقع المصادفة والمزاحمة..... الخ. ولما أتى حسن بن مشاري ذلك الأمر من سعود لم يكن له بد من الارتحال حتى يتم المقصود، فارتحل تلك الأيام وترك الإقامة في ذلك المقام وشمر في السير بعد الرحيل من غير أناة ولا تمهيل، وسار عن الطف وما يليه بعدما كان له فيها مراح ومقيل....الخ. وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان ما أضمر في القلوب واستكن في الجنان وأبرزه سبحانه من أناس في صفحات الوجه وفلتات اللسان فنطق بالنفاق كثير من العربان لاسيما في ذلك البدوان». ۞

وقد استمر سعود يُراوغ ويتهرب من لقاء ثويني حتى جاءه الخبر بمقتل ثويني على يد العبد طعيس، ومن خلال رواية حسين بن غنام يتضح لنا أن طعيس هذا كان قد فرَّ مع فلول من بني خالد إلى الدرعية خوفًا من بطش ثويني

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وحينما جهز عبد العزيز قواته كان هؤلاء الخوالد مع جيش الوهابيين القادمين لقتال جيش ثويني ومعه العبد طعيس!

ويبدو لي أنهم قد خططوا بعناية لأن يغتالوا ثويني من خلال ذلك العبد الانتحاري طعيس، لأن ليس لهم قِبل ولا قدرة على مواجهة ثويني وجيشه، وكان العبد طعيس من عبيد بني خالد، وبحكم علاقة بني خالد والسعدون فقد كان العبد طعيس يعرف جيدًا عرب ثويني ولا يُستبعد أنهُ سبق وأن خدم مع عبيد ثويني في العراق، وكل ما يحتاجه هو الوصول إلى مخيم ثويني ومن ثم السلام على عمه والطلب منه أن يعمل مع بقية العبيد عنده كقهوجي أو أي مهنة وضيعة أخرى، لأنهُ عبد معروف لدى بني خالد، ولا ننسى أن أغلب بني خالد كانوا مع ثويني في حملته، بل إن شيخهم براك بن عبد المحسن كان قد اضطر إلى مرافقة ثويني في حملته، وعليه فلا موجب للتهويل والمُبالغة التي أبداها حسين بن غنام فجعل الأمر مُستحيلاً في أن يصل هذا العبد الوضيع إلى صيوان الأمير ثويني، بل وصوله من أسهل الأمور لمن هو في وضعه، ولكن تبقى النتائج على جدية العبد طعيس في تنفيذ مهمته الانتحارية، وقد فعلها طعيس بجدارة وقام بالغدر بثويني وطعنه من الخلف، وقد توفي على إثر الطعنة فقضى على تلك الحملة دون أن يخسر ابن سعود أي خسائر تذكر، وعن عملية الاغتيال تلك يذكر حسين بن غنام، فيقول:

« ثم دخلت السنة الثانية عشر بعد المائتين والألف ١٢١٢هـ: فلما نزل ثويني في رياض أراضي الشباك مدت له من الحبائل شباك ونصب له من أسباب الحمام أشراك حتى تخمد نار الغواية والإشراك وترجع خاسئة على أعقابها أولئك السلاك....... الخ. وحاصل بيان هذه المنقبة وتهيئة أسبابها الموجبة وإشراق أنوار هذه الموهبة، أن ثويني لما ظهر للحرابة وكان منه إليها تلبية وإجابة وفتح من الشر بابه وأرتد من البدوان كثير من العربان كما قدمناه عن آل ظفير وكل أقبل إلى الفتنة يسير، جاء بنو خالد الذين في الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبد المحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال وخوفوهم

من ثويني وما أتى من الكيد الذي لم يسبق لهُ مثال، وأراد براك الامتناع فهددوه بالأسر والاعتقال، فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكانوا إلى لقاء ثويني في استقبال، وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية بعد صدور تلك القضية، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد وكان طعيس ممن هاجر وأبى الارتداد، وخرج للغزو مع تلك الأمداد، وكان يُكثر الدعاء لمولاه والسؤال ويديم التضرع والابتهال ويتمنى ذلك في كل حال ويتفوه بذلك بين الرجال حتى يظن سامعه أن به وسواسًا وخبال، ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال إلى حمى ثويني وصول واتصال، أو تدرك منه مرامًا أو منال، فضلاً عن مثل هذا المُهان الذي لا يلقى إليه بال يجسر على هتك تلك الأبهة العديمة المثال ووطء بساط تلك الحضرة التي دون رحبتها خطوب وأهوال، فلا يُرام الوقوف عندها ولا تنال، فأراد الله الكبير المُتعال، أن يغزو (طعيس) مع مناع أبا رجلين وهم أهل أربع ركائب يُريدون اختلاس بعض الآبال، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوي الضلال فأخذوهم وبقي طعيس عند أولئك الجنود وأخذت نفسه تحدثه بتلك الآمال ويُصمم على ذلك ويدعو بتسييره في البكور والآصال، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيال وأخذ حربته وقد قوي الله عزيمته، فجاءه وهو قاعد مع بعض الرجال فأنفذ فيه الحربة وكان منه له اغتيال، فلما أحس بالطعنة جرد صارمه فضرب به طعيسًا وقام عليه مع غيره رجال، فقتل بعد ذلك في الحال ولم يكن له ساعة إمهال، عليه رحمة الله تعالى، وبقي ثويني ذلك اليوم إلى العصر ثم كان له إلى القبر انتقال، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودهم، وذعرت وارتجت، ومالت قلوبها بعدما رعبت وعجت وحاق بها مدلهم الخطب وعراها، وقراها الزمان ما أوهى قراها، وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب وأحاط بهم رجز من العذاب وانهزم منهم براك ونار، وأرسل للمُسلمين بالأخبار وتبعه أناس من قومه وجد في الهروب من يومه ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار بعدما صدر من براك وجماعته ذلك الفرار، وحاول قوم ثويني وناصر أخوه في الثبات واجتماع الحال فلم يحصل له ما يرجوه

وأبت تلك العربان وبدت أسلاف البدوان وشمرت في الانهزام والذهاب جميع طوائف الأعراب وشتت الله شمل أولئك الأحزاب واستمر كل واحد منهم في الهزيمة لا يلوي أحد على أحد ولا يجيب».[*]

وبعيدًا عن ديباجة ابن غنام في السجع وأساليبه الملتوية في الترقيع والترتيق وسعيه الدءوب لتحويل الهزيمة إلى نصر، وإرجاع ذلك الحدث إلى دعاء عبد العزيز المُستجاب، فإن الحقيقة أن جيش سعود قد انهار وفرَّ أغلبه بسبب تخاذل سعود وخوفه من مواجهة ثويني، ولم يُنقذ الباقين إلا شيوع خبر اغتيال ثويني، الأمر الذي أدى لارتباك وانكشاف جيش ثويني بعد أن علموا أن رئيسهم قد قُتل، وهو من منح سعود السلامة.

وسنلاحظ هنا أن براك بن عبد المحسن ربما كان مُتواطئًا مع عبد العزيز ضد ثويني، وبات عينًا وجاسوسًا لسعود في داخل مُعسكر ثويني، فهو يقوم بنقل كل شاردة وواردة عن تحركاته، وإذا عرفنا أن طعيسًا هذا هو من عبيد براك، فهذا يعني أن براك قد يكون مُشاركًا في عملية الاغتيال، وهو يهدف للتخلص من ثويني خوفًا من زيادة نفوذه وسيطرته إذا ما انتصر على سعود وجيشه.

فالمؤرخ عثمان بن بشر أكثر شفافية ومصداقية من حسين بن غنام، حيث ذكر كل المُلابسات والتداعيات قبيل عملية اغتيال ثويني، وكشف أن جيش عبد العزيز كان قد تضعضع لولا مُعاجلة العبد طعيس في اغتيال ثويني، ولولا تلك العملية الغادرة لكانت الهزيمة مُحققة على سعود وجيشه، حيث يذكر ابن بشر عن تلك الحادثة قائلاً:

« وأما ثويني فاجتمع على جنوده وبواديه كلها بالجهراء، ثم رحل منها وقصد ناحية الأحساء فلم علم بوادي المُسلمين برحيله ظعنوا عن قرية ثم ظعنوا عن الطف وانحازوا إلى أم ربيعة وجودة الماءآن المعروفان في تلك الناحية.

---

[*] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

واشتد عليهم الأمر وساءت الظنون وكثر فيهم التحاوز، وذلك لما نزل ثويني بالطف. وكان سعود قد أرسل جيشًا من الحضر مع حسن بن مشاري واستعمله في المُسلمين الذين مع ابن معيقل وصاروا رداءًا لهؤلاء البوادي وتثبيتًا لهم. ثم أن ثويني رحل من الطف ونزل على الشباك الماء المعروف في ديرة بني خالد، فلما قصد ثويني ذلك الماء كثر الخلل في بوادي المُسلمين. ثم إن الله سبحانه لما أراد الفرج بعد الشدة والنصر بعد اليأس تسلط على ثويني عبد اسمه طعيس من عبيد جبور بني خالد فقتله. وكان هذا العبد قد فارق براك بن عبد المحسن حين نقض العهد وتابع ثويني. فأتى إلى بوادي المُسلمين وغزا مع ركب جيش من تلك البوادي، فرافقه أناس من قوم ثويني فأتى إلى بوادي ثويني وأخذوا الجيش وأخذوا العبد وصار مع بني خالد عند براك فصمم عزمه على قتل ثويني وكان قد أظهر ذلك عند بعض من حضره، وهم يستهزؤون بع فحين نزل ثويني موقع الشباك المذكور وجلس مجلسه وعنده اثنان أو ثلاثة من خواصه والناس يحطون رحلهم، أقبل العبد من خلفه ومعه زانة فيها حربة ضعيفة فطعنه بين كتفيه طعنة واحدة ليست نافذة ولكن الله جعل فيها حتفه، وقُتل العبد من ساعته، وحمل ثويني إلى الخيمة فأراد رؤساء قومه التصلب وقالوا إنهُ حي وليس به خبيث، وجعلوا ينادون له بقهوة وتنباك وهو قد شبع من الموت، وجعلوا أخاه ناصر أميرًا مكانه. وكان براك بن عبد المحسن بينه وبين حسن بن مشاري مُراسلة ومُكاتبات لأنهُ ندم على السير مع ثويني، وذلك لأنهُ رأى وجهه وإقباله لأولاد عريعر، فعرف أنهُ إن استولى على الأحساء لم يؤثر عليهم أحدًا، فلما قُتل ثويني انهزم براك إلى حسن بن مشاري ومن معه من المُسلمين، فوقع التخاذل والفشل في جنود ثويني وألقى الله في قلوبهم الرعب فارتحلوا منهزمين لا يلوي أحد على أحد، فتبعهم المسلمون وبواديهم وقتلوا منهم قتلى كثير وغنموا غنائم عظيمة واستمروا في ساقتهم إلى قرب الكويت يقتلون ويغنمون وحازوا منهم أموالاً عظيمة من الإبل والغنم والأزواد والأمتاع وغير ذلك، وأخذوا جميع المدافع

والقنابل وظهرت إلى الدرعية وانفضت تلك الجموع البرية والبحرية وتفرقوا مخذولين، وكان قتل ثويني رابع من المُحرم أول سنة اثنتى عشر وسميت هذه الوقعة سحبة».۞

ومما يؤكد ضلوع ابن سعود وبراك في عملية الاغتيال تلك أن العبد طعيس لم يتمكن من طعن ثويني طعنة نافذة كما يذكر ابن بشر، بل جاءت الطعنة بين كتفيه، ومع هذا فقد توفي ثويني من ساعته، ويبدو أن الحربة التي كان يحملها طعيس كانت مسمومة فأدَّى السم مفعوله بسرعة، فلقي ثويني حتفه.

ومن خلال ذلك الربط بين الحادثتين نصل إلى أن عملية اغتيال عبد العزيز التي ذكرها المؤرخون السعوديون بأنها تمت على يد الدرويش الكردي، جاءت ربما كردة فعل وانتقام شخصي من قبل والي بغداد، وهذا ما أكده صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) حسن جمال بن أحمد الريكي، حيث يقول في كتابه عن تلك الحادثة ما نصه:
« ولما مضى بين وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثماني سنين، توفي عبد العزيز بن محمد بن سعود، وسبب وفاته هو أن علي باشا، الذي ولي وزارة بغداد بعد سليمان باشا كان دائم الحقد على آل سعود، وعلى كل من هو مُتمسك بدين محمد بن عبد الوهاب. وكانت له همم علية وقدرة جلية في إرسال العساكر عليهم، لكن أشغله عنهم مخاصمته مع العجم حيث ألقى حربًا على الشاه زاده محمد على ميرزا وال كرمان شاه. والحاصل أن علي باشا مرَّ يومًا على جسر بغداد، فقال لبعض ندمائه: لو يحصل عندي من يبذل نفسه ويسير إلى الدرعية فيقتل عبد العزيز غيلة، لأعطيته الآن ألف ذهب، وإذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه، قررت لعياله وعيال عياله وظائف من الديوان لا تنقطع أصلاً ، وكتبت كتابًا تُذكر فيه اللعنة على من يُخالف ذلك من

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وزراء بغداد بعدي. قال الراوي: فلما كان الغداء أتى رجل بيده رقعة، فوقف مُقابل طارمة الباشا على عادة ما يقف أهل الشكوى. فالتفت علي باشا وقال ائتوني بما في يد هذا الرجل. فأتوه بالرقعة، وإذا مكتوب فيها: من الفقير الحقير علي إلى جناب ولي نعمته الوزير المعظم علي باشا: أما بعد، فقد سمعت أنك تريد من يكفيك شر عبد العزيز النجدي بقتله، فهذا أنا أفعل ذلك بحول الله تعالى. فأمرَّ علي باشا بإحضار الرجل لديه، وقال له: أنت عليّ؟ قال: نعم. فقال: أتوفي بما قلت؟ قال: نعم. فأمر له بألف ذهب، وقال: هذه توضع بيد من تأمنه من الناس المعروفين في بغداد، فإذا بلغنا صنعك فهي لك، تُعطى لعيالك، ولهم أيضًا وظيفة جارية، تكفيهم من جميع الوجوه، إلى مدة بقاء الدولة العثمانية. فسار الرجل إلى بيته، وودَّع عياله، وأخذ له بعض المتاع، فأحقبه على ظهره، ثم أتى قبيل العصر إلى علي باشا، وأستأذنه الدخول عليه، فأذن له، فدخل وقال: ها أنا سائر على بركات الله تعالى، وأنت اصنع ما هو اللائق الذي أوعدت به. فقال الباشا: هذه طريقك؟ قال: نعم. فنادى أحد خدمه بأن ائتوه بحصان أم بغل من الإسطبل، فالتمس: أني لا أريد شيئًا. أمشي مع القوافل برسم الحاج الفقير المُضطر، حتى أصل الدرعية. فأمر علي باشا من ساعته بألف ذهب، فوضعت بيد من هو ائتمنه. وأمرَّ أيضًا بقدر من الطعام والدراهم فسلمت لعياله وبيته ثم سار، وكان مسيره سنة التاسعة عشرة من القرن الثالث عشر يوم الأحد لسبع ليال خلون من صفر. فانحدر إلى البصرة، ثم منها إلى الكويت، ثم سار مع ركب أهل الدرعية. وأول وصوله، قدم على عبد العزيز فقال له: أنا رجل من بغداد. سمعت بدينك من ذا عشر سنوات، ولكن لم أتمكن من وصولٍ إليك، ولله الحمد بلغت مرادي. فأنا أعاهدك على هذا الدين، وليس لي بعد ذلك رجوع إلى أهلي وعيالي، بل داركم هذه دار هجرة ومقام المؤمنين، وأنتم أعز عليّ من جميع قومي وعشيرتي. وكان رجلاً فصيحًا، فقبل منه عبد العزيز وقرَّبه إليه، حيث أنهُ رأى منه المُلازمة على صلاة الجماعة والتجنب عن بعض الأمور حيث عرض عليه

بعد كم يوم الزواج، فقال: لا. المُراد أن عبد العزيز أحبه أتمَّ محبة، وكان إذا دخل المسجد للصلاة يجعله إلى جنبه، لأنهُ يقول: هذا من الطائعين المُخلصين فالصلاة إلى قربه مزيد فضل. ولما صار عام العشرين من قرن الثالث عشر يوم الجمعة وكان يوم الغرة من شهر رجب أخفى الحاج علي خنجره تحت ثيابه وصمم على قتل عبد العزيز، في وسط الصلاة، ففعل كذلك في الحال، فخرَّ عبد العزيز ميتًا، وقُطع هو إربًا إربا. وبعد شهر كامل بلغ الخبر إلى بغداد، وسمع به علي باشا، وأسر غاية السرور، فحقق ذلك الخبر وقد عرف أن قاتله هو الحاج علي البغدادي، أرسل حينئذٍ خلف أولاده، وكانوا ثلاثة من الذكور وأربعًا من الإناث، فأكرمهم وأمر بدفع الألف الذهب التي عينها أولاً لأبيهم ثم أجرى لهم كل شهر كذا من الدراهم، وكانت العادة جارية إلى أيام سليمان باشا الذي صار وزيرًا على بغداد بعد علي باشا، ثم ولي الأمر بعده عبد الله باشا فقطعها ولم يعمل بموجب الدفتر المُقرر».[۞] -انتهى الاقتباس-

هذه هي رواية المؤرخ حسن جمال بن أحمد الريكي، وهي أقرب للواقع وتنطبق تمامًا على الأحداث، إلا أن المؤرخين الوهابيين أرادوا أن يجعلوا من إمامهم عبد العزيز شهيدًا من خلال القول إن من اغتاله هو شيعي رافضي، ومازال الوهابيون لحد الآن يسوقون لتلك الرواية السعودية.

ويبدو أن سعودًا قد أصيب بهستيريا بعد موت والده، فلم يتعظ أو يتعلم من المصير الذي أصاب أبيه عبد العزيز ولم يرتدع، بل واصل شن الهجمات الدموية، ولكن حملاته لم توفق بالنجاح بسبب حذر المُدن العراقية، والتهيؤ مُسبقًا لهكذا هجمات مُباغتة ومفاجئة من قبل شراذم الوهابية.

حيث شنَّ عدة هجمات جديدة بعد مقتل والده عبد العزيز فتوجه نحو مدن النجف والهندية والسماوة ثم البصرة والزبير، وغيرها من بقية المُدن العراقية ، إلا أن جهوده تلك باءت بالفشل ، حيث كانت تلك المواجهات شبيهة

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تأليف \ حسن جمال بن أحمد الريكي.

بالمُناوشات المتواضعة، بسبب استعداد تلك المدن والاستفادة من تجاربهم السابقة في مواجهة الوهابيين، وربما تكون تلك الحملات التي شنها سعود كانت نوعًا من تفريغ الغضب والانتقام والثأر لمقتل والده المغدور عبد العزيز، حيث يذكر ابن بشر أحداث تلك الغزوة قائلاً:

«( ثم دخلت السنة العشرون بعد المائتين والألف ١٢٢٠هـ)... وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل والجياد المسومة المشهورة من جميع نجد ونواحيها وبواديها وقصد جهة الشمال نوازل بلد المشهد (•) المعروف في العراق، وفرق المُسلمين عليه من كل جهة، وأمرهم أن يتسوروا الجدار على أهله. فلما قربوا منه فإذا دونه خندق عريض عميق، فلن يقدروا على الوصول إليه، وجرى بينهم مناوشة وقتال ورمي من السور والبروج فقتل من المُسلمين عدة قتلى فرجعوا عنه. ثم رحل منه سعود فانحاز على الزملات من عربان غزية فأخذ مواشيهم، ثم ورد الهندية (••) المعروفة ثم اجتاز بحلل الخزاعل، وجرى بينه وبينهم مناوشة وقتال وطرد خيل. ثم سار وقصد السماوة وحاصر أهلها ونهب نواحيها ودمر أشجارها، فوقع بينهم رمي وقتال، ثم رحل وقصد جهة البصرة ونازل أهل الزبير ووقع بينه وبين أهله مناوشة وقتال ورمي، ورحل منه إلى وطنه». ۞ - انتهى الاقتباس -

ثم يورد ابن بشر أيضًا عن تلك الغزوات الفاشلة قائلاً:

«( ثم دخلت السنة الثانية والعشرون بعد المائتين والألف ١٢٢٢هـ) وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة، والخيل العتاق المشهورة من جميع نواحي نجد والأحساء والجنوب وأهل وادي الدواسر وأهل بيشة ورنية والطائف والحجاز والتهائم. خرج من الدرعية في شهر جمادى الأولى واستنفر بوادي نجد وتوجه ناحية العراق وتلال بلد الحسين ، فوجدهم محصنين بلدهم بسور

---

(•) بلد المشهد أو مشهد علي: هي مدينة النجف التي فيها ضريح الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(••) بلدة الهندية : هي نفسها مدينة طويريج المعروفة الآن والتي يوجد فيها سدة الهندية.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

عظيم وجنود جمعوها وذلك بعد أخذ سعود لبلادهم عنوةً كما ذكرنا فيما تقدم. فحشد المُسلمون على السور وبالسلالم ووقع عنده رمي وقتل شديد، فلما علم سعود بإحصان بلدهم وعظم سورها كف المُسلمين بعده وكادوا يتجاوزون السور وينزلوا فيها. فرحل عنها ونزل بلدة عثاثا (•) المعروفة في العراق، فهرب أهلها في رؤوس الجبال، واستولى على بلدهم، ثم أرسل إليهم وأعطاهم الأمان ومن عليهم ببلدهم وما فيها، وأخذ جميع ما عندهم من الخيل: ذُكر لي أنهُ قريب مائة فرس، ثم رحل منها وقصد المجرة وناوش المنتفق بقتال وحصل مجاولة خيل، قتل فيها من المنتفق سلطان ابن حمود بن ثامر. ثم سار إلى البصرة ونزل عندها وسار المُسلمون على جنوبها ونهبوا فيه وقتلوا قتلى. ثم سار منها ونزل قبالة الزبير ثم رحل منه إلى وطنه». ۞

كما قام عبد الله بن سعود بإكمال مسيرة والده سعود في غزو وتدمير المدن العراقية المُتاخمة لصحراء نجد، لكنهُ لم يجني إلا الخيبة والخسران، عندما هزمه فارس الجربا قرب النجف، وذلك عندما أرسله والده سعود ليغزو المشهد أو (مشهد علي) وبقية مناطق العراق، وانشغل هو في غزو مكة المكرمة، حيث يذكر المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي عن تلك الهجمات قائلاً: « وفي نيسان ١٨٠٦م وصل عبد الله إلى أسوار الإمام علي ليلاً من دون أن يُشاهد، ووصل رجاله بواسطة السلام حتى اعتلوا السور وبدءوا ينصبون راياتهم بهدوء إلى حين قام أحد رؤسائهم، من الذين اعتبروا أن النصر بات لهم، بإلقاء خطاب فيهم، فنبَّه صوته الحارس الذي أعطى إشارة الخطر، فركض الجميع إلى السلاح، وارتد الوهابيون على أعقابهم بعد أن خسروا خسارة فادحة. ورأى عبد الله أن زيادة الاعتماد على النفس أبعدت عنه مآربه، فتراجع عدة كيلومترات عن المدينة، وقام شيخ من أقدم مشايخ

---

(•) ذكر بلدة عثاثا: والصحيح هي بلدة شثاثا
وهي بلدة تقع بين مدينة كربلاء والفلوجة وتتبع إداريًا لمحافظة الأنبار.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

العراق (•) يتبعه أحسن رجاله يحميهم مدفع الإمام علي، بالهجوم على العدو بشجاعة كبيرة. واندحر الوهابيون تحت وقع هذه الشجاعة وتركوا أربعمائة أو خمسمائة قتيل في ساحة المعركة برهانًا على ذلك. وفكَّر عبد الله بعد انكساره بالتعويض عن هذه الخسارة بالتوجه نحو السماوة. وكانت غايته في البداية أن يُفاجئ هذه المدينة، ولكنها كانت بانتظاره، وكان الموت جزاء إقدامه. فقد حاصر المدينة لعدة أيام فخسر أكثر من ألف رجل جراء الهجمات التي كانوا يخرجون بها عليه. وانسحب عبد الله مع رجاله وهو يتألم للخسائر التي لحقت به في هاتين المُحاولتين، وقرر أن يقوم بغزو مدينة الزبير، لكي يعوض عن هزيمته بانتصار باهر. ولكن الهزيمة واجهته للمرة الثالثة. وفي الهجمات التي قام بها للاستيلاء على هذه المدينة، قتل الزبيريون أكثر من مائتي رجل. فعاد عبد الله إلى الدرعية، يجر أذيال الفشل مع بقية جيشه، بينما كان والده ينتصر في مكة». ۞

والمُلاحظ هنا عن وفاة السفاح عبد العزيز بن محمد بن سعود، نجد أن المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي يذكره ويؤبنه كبطل وهو يُشيد بدوره الكبير في إضعاف الدولة العثمانية، ويعتبره أول من نخر في جسد الخلافة الإسلامية، ولا يُلام دوكورانسي ولا أي غربي صليبي آخر، حينما يرون في مسيرة ذلك المُجرم السعودي محطة مهمة ساهمت في تدمير العرب والمُسلمين، لقد قدم محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ومن جاء من بعدهم خدمات جليلة وعظيمة للمُستعمرين، وذلك عندما أعانوهم على دحر الخلافة الإسلامية، وشاركوا في إشغال جيوش دولة الخلافة التي كانت تخوض حروبًا طاحنة في جبهات البلقان، بينما كان محمد بن عبد الوهاب مشغولاً بتكفير الأتراك ويدعو للخروج عن ولاية الخلافة الإسلامية ويُفتي بقتل البدو المساكين البسطاء،

---

(•) يقصد لويس دوكورانسي بالشيخ من مشايخ العراق: هو الشيخ فارس الجربا أحد شيوخ شمر في العراق.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

**ويُعين الأعداء على دحر الخلافة الإسلامية في اسطنبول، فمن يقرأ ما كتبه لويس دوكورانسي قبل حوالي القرنين من الزمان، سيعرف الدور الخبيث الذي لعبه محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وأبناؤهما الذين جاؤوا من بعدهم، فالفرنسي لويس دوكورانسي يقول عن وفاة عبد العزيز ما نصه:**

**« وهكذا مات عبد العزيز في الوقت الذي دخل فيه مكة منتصرًا فأصبح سيد الجزيرة العربية، وأصاب السلطنة العثمانية بأخطر الضربات. والوهابيون مدينون لهذا القائد بانتصاراتهم الأولى. فهو أول من زعزع بصورة علنية حكم السلطان في آسيا، بعد أن انهار في أوربا، حيث مازالت بعض المصالح السياسية تسنده».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ**

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

- **نبذة مُختصرة عن سعود عبد العزيز بن محمد :**

بعد مقتل عبد العزيز على يد ذلك الدرويش الكردي، قام أبناء محمد بن عبد الوهاب وأتباع آل سعود بمُبايعة ولي أمرهم الجديد سعود بن عبد العزيز ليحل محل أبيه المغدور، ويبدو أن سعودًا قد فقد صوابه إثر تلك الحادثة فأصيب بصدمة كبيرة حينما فقد والده بتلك العملية الجراحية الدقيقة، ولم يتوانى في اتهام باشا بغداد (الكيخيا علي) سابقًا والذي رُقي فأصبح باشا بغداد بدلاً من أحمد باشا ـ كما مرَّ بنا سابقًا ـ. حيث يذكر لنا المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي ذلك الاتهام في رسالته، حيث يقول:

« وعلى هذا فإن وفاة عبد العزيز المؤلمة بحد ذاتها لم تؤدِ إلى أية نتيجة سيئة خلاف ذلك. فقد خلفه سعود واحتفظ مثله بلقب إمام الوهابيين، وأسند حكم الدرعية إلى عمه عبد الله. وقد ترك عبد العزيز عدة أولاد من زوجتين، وكان سعود أول أولاد الزوجة الثانية. وقد لوحظ في تصرفه منذ البداية، ميل ظاهر لإخوته من أبيه، وظل مُحافظًا على هذا السياسة ولم يحد عنها أبدًا. وسواء كان ذلك لتأكده من إخلاص أشقائه، أو لأنه كان يخشى من غيرة إخوته من أبيه، فقد كانت لهؤلاء المناصب والتشريفات، بينما أبعد الآخرون عن الإدارة، ومن هنا عدم الرضا الذي ظهر في العائلة والذي أتهم عبد الله بإثارته. وأول عمل قام به سعود بعد توليه الأمر كان في الثأر لموت عبد العزيز. وقد وجه التهمة لعلي، باشا بغداد، بأنه كان وراء تلك الجريمة. لذلك تقدمت سرية من الوهابيين في أواخر عام ١٨٠٣ نحو بغداد وخربت ضواحي الإمام علي». [۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

وقد ذكر المؤرخ السويسري/ الإنجليزي جون لويس بوركهارت، نبذة عن حياة سعود، وصفه وصفًا دقيقًا، حيث يقول في كتابه عنه:

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

« سعود هو الزعيم الذي نقل إلى ذريته تعاليم مذهب الوهابية، وهو الابن الأكبر لعبد العزيز الذي لقي حتفه غيلة في عام ١٨٠٣ وهناك شقيقان لسعود هما عبد الرحمن وعبد الله، وثلاثتهم أبناء عبد العزيز من زوجته ابنة الشيخ عبد الوهاب. وقد مات سعود في نيسان عام ١٨١٤ بعدما أصابته حمى أثناء وجوده في الدرعية عن عمر يناهز الخامسة والأربعين أو الخمسين. ويعزى إلى موته وغيابه عن الساحة ما حلَّ بشعبه من سوء الطالع الذي حلَّ بهم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى مباشرة. ويُقال إن سعود المذكور كان رجلاً وسيمًا بشكل مميز بالملامح والسيماء التي تميزت بها عائلته، حيث كان ذو لحية طويلة بما يزيد عن المعتاد لمن هم حوله من البدو، فضلاً عن الشعر الكث حول فمه، إلى درجة أنَّ أهل الدرعية أطلقوا عليه اسم أبو الشوارب. ويمتدح العرب جميعًا؛ بما فيهم أعداءه؛ حكمة سعود في إبداء الرأي والمشورة، ومهارته في فض النزاعات، كما أنه كان فقيهًا مثقفًا في الشريعة الإسلامية. أما صرامته ودقته في العدالة فقد حببته إلى السواد الأعظم من العرب، رغم أنها كانت تبعث على تقزز القادة من حوله. ومنذ أن شرع في الحروب والمعارك أثناء فترة حكمه، لم يقاتل بشخصه في أية معركة(*) وإنما كان يدير ويوجه جيشه من موقع يبعد قليلاً عن المؤخرة. ولكن العرب يروون أنه قاتل ذات مرة في معركة عندما كان يبلغ من العمر اثني عشر عامًا وذلك إلى جانب والده عبد العزيز. لقد أنجبت له زوجته الأولى التي توفيت ثمانية أولاد، أكبرهم يدعى عبد الله، الذي احتل المرتبة الثانية في السلطة أثناء حياة والده، ثم تبوأ رئاسة الحكومة بعد موت والده. ويُقال إن عبد الله كان فارسًا وأنه كان يقفز إلى متن جواده عندما كان في الخامسة من عمره، كما أنه أكثر تفوقا في الشجاعة من والده ، حيث أنه اتخذ لنفسه منهجًا وقانونًا ، أن يقاتل بنفسه في

---

(*) ذكر بوركهارت أن سعودًا لم يُقاتل قط بنفسه في المعارك، بل كان يتخذ مكانًا قصيًا من المعركة لمُتابعة سير المعركة. والحقيقة أن آل سعود جميعهم لم يتحلوا بالشجاعة كي يُقاتلوا بأنفسهم، بل كانوا يتصفون بالمكر والمُراوغة، ويفرون عادةً إذا هزمت جيوشهم، وحتى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود المُتأخر عرف عنه استخدامه (الدربيل) الناظور الإنجليزي في متابعة سير المعارك عن بعد.

كل معركة يتوجه إليها. وأثناء حياة والده سعود، كانت المؤهلات العقلية التي يتمتع بها عبد الله توصف على أنها من النمط الخارق في الحكمة والحصافة. ولكن الوسائل والمعايير التي تبناها في مواجهة محمد علي تبرهن على أنه لم يكن يمتلك القدرات التي كان يمتلكها والده في هذه المجالات والمناحي. ويُقال إن سعود كان يمتلك ما لا يقل عن ألفي فرس عربي أصيل ملكًا خاصًا له، منها ثلاثمائة أو أربعمائة مرابطة باستمرار في الدرعية، وأما البقية فكانت في مقاطعة الأحساء، حيث يتوفر العلف بشكل ممتاز. ويمتلك سعود أجود سلائل الخيل في جزيرة العرب، حيث أخذ بعضها من مالكيها الأصليين كعقاب لهم على سوء أعمالهم أو اقترافهم لأعمال تستحق الردع، أو على شكل غرامة، كما أنه اشترى كثيرًا منها بأسعار عالية، حيث دفع ذات مرة ما بين ٤٥٠ - ٦٠٠ جنيه إسترليني ذهبًا، ثمنًا لمهرة واحدة. سَمَحَ لكل واحد من أبنائه أن يحيط نفسه بحاشية (مركوبية) قوام كل منها ١٠٠-١٥٠ خيالاً، أما عبد الله، فكان لديه مركوبية أثناء حياة والده، يزيد قوامها على ثلاثمائة فارس، كما يضاف إلى هؤلاء العديد من النجائب (مفردها نجيبة وهي الذلول)، أو الجمال السريعة العدو والمشي، حيث احتفظ سعود بأفضل أنواع النجائب المتوفرة في جزيرة العرب». ۞ - انتهى الاقتباس -

وكما مرَّ بنا في قول بوركهارت أعلاه، فإن سعود كان رعديدًا وإن جنى سمعة وشهرة وصيت كبير، إلا أنهُ لم يُقاتل قط بنفسه، بل كان يُراقب سير المعارك عن بُعد، كما كان يفعل أسلافه، وكان دائمًا يتخلف مع حراسه والمُقربين منه في مؤخرة الغزو، وينتظر نتيجة المعركة، وتلك العادة السيئة ورثها من أبيه عبد العزيز وكذلك من جده محمد، فقد كانوا يزجون بالأمير عثمان بن معمر في أتون المعارك، ويبقون يتفرجون على المعركة وينتظرون النتيجة، ولذلك هزموا شر هزيمة على يد المكرمي - كما مرَّ معنا في الفصل السابق - لأنهُ كان

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

يُقاتل بنفسه ويتقدم شجعان قبيلته يام في المعركة، بينما عبد العزيز هرب كعادته بعد انكسار جيشه وترك أهالي الحاير يواجهون النجرانيين لوحدهم.

وعن تلك الصفة الخبيثة في آل سعود، وهي صفة التولي عند الزحف والتخلف عن القتال واللجوء إلى مؤخرة الجيش، يُضيف بوركهارت قائلاً:

«وعندما يقترب الجيش من العدو، ويتقدم في وضع قتالي، ينقسم إلى أربعة كراديس أو ثلاثة، واحدًا تلو الآخر، ويكون الجزء الأول وهو من الفرسان الخيالة رأس الهجوم، حيث يشكل القوة الرئيسة الضاغطة على الهدف، ويتم دعمهم بالخط الثاني الذين يتألفون من الهجانة الذين يتقدمون عندما تحل الهزيمة بالفرسان أو أرادوا الكر والفر. وقد امتنع سعود لمدة طويلة أن يخوض بنفسه غمار القتال، ويبقى دائمًا في مؤخرة الجيش. كان سعود يعتبر من يقتل من رجاله أنه شهيدًا وأن له الجنة حسبما هو نص القرآن الكريم أن الشهيد يذهب للجنة. ومن المعتقدات الشائعة أيضًا، أنه إذا ما لقي شيخ حتفه في المعركة، وهو مقبل غير مدبر، وعادت فرسه التي كان يمتطي صهوتها إلى حيث قوات سعود حيث إن ذلك أمر طبيعي في عودتها إلى الجهة التي تعرفها، فإن التقرير أو الخبر الذي يرفع إلى الزعيم الوهابي عن الشيخ القتيل تعتبر أنباء في منتهى الأهمية، لأن ذلك يعني أن الشيخ القتيل إنما هو شهيد ذهب إلى الجنة. وأما طريقة إخبار الزعيم الوهابي عن الحدث فهو: أبشرك يا سعود، لقد عادت مهرة الرجل إلينا سالمة».۞ - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن سعودًا كان مُستبدًا في رأيه لذلك واجه مُعارضة ونفور من قبل إخوته الأشقاء الذين كان يُحرضهم عليه عمهم عبد الله بن محمد بن سعود، وكذلك يبدو أن سعودًا بالإضافة إلى استبداده وبذخه وتبذيره كان شديد المراس مع إخوته الأشقاء وكذلك مع والدته، عكس علاقته الطيبة مع إخوته غير الأشقاء، وتلك حالة نادرة حقًا!. إذا تعود الناس عادةً على أن يروا حدوث

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

خلافات ومشاكل بين الإخوة غير الأشقاء، ويروا دائمًا أن الإخوة الأشقاء يتكتلون ويتكاتفون ضد إخوانهم غير الأشقاء خصوصًا في حالات الحكم والسلطة وحتى مسألة الإرث والتركات، إلا في حالة سعود فيبدو الأمر مُختلفًا، ولابد أن تكون خلفه أسباب معقولة، إذ من غير المعقول أن يُناشب سعود أشقاءه العداء إلا إذا كان الأمر بينهم قد وصل إلى مرحلة العداء المُستحكم، وكذلك يذكر الضابط الفرنسي أن خصومة حدثت بين سعود ووالدته ابنة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لكنه يعود في نفس الكتاب ويذكر أن تلك الخصومة كانت بين سعود وحماته من بنات محمد بن عبد الوهاب، أي والدة زوجته، ويبدو الرواية الثانية أقرب للواقع وللتصديق.

وعن تلك الأخبار الموجزة، يذكر الفرنسي لويس دوكورانسي قائلاً:

« وارتاحت بغداد لمدة من الزمن من نشاط الوهابيين. وعُزي ذلك لأسباب عديدة، منها ما يعود لاحتلالهم البلاد المُقدسة (يقصد مكة والمدينة)، أو للأمراض التي تفشت بين إبلهم، أو للمجاعة التي حلت في بلادهم، أو للارتباك الذي أوقعهم فيه هجرة كبير مشايخ شمر الذي أتى على رأس عشرين ألف رجل يعرض خدماته على علي باشا. والبعض الآخر كان يتصور أن السبب هو التذمر من سعود، للظلم الذي عامل به والدته بنت الشيخ إذ انتزع منها بالقوة بستانًا كان قد كلفها مائة ألف قرش. وكذلك الازدراء الذي كان يُعامل به أهله بحيث فضل تسليم قصره للشيخ منصور الذي نال ثقته بالمداهنة. وتم ذلك في الوقت الذي كان ابنه عبد الله، وقد اعترفت به جميع مُقاطعات خلفًا لأبيه، يرحل على رأس جيش قوي لمُهاجمة الإمام علي، بينما توجه سعود مع جيش لا يقل قوة إلى نحو مكة والمدينة. وقد سببت مُعاملة سعود لوالدته وأهله اشمئزاز الجميع وأيقظت الحسد في نفوسهم، هذا الحسد الذي تولد ضده على أثر التصرف الذي تصرفه مع إخوته، يوم تولى الرئاسة، حيث أجزل العطاء لإخوته من أبيه وأسند إليهم الوظائف الهامة بينما أبعد عنها أشقاءه، كما

أبعدهم عن الأمور العامة. واجتمع هؤلاء ووجدوا قائدًا في شخص عبد الله، عمّ سعود، الذي لم يكن من الموافقين على سياسة ابن أخيه. ولكن هذه الفرقة لم تمنع سعودًا ولا عبد الله من الحرب، بالرغم من جهلنا الأسلوب الذي اتبع في تهدئتها». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويؤكد أيضًا بوركهارت على أن سعودًا كان يغار من بقية أشقائه، ولكنهُ كان يحب أبناءه، حيث يقول:

« ويتميز سعود أنه لم يسمح لأي من أولاده مزاولة أي تأثير في الشؤون العامة، وذلك باستثناء عبد الله الذي شارك والده في تصريف الدولة والرأي والمشورة. ومع هذا، فإن سعود كان محبًا لأولاده، قريبًا منهم. ولا زال أهالي مكة يستذكرون بكل سرور، ما حدث له، ومنه أثناء موسم الحج، عندما كان يجلس عند بوابة الكعبة، عندما كان أتباعه يقومون بكسوة الكعبة بلباسها الجديد، بينما كان العديد من الحجاج يقومون بالطواف حولها. في هذه اللحظة؛ كما تقول الرواية، تقدمت زوجة ولده فهد، تقدمت من سعود وهي تحمل على يديها أحد أطفالها الصغار. حيث أنها وصلت توًا إلى هنا لأداء فريضة الحج، وأسرعت نحو سعود لتقدم له الطفل الرضيع الذي لم يره من قبل. وهنا أخذه منها، وقبله بعاطفة المحبة الأبوية، وقام، وبحضور الحجاج من حوله بوضعه في حجره لفترة من الوقت. وبالإضافة إلى زوجته، كان لدى سعود محظيات وجواري؛ كما كانت عادة عليةِ القوم في نجد. وقد أقام وبرفقته سائر أعضاء أسرته في صرح (بناء) واسع، كان بناه والده على سفح الجبل الذي يعلو بلدة الدرعية، وقد اشتمل البناء على سائر أفراد أسرته، فضلاً عن إخوته جميعًا الذين كان لكل منهم جناحه المنفصل في ذلك البناء. ويُقال إنه كان يغار كثيرًا من إخوته، ولم يعين أيًا منهم في مركز يتطلب الثقة، ولم يسمح لأي منهم بمغادرة الدرعية. وكان يحتفظ بالكنوز والمال في هذا الصرح الذي يسكنه، كما

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

أنه كان يستقبل جميع القادمين إلى الدرعية لأغراض العمل والتجارة ويستضيفهم في هذا الصرح نفسه. احتفظ سعود بعدد من العبيد السود في منزله، كما كان لا يسمح لأي من أزواجه أو محظياته (جواريه) أن ترضع طفلها، وإنما كانت مهمة الرضاعة توكل كل إلى ضئر (أي المرضعة لولد غيرها)، يتم اختيارهن (المرضعات) بعناية من بين العبدات الحبشيات. ومثل هذا المنهج متبع أيضًا لدى أشراف مكة، الذين يرسلون بأطفالهم إلى البادية لمزيد من التعلم والفصاحة والثقافة، لدى القبائل البدوية المجاورة، ويتم إرسالهم بعد ثماني ليال في بيوت آبائهم بعد ولادتهم، كما أن محمد بن سعود كان قد تلقى مثل هذه التربية لدى قبيلة العدوان».۞ -انتهى الاقتباس-

وكما ذكرت أعلاه فإن سعود قد اشتهر بالبذخ والتبذير وحب الاستعراض والتباهي بما لديه من أموال وكنوز، وهذا الأمر كان جديدًا على بيئة نجد المُدقعة، حيث جُبل الناس في تلك البقعة على التواضع وحياة الكفاف وقلة الإمكانات وكره البذخ والتبذير، وقد اجتهدوا طويلاً في أن يسعوا في كسب رزقهم الحلال قبل مجيء الوهابية وأن يفرقوا بين الكرم الواجب وبين البذخ المكروه، ولأن الثراء أصلاً لم يطرق أبوابهم حتى يتباهوا ويتماهوا ويسرفوا، إلا أن كثرة حملات السلب والنهب وقطع الطريق وأخذ الخاوات، جعلت من الدرعية كأكبر خزينة مليئة بالكنوز والأموال تقبع في قلب الصحراء، ودفعت سعود للبذخ والتبذير لأنهُ كان محرومًا ولم يتعود على وجود مثل تلك الأموال الطائلة.

وبدلاً من أن يُقوم سعود بتقسيم تلك الأموال المنهوبة على الفقراء والمُحتاجين في الدرعية ونجد، احتكر سعود تلك الأموال وأسرف على مسألة الترف وترفيه نفسه بما لذ وطاب، وأخذ يُنافس ملوك الشرق في مظاهر الأبهة والزهو وحب الظهور، وهو ما دفع الكثير من أتباعه للتذمر والملل من

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

ذلك النظام النفاقي، الذي يزعم التدين ويدعي الشرع، وبنفس الوقت هو يسلب وينهب مُدخرات وحلال الناس ويسرف تلك الأموال على نزواته وملذاته الشخصية.

وعن حالة البذخ والإسراف التي تميز بها سعود، يذكر المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي قائلاً:

« وهكذا انتشر بذخ آسيا في قصره، هذا البذخ الذي ظل حتى ذلك الوقت مجهولاً في الدرعية. وأسرف في استعمال أقمشة الهند، وفي فرش أفخم الأثاث. وكان لباسه من الغنى بقدر ما كان لباس أبيه البساطة، فكان يتصنع العظمة والأبهة في ثيابه، حتى قيل إن عباءته وحدها كانت تكلف مائتي ألف قرش. وقلّد سعود أمراء الشرق في تصرفاتهم، كما قلّدهم في بذخهم. فأبعد أشقاءه عن الإدارة، وحرمهم من ثقته، فأعطاها كاملة لرجل غريب هو الشيخ منصور الذي استغل بذور الشقاق المُنتشرة في العائلة وسيطر على أفكاره. وقد شارك هذا الغريب في سطوته، وأودعه السلطة، فأصبحت له وظيفة الوزراء الشرقيين، ولم ينقصه منها سوى الاسم. وهذه نتيجة حتمية للاستبداد. فالحاكم المُستبد يُفضل السير مع أهوائه على العناية بإدارة بلاده عندما يشعر أنهُ أصبح سيد بلاد عظيمة. وهذا وحده كان كافيًا لتفسير هبوط مستوى تصرفات سعود، واقترابها من الاستغلال. فبعد أن تحرر من مبادئ عبد الوهاب، أظهر سعود احتقارًا نحو أهله الذين ظلوا يحتفظون ببساطتهم الأولى. ولم يجنبهم سوء المُعاملة، ولا دفع الإتاوة، حتى أنهُ انتزع من حماته بنت الشيخ، بدون أي أصول، بستانًا جميلاً جدًا كان ملكها. وهكذا الحال مع الفرق الجديدة، فإنها لا تحارب استغلال السلطة، إلا كوسيلة للتوصل إليها، واستغلالها بدورها».۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

وأما عن بعض أملاكه من العبيد والخيل، فيذكر المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر في كتابه، وذلك من خلال ما أخبره به أحد العاملين في قصره، حيث يقول نقلاً عنه: « وملك من الخيل العتاق ألفا وأربعمائة فرس يغزو معه منها ستمائة فرس يركبها رجال انتقاهم من شجعان البوادي وشجعان مماليكه وغيرهم. وقال: ومماليكه الذكور أكثر من خمسمائة مملوك. وقال غيره ستمائة للذكور. وقال آخر: إن مماليكه أكثر من ألف ومائتان مملوك بين ذكور وإناث». ۞ - انتهى الاقتباس -

وقد عاش سعود أواخر أيامه خائفًا يترقب انتقام الأعداء، وكان حذرًا ويخشى أن يُلاقي مصير والده، فأصبح يحتاط ويخشى الاختلاط مع الناس سواء في الدرعية أو خارجها، ويُقال إنهُ كان يلبس درعًا تحت ملابسه خوفًا من الاغتيال.

وأما عن سياسته الداخلية فقد كانت سياسة استبدادية قمعية حتى مع أقرب الناس إليه، أي على مبدأ فرعون لا أريكم إلا ما أرى، ولكنه كان يزعم بأنهُ يستخدم سياسة الباب المفتوح، كم يدعي أحفاده الآن، حيث يروجون أنهم يفتحون أبوابهم للمواطنين أمام الكاميرات فقط، بينما قصورهم مُحصنة وعليها آلاف الحرس وعشرات البوابات، بل كان سعود غضوبًا نزقًا وكثيرًا ما يضرب ويجلد بنفسه من يُعارضه بالكلام أو يُخالفه بالرأي.

وعن تلك اللمحات من سياسته الداخلية، يذكر بيركهارت قائلاً:

« وكان سعود يمارس سياسة الباب المفتوح في تعامله مع الناس، وإذا ما رغب الشخص الحصول على مقابلة خاصة بدون رغبته، فإن ذلك كان أمرًا صعبًا، لكنه لم يكن مستحيلاً. لقد كان محوطًا بالعديد من المصريين الذين كانوا يعملون بوابين، الذين إذا ما حصلوا على رشوة من شخص يسمحوا له بالمقابل بالدخول إلى الأجزاء الداخلية في ساعات غير عادية. وكان مثل هذا

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

الداخل ينتظر طويلاً أو قليلاً، أمام الأقسام الداخلية والأجنحة الخاصة، إلى أن يحظى بمرور أحد الشيوخ المهمين ويدخل مع مرافقيه. كان سعود يبدي نقمته بل وسخطه عندما يحاول أي بدوي أن يخدعه بالزيف، وفي حالة كهذه، كان يمسك بعصا ويخففه (يضربه) بها، ولكنه وعندما يذهب غيظه، ويتوارى حنقه فإنه يثوب إلى رشده، ويبدي رغبة وامتنانًا إذا ما قام الحضور من حوله بالتوسط والتدخل لمنعه من ضرب أي شخص، وبخاصة عندما يستبد به غضبه. وقد كان هذا دَيدَنَهْ ومن حوله، وكان يعبر عن شكره وامتنانه لمن يتدخل ليحول بينه وبين ما كان يبغي من معاقبته أحد الحضور ضربًا بالعصا. وأثناء إقامته في الدرعية، فإن سعود كان نادرًا ما يغادر منزله، ما عدا خروجه لأداء فريضة صلاة الجمعة بالمسجد المجاور. ويعزو العرب ذلك إلى خشيته من أن يلقى المصير الذي لقيه والده من قبل، حيث هلك غيلة. كما إن هناك أعداء ضد سعود، يتربصون به الدوائر، وهم منتشرون بين العربان، وتوّاقون للانتقام أخذًا بثأر أقاربهم الذين لقوا مصرعهم على يد سعود نفسه، وجاهزون للتآمر على حياته، إذا ما وجدوا أية فرصة للإجهاز عليه. ويقول أحد أصدقائه أنه يمضي سحابة اليوم كله في منزله بالدراسة. ومن المعروف لدى الجميع أن سعود وعلى أثر مقتل والده، كان يرتدي وعلى مدى عدة سنوات درعًا حديديًا تحت مئزره خشية أن تمتد يد الاغتيال إليه. ويقول أهل مكة، إنه كان في السنوات التي أقام فيها بمكة محاطًا باستمرار بعدد من الحراس من النخبة المنتقاة، وكان لا يجرؤ أي غريب أن يقترب منه. كما أنه كان لا يذهب لأداء الصَّلوات في المسجد الحرام، ولا يقوم بالطواف حول الكعبة، إلا وهو محاط بالعديد من حراسه وأتباعه. وكان لا يصلي في الحرم مع عامة الناس، ولا يختار مقام الحنبلي، وإنما يعتلي بئر زمزم ليتخذه مصلى له، لأنه موقع آمن، وكان يؤدي صلواته فوق السطح الذي يشكل مقام الشافعي». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

ويذكر لنا الشيخ أحمد بن زيني دحلان في مخطوطته، كيف كان مُفتي مكة آنذاك الشيخ عبد الملك يسخر من عقلية سعود بن عبد العزيز، الذي يعتقد أن أهل مكة يجهلون حرمة الزنا وشرب الخمر، فيقول مُتهكمًا:

« فلما كان العصر اجتمعوا، فجاء (سعود) وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمفاتي معهم، ففهمهم وبلّغهم وتشدّق وتكلم والناس تحته ملأوا الحرم، وصار يعلمهم دين رعاة الغنم، وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم، ثم وقف يخاطب المُفتي عبد الملك ويعلمه الدين، لا يتوقف في قوله ولا يرتبك كلما علّمه مسألة يقول له: علمها الناس حتى يعرفها الجهلة، فكان أول ما علمه من كلامه، فبلغه هو قوله اعلموا أيها الناس إن الأمير سعودًا يقول لكم إن الخمر حرام، والزنا حرام إلى أخر الكلام الذي يعلمه البهائم والأنعام».[۞]

أما عن الأحكام وطريقة تنفيذ الشرع الوهابي، فقد كان الحكم انتقائيًا مزاجيًا وإن تلبس أحيانًا بلبوس الشرع المُطعم بمشاعر الحقد والقسوة الجائرة والترهيب، لكنه يبقى حكمًا وفق أهواء ورغبات الأمير نفسه، أي الصورة في زمن سعود بن عبد العزيز شبيهة كثيرًا بالوضع القائم حاليًا في عهد آل سعود المُعاصرين، إذ يُطبق الشرع السعودي المزاجي على الضعفاء والفقراء فقط، وإما ادعاءات الوهابية بتطبيق الشرع الإسلامي الحنيف وتنفيذ القصاص بالمُجرمين، وتنفيذ الشريعة الإسلامية الغراء بحذافيرها، فهي مُجرد ادعاءات كاذبة، والغرض منها امتطاء الشريعة الإسلامية لتحقيق الأغراض الشخصية وضمان ديمومة الحكم والسلطة.

وعن أحكام سعود القرقوشية يذكر بوركهارت أيضًا:

« كان سعود يوصف بأن عدالته لا يدانيها الفساد والانحراف، ولكنه حازم إلى درجة القسوة في أحكامه الصادرة بحق المعتدين. وقد كان لنفوذه العظيم دورًا

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية: الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

في الاكتشاف الفوري للشاهد المراوغ الكاذب، حيث كان يوقع عقوبة قاسية على مثل هذا الشاهد، ليكون عبرة لغيره. ومع هذا لم تكن عقوبات قاسية جدًا، وأستطيع التأكيد أنه، ومنذ مات والده إلى الآن (١٨١٦)، لم يوقع عقوبة الإعدام إلا بأربعة أو خمسة رجال في الدرعية. وحيث أن البدو نادرًا ما يملكون النقود، فإنه (أي سعود) كان يوقع عليهم الغرامة على شكل خيل وإبل وأغنام. وقد أدَّت سياسته هذه وقسوته إلى إيجاد وخلق أعداء له حتى من بين ظهراني عربانه المقربين. ولم يحترم يومًا حرمة الحماية التي يعطيها العربان لأي منتهك للقانون. فقد ألغى قوانين البدو المتعلقة بالدخالة، في سائر أنحاء المناطق التي تقع ضمن سلطانه، طالما أن هذه الدخالة تستخدم لحماية وصيانة أيِّ شخص هارب من وجه العدالة، أو مطلوب للقانون. لقد كانت العادة الشائعة أنه إذا ما قتل شخص شخصًا، فإن القاتل يطلب الدخالة في كنف صديق له، ليضمن له سلامته من الثأر الفوري من أهل القتيل. وكان مثل هذا يستطيع البقاء تحت حماية قابل الدخالة إلى أن يتم استدعاؤه للقانون، وحينها عليه أن يسلّم نفسه طواعية. يستطيع الشيوخ الأقوياء منح الدخالة لمن يقترف ما يخالف القانون، حتى ذاك الذي اقترف مخالفات صغيرة. وحيث أن المخطئ يخشى سطوة سعود، فإنه يبحث عن الحماية لدى شيخ ذي مأثرة وتأثير لدى سعود نفسه، وهنا، يتشفع هذا الشيخ، ليؤثر عادة على سعود أن يصفح عن المذنب وأن يلغي العقوبة أو أن يستبدلها بغرامة قليلة. أما الذنب الذي لا يغتفر عند سعود، ويستحق العقوبة، فهو التعامل والاتصال الذي يقوم به أيٌّ من الوهابيين بغيرهم ممن يسميهم المهرطقين. فما أن توطدت أركان المذهب الوهابي، حتى صدرت الأوامر الصارمة بتحريم جميع الاتصالات ما بين الوهابيين والشعوب الأخرى، الذين لم يعتنقوا المذهب الوهابي بعد، لأن الوهابيين كانوا يؤمنون قولاً وعملاً أن وسيلة التفاهم مع من ليس على مذهبهم هو السيف، بل والسيف وحده. وحيث أن أهالي نجد اعتادوا الاتصال والتجارة والميرة والزيارة للمدينة، ودمشق، وبغداد، والأقطار المجاورة،

فإنهم كانوا على الدوام يعصون أوامر تحريم هذه الحركات والاتصالات، مما أضطر معه سعود أن يخفف من إجراءاته وتعليماته الصارمة حول الموضوع. بل أنه تغاضى تكتيكيًا في الفترة الأخيرة، بخصوص موكب الحج السوري، مما أتاح لعربانه نقل مؤونة قوافل الحجيج، بينما اكتفى هو بتقاضي دولار واحد عن كل جمل يعود لشعبه إذا ما استخدم هذا الجمل بعمليات النقل. وباستثناء هذه الحالة، فإنه لم يسمح لشعبه أن يتاجر مع سوريا إطلاقًا، أو بغداد حتى ما بعد عام ١٨١٠م، عندما بدأت الحملة المصرية. ومع هذا فإن القانون الذي لا زال سائدًا، ينص على أنه إذا ما وُجد وهابي، سواء أكان بدويًا أو تاجرًا، على أي من الطريق المؤدية إلى أقطار الهراطقة، (والتي يحددها اتجاه الطريق ونوع الحمولة)، فإنه يتم مصادرة جميع هذه القوافل. وممتلكات الشخص المقبوض عليه ومواشيه، وذلك لصالح الخزينة العامة. ولكنه إذا ما كان عائدًا من بلدان الهراطقة، فإنه لا تتم مصادرة ممتلكاته. أما عقوبة من يشتم أو يلعن الوهابيين، أو يدعوهم بالمشركين، فإنه يجلب على نفسه عقوبات قاسية وثقيلة، ذلك أن مصطلحات الإهانة مفصلة عند الوهابيين بدقة متناهية. ونجد أن الأسوأ الذي لا يجد عقوبة بالقانون أن تقول لشخص: أنت كلب. أما الإهانة العامة، فهي أن تقول له: يا فاعل، وتعني أنه ارتكب خطيئة شيطانية، أو سوءًا ما. ومن الكلمات التي تستوجب العقوبة، قول شخص لآخر: يا تارك أي أنه تاركٌ للدين مفارقٌ للجماعة. وبمعنى آخر، فإن كلمتي فاعل أي مرتكب خطيئة أو جريمة كبرى فهو مجرم، وتارك أي خارج من المِلَّة، وبذلك فإنهما من أقسى الكلمات المهينة لأي شخص. أما طريقة التعذيب عندهم فهي: باستخدام نمط أداة تعذيب خشبية ذات ثقوب تُقيد فيها رجلا المذنب، وتدعى دبابة ومثل هذه الطريقة تستخدم للطبقة الدنيا وحدها. ولدى سعود سجن في قصره للأشخاص من ذوي الأهمية والاعتبار، وبخاصة أولئك الذين حُكم عليهم بدفع غرامة، أو فدية محددة، ويشكون الفقر، ويرفضون تنفيذ الحكم. وفي بعض الحالات يستمر سجنهم إلى أن

يدفعوا القيمة المطلوبة. أما الذين لا يرعون حرمة رمضان، بعدم الصيام، بدون عذر شرعي، فإن المفطر في هذه الحالة يتعرض لعقوبة عظيمة تصل إلى الإعدام. فقد حدث زمن عبد العزيز الذي كان أكثر تشددًا من ولده سعود، أن أمر بإعدام بدوي لأنه أفطر رمضان. وبالحديث عن التدخين، فهو ممنوع علنًا، ولكن المعروف جيدًا أن أهالي نجد مولعون بالتدخين، ويمارسون ذلك في بيوتهم، وكذلك نجد الوهابيين يدخنون ليلاً في مضاربهم ومعسكراتهم. ولا توجد عملة نقدية لدى الوهابيين خاصة بهم، حيث أن العملة المتداولة هو الدولار، كما أن المواد ذات الأثمان القليلة تقدَّر عادة بمكيال الحنطة، أو يتم شراؤها بالعملة الفضية اليمنية الصادرة زمن الأمام. كما تؤخذ العملة الفنيسية (نسبة إلى فينيسيا في إيطاليا)، ولكنهم لا يتداولون العملة التركية إطلاقا. وفي أثناء الحرب الأخيرة بين الأتراك والوهابيين، كان الوهابيون يقتلون الجندي التركي ويسلبونه ما لديه، وإذا ما عثروا لديهم على نقود تركية ألقوها على الأرض بكل احتقار ونقمة». ۞ - انتهى الاقتباس -

وربما كان من أشد وأخبث العقوبات التي مارسها سعود ضد البدو، واستخدمها قبله أبوه عبد العزيز وكذلك جده محمد، هي عقوبة حلق لحى خصومه، وخصوصًا الشيوخ المعرفين وزعماء القبائل، حيث كان آل سعود يتلذذون بإهانة شيوخ القبائل البدوية، وأحيانًا يستغلون أنفة البدوي ومُحافظته على كرامة لحيته، فيبتزونه من خلال تهديده بحلق لحيته، إذا ما أرادوا تحقيق شيء ما، كما كان البدو يُطلقون على سعود "أبا الشوارب" لأنهُ كان يقص شوارب البدو الطويلة، والمعروف أن البدو الأوائل كانوا يفتخرون بالشوارب الطويلة، وأيضًا الأتراك اشتهروا كذلك بإطالة الشارب كنوع من مظاهر الرجولة، فكان سعود يأتي بكبار شيوخ العشائر ثم يقص شواربهم كنوع من العقوبة، وأحيانًا يزعم أنهُ يُطبق الحديث النبوي الشريف القائل:

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

( أكرموا اللحى وأهينوا الشوارب)، ولهذا أطلق عليه البدو مُسمى أبو الشوارب. وعن تلك العقوبات السعودية الخبيثة، يذكر بوركهارت قائلاً:

« أما العقوبة المؤلمة القصوى والموجعة التي يُنزلها زعيم الوهابيين بالآخرين، فكانت أوامره بحلق لحية الرجل المذنب أو الجاني. ومثل هذه العقوبة لم يوقعها إلا على أشخاص من ذوي الشأن في قبائلهم، أو الشيوخ الذين تزل بهم أقدامهم للثورة ضده. ومثل هذه العقوبة مشينة مهينة إلى درجة لا تطاق بالنسبة للبدو، بل وأكثر وقعًا عليهم من الموت. فإذا ما أبتلي بدوي بهذه العقوبة، فعليه أن يتوارى عن الأنظار مدة حتى تنبت لحيته من جديد إلى سابق ما كانت عليه. ويمكن تلقي الحكايات النادرة التي يروونها في هذا الموضوع، والتي تُلقي الضوء على الميّزات الحقيقية للعربي/ البدوي، هذه القصة التالية: لقد سمع سعود عن مُهرة يمتلكها أحد شيوخ شمّر، ورغب في شرائها منه، ولكن مالكها رفض بيعها بأي ثمن كان، وفي أثناء ذلك أصدر سعود حكمه بحلق لحية أحد شيوخ قحطان بسبب اقترافه ذنبًا ما، وعندما حضر الحلاق ومعه مقّصه بحضور سعود تحدث الشيخ المحكوم قائلاً: "يا سعود خذ مهرة الشمّري فدية للحيتي". وهنا ألغيت العقوبة، ويُسمح للشيخ أن يذهب للمساومة على ثمن المهرة، حيث بلغ ألفين وخمسمائة دولار، مقسمًا أنه لن يغادر بدونها (بدون الفرس) مهما كان ثمنها، لأن بقاء لحية قحطاني نبيل أغلى وأعلى ثمنًا من هذا المبلغ كله. ولكن هذا المثل نادر، ذلك أن سعود كان يرفض العطايا المالية التي تقدم إليه لقاء إلغاء عقوبة حلق اللحية». ۞ - انتهى الاقتباس -

وأما بالنسبة لصرفيات سعود ومصادر دخله وطريقة تحصيله للأموال، فيحصرها بوركهارت في أربع مصادر، وربما نسي مصدرًا ماليًا مهمًا وهو تحصيل الرسوم والضرائب من قوافل الحجيج ومن قبل الحجاج أنفسهم أيضًا،

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

لكنه يذكر أمور دقيقة ومهمة خاصة بشخصية سعود وطريقة حكمه وتعامله، خصوصًا وأن جون لويس بوركهارت قد عاصر سعود بن عبد العزيز، ووثق أشياء كثيرة عنه وعن الوهابيين، حيث يقول:

« تمَّ تأسيس مصادر الدخل الحكومي الوهابي على الخطة نفسها التي كانت متبعة ومطبقة في زمن (الرسول) محمد ﷺ والتي تتألف من التالي:

(١)- خُمس الغنائم التي يحصلون عليها من الهراطقة(*): يتم تخصيص هذه النسبة جانبًا للرئيس، سواء أكان هو أو أحد قادته مشاركين في الحملة. ويذهب قسم من هذا الخُمس إلى الشيوخ البعيدين عن الموقع وتحويلها إليهم، بغض النظر عن كبير أو صغير النسبة التي يحصل واحدهم عليها. ولم يحاول سعود أخذ ما بأيدي الجنود من بقايا الغنائم وهي بقية الأربعة أخماس. وفي الشؤون العامة للحرب مع العربان (عندما لا يكون النهب من المدن)، فإن الغنيمة تتألف بشكل عام، من الخيول، والإبل، والأغنام، حيث يتم بيعها بالمزاد العلني لترسي على من يدفع الثمن الأعلى، بعد المعركة مباشرة. ونجد أن الأموال التي تترتب على أثمان هذه الغنائم، توزع بين الجنود، وذلك حسب الأسهم، وعلى النحو التالي: المحارب الفارس ثلاث حصص، واحدة له، واثنتان لمهرته كما يقول العرب. أما المحارب الجّمال (على الجمل) فله حصة واحدة وأخرى لجمله، وهو ما كان معمولاً به منذ قبل مجيء سعود للحكم. أما محارب المشاة فله حصة واحدة. وإذا ما تمكن الوهابي من قتل عدو فارس، فإن فرس القتيل تصبح ملكًا للقاتل، وذلك كمكافأة وتعويض لشجاعته. ولا حاجة هنا لتكرار القول إن محمد (زعيم الوهابية) يأخذ كامل خُمس الغنائم.

(٢)- الزكاة: وهي واحدة من الأركان المهمة في الإسلام وقد قام محمد بن سعود بترتيب وتحديد كميات الزكاة التي يترتب جبايتها والتي يطبقها المشرعون الوهابيون، كما أن مثل هذه الزكاة مفروضة من الأتراك أيضًا، لكن

---

(*) جملة مُضطربة وغير واضحة في الكتاب.

الوصف والكمية التي يترتب عليها دفع الزكاة، متروكة لضمير صاحب المال - هذا لدى الأتراك، أما لدى الوهابيين فهم ملزمون بتسليم أموال الزكاة المجباة إلى زعيمهم. يتم دفع زكاة الخيول والأغنام، والإبل حسب نصوص وأحكام السنة، التي يمكن الإطلاع على تفاصيله في كتاب داهسون Dohhson - وهو كتاب ممتاز. أما سعود فقد قسَّم الزكاة المأخوذة عن رعيته إلى قسمين: تلك التي تُجبى من البدو وتذهب إلى خزينته الخاصة من جهة، وتلك التي يُؤتى بها من أهل المدن والفلاحين فتذهب إلى بيت المال من جهة أخرى. تؤخذ الزكاة من الزراعات المروية بماء المطر، حيث يأخذ سعود عُشر الناتج. أما زكاة المزروعات المروية بماء الآبار والينابيع، والتي تحتاج إلى مزيد من العمل والتكاليف، فيؤخذ جزء من عشرين منها. أما زكاة التجارة فهي ٢,٥% من رأس المال تدفع سنويًا، وعلى التجار أن يعلنوا المبالغ الحقيقية لرأس المال، وذلك تحت القسم أمام عامل الزكاة / الجابي. وعلى أية حال، فمن المعروف أنهم لا يُفصحونَ إلا عن رُبع ثروتهم الحقيقية. فمثلاً نجد تاجرًا من خضيرا في مقاطعة القصيم قد تعرض للسرقة من مجهولين، وأعلن أنه فقد بهذه العملية ثلاثة آلاف دولار نقدًا، وتقدم بطلب إلى سعود الذي بدوره أوعز إلى كاتب بيت المال للتحقق من قيمة المبلغ المسروق حقيقة. وبعد التثبُّت تبين أن القيمة الحقيقية المسروقة هي ألف دولار فقط. وحيث أنه ادعى كاذبًا، وجانب الحقيقة فيما ادعاه، فإن سعود أمر بمصادرة فرس التاجر وإبله. إن جباية الزكاة أمر مزعج للعربان الذين يخضعون لسلطة سعود، ذلك أنهم كانوا قبل الوهابيين متحللين من دفع أية ضرائب من أي نوع. وقد حدث مرارًا وتكرارًا أن قامت القبائل النائية صقعًا بالتمرد ورفض دفع الزكاة، وطرد العاملين عليها. من هنا، نجد أن استثناء قبائل الحجاز من دفع الزكاة، قد حوّلهم إلى أقل عداوة حيال محمد علي باشا، مما كانوا عليه من قبل، ومما لو طالبهم بدفعها. فقد كان أول ما فعله محمد علي عندما وطئت قدماه أرض الحجاز، أن أعلن إعفاء العربان وأهل المدن من دفع الزكاة.

(٣)- إن الجزء الأكبر من الدخل المتأتي لزعيم الوهابيين، هو من جيوب رعاياه. فقد اتخذ قانونًا أنه عندما تثور مقاطعة أو مدينة ضد حكمه، فإنه ينهبهم في الثورة الأولى، ولكنهم إذا ما كرروا تمرُّدهم أو ثورتهم هذه، فإنه ينهبهم، ويصادرهم ويصادر أموالهم لخزينة بيت المال. ثم يشرع رويدًا رويدًا، في فتح أجزاء من هذه المنهوبات على الغرباء، بينما يترك غالبية الممتلكات في أيدي مُلاكها الأصليين الثائرين الذين يتحولون إلى مجرد مزارعين عنده، وهم ملزمون كذلك بدفع ثلث أو نصف منتجاتهم، وبعد مصادرة ممتلكات زعماء الثائرين يتم منحها لغيرهم، بينما يلوذون بالفرار أو يلقوا حتفهم موتًا على يد سعود ورجاله. وحيث أن العربان لم يخضعوا أو يتبنوا النظام الوهابي إلا بعد سلسلة من المقاومة، فإن مقاطعات كبيرة وكثيرة تمت مصادرتها لزعيم الوهابيين، وإذا ما أتيح له احتلال الحجاز، فإنه سيصادر ممتلكات وأموال جميع الذين التحقوا بمحمد علي. وفي الوقت الحاضر (١٨١٦)، فإن ملكية غالبية أراضي نجد تعود إلى بيت المال. أما القصيم المشهورة بثوراتها المتتابعة ضد زعيم الوهابيين، فإن أراضيهم كلها مصادرة لبيت المال، وكذلك شأن العديد من قرى الحجاز والجبال المحاذية لليمن، وكلها أصبحت ملكًا لبيت المال.

(٤)- الغرامات التي يتم تحصيلها من المخالفات التي يتم بها انتهاك حرمة القانون، كما إن جريمة العصيان لا يكفر عنها إلا دفع غرامات مالية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن أيًا من العربان إذا ما اتهم آخر بهتانًا، وثبتت براءة المفترى عليه فإن المفتري ملزم بدفع غرامة إلى بيت المال. وتودع الأموال من مصادر الدخل جميعها إلى بيت المال، ما عدا الزكاة المحصلة من البدو حيث تذهب إلى سعود كما سبق وذكرنا أعلاه ولكل قرية مهما كان حجمها بيت مال خاص بها، حيث يدفع إليه السكان ما يترتب عليهم من أموال. ولكل بيت مال كاتب خاص له يعيّنه زعيم الوهابيين مزودًا بتعليمات واضحة لمنع شيخ المنطقة من المشاركة في أية مكاسب غير شرعية من هذه الأموال. وأما

بيت المال الرئيس في الدرعية، فيجري تخصيص مبالغ منه لمساعدة أتباع سعود المخلصين الذين خضعوا لمصادرة أموالهم من الأعداء. وبناء عليه، فإن الدرعية مليئة دائمًا بالعربان الذين يقدمون التماسات لتعويضهم جزءًا ولو يسيرًا من ممتلكاتهم المنهوبة أو المفقودة. وإذا ما عرف سعود أن الملتمس للمساعدة مخلصًا وهابيًا، فإنه يدفع إليه ثلث ما فقده ـ كما يتم دفع مبالغ للعربان الذين فقدوا قطعان مواشيهم بسبب الأمراض أو الحوادث. وإذا ما فقدها أثناء حملة عسكرية وحدث أن قتل أو مات مهر أو جمل (ذلول) الجندي المقاتل أثناء الغزو وعاد هو سالمًا، يتم تعويضه مهرة بدل مُهرِهِ، وجملاً بدل جمله لمثل هذا الجندي المنكوب وإذا عاد الجندي دونما غنيمة، فإن العربان يدفعون هذه الخسائر. ويدفع سعود نفقاته ونفقات أسرته ومنازلهم ونفقات حراسه ـ وأقول يدفعها من الخزينة الخاصة. ولاشك، بل ولا يمكن النكران أن زعيم الوهابيين برهن على طمعه وجشعه العظيمين في تعامله مع رعيته، ذلك أن دخله أكثر مما ينبغي، وأكثر من المطلوب لتحمل النفقات العامة، والتي لا تساوي شيئًا مع تكاليف جيشه. ويشكو العربان، أن الرجل إذا ما وقعت عليه غرامة، وهو يمتلك مهرة، فإن سعود لا تعوزه الحيلة والوسيلة لإيجاد عقوبة ومسؤولية على سوء سلوك، ليحقق في النهاية هدفه في مصادرة هذه المهرة من هذا الرجل المنكود الطالع. ولاشك أن ما جمعه سعود من ثروة هائلة زادته طمعًا وجشعًا لجمع المزيد لحبه المال حبًا جمًا. ويصرِّح العربان علنًا أنه منذ سيطر سعود على الأمام حسين (إمام اليمن)، وحصوله من الأخير على غنائم وافرة، ومنذ أن نهب البلدات اليمنية، فإن طبيعة سعود قد بدأت تعاني من مزيد من الطمع والجشع. هذا ما يقوله العربان. لقد أدى جشع سعود إلى نفور الشيوخ من اهتماماته، قبل وقت طويل من شروع محمد علي بحملاته على الحجاز. ولو أن سعود تصرف في حينها (قبل حملة محمد علي) بحصافة وتعقل مثلما تصرف الباشا، في توزيع الأموال بين الشيوخ، فإنه كان يستحيل على محمد علي أن يكسب موطئ قدم

ثابت على تراب تلك المنطقة. ولا ينكر سعود أنه مذنب بعدم العدالة وأنه مارس الجور في معاقبة المذنبين أو الجناة بقسوة بالغة، وقد كانوا يسمعونه يردد باستمرار، أنه لولا الأعمال الشريرة التي صدرت عنه وعن أصدقائه، فإن مذهبه الوهابي كان يمكن أن يصل القاهرة واستانبول، ويغزو محمد علي باشا والأتراك في عقر دارهم، بدل أن يغزوه هو في عقر داره في جزيرة العرب». [۞] - انتهى الاقتباس -

وقد استغل سعود مراسم الحج لاستخلاص الإتاوات من قوافل الحج لقاء تأمين مرور تلك الحملات بسلام، وكذلك فرض رسومًا جديدة وأقرَّ بعض الضرائب المُستحدثة على رؤوس الحجاج وقد سنَّ ذلك القانون الجديد كتذكرة مرور إلى مكة المُكرمة، فجعلها مصدر رزق جديد له، موازٍ لعمليات السلب والنهب، حيث كان يتقاضى إتاوات على مرور أي حاج إلى الأماكن المُقدسة، حتى بلغت الضريبة ثمانية قروش على كل حاج، علمًا أن تلك الضرائب لم تكن موجودة سابقًا أثناء النفوذ العثماني على الحجاز، بالرغم من الأتراك كانوا مُتهمين بالجشع وبفرض الرسوم الجائرة وكثيرًا ما كان يصفهم أعداؤهم بالطمع، إلا أنهم لم يفرضوا رسومًا على الحجيج كما فعل الوهابيون لاحقًا، مما زاد في غضب الدولة العثمانية عليه، لكنها لم تستطع فعل شيء بسبب الحروب التي كانت تخوضها على جبهات أوربا، وكذلك بسبب القلاقل والفتن الداخلية.

وعن تلك الضرائب الجائرة والمُستحدثة من قبل الوهابيين، يقول لويس دوكورانسي: « وهكذا فإن دخول مكة كان ضربة رهيبة بالنسبة للباب العالي. ولما كان الأخير مشغولاً في مُقاومة ثائرين أكثر خطرًا تحت أسوار الآستانة، فقد وجد أن اشتراكه مُباشرة في مقاومة الوهابيين أمر يفوق طاقته. فأراد على الأقل أن يُرسل إلى جدة حاكمًا يستطيع موازنة تأثير سعود، ومد بعض العون إلى قائد القافلة. لكنه فتش من دون جدوى عن حاكم يليق بهذه المهمة

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

وقد استنتجنا هذا من تلك التغييرات المُتكررة والتعيينات التي دلت على أنهُ لم يكن لأي باشا المقدرة على تحمل تلك الأعباء. ومر أثناء ذلك عام ١٨٠٣ فلاقت القافلة أقسى مُعاملة في مكة. إذ استوفى الوهابيون مبلغ ثمانية قروش من كل حاج، وهو رسم فاحش كان غير معمول به حتى ذلك الحين(•). وزيادة في الإذلال، مارس سعود تمييزًا جديدًا ضد العرب والعثمانيين الذين دفعوا رسومًا مُضاعفة. وقد دفعوها عن طيب خاطر، وهم سعداء لشرائهم الدخول إلى مكة بهذا الثمن، حيث كان بإمكان الوهابيين منعهم من الدخول بشكل تام. غير أن هذا المنع كان سيحرم سعودًا من مورد رزق كبير. وللاحتفاظ بهذا المورد سمح سعود للحجاج بإجراء كافة الطقوس الدينية بحرية تامة، ووضع رسمًا خاصًا لكل من هذه الطقوس.....

إلى أن يقول في مكان آخر في نفس الكتاب : وطبقًا لعادة مُتبعة منذ القدم، يستقبل عرب الصحراء الحجاج على مسيرة أربعة أيام من مكة، فيأتونهم بالإبل للتعويض عن الإبل المفقودة ويُسهلون عليهم اجتياز الصحراء التي تفصلهم عن البلد الحرام. أما في فهذه المرة فقد اختفى أصحاب الإبل مع إبلهم وحمولاتها في اليوم الثاني. فأصابت هذه السرقة القافلة بأضرار بالغة وكانت بداية لخسائر تفوق ذلك. فلدى وصولهم قرب مكة اضطروا إلى دفع ضريبة بلغت مائة كيس (••) وعلاوة على ذلك أصر الوهابيون على استيفاء عشرة قروش عن كل دابة، وسبعة قروش عن كل قنطار من الحمولة. ويكون جبل عرفات القريب من مكة المُكرمة موضع زيارة خاصة. وقد اضطرت القافلة إلى دفع مائة كيس لصعود الجبل، ومائة كيس أخرى للنزول منه. وهكذا أصبحت كل خطوة سببًا لدى سعود لفرض الإتاوة. ولك يتخلص الحجاج من الدفع إلا بعد أن توغلوا في الصحراء.... وهكذا كانت نهاية موسم الحج، وهي

---

(•) نفس تلك الضرائب القديمة مازالت تفرضها السفارات السعودية حاليًا على الحجاج والمُعتمرين، حيث يبلغ الرسم المالي حوالي ١٥٠ دولار أمريكي، نظير الحصول على فيزة دخول لأداء مراسم الحج أو العمرة.

(••) كان كيس المال يحوي خمسمائة قرش، أي أنهم دفعوا مائة كيس، وكل كيس كان يحوي خمسمائة قرش.

الأسوأ منذ بدأ ممارسة هذا الطقس. وكانت طلبات سعود تزيد كلما نال المزيد، ولم تقف عند حدود، فأبلغ عبد الله باشا بأنهُ لن يسمح بعد ذلك للقوافل بأن تسير بحماية السيد الكبير(•)، وأنه سيقوم بتدبير حماية الحجيج بنفسه بأن يرسل سرية إلى مزيريب(••)». ۞ -انتهى الاقتباس-

لاحظ أن ادعاء الوهابيين أنهم جاؤوا بدعوى عودة الوثنية وشيوع الطقوس الشركية وهي مُجرد أعذار باطل وكذب صريح، والدليل أن سعود وافق على إقامة تلك الطقوس التي يعدونها شركًا في الحرمين والأماكن المُقدسة، مُقابل رسوم مالية على كل ممارسة، إذن كان غرض الوهابيين الحقيقي هو السيطرة والنفوذ وجني الأموال الطائلة، وليس التوحيد كما يزعمون.

أما بالنسبة لحملات سعود وغزواته الداخلية والخارجية، فكما ذكرت سابقًا أن سعود كان دمويًا ومُستبدًا، وكان همه الوحيد جمع المال والاستيلاء على الكنوز بأسهل الطرق، وذلك عن طريق السلب والنهب والقتل وهدر الدماء، لكن محاولاته تلك لم توفق جميعها، فقد واجه عدة هزائم شنيعة وخصوصًا في مدينة جدة، لكنها طويت لاحقًا بسبب انتصاراته اللاحقة، خصوصًا بعد احتلاله لمكة والسيطرة على موارد الحج، التي كانت تُمثل له موردًا هائلاً يُعادل مورد البترول في الوقت الحاضر بحسابات ذلك الزمان.

وعن تلك الغزوات والإخفاقات يذكر لويس دوكورانسي أيضًا في رسالته:

«كان النصر حليف الوهابيين حتى ذلك التاريخ. والواقع أنهم لم يُلاقوا أمامهم سوى المُدن المفتوحة. وكان تفوقهم بالعدد يعطيهم في القفار ميزة ظاهرة، حيث كان أعداؤهم يتجنبون كل مُقاومة. أما في جدة فقد اختلف الأمر لأنها كانت مُحاطة بأسوار قام الشريف غالب وشريف باشا بإصلاحها. ولم يكن موقف الوهابيين الصلب ليترك أمام جدة خيارًا سوى الدفاع المُستميت، لذلك أمكن

---

(•) يقصد لويس دوكورانسي بقوله: (بحماية السيد الكبير) أي بحماية الخليفة العثماني.

(••) مزيريب : قريبة سورية صغيرة تقع في جنوب سوريا، ومازالت موجودة لحد الآن.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

وقف تقدم الوهابيين عند هذه المدينة. وكان سلاح الوهابيين يقتصر على رماح بسيطة وبنادق فتيلة يجهلون استعمالها. وكان يعوزهم النظام والمعرفة بفن الحصار فكانوا يُهاجمون بدون أي احتياط عدوًا محصنًا في أبراجه يستطيع اختيار هدفه من دون عناء. لذلك كانت هجماتهم تُصد بنجاح في كل مرة. ولم تكن خيبة الأمل من التراجع في كل مرة هي وحدها سبب انهيار عزيمتهم، فقد أُضيف إلى خيبة الأمل هذه، حيف أشد وطأة، إذ انتشر الطاعون بين أفراد الجيش فحصد منهم العديد. ولم يجد سعود أمامه إلا حلاً واحدًا هو رفع الحصار والانسحاب إلى الدرعية. وكان قد أرسل قسمًا من جيشه إلى المدينة حين توجه إلى جدة، غير أن هؤلاء لم يكونوا بأحسن حظ منه. فقد تقدم ابن مضيان وابن حرب نحو المدينة وحاصراها مع من معهما بعد الاستيلاء على قرين وسبران. وتوجه أهل المدينة لمقاومتهم، فأخرجوهم من هاتين القريتين وقتلوا العديد منهم. وهكذا وجد سعود نفسه يتراجع في آن واحد من جدة ومن المدينة. ورغب قبل الرجوع للدرعية في مُحاولة أخيرة للاستيلاء على المدينة بالحيلة، بعد أن عجز عن الاستيلاء عليها بالقوة. فأرسل قافلة من الإبل، تحت قيادة ابن صالح وابن باز، وطلب هذان أن يُؤذن لهما بدخول المدينة مع أتباعهما، لإبلاغ الرسالة المُحملة لهما. فلما رفض الطلب أرسلا رسالة من سعود مُحررة كما يلي: " من سعود إلى سكان المدينة كبارًا وصغارًا، سلام - إني أبتغي أن تكونوا مُسلمين حقيقيين، آمنوا بالله تسلموا، وإلا فأني سأقاتلكم حتى الموت". وكانت هذه التهديدات مُضحكة بعدما فقد الوهابيون ما فقدوا عند أسوار جدة. وهذا، بالإضافة إلى انكسار ابن مضيان، شجع سكان المدينة على الإجابة: بأنهم لا ينتظرون رغبة للإيمان بالله وعبادته. وكان سعود يبتعد عن جدة عندما أبلغه ابن صالح وابن باز جواب أهل المدينة. وكان همه في ذلك الوقت منصرفًا إلى مكافحة الوباء الذي حل فيما تبقى من جيشه. لذلك لم يفكر في مُعاقبة المدينة على ذلك التصرف».

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

ويبدو أن سعود قد استهتر كثيرًا بقوة الدولة العثمانية، أو أنهُ كان يعلم ما تُلاقيه من مصاعب جمة في ولاياتها المُترامية الأطراف، وكذلك المشاكل الكبيرة التي كان يتسبب بها الإنكشارية، فأخذ يُكثف من اعتداءاته المُتكررة على حدود العراق وبلاد الشام، لغرض السلب والنهب من بعض القرى الفقيرة فيقوم بنهبهم وحرق حقولهم، حيث كان يُرسل على رأس تلك الغزوات عبد حبشي مملوك له يُدعى "حارك".

وعن تلك التحرشات يذكر المؤرخ بوركهارت قائلاً:

«وفي عام ١٨١٠ قذف سعود رعبًا في قلب سوريا نفسها، وذلك عندما هاجم ضواحي دمشق بستة آلاف من رجاله. فقد وصل هناك على حين غرَّة من الناس والأتراك، كما أن جيش يوسف باشا كان عاجزًا لاكتشاف تقدّمه. وقد استطاع سعود ورجاله من حملته التي استمرت ثلاثة أيام أن ينهب خمسًا وثلاثين قرية في منطقة حوران التي تبعد يومين عن دمشق، وأحرق حقول الحنطة في كل مكان مرَّ به، أما تعامله مع الفلاحين المساكين فكان يشوبه شيء من الرحمة، حيث ترك العديد منهم وشأنه دون أن يذبحه، وقد ألقى القبض على سيدة نصرانية، وأخذها كعبدة (أمة) ثم أُطلِقَ سراحها بأوامر من سعود. لابد من القول هنا، إن أحد عبيد سعود، المدعو حارك، كان صاحب مأثرة لدى سيده، وكان يقود الحملات على رأس قوات عديدة وقوية وبخاصة تلك التي ألقت بشرورها على الصحراء السورية، وكانت حملات متعددة، كما ألقوا الرعب في قلوب البدو الذين يتخذون من جوار حلب منازل لهم. ليس هذا فحسب، بل إن كتيبة مسلحة من الوهابيين عبرت الفرات، وهاجمت مضارب قبائل الفرات الغنية بجوار بغداد، ونهبوهم شر إنتهاب. كان سعود يحتل البلدة تلو البلدة بسهولة، وبخاصة أن الرعب تملّك قلوب الناس كلما سمعوا بتقدم سعود وقواته باتجاههم لممارساتهم الهمجية الوحشية ضد الأبرياء والممتلكات. وكان الناس يرسلون بحاجاتهم الثمينة إلى جبال لبنان لتسلم من النهب والسلب. ومن الواضح أن خطة سعود كانت القيام بعمليات

نهب متتالية لقرى الشام وذلك لكي تسقط دمشق تلقائيًا، وتستسلم طوعًا. وعلى أية حال، فقد كان في كل مرة يعود بالغنائم التي يسلبها من حقوق الناس الغلابى الجوعى وأموالهم وطعام أطفالهم ومؤنة النساء والأطفال والأرامل والعجزة. وبناء عليه بدأ سعود فتح عداوته مع الحكومة التركية، وذلك بمنع الأئمة من الدعاء للسلطان على المنابر أيام الجمعة. وقد كان هذا الإجراء نتيجة للحيل البارعة التي مارسها الشريف غالب لإيجاد هوّة وشرخ في العلاقة ما بين سعود من جهة والباب العالي من جهة أخرى، بحيث يصلان إلى نقطة اللاعودة في العداوة ».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد توفي سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في سنة ١٢٢٩هـ بحسب ما ذكر ابن بشر في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد)، كما أوردت سابقًا، حيث يقول: « وكانت وفاته ليلة الاثنين حادي عشر شهر جمادى الأول من هذه السنة (١٢٢٩هـ): فكانت ولايته عشر سنين وتسعة أشهر وأيام، وموته كان بعلة وقعت أسفل بطنه أصابه بها مثل حصر البول».[۞۞]

أما جون لويس بوركهارت فيذكر في كتابه عن موت سعود قائلاً:

« وفي أيار ١٨١٤ مات الزعيم الوهابي سعود بالحمى، وهو مرض سائد ومنتشر في نجد. وبذلك فقد الوهابيون زعيمًا لا يعرف الكلل والملل الذي كان يملك جميع مقومات القيادة للتعامل مع هذا الوضع البارز الذي كان يتبوؤه، وكانت كلماته الأخيرة التي أوصى بها ولده عبد الله، قد جاءت على النحو التالي: إياكم ومقاتلة الأتراك في الأرض المفتوحة، وهو المبدأ العسكري الذي أكَّد سعود وهو على فراش الموت أنه إذا ما تقيّد به أتباعه، فإنهم سيستعيدون الحجاز دونما أدنى شك. وورثه ولده عبد الله في الزعامة، الذي قدم إليه زعماء الوهابيين صنوف البيعة والطاعة؛ أثناء حياة والده، وبذلك أصبح

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

[۞۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

الوارث للسلطة العليا قولاً وعملاً. وعلى أية حال، فلم تخلو الأمور من ظهور بعض الجدل، حيث أن لسعود العديد من الأشقاء الذين طالبوا بحصتهم من الكنوز التي مات عنها والدهم. وكان أخطرهم وأقواهم عبد الله (شقيق سعود) الذي كان مدعومًا بقوة من العلماء، وبعد عداوات قصيرة، اعترف الجميع بعبد الله بن سعود زعيمًا للوهابيين دونما منازع. أما فيما يتعلق بالشجاعة والمهارة في الحروب، فإن سمعة عبد الله قد فاقت سمعة والده، ولكنه لم يكن بمستوى سعود في إدارة الاهتمامات السياسية للقبائل التي تنضوي تحت قيادته، حيث إن شيوخها الكبار بدؤوا يظهرون ميولاً نحو الاستقلال، الأمر الذي أفسد وأضعف القوة العامة للوهابيين». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.




# الخطوط العامة لسياسة الوهابيين الداخلية والخارجية

## ▪ الوهابية دين سعودي جديد يعصم آل سعود ويُقدس آل الشيخ

من المعلوم للجميع أن بعد مجيء الإسلام وظهوره في شبه جزيرة العرب ونزول الوحي على الرسول العربي الهاشمي محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ثم القضاء المُبرم على تعاليم الشرك والوثنية وتم التخلص من المُمارسات الكفرية ومن كل ملامح الهرطقة والوثنية في جزيرة العرب، كانت ثورة دينية وسياسية واجتماعية هائلة بكل ما تعنيه الكلمة، وعليه فقد سادت الديانة الإسلامية الموحدة في جزيرة العرب قاطبة، وانتشر الدين الإسلامي في كافة أصقاع المعمورة وقد هدمت الأصنام وانتهت الوثنية من هذه البقعة إلى غير رجعة، وزال الشرك والكفر من جزيرة العرب.

وكان الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام خاتمًا للأنبياء والرُسل وبات القرآن الكريم محفوظًا ومحميًا، ولم يذكر لنا قط أن رسولاً أو نبيًا سوف يظهر من جديد، وبهذا يكون قد سُد الباب نهائيًا على أصحاب الأهواء ومرضى داء العظمة ومجانين الادعاءات الزائفة بالنبوة، فما كان من هؤلاء الأدعياء والوصوليين إلا أن يتلبسوا بنفس الرسالة السماوية، وأن يتقنعوا بذات الدين؛ لتحقيق مآربهم الخاصة وطموحاتهم الشخصية في التسيد والتحكم، بحجة عودة الشرك من جديد وأن الأوثان باتت تُعبد في جزيرة العرب، وغيرها من ترهات ومزاعم مرضية فارغة!.

ولهذا خرج علينا محمد بن عبد الوهاب ببدعة تجديد الدين ومُحاربة الشرك والقضاء على الأوثان وتخليص جزيرة العرب من رجس الشياطين المُشركين فقسَّم المُجتمع إلى مُسلم وكافر، وسفك الدماء الزكية حتى سالت أنهارًا، ودفع بأبناء الجزيرة العربية دفعًا لعبادة الذات الملكية وتقديس الأشخاص مُمثلين بشخصه وبأشخاص آل سعود وأسلافهم من بعده!.

بينما أقسم الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام غير حانث، أنه لا يخاف على المؤمنين من الشرك، وقال إن الشيطان آيس أن يعبده الناس من بعده في جزيرة العرب. فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: (إني بين أيديكم فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح الأرض وإني والله لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تتنافسوا فيه)، أي تتنافسون علي المناصب والأموال والنساء. ـ أخرجه البخاري ومسلم والطبراني في الكبير-.

وقد جاء في رواية لابن مسعود أن الرسول ﷺ قال «إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن رضي منهم بما دون ذلك بالمحقرات، وهي الموبقات».

لذا فقد كانت الحركة الوهابية من تلك الدعوات الانتهازية الوصولية التي اتخذت الدين الإسلامي ستارًا لتحقيق مآربها السياسية الدفينة، لأن صاحب الدعوة يعلم علم اليقين أن رسالته تلك لن يُكتب لها النجاح إذا ما خالفت الرسالة المحمدية الإسلامية، وهذا ما تمَّ من خلال التلبس والزعم بتجديد الدعوة الإسلامية وإعادة الدين لما كان عليه، والحقيقة أن الدعوة الوهابية كانت أقرب للدين الجديد المُبتدع الذي يرتكز على قاعدة سفك الدماء وقتل النفس التي حرم الله قتلها، منها إلى الدين الإسلامي الرباني الحنيف الذي نزل به الوحي على رسول الأمة وهاديها محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام. بل صنَّف الكثير من رجال الدين وبعض المؤرخين والباحثين القدماء والمُعاصرين، من أن الحركة الوهابية هي فرقة دينية خارجة عن الإسلام، وأتباعها من عُتاة "الشراة" الخوارج، الذين أحلوا المُحرمات وأباحوا سفك الدماء باسم الدين الإسلامي، والإسلام منهم براء.

ومن رجال الدين الذين عاصروا بداية نشوء الوهابية وصنفها كدين مسخ جديد ودخيل على الدين الإسلامي، كان مُفتي الشافعية في مكة، وهو الشيخ أحمد زيني دحلان في كتابه "الفتوحات الإسلامية"، حيث ذكر لنا حوارًا فقهيًا دار بين رجل وبين صاحب الدعوة الوهابية، محمد بن عبد الوهاب، حيث يقول : « وقال له رجل مرة : هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل؟ فقال له حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون!! فقال له الرجل: إذن دينك منفصل لا متصل، فعمّن أخذته؟ فقال: هو وحي وإلهام كالخضر. فقال له الرجل: إذن ليس ذلك محصورًا فيك، كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الإلهام الذي تدعيه».۞

وكذلك ما جاء في كتاب "مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل العوام" لمؤلفه الحبيب علوي بن أحمد بن حسن بن قطب الإرشاد، نقلاً عن كتاب "الصواعق والرعود ردًا على الشقي عبد العزيز سعود" لمؤلفه العلامة الشيخ عبد الله بن داود الحنبلي، حيث يقول الحبيب العلوي في كتابه نقلاً عن الشيخ عبد الله بن داود :

«ومن أراد أن تقر عينه فعليه به، أي كتاب الصواعق والرعود للشيخ العلامة البحر الفهامة عفيف الدين عبد الله بن داود الحنبلي فما أظنك تجد مثله حاكيًا عن خبرة ورأي عين أفعالاً وأقوالاً لهؤلاء الطغام سابقهم ولاحقهم بما تصم عنه الآذان فنسرد لك الآن هنا بعضًا منها لتنظر أولاً هفواته عن حقيقة ويقين وخبرة، فمن ذلك أنهُ يضمر دعوة النبوة وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال لئلا تنفر عنه الناس ويشهد بذلك ما ذكره العلماء من أن ابن عبد الوهاب كان في أول أمره مولعًا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبًا كمُسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطلحة الأسدي واضرابهم، وأن أباه عبد الوهاب كان رجلاً صالحًا ، وأنهُ تفرس في ولده هذه الشقاوة من حين صباه ،

---

۞ كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية: الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

وكان يبغضه بغضًا شديدًا ويقول سيظهر منه فساد عظيم، ومن ذلك أنهُ كان ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا بعبارات مُختلفة ومنها: ( قوله إني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة إلى غير ذلك مما يشبه هذا، حتى أن أتباعه يفعلون ذلك أيضًا، وهو يعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به، حتى كان بعضهم يقول عصاي هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبقى فيه نفع أصلاً، وإنما هو طارش ومضى، وهو بهذا يكفر عند المذاهب الأربعة). ومن ذلك أنهُ كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى من سماعها وينهى عن الجهر بها على المنابر ويؤذي من يفعلها، وقد منع من الإتيان بها على المنابر ليلة الجمعة، ولذلك أحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يتستر بدعوى أن ذلك بدعة. ( ومن ذلك أنهُ منع من مطالعة كتب الفقه والحديث والتفسير، وأحرق كثيرًا منها). (ومن ذلك أنهُ أذن لكل من تبعه أن يُفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج، ولو كانوا لا يقرؤون القرآن ولا يعرفونه، حتى صار الذي لا يقرأ يقول لمن يقرأ أقرأ لي شيئًا من القرآن وأنا أفسره لك، فإذا قرأ له شيئًا فسَّره له وأمرهم أن يعملوا بما فهمومه منه، وجعل ذلك مُقدمًا على ما في كتب العلم). ومن ذلك أنهُ يدعي باطنًا أنهُ أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله، ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شيئًا إلا القرآن، فأنهُ قبله ظاهرًا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عنه بدليل أنهُ هو وأتباعه إنما يؤولونه بحسب ما يوافق هواهم لا بحسب ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير، فأنهُ لا يقول بذلك كما أنهُ لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة رضي الله عنهم وما استنبطه العلماء من القرآن والأحاديث ولا يأخذ بالإجماع ولا القياس وغير ذلك مما اعتبروه. ومما ذلك أنهُ كان يكتب لعماله في بلاده الذين هم من الهمج أيضًا اجتهدوا بحسب نظركم واحكموا بما ترونه مناسبًا لهذا

الدين ولا تلتفتوا إلى هذه الكتب فإن فيها الحق والباطل، ويؤيده أيضًا بما زعمه الشقي المطرود عبد العزيز سعود القائم بعده بدينه بمجرد التقليد من أنهُ خاطب برسالة لأهل المشرق والمغرب يدعوهم إلى التوحيد وأنهم عنده مشركون شركًا أكبر، ومن ذلك أن ضابط الحق عنده ما وافق هواه وإن خالف النصوص الشرعية وإجماع الأمة، وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وإن كان على نص جلي وأجمعت عليه الأمة، ومن ذلك وهو أعظمها أنهُ كان يكفّر جميع الناس من ستمائة سنة ومن لا يتبعه، وإن كانوا من اتقى المُتقين فيُسميهم مُشركين ويستحل دماءهم وأموالهم، ويُثبت الإيمان لكل من تبعه وإن كان من أفسق الفاسقين، وغاية شبهته في نسبة الشرك إلى غير أتباعه وهي التي بنى عليها أساس بدعته وزندقته وجميع قبائحه أنهُ ادعى أنهم يعظمون مشاهد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الأولياء».۞

أما الرحالة الألماني الشهير كارستن نيبور الذي يُعتبر من أوائل الرحالة الغربيين الذين زاروا منطقة شبه الجزيرة العربية، فقد قام هو وزملاؤه برحلة استكشاف محفوفة بالمخاطر إلى جزيرة العرب وبقية دول الشرق، وكانت تلك الرحلة العلمية تمت وفق رغبة من قبل الملك الدنمركي فريدريك الخامس الذي أمر بإرسال تلك البعثة العلمية بتاريخ ١٠/ ١٢/١٧٦٠م، لتجول دول المنطقة ومعرفة أحوال العرب بغية الإطلاع على الثقافات والعلوم وإيجاد طرق ومراكز تجارية جديدة حيث أراد ملك الدنمرك أن يرسل تلك البعثة الاستكشافية إلى البلدان المجهولة كما يطلقون عليها، والتي يسمونها في التاريخ القديم بـ"العربية السعيدة"، فكانت البعثة تضم دنمركيين وسويديين، وتم إرسال الألماني كريستيان نيبور مع ذلك الفريق الدنمركي البحثي. وقد مات أغلب أفراد البعثة بسبب الأمراض، بينما نجى نيبور مع أنهُ أصيب في بدايات الرحلة بالمرض، لكنه عاد سالمًا لوحده في نهاية الرحلة، وتوفي أربعة من زملائه.

---

۞ كتاب : مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام١٢١٦هـ ١٨٥١م تأليف : الحبيب علوي بن أحمد بن حسن بن قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد.

وكان فريق البعثة قد وصل إلى جدة عام ١٧٦١م ـ ١١٨٢هـ، حيث يذكر لنا في كتابه الموسوم "رحلات عبر جزيرة العرب وأقطار أخرى في الشرق" بعض من أخبار الوهابية، حيث يقول:

« إن أهل نجد مُحمديون وكانوا سُنيين مُحافظين (من أهل السُّنة)، غير أنه منذ فترة قريبة ظهرت في العارض ديانة جديدة يحتمل أن تؤثر على حالة البلاد بشكل عام، ومؤسس هذه الديانة الجديدة هو (ابن) عبد الوهاب، وأنه إثر وفاته تولى ابنه السلطة، واستمر في تطبيق آرائه».[۞]

إذن نظرة محمد بن عبد الوهاب كانت لمن لا يؤمن بدعوته أو لا يؤيده، على أنهُ كافر وخارج مارق عن الملة، ولم يدع مجالاً للخلاف أو الاختلاف، فكان حديًا في التصنيف، إما معي أو ضدي!.

وهذا الأمر أو لقول الفصل لا يحدث عادةً في المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث لا يقع التصنيف الحدي، ما بين مع أو ضد إلا في حالة الأديان السماوية الفاصلة، حيث لا تترك الرسالات السماوية مجالاً للتردد أو الحيادية لمن يُعادي أو يصد عن تلك الرسالة الإلهية أو يزدريها، لأنها تأتي بوحي رباني وتصدر بأمر إلهي مُقدس فلا يترك للعبد مجالاً للتردد أو الرفض. بينما في حالة ظهور المذاهب وبروز الدعاة والمُجددين، فلا يُرغم أحد على اعتناق مذهب ما عنوةً أو بحد السيف، ولا يُجبر مُجتمع مُعين على سلوك واتخاذ مدرسة دينية بعينها دون غيرها بالقوة والبطش والتنكيل، بل يُترك باب الاجتهاد والخلاف مفتوحًا ما دام في حدود الشريعة الإسلامية الغراء، وتبقى العلاقة طيبة وحسنة بين بقية المُسلمين ممن اختلفوا في الرأي الفقهي والمذهبي، وهذا ما سار عليه مشايخ السلف وطلبة العلم والدُعاة الحقيقيين على مرِّ القرون.

أما عملية الإجبار والإرغام والفرز وتصنيف الناس ما بين مُسلم وكافر ومؤمن ومُشرك، فلا يحدث عادةً إلا في حال وجود دين مُختلف أو رسالة

---

[۞] كتاب : رحلات عبر جزيرة العرب وأقطار أخرى في الشرق \ تأليف : كريستيان نيبور.

سماوية جديدة أو ظهور نبي أو رسول جديد، وهذا غير وارد مُطلقًا كوننا مُسلمون موحدون، وأن عقيدتنا الإسلامية تقول إن لا نبي بعد الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، لكن محمد بن عبد الوهاب كان لهُ رأيٌ آخر في دعوته النجدية، حيث اعتبر كل من لا يؤيد ما جاء به في دعوته الوهابية فهو كافر مُشرك مهدور الدم ومُستباح المال والعرض. فقد تمَّ تصنيف الناس آنذاك حسب أهواء ورغبات أصحاب تلك الدعوة النجدية/ الوهابية، فاحتكروا الإسلام فيهم فقط، واعتبروا أنفسهم معصومين ومُصطفين من قبل الله، حيث صنَّفوا أنفسهم كمسلمين مؤمنين وغيرهم ككفار ومُشركين، ثم استباحوا الدماء بحجة الإشراك بالله، فلم يرحموا شيخًا مُسنًا ولا طفلاً رضيعًا ولا حتى امرأة حامل، كانوا يرتكبون المجازر الوحشية باسم الوهابية الطارئة وتحت راية التوحيد المزعوم. حيث يروى لنا الرحالة السويسري جون لويس بوركهارت عن وصفه لحال الوهابية، في كتابه "ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين":

« ولهذا السبب، فلا يجب أن يتملكنا العجب، إذا ما قلنا أن هناك اعتقادًا عامًا ساد الشرق في حينه، مفاده أن الوهابيين كانوا يحاولون تأسيس وترسيخ دين جديد بكل ما تعنيه الكلمة من تمامها وكمالها. وأن هؤلاء الوهابيين بدؤوا يتعاملون مع بقية المسلمين بشكل فض غليظ، وعلى أنهم وحدهم (الوهابيون) المسلمون وليس سواهم من الناس والطوائف، وهو الاعتقاد الذي كرّسه أكثرية أفراد الوهابيين من خلال تصرفاتهم. لقد كان هؤلاء الوهابيّون بدوًا أجلافًا قبل أن يعرفوا الوهابية وكانوا قبلها يجهلون الإسلام بشكل مُطبق، كما أن مفاهيمهم تجاه دينهم كانت مشوبة بالنقص والتشويه. من هنا، فإن العقيدة الجديدة بدت بالنسبة لهم كأنها دين جديد، وبخاصة عندما تعلموا أن هناك بونًا شاسعًا بين ما هم عليه، وما هو عليه من عادات الأتراك وأتباعهم، وسكان المُدن. إن روح التعصب التي أنشأهم عليها زعيمهم بكل ما استطاع من وسيلة وحيلة وقوة، حالت دون السماح لهم برسم أي فارق أو تمييز للجوانب

الحسنة في أي أمر لم تكن لديهم به معرفة وافية، وإن كل ما لديهم من فهم جديد وعقيدة جديدة هو أن بقية المسلمين كانوا كفارًا، وبالتالي فإن المسلمين (الآخرين) مقابل ذلك عاملوا الوهابيين ووصفوهم بالكفر والزندقة أيضًا. وفي بحثين قصيرين كتبهما عن الوهابيين ونشرهما راوسيو M. Rousseau، تمَّ التوكيد أن الوهابيين أصحاب دين جديد، وأنهم؛ ورغم اعترافهم بالقرآن الكريم؛ فإنهم قد ألغوا فريضة الحج إلى مكة المكرمة، لقد كان هذا، وبكل تأكيد، هو الرأي السائد في تلك الأوقات في حلب. ومع هذا، فإن مزيدًا من المعلومات الدقيقة، كان يمكن الحصول عليها وبكل سهولة من الحجاج الأذكياء، والبدو، وحتى من سكان حلب نفسها. ومما يثير العجب أن المؤلف نفسه (راوسيو) يعترف وهو يعطي وصفًا للوهابيين إنه استمد جزءًا من معلوماته عنهم التي ضمنها بحثه من مكتب محكمتهم بالدرعية، بحيث تلقي هذه المعلومات الضوء على طبيعة هذه الطائفة التي لم يعد المؤلف قادرًا على الخروج بمفهوم دقيق حولها».۞ -انتهى الاقتباس-

أما المؤرخ عثمان بن بشر الوهابي العقيدة والهوى، فقد كان يوثق هو الآخر تلك الأحداث على مبدأ أن الوهابيين هم المُسلمون فقط، وأما خصومهم فهم الكفار والمُشركون، وهو لا يتورع من أن يُسمي تلك الدعوة بـ"الدِين" (بكسر الدال) وأن من سبق وأيَّد هذا الدِين هو مُقدم على من لحق بهم!. أي كما قال الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّات النَّعِيم)- سورة الواقعة- مع الفارق كبير طبعًا في التشبيه... هكذا كانوا يتعاملون مع بقية الخلق وهكذا كانوا يرون دعوتهم وكأنها دين إسلامي جديد، حيث يذكر ابن بشر على سبيل المثال قائلاً: «(ثم دخلت السنة السبعون ومائة وألف ١١٧٠هـ).... وفيها كانت وقعة القرائن البلد المعروفة في ناحية الوشم، وذلك أن أهل شقرا كانوا أهل سابقة في الدين، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في نصرة الإسلام والمُسلمين،

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف: جون لويس بوركهارت

وكانوا هُم أول من بايع الشيخ ومحمد بن سعود، فعظمت وطأتهم على أهل الوشم وأشتد بهم الأمر وصاروا ملجًا بطوارف المُسلمين وغزاتهم».[۞]

فمن يقرأ لأول وهلة الخبر أعلاه الذي دوّنه ابن بشر قبل حوالي مائتي عام، يظن أن الرجل يتحدث عن الرسالة المُحمدية الغراء، وستبادر للقارئ أول وهلة أن قول ابن بشر: (أن أهل شقرا كانوا أهل سابقة في الدين وبذلوا أموالهم وأنفسهم في نصرة الإسلام والمُسلمين، وكانوا هُم أول من بايع الشيخ محمد)، أن المقصود من كلامه هو الدين الإسلامي أيام البعثة، وأنهم أول من بايع الرسول الكريم محمد وليس بمحمد بن عبد الوهاب!!.

ولهذا بقي الوهابيون يعتقدون أنهم أنقى وأتقى وأطهر خلق الله قاطبة، وأنهم أفضل وأنبل المخلوقات على وجه الأرض، بل لا أُبالغ إذا قلت إنهم كانوا ومازالوا يُنافسون اليهود في النرجسية الإيمانية الزائفة، وإنهم يرون أنفسهم بأنهم "شعب الله المُختار" على الأقل في تطبيق تعاليم "الدين الوهابي"، وربما حتى في مسالة أصالة العرق النجدي المغشوش، وأعني الانتماء للأرض التي خرج منها مُسيلمة الكذاب. فالأمم والشعوب الأخرى الحية تتباهى عادةً بانجازاتها وبعلومها وتطورها وبتاريخها وحضارتها وبإنسانيتها وحتى اليهود يرجع السبب في اعتقادهم على أنهم من أفضل وأرقى الشعوب بسبب شعورهم بالتميز الفكري والتفوق الذهني على بقية الأجناس، فهم مثلاً يفتخرون في ثقافتهم العنصرية ـ ثقافة نقاء الدم أو التفوق العرقي ـ في أن أغلب الأنبياء كانوا من اليهود وأن أغلب العلماء والمُخترعات كان للعنصر اليهودي فيها الحظ الوافر ونصيب الأسد، ولهذا فهم يرون أنهم متفوقون عرقيًا وعقليًا على الجميع، وأنهم رغم قلتهم إلا إن بصماتهم كانت راسخة وواضحة في العالم، هكذا يظنون. وهو قطعًا شعور مرضي وغرور أجوف تُحركه دوافع النقص والعزلة التي توهم أصحابها على أنهم الأرقى والأفضل

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

لأنهم لا يرون إلا طائفتهم أو مجتمعاتهم المُغلقة، ولهذا يتملكهم الخوف والشك الدائم من الآخر.

لكن بالنسبة للوهابية والوهابيين، ورغم كونهم متقوقعين في بيئة صحراوية مُغلقة ومعزولة عن العالم كبيئة اليهود المعزولة في كنتونات داخل المُجتمعات الأخرى، لكن السؤال المطروح هو بماذا يفتخر هؤلاء، أو بأي شيء يتعالون ويترفعون على بقية المُسلمين؟

فإذا كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام نبي الهُدى وصاحب الرسالة الغراء وهو العلامة الفارقة في جزيرة العرب، كان عربي العرق قرشي الأصل هاشمي النسب حجازي المنشأ ولد في مكة المكرمة، ومع هذا فقد كفَّر الوهابيون قومه وسفكوا دماءهم بحجة الشرك والتبرك بالقبور!. ثم هونوا من شخصه الكريم وحاولوا أن يزدروا بدعوته، بحجة أن "محمدًا" ﷺ بشر لا ينفع ولا يضر ولا يجوز أن يتشبث الناس بشخص الرسول ﷺ فيتحول الأمر لعبادة الذات، لأن هذا حسب رأيهم هو ضد مبادئ التوحيد الذي يزعمون.

بل إن الوهابيين قالوا: إن العصا التي يتوكئون عليها هي أفضل من الرسول محمد ﷺ ! لأنها حسب تفسيرهم تنفعهم في قتل الدواب أكثر من الأموات! وهذا ما ذكره الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية حيث قال في كتاب "الدُرر السنية" في حديثه عن محمد بن عبد الوهاب: (حتى أن بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد، لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً)!.

وكان الشيخ محمد صديق حسن خان القنوجي الذي يُعتبر في طليعة الدعاة السُّنة الناشرين لمذهب أهل الحديث في الهند، وكان له دورًا بارزًا في بث مذهب أهل الحديث وتثبيته في الهند، ولذا فقد رأى الشيخ القنوجي أن من الواجب أن تتبرأ جماعة أهل الحديث السُنية في الهند من هرطقات محمد بن عبد الوهاب وأن يحذروا الناس من دعوته الباطلة ومنهجه الخارجي، واعتبر

الشيخ القنوجي أن محمد بن عبد الوهاب من المفسدين في الأرض، وقد ألَّف لهذا الغرض كتابًا شهيرًا عُرف بـ"ترجمان الوهابية"، حيث جاء في مقتطفات منه: «كان إمام الوهابيين ابن عبد الوهاب حنبلي المذهب، أما أهل الحديث فهم لا يقلدون أي مذهب من مذاهب المقلدين، وبين الوهابيين وأهل الحديث بون السماء والأرض... إن أهل الحديث المتبعين للحديث يتواجدون منذ ١٣٠٠عامًا، وما حمل أحد منهم لواء هذا الجهاد الاصطلاحي المزعوم الذي حمله محمد بن عبد الوهاب وأتباعه... إن أهل الحديث لا يعرفون الفتنة والفساد والغدر والقتل وإراقة الدماء... فلا تقرأ عنهم في أي كتاب أنهم قاموا بالفساد والغدر، على العكس من ابن عبد الوهاب..... الخ.
كذلك يقول: ثم ذهب (سعود) إلى المدينة المنورة، وفرض الجزية على أهلها، وجرّد الضريح النبوي المقدس، ونهب الخزائن والأموال وسحبها إلى الدرعية وكذلك صنع مع قبري الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.. وعزم على هدم قبة الضريح النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، لكنه لم يصنع ذلك، وأمر أن لا يحج بيت الله إلا الوهابيون فقط».[۞]

وقد شوَّهت الوهابية صورة الإسلام السُّني الحنيف ولم يسلم من شرهم حتى مُسلمو الهند، حيث دفعت خصومهم لنعتهم بالوهابيين، مما أدى بمشايخ الهند إلى أن يتبرءوا من الإسلام الوهابي الدخيل على الملة. وعليه فقد كانت سمعة الوهابيين في الحضيض، وكانت أفعالهم الشنعاء تنفر الناس وتمنح أعداء الإسلام الذخيرة اللازمة للنيل من المُسلمين لكي يقتصوا من دعاة الدين الإسلامي في كل مكان، إذن بأي تاريخ أو إنجازات أو حضارة يتفاخر هؤلاء الوهابيون، أو ما هو التفوق العلمي أو الصناعة التي أنتجتها الوهابية وخرجت بها من أرض اليمامة ؟.. سوى خروج مُسيلمة الكذاب، وسفك دماء الصحابة، وظهور طغاة الأخيضريين، واستشراء تجارة الرقيق، ومن ثم ظهور

---

[۞] كتاب : ترجمان الوهابية \ تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري. ١٢٤٨هـ - ١٣٠٨هـ.

الخوارج، وخروج دعوتهم الوهابية والتي كان أصحابها يقتلون المُسلمين على الشبهة، ومن ثم استقدام قوات المارينز الأمريكية لقتل العرب والمُسلمين في أفغانستان والعراق؟.
لقد كذَّب الوهابيون الكذبة الصلعاء وصدقوها، فظنوا أنفسهم أنهم فعلاً قد أنقذوا جزيرة العرب من براثن الشرك وعبادة الأوثان، وأنهم أتوا بما لم تأتيه الأوائلُ، ولولا شيخهم محمد بن عبد الوهاب، لهلك الناس ولعبدوا الحجر والشجر في بلاد الحرمين الشريفين، ولهذا فهم ينظرون للجميع على أنهم مُشركون وكفار، وفي أحسن الأحوال هم ضالون مُضلون!... هكذا ينظر أصحاب تلك الدعوة الوهابية إلى بقية المُسلمين في أصقاع المعمورة، ويرون أنفسهم أنهم الفرقة الناجية الوحيدة التي ستدخل الجنة دون غيرها، وأما بقية المُسلمين فهم من ضمن الـ ٧٢ فرقة الهالكة والتي ستدخل النار!.
وقد توارثوا ذلك الإيمان الكاذب والشعور الوهمي بالعصمة والتعالي الأخرق، حتى ظهر البترول في جزيرة العرب في بداية القرن الماضي فترسخت تلك النظرة الشوفينية الجوفاء. عندها أصبح أحفاد الوهابية يرون بقية العرب والمُسلمين على أنهم مُجرد خوارج جاؤوا لخدمتهم، وفي أحسن الأحوال كانوا يطلقون عليهم مُسمى "الأجانب"، بينما الخواجة - الرجل الأبيض أو السيد الغربي- فكان أمره مُختلفًا تمامًا، فكانوا على الدوام يهابونه ويحسبون له ألف حساب ولا ينظرون له كبقية شراة الخوارج، ربما بدافع رد الجميل والمعروف القديم بين المُحمدين وبين قنصليات الإنجليز، أو ربما هو شعور مُتأصل بالنقص والاضمحلال والهيبة أمام من صنع البنادق وحول الملح لبارود.
والغريب أن ذلك الغرور الأخرق والعنجهية الجوفاء والتعالي والازدراء بالآخرين إزاء بقية العرب والمُسلمين، استمر راسخًا في داخل العقلية الوهابية كابرًا عن كابر، بينما ظلت تعاليم التبعية والخنوع مُتشربة فيهم وقد لازمتهم الرهبة والهلع حيال ذلك الرجل الأشقر الغربي، وبقيت فروض الطاعة والولاء لهذا المُستعمر راسخة في قلوب وعقول الوهابيين حتى وقتنا الحاضر!!

وقد يكون زوال وتلاشي مُلك آل سعود هم وكهنتهم الوهابيين على يد القائد المصري إبراهيم باشا، هي العقدة الأزلية التي أصّلت تلك التبعية للأجنبي ورسّخت ذلك الخنوع الوراثي للسيد الخواجة، فقد كان أهل العارض يطلقون على قوات إبراهيم باشا المصرية مُسمى "جيش الروم"!.

وربما كانت تلك الهزيمة التاريخية الساحقة الماحقة التي لحقت بالوهابيين على يد طلائع الجيش المصري، الذي يطلقون عليه مُسمى "جيش الروم"، هي تلك العقدة الرومية التي استمرت مع الوهابيين إلى هذا الوقت، وجعلتهم مُستخذين وخدمًا أوفياء لكل صليبي رومي جديد.

## ▪ طرفة الشيخ الدمشقي الذي زار الرياض كما يرويها الرحالة الإنجليزي بالجريف:

ويذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف في رحلته إلى الرياض، التي قام بها في عام ١٨٦٣م، طرفة حقيقية وقعت في جامع الرياض، بين شيخ دمشقي معروف وبين مطاوعة الرياض وعلى رأسهم عبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب، ويُعزي الأمر للخلاف الكبير بين مذهب أهل السُّنة والجماعة وبين المذهب الوهابي، حيث يقول:

« فقد وصل إلى العاصمة النجدية في خريف ١٨٦١م، الشيخ محمد البكري، وهو شيخ دمشقي له قيمة كبيرة في وطنه، يُعد حجة في المسائل الدينية والشرعية، وأنا لا أعرف شيئًا عن الرياح التي حملته إلى هنا، ومن المُحتمل أن يكون الشيخ محمد البكري، مثل كثير من الشخصيات الأخرى قد اكتشف أن دمشق، وفؤاد باشا والمفوضين لم يعودوا يُطيقونه بعد أحداث شهر يوليو من العام ١٨٦٠م، وأن تغيبه عن الأراضي الخاضعة لتركيا هو مُجرد شكل من أشكال التحوط والحرص، وأيًا كانت ألأسباب، فقد حضر الشيخ محمد

البكري من مكة إلى الرياض، حيث ذاع عنه أنهُ عالم وشيخ جليل في فلسطين أو بين الشافعية على أقل تقدير، وقد استقبل الملك فيصل الشيخ محمد البكري استقبالاً مُشرقًا، بل أن قاضي المدينة نفسه، عبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب، زعم أنهُ وجد ضالته في الشيخ محمد البكري، وسار كل شيء على ما يُرام في بداية الأمر، زد على ذلك أن الأدب العربي أخمد كلاً من العداء المذهبي والاستياء الذي ينجم عن الجدل الفقهي، وجاء يوم الجمعة ولم يكن من الأدب، في ذلك اليوم أن يرفض الشيخ البكري الذي يتحاشى صلاة الجماعة مع الوهابيين، دعوة مضيفه الذي كان هو نفسه خطيب تلك المُناسبة، ويذهب الشيخ البكري إلى المسجد، في إطار المُسلم الصحيح، ومُلتزم روحيًا بكل ما هو صحيح، ورافضًا كل المُحادثات الإخوانية، ووقف الشيخ محمد البكري في صفوف المُصلين ألأولى لأداء الصلاة، وهنا وللأسف الشديد يُسمح للإمام، الذي كان يؤم المُصلين، وهو واحد من مطاوعة المدينة الوهابيين، بعد تكبيرة الإحرام التي تبدأ الصلاة بعدها مُباشرة، وأثناء قراءة الفاتحة، يُسمح ليديه بدلاً من أن تكونا مطويتين على صدره أن تنشغلا بأطراف غترته، وتعديل ياقة قميصه، وهنا لم يستطع الشيخ محمد البكري أن يكظم غيظه أو يُخفي استياءه، لأن الأفضل له إلا يؤدي الصلاة خلف هذا الإمام الغريب، ويُصيح الشيخ محمد البكري بأعلى صوته قائلاً: اللهم إني نويت الخروج من الصلاة، ويستدير، ثم يخرج فجأة ويترك المسجد، وقد اعتراه اضطراب مُخيف. ويُنهي المصلون صلاتهم كالمعتاد، إذ أن حدوث زلزال لا يُمكن أن يحول بينهم وبين ذلك، وبعد التسليم مُباشرة، اندفع الكبار والصغار، والعظماء والحقراء والمتينين والنحفاء، غاضبين إلى منزل عبد اللطيف، الذي كان الشيخ محمد البكري يجلس وحده على حصير، وهو غاضب أشد الغضب ومُستاء أشد الاستياء، وطلبوا منه أن يُفسر لهم سلوكه المُشين أثناء الصلاة، ولو كان محمد البكري نجديًا لأعتذر لهم عذرًا حكيمًا، أو بالأحرى لم يكن ليلجأ إلى الحلول الوسط مُطلقًا، ولكن الواقع أن الشيخ

البكري كان سوريًا، بل دمشقيًا، ومعروف أن الدمشقيين هم أشد السوريين غضبًا، وكان دمه فاترًا في ذلك الحين، ورد عليهم الشيخ البكري بسلسلة من الشتائم، فهموا منها وبلغة عربية فصيحة، أنهم وصلاتهم ومذهبهم ومؤسس مذهبهم، ليسوا من التقوى في شيء، وأنهم مكروهون وأنهم محدثون ومهرطقون، وكفرة، بل إنهم أسوء من الكفرة، وهنا وجدت المياه المُحتجزة على الجانب الآخر منفذًا لها، وانهالت الشتائم من كل جانب، ومن حسن حظ الشيخ البكري أنهُ كان في نجد، التي يندر بل يتعذر اتخاذ أي إجراء فيها عقب الاندفاع الأول مهما بلغت حدته أو عنفه، ولكن الواقفين أوضحوا له رأيهم فيه وفي أعماله، وتركوه إلى ما بعد ذلك، وتخيل البكري أن الأمر قد انتهى عند ذلك الحد، ولكنه قبل غروب شمس ذلك اليوم، وصلته رسالة من الملك فيصل يُحذره فيها، بأن الأفضل له أن يرحل في تلك الليلة، نظرًا لأن الملك لا يُمكن أن يضمن سلامته حتى الصباح، والمعروف عن الغضب النجدي، أنهُ ليس نارًا من قش، إذ أنها تؤلم في اليوم الثاني أكثر من اليوم الأول، وفي اليوم الثالث أقسى من اليوم الثاني.

وعمل الشيخ محمد البكري بالنصيحة وغادر الرياض قبل طلوع فجر يوم السبت، في طريقه إلى الأحساء».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

## ▪ سياسة آل سعود الأزلية للهيمنة = (سياسة فرق تسد) :

كان حُكَّام الدرعية الأوائل سابقًا عبارة عن شيوخ قرى متواضعي القدرات الفكرية والذهنية، ينحصر دورهم ويتركز جلّ تفكيرهم واهتمامهم في حدود القرية أو على مشارف البلدة، فكانوا يتنافسون على السلطة مع جيرانهم في نجد للسيطرة على قرى وهجر صغيرة بائسة، وإذا لم يجدوا عدوًا خارج نطاق القرية أو البلدة يسطو بعضهم على بعض، فيغدر الابن بأبيه ويسطو ابن العم على عمه أو أبناء عمومته فيقتلهم ويحل مكانهم إذا حالفه الحظ، وربما حادثة جد آل سعود المدعو موسى بن ربيعة الذي غدر بأبيه ربيعة، فأصابه بإصابات بليغة ومن ثم هروبه إلى العيينة، ثم قيام وطبان بن ربيعة بن مرخان أيضًا بقتل ابن عمه الآخر مقرن بن مرخان طمعًا في السلطة، فهذان المثالان خير برهان على أوضاع وأخبار الدرعية قبل ظهور الدعوة الوهابية.

ولكن عندما دخل محمد بن سعود شريكًا مع محمد بن عبد الوهاب في ذلك المشروع التوسعي، كبرت الأهداف واتسعت المطامح وتتابعت الأطماع السياسية، لذا تغيرت أفكار آل سعود الأوائل جذريًا وتوسعت آفاقهم ومداركهم وذلك بعد انطواء الوهابية تحت جناحهم، أو بالأحرى عندما انضووا هم تحت لوائها الكهنوتي، فأصبح ابن سعود أمام مسؤوليات كبيرة بعد أن تزعم تلك العصابة الدولية أو ترأس قيادة ميلشيا مُسلحة كبيرة وليس إدارة قرية صغيرة، وبات يستشعر بخطورة المهام الجسام وبالمسؤولية المُلقاة على عاتقه أمام جموع قبلية كبيرة مُشتتة وجماعات حضرية مُستقرة، وبدأت الأوضاع تتعقد شيئًا فشيئًا والشؤون العامة تتطلب أموالاً ضخمة وحنكة سياسية ودراية ومعرفة، ففرض آل سعود ضرائب مالية على البدو مرة بحجة الزكاة وأخرى بدافع النكال، واتخذوا سياسة أجدادهم المعروفة (سياسة فرق تسد) مع تلك القبائل البدوية المُتحفزة، ومع الأسر العريقة الحاكمة، حتى لا يتفرغوا لهم أو يطمعوا بمكانهم، فكانوا يقومون بتحريض شيوخ تلك القبائل

على بعضهم البعض ويشغلونهم بالصراع الداخلي فيما بينهم حتى لا يرتاحوا قط أو يشعروا بالاستقرار، لأن السلام والأمان يُرعب ابن سعود، وبنفس الوقت يمنح شيوخ تلك القبائل نوعًا من الهدوء والصفاء الذهني، حينها قطعًا سيُفكرون بعقل راشد قد يجلب المتاعب لابن سعود.

لذلك توارث آل سعود سياسة الكيد والمكر والخديعة والتفرقة وإثارة الضغائن وتقليب المواجع وتأجيج الثارات القديمة بين شيوخ القبائل البدوية، خصوصًا عندما يشعر ابن سعود أنهم بدؤوا يستقلون بذاتهم عن سلطته، أو يفكرون بالخروج عن سيطرته وتبعيته، وكان يلجأ إلى نكأ الجراح وشحذ الأحقاد والفتن بين زعماء البلدات والقرى الحضرية وإيغار صدور بعضهم على بعض، حتى يلتجأ له الجميع، وحينها يكون ابن سعود هو الحاكم والحكيم أيضًا بين هؤلاء الرعايا الطائشين والمنفلتين.

وسبحان الله، فمن يقرأ سيرة آل سعود القديمة ويطلع على سياساتهم الخبيثة السابقة، ويرى تلك الأساليب الملتوية التي استخدمها آل سعود الأوائل مع أبناء جزيرة العرب سيجدها نسخة كربونية طبق الأصل وشبيهة بسياسة آل سعود المُعاصرين. حيث يذكر لنا مثلاً صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) عن بعض تلك السياسات الخبيثة قائلاً:

«ومن بعض سياستهم أنهم لا يرضون بصفاء خواطر القبائل التي تحت يدهم، خشية أن يتفقوا على منع حُكم من أحكامهم، بل يفتنون القبائل ويلقون بينهم المشاجرة. لكن كل هذا بالخفاء والسّر. ولما كان أيام سعود بن عبد العزيز، اتخذوا حرسًا، هؤلاء لا يبعدون عنهم أصلاً، وكانوا إزاء ألف رجل، وقد عُين لكل واحد في السنة مائة ذهب. ثم لما أظهر أمر آل سعود من أيام محمد بن سعود، كانت عادتهم في الحرب أن يُعينوا على كل قبيلة وكل قرية أو مدينة، أناسًا للجهاد. ولم يجعلوا لهم وظائف أصلاً بل يقولون هذا واجب عليكم، حتى الذخيرة على من خرج للجهاد. وكانوا يقولون لكبير الطائفة وأمير البلد:

رتبوا نفرًا للجهاد حيث أردنا وأمرنا. فكان حسب ما أمروا به. واعلم أن شأنهم في الرياسة أن لا يؤمروا على الجيش إلا أحدًا من بيتهم أو رجلاً من أهل البادية. وإذا أرادوا أن يغزوا مكانًا شيعوا أننا نريد المكان الفلاني، وهم قاصدون غيره، لئلا يبلغ خبرهم أهل تلك الديار فيحذروا منهم وكان من أمرهم أن لهم جواسيس في البلدان التي لم تكن تحت أمرهم يترقبون الأخبار ويرفعونها لهم. حُكي أنهُ لهم رقيب في القسطنطينية، ولما صدر الحكم من السلطان لوالي مصر وهو محمد علي باشا بأن يُحارب آل سعود، بمُجرد السماع كتبَ الرقيب لسعود يُخبره بالخبر فأخذ يُحصن القلاع، ويجمع الطوائف بالتأليف، لأن من عادة ما قال لهم به محمد بن عبد الوهاب، إنكم إذا عرفتم أن الناس مائلة قلوبهم عنكم، فألفوها بالبذل، فليس شيء أقوى منه للتعمير، قال بعض الرواة: كان فيما ينقل، أن في ذلك العام الذي بلغ خبر الروم إلى سعود، حيث شعر من بعض عنزة الميل عنه، فأرسل ابنه فيصل إليهم، وأرسل معه عطايا كثيرة لمشايخهم، وكتب كتابًا يمدحهم فيه ويحرضهم على القتال، ويقول لهم: أنتم أهل الدين، وكيت وذيت، حتى إنهُ أرضاهم بمال كثير، فرضوا منه بعد ذلك. وهؤلاء، قبل هذا بثلاثة سنين، قد بدا من طائفة من جماعتهم بعض الخلاف الجزئي، وقد ركب سعود بنفسه عليهم وقاتلهم، وكلما أرسلوا الرسل، وبعثوا بالمال وأظهروا التوبة، لم يقبل منهم لأنهُ حينئذٍ مُتمكن لا ضدَ له من خارج، والآن غيروا ما كانوا يصنعون فهم أبناء الوقت. وكانوا يأمرون بأن لا يُسافر أحد من جميع بلادهم إلى ناحية بلدان الخصوم إلا برخصة منهم، إن كانوا حاضرين هناك، أو يأذن أمرائهم الذين في تلك الأقطار». ۞ - انتهى الاقتباس -

ولاحظوا هنا ما أورده حسن جمال الريكي أعلاه من أن آل سعود كانوا يُسايرون القبائل البدوية ويتملقون زعماءهم حينما يداهمهم خطر خارجي،

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

وحينما يزول ذلك الخطر تجدهم يحتقرون تلك القبائل ويضيّقون عليهم، وكانوا يستغلون أبناء البادية والحاضرة البُسطاء المساكين كأدوات ووقود لغزواتهم، ويا ليتهم كانوا يمنحونهم بعض الرواتب أو المُساعدات المالية لقاء خدماتهم الشبيهة بالخدمة العسكرية الإلزامية، بل على العكس فهم لم يأبهوا بهم ولم يصرفوا لهم حتى التجهيزات العسكرية المتواضعة؛ سواء كانت بنادق أو ذخيرة أو سيوف أو حتى أحذية تقيهم حر وقر الصحراء، وفوق هذا كله كانوا يستغلونهم أبشع استغلال تحت ذريعة الجهاد في سبيل الله، وهم في الحقيقة يستخدمونهم كأدوات مُسخرة وبيادق سخرة لتنفيذ مآربهم ومشاريعهم التوسعية الخاصة. فلو دققنا في قول الريكي: ( ولم يجعلوا لهم وظائف أصلاً بل يقولون هذا واجب عليكم، حتى الذخيرة على من خرج للجهاد. وكانوا يقولون لكبير الطائفة وأمير البلد: رتبوا نفرًا للجهاد حيث أردنا وأمرنا. فكان حسب ما أمروا به).

ويذكر المؤرخ السويسري/ الإنجليزي جون لويس بوركهارت في هذا الخصوص قائلاً: « وعلى أية حال، فإن العربان كانوا يتذمرون من وضع شرط أساس المتكرر الحدوث، بل الدائم، وهو إصدار الأوامر التي تقضي عليهم بالالتحاق في قوات زعيم الوهابيين في حملاته القتالية ضد المهرطقين. وفي هذه الحالة فإن على العربان المقاتلين أن يأتي كل منهم بما يحتاجه من زاد ومئونة، وركائب (جمال) وخيول، وليس له أي أجر مادي أو رواتب لقاء عمله هذا. وإنما فقط، ما يستطيع هذا المقاتل من إحرازه من الغنائم والسلب. من هنا، فإن مثل هذه الحملات باهظة الثمن بالنسبة لهم، من هنا، فإن أي رجل أحدث ما يُخالف رغبة أو يُنافي سرور سعود، أو ما اقترفه من تنكيد عليه، من جراء أي اعتداء أو جرم ولو كان صغيرًا، يستطيع مصالحته واستعادة محبته من خلال الالتحاق بهذه الحملات العسكرية».[۞]

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

فابن سعود كان يحتقر البدو ودائمًا يعنفهم ويضربهم أحيانًا، ونراه كيف يطلب من هؤلاء البؤساء الموت في سبيله مجانًا، لكنه لا يُكلف نفسه مؤونتهم ولا يهتم بهم، ولم يأبه لأوضاعهم كأن يوظفهم برواتب مُعينة ويمنحهم حقوقًا متواضعة باعتبارهم جنود، وسنلاحظ الفرق بين هؤلاء الأفراد من العسكر؛ أو لنقل أفراد تلك الميلشيات البائسة من كباش الفداء، وبين المُقربين من آل سعود، وسنرى لاحقًا الفرق عندما نُقارن أجورهم بالمُخصصات المالية والمُميزات التي يحصل عليها (آل الشيخ) من أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب، وسنرى كم يُصرف لهم من أموال طائلة من ميزانية تلك الإمارة أو الدولة الوهابية فيما بعد.

وسنعود لما ذكره جون لويس بوركهارت مرة أخرى حول هذه المسالة، لكنه يُفصِّل أكثر في النص المُقتبس من كتابه، حيث يقول:
« فمثلاً إذا ما طُلب ألف مقاتل من شيخ القصيم، فإنه يتوجب على كلِّ بلدة أن تساهم بنصيبها حسب عدد سكانها. أما أهالي المدن، وكذلك البدو في مضاربهم، فيحلون الإشكالات المترتبة على ذلك، ونسبة المقاتلين للسكان، وبطريقة ودية بين بعضهم بعضًا. فمثلاً فإن جميع الرجال الذين يملكون الأذلة (مفردها ذلول) ينقسمون في دفعتين: يذهب الفوج الأول في هذه المعركة، ويذهب الفوج الثاني في المعركة التي تليها، عندما يتم الطلب والاستدعاء. كما أن جميع الرجال من سن الرشد وهو الثامنة عشرة، حتى سن الستين، يجب أن يحضروا اللقاءات التي تبحث هذا الأمر، سواء أكانوا متزوجين أو عُزابًا (مفردها أعزب)، أو أباء أو أرباب أسر. أما الذين يملكون الخيل، فعليهم تلبية نداء القتال في كل معركة يُدعون إليها، اللهم إلا إذا نصَّ الطلب على استثناء الفرسان من هذه المعركة أو تلك، وإذا ما غاب الرجل، فإن الزعيم الوهابي يأخذ فرسه أو ذلوله أو عددًا من رؤوس المواشي كغرامة لتغيب صاحبها، لقد كان سعود فظًا غليظًا في استلاب هذه الغرامات، كما أن

الواجبات العسكرية الثقيلة التي تفرض على الفرسان من مالكي الخيول تفرض عليهم بيع هذه المخلوقات الجميلة الرائعة، والتخلص من هذه الخيل المسوّمة، مما قلل كثيرًا من أعداد الفرسان الخيالة في سائر أرجاء الديار الخاضعة لسلطانه. ويحدث أحيانًا أن يصدر طلب عام لإرسال قوات وفرسان دونما تحديد للعدد، وفي هذه الحالة يجب على كل صاحب ذلول أن يلتحق بالجيش. وفي بعض المناسبات يصدر عن الزعيم الأمر التالي: على كل قادر على حمل السلاح أن يلتحق بالجيش، ويضع نفسه تحت إمرة الزعيم، وفي هذه الحالة على الأغنياء أن يجهزوا الفقراء بالإبل والأسلحة، وإذا ما عجزوا فيتم ذلك على حساب بيت المال. وإذا ما كانت الحملة إلى ديار نائية، كتلك التي شنها سعود عام ١٨١٠ على دمشق، وعُمان، فإنه يأمر قادته من حوله أن يأتوا له معهم بالصفوة المختارة من الفرسان والهجانة (أصحاب الأذلة - مفردها ذلول/ هجين)، وتسمى هذه الصفوة السيلي Sylle. وفي هذه الحالة، فإن نسبة من يلتحق بهذه القوة لا يتجاوز واحد من عشرين ٢٠/١. وفي جميع مناسبات الاستدعاء للحملات أو القتال، فإن بعض العُربان يقومون بالاحتيال، لإيجاد مبررات الاختفاء سرًا فرارًا أو لواذًا، أو يتملص مراوغًا من التجنيد الإجباري، رغم علمهم المسبق بما يترتب على تهربهم هذا من عقوبة ثقيلة من الغرامة العالية. وهم عندما يقارنون بين أمرين أحلاهما مرّ، فإنهم يفضلون الغرامة الفادحة على الالتحاق بالجيش أو تسليم أنفسهم للمشاركة في الحملة، ويدفع المقاتل من جيبه الخاص مصروفاته وأثمان طعامه ومئونته لمدة أربعين أو خمسين يومًا. أما مؤونة الفارس الوهابي أثناء حملته هذه فتتألف من: مائة باوند من الطحين ٥٠-٦٠ باوند من التمر، ٣٠ باوند من السمن، شوال شعير أو قمح علفًا لذلوله، وقربة ماء. ويقومون بمزج التمر بالطحين، ويحوّلونها إلى قطعة من الكعك (قرص) ثم يضعونها في الرمضاء، لشويها، ولتكون طعامهم صبح مساء. ويسمى هذا الخبز: خبز الملّة أو قرص الملّة، لأنهم يملّونه (أي يدفنونه) في الرمضاء ليستوي ويكون

بعدها جاهزًا للأكل، ولاشك أن عددًا من العوامل في كل حملة مثل: الثمن المرتفع للمئونة، على حساب الفارس الشخصي، وطول الوقت الذي يقضيه بعيدًا عن أهله، هذا إن عاد سالمًا، رغم أنه قد يجلب مزيدًا من الفائدة، والأذى الذي يلحق بالذلول في مشاركته وصاحبه في هذه الحملات حيث ينفق (يموت) العديد من هذه الإبل الثمينة في الطريق. أقول هذه الاعتبارات جميعًا، تجعل المشاركة في الأعمال العسكرية أمرًا مزعجًا للغاية بل ومؤرّقا للعربي الفقير، وإذا لم يكن أمر النفير الحربي عامًا، فإن الشخص يستطيع أن يستأجر من يقوم بالمهمة نيابة عنه، ويدفع له مقابل ذلك ٨-١٠ دولارات أسبانية، لقاء المشاركة بدلاً عنه في رحلة تستغرق أربعين يومًا، كما يزوّده بالمؤونة المطلوبة بالإضافة إلى الدولارات. وإذا ما كانت إبل الركوب والسفر نادرة أو لا تكفي لأعداد الرجال، فإنه يتم تخصيص ذلول واحد لكل رجلين معًا، ويسمى الذلول في هذه الحالة المردوف، والجمع المراديف، حيث يركب الفارس الفقير خلف الفارس الذي يملك الذلول».۞ - انتهى الاقتباس -

كما تعوَّد ابن سعود على سياسة التحريض والتحريش وزرع الفتن بين أفراد ورعايا القبائل وبين حكامهم، وكذلك إثارة الضغائن بين الأسر الحاكمة وزعماء القبائل، حيث كان يُراسل سرًا بعض أفراد الأسر الحاكمة الناقمين على أبناء عمومتهم أو إخوتهم الذين يديرون الحكم في المناطق أو الإمارات، وكلنا يذكر دسيستهم على أمير العيينة عثمان بن معمر، وكيف استقطبوا بعض أبناء عمومته من الناقمين عليه، فتآمروا معهم على اغتياله ثم قتلوه وهو يُصلي في المسجد صلاة الجمعة، وأيضًا مراسلات عبد العزيز السرية مع بعض مشايخ بني خالد ليُحرضهم على أبناء عمومتهم آل حميد حُكَّام الأحساء، بل كان يحرّض الأشقاء على بعضهم البعض عن طريق إثارة الأحقاد ودفع الرشاوى، وإفهامهم أنهم الأولى بالحكم والأفضل، وغيرها من رسائل

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

تحريضية دفعت هؤلاء الحمقى إلى الاستماع إليه ومن ثم خراب ملكهم بأيديهم. ولنقرأ أيضًا ما دونه صاحب كتاب (لمع الشهاب) عن مكائد ودسائس آل سعود في تلك الفترة، حيث يقول:

« وقد جعل عبد العزيز يكتب إلى بعض مشايخ بني خالد، ثم إن عبد العزيز أرسل خفية بعض الناس إلى إخوان سعدون، وكتب لهم كتابًا يقول فيه: ليس سعدون بأولى منكم في الحكومة بل كونوا أنتم حكامًا بأجمعكم، فإن أبى عن ذلك، فاصنعوا فيه ما يزيل بأسه، فإن عاندكم أحد من بني خالد، ولم تظفروا به، هذا أنا أمدكم بالمال والرجال، ولا أتوقف حين يبلغني منكم علمٌ على حسب ما تريدون. فلما بلغ إخوان سعدون العلم الذي أسره إليهم عبد العزيز، أظهروا الخلاف مع أخيهم، فلم يتمكنوا منه، فغلب عليهم أمره، فالتجأوا إلى خالهم عبد المحسن آل سرداح، من فخذ من الحميد، يُقال لهم آل عبد الله، فجلوا إلى المنتفق. فلما وصلوا هناك أيدهم الشيخ ثويني بن عبد الله آل شبيب، وساروا إلى أخيهم سعدون، فانهزم سعدون. ثم أنهما دخلا في سلف بني خالد، فحكم منهما داحس لأنهُ الأكبر، ولكنهُ كان يُشاور أخاه محمدًا. كان خالهم عبد المحسن كاتمًا لهما العداوة، يُريد الرياسة لنفسه، وأن تنقل الحكومة من آل عرعر إلى آل عبد الله. وأما سعدون، فلما انهزم التجأ إلى عبد العزيز، فأكرمه وأوعده بأن يسير معه إلى بني خالد. فأخذ سعدون هو وبعض الخوالد الذين معه، يغزون أطراف بلاد الخوالد، ويأسرون منهم أناس ويأتون بهم إلى الدرعية وعبد العزيز يَمُن عليهم فيفكهم، ويرد أموالهم عليهم، ويبذل لسعدون بدل ذلك. ثم إن عبد العزيز أخذ يُكاتب بني خالد، ويأمرهم بطاعة سعدون آل عرعر، بعدما كان يُرغبهم بخدمة أخويه داحس ومحمد، وما هذا إلا لفطانة، يُقلب الأفكار ليُدمر دولتهم. فانحازت بعض طوائف بني خالد إلى جانب نجد، فأقرهم عبد العزيز وأعطاهم جزيل العطاء. ولم يزل الاختلاف في بني خالد هكذا إلى مدة خمس سنين: فأمر عبد العزيز ابنه سعود مع جيشٍ عرمرم يبلغ أربعين ألفًا، وقال له: سر إلى بلاد بني خالد، ولا تتعرض شيئًا

من أموالهم، فإن عارضوك تعرض لهم. فلما عَلم سعدون بتجهيز العسكر، عرض نفسه للخروج معهم، فقال له: أنت ابق عندنا، لا تخرج، وأراد عبد العزيز أن لا يحضر سعدون في هذه السيرة، لأنهُ قد أسرَ بعض القول إلى ابنه سعود، بأنك إذا وردت حول أرض بني خالد، ارسل إلى داحس، وقل له: هذا أخوك سعدون عندنا، وواجب حمايته علينا، وهذا أنا قد أتيتك بعسكري هذا، فإن سلمت لنا بلدك الأحساء، وفوضتها إلينا، كفانا ذلك منك، وجعلنا سعدون في حوزتنا، لا يصل إليك، وأعطيناه خرجًا كليًا بحيث يكتفي عن مجادلتك، وإلا فنحن نُحاربك ونسلط سعدون عليك يقينًا. فلما سمع داحس ذلك، غضب وطلب كبار بني خالد وخاله عبد المحسن، وشاورهم في ذلك فقالوا: ألا ترد عليه جوابًا، ولا تكتب له كتابًا، بل رتب عسكرك، وأحبس رسوله، وامشِ عليه. فلما تراءى العسكران، زحف كل منهما إلى الآخر، فوقع القتال حينئذ، من أول طلوع الشمس إلى بعد الزوال. وقد قتل من الجانبين خلق كثير، لكن غالب القتلى من عسكر سعود، فوقف كل من الفريقين إلى مكانه، وقد ظهر العجز من سعود. فلما جن الليل ولى ساريًا فلم يُصبح في تلك الديار، فعرف الخوالد أنهُ رجع إلى أرضه، فلم يتبعوه لأنهم أيضًا قد كلوا. فأقام داحس آل عرعر في تلك الأرض أربعين يومًا، يظن أن سعود يرجع. وبعد هذه المدة سار إلى الأحساء، فأقام هناك أربعة أشهر. ثم إن عبد العزيز قال لسعدون بن عرعر هذا: أسير معك بعض القوم، وأعطيك ذخائر كثيرة، فسِر أنت وأهلك إلى الأحساء وإن لم تأمن الدخول فيها، وأنا أنزل قريبًا منها، فكاتبْ أهلها وأنظر ماذا هم فيه من المودة لك أم البغض. وأغز أطراف بني خالد ولا تُبق أحدًا تظفر به إلا قطعت رأسه، لأن القتل الشنيع، هو الذي ذلل لنا رقاب قبائل نجد، كما علمنا بذلك شيخنا محمد بن عبد الوهاب. فمشى سعدون حتى صار عن الدرعية بيومين. ثم استدعاه عبد العزيز لأمر بدا له، فأقام هنالك عشرة أيام فقضى الله عليه بالموت!». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

ونلاحظ هنا أن عبد العزيز بن محمد بن سعود هو من سعى لتأجيج الفتنة وزرع الأحقاد والضغائن بين أبناء عرعر أو عريعر حاكم الأحساء بعد وفاته، وكان يحرّض أحدهم على الآخر، وسنلاحظ سياسة عبد العزيز الخبيثة في تحريض وإيغار صدور الإخوة على بعضهم البعض، وعندما ينكسر الخصم الذي سبق وأن حَرّض عليه، سرعان ما يستقبله بالأحضان وكأن شيئًا لم يكن، فيؤويه كي يجعله هو الآخر بيدقًا رخيصًا أو مُجرد رهينة قابلة للتفاوض عليها مُستقبلاً. وهكذا استمر عبد العزيز بالتلاعب بأبناء عريعر، إلى أن شتت شملهم ومزق ملكهم، وهو على أية حال لا يُلام على لؤمه وحقده أو على تصرفاته الخبيثة، لأن جيناته الوراثية مُركبة هكذا، فآل سعود قد جبلوا على الحقد وحب الوقيعة بأبناء الجزيرة العربية، وأباحوا سفك الدماء وهتك الأعراض، وتطبعوا بطباع الخيانة والغدر، وتعودوا على إخلاف الوعود ونقض العهود والتخابر والتآمر مع الأعداء والتحريض بين الناس، وعليه فليس غريبًا عليهم أن يفتنوا بين أبناء عريعر الحمقى. والمسؤولية هنا تقع على أولئك الأشقاء المُستغفلين كل من سعدون وداحس ومحمد، وليس على آل سعود الحاقدين عليهم والحاسدين لهم، لأن أبناء عريعر هؤلاء هُم من سمح لابن سعود بذلك،وهم من جعل أعداءهم يتلاعبون بهم كأحجار الشطرنج، فتأملوا هنا كيف يوصي عبد العزيز سعدون بن عريعر، بأن يحرص على أن يكون مُجرمًا وسفاكًا لدماء بني جلدته، أي بني خالد، وكيف يحرضه بأن يُصبح سفاحًا كما فعل آل سعود في نجد، وذلك وفقًا لنصيحة "النبي" الدموي الجديد محمد بن عبد الوهاب، وسنلاحظ أيضًا كيف كان سعود بن عبد العزيز يُحرض قبائل عسير وكذلك إمام صنعاء على صاحب أبي عريش الشريف حمود المُلقب بـ(أبو مسمار)، وكيف كان يؤملهم بدعمهم بالمُرتزقة ويُمولهم بالمال والسلاح في سبيل إحداث القلائل والفتن في تهامة اليمن، وأيضًا سعيه الدءوب من خلال دفع تلك القبائل لإيذاء الشريف وإضعافه، حيث يذكر الريكي عن تلك الممارسات الخبيثة لسعود، قائلاً:

« وأما حين تولي آل سعود على مملكة نجد، فإن جميع القبائل لم تُطيع من الحجاز واليمن وتهامة قصرت أيديهم عن الدخول في أرض نجد، بل ربما غزوا في مساكنهم كما مرَّ لك بيانه، وهذه عسير طوايف وعشائر، والكل بداة، فحين وصل الوفد المذكور مع العلماء إلى إحدى تلك العشائر، قبلوهم بالقبول، وأخذوا الدين عن يقين. فسمع بقية طوائف عسير بذلك، فأنكروا عليهم وأخذوا يتقاتلون والظفر يقع من جانب القوم الذين تابعوا سعود، فازدادوا اعتقادًا كلما رأوا النصر، حتى إن البقية من عسير دخلوا في الطاعة لسعود بغير حرب. فقال لهم في السنة الرابعة والعشرين من قرن الثالث عشر: أريد منكم يا جماعة عسير بعد ما منَ الله عليكم بإتباع هذا الدين المُبارك، أن تعترضوا الشريف حمود، وأن تؤذوه وأن تدخلوا أرضه قهرًا حتى تقودوه إلى الطاعة. وكان هذا الحكم مما يشق على عسير لأن مُحاربة الشريف حمود لا يرضون بها إلا عن كرهٍ وجَبر، حيث أن أكثر كيلهم الطعام من عند الشريف حمود، وكثيرًا ما يسلفهم ويُعطيهم. وأيضًا الشريف حمود هو أبو مسمار، سموه العرب الذين في دياره ومن حاذاهم، كأنهُ مسمار في كبد الأعداء لشجاعته وحزمه. وعنده من أولاد عمه خاصة من الشرفاء الحسينيين أربعة آلاف مُقاتل، كل واحد شجاع لا يُقاس، ومُدبر للحروب ذو بأس. ولكن لما لزم عليهم سعود بذلك، قبلوا بما أمرهم به. فكتبوا للشريف حمود أولاً، إن هذا دين الله الذي منَ علينا به، فقد قبلناه وأنت أولى بنصيحتنا من غيرك، فإن قبلته، فأنت مُكرم محبوب عند الله وعندنا، ولم تزل في سلطانك هذا، وإن لمتقبله فالطاعة لله ولإمام المُسلمين. هذا ونُقاتلك ونحن موعودون بالنصر بلا ريب. فلما بلغ كتاب عسير إلى الشريف حمود أحضر كبار جماعته وقال: ما ترون من الرأي في ردّ الجواب؟ قال بعض: لا جواب لهم، وإنما نغزوهم في ديارهم. وقال البعض الآخر: لا نغزوهم ولا نخرجُ من أرضنا، بل نمنع القوافل المُترددة منا ونهم، عن أرضنا اليوم. وقال بعضهم: بل الصلاح هو أن نمشي عليهم دفعةً واحدة، فنهلكهم، أو يهلكوننا، لأنهم لما

صدقوا في مقالهم مع سعود ولم يعبئوا بالمُجاورة، فليس أقرب منهم أحد لنا، وهم قوم عديدون. فقال الشريف حمود: كل هذا ليس بصواب، بل الصواب أنهم إذا ما ابتدونا بالحرب نبتديهم بها. فكتب الشريف حمود لهم جوابًا يقول فيه: لا يخفى على عسير كلها، أنتم تعرفوننا أنا أناس شرف ومُلك ولا نخشى من أحد، إلا الله. وقولكم لنا بأن نُطيع هذا الدين، الذي عليه سعود وأنتم كذلك. فإن هذا دين ليس مرضيًا عند الله. والغاية أن كل ما أراد الله لنا معكم، فهو يقع. فكونوا على حذر منا. فجعلت عسير تغزو مُلكه، وتنهب وتقتل، كل من ظفرت به، كذلك جعل هو يغزو عليهم وينهب ويقتل حتى كثر الفساد وصارت السنة الخامسة والعشرون فمدّ سعود قوم عسير بشيء من عساكر نجد، فجعلوا يمشون بعسكر قوي. وضعفت قوة الشريف حمود عن مدافعتهم. وكان يومئذٍ من جملة تدابير سعود أنهُ كاتب المنصور إمام صنعاء، وأخذ يُرغبه في حرب صاحب أبي عريش الشريف حمود، ويوعده بالنصرة له. وكان إمام صنعاء يُحب ذلك إلا أنهُ خائف من أن يتحرك بحرب الشريف حمود، فيميل سعود بعسكره على أرض اليمن. لكن، لما كتب له سعود بذلك، وحلف له أنه لا يتعرض ملكه بسوء، هَّم إمام صنعاء على حرب الشريف حمود، لأن المُلك الذي بيده كله من تهامة اليمن، وهو يتبع إمام صنعاء. وإنما مُلك الشرفا تهامة الحجاز، لكن تغلب الشريف حمود على المنصور فأخذ هذا المُلك، وجعله مأوى لبني عمه، فتسلط أتم تسلط».[۞] - انتهى الاقتباس -

ولم يقتصر الأمر على زرع الفتن والدسائس بين أفراد الأسر الحاكمة آنذاك، بل تفنن ابن سعود في التحريض بين رؤساء ومشايخ قبائل البدو وخصوصًا أولئك الذين بينهم ثارات قديمة، وكثيرًا ما كان يجلب هؤلاء الخصوم الأضداد إلى مجلسه الخاص كي يتشاتموا ويتلاعنوا فيما بينهم، وحينما يصل بهم الحد إلى القتال أو استخدام السلاح؛ يقوم بزجرهم بشدة ، ويذكرهم أن لولاه ولولا

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

سلطته ولولا الوهابية، لنهش بعضكم بعضًا، ولتقاتلتم حتى يُفني بعضكم بعض، وبالمناسبة فإن سياسة التحريض بين القبائل وتخويف بعضهم من بعض، مازالت سارية إلى اليوم، حيث جُبل آل سعود على تلك السياسة كي يدفع الجميع بالاحتماء به، وهو يتظاهر أمام كل طرف، أنهُ معه ضد الطرف الآخر، وهكذا، فقد تعود آل سعود أن يتعيشوا ويسترزقوا منذ وجودهم على تلك التناقضات القبلية والقروية أيضًا.

ومن المواقف الشبيهة بتلك المسرحيات الهزيلة التي كان يدير خيوطها ابن سعود، ما ذكره عثمان بن بشر عن تلك الملاسنة الحادة التي حصلت في مجلس سعود، بين شيخ مطير فيصل بن وطبان الدويش وبين شيخ مشايخ عنزة الحميد بن عبد الله بن هذال، حيث يذكر ابن بشر عن تلك المواجهة، قائلاً: « وكان الذي يتبعه في مغازيه من الجيوش والخيل والجياد من النواحي والبوادي من جميع القبائل لا يحصها العد ولا يبلغها الحصر والحد. فلو تخلف أحد من البوادي بفرسه عن الغزو؟ أو تخلف من تعين عليه الأمر من رؤسائهم أو من دونهم أُدبَ أدبًا بليغًا، وأخذ من له نكالاً وإذا أراد، أن قبيلة من قبائل بوادي نجد العظام كمطير وعنزة وقحطان أو غيرهم، وهم في أقصى الشمال يرحلون وينزلون في الجنوب أو الشرق أو الغرب، لم يمكنهم مُخالفته. ونشأ على ذلك الصغير وشاب فيه الكبير، وقد جلس يومًا فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير والحميد بن عبد الله بن هذال رئيس بوادي عنزة. وكان هؤلاء من أشد البوادي عداوة لبعضهم بعض عند سعود في صيوانه، وهو مُقيم على الرس البلد المعروفة في ناحية القصيم. وذلك في غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف، وتنازعا بين يديه وتفاخرا وأظهرا نخوة الجاهلية، فقال أحدهما لصاحبه: أحمد الله على نعمة الإسلام. وسلامة هذا الإمام. الذي أطال الله عمرك بسببه، وكساك الشيب بعد أن كان آباؤكم لا يشيبون ولا ينتهون إلى حده، بل نقتلهم قبل ذلك. وقال له الآخر:

أحمد الله على نعمة الإسلام. وسلامة هذا الإمام. الذي كثر الله بسببه مالك. وسلم الله عيالك. ولولا ذلك لم تملك ما هنالك، ولا نزلت في تلك الديار ولا استقر بك فيها قرار. فانتهض سعود وزجرهم وذكرهم ما أنعم الله عليهم به من الإسلام والجهاد (•) والجماعة والاجتماع على الصلوات والدروس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما أعطاهم الله في ضمن ذلك من الأموال وكثرة الرجال». ۞ - انتهى الاقتباس -

وهنا تجدر الإشارة أن القبائل البدوية وحتى الحضرية منها في نجد وبقية أجزاء الجزيرة العربية، التي انضمت لاحقًا للوهابية، لم تكن كلها على قناعة تامة بمبادئ تلك الدعوة، بل أن أغلبهم كان مُرغمًا على مبدأ مُجبرٌ أخاك لا بطل، ولولا وسائل الترهيب والبطش وسفك الدماء والتعزير، وفرض عقوبات السلب والنهب لمن يرفض الانضمام إلى الوهابية، لما اتبع محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلا أهل الدرعية فقط، وهؤلاء سيتبعونهم خوفًا ورغمًا عنهم أيضًا، لكن الوسائل والطرق الوحشية التي أحلَّها محمد بن عبد الوهاب في الفتك بمن يرفض الانطواء تحت راية الوهابية، دفع الكثيرين للقبول مُجبرين بتلك الدعوة كنوع من التقية.

وهذا طبعًا لا يمنع من أن هنالك نماذج أخرى قليلة كانت قد دخلت عن قناعة وعن مصلحة شخصية، بسبب صدور الفتاوى الوهابية التي تبيح لهم قتل الآخرين وسلب أموالهم تحت حجج شرعية تحصنهم من العقوبة وتجنبهم إشكالات الثأر والانتقام، والبعض الآخر وجد في الوهابية ظهيرًا وداعمًا له في السيطرة على إمارة القرية أو البلدة التي يقطنها، ومن ثم يسهل عليه انتزاعها من أشقائه أو أبناء عمومته. وهكذا أصبحت الوهابية عنصر ثقل سياسي مؤثر في نجد ترجح كفة كل من يتبعها، وعليه فيمكن القول إن

---

(•) الجهاد: هو يعني عمليات السلب والنهب في حقيقة الأمر.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

الوهابيين كانوا صنفان: صنف مُستفيد ومُقتنع ووجد في الوهابية ضالته واتخذها سلاحًا لتصفية خصومه، وباتت سندًا له في مواجهة أعدائه وخصومه، وصنف آخر كان مُجبرًا ومُرغمًا على إتباع تلك الدعوة الوهابية، خوفًا على نفسه وماله وعرضه وحقنًا لدمه ودماء عشيرته، وهؤلاء أغلبهم انقلب لاحقًا وكانوا ينتهزون أقرب فرصة مُناسبة للتبرؤ من ملة الوهابيين، وقد مرَّ بنا كيف تبرأ منهم فارس الجربا وكذلك قبيلة الظفير وقوم السبعة من قبيلة عنزة، وأيضًا بعض قبائل حرب وجهينة وغيرهم.

وعن ذلك التصنيف الوهابي يذكر لنا الضابط الفرنسي جان ريمون أهم صنفين، حيث يقول: « وكانت أهم عقبة تحول دون انتشار الوهابية ما كان شائعًا بين المشايخ العرب، من أن أتباع عبد الوهاب يجبرون على الاستغناء عن أملاكهم. وقد وعد عبد العزيز بالمُحافظة على مكانة وثروات كل من يدخل طوعًا في جماعته. وكان يتقيد بهذا الوعد بكل إخلاص مما قسم الوهابيين إلى فئتين مُختلفتين من الناس، الأولى مكونة من المُنتمين طوعًا، والثانية من المُنضمين بالقوة. وهؤلاء جردوا من ممتلكاتهم فأصبحوا أمثولة حية، وكان ما حل بهم أحسن درس لكسب مؤيدين جدد طوعًا. فأصبحت العقبة في طريق تعاليم عبد الوهاب سابقًا أسلوبًا نشر هذه التعاليم».[۞] - انتهى الاقتباس -

بل إن هنالك أشخاص كانوا مُقربين جدًا من محمد بن عبد الوهاب ومن عبد العزيز بن محمد بن سعود، لكنهم كانوا رافضين وغير مؤمنين بدعاوى الوهابية ولا مُقتنعين بتعاليمها الدموية، بل كانوا مجبرين على اعتناقها، وربما حالة الشيخ عبد الله بن غريب هي من أقرب الأمثلة الحية على نفور الناس من مبادئ الوهابية، حيث قام عبد العزيز بن محمد بن سعود بقتله، وذلك بعد أن علم بأنهُ غير مؤمن بالوهابية.

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

وعن حكاية الشيخ عبد الله بن غريب يذكر لنا مُفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن حميد في كتابه "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" تلك الحكاية، حيث يروي قائلاً :

« ٤١٧ – عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الوهاب بن مُشرف التميمي : قرأ على أبيه وأبوه قرأ في مصر على محرر الذهب الشيخ منصور البهوتي وحصل كل منهما وأفاد واستفاد وأفتى في مسائل عديدة بأجوبة مُحررة سديدة لكنها لم تجمع فتشتت إلا يسيرًا في مجموع المنقود. توفي المترجم سنة ١١٣٥هـ وكان قاضي بلدهم العيينة أم قرى نجد إذ ذاك ومقر أميرها كافة وهو من بيت علم وفضل، وتسلسل العلم في ذريته طبقات فكان حفيد ابنه حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبد الوهاب قاضي بلدهم مرات فاضلاً وتوفي سنة ١١٩٤هـ وابنه عبد العزيز بن حمد باقعة الزمان ولسان ذلك الأوان عجبًا في الحفظ والاستحضار داهية في محاولات الملوك والأمراء. ولد في العيينة أو الدرعية قبل سنة ١١٩٠هـ وقرأ ففاق ولم تدخل في قلبه دعوة محمد بن عبد الوهاب مع أنهُ جده لأمه! وزاده نفورًا عنهم أن والدته تزوجت بعد وفاة أبيه (من) الشيخ الفاضل عبد الله بن غريب، وكان مصانعًا لهم في الظاهر مُخالفًا لهم في الباطن و(قد) رد على مُخالفيهم وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها، وكان عندهم مقبولاً مُعظمًا، ثم إن شخصًا غريبًا من الأعاجم مُقيمًا في الدرعية استحسانًا لدعوتهم تملق للشيخ عبد الله المذكور واستجلبه وسأله عن حقيقة حالهم، وأجابه بالاستحسان وأنها الحق. فقال له (الأعجمي) أنا في ذمتك ترشدني ويسألك الله عن ذلك إن كتمت عني الحق؟ فظنهُ صادقًا وباح له بما كان يكتم في نفسه من تخطئتهم ومُجاوزتهم الحد في التكفير والقتل والنهب. فوشى به إليهم فمسكوه وعرفوا أنهُ إذا كان كذلك ينقض عليهم أكثر من غيره لحذقه وفهمه وقوة تصرفه في الرد مع إطلاعه على خباياهم فقتلوه! فنفر ربيبه المذكور عنهم نفرة عظيمة ولكن لم يمكنه إلا المُصانعة خوفًا من القتل واستسلم لتيار

الأقدار وأرسله سعود سفيرًا إلى إمام صنعاء فكفى ما أرسل فيه، وسمعت مشائخ صنعاء يُثنون عليه بالفضل والفهم والعقل والذكاء التام وحُسن المحاضرة، ثم أرسله عبد الله بن سعود إلى والي مصر محمد علي باشا في الصلح، فلم يتم لتشدده عليهم بسبب تأكيد السلطان محمود عليه في قتالهم ولمقاصد له باطنة دنيوية، و(قد) ذكر مؤرخ مصر العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن مُفتي الديار المصرية الشيخ حسن الجبرتي في تاريخه الكبير أنهُ اجتمع به في هذه الرسالة وأنهُ بحث معه فوجده فاضلاً نبيلاً ورأى منه ما أعجبه سمتًا وخُلقًا وأدبًا وحُسن إفادة واستفادة وأنهُ نُقلت إليه مُخاطبته مع الباشا فأعجبته جدًا، وكذا ذكر لي عمي عثمان وخالي عبد العزيز بن عبد الله بن تركي وكانا من طلبة العلم ومُجالسيه كثيرًا فإنه بعد أن زالت دولة آل سعود سنة ١٢٣١هـ ارتحل إلى عنيزة فولي قضائها، فسمعت من أهلها وصفه بكل جميل منها الاجتهاد في العبادة والمُداومة على تلاوة القرآن في كل حال حتى في حضور الخصمين، هم يقصون دعواهم وهو يتلو القرآن، وكان فيصلاً في الأحكام ويميل إلى ما يرجمه الدليل مما خالف المذهب ولا يُبالي بأحد، ثم تحول إلى سوق الشيوخ (في العراق) فولاه شيخ المنتفق قضاءها إلى أن توفي فيها بعد الأربعين رحمه الله». [۞] - انتهى الاقتباس -

واستمر ذلك الأسلوب مُتبعًا حتى بعد موت عبد العزيز، ولذلك شاهدنا أن كثيرًا من القبائل البدوية، هربت من بطش الوهابيين ولجأت إلى العراق والشام، وأما الأسر الحضرية في نجد فقد لجأوا إلى الزبير والكويت وقطر.

وقد اشتهر آل سعود بالغدر وخيانة الوعود ونقض الوعود، لأن الوفاء والأمانة ليست من شيمهم قط، وهم يفتخرون بنقضهم للعهود ويعتبرونها نوعًا من الفطنة والدهاء، ولذلك تجدهم لا يلتزمون لا بدين ولا شرع، وإلا لمَا

---

[۞] كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

قتلوا الناس في المساجد، ولما سفكوا الدماء في الأعياد والأشهر الحرم، ولما كفروا البدو البسطاء، وهدروا دماءهم ونهبوا أموالهم وحلالهم.

ومن الأمثلة العابرة على خيانة العهد ونقص الوعد التي اتصف بها آل سعود، ما ذكره أيضًا صاحب كتاب (لمع الشهاب)، حيث يقول:

« ثم إن الأمر استقل لآل سعود في أرض بني خالد أتم الاستقلال، ما عدا بلادين الشرقية من تبعة الأحساء والقطيف كذلك. فسار سعود ثانيًا على حرب علي بن أحمد صاحب بلاد الشرق فأفتتح جملة قرى من قراه، وفد انحصر عليّ ابن أحمد في قلعة صغيرة كانت محفظًا له هو وأبناء عمه ومائة رجلٍ. فحاصرهم سعود ورماهم بالمدافع حتى هدم طرفًا من البنيان، وكلما صنع ذلك بهم، وحمل عليهم: ردوه. ولما أراد الله ذهاب علي بن أحمد وتمكن آل سعود في الأحساء زينَ له أن يطلب منهم ذمة وأمانًا، فعاهدوه على ما طلب. ولما سلم لهم الأمر حبسوه سبعة أيام، ثم بدا لهم أن يضربوا عنقه، فأمر سعود بإحضاره. وأحتج عليه بحجج فاسدة، وضرب رقبته بيده، فأنظر إلى قلة وفائهم بالعهد». [۞] - انتهى الاقتباس -

كما كان من سياسة آل سعود المعروفة سابقًا هي قطع الطريق أمام قوافل الحجيج ثم ابتزاز تلك القوافل، حتى أنهم سنّوا لاحقًا ضرائب على كل رأس من حجيج بيت الله، وكان ابن سعود يشتاط غضبًا إذا ما تناهى لأسماعه أن قافلة ما للحجاج؛ وخصوصًا القادمة من جهة العراق أو الكويت والتي تجمع بدورها القوافل الآتية من بلاد فارس، لم تمر بالدرعية، أو مرَّت بالقصيم أو حائل مثلاً، حينها يأمر البدو التابعين له بسلبها ونهبها وجلب من فيها رغمًا عنهم إلى الدرعية!!.

وكان تبرير عبد العزيز الدائم لتلك الأعمال أنهُ يُريد أن يجعل من الدرعية مركزًا تجاريًا ومحطة عبور مركزية للحجاج بدلاً من القصيم وحائل، وأنهُ أراد

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

من تلك السياسة لَيْ ذراع الدولة العثمانية وأن يفرض وجوده من خلال قطعه سابلة الطريق على الحجيج، وتغيير مسارهم نحو الدرعية، بل قد يُفاجئ وهابيو هذا الزمان أن إمامهم المزعوم عبد العزيز بن محمد وولده سعود كانوا يتكفلون بحماية قوافل الحجاج من شيعة الفرس ويؤمنون لهم الطريق ويرسلون معهم مجاميع وهابية لحمايتهم من قطاع الطرق، مُقابل فرض رسوم مالية على كل رأس، وكذلك بشرط أن يمروا على محطة الدرعية، ومن ثم الرياض لاحقًا في كل مرة، وأن لا يتخذوا محطات أخرى، كحائل أو القصيم!.

وأنبه القارئ الكريم أن آل سعود الحاليين مازالوا يتخذون نفس سياسة أجدادهم في المُتاجرة بمأساة الحجاج، واتخاذ مراسم الحج والعمرة كورقة سياسية في الضغط على بعض الدول الإسلامية، وعلى كثير من المُسلمين الذين يعارضونهم سياسيًا ومذهبيًا، كما جعلوا من سيطرتهم على الحرمين الشريفين منبرًا لخدمة المشاريع الغربية.

وعن تلك السياسة السعودية الخبيثة، يذكر صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) بعضًا من تلك السياسة السعودية الخبيثة، حيث يقول: « وكانوا يأمرون كل أمير من أمراء الحاج أن لا يسير بركبه من أية ناحية أتى، إلا ويمر بالدرعية ذهابًا وإيابًا، فوقع بعض السنوات أن حاج خرجوا من الكويت، مُريدين مكة عظمها الله، ولم يمروا بالدرعية، وساروا على طريق الزلفي. فلما سمع بهم عبد العزيز أمر جنيان بن رشيد الدوسري، فغزاهم وأسرهم، فأتى بهم إلى الدرعية، وكل ما التمسوا منه الحاج بأن: نبذل كذا وكذا -وكان فيهم خلق كثير من العجم- وارخصنا نمضي إلى الحج بيت الله الحرام، فأبى وقال: قد نبهنا قبل هذا أن لا يقصد أحد من هذه النواحي مكة، إلا أن يمر بنا ويضيفنا ونعرفه، ويُعاهدنا على الدين. وأنتم أخلفتم الحكم، فلستم في الذمة. وإنما أمرهم هذا كما ذكرنا غايته اشتهار قدرتهم بالطاعة، وإسماع جميع الناس من أهل الأقطار ما هم فيه من الدين».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

وعن المُحاولات الوهابية الحثيثة لدفع وجعل الحجاج الإيرانيين والعراقيين يمرون عن طريق الدرعية سابقًا والرياض لاحقًا، ومن ثم المرور عبر القصيم، وبغض النظر عن الطريقة أو الأسلوب، وبعيدًا عن نوع ومذاهب أولئك الحجاج، يذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف في كتابه (وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م) مأساة أولئك الحجيج الإيرانيين والهنود البنغال، وينقل لنا صورة قاتمة للمُعاملة السيئة التي كان يُلاقيها أولئك الحجاج الشيعة في عهد فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود، حيث شاهد بالجريف بعينه تلك الحالة المُزرية، وقد وثق ودوّن كيفية تعامل أزلام فيصل مع هؤلاء الحجاج المغلوبين على أمرهم، حيث يروي في كتابه قائلاً: «كان ذلك المكان الواسع مُغطى بالخيام ويعج بالرجال الذين يرتدون ملابس أجنبية، وملامحهم أجنبية أيضًا، يختلط بحضر من العرب وبدو عرب أيضًا، ونساء وأطفال، يتكلمون ويتصايحون ويتشاجرون، يشترون ويبيعون يجيئون ويروحون، سلال مليئة بالتمر والخضروات، أطباق مُحملة بالبيض والزبد، حليب ومصل لبن، لحم مُعلق على أعمدة، حزم من الحطب، الخ. الخ، كل ذلك مُرتب على شكل صفوف، كان بعض الخيالة والجمالة يركبون دوابهم ويتجولون بها بين مجموعات من البشر تجلس حول النار، أو يتكئون على أمتعتهم، ووسط هذا الخليط، كانت هناك كرة مطلية بالذهب موضوعة فوق خيمة كبيرة، من صنع لم أره منذ أن غادرت الهند أخر مرة، أي قبل أحد عشر عامًا مضت، وليست خيمة عربية الأصل أو الصنع أو الطراز، إنهُ منظر حي، وخاصة عندما يكون الصباح مُشرقا، ولكن الأمر يحتاج إلى شيء من التفسير، من منظور طابع المخيم الأجنبي وغير العربي. كانت تلك خيام قافلة الحج الفارسية الكبيرة، وهي في طريق عودتها من المدينة المنورة إلى مشهد علي (النجف) عن طريق القصيم، ومن هنا كان كل ذلك الضجيج والحركة الدائمة، كانت تاج جيهان دولة، أرملة عصاف دولة، ذلك الاسم الذي يعرفه القارئ البنغالي الإنجليزي، هي الشخصية الرئيسية في تلك القافلة، وكانت

خيمتها هي تلك الخيمة التي كانت فوقها كرة مطلية بالذهب، وكان من ضمن هذه القافلة، عديد من الهنود، من سكان لاكنو وسكان دلهي، الذين كانوا من أقاربها أو خدمًا لها، كما كان البغلان وراعيهما اللذان أدهشانا ينتميان إلى تلك القافلة، أما بقية القافلة فكانت مكونة في بعض أجزائها، من الفرس مواطني شيراز، وأصبهان وبعض البلدان الإيرانية الأخرى، وفي البعض الآخر ولكن بنسبة أكبر من العرق الخلاسي الذي يمثل السكان الشيعة من كل من مشهد علي وكربلاء وبغداد، والواقع أن أفراد القافلة كانوا ينتمون إلى المذهب الشيعي، برغم اختلاف أصولهم الوطنية، وكان بين هؤلاء الناس شخصية أقل أهمية من البجوم نفسها، تنتمي إلى المواطنين الإيرانيين الخلص أو مواطني الدرجة الأولى، هي شخصية محمد علي الشيرازي، كان مُكلفًا بأوامر من طهران بالقيام بدور المدير أو الرئيس المسؤول عن كل ما يدور في بعثة الحج، وسوف نتعرف بعد قليل على هذا الرجل والحاشية المرافقة له، وكان إجمالي عدد القافلة يصل إلى حوالي مائتي فرد أو ما يزيد على ذلك. تجمع كل هؤلاء، في الرياض عاصمة نجد، جاء بعضهم من المُلتقى الشمالي في مشهد علي (النجف)، وجاء بعض آخر من أبو شهر، التي منها يعبرون الخليج الفارسي (العربي) إلى ميناء العجير، حيث يواصلون سيرهم إلى الهفوف ومنها إلى الرياض، هنا، وبعد تحصيل الرسوم الباهظة، التي حددها الأمير فيصل، والتي يتقاضاها الوهابيون المُتشددون، من أتباع المذهب الشيعي، نظير السماح لهم بزيارة المدينة المُقدسة وقبر النبي (صلى الله عليه وسلم) يكون الحجاج الإيرانيون أصبحوا في عهدة مرشدهم وقائدهم، عبد العزيز أبو بطين(•)، وهو واحد من أهل نجد، مُكلف بإرشاد هؤلاء الحجاج وسلبهم ونهبهم باسم الله وباسم العقيدة الصحيحة، وهم في طريقهم إلى مكة وأثناء عودتهم منها. وقد تعرضت في فصل سابق للمفاوضات التي أجراها

---

(•) عبد العزيز أبو بطين: هو نفسه عبد العزيز البابطين.

الأمير طلال بن رشيد مع الحكومة الإيرانية للسماح لقافلة الحجاج الإيرانيين، كل عام بالمرور خلال مملكته، وأشرت أيضًا إلى نجاحه في ذلك إلى حد ما، كما أشرت أيضًا إلى سلوكه الكريم مع تلك القلة القليلة، التي أسعدها حظها بالسفر بالطريق الشمالي مرورًا بحائل. ولكن الطريق الذي يمر من وسط نجد أقصر، ولذلك يفضله الإيرانيون، شريطة أن يكون مؤمنًا ضد الأخطار والسلب والنهب، وبناءً على ذلك فإن الإيرانيين توفيرًا منهم للنفقات والمتاعب التي تترتب على السفر بالطريق الطويل، برغم أن الطريق الطويل لا يزيد على الطريق القصير بأكثر من ستة أيام، يرضخون للرسوم المحددة من قبل الوهابي المُستبد، معتمدين على وعده إياهم بسلامة المرور وتقديم المُساعدات الضرورية لهم. وقد أحس الأمير فيصل بالرضا تمامًا، عندما أضاف ذلك المنجم الفضي إلى مطحنته، وبذلك ألغى كل دوافع التعصب والكراهية الوطنية، التي جعلت أسلافه يرفضون أكثر من مرة العروض السخية التي كان الشيعة يتقدمون بها، الواقع أنهُ في سبيل تحقيق غرض ما، كان على استعداد أن يزود الشيطان نفسه بجواز سفر وجمل ومُرشد، مع ذلك ظل ضميره يؤنبه لإجباره الشيعة على دفع رسوم مُقابل المُعاملة السيئة التي وافق على تقديمها لهم، واتخاذه الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك. وقد تحددت رسوم الخزانة الوهابية بمُعدل أربعين ثمان ذهبي على كل حاج إيراني نظير مروره عبر نجد، وأربعين ثمان ذهبي أخرى لضمان سلامته خلال بقية الإمبراطورية، وبذلك تكون الرسوم الإجمالية عن الحاج الواحد، قد وصلت إلى ثمانين ثمان ذهبي، ومن جانبه كان فيصل يزود الحاج بواحد من بين رجاله، ويزوده بكل الصلاحيات اللازمة، ليقوم بإرشاد الحجاج وهنا يُمكن لنا أن نقول: أن موظف الملك لا يمكن إلا أن يُحاكي سيده ويحذو حذوه في سلب الشيعة ونهبهم إلى أقصى حد ممكن، بل إن كل حاكم محلي على طريق ذهاب أو عودة هؤلاء الحجاج، كان ينتهز هذه الفرصة، ولا يترك "أعداء الله" (إذ كانت هذه هي الكنية الوحيدة التي يطلقونها على غير الوهابيين)، يمرون دون أن

يسلبهم أشياءهم أو ينهب أموالهم بشكل أو بآخر، ولذلك فقد وجدت عندما حسبت إجمالي الرسوم الرسمية والضرورية على كل حاج من الحجاج الشيعة الإيرانيين، طوال فترة عبوره وسط الجزيرة العربية، وتحت إرشاد وحماية وهابية، أنها كانت تصل إلى حوالي مائة وخمسين ثمان ذهبيًا، وهو ما يُعادل ستون جنيهًا إسترلينيًا إنجليزيًا، وهذه بحد ذاتها نفقات باهظة بالنسبة للحاج الإيراني، ومكسب خسيس للعربي. زد على ذلك الخسائر الظاهرية التي كانت تحدث، لتساعد على جز الصوف أكثر وأكثر، بل وأخذ الجلد بأكمله في بعض الأحيان، كان ذلك هو حال الإيرانيين التعساء عندما التقينا بهم، كان مرشدهم، أبوبطين، قد أخذ منهم كل ما تيسر له على شكل دفعة مُقدمة، وتقاضى من تاج جيهان الأرملة رسومًا تتناسب مع ثروتها، فاقت جميع التصورات والرسوم السابقة، ولكن أبوبطين ذهب إلى أبعد من ذلك، وعن طريق التهديد والابتزاز بكل صوره، بما في ذلك الضربات التي كانت تكال بناء على أوامره، للمفوض الإيراني محمد علي الشيرازي نفسه، وداخل خيمته، استطاع أن يجمع رسومًا إضافية لا تحصى ولا تُعد، جمعها من أولئك الذين عُهد إليه بإرشادهم، إلى أن ملأ خرج حصانه حتى أخره بالثمان الذهبية، وحمل جماله بالمسلوبات والمنهوبات، ولكن على أثر عودة أبوبطين مع محمييه الذين أصابهم الأذى على يديه، من المدينة المنورة، كان قد صحبهم إليها لإكمال مناسكهم، وليستفيد هو نفسه منهم، بدأ يتخوف من أن يتقدم الحجاج الإيرانيين بشكوى ضده في مدينة بريدة، التي كانت على طريق عودتهم، ورجح أبوبطين أن يفعل الحجاج الإيرانيون ذلك، وبخاصة أن الأمير محمد ولد الأمير فيصل، كان موجودًا في بريدة في ذك الوقت، وكان أبوبطين يخشى أن يجبره الأمير محمد في النهاية على أن يرد الثروة التي حصل عليها بطريق غير شرعي، لا إلى أصحابها الحجاج الشيعة بطبيعة الحال، لأن الشيعة لم يكن لهم وزن في ظل الحكم الوهابي، وإنما لخزينة الرياض، وبذلك يكون أبوبطين قد وضع نفسه في موضع حرج، إذ استحل لنفسه ذلك الذي

يجب أن يكون ملكًا "اللمؤمنين" ، ربما كانت أسباب أبوبطين ما يُبررها، ولكن في أسوأ الأحوال فإن قليلاً من الهدايا التي تُرسل في الوقت المُناسب إلى مهنا أبا الخيل ـ حاكم بريدة ـ ومنه إلى محمد بن فيصل ومن ثم إلى والده، "يُمكن أن تصلح الأحوال من جديد" بكل تأكيد. ولكن بخل أبوبطين جعله لا يوافق على هذه التضحية، واستقراء منه لتبعاتها، اتخذ قرارًا بالهرب تحاشيًا لاستجوابه والتحقيق معه، وعليه عندما وصل الحجاج الشيعة الإيرانيون إلى قرية العيون، حمل أبوبطين معه المال وكل المسلوبات والمنهوبات، ولجأ إلى مدينة عنيزة الثائرة تاركًا وراءه كلاً من تاج جيهان، ومحمد علي الشيرازي، وبقية القافلة يشقون طريقهم بأنفسهم خارج الجزيرة العربية. وعلى سبيل التعويض قام أهل العيون الطيبين بإرشاد الحجاج التائهين إلى أن وصلوا بريدة، ولكن "المصائب لا تأتي فرادى"، وكان على الإيرانيين أن يتمثلوا مثلاً مشؤومًا يتعلق بوعاء التجمير والنار، وفي بريدة وقع الحجاج الإيرانيون في قبضة وهابي مُتشدد، وأصبحوا تحت رحمة أقسى الحكام النجديين، مهنا أبا الخيل العنزي، الذي لا يعرف قلبه الرحمة. وقد وجد الحجاج الشيعة أنفسهم تحت رحمة هذا المخلوق، بلا قيد أو شرط، إنهم لا يمكن أن يتصوروا أن ينالوا أي خير على يدي هذا "المؤمن" الحقيقي، وإذا راودهم أي شك في ذلك، فإن هنالك سابقة حدثت منذ ست سنوات مضت، توضح المُعاملة التي يحتفظ بها مهنا أبا الخيل للحجاج الإيرانيين. ويبدو أن الحقائق وصلت إلى حد من السوء يصعب معه تصديقها، ومع ذلك تظل حقائق صادقة كما هي. في العام ١٨٥٦ الميلادي، توقفت في مدينة بريدة قافلة إيرانية كبيرة، وهي في طريقها إلى مكة وكانت تحمل ثروة كبيرة، وتحت رعاية مُباشرة من الرياض، وفي حماية مهنا أبا الخيل نفسه، وأثار منظر المتاع الكبير جشع الحاكم وحبه للمال، وجعله يظن أن الحجاج لابد وأن يكون معهم مقدار مماثل من النقود السائلة في جيوبهم، هنا وجه مهنا دعوة إلى الحجاج الإيرانيين أن ينزلوا عليه ضيوفًا بضعة أيام، يرتاحون خلالها من متاعب الطريق، ثم بدأ يرسم لهم

صورة مُخيفة عن قطاع الطرق والبدو، الذين سوف يتعرضون لمتاعهم وأموالهم، إذا ما أصروا على أن يحملوها معهم إلى الحجاز، وتبديدًا لتلك الأخطار والمخاوف عرض عليهم أن يتركوا أشياءهم الثمينة مهما كان نوعها في رعايته وحمايته، ووعدهم ألا يمس شيئًا من هذا المتاع أو تلك الأشياء الثمينة إلى أن يعودوا من الحج، في حين أن أبنه سوف يُرافقهم كمُرشد لهم إلى مكة، وذلك من قبيل البر بوعد أبيه وتأكيدًا لحسن نواياه ومقاصده الكريمة. ووافق الحجاج الإيرانيون المنخدعون على ما اقترحه عليهم مهنا أبا الخيل حاكم بريدة. ووجدت أمتعتهم التي لن يكونوا بحاجة إليها طوال الرحلة، سبيلها إلى مخازن مهنا أبا الخيل، كما عرفت نقودهم الزائدة عن حاجتهم طريقها هي الأخرى إلى خزينته. واستأنف الحجاج الإيرانيون رحلتهم تحت إرشاد أكبر أبناء مهنا أبا الخيل، الذي نسيت اسمه برغم أنني سمعته مرارًا، وكان الابن من سلالة أبيه، وبدلاً من أن يُسافر مع هؤلاء المنخدعين في الطريق المُعتاد الآمن، قادهم إلى طريق النفوذ الصحراوي والأراضي الجرداء الخالية من الماء، التي تقع على يسار الطريق بالقرب من الامتداد الغربي لـ جبل طويق، وترتب على ذلك أن أدت المسيرات الاضطرارية، والشمس الحارقة، وندرة المياه وضرورات الحياة الأخرى، إلى استنفاذ كل قواهم، وبينما كانوا يخيمون وهم مرهقون ويائسون وسط هذه المتاهة الرملية، غافلهم ولد مهنا ومعه كل الأعراب الذين كانوا يخدمونه، وهربوا أثناء الليل، عن طريق المدقات المعروفة لهم، وتركوا الحجاج الإيرانيين يواجهون الموت بلا مُرشد أو ماء! وكاد الحجاج أن يموتوا عن بكرة أبيهم، ولم يتبق منهم على قيد الحياة سوى عدد قليل جدًا، واستطاعوا أن يشقوا طريقهم إلى خارج هذه المتاهة الصحراوية، وعادوا يحكون للناس في بريدة حكايتهم الحزينة، ولكن مهنا أبا الخيل رفض الاستماع إلى شكواهم وأنكر كل مُمتلكاتهم ومتعلقاتهم التي ائتمنوه عليها، كما أنكر المسؤولية عن رفاقهم الذين وافتهم المنية، وتركهم بلا عون يتسولون على طريق عودتهم إلى مشهد علي

(النجف)، وعلى امتداد عامين بعد ذلك، لم تطأ أقدام الحجاج الإيرانيين أرض الجزيرة العربية، وفي النهاية استطاعت وعود واعتذارات الأمير فيصل أن تقنع سلطات طهران والكوفة بأن تعيدا حجاجهما للحج عن طريق نجد، ولكن الملك الوهابي لم يُحقق في تلك الجريمة التي ارتكبها حاكم بريدة مهنا أبا الخيل، الذي راح ينعم بمزايا خيانته الجماعية بلا أية منغصات. وهنا تصبح تاج جيهان، الأرملة، هي وبقية الحجاج الإيرانيين تحت رحمة أوامر ذلك الرجل، فقد احتجزهم قبل وصولنا لبريدة مدة أربعة عشر يومًا خارج أسوار بريدة، ومارس ضدهم كل أنواع الابتزاز، وكان ينتظر أن يصله مزيد من المعلومات من الأمير فيصل بشأن ما يُمكن عمله مع هؤلاء الناس "أعداء الله"». ۞ - انتهى الاقتباس -

ثم يسرد لنا بالجريف في المجلد الثاني، النتيجة التي آلت إليها مساعي النائب الإيراني، الذي قدم إلى الرياض خصيصًا لكي يشتكى لدى فيصل وولده عبدالله ويشكو لهما لصوصية أتباعهم في القصيم، ثم يروي لنا كيف قاموا برشوة هذا النائب الإيراني البائس وأرضوه بحصان وجمل، حيث يقول:
«وفي الوقت ذاته كان كل من محبوب وعبد الله يسخران من النائب (الإيراني) شفاء، وكان النائب بدوره يسخر منهما. وعندما أدرك النائب الإيراني أن فيصل ينظر إلى قضيته ببرود شديد، قرر أن يقوم بزيارة ولده وولي عرشه (عبد الله)، وبعد أن ارتدى النائب أبهى ثيابه، اتجه إلى قصر الأمير. وبعد أن دخل النائب القهوة، وجد عبد الله مُسترخيًا على السجادة على طريقة البدو، وظهره مفرود إلى الأعلى، ومن تحت كوعيه مخدة ترفع إلى الأعلى، ويشبه إلى حد بعيد منظر الكلب عندما يضع خطمه بين مخلبيه وينظر إليك. "مرحبا" قالها الأمير المهذب للسفير الذي دخل عليه، ثم أشار إليه بالجلوس، ودون أن يُغير من جلسته التي لاتوحي بالاحترام،وبعد أن يُطيل عبدالله النظر إلى النائب

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

الإيراني يسأله قائلاً: هل تصبغ لحيتك؟وهنا ينبغي أن أنوه إلى أن الوهابيين يعدون تلوين الشعر وصباغته انتهاكًا غير شرعي لحقوق الخالق الذي يهبها لمخلوقاته، وأنه ﷺ هو الذي يختار هذه الألوان. وهنا يجيبه النائب (الإيراني) بشيء من الضيق، أن لحيته مصبوغة بالفعل، ثم يسأله قائلاً: وهل هناك ضررًا من صبغها؟ ويرد عليه عبد الله قائلاً: "لأننا نعد مثل هذه الأعمال غير صالحة بدرجة كبيرة". ويرد عليه النائب قائلاً: إن الإيرانيين لا يوافقون على ذلك ولهم رأيًا آخر. ويسأله الأمير بعد ذلك قائلاً: "وهل أنت سُني أم شيعي؟" وهنا يوشك صبر النائب (الإيراني) على النفاذ، بل يصل فعلاً إلى نهايته، ويرد علي الأمير قائلاً: "أنا شيعي، ابن شيعي، وكان جدي شيعيًا أيضًا، بل إننا جميعًا شيعة، ولكن قل لي يا عبد الله، هل أنت أمير أم مطوع"؟ قال النائب كل هذا بلغته العربية المُكسرة، الأمر الذي جعل الغضب شيئًا لا بد منه. ويرد عليه عبد الله مُتشامخًا: "أنا أمير، بطبيعة الحال". ويرد عليه النائب:"لأنني ظننت، من أسئلتك أنك مطوع، وإن كنت كذلك بحق فأذهب إلى المسجد، لأن ذلك هو المكان، وليس القصر، هو الذي يليق بمن يتكلمون بطريقتك هذه". وينفجر عبد الله ضاحكًا، ويعتذر اعتذارًا أقبح من الذنب. بأن تظاهر بجهله الأعراف والاحترام الدبلوماسيين، اللذين يجب الالتزام بهما مع السفراء، ثم غيَّر عبد الله لهجة الخطاب بعد ذلك. كان كل ذلك من قبل الطيش والاستخفاف من جانب عبد الله، كانت هذه الصلافة نتيجة لحسابات باردة ومُدبرة، تهدف إلى الوصول بذلك الإيراني إلى النتيجة المُسبقة التي سبق الاتفاق عليها بين فيصل وولده (عبد الله). ويخرج النائب غاضبًا من ذلك البدوي، ويُحاول (الدليل) أبو عيسى أن يُثنيه عن مُغادرة العاصمة (الرياض) في اليوم نفسه. ولم ينجح النائب (الإيراني) مع محبوب (خادم فيصل) أيضًا، برغم أنهُ زاره كثيرًا من الزيارات الودية، على أمل أن يستفيد من نفوذه لدى الملك المُسن، كما سمع أيضًا من محبوب ما يُسيء إلى الإيرانيين وإلى الشيعة. فهؤلاء الشيعة، من بين تخيلاتهم الكثيرة، يكنون احترامًا مُبالغًا فيه ويصل إلى حد

الخرافة لأسماء الشخصيات الصالحة (آل البيت)، ويعدون التعريض عن قصد بهذه الأسماء، جريمة بغيضة. وفي إحدى المرات، بينما كان النائب الإيراني موجودًا في الديوان، تسلم محبوبًا بعض الرسائل، التي تحمل البسملة المُعتادة في أعلاها. وبعد أن قرأ محبوب هذه الرسائل، مزقها وألقى بها على مرأى ومسمع من النائب الإيراني في المدفأة المُشتعلة! ولم يقِل توسل محمد علي الشيرازي لدى محبوب بألا يحرق الأوراق التي تحمل البسملة، عن توسل كل من الناثان El-Nathn، وديليا Delaiah، جيماريا Gemariah، إلى يواكيم Jehoiakim، بألا يحرق الورقة التي كتبت عليها النبوة. بل إن النائب الإيراني كاد يُغمى عليه من هول ما رأى. ولكن حدث بعد ذلك ما هو أفظع وأبشع. كان الشيرازي يحمل معه كوبًا فضيًا من الطراز الفارسي، يستعمله في شرب الماء، وكان مُزينًا عند حافته بالأسماء الخمسة التي يحترمها الإيرانيون ويوقرونها - محمد ﷺ، علي، فاطمة، الحسن، والحسين. وكان النائب قد حمل هذا الكوب معه إلى القصر ذات يوم "لُيُدهش بها المواطنين" ويتناول محبوب ذلك الكوب، ويديره بين يديه، وبعد أن قرأ النقوش الموجودة على حافة الكوب، تساءل قائلاً: "ما تلك النقوش الكريهة؟" ثم ألقى بالكوب على الأرض. والأفضل لنا أن نتخيل مشاعر النائب (الإيراني) بدلاً من أن نصفها. قد يكون من المُفيد أن أروي هنا بقية الأشياء التي وقعت لـ محمد علي الشيرازي في الرياض. وبعد شهر من الشد والجذب، والتعجيل في يوم والتأجيل في يوم آخر، دون الاقتراب من الموضوع الرئيسي، كرر (الدليل) أبو عيسى على مسامع النائب الإيراني ذلك الذي سبق أن قاله له مرارًا بوضوح تام، أكثر من مرة، ولكن النائب لم يلق لذلك بالاً – كان أبو عيسى قد قال للنائب: أن النقود، والنقود وحدها في العاصمة الوهابية هي التي تجعل الفرس تجري، وأنه إذا كان يُريد حلاً سريعًا ومُنصفًا لمشاكله، فما عليه إلا أن يُقدم بعض العطايا المُعتبرة، وبعدها سيكون كل شيء على ما يُرام. كانت تلك أنباء سيئة لـ محمد علي الشيرازي، الذي كان مُمسكًا كما هي عادة الإيرانيين،

ومع ذلك، فلم يكن أمام النائب الإيراني أي خيار آخر. وفي صبيحة اليوم التالي قدم النائب الإيراني، البندقية ذات الماسورتين للأمير عبد الله، وأرسل ماكينة عمل الشاي إلى محبوب، كما شقت ياقوتة جميلة زرقاء طريقها إلى غرفة فيصل الداخلية، أنا أظن أن ابنة الملك الجميلة، سكرتيرة مجلس الوزراء، حصلت أيضًا على نصيبها من تلك الهدايا. وكان لتلك الهدايا تأثيرًا يشبه السحر، وعلى الفور تمَّ تحرير خطاب اعتذار رقيق عن "الأحداث السابقة"، موجهًا إلى الشاه وموقعًا عليه من قبل فيصل، وألقى فيه باللائمة كلها في كل ما حصل، على أبو بطين الذي أصبح الآن لاجئًا بين "كفار" عنيزة، ولكن عندما يوقعه الله في يد المؤمن كي يقتص منه، فإن ذلك الملعون سوف يُربط بالسلاسل ويُرسل إلى طهران كي يمثل بنفسه أمام جلالة شاه إيران، اللهم إذا لم يُقتل قبل ذلك، وهذا هو المتوقع والمُنتظر. ولم تتعرض الرسالة إلى مهنا من قريب أو بعيد. كما أنها لم تتعرض مُطلقًا (فقد قرأت هذه الوثيقة بنفسي) للتكاليف أو الأضرار، باستثناء ذلك الذي يتعين على أبو بطين أن يُعيده لأصحابه – عندما يتم الإمساك بالأرنب البري، وهو ما سيكون قريبًا بمشيئة الله. وفي النهاية، وجدوا أن أفضل وسيلة لقفل فم النائب (الإيراني)، ومنعه من تقديم شكاوى عاجلة عن مدى السلب والنهب الذي حل بأتباعه، هي تقديم بعض الهدايا للنائب (الإيراني)، وأهدوا للنائب حصانًا عجوزًا، لا يُساوي في سوق بومباي أكثر من مائة روبية، أو ما يقرب من ذلك، كما أهدوا له جملاً أيضًا، والجمل في نجد لا يُساوي أكثر من ستة أو سبعة ريالات، أي ما يقرب من جنيهين إنجليزيين، كما أهدوه أيضًا ثلاثة أو أربعة مشالح من مصنوعات الأحساء، ولكنهما من الدرجة الثانية، ألقوها له كما لو كانت غميسة ألقيت إلى سيربيروس الذي ابتلعها بنهم شديد. ولم يكن النائب الإيراني خبيرًا في لحوم الخيل أو لحوم الإبل، يُضاف إلى ذلك أن المشالح هي الأخرى، كانت جديدة عليه. ولذلك فإنه كان يُسلم أن الحصان والجمل الذين أهديا إليه كانا الأفضل في نوعيهما. وفي مُقابل ذلك، تعهد النائب (الإيراني)

بأن يُداوم الحجاج الإيرانيون على استعمال طريق نجد، وأن يدفعوا أيضًا رسوم المرور فيه. وكانت المسألة مسألة نذالة من بدايتها إلى مُنتهاها. ولم يكن فيها أي نوع من الشرف لسلطان نجد الشرائي وأتباعه، أو لذلك النائب الفارسي الذي باع بلده عامدًا مُتعمدًا – باع حقوق الناس، ومصالح حكومته لقاء حصان عجوز وجمل عجوز وبعض المشالح القديمة». ۞ - انتهى الاقتباس -

وكما مرَّ بنا فإن مصادر آل سعود المالية تعتمد على فرض الرسوم المالية على البدو والحضر، تحت ذريعة الزكاة، وأيضًا يُعتبر السلب والنهب والإتاوات من أهم مصادرهم المالية. ويذكر صاحب كتاب (لمع الشهاب) حسن جمال الدين بن أحمد الريكي في هذا المجال قائلاً:

« فاعلم أن آل سعود يأخذون من الرعايا أموالاً من نقود وغيرها، ويسمون ذلك زكاة، فزكاة البوادي الذين هم سكنة نجد يبلغ محصولهم كل عام أربعمائة ألف ريال، والذين تحت حكمهم من البُداة وينزلون أطراف الشام واليمن وتهامة وعُمان، قدر خمسمائة ألف ريال كل سنة يؤخذ منه. وأما الأحساء فمدخولهم منها غير التقارير التي رتبوها لبعض الناس - أربعمائة ألف ريال، ومن بلاد اليمن كل سنة ثلاثمائة ألف ريال. ومن أعراب الحجاز، وبعض البلاد منها كل سنة محصولهم مائتا ألف ريال. ويدخل عليهم من رأس الخيمة خاصة، في العام، مائة وعشرون ألف ريال من جهة الغنائم غير التحف. وأما زكاة بلدان عُمان التي استولوا عليها البُداة والحضر مقدار مائة وخمسين ألف ريال، غير الرواتب التي رتبوها للعسكر والمرصدين، ولآل سعود أيضًا مداخيل لا تنضبط من هدايا الملوك لهم، وكذلك من الغنائم شيء كثير لا يُحصى. ولهم محاصيل من الأملاك في نجد وفي الأحساء يبلغ عددها ثلاثمائة ألف ريال». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

۞۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

أما المُقيم البريطاني الليفتنانت كولونيل لويس بلي، فيورد لنا في كتابه جدولاً لبعض الأموال التي كان يَسلبها آل سعود من جهد وكدح المواطنين بحجج مُتعددة، وهذا دليل على أن الشعب في بلاد الحرمين الشريفين هم من كانوا ينفقون ويصرفون على تلك الأسرة السعودية الطفيلية وليس العكس، ولويس بلي هنا يذكر لنا حالة واحدة فقط، للأمير السعودي فيصل بن تركي الذي تولى الإمارة فيما يُسمى بالأسرة السعودية الثانية، أي بعد تدمير الدرعية والقضاء على الأسرة السعودية الأولى من قبل إبراهيم باشا، حيث يورد تلك الحصيلة من الأموال التي يتلقاها فيصل من تلك المناطق، قائلاً:

« خامسًا: لقد أردت الحديث اليوم عن عوائد الأمير (فيصل بن تركي)، ولقد ذكر لي أن ما يتلقاه من عوائد مالية من أتباعه، كالتالي:

من البدو عامة ١١٤,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة القصيم ٧٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة الوشم ١٢,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة سدير ٧٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة العارض ٥٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة اليمامة، الخرج، الحريق ٣٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة الحوطة (حوطة بني تميم) ٢٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة الأفلاج ٧,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة السليل ٧,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة وادي الدواسر ١٦,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة الأحساء ٢٧٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة القطيف ١٣٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

من منطقة العقير ٤,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

المنطقة الواقعة بين العارض وحزم الراجي المسماة القرنية ٦,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

ـ الإجمالي العام : ٨٠٦,٠٠٠ ريال ماريا تريزا ».[۞]

---

[۞] كتاب : (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف : الليفتنانت كولونيل لويس بلي.

أما سياسة آل سعود في مسألة توزيع الأموال وتقاسم الغنائم، فقد كانت سياسة شبه استحواذية، حيث يتقاسم آل سعود المال هم وأسرة آل الشيخ، ويبقون بعضًا منه لتمويل غزواتهم، وكذلك للصرف على أتباعهم وعبيدهم، فيذكر صاحب كتاب (لمع الشهاب) أيضًا عن تلك السياسة المالية قائلاً:

« وكان من بعض سياستهم أنهم يضبطون كل المداخل في بيت على حدة، ويسمونه بيت المال، ولا يُسلطون عليه متى شاءوا، بل لهم قواعد تؤخذ منه بقدر الخرج المُعتاد، فيزيدون الخرج شيئًا فشيئًا على قدر اتساع المُلك، وهذا بأمر محمد بن عبد الوهاب. فقرروا لبيت محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وخدامه وحشمه، قريبًا من خمسين ألف ذهب، ثم قنونوا لهم ولآلهم ما يبلغ في السنة مع خدمهم وتوابعهم مائتي ألف ذهب. ولكن لما زاد المُلك بعد فتوحات أرض بني خالد والحجاز، وشيء من اليمن وعُمان، وغاية ذلك كان في أيام أخر سلطنة عبد العزيز مع أوائل تسلط ابنه سعود، قرروا لأولاد محمد بن عبد الوهاب ما يبلغ في العام ثمانين ألف ذهب. ثم استمر الحال كذلك إلى أيام عبد الله بن سعود ولهم مال معروف، دون بيت المال، مثل هدايا يتحفون بها من إمام صنعا اليمن أو من أهل مصر أو غيرهم، كهدايا كانوا يتحفونهم بها حجاج العجم لأنهم يمرون بهم ولهم أيضًا أملاك نخيل وزروع اشتروها وتوارثوها».۞ - انتهى الاقتباس -

لاحظوا أن أسرة آل الشيخ في ذلك الزمان، أي أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب، كانوا يتلقون مبلغ ٥٠ ألف من القطع الذهبية سنويًا، ثم زادهم سعود فباتوا يتقاضون ٨٠ ألف قطعة ذهبية سنوية، أي ما يُعادل في عملة هذا الزمان حوالي ثمانمائة مليون ريال!... فقارنوا بالله عليكم بين ما تركه رسول الهُدى وخاتم الأنبياء الرسول الكريم محمد بن عبد الله لأحفاده، وبين ما تركه نبي الوهابيين محمد بن عبد الوهاب، لأبنائه وأحفاده؟

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

ثم لاحظوا كيف كانوا يأخذون الإتاوات والهدايا من أهل مصر وكذلك من الحجيج، كونهم أصحاب سلطة دينية ونفوذ، فهل كان أبناء محمد بن عبد الوهاب وأحفاده يحصلون على تلك الأعطيات والهدايا بدون دينهم الوهابي الجديد؟ فهؤلاء الوهابيون المرتشون ينطبق عليهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لابن اللتبية، كما جاء في الحديث، الذي جاء فيه:

« حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه، قال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه يقول اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني».

وهنالك خصلة خبيثة اتصف بها آل سعود على مدى فترة حكمهم وخلال مدة تسلطهم على أبناء شبه الجزيرة العربية، حيث دأب آل سعود مُنذ قيام إمارتهم الأولى في الدرعية وحتى الآن على فكرة أنهم الجنس الأرقى بين بقية أقرانهم وأن بقية أفراد القوم الذين يتبعونهم هُم مُجرد قطيع من الأتباع لا قيمة لهم إلا في وجود آل سعود، ولهذا كان أشد ما يُزعج آل سعود أن يروا أسرة أو عائلة نبيلة وطيبة، إذ سرعان ما يسعون لتدميرها نهائيًا، أو احتوائها سواء عن طريق المُصاهرة أو باتخاذهم كموالين وأتباع، وهذا ما حصل مع أسرة آل معمر في العيينة وكذلك آل رشيد في حائل، على سبيل المثال لا الحصر.

وذلك الشعور قد تأصل فيهم كلما زالت إماراتهم وعادت من جديد، فتجدهم يزدادون طغيانًا وتجبرًا وعجرفة، حتى بات الكثير من البدو وللأسف يُؤمنون بفكرة التفوق العرقي لآل سعود، حيث كان بعض البدو يُبالغون مُبالغة مُضخمة في حكمة وشجاعة ابن سعود، بينما كل الدلائل والنقولات التاريخية تقول عكس ذلك، وربما هو نوع من تأصل جينات الخضوع والاستعباد لدى بعضهم.

ولذلك تفرعن آل سعود على أبناء نجد خصوصًا، وعلى سائر سكان شبه الجزيرة العربية عمومًا، وكانت عقوبات ابن سعود التعزيرية قاسية جدًا وخبيثة، حتى أن الرحالة الغربيين؛ ومن ضمنهم عتاة المُستعمرين؛ كانوا يرأفون بحال بعض الجناة ويرحمون أحوال سكان الجزيرة العربية جراء الظلم والعدوان الذي يقع عليهم من خلال الممارسات والعقوبات السعودية الجائرة، وكما سيمر معنا في الكتاب لاحقًا كيف تأثر الضابط الفرنسي جان ريمون في تقريره الذي جاء في كتاب (الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ) والذي دونه المؤرخ الفرنسي لويس دوكرانسي، وذلك عندما ذكر حادثة ذلك البدوي البائس الذي قتله سعود بسيفه ومن ثم خضب بدمائه الطرد البريدي المُسروق من قافلة المُقيم البريطاني في البصرة المستر مانستي، ومن ثم بعث ذك الطرد البريدي المُغمس بدماء البدوي إلى السيد مانستي حتى يُثبت له أنهُ حليف قوي ومُستمر في صداقته مع الإنجليز!!.

وأيضًا ما ذكره المُقيم البريطاني الآخر الليفتانت كولونيل لويس بلي في كتابه (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية)، عن تلك العقوبات القاسية التي يُمارسها ابن سعود على مواطنيه المساكين، بحيث كانوا يتحاشون التخاصم إليه كي لا يظلم الطرفين معًا، ويبطش بالجميع دون رحمة أو شفقة، حيث يقول:

«ثانيًا: توجد إحدى عشرة قبيلة مُتحالفة تحت حكم نجد. ولهذه القبائل الإحدى عشرة فروع متعددة، لكل فرع شيخه. وكل شيخ يحكم في قبيلته، فإذا ما شبَّ نزاع أو قامت غارة بين فروع قبيلة الشيخ فإما أن يسووا الأمر بينهم، وإما

أن يرفعوا أمر النزاع للأمير. وعلى أية حال فقد كانوا يكرهون رفع الأمر للأمير نظرًا لقسوته الشديدة، فنادرًا ما يُعاقب على الجريمة المُقترفة بغير القتل. وكان الأمير ـ على أية حال ـ يحكم بالنفي إلى القطيف، لأدنى إثم أو إساءة، وكان يعتبر النفي للقطيف، وسيلة من وسائل القتل البطيء بسبب حمى الملاريا **marsh fever**. وإذا ما حدثت معارك جادة أو عامة بين القبائل التابعة له، فإن الأمير إما يُرسل لبعض قواته العسكرية لوقف الاضطرابات، وإما أن يأذن للقبيلة المُعتدى عليها بإذن الثأر لنفسها».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

كما استخدام آل سعود أساليب الإهانة والإذلال والتعزيز بكبار مشايخ البدو وحتى زعماء الحضر، وقد مرَّ بنا كيف كان يأمر ابن سعود بحلق لحاهم لأتفه الأسباب، أما وسائل الضرب والتعذيب والشتم بأقذع الألفاظ فما زالت جارية لحد الآن على لسان آل سعود الحاليين، ومن يطلع على أساليب وألفاظ فهد وعبد الله وسلطان وسلمان ومشعل وعبد الرحمن وغيرهم عندما يغضبون على خدمهم أو وزرائهم أو على شيوخ القبائل، سيستمع لأبشع وأسقط الكلمات التي تخرج من أفواههم، فقد عرف عن سلمان بن عبد العزيز عندما يغضب، لا يستخدم مع أتباعه وبعض شيوخ القبائل المُقربين منه إلا لفظ (يا أبناء المزاني)!.

كما عُرف عن آل سعود تعاليهم وتكبرهم على رعاياهم ومُعاملتهم بازدراء كبير يُعادل نفس القدر من الازدراء الذي كان يتلقونه من قبل الباشوات المصريين والإنجليز فيما بعد، والأمثلة كثيرة، ولكن من تلك الأمثلة الطريفة التي يذكرها المُقيم البريطاني لويس بلي الذي زار الرياض لمُقابلة فيصل بن تركي، فقد نقل في كتابه مثال لتُعامل عبد الله بن فيصل بن تركي، مع أحد الأخويا البدو الخاصين به، وكان من قبيلة سبيع، حيث يذكر بلي قائلاً:

---

[۞] كتاب : ( تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف : الليفتنانت كولونيل لويس بلي.

«عود إلى مسيرتنا يوم ١٩ (من شهر فبراير)، فقبل البدء، حدث أول خلافٍ بسيط بيني وبين رئيس الجمالة، نظرًا لرغبتي في تغيير الطريق، لكي نتمكن من المرور بسدير. وفي الوقت نفسه، لحق بي شيخ من قبيلة سبيع الذي كنت قد اشتريتُ منه حصانًا عندما كنت في الكويت، والذي وافقت على صحبته لي، ظنًا مني أنهُ سيكون ذا فائدة فيما يتعلق بالخيول، لقد كان رجلاً منظره لا يُسر، ويُعاني عرجًا شديدًا، لكنه وصف نفسهُ بأنه أحد الأتباع الشخصيين لعبد الله بن فيصل، وبأنه شخص مهم بين قبيلته. وعلى أية حال، فقد اشترط إلا يذهب إلى أبعد من الرياض بأية حال. وأنهُ سيتقاضى خمسين دولارًا حتى هذه النقطة (الرياض) ولكن اتضح أنهُ لم يكن قادرًا على تقديم حتى حصان واحد لي، وأن الترحاب الذي لقيه في الطريق حتى من بعض أفراد قبيلته لم يكن مقبولاً، وفي إحدى المرات، كاد أن يتسبب في مُشكلة للقافلة عندما صادف أحد الذين لهم ثأر عند قبيلته، وأخيرًا عندما وصولنا للرياض حياهُ عبد الله بأن طلب أن يعرف سبب وجود هذا الكلب السبيعي هناك، وسرعان ما دُحرج لمُحاربة قحطان في طريق مكة».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويذكر لنا مرافق الجاسوس الفرنسي لاسكارس وهو السوري فتح الله الحلبي الذي زار الدرعية في عهد عبد الله بن سعود في عام ١٨١٣م، كيف كانت معاملته وقحة وخارجة عن الأصول مع أمير الرولة الدريعي بن شعلان، الذي قام هو نفسه بدعوته إلى القدوم للدرعية، وكاد أن يبطش به، لولا أن الدريعي هدده بالقول: أن ولده صحن لن يترك دمه يذهب هدرًا، وعن ذلك اللقاء المُخزي يذكر فتح الله الحلبي قائلاً: « فبعدما جلس الدريعي بن شعلان ابتدأ يُسلم عليه بالكلام (على عبد الله بن سعود)، عساك طيب يا ابن سعود، عساك عدل، لعلك مبسوط، وهو يرد عليه: لله الحمد طيب يا ابن شعلان، ولكن بوجه

---

[۞] كتاب : ( تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية) \ تأليف : الليفتنانت كولونيل لويس بلي.

عبوس يرد السلام، ثم جلسنا نحو نصف ساعة، فما أمر بالقهوة ولا تكلم، فهذه علامة الغضب. فبعد ذلك قال الدريعي: ما لي أراك يا ابن سعود عابسًا فينا ولا تتكلم معنا؟ فأنت دعوتنا إلى بلادك ومنزلك فجئنا، وها نحن وطأنا محلك والآن عندك فتكلم بالذي في قلبك علينا. فرد عليه الوهابي قائلاً: أي والله أي والله الشر بيننا وبينك، ولنا عليك كثير من الجنايات، وذنوبك أكثر من أن تغتفر، أولاً: عصيت عليّ، ثانيًا: ضربت قبيلة بني صخر التي في بلاد الجليل مع علمك الأكيد أنها تلوذ بي، ثالثًا: أفسدت العربان عليّ وجعلت لك حزبًا ضدي، رابعًا: كم وكم من الغزوات التي أرسلتها أنا فطلعت ضدها وضربتها وسفكت دماءها وعطلتها عن أوامري، خامسًا: قويت الروم يعني العثمانيين عليّ في مادة (مدينة) حماة، وكسرت عرباني وأخذت أموالها وسفكت دماءها حبًا بخاطر العثماني، الذي هو أكبر عدو لله من القوم المُشركين، شرابي المنكر، لوطيين، وغير وغير من أشياء لا تعد من التي فعلتها ضدي وقصدت بها تدميري وخرابي. وقد بالغ في الغيظ والشتم إلى النهاية، حتى أمرنا بالذهاب من أمامه، والاستنظار إلى حين يصفح خاطره. فاحمرت عيون الدريعي، ودخل عليه الغيظ والحمق، ونهض قائمًا وتوجهنا جميعًا إلى قناقنا، وجلسنا في تفكير ووسواس أشكال وأشكال. وتجنبنا الناس الذين كانوا عرفونا، ولم يبق أحد يقترب مننا، ودخل علينا باب الخوف ووقع بنا الندم، على رمي أرواحنا بيده، وصرنا نلوم بعضنا بعضًا على ما فعلناه، وصارت الناس تتحدث بقلة عقولنا وحضورنا إلى عنده، لأن الجميع كانوا على يقين وتأكدوا أننا مقتولون من كل بد، ودون أقل شك، لمعرفتهم بطبع السلطان، فهو غدار، مكار، خائن، دموي، مترفض، فأقمنا تلك الليلة وذلك النهار من غير أكل ولا شرب، ولم يدخل أحد علينا خشية، لأننا صرنا من المغضوب عليهم، حتى أننا ما كنا نجرأ أن نخرج خارج المنزل».۞

---

۞ كتاب: رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية.

وأما عن أساليب التعزير التي يقوم بها عبد الله بن سعود، فهي وحشية وغريبة، فعلى سبيل المثال من ضمن ما ذكره الرحالة السوري، أنهُ كان يقتل من لا يُصلي ويقوم بقطع خصيتيه ثم يضعهما على أنفه.

وعن تلك العقوبات الوحشية يقول فتح الله الصايغ الحلبي:

« وأما بخصوص عيشته فهي عيشة مُعذبة من غير راحة فكر، لأنهُ أولاً يأكل بالحرم عند النساء، ولا يأكل من أكل السرايا ولا من يد أحد، يأكل من يد امرأته فقط، وذلك خوفًا من التسميم، لعلمه أن أعداءه أكثر من مُحبيه حتى من بين عربه وخواصه، والسبب في ذلك من أمرين فقط اللذين هما ضد طبع العرب (البدو) واصطلاحهم: أولاً أنهُ يأخذ منهم الجزية رغمًا عنهم كما ذكرنا سابقًا، وثانيًا أنهُ يغصبهم على الصلاة خمس مرات كل يوم غصبًا سيفيًا، وأقام عليهم أناس ترصدهم وترغمهم على الصلاة، والذي لا يُصلي يقتله ويقطع خصيتيه ويضعهما فوق أنفه. وقد فعل ذلك مرارًا عديدة مع شعبه. فهذان السببان قد زرعا عداوةً وحقدًا في قلوب الشعب عليه وحصل لهم فتور وملل من محبته ومالت قلوبهم إلى بغضه».۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب: رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية.

# الفصل السابع

## خروج الوهابيين عن طاعة ولي الأمر (السلطان العثماني)

**لطالما ردد الوهابيون مقولة وجوب إطاعة أولي الأمر، وقد شدَّدوا على حرمة الخروج على السلطان، وهم من أكثر المذاهب - هذا إذا ما صُنفوا أصلاً كمذهب- هم أكثر من نادى ويُطالب بضرورة إطاعة ولي الأمر ووجوب البيعة له حتى لا يموت المرء مِيتةً جاهلية، وهم من فرض على أتباعهم وعلى جميع المُسلمين ضرورة السمع والطاعة لولي الأمر، حتى وأن فعل هذا الحاكم الأفاعيل واقترف المجازر والموبقات وأتى بالكبائر!!.**

**ولا يخفى على الجميع فهم كانوا بذلك يعنون عدم الخروج على دعوة محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ليس إلا، وإلا فمسألة الخروج فهم يُدركون جيدًا أنها ليست مُحرمة بالقطع والدليل هو خروجهم عن طاعة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، بل أن أفضل الصحابة كانوا قد خرجوا على من هم أفضل وأشرف وأشجع من محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، فقد خرج الصحابي الحسين بن علي** رضي الله عنه وأرضاه، **وكذلك فعل الصحابي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وأرضاه على يزيد، ولم يكفّرهما المُسلمين حينها.**

**لكن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود أصرا وركزا على مسألة الخروج خوفًا من ظهور من ينُافسهم على الحكم والولاية، فركزوا كثيرًا على مسألة البيعة وعلى ضرورة إبداء الطاعة العمياء والإتباع القسري لمذهبهم، وأصبحوا يتشبثون بتلك المقولة الفضفاضة حتى اجتهدوا كثيرًا في البحث والتقصي وحفظ كل حديث له صلة بضرورة إطاعة الحاكم وعدم الخروج عليه، خوفًا من إقصائهم من قبل الآخرين.**

**ولذلك كثيرًا ما نراهم الآن يُرددون الآية الكريمة المُجتزأة من سورة النساء التي قال الله تعالى فيها:**

**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأمر مِنكُمْ ...}.**

**ثم يبترون أخرها مُتعمدين! فهم لا يُكملون سياق الآية الكريمة خوفًا من أن يجدوا عذرًا لخصومهم، أو يفتحوا على أنفسهم باب الخلاف، ولهذا فهم**

مُستعدون دائمًا للعبث بالقرآن الكريم واجتزاء آياته ومن ثم تسخيرها لما يخدم أهدافهم وتوجهاتهم، وكذلك يُحرِّفون الأحاديث ويُسقطونها على الوقائع حسب مزاجهم في سبيل أن لا يبينوا الحقيقة ويُضللوا أتباعهم!.

فلم يسبق قط لأي شيخ أو داعية وهابي سعودي، أن أكمل تلك الآية وقرأها تامة؛ رغم تركيزهم الدائم على مسألة قراءة القرآن بصورة صحيحة وعدم العبث بآياته، إلا فيما يتعارض مع مصالحهم فتجدهم أول الناس عبثًا وبترًا للآيات، بينما يُقول الله تعالى في تلك الآية الكاملة وليس المُجتزأة:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأمر مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }. النساء- ٥٩

فهم أولاً لا يبينون لأتباعهم ومُريديهم من هُم أولو الأمر الحقيقيون الذين قصدهم الله تعالى في محكم تنزيله، والذين عنتهم الآية الكريمة. ثانيًا هم لا يُكملون بقية الآية كي لا يصلوا لبقية قوله تعالى: { فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ }، أي ارجعوا لقول الله تعالى وقول الرسول ﷺ في تلك المسائل الخلافية، وهذا يعني أن الخلاف جائز ومُباح أيضًا، وحتى الخروج على السلطان جائز أيضًا إذا ما توفرت الأسباب، ولهذا فهم يتحاشون عن عمد وترصد قول الله تعالى في نهاية تلك الآية، وكأنهم يؤمنون ببعض ما أنزل في الكتاب وينكرون بعضه، كبني إسرائيل تمامًا، وكما جاء في قول الله تعالى في وصف حالهم: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَد الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } البقرة/٨٥

ويُمكن التأكد مما أقوله من خلال مُراجعة كتابات الوهابية، وتتبع لقاءات مشايخهم سواء في المساجد أو في التلفاز أو في أشرطة المُحاضرات المُسجلة على كاسيت، فهم يختارون ويقتطعون من تلك الآية ما يُناسبهم فقط، وكأن تلك الآية الكريمة نزلت مبتورة!.

كما أن المُفارقة العجيبة هنا في أطروحات الوهابيين الذي يحرِّمون الخروج على الحاكم، هي أن محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود ومن تبعهما، هم أول من شق عصا الطاعة وخالف الجماعة، وهُم أول من خرج على سلطة ولي أمر المُسلمين، السلطان العثماني آنذاك الذي كان يُمثل السلطان والخليفة الأوحد لجميع المُسلمين!.

حيث ذكر العلامة والشاعر المفوه الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد بن سند البصري في كتابه "مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود"، عن خبر ظهور الوهابية وثبت مجازرهم، (وبالمناسبة فالمؤلف منذ ذلك الحين أي منذ أكثر من قرنين من الزمان وهو يُطلق عليهم مُسمى الوهابية)، وقد دوّن مسألة خروجهم عن طاعة الخلافة الإسلامية في استانبول، ومن ثم القضاء عليهم باختصار:

«وفي السنة ١٢٢٣هـ (الثالثة والعشرين ومائتين وألف): ورد إلى بغداد خبر سلطنة السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد خان العثماني، وأنارت الدنيا بعدله وعزمه وهمته، وجدّد للدولة اسمًا بعدما درس رسمها، وآلت إلى الزوال من تغلب الكفار من الخارج، وعصيان الدربيهات من الداخل، وخروج الوهابي بأرض العرب فأشرفت المملكة على الزوال لولا أن الله مَنّ به على الإسلام والمُسلمين. ومن مناقب السلطان محمود التي يفتخر بها على سائر الملوك إزالته رأس المُبتدعة الوهابي الخارجي من أرض العرب، وتطهير الحرمين من تلك النجاسات بعدما ملكها الوهابي نحو سبع سنوات».۞

والمُثير في تاريخ الوهابية؛ أو لنقل في تاريخ محمد بن عبد الوهاب ورفيقه محمد بن سعود ومن بعده عبد العزيز وسعود؛ أنهم كانوا مُخاتلين مخادعين، فمحمد بن عبد الوهاب كان يرسل رسائل خطية للأشراف في مكة، ويقسم لهم بأوثق الإيمان أنهم في الدرعية خدامهم وخدام الخليفة الأوفياء، وأنهم على نهج السلف، وأنهم لن يخرجوا عن سلطة ولي الأمر، بل إن محمد بن عبد

---

۞ كتاب: مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.

الوهاب كان لا يستحي فيسمي نفسه بالخادم المُطيع، أو غلام الشريف. وتلك الرسالة الموثقة التي أرسلها محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلى والي مكة الشريف أحمد بن سعيد، تُعتبر دليلاً قاطعًا على خضوع الوهابيين وأهل الدرعية تحديدًا في بداية دعوتهم هم وبقية مناطق نجد لسلطة والي مكة التابع بدوره لسلطة الخلافة الإسلامية في الآستانة.

ومن يطلع على رسالة محمد بن عبد الوهاب التي أرسلها إلى الشريف أحمد بن الشريف سعيد، سيعرف مدى مكر ومُخاتلة هذا الدعي الأفاق، فقد أورد حسين بن غنام في كتابه تلك الرسالة التي أرسلها محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز محمد بن سعود إلى شريف مكة يبدي فيها فروض الطاعة والولاء، حيث جاء فيها ما نصه:

« ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٥هـ: وفيها أرسل الشيخ (محمد بن عبد الوهاب) وعبد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان كاتبهم وراسلهم وطلب منهم أن يُرسلوا فقيهًا وعالمًا من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة، فأرسل إليه الشيخ وعبد العزيز، الشيخ عبد العزيز الحصين، وكتب معه إلى الشريف رسالة وهذه نسختها وهي:"بسم الله الرحمن الرحيم \ المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعز به دين جده سيد الثقلين. إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المُحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج عنها وهذا هو الواجب على ولاة الأمور. ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل إليكم ويحضر في مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماء مكة; فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك وإن اختلفوا أحضر الشريف كُتبهم وكُتب الحنابلة، والواجب على كل منا ومنهم أنه يقصد بعلمه وجه الله ونصر

رسوله كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) إلى قوله (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فإذا كان سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدًا ﷺ على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أمته! فلا بد من الإيمان به ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر. وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض، وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته ﷺ، وغير ذلك، يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته"». ۞

كما أهدى عبد العزيز بن محمد بعد وفاة الشريف أحمد إلى الشريف سرور خيول وركاب من الإبل لكي يسمح لهم شريف مكة بالحج، وقد أورد ابن غنام هدايا عبد العزيز في أحداث ١١٩٧هـ حيث يقول: « ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٧هـ: وفيها أهدى عبد العزيز حرسه الله تعالى على (الشريف) سرور والي مكة المُشرفة خيلاً وركابًا وكرمه بذلك وشرفه وقصده بذلك التشريف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذي هو أجل الحطام الرخصة لأهل الدين والإسلام في أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذي منعوه من سنين وكانوا على أدائه متوجدين، فجاء الأمر منه في ذلك بالرخصة فشمر المسلمون وانتهزوا الفرصة فحجوا في ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام». ۞

وقد حاول آل سعود ومؤرخوهم أن يُخفوا تلك الأخبار التي تثبت تبعية الدرعية للشريف وتسقط حجج الوهابيين المُعاصرين من أن شيخهم محمد بن عبد الوهاب وإمامهم محمد بن سعود وأبنائه من بعده لم يرضخوا قط أو يتبعوا يومًا ما لولاية أو سلطة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، بل إن طريقة توسل واستعطاف ابن عبد الوهاب للشريف أحمد بن سعيد، تعني أنهم كانوا تابعين وخاضعين لشريف مكة، والشريف بدوره كان تابعًا لدولة السلطان العثماني.

---

۞ كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ومع صراحة ولاء وتبعية محمد بن عبد الوهاب وآل سعود لولي أمرهم شريف مكة التابع لسلطان الخلافة العثمانية في تلك الرسالة، إلا أن أتباع الوهابية سيتملصون ويحيصون ويُخاتلون ويتنصلون كالعادة؛ كما كان يفعل كبيرهم الذي علمهم المراوغة والخداع، وسيقولون لك إن الخلافة العثمانية كانت على منهج الكفر والشرك حسب التصنيف الوهابي، لأنهم كانوا ينفقون على القبور ويدعون للتصوف ويستغيثون بالرسول وبالأولياء الصالحين.

والجواب على هؤلاء الحمقى لن يحتاج إلى شرح أو تطويل أو إضاعة وقت، وهو لماذا يُرسل نبيهم الجديد محمد بن عبد الوهاب الهدايا والخيول الأصيلة إلى الشريف أحمد بن سعيد عامل الخليفة العثماني على مكة، ويتوسل به ويعتبر نفسه خادمًا من خدام الشريف وغلامًا مُطيعًا من غلمانه، إذا كان هو أصلاً يُكفّر الخليفة وولاته لأنهم يُمارسون الشرك في مكة المكرمة وغيرها؟!

فإن أنكروا وقالوا: هم أصلاً - أي محمد بن عبد الوهاب وشريكه محمد بن سعود وولده عبد العزيز- لم يتبعوا شريف مكة ولم يُبايعوه أو يعتبروه هو والخليفة كأولياء أمور لهم... فرسالة محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز بن محمد بن سعود المذكورة أعلاه، تدحض كل ادعاءاتهم الباطلة وتخيب أمانيهم وتبطل مناوراتهم، لأن محمد بن عبد الوهاب قد أبدى في رسالته تلك طاعة عمياء وتذلل واستخذاء رخيص، وقد اتخذ من الشريف ولي أمر له كسائر ولاة الأمور، وجعل من نفسه خادمًا مُطيعًا وغلامًا من عامة غلمانه.

وإن قالوا: إن محمد بن عبد الوهاب كان يتبع الخلافة العثمانية ويطيعهم في بداياته فقط عندما كانت الخلافة تسير على خطى صحيحة ومنهج شرعي سليم ومقبول، ثم لما ضلوا عن الطريق وأتوا بالمُمارسات الشركية حسب فهمهم، خلعهم محمد بن عبد الوهاب وكفّرهم، وهذا يعني أن شيخهم كان خارجًا مُكفرًا للخليفة دون إقامة الحجة والدليل عليه، وهم سيقرون هنا بخروجه ومفارقته للجماعة باعتراف أتباعه، وهو بهذا يكون قد خرج عن طاعة ولي

**الأمر الشرعي، وخرج عن إجماع المُسلمين، وعليه فإن دعوته هي دعوة خارجة تكفيرية باطلة.**

**إلا أن حفيد محمد بن سعود المدعو عبد الله بن سعود وهو أخر الحكام السعوديين في إمارتهم الأولى ينفي خروجهم عن طاعة الخلافة العثمانية، وذلك حسب رسالته الاستعطافية التي أرسلها لجلالة السلطان محمود، وهذا يعني أنهم قوم مراوغون ومُخاتلون فمتى ما ضعفت سلطة الخلافة انقضوا عليها كالضباع الجائعة، ومتى ما قويت شوكة الخلافة وشعروا بالانكسار بدؤوا يتوسلون بها ويستعطفونها ويتمسكنون كالأرانب الوادعة!.**

**وكما هو طبع آل سعود وآل الشيخ خاصة إذا ما شعروا بالضيق أو بأي خطر داهم فإنهم سرعان ما ينكفئون ويبدؤون بالتوسل واستعطاف عدوهم، ولن يعدموا الحيلة في أن يستجيروا بأعدائهم لكي يرحموهم، بينما هم لم يرحموا الأبرياء العُزل ولم يرأفوا بحال حجيج بيت الله الحرام، لأن ليس لهم ذمة ولا حتى ضمير، ولم يردعهم لا دين ولا أخلاق ولا حتى إنسانية.**

**وكما أرسل محمد بن عبد الوهاب في زمانه رسالة استعطاف وإظهار للطاعة والولاء إلى والي الخلافة في مكة الشريف أحمد بن سعيد، لكي يؤكد طاعته ويتنصل من شبهة الخروج ويُبرر جرائمه هو وشريكه محمد بن سعود، فلمَّا ضاقت الدنيا على الحفيد عبد الله بن سعود، وعلم أن نهايته باتت قريبة بدأ هو الآخر يتوسل بالسلطان العثماني بواسطة الرسائل والمعاريض، كي يعفو عنه ويرأف بحاله، وبدأ يُبدي فروض الطاعة والولاء والاستكانة والاستجداء لدار الخلافة، ولكن مناوراته الخائبة تلك لم تؤتي أُكلها ولم تنفعه، فقد تمَّ قطع رأسه في الآستانة وعلقت جثته في أحد الشوارع، ليكون عبرة لمن يعتبر لكل المُجرمين والقتلة. ومن تلك الرسائل التي أرسلها عبد الله بن سعود، هي رسالته للسلطان محمود، حيث جاء فيها:**

«(بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله الذي جعل للداء العضال دواء، وحسم وألفي نيات الأعداء السيئة بالصلح والصلاح، اللذين كانا أول مانع من الوقوع في المهالك المهلكة، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأصفيائه محمد خاتم أنبيائه الذي بلغ أحسن أنبائه وبعد: فإني أطوف حول الكعبة آمال العبيد التي هي أعتاب دولة مولانا قطب دائرة الوجود، وروح جسد العالم الموجود، وملاذ الحاجز والبادي، ومحط رحال آمال الرائح والغادي، علم الأعلام، إنسان عين أعيان الأنام، من نام في ظل عدله كل خائف، ولجأ إلى حماه كل عاقل عارف، ذي الأخلاق هي أرق من نسيم الصبا، مع الهيبة التي تحل من أجله الحبا، سلطان البرين، وخاقان البحرين، الذي برز بطلعته طالع السمو، السلطان ابن السلطان، سيدنا السلطان محمود الغازي، وأقدم عريضتي هذه المشتملة على الضراعة، وهي أنه لما كان عبدكم هذا من المسلمين الذين لا ينفكون عن أداء شروط الإسلام، التي هي إعلاء كلمة الشهادة وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام، ومنع الظلمة من الإضرار بالناس كف أيديهم).

ثم بعد ذلك يُبرر عبد الله بن سعود خروجهم على الخلافة على أنه محض افتراء وأنهُ مُجرد إفك ودسيسة من قبل الأعداء؛ أي أشراف مكة؛ الذين كانوا حسب رسالته يفترون عليهم لدى السلطان العثماني لكي يُقاتلهم، ثم قوله إن أشراف مكة كانوا قد كتبوا عرائض مزورة إلى السلطات باسم الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد تعلن العصيان، ورفض قدوم الحجاج الذين يأتون من الآفاق!! والكل يعلم أن هذا المعتوه الذي بات يشعر بالضيق ويدرك جيدًا أن نهايته اقتربت، أنهُ هو وأسلافه كانوا يصرحون علانية بعدائهم للخلافة ويكفرونها، ولم يكتف عبد العزيز وولده سعود بمنع وصول الحجيج المصري والشامي، بل هاجموا تخوم العراق وعاثوا بالبلدات الحدودية فسادًا وتخريبًا، والتي على إثرها طلبت دولة الخلافة الإسلامية في الآستانة من والي العراق

تجهيز حملة للقضاء على فساد عبد العزيز وولده سعود، وكلّف الكيخيا علي، كما سيمر معنا لاحقًا.

ويتابع عبد الله بن سعود وبطريقة مُهينة ومُذلة رسالته قائلاً: (وعلى العموم فإن كل ما نسب إلى عبدكم هذا من أمور الطغيان والخروج كلها ناشئ عن خدعة الشريف المشار إليه "دسيسة").

ثم يقول في ختام رسالته :
(قدمت عريضتي هذه التي هي أشهر من المثل السائر مصداقًا لصداقتي على أن لا أنفك عن قيد الإطاعة، وأن أعد من عبيدكم القائمين بجميع خدمات الدولة العليا، فهي برهان قاطع يشهد بأني قائم بالدعوات في الأعياد والمحافل وعلى المنابر بدوام عمركم ودولتكم)».[۞] -انتهى الاقتباس-

والعجيب أن تلك الأطروحات التكفيرية والتنظيرات الخاصة بحرمة وجرم الخروج على ولاة الأمور، استمرت حتى وقتنا الحاضر تتردد على ألسنة هؤلاء الوهابيين الدجالين المُعاصرين دون حياء أو خجل ممن ضربوا بها أصلاً بعرض الحائط، وكانوا هم أول الخارجين عن طاعة ولي أمر المُسلمين الشرعي آنذاك!. فكثيرًا ما نسمع مشايخ السلاطين في مملكة آل سعود يُرددون علينا مقولات من باب: حرمة الخروج على ولي الأمر، وكفر من يخرج على خادم الحرمين الشريفين، ولا يجوز النصح لولي الأمر في العلن، وإن جلد ظهرك وإن ضرب بطنك وإن أخذ مالك ووو... الخ. ومن يقرأ ما كتبه المؤرخ الحيدري قبل أكثر من مائة عام تقريبًا من الآن، عن خطيئة ابن سعود في خروجه على ولي الأمر خادم الحرمين الشريفين الوالي العثماني، سوف يعتقد أن هذا الحيدري -مع الفارق طبعًا- قد بُعث من جديد في عصرنا الحالي هذا، ولكن بلباس سعودي كما يفعل الآن جامية آل سعود!

---

[۞] كتاب: الدولة السعودية الأولى \ تأليف: عبد الرحيم عبد الرحمن.

حيث يذكر المؤرخ الحنبلي السلفي الحيدري في كتابه "عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد" عن خروج سعود على سلطان المُسلمين، ومُغالاة الوهابيين في تكفير المُسلمين ومنعهم من أداء فريضة الحج، حيث يقول:

« ثم خلف عبد العزيز سعودًا وهو أيضًا قاد الجيوش على الخيل العتاق والركائب النجب، وأذعنت له صناديد العرب وذلت له رؤساؤهم، إلا أنهُ أخطأ خطًا عظيمًا في منع الناس عن الحج، وفي الخروج على السلطان، وأنهم غالوا في تكفير من خالفهم، ولو كان من أهل السُّنة والجماعة، وشددوا في بعض الأحكام التي لم يرد الشرع بتشديدها، وحملوا أكثر الأمور على ظاهرها، وكذا غالت الناس في القدح عليهم، والإنصاف الحالة الوسطى إلا التشديد الذي ذهب إليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المُسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج ..... الخ. ثم خلف سعود بن عبد العزيز عبد الله، وهو الذي استولى عليه الوزير الغضنفر إبراهيم باشا بن محمد علي والي مصر وحبسه، وذهب به إلى مصر ثم أرسله إلى استانبول في أيام الغازي محمود خان، وأمر بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان بايزيد بين ملأ الناس، وعبد الله المُشار إليه وإن كان قد عَلم كأسلافه القبائل أحكام الدين وأمرهم بقيام الجماعات في الأوقات الخمسة بحيث لا يتخلف أحد منهم في بلاد نجد عنها إلى عصرنا هذا، إلا أنهُ قد أخطأ في تجاسره على السلطان الذي هو إمام العصر وخادم الحرمين الشريفين، ولو اكتفى بنجد وما يليه من عُمان وجزيرة البحرين وغيرهما لاستقام أمره وفاز بتعليمه أحكام الدين للقبائل التي كالأنعام بل أضل سبيلا».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد \ تأليف: إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي.



- الخليفة العثماني \ السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد خان -

▪ **اعتناق الأتراك للمذهب الحنفي**

**وابتداعهم لمنصب شيخ الإسلام وإقرارهم لمهنة المُفتي:**

لم يكن للإسلام أحبار ولا كهنوت ولا شيوخ لمشايخ الإسلام ولا تكيات، ولم تكن الفُتيا في أول عهد الدعوة الإسلامية مهنة لمن لا مهنة له، ولم يكن للصحابة ولا للتابعين من بعدهم منصبٌ رسميٌ في دولة الخلافة الراشدة، ولم يتخذ المُسلمون رجال دين وأحبار يتبعونهم، ولا يوجد منصب بابوي في الإسلام يتسنمه رجل دين بتعيين أو بأمر من خليفة أو أمير أو حاكم، بل كانت مهمة الإفتاء مهمة شرعية تطوعية سامية، أوجبها الله على كل عالم حريص على دينه وأمته ودون مُقابل، فكل مجتمع مسلم مدعو لأن يكون فيه نخبة من الناس يطلبون العلم الشرعي ويتفقهون في دين الله بغية إرشاد عامة الناس وتعليمهم وإفتائهم إن هم قصدوهم لغرض الاستفتاء، ومن هنا جاءت أهمية الفتوى كمهمة احتسابية شرعية وليست مهنة للاسترزاق وكسب المال، بل الفتيا باب من أبواب نشر العلم الشرعي، وبيان حكم الله في كل أمر من أمور الحياة. ولهذا كانت مهمة الإفتاء وبيان أحكام الشرع الإسلامي واجبة على كل طالب علم تتحقق فيه شروط الكفاءة والأهلية، وذلك بالصفات والشروط التي حددها الفقهاء.

ورغم اضطلاع كثير من علماء السلف بالعلم وتحقق كامل الشروط فيهم، وإجازة شيوخهم لهم بالإفتاء فقد كانوا يتحاشون ويرفضون الإقبال على تلك المهمة العسيرة، وينأون بأنفسهم عنها، لأنهم يرون في حملها مسؤولية عظيمة تنأى عن حملها الجبال، فيتورعون عن الإقدام على مثل تلك المهام الجسام، وربما سُئل العالم منهم عن المسائل المتعددة فلا يجيب تورعًا وخشية من أن يخطئ في حكمه، فيكون وبال ذلك عليه ثقيلا. وإن كان الخلفاء الأمويون وبعدهم العباسيون لهم قصب السبق في توظيف الفقهاء واحتكار

الشرعية الدينية من خلال شراء ذمم بعض القراء واستخدام القضاة لصالح الحاكم، ولهذا فهم أول من دجّن علماء الدين وحول الفقهاء والقضاة والمشايخ إلى علماء بلاط مهمتهم التسويق للحاكم وإضفاء الشرعية الدينية على أفعاله، كما اجتهد هؤلاء القراء في تكفير كل من يخرج على طغيان أولياء نعمتهم، إلا أن تلك الطبقة الدينية الانتهازية من القراء وفقهاء البلاط بقيت معزولة ومنبوذة اجتماعيًا واستمر التقدير والتبجيل والإتباع للفقهاء المُستقلين وغير الخاضعين لإملاءات السلاطين، وبقي الصراع قائمًا بين هؤلاء العلماء الأجلاء الربانيين وبين عملاء البلاط السلطاني المُستخدمين من قبل الحُكَّام، وقد استمرت تلك المعركة الفقهية المبدئية مع القراء وعملاء البلاط مُستعرة عبر العهود، ولم يستطع الحكام رغم بطشهم وسطوتهم من تدجين جميع العلماء، حيث ظهر الكثير من الفقهاء الأفذاذ وشيوخ الدين الشرفاء الذين وقفوا في وجه أولئك الحكام الطغاة ورفضوا مُغرياتهم وتنصلوا من أفعالهم.

وقد قال الإمام عبد الله بن المُبارك: صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذ فسدا فسد الناس، قيل من هم؟ قال العلماء والملوك.

وقد جاء في ديوانه أبيات كثيرًا ما كان يُرددها على جلسائه، يقول فيها:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَيُتْبِعُهَا الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَالْخَيْرُ لِلنَّفْسِ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَهْلَكَ الدِّينَ إِلا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وَبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا ... وَلَمْ تَغْلُ بِالبيع أَثْمَانُهَا

لَقَدْ وَقَعَ الْقَوْمُ فِي جِيفَةٍ ... يَبِينُ لِلْعَاقِلِ إِنْتَانُهَا

إلا أن أسوأ مرحلة مرَّ بها تاريخ العلم الشرعي الإسلامي وانحدرت فيها قيمة العلماء والفقهاء، كان في عهد المماليك، حيث أصبح الدين تجارة رابحة، وبات الفقه الإسلامي عبارة عن كهنوت كنسي، وتحول العلماء والفقهاء إلى قساوسة

ورهبان تحت وصاية أولئك المماليك الناقمين على المُجتمع والذين سخَّروا الدين لخدمتهم ووظَّفوا الفقهاء في سبيل تدعيم مواقفهم وإضفاء الشرعية الدينية الزائفة على حكمهم.

ويُمكن تصنيف نظام الحكم في العهد المملوكي إلى قوتين نافذتين في السلطة، فأصبح الحكم مقسومًا بين فئة المماليك وفئة فقهاء البلاط الذين كانوا يضفون عليهم الشرعية الدينية، فاحتكر المماليك السلطة السياسة والمال والقوة العسكرية، وأما الفقهاء فقد احتكروا الشرع وأحكامه وجعلوه باب للاسترزاق وجني الأموال، فوظفوا استنباطات الشريعة الإسلامية لترويض العامة وحملهم على طاعة ولي الأمر المزعوم؛ أي المماليك، - وما أشبه اليوم بالبارحة!- كما استحدث المماليك أسلوبًا جديدًا في تكبيل العقيدة الإسلامية لضمان ولاء الفقهاء وضبطهم والتحكم فيهم، كان ذلك مبنيًا على تعيين شيوخ رسميين لتلك المذاهب ومن ثم التحريض والتفرقة بين المذاهب الإسلامية الأربعة وتسليط بعضهم على بعض، وإخضاع بعضهم لبعض، فعيَّنوا لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة قاضي قضاة له نواب في المناطق النائية تحول لاحقًا لمُسمى المُفتي. كما وزَّع المماليك قضاء العسكر والحريم والأوقاف والنظارة والحسبة على فقهاء السنة.

وبسبب وجود بعض بقايا التشيع التي تركها الفاطميون في مصر وبقية المناطق؛ فقد كانت ترمى التهم جزافًا على المُصلحين، فأي انتقاد للفساد المُستشري في البلاد موجه للمماليك، كان يتهم صاحبه بشتم الصحابة أو بالتشيع وتقام عليه الحجة بعدول، ثم يُحال على القضاة لتنفيذ القصاص فيه.

وقد أذكى المماليك نار الفتنة والتحاسد والبغضاء بين فقهاء السنة أنفسهم، وألقوا إليهم الأموال ومنحوهم الأراضي والضيع فتكونت من بعضهم طبقة شرهة من الأثرياء لا هم لهم إلا التنافس على ثلاثة مكاسب دنيوية تختصر في: أيهم أكثر ولاء للمماليك واستنباطًا للأحكام التي تضفي الشرعية على نظامهم وتصرفاتهم، فيزداد قربًا منهم وتمكينًا لديهم... وأيهم يكون أكثر أموالاً وأتباعًا

من غيره... وأيهم يؤلف الكتب ويهديها إلى كبار رجال السلطة فترتفع منزلته عندهم.

ثم استحدث المماليك سلاحًا آخر لضبط العلماء وكبح المُتمردين والخارجين عن سلطتهم، وهو عبارة عن مجالس تأديبية يختار أعضائها من بين أفراد تلك المذاهب، لمحاكمة بعضهم بعضًا؛ فكان الفقيه إذا ما أظهر تأففًا أو إنكارًا لمنكر أو بدا منه ما يشير إلى صحوة ضمير مُتأخرة، تُستغل خلافاته الفقهية الاجتهادية مع منافسيه وخصومه من بقية الفقهاء، فتُرتب له تهمة مخالفة الشرع ويُعقد له مجلس من قضاة المذاهب وفقهائها، ثم يُعاقب تشهيرًا أو جلدًا أو سجنًا.

وقد ذهب ضحية هذه الأساليب القمعية أعيان من الفقهاء المجتهدين الأفذاذ.

وقد استفاد الأتراك العثمانيون لاحقًا من ذلك النظام الكنسي الكهنوتي الرصين الذي أقره المماليك في تشكيل وتفصيل الفقهاء في مصر، ومن ثم توزيع الرتب المشيخية على علماء البلاط، خصوصًا بعد اعتناق السلاطين العثمانيين للمذهب الحنفي والذي أصبح مذهبًا لدولة الخلافة، حيث تبنت الدولة العثمانية المذهب الحنفي ودعمته بكل قوة حتى صار مذهبها الرسمي. وقد ساعد اعتناق الدولة للمذهب الحنفي على انتشاره الواسع، وكان سبب اختيار السلاطين العثمانيين لذلك المذهب تحديدًا، بسبب عدم تمسك الحنفية في شروط ولاية الخليفة في أن يكون قرشيًا، فمعلوم أن القرشية كانت شرطًا لدى المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية، حيث اعتمدت أغلب المذاهب السنية الأربع على ما جاء في نص "الأئمة من قريش"، ولكون سلاطين آل عثمان ابن آرطغرل هم ليسوا قرشيين ولا حتى عرب أصلاً، فكيف لهم أن يتبؤوا منصب الخلافة الإسلامية؟!.

لذلك فقد اعتمدوا مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان لكونه قد ارخص وأباح بمُبايعة غير القرشي للخلافة في حالة الضرورة، وللضرورة العثمانية هنا أحكام، فوجد سلاطين بني عثمان غايتهم في ذلك المذهب الإسلامي المُتسامح

معهم كأعاجم لم يُقدر لهم أن يكونوا عربًا، وهاهو يمنحهم حق تبوء سدة الخلافة على عموم المُسلمين في المعمورة وفق بند الضرورات تبيح المحظورات.

وإذا كان أئمة المذاهب السُنية مُجمعين على اشتراط القرشية فإنهم استندوا في ذلك إلى حديث "الأَئِمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ" الذي أخذ به مالك والشافعي وابن حنبل، ورواية لزرقان عن أبي حنيفة؛ وإلى تطبيقات الحديث في الفترة الراشدية وعهد بني أمية وبني العباس، إلا أنهم أقروا كذلك إمامة الغصب والاستيلاء والجور، وإمامة غير القرشي للضرورة واتقاء الفتنة. أما النسب القرشي، فإن بعض فقهاء الحنفية ـ شأنهم في ذلك شأن فقهاء المذاهب الأخرى ـ رأوا أنه في حالة الضرورة يمكن تعيين غير القرشي (تقريب المرام للتفتازاني٣٢٣). وفي"المسامرة على المسايرة". (٢٩٠ ـ٢٩٢). نص الكمال بن أبي شريف على ذلك بقوله: "...وصار الحال عند التغلب كما لم يوجد قرشي عدل، أو وجد قرشي عدل ولم يقدر على توليته لغلبة الجورة على الأمر. إذ يحكم في كل من الصورتين بصحة ولاية من ليس بقرشي، ومن ليس بعدل للضرورة. وإلا لتعطل أمر الأمة في فصل الخصومات، ونكاح من لا ولي لها وجهاد الكفار وغير ذلك".

وقد جاء في كتاب "تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في المُلك" لقاضي قضاة دمشق نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي الطَّرَسوسي، حيث ذكر في مخطوطته في شأن شرعية ولاية الترك على المُسلمين:

«قال النبي ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي). وقال أبو حنيفة وأصحابه ـ رحمهم الله ـ: (لا يشترط في صحة تولية السلطان، أن يكون قرشيًا، ولا مجتهدًا، ولا عدلا. بل يجوز التقليد من السلطان العادل والجائر. وأصله قصة معاوية، فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تقلدوا منه الأعمال، بعد ما أظهر الخلاف مع علي ـ رضي الله عنه ـ في نوبته. وقال

الشافعي - رحمه الله - فيما نقله الرافعي عنه في كتاب الجنايات الموجبة للعقوبات: (شروط الإمام هي أن يكون مكلفًا، مسلمًا، حرًا، عالمًا، مجتهدًا، شجاعًا، سميعًا، بصيرًا ناطقًا، قرشيا). وهو المذهب. لقوله ﷺ: (الأئمة من قريش). وقال الماوردي في الأحكام السلطانية: فصل وأما أهل الإمامة المتحلي بالشروط المعتبرة السبعة: أحدها العدالة بشروطها الواجبة الجامعة، والثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد، والثالث: سلامة الحواس، والرابع: سلامة الأعضاء من نقص مانع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض، والخامس: صحة الرأي المفضي إلى سياسة الرعية، وتدبير في المصالح، والسادس: الشجاعة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو، والسابع: النسب، وهو أن يكون قرشيا، لورود النص به. ولا اعتبار بضرار، حين شذ فجوزها في جميع الناس، لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه احتج يوم السقيفة على الأنصار في دفعهم عن الخلافة بقوله ﷺ:"الأئمة من قريش وليس مع هذا النص المسلم، شبهة لمنازع فيه، ولا قول لمخالف له. وقال النووي في الروضة: (ويشترط للإمام كونه مسلمًا، مكلفًا، عدلاً، حرًا، ذكرًا، قرشيًا، مجتهدًا، شجاعًا، ذا رأي وكفاية، وسمع وبصر، ونطق، وكذا سلامته عن نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض في الأصح). فهذه عبارات الشافعية في هذه الكتب التي نقلنا منها المسألة. وكلهم شرطوا أن يكون السلطان مجتهدًا قرشيا. وهذا لا يوجد في الترك، ولا في العجم. فلا تصح سلطنة الترك عندهم، ولا تصح توليتهم للقضاء من الترك على مذهبهم. لأن من لا يصلح أن يكون سلطانًا كيف يصح التقليد منه؟ وفي هذا القول من المفاسد ما لا يخفى. مع أن فيه الإيذاء للسلطان بصرف الرعية عنه، ومنع مُتابعة الجند له ونحوهما مما لا يحصى. ولهذا قلنا: إن مذهبنا (الحنفي) أوفق للترك وأصلح لهم من مذهب الشافعي- رضي الله عنه».۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ مخطوطة : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك\
تأليف: نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي الطَّرَسوسي.

وقد دوَّن الطرطوسي مخطوطته تلك قبل أن يتخذ العثمانيون مذهب أبو حنيفة كمذهب رسمي لدولتهم، وقد انتشر هذا المذهب بفضل إتباعه من قبل أولئك السلاطين وخاصة بعد أن بسطت دولتهم نفوذها على معظم الأمصار الإسلامية وجعلوا المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة، وأصبح للدولة شيخٌ للإسلام ورجال إفتاء للحنفية ولبقية المذاهب، وأمروا القضاة أن يعملوا وفق فقهه وتعاليمه، فصار الفقه الرائج هو الفقه الحنفي، ثم انتشر في مصر والشام وتونس والجزائر وطرابلس واليمن وآسيا الوسطى.

ويقول ابن خلدون: وأمَّا أبو حنيفة فقلَّده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها لما كان مذهبه أخص بالعراق ودار السلام، وكان تلاميذه صحابة الخلفاء من بني العباس، فكثرت تآليفهم ومناظراتهم مع الشافعية، وحسنت مباحثهم في الخلافيات، وجاءوا منها بعلم مستظرف وأنظار غريبة.

كما كانت المحاكم الشرعية هي الهيئة القضائية الأساسية في مصر في العصر العثماني، حيث كانت تنظر في جمع أنواع النزاعات المدنية والتجارية والجنائية والأحوال الشخصية، وكانت مصر تتبع نظام قضاة المذاهب الأربعة، ولكن القاضي الحنفي كانت له الرئاسة، لأن المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وكان قاضي القضاة الذي يُسمى - قاضي عسكر - يعين من استانبول، ثم يقوم هو بتعيين نواب له في محاكم القاهرة والأقاليم، ولذلك نرى في وقتنا الحاضر أن المصريين حتى في أفلامهم السينمائية يوثقون أنكحتهم على مذهب أبو حنيفة النعمان. وصاحب هذا المذهب الفقهي كما هو معلوم الإمام أبو حنيفة النعمان وهو - نعمان بن ثابت بن زوطا بن مرزبان - ولد في سنة ٦٩٩م -٨٠هـ وتوفي في عام ٧٦٧م -١٥٠هـ، وقد ولد في الكوفة وتوفي في بغداد وكان أصله فارسي وقيل أفغاني، وهو يُعتبر فقيه العراق وصاحب المذهب المُتبع في أكثر البلدان الإسلامية، وقد لقب بالإمام الأعظم.

والحقيقة رغم ابتداع الأتراك لمناصب ووظائف دينية ما أنزل الله بها من سلطان ولم يكن مُتعارفًا عليها في الإسلام؛ كإقرارهم لمنصب شيخ الإسلام وتعيين المُفتين للمذاهب، وبالرغم من اعتناق الأتراك للمذهب الحنفي سواء كان عن قناعة منهم أو عن مصلحة سياسية كما مرَّ معنا، وبعد أن أصبح المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرسمي والسائد في اسطنبول، إلا أنهم لم يفرضوا مذهبهم على بقية المذاهب قسرًا، وحتى مكة المُكرمة وهي قبلة الإسلام وكانت تحت حماية السلطان العثماني منذ عدة قرون، فلم يفرضوا على مكة نظام المذهب الواحد، بل إنهم قد أقروا نظام المذاهب الأربعة في أداء الصلوات بالمسجد الحرام في مكة المُكرمة، حتى إنهم جعلوا لكل وقت من أوقات الصلاة إمامًا من أحد المذاهب الإسلامية الأربعة، فتجد أن شيخ الشوافع كان يُصلي الصبح بالمُسلمين، وشيخ المالكية يُصلي بالمُسلمين الظهر، وشيخ الحنابلة يُصلي بالمُسلمين العصر، والمُغرب يُصليه الحنفي.. وهكذا، وهذا يدل على أن العثمانيين لم يتعصبوا لمذهبهم الحنفي ولم يفرضوه على بقية مذاهب أهل مكة المكرمة، بل على العكس فسوف نرى كيف ألغى سعود بن عبد العزيز ذلك الترتيب المذهبي المُتبع للأئمة في الصلوات عندما سيطر على مكة المُكرمة، وجعل مُفتي مكة الحنفي عبد الملك القلعي يُصلي بأهل مكة الجمعة، ربما خوفًا من غضب الدولة العثمانية فأراد أن يتملقها، وربما لم يرغب في إثارة أهل مكة المُكرمة. حيث يذكر الشيخ زيني دحلان في كتابه، فيقول:

«وفي اليوم السادس من أيام إقامته (سعود) نادى مُناديه بإبطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام فكان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يُصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلي بالناس الجمعة المفتي عبد الملك القلعي».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية: الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

وكانت مهمة الإفتاء الجليلة قبل أن تتحول إلى مهنة ارتزاقية وصولية لدى السلاطين تُعتبر تكليفًا شرعيًا خالصًا لوجه الله، يقوم بها الفقهاء احتسابًا منهم وخدمة للإسلام وأهله بلا مُقابل أو أجر مادي، لأن الإفتاء واجب شرعي على كل العلماء الذين يخافون الله ويسعون لمرضاته. ومثلما فعل المماليك في مصر أقروه أيضًا في بلاد الشام، حيث سنرى كيف تحولت مهمة الإفتاء الاحتسابية إلى مهنة ووظيفة لدى السلاطين في الشام إبان حكم المماليك، حيث يذكر لنا صاحب كتاب "تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء" ما نصه:

« وحلب كغيرها من المدن الإسلامية كانت مهمة الإفتاء فيها مهمة دينية، يقوم بها الفقهاء حِسبة - دون أجر- فهي واجب شرعي على كل فقيه يحسنه، وأذن له فيه، وبقي الأمر على هذا الحال إلى منتصف القرن السادس. ولعل أول من نظّم أمور الإفتاء في مدينة حلب وجعلها منصبًا رسميًا مرتبطًا بالقضاء، هو الملك نور الدين محمد بن زنكي، فإنه لما ملك مدينة دمشق وطال مقامه فيها أحسّ بأهل المدينة يعانون من ظلم بعض أمرائه فأمر ببناء دار العدل، ورتّب فيها قاضيًا ومفتيين - حنفيًا وشافعيًا - وبدأ يجلس فيها لفصل الخصومات يومين في الأسبوع، ثم سلك سلطان حلب الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي مسلكه فبنى دار العدل بحلب لجلوسه العام فيها، وقد ذكر القلقشندي في كتابه: صبح الأعشى في صناعة الإنشا- وظيفة إفتاء دار العدل من جملة الوظائف الدينية في ترتيب مملكة حلب في عهد دولة المماليك الشراكسة، واعتبر هذه الوظيفة من المناصب المهمة في الدولة، فهي تأتي في قائمة الدرجة الثانية بعد وظائف أصحاب السيوف ويورد الشيخ كامل الغزي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) صورة عن أحوال الحكم في أيام الدولة الشركسية ويصف موكب نائب المملكة عند وصوله إلى مدينة حلب يُبين من خلاله مراتب الناس وطبقاتهم ومكانة المفتي ودار العدل. ولما دخل السلطان العثماني سليم الأول مدينة حلب سنة ٩٢٢هـ أعاد ترتيب أمور الدولة فيها وفصل منصب الإفتاء عن القضاء وجعله مستقلاً تابعًا للمفتي

الأكبر - شيخ الإسلام - في الآستانة بينما جعل منصب القضاء تابعًا لقاضي القضاة في مركز الدولة العثمانية، بل لقد أصبح منصب الإفتاء فوق منصب القضاء، إذ إن المفتي الأكبر في الآستانة هو الذي يعين قاضي القضاة. وكان المفتي في حلب أواخر الحكم العثماني يجمع إليه عدد كبيرًا من المناصب والوظائف فبالإضافة إلى منصب الإفتاء. أما المذهب الذي التزم به المفتون في مدينة حلب هو المذهب الحنفي، الذي كان هو مذهب الدولة العثمانية الرسمي، مع وجود مفتي آخر للمذهب الشافعي، يُطلق عليه مفتي الشافعية، وكان هذا المفتي من أصحاب العلم والتقى والصلاح ولا طمع له في المناصب التي يتطلع إليها المفتي العام. لم يكن للمفتي مكان خاص يجلس فيه إلا ما كان لمفتي دار العدل فإنهم كانوا يجلسون للفتوى فيها، أما باقي المفتين من العلماء فقد كانوا يتصدون للفتوى في المساجد أو المدارس التي كانوا يقرؤون دروسهم فيها مع ملاحظة مع ما كان للجامع الأموي الكبير من مكانة خاصة لدى العامة حيث يقصدونه ليستفتوا فيه، لكثرة ما كانوا يجدون فيه من حلقات العلم والعلماء. وبقي الأمر كذالك إلى زمن الدولة العثمانية حيث تركزت الفتوى في المدرسة الخسروية التي كان التدريس فيها شرطًا على المفتي الذي يعينه شيخ الإسلام في الدول العثمانية». ۞ - انتهى الاقتباس -

ومن خلال ما تقدم نرى أن منصب شيخ الإسلام ومهنة المُفتي حسب المذاهب الأربع هي بدعة مملوكية خالصة اخترعها سلاطين المماليك في مصر والشام ثم اقتبسها منهم العثمانيون الأتراك لاحقًا واتخذوها منهجًا دينيًا وظيفيًا في إدارتهم للدول العثمانية، حيث أصبح هنالك منصب مرموق يشغله ما يُسمى بـ"شيخ الإسلام" وهو أعلى مرتبة دينية يُقابلها في الديانة النصرانية بابا الفاتيكان، ومقره اسطنبول، وهنالك مُفتين في بقية الولايات أو الدول العثمانية الأخرى، غالبًا ما يُعين بعضهم من قِبل شيخ الإسلام بفرمان صادر من الآستانة.

---

۞ كتاب : تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء\ تأليف: محمد عدنان كاتبي.

**ويبدو أن آل سعود المُعاصرين قد أعجبتهم فكرة أن يكون هنالك شيخ إسلام أو مُفتي عام يلوي عنق العقيدة ويُسيس الفتاوى حسب الطلب ويجيرها لصالح آل سعود، ما بالك إذا كان هذا المُفتي هو من سلالة محمد بن عبد الوهاب صاحب الشراكة القديمة في تقاسم السلطة بين آل سعود وآل الشيخ، فأصبح مُفتي آل سعود يحمل لقب المُفتي والعام معًا، وقطعًا فإن براءة الاختراع تعود إلى المماليك.**

- **شرعية الخروج على الحاكم ومشروعية الاستعانة بالمُشركين حسب المفهوم الوهابي:**

إن من يقرأ تاريخ وسير مشايخ الوهابية الأوائل سيجد من التناقضات والتقلبات والمزاجية والأثرة والتلون والتأرجح المُضحك الشيء العجب، لكنهم يتفقون جميعًا على تفوق مذهبهم الوهابي على جميع المذاهب الأخرى، بل ولا يعدون بقية المذاهب شيئًا أمام دينهم الجديد، هذا إذا ما كفروا أصحاب تلك المذاهب أصلاً، كما كفَّروا دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول التي كانت على مذهب الإمام أبو حنيفة، ولأن مهنة الإفتاء كانت قد أُحتكرت وحُصرت في أسرة محمد بن عبد الوهاب، فقطعًا ستُحتكر الولاية والسلطان في أسرة آل سعود فقط وذلك طبقًا للشراكة القديمة، ولهذا فأبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب يُعتبرون كل الحكام والسلاطين في بقية الدول العربية والإسلامية؛ وعلى رأسها كان دولة الخلافة في اسطنبول؛ ما هم إلا كفرة مارقين عن الدين، وخارجين عن طاعة ولي أمرهم السعودي. وسبق وأن ذكرت أن أبناء وأحفاد محمد عبد الوهاب قد تلاشت هيبتهم وتراجعت مكانتهم وتناقص نفوذهم في العهود المُتآخرة بعدما كان لجدهم محمد بن عبد الوهاب القول الفصل في كل شيء، بل شاهدنا كيف كان محمد بن سعود يخشاه ويشعر بالرعب منه بعد أن تخلص من الأمير عثمان بن معمر، فقد شعر محمد بن سعود بالضآلة والعجز أمام طموح وتطلعات ذلك المطوع الناقم والحاقد على الجميع، فآثر السلامة وقرر أن يتحاشاه ويُسلم برأيه حتى بعد أن قام بتهميشه وجعل الحظوة والحل والعقد بيد ولده عبد العزيز، فذلك الحضور القوي وتلك السيطرة والنفوذ الطاغي الذي كان يحظى به محمد بن عبد الوهاب، ذهب معه حينما توفي، وأما أبناؤه وأحفاده من بعده فقد قلَّت هيبتهم وتراجعت مكانتهم كثيرًا عن مكانة كبيرهم، فأصبحوا مُجرد أدوات وواجهة دينية كهنوتية لإضفاء الشرعية على الحكام من آل سعود، حيث اقتصرت مهمتهم في البصم

بحوافرهم على مُبايعة فلان أو خلع علان. ولهذا أصبح أحفاد محمد بن عبد الوهاب عبارة عن مُلحقات سلطانية يتبعون سيدهم القوي المُتغلب، فإن بايعوا أحد أفراد آل سعود على الولاية، وجاء من هو أقوى منه من نفس الأسرة وقام بخلعه، قاموا هم بالمثل وخلعوا الحاكم السعودي القديم وبايعوا الحاكم السعودي الجديد، وإذا أزيح الأخير من قبل الأول، عادوا وبايعوا القديم وهكذا دواليك، حتى تحولوا إلى أرجوزات ودمى بيد آل سعود، ويبدو أن تلك الصفات الانتهازية مُتقلبة الألوان حسب الأجواء أصبحت عادة متوارثة لدى هؤلاء القوم وكذلك لدى أتباع مدرستهم، فمن تراه منهم يُفتي اليوم في حرمة وتكفير أمر ما، سيعود غدًا وبكل صفاقة وبجاحة يُشرعنه ويُحلله لأن ولي أمره قد باشره واتخذه منهجًا وأسلوبًا!... وكلنا يذكر تلك الفتوى الشهيرة للمُفتي السعودي السابق عبد العزيز بن باز حول تشنيعه وتحريمه على المصريين إبان حكم جمال عبد الناصر، حينما استعانوا بالخبراء والمُهندسين الروس في بناء مشروع السد العالي، ثم عاد ابن باز نفسه ولحس قوله السابق وخالف ما أفتى به ضد المصريين، وأحلَّ مبدأ الاستعانة بالأمريكان لقتال العراقيين إبان أزمة الكويت من أجل عيون ولي أمره السعودي!.

إذن صفة التقلب والمواربة والتناقض باتت رديفًا للمنهج الوهابي، ولدينا أنموذج قديم جدًا، منذ أيام حكم فيصل بن تركي وأبنائه، وأقصد تناقضات وتحولات وانقلابات حفيد محمد بن عبد الوهاب، المفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن، فهذا المُفتي كان قد سبق ابن باز بمراحل في فن المُراوغة والمناورة في الفتاوى والتناقض والتقلب والتلاعب في شريعة آل عبد الوهاب، حتى أصبح أضحوكة العارض، فقد تقلب المُفتي الجهبذ عدة مرات ما بين مُبايعة ولي أمره عبد الله بن فيصل، ثم خلع بيعته وأقر بيعة أخيه المُتغلب سعود بن فيصل، ثم انتكس وأعاد البيعة لعبد الله، فالمهم لديه أن يكون المُبايع من أسرة آل سعود حصرًا.

ويبدو لي أن مشايخ الوهابية المُعاصرين لم يطلعوا على صحف من سبقهم من أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب، فلم يقرؤوا تاريخهم جيدًا ولم يتبعوا سير مشايخهم الأولين، ولهذا وجدنا فتاوى كهنة آل سعود المُتأخرين تضاربت مع بعضها البعض في عام ١٩٩٠م، وأخذت تتساقط على رؤوس أتباعهم كالبَرد والمطر المُنهمر، وكلها تبيح وتُفتي بضرورة الاستعانة والاستنصار بالكفار في حرب الكويت، ولو كلف المُفتي عبد العزيز بن باز نفسه هو ورفيقه محمد بن عثيمين وأطلعا على رسائل وفتاوى شيخهم المُفتي السابق عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب، فيما يخص شرعية الاستعانة بالكفار، لما وقعا في أحبولة آل سعود، فأصبحا هم أيضًا أضحوكة للعالم الإسلامي. ورغم أن تقلبات مشايخ آل سعود المُعاصرين شبيهة كثيرًا بتقلبات سابق الذكر عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، إلا أن المُثير في ما قاله حفيد محمد بن عبد الوهاب هذا، أنهُ كان يعتبر جنود دولة الخلافة الإسلامية والأتراك كفار ومُشركين خارجين عن الملة، وأخذ يُورد الأحاديث الشرعية على عدم جواز الاستعانة بهم لأنهم كفار فجار ويجب قتالهم وإعلان الجهاد ضدهم وليس الاستعانة بهم! فيا ترَ ماذا سيقول حفيد محمد بن عبد الوهاب هذا لو أنهُ عاصر عهد حفيده المفتي العام للسعودية المدعو عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ ورآه يُفتي بضرورة الاستعانة بجنود ومُجندات أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأستراليا وأسبانيا والبرتغال في قتال الجيش العراقي، ويعتبر الجهاد ضد الأمريكان في العراق غير جائز شرعًا؟!

أعتقد جازمًا أن عبد اللطيف سيحوص ويلوص وسيجد له ألف مخرج وسينقلب على عقبيه ويؤيد فتوى حفيده الحالي، لأن ولاة أموره السعوديين هم من قرر الاستعانة بالكفار وهم من حرم الجهاد ضد الأمريكان، وما تقلباته السابقة بين مُبايعة عبد الله والانقلاب عليه، ثم مُبايعة أخيه سعود، ومن ثم

العودة لمُبايعة عبد الله إلا دليلاً واضحًا على تخبط ومراوغة ذلك الوهابي العتيد. لكن لنعود قليلاً إلى ذلك التاريخ ونطلع على ما كتبه حفيد محمد بن عبد الوهاب المُفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في حينه، ونرى رأيه في حكم استجلاب الكفار والاستعانة بهم، مع التنويه أن عبد اللطيف هذا كان يُكفر الأتراك ويعتبر خليفة المُسلمين العثماني ورعاياه وجنود دولته كفارًا مُشركين! ولكن بعيدًا عن تكفيره لجنس ومذهب الأتراك، ولنكتفي بالإطلاع على رأيه في مسألة حكم الاستعانة بالكافر كمبدأ فقهي، حيث أفتى بحرمة الاستنصار بالكفار والمُشركين في رده على أحد مشايخ المدرسة الوهابية المُعاصرين له، والذي أحل بدوره لولي أمره عبد الله بن فيصل بن تركي في أن يستعين بقوات الدولة للتغلب والقضاء على سطوة شقيقه سعود، فردَّ عليه عبد اللطيف في رسالة مطولة، فنَّد فيها كل مزاعم الاستعانة والاستنصار بالكفار، وتلك الرسالة موجهة من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى محمد بن إبراهيم بن عجلان وذلك إبان الصراع السياسي الدائر بين عبد الله بن فيصل وأخيه سعود، حيث أفتى الشيخ محمد بن عجلان بجواز استعانة عبد الله بقوات الدولة العثمانية لاستخلاص ملكه من قبل أخيه المتغلب سعود! فرد عليه عبد اللطيف بحجج شرعية تؤكد عدم جوز الاستعانة بالكفار والمُشركين. والحقيقة أن عبد اللطيف يخلط في رسالته بين المُسلم الفاسق وبين الكافر والمُشرك، لأنهُ يصنف دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول على أنها دولة كافرة ومُشركة وعليه فلا يجوز الاستعانة بقواتها، وينزل عليها أحكام حرمة الاستعانة بالمُشركين.

وللأسف فإن رسائل محمد بن عبد عجلان لم توثق ولم تطبع كما هو حال مع رسائل عبد اللطيف آل الشيخ، ولهذا لم نطلع على جميع ردود ابن عجلان على عبد اللطيف آل الشيخ، علمًا أن ابن عجلان هو الآخر من مشايخ الوهابية، ولكن لم يصلنا من رسائله إلا ما جاء في رد عبد اللطيف على إحدى

رسائله، ولهذا فليس من المُستبعد أن يكون رد ابن عجلان على عبد اللطيف مُغايرًا لما أراد عبد اللطيف أن يوحي به، لأن ابن عجلان ليس بالسذاجة أو الحُمق لكي يُصنف دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول على أنها دولة شرك وكفر، إلا إذا كان ابن عجلان يحمل نفس الحقد والغل الذي يحمله عبد اللطيف آل الشيخ الموتور من دولة الخلافة الإسلامية بسبب كسرهم لشوكة الوهابيين. ونحن لا ندري بالضبط هل قصد ابن عجلان بقوله جواز الاستنصار بالكفار على البُغاة المقصود منه هو الاستعانة بقوات الخلافة الإسلامية تحديدًا أم أنهُ كان يعني أي قوة أجنبية أخرى غير مُسلمة، فإذا كان يقصد قوات الأتراك بالاسم فهذا يعني أن كل حججه ومعها أدلة عبد اللطيف الشرعية لا تصح في قياسها مع حالة جنود دولة الخلافة الإسلامية لأنهم مُسلمون ورايتهم إسلامية وسلطان دولتهم مُسلم أوصل الإسلام إلى قلب أوربا وفتح القسطنطينية، حيث جاء في نص رسالة عبد اللطيف:

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى جناب الشيخ محمد بن إبراهيم ابن عجلان، حفظه الله من طوائف الشيطان ورزقه الفقه في السُّنة والقرآن. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فأحمد الله إليه، وأثني بنعمه عليه، والخط وصل وما ذكرت فيه من التنبيه على ما تضمنته السورة الكريمة، سورة العصر فقد سرني، وقد عرفت ما قاله الشافعي رحمه الله لو فكر الناس فيها لكفتهم. قلت لأنها تتضمن الأصول الدينية والقواعد الإيمانية والشرائع الإسلامية والوصايا المرضية، فتفكر فيها وأعلم أنك نبهتني بها على إعلامك ببعض ما تضمنته رسالتك لابن عبيكان، وقد كتبت حين رأيتها ما شاء الله أن أكتب ونهيت عن اشاعتها خوفًا منك وعليك، ولكن رأيت ما الناس فيه من الخوض ونسيان العلم وعبادة الهوى، فخشيت من مفسدة كبيرة برد السُّنة والقرآن ودفع الحجة والسلطان، وقررت فيها أن ما كتبته ونقلته من آية أو سُنة أو أثر فهو عليك لا لك، لأنهُ يدل بوضعه أو تضمنه أو التزامه على البراءة من الشرك وأهله ومُباينتهم في المُعتقد والقول والعمل وبغضهم

وجهادهم والبراءة من كل من اتخذهم أولياء من دون المؤمنين ولم يُجاهدهم حسب طاقته ولم يتقرب إلى الله بالبعد عنهم وبغضهم ومراغمتهم. وأكثر نصوصك التي ذكرت دالة على ذلك، كقوله (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) الآية قبلها والآية بعدها، وما ذكره ابن كثير هنا. كل هذا نص فيما قلناه وقد بسطت القول في ذلك، وكذلك كل أحاديث السمع والطاعة والأمر بلزوم الجماعة نص فيما قلنا عند من فقه عن الله ورسوله، وما ذكرت من استعانته بابن أريقط، فهذا اللفظ ظاهر في مشاقة قوله في حديث عائشة "إنا لا نستعين بمُشرك" وابن أُريقط أجير مُستخدم، لا مُعين مكرم، وكذلك قولك إن شيخ الإسلام ابن تيمية استعان بأهل مصر والشام وهم حينئذٍ كفار! فهي وهلة عظيمة وزلة ذميمة، كيف والإسلام إذ ذاك يعلو أمره، ويُقدم أهله، ويُهدم ما حدث من أماكن الضلال وأوثان الجاهلية، ويظهر التوحيد ويُقرر في المساجد والمدارس، وشيخ الإسلام نفسه يُسميها بلاد الإسلام، وسلاطينهم سلاطين إسلام، ويستنصر بهم على التتر والنصيرية ونحوهم، كل هذا مُستفيض في كلامه وكلام أمثاله. وما يحصل من بعض العامة والجهال إذا صارت الغلبة لغيرهم لا يحكم به على البلاد وأهليها. وكذلك ما زعمته من أن أكابر العسكر أهل تعبد ونحو هذا، فهذه دسيسة شيطانية وقاك الله شرها، وحماك حرها، لو سلمنا تسليمًا جدليًا، فابن عربي وابن سبعين وابن الفارض لهم عبادات وصدقات، ونوع تقشف وتزهّد، وهم أكفر أهل الأرض، أو من أكفر أهل الأرض. وأين أنت من قوله تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعلمون)، وقوله تعالى (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)، وأما إجازتك الاستنصار بهم فالنزاع في غير هذه المسألة بل في توليتهم، وجلبهم، وتمكينهم من دار إسلامية هدموا بها شعار الإسلام وقواعد الملة وأصول الدين وفروعه. وعند رؤسائهم قانون وطاغوت وضعوه للحكم بين الناس في الدماء والأموال وغيرها، مُضاد ومخالف للنصوص إذا وردت قضية نظروا فيه وحكموا به ونبذوا كتاب الله وراء

ظهورهم. وأما مسألة الاستنصار بهم فمسألة خلافية، والصحيح الذي عليه المحققون منع ذلك مُطلقًا وحجتهم حديث عائشة وهو متفق عليه، وحديث عبد الرحمن بن حبيب وهو حديث صحيح مرفوع اطلبهما تجدهما فيما عندك من النصوص. والقائل بالجواز احتج بمرسل الزهري وقد عرفت ما في المراسيل إذا عارضت كتابًا أو سُنة. ثم القائل به قد شرط أن يكون فيه نصح للمُسلمين ونفع لهم، وهذه القضية فيها هلاكهم ودمارهم، وشرط أيضًا أن لا يكون للمُشركين صولة ودولة يُخشى منها، وهذا مُبطل لقولك في هذه القضية، واشترط كذلك أن لا يكون له دخل في رأي ولا مشورة بخلاف ما هو هنا. كل هذا ذكره الفقهاء وشُراح الحديث ونقله في شرح المُنتقى وضعف مُرسل الزهري جدًا، وكل هذا في قتال المُشرك للمشرك مع أهل الإسلام، أما استنصار المُسلم بالمُشرك على الباغي فلم يقل بهذا إلا من شذ واعتمد القياس، ولم ينظر إلى مناط الحكم والجامع بين الأصل وفرعه. ومن هجم على مثل هذه الأقوال الشاذة وأعتمدها في نقله وفتواه فقد تتبع الرخص ونبذ الأصل المُقرر عند سلف الأمة وأئمتها المُستفاد من حديث الحسن وحديث النعمان بن بشير، وما أحسن ما قيل: والعلم ليس بنافع أربابه *** ما لم يفد نظرًا وحسن تبصر. وفي رسالتك مواضع أعرضنا عنها خشية الإطالة هذا كله من التواصي بالحق والصبر عليه، وإن لام لائم وشنأ شانئ، ولولا ما تقرر في الكتاب والسُنة وإجماع الأمة من تفصيل الحكم في المُخطئ والمُتعمد لكان الشأن غير الشأن (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)».[۞] -انتهى الاقتباس-

وكما قلت فإن أصل ذلك الخلاف والجدال الفقهي الدائر بين المُفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن وبين محمد بن عجلان؛ هو بسبب تخلي عبد اللطيف عن بيعته الشرعية لولي أمره وإمامه السابق عبد الله بن فيصل ، الذي كان في الأصل

---

[۞] كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\
رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

مُبايعًا من قبل عبد اللطيف نفسه ومعه أغلب أهل العارض على اعتباره إمامًا شرعيًا له بيعة في أعناقهم كونه ولي أمر مُطاع، ولما زحف عليه أخوه سعود وهزمه في معركة جودة، فرَّ الإمام المُبايَع عبد الله من الرياض وولى هاربًا، ثم سافر إلى العراق وبدأ يُجري اتصالاته مع دولة الخلافة العثمانية لغرض دعمه ومُساعدته في استرجاع ملكه الضائع واستخلاصه من قبل أخيه المُتغلب سعود، وهنا ظهر التخبط الكبير والواضح في فتاوى عبد اللطيف بن عبد الرحمن، نظرًا لموقفه الموتور والناقم أصلاً على دولة الخلافة، حيث أصبح يُبايع هذا تارةً ثم يخلعه ويُبايع الآخر تارةً أخرى، ثم يعود ويبايع الأول، وقطعًا سيجد في شرعه المزعوم ما يُبرر له تقلباته وتناقضاته.

ولدينا هنا رسالة صريحة مُرسلة من قبل عبد اللطيف إلى علي بن محمد وابنه محمد آل موسى، وهو يفسر لهما إشكالية تلك الفتنة الدائرة بين أفراد أسرة آل سعود حول أحقية كل واحد فيهم بالحكم، وهو يؤيد عملية الانقلاب التي قام بها سعود بن فيصل على أخيه عبد الله ويُقر شرعًا انقضاضه على الولاية بحد السيف لأنه أمر جائز شرعًا برأيه وأمر وارد وسائد في العهود الإسلامية السابقة، حيث يورد لهما بعض الأمثلة التاريخية المعروفة في حكم المُتغلبين من السير الإسلامية السابقة، وبهذا هو يُبيح بيعة المُتغلب ولا ضير عنده من الانقلاب والوثوب على السلطة والحاكم بالقوة واستخلاص الحكم منه بواسطة السلاح، وهو يعتبر أن السيطرة بالقوة من الأمور المُباحة في الشرع الإسلامي وليست من المُحرمات، ولهذا نجد عبد اللطيف يوضح لهما أن من تغلب على المُسلمين بالسيف فالبيعة ثابتة له ولا غبار عليها، ويرمي من وراء ذلك تبرير بيعته لسعود الذي تغلب بالسيف على حكم أخيه عبد الله المُبايع من قبل عبد اللطيف نفسه وبقية أهل العارض، حيث يذكر عبد اللطيف في رسالته قائلاً: « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخوين المُكرمين علي بن محمد وابنه محمد بن علي سلمهما الله تعالى

من الأسوأ وحماهما من طوارق المحن والبلوى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فأحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير، والخط وصل وصلكما الله بما يُرضيه، وجعلكما ممن يُحبه ويتقيه، وما ذكرتما صار معلومًا وهذه الحوادث والفتن أكبر مما وصفتم، وأعظم مما إليه أشرتم، كيف لا وقد تلاعب الشيطان بأكثر المُنتسبين، وصار سلمًا لولاية المُشركين وسببًا لارتداد المُرتدين، وموجبًا لخفض أعلام الملة والدين، وذريعة إلى تعطيل توحيد رب العالمين، وإلى استباحة دماء المُسلمين وهتك أعراض عباده المؤمنين فتنة لا يصل إليها حديث ولا قرآن، ويرعوي أبناؤها عما يهدم الإسلام والإيمان، يعرف ذلك كل مَن منّ الله عليه بالعلم والبصيرة، وصار على حظ من أنوار الشريعة المُطهرة المُنيرة، وصار على نصيب من مراقبة عالم السر والسرائر، وقد عرفتم مبنى هذه الفتنة وأولها والحكم في أهلها وجندها، ثم صار لهم دولة بالغلبة والسيف واستولوا على أكثر بلاد المُسلمين وديارهم، وصارت الإمامة لهم بهذا الوجه ومن هذا الطريق كما عليه العمل عند كافة أهل العلم من أهل الأمصار في أعصار مُتطاولة، وأول ذلك ولاية آل مروان، حيث لم تصدر لا عن بيعة ولا رأي ولا عن رضا من أهل العلم والدين، بل بالغلبة، حتى صار على ابن الزبير ما صار، وانقاد لهم سائر أهل القرى والأمصار، وكذلك مبدأ الدولة العباسية ومخرجها من خراسان وزعيمها رجل فارسي مُدعي أيامهم صال على من يليه ودعا إلى الدولة العباسية وشهر السيف وقتل من امتنع عن ذلك، وقاتل عليه، وقتل ابن هُبيرة أمير العراق، وقتل خلقًا كثيرًا لا يُحصهم إلا الله، وظهرت الرايات السود العباسية وجاسوا خلال الديار قتلاً ونهبًا في أواخر القرن الأول، وشاهد ذلك أهل القرن الثاني والثالث من أهل العلم والدين وأئمة الإسلام، كما لا يخفى على من شم رائحة العلم وصار على نصيب من معرفة التاريخ وأيام الناس. وأهل العلم مع هذه الحوادث متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف، يرون نفوذ أحكامه وصحة إمامته ولا يختلف في

ذلك اثنان ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة، وإن كان أولئك الأئمة فسقة ما لم يروا كفرًا بواحًا، ونصوصهم في ذلك موجودة عن الأئمة الأربعة وغيرهم وأمثالهم ونظرائهم. إذا عرفت هذا فالحاصل في هذا العصر بين أهل نجد له حكم أمثاله من الحوادث السابقة في زمن أكبر الأئمة الأربعة وغيرهم كما قدمنا، وصارت ولاية المُتغلب ثابتة كما إليه أشرنا، ووقع اتفاق ممن ينتسب إلى العلم لديكم على هذا كالشيخ إبراهيم الشثري في الحوطة وحسين وزيد في الحريق وخطوطهم عندنا محفوظة معروفة فيها تقرير إمامة سعود، ووجوب طاعته، ودفع الزكاة إليه، والجهاد معه، وترك الاختلاف عليه. كل هذا موجود بخطوطهم فلا جرم قد صار العمل على هذا والاتفاق، ثم توفى الله سعودًا واضطرب أمر الناس، وخشينا الفتنة واستباحة المُحرمات من باد وحاضر، وتوقعنا حصول ذلك وانسلاخ أمر المُسلمين، فاستصحبنا ما ذكر وبنينا عليه، وأختار أهل الحل والعقد من حمولة آل سعود ومن عندهم ومن يليهم نُصب عبد الرحمن بن فيصل، وذلك صريح في عدم الالتفات منهم إلى ولاية غير ولاية آل سعود، ولهذا كتبنا الرسائل التي فيها الأخبار بالبيعة والنهي عن سلوك طريق الفتن والاختلاف، وأن يكون المسلمون يدًا واحدة، وذكرناهم قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) ونحو ذلك من الآيات، وبعضًا مما وورد من الأحاديث الصحيحات، فترك بعض من لديكم هذا المنهج وسلكوا طريقًا وعرة تفضي إلى سفك الدماء، واختلاف الكلمة، وتضليل من خالفهم ودعا بعضهم إلى ذلك واستحسنه من غير مشورة ولا بينة، ولم ينصحوا إخوانهم ويوضحوا لهم وجه الإصابة فيما اختاروه وارتضوه، وكان الواجب على من عنده علم أن ينصح الأمة وينصح أولاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المُسلمين وعامتهم، ويُكرر الحجة وينظر في الدليل ويُرشد الجاهل ويهدي الضال، بحسن البيان وتقرير صواب المقال، لكنهم أحجموا عن ذلك كله ولم يلتفتوا إلى المحاقة والله هو ولي الهداية، الحافظ الواقي من موجبات الجهل والغواية، وقد أوجب

الله البيان وترك الكتمان، وأخذ الميثاق على ذلك على من عنده علم وبرهان، هذه صورة الأمر وحقيقة الحال، وقد عرفتموه أولاً وآخرًا في المُكاتبات الواردة عليكم فلا يلتبس عليك الحال، ولا يشتبه سبيل الهدى بالجهل والضلال، واذكر قوله (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله وكفى بالله حسيبا).: إذا رضي الحبيب فلا أبالي *** أقام الحي أم جد الرحيل. وأما الصلح بين المُسلمين فهو من واجبات الإيمان والدين، ولكن يحتاج إلى قوة وبصيرة يحصل بها نفوذ ذلك والإجبار عليه، فإن وجدت إلى ذلك سبيلا فأذكره لي أولاً ولا تألوا جهدًا إن شاء الله فيما يكف الفتن ويصلح به بين المُسلمين، وأسأل الله أن يَمن بذلك، ويوفق هنالك، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم». ۞ - انتهى الاقتباس -

ولكن سُرعان ما سينقلب عبد اللطيف ويعود لمُبايعة عبد الله من جديد بعد أن توفي سعود، وقام بمُبايعة أخيه الأصغر عبد الرحمن، ثم عاد وبايع عبد الله، وفي هذا الشأن يتحجج عبد اللطيف بأنهُ رأى أحقية عبد الله بالحكم نظرًا لكبر سنه، ونسي أنهُ قد ثرب عليه استنصاره بالكفار، ولو كان هذا هو رأيه فعلاً، لبادر هو منذ البداية في دعوة عبد الله إلى تولي الحكم بعد وفاة الخصم العنيد سعود، ولكن تلك البيعات المُتتالية كانت تتم رغم أنف عبد اللطيف، فيضطر لمُبايعة المُتغلب رغم أنفه، ولا يجد أمامه سوى خلق الأعذار الواهية والحُجج الفارغة ليبرر تقلباته الموسمية وانقلاباته الدورية وتخاذله الدائم، بل يذهب أبعد من ذلك حينما يُقر أن كل المُبايعين هم من دائرة آل سعود فقط وكأنه يُعزي نفسه ويقول إنهُ لم يُبايع أي فرد خارج نطاق تلك الأسرة، وهذا بحد ذاته يُعتبر إنجازًا له حسب فهمه، وأنا على ثقة تامة لو تغلب أي شخص آخر خارج دائرة آل سعود على زمام الحكم، لوجدنا عبد اللطيف هذا أول المُبايعين

---

۞ كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣

رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

له بحكم قوة ذلك المُتغلب، وسيكون لديه من الحجج والتبريرات التي سيملأ بها الكُتب. وكما جرت عليه العادة نرى عبد اللطيف يُبرر في رسالة جديدة له موجهة إلى كل من الشيخ إبراهيم ورشيد بن عوين وعيسى بن إبراهيم وإخوانهم، حيث يوضح لهم فيها عن سبب مُساندته مُجددًا للإمام المخلوع عبد الله بن فيصل بعد أن زعم عبد اللطيف في السابق أنه استعان بالكفار والمُشركين؛ أي الأتراك؛ ودنس الجزيرة العربية بنجاساتهم، وذلك عندما طلب العون من قوات الدولة العثمانية التي يعتبرها عبد اللطيف دولة كافرة فاجرة، ولطالما كان عبد اللطيف يُحرض على عبد الله بن فيصل ويطعن به وفي عقيدته بعد هزيمته، وبات يؤيد بيعة سعود المُتغلب الذي كان يصفه سابقًا حينما كانت السلطة بيد عبد الله بالمارق والخارج عن بيعة ولي الأمر الشرعي والمُفرق للجماعة! ونرى عبد اللطيف يبرر بيعته لسعود ويجد الأعذار لخذلان عبد الله مُستندًا على الأحاديث والحوادث التي وقعت في الدولة الأموية والعباسية، ولكن حينما عاد عبد الله إلى الحكم مرة أخرى، انقلب عبد اللطيف إلى جانبه بحجة أن عبد الله قد ندم وأعلن التوبة، ولهذا بايعه!. وعن ذلك التذبذب وتلك التقلبات الوهابية يوثق لنا عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ بنفسه في رسالته الموجهة إلى بعض المشايخ، قائلاً:

« بسم الله الرحمن الرحيم \ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخ المُكرم الشيخ إبراهيم ورشيد بن عوين وعيسى بن إبراهيم ومحمد بن علي وإبراهيم بن راشد وعثمان بن رقيب وإخوانهم سلك الله بنا وبهم سبل الاستقامة، وأعاذنا وإياهم من سبل الخزي والندامة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد تفهمون أنهُ لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، وقد حصل من التفرق والاختلاف والخوض في الأهواء المُضلة ما هدم من الدين أصله وفرعه، وطمس من الدين أعلامه الظاهرة وشرعه، وهذه الفتنة يحتاج الرجل فيها إلى بصر نافذ عند ورود الشبهات، وعقل راجح عند حلول الشهوات، والقول على الله بلا علم، والخوض في دينه من غير دراية ولا فهم، فوق

الشرك واتخاذ الأنداد معه، وقد صار لديكم وشاع بينكم ما يعز حصره واستقصاؤه، فينبغي للمؤمن الوقوف عند كل همة وكلام، فإن كان لله مضى فيه وإلا فحسبه السكوت، وقد عرفتم حالنا في أول هذه الفتنة وما صدر لديكم من المُكاتبات والنصائح، وفيها الجزم بإمامة عبد الله ولزوم بيعته والتصريح بأن راية أخيه راية جاهلية عمية، وأوصيناكم بما ظهر لنا من حكم الله وحكم رسوله ووجوب السمع والطاعة، فلما صدر من عبد الله ما صدر من جلب الدولة إلى البلاد الإسلامية والجزيرة العربية، وأعطاهم الحسا والقطيف والخط، تبرأنا مما تبرأ الله منه ورسوله، وأشتد النكير عليه شفاهًا ومُراسلة لمن يقبل مني ويأخذ عني، وذكرت لكم أن بعض الناس جعله ترسًا ندفع به النصوص والأحاديث والآثار، وما جاء من وجوب جهادهم والبراء منهم وتحريم موادتهم وموآخاتهم من النصوص القرآنية، والأحاديث الصحيحة الصريحة النبوية، والقول بأنهم جاؤوا لنصرة إمام أو دين؟ قول يدل على ضعف دين قائله وعدم بصيرته، وضعف عقله وانقياده لداعي الهوى وعدم معرفته بالدول والناس، وذلك لا يروج إلا على سواسية الأعراب، ومن نكب عن طريق الحق والصواب. وأعجب من هذا نسبة جوازه إلى أهل العلم، والجزم بإباحة ذلك والصورة المُختلف فيها مع ضعف القول بجوازها وإباحتها والدفع في صدرها كما هو مبسوط في حديث "إنا لا نستعين بمُشرك" وهي صورة غير هذه ومسألة أخرى، وهذه الصورة حقيقتها تولية وتخلية وخيانة ظاهرة كما يعرفه من له أدنى ذوق ونهمة في العلم، لكن بعد أن قدم عبد الله من الأحساء ادعى التوبة والندم، وأكثر من التأسف والتوجع فيما صدر منه، وبايعه البعض، وكتب إلى ابن عتيق: أن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تهدم ما قبلها، فالواجب السعي فيما يُصلح الإسلام والمُسلمين، ويأبى الله إلا ما أراد (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) والمقصود كشف حقيقة الحال في أول الأمر وأخره، وقد تغلب سعود على جميع البلاد النجدية، وبايعه الجمهور، وسموه باسم الإمامة، وقد عرفتم أن أمر المُسلمين

لا يصلح إلا بإمام وأنهُ لا إسلام إلا بذلك، ولا تتم المقاصد الدينية ولا تحصل الأركان الإسلامية، ولا تظهر الأحكام القرآنية، إلا مع الجماعة والإمامة، والفرقة عذاب وذهاب في الدين والدنيا، ولا تأتي شريعة بذلك قط، ومن عرف القواعد الشرعية عرف ضرورة الناس وحاجتهم في دينهم ودنياهم إلى الجماعة والإمامة، وقد تغلب من تغلب في أخر عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطوه حكم الإمامة ولم يُنازعوا كما فعل ابن عمر وغيره، مع أنها أخذت بالقهر والغلبة وكذلك بعدهم في عصر الطبقة الثالثة تغلب من تغلب وجرت أحكام الجماعة والإمامة ولم يختلف أحد في ذلك، وغالب الأئمة بعدهم على هذا القبيل وهذا النمط، ومع ذلك فأهل العلم والدين يأتمرون بما أمروا به من المعروف، وينتهون عما نهوا عنه من المنكر، ويُجاهدون مع كل إمام كما هو منصوص عليه في عقائد أهل السُّنة، ولم يقل أحد منهم بجواز قتال المُتغلب والخروج عليه وترك الأمة تموج في دمائها وتستبيح الأموال والحرمات، ويجوس العدو الحربي خلال ديارهم وينزل بحماهم – هذا لا يقول بجوازه وإباحته إلا مُصابٌ في عقله، موتور في دينه وفهمه وقد قيل: لا يصلح الناس فوضى لا سُراة لهم *** ولا سُراة إذا جهالهم سادوا. بل هذا الحكم الديني يؤخذ من قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) لأنهُ لا يحصل القيام بهذا الواجب إلا بما ذكرنا وتركه مفسدة محضة، ومُخالفة صريحة، قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وفي الحديث "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه" لاسيما وقد نزل العدو بأطرافكم، واستخف الشيطان أكثر الناس وزين لهم الموالاة واللحاق بالمُشركين، وإسناد أمر الرياسة إليهم، وأنهم ولاة أمر يعرفون ويولون، وينصرون ويُنصبون، وأنهم جاؤوا لنصرة فلان كما ألقاه الشيطان على ألسن المفتونين، وصاروا بعد الترسم بالدين من جملة أعوان المُشركين، المُبيحين لترك جهاد أعداء رب العالمين، فما أعظمها من مكيدة، وما أكبرها من خطيئة، وما أبعدها عن دين الله ورسوله (ولكن

أكثر الناس لا يعلمون) وما صدر من بعض الإخوان من الرسائل المُشعرة بجواز الاستنصار بهم وتهوين فتنتهم، والاعتذار عن بعض أكابرهم زلة لا يرقى سليمها، وورطة قد هلك وضل زعيمها. وما أحسن قوله (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) فاقبلوا وامتثلوا موعظة ربكم وجاهدوا في الله حق جهاده، وقد أجمع المسلمون على جهاد عدوهم مع الإمام سعود وفقه الله، وقد قرر أهل السُّنة في عقائدهم أن الجهاد ماضٍ مع كل إمام وهو فرض على المشهور، أو ركن من أركان الإسلام لا يبطله جور جائر. قال بعض السلف: لما لامه بعض الناس على الصلاة خلف المُبتدعة، إن دعونا إلى الله أجبنا، وإن دعونا إلى الشيطان أبينا، وفي الحديث "جاهدوا المُشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم"، وفقنا الله وإياكم للجهاد في سبيله والإيمان بوعده وقوله، واحذروا المراء والخوض في دين الله بغير علم، فإنه من أسباب الهلاك كما صح بذلك الحديث عن رسول ﷺ». ۞ -انتهى الاقتباس-

ومن يطلع على الرسالة أعلاه، سيعتقد أن للمفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن هذا شخصية مُستقلة وموقف حازم جازم وصارم تجاه المُتصارعين على الحكم كما يزعم، حيث يقول إنهُ قد تبرأ من أفعال سيده السابق عبد الله مثلما تبرأ الله منه ورسوله، وأشتد عليه بالنكير، لأنه -أي عبد الله بن فيصل- طلب العون والنصرة من قبل الدولة العثمانية وجلب قواتهم إلى الجزيرة العربية، والحقيقة أن عبد اللطيف دجال مُخاتل، فهو تعود أن يميل ويصطف مع الطرف القوي ويطعن بالخصم المُنهار، فهو كان مع إمامه عبد الله حينما كان الأخير قويًا نافذًا، ثم انقلب عليه واصطف مع سعود بعد أن اتضح له ضعف وخوار عبد الله ولمس شراسة وهيمنة وبطش سعود، ثم عاد وارتمى بأحضان عبد الله بعد أن استعاد قوته، وغفر له كل ما تقدم منه من زعم الاستعانة بقوات الدولة الكافرة المُشركة.

---

۞ كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\
رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

ولدينا مثل صارخ ورادع لكل من يُحاول أن يُعارض سلطة آل سعود أو يرفض بيعة أحدهم حتى ولو كانت برقبته بيعة جارية لعم طالب البيعة الجديدة، فما بالك وهذا الأمير السعودي الطامح لم يتغلب بعد، حيث يروي لنا ابن عيسى ما جرى لأمير أشيقر عبد الله بن عثمان الحصيني، الذي أراد عبد الله بن سعود بعد وفاة أبيه أن يأخذ منه أموال الزكاة ويرغمه على الجهاد معه ضد عمه عبد الله بن فيصل، فتورط عبد الله الحصيني الذي كان قد سلَّم الزكاة إلى عبد الله بن فيصل، فأبلغ عبد الله بن سعود بالأمر وأخبره أنك متى ما تغلبت على عمك عبد الله بن فيصل سيكون لك منا السمع والطاعة، ومع هذا لم يسلم من شر عبد الله بن سعود! فقد كظم غيظه عبد الله بن سعود ثم استدرجه معه وأمسك بيده وكأنه يُريد أن يُصلي معه، وفجأة أمر عبيده المتأهبين عند الباب أن يقتلوه بالسيف هو ومن كان معه.

وعن تلك الحادث الشنيعة، يذكر ابن عيسى في كتابه:

« ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائتين والألف: وكان أمير بلد أشيقر إذ ذاك عبد الله بن عثمان الحصيني، وكان محمد بن علي بن بصيص ومن معه من بادية برية (قبيلة مطير) قاطنين على جوا أشيقر إذ ذاك ومعهم عبد الله بن سعود بن فيصل، وعدة رجال من خدامه يطلب منهم المُساعدة والقيام على عمه "الإمام" عبد الله بن فيصل. فدخل عبد الله بن سعود المذكور البلد ومعه عدة رجال من خدامه ومن برية (مطير) وطلب من الأمير عبد الله بن عثمان الحصيني الزكاة والجهاد؟ فقال له (الحصيني): أخذ ذلك عمك (عبد الله بن فيصل) وفي رقبتي له بيعة وعهد، وإن كانت لكم الغلبة عليه فنحن لكم في السمع والطاعة. وحضرت صلاة العصر فقاموا من مجلسهم، وقبض عبد الله بن سعود على يد الأمير عبد الله الحصيني المذكور، وعلى يد عبد الرحمن بن إبراهيم الخراشي وجعل يُحدثهما وهما يمشيان معه ومشى معهم عبد العزيز بن إبراهيم الحصيني، فلما وصلوا إلى الباب الذي يخرج على الجو أمر (عبد الله بن سعود) على من معه من الخدام بقتلهم، فقتل الأمير عبد الله

الحصيني المذكور، وابن أخيه عبد العزيز بن إبراهيم بن عثمان الحصيني، وجرح عبد الرحمن بن إبراهيم الخراشي جراحات فانفلت منهم، وانهزم إلى الجو ودخل بيت ماجد بن بصيص وطرح نفسه فيه، فمنعهم عنه، ثم إنه أعطاه مائة ريال، وأوصله إلى بيته في البلد، وكان عبد الله بن عثمان الحصيني المذكور أحد أفراد الدهر رأيًا وعقلاً، وشجاعة، رحمه الله».۞

وهذا يدل على أن بطولات وادعاءات عبد اللطيف غير صحيحة ومُبالغ فيها، وإلا كان سيُصبح لقمة سائغة لعبد الله بن فيصل أو لأخيه سعود، وسيكون ضحية لرأيه؛ كما حدث مع أمير أشيقر عبد الله الحصيني، وهو يعلم جيدًا عاقبة الامتناع عن مُبايعة كل واثب ومُتغلب من آل سعود، ولكنهُ يُحاول أن يظهر نفسه بمظهر الرافض والناقم والمُنقذ الحريص على سلامة الناس، ونستشف ذلك من خلال رسالته الترقيعية التي أرسلها إلى أهل الحوطة من بني تميم الذين كانوا قد وقفوا في صف ولي الأمر الشرعي المزعوم عبد الله بن فيصل ضد أخيه سعود بناءً على فتوى ورأي ومشورة من شيخهم عبد اللطيف نفسه، ثم سرعان ما صدموا بانقلاب المُفتي عبد اللطيف على فتواه السابقة وتفريطه ببيعة ولي الأمر، ولهذا فقد استغربوا من تقلباته وتخليه عن ولي الأمر الشرعي عبد الله ومن ثم مُبايعته للمارق سعود!. ومن خلال تلك الرسالة سنلاحظ كيف أن عبد اللطيف يُحاول قدر المُستطاع أن يُبرر لهم سبب انقلابه المُفاجئ وتخاذله ووقوفه إلى جانب سعود، مرة بحجة ضعف وخوار عبد الله بن فيصل وعدم قدرته على الانتصار على سعود، وأخرى بحجة الخشية من انتقام سعود والخوف من قيامه بتدمير واستباحة الرياض وهتك الأعراض، ثم يعود فيزعم أن سبب تأييده لسعود هو بسبب تدخل جيوش الدولة وإرسال تلك الحملة لاحقًا لدعم شرعية عبد الله، ولأن عبد اللطيف يعتبر

---

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر\ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي..

دولة الخلافة الإسلامية دولة كافرة ومُشركة، وهو يُبرر هنا سبب مُبايعته لسعود لأن الأخير سيقف ضد الأتراك وسيُعلن الجهاد عليهم ويُحارب دولتهم دولة الكفر والشرك المزعومة، علمًا أن دولة الخلافة لم ترسل قواتها لدعم عبد الله إلا بعد فراره وانهزامه من الرياض، ومعروف أن البوادر الأولى لتخلي عبد اللطيف عن بيعته لولي أمره السابق عبد الله بن فيصل بعد أن انهزم في معركة "جودة" أمام قوات أخيه سعود، وبهذا بدأ يناور ويُبرر أفعاله تلك وبات يتقلب حسب اتجاه الريح فحيث مالت يميل معها عبد اللطيف وأتباعه، حيث يقول في رسالته إلى بني تميم مُبررًا، فيقول:

« بسم الله الرحمن الرحيم \ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الإخوان من بني تميم. سلمهم الله تعالى: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو على نعمه، وعلى أقداره وحكمه، ونسأل الله على أن يُحسن عزاءنا وعزاءكم في الشيخ عبد الملك بن حسين غفر الله ذنبه ورحمه ورفعه في المقربين درجته، وما ذكرتم من جهة حالكم مع عبد الله وصدقكم معه صار معلومًا، نسأل الله لنا ولكم التوفيق. وقد بذلنا الاستطاعة في نصرته، حتى نزل بالمُسلمين ما لا قبل لهم به، وخشينا على كافة المُسلمين من أهل البلد من السبي وهتك الأستار وخراب الدين والدنيا والدمار، ونزلنا وسعينا بالصلح بإذن من عبد الله في الصلح وألجأتنا إليه الضرورة ودفعنا عن الإسلام والمُسلمين ما لا قبل لهم به، فإن يكُ صوابًا فمن الله، وإن يك خطأ فمنا ومن الشيطان، وفي السِيّر ما يؤيد ما فعلناه، وينصر ما انتحلناه، وقد صالح أهل الدرعية وآل الشيخ وعلماؤهم وفقهاؤهم على الدرعية لما خيف السبي والاستئصال (يقصد تسليم الدرعية لإبراهيم باشا)، وعبد الله ظهر بمرحلة البلد ونزل الحائر ولم يحصل منه نصر ولا دفاع، (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، ثم بلغنا أن الدولة ومن والاهم من النصارى وأشباههم نزلوا على القطيف يزعمون نصرة عبد الله وهم يريدون الإسلام وأهله، وحضينا سعود على جهادهم ورغبناه في قتالهم، وكتبنا لبلاد

المُسلمين بذلك، قال الله تعالى (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) والعاقل يدور مع الحق أينما دار، وقتال الدولة والأتراك والإفرنج وسائر الكفار من عظم الذخائر المُنجية من النار، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والسلام. وصلى الله على محمد وصحبه وسلم». [۞] - انتهى الاقتباس -

ولعبد اللطيف آل الشيخ رسالة مُختصرة أخرى موجهة إلى حمد بن عتيق الذي بُهت هو الآخر من تقلبات وانقلابات عبد اللطيف الموسمية، فمرة يجده يُبايع عبد الله بن فيصل ويحث على طاعته ويحذر من مروق سعود ويخرجه عن الملة، ثم يعود ويُبايع سعود بن فيصل ويُحرضه على قتال أخيه عبد الله ومن معه من الكفار؛ كما يسميهم؛ ويقصد بهم قوات الدولة العثمانية، ثم يعود ويُبايع الأخ الأصغر عبد الرحمن بعد موت سعود نكاية في عبد الله، ولكنه سرعان ما يتراجع ويُبايع عبد الله بحجة أنهُ ندم وتاب على ما أقدم عليه من استعانته بالكفار!

لذا فلن نجد جديدًا في رسالة عبد اللطيف، فقد كان تبريره لابن عتيق شبيه بتبريره لأهل حوطة بني تميم، حيث زعم أنهُ خشي من بطش سعود بأهل البلاد وخاف أن يهتك أعراضهم، وأنهُ بايعه لكي يُقيم الجهاد على الكفار، وهو يعزف هنا على وتر التحريض الديني، حيث يوغر صدر ابن عتيق ويحرِّضه لكي يقف معه ضد فتوى ابن عجلان، ولكن عبد اللطيف سرعان ما عاد وخذل الشيخ حمد بن عتيق وبايع عبد الله وقلب ظهور المجن لكل من ناصروه وأيدوه في عدائه لعبد الله! فكانت حجة عبد اللطيف المزعومة في ارتمائه في أحضان عبد الله بعد ذلك التحريض والتقريض ضده، أن عبد الله بن فيصل قد تاب وثاب إلى رشده، علمًا أن عبد اللطيف يكذب كذبًا صريحًا فيدعي أنهُ تخلى عن سيده عبد الله لأنهُ أقدم على مُكاتبة الدولة العلية لغرض

---

[۞] كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\
رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

مساندته ودعمه، وهذا مُخالف للواقع، لأن عبد اللطيف أحقر من أن يخلع البيعة في وجود عبد الله، بل كان يأتي صاغرًا ويُقدم البيعة لكل من يتغلب دون الحاجة لخلع الأول، وهذا الحال معلوم ومعروف من خلال رسائل عبد اللطيف نفسه، حيث صرَّح أكثر من مرة أن السبب الرئيس وراء تخليه عن ولي أمره عبد الله هو بسبب تغلب سعود عليه، وعجز عبد الله وعدم قدرته على صد قوات سعود. وهنا نستشف أن عبد اللطيف كان يكذب في رسائله، ويدعي ادعاءات باطلة كان الغرض منها الدفاع عن مواقفه السابقة والنفاح عن نفسه وليس الدافع من ورائها هو خدمة الدين والناس كما يزعم.

حيث يقول في رسالته التبريرية الموجهة إلى ابن عتيق:

« بسم الله الرحمن الرحيم - من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخ المُكرم\ حمد بن عتيق سلمه الله تعالى ونصر به شرعه ودينه، وثبت إيمانه ويقينه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فأحمد إليك الله الذي لا إله ألا هو على حلو نعمه، ومر بلوائه وبديع حكمه، والخط وصل وما ذكرت صار معلومًا وكتبت لك خطًا أولاً على نشر النصائح. وكتب الرسائل لأني استعظمت ما فعل سعود من خروجه على الأمة وإمامها بضرب برها وفاجرها، إلا من أطاعه وانتظم في سلكه، وعبد الله له بيعة وله ولاية شرعية في الجُملة، ثم بعد ذلك بدا لي منه أنهُ كاتب الدولة الكافرة الفاجرة، واستنصرها واستجلبها على ديار المُسلمين، فصار كما قيل: والمُستجير بعمرو عند كربته *** كالمُستجير من الرمضاء بالنار. فخاطبته شفاهًا بالإنكار والبراءة، وأغلظت له بالقول: إن هذا هو هدم لأصول الإسلام وهدم لقواعده، وفيه، وفيه، وفيه مما لا يحضرني تفصيله الآن، فأظهر التوبة والندم وأكثر الاستغفار. وكتبت على لسانه لوالي بغداد أن الله قد أغنى ويسر وأنقاد لنا من أهل نجد والبوادي ما يحصل به المقصود إن شاء الله، ولا حاجة لنا بعساكر الدولة، وكلام من هذا من الجنس، وأرسل الخط فيما أرى، وتبرأ مما جرى، فأشتبه عليّ أمره وتعارضا عندي - موجب إمامته ومُبيح خلعه- حتى نزل سعود بمن معه من أشرار نجد وفُجارها

ومنافقيها، فعثا في الأرض بسفك الدماء، وقطع الثمار وإخافة الأرامل والمُحصنات وانتهاك حرمة اليتامى والأيامى. هذا وأخوه منحصر في شعب الحائر، وقد ظهر عجزه واشتهر، وأهل البلد معهم من الخوف ومحبة المسارعة إليه ما قد عرف. فرأيت من المُتعين على مثلي الأخذ على يد أهل البلاد، والنزول إلى هذا الرجل والتوثق منه ودفع صولته، حقنًا لدماء المُسلمين وصيانة لعوراتهم ونسائهم، وحماية لأموالهم وأعراضهم، وكان لم يعهد لي شيئًا ولكن الأمر إذا لم يُدرك كان الرأي فيه أصوبه وأكمله وأعمه نفعًا. فلما واجهت سعودًا وخاطبته فيما يصلح الحال بينه وبين أخيه، اشترط شروطًا ثقالاً على أخيه ولم يتفق الحال فصارت الهمة فيما يدفع الفتنة، ويجمع الكلمة، ويلم الشعث ويُستدرك البقية، وخشيت من عنوة على البلدة يبقى عارها، بعد سفك دمائهم ونهب أموالها، والسِفاح بنسائها. لما رأيت أسباب ذلك متوفرة، وقد رفع الإيمان بالله ورسله والدار الآخرة. وخرج عرفاؤه المعروفون من رجالها فبايعوا سعودًا بعدما أعطاهم على دمائهم وأموالهم مُحسنهم ومُسيئهم عهد الله وأمانه عهدًا مُغلظا. فعند ذلك كتبت إليك الخط الثاني بما رأيت من ترك التفرق والاختلاف ولزوم الجماعة. وبعد ذلك أتانا النبأ الفادح الجليل والخطب الموجع العظيم، الذي طمس أعلام الإسلام، ورفع الشرك بالله وعبادة الأصنام، في تلك البلاد التي كانت للإسلام ظاهرة، ولأعداء الملة قاهرة. وذلك بوصول عساكر الأتراك واستيلائهم على الحسا والقطيف يقدمهم طاغيتهم داود بن جرجس، داعيًا إلى الشرك بالله وعبادة إبليس، فانقادت لهم تلك البلاد، وأنزلوا العساكر بالحصون والقلاع، ودخلوها بغير قتال ولا نزال، فطاف بهم إخوانهم من المُنافقين، وظهر الشرك برب العالمين، وشاعت مسبة أهل التوحيد والدين، وفشا اللواط والمسكر والخبث المُبين، ولم ينتطح في ذلك شاتان، لما أوحاه وزينه الشيطان، من أن القوم أنصار لعبد الله بن فيصل. فقبل هذه الحيلة من آثر الحياة الدنيا وزينتها، على الإيمان بالله ورسله وكف النفس عن هلاكها وشقاوتها، وبعضهم يظن أن هذه

الحيلة لها تأثير في الحكم، لأنهم لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. بل بلغني أن بعض من يدعي طلب العلم يحتج بقول شاذ مطرح (يقصد محمد بن عجلان)، وهو أنهُ يجوز لولي الأمر أن يستعين بالمُشرك عند الحاجة، ولم يدر هذا القائل أن هذا القول يحتج قائله بمرسل ضعيف مدفوع بالأحاديث المرفوعة الصحيحة، وأن قائله اشترط أن لا يكون للمُشركين رأي في أمر المُسلمين ولا سلطان، لقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فكيف بما هو أعظم من ذلك وأطم من الانسلاخ الكُلي والخدمة الظاهرة لأهل الشرك. إذا عرفت هذا عرفت شيئًا من جناية الفتن وإن منها قلع قواعد الإسلام ومحو أثره بالكلية. وعرفت حينئذٍ أن هذه الفتنة من أعظم ما طرق أهل نجد في الإسلام، وأنها شبيهة بأول فتنة وقعت فيه، فالله الله في الجد والاجتهاد، وبذل الوسع والطاقة في جهاد أعداء الله وأعداء رُسله، قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) إلى أمثال ذلك في القرآن يعرفها الخبير بهذا الشأن. هذا ما عندي في هذه الحادثة قد شرحته وبسطته كما ذكرت لي ما عندك. وأسأل الله أن يهديني وإياك إلى صراطه المُستقيم، وأن يمن علينا وعليك بمُخالفة أصحاب الجحيم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم».[۞] - انتهى الاقتباس -

ومن خلال تلك الرسالة استطاع عبد اللطيف أن يُحرِّض حمد بن عتيق على محمد بن عجلان، فنشب صراع فقهي مرير بين ابن عتيق وابن عجلان، ونسي الجميع أمر تقلبات المُفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن حيث أشغلهم بالخلافات الفقهية من خلال رسائله المُستمرة، كما نلمس هنا أيضًا من خلال فحوى رسالة عبد اللطيف تلك النظرة الشوفينية المُتعالية والقاصرة ضد بقية الشعوب الإسلامية الأخرى ، فهو يعتقد أن لا إسلام حقيقي في هذه الدنيا إلا

---

[۞] كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\
رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

إسلامه الوهابي فقط، ولا وجود للمؤمنين الأتقياء إلا في نجد وربما في إقليم العارض فقط وفي الرياض تحديدًا، وعليه فلا يجوز مُبايعة أي حاكم إلا أن يكون من أفراد أسرة آل سعود حصرًا، لأنهم هم فقط من يستحق أن يكونوا أولياءً أمور له ولغيره، وإلا فلا!.

وآل سعود الذين مغرم بهم عبد اللطيف هم نفسهم الذين تارة يصفهم بالخوارج وبالسفاحين وسفاكي الدماء، وأخرى يصفهم بالأئمة وولاة الأمر المُبايعين، وسنلاحظ جليًا كيف يصف عبد اللطيف دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول بأنها دولة كافرة فاجرة، وهو خروج صريح على اتفاق وإجماع الأمة وتفريق مُتعمد للجماعة وسعي واضح لتمزيق صف المُسلمين في أرجاء المعمورة، حيث يُصنف دخول قوات الخلافة الإسلامية إلى الأحساء والقطيف والتي كانت بطلب شخصي من ولي أمره عبد الله بن فيصل، ويصف هذا الأمر بـ"النبأ الفادح الجليل والخطب الموجع العظيم، الذي طمس أعلام الإسلام، ورفع الشرك بالله وعبادة الأصنام"!.

ثم يعود ويقول إنهُ قد استمع لبعض أدعياء العلم الشرعي (المقصود هو ابن عجلان ومؤيدوه) ورأى أنهم يحتجون بأقوال شاذة، ويفتون بجواز أن يستعين ولي الأمر بالمُشركين عند الحاجة، ثم يفند عبد اللطيف هذا القول، مُذكرًا أن هذا القول ضعيف جدًا وهزيل وتدحضه الأحاديث النبوية الصحيحة، التي تشترط أن لا يكون للمُشركين أي رأي في أمر المُسلمين وأن لا يكون لهم أي سلطان عليهم، وينسى عبد اللطيف ومن وراءه أن قولهم يجوز لولي الأمر ولا يجوز له، هو غير وارد في ما يتعلق بمصلحة الإسلام، فكل ما يتعلق بالدين الإسلامي هو ليس من مهام السلطان ولا هو خاضع لقرار أو رأي ولي الأمر المزعوم، فمثل تلك القضايا المصيرية المُتعلقة بوحدانية وهيبة وعظمة الدين الإسلامي السماوي، تُطرح شرعًا من باب هل يحل للدين الإسلامي أن يُعان ويُنصر من قبل الكفار والمُشركين، أو أن الدين الإسلامي محفوظ ومحمي

ومُحصن من رب السماء، وأتباعه قادرون على حماية رايته والدفاع عن بيضته، ولا يجوز الاستعانة لنصرة الإسلام بأي مُشرك كان؛ لأن إيكال أمر عظيم كالدين الإسلامي؛ الذي يتبعه خلق كثير ويضم أمم شتى تحت مظلته؛ إلى مزاج وأهواء البشر وتهميش رسالة الإسلام وجعلها أداة طيعة بيد أشخاص مهما كانت منزلتهم، سوف يجعل من هذا الدين مطية للبشر ووسيلة للأشخاص، كلٌّ يُسّيره حسب أهدافه ومصلحته. وهذا هو الفرق بين أن يستعين الحاكم الدنيوي بالمُشركين لتحقيق أهوائه ومصالحه الآنية ورغباته الشخصية متذرعًا بالإسلام، وبين ثبات الدين الإسلامي ونقائه ورسوخه، فلا يحتاج إلى حامي أو من يُعينه من كفار ومُشركين الذين هم يسعون بدورهم وبكل ما أتوا من قوة لإزالة الإسلام وإطفاء نوره الرباني.

وهذه أيضًا رسالة أخرى مُرسلة من قبل عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى عبد الرحمن بن إبراهيم أبي الغنيم، يُقرعه ويُحذره فيها من اتخاذ أو إتباع فتوى محمد بن عجلان التي أطلق عليها عبد اللطيف اسم "حبالة الشيطان"، حيث يُهاجم فيه منهج ابن عجلان الذي أحلَّ فيها لعبد الله بن فيصل الاستعانة بقوات الدولة ضد أخيه سعود، ويدافع فيها عبد اللطيف عن سعود ويُبرر مبدأ خروجه بالسيف على سلطة أخيه عبد الله ويعتبره حاكم مُتغلب ولا يجوز الخروج عليه أو نزع اليد عن طاعته، حيث يقول:

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخ عبد الرحمن بن إبراهيم أبي الغنيم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والخط وصل وصلك الله بالفقه والبصيرة، وأصلح لك العمل والسيرة، وما ذكرت من المحبة والمودة فما كان لله يبقى وإن طال الزمان به ويذهب ما سواه والذي أوصيك به تقوى الله تعالى والنظر في سبب ما جرى عند هذه الفتنة الظلماء من المُهاجرة بيننا والمُقاطعة وشرحه لك فيه تذكرة وموعظة. لما وقعت الفتنة نأيت يُجانبك عن الاسترشاد والاستفادة، واستحسنت المراء في الدين

واللجاجة، صدر ذلك منك في غير مجلس، حتى أسأت الأدب في السوق وخاطبتني خطاب من لا يدري الحقائق، ولا يهتدي لأوضح المسالك والطرائق، ونظرت بعين وغضمت الأخرى، ونكبت عما هو الأولى بالإصابة والأحرى، وأقبلت في تلك الأيام على الملأ المفتونين بخطوط العساكر التي وصلت إلى بلدتنا وأنت تدري ما فيها من الصد عن سبيل الله وهدم دينه ومطردات أوليائه، والتنويه بذكر أعداء الله ورسله والدعوة إلى طاعتهم والدخول تحت أمرهم وتخويف المُسلمين منهم، وقد صرح كثير من الناس بالدخول تحت أمرهم، وظهر الفرح والسرور من كثير ممن يدعي الإسلام. وأنت أيها الرجل ممن يتردد إلى هؤلاء المفتونين ويأنس ببعضهم ويُصغي إلى شبهاتهم وجهالاتهم، ولم تلتفت إلى بحث ومحاقة ولا استرشاد كما هو الواجب لله عند تلك الفتنة والشبهات، لكنك غلبت جانب الهوى وأكثرت تلك الأيام من مُجالسة من يضر ولا ينفع، ولا يَنِي عن إغوائه ولا ينزع، وقد جاء في الأثر: إن من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة، فكيف بما هو أكبر من البدعة وأعظم. ولم يبلغني عنك تلك الأيام ما يسرني من قيام لله ونصرة لدينه اللهم ما جرى على لسانك من دعوى البراءة من الشرك وأهله على سبيل الإجمال لا التفصيل، وقد علم الله أن العبرة بالحقائق، وليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. ولم تزل على ما وصفنا مع من طار، وتغير علينا بالتخطئة والمراء مع من أغار، ومثلك كان يُظن به الخير ويأسى عليه الصاحب، وأنت وإن لم تكن كل الفقيه والطالب، فقد حنكتك التجارب، وقعدتك الحوادث والمذاهب، لولا ما عارضها من صحبة جلساء السوء الذين يدعونك إلى أهوائهم وأغراضهم الفاسدة، لاسيما أخصهم لديك، وأحبهم إليك، فإنه كما قيل: المَسُّ مَسُّ أرنب، والطبع طبع ثعلب. وقد اتهم بالسعي فيما يقوي عضد المشركين، ويوهن عزم الموحدين، وإلى الله المصير، وهو الحَكَم بيننا وبين مَن أعان على هدم الإسلام من صغير وكبير، مأمور وأمير. وأيضا فأهل الأحساء قد اشتهر حالهم، وأنهم ألقوا السلم إلى

عساكر الدولة واختاروا ولايتهم، وصرحوا بطاعتهم، ونصروهم بالقول وعاملوهم معاملة الأخ مع أخيه، بل جاءت خطوط التجار المترفين أولي النعمة بتزكيتهم والثناء عليهم، وانتصب ولدك لخدمتهم وقضاء حوائجهم، ولم يظهر لي منك قيام بحق الله عند هذه الدواهي العظام، التي تمانع الإيمان والقرآن والإسلام، وتنثر منه عقد النظام، والله أعلم بسرك، وهو الرقيب عليك، لكني أحكي ما ظهر لي منك ذاك الوقت. وقد أظهر أثر ما ذكرنا، وعقوبة ما إليه أشرنا، بإقبالك واشتغالك بحبالة الشيطان (رسالة ابن عجلان) فطرتَ بها طيران من لا يلوي على أهل ولا صاحب، كأنها العهد الرباني والوصية النبوية، واشتغلت بقراءتها وسماعها مع جماعة من العوام والصبيان وتلك الرسالة دهليز يفضي إلى استباحة موالاة المشركين، والاستنصار بهم على المسلمين، والحكم على أهل عصر شيخ الإسلام ابن تيمية من أهل مصر والشام بالشرك والمكفرات، وفيها: أن جَلْب عُبَّاد الأصنام إلى بلاد الإسلام والاستعانة بهم على مَن خرج عن الطاعة ليس بذنب، ولولا أن حجاب الجهل والهوى أكثف الحجب وأغلظها لتبين شناعةُ ما فيها للناظرين من أول وهلة وبمجرد الفطرة (شعر): أكل امرئ تحسبن امرءا *** ونار توقد في الليل نارا. ثم هنا مسألة أخرى، وداهية كبرى، دَهَى بها الشيطانُ كثيرا من الناس فصاروا يسعون فيما يفرق جماعة المسلمين، ويوجب الاختلاف في الدين، وما ذمه الكتاب المبين، ويقضي بالإخلاد إلى الأرض وترك الجهاد ونصرة رب العالمين، ويفضي إلى منع الزكوات، ويُشِبُّ نار الفتن والضلالات، فتلطف الشيطان في إدخال هذه المكيدة ونصب لها حُجَجًا ومقدمات، وأوهمهم أن طاعة بعض المتغلبين فيما أمر الله به ورسوله من واجبات الإيمان وفيما فيه دفعٌ عن الإسلام وحماية لحوزته لا تجب، والحالة هذه ولا تشرع، ولم يدر هؤلاء المفتونون أن أكثر ولاة أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية – حاشا عمر بن عبد العزيز، ومن شاء الله من بني أمية – قد وقع منهم ما وقع من الجراءة والحوادث العظام، والخروج والفساد

في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزعون يدا من طاعة فيما أمر الله به ورسوله من شرائع الإسلام وواجبات الدين. وأضرب لك مثلا بالحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اشتهر أمره في الأمة بالظلم والغَشَم، والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمات الله، وقتل من قتل من سادات الأمة كسعيد بن جبير، وحاصر ابن الزبير وقد لاذ بالحرم الشريف، واستباح الحرمة، وقتل ابن الزبير مع أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة وبايعه عامة أهل مكة والمدينة واليمن وأكثر سواد العراق، والحجاج نائب عن مروان ثم عن ولده عبد الملك، ولم يعهد أحد من الخلفاء إلى مروان، ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم في طاعته والانقياد فيما تسوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته. وكان ابن عمر ومن أدرك الحجاج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينازعونه ولا يمتنعون من طاعته فيما يقوم به الإسلام ويكمل به الإيمان، وكذلك من في زمنه من التابعين كابن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وإبراهيم التيمي وأشباههم ونُظَرَائِهم من سادات الأمة. واستمر العمل على هذا بين علماء الأمة من سادات الأمة وأئمتها، يأمرون بطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله مع كل إمام بر أو فاجر، كما هو معروف في كتب أصول الدين والعقائد. وكذلك بنو العباس استولوا على بلاد المسلمين قهرا بالسيف لم يساعدهم أحد من أهل العلم والدين، وقتلوا خلقًا كثيرًا وَجَمعًا غفيرًا من بني أمية وأمرائهم ونُوَّابهم، وقتلوا ابن هبيرة أمير العراق، وقتلوا الخليفة مروان، حتى نُقِلَ أن السفاح قَتَلَ في يوم واحد نحو الثمانين من بني أمية، ووضع الفرش على جثثهم وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب، ومع ذلك فسيرة الأئمة كالأوزاعي ومالك والزهري والليث بن سعد وعطاء بن أبي رباح مع هؤلاء الملوك لا تخفى على مَن له أدنى مشاركة في العلم والإطلاع. والطبقة الثانية من أهل العلم: كأحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل ومحمد بن إدريس، وأحمد بن نوح وإسحاق بن راهويه وإخوانهم وقع في

عصرهم من الملوك ما وقع من البدع العظام وإنكار الصفات، ودعوا إلى ذلك، وامتحنوا فيه، وقتل من قتل كمحمد بن نصر، ومع ذلك فلا يعلم أن أحدا منهم نزع يدا من طاعة، ولا رأى الخروج عليهم. وإلى الآن يبلغني عنك أنك تميل إلى ذلك الضرب من الناس الذين وصفنا حالهم فرضيت بهم في أمر دينك، وضربت عن سيرة الأئمة صَفْحًا، وطويتَ على هجرها كَشْحًا، فإن تبينَ لك هذا، ومَنَّ الله عليك بمعرفته، فأنت أخونا وصاحبنا القديم العهد، والجُرْح جُبَار، ولا حَرَج ولا عار. وإن بقيت عندك شبهة أو جادل مُجادل، فاكتب واسأل كشفها ولا تكتمها، فإني أخشى عليك قطاع الطريق، لاسيما مع فقد الرفيق والعدة، فإن حاك في صدرك شيء فأَكْثِرْ من التضرع إلى الله والتوسل بالأدعية المأثورة، ومنها ما في حديث ابن عباس - حديث الاستفتاح - وكرر النظر فيما اشتمل عليه تاريخ ابن غنام من كلام شيخ الإسلام فقد بسط هذه المسألة في رسائله واستنباطه ورأيت له عبارة يَحْسُنُ ذكرُهَا قال لما اختلف الناس بعد مقتل عثمان: "وبإجماع أهل العلم كلهم لا يقال فيهم إلا الحسنى مع أنهم عَثَوْا في دمائهم، ومعلوم أن كلا من الطائفتين معتقدة أنها على الحق، والأخرى ظالمة، ونبغ من أصحاب علي مَن أشرك بعلي، وأجمع الصحابة على كفرهم وردتهم وقتلهم، أترى أهل الشام لو حملتهم مخالفةُ عَلِيٍّ عَلَى الاجتماع بهم والاعتذار عنهم والمقاتلة معهم، لو امتنعوا أترى أن أحدًا من الصحابة شك في كفر مَن التجأ إليهم، ولو أظهر البراءة من اعتقادهم، وإنما التجأ إليهم لأجل الاقتصاص من قتلة عثمان؟ قال فتفكر في هذه القصة، فإنها لا تُبْقِي شبهةً إلا على مَن أراد الله فتنته». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما وجَّه عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رسالة إلى زيد بن محمد بن سليمان ، كان يحثه فيها على الوقوف في وجه أتباع الشيخ محمد بن عجلان

---

۞ كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\
رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

ويُدافع عن موقف الشيخ حمد بن عتيق الذي كان قد خالف فتوى ابن عجلان ـكما مرَّ معناـ واعتبره مُرتدًا عن الإسلام، وقد تعرض حمد بن عتيق لهجوم ضاري من قبل المشايخ المؤيدين لابن عجلان، وهنا نجد عبد اللطيف وقد اصطف مع الشيخ حمد بن عتيق نكاية بابن عجلان وهو يُعطي العذر لحمد بن عتيق حينما جعل ابن عجلان مُرتدًا عن الدين، لأن الأخير سبق وأن أفتى لعبد الله بن فيصل بجواز الاستعانة بقوات الدولة العثمانية لتخليص مُلكه من سطوة أخيه المتغلب سعود، وهنا يُبرر عبد اللطيف موقف حمد بن عتيق، ويُطلب من البقية احترامه وتوقيره وعدم الانجرار خلف فتوى ابن عجلان، ويُحذرهم من حبالة الشيطان، حيث يقول:

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن، إلى الأخ زيد بن محمد آل سليمان، حفظه الله من طوائف الشيطان، وحماه من طوارق المحن والافتتان، وجعله من عسكر السنة والقرآن. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على سوابغ نعمائه، ولطفه عند قدره وقضائه، والخط [*] وصل وصلك الله ما يرضيه ووفقك لجهاد من يناويه ويُعاديه، وما ذكرت من حال الأخ صالح فهو عند الإمام مكين يحسن الدخول في الأمر والخروج وما ذكرت من جهة ما يلقى إليك من الخطوط فلا بأس بإرسالها إلى في هذه المحنة من الشبه، فقد عرفت أن الفتنة بالمشركين فتنة عظيمة، وداهية عمياء ذميمة، لا تبقي من الإسلام ولا تذر، لاسيما في هذا الزمان الذي فشا فيه الجهل، وقبض فيه العلم، وتوافرت أسباب الفتن، وغلب الهوى، وانطمست أعلام السنن، وابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا، وعند ذلك؛ (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخرة وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) وقد شاع ما الناس فيه من الخوض والمراء، والاضطراب والإعراض ، عن منهج السُّنة والكتاب ، ومال الأكثرون

---

[*] الخط أو الخطوط بلهجة أهل نجد تعني: الرسائل والمكاتيب الورقية التي تتم بين المُتراسلين.

إلى موالاة عباد الأصنام، والفرح بظهورهم، والانحياز إلى حماهم، وتفضيل من يتولاهم؛ وحبك الشيء يُعمي ويصم. وقد صدر من الشيخ محمد بن عجلان؛ رسالة ما ظننتها تصدر من ذي عقل وفهم، فضلاً عن ذي الفقه والعلم. وقد نبهت على ما فيها من الخطأ الواضح، والجهل الفاضح، وكتمت عن الناس أول نسخة وردت علينا، حذرًا من إفشائها وإشاعتها بين العامة والغوغاء، ولكنها فشت في الخرج والفرع، وجاء منها نسخة إلى بلدتنا، وافتتن بها من غلب عليه الهوى، وضلَّ عن سبيل الرشاد والهدى، (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ). وأخبرت من يجالسني؛ أن جميع ما فيها من النقول الصحيحة والآثار، حجة على منشيها، تهدم ما بناه مبديها، وأنه وضع النصوص في غير موضعها، ولم يعط القوس باريها. وبلغني عن الشيخ حمد (بن عتيق)، أنه أنكر واشتد نكيره، ورأيت له خطًا أرسله إلى بعض الإخوان، بأن ما كتبه ابن عجلان ردة صريحة. وبلغني أن بعضهم دخل من هذا الباب، واعترض على ابن عتيق، وصرح بجهله ونال من عرضه، وتعاظم هذه العبارة، وزعم أنه غلا وتجاوز الحد، فحصل بذلك تنفيس لأهل الجفاء وعُباد الهوى. والرجل وإن صدر منه بعض الخطأ في التعبير، فلا ينبغي مُعارضة من انتصر لله ولكتابه وذب عن دينه، وأغلظ في أمر الشرك والمُشركين، على من تهاون أو رخص وأباح بعض شعبه، وفتح باب وسائله وذرائعه القريبة المفضية إلى ظهوره وعلوه، ورفض التوحيد ونكس أعلامه، ومحو آثاره وقلع أصوله وفروعه، ومسبة من جاء به، لقولة رآها وعبارة نقلها وما دراها، من إباحة الاستعانة بالمشركين. مع الغفلة والذهول عن صورة الأمر والحقيقة، وأنه أعظم وأطم من مسألة الاستعانة والانتصار، بل هو تولية وتخلية بينهم، وبين أهل الإسلام والتوحيد، وقلع قواعده وأصوله، وسفك دماء أهله، واستباحة حرماتهم وأموالهم. هذا هو حقيقة الجاري والواقع، وبذلك ظهر في تلك البلاد من الشرك الصريح، والكفر البواح، ما لا يبقي من الإسلام رسمًا يرجع إليه، ويعول في النجاة عليه، كيف وقد هدمت

قواعد التوحيد والإيمان، وعطلت أحكام السنة والقرآن، وصرح بمسبة السابقين الأولين، من أهل بدر وبيعة الرضوان، وظهر الشرك والرفض جهرًا في تلك الأماكن والبلدان. ومن قصر الواقع على الاستعانة بهم؛ فما فهم القضية، وما عرف المصيبة والرزية. فيجب حماية عرض من قام لله، وسعى في نصر دينه الذي شرعه وارتضاه، وترك الالتفات إلى زلاته، والاعتراض على عباراته؛ فمحبة الله والغيرة لدينه، ونصر كتابه ورسوله، مرتبة علية، محبوبة لله مرضية، يغتفر فيها العظيم من الذنوب، ولا ينظر معها إلى تلك الاعتراضات الواهية، والمناقشات التي تفت في عضد الداعي إلى الله، والملتمس لرضاه. وهبه كما قيل، فالأمر سهل في جنب تلك الحسنات، وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

فليصنع الركب ما شاؤوا لأنفسهم *** هم أهل بدر فلا يخشون من حرج.

ولما قال المتوكل لابن الزيات: "يا ابن الفاعلة"، وقذف أمه، قال الإمام أحمد رحمه الله:"أرجو الله أن يغفر له"، نظرًا إلى حسن قصده في نصر السنة وقمع البدعة. ولما قال عمر لـ حاطب ما قال، ونسبه إلى النفاق، لم يعنفه النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أخبره أن هناك مانعًا. والتساهل في رد الحق وقمع الداعي إليه؛ يترتب عليه قلع أصول الدين، وتمكين أعداء الله المشركين من الملة والدين. ثم إن القول قد يكون ردة وكفرًا، ويطلق عليه ذلك، وإن كان ثم مانع من إطلاقه على القائل. وصريح عبارة الشيخ حمد التي رأينا؛ ليست في الاستعانة خاصة، بل في تسليم بلاد المسلمين إلى المشركين، وظهور عبادة الأصنام والأوثان. ومن المعلوم؛ أن من تصور هذا الواقع ورضي به، وصوب فاعله وذب عنه، وقال بحله، فهو من أبعد الناس عن الإسلام والإيمان، إذا قام الدليل عليه. وأما من أخطأ في عدم الفرق، ولم يدر الحقيقة، واغتر بمسألة خلافية؛ فحكمه حكم أمثاله من أهل الخطأ، إذا اتقى الله ما استطاع، ولم يغلب جانب الهوى. والمقصود؛ أن الاعتراض والمراء، من الأسباب في منع الحق والهدى، ومن عرف القواعد الشرعية، والمقاصد

**الدينية، والوسائل الكفرية، عرف ما قلناه. والمعترضون على الشيخ (حمد بن عتيق)؛ ليس لهم في الحقيقة أهلية لإقامة الحجج الشرعية، والبراهين المرضية، على ما يدعون من غلطه وخطئه، إنما هي اعتراضات مشوبة بأغراض فاسدة، وما أحسن ما قيل شعرًا: أقلوا عليه لا أبًا لأبيكموا من اللوم*** أو سدو المكان الذي سدا. وأكثرهم يرى السكوت عن كشف اللبس في هذه المسألة، التي اغتر بها الجاهلون، وضل بها الأكثرون. وطريقة الكتاب والسنة وعلماء الأمة، تخالف ما استحله هذا الصنف من السكوت، والإعراض في هذه الفتنة العظيمة، وإعمال ألسنتهم في الاعتراض على من غار لله ولكتابه ولدينه. فليكن لك يا أخي طريقة شرعية، وسيرة مرضية، في رد ما ورد من الشبه، وكشف اللبس، والتحذير من فتنة العساكر، والنصح لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وهذا لا يحصل مع السكوت، وتسليك الحال على أي حال. فاغتنم الفرصة، وأكثر من القول في ذلك، واغتنم أيام حياتك، فعسى الله أن يحشرنا وإياك في زمرة عساكر السنة والقرآن، والسابقين الأولين من أهل الصدق والإيمان. والشبهة التي تمسك بها من قال بجواز الاستعانة؛ هي ما ذكرها بعض الفقهاء، من جواز الاستعانة بالمشرك عند الضرورة. وهو قول ضعيف مردود، مبني على آثار مرسلة، تردها النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة الصريحة النبوية. ثم القول بها ـ على ضعفه ـ مشروط بشروط، نبّه عليها شراح الحديث، ونقل الشوكاني منها طرفًا في "شرح المنتقى". منها؛ أمن الضرورة والمفسدة، وأن لا يكون لهم شوكة وصولة، وأن لا يدخلوا في الرأي والمشورة. وأيضًا؛ ففرضها في الانتصار بالمشرك على المشرك، وأما الانتصار بالمشرك على الباغي عند الضرورة؛ فهو قول فاسد لا أثر فيه، ولا دليل عليه، إلا أن يكون محض القياس، وبطلانه أظهر شيء، للفرق بين الأصل والفرع، وعدم الاجتماع في مناط الحكم. وليس كل خلاف جاء معتبرًا *** إلا خلاف له حظ من النظر.**

والمقصود؛ المذاكرة في دين الله، والتواصي بما شرعه من دينه وهداه. والسلام». ۞ - انتهى الاقتباس -

تلك نبذة مُختصرة عن فتاوى ومواقف المُفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب المُتضاربة والمُتقلبة، ويُمكن للقارئ الكريم أن يُنزل أو يطبق أدلة وحجج عبد اللطيف الشرعية في باب أو مسألة الاستعانة بالمُشرك أو الكافر، ويقيسها على حالة حرب الخليج الثانية، ويُقارنها بفتاوى مشايخ آل سعود المُعاصرين وعلى رأسهم ابن باز وابن عثيمين الذين أباحا الاستعانة بالقوات الأمريكية في حرب الكويت، بغض النظر عن تحامل عبد اللطيف آل الشيخ على قوات دولة الخلافة الإسلامية في الآستانة، وتصنيفه لها بدولة الكفر، لأن الغرض هو الاستفادة من رأيه الشرعي في مفهوم الاستعانة بالمُشركين، لكي يكون ردًا على أتباعه الحاليين.

ويُمكن الإطلاع أكثر على الصراع الدموي الذي دار ما بين الأخوين عبد الله وسعود أبناء فيصل بن تركي وفتاوى عبد اللطيف بن عبد الرحمن بشأنهما، وذلك في فصل - سقوط إمارة آل سعود الثانية على يد آل رشيد -.

كما سأتوسع بإذن الله أكثر في مسألة الاستعانة بالكفار في كتابي الجديد القادم، حيث سأتطرق لاحقًا إلى ما آلت إليه أوضاع الوهابية المُعاصرة في الوقت الحاضر ومن ثم تحولها إلى الوهابية الجامية.

---

۞ كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ١٣

رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفى ١٢٩٢ هـ.

- **احتلال الوهابيين للحرمين الشريفين :**

كان سلاطين وخلفاء بنو عثمان يستمدون سلطتهم السياسية والعسكرية من خلال شرعيتهم الدينية التي كانت تُستمد أصلاً من كونهم خلفاء للمُسلمين وحُماة للإسلام ورعاة وخدم للحرمين الشريفين، ولهذا فإن أي اختلال أو ذهاب لتلك المكانة الدينية المُقدسة تعتبر نقيصة بحقهم وبداية انهيار لدار الخلافة، حيث ستؤدي إلى فقدانهم الشرعية لإسلامية وحينها سيتعرض ذلك الكيان الإمبراطوري الإسلامي الكبير إلى الاهتزاز وربما الزوال، لأن كل الخلفاء العثمانيين الذين تداولوا السلطة كانوا يحكمون على منوال أو باسم الخلافة الإسلامية حتى ولو كان الأمر اسميًا وشكليًا فقط، ولهذا كانوا يحتفظون بمفاتيح مكة المُكرمة كنوع من القداسة والتشريف والتأكيد على شرعيتهم الدينية.

وعليه عندما شعرت دولة الخلافة الإسلامية أن نفوذها وسلطتها الدينية على منبر الحرمين الشريفين قد خرجت من يد دار الخلافة وذهبت إلى سلطة الوهابيين شعروا بالمأزق الحقيقي الذي وقع فيه الخليفة في ذلك الوقت، فأصبح هدف استعادة الحرمين الشريفين من براثن الوهابيين أولوية وأهمية قصوى تتقدم على كل الحروب والفتوحات الإسلامية في أوربا.

وسنرى لاحقًا كيف استمرت دولة الخلافة تتشبث برعاية وخدمة الحرمين الشريفين وحماية الحجيج، حتى بعد زوال نفوذ الوهابيين، فيذكر لنا البارون الروسي إدوارد نولدة كيف كانت الدولة العثمانية قلقة جدًا من هجمات قبيلة حرب على قوافل الحجيج أثناء حكم الأمير محمد بن رشيد لنجد، وكيف كان العثمانيون يشعرون بالحرج أمام العالم الإسلامي وحتى أمام الأوربيين جراء تلك الهجمات الوحشية التي كانت تشن على حجاج بيت الله، فيذكر نولدة في كتابه قائلاً:

« إن حقيقة كون خط سير قوافل الحجيج المرسوم منذ زمن بعيد، طويل جدًا، وغير واضح المعالم، يجعل من الصعوبة بمكان حتى لقوة أكبر من هؤلاء الجنود الأتراك أن توفر الحماية الكافية للحجاج، ويحدث غالبًا أثناء الهجمات الليلية، ونتيجة لما يتبعها من الهلع والارتباك أن بعضًا من الأجزاء المُتخلفة عن القافلة تنفصل عنها ويتم نهبها. إن الوسيلة الوحيدة الناجحة للدفاع هي أن يتم وضع قافلة الحجاج في منتصف القوات المرافقة ويتم التحرك بها بهذا الشكل رغم أنه على أية حال ليس من الممكن دائمًا. وإذا ما تمَّ حجز القوافل ـ مثلما حدث قبل ثلاث سنوات ـ لمدة شهرين كاملين حتى وصول قوات إضافية جديدة، فإن القافلة سوف تعاني أسوأ أنواع الصعوبات نتيجة لقلة الماء والطعام وما ينجم عن ذلك من تفشي كافة أنواع الأمراض. إن الأتراك قلما ينشرون أخبارًا عن هذه الأحداث أو لا ينشرونها مُطلقًا خشية الحرج في أوربا. إن من بين ألقاب السلطان العديدة أنهُ "خادم الحرمين" وحامي الحجاج إلى مكة، وهو لقب يدل على أكثر التزاماته أهمية ومسؤولية، وهكذا فإنه تحت رايته وحراسة جنوده يقوم عشرات الآلاف من الحجاج بأداء فريضة الحج. وإذا لم تتمكن القافلة من الوصول إلى مكة، أو مات الآلاف منهم أثناء الرحلة إليها، فإن اللوم بالطبع حول هذه المسألة الخاصة بأمور الدولة سيقع وفق نظرة العالم الإسلامي على الأتراك، أي على عاتق السلطان نفسه».۞

وقد لمس الوهابيون عجز الدولة العثمانية عن الرد خصوصًا بعد حملة كيخيا العراق الفاشلة على نجد، فاستغل سعود بن عبد العزيز ضعف الدولة العثمانية وانشغالها في حروب البلقان وعدم قدرتها على خوض حرب عصابات غير ذات جدوى في صحراء الجزيرة العربية، فقرر أن يسلب الحرمين الشريفين من يد الخلافة، وهو الأمر الذي آثار سخط العثمانيين عليه وألبهم ضده فتم سحقه.

---

۞ كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر: حائل، الرياض، القصيم \ نص رحلة البارون ادوارد نولده مبعوث روسيا إلى نجد ١٨٩٢م.

ويذكر لنا المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي في تقريره، أن سعود قد احتل مكة المُكرمة والمدينة المنورة دون أن يواجه أي مُقاومة شديدة، ثم أمر بالدعاء له في الصلاة بدلاً من اسم الخليفة العثماني السلطان سليم.

ولويس دوكورانسي هذا كان يدون تلك الأخبار أيام حكم سعود فلم يلحق على سقوط الدرعية وإعدام عبد الله بن سعود في اسطنبول، لذلك فهو يرى أن العثمانيين قد تخاذلوا كثيرًا في استعادة مكة المُكرمة وفشلوا في تثبيت سلطانهم هناك، إلا إن العثمانيين أمروا والي مصر محمد علي باشا لاحقًا، وأرسل ولده إبراهيم الذي نجح في إسقاط سلطة الوهابيين ومن ثم قام بتدمير الدرعية عاصمة آل سعود، وهذا ما سنطلع عليه تباعًا.

ولنعود لما قاله دوكورانسي عن فترة حكم سعود واستيلاءه على مكة المُكرمة، حيث يقول:

« لم يواجه سعود إلا القليل من المُقاومة في مكة والمدينة. وقد أمر فور احتلاله مكة بإقامة الصلاة علنًا باسمه بدلاً من اسم السلطان سليم. وأول مرة دخل سعود المدينة المُقدسة، ترقب الجميع أن يؤدي ضياع المدينة إلى ثورة في الإمبراطورية العثمانية خصوصًا أن سلطة السيد الكبير كانت تعتمد على حمله بكل ما في الكلمة من معنى على لقب خادم الحرمين الشريفين مكة والقدس. ولكن المفاجأة التي سببها احتلال مكة لم تدم طويلاً، كما أن أثر ما فعله سعود قد اختفى. ومن قلة الاهتمام الذي كان يخلفه وضع مكة كما كانت هذه المدينة تقع تحت سلطة الوهابيين، يُمكن الاستنتاج بأن إذا كان العثمانيون ينظرون بهذه اللامبالاة إلى احتلالها من قبل أعدائهم، فلا بد لهم من الاستغناء عنها يومًا ما، من دون أن يمس ذلك سلطة السيد الكبير. إنما يجب المُلاحظة على الهامش أن احتلال هذا الموقع، نظرًا لوعورة الأرض الذي تحيط به، لا مصلحة فيه لفاتح يبغي توسيع رقعة إمبراطوريته، كما أن يجب القول بأن الوهابيين، في حال سماحهم بالحج، سيكسبون دخلاً وافرًا من

مكان يضع فيه التعصب الأعمى أغنى كنوز آسيا (من طريق التبرعات والنذور)». [1] - انتهى الاقتباس -

ولقد تمادى الوهابيون في عمليات السلب والنهب والقتل، حتى باتوا يُهددون سلطة الخلافة العثمانية في العراق، ثم قاموا بمنع الحجاج المصريين من دخول مكة وأعادوهم لبلادهم دون أن يسمحوا لهم بأداء مناسك الحج، كذلك كانوا شغوفين جدًا بهدم القبور والقبب حتى أنهم تمادوا وهدموا قبة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

وحول تلك الممارسات يذكر بوركهارت قائلاً:

«لقد أصبح هدم وتحطيم القباب وأضرحة الأولياء ذوقا مفضلاً لدى الوهابيين حيث كان ذلك أول ما يقومون به بعد انتصارهم، في كل من الحجاز واليمن وبلاد الرافدين وسوريا. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحدّ، بل تعداه إلى هدم قباب المساجد أيضًا. ففي مكة المكرمة لم تتمكن من البقاء جميع قباب قبور العرب المعروفين، حتى أن التدمير طال في مكة المكرمة مكان ولادة الرسول محمد ﷺ وأحفاده الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وخديجة رضي الله عنها أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وعمه أبو طالب، أقول جميع ما يخصهم من بناء تمَّ تدميره عن بكرة أبيه، وعندما كانوا يزاولون مهمة الهدم هذه، كانوا يرددون كلماتهم التالية: رحم الله من هدمها، ولا رحم من بناها. وعندما سمع الأتراك بهذا الهدم والتدمير، فإن الاعتقاد الطبيعي الذي قفز إلى عقولهم أن هذا العمل ينطوي على عدم احترام الأشخاص الذين تمَّ إشادة البناء على أضرحتهم وعدم الإيمان بحرمتهم. بل إن القبة التي كانت فوق قبر الرسول ﷺ في المدينة المنورة، قد لقيت المصير نفسه، حيث أصدر سعود أوامره بهدم قبة قبر النبي ﷺ ولكن إحكام بنائها وقوته أعيت سواعد جنوده واستعصت على الهدم، وبعد أن سقط العديد منهم من على القبة، ولقوا مصرعهم بالموت

---

[1] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

وعندما رأوا تلك الجيَفْ تتهاوى؛ أوقفوا مهمتهم هذه. وقد كان تعليق أهل المدينة، أن ما جرى كان تدخلاً إلهيا من السماء، لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الأيدي الآثمة». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

ولهذا وجدت الدولة العلية أنهُ بات من الضروري التخلص من رجس الوهابية خصوصًا بعدما فعلوا الأفاعيل من اقتراف المجازر وعمليات السلب والنهب المُنظمة، ومنع الحجيج وقطع الطريق، حيث يذكر الشيخ عثمان بن سند البصري في كتابه "مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود"، عن وقائع السلب والنهب التي قام بها الوهابية بزعامة عبد العزيز بن سعود قائلاً:
« وفيها غزا عبد العزيز بن سعود العراق، وأناخ على كربلاء وأذاقهم كأس البلاء، فقتل أكثرهم، ونهب البلدة، حتى يُقال إنهُ ما غنم ابن سعود في مدة ملكه بعد خزائن المدينة المنورة أكثر من غنائم كربلاء من الجواهر والحلي والنقد، ثم قفل إلى نجد مُتبجحًا بما فعله من سفك دماء، لا إله إلا الله، وإن كانوا روافض...... الخ. وفي سنة ١٢٢٠هـ حاصر سعود بن عبد العزيز البصرة وقتل ونهب وحرق وخرّب، ومُتسلم البصرة إذ ذاك إبراهيم آغا، فصابر على الحصار صبر الكرام، ثم إن حمودًا جاءه وساعده، وشد عضده، وكان غزوه في أخر هذه السنة التي قُتل فيها أبوه، ولما رجع من غزاته خائبًا أغار على آل الضفير، ولم يبق لهم لا شاة ولا بعير، وآل الضفير (•) قبائل مُتعددة من قبائل نجد، ومشايخهم آل سويط، وقيل إنهم من بني سليم، فهم من بني قيس». ۞۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

أما المؤرخ النجدي حمد بن لعبون فيذكر لنا في كتابه "تاريخ ابن لعبون" عن حادثة السطو على ضريح الحسين بن علي رضي الله عنه، وسرقة محتوياته، وقتل أهل كربلاء، قائلاً:

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

(•) جاءت في كتاب ابن سند (آل الضفير) ، والصحيح تكتب آل الظفير بالظاء وليس بالضاد.

۞۞ كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.

**« وفي سنة ١٢١٦ هـ: سار الأمير سعود بالجنود المؤيدة، وقصد بلد الحسين من أرض كربلاء، خرج في ذي القعدة، وفتح الله له البلد ودخلوها عنوةً، وقتلوا غالب أهلها، وهدموا القبة (المُذهبة)، وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال: من الأمتعة، والسلاح، واللباس، والفرش، والذهب، والفضة، وغير ذلك، وقتلوا منهم ما يزيد على الألف».** ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

**أما صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) فيقول عن غزوة سعود لمدينة كربلاء العراقية، وكيف قتل أهلها بكل وحشية فلم يُفرق بين شيخ أو امرأة أو حتى طفل، وقام بتدمير القبة وسرقة محتوياتها، حيث يقول ما نصه : « وقد وقع لسعود غزوات كثيرة في أيام دولتهم بأطراف العراق. ومن جملة غزواته أنهُ غزا بنفسه أطراف السماوة وسُوق الشيوخ، وقتل في هذين الموضعين خلقًا كثيرًا. ثم أنهُ بعد ذلك بسنة كاملة ركب بغزو عظيم يبلغ عدد عشرين ألفًا وغزا مشهد الحسين رضي الله عنه فدخل كربلاء، ولم يكن لها سور فقتل هناك قتلاً ذريعًا وهدم طرفًا من قبة الحسين رضي الله عنه وأخذ خزائن كثيرة كانت هناك من الذهب والجواهر النفيسة قيل إنهُ أخذ مقدار ستة آلاف مائة ألف ريال وقتل مقدار ثلاثة آلاف نفس من ذكر وأنثى وكبير وصغير. وبقي هناك يومًا واحدًا لا غير وهو متخوف من خروج الروم عليه من بغداد. وكان الباشا هناك هو سليمان باشا أبو أسعد باشا. فرجع إلى نجد ثم جاءت الأروام (*) وعمروا كربلاء ببعض البنيان من بيوتها، وبنوا سورها، ثم أمدوهم العجم بشيء من آلات الحرب كالمدافع. وقد أرسل من بعض ملوك الهند الإسلامية كثير من المدافع والقنابر. وتحصنت كربلاء بعد ذلك تحصينًا كاملاً. ومن أجل ذلك لم يرومها سعود بعد ذلك. وإلا فكان مراده بكربلاء صنعًا شنيعًا حيث أراد قلع قبة الحسين رضي الله عنه**

---

۞ كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

(*) الأروام : يقصد بها جمع كلمة الروم، مع أن الروم هي أصلاً بصيغة الجمع، والمُلاحظ أن المؤرخين في تلك الفترة يُطلقون على الأتراك مُسمى الروم.

وتهديم بقية القبب هناك لآل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأيضًا كثير من الذخائر وخزائن لم يطلع عليها ثم أخبر بها لاحقًا».[1] -انتهى الاقتباس-

وهذا دليل على أن عصابة الوهابية كان همها الأول والأخير هو السرقة والنهب والسلب وسفك الدماء، وقد أباحوا لأنفسهم مبدأ النهب حتى من أعظم الأماكن الإسلامية قداسة، وهم يبيحون تلك السرقات بحجة أنها غنائم من الكفار والمُشركين، وقد يجد الباحث لهم عذرًا مذهبيًا عندما أقدموا على سرقة وتخريب مدينة كربلاء مثلاً، بحكم أنهم يعتبرون أهلها أعداء لهم لأنهم شيعة وروافض حسب تصنيف الوهابية لهم. لكن السؤال المنطقي هنا، ما هو تفسيرهم وتبريرهم لتلك السرقات في حق أهل السُّنة والجماعة ؟ وما هو العذر عندما ينهبون مُقتنيات المدينة المنورة ومكة المكرمة وحجرة النبي ﷺ؟ وهل يوجد في دينهم الوهابي عقوبة التعزير وقطع أيدي وأرجل هؤلاء اللصوص والسُراق من خلاف؟.

ويا للعجب فإن ما أحدثه الوهابية قبل قرنين من الزمان هو نفس الدين الوهابي الحالي الذي يُعاقب ويقتص من الضعيف والفقير؛ خصوصًا من الجاليات الآسيوية المُعدمة عندما يقوم بعضهم بسرقة الفتات، ويوفر أيدي وأرجل الأمراء السعوديين الذين يسرقون المليارات وينهبون الأراضي والمزارع، ويبذرون قوت الشعب وثروات الأمة على ملذاتهم. حتى تفوقوا على طغيان ومُمارسات بني إسرائيل عندما كانوا يُطبقون العقوبات ويفرضون الحدود على الضعفاء والمساكين، بينما كانوا يغضون الطرف عن تجاوزات السادة والنبلاء ويستثنوهم من التعزير، وهو ما تكرر في حالة آل سعود، حيث يعجز شرعهم الوهابي من تطبيق العقوبات والتعزيز على الأمراء والمُتنفذين من آل سعود وأتباعهم! ليصدق فيهم قول نبينا الكريم ﷺ :

---

[1] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف: حسن جمال بن أحمد الريكي.

(إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) - رواه البخاري -.

وقد أخبرنا أبو بكر بن إسحاق قال حدثنا أبو الجواب قال حدثنا عمار بن زريق عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن إسماعيل بن أمية عن محمد بن مسلم عن عروة عن عائشة قالت سرقت امرأة من قريش من بنى مخزوم فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: (من يكلمه فيها قالوا أسامة بن زيد فأتاه فكلمه فزبره وقال إن بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الوضيع قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

ويبدو أن بعد تلك الأفاعيل والمجازر الوهابية الرهيبة بحق الرعايا التابعين لدولة الخلافة الإسلامية، فقد بلغ السيل الزبى لدى دار الخليفة الإسلامية في الآستانة وكان لابد من مُعاقبة الوهابيين وتلقينهم درسًا بليغًا لن ينسوه، وكذلك الأمر لدى والي بغداد سليمان باشا، الذي قرر بدوره أن ينتدب أحد ولاته المدعو " علي بيك الكيخيا " لكي يؤدب شراذم الوهابيين ويردع رئيسهم سعود بن عبد العزيز، إلا أن حملة الكيخيا تلك قد فشلت بسبب الخيانة والتآمر من الداخل، أي من قِبل بعض القادة المُرافقين لحملة الكيخيا، كما سيأتي ذكره في سياق السرد التاريخي.

فيقول الشيخ عثمان بن سند عن تلك الحملة العسكرية التي قادها الكتخدا علي، كما جاء في كتابه مطالع السعود قائلاً: « وفي السنة ١٢١٣هـ (الثالث عشر بعد المائتين والألف): غزا علي بيك الكتخدا(*) بأمر الوزير سليمان باشا والي بغداد ، الحسا من البحرين بعدما تولاها عبد العزيز بن سعود وبنى فيها

(*) كتخدا : كلمة تركية تعني معاون الباشا، وحورها العرب إلى كيخيا وأحيانًا ينطقونها كدخدا وكهية وكخوة، ( راجع ابن خلكان مثلاً).

القلاع المُحكمة، وسام أهلها الخسف وأجبرهم على اعتقاداته الفاسدة، وقد غزا مع علي بيك كل من، شيخ المنتفق حمود بن ثامر بن سعدون، وبادية العراق، وعسكر عقيل وأميرهم إذاك ناصر بن محمد الشبل، وغزا معهم فارس بن محمد الجربا شيخ شمر ومعه قبائله، وأصحاب الوزير مع علي بيك الكتخدا، محمد بن عبد الله بن شاوي الحميري أمير العبيد، وغزا أيضًا أهل الزبير القرية المعروفة، وأهل نجد رئيسهم إبراهيم بن ثاقب بن وطبان، فسار العسكر إلى أن نزلوا في المبرز وحاصروا قلاع ابن سعود، ولم يُقابل أحدًا من عسكر الكتخدا، ولا من العرب سوى عقيل ، فأطاع غالب أهل الحسا من غير قتال، وفي خلالها غزا حمود السعدون على سبيع، فقتل منهم وغنم إبلاً وشياه ومعه في تلك الغزوة فارس الجربا وابن أخيه بنية بن قرنيس، ولما رجع حمود من تلك الغزوة بالغنيمة على الكتخدا، تقوى ساعد الكتخدا واجتهد في الرمي على القلاع، ولكن كانت الأطواب(*) لا تؤثر في القلاع الصلابة طينتها، وهكذا هي غالب قلاع بلاد القصيم، فطينتها صلبة جدًا، والظاهر أن نصحاء الكتخدا خانوه وأوهموه أوهامًا فاسدة، حتى إنه فرَّ هاربًا راجعًا إلى العراق، وذلك لأن الباشا صرف أموالاً جمة على العرضي، والكتخدا أسلم أموره لبعض الخون، فخانوه في الصرف وأكلوا أكثر الأموال، وصرفوا القليل، فلهذا عمدوه على الهرب لكي يتم ملعوبهم، فلما أخذ بالفرار هو وعسكره وسائر أعراب العراق تبعه ابن سعود بعسكره ولحقه في محل يقال له "ثاج" ونزل ابن سعود في الحنا، فبينما الفريقان يتحاربان، إذ لانت شكيمة رؤساء العساكر للصلح، وصاروا يبكون للكتخدا ويوهمونه بقوة ابن سعود، والحقيقة أن الأمر على خلاف ذلك، إنما من أبطن الخيانة تيقن أن عساكر بن سعود لا زاد معهم، وأن مآلهم أن يهربوا، فما أراد الفشيلة على صديقه وابن عمه في الباطن، بل حسن للكتخدا أن الصلح أوفق والكتخدا غلام غر سلم أموره لأعدائه وهو لا يشعر ، وقتل قبل ذلك خالد بن ثامر أخو حمود، فلم يأخذ ثأره،

---

(*) الأطواب : جمع طوب ، وهو المدفع.

ثم ورد كتاب للكتخدا من سعود يقول فيه: من سعود بن عبد العزيز إلى علي.. أما بعد: فما عرفنا سبب مجيئكم للحسا، مع أن الحسا روافض، ونحن جعلناهم بالسيف مُسلمين، وهي قرية ليست بداخلة في حكمكم، والذي يحصل منها قليل بالنسبة لتعبكم، ولو أن جميع أهل الحسا وما يليها يدفعون إليكم كل ما يملكونه من دراهم وغيرها، لما يُعادل مصاريفكم في هذه السفرة فقط، وما كان بينا وبينكم من المضاغنة إلا ثويني، وقد لقي جزاءه، فالآن مؤملنا المصالحة وهي خير لنا ولكم سيد الأحكام. فلما اطلع الكتخدا على الكتاب ارتضى الصلح، فكتب جوابًا لابن سعود قال فيه: من علي باشا إلى سعود بن عبد العزيز، أما بعد: فقد أتاني كتابكم وكل ما ذكرت من أمر المصالحة صار لدينا معلومًا، لكن على شروط نذكرها لك، فإن قبلتها وعملت بها فحسن، وإلا فإن فما نحن عاجزون عنك ولا عن طوائفك وعندك الصحيح إذا اشتدت الهيجا وانشقت العصا، فحسبك والضحاك سيق مهند حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك، نجوب الفلا ونتآثر أهل القرى، وأنت ما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة، وبهذه الدفعة أيضًا اغتررت بقول عفيصان، فأما الشرط الأول: فهو أن لا تقرب الحسا بعد الآن، والشرط الثاني: أن ترجع الأطواب التي أخذتها من ثويني، والشرط الثالث: أن تعطينا جميع ما صرفنا في هذه السفرة، والشرط الرابع: أن لا تتعرض للحجاج الذين يأتون إليك من طرف العراق، ولا لأبناء السبيل، وأن تكف غزوك عن العراق، وتكون معنا كالأول. فهذه الشروط التي أخبرناك بها، والسلام على من اتبع الهدى. فكتب له ابن سعود ما نصه: جاء كتابكم وفهمنا معناه، فأولاً الحسا قرية خارجة عن حكم الروم، وما تساوي التعب وما فيها شيء يوجب الشقاق، وأما الأطواب فهي عند والدي في الدرعية، إذا وصلت إليه أعرض الحال بين يديه، والوزير سليمان باشا أيضًا يكتب إليه فإن صحت المصالحة تصلكم الأطواب، وأنا كفيل على ذلك حتى أوصلها البصرة. وأما مصاريفكم فأني لم أملك من هذا الأمر شيئًا، والأمر فيه لوالدي إذا وصلت إليه. وأما ما ذكرتم من أمر الطريق وعدم

**التعرض للحجاج فحبًا وكرامة، وعلى عهد الله وميثاقه أن لا يفقد لكم بعير، وأن لا يصدر منا ضرر على المارين، وما لهم عندنا غير الكرامة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».** ۞

**ثم يقول عثمان بن سند:**

**« وأعلم أن علي باشا الكتخدا إنما صالح سعود لما داخله من الخوف، بسبب استشارته لبعض أعدائه في الباطن، وأصدقائه في الظاهر، مثل إبراهيم بن ثاقب بن وطبان فأنه كان من أقارب سعود الخارجي، وهو فصيح المنطق داهية دهياء في التحايل وفي قلب الموضوع، وربما سأله بعض خواص على باشا عن كمية عساكر سعود لعدم مفاوضته لأهل النصح والديانة. وأما ما ذكره المؤرخ التركي من أن العسكر أصابه ضرر من قلة العلف والزاد (يقصد أن كلام المؤرخ التركي غير صحيح)، ولقد والله خدع الكتخدا في هذه المصالحة، ومما يدل على أنهُ خدع، أن حمود بن ثامر أبى المصالحة إلا أن يعطيه الكتخدا كتابًا (يقر فيه) بأن الصلح كان على غير اختيار حمود، وقد رُمي في ذلك محمد بن شاوي وهو بريء. ولما تمَّ الصلح رجع الكتخدا إلى بغداد ولم يفِ سعود بواحد من الشروط، بل طغى وبغى وزاد في نشر بدعته وقتال المُسلمين عليها. وكان رجوع الكتخدا في رابع صفر سنة ١٢١٤هـ أربع عشرة ومائتين وألف».** ۞ - انتهى الاقتباس -

**أما المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي فيذكر نقلاً مما جاء في مذكرة جان ريمون عن تلك الحملة التي قام بها الكيخيا علي بنفسه، ويُفصل في أسباب الفشل الذي لحق بالحملة ويُحدد بوضوح أهم الخونة الذين تآمروا على إفشال تلك الحملة العراقية ضد الوهابيين، حيث يتهم صراحة البك محمد الشاوي زعيم قبيلة العبيد بخيانة الكيخيا، والذي كان ذو توجهات وهابية وله علاقات وثيقة مع عبد العزيز بن محمد بن سعود، فكان ذو نفوذ قوي في بغداد، وكان**

---

۞ **كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.**

له تأثير كبير على قرار باشا بغداد سليمان باشا وكذلك على الكيخيا أحمد الذي اتصف بالبخل، حتى أصبحت حكومة بغداد شبه متواطئة مع الوهابيين، حيث كان ينقل صورة مزيفة لباشا العراق ويُوهمه أن هؤلاء الوهابيين مُجرد شرذمة قليلة لا يستحقون المسير أصلاً أو صرف الأموال الطائلة لتجييش الحملات العسكرية ضدهم، وسوف نرى لاحقًا كيف قام الكيخيا علي بقتله والتخلص منه. فيقول جان ريمون:

« ولكن حكومة بغداد كانت بجانب الوهابيين، وكان بإمكان أحمد كيخيا الوزير الأول في بغداد، أن يُزيل هذا التكتل الجديد، إذا كان له صفات الرجل العظيم والأمير الطيب، وإن طغت على هذه الصفات الطيبة، صفة البخل الخبيث، وقد انقاد لمصلحة محمد الشاوي رئيس قبيلة العُبيد ومُستشار الباشا الخاص المُكلف بأمور الوهابيين، فترك نفسه ينام آمنًا بأن لا قوة لهم وأعتبرهم جسمًا زائلاً يستجمع قوته من ضعفه. وبناءً على مشورته، أرسل سليمان باشا (باشا بغداد) إلى السلطان في بداية عام ١٧٩٦ معروضًا مُعللاً فيه ويُبين أن الطريق من بغداد إلى الدرعية غير سالكة نظرًا لقحل الأرض، ولفقدان الماء، وأن نظام الجيش الوهابي يختلف تمامًا عن النظام العثماني. وأنهُ نظرًا لهذه الصعوبات التي يجب اجتيازها، يكون من الأفضل الوقوف موقف الدفاع بدلاً من خوض غمار حملة ليس ما يُشير إلى احتمال نجاحها، إلا إذا أعطيت الأوامر إلى جميع الباشوات المتاخمين للوهابيين، بأن يشتركوا معًا في تحطيم هذا العدو المُشترك. وبدلاً من أن يأخذ السيد الكبير نظريات باشا بغداد الصحيحة بعين الاعتبار، اعتقد أن الأمر سهل، فكرر أوامره للباشا بشكل صارم، ووصلته في وقت فقد فيه الوهابيون صديقًا بموت أحمد كيخيا، فنفذت الأوامر. وكان علي آغا (وهو اليوم الباشا) أمين خزنة الباشا الخاص وعدو الكيخيا اللدود، وقد قتل هذا الأخير للتشفي أمام سيده فأوصلته هذه الفعلة إلى رتبة وزير أول. وكان سليمان باشا يرغب بمُعاقبة الفاعل، ولكن مُستشاريه بينوا له الخطر من اللجوء إلى أي إجراء من هذا القبيل، فقام بتسمية القاتل

ككيخيا وزوجه من ابنته. وبالنظر لحماسة هذا الأخير للانقضاض على الوهابيين، فقد كان فرحه عظيمًا لإتاحة الفرصة أمامه لهذه الغاية، فقبل بسرور قيادة الجيش الذي كان سليمان باشا قد جمعه لمُهاجمة الأحساء. وسلك بنهاية عام ١٧٩٧ طريق الحلة يُرافقه محمد بك الشاوي، الذي كان يتولى تقديم المشورة له وإدارة أعماله خلال هذه الحملة. وسار على شاطئ الفرات حتى أسوار البصرة حيث مكث ثلاثة أشهر بانتظار إكمال الاستعدادات اللازمة لهذه الحرب. وفي الأيام الأولى من شهر كانون الثاني ١٧٩٨، وبعد مسيرة شاقة دامت عشرة أيام، بين الصخور الوعرة، وجبال الرمال المُتحركة، حتى وصل علي باشا إلى مسافة ثلاثة أيام من الأحساء، ونظرًا لعدم وجود الإدلاء المُطلعين، لإرشادهم إلى موقع آبار مياه الشرب، ظل رجاله طوال ثلاثة أيام من دون ماء. كما كان عليهم جعل الإبل تجر مدافعهم التي كانت تغوص في الرمال، فلا يتقدمون إلا ببطء شديد. ولما وجد علي باشا نفسه على مقربة من الأحساء أرسل بعض جنوده من مُقدمة الجيش لاستطلاع تحصينات العدو الأمامية. ولكن الوهابيين فاجأوا السرية وقطعوها إربًا حيث كان لهم عيون في كل مكان، وحتى في قلب مجالس هؤلاء الذين يُحاربونهم، لذلك كانوا على علم بوصول علي باشا وكانوا بانتظاره. وعاد نفر قليل ممن نجا من السرية لإيصال الخبر إلى الكيخيا الذي سير فورًا سرية من الفرسان الأكراد للثأر لهذه الهزيمة. فدخل هؤلاء حتى قلب المدينة، يهدمون ويقتلون كل ما صادفهم، فأدهشت شجاعتهم الجميع، وتراجع الوهابيون إلى داخل الحصن، وأرسل السكان الذين نجوا من غضب الأكراد، رسولاً إلى الكيخيا يعلمونه بأن المدينة تطلب صداقته. وفوجئ الوهابيون، إذ رأوا أنفسهم محاصرين من قبل عشرة آلاف أو اثني عشر ألفًا من الرجال فطلبوا هدنة شهر واحد، لتقرير تسليم الحصن ونالوها. ولكنهم كانوا يُريدون كسب الوقت فقط، وتلهية علي باشا، فرفضوا بعد انقضاء المُدة المُحددة المُحافظة على وعدهم، وبدأ الحصار. وبوشر ضرب الحصن بالمدافع فكانت القنابل

تلحق به أضرارًا كبيرة. وكان الوضع ينذر بالانهيار، عندما شعر عبد العزيز بالخطر الذي يُهدده وباستحالة استطاعته الصمود طويلاً، فحاول أن يُغري بالذهب ذلك الذي لم يستطع إبعاده بالسلاح. ولهذه الغاية اتصل بمحمد بك الشاوي، وكان يعلم أن هذا الأخير يُخلص له إخلاصًا تامًا، حيث كان يُبادله الرسائل العديدة خلال هذا الحصار، فقدم له هدايا كثيرة لحمله على إقناع الكيخيا علي بالعدول عن مُخططه بإخضاع الحصن. ووعد محمد بك بكل شيء وجعل يُخفف تدريجيًا من حدة الحصار، فإذا شق جيش بغداد منفذًا في الجدار يكفي لاقتحام الحصن، كان محمد بك يجد دائمًا الأعذار اللازمة لإعطاء الوهابيين فرصة إصلاح العطب، فيعود الأمر إلى بدايته. وقام جنود علي باشا بحفر نفق تحت الحصن، إلا أنهم فوجئوا بنفق مُعاكس حيث أن العدو كان على إطلاع عليه عن طريق محمد الشاوي، فأشعل النار في طريق المُتقدمين وقضي على أغلب العمال في النفق. ولما رأى علي باشا أن شجاعته لن تجديه نفعًا أما الأحساء، نظرًا لألاعيب محمد بك السرية الذي كان يُعاكسه في تنفيذ مخططاته، فأخفى شعوره، وخوفًا من غضب سليمان باشا في حال عدم إصغائه لرأي المُشاور، فقرر رفع الحصار حالما يُبين له هذا الأخير حالة الإعياء التي تسيطر على الجيش وخوفه من هجوم الوهابيين. وقد أعطيت الأوامر لهذه الغاية، وقد أملت الحيطة للانسحاب السريع اتخاذ الإجراءات التالية: فالجيش كان يرزح تحت ثقل أسلحته، ومرض أفراده، وضياع الكثير من الخيل الإبل التي قضى عليها الجوع، والعطش أو أقعدها عن الحركة. لذلك فكر علي باشا بتلافي المفاجآت الوخيمة بأن ينسحب في أقرب فرصة، وأن يدفن العتاد والذخيرة التي يُمكن الاستغناء عنها، على أن يحتفظ فقط ما يكفي للدفاع عند الحاجة، وأن يجمع كافة المُعدات غير الضرورية، كالخيام والمساند والفرش وغيرها لتحرق. ونفذت هذه التدابير بحذافيرها. وفي الليل بدأ الجيش انسحابه بسرعة فائقة. وكان الاستعجال الذي أبداه والعطش الذي قاساه بالإضافة إلى خشية مضايقة الوهابيين له، أرحم بكثير من فواجع الجوع الذي

قد يعرضه له أدنى تأخير بالانسحاب. وكان الجيش قد قطع بسيره حثيثًا ما يُقارب نصف المسافة إلى البصرة، عندما شاهد عددًا كبيرًا من (المردوفة) يُحاولون النزول قرب بئر ماء كان علي باشا ينوي ضرب خيامه بقربها، فأرسل علي باشا في الحال فريقًا من الفرسان للحيلولة دون نجاح مسعاهم ولإفساح المجال أمام الجيش للتجمع وضرب الخيام. ولاقتناعهم بأن العثمانيين ينوون القتال وبأنهم يفوقونهم عددًا؛ أرسل الوهابيون الرُسل إلى القائد عارضين عليه السلام، فرفض في البداية مما أدى إلى بعض الاشتباكات الدامية التي لم تستمر طويلاً. وقبل الوهابيون أخيرًا بدفع نفقات الحملة، وبعقد الصلح بواسطة محمد بك الشاوي. وكان من المُحتمل أن تؤدي الحملة لانكسار الوهابيين لو استطاع علي باشا باندفاعه التأثير على مُستشار سليمان باشا، ولكنها أدت إلى نتيجة مُعاكسة تمامًا، فبعد تخلص الوهابيين من خوفهم وعلمهم بالتجربة أنهم يستطيعون قهر أسلحة باشا بغداد بسهولة». ۞

أما الريكي مؤلف كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب)، فيقول عن تلك الخيانة قائلاً:

« اعلم أنهُ قد وقع حرب لباشا بغداد مع أطراف عبد العزيز وهي الأحساء وكان ذلك في السنة الثانية عشرة من القرن الثالث عشر، والباشا على بغداد يومئذٍ سليمان أبو أسعد باشا. فإنه جهز عسكرًا كثيرًا من الترك والكرد وعرب الخزاعل وغيرهم، قدر أربعين ألفًا، وجعل مع العسكر مدفعية عظيمة، وأمر على ذلك الجيش علي باشا الكُرجي(*). وكان إذاك أعز الناس عنده، وقد زوجه ابنته، وجعله كخيا. ففي الشهر السادس من تلك السنة، خرج العسكر مُريدًا ناحية أطراف نجد، لكن برجل ثقيلة، وأسباب كثيرة، وأمتعة عديدة لا تُحصى. وكانوا حينئذٍ عرب المنتفق ليسوا مُحبين لهذه السيرة، وأرادوا الفرار عن

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

(*) الكُرجي : نسبة إلى بلاد الكرج جورجيا الحالية، وكانت مصدرًا من مصدر جلب المماليك.

طاعة علي باشا، ولكن عز عليهم مُفارقة العراق، فأصحبه الشيخ حمود باثنى عشر رجلاً من قومه. ولما وصل العسكر المذكور إلى نهر عنتر(•)....... الخ. فأقام في بلبلول عشرة أيام أو أكثر قليلاً. ثم سار بوجهه نحو الأحساء لأن رأيه أن يقبض الأحساء أولاً من يد عبد العزيز، وهو مُلك كثير الخير كالبصرة في كثرة الطعام والأشجار والأنهار. وفيه الرز شيء يكفي كل جزيرة العرب قاطبة، ومن التمر كذلك. وكذا لم يبسط المُلك لآل سعود حتى أخذوا الأحساء، وكذا كل طائفة هلكت بالقحط من أطراف مملكة آل سعود يأمرهم بالذهاب إلى الأحساء فترد حالهم في أقل الأيام. وليس ذلك إلا من بركة فيها، وحاصل كثير، وهو الذي دعا علي باشا أن لا يقصد الدرعية أولاً بل يسير إلى الأحساء، وكان أيضًا أهل الأحساء أعداء في الباطن مع آل سعود، وهم رعايا الروم سابقًا، لذلك كاتبوا علي باشا وأوعدوه أنهُ بوصوله إليهم يخرجون كل من هو مودٍ لآل سعود....... الخ. فلما قرب علي باشا من ملك الأحساء مالت نحوه قبائل كثيرة من عرب بني خالد، وأتاه أكابر أهل الأحساء من حكامهم القدماء وعلمائهم الأجلاء وعاهدوه، فدخل الأحساء بغاية الجلالة من أهلها والاستبشار به. فدخل أولاً المبرز وكان أهلها هم الذين يُجاهدون في أمر الروم، ويودون الظفر لهم بخلاف أهل الهفوف، فأنهم معاهدون لآل سعود. وقد دخل دين عبد الوهاب في قلوبهم فجذبت أنفسهم إليه أتم جذبة – ومنهم طائفتان كبيرتان إحداهما اسمها السباسب والأخرى آل ملحم. ثم أن علي باشا بعدما سخر جميع بلاد الأحساء، ولم يبقى إلا كوت الهفوف، أرسل إليه عسكرًا يُحاربه، فلم يدركوا منه شيئًا. فأرسل آخر ولم يصنعوا ما أراد، فركب هو بنفسه بجميع العسكر، وحاصر الهفوف وكان ذلك يوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام أخر عام الثاني عشر من القرن الثالث عشر. ولم يزل يرمي القلعة بالبندق والقنبر حتى أعجز أهلها وهدم من سورها جانبًا. وكان

---

(•) نهر عنتر : فرع من فروع نهر شط العرب يقع في البصرة.

أهلها ذوي بأس شديد، فلم يمض زمان من الليل إلا وقد بنوا منه قدرًا يحمي، وكانوا يحملون حصر من خوص النخل، فيملونها ترابًا ويضعونها مدارًا لهم إذا لم يتمكنوا من البنيان. فأمر علي باشا بحفر النقب واستعد لأخذ القلعة بالحملة الواحدة، وهذا بعد ما طال الحصار هناك شهرًا كاملاً. ولكن لم يبلغ مراده، بل اختل أمره لما تمَّ حفر النقب، وكان سبب ذلك أنهُ كان في عسكر علي باشا كم نفر من البيقات (*) مثل عبد العزيز بيك، ومحمد بيك وصالح بيك، وهم من أعيان أهل بغداد، ولهم شأن عظيم وتسلط تام، ومعهم قوم من أهل بغداد في إطاعتهم وأمرهم، قيل إنهم قد دُست لهم بعض الهدايا من إبراهيم بن عفيصان، وكذلك جاءتهم بعض الخطوط خفية من عبد العزيز، وقد بذل لهم مالاً كثيرًا، والشرط: أن توقفوا أمر علي باشا عما يُريده منا، وأن ترجعوا به إلى بغداد. كذلك دسّ شيئًا إلى شيخ المنتفق حمود أيضًا. فكتبوا إليه بأن الأمر يأتي على وفق خاطرك، ولم تزل المُكاتبات من الجانبين تتواتر، حتى اطلع على ذلك علي باشا. فطلب عبد العزيز بيك وبقية البيكات، وقال لهم: كذا وكذا فعلكم. قالوا جميعًا: حاشا لله. لا تتوهم. فقال: أتحلفون لي بالقرآن؟ فقال عبد العزيز بيك: لا حلف بين الرئيس وتوابعه. ما هذا إلا تحكم لا ينبغي. هذا أنا مع جمعي أمشي على القلعة الساعة، الساعة. فقام من المجلس، وقد اضطرب العسكر كله، حيث لا يدرون ما هذه المشية، كل جمع سار بالإنفراد. فحمل عبد العزيز بيك جمعه، وكانوا قدر عشرة آلاف، حتى وصل بقرب القلعة، وكان بينه وبين أهل القلعة علامات، فعرفوها، ورُد منكسرًا، وهو قد فعل ذلك توريةً. فصاح الناس كل واحد من جانب، فجاءت الكُرد، وكانوا هُم زبدة عسكر علي باشا، يبلغ عددهم اثني عشر ألفًا، فقالوا لعلي باشا: مُرنا حتى نُقاتل هذه الجموع المُختلفة عليك، فقال: حتى أرى بعد ذلك. وقد وافق حمود المنتفقي (**) البيكات، وظهرت خيانة هؤلاء، فخاف علي باشا من احتياط العسكر، فهَمَّ

---

(*) البيقات أو البيكات : جمع بيك ، لقب تركي دون الباشا.

(**) المنتفقي أو المنتفجي : لقب لكل من يرأس أو ينتمي لحلف قبائل المنتفق أو المنتفج.

بالمسير إلى نحو العراق. فلما وصل مُقابلة القطيف، على موضع أبيار ماء لبني خالد، رأى هناك عسكرًا من عساكر عبد العزيز على الماء. وذلك العسكر يبلغ عدده خمسة عشر ألفًا. وكان كبيرهم إذاك سعود بن عبد العزيز. فجاء الأكراد إلى علي باشا وقالوا: ذلك اليوم قلنا لك إن هؤلاء البيكات والمنتفق مَردى، أهل خيانة فلنحمل عليهم فمنعتنا عن ذلك. واليوم هذا عسكر عبد العزيز على الماء، وهم يهمون بمحاربتنا فلنقاتلهم، وسيُبين لك صدق حديثنا السابق. فأمرهم بالقتال. فاستعدت الكرد لقتال سعود وتهيأ سعود لقتالهم. وأمر علي باشا المنتفق والبيكات بالقتال ضد سعود، فقاتلوه رياءً وسمعة، لا عن قلب صادق. وقتل ذلك اليوم ولد حمود، خالد، وكان من أحب أولاد حمود عنده. ثم في أثناء القتال وقعت الرسل تتواتر بين العسكرين، فأنحاز عسكر المنتفق إلى جهة، والبيكات إلى جهة أخرى، ولم يبق إلا الأكراد، فأرسل لهم علي باشا بأن كفوا عن القتال فاكتفوا. فقال علي باشا لعبد العزيز بيك: ما هذا الصلح الذي وقع بينك وبين سعود؟ فقال: أسأل شيخ المنتفق به. والله إني لأرى القتال معه اليوم واجبًا، لكن رأيت أن شيخ المنتفق مائلاً إلى الصلح، مع أن ولده ألأعز قد قُتل، عرفت أن القتال مع هذا الجمع اليوم غير صالح. وكان عبد العزيز بيك كاذبًا في حلفه، فأسر الأمر علي باشا في نفسه، ولم يبده أصلاً. فأرسل إلى حمود قائلاً: ما هذا النفاق؟ هل هي خيانة أم أمانة؟ فأجابه: إن هذه مصلحة. ولا شك أني لا أرضى بقتل طائفتي اليوم، يعني المنتفق، وإني لأرى النصر من جانب سعود، وقومنا عطاشا، ولكن اصنع بعد ذلك ما تريد. فإن كان ترى الصلح خيرًا، حتى نسعى في تتميمه وإن رأيت الحرب خيرًا فأنت وهو، هذا طريقنا لنعود له. فلما عرف علي باشا منهم ما عرفه، قال لحمود: لا بأس بما صنعت، لكن قرر لنا معهم صلحًا يكون بشروط وعهود حتى لا يلحقنا لوم وركاكة. فاشترط عليهم أن لا يتعرضوا أطرافنا من العراق والبصرة، وأن يُرجعوا علينا بعض الخروج التي صرفناها في هذه المدة. فأرسل حمود واحدًا من معتمديه إلى سعود وقال الرأي كذا وكذا. دع الصلح يجري هذا اليوم، ولو كان ببعض دفع المال. فقبل سعود ذلك لمصلحة، وصار

الضامن بدفع المال الشيخ حمود. وقبل سعود أيضًا أن لا يتعرض أطراف رعايا أهل بغداد، لكن استثنى علي باشا بأن يعرض هذا الصلح على نظر الوزير سليمان باشا، فقبلا معًا، وتنحى عسكر سعود عن بعض المياه، فوردها علي باشا، فجاءت إليه الكُرد قائلين: اليوم انقض العهد، ودعنا نُقاتل كل هؤلاء فإننا قد روينا من الماء، وهو بيننا. قال: لا يمكن ذلك بعد القول بالمُصالحة. فسار إلى بلبلول، وأقام هناك أيامًا قلائل، قيل عشرة أيام، وقيل أربعة أيام، والثاني أصح للرواية. فأمرهم علي باشا بالمسير رأسًا إلى البصرة، وقد ركب هو من بلبلول في يوم العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة، فتوجه إلى البصرة، حتى وصل الجهرة. فأقام فيها يومين، ووجد جماعة من ركبان أهل الدرعية يريدون الكويت، وقد خرجوا من الدرعية لما سمعوا بالصلح، فلم يمنعهم، ولم يتعرض لهم بسوء. ولما وصل البصرة، لم يدخلها، بل أقام في الزبير خارج البلد، سبعة أيام. وسار من تلك الديار بعجلةٍ، حين بلغه خبر من سليمان باشا، بأن عجل. فأنفرد عنه حمود حينئذ، فقال لحمود: سر معنا إلى بغداد لمواجهة الوزير. قال: ما يمكنني، وتعلل بالمرض خائفًا من أن يدخل بغداد. ولما وصل العرجا، قتل عبد العزيز بيك، وصالح بيك، وسليمان بيك، في خيمته بأمر قد أسره الوزير سليمان باشا. وأما محمد بيك، فلم يقتله لأنهُ لما سمع بقتل هؤلاء، انهزم إلى الشط، فركب سفينة وانحدر إلى المنتفق، وكانوا في نهر عمر قريبًا من البصرة من جانب الشمال بثمانية فراسخ. وفي اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني من هذه السنة المذكورة دخل بغداد بأمر الوزير. وقد قتل ذلك اليوم سبعة وأربعين رجلاً من كبار البغداديين، من البيكات، لأنهم أهل فتنة. وهم أهل بغداد القدماء الذين يَدعون أن مُلك بغداد لهم، وكانت الوزارة فيهم قبل ذلك بثلاثين سنة. والحاصل أن سليمان باشا أمر بقتل كثير من البيكات بعد ذلك، حتى قتل منهم مقدار ثلاثمائة رجل».۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف: حسن جمال بن أحمد الريكي.

وعن بداية تلك التحرشات الوهابية بمدن وعشائر العراق، يذكر الرحالة البريطاني ستيفن هيمسلي لونكريك في كتابه ( أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، حيث يقول: « وبعد عام ١٨٧٠م أخذ الخطر الوهابي يُهدد العراق، فقد ظهرت على الحدود من ناحية الصحراء جماعات وهابية وسمت إبلها بشارات بارزة وهي تحمل رقاعًا دينية غريبة، وصارت تغزو مراعي الظفير والمنتفق والشامية. وكذلك أخذ الدعاة الوهابيون يتسللون إلى العراق يُحاولون نشر الدعوة الجديدة في أوساط العشائر والمدن، فكانوا يرتادون مضائف الشيوخ في الفرات ليخطبوا فيها ويستغلوا العداء الموجود لدى العشائر ضد الحكومة العثمانية ووالي بغداد».[۞] - انتهى الاقتباس -

وكما مرَّ بنا حول أسباب فشل حملة الكيخيا على الأحساء، وذلك عندما شعر بخيانة البعض وتخاذل وتململ البعض الآخر، ومن ثم مُناشدة سعود بن عبد العزيز للكيخيا طالبًا منه الصلح، فوافق الكيخيا على تلك المُصالحة المشروطة، ومن ثم عاد لبغداد دون أن يُحقق هدفه الرئيسي في القضاء على الوهابيين، ويبدو أن سعود بن عبد العزيز قد أرسل موفدًا منه إلى بغداد، كي يوقع على بنود ذلك الصُلح الذي تمَّ الاتفاق عليه قرب الأحساء، وقد أحدث مجيء ذلك البدوي الوهابي المُرسل من قبل عبد العزيز حالة من السخرية والتندر في بغداد، حيث يذكر لونكريك عن تلك الحادثة قائلاً:

« وبعد مُراسلات ومفاوضات وافق الفريقان على الصلح، وعادت الحملة إلى بغداد في شهر تموز من عام ١٧٩٩م. ولم يبق سوى إقامة المراسيم لتصديق شروط الصلح، فأرسل ابن سعود رجلاً من عنده إلى بغداد ليمثله في توقيع وثيقة الصلح. وهنا حدثت المهزلة التي ضحكت لها بغداد: فقد زُينَ السراي وزُخرفت جدرانه من أجل استقبال المُمثل السعودي، ولبس الوالي وحرسه أزهى ما عندهم من ملابس رسمية مُزركشة واصطف الجند استعدادًا للاستقبال

---

[۞] كتاب : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث \ تأليف: ستيفن هيمسلي لونكريك.

ولكنهم فوجئوا بظهور رجل بدوي ذي أسمال يمشي بخطى سريعة، وعندما دخل هذا الرجل لم يلتفت إلى الباشوات الذين حضروا للاحتفاء به، بل تركهم جانبًا وجلس القرفصاء بين يدي الوالي، ثم قدم وريقة وسخة وأخذ يخطب بلهجته النجدية خطابًا جافًا مُهينًا». ۞ -انتهى الاقتباس-

ويذكر ياسين العمري في كتابه (غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر)، أن ذلك الصلح الهش الذي تمَّ بين والي العراق وبين سعود بن عبد العزيز لم يدم طويلاً، بسبب حادثة دموية وقعت تسبب بها الوهابيين كعادتهم، حيث قاموا بقتل شيخ قبيلة الخزاعل العراقية المُعروفة التي تقطن بالقرب من النجف، وعن تلك الحادثة يقول العُمري:

«أن قافلة من أعراب نجد جاءت إلى العراق بحراسة فرسان من أتباع ابن سعود، وقد وصلت القافلة إلى بغداد فباعت ما لديها واشترت ما تحتاج إليه ثم عادت، وعند مرور القافلة بالنجف في طريق عودتها إلى ديارها، شاهد الوهابيون شيخ الخزاعل وهو يُقبل قبة المرقد العلوي فهجموا عليه وقتلوه وإذ ذاك نشبت معركة دامية بين الوهابيين والخزاعل دامت ثلاث ساعات قُتل فها عدد كبير من الفريقين ونهبت أباعر الوهابيين وخيلهم». ۞۞ -انتهى الاقتباس-

وهذا ينفي ادعاءات كل من يزعم بأن الهجوم على كربلاء كان لغرض الانتقام لتلك القافلة الوهابية التي خاضت معركة مع عشيرة الخزاعل في النجف، بدليل أن قافلة الوهابيين هي من بدأت بالقتال وذلك عندما قام رجال الوهابيين بقتل شيخ قبيلة الخزاعل أثناء قيام هذا الأخير بتقبيل بوابة أو ضريح علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، ولهذا انتفضت عشيرته عن بكرة أبيها في ساعة ثأر وغضب للانتقام لمقتل زعيمها وجرت معركة بين الطرفين قُتل فيها عدد كبير من الجانبين. ثم أن أهل كربلاء ليسوا مسؤولين عن تصرفات عشيرة

---

۞ كتاب : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث \ تأليف: ستيفن هيمسلي لونكريك.

۞۞ كتاب : غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر \ تأليف: ياسين العمري.

الخزاعل التابعة لأهل النجف، هذا إذا سلمنا جدلاً أنهم قتلوا عددًا كبيرًا من جموع الوهابيين المُعتدين أصلاً، كما أن الأطفال والنساء والشيوخ الذين تمَّ قتلهم في كربلاء ليسوا طرفًا في ذلك النزاع، وليس من الرجولة أو الشرف أو حتى المروءة قتلهم بتلك الطريقة الوحشية البشعة، حتى ولو كانوا بوذيين. ثم إن حملات عبد العزيز بواسطة ولده سعود كانت تُشن على مناطق العراق الحدودية قبل حادثة كربلاء بسنوات، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان سعود ومن ثم ولده عبد الله يُهاجمان مدينة الزبير، وأهلها جميعهم من أهل السُّنة والجماعة وكانوا على المذهب الحنبلي أيضًا، وكان الوهابيون يقتلون وينهبون ويحرقون المزروعات ويدفنون الآبار، دون مُراعاة لا لدين ولا لمذهب ولا حتى لمروءة!.

ولهذا فإن الزعم بأن حملات سعود بن عبد العزيز وولده عبد الله من بعده على النجف وكربلاء، لم تكن حروبًا انتقامية أو ثأرية كما يدعي البعض، بل كانت غزوات دموية لغرض النهب والسلب، وكذلك كانت لغرض تصفية الحسابات مع والي بغداد وأيضًا لخلخلة النظام في تخوم الدولة العثمانية، لصالح جهات استعمارية يُهمها زوال تلك الدولة الإسلامية العظيمة.

وقد جرت بعد تلك الحادثة الشنيعة مُحادثات بين سعود بن عبد العزيز ووالي بغداد، لكنها لم تفضي إلى نتيجة، ثم باشر الوهابيون بعدها بشن الهجمات الدموية على المناطق العراقية المُحاذية لنجد، وكان من أشهر تلك الهجمات، هي واقعة كربلاء، حيث يذكر الرحالة البريطاني لونكريك عنها، قائلاً:

« كانت واقعة كربلاء قد حدثت في يوم ٢٢ نيسان من سنة ١٨٠٢م، وهو يوافق يوم ١٨ ذي الحجة من سنة ١٢١٦هـ. وهذا اليوم كما هو معروف من أعياد الشيعة ويُسمى "عيد الغدير" وقد دخل الوهابيون بلدة كربلاء يومذاك على حين غرة وهم شاهرون سيوفهم يذبحون كل من يلقونهم في طريقهم، ولم يستثنوا منهم الشيوخ والنساء والأطفال». [۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث \ تأليف: ستيفن هيمسلي لونكريك.

وقد ذكر عثمان بن بشر في كتابه "عنوان المجد" ذلك الصلح، وأقرَّ بأن سعود لم يكن راغبًا أصلاً بمواجهة جيش الكيخيا الجرار، بل أراد إخافتهم فقط وحينما علم أنهم قد انسحبوا وربما استطاع أن يباغت من تخلف منهم، لكنه فوجئ بوجودهم قرب مورد "ثاج" فأراد الله أن يجمع بينه وبين عدوه على غير ميعاد، كما يصف ابن بشر، حيث كان يظن سعود أنهم قد رحلوا من مورد الماء المعروف بالشبك قرب ثاج، ويقول ابن بشر أنهم أي الكيخيا وجيوشه طلبا الصلح والمُكافأة، وعثمان بن بشر يُراوغ في ذكر الحقيقة، حيث نمق وبدل كلمة التعويض وسماها بالمُكافأة، وعمومًا فقد وافق سعود على الصلح وعلى دفع تكاليف جيش الكيخيا ووعده بإعادة المدافع التي غنموها من ثويني، حقنًا للدماء كما يذكر ابن بشر. وقد أكد الشيخ عثمان بن سند في كتابه مطالع السعود الدور الخبيث الذي لعبه إبراهيم بن ثاقب بن وطبان، وكيف سعى جاهدًا لثني علي بيك الكيخيا عن حرب ابن عمه سعود بن عبد العزيز بالمكر والحيلة، وكيف اندس بين صفوف أهل الزبير وذهب مع الكتخدا بزعم أنهُ يريد أن يُحارب ابن سعود مع قوات الدولة العلية، بينما كان إبراهيم بن ثاقب يُضمر الخيانة والشر للحملة وقائدها، وكيف كون له طابور خامس داخل تلك الحملة لخلخلة الصفوف وإضعاف المعنويات، وقد دفع الكتخدا للتراجع وعدم خوض الحرب مع ابن عمه سعود بن عبد العزيز، وتلك الخيانة ليست غريبة على آل سعود ولا هي بجديدة على أبناء عمومتهم من آل وطبان، فكلاهما ينحدران من جد خبيث واحد وهو مرخان، وقد ذكر عثمان بن سند في كتابه ذلك الدور الخبيث الذي لعبه إبراهيم بن ثاقب حفيد مرخان، فيقول عنه: « فبينما الفريقان يتحاربان، إذ لانت شكيمة رؤساء العساكر للصلح، وصاروا يبكون للكتخدا ويوهمونه بقوة ابن سعود، والحقيقة أن الأمر على خلاف ذلك، إنما من أبطن الخيانة (إبراهيم بن ثاقب بن وطبان) تيقن أن عساكر بن سعود لا زاد معهم، وأن مآلهم أن يهربوا، فما أراد الفشيلة على صديقه وابن عمه في الباطن، بل حسَّن للكتخدا أن الصلح أوفق والكتخدا غلام

غر سلّم أموره لأعدائه وهو لا يشعر، وقتل قبل ذلك خالد بن ثامر أخو حمود، فلم يأخذ ثأره....الخ. إلى أن يقول ابن سند: وأعلم أن علي باشا الكتخدا إنما صالح سعود لما داخله من الخوف، بسبب استشارته لبعض أعدائه في الباطن، وأصدقائه في الظاهر، مثل إبراهيم بن ثاقب بن وطبان(*) فإنه كان من أقارب سعود الخارجي، وهو فصيح المنطق داهية دهياء في التحايل وفي قلب الموضوع، وربما سأله بعض خواص على باشا عن كمية عساكر سعود لعدم مفاوضته لأهل النصح والديانة». ۞ -انتهى الاقتباس-

والأب ثاقب هذا، سعودي جلوي كان دخيلاً على أهالي الزبير الكرماء، كان قد هرب والده المدعو وطبان بن ربيعة بن مرخان من الدرعية بعد أن قام بقتل ابن عمه مرخان بن مقرن، ففر كعادة المطلوبين للثأر ولجأ إلى مدينة الزبير جنوب العراق، التي أصبحت ملجئًا آمنًا ومقرًا بديلاً لكثير من أهالي نجد، حيث كانت بيئتها قريبة جدًا من بيئة الدرعية وبقية مناطق العارض.

والمُفارقة العجيبة في مدينة الزبير أنها حوت وآوت جميع الهاربين والمُضطهدين النجديين الفارين من بطش الحركة الوهابية، والتي نكلت بهم وبقبائلهم وعاثت فسادًا وإفسادًا بقراهم ومدنهم، بزعامة محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وأبنائه، ثم عادت الزبير وفتحت ذراعيها لتضم هذه المرة أغلب الوهابيين القتلة الهاربين الذين طردهم جيش إبراهيم باشا، أولئك الذين سبق لهم وأن حاصروا الزبير وقتلوا أبنائها، وذلك بعد أن اجتثهم إبراهيم باشا ودمر الدرعية بالكامل وقضى على الوهابية، فلجأ الكثير من الوهابية إلى مدينة الزبير!!

---

(*)إبراهيم بن ثاقب بن وطبان: هو أحد أبناء عمومة ابن سعود وقد فرَّ جده وطبان بن ربيعة بن مرخان بعد أن قتل ابن عمه مرخان بن مقرن، فهرب من الدرعية ولجأ إلى الزبير الواقعة في جنوب العراق والتي كانت على الدوام ملجئًا آمنًا لأهل نجد، وسوف أورد فصلاً كاملاً عن بلدة الزبير وأفصل عن حكاية إبراهيم بن وطبان.

۞ كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.

فسبحان الله كيف كان هؤلاء الوهابيون الأوباش بالأمس القريب يحاصرون أهالي الزبير ويسلبون حلالهم وأموالهم ويبيحون سفك دمائهم بزعم أنهم كفرة ومشركين، والآن هم يعيشون بين ظهرانيهم آمنين قانعين مُطمئنين!.

وقد أنجب هذا الجلوي ثاقب بن وطبان عدة أبناء، فكان هؤلاء الأبناء العاقون للزبير حقودين خبثاء تعودوا على زرع الفتن وحياكة المؤامرات والفتن بين وجهاء وأمراء الزبير، ربما بدافع الحقد أو الحسد، فهم كانوا كـ العنز التي حفرت بقرنها عن مقتلها، حيث يذكر ابن سند عن الفتنة التي أشعلها محمد بن ثاقب شقيق إبراهيم سالف الذكر، ضد وجيه الزبير يوسف الزهير، حيث كان ابن ثاقب يغار كثيرًا من الشيخ يوسف بن زهير، كونه نجدي الأصل مثله ومع هذا أصبح له مال وصيت ومكانة حتى بات شيخًا ووجيهًا على أهل الزبير، فأراد محمد بن ثاقب أن يُثير الفتنة تزلفًا ونفاقًا للمنتفق، وسعى لأن يوغر صدور عشائر المنتفق الذين أغلبهم من قبائل شيعية عراقية بقيادة ابن سعدون، لكي يقتلوه ويحل هو بدلاً عنه، فأدعى أن يوسف الزهير يريد أن يُسمم راشد بن ثامر السعدون. فيقول ابن سند في تلك الفتنة التي أثارها الخبيث ابن ثاقب قائلاً:

« وفي هذه السنة (١٢٣٨هـ): وقعت واقعة بين سكان بلدة الزبير، وكانوا قبلها يدًا واحدة على من قصدهم بشر، حتى فشا بينهم ضربان الخلاف، ففرق ائتلافهم وأوقع بينهم الحسد والبغضاء، وذلك أن محمد بن ثاقب بن وطبان، كان يحسد يوسف بن زهير على ماله، وعلى ما أنعم الله عليه، ولاستعباده أشراف الناس بسماحة خلقه وتواضعه، فأدعى ابن ثاقب على ابن زهير دعوى يكذبها من له أدنى عقل، وتلك الدعوى أن يوسف بن زهير أُمر بسمّ راشد بن ثامر، وصدقه في دعواه بعض المُغفلين، وأفشاها من يُحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وكل هذا إرضاءً لآل المنتفق. وكان ابن ثاقب قبل دعواه تلك، مُصطفيًا بعض أوباش أوغاد لا عقول لهم، لأن يُعينوه على أخذ

يوسف بن زهير وتسليمه إلى حاكم البصرة، فسعى ابن ثاقب إلى حاكم البصرة، فصدقه المُغفل من غير أن يُقيم دليلاً على صدق دعواه، خصوصًا والدعوى على غائب لا تسمع، فالمتسلم رفع القصد إلى داود باشا، فلما شاع خبر السم أخذ يوسف بن زهير في التحذر، وأنضم إليه كل من له عليه معروف، وتحيز في بيته من يغضب لغضبه، ويعيش بسببه. فلما علم ابن ثاقب أن عدوه تحذر وأنه في حصن من الرجال لا يمكن افتراسه، ولا يمكن إيقاع المكيدة به، أمر الزمرة الأوغاد الذين اصطفاهم أن يهجموا بسلاحهم ليلاً على ابن زهير في داره، فلما مدّ الليل رواقه تجمعوا وأرادوا الهجوم على ابن زهير فأحس بهم خُدام ابن زهير قبل أن يصلوا إلى باب داره، فتقاتلوا وقتل من أتباع ابن ثاقب، وانهزم الباقي، ورجعوا خائبين، ثم دخلوا البصرة، فأخرجوا منها بأمر داود باشا حذرًا من تفاقم الفتنة وضرر الناس. فنزل ابن ثاقب وأتباعه قريبًا من نهر المعقل، ومتسلم البصرة إذاك محمد كاظم أفندي، فمازال ابن ثاقب في منزله حتى هجم عليه رجال كثيرون في الليل، فأرادوا قتله فاشتبك القتال بين الفريقين، وقتل من قدر الله عليه بالشقاوة، إلا ابن ثاقب سلم وانهزم حتى عبر الفرات، وجعل يُكاتب من يُساعده من أصحابه، وأكثر من كان يساعده سرًا وجهرًا متسلم البصرة محمد كاظم أفندي، فإنه صرف في تأييده جهده وكثيرًا ما كان يُخبر الوزير داود باشا بصحة دعوى ابن ثاقب، ولمَّا ورد حمود بن ثامر من البادية خدع يوسف بن زهير بمودته. فلما ورد عليه وصار في قبضته منعه الانصراف، وركب معه الاعتساف، وبقي عنده مدّة حتى مَرِض من شدة القهر، أو من أمر آخر الله أعلم به، فلما اشتد به المرض إذن له بالانصراف، فما دخل البصرة حتى قبض رحمه الله، كان ذا صدقات وأعمال بر وعفة عن المُحرمات وسيرة حسنة مُذ شبّ إلى أن مات، وهذا ما أعلمه والله يتولى السرائر».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.

إذن كما لاحظنا فإن المؤرخ النجدي عثمان بن سند يعزو السبب الرئيسي في فشل تلك الحملة العسكرية إلى خيانة أحد أبناء عمومة آل سعود الذي التجأ جده وطبان سابقًا إلى مدينة الزبير وأصبح من سكانها، وهو المدعو إبراهيم بن ثاقب الذي كان برفقة الكيخيا علي حيث انضم مع حملة أهالي الزبير المُرافقة للكيخيا.

بينما المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي ونقلاً عن الضابط الفرنسي جان ريمون يُرجع السبب الرئيسي في فشل الحملة إلى خيانة بكوات بغداد الذين قبلوا رشاوى عبد العزيز وولده سعود، وعلى رأس هؤلاء كان رئيس قبيلة العبيد محمد الشاوي بك.

ومهما اختلفت تشخيصات ابن سند من جهة، وجان ريمون ومعه لويس دوكورانسي من جهة أخرى في تحديد المُسبب الفعلي لإحباط تلك الحملة، إلا أنهم جميعًا يتفقون على أن هنالك خيانة قد حدثت من قبل البعض، وتخاذل ومواربة جرت من قبل البعض الآخر، جعلت تلك الحملة تفشل في تحقيق هدفها الرئيسي وهو اجتثاث الوهابية والقضاء على عبد العزيز وولده سعود، فعادت الحملة خالية الوفاض باستثناء تحقيقها لأهداف آنية فقط منها إرغام سعود المُرتعب من جيش الكيخيا على المُبادرة بالصلح ومن ثم قبوله بأن يدفع جميع التكاليف المالية لتلك الحملة، وذلك ما لم يحصل أصلاً، لأن آل سعود مُنذ أن عُرفوا كانوا ينقضون العهود ويضربون بالوعود عرض الحائط.

وعن ذلك الدور الذي لعبه محمد الشاوي زعيم قبيلة العبيد في إفشال تلك الحملة العراقية، والذي سبق وأن أوردت جزءًا مما ذكره جان ريمون عن خيانته للكيخيا علي، ومن ثم القضاء عليه وقتله لاحقًا، حيث يُضيف دوكورانسي في موضع آخر من الكتاب عن الشاوي قائلاً:

« وفي عام ١٧٩٧م بدأ الباب العالي يُفكر جديًا بالحد من تقدم الوهابيين، ففي تلك الفترة استلم سليمان باشا، حاكم بغداد أمرًا بالسير لمواجهتهم. فجمع

جيشًا عديدًا وأسند قيادته لـ كيخيا علي، وهو اليوم الباشا. وقد طلب علي كيخيا إلى عشيرة العبيد مرافقته لأنهم كانوا أعداء عبد العزيز وقد رفضوا الخضوع لقانونه. وصار رئيسهم محمد بك شاوي دليلاً لعلي الذي سار لقتال عبد العزيز في الأحساء التي تتوسط بلاد هذا الأخير. حيث تفصل الدرعية عاصمة الوهابيين عن بغداد، صحراء لا يمكن قطعها بأقل من مسيرة اثني عشر يومًا. والحرارة القصوى، كما فقدان الماء يجعلان هذه الرحلة صعبة وخطرة. لذلك لم يقطعها علي كيخيا إلا بعد أن فقد العدد الكبير من الرجال، ومع هذا فقد وصل الأحساء مع قوة عظيمة. وسواء كانت مفاجأة للوهابيين أو أنهم خافوا من مواجهة الهجوم، بعد أن اعتادوا على أن يكون الهجوم من طرفهم، فقد تفرقوا لدى اقتراب علي كيخيا. واضطر عبد العزيز نفسه للانسحاب (*). وكان على وشك الوقوع بين أيدي عدوه، عندما توصل إلى رشوة محمد بك شاوي، فتخلى هذا عن حلفه مع باشا بغداد وأصبح وسيطًا في النزاع. وأفلحت الأساليب التي نفعت في انحيازه لجانب عبد العزيز، في كسب ود علي كيخيا فعقد صلحًا مع الوهابيين. وكان باستطاعته قهرهم، وعاد إلى بغداد مُحملاً بالكنوز». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعن تواطؤ محمد الشاوي مع عبد العزيز بن محمد بن سعود وخيانته للكخيا علي، يذكر لنا السير هارفرد جونز بريدجز في كتابه " موجز لتاريخ الوهابي" حيث يقول:

« إلى جانب ذلك فهنالك محمد بيك (الشاوي) وهو عربي كان يعمل عضوًا في مجلس الباشا سليمان، وقد رافق الكخيا في هذه الحملة بوصفه رئيسًا لمُستشاريه. وكان هذا الرجل يملك مناطق واسعة في ضواحي بغداد، وكان يُعتقد منذ فترة طويلة أنه على تفاهم سري مع ابن سعود ، وهو ما يظهر أن

---

(*) ذكر لويس دوكورانسي عن حملة الأحساء أن عبد العزيز كاد أن يقع في اسر قوات الكيخيا علي، والصحيح هو ولده سعود وليس عبد العزيز، وربما يكون الخطأ من المترجم أو الناسخ.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

**أحداث هذه الحملة والطريقة لتي أديرت بها تؤكده أكثر مما تنفيه».[۞]**

**وعندما قُتل محمد الشاوي بك على يد علي باشا نتيجة لتواطئه مع عبد العزيز وولده سعود، تمرد ولده لطوف الشاوي وأنظم للوهابيين ليس قناعة بل نكاية في باشا بغداد الذي قتل والده، ومن ثم حول قبيلة العبيد من عدو لدود للوهابيين إلى حليف استراتيجي، وباتوا يشكلون موطئ قدم للوهابيين على حدود بغداد، واستمر الوضع كما هو عليه، إلى أن سعى باشا بغداد لمُصالحتهم وإرضائهم، فتبرؤوا من الوهابيين.**

**وعن مناورات لطوف الشاوي تلك، يذكر لويس دوكورانسي في كتابه، قائلاً: « هذه كانت إمكانية سعود داخل الجزيرة العربية. أما في شرقي الجزيرة فكانت جميع القبائل تخضع له. وقد انضم إليه مؤخرًا لطوف بك ابن محمد بك شاوي، مع عدد كبير من العرب القاطنين في جوار بغداد، فزادوا في إمكاناته. وكان لطوف بك قد أصبح وهابيًا بعد فترة قصيرة من مقتل أبيه بأمر علي باشا. وهو نفس لطوف بك الذي استولى على قريتي هيت وعانة على شاطئ الفرات بمساعدة بعض الوهابيين وبعض رجال قبيلة العبيد وقام بعمليات سلب كبيرة ».[۞۞] - انتهى الاقتباس -**

**وبعد أن فشل علي بيك كيخيا بغداد في مهمته العسكرية لسحق الوهابيين، وكَّل الباب العالي الأمر لوالي مصر محمد علي باشا كونه أفضل وأقوى الولاة على الإطلاق، وكان أول من تسمى بلقب خادم الحرمين الشريفين هو السلطان سليم الأول. وعن الأسباب الكامنة وراء اختيار محمد علي لتلك المهمة العسيرة لغرض القضاء على فتنة الوهابيين، يذكر لنا المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان في كتابه قائلاً:« وهناك عدة اعتبارات مهمة حملت الباب العالي عقب إمضائه على معاهدة (بخارست) على الاستمداد (الاستعانة) بالباشا**

---

[۞] كتاب : موجز لتاريخ الوهابي \ تأليف: السير هارفرد جونز بريدجز.

[۞۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

(محمد علي) في قمع الوهابيين، منها أنهُ كان أقوى ولاة الدولة وأقدرهم بمواهبه الذاتية على إيقافهم عند حدهم، وكان السلطان سليم الأول لما هزم المماليك الشراكسة وقتل أخر ملوكهم، أسمى نفسه في خطبة الجمعة "خادم الحرمين الشريفين" وتسمى السلاطين من بعده كذلك، ثم تلقب بألقاب الخلافة، فكان من المفروض على سلطان آل عثمان بهذا الوصف أن يكون أول ما يهتم به قمع أعداء الدين والقضاء على بدعهم. وكان من اختصاصه بالطبع النظر في أمور الدين، إلا أن سياسته كانت لا تخلو من أثر التخوف والتهيب من امتداد شوكة محمد علي ونماء قوته ونفوذه نماءً محسوسًا موجبًا للحذر، فكانت الضرورة في ذلك الوقت تقتضي بأن تزج بحرب محفوفة بالصعوبات والأوعار مع أولئك الثوار الخوارج المُبتدعين، واليًا تُخشى نزعاته الاستقلالية لتضعف قوته وتستنزف أمواله وتجعل سلطانها عليه بذلك مؤكدًا». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما يوثق لنا كذلك مُفتى الشافعية في مكة المُكرمة الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتابه، قرار السلطان العثماني سليم الثالث بأن يُجهز والي مصر محمد علي باشا قواته لقتال الوهابيين، فيقول:

« ذكر صدور الأمر من السلطان سليم لمحمد علي باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢هـ: وفي سنة اثنتين وعشرين صدر الأمر من مولانا السلطان سليم لمحمد علي باشا صاحب مصر أن يجهز الجيوش العسكر لقتال الوهابي وإخراجه من الحرمين الشريفين، وكان محمد علي باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين السناجق المماليك الذين كانوا مُتغلبين على مصر مُحاربات ووقائع كثيرة، وإلى هذا الوقت لم يصف له مُلك مصر، بل كان في ارتباك كثير، فلم يتيسّر له إرسال الجيوش لقتال الوهابي بالحجاز، وكانت تتكرر عليه الأوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فما تيسر له ذلك إلاّ في أوائل

---

۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

سنة ست وعشرين. فجهز جيشًا عظيمًا وجعل ساري عسكره ابنه طوسون باشا. وجعل معه من العلماء الشيخ المهدي والسيد أحمد الطحطاوي محشي الدر المختار، ورئيس التجار السيد محمد المحروقي».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو أن السلطان محمود أصدر هو الآخر أوامره في سنة ١٢٢٦هـ وذلك بعد أن تولى الخلافة، فأمر محمد علي لكي يجّهز حملة عسكرية ضد الوهابيين؛ كما يذكر عثمان بن سند في كتابه، حيث يورد :

« ومن مناقب السلطان محمود التي يفتخر بها على سائر الملوك إزالته رأس المُبتدعة الوهابي الخارجي من أرض العرب، وتطهير الحرمين من تلك النجاسات بعدما ملكها الوهابي نحو سبع سنوات، فأمر السلطان محمود؛ محمد علي باشا والي مصر القوللي[*] أن يُجهز جيشًا لإزالة الوهابية من سائر أرض الله، وذلك بعدما استولى الوهابي على الحرمين، ونهب جميع ما في الحجرة (النبوية) من الذخائر والجواهر، ومنعه حجاج مصر والشام على أنهم مشركون، فلا يُقرب المسجد الحرام بعد عامهم هذا....الخ».

إلى أن يقول ابن سند: « وفي سنة ١٢٢٨هـ خلت الحَرمان من جميع أتباع الوهابية، وفي التاسعة والعشرين استولى محمد علي باشا على جميع أراضي الحجاز، وحصلت واقعة جسيمة بين عساكر محمد علي والوهابية في تربة، وكانت الهزيمة على الوهابية، وكان رئيس عسكر الوهابية هو فيصل بن سعود ورئيس عسكر الروم هو محمد علي باشا بنفسه. ولما فتحت المدينة المنورة، وأرسل مفاتيحها إلى الدولة العلية، خرجوا لملاقاة المفاتيح من خارج القسطنطينية، ولاقوها بالمباخر تعظيمًا جميع كبار ورجال الدولة وعلمائها، وخرج السلطان محمود بنفسه إلى خارج السراية لملاقاتها، وأرسل لسائر البلدان بالبشائر والتهاني، وفي الحال أمر السلطان أن يعيدوا في الحرمين

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

[*] القوللي أو الكوللي : نسبة للبلدة التي ولد فيها محمد علي باشا وهي تدعى (قولة) أو (لاكوال) تقع شرقي سلانيك والتي تتبع لمحافظة مقدونيا شمال اليونان حاليًا.

ما امتدت إليه يد الخراب، فأعيد إلى الحالة الأولى، بل أحسن وزاد في إعطاء أهلها.....الخ».

إلى أن يقول ابن سند: «نهض إبراهيم باشا المصري من بريدة من أرض القصيم عازمًا على قتال ابن سعود، وأخذه مأسورًا إلى السلطان، فوصل إلى "شقرا" من قرة نجد، وكانت غاصة بعسكر ابن سعود، فحاصرها، وامتنعوا من الطاعة، فضربها بالمدافع، وهدم سورها، وهلك أكثر أهلها، فبعد ذلك طلبوا الصلح والأمان، فمنحهم إياه، ودخل البلدة. فأما ما كان من أهل الدرعية، فأنهُ خلى سبيلهم فلحقوا بدرعيتهم، ولم يبال بتفويتهم لقومهم، لما هو واثق به من قوته، وضعف عرب ابن سعود، فارتحل إبراهيم باشا، ووصل القرية المُسماة بضرمة، فامتنعت عن الطاعة، لأن فيها جملة من أهالي ديانة الوهابية المتعصبون على دينهم، فأنذرهم الباشا ولم يسمعوا، فصب عليهم نيران الأطواب حتى ترك سور بلدتهم كأنهُ لم يكن، فغارت الخيل عليهم من جميع الجهات فأبادتهم إلى أخرهم، الرجال الشباب والشيب، ولكن لعفة إبراهيم باشا، حجز العسكر عن النساء، فسافر إبراهيم باشا قاصدًا بلدة مُسيلمة الكذاب، ألا وهي الدرعية، فأول ما وصلها أمر بقطع النخيل، وحاصر البلدة، وطلب من ابن سعود مواجهة السلطان محمود، وتركه لهذه البدعة التي سفكت دماء المُسلمين، وخربت جزيرة العرب، فلم يرضَ عبد الله بن سعود، بل طلب الحرب والنزال والطعن والقتال، فحاصرها الباشا، ورمى على البلدة بالمدافع، وصب عليها من الجلل ما يزيد عن المطر، حتى أذل البلدة، وخربها إلى أن صارت قاعًا صفصفًا. وبعد فتحها بيومين ربط عبد الله بن سعود، وأرسله إلى السلطان محمود، وصار فتحها في التاسع من ذي القعدة الحرام، وهذا الفتح الذي أعز الله به الدين».

ثم يقول ابن سند: «وفي تلك السنة أرسل داود باشا والي بغداد مُحمدًا وماجدًا ابني عريعر الخالدي الحميدي، ومعهما قبائلهما لأجل فتح الحسا والقطيف،

**فسارا وحاربا من كان فيها من عسكر ابن سعود، وفتحا الحسا والقطيف بعد حروب طويلة، وفرَّ عسكر ابن سعود إلى حيث لا يعلم خبرهم، لأنه لا معقل لهم، حيث أخذت الدرعية، وانمحت شوكة الوهابيين من الدنيا، وصار الباقون منهم يتوارون بين الأحجار في البوادي كالجرابيع والأرانب، حتى إنه ذهب بعض المُفسدين».**[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ



**ـ والي مصر محمد علي باشا ـ**

---

[۞] **كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري**

## ▪ نبذة مُختصرة عن ولادة ونشأة محمد علي باشا :

هو الوالي المصري محمد علي باشا ويُطلق عليه باللغة التركية العثمانية القديمة: قوللى محمد علي پاشا، وأما في اللغة التركية الحديثة فيُقال له: Kavalalı Mehmet Ali Paşa؛ وفي اللغة الألبانية يُسمى بـ: Mehmet Ali Pasha، وهو المُلقب بالعزيز أو عزيز مصر، حيث يُعتبر هو المؤسس لمصر الحديثة، وقد حكم مصر ما بين عامي ١٨٠٥م - ١٨٤٨م.

وقد ولد محمد علي عام ١٧٦٩م الموافق عام ١١٨٣هـ من أسرة جذورها ألبانية في مدينة قولة أو لاكوال شرقي سلانيك، التابعة وقتها للولايات العثمانية الأوربية التي كانت تعرف بـ(الروملي)، نسبة إلى الروم، وتتبع بلدة (قولة) لمحافظة مقدونيا شمال اليونان حاليًا، وهي أحد المواني الصغيرة الواقعة على الحدود بين ترافية ومقدونيا، توفى والده إبراهيم أغا وهو مازال في مرحلة الطفولة فاعتنى به عمه طوسون إلا أنه توفي هو الآخر، فتبناه أحد أصدقاء والده وهو "الشوربجي إسماعيل" وعمل على رعايته وتربيته حتى بلغ الثامنة عشر فتعلم الفروسية والمُبارزة بالسيف، ثم التحق بالخدمة العسكرية في الجيش، وقام بخدمة حاكم قولة واكتسب رضاه بذكائه ومهارته، واكتسب الكثير من العادات والآداب الفرنسية، فقرّبه الحاكم، وزوَّجه من امرأة غنية وجميلة تدعى "أمينة هانم"، كانت بمثابة طالع السعد عليه، وأنجبت له إبراهيم وطوسون وإسماعيل ومن الإناث أنجبت له ابنتين. وعندما بلغ محمد علي سن الثلاثين انضم للجيش مرة أخرى عندما بدأ الباب العالي في حشد جيوشه لمهاجمة الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت.

وقد توفي محمد علي باشا في ١٣ رمضان ١٢٦٥ / ٢ أغسطس ١٨٤٨، بعد أن تمكن من نقل مصر نقله نوعية وحضارية هامة مازال التاريخ يتذكرها حتى الآن، حيث استطاع أن يعتلي عرش مصر عام ١٨٠٥م وذلك بعد أن

بايعه أعيان البلاد ليكون واليًا عليها، بعد أن ثار الشعب على سلفه خورشيد باشا، وقد مكّنه ذكاؤه واستغلاله للظروف المحيطة به من أن يستمر في حكم مصر لكل تلك الفترة، ليكسر بذلك العادة التركية التي كانت لا تترك واليًا على مصر لأكثر من عامين.

وقد خاض محمد علي باشا في بداية فترة حكمه حربًا داخلية ضروس ضد المماليك والإنجليز إلى أن خضعت له مصر بالكليّة، ثم خاض حروبًا بالنيابة عن دولة الخلافة العثمانية في شبه جزيرة العرب ضد الوهابيين، وأيضًا قاتل ضد المُتمردين اليونانيين الثائرين على الحكم العثماني في المورة، كما وسع دولته جنوبًا بعد أن ضم السودان، ثم تمرد لاحقًا على الدولة العثمانية حيث حارب جيوشها في جبهات الشام والأناضول، وكاد أن يسقط الدولة العثمانية، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية التي أوقفت محمد علي باشا عند حده، وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها لدولته.

ويحسب لمحمد علي باشا أنهُ خلال فترة حكمه، استطاع أن ينهض بمصر عسكريًا وتعليميًا وصناعيًا وزراعيًا وتجاريًا، مما جعل من مصر دولة ذات ثقل إقليمي في تلك الفترة، إلا أن حالتها تلك لم تستمر طويلاً بسبب ضعف خلفائه وتفريطهم في ما حققه من مكاسب بالتدريج إلى أن سقطت دولته في ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣م، وبإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في مصر.

ومن الذين زعموا أن إبراهيم باشا هو ابن بالتبني لمحمد علي وليس ابنهُ البيولوجي، كان الضابط البريطاني الكابتن جورج سادلبير، وربما يكون سادلبير قد سمع تلك الإشاعة وثبتها عمدًا في مذكراته نكاية بإبراهيم باشا، لأنهُ أهانه وعامله مُعاملة مُزرية، حيث يذكر سادلبير في كتابه قائلاً:

« يُعد إبراهيم باشا الابن الأكبر لنائب السلطان في مصر (محمد علي)، وأمه أخت مُصطفى بيه (العسكري المُتميز)، ويُقال إن أمه كانت أرملة عندما تزوجها محمد علي، وولد إبراهيم بعد عدة شهور من هذا الزواج، لذا فإنهُ يُعد

ابنًا بالتبني لمحمد علي باشا». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويُفند ادوارد جوان تلك المزاعم الكاذبة التي روجت عن إبراهيم باشا، وأشاعت بأنهُ ليس ابنًا شرعيًا لمحمد علي باشا، حيث يقول:

« وحينما رأى الجوربجي (إسماعيل الشوربجي) هذه الحيلة المبنية على الجسارة والإقدام رفعه إلى رتبة بلوك باشي وزوجه من قريبة ثيبة له، ذات ثروة، وكان ذلك في سنة ١٧٨٧م، فرزق محمد علي منها بخمسة أولاد ثلاثة ذكور وهم إبراهيم وطوسون وإسماعيل، وكان ميلاد إبراهيم سنة ١٧٨٩م، المعروفة بحوادثها السياسية الكبرى في فرنسا، وكان زوج والدته الأول لا يزال على قيد الحياة، فأشاع الحسدة واللاحون لهذه المُناسبة أقاويل زعموا فيها أن إبراهيم ابنه لا ابن محمد علي، وإنما تبناه هذا بعد تزوجه من والدته، وبلغ قيحهم وسماجتهم في الزعم الباطل، أن انتحلوا تاريخًا سابقًا لهذا الزواج تارة بثلاثة عشر عامًا، وطورًا بسبعة وعشرين عامًا، وأصحاب الزعم الأخير يؤيدونه بأن محمد عليًا أحب في سنة ١٨١٦م أن يسد الفراغ الذي تركه طوسون باشا بموته، فتبنى إبراهيم باعتبار أنه أقرب الناس إليه بعد أبنائه. وذهب بعض المُتخرصين وأصحاب الغرض إلى أبعد من ذلك، فقالوا إن الوالي لم يرزق بولد قط، في حين أنه رزق غير الإناث بسبعة ذكور». ۞

إذن إبراهيم باشا كان هو الابن البكر والشرعي لمحمد علي باشا وهو من صلبه، ولم يُكن مُتبى حسب ما ذكر بعض الكُتاب غير الدقيقين، حيث لم يطلعوا مليًا ولم يتأكدوا من المصادر التاريخية، فقط وقع كثير من المؤرخين المُعاصرين بنفس الخطأ فذكروا أن إبراهيم باشا كان ابنًا لمحمد علي بالتبني، حيث زعموا أن محمد علي كان قد تزوج من أم إبراهيم وقرر أن يتبناه، وهذا غير صحيح، ومن هؤلاء المؤرخين خير الدين الزركلي وغيره من كُتاب،

---

۞ كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادلبير.

۞۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف: ادوارد جوان.

وهاهو المؤرخ الفرنسي المُستعرب ادوارد جوان الذي عاصر محمد علي باشا يؤكد أبوة محمد علي لإبراهيم باشا، وقد فنَّد تلك الادعاءات الكاذبة في هذا الشأن، وقد جاء أيضًا في بعض رسائل محمد علي اعتراف صريح منه بأن إبراهيم باشا ولده وليس مُتبنى كما يزعم البعض، حيث هنالك رسالة قديمة مُرسلة من باقي بيك إلى إبراهيم باشا وهي موجودة لحد الآن في دار الوثائق القومية المصرية في القاهرة، تصنيف عابدين، محفظة ٢٤، رقم ١٧٩، وهي رسالة من باقي بيك إلى إبراهيم باشا مؤرخة في نهاية شهر شعبان سنة ١٢٤٩هـ يناير ١٨٣٤م، ينقل فيها انزعاج والده محمد علي من بعض القرارات التي اتخذها إبراهيم في حرب الشام، ويصف مردوها السيئ في نفس والده، الذي صرح بذلك، لأنها صدرت من ابنه الذي هو من صلبه.

وعن حياة محمد علي يذكر لنا أيضًا المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان نبذة مًختصرة عنه، ويورد أن والد محمد علي كان تركيًا ولم يذكر أنهُ ألبانيًا، وفيها سرد شخصي يبدو أنهُ قد استقاه من قبل محمد علي باشا نفسه، حيث يقول جوان:

« ولد محمد علي ١١٨٢هجرية الموافقة لسنة ١٧٦٩ميلادية التي أخرجت للعالم الغربي (بونابرت) و(شانوبريان) و(كوفييه) و(سولت) و(بليار) و(ني) و(لان) و(همبولدت) و(شيلر) و(ولترسكوت) و(بروغام) و(كانن) و(ولنجتون) وغيرهم من فحول الرجال. كان والد محمد علي وهو تركي الأصل، رئيسًا للحرس المنوط به تأمين الطرقات، وكان اسمه إبراهيم آغا، واتفق أن رأت والدته قبل وضعه فيما يرى النائم ما فسره لها البوهيميون، بأنها ستلد ولدًا يتم له الغنى والجاه والشوكة. فلما كبر ابنها وترعرع، أخبرته بما رأته فظل حافظًا في ذاكرته هذه النبوءة الصالحة، التي بثت فيه روح الأمل فرجًا وأمل. وليس بغريب أن يسمو مثله إلى الآمال العظيمة فإنما وطنه وطن الإسكندر الأكبر ووطن بطليموس، واسمه كاسم النبي مُشتق من الحمد

وليس في هذا وذاك إلا ما يُفيد معنى السمو والعظمة. والآن وقد فاز بهذه المزايا وجاءت له الأماني منقادة، فلنترك والي مصر الجديد يترجم بلسانه ما سلف من حياته. قال: " رُزق والدي بسبعة عشر ولدًا لم يبق له منهم سواي، إذ مات تسعة منهم وهم الذين قبلي في إبان العمر، وهو ما جعل والدي يحوطني بحنانه وحبه، وكان رفاقي في الطفولة يهزؤون بي في أغلب الأحيان، ويلقون في أذني الجملة الآتية التي إن أنس لا أنسى قط مرارتها. كانوا يقولون إنني إذا فقدت والدي فمن ذا الذي سيعولني؟ وماذا يكون مصيري؟ وأنني لا أملك شيئًا ولا أصلح لشيء. فأثرت هذه الكلمات في نفسي تأثيرًا جعلني أعقد النية على تحسين حالتي بتسلطي التسلط المُطلق على نفسي. واتفق لي أكثر من مرة أن أقضي يومين مُتعاقبين في الركض وتحمل العناء ولا أصيب فيها إلا القليل من النوم والغذاء، وما زلتُ كذلك لا أذوق للراحة طعمًا حتى فقت أقراني فوقًا عظيمًا وسبقتهم سبقا محسوسًا في صنوف الرياضة البدنية.....الخ" ».[۞] -انتهى الاقتباس-

وبعد أن سيطر إبراهيم باشا على الدرعية وأخذ آل سعود وآل الشيخ كأسرى، ما عدى من فرَّ منهم لا يلوي على شيء، أمر جيشه بهدم الدرعية وتسوية الحصون والأسوار بالأرض،واستولى على جميع أسلحة وخيول آل سعود ومن ضمنها بضعة مدافع، وقد استغل جيش إبراهيم باشا أهل الدرعية المهزومين لتأدية بعض أعمال السخرة وخدمة الجيش، ومن ثم أمر بعض جنوده بتخريب بعض أسوار وحصون قرى نجد ممن وقف مع عبد الله بن سعود، وهو عقاب بسيط مُقارنة بقصاص وجرائم آل سعود بحق المُسلمين ممن لم يتبعوهم، حيث يتحسر المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر على ما آلت إليه الأوضاع في نجد، ويذكر ما جرى في الدرعية بعد تلك الهزيمة النكراء قائلاً:

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

«( ثم دخلت السنة الرابعة والثلاثون بعد المائتين والألف ١٢٣٤هـ) وإبراهيم باشا في الدرعية على الحال المذكورة. وارتحل بنفسه وحاشيته وقبوسه وقنبره ومدفعه من سمحان ونزل نخل تركي بن سعود المعروف بالعويسية أسفل الدرعية وباقي عساكره فرقها في نخيلها وأطرافها. وكان قد بعث قوايسيه وعساكر من حاشيته وخدمه وفرقهم في نواحي نجد وأمر بهدم أسوار البلدان وحصونها. فنزلوا البلدان وهدموا الحصون والأسوار وصادروا أهلها بخراجهم وعلف الخيل وعليقها بالليل والنهار، وجمعوا ما فيها من الحنطة والشعير إلا قليل...... الخ». إلى أن يقول عثمان بن بشر: «ثم أن الباشا أخذ خيل آل سعود وشوكة الحرب وما وجد عليه اسمهم في بندق أو سيف. وأكثر العساكر العبث في أسواق الدرعية بالضرب والتسخير لأهلها، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات فيسخرونهم ويهدمون البيوت والدكاكين، ويحملون خشبها ويكسرونه ويردون لهم الماء ويحملونه، فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالم قدره، وصار الساقط الخسيس في تلك الأيام هو الرئيس...الخ».

إلى أن يقول ابن بشر: « ثم أن الباشا أقام في الدرعية وطال مقامه فيها نحو تسعة أشهر بعد "المُصالحة" وأمر على جميع آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائهم أن يرحلوا من الدرعية إلى مصر، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم وسار معهم كثير من العساكر إلى مصر، ولم يبق منهم إلا من اختفى أو هرب، وكان تركي بن عبد الله هرب من الدرعية وقت "الصلح" هو وأخوه زيد، وهرب الشيخ القاضي علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى قطر وإلى عمان، وأقام هناك حتى استقامت الأمور لتركي بن عبد الله وهرب أناس غيرهم ونجاهم الله سبحانه».

ثم يقول عثمان بن بشر : «فلما كان في شعبان وقدمت الرسل والمُكاتبات من محمد علي صاحب مصر إلى إبراهيم باشا وهو في الدرعية فأمر بهدم الدرعية وتدميرها، فأمر على أهلها أن يرحلوا عنها، ثم أمر العساكر أن

يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ولا يرحموا صغيرها ولا كبيرها. فابتدر العساكر مُسرعين وهدموها وبعض أهلها فيها مُقيمين. فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور. ونفذ فيها القدر المقدور وأشعلوا في بيوتها النيران. وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان. فتركوها خالية المساكن. وكأن لم يكن بها من قديم ساكن، وتفرق أهلها في النواحي والبلدان. وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شأن».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويذكر لنا الشيخ أحمد زيني دحلان مُفتي مكة المُكرمة في أواخر السلطنة العثمانية، عن بداية ونهاية فتنة الوهابية في مخطوطته مُختصرًا لتلك الأحداث قائلاً:

« وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالاً ونساء وأطفالاً ولا نجا منهم إلا القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير إلى مكة، فعلموا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري فيخرج الجميع لقتالهم فمكثوا في الطائف إلى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج إلى بلادهم، وساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل إلى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشرة بعد المائتين والألف، ومكثوا أربعة عشر يومًا يستتيبون الناس ويجددون لهم الإسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنه شرك كالتوسل وزيارة القبور، ثم ساروا بجيوشهم إلى جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيرًا منهم ولم يقدروا على تملك جدة ، فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا إلى بلادهم

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وجعلوا لهم عسكرًا بمكة وأقاموا لهم أميرًا فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب، وإنما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم، وفي شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والي جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر فوصلوا إلى مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية ورجعت إمارة مكة للشريف غالب، ثم بعد ذلك تركوا مكة وأشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيديهم وجعلوا عليه أميرًا (عثمان المضايفي) فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التي في أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم في طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التي كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة، حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعدم وجود القوت فاضطر الشريف غالب إلى الصلح معهم وتأمين أهل مكة فوسط أناسًا بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة فمن تلك الشروط أن إمارة مكة تكون له فتم الصلح ودخلوا مكة في أواخر ذي القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وانتهبوا الحجرة وأخذوا ما فيها من الأموال، وفعلوا أفعالاً شنيعة، وجعلوا على المدينة أميرا منهم "مبارك بن مضيان"، واستمر حكمهم في الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامي والمصري مع المحامل إلى مكة، وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوبًا من العباء القيلان الأسود، وأكرهوا الناس على الدخول في دينهم ومنعوهم من شرب التنباك ومن فعل ذلك وأطلعوا عليه وعزروه بأقبح التعزير، وهدموا القبب التي على قبور الأولياء. وكانت الدولة العثمانية في تلك السنين في ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى، وفي اختلاف في خلع السلاطين وقتلهم كما سنقف عليه إن شاء الله تعالى، ثم صدر الأمر السلطاني لصاحب مصر محمد

علي باشا بالتجهيز لقتال الوهابية وكان ذلك في سنة ١٢٢٦هـ فجهز محمد علي باشا جيشًا فيه عساكر كثيرة جعل عليهم بفرمان سلطاني ولده طوسون باشا، فخرجوا من مصر في رمضان من السنة المذكورة ولم يزالوا سائرين برًا وبحرًا حتى وصلوا إلى ينبع فملكوه من الوهابية، ثم لما وصلت العساكر إلى الصفرا والحديدة وقع بينهم وبين العرب الذين في الحربية قتال شديد بين الصفرا والحديدة وكانت تلك القبائل كلها في طاعة الوهابي وانضم إليها قبائل كثيرة فهزموا ذلك الجيش وقتلوا كثيرًا منهم وانتهبوا جميع ما كان معهم وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٢٦ ولم يرجع من ذلك الجيش إلى مصر إلا القليل فجهز جيشًا غيره سنة سبع وعشرين وعزم محمد علي باشا على التوجه إلى الحجاز بنفسه وتوجهت العساكر قبله في شعبان في غاية القوة والاستعداد وكان معهم من المدافع ثمانية عشر مدفعًا وثلاثة قنابل فاستولت العساكر على ما كان بيد الوهابية وملكوا الصفراء والحديدة وغيرهما في رمضان بلا قتال، بل بالمخادعة ومصانعة العرب بإعطاء الدراهم الكثيرة حتى أنهم أعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال وأعطوا شيخًا من صغار مشايخ حرب أيضًا ثمانية عشر ألف ريال ورتبوا لهم علائف تصرف لهم كل شهر، وكان ذلك كله بتدبير شريف مكة الشريف غالب وهو في الظاهر تحت طاعة الوهابي، وأما المرة الأولى التي هزموا فيها فلم يكونوا كاتبوا الشريف غالب في ذلك حتى يكون الأمر بتدبيره ودخلت العساكر المدينة المنورة في أواخر ذي القعدة، ولما جاءت الأخبار إلى مصر صنعوا زينة ثلاثة أيام وأكثروا من الشنك وضرب المدافع وأرسلوا بشائر لجميع ملوك الروم واستولت العساكر السائرة من طريق البحر على جدة في أوائل المحرم سنة ثمان وعشرين ثم طلعوا إلى مكة واستولوا عليها أيضًا، وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف سرًا، ولما وصلت العساكر إلى جدة فرَّ من كان بمكة من عساكر الوهابية وأمرائهم، وكان سعود أمير الوهابية حج في سنة سبع وعشرين ثم ارتحل إلى الطائف، ثم إلى الدرعية ولم يعلم باستيلاء العساكر السلطانية على المدينة إلا بعد ذلك

ثم لمَّا وصل إلى الدرعية علم باستيلائهم على مكة ثم الطائف ولما وصلت العساكر إلى جدة ومكة فرَّ من الطائف أميرها عثمان المضايفي وفر من كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم. وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وعشرين أرسل محمد علي باشا مبشرين إلى دار السلطنة ومعهم المفاتيح وكتبوا إليهم أنها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامهم البخورات في مجامر الذهب والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء بالمفاتيح وزادوا في رتبة محمد علي باشا وبعثوا له أطواخا وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده، وفي شهر شوال سنة ثمان وعشرين توجه محمد علي باشا بنفسه إلى الحجاز وقبل توجهه من مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايفي الذي كان أميرًا على الطائف للوهابية، وكان من أكبر أعوانهم وأمرائهم فزنجره بالحديد وبعثه إلى مصر فوصل في ذي القعدة بعد توجه الباشا إلى الحجاز ثم أرسل إلى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد علي باشا في ذي القعدة إلى مكة وقبض على الشريف غالب بن مساعد وبعثه إلى دار السلطنة وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد، وفي شهر محرم من سنة ٢٩ بعثوا إلى السلطنة مبارك بن مضيان الذي كان أميرًا على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به في القسطنطينية في موكب ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السرايا، وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي، وأما الشريف غالب فأرسلوه إلى سلانيك وبقي بها مكرمًا إلى أن توفي سنة إحدى وثلاثين ودفن بها وبني عليه قبة تُزار، ومدة إمارته على مكة ست وعشرون سنة. ثم إن محمد علي باشا وجَّه كثيرًا من العساكر إلى تربة وبيشة وبلاد غامد وزهران وبلاد عسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم سار بنفسه في أثرهم في شعبان سنة تسع وعشرين ووصل إلى تلك الديار وقتل كثيرًا منهم وأسر كثيرًا وخرب ديارهم، وفي شهر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين، هلك سعود

أمير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبد الله ورجع محمد علي باشا من تلك الديار التي وصلها من ديار الوهابية عند إقبال الحج وحج ومكث بمكة إلى رجب سنة ثلاثين ثم توجه إلى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا إلى مصر في منتصف رجب سنة ثلاثين ومائتين وألف فتكون إقامته بالحجاز سنة وسبعة أشهر، وما رجع إلى مصر إلا بعد أن مهد أمور الحجاز، وأباد طوائف الوهابية التي كانت منتشرة في جميع قبائل الحجاز والشرق وبقي منهم بقية بالدرعية أميرهم عبد الله بن سعود فجهز محمد علي باشا لقتاله جيشًا وأرسله تحت قيادة ابنه إبراهيم باشا، وكان عبد الله بن سعود قبل ذلك يكاتب مع طوسون باشا بن محمد علي باشا حين كان بالمدينة وعقد معه صلحًا على بقاء إمارته ودخوله تحت طاعة محمد علي باشا فلم يرض محمد علي باشا بهذا الصلح فجهز ولده إبراهيم باشا وجعل أمر العساكر إليه، وكان ابتداء ذلك في أواخر سنة إحدى وثلاثين فوصل إلى الدرعية سنة اثنتين وثلاثين ونازل بجيوشه عبد الله بن سعود في ذي القعدة سنة ٣٣، ولما جاءت الأخبار إلى مصر ضربوا لذلك ألف مدفع وفعلوا شنكا وزينوا مصر وقراها سبعة أيام، وكان محمد علي باشا له اهتمام كبير في قتال الوهابية وأنفق في ذلك خزائن من الأموال حتى أخبر بعض من كان يباشر خدمته أنهم دفعوا في دفعة من الدفعات لأجرة تحميل بعض الذخائر خمسة وأربعين ألف ريال هذا في مرة من المرات كان ذلك الحمل من ينبع إلى المدينة عن أجرة كل بعير ست ريالات دفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة وعند وصول الحمل من المدينة إلى الدرعية كان أجر تلك الحملة فقط مائة وأربعين ألف ريال. وقبض إبراهيم باشا على عبد الله بن سعود وبعث به وكثير من أمرائهم إلى مصر فوصل في سابع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وصنعوا له موكبًا حافلاً يراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه، ولما دخل على محمد علي باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه، وقال له الباشا ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابني إبراهيم باشا، قال ما

قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره الله تعالى، فقال له الباشا أنا أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون، ثم ألبسه خلعة وأنصرف إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق. ورجع إبراهيم باشا من الحجاز إلى مصر في شهر المحرم من سنة ٣٥ بعد أن أخرب الدرعية خرابًا كليا حتى تركوا سكناها. ولما وصل عبد الله بن سعود إلى دار السلطنة في شهر ربيع الأول طافوا به البلد ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضًا في نواح متفرقة. هذا حاصل ما كان في قصة الوهابي بغاية الاختصار ولو بسط الكلام في كل قضية لطال، وكانت فتنتهم من المصائب التي أصيب بها أهل الإسلام فإنهم سفكوا كثيرًا من الدماء، وانتهبوا كثيرًا من الأموال، وعم ضررهم، وتطاير شررهم فلا حول ولا قوة إلا بالله».[۞] -انتهى الاقتباس-



- القائد المصري إبراهيم باشا الابن الأكبر لوالي مصر محمد علي باشا -

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

والملاحظة المُهمة فيما ذكره لنا مُفتي مكة الشيخ أحمد بن زيني دحلان في مخطوطته الشهيرة، عن سرقة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود لمُقتنيات الحجرة النبوية الشريفة، واستيلائه على الذهب والمجوهرات، وكذلك منعه المُسلم الحليق من حج بيت الله الحرام، وأيضًا ذكره لخبر تسليم عبد الله بن سعود لبعض المسروقات التي سبق وأن نهبها أبوه سعود مع ميلشياته من الحرم ومن حجرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، حيث قال:

« ذكر أمر سعود بإحراق المحمل المصري سنة ١٢٢١هـ: وأما المحمل المصري فإنه لما وصل، أمر سعود بإحراقه، وأمر بعد الحج أن يُنادي ألاّ يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن. وتلا المنادي في المناداة. ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ [سورة التوبة:٢٨]. فانقطع مجيء الحج الشامي والمصري من هذا العام. إلى أن يقول: ذكر أخذ الوهابي ما في الحجرة الشريفة سنة١٢٢١هـ: وفي سنة إحدى وعشرين أيضًا، أخذ الوهابي كل ما كان في الحجرة النبوية من الأموال والجواهر، وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة إحدى وعشرين وأقاموا الشيخ عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمُباشرة القاضي بمكة وأقاموا لقضاء المدينة بعض علماء المدينة، ومنعوا الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم..... الخ، إلى أن يذكر الشيخ دحلان في مكان آخر في مخطوطته الشهيرة قائلاً: ولما استولى إبراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية، وعلى كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه، وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن، فاستبدل من بقي من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بدلاً عنها، وتركوها خرابًا. ثم إن إبراهيم باشا أرسل عبد الله بن سعود وكثيرًا ممن قبض عليهم من عشيرته إلى مصر في أوائل المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين، وأدْخلوه مصر وهو راكب هجين وأمامه كثير من العساكر. وخرج الناس أفواجًا للتفرج ركبانًا ومشاة ونساء وأطفالاً، وكان يومًا مشهودًا لا يكاد

يوصف وقع فيه من نصب الملاعب وشدة الازدحام، وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة، وذهبوا به إلى بيت إسماعيل باشا بن محمد علي باشا ببولاق، فأقام يومه، ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا بشيرًا، فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشه وأجلسه بجانبه وحادثه، وقال له: ما هذه المطاولة؟ فقال: الحرب سجال. قال وكيف رأيتَ إبراهيم باشا؟ قال: ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى. فقال الباشا: أنا إن شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان. فقال: المقدر يكون. ثم ألبسه الخِليعة وانصرف إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق. وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح، فقال له الباشا: ما هذا؟ فقال: هذا ما أخذه أبي من الحجرة [النبوية] أصحبه معي إلى السلطان. وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنًا مكللة، ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة، وبها شريط ذهب. فقال له الباشا: الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا، فقال: هذا الذي وجدته عند أبي، فإنهُ لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه، بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وآغوات الحرم وشريف مكة. فقال الباشا: صحيح، وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك. وفي تاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد الله بن سعود إلى جهة الإسكندرية وصحبته جماعة من العسكر إلى دار السلطنة، ومعه خدم لزومه...الخ. ولما وصل عبد الله بن سعود إلى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس، ثم قتلوه عند باب همايون، وقتلوا كثيرًا من أتباعه في نواح متفرقة». ۞ -انتهى الاقتباس-

ويبدو لي أن سبب جلب عبد الله بن سعود لذلك الصندوق معه تحديدًا، ليس بسبب غلاء ثمنه، بل لأنهُ اعتقد واهمًا أن هذا الصندوق الخاص ببعض مُقتنيات حجرة الرسول ﷺ التي سرقها والده سعود بن عبد العزيز، سوف يُنجيه من الموت، خصوصًا وأن والي مصر محمد علي باشا، سبق وطالب

۞ كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

باسترجاعها عندما وصل الحجاز وسيطر على مكة والمدينة، حيث أرسل آنذاك برسالة لابن سعود يُطالبه فيها، برد ما سرقه سعود من حجرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ولهذا ظن عبد الله بن سعود أن هذا الصندوق سوف يحميه وينقذه إذا ما سلمه للخليفة العثماني.

وعن تلك الرسالة، يذكر بوركهارت قائلاً: «وبعد وصول محمد علي إلى مكة (المكرمة) بأيام، اجتمع مع زعماء المدينة وعلمائها، وقرأ لهم رسالته التي وجهها إلى عبد الله بن سعود يَحُضُّهُ فيها ويطالبه بالخضوع لسلطة محمد علي، ويقدِّم له شروط السلام بينهما. كما طلب إليه إعادة الكنوز التي كان والده سعود أخذها من حضرة الرسول (ﷺ) من عند مرقده في المدينة (المنورة). وإلا فإن ابن سعود سيلقى مصير رفاقه الذي واجهوه في الجنوب، وقد تمَّ إرسال هذه الرسالة بواسطة جندي تركي، يرافقه عدد من بدو الدرعية».[۞] - انتهى الاقتباس -

وعن تلك السرقات الضخمة التي قام بها سعود بن عبد العزيز وأتباعه في المدينة المنورة، وعن عمليات النهب لخزائن الحجرة النبوية، يذكر مؤلف كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب)، جانبًا من تلك اللصوصية السعودية الدنيئة، حيث يقول:

« فلما قرب سعود إلى المدينة، أرسل إلى أهل المدينة بدخوله، فأبوا وامتنعوا عن ذلك. فحمل عليهم كرارًا حتى دخلها بعد وصوله بخمسة وعشرين يومًا، فقتل منها بعض الناس حيث سَمى أهلها الناكثين، لذلك استباح دمهم حتى بعد الحرب فدخل مسجد رسول الله ﷺ وزاره ولبث فيه عشرة أيام لم يُحرك منها ساكنًا. ويوم الحادي عشر جاء هو وبعض أولاده ومن يعز عليه، فطلب الخدم السودان الذين يخدمون حرم النبي. فقال لهم: أريد منكم الدلالة على خزائن النبي. فقالوا بأجمعهم: نحن لانواليك عليها ولانسلطك. فأمر بضربهم وحبسهم

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

حتى اضطروا إلى الإجابة، فدلوه على بعض من ذلك فأخذ كل ما فيها وكان فيها من النقود ما لا يحصى، وفيها تاج كسرى أنو شيروان، الذي حصل عليه المُسلمين لما فُتحت المدائن، وفيها أيضًا سيف هارون الرشيد، وعقد كان لزبيدة بنت مروان زوجته. وفيها تحف غريبة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته ﷺ تزينًا لِقُبته ﷺ وأخذ قناديل الذهب، وجواهر عديدة. ثم إنهُ رتب في المدينة أحدًا من آل سعود، وخرج إلى البقيع يُريد نجدًا، فأمر بتهديم كل قبة كانت في بقيع، وتلك القبب، قبة الزهراء فاطمة بنت الرسول (رضي الله عنها) وقبة الحسن بن علي (رض)، وقبة علي بن الحسين (رض) وقبة محمد الباقر، وقبة جعفر الصادق، وقبة عثمان (رض) أجمعين. ثم سار إلى أحد، وهو جبل بقرب المدينة، على فرسخ من جهة الشرق وهناك قبر الحمزة، عم رسول الله ﷺ وعليه قبة كبيرة. ثم أمر بتهديمها وأقام بأُحد أربعة أيام يعد عسكره ويرى من تخلف عنه ومن هو مريض فيهم».[۞] - انتهى الاقتباس -

وكان من جملة التحف المنهوبة التي سرقها سعود قطعة من الماس لا تُقدر بثمن تدعى الكوكب الدري قيل إن سعود بعد أن نهبها أرسلها إلى الهند وباعها هناك، وقيل إنها قد أعيدت إلى موضعها في المسجد من قبل إبراهيم باشا وذلك عندما جاء إلى الحجاز لحرب الوهابيين، وقد بقيت هناك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ثم اختفت منذ ذلك الحين!.

ويذكر لنا صاحبا كتاب " آثار الأدهار" سنة ١٨٧٧م، أن حجم المسروقات التي نهبها سعود بن عبد العزيز من خزائن الضريح النبوي، بلغت كميتها من الذهب والفضة والمصوغات مقدار ستين حملاً من أحمال الجمال، حيث جاء في كتابهما: «ثم غزا (سعود) بني حرب وأثخن في بلادهم ونزل على بلد ينبع فسلمت له، ثم قصد المدينة المنورة ونازلها أيامًا فدخلها وألزم أهلها الجزية، وجـرَّد ضريح النبي ﷺ مما في خزائنه وذخائره ونقلها إلى (الـ) درعية ، قيل

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي

بلغت مقدار ستين وقر جمل، وهكذا فعل أيضًا بضريحي أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما وأرضاهما)، وعقد على المدينة لـ مزين شيخ بني حرب، وألزم أهلها الدخول في الدعوة الوهابية. وقد هَمَّ سعود بتخريب قبة الضريح النبوي ولم يفعل، وأمر ألا يحج إلى البيت إلا من كان وهابيًا، وشدد بمنع العثمانيين من دخولها، فانقطع الحج بضعة سنين وتوقف حجاج الشام والعجم عن إتمام فريضتهم مخافة إضرار الوهابية بهم. وفي أواخر سنة ١٨٠٤م أنفذ سعود أبا نقطة شيخ العسيريين برجالته إلى بلاد صنعاء اليمن، فعاثوا في خلال ديارها واستباحوا مدينتي لحيا وحديدة، ثم عادوا إلى بلادهم، فألتزم حمود صاحب صنعاء الدخول في الدعوة الوهابية ليأمن شرهم». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما يذكر الرحالة السوري فتح الله الصايغ؛ الذي يزعم هو الآخر أنه زار الدرعية في عام ١٨١٣م؛ أخبارًا مُقتضبة عن تلك المسروقات، حيث كانت زيارته في عهد عبد الله بن سعود، وقد استقى بعض المعلومات من أحد مُستشاري عبد الله بن سعود، ويُدعى الحضرمي حيث يقول:

« ثم في العشاء دعينا إلى وليمة عظيمة عند أحد الوزراء يُقال له الحضرموتي، فلما خلونا به حدثنا سرًا بقساوة مولاه وظلمه العظيم وكراهية جميع الناس له. وذكر أيضًا غناه الوافر، فإن المال الذي ظفر به عند نهب مكة والمدينة شيء لا يُحصى، لأنهُ قد كان أمراء المُسلمين وملوكهم وخلفاؤهم وسلاطينهم في أوائل الإسلام إلى أيام الوهابي يُهدون في كل سنة إلى بيت الله وحرم الرسول هدايا ثمينة من الجواهر والقناديل المصنوعة من ذهب وغير ذلك. وزيادة على ما تهديه العامة من عباد الله. وكان في المدينة (المنورة) كرسي أهداه ملك من ملوك العجم. فهذا الكرسي وحده لا يُقدر بثمن، فإنهُ كان من ذهب صب، وفيه لآليء وألماس. وكان كل أمير يُرسل تاجًا من ذهب مفضضًا بالجواهر، يُعلق في سقف الحجرة بمقام الرسول، وعندما سلبها

---

۞ كتاب : آثار الأدهار \ تأليف: سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة، ١٨٧٧م.

الوهابي كان عدد التيجان أكثر من أن يُحصى. وكان على قبر النبي جوهرة حمراء لا تعلم قيمتها. وإذا افتكرت فيما حازت الأعصر من المال على هاتين البقعتين لا تتعجب من أن الملك الظالم ساق برجوعه أربعين جملاً مُحملة بمُجرد الجواهر، زيادة على خالص النقدين. حسبت هذا كله ثم الزكاة التي يأخذها الوهابي من حلفائهم وهي عُشر أموالهم فلا بد أن تجعله أغنى ملوك الأرض». [۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

وكذلك يذكر مانجان أن عبد الله بن سعود، عند مُقابلته مع محمد علي باشا، كان يحمل صندوقًا صغيرًا من العاج، فيه ثلاث مخطوطات فاخرة من القرآن الكريم جلدها مُرصع بالياقوت، وثلاث مائة لؤلؤة كبيرة الحجم وزمردة مُعلقة بسلسلة من الذهب، وكل ذلك أخذه سعود من الحجرة النبوية.

ويبدو أن عبد الله بن سعود كان قد رضخ لسلطة الخلافة العثمانية حتى قال عن نفسه ـ إنهُ الخادم المُطيع للسلطان العثماني ـ وقبل عبد الله بشروط محمد علي التي فرضها عن طريق ولده أحمد طوسون باشا، وأرسل أحد مُستشاريه البدو ويُدعى (حباب) للتوقيع على الصلح، وسارت الأمور بشكل طبيعي، إلا أن مُغادرة محمد علي على وجه السرعة الحجاز متوجهًا إلى مصر، بعد أن تناهى إلى أسماعه أن نابليون هرب من منفاه، وأن الإنجليز قرروا الهجوم على الإسكندرية، دفعت عبد الله بن سعود للنكوص وللتمرد من جديد، وكذلك السعي للثأر والتنكيل بالبدو وخصوصًا قبيلة مطير وكذلك بأهالي القصيم كما مرَّ معنا سابقًا، لأنهم تعاونوا مع القوات المصرية ضده وتبرؤوا من الوهابية، فبطش بهم، مما دفع القصمان لاحقًا لإرسال وفد رفيع منهم إلى مصر لمُقابلة محمد علي باشا وتقديم الشكوى له من ممارسات عبد الله بن سعود، وهو ما جعله فيما بعد لأن يُرسل ولده إبراهيم باشا ليقضي على شأفة آل سعود والوهابيين معًا، ومن ثم تدمير الدرعية بالكامل كما مرَّ معنا.

---

[۞] كتاب : رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية.

وعن إطاعة عبد الله بن سعود للباب العالي، وقبوله بسلطة محمد علي باشا والي مصر، يذكر بوركهارت قائلاً:

«لقي حباب استقبالاً حسنًا من طوسون الذي أرسل بدوره عربيًا سوريًا يدعى يحيى أفندي وهو يتكلم العربية أحسن من أي ضابط في جيش طوسون، أقول أرسله ليتباحث مع عبد الله بن سعود. وحمل معه بعض الهدايا، ومكث في معسكر الوهابيين ثلاثة أيام، وحيث كانت الإرادة السياسية لدى الطرفين الرغبة بالسلام، فإن المباحثات أثمرت نتائج طيبة في وقت قصير، وامتثل أحد رجاله حاشية عبد الله بن سعود، أقول امتثل بين يدي طوسون باشا ليصدق على الاتفاقية وبموجب هذه الاتفاقية، تخلّى عبد الله عن مطالبته بملكية المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، متظاهرًا بإضفاء على نفسه لقب الخادم المطيع للسلطان العثماني، كما حصل على ممر آمن لقواته وأتباعه، عبر المناطق التي تخضع لسلطة الأتراك، وذلك لتمكينهم من أداء فريضة الحج، دونما تنغيص. ولم تتطرق الاتفاقية للوهابيين الجنوبيين. وكنتيجة لهذه الاتفاقية، وبعد أن غادر طوسون باشا بلاد القصيم، فإن عبد الله قام بمعاقبة البدو الذين سبق والتحقوا بطوسون، وأصبحوا بموجب الاتفاقية من رعايا بن سعود، وبخاصة من قبيلة مطير، لأنهم التحقوا بعدوّه. وبذلك عاد طوسون من ألخُبَرا إلى الرس، وبعد إقامته في مقاطعة القصيم مدة ٢٨ يومًا، عاد إلى المدينة في حوالي نهاية حزيران ١٨١٥. وكان برفقته وفد من رجلين وهابيين أرسلهم عبد الله بن سعود إلى محمد علي، يحملون مواد معاهدة السلام فضلاً عن رسالة من زعيمهم موجهة إلى الباشا، وأخرى إلى جلالة السلطان». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعن رسالة أو معروض الصلح التي أرسلها عبد الله بن سعود إلى والي مصر محمد علي باشا ، وهي شبيهة برسالته التي أرسلها إلى السلطان العثماني

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

ليستعطفه، حيث يرمي بجرائم وبلاوي الوهابية على أكتاف أشراف مكة، ويزعم مزاعم مُضحكة كونه هو وأسرته علّموا الأعراب الصلاة والزكاة وألزموهم بالصيام، وأنهم حافظوا على النظام ومنعوهم من قطع الطريق على الحجيج، والكل يعلم أنهُ هو وأبوه من قبله قد سفكوا دماء الأبرياء وقتلوا حجاج بيت الله، ومنعوا الحجيج من الوصول إلى البيت الحرام. حيث يقول في معروض الصلح:

« إلى محمد علي باشا: نحمدك اللهم على ما منيت به من الإصلاح بالصلح الحاقن لدماء المسلمين عن السفك بالسلاح وحميت به حمى الدولة الإسلامية عن الوقوع في أشراك البلية وكففتَ به أكف الأمة المحمدية عن بلوغ العدو فيها غاية الأمنية؛ ونصلي على أشرف الرسل الهادي لأحسن السبل محمد أكرم أنبيائه وأفضل أصفيائه وعلى آله الكرام وأصحابه هداة الأنام. ثم ينتهي لحضرة الجناب العالي الدائم في طلب المعالي عزيز مصره وبدر دهره بلغه اللُه من المعالي ما شاء، ذو الهمة العلية والأخلاق المرضية، حرسه من طوارق البلا وبلغه ما أراد من الرتب العلا. وبعد: فغير خافٍ على جنابكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعوا الناس إليه أننا جاهدنا الأعرابَ حتى أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وألزمناهم صيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنعناهم عن ظلم العباد والسعي في الأرض بالفساد وعن قطع سبل المسلمين والتعرض لحجاج بيت الله الحرام من الوافدين، فعند ذلك شكوا إلى والي مكة غالب ورمونا بالكذب والبهتان وخرّجونا وبدّعونا وقالوا فينا ما نحن منه براء. فسيّر علينا بأجناد وعدد وعدة فأعجزه الله وله الحمد والمنة. فقاتلناهم دفعًا لشره ومقابلة لفعله القبيح ومكره، فردّه اللهُ بغيظه لم ينل خيرًا، واستولينا على الحرمين الشريفين وجدة وينبع، فلما تمكنا من أوطانه فعلنا معه كل جميع وأقريناه على ما كان تحت يده من البلدان ووجهنا مدخول البنادر إليه وأكرمناه غاية الإكرام توقيرًا للنسب الشريف وتعظيمًا للبلد الحرام، ثم بعد ذلك قام وقعد وأكثر التقلب واجتهد وبالغ عند أبي رحمه الله في

ردّ الحجاج القادمين من جهتكم وزعم أنهم إن قدموا مكة -شرّفها الله- سفكوا فيها الدماء واستحلوا حرمتها، وأكثر القول فيهم حتى قال إنهم أهل غدر وخيانة، فظن أبي ذلك نصيحة منه فمنع الحجاج خوف الفساد والفتن وكتب للدولة إذ ذاك كتبًا مضمونها إننا لم نمنع الحجاج القادمين من تلك الجهات إلا لأجل ذلك فإن جانا من الدولة تعتمده أن الحجاج القادمين يحجون البيت الحرام ويزورون المسجد النبوي - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام- من غير أن يحدثوا حدثًا تستباح به حرمة الحرمين الشريفين فنحن نحميهم عن جميع من تحت يدنا من جميع حاضر وبادٍ حتى يحجوا ويرجعوا إلى أوطانهم، ثم إن الشريف طلب من أبي رحمه الله أن يتولى إرسال تلك الكتب التي هذا مضمونها إلى الدولة فأجابه لكونه أعرف منا بتلك الجهة، ثم إننا تحققنا أن ذلك مكر منه بنا لأنه أظهر للدولة عنا غير ذلك، وصار يكتب لهم على لسان أبي (سعود) ما يورث العداوة والإحن بيننا وبين الدولة من الكذب والبهتان ويمهر تلك الكتب التي زوّرها بمهر قد نقشه باسم سعود ويحبس ما كتبه أبي عنده، وقصده بذلك إثارة الفتن واضطرام نار الحرب ونحن لا نشعر بشيء من مكره حتى ثار الحرب بيننا وبينكم وأحاد به سوء فعله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فعلمنا أن مطلوب الدولة العلية صيانة الممالك الإسلامية، لاسيما الأقطار الحجازية ومن أعظمها صيانة الحرمين الشريفين والذب عن حماها الأحمى بلا ريب ولا مين، والقيام للدولة على قدم السمع والطاعة والإقدام على إظهار المشعر بهما حسب الاستطاعة ومنها الدعاة بحضرة سلطان السلاطين نصره الله تعالى على المنابر وكفّ يد الأذى الوارد إلى الممالك المحروسة والصادر، فأطفأنا من الشد حريقًا وفتحنا إلى الصلح طريقًا ولم نزل نجتهد في إبرامه حتى انعقد بين الفريقين وبذلنا الوسع في حق الدماء من الجانبين وصورة ما وقع عليه انعقاد الصلح من الشروط محرر في الوثيقة مضبوط فبوصلها إليكم تشرفون على إجمالها وتفصيلها ونرجو أنكم تستحسنون مواقع تأسيسها وتأصيلها وتشرفون على كتابنا المعروض على

حضرة السلطان ولكم الأمر بعد الله في جميع هذا الشأن. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. عبد الله بن سعود». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما نهب سعود بن عبد العزيز مئات الكُتب من الحجاز إضافة إلى ما سلبه من أموال ومجوهرات وذهب وياقوت وسيوف ومتاع من الحجرة النبوية. فقد كان هم دولة الخلافة العثمانية هو استرجاع ما يُمكن استرجاعه مما سرقه سعود من الأموال الطائلة والتحف والمُجوهرات من ذهب وفضة ولقى ثمينة، ومصاحف نادرة وكُتب فريدة، فقد كانت دولة الخلافة العثمانية وعاملها في مصر يُرسلون الكثير من تلك الهدايا والتحف الثمينة سنويًا إلى الحرمين الشريفين كنوع من الحفظ والتبرك وتزيين الحجرة النبوية، إضافة إلى ما يُرسله أثرياء الهند وبلاد فارس وبقية البلدان من تبرعات وهدايا، فكانت تحفظ تلك الهدايا واللقى الثمينة في الحجرة النبوية الشريفة.

وكانت والدة إبراهيم باشا قد نذرت نذرًا لوجه الله وأوصت ولدها إبراهيم أن يضع قلادة ثمينة من الجواهر في الحجرة النبوية وذلك بعد أن ألبستها إياه وطلبت منه عدم نزع القلادة إلا في الحجرة النبوية، أي أن تلك الحادثة بعد نهب الحجرة النبوية من قبل سعود وأبنائه، وهذا يُدلل على أن حُكَّام مصر كانوا يتبرعون بالحلي والمُجوهرات للحجرة النبوية، ربما للتبرك أو كنذور. حيث يذكر لنا المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان حكاية عقد والدة إبراهيم باشا، حيث يقول: « وفي ١٠ شوال ١٢٣١هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٨١٦م، ودَّع إبراهيم باشا أسرته ورجال الحكومة والعظماء، فناطت والدته برقبته عقدًا من الجواهر، سألته أن لا ينزعه إلا في الحجرة النبوية، هدية إلى الضريح الشريف من طرفها، فوعدها بالوفاء بهذا النذر، وأن لا يقص شعر رأسه إلا بعد انتصاره على العدو، عملاً بوصيتها، ثم نزل مع أتباعه في القنجات بساحل مصر القديمة، فأقلعت به نحو الجنوب». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب: الدولة السعودية الأولى \ تأليف: عبد الرحيم عبد الرحمن.

۞۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

وقيل إن سبب تخزين تلك المجوهرات الثمينة والتُحف في الحجرة النبوية هو لغرض حفظها من النهب أو السرقة، لأنها وديعة ومال مُدخر لجميع المُسلمين، يُستفاد منها في دفع العدو ويستعان بها في الجهاد والفتوحات، وكانت دولة الخلافة العثمانية تتحمل في أحيان كثيرة مصروفات وغرامات حربية هائلة في حروبها مع الأوربيين، وكان بحاجة ماسة للمال، مع هذا لم تلجأ إلى أخذ تلك الأموال من الحجرة النبوية رغم مشروعيتها، وهذا كان خطئًا فادحًا وقعت به دولة الخلافة العثمانية.

حتى أن سلطان المغرب في حينه محمد بن عبد الله لام دولة الخلافة العثمانية كثيرًا، على عدم صرفها لتلك الأموال المدخرة على مصالح البلاد والعباد وهم في أمس الحاجة لها! ولم يرى فائدة ترجى من خزن تلك الأموال والمُجوهرات في الحجرة النبوية الشريفة، وكان الأحرى والأجدى أن تصرف على حاجات الدولة ومُقتضيات الجيش، وصرف بعض تلك الأموال على الولاة في الحجاز لتحسين أوضاع الحرمين الشريفين. فلم تنصت دولة الخلافة لنصيحة سلطان المغرب، فجاء اللص سعود بن عبد العزيز ونهب تلك الأموال والمجوهرات والتحف، ونقلها إلى الدرعية، وحمل الكثير من المصاحف النادرة والكُتب القيمة معه، لهذا كان الباب العالي حريصًا جدًا على استعادة تلك المسروقات الخاصة ببيت مال المُسلمين من الأموال الطائلة والتحف من قبل سعود وأبنائه. فكان جنود إبراهيم باشا يبحثون عن كل شيء ويُصادرون أي شيء يجدونه في الدرعية، من مال ومُجوهرات وذهب وفضة وتحف سيوف وخيول وكُتب، لأنهم لا يعرفون ما هي نوعية المسروقات الحقيقة التي نهبها سعود بن عبد العزيز وأبنائه من الحجرة النبوية الشريفة، فلم يكن لديهم جردٌ بالمسروقات، ولهذا كانوا يوغلون بمُصادرة المُمتلكات الخاصة والعامة من أصحابها لعلها تكون مسروقة من الحجرة النبوية،ومن يدري ربما كانت تلك الحملة المصرية عقوبة ربانية جلبها سعود على أهل العارض حينما تجرأ وسرق الأموال والتحف والكُتب من حجرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولهذا أكدت دولة الخلافة العثمانية على والي مصر محمد علي باشا، البحث في الدرعية عن كل ما يُمكن أن يكون قد تمَّ نقله إليها من أموال ومجوهرات وتحف ومصاحف وكُتب خاصة بالحجرة النبوية، وأوعزت له بشراء كل ما تمَّ بيعه من تلك المُقتنيات، ونقلها إلى المدينة المنورة، وهنالك مُراسلات سلطانية موثقة بين دولة الخلافة ومحمد علي باشا تتعلق في هذا الشأن، وهي موجودة لحد الآن في الأرشيف العثماني تحت تصنيف: HAT 27042 تتضمن إرسال موجودات الحجرة النبوية التي تمَّ استعادتها من لصوص الدرعية وكامل سجلاتها إلى إسطنبول مع أمين الصرة في عام ١٢٣٣هـ - ١٨١٨م. وهنالك عدة وثائق عثمانية مهمة وهي محفوظة لحد الآن في الأرشيف العثماني، منها إفادة اللص السعودي عبد الله بن عبد العزيز بن سعود وأصحابه ممن تمَّ إعدامهم لاحقًا في إسطنبول، وهي تحت تصنيف: HAT 19601 في عام ١٢٣٤هـ - ١٨١٩م. وكذلك وثيقة أخرى لمحضر التحقيق مع اللص عبد الله بن سعود، وهي موجودة أيضًا تحت تصنيف: HAT 19627، ١٢٣٤هـ - ١٩١٩م. وهنالك وثيقة تتضمن خطابًا يوضح سرور السلطان في الحصول على الصندوق المحتوي على بعض محفوظات الحجرة النبوية الشريفة، والذي قام بتسليمه اللص عبد الله بن سعود، وهي تحت تصنيف: HAT 19661. وهنالك وثيقة أيضًا تتضمن إقرارًا شفهيًا من قبل اللص عبد الله بن سعود وبقية زملائه ممن جلبوا معه، حول موجودات الحجرة النبوية الشريفة، وذلك في ٢١ صفر ١٢٣٤هـ - ١٨١٩م، وهي تحت تصنيف: HAT 36096.

وقد باشرت الآستانة لاحقًا على وضع جرد مختوم بكامل مُقتنيات الحجرة النبوية التي تمَّ نقل بعضها لاحقًا إلى اسطنبول، خوفًا من أن تتعرض للنهب أو السلب كما حدث في عهد سعود بن عبد العزيز سارق الحجرة النبوية الشريفة. وأما الكُتب المُصادرة من الدرعية، فقد كانت مختلطة، بعضها من

الكُتب التي نهبها سعود بن عبد العزيز، وبعضها كان من كُتب أهل الدرعية أنفسهم، فلم يستطع إبراهيم باشا ولا حتى جنده التمييز بينها، لأن أغلبها كانت كُتب فقه وتفسير وتاريخ، وقد تمَّ نقلها لاحقًا إلى المدينة المنورة، ووضعت في مكتبة المدرسة ـ المحمودية ـ نسبة إلى السلطان محمود التي تُسمى بـ(الكتب خانة السلطانية)، والتي أمر السلطان بإنشائها باسمه عند باب السلام في المدينة المنورة، وقد وضع فيها ٩٩٢ مجلدًا وكتابًا من الكُتب التي تمَّ استعادتها من الدرعية، فتم توزيع منها ستين مُصحفًا وستين جزءًا شريفًا على المُستحقين من أهل التلاوة، وبهذا يكون عدد الكُتب المُتبقي هو ٨٧٢ كتابًا متنوعًا.

وتلك الكُتب المُستعادة من الدرعية لا تُمثل إلا نسبة ٥ % فقط من الكتب الأصلية المنهوبة من الحرمين الشريفين، إلا أن أغلب تلك الكُتب الثمينة لأهل الحجاز قام سعود وأتباعه بحرقها لأنها كانت تُخالف ملتهم، ولم يستعيد إبراهيم باشا إلا النزر اليسير الذي سلم من الحرق والتدمير، فقد كان الوهابيون يتلفون أمهات الكتب ويحرقون المكتبات ويأخذون ما يجوز لهم فقط، كما حدث في الطائف حيث قاموا بحرق آلاف الكُتب، ويُقال إن الشوارع امتلأت بالأوراق المُمزقة وهو منظر شبيه بما فعله المغول في بغداد الحضارة.

وكان بإمكان عبد الله بن سعود أن يُجنب نفسه وأهل الدرعية ويلات الحرب ويختار الطريق السوي وينأى بنفسه وبأهله عن تلك النهاية الدراماتيكية التي حلَّت بهم، لو أنهُ أوفى بوعوده وعهوده، والوفاء في قبوله للشروط التي عرضها عليها طوسون باشا، وأعاد المسروقات التي نهبها أبوه من الحجرة النبوية، ولو نبذ مبدأ الخروج على خليفة المُسلمين وقبل أن يعود إلى صف الجماعة، وأن لا يخرج عن طاعة ولي الأمر مثلما يتبجحون هم دائمًا، ولو قبل أن يكف يده عن الظلم والتنكيل ببقية بلدات وقرى نجد، ولكنه أبى واستكبر وأصر على غيه، وحاول أن يناور ويتملص من وعوده السابقة التي

أعطاها لطوسون، وبات يُزوِّر في خطابات محمد علي الموجهة إلى أهل نجد، لكي يرغمهم على الوقوف معه ومع أسرته ضد محمد علي وقواته.

وعن الأسباب التي أدت بعبد الله بن سعود للوصول إلى تلك النهاية الشنيعة، يذكر لنا المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان، والذي عاصر فترة حكم محمد علي باشا، حيث يذكر الأسباب ويقول في كتابه:

« وقبل هذه الحوادث بثلاثة أسابيع رجع من مصر إلى نجد وفد عبد الله بن سعود، الذي حضر للتصديق من محمد علي باشا على الاتفاق الذي أبرمه معه طوسون باشا، وقد زود الوالي هذا الوفد قبل سفره برسائل إلى عبد الله، يأخذ عليه فيها سيره بين الأهالي بالظلم والجور، وقتله الحجاج المُسلمين من غير حق، ومحاربته أهل الحرمين الشريفين، وقدحه في حق الحضرة السلطانية، ونهبه للحجرة النبوية، ويدعوه إلى رد المسلوبات وتسليم أمير المدينة زمام إمارة الدرعية عاصمة الوهابيين. وأضاف إلى ما تقدم قوله: أنه لا يدخل في اختصاصه إعفاؤه من تقديم الحساب إلى الديوان السلطاني عن تصرفاته السابقة. فأجاب الأمير الوهابي بأن النفائس المسلوبة لم يبق عنده شيء منها، لوقوع البيع أو الاقتسام عليها، ثم تنصل من السفر إلى الآستانة. فلما اطلع محمد علي باشا على هذه الإجابة، وكان قد سئم مطل (مماطلة) الوهابي وعناده، أخذ يرفض الهدايا التي كانت ترد تباعًا إليه من عنده، وأنذره بأنهُ سيسير إليه في القريب العاجل جيشًا جرارًا لا يفهم معنى الشفقة والرحمة، ومما ذكره في إنذاره هذا النص: "سيصل إلى قطركم ولدنا العزيز إبراهيم فينزل به الهلاك والخراب، ويرمي أعناقكم بسيفه، ولا يدع في حاضرتكم حجرًا على حجر، ويوجه بكم إلى أعتاب جلالة السلطان.... الخ».[۞]

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.



ـ عبد الله بن سعود

الذي قطع الأتراك رأسه في اسطنبول سنة ١٨١٩م.

- **أسباب سقوط الدرعية :**

**كان يُمكن للدرعية أن تسقط منذ وقت مُبكر ونحو أكثر من مرة وقبل حملة إبراهيم باشا بعدة سنوات، لكن هنالك أحداث قاهرة ومؤامرات حثيثة ومعرقلات وأمور أخرى جرت أجلت ذلك القدر المحتوم، وهنالك تنازلات عديدة ومُصالحات بادر بها آل سعود ومحمد بن عبد الوهاب أدت إلى تجنيبهم السقوط المؤكد. فمثلاً كان للدرعية أن تسقط بسهولة على يد حسن هبة الله المكرمي، لو أنهُ تعامل بخبث وبراغماتية وطبَّق سياسة آل سعود في نقض العهود وإخلاف الوعود، لو أنهُ قبل لنفسه أن يتحالف مع عريعر بن دجين صاحب الأحساء، وأعاد الكرة عليهم في حينها وهو مرابط على أطراف الحاير، لكنهُ أبى ورفض نقض العهد رغم محاولات عريعر المُستميتة وإغراءاته المُستمرة، ولهذا كسبت الدرعية مزيدًا من الوقت لتبقى تعيث بالأرض فسادًا وقتلاً.**

**أما الفرصة المواتية الثانية التي كادت أن تقضي على شأفة لصوص الدرعية لولا مكر وكيد بعض المُتآمرين، فقد كانت حملة كيخيا العراق العسكرية على نجد، والتي أُحبطت وأُفشلت وهي على أبواب الأحساء من خلال جهود وأنشطة الطابور الخامس من الذين كانوا برفقة الكيخيا، وكان على رأس هؤلاء ابن عم آل سعود الذي هرب جده الأول وطبان بن ربيعة بن مرخان إلى الزبير، المدعو إبراهيم بن ثاقب، الذي سبق وأن أوردت مؤامرته على تلك الحملة. حيث نجح ابن ثاقب ومن معه في زعزعة الروح المعنوية لضباط الجيش ولبقية العشائر العراقية المُرافقة للحملة، واستطاعوا أن يمرروا معلومات مُزيفة وكاذبة تهول من قوة وكثرة جيش سعود، ودفعوا الكيخيا عديم الخبرة لأن يقبل الصلح المنقوص مع سعود الذي كان بدوره في وضع المهزوم وخائر القوى، ولهذا نجى آل سعود للمرة الثانية من زوال مُحقق.**

ثم جاءت الفرصة الثالثة على يد القائد المصري الشاب طوسون باشا الذي واجه هو الآخر تمردًا وعدم مُبالاة من قبل قادة جيشه، وكذلك مُعاناة جنوده من وباء الطاعون الذي قضى عليه لاحقًا فتعرقلت مسيرته، بالإضافة إلى أنه كان شابًا يجهل التعامل مع رؤساء عشائر البدو ولم يحسن في بداية الأمر شراءهم وكسب ودهم من خلال الرشوة بالمال والجاه، كما يفعل ابن سعود، لأن تلك القبائل البدوية لم تكن تُقاتل مع ابن سعود لأجل الدين أو على أساس الوطنية، أو إيمانًا منها بمبادئ العقيدة الوهابية، بل كانت تسعى وراء المغانم والكسب السريع والمُحلل لهم شرعًا من قبل محمد بن عبد الوهاب، لذلك قبلوا أن ينضموا للوهابية طالما تسمح لهم بالغزو والسلب والنهب والقتل حسب مواصفات الشريعة الوهابية الجديدة.

ويذكر لنا بوركهارت كيف تعامل محمد علي بنباهة وذكاء عند سماعه لخبر فشل ولده طوسون في تخطي الخطوة التي تتلو ينبع، فقام بإرسال له الكثير من الأموال والذهب ليشتري ولاء القبائل البدوية، حيث يوثق بوركهارت في كتابه عن تلك الحادثة التي عاصرها قائلاً:

« وما أن تناهت أخبار فشل حملة طوسون إلى والده، حتى بدأت التحضيرات وتعويض الخسائر، لإرسال حملة أخرى جديدة. فأرسل محمد علي مبالغ طائلة من المال إلى ولده طوسون لتوزيعها على شيوخ البدو المجاورين، وذلك على أمل سحبهم من الوهابيين والتحلل من الطاعة للزعيم الوهابي. وقد استمرت هذه المحاولات طيلة فصلي الربيع والصيف من عام ١٨١٢م، بينما كانت التعزيزات اليومية من الرجال والعتاد تصل إلى ينبع، واستطاع المحروقي من خلال المال (الذهب) أن يكسب إلى جانبه عددًا كبيرًا من قبيلة بني حرب، وبخاصة الأفرع القوية في القبيلة المسماة بني سالم وبني صبح الذين يسيطران على ممر الصفراء والجديدة ».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

فكان طوسون باشا أقل خبرة وحنكة من والده المخضرم محمد علي بحكم سنه الصغير، وهو أيضًا أقل دهاءً ومعرفةً من أخيه المُخضرم إبراهيم، فلم يُحسن التعامل في بداية الأمر مع هؤلاء الشيوخ وزعماء القبائل، باستثناء قبيلتين فقط، هما قبيلتا الحويطات وجهينة، حيث استطاع طوسون أن يستميلهم نوعًا ما لجانبه، ثم نجح لاحقًا بكسب ود قبيلة حرب، لأن زعماء القبائل كانوا يُمنونه في السلم وينفضون عنه في المواجهات العسكرية، لأنه لم يكن يدفع لهم المال بسخاء، بينما كان ابن سعود يشتري ولاء هؤلاء الشيوخ بالمناصب ويُغريهم بمناصفتهم الغنائم، فمثلاً حينما لاحت الهزيمة على قوات أبناء سعود، بقيادة كل من عبد الله وفيصل، تمَّ استفزاع قبيلة حرب وزعيمها مسعود بن مضيان مع وعود مُغرية ومحفزات كبيرة تعده هو وقبيلته بنسبة عالية من الحصص في الغنائم والأموال، وفعلاً فقد سارع ابن مضيان لنجدة أبناء سعود المُحاصرين من قبل قوات طوسون باشا، وقلب كفة ميزان المعركة لصالحهم.

ومع أن طوسون أدرك أهمية القبائل البدوية في قلب موازين القوى في جزيرة العرب، إلا أن تمرد قواده وتآمرهم عليه وإثارتهم القلاقل داخل العسكر، جعله يتراجع عن خوض المعارك، وكذلك رسائل التوسل الكثيرة التي كان يُرسلها عبد الله بن سعود لعقد الصلح معه، أثناه وعطله عن إكمال مهمته، مع أنه أبلى بلاءً حسنًا في أواخر حملته، لكنه لم يقطف ثمرة تلك التحركات الناجعة.

ثم ورود أخبار من أوربا تفيد أن نابليون بونابرت قد فرَّ من جزيرة ألبا، وعاد ليحكم فرنسا من جديد في عام ١٨١٥م، أخاف محمد علي وكذلك أربك أبناءه، وجعلهم يتخوفون من أن يزحف على مصر، فأهملوا أمر الحجاز، وركزوا على تحصين الموانئ المصرية، خوفًا من هجوم مفاجئ يشنه نابليون بونابرت على شواطئ مصر. كل تلك العوامل مُجتمعة شجعت عبد الله بن سعود لاحقًا على نبذ عهوده السابقة مع والي مصر وحاكم الحجاز محمد

علي، ومن ثم إخلاف وعوده والتنصل من بنود المُعاهدة التي وقعها مع طوسون باشا، فدفع ثمن مواربته غاليًا.

ويذكر ادوارد جوان عن سبب عودة محمد علي باشا من الحجاز إلى مصر على وجه السرعة وبصورة سرية في ١٩ يناير في عام ١٨١٥م، إلى ثلاثة أسباب يوردها كالآتي: « وترجع أسباب العودة الفجائية إلى ثلاثة أسباب، أولها ظهور شأن نابليون في أوربا، وثانيهما وجود مؤامرة بمصر لقلب الحكومة، وثالثهما تخوف أهل الإسكندرية من حركات الأسطول العثماني الذي أخذ يتجول بعد خروجه من بحر مرمرة في بحر الأرخبيل».[۞] -انتهى الاقتباس-

وأما الجبرتي فيُورد هو الآخر نفس لأسباب لعودة محمد علي باشا من الحجاز إلى مصر مُفصلاً في تاريخه بعض من تلك الأخبار المُتناثرة، قائلاً:

« واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة ١٢٢٨هـ، وفي يوم الثلاثاء سابعه، وردت بشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب، وذلك لما انهزمت الأتراك في العام الماضي، ورجعوا على الصورة التي رجعوا عليها مُشتتين ومتفرقين، وفيهم من حضر من طريق السويس، ومنهم من أتى من البر، ومنهم من حضر ناحية القصير، ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير أمره، أو من يخشى صولته، ويرى في نفسه أنه أحق بالرياسة منه، مثل: صالح قوج، وسليمان، وحجو، وأخرجهم من مصر، واستراح منهم، ثم قتل أحمد آغا لاظ، وجدد ترتيبًا آخر، وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم، واندرجوا معه، وشيخ الحويطات، أن الذي حصل لهم، إنما هو من العرب الموهبين، وهم عرب حرب والصفراء، وأنهم مجهودون، والوهابية لا يعطونهم شيئًا، ويقولون لهم: " قاتلوا عن دينكم وبلادكم" ، فإذا بذلتم لهم الأموال، وأغدقتم عليهم بالأنعام والعطاء، ارتدوا

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

ورجعوا وصاروا معكم، وملكوكم البلاد، فاجتهد الباشا في جمع الأموال بأي وجه كان، واستأنف الطلب، ورتب الأمور وأشاع الخروج بنفسه، ونصب العرضى خارج باب النصر، وذلك في شهر شعبان، وخرج بالموكب كما تقدم وجلس بالصيوان، وقرر السفر في المقدمة بونابارته الخازندار، وأعطاه صناديق الأموال والكساوى، ورافق معه عابدين بيك ومن يصحبهما....... الخ ولما غدر الباشا بأحمد آغا لاظ وقتله في أواخر رمضان، ولم يبق أحد ممن يخشى سطوته، وسافر عابدين بيك في شوال، وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بيك دالي باشا وبصحبته عدة وافرة من العسكر، ثم سافر أيضًا يحيى آغا ومعه نحو الخمسمائة، وهكذا كل فترة ترحل طائفة بعد أخرى، والعرضى كما هو، وميدان الرماية كذلك، ولما وصل بونابارته إلى ينبع البر، أخذوا في تأليف العربان واستمالتهم، وذهب إليه ابن شديد الحويطي، ومن معه، وتقابلوا مع شيخ حرب، ولم يزالوا به حتى وافقهم، وحضروا به إلى بونابارته، فأكرمه وخلع عليه الخلع، وكذلك من حضر من أكابر العربان، فألبسهم الكساوي والفراوي السمور والشالات الكشميري، ففرق عليهم من الكشمير ملء أربع سحاحير، وصب عليهم الأموال، وأعطى لشيخ حرب مائة ألف فرانسة عين، وحضر باقي المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم، فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة، ثم رتب لهم علائف تُصرف لهم في كل شهر، لكل شخص خمسة فرانسة، وغرارة بقسماط، وغرارة عدس، فعند ذلك ملكوهم الأرض، والذي كان متأمرًا بالمدينة من جنسهم فاستمالوه أيضًا، وسلم لهم المدينة، وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب أمير مكة وتدبيره وإشارته، فلما تمَّ ذلك أظهر الشريف غالب أمره وملكهم مكة والمدينة».[۞]

ثم يذكر لنا الجبرتي أيضًا عن تلك الأخبار المتضاربة عن هروب نابليون بونابرت من منفاه، والإشاعات التي ترددت عن نية نابليون مهاجمة مصر،

---

[۞] كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار – الجزء الرابع، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.

مما اضطر محمد علي أن يُغادر الحجاز مُسرعًا والعودة إلى مصر فورًا، خوفًا من أن يتآمر عليه بقايا المماليك المُطاردين، أو انقلاب أحد ضباطه عليه، ومن ثم تعاونهم مع نابليون، وهو الأمر الذي دفعه لاحقًا على الموافقة وعلى مضض على المُصالحة التي عقدها ولده طوسون مع عبد الله بن سعود، حيث يذكر الجبرتي في هذا الشأن:

« واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٠هـ، وفي خامسه، وصلت عساكر (مصرية) في داوات إلى السويس، وحضروا إلى مصر وعلى رؤوسهم شلنجات فضة، إعلامًا وإشارة بأنهم مُجاهدون وعائدون من غزو الكفار، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين، وطردوا المُخالفين لديانتهم، حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا في إمضائهما على المُراسلات بعد أسمهما لفظة المغازي، والله أعلم بخلقه. وفي تاسعه، أخرجوا عساكر كثيرة، وجهوهم إلى الثغور، ومحافظة الأساكل خوفًا من طارق يطرق الثغور، لأنهُ أشيع أن (نابليون) بونابارته كبير الفرنساوية، خرج من الجزيرة التي كان بها، ورجع إلى فرانسا وملكها، وأغار على بلاد الجورنه، وخرج بعمارة كبيرة، لا يُعلم قصده إلى أي جهة يريد، فربما طرق ثغر الإسكندرية أو دمياط على حين غفلة، وقيل غير ذلك. وفي سادسه يوم الأربعاء، وصلت هجانة من ناحية قبلي، وأخبروا بوصول الباشا إلى القصير، فخلع عليهم كتخدا بيك كساوي، ولكنه لم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر. وفي يوم الجمعة المذكور، وقبل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة، وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا إلى قنا وقوص، ووصل أيضًا حريم الباشا».

ثم يعود الجبرتي ويذكر عن أخبار تلك المصالحة: « واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠هـ، وفيه وصلت هجانة وأخبار ومُكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود، الذي تولى بعد موت أبيه كبيرًا على الوهابية، وأن عبد الله المذكور ترك الحروب والقتال،

وأذعن للطاعة وحقن الدماء، وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفرًا من الأنفار إلى طوسون باشا، ووصل منهم اثنان إلى مصر، فكأن الباشا (محمد علي) لم يعجبه هذا الصلح، ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك، ولم يحسن نزل الواصلين، ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المُخالفة، فاعتذرا وذكرا أن الأمير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج، وكان يُريد المُلك وإقامة الدين، وأما ابنه الأمير عبد الله فإنه لين الجانب والعريكة، ويكره سفك الدماء على طريقة سلفه (جده) الأمير عبد العزيز، فإنه كان مُسالمًا للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة، كان بينه وبين (عبد العزيز) غاية الصداقة، ولم يقع بينهما مُنازعة ولا مخالفة في شيء، ولم يحصل التفاقم والخلاف إلا في أيام الأمير سعود، ومعظم الأمر للشريف غالب بخلاف الأمير عبد الله، فإنه أحسن السير وترك الخلاف، وأمن الطرق والسبل للحجاج والمُسافرين، ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المُستحسنات، وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحل الذي أمرا للنزول فيه».[۞] -انتهى الاقتباس-

أما الشيخ خليل بن أحمد الرجبي وهو أحد علماء الأزهر في عهد محمد علي باشا، فيذكر لنا في مخطوطته أن محمد علي باشا لم يكن راضيًا على الصلح الذي عقده طوسون مع عبد الله بن سعود، وأن طوسون باشا قد غُرر به من قبل أحد شيوخ البدو الذين كان يثق فيهم طوسون، وأن ذلك الذي لم يذكر اسمه قد تمت رشوته من قبل ابن سعود لكي يقوم بإقناع طوسون باشا بالتراجع وعقد الصلح مع الوهابيين، ويبدو أن عبد الله بن سعود استخدم نفس أسلوب والده السابق مع كيخيا بغداد الذي قاد الحملة العسكرية على الأحساء، حيث اشترى سعود ذمم ضباطه ودس على جيشه من يهول عليهم ويرعبهم من قوات الوهابيين، ونفس الشيء حدث مع طوسون باشا، حيث يذكر الرجبي بمخطوطته:

---

[۞] كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار – الجزء الرابع، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.

«فسار حضرة أفندينا طسن باشا بعساكره، وامتلأ الوادي بجنوده ودساكره، ونهض طالبًا بلاد الوهابية بشدة عزم وفرسان قوية، فبلغهم قدوم سيدنا بأجناده وشجعانه ليوثه وآساده، فخافوا عاقبة ذلك الأمر، وأن يمسهم حريق ذاك الجمر، فعقدوا التدبير وأحسنوا فيه التفكير واختاروا عقلاً من كبارهم ورسلاً من ذوي آراءهم وأخطارهم كي يطلبوا من حضرته الصلح والأمان ويستقر أمرهم على حال الاطمئنان، ويتمموا مع حضرته ذلك ويحسن الحال على ما هنالك، ولا يتعرضون لأرض الحرمين ولا لجهاته وأهله ما دام تطارد الملوين، وأرسلوا شيئًا من الهدية رجاء تمام تلك القضية، فجاءت الرُسل لحضرة طسن باشا، ولهم وسايط وهم معولون على الركون إليه، وكان واسطتهم إذ ذاك رجل من كبار العرب، فتكلم واسطتهم مع حضرته وحسن له عقد العهد معهم، ولم يصدق مع الوزير في خدمته بل كان ذلك غشًا منه وخيانة وغفلة عن رعاية باطن الأمر بل عدم ديانة، ومازال مع حضرة أفندينا طسن باشا يوهمه أن ذلك هو المُناسب بل عين الصلاح، وإنهُ أعظم أسباب الظفر بل حقيقة معنى النجاح، وأن فيه الراحة لكل من الفريقين ولاسيما وقد أمنت بلاد الحرمين الشريفين، وترتاح العساكر والأجناد ويعودون بالسرور إلى مصر وتلك البلاد. وسيُقال إن الوهابية هم الذين ذلوا بطلبهم الأمان خوفًا من همته وانزعاجًا من سيفه والسنان، وطالب الصلح تنبغي إجابته، وربما كان غير الراضي به لا تحمد عاقبته، وعلى الخصوص والوهابية في عد الرمل والحصا وضبطهم وحصرهم لا يُدرك إلا بالإستقصا، مع أن سبب الحرب معهم إنما هو تعديهم على الحرمين واستيلاؤهم على بلاده بغير مين، وهذا هو الموجب لما وقع من الحروب، وقد زالت وارتفعت تلك الخطوب، وحيث التزموا بالإنكفاف وترك العناد والخلاف فطريق العدل والإنصاف أن لا يصلهم منا إزعاج ولا إرجاف، هذا مع ما ثبت للحضرة من المهابة والإجلال، فينبغي أن لا يلم بها شيء من موجبات الإخلال، وصار ذلك الرجل يُكثر لحضرة سيدنا طسن باشا من هذه المعاني ويروج له تأسيس قواعد المُصالحة بتلك المباني، لأن الوهابي كان قد أرسل لهذا الرجل المتوسط مقدارًا كبيرًا من الذهب النقد

موضوعًا في سفط، وملكه ذلك إذا تمم له الغرض، وجعل على نفسه مقدارًا آخر وأشياء نفيسة تفترض، فاشتد طمع ذلك الإنسان، وغلب حب الدنيا على ذلك الشيطان، ولاسيما الأعراب في تلك الأرض يميل في الغالب بعضهم إلى بعض، وأوهم حضرة الباشا أن الأمور مجهولة العواقب، فالأنسب مُراعاة إبقاء شعار الهيبة لذوي المراتب، وأيضًا فعرب الحجاز ليسوا بمأمونين، وربما مالت الأشكال لبعضها فيصيروا مُجتمعين، فاللائق من الحضرة الكريمة العفو وتمام عهد الصفح والصفو، ومازال مع الحضرة حتى أحكم هذا المعنى، وتوالت رُسل الوهابي بذلك العهد والمعنى، فعقدوا عقود المُصالحة، وأزيلت أسباب المشاحجة وفرح الوهابي بإدراك مقاصده ودفعت عنه مضار عدوه ومراصده، وكثرت الأفراح بأجناده، ووصل الخبر بذلك إلى قبائله وبلاده، فتم سرورهم وانشرحت صدورهم وانتظمت أمورهم وذهب خوفهم وثبورهم، وكلهم كانوا للخلاف مُبطنين، وعلى نقض الصلح بعد رجوع الباشا مُتعاهدين وعلى الجور والفساد معولين، وفتعسًا لهم أجمعين. ثم لما أنقضى ذلك الحال عول حضرة طسن باشا على السير والارتحال، فركب بجيوشه وجموعه وبعض الجيش ينهض في إيابه ورجوعه، وسار ووجه الأثقال من البحر، وزالت عنهم أسباب المتاعب والقهر، ومازالوا حتى دخلوا أرض الكنانة مصحوبين بالسلامة والصيانة، واجتمع مع حضرة صاحب السعادة والإجلال سيد الوزراء ومركز دائرة الكمال والأفضال المُشار إليه بالهمم في كل مكان المحيط أمنه بالمنازل والسكان ذو المجد والقدر العلي حضرة أفندينا محمد علي أحاطه الله بدوام النصر والتأييد وحفه بالعناية والعز على التأييد، فقابل نجله الجليل وواجهه بالتكريم والتفضيل، إلا أنه في باطن الأمر وحقيقته ما رضي بالذي كان ولم يركن إليه بفكرته، فأسبل ذيل إغضائه وأظهر بشاشة رضائه، ومضت شهور وأيام وحضرته ينوي نقض ذلك الإبرام، ويؤمل أجل مرام، ولا يعنون عما أضمره للأفهام بإفهام».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] تاريخ الوزير محمد علي باشا \ مخطوطة بيد أحد علماء الأزهر الشيخ خليل بن أحمد الرجبي.

وكان يُمكن لعبد الله بن سعود أن يبقى على عهده ويُحافظ على ملكه ويحمد ربه أنه قد جنَّبه المواجهة مع المصريين ويسّر له من يُقنع طوسون بقبول الصلح، إلا أنه سرعان ما أخلف وعوده، ونبذه لبنود تلك المُصالحة، وعاد من جديد لمُمارساته القديمة في قطع الطريق ومُعاقبة كل من تعاون من أهل نجد مع القوات المصرية ضده، وكان يُمكن أن يعود طوسون باشا من جديد ويؤدبه، لكنه المنية عاجلت طوسون، ومات في مرض الطاعون وهو في مصر، فأوكلت المهمة لاحقًا لأخيه إبراهيم باشا، الذي كان مُنشغلاً في مُطاردة بقايا المماليك في الصعيد.

وعن حادثة موت طوسون يذكر لنا الجبرتي قائلاً:

«واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ في ٧ذي القعدة-١٩سبتمبر ١٨١٦م مات المقر الكريم المخدوم، أحمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد علي باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف إليها، وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية، وتوجهه إلى الإسكندرية ورجوعه إلى مصر، ثم عودته إلى ناحية رشيد، وعرضى خيامه جهة الحماد بالعسكر على الصورة المذكورة وهو انتقل من العرضى إلى رشيد، ثم إلى برنبال وأبي منضور والعزب...... ففي ليلة حلوله بها ونزله ما نزل من المقدور، فتمرض بالطاعون، وتململ نحو عشر ساعات، وانقضى نحبه، وذلك ليلة الأحد سابع شهر ذي القعدة، وحضر خليل أفندي قوللي حاكم رشيد، وعندما خرجت روحه انتفخ جسمه وتغير لونه إلى الزرقة، فغسلوه وكفنوه ووضعوه في صندوق من الخشب.... ومات وهو مُقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين، وكان أبيض جسيمًا كما قد دارت لحيته، بطلاً شجاعًا جوادًا له ميل لأبناء العرب، مُنقادًا لملة الإسلام، ويعترض على أبيه في أفعاله، تخافه العسكر وتهابه، ومن اقترف ذنبًا صغيرًا قتله مع إحسانه وعطاياه للمُنقاد منهم ولأمرائه، ولغالب الناس إليه ميل، وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه، ويأبى الله إلا ما يُريد».۞

---

۞ كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار – الجزء الرابع، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.

أما شيخ الأزهر خليل بن أحمد الرجبي فيروي في مخطوطته كيف أوكل محمد علي باشا بعد وفاة ولده طوسون، مهمة القضاء على الوهابيين إلى نجله الأكبر إبراهيم، فيقول:

« فمضى على ذلك زمن يسير، وإذا بحادث أذهل الكبير والصغير، وطامة حزن مقدرة بمحكم القضاء، وقضية ضنك عمت الفضاء بقدوم خبر حدث وما تحاشا وترجم محربا عن موت سيدنا طسن باشا.....الخ. هذا وحضرة صاحب السعادة قد كظم غيظه بعد أيام، وزال عن حضرته تلك الشواغل والأوهام، وأستعمل الصبر الجميل ورضي بقضاء الله الجليل، وتحقق أنه الأمر الحق والشأن الذي لكل نفس يلحق، وأنهُ لا مفر من ذلك ولا فرار عن تنفيذ أمر السيد المالك، فأظهر ما عنده من مضمر الحزم وصرح بالأمر الذي هو عنده حتم جزم، فأحضر في عاجل الحال حضرة ولده الكبير المفضال السيد الهمام الشجاع المقدام حضرة سيدنا أفندينا إبراهيم باشا أبقاه الله موفقًا للخيرات محفوفًا بالعز والمسرات وجاء به من الصعيد إلى مصره وأحكم معه تدبيره المنتج لمعاني نصره، وأمر بتجهيزه إلى بلاد الحرمين وتتميم أمر الوهابية حتى يصيروا أثرًا بعد عين، وكان قد بدأ منهم علامات نقض العهود والعود إلى الخيانة وطباع اليهود، فحشدت الرجال والفرسان وحشرت لديه الأبطال والشجعان، فاجتمعوا صفوفًا وصنوفًا واستعدوا مئينًا وألوفًا، وكملت ذخائرهم وانتظمت شعائرهم، وأوصى حضرة أفندينا نجله الجليل وما كتم عنه معنى من تدابير كل فريق وقبيل، ثم بعد تمام أموره واستقامة أحوال جمهوره ودعه مع الدعوات المقبولة، فسار ومحاسن الأخلاق عنه واردة منقولة، وهو السيد الصنديد المحفوف بالهيبة والتأييد لا يلم بجيوشه فزع ولا يمسهم نصب ولا جزع، بل سائرون كالليوث الكواسر وكل منهم على حرب العدو مناجز ومُبادر، حتى حل معهم بأرض الحرمين ونزل بالأعداء الوهم حتى أصيبوا منه بالمين، وفرحت أهل مكة والمدينة واستحكمت بديارهم الطمأنينة». ۞

---

۞ تاريخ الوزير محمد علي باشا \ مخطوطة بيد أحد علماء الأزهر الشيخ خليل بن أحمد الرجبي.

وسنلاحظ لاحقًا كيف تعلم الداهية إبراهيم باشا من تلك الأخطاء الإستراتيجية التي وقع فيها طوسون من قبله، وكيف تعلم من والده الشدة والحنكة، وكيفية التعامل مع شيوخ القبائل، وكيف أتقن وببراعة تلك المعادلة القبلية في الحجاز ومن ثم في نجد، فقد كسب ود البدو وذلك من خلال شراء ذمم زعماء القبائل البدوية بالمال والجاه، ومن المفارقة أن قبيلة حرب الكبيرة التي قاتلت قوات طوسون باشا في الحرب الأولى، ستنحاز لاحقًا لقوات إبراهيم باشا بحكم سطوة المال والوعود بالجاه والغنائم.

فقد كان محمد علي يحرص كثيرًا على التواصل مع زعماء قبائل البدو، وكان يُعاملهم بود واحترام، ويجزل لهم العطاء، ويستمع لهم ولمشاكلهم، فخلق نوعًا من الألفة والتواصل مع هؤلاء الشيوخ.

وعن تلك المعاملة الدمثة يذكر المؤلف الفرنسي ادوارد جوان في كتابه، قائلاً:

« وفي الآن نفسه استدرج للاستظلال برايته قبائل أخرى، وعامل الأسرى بالكرم والتسامح، فأطلق سراحهم يروحون ويغدون كما يشاءون، على أن يجتنبوا الوقوع في مثل ما أوجب اعتقالهم. وحالف عربان هذيل وثقيف وبني سعد وعتيبة، وكلها من القبائل المطنبة بين مكة والطائف. ثم قصد إلى الطائف، لا ليتمتع بمناخها الحسن وهوائها العليل، بل لتوكيد الروابط معهم. وحضرت للقائه زمرة من مشائخهم في نحو ٥٠٠ رجل، فأهداهم مالاً مطمع بعده من الثياب والنقود، وأجرى عليهم من الأرزاق والمُرتبات ما يُعادل ضعف مُرتب الجندي المصري، وكان يصغي إلى اعتراضاتهم، ويُكابد انتقالهم الفجائي من حديث إلى حديث بأناءة وصبر جاذبًا إليه أفئدتهم. وجاءهُ رجل من عتيبة ذات يوم، فما إن دنا منه حتى تناول لحيته بيده مغتبطًا، وقال:"كنت هجرت مذهبي الأول، وهو المذهب الصحيح مُتمسكًا بمذهب الوهابي الخارجي المُبتدع، والآن اعتنق مذهب محمد علي"، فأجابه الباشا:" أني أفضل أن تبقى مُبتدعًا ثابت اليقين في ابتداعك على أن تعتنق مذهبًا لم أضعه"». ۞

---

۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

وقد اتخذ إبراهيم باشا نفس أسلوب والده في التعامل الكريم والسخي مع الأعيان وزعماء البلدات الحضرية، ومع شيوخ البدو بصورة خاصة، حيث سعى لكسب ودهم، وبذل لهم العطاء ومنحهم المال والجاه. وعن تلك السياسة الحكيمة التي اتخذها إبراهيم باشا، يذكر لنا ادوارد جوان، قائلاً:

« أما عبد الله بن سعود الذي كان أولياؤه ومشايعوه من العربان (البدو) قد انفضوا بالتدريج من حوله، على أثر تروعهم من خروج الباشا مرتين على النحو الآنف، فقد أمر (عبدالله) بإضرام نار الحرب لقتالهم قبل أن يصل الإمداد من مصر، ووصل هذا الخبر لإبراهيم باشا، فهب من فوره للقتال كي يحول دون احتشاد الأعداء وانضمام القبائل إليهم، ويستميل إليه العربان المُرابطين بحدود الصحراء بحجة الحياد، وهم ما كانوا في الحقيقة من المُحايدين، بل كانوا مُتريثين مُتربصين يستروحون نسيم الفرصة يغتنموها للانضمام إلى الفريق الغالب، ولقد كُللت تلك المعارك بفوز الفرسان المصريين، كما كُللت المعارك السابقة، إذ قتلوا من العدو أكثر من ٨٠٠ نفس، وغنموا ٢٠٠٠ جمل ومقدار من الماشية. وكان مما وضعه إبراهيم باشا نصب عينيه، الاستعانة بالمظاهر الدينية في حرب صبغت بصبغة القداسة. ولهذا بادر إلى المدينة ليحمد الله فيها على ما أولاه وجيوشه من التوفيق والظفر، وما أن قام بهذا الواجب حتى قفل راجعًا من المدينة في ٢٠ أبريل، وكان مما دفع العربان المُصادقين للوهابيين إلى موالاته، أنه أكرم مثوى غانم بن مضيان شيخ قبيلة حرب، وغيره من الشيوخ، ووعدهم ألا يفرض الجزية أو الكلف عليهم، وبأن يدفع لهم ثمن ما يوردونه إليه من العروض بلا مماكسة، ناهيك أنه كان لا يلقى الناس إلا بالبشاشة وسعة الصدر والسخاء».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد استغل إبراهيم باشا عداء بعض زعماء القبائل البدوية لآل سعود، خصوصًا ممن لهم ثأر مع عبد الله بن سعود ، كزعيم قبيلة مطير: فيصل بن

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

وطبان الدويش(•)، على سبيل المثال، الذي سبق وأن قام عبد الله بن سعود بقتل شقيقه، فأراد فيصل الدويش أن يتحالف مع إبراهيم باشا لينتقم من عبد الله بن سعود ومناصريه، وربما من سخرية الأقدار أن يتحول حفيده لاحقًا المدعو أيضًا بـ(فيصل الدويش)، إلى جندي من جنود أحد أحفاد آل سعود، وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن، ومن ثم يغدر به عبد العزيز، كما غدر عبد الله بن سعود بشقيق جده فيصل الدويش الأول!

وعن تحالف زعيم قبيلة مطير فيصل بن وطبان الدويش، وغانم بن مضيان زعيم قبيلة حرب مع إبراهيم باشا، يذكر ادوارد جوان في كتابه، بعض من الأخبار المتفرقة بهذا الخصوص، حيث يقول:

« وكان الزعيم الوهابي قد عقد النية على الدفاع عن المدن وإزعاج القوافل، علي يد حلفائه العربان (البدو)، لكن هؤلاء (البدو) كانت تبدو عليهم علامات الامتعاض والتذمر والإحجام عن اقتحام مدفعية، علموا مبلغ تأثيرها فيهم من قبل، فنشأ عن ترددهم هذا، شقاق، جاء على إثره غانم (بن مضيان) شيخ قبيلة حرب ليفاوضه. وقبيلة حرب هذه معروفة ببسالتها وثباتها في القتال، ومع أنها أقل نفرًا من قبيلة عنزة وأضعف جانبًا، إلا أنها منتشرة في الأراضي الواقعة بين القصيم والمدينة ومكة، إلا البقعة الضيقة التي تشغلها قبائل مطير وهتيم. ويجتمع من رجالها، إذا هبت للقتال، أربعون ألف مقاتل. والفرسان منها فيما يلي جنوب المدينة قليلون، غير أنها اعتادت أن تسلح الشطر الأكبر من شبابها وتخرجهم إلى ميدان القتال، فقلما يقع البصر على شاب لم يكن مُسلحًا ببندقة. وكانت ثروتها مكفولة بمرور قوافل مصر والشام بأرضها، ووجود مفتاح الحجاز الشمالي في يدها ، ولم يتفق لها ، قبل غارة الوهابيين عليها وخضوعها لسلطانهم، كما خضعت قبائل الصحراء أجمعين، أن تنحت لأحد عن شبر واحد من أراضها، ومع أن هذه الأراضي تتاخم أراضي (قبيلة)

(•) هو الشيخ فيصل بن وطبان بن محمد الدويش المُلقب بالأكوخ، زعيم قبيلة مطير، وقد تولى المشيخة في عام ١٨١٠م، وأما حفيده فهو أحد زعماء حركة الإخوان (إخوان من طاع الله) المدعو فيصل بن سلطان الدويش، الذي قتله عبد العزيز بن سعود لاحقًا في عام ١٩٣١م.

جهينة التي استمالها طوسون باشا في سنة ١٨١٢م، فقد كانت على الدوام تنبذ كل اقتراح يقترحه هذا الأمير عليها في شأن ما، إلى اليوم الذي عقدت فيه مُعاهدة الرس. وكان الشيخ غانم، عندما عرض خدمته على إبراهيم باشا، يطمح إلى استرداد الأراضي التي أكرهته الدولة العلية على التنازل لها عنها، ورأى إبراهيم أن الفرصة مُتاحة للإيغال في داخلية البلاد، فكان أول ما صرف إليه عنايته، هو اجتذاب أصحاب النفوذ والجاه من عربان القبائل إلى مصادقته واكتساب مودتهم بالملاينة تارة والهدايا النفيسة تارة أخرى، فلما أن ظفر بمراده من ذلك تحرك يوم ٢٧ ديسمبر في جيش مؤلف من ١٨٠٠ فارس، مزودين بالمؤن لعشرة أيام، وانضم الشيخ غانم إليهم في ٥٠٠ خيال من عربانه استجاشهم في الطريق. إلى أن يقول جوان: فلما وصل (إبراهيم باشا) إلى النقطة المقصودة، تهلل الجند فرحًا وأطلقوا البنادق إيذانًا بسرورهم، ونزل (الباشا) في خيمة أوزون علي، وهنأه هو وغانمًا شيخ عربان حرب على بسالتهما، وكان جواد هذا الشيخ قد جرح في أثناء المعركة، كما أصيب أخوه بطعنة رمح».

وأما بخصوص موقف زعيم قبيلة مطير الشيخ فيصل الدويش فيذكر المؤلف ادوارد جوان: « وبينما كان إبراهيم يُحافظ على خط الحناكية، عملاً بأمر والده ريما ترد إليه الإمدادات، أرسل فيصل (الدويش) شيخ قبيلة مطير، وهو الذي قتل زعيم الوهابيين (عبد الله بن سعود) أخاه، يُنبئ الباشا بأنه متى ما وصل المصريون إلى المهوية، انضم إليهم وعاهدهم على إبادة الوهابيين، وأنه سيقتل بيده زعيمهم أخذًا بثأر أخيه، فدهش إبراهيم لهذا النبأ، وسارع يوم ٣٠ أبريل إلى المكان المعين، لاجتماعه بفيصل يصحبه أربعمائة من الفرسان، ومن مشاة يركبون الهجن، وثلاثة آلاف جمل ما يكفي من المؤن والذخائر لمدة شهر».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.



**- دخول إبراهيم باشا مع قواته إلى الحجاز -**

**وفي مكان آخر من الكتاب يذكر ادوارد جوان:**

**« أما فيصل (الدويش) فقد برّ بوعده إذ قابل إبراهيم باشا، ووافاه بالمؤن الوافرة والدواب للنقل، واندمج هو ورجاله في الجيش المصري، فصاروا جزءًا من الحملة المصرية لا يتجزأ. ثم يقول أيضًا: على أن الإمدادات المُنتظرة وصلت بعد ذلك بقليل، مؤلفة من ثمانمائة رجل ومدفعين من مدافع الحصار، وجمال كثيرة، ومؤن وذخائر، فأصبح الجيش المصري بها مؤلفًا من أربعة آلاف ألباني ومصري، وخمسمائة مغربي تحت قيادة حسن كاشف، ثم من عربان قبائل مطير وحرب وبني خالد وعتيبة، الذين كان مشائخهم يقيمون في المعسكر المصري العام ويقومون بالاستطلاع للجيش المصري وحراسة قوافل الميرة والعلوفة والذخيرة».**

**إلى أن يقول المؤلف في موضع آخر من الكتاب: « ولقد أشخص (إبراهيم باشا) في يوم حادث الانفجار الرُسل إلى شقراء وبريدة وعنيزة ومكة والمدينة في طلب المدد الذي يسد به بعض النقص الذي نشأ من هذا الحادث، فلم تمض خمسة وعشرون يومًا من يوم سفر هؤلاء الرُسل، حتى وصل إليه مائتان من دلاة حامية عنيزة ومعهم مائتا جمل محمل بالبارود والرصاص والقذائف، ثم تواردت القوافل من المدينة تحمل الذخائر الكثيرة ومدفعين، ومن بعدها فرقة مؤلفة من سبعمائة عسكري، فاستطاع إبراهيم بهذه القوة الجديدة إخضاع القوى التي ثبت من تقرير بعث به فيصل شيخ عربان مطير، أنها تمد الدرعية بالمؤن والذخائر. وكانت المهمة الموكولة إلى هذا الشيخ تنحصر في إقصاء القبائل المُعادية للمعسكر المصري».** [۞] - انتهى الاقتباس -

**وعن دهاء وحنكة إبراهيم باشا وسياسته الحكيمة في كسب ود البدو واستمالتهم لجهته بواسطة المال والذهب، يذكر لنا المؤرخ اللبناني الماروني أمين الريحاني ، الذي استقى معلوماته من قبل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن**

---

[۞] **كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.**

سعود شخصيًا، حيث يصف تلك الأساليب الذكية التي كان استخدمها إبراهيم باشا في شراء ذمم البدو أثناء غزوه للحجاز ونجد، وذلك حسب وصفه، حيث يذكر أمين الريحاني في كتابه تاريخ نجد الحديث ومُلحقاتها ـ قائلاً:

« أقام إبراهيم في الحناكية ولبث يُراقب طرائده، فكان يُغير تارةً على البدو وطورًا ينتظر إغارتهم عليه، فينصُب لهم شراكًا من الوعود الخلابة التي كانت تتخللها الهدايا وشيء من الذهب الوهاج. ولم يكن على ما يظهر في ما يستوجب العجلة. حيث أقام ستة أشهر على ذاك الماء وهو ينتظر العربان ليخون بعضهم بعضًا وينضموا إلى جيشه. وكذلك كان. فقد جاءت (قبيلة) حرب وجاءت (قبيلة) عتيبة، وجاءت (قبيلة) مطير، (وكانوا يقولون): والله يا إبراهيم حنا (نحن) ما نبي (لا نبغي) أهل نجد، حنا رجالك وحياة الله. وكانوا يقولون مثل هذا القول لابن سعود». ۞ - انتهى الاقتباس -

حيث يذكر ابن بشر عن هؤلاء الزعماء الذين تحولوا لصالح إبراهيم باشا، وأصبحوا يمدونه بالمعلومات العسكرية ويُظهرون نقاط الضعف في جيش عبدالله بن سعود في الدرعية، سواء كان هؤلاء المُتعاونين مع جيش إبراهيم باشا من زعماء البدو أو حتى من الحضر، قائلاً عنهم: « ثم كانت وقعة سمحة النخل المعروف أعلى الدرعية جنوب الوادي، وانهزم أهل الدرعية عن متارسهم المذكورة وذلك أن الباشا بعد وقعة غبيراء خرج إليه ناس من البلد وأخبروهم بعوراتهم ومعاديهم وكان أكثر ما شد ظهور الترك في نجد وفي البلدان وأسكن جأشهم وقواهم على أهلها، أناس تبعوه من أهل نجد ومن رؤساء البوادي ممن كانت نبتت لحومهم وجلودهم هم وأبنائهم وأقاربهم على جزيل عطايا آل سعود وفضائلهم، ولا نالوا الرئاسة إلا بسببهم. فظنوا أنهم إذا سابقوا إلى الترك وساعدوهم يفعلون بهم كفعل آل سعود معهم». ۞۞

---

۞ كتاب : تاريخ نجد الحديث ومُلحقاتها \ تأليف أمين الريحاني.

۞۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

يتضح هنا من سرد ابن بشر للأحداث أن هنالك زعماء وشيوخ من البدو، ومن الحضر أيضًا؛ انقلبوا على آل سعود، وعملوا كجواسيس أو أدلاء لصالح جيش إبراهيم باشا، مثلما فعل إبراهيم بن ثاقب حفيد مرخان في السابق، كجاسوس لآل سعود فأصبح عينًا لهم في داخل حملة كيخيا العراق السابقة، والتي أُجهضت بسبب تلك الخيانة.

كل تلك العوامل السالفة الذكر كانت قد أخّرت أو أجّلت من موعد سقوط الدرعية، لكنها في الوقت ذاته حفّزت الجميع على السعي الحثيث لاجتثاث شأفة آل سعود، وربما كان على رأس هؤلاء المُتحفزين القائد المغوار إبراهيم باشا الذي كان ذا إصرار وعزيمة، فنجح في هزيمة آل سعود، واستطاع أن يقضي عليهم بالكامل، وأن يُدمر الدرعية ويُشتت الوهابية في أصقاع المعمورة.

أما أهم أسباب سقوط الدرعية والقضاء على شأفة الوهابية؟

فهنالك أسباب عديدة ودوافع كثيرة مُباشرة وغير مُباشرة، لكن أهمها أن آل سعود ومعهم محمد بن عبد الوهاب كانوا في بداية دعوتهم يكفّرون أهالي نجد تحديدًا، ويغزون ويسفكون دماء القبائل النجدية المحلية المُجاورة لهم، فلم يأبه بهم أحد، ولم تنتبه حينها الدولة العثمانية لخطرهم، لأن نجد كانت منطقة صحراوية شبه معزولة، والأخبار شحيحة وشبه معدومة، ولكن عندما بدأ سعود بن عبد العزيز يوسع عمليات السلب والنهب ويشن غزوات دموية نحو تخوم العراق والشام والحجاز وعمان، أثارت عليه غضب وحنق الدولة العثمانية، ولكن عندما قام سعود بمُهاجمة قوافل الحجيج ومن ثم منع حجاج مصر والشام من دخول الحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج، كان ذلك التصرف الأرعن هو بمثابة القشة التي قصمت البعير الوهابي.

فقد وجد سعود ضالته في عمليات السلب والنهب المُنظمة، والتي كانت تدر عليه الأموال الطائلة والذهب فكان يجني آلاف الريالات، وكان يحصل التموين

والأرزاق بصورة مجانية من خلال مُهاجمة القوافل المارة والحدرات، ناهيك عن فرضه للخاوة على القبائل البدوية سواء كانت في داخل نجد أو حتى في بادية العراق والشام بزعم أنها زكاة، مما شجعه على المضي في غيه والاستمرار في تلك التصرفات العدوانية والهجمات الدموية على رعايا الدولة العثمانية، التي هونت من أمره في بداية الأمر، واعتبرته مُجرد زعيم عصابة خارج عن القانون يتخذ من سياسة الكر والفر واللجوء إلى الصحراء وسيلة للبقاء والمُقاومة. لكن حينما هاجم سعود الحجاز وسيطر على الحرم ومنع الحجاج من أداء شعائر الحج، وضع نفسه بين فكي الأسد، وهنا بدأت الدولة العثمانية تتخذ إجراءاتها الرادعة وتحرك ولاتها سواء من كان في العراق أو مصر على اجتثاث شأفته.

وكان بإمكان آل سعود أن يتجنبوا ويلات الحرب الثانية مع قوات محمد علي باشا، لكن تصرفاتهم الرعناء وإصرارهم على الانتقام من أهالي القصيم، وتزايد الكره لهم من قبل أهالي نجد، حيث لم يقف عبد الله بن سعود عند حده بعد فشل حملة طوسون باشا، بل أراد أن ينتقم من القصمان ويؤدبهم لأنهم استدعوا قوات محمد علي لنجدتهم، فحاصرهم ابن سعود حصارًا شديدًا وقتل منهم أناسًا كُثر وقام بهدم أسوارهم، مما دفع أهل القصيم للذهاب إلى مصر ومُقابلة محمد علي باشا شخصيًا لحثه على تخليصهم من النير والطغيان السعودي، وعندما علم عبد الله بن سعود بالوفد القصيمي الذي سار لمُقابلة محمد علي لطلب النجدة وتحريضه على آل سعود، سارع عبد الله بن سعود وأرسل وفدًا مُحملاً بالهدايا الثمينة لوالي مصر كي يستميل محمد علي باشا، ويُفشل مساعي أهل القصيم، لكن وفد عبد الله فشل فشيلاً ذريعًا في مسعاه، ولم يستطع أن يُثني محمد علي باشا من إرسال حملة عسكرية جديدة لتأديبه وكف يده عن أهالي نجد، بقيادة إبراهيم باشا هذه المرة، حيث يذكر ابن بشر عن تلك الأحداث وأخبار الوفود قائلاً:

« (ثم دخلت السنة الحادية والثلاثون بعد المائتين والألف ١٢٣١هـ)... وفيها سار عبد الله بن سعود بجميع رعيته من المُسلمين من الأحساء وعمان ووادي الدواسر والجبل والجوف ومابين ذلك من البادية والحاضرة وقصد القصيم، ونزل على بلد الخبرا وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لهم عن ما تقدم منهم من استدعائهم بالترك وإدخالهم وخوفًا أن يحدثوا مثلها فيما بعد. فأقام عبد الله على الخبرا أيامًا وقتل شاعرًا في الخبرا اسمه عميان فقتله عبد الله بن حجيلان.....الخ. إلى أن يقول ابن بشر: وأمسك ثلاثة رجال من رؤساء أهل الرس وسار بهم إلى الدرعية، رئيس الرس شارخ واثنان معه وأحاط في هذه الغزوة على مياه القبلة الشمالية والجنوبية وسميت غزوة محيط ومحرش لأنهُ حدث النقض من الروم(•) بسببها. لأنهُ ركب إلى مصر رجال من أهل القصيم والبوادي وزخرفوا القول لصاحبها وتلقى قولهم بالقبول فشمر في تجهيز العساكر إلى نجد مع ابنه وابن زوجته إبراهيم وذلك بتقدير العزيز الحكيم...... الخ. ثم يقول ابن بشر: وفيها أرسل عبد الله بن سعود حسن بن مزروع وعبد الله بن عون إلى محمد علي في مصر بهدايا ومُراسلات بتقرير الصلح، فلما قدموا عليه في مصر وجدوه قد تغير». ۞ - انتهى الاقتباس -

وهنا يتضح أن أهالي القصيم اقنعوا محمد علي بالقدوم إلى نجد وتخليصهم من الطاغية ابن سعود، وأنهم سيُساعدون تلك الحملة ويقفون معها ضد حُكَّام الدرعية، ولهذا رفض محمد علي ما قدمه وفد عبد الله بن سعود، ومُبادرتهم للصلح معه، لأنهُ قد أعد العدة للحرب وجهز الجيش ولا مكان للوساطات والوفود بعد أن قضي الأمر، ولهذا فشل وفد عبد الله بن سعود، وفاز وفد القصيم، وفعلاً أقبلت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا لتستأصل آل سعود وتقضي على إمارتهم الأولى.

---

(•) مُصطلح الروم أو الترك: يقصد بهم ابن بشر جيش محمد علي وولده إبراهيم باشا وغالبيتهم من المصريين وبعض الجنود المغاربة، ولكن تعود أهل نجد أن يُطلقوا على جنود الدولة العثمانية الروم وأحيانًا جيش الترك.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وعن ردة فعل محمد علي الغاضبة على نكوص عبد الله بن سعود، الذي خان العهد وخالف الوعد الذي قطع على نفسه أمام ولده طوسون، يذكر لنا المؤلف الفرنسي المُستعرب ادوارد جوان، في كتابه، (مصر في القرن التاسع عشر: سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية)، حيث يورد لنا ردة فعل محمد علي من لقائه برُسل عبد الله بن سعود، ومن خلال رسالة محمد علي الموجهة إلى حاكم الدرعية عبد الله، قائلاً:

« لكن الأدعى إلى الدهشة والعجب أن يلتجئ الزعيم الوهابي إلى الحيلة، مع شرف هذه النزعة، إلى الحيلة الدنيئة، والإسفاف في التنصل، محاولة شراء ذمة أميري الحرمين بالمال، وتوكيده لمحمد علي أن جدا تحب الخير له وللسلطان، وأنها لا تقتصر على الإجازة للقوافل بل تتعهد بحمايتها كذلك من الأشقياء، وان العربان الذين أوقفهم أبناء سعود عند حدهم قد عاهدوه على الصدق والاستقامة، ولأنه لم يتوانى في أداء العشور والمكوس إلى من يعتمدهم إلى الباشا في قبضها منه، وأما أمنيته القصوى أن يكون هو وآله وأتباعه من رعاياه المُخلصين المُمالئين له على الخوارج ، وأنه يرجو منه العفو والغفران عن فرطاته السابقة، ويسأل الله أن يبارك في عمره ويتقبل منه صالح أعماله. فوصل إلى مصر من طرف الوهابي قصاد (رسول) يحملون هذه الرسالة، وكان الغرض الصحيح لحضورهم الوقوف على المعدات التي تجهز لقتاله، ولم يكن محمد علي ممن تمر عليهم هذه الخدعة، على أنه استقبلهم، متجاهلاً غرض التجسس الذي يرمون إليه، ومضى في التسامح معهم إلى حد أنه سهل عليهم قضاء المهمة التي جاءوا في الحقيقة من أجلها، إذ أرسلهم يتفقدون المعسكرات والثكنات ومخازن معدات الحرب، قبل أن يفصحوا عن مرادهم، وبدهيّ أنهم لم يغتبطوا بما شهدوه من كثرة المُعدات والجنود، فعادوا من زيارتهم قلقين واجمين، وظلوا في قلق ووجوم حتى حان وقت سفرهم، فقال لهم محمد علي: "هاأنتم قد حصنتم المدن وحشدتم الجند

وتأهبتم للقتال، وهو ما أنا موقن به، فأخبروا مولاكم أني أوقظه من غفلته وأدعوه إلى اتخاذ الحيطة لنفسه، لأني سأرسل إليه الأمير إبراهيم الذي سينزل به وبحزبه العقوبة الصارمة، وسيدمر عاصمتكم ويجيء بأهلها إلى هنا أسرى أو قتلى، على أنهُ لو حاسب عبد الله نفسه وحثها على الطاعة وحفظ العهود واحترم الأيمان لكان هذا أولى به وأحرى، وأما وقد حنث في يمينه وخان بعهده وأخلف وعده، فلسوف تحطمه جنودي، والأخلق به أن يُبادر بالحضور ليصون شرفه ويحفظ من الدمار بلاده ومن الفضح عرضه ومن الهلاك نفوسًا لا حصر لعددها، وأني أمهله كل ما يريد من الوقت للتروي، فلا يُضيعن هذه المهلة، فيما لا طائل تحته ولا جدوى منه، وأعلموا أني إذا صبرت وأمهلت عند الانتقام فليس ما يعوقني عن الصرامة والشدة إذا انقضت المُهلة وحان الحين". وكتب محمد علي إلى ابن سعود رسالة بهذا المعنى، وأخرى إلى العربان (البدو)، يدعوهم فيها إلى طاعة إبراهيم باشا، إذ أنذرهم بقرب وصوله إليهم، ودعاهم إلى معاونته وتأييده وإسعافه بكل ما يحتاج إليه من مؤن ووسائل نقل. فلما عاد القاصدان إلى نجد أمرهما عبد الله أن لا يبوحا لأحد، بسر النتيجة التي انتهت إليها مُهمتهما، ثم تناول الرسالتين الموجهتين إحداهما إليه والأخرى إلى العربان، فمزقهما ولفق رسالة من عنده، ووضع عليها عنوان، ولم يضمنها بالطبع شيئًا مما وجهه الوالي إليه في رسالته الممزقة من تأنيب وتقريع، وما تركه منها جعل الخطاب فيه موجهًا إلى أحزابه وأشياعه، كما جعل المطاعن التي احتواها موجهة إلى العقيدة الوهابية، لا إلى ما ارتكبه في سياسته من خيانة وغدر، ولم ينسى بعد ذلك أن يكيل لنفسه المدح كيلاً على لسان الوالي، والقدح المُقذع لكل وهابيّ تلقاء ما اقترفه من الجرائم والآثام الموجبة للعار، اللهم إذا عدل عن مذهبه فيجهر علنًا بأنه نكل عنه ولم يعد مُتمسكًا به. وقد بلغت الجراءة به، بعد هذا أن تلا الرسالة المُلفقة في مجلس حفيل بالكبار والأعيان، فكان جوابهم جواب من تحركت في نفوسهم عوامل الغيرة على الدين والتفاني في الذود عن مذهبهم، والتمالؤ على

الاستمساك بمبادئه، فقالوا إذا اعتمد محمد علي في قتالهم على ابنه فإنهم يعتمدون على مولى الوهابيين». ۞ - انتهى الاقتباس -

بينما نجد أن الرحالة وليام بالجريف لهُ رأيٌ آخر حول ردة فعل إبراهيم باشا الغاضبة على عبد الله بن سعود، حيث ذكر ذلك اللقاء العاصف والمُهين الذي حظي به رسول عبد الله بن سعود من قبل إبراهيم باشا، وكيف وصف الباشا عبد الله بن سعود بـ(كلب نجد) ولا يعرف هل كان ذلك المرسول هو حسن بن مزروع أو عبد الله بن عون، اللذين ذكرهما ابن بشر في كتابه، وقد استقى بالجريف تلك المعلومات من أهل الرياض أنفسهم، حيث يقول:

« وانتظر مبعوث (عبد الله بن سعود) ثلاثة أيام قبل أن يلتقي إبراهيم باشا. وسمحوا له في اليوم الرابع بقائه. وقال له إبراهيم باشا بلهجته القاهرية العامية التي لم يتخلَّ عنها طوال حياته: "حسنًا، أيها الرجل، ما الذي أحضرته لنا من كلب نجد سيدك"؟. وقدم السفير الرسالة التي يحملها. وتناول الباشا الرسالة، وحملق بعينيه في محتوياتها، وانفجر في ضحكة مجلجلة تشبه ضحكة الحصان! وقرأ:"وعليه - سيدي ، ومولاي! خادمك المُطيع! وقال: يا ولد (ناظرًا إلى الخادم):"أحضر الرسالة التي وصلتنا قبل أربعة أيام من السعدي كلب عسير". فأحضر الخادم الرسالة. حيث كانت تلك الرسالة عبارة عن إعلان بالخضوع وتوكيد للولاء، في حين أضاف إليها رئيس عسير، من باب إخلاصه للباشا المصري، تلك الملاحظة التي كان عبد الله بن سعود قد أرسلها له منذ فترة قصيرة. فقال إبراهيم باشا لرسول عبد الله بن سعود: "اسمع ما يلي، يا خنزير" وراح يقرأ بصوت مرتفع الوثيقة الوهابية الثانية، وهو يوزع لعناته على الخط النجدي:"بسم الله الرحمن الرحيم، نحن عبد الله بن سعود، نُحيي ابن السعدي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: لا يَخدعَنك حمار مصر ولا نهيقه ، لأنه لا يستطيع أن ينفعك أو يضرك في شيء ، ونحن

---

۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

بمشيئة الله سنكون المنتصرين، وأنا أقول لك: احذر تباهي الكفار! خزاهم الله، لأنهم الخاسرون بكل تأكيد، ونحن على استعداد لمساعدتك بالراكبين والراجلين، والنصر من الله، والنصر قريب، والسلام عليكم ورحمة الله". وهنا أيقن المرسول النجدي أنه لم يعد هنالك مجال للاعتذار أو الدبلوماسية، ولذلك لم يُحاول اللجوء إلى أي منهما، ولكنه اصطحب معه خيوله التي جلبها كهدية للباشا، وأبحر ثانية من القصير ومنها إلى جدة على وجه السرعة».[۞]

وكان بإمكان إبراهيم باشا عندما نجح في طرد عبد الله بن سعود من الحجاز وأوقع به الهزيمة في القصيم، أن يتركه وشأنه يجر أذيال الخيبة والخسران منكفئًا في الدرعية ويعود هو لمصر متوشحًا بأكاليل النصر والتمكين.. لكن إبراهيم باشا كان يمتلك بعد نظر إضافة إلى أنهُ كان يسعى جاهدًا لتحقيق مجد شخصي يتكئ عليه أمام الباب العالي، وقد تلافى الأخطاء السابقة التي وقع فيها والده وأخوه طوسون، حيث كان يُدرك أن ابن سعود قد تعود على مبدأ وثقافة الانكسار وتأقلم مع الهزائم الظرفية، فكل حروبه وغزواته كانت تعتمد على إستراتيجية الكر والفر، فهو ما أن ينهزم ومن ثم ينكفئ على نفسه فترة من الزمن في الدرعية حتى سرعان ما يستجمع معه بعض المُرتزقة من البدو ويعود لسابق عهده في شن الغارات وعمليات السلب والنهب.

لذلك فقد خشي إبراهيم باشا أنهُ إذا ما غادرت قواته الضاربة منطقة نجد، عاد ابن سعود لسابق عهده في التمرد وقطع طريق الحجاج، فيبدأ يثير البلابل والقلائل لدولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، وهذا الأمر سينعكس سلبًا على مكانة والي مصر محمد علي باشا وسيُفشل جهود أبنائه، لذلك قرر إبراهيم هذه المرة أن يقتلع ابن سعود من جذوره، ويأتي به ذليلاً مُكبلاً ويُسلمه لأبيه والي مصر محمد علي باشا، والذي بدوره سيُسلمه للسلطان محمود ويكسب السمعة والمكانة لدى الباب العالي.

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.



- لوحة زيتية تمثل انتصارات إبراهيم باشا -

**أما تفسير عثمان بن بشر لتلك الهزيمة النكراء وتبريره لسقوط الدرعية، وبالرغم من كونه وهابي الهوى والعقيدة حتى النخاع وغير مُحايد في التحليل والحكم ولا يُمكن الأخذ برأيه دون تمحيص، لكن لا بأس من الاستئناس بتبريراته لتلك الهزيمة الساحقة، التي يُسميها هو بالصلح!**

**ولا أدري عن أي صُلح يتحدث ابن بشر، وجميع آل سعود وآل الشيخ قد أخذوا أسرى مُكبلين بالقيود وسيقوا إلى مصر، وحاكم الدرعية عبد الله بن سعود قد صُلب وعلقت جثته على بوابة همايون في تركيا، والدرعية دمرت بالكامل؟!**

حتى أن عثمان بن بشر نفسه ذكر في كتابه، أن عدد القتلى من آل سعود فقط قد بلغ ٢١ رجلاً والباقين إما أخذوا كأسرى إلى مصر ومن ثم أرسلوا لتركيا ليعدموا هناك، وإما هربوا بجلودهم إلى قطر وعُمان، ومن بين من هرب من الدرعية فارًا بجلده تركي بن عبد الله وأخوه زيد، ومن بين الذين لم يُحالفه الحظ فحاول الهرب وأدركه الجيش المصري وقتل، هو سعود بن عبد الله بن سعود، حيث هرب من الطريف في الدرعية فلحقت به خيل إبراهيم باشا وتم قتله.

وقد جاء في تاريخ الجبرتي: أن وصول آل سعود كأسرى إلى مصر، كان في سنة ١٢٣٤هـ ، حيث كان عددهم هُم ومن معهم من أتباع ومن أسرة آل الشيخ أربعمائة نفس. ومعروف أن عبد الرحمن بن حسن الجبرتي كان مُتعاطفًا مع الوهابيين، فقد ذُكر في كتابه لأحداث عام ١٣٢٤هـ أن عدد الجنود الذين كانوا مع إبراهيم باشا، لحرب الدرعية ستة عشر ألف جندي، وقد قتل من أهل الدرعية، التي ليس فيها سوى ألف ومائتين رجل، قتل منهم ثمانمائة رجل، حيث جاء في كتابه ما نصه:
«واستهلت سنة ١٢٣٤هـ ـ ١٨١٨م، يوم الاثنين ١٧ محرم ١٦ نوفمبر، وفي ذلك اليوم، وصل عبد الله بن سعود الوهابي، ودخل من باب النصر، وبصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس، وهو راكب على هجين، وبجانبه المذكور، وأمامه طائفة من الدلاة، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما، وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق، ورفعوا الزينة وركب الباشا إلى قصر شبرا في تلك السفينة، وانفض الجمع وذهبوا إلى دورهم، وكان ذلك من أغرب الأعمال التي لم يقع نظيرها بأرض مصر....الخ. واستهل شهر جمادى الأولى ١٢٣٤هـ، وفي سابعه يوم الخميس، وصلت الأخبار أيضًا عن عبد الله بن سعود، أنه لما وصل إلى إسلامبول، طافوا به بالبلدة وقتلوه عند باب همايون، وقتلوا أتباعه في نواحي متفرقة.

وفي يوم الخميس ثامن عشرة، حضر بواقي الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو أربعمائة نسمة، وأسكنوا بالقشلة التي بالأزبكية، وابن عبد الله بن سعود بدار عند جامع مسكة، هو وخواصه من غير حرج عليهم، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم، ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات. واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٣٥هـ، وفيه وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز،وبصحبتهم أسرى من الوهابية، نساء وبنات وغلمانًا، نزلوا عند الهمايل، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع أنهم مسلمون وأحرار. واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٥هـ، في ثالثه، حضرت هجانة من أراضي نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال، وهم عمر بن عبد العزيز، وأولاده، وأبناء عمه، وذلك أنهم ما رجعوا إلى الدرعية عند رحيل إبراهيم باشا وعساكره، وكان معهم مشاري بن سعود، وقد كانوا في الدرعية بعدما رحل عنها إبراهيم باشا، وتركي بن عبد الله ابن أخي عبد العزيز، وولد عم سعود مشاري، فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر في الحمراء، وهي قرية بين الجديدة وينبع البحر، وذهب إلى الدرعية، واجتمع عليه من فرَّ حين قدمت العساكر، وأخذوا في تعميرها، ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاري، ودعا الناس إلى طاعته، فأجابه الكثير منهم، فكادت تتسع دولته، وتعظم شوكته، فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك، فأوثقوا مشاري وأرسلوه إلى مصر، فمات في الطريق، وأما عمر وأولاده وبنو عمه، فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المُتقدمين، بحجر اليمامة، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة، فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة، وطلبوا الأمان، لما علموا أنهم لا طاقة لهم به، فأعطاهم الأمان على أنفسهم، فخرجوا له إلا تركي فإنه خرج من القلعة ليلاً وهرب، وأما حسين بيك فإنه قيّد الجماعة وأرسلهم إلى مصر في الشهر المذكور، وهم الآن

مقيمون بمصر بخطة الحنفي، قريبًا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت». [1] - انتهى الاقتباس -

ولهذا فإن عثمان بن بشر يُعزي تلك الهزيمة ويُرجع أسباب الذهاب والاضمحلال، مرة إلى كثرة الذنوب والمعاصي والخطايا، وأخرى للخيانة، إلا أنهُ لم يوضح لنا ماهية تلك المعاصي، وعن أية ذنوب ومعاصي يتحدث ابن بشر وهو في دولة سبق وأن زعم أنها كانت تطبق الشرع الإسلامي بحذافيره، وسبق وأن وصف أميرها سعود بأنهُ مهدي زمانه؟!

ربما كان يقصد بذخ وإسراف سعود وشراهة ولده عبد الله، وكذلك عبث ونزوانية أبناء آل الشيخ وخصوصًا زير النساء المشهور علي بن محمد بن عبد الوهاب، ومُغامراته النسائية كما مرَّ بنا، حيث يذكر صاحب كتاب (لمع الشهاب) مثلاً عن بذخ سعود قائلاً:

«وكان يحمل السيف دائمًا، وسيفه عليه من الفضة والذهب والجواهر مُرصع علافهُ بها على صفحات الذهب من جانب أعلاه وأسفله، وكان السيف لم يبرح معه حتى في مضجعه في فراشه مع زوجته لأنهُ كان غير آمن على نفسه بعدما قُتل أبوه عبد العزيز غيلة، وقد مرَّ بيانه. وكان تحته أربع نسوة بالعقد وست جوارٍ من الكرج. أرسل بعض الناس خفية إلى أطراف بلاد الروم فاشتروهن له بقيمة كثيرة. قيل كل واحدة اشتراها بثلاثة آلاف ريال أو أكثر لأنهن متناهيات في حُسن الصورة. وأيضًا له عشر وصايف حبشيات، بعضهن أهداهُ له الشريف حمود أبو مسمار صاحب أبي عريش وتهامة اليمن، وبعضهن أتوه بهن القواسم، أهل رأس الخيمة، مما اكتسب ومن الغنائم. وقد غيَّر بنيان البيت الذي كان لأبيه عبد العزيز، فوسع عرصته وبنى غرفًا وخلوات، وعيّن لكل امرأة موضعًا خاصًا بها هي وخدمها، بحيث يكون بينها وبين غيرها حائط عظيم لا يترائين من أجله، وكذلك الجواري الكرجيات والحبشيات، كل واحدة لها خدم من الزنجيات وغيرهن، ولها بيت على حدة.

---

[1] كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار – الجزء الرابع، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.

وكل الزوجات الأربع يقسم لهن، ومعناه شرعًا أنهُ يبات ليلة ويظل منها عند واحدة واحدة. وأما الجواري فليس كذلك، بل يدخل عليهن متى شاء ليلاً أو نهارًا فيقضي وطره، ولم يُقيم للبيتوتة أو القيلولة عندهن».۞ -انتهى الاقتباس-

أما لويس دوكورانسي فيُضيف عن سعود قائلاً:

«ورث سعود قوة أبيه ولكنه لم يرث مزاياه. والواقع أنه ليس لديه تعصب أبيه الديني، ولكنه أكثر منه استبدادًا بكثير. وهو يُحب إظهار العظمة في جميع نفقاته كما يطلب الظهور والأبهة. كل شيء في قصره يوحي بالعظمة، إذ لم يُهمل أي شيء لتزيينه. من الذهب واللآليء وأغلى الأقمشة من الهند استعملت في تجميله. ويؤكد بعضهم أن العباءة التي كان يلبسها رائعة جدًا كلفته ما لا يقل عن ٦٠٠,٠٠٠ ألف قرش. وقد يظن عند مشاهدة هذه الظواهر أن حاشيته تقلده وتلبس مثله، ولكن في الواقع أنهُ تركهم على بساطتهم. وإذا كان سعود يلفت النظر بالأبهة داخل قصره، فإنهُ يلفت النظر خارجه أكثر بالعدد الكبير من الحاشية التي ترافقه فتفرض الاحترام حيثما ذهب».۞ -انتهى الاقتباس-

وأحيانًا يعود ابن بشر ويرجع سبب الهزيمة إلى دسائس الخونة والمُتآمرين وبعض الموتورين الذين سبق وأن أجلاهم آل سعود من ديارهم وصادروا أموالهم، ممن تعاونوا مع جيش إبراهيم باشا نكاية بآل سعود، وبعضهم قد تخلى عن آل سعود في أشد الظروف حلكة وانحاز لجيش إبراهيم، وأظنه يقصد قائد خيالة آل سعود المدعو غصاب العتيبي، حيث يذكر ابن بشر عن هؤلاء قائلاً: «وأتت إليه الرحل والقوافل وهو في الدرعية من البصرة والزبير مع أهل نجد الذين فيها، ممن كان أجلاهم آل سعود عن نجد وأخذوا أموالهم. فتابعوا عليه القوافل من الأرز والحنطة والتنباك وجميع حاجات العساكر،

---

۞ كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ للمؤلف : حسن جمال بن أحمد الريكي.
۞۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

وسار إليه القوافل أيضًا من نواحي نجد بجميع ما ينوب العساكر.... الخ إلى أن يقول: فلما كان أخر الحصار خرج من الدرعية غصاب العتيبي، وكان خروجه منها وقت الهجيرة، وقصد الباشا وهو ممن يظن به الصدق مع آل سعود والصبر معهم. وكان رئيس الخيالة في الدرعية، فلما خرج منها قوي عزم الباشا على الحرب وقرب القبوس من البلد وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروجه». ۞ - انتهى الاقتباس -

والصحيح أن آل سعود باتوا مكروهين ومذمومين من الجميع كحال آل سعود المُعاصرين حاليًا، ووصلت مرحلة الكره والتحدي لهم والتذمر من تصرفاتهم إلى درجة لا تُطاق، حيث دفعت تصرفاتهم الرعناء أهالي القصيم مثلاً للذهاب إلى مصر كي يستنجدوا بواليها، وبتنا نسمع لأول مرة أن أهل الرس مثلاً باتوا يتمردون على عبد الله بن سعود، ويطلبون منه موقفًا رجوليًا وأن يترك عنه المناورة والتخفي، وأبلغوه إما أن يُبادر هو بمنازلة جيش إبراهيم باشا ويُقاتلهم وجهًا لوجه كالرجال، وإلا أنهم سيُبادرون بالصلح مع إبراهيم باشا الذي يُحاصرهم منذ فترة ويُضيق عليهم، بينما كان عبد الله بن سعود متحصن في عنيزة، ولا يستطيع أن يفعل لهم شيء، فيقول ابن بشر عن حصار الرس: « فأمر عبد الله على بعض المُسلمين أن يرحلوا وينزلوا الماء، فلما هموا بالرحيل خافت البوادي وتتابعت فيهم الهزيمة ووقع في قلوبهم الرعب، فاتصلت الهزيمة في جموع المُسلمين واختلطت الجموع بعضها في بعض وتبعهم الترك والبوادي وقتلوا رجالاً كثيرًا من السلاح وغيره سقط في الأرض من أهل الركايب، وركب عبد الله في كتيبة من الخيل وحمى ساقة المُسلمين وهلك في تلك الهزيمة بين القتل والأسر والظمأ نحو مائتي رجل وهذا أول وهن وقع في المُسلمين، ثم أن عبد الله قصد نجخ وحمل ثقله وسار إلى القصيم ونزل الخبرا، ثم رحل منها إلى عنيزة ونزلها........ الخ. فأقبل عساكر

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

الترك مع باشتها إبراهيم ونزلوا الرس لخمس بقين من شعبان فثبتوا له وحاربوه..... وطال الحصار إلى اثنى عشر ذي الحجة، وذكر أن الترك رموه في ليلة خمسة آلاف رمية بالمدافع والقنبر والقبس. وأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها. هذا وعبد الله وجنود المُسلمين في عنيزة على الحال المذكورة، فأرسل أهل الرس إليه رسالة: إما أن يرحل إلى الترك ويناجزهم، وإما أن يأذن لهم بالمُصالحة. فأقبل عساكر وقبوس وإمداد من الترك ونزلوا على إبراهيم باشا ومن معه في الرس واستعظم أمره وكثرت دولته، فوقعت المُصالحة بينه وبين أهل الرس على دمائهم وأموالهم وسلاحهم وبلادهم وجميع من عندهم». ۞ - انتهى الاقتباس -

ونلاحظ هنا أن ابن بشر يُسمي عملية التسليم والاستسلام "صُلحًا"، ويُكرر في كل مرة أنهُ كان صُلحًا، وربما كان أهل نجد يُخففون ويُهونون عادةً من وقع الهزيمة في معاركهم المحلية والداخلية، فأطلقوا عليها مُصطلح "الصُلح" للتخفيف من وقع كلمة الهزيمة المُنكرة أو الخسارة الفادحة في المعركة، لذلك يُبرر ابن بشر كل هزيمة تلحق بآل سعود أو ما يُسميهم هو بـ"المُسلمين" كما يطلق عليهم دائمًا في كتابه، فيُسبغ عليهم مُصطلح الصُلح بدلاً من الهزيمة، ورغم أن آل سعود وآل الشيخ في هذه المعركة الحاسمة خسروا كل شيء وقُتل العشرات منهم وأسر الباقون، حيث جُلبوا إلى مصر كأسرى ومُرتهنين هم نسائهم وأطفالهم، وهرب الباقون نحو الفلاة لا يلوون على شيء، إلا أن عثمان بن بشر يحلو له في كتابه أن يُسمي سقوط الدرعية وهزيمتها صُلحًا !!.

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

## ▪ نبذة مُختصرة عن نشأة إبراهيم باشا :

إبراهيم باشا هو الابن البكر لوالي مصر محمد علي باشا وهو ولده من صلبه، ولم يتبناه كما أشيع وروج من قبل أعداء محمد علي، وأغلب المصادر التاريخية الرصينة تؤكد أبوة محمد علي لإبراهيم باشا، وكان محمد علي يُحب إبراهيم كثيرًا وقد ولاه أمور الحكم وهو حي، لكن القدر لم يُمهله فتوفي إبراهيم قبل والده، وقد حزن عليه محمد علي كثيرًا.

ويذكر لنا صاحبا كتاب "آثار الأدهار" نبذة مُختصرة عن حياة القائد المصري إبراهيم باشا، حيث ذكرا:

«إبراهيم باشا: هو ابن محمد علي باشا خديوي مصر وهو كبير ولده، وُلد بمدينة قوالة من الروملي سنة ١٧٨٩م أي سنة ١٢٠٤ للهجرة بعد تزوج أبيه بعامين، كان ذا قامة ربعة يبلغ ارتفاعها نحو ذراعين وثلث ذراع، وكان مُمتلئ الجسم قوي البنية مُستطيل الوجه والأنف أشهل العينين سوداوي المزاج أجش الصوت أشقر الشعر، في وجهه أثر الجدري، وقد جعلته أتعاب الحروب وأهوالها أشيب وهو شاب، وكان فيه رئاسة وهيبة تفعل بمن يتوسمه، مع همة عالية وبسالة لم ترعه معها الكوارث ولم تقوى عليه المصائب كان محب لعساكره مع صرامة في إنفاذ القانون ومحافظة على النظام، فكانوا لذلك يميلون إليه مع رغبة في طاعته ورهبة منه، وكان عارفًا بـ(اللغة) التركية والفارسية والعربية حافظًا تاريخ البلاد الشرقية، ولاه والده قيادة قسم من الجيش وهو ابن ست عشرة سنة، فتخرج في أمور الجندية ثم ولاه عدة مقاطعات فتقلب في أمور الأحكام وسيره سنة ١٨١٦م في الجيوش لمُحاربة الوهابية، فخرج من القاهرة ثالث أيلول من السنة المذكورة....... الخ ولما عجز والده عن الحكم فيها ولي أمرها سنة ١٨٤٧م، وتوفي قبل وفاة أبيه بداء الذرب سنة ١٢٦٥ للهجرة (عاشر تشرين الثاني سنة ١٨٤٨) وعمره ٦٢ سنة، وكانت مدة ولايته على مصر أحد عشر شهرًا، وقال بعضهم

مؤرخًا عام وفاته من الهجرة: فمضى وقلتُ مؤرخًا *** الله يرحمُ من مضى. وهو أعظم قواد الإسلام في هذا القرن، كان عادلاً يمقت المُداهنين المُدلسين، ويثبت في وداد المُخلصين له، وكان يميل إلى الفلاحة وقد هيأ أسباب تقدمها ما أمكنه وأخذ بيد أهلها وكان يتجشم الأهوال ولا يتأنق في أموره المعاشية، فكان إذا اقتضت الحال يفترش التراب ويتوسد الحجر غير مُبال بالحر والبرد، وذلك ما سبب له داءً عصيبًا، وكان عالي الهمة بصيرًا بالأمور ثابت العزم كثير الحزم، فيه ترقع وهيبة مع موانسة وحسن مُجالسة، وقد أقيم لهُ في القاهرة تمثال حسن، سنة ١٨٧٢م».۞ -انتهى الاقتباس-

كما يروي لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف حكاية سمعها وهو في نجد عن ذكاء إبراهيم باشا وحنكته، حيث يتداول الناس تلك الحكاية التي تدل على فطنة ودهاء إبراهيم باشا، حيث سمع تلك الحكاية في الرياض، ومن قبل أعداء إبراهيم باشا أنفسهم، حيث يورد تلك الحكاية قائلاً:

« ولكن محمد علي، على العكس من ولده طوسون، كان قد أعد خطة جريئة، لا للقضاء على الصلف الوهابي في نجد وحسب، وإنما لاستبعاد أي احتمال لتكرارها مُستقبلاً، وذلك عن طريق الاستيلاء على الدرعية، حتى يقتل الدبابير في عشها. ولكن في البداية (وأنا هنا أورد القصة من منظور الرواية النجدية) دعا محمد علي، في القاهرة، إلى عقد اجتماع عام حضره جنرالاته، ووزرائه، وضباطه، وسياسيوه لمناقشة هذه الخطة. وبعد أن شرح محمد علي لجميع الحاضرين الأسباب التي دعته إلى عقد الاجتماع، والهدف الذي ينتويه، أشار محمد علي إلى تفاحة كانت ملقاة على أرضية الديوان، وكان قد تمَّ وضع هذه التفاحة في مركز سجادة كبيرة مفروشة على الأرض في الصالة من أمام الحاضرين. ثم قال محمد علي: "من منكم يستطيع أن يناولني هذه التفاحة بيده، دون أن يضع قدمه على السجادة في المكان الموجودة فيه

۞ كتاب : آثار الأدهار \ تأليف: سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة، ١٨٧٧م.

التفاحة، إن من سيفعل ذلك سيقود الحملة الموجهة إلى نجد". وقد حبى كثير من البهوات الصغار وفردوا أجسامهم على الأرض، جاعلين أعقابهم عند حافة السجادة، ومادين أذرعهم عن أخرها في اتجاه الثمرة، ولكن المسافة كانت طويلة عليهم جدًا، مما ترتب عليه بقاء التفاحة في مكانها دون أن يصل إليها أحد أو يمسك بها، وجرب البهوات، الواحد بعد الآخر، خطة بعد أخرى، ولكن باءت كل محاولاتهم بالفشل، وانتهى الأمر بهم جميعًا إلى الاستسلام من اليأس. وفي النهاية، نهض إبراهيم القصير المتين، وولد محمد علي بالتبني، وانحنى أمام والده، وعرض القيام بتلك المناورة الصعبة. وضحك الجميع منه، إذ لم يكن يراودهم أدنى شك في فشله، ولكن سخريتهم سرعان ما تحولت إلى إعجاب، عندما شرع إبراهيم باشا في التنفيذ، بأن راح يطوي السجادة من الحافة نحو الداخل إلى أن أصبحت التفاحة في متناول يده! ثم تناول التفاحة وسلمها إلى والده، الذي فهم هذا اللغز البلاغي، وعيَّن إبراهيم باشا منذ ذلك الحين قائدًا عامًا للجيش المصري. وسواء أكانت هذه القصة حقيقية أم خيالاً، فإن الفكرة التي تقوم عليها تتعلق بطبيعة البلاد التي سيجري غزوها، كما تتعلق أيضًا بأنسب الوسائل التي تضمن نجاح هذا الغزو، ومن هنا لا يجب التقليل من قيمة وأهمية هذه القصة بأي حال من الأحوال. لقد كانت العقبة الكؤود في هذه الحملة المقترحة، تتمثل في تسيير جيش نظامي عبر منطقة صحراوية شاسعة تحيط بنجد من كل جانب، وقد ثبت أن أذرع كثير من الغزاة عجزت عن الوصول إلى نجد بفعل هذه الصحراء، في حين أقنعت هذه المحاولة كثيرًا من القادة بأن يفلتوا وينجوا بجلودهم». [۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

- **أردنا شقراء وأراد الله ضرما :**

**عندما اتجه إبراهيم باشا إلى عنيزة وسلمت له بعد حصار دام ستة أيام، صالحهم بعدها ووافق على خروج الحامية التابعة لعبد الله بن سعود وسلامة أهالي عنيزة، ونظرًا لأن عنيزة تتوسط ما بين الدرعية والمدينة المنورة؛ فقد اتخذها مركزًا ومقرًا لقواته، وقام بتحصينها وترميمها، وبناءً على خطط مُستشاريه العسكرية فقد أمر بقطع نحو ستة آلاف نخلة خارج أسوار عنيزة، ثم قام بتمهيد الأرض، وهدم البيوت الموجودة في تلك المزارع لإنشاء سياج منيع لعسكره. بعد ذلك حاصر مدينة بريدة التي لم تصمد كثيرًا، وهدم أسوارها وبيوتها الكبيرة وأبراجها، ثم حاصر شقراء التي كانت مُحصنة جدًا، نتيجة ما قام به أهلها من استعدادات للمعركة المُرتقبة، وعندما وصلها إبراهيم درس مكان المعركة، ورسم مهندسوه خارطة أو خطة عسكرية للتغلب على أسوارها ثم وجه نيران مدافعه إليها بشدة. ويذكر عثمان بن بشر غزارة القذائف المدفعية التي دك بها إبراهيم باشا بلدة شقراء، حيث يقول:**

**"وحقق عليهم الحرب والرمي المُتتابع حتى قيل إنهُ رماها في ليلة بثلاثمائة حمل من الرصاص والبارود... حتى أن رصاص القبوس والمدافع والقنابر والبنادق يتضارب بعضها ببعض في الهواء فوق البلد ووسطها».** ۞

**وبعد شقراء توجه إبراهيم باشا إلى بلدة ضرما ودمرها بعد قتال عنيف بينه وبين أهلها، ويورد عثمان بن بشر، أحداث ما حصل قائلاً:**

**« وكان عبد الله بن سعود لما صالح أهل شقرا وأطاع الترك جميع الوشم وسدير والمحمل وغيرهم، أمر على سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود في عدة رجال معه من أهل الدرعية وغيرهم، وأمر أيضًا على متعب بن إبراهيم بن عفيصان بن صاحب الخرج وعدة رجال معه من أهل الخرج وغيرهم،**

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

أيضًا على محمد العميري وعدة رجال معه من أهل ثادق والمحمل، وأمر الجميع أن يسيروا إلى بلد ضرمى ويدخلوها ليصيروا عونًا لأهلها وردءًا لهم، فساروا إليها ودخلوها. ثم إنّ الباشا وعساكر الترك لما وصلوا قرب بلد ضرمى ركب عدد من خيل الترك وفاضوا على البلد وقاسوها وعرفوا منزلهم ومنزل قبوسهم ومدافعهم وقنابرهم، ثم رجعوا إلى مخيمهم. فلما كان صبيحة أربعة عشر من ربيع الثاني، أقبل الباشا على البلد ونزل شرقيها قرب قصور المزاحميات بينها وبين البلد وحطوا ثقلهم وخيامهم، ثم سارت العساكر بالقبوس والمدافع والقنابر، ونزلوا بها شمال البلد قرب السور فثارت الحرب بين الترك وبين أهلها وحقق الباشا عليهم الرمي المُتتابع، وحربهم حربًا لم ير مثله، وثبت الله أهل البلد فلم يعبئوا به وطلب منهم المصالحة فأبوا عليه ولم يعطوه الدنية، وكانت هذه البلد ليس في تلك النواحي أقوى منها بعد الدرعية رجالاً وأموالاً وعددًا وعدة، ولكن الله سبحانه يفعل ما يريد، فحشدت عليهم عساكر الترك وثلمو السور بالقبوس والمدافع فلم يحصلوا على طائل، ثم حشدوا الترك عليهم أيضًا وقربوا القبوس من السور وحربوها حربًا عظيمًا هائلاً. ذكر لي أنهم عدوا فيما بين المغرب والعشاء الآخر خمسة آلاف وسبعمائة رمية ما بين قبس ومدفع وقنبر، ثم أن الباشا ساق الترك عليهم وأهل البلد ثابتون فيه، فحمل عليهم الترك حملة واحدة فثبتوا لهم وجالدوهم جلاد صدق، وقتلوا منهم نحو ستمائة رجل وردوهم إلى باشتهم، وبنوا بعض ما انهدم من السور، فلما رأى الباشا صبرهم وصدق جلادهم أمر على بعض القبوس وصرفها إلى جنوب البلد، وفيه متعب بن عفيصان المذكور ومن معه من أهل الخرج، فرماهم بتلك القبوس وعندها عسكر كثير، وكان الحرب والضرب والرمي مُتتابع على أهل البلد من الترك في الموضع الأول، وجميع أهل النجدة من أهل البلد والمرابطة قبالتهم عند السور المهدوم في وجه القبوس والقنابر، فلم يفاجئهم إلا الصارخ من خلفهم أنّ الترك خلفوكم في أهليكم وأولادكم وأموالكم فكرّوا لبلدهم راجعين. وكرّت عساكر الترك في أثرهم وذلك بعد صلاة الصبح سابع عشر ربيع الثاني، وكانت تلك الليلة التي

حصل فيها شدة هذا الحرب من إرادة الله سبحانه وقدره، لما أراد أن يمضي أمره صب السماء عليهم تك الليلة بالمطر ومعه برد شديد يجمد منه في الجو القطر. وكانت البلد ليس على قلعتها سور بل أسواقها عابرة من كل جهة إلى نخيلها والسور المذكور خارج النخيل. فلما أقبل الباشا أشير عليهم أن يبنوا على القلعة سورًا فلم يفعلوا لما يعلمون من أنفسهم من القوة والصبر على الحروب وإرادة الحي القيوم أن ينفذ أمره وقدره المكتوب الذي قدره وكتبه قبل أن يخلق السموات والأرض لا إله إلا هو علام الغيوب. ودخلت الترك البلد من كل جهة، وأخذوها عنوة وقتلوا أهلها في الأسواق والسكك والبيوت وكان أهل البلد قد جالدوهم في وسطها إلى ارتفاع الشمس، وقتلوا من الترك قتلى كثير، ولكن خدعوهم الترك بالأمان. ذكر لي أنهم يأتون إلى أهل البيت والعصابة المجتمعة فيقولون لهم: أمان أمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم. ونهبوا جميع ما احتوت عليه البلد من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك، وخرج محمد العميري المذكور في شرذمة رجال من أهل ثادق والمحمل بعدما قتل بعضهم، وجالوا عليهم الترك فضاربوهم بالرماح والسيوف حتى خلصوا من بين أيديهم ونجاهم الله، واحتصر سعود بن عبد الله المذكور في قصر من قصور البلد ومعه أكثر من مائة رجل من أهل الدرعية وغيرهم، فأرسل إليهم الباشا وأعطاهم الأمان على دمائهم، فخرجوا وساروا إلى الدرعية ولم يصبهم مكروه، وهرب رجال من أهل البلد وغيرهم على وجوههم في البرية فبين ناج ومقتول، وبقيت البلد خالية من أهلها، وجمع الباشا جميع ما فيها من النساء والذرية وأرسلهم إلى الدرعية وهم نحو ثلاثة آلاف نفس، فلما قدموها قام لهم عبد الله وأهل الدرعية، فأنزلوهم وأعطوهم وأكرموهم، والذي قتل في هذه الوقعة من أهل ضرما نحو ثمانمائة رجل، وأهل البلد قيمة اثنا عشر مائة رجل، وقتل من المرابطة نحو من خمسين رجلاً». ۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

أما الأمير ضاري الفهيد الرشيد فيروي ما حدث لأهل ضرما، ويُعزي سبب نقمة إبراهيم باشا على أهل ضرما، إلى كونهم استخفوا به وطعنوا في شرفه العسكري، حيث نعتوه بوصف مُخزي وعيروه بممارسة الجنس مع حصانه، وهو ما استشاط غضب إبراهيم باشا وأدى إلى انتقامه الشنيع بهم وببلدتهم، حيث يروي ضاري قائلاً:

« ومشى ونزل أدنى قرى المحمل، قرية تُسمى ضرما. وليس له فيهم فكرة، لأنها قرية "مُستحقرة" لأنهم أهل زراعة. ومن شؤم حظهم اعترضوه. وجعلوه يعيرونه بقولهم: (.......)(•) حصانه. فغضب ونزل، وأمر الطوبجية (المدفعية)، وفيما يزعمون الذي معه ثمانين طوب (مدفع) – وأنهُ أمر على المدافعية أن يلتزم كل واحد منهم برمي مئتي قلة (قذيفة)، ولو عدمت البلاد لا يكفون. وعندئذ نام أو تناوم. وفي فصل نصف ساعة تلفت القرية، وهي في سفح الجبل المُسمى عند العرب اليمامة، وعند أهلها طويق والعارض، وجعلوا اسم اليمامة مُختصًا في بلدة من البلدات المُجاورة. فعند ذلك هربوا إلى الجبل المذكور، وهلك منهم خلق كثير، وسلم ناس منهم، وبعدما خرب ضرما (إبراهيم باشا) قال: "أردنا شقراء وأراد الله ضرما". ودخل العسكر القرية وفيها مُتخلفين ممن حبسهم العذر، ورخص (سمح) للعسكر في فعل المنكرات بالنساء، واستقام فيها ثلاثة أيام، وارتحل ».۞ -انتهى الاقتباس-

وقد أصبح قول إبراهيم باشا هذا مثلاً دارجًا ومشهورًا في نجد، يُقال في حالة نوى الإنسان على فعل شيء، فيُعوضه الله بغيره، لأنهُ كان ينوي في بداية الأمر تخريب بلدة شقراء، لكنه تصالح مع أهلها وقبلوا أن يسلموا له، ثم صادف أن كانت ضرما في طريقه فقام أهلها باستفزازه فحنق عليهم وغضب أشد الغضب ودمر بلدتهم.

---

(•) عيروه بكلمة عامية قبيحة غير مُتساغة ، يمكن تبسطيها بالقول: (الفارس الذي ينكح حصانه)، ولأن إبراهيم كان معه أدلاء وأعوان من نجد، فقد أبلغوه بمعنى ما قالوه عنه، فاستشاط غضبًا وقرر الانتقام منهم، وهذا ما أدى إلى سماحه لجنود بانتهاك الأعراض.

۞ كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها : وديع البستاني نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

أما المؤرخ السعودي المُعاصر عبد الله صالح العثيمين، فينفي وقوع مجزرة وحالات انتهاك للأعراض في بلدة ضرما، مُعتمدًا على ما ذكره عثمان بن بشر في الجزء الأول من كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد" في الصفحة ٢٦٢، حيث يقول ابن بشر: ( إن إبراهيم باشا جمع نساء البلدة وصغار أهلها، وأرسلهم إلى الدرعية) وهنا يؤكد ابن عثيمين على أن كلام ابن بشر هو الأوثق والأصح من كلام ضاري الفهيد.

والحقيقة أن ما نقله ابن عثيمين عن كلام عثمان بن بشر غير دقيق، وما ذكره ضاري الفهيد هو الصحيح والأدق؛ على الأقل فما يخص المجزرة التي حلت بأهل ضرما، ولدينا مصدر تاريخي أقدم وأوثق مما ذكره ابن بشر يؤكد ما ذكره ضاري الفهيد من وقوع عمليات انتقام، والمصدر هو المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان الذي عاصر عهد محمد علي وسبق وأن رافق حملة طوسون باشا إلى الحجاز ونجد والتي سبقت حملة إبراهيم باشا، وكان لـ ادوارد جوان زملاء فرنسيون أطباء ومهندسون رافقوا حملة إبراهيم باشا إلى نجد، ورووا له ما حدث، وهم بالقطع أكثر دقة ومصداقية من عثمان بن بشر لأنهم كانوا مرافقين لحملات محمد علي باشا وأبنائه.

كما يزعم عبد الله بن عثيمين أن سبب غضب إبراهيم باشا من أهل ضرما، ليس كما ذكر ضاري الفهيد الرشيد، بل يزعم أن إبراهيم باشا كان في البداية لا ينوي مُهاجمة ضرما، لكن أهلها استفزوه وأرسلوا له كيسًا فيه بارود ورصاص، إشارة إلى تحديهم له عسكريًا، فأثاروا حفيظته وغضبه وفعل بهم ما فعل.

وفي كلا الحالتين نرى أن أهل ضرما قد استخفوا بشجاعة القائد المصري وقدرة جيشه على هزيمتهم، وسواء كانوا مدفوعين من قبل أميرهم الأرعن أو تصرفهم جاء ارتجاليًا، فإن النجديين بصورة عامة وأهل العارض بصورة خاصة كانوا ينظرون للغرباء على أنهم ليسوا برجال بل هم جبناء ورعاديد،

وأنهم غير أكفاء لخوض غمار المعارك وبمواجهتهم، وتلك النظرة الدونية للأسف مازالت سائدة ومترسخة في عموم أهالي نجد حتى هذه اللحظة، ربما لأن سكان نجد كانوا يعيشون في عزلة عن العالم ولا يُدركون أن هنالك دولاً وبلدان كثيرة وكبيرة، وأن هنالك أقوامًا شرسة ومُقاتلة بالسليقة وتتفوق عليهم بالشجاعة والجراءة والإقدام.

وربما ما ذكره الرحالة وليام بالجريف لهو دليل واضح على جهل واستخفاف أهالي نجد ببقية أديان وأعراق الشعوب الأخرى، فحينما زار بالجريف العارض ذكر أنهم كانوا يسألونه دائمًا وباستخفاف عن الكفار، وعن أعدادهم الضئيلة، وبالمقابل كان يسخر هو منهم في كتابه، لأنهم كانوا يعتقدون أن الكفار حسب وصفهم ما هم إلا أقلية صغيرة وحقيرة، وأنهم كانوا لا يفرقون بين الدول الأوربية، لأنهم لم يُغادروا محيطهم المُغلق، ولأنهم يجهلون الجغرافيا والإحصاء حسب قوله، حيث يذكر في كتابه:
« وأصدقاؤنا النجديون بحكم جهلهم المُطبق قي الجغرافيا والإحصاء، يتصورون أن الدين الإسلامي (كتبها المؤلف دين محمد) هو دين كوني في كل أنحاء الدنيا، وأن العقائد الأخرى، وأن العقائد الأخرى ليس لها سوى قليل من الأتباع، إذا ما قورنت بالإسلام. وهم يعرفون على سبيل المثال أن أوروبا مسيحية، ولكنهم يُعاملونها كما لو كانت بلدًا واحدًا لا أكثر ولا أقل، وأن ملوكها السبعة محبوسون داخل مناطقهم، في نوع من الأقفاص الذهبية، يتدبرون ويدرسون مسألة السلام المُتبادل أو الحروب المُتبادلة، ومسألة التحالف أو التعاهد، برغم أن ذلك يكون دومًا من سلطان القسطنطينية، وقد إنغرس هذا الدرس الجغرافي والسياسي القيم في ذهني ليس مرة واحدة وإنما عشرين مرة أو أكثر، عندما كنت في حمص وبغداد والموصل بل وعندما كنت في دمشق أيضًا». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

أما المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان فيذكر حادثة عن نظرة النجديين القاصرة والخاطئة لقدرة تحمل وإمكانات الجيش المصري، فيقول:

«وقد استمال إبراهيم بهداياه كثيرين من العربان، أصحاب الجاه والنفوذ، لأنهُ كان يرى الفرصة ملائمة للإيغال في البلاد وتدريب عساكره على الحياة فيها، فتحرك يوم ٢٧ ديسمبر في جيش مؤلف من ١٨٠٠ فارس، مزودين بالمؤن لمدة عشرة أيام، وانضم إليهم غانم (بن مضيان) في ٥٠٠ من العربان الذين استجاشهم في الطريق. وسار في الطليعة جماعة من نجد الغربية كأدلاء وجواسيس، فدخلت هذه القوة نجدًا في ١٧ يناير ١٨١٧م، بعد مشاق مُضنية وحرمان مُتلف انتهى بسرور الفوز. ولم يتجاوز عدد من فقدوا في الطريق عشرين رجلاً، فوصل الجيش إلى الموقع الذي وصل إليه في ذلك اليوم كاملاً تقريبًا ويصحبه ٨٠ جمل و٤٠٠٠ رأس من الضأن، ومقدار كبير من المهمات. وقد دهش الموالون للوهابيين لهذه المُجازفة، واستقر في أذهانهم بعد أن ظنوا بالفرسان المصريين العجز عن تكبد المشاق والتغلب على المصاعب، أنهم جديرون بالمدح والإعجاب».[۞] - انتهى الاقتباس -

وأما الضابط البريطاني الكابتن جورج فورستر سادلبير فهو يُشيد بشجاعة وقوة وصلابة الجنود المغاربة الذين رافقوا إبراهيم باشا في حملته على نجد، حيث يقول عنهم في كتابه: « لم يكن هؤلاء المغاربة راضين عن الباشا (إبراهيم)، وخاصة بعد أن أوهمهم بالعودة، وما صدر منه من تصرفات لم تعجبهم خاصة وأنهم كانوا من العوامل الهامة والفرق القوية التي قامت بحراسة القوافل والفيالق. لم يُقدم لهم الباشا أية مبالغ إضافية (بقشيش) مُقابل أتعابهم، وخاصة أنهم هجروا أوطانهم على سواحل المتوسط والتحقوا بجيش إبراهيم باشا إلى ساحل الخليج العربي، لقد كان هؤلاء الرجال مُناسبين جدًا لهذه المهمة ، وخاصة أن بيئتهم الأصلية بيئة بدوية ، وتشبه في أشياء

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

كثيرة بيئة الصحراء الآسيوية العربية (البيئة النجدية). لقد كانوا نموذجًا للتحمل ومثالاً جيدًا للتعايش مع أقل كمية من الزاد، سواء كان من الأعشاب أو اللبن أو صيد البراري، كان المغاربة من أشجع جنود الباشا ويمتازون بالخبرة في استعمال السلاح. كانت خيلهم مثلهم مرهقة ومُجهدة، ولكن ولكونها خيلاً أصيلة، فقد فاقت كل التوقعات في ميدان المعركة، فقد امتطى المغاربة الجمال وكانت الخيل خلفهم بكامل استعدادها وسلاحهم جاهز للاستعمال، هذا إلى جانب المُسدسات والخناجر. ويقوم المغاربة بتشكيل فصيل مُحارب ينطلق في ساحة المعركة بكل سرعة تصحبه صرخات الحرب وطلقات البنادق مع اندفاع مُستمر للأمام يؤدي عادةً إلى دمار شامل في خطوط العدو، وخاصة إذا كان راكبًا الجمال، وينهي المعركة في هجمة واحدة فقط، ولذا يعتقد بعض الناس أن بدو المغاربة أكثر شجاعة من بدو الجزيرة العربية ». ۞ - انتهى الاقتباس -

أما السير هارفرد جونز بريدجز فيذكر في كتابه "موجز لتاريخ الوهابي" أن أغلب خيالة إبراهيم باشا في تلك الحملة كانوا من خيرة البدو الليبيين، حيث يقول: « وفي شهر أغسطس عام ١٨١٦م (رمضان ١٢٣١ هـ) عُهد إلى إبراهيم باشا وهو ابن آخر لمحمد علي بقيادة حملة الهدف من ورائها السير مُباشرة إلى مدينة الدرعية عن طريق المدينة والقصيم. وكانت هذه القوة تتكون من حوالي ألفين من المُشاة وحوالي ألف وخمس مائة من الخيالة الليبيين البدو، وجميعهم من نوعية مختارة ». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعودة لما حصل في بلدة ضرما من انتقام وتدمير على يد جنود إبراهيم باشا، يغفل جميع المؤرخين السعوديين وغيرهم، الأسباب الحقيقية التي دفعت بأهالي ضرما لأن يصبحوا كبش فداء للجيش المصري وأن يزج بهم في حرب غير مُتكافئة ويكونوا الواجهة في عملية السخرية من قدرات إبراهيم باشا

---

۞ كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف : الكابتن جورج فورستر سادلبير.
۞۞ كتاب : موجز لتاريخ الوهابي \ تأليف : السير هارفرد جونز بريدجز.

والاستخفاف بجيشه، بل أن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، يُقال إنهُ كان كثيرًا ما يُردد مقولة (والله من الطقاع يا أهل ضرما)، وينعت بها كل من يراه غير جدير بالتحدي أو حينما يستنقص من قدره، وكأنه يُعير أبناء ضرما بسبب ما حدث لأجدادهم من هزيمة نكراء وسحق وتدمير على أيدي القوات المصرية، بسبب تخاذل أجداده وليس أجدادهم، ولهذا وكأنهُ يحملهم المسؤولية عن ذلك الفشل العسكري المُريع ونكاية بهم وبتحديهم الأخرق وعدم استطاعتهم تنفيذ ما وعدوا به من تحدي أجوف.

والحقيقة أن الرد القاسي والتحدي الصارخ لقوات إبراهيم باشا، لم يأتي في حقيقة الأمر على لسان أهل ضرما، فهم لم يتحدوا القوات المصرية وهم في موقف الضعف بدافع البطر أو طواعية منهم، بل كانوا يتكلمون بلسان حاكمهم الأرعن المغرور سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي نصبه عبد الله بن سعود أميرًا طارئًا عليهم، ولهذا فهم في الحقيقة كانوا مُضطرين لحمل رسالة أميرهم المعتوه الجديد عبد الله بن سعود والموجهة إلى إبراهيم باشا، رغم أن الرد كان مهينًا وقاسيًا، لكن وضعهم كان على مبدأ (مُجبر أخاك لا بطل) وحينما كانوا يتحدون القوات المصرية بتلك الصلافة كان رغمًا عنهم، وذلك خوفًا من العقاب وظنًا منهم أن قوات عبد الله بن سعود في الدرعية ستأتي سريعًا لنجدتهم وتسحق تلك القوات المصرية الضعيفة والخائرة، حسب السائد عنهم في نجد آنذاك.

وكما مر بنا أعلاه نقلاً عن عثمان بن بشر؛ فقد عيّن عبد الله بن سعود المدعو (سعود بن عبد الله) أميراً على ضرما، وأرسل معه عددًا من الرجال من أهل الدرعية ومن أهل الخرج ومن ثادق والمحمل، كان من بينهم متعب بن إبراهيم بن عفيصان ومحمد العميري وغيرهم، ولهذا تحمل أهالي ضرما عار الهزيمة النكراء ودفعوا لوحدهم ضريبة البطش والانتقام السافر من قبل القوات المصرية، بينما تملص أميرهم الرعديد سعود بن عبد الله وخرج من تلك الهزيمة النكراء سالمًا مُعافى هو ومن معه، وإن كان إلى حين، حيث تمَّ نحره لاحقًا كما تُنحر الشاة في مخيم إبراهيم باشا وهو على أبواب الدرعية.

ويجب هنا توضيح حقيقة ما حدث في معركة ضرما، لتعرف الأجيال اللاحقة جلية ما جرى، ومدى التزوير الذي مارسه آل سعود في تاريخ نجد، فقد تحصن سعود بن عبد الله في أحد قصور الدرعية عند دخول الجيش المصري لبلدة ضرما، وترك أهالي البلدة يلاقون مصيرهم المحتوم، ثم استسلم طائعًا لإبراهيم باشا وسلّم سلاحه هو ومن معه من أخوياه، وعاهدوا إبراهيم باشا بعدم القتال مرة أخرى ضد القوات المصرية، ولكن بعد حصار الدرعية من قبل القوات المصرية وكعادته حاول سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود الهروب من الدرعية مع مجموعة من خاصته، فتمَّ أسره وجيء به صاغرًا إلى إبراهيم باشا، فوبخه وشتمه واتهمه بعدم حفظ العهود والوعود وأمر بقتله حالاً، وقد تمَّ نحره أمامه في خيمته كالشاة ودفع سعود ثمن عجرفته وتوريطه لأهالي ضرما المساكين، إذن يحق الآن لأهالي ضرما أن يردوا الصاع لآل سعود ويقولوا لهم، (والله من الطقاع يا آل سعود) كمعاملة بالمثل.

وعن معركة ضرما وأحداث تلك المذبحة الشنيعة وعن تخلي سعود بن عبد الله عن أهالي ضرما وهروبه من الدرعية، يوثق لنا الفرنسي فيلكس مانجان في كتابه "تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية" فيقول:

« حين وصل إبراهيم إلى ضرما وجد مُقاومة قوية على عكس ما كان متوقعًا بحيث أسفرت المواجهة التي أبداها السكان لهجومه عن قتل عدد من الأتراك. اضطر الحاكم سعود بن عبد الله إلى الانسحاب مع قومه إلى داخل منزل كبير للاحتماء به وحماية مُمتلكاته والحصول على هدنة واتفاق للاستسلام. وحين حاصرته القوات التركية من جميع الجهات اعتزل وترك السكان يواجهون مصيرهم البائس. وأمر القائد المنتصر الذي أغضبته المُقاومة غير المتوقعة جنوده بإعمال السيف في الجميع وبدون استثناء أحد من الناس، وقد نفذ هذا الأمر مباشرة. بعد أن تمكن الأتراك المتلهفون للسلب والنهب من سحق أخر

المُدافعين عن البلدة، دخلوا البلدة ونفذوا أوامر قائدهم بدقة وسرعة تفوق تلك السرعة التي مارسوا بها الهجوم، فانقضوا على السكان يطلقون النار عليهم بكثافة ودخلوا المنازل وقتلوا من فيها وألقوا الرعب في قلوب الناس. وقد حدث كل هذا في أقل من ساعتين. أما الحاكم (سعود بن عبد الله) الذي كان متحصنًا داخل منزله مع من كان معه من ثقاة جنوده فلم يكن قد مسه أي أذى حتى هذه اللحظة. لقد وجه الأتراك مدفعين تجاه المنزل لإحداث ثغرة في جدرانه ولكي يتمكنوا من الدخول إليه، لكن إبراهيم باشا عدل عن هذه الفكرة، لأنهُ علم أن بداخل ذلك المنزل أشياء ثمينة من أسلحة وخيل غالية الثمن. ورأى أنهُ من المُناسب عدم قتل أخر المُدافعين عن البلدة، وأنهُ من الأفضل أن يمنحهم العفو الذي طلبوه منه، وجرى الاتفاق على أن يخرج القائد وأتباعه بسلام وأن يتركهم الباشا على قيد الحياة بعد أن تعهدوا له بعدم العودة إلى محاربته في المُستقبل.... الخ.

إلى أن يقول فيلكس مانجان: أشاع استسلام هذين الحيين القنوط بين الوهابيين، فهرب سعود بن عبد الله الذي كان حاكمًا في ضرما من الدرعية، لكن تمَّ القبض عليه مع هاربين آخرين على يد مجموعة من الخيالة الأتراك الذين كانوا يحرسون الطرق الصحراوية. دفع إبراهيم باشا عشرة صُرر من المال للجندي الذي أسره، وكان أول شيء فعله أنهُ وبخه لأنهُ لم يف بوعده الذي التزم به قبل الخروج من ضرما، وهو ألا يحمل السلاح ويُحارب الأتراك. وبعد ذلك أمر الباشا بقتله على الرغم من تدخل عدد من زعماء الوهابيين الذين كانوا في المعسكر التركي. أما الجنود والسكان فقد منحوا الحرية في الذهاب إلى أي مكان يختارونه».[۞] - انتهى الاقتباس -

وأما المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان الذي عاصر عهد محمد علي وسبق وأن رافق حملة ولده طوسون، فيقول عن حصار وتدمير ضرما، ومن ثم مقتل

---

[۞] كتاب : تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية\ تأليف: فيلكس مانجان.

مقتل أمير ضرما سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود على يد إبراهيم باشا، قائلاً:

« وكانت ضرما التي تحميها أسوار الحدائق والحقول الفسيحة المغروسة بالأشجار ومُختلف النباتات في مدخل المضيق المؤدي إلى جبل طويق على مسافة ٤٠ كيلومترًا منه، في الموقع المُقابل للدرعية. وما أن وصلت طلائع الجيش المصري إليها حتى تلقاها الأهلون بنار حامية، فثارت في العساكر ثائرة الغضب والغيظ وركبوا رؤوسهم فانقضوا على المدينة ينهبون ويسلبون وينتهكون الأعراض ويرمون أعناق الرجال حتى ارتوت الأرض في المنازل والطرقات بالدماء. ومن بقي منهم على قيد الحياة أجيز له البقاء بين هذه الأطلال الدارسة على مقربة من رمة والد أو جثة أخ أو أشلاء زوج. وكان والي (أمير) هذه البلدة، وهو سعود بن عبد الله قد اعتصم مع من يثق بهم من رجاله، في بناء فسيح نقل معه إليه أسلحته وخيوله ووضع أمام البناء مدفعين. فلما شهد إبراهيم باشا ذلك، أمر بإيقاف الهجوم، قائلاً: إن فيما وقع من حوادث التشفي والانتقام ما يكفي وعفا عن الذين ما برحوا يدافعون عن ضرما، بشرط أن لا يحملوا سلاحًا ولا يأخذوا أمتعة إذا رحلوا، وأن لا يشتركوا أبدًا في قتال ضد المصريين....... الخ. إلى أن يقول ادوارد جوان في مكان آخر من الكتاب: والظاهر أن فشل الوهابيين في هذه المعركة والمعارك السابقة لم يكن مُقنعًا لهم بوجوب الالتفات إلى الهاوية الفاغرة فاها تحت أقدامهم، فإن سعودًا بن عبد الله والي (أمير) ضرما، عاجل الخروج منها لاقتحام خط الحصار، فتلقفته فصيلة الفرسان القائمة بحراسة الممرات والمضايق. وقد جيء به أمام إبراهيم باشا، فوبخه على حنثه باليمين ونقضه ما عاهده عليه من الإحجام عن مُحاربة المصريين، ثم أمر بإعدامه فرميت عنقه، أما أصحابه فلم يُلحق بهم أدنى أذى ». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

وعن تخاذل عبد الله بن سعود بن عبد العزيز، وتضييعه فرصة ذهبية سانحة للانتصار على الجيش المصري وسحقه بالكامل، وذلك بعد صمود أهالي الرس صمودًا أسطوريًا أمام قوات إبراهيم باشا وتكبيدهم للمصريين مئات القتلى والجرحى، ويجب أن أنوه هنا أن المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان هو من أهم المصادر الموثوقة لتلك الحملة المصرية، والسبب أنهُ كما ذكرت سابقًا قد رافق حملة طوسون باشا، وإن لم يُرافق حملة إبراهيم باشا، إلا أنهُ عاصر أحداث تلك الحملة واستمع للوقائع والروايات من قبل أصدقائه الفرنسيين الآخرين الذين رافقوا حملة إبراهيم باشا، وكانوا عبارة عن أطباء ومهندسين ضمن الحملة المصرية، وعن تلك الفرصة الذهبية التي ضيعها عبد الله بن سعود، يذكر لنا ادوارد جوان في كتابه، قائلاً:

«وكان موقف إبراهيم باشا حرجًا لأن ثلاثة آلاف من رجاله هلكوا أمام الرس، ونفذت ذخائره وتهددت المجاعة بقية جيشه، ولم يبق له أمل في عون ولا مدد، وقد أصبح في الصحراء على بعد سحيق من مصادر النجدة. وكان معسكر عبد الله بن سعود بين عنيزة وبريدة، فأخذ أخوه فيصل يكثر من الاستطلاع حول الرس، فلم يجد ما يحول دون إمدادها وتعزيزها. ولو أن قائدًا أقل من إبراهيم رصانة وتريثًا في عمله وأكثر تروعًا منه وجزعًا أمام الحوادث إذ قلبت له ظهر المجن، لترك ميدان القتال يائسًا وانقلب راجعًا إلى الحجاز فورًا. ولكن الكارثة التي نزلت به وبجيشه زادته إصرارًا على إرادته وتمسكًا بتنفيذ مشيئته ومضى في عزيمته. على أن الكارثة لم تقف عند هذا الحد، فقد ثارت عليه أيضًا عناصر الطبيعة واتحدت ضده مع العدو، لأن الزوابع والعواصف ثارت ثائرتها على وجه لم يكن مألوفًا من قبل، فهبت الرياح الشديدة تسف التراب والرمل وتنتزع المضارب والخيام وتسلب الإنسان والحيوان التنفس والحركة، وسقط الجرحى على الأرض بلا حراك والأصحاء بلا قوة وحل اليأس في نفوس الجنود محل الأمل، وبدأت الأمراض

تعتور الأجسام وتصيبها بأشد الآلام. أما الوهابيون فقد أخذت فصائلهم تتفرق في البلاد فتسلب الجمال وتأسر قادتها وحراسها، ومع اشتداد تلك العواصف التي تشبه فعلها في طبيعة الكون فعل التشنج العصبي في الإنسان فإن إبراهيم باشا كان لا يزال ثابتًا كالصخر الصلد لأنه بينما كانت الأخطار مُحدقة به، كان لا يُفكر في غير الفتح والانتصار، ولقد امتطى جواده في يوم من هذه الأيام العصيبة، وسار في ١٠٠٠ فارس فانقض على شيع العدو فمزق شملها كل ممزق بعد أن قتل وجرح ٣٠٠ منهم، وقد قطع رؤوس الجرحى وعرضها مرفوعة على النبابيت أمام الرس. وإنما أراد بهذا المنظر الشنيع التأثير في نفوس المحصورين بإلقاء الروع فيهم، ولكنه بث بهذا الفعل نشاطًا جديدًا فيهم لطلب الانتقام، فاندفعوا خارج الأسوار واشتبكوا في معركة سالت الدماء فيها غدرانًا. وكانت ظروف الأحوال إلى هنا ملائمة للزعيم الوهابي ومُساعدة على تمهيد كل طريق يطرقه لإنقاذ بلاده من خطر كان منها قاب قوسين أو ادني، ولكنه بدلاً من شروعه في هذا العمل الذي كان يكفي لإنجاحه الجمع بين الهمة وقوة الإرادة واللباقة. انزوى في عاصمته مُضحيًا بالمصلحة العامة في سبيل نجاته ونجاتها من السقوط، تاركًا قواده يقتحمون غمار القتال وحدهم ضد المصريين، ومكتفيًا من شؤون هذه الحرب بإيفاد اثنين من مقربيه لمفاوضة إبراهيم باشا في الصلح، وهما الشيخ محمد الحنبلي والشيخ عبد العزيز بن محمد، وقد طلباه مُشترطين في مقابله رفع الحصار حالاً. فكان جواب إبراهيم باشا أن أنذر محمد بن مزروع حاكم الرس [*] بوجوب تسليم المدينة إليه، فردَّ عليه هذا بقوله: "تعال فخذها" فاستؤنف القتال بين الفريقين

---

[*] يذكر مورخو الرس المحليون أن أمير الرس إبان حملة إبراهيم باشا وحصاره لبلدة الرس، كان منصور بن عساف ثم أصيب ابن عساف في المعركة، فخلفه علي بن إبراهيم الشارخ. أما محمد بن مزروع المذكور في كتاب ادوارد جوان والذي بدا مُتصلباً في تسليم الرس لإبراهيم باشا، فقد كان أحد رجال عبد الله بن سعود وقد أرسله لكي يضبط أهالي الرس، وهو ما يمكن أن نطلق عليه بما يُشبه منصب الحاكم العسكري، لذلك كان الكلمة الفصل له وليس لأمير الرس المغلوب على أمره. ولهذا فإن عبد الله بن سعود أراد أن يورط أهل الرس في القتال إلى أخر رمق ليضمن هو صلحًا مُشرفا له، كما فعل في بلدة ضرما لاحقًا، ولكن جميع مناوراته بائت بالفشل، ودفع ثمن جبنه وتخاذله، وكانت نهايته شنيعة؛ كما سيمر معنا.

وتابع عبد الله مخابرات الصلح التي بدأ بها. وكان يهمه التسويف والإطالة فيها لإعطاء إخوانه الوقت اللازم للاحتشاد. فطلب منه الباشا دفع نفقات الحرب ومؤن الجيش لستة أشهر، وتسليم اثنين من أولاده رهنًا عنده. وهي شروط فادحة، ولكن فداحتها ترجع إلى ما أظهره عبد الله من الذلة والاستكانة حتى ترك لخصمه زمام الحق في فرض الشروط على ما يهواه، والتكلم بلهجة الغالب لا المغلوب».[*] - انتهى الاقتباس -

أما السير هارفرد جونز بريدجز فيُلخص أسباب هزيمة الوهابيين واندحارهم أمام الجيش المصري إلى تخاذل وحمق أميرهم عبد الله بن سعود الذي أضاع الفرصة تلو الأخرى ولم يتوج تلك الفرص الذهبية السانحة بالنصر المؤزر الأكيد، وهو يلوم عبد الله ويعتبره السبب الرئيس وراء نكبة الوهابيين، حيث يقول في كتابه:

«إن هذه الرواية التي أضعها بين يدي القارئ المُحايد في رأيه تعطي كثيرًا من الأدلة على أنه لو كان قد قُدر لعبد الله أن يقتصر في دفاعه على طريقة الحرب التي كان العرب فيها خبراء جيدين، ومن ثم أقوياء جدًا وهي العمل على إرهاق العدو ومضايقته بشكل مُستمر بواسطة الهجمات المُفاجئة وغير المتوقعة، وعن طريق مُهاجمة قوافل إمدادات تموينه وعن طريق حرمانه بوسائل مُختلفة من إمدادات المياه، فإنه من الصعوبة بمكان أن يتصور المرء كيف كان مُمكنًا لجيش تركي أن يبقى مُتماسكًا في وسط صحراء قاحلة وتحت شمس محرقة! لقد كان هناك - على كل حال - خطآن وقع فيهما عبد الله، وكان هذان الخطأن مصيريين وفاضحين في حد ذاتهما إلى درجة أني أعتقد جازمًا بأنهما لم يخفيا على فطنة القارئ: كان الأول منهما في بلدة الرس عندما تمكن من قطع اتصالات الأتراك ما بين بلدة الخبرا والمدينة (المنورة)، حيث

---

[*] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

كان معسكرهم بسبب ذلك العمل مُعتمدًا في إمداداته اليومية على اثنين أو ثلاث من القرى التي كانت مواردها على وشك النفاذ، وفي الوقت الذي كانت فيه خيالة الوهابيين تحوم باستمرار حول ذلك المُعسكر وتطوف في أنحاء المنطقة وَقع عبد الله مُعاهدة سلام مُذلة لم تتم المُصادقة عليها بعد كل ذلك من قبل محمد علي باشا. أما الخطأ الثاني فقد كان فتور الهمة الغريب، أو بالأحرى الخَبل الذي أصيب به (عبدالله) عندما لم يقم بمُهاجمة معسكر الأتراك وجيشهم في اليوم السادس والعشرين من مايو (١٨١٩م) حين وقع الانفجار الرهيب الذي أضرم النار في المعسكر، وألقى بالجيش إلى أقصى درجات الرعب والاضطراب، فقد بقي عبد الله ساكنًا بشكل مُهلك وغير مسؤول إلى اليوم التالي بعد أن أصبح لدى عدوه الوقت الكافي للإفاقة من الرعب الذي أصابه». ۞ - انتهى الاقتباس -

وأما عن النهاية الدراماتيكية لعبد الله بن سعود ومن ثم انهيار الدرعية يذكر ادوارد جوان أيضًا وينقل لنا صورة قريبة من الواقع في كتابه عن النهاية المأساوية لـ عبد الله بن سعود ومن ثم سقوط العاصمة الدرعية على يد القوات المصرية، واستسلام الزعيم الوهابي؛ كما يطلق عليه، ومجيئه إلى معسكر إبراهيم باشا، وبكائه وانكساره أمام القائد المصري المُنتصر، ومن ثم إرسال عبد الله بن سعود مخفورًا إلى مصر، ومن ثم ترحيله إلى الآستانة، حيث لاقى مصيره المحتوم فأعدم أمام باحة مسجد آيا صوفيا، فيقول المؤلف:
« وأجال عبد الله النظر فيما حوله فلم يرَ من رجال حرسه الخاص المؤلف من أربعمائة سوداني، إلا نفرًا قليلا. وكانت الطرفية قد سلمت إلى المصريين، وأخذت مباني طريف تتداعى بفعل المدافع، فحض عبد الله أتباعه على المقاومة واستنفرهم وحاول استثارة حميتهم، فلفتوا نظره إلى الحي وقد دُك عن أخره ولم يبق فيه حجر على حجر، وضرعوا إليه أن يحتفظ ببقية الأسوار

---

۞ كتاب : موجز التاريخ الوهابي \ تأليف : السير هارفرد جونز بريدجز.

ليواروا تحتها جثث القتلى من أبنائهم، وعلا الصياح واشتد الصخب، فلم يسع الزعيم الوهابي إلا أن أطرق برأسه مليًا، وقد استمكن الحزن والأسى من نفسه، وأجابهم إلى ما طلبوه، من الرضا بحكم القضاء، فرفع راية التسليم والامتثال وطلب الكف عن القتال. وفي ٨ القعدة الموافق سبتمبر وصل رسول من جانب الوهابيين، فما أن دنى من المعسكر حتى صدر الأمر بوقف رحى القتال. ومثل الرسول في حضرة إبراهيم ملتمسًا منه بالنيابة عن أميره بالكف عن الحرب وتحديد موعد للمُقابلة والمفاوضة، فأجابه إبراهيم إلى ملتمسه. وبعد ساعات حضر عبد الله في مائتين من حرسه، وكان إبراهيم في سرادقه جالسًا على صفة، فتلقاه بمظاهر العطف والرعاية والود، وحاول عبد الله أن يلثم يد إبراهيم فأبى مُستغفرًا وسحبها تواضعًا وإكرامًا، ثم أجلسه إلى جنبه، ودار الحديث بينهما، فسأله إبراهيم: لما ظل مُصرًا على المقاومة بينما الأهلون كانوا مجمعين على ضررها موافقين على التسليم والرضا بما جاء به القضاء؟ فأجاب عبد الله: لقد انتهت الحرب الآن، وكان ما هو كائن بقضاء الله وقدره. فقال له إبراهيم: مازال عندي الشيء الكثير من البارود وذخيرة الحرب، فاطلب منها ما شئت، وهلم بنا نستأنف الصراع! أجاب عبد الله: لا أبغي شيئًا من هذا، وكل مُناي أن يحفظك المولى من السوء، ولست أنت الذي أذلني، وإنما المُذل والمُعز هو الله. وخفت صوت الأمير وأنهملت الدموع من مآقيه، وهو يفوه بهذه الكلمات، فوجه إبراهيم إليه بعض عبارات التعزية والسلوان، إذ قال له إنه لا بطل في العالم خالٍ من نقصٍ أو عيب بالغًا ما بلغ من البطولة. لأن الكمال المُطلق مُستحيل على الإنسان، فهو غير معصوم من القضاء إذا نزل. فقال عبد الله: إني أسألك الصلح يا سيدي، أفتعطيه؟ أجاب إبراهيم: نعم، وأنت الحكم في وضع شروطه، إلا أن هناك أمرًا لا تصرف لي فيه، وهو بقاؤك في الدرعية، فإن الأوامر الواردة إلى من الوالي تقضي بتوجيهك إلى مصر. فأطرق عبد الله مليًا وطلب إرجاء إجابته الأخيرة في هذا الموضوع إلى الغد، ثم انصرف بعد أن شرب القهوة، يصحبه ابنه سعد الذي

كان أسيرًا وقد ردَّه إبراهيم باشا إليه. وفي اليوم التالي أقبل عبد الله، فتلقاه إبراهيم بمثل ما تلقاه أمس به، من البشاشة والبشر، ثم سأله: ما جئتنا اليوم من عزم؟ أجاب عبد الله: أسافر إلى مصر إن ضمنت لي النجاة. فقال إبراهيم: إن كنت عاجزًا عن مخالفة إرادة الوالي، فإني بلا ريب أشد عجزًا عن مخالفة إرادة السلطان، غير أنني أقول لك عن ثقة واعتقاد أنهما من كرم النفس ورحابة الصدر بحيث لا يرضيان التنكيل بمن يسلم نفسه إليهما مختارًا. قال عبد الله: إني مُعتمد على كرمك وشرف خصالك يا إبراهيم، فأوصيك بأولادي وأخواني ورعاياي خيرًا، وأطلب لهم السلامة جميعًا قبلي. وتلقى عبد الله من إبراهيم منديل الأمان الأبيض، وهو شارة الصلح، وعاد إلى طريف ليتجهز للسفر.... وفي ١٤ القعدة الموافق ١٥ سبتمبر، ودَّع عبد الله بن سعود أسرته الحزينة وأصدقاءه، ومن دافعوا عنه حتى اللحظة الأخيرة، ثم ودَّع قصره المنيف بنظراته وابتعد بخطوات مُتثاقلة يصحبه خازنداره وكاتب أسراره وبعض عبيده، قاصدًا إلى خيمة إبراهيم باشا، فتسلم منه رسائل برسم أبيه محمد علي، ثم أوغل في الصحراء يحف به أربعمائة جندي بقيادة رشوان أغا الذي أصدر أمره بمقاومة عبد الله إذا بدأت منه حركة يريد بها الفرار. وظل سائرًا فاخترق وهو أسير تلك الأرجاء التي كانت خاضعة لحكمه وهو أمير. وقضى في هذا السفر الذي قطع فيه نجد والحجاز والبحر الأحمر شهرين كاملين. وفي ١٨ مُحرم ١٢٣٤هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٨١٨م، وصل (عبد الله بن سعود) إلى القاهرة، فجيء به إلى شبرا، وقدم إلى الوالي (محمد علي)، فقبّل يده وشرب القهوة عنده، فسأله محمد علي: عن رأيه في الحوادث والحروب التي دخلت اليوم في خبر كان؟ أجاب عبد الله: كانت تلك الحوادث مُقدرة في الأزل قبل أن يعلم بها إنسان. فسأله وما رأيك في إبراهيم باشا، وما هو شعورك نحوه، وما حكمك في خلقه وطبعه؟ أجاب عبد الله: إن إبراهيم قام بالواجب عليه، كما قمنا نحن بالواجب علينا، وقد أراد الله ذلك وقضى به، ولا راد لقضائه. وكان بيد عبد الله صندوق صغير، فلما وقع بصر محمد علي

عليه، سأله عنه، فقال: في هذا الصندوق الجوهرة الوحيدة الباقية من الجواهر التي انتزعها والدي (سعود بن عبد العزيز بن محمد) من الضريح النبوي، وقد بقيت في يدي طوال الطريق التي سلكناها من نجد إلى هنا، لأني وعدت بردها وسأسلمها إلى السلطان. ثم فتح الصندوق وهو من العاج، وأخرج منه ثلاث مصاحف رصعت بالجواهر والأحجار الكريمة، وثلاثمائة لؤلؤة من أكبر اللآلئ وأنقاها ماء وأسطعها إشراقًا، وزمردة يتصل بها شريط من الذهب. فقال محمد علي: هذا حسن، لكني أعرف أن أشياء كثيرة غير هذه سُلبت من الضريح النبوي؟ فأجاب عبد الله: إن والدي أخذ منها حصته، وهي ما أقدمه، أما الباقي فبيع بعضه، واقتسم بعضه، أشراف مكة والأغوات، ومشايخ العربان، وعليهم هم أن يقولوا أين أخفوه، أو على أي وجه تصرفوا فيه. فقال محمد علي: هذا صحيح، فقد وجدنا كثيرًا من هذه النفائس عند الشريف غالب. ثم ختم الاثنان على الصندوق، وقال الوالي دع هذه الجواهر معك يا عبد الله، واحرص عليه كل الحرص، واذهب لتقدمها إلى جلالة السلطان فعسى أن يشفع لك لديه شرف أصلها. وفي يوم ٢٠ مُحرم الموافق ١٩ نوفمبر، أخذ عبد الله سمته إلى الآستانة، ولم تتجاوز مدة إقامته بمصر ثلاثة أيام. وكلف بعض التتر حراسته ورافقه في سفره كل من خازنداره وكاتم سره. وفي ١٦ ديسمبر وصل إلى البسفور، وكان محمد علي قد التمس من السلطان العفو عنه، غير أن رجال المابين كانوا لتعصبهم الأعمى يرون وجوب مُعاملته بالصرامة، فطافوا به وبزميليه شوارع الآستانة ثلاثة أيام مُتتابعة، ثم أعدموهم في ميدان مسجد آيا صوفيا، وعلقوا على صدورهم كتابة بالجريمة المنسوبة إليهم، هاك بعض ما جاء فيها: "هذا ما حكم به الشيخ عبد الله بن سعود، الذي أسره إبراهيم باشا ابن سمو والي مصر الحالي. وقد شاركه في جنايته العربيان سراي وعبد العزيز بن سلمان، ولذا وجب أن يُقاسماه العقوبة. وكان عبد الله بن سعود قد أظهر من زمن طويل التمرد والعصيان في قحة ووقاحة، إذ كان يُعذب الأنصار في المدينة المنورة،

ويحتقرهم، وهم سلالة أولئك الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم، عند هجرته من مكة، كما عذب واحتقر المُهاجرين، وهم سلالة الذين هاجروا معه، عليه الصلاة والسلام، وعذب واحتقر المُجاورين، وهم أولئك الأتقياء الصلحاء الذين آثروا الإقامة في مكة والمدينة للتبرك بجوارهم من الحرمين الشريفين. وكان يرى أن من وجوه البر والإحسان قتل المؤمنين والموحدين. ولقد سد سبل الحج وقطعها على الحجاج، بتغريره بمشايخ العربان، واقتدى في ذلك بمسعود بن مضيان وحسن الخلاجي والمضايفي وطامي، وغيرهم الذين أعدموا جميعًا بين هذه الجدران، فسار سيرة مُخالفة لما نهت عنه الأحكام الشرعية الخالدة، بتحريضه القبائل على العصيان وخيانته للإسلام والدولة". وظل المتفرجون يقرؤون هذه الجملة على صدور الجثث الثلاثة، بعد أن قطعت رؤوسها ثلاثة أيام مُتتابعة، وشاع بين الناس في الآستانة يومئذٍ أن هذه الرؤوس أخذت ودقت في هاون الحكومة وجعلت الجثث الثلاث ملكًا للشعب، ولسنا نظن أن النسور والبزاة وثبت عليها، كما وثب أهل الآستانة بفرح وسرور ينمان على غريزة الوحشية المُستقرة في نفوسهم».[۞] -انتهى الاقتباس-

وبعد أن قضى إبراهيم باشا على شأفة الوهابيين في الدرعية، ومسحها من على الخارطة، زفت الأخبار بهذا النصر الكبير إلى الباب العالي، فأصدر السلطان محمود فرمانًا يُضفي على نفسه لقب خادم الحرمين الشريفين، وهو اللقب الأول في التاريخ الذي يتقلده خليفة للمُسلمين، حيث اعتبر أنهُ خلّص الحرمين الشريفين من براثن الخوارج الوهابيين، وأعاد الأمن والأمان للأماكن المُقدسة بعد أن تعرضت للتدمير والنهب والسلب على يد آل سعود، وربما من سخرية الأقدار أن يحمل أحفاد هؤلاء القتلة اللصوص هذا اللقب المسروق بعد مرور قرنين من الزمان على فظائع أجدادهم في سفك دماء المُسلمين!.

---

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

وعن ذلك اللقب الجديد الذي تقلده السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد، يذكر الجبرتي في أخباره، قائلاً:

« واستهل شهر جمادى الثاني سنة ١٢٢٨هـ، وفي أواخره، وصل من الديار الرومية واصل وعلى يده مرسوم، فقرئ بالمحكمة في يوم الأحد ثامن عشرينه، بحضرة كتخدا بيك والقاضي والمشايخ وأكابر الدولة والجم الغفير من الناس، ومضمونه: " الأمر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر، بأن يقولوا عند الدعاء للسلطان، فيقولوا السلطان ابن السلطان، بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات، محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان المغازي، خادم الحرمين الشريفين، لأنهُ استحق أن ينعت بهذه النعوت، لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين، وغزت الخوارج، وأخرجتهم منها، لأن المُفتي أفتاهم بأنهم كفار لتكفيرهم المُسلمين، ويجعلونهم مُشركين، ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس، وأن من قاتلهم يكون مغازيًا ومُجاهدًا، وشهيدًا إذا قتل". ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة، وعملوا شنكا، واستمر ضربهم عند كل أذان عشرة أيام».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار – الجزء الرابع، تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.




# حملات التطهير الوهابية لأبناء الجزيرة العربية

لقد نحت الوهابية منذ انطلاقها منحى تكفيري دموي حيث لا مجال للتفاهم أو الحوار أو النقاش، فهم قطعوا جازمين بأنهم هم الفرقة الناجية ويجب على الجميع تجديد إسلامهم وإتباعهم وإطاعة أوامرهم دون مناص أو مناورة، فقط كان شعارهم الدائم الموجه للقبائل البدوية ولسكان القرى والمُدن، إما أن تكونوا معنا أو ضدنا، فلا يوجد في شرعهم الوهابي حياد أو استقلال أو إنكفاء على الذات، ولهذا ذهب الآلاف ضحايا وقرابين لعمليات التكفير العشوائي والتطهير الديني الوهابي بمعنييه، التطهر من الذنوب والتطهير الدموي، فكانوا يجبرون القبائل والأهالي من بادية وحاضرة؛ وبحد السيف؛ على الدخول في مذهبهم الجديد، وكانوا يطلقون على ذلك الانتماء الجديد مُصطلح الدخول في الإسلام!.

ومن يرفض الدخول أو القبول بإسلامهم الجديد لأي سبب كان، سواء كان من شيوخ قبائل البدو أو زعماء الحضر، فأنهم يقومون بشن الهجمات المُباغتة عليهم فيستبيحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وإذا ما وافقوا على الدخول في مذهبهم الوهابي الجديد، فعليهم أن ينبذوا دينهم السابق؛ وهو الإسلام؛ وأن يتطهروا من ذنوبهم السابقة، وذلك من خلال البراءة من الماضي وتكفير من سبقهم من الآباء والأجداد وحلق الشعر، كي يولدوا من جديد!.

وعن ممارسات الوهابيين التكفيرية يذكر لنا المؤرخ الوهابي حسين بن غنام، حيث دوَّن أحداث دموية قد وقعت في نجد، وغزوات قادها عبد العزيز بن محمد بن سعود ضد أهل القصيم، وكيف كفّروهم وأحلوا دماءهم وأموالهم كغنائم، فيذكر في كتابه:

«ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٣هـ: وفيها غزا عبد العزيز بالمُسلمين من أهل الدرعية وقراها، فلما وصل إلى حريملا حرسها الله تعالى وحماها؛ أمر من هناك من بلدان المُسلمين أن يخرجوا له الدول مُجتمعين فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعًا كثيرًا من الدول وقصد ما يُريد من محل فأناخ بالمُسلمين على المجمعة، وكان المُسلمون عليها

مُجتمعة وجرى بينهم وبين أهلها القتال ودخل قلوب أهلها من المُسلمين الأوجال وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال منهم عبد الله وقويفل ابنا عثمان وهما أخوا حمد رئيس المجمعة، ثم إن عبد العزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من الدول وتبعه حين فرغ من أمر المجمعة وغزا بالجيش من ذلك المكان، وكان ذلك في أثناء شهر رمضان، فجدَّ سائرًا في ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وقد هجعت البرية وكانت من قرى القصيم، فأناخ عندها في ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن يزيله النور من الظلام أوجاله، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا في ذلك غاية الحال، ولكن الله الكبير المتعال، سلَّط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمُسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال، وهتك المُسلمون البلد في ذلك المجال ودخلوها في تلك الحال، وأخذوا جميع ما بها من الأموال، ثم نودي فيها بالأمان بعد ما قُتل من أهلها رجال، وأقام بها عبد العزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيهم أمر عظيم من المخافة فرغبوا في الدخول في الإسلام والانقياد لمنير تلك الأحكام ورفض ما يُعبد من الأوثان والأصنام، وأقبلوا على عبد العزيز في تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام، ثم رجع عبد العزيز يُريد الدرعية ليقسم الغنيمة فيها بالسوية».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويذكر لنا شيخ الأزهر خليل الرجبي في مخطوطته ويؤكد ما جاء في كتاب حسين بن غنام، وهو أحد علماء الأزهر، فيقول:

« وكان أميرهم سعود قد فاق أباه في القوة وكثرة الأتباع والأجناد والجيوش، فطغى وأظهر الفساد في الأرض، فكثرت رجاله جدًا حتى كانوا شبه الحصا والرمال كثرة، وأطاعوه طاعة غريبة حتى إنهُ قبل ذلك لما دخل مكة المكرمة وملكها وتبعه سلطانها غالب المذكور جعل يدعو رجال مكة رجلاً رجلاً ويقول

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

له: أسلم على يدي إسلامًا صحيحًا، فإنك مُشرك كافر. وكان من لوازم دعوته حين يُخاطب الرجل الذي يدعوه للإسلام بزعمه الكاذب أن يأمره أن يُصرح في مقاله بعد أن يأتي بكلمة الشهادة فيعقبها بقوله ويشهد أن أبويه ماتا مُشركين، وكان له مُهاجرون وأنصار ويدعو أناسًا بالسابقين الأولين إلى الحق والخير، وهم جماعته الأقدم فالأقدم، وكل له مرتبة بحسب سبقه، وبالجملة فخرافات دعوته وهذيان عقيدته ظاهرة البطلان جلية البهتان والخذلان، فسبحان من يهدي ويضل بيده ملكوت كل شيء، واتفق أن أول جمعة كان بها بمكة فاجتمع العالم الأكبر وصعد المنبر وخطب بالناس وقال في خطبته عقيدته الباطلة ودندن بدعوته المخذولة العاطلة، وتلا في أخرها قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية، يُقلد بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع، فما أعظم ضلاله وما أبين مُحاله قبحه الله، وشهرة أمره ومعرفة الفضلاء لباطل عقيدته يُغني عن تفصيل بيانها وتعداد أنواعها، وكل ذلك جاءهم من محمد نجل عبد الوهاب الذي ذكرناه أول بدايتهم، فهو الذي جمع لهم تلك العقائد وصنف لهم إفك هاتيك المكائد قبحه الله وإياهم أجمعين». [۞] - انتهى الاقتباس -

وقد ذكر الشيخ أحمد زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام" فتنة الوهابية واصفًا أفعالهم الشنيعة قائلاً:

« وكانت فتنتهم من المصائب التي أُصيب بها أهل الإسلام، فإنهم سفكوا كثيرًا من الدماء، وانتهبوا كثيرا من الأموال، وعمَّ ضررهم وتطاير شررهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فيها التصريح بهذه الفتنة كقوله صلى الله عليه وسلم "يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق" وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها في صحيح البخاري

---

[۞] تاريخ الوزير محمد علي باشا \ مخطوطة بيد أحد علماء الأزهر الشيخ خليل بن أحمد الرجبي.

وبعضها في غيره، لا حاجة لنا إلى الإطالة بنقل تلك الروايات ولا لذكر من خرجها لأنها صحيحة مشهورة، ففي قوله سيماهم التحليق تصريح بهذه الطائفة لأنهم كانوا يأمرون كل من اتبعهم أن يحلق رأسه ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء، وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول لا حاجة إلى التأليف في الرد على الوهابية بل يكفي في الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم. واتفق مرة أن امرأة أقامت الحجة على ابن عبد الوهاب لما أكرهوها على أتباعهم ففعلت، وقد أمرها ابن عبد الوهاب أن تحلق رأسها فقالت له حيث أنك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته لأن شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته فلم يجد لها جوابًا. ومما كان منهم أنهم يمنعون الناس من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم مع أن أحاديث». [۞] - انتهى الاقتباس -

وقد شنَّ الوهابيون في بداية أمرهم حملات قتل وتنكيل ضارية وسيروا الغزوات الدموية ضد البدو البسطاء في نجد بحجة جهاد الكفار، وهو عكس الاعتقاد السائد لدى بعض الناس من أن الوهابيين كانوا أغلبهم من أهل البادية، ففي البداية كانوا البدو هم كبش الفداء لتلك الدعوة التكفيرية، خصوصًا قبائل عنزة وشمر والعجمان والظفير ومطير وسبيع وغيرهم، ولكن بعضهم تحول لاحقًا لجنود مرتزقة بين صفوف تلك الدعوة الوهابية إما رهبة منهم أو طمعًا في الغنائم، ولكن في بداية الحركة الوهابية كان محمد بن عبد الوهاب يُصنف البدو على أنهم كفار فجار صراحةً ومُشركين خالصين، ولم يكن يرعى فيهم الله، ولم يجد لهم عذر الفقر والإهمال أو الجهل أو يتوانى قليلاً في مسألة تكفيرهم، بل كان يُصر في مراسلاته ومُخاطباته لأهل القرى والمُدن على تكفير هؤلاء البدو المُعدمين، ويبدو أن محمد بن عبد الوهاب كان

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

يحمل موقفًا شخصيًا ضد البدو، فهو ينظر إليهم باستصغار واحتقار حتى جعل الأمر وكأنهُ نزاعًا ثقافيًا قائمًا بين الحضر والبدو أو صراعًا دائرًا بين المُجتمع الحضري وبيئة البادية، وكان يقول بأن البدو كفروا بالكتاب كله وأنهم يفضلون حكم الطاغوت على حكم الشريعة الإسلامية وأنهم يستهزءون بالحاضرة مع أنهم يدركون جيدًا أن الحضر يُصدقون بالبعث حسب رأيه!. فقد كانت آراؤه جدًا حادة وقاسية بحق البدو، بل كانت إقصائية تمامًا، خصوصًا أنهُ كان يُشنع عليهم اتخاذهم للشرع العرفي بدلاً من حكم الشريعة الإسلامية، وهو ما أطلق عليه حكم الطاغوت، ولهذا أحل دماءهم وأباح أموالهم عندما كفرهم وأخرجهم من الملة، فكان البدو من أوائل الذين سقطوا ضحايا لتطلعات وهرطقات محمد بن عبد الوهاب وأصبحوا وقودًا وحطبًا للنار الوهابية المُستعرة، حيث جاء مثلاً في سرد له برسالة كان قد أرسلها إلى الشيخ أحمد بن إبراهيم مطوع بلدة مرات من بلدان منطقة الوشم، والرسالة موجودة في كتاب حسين بن غنام الموسوم بـ"روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، حيث يقول فيها محمد بن عبد الوهاب عن هؤلاء البدو، قائلاً:

« وأعظم وأطم أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرءوا من الدين كله، واستهزءوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزءوا بها، مع إقرارهم بأن مُحمدًا رسول الله، وأن كتاب الله عند الحضر – لكن كذبوا وكفروا، واستهزءوا، عنادًا. ومع هذا تنكرون علينا كفرهم، وتصرحون بأن من قال "لا إله إلا الله" لا يكفر! ثم تذكر في كتابك أنك تشهد بكفر العالم العابد الذي ينكر التوحيد، ولا يكفر المُشركين، ويقول: هؤلاء السواد الأعظم ما يتيهون! فإن قلتم: إن الأولين – وإن كانوا علماء – فلم يقصدوا مُخالفة الرسول بل جهلوا، وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلاً ونهارًا أن هذا الذي أخرجنا للناس من التوحيد وإنكار الشرك أنه

دين الله ورسوله، وأن الخلاف منا التكفير والقتال، ولو قدرنا أن غيركم يُعذر بالجهل، فأنتم مصرحون بالعلم».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويذكر لنا صاحب مخطوطة (كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب)، نبذة مُختصرة عن تلك الحملات الدموية البربرية التي كان يشنها عبد العزيز بن محمد وولده سعود على بعض القبائل البدوية بحجة عدم دخولهم في الدين الوهابي، والمُثير للاشمئزاز حقًا في سرد تلك الأخبار الرهيبة، أن آل سعود كانوا يقتلون وينهبون أموال وحلال هؤلاء البدو المساكين المُعدمين باسم الإسلام المزور، وكانوا يستخدمون أقذر الوسائل والأساليب في غزواتهم لكي يباغتوا هؤلاء البدو الرُحل وينقضوا عليهم وهم غافلين أو مُنشغلين، ومن ثم يقتلونهم بدم بارد وينهبون أموالهم!

بل إننا نجد أن المؤلف يُثني كثيرًا على عبد العزيز ومن ثم على ولده سعود لأنهما كانا يشنان تلك الحملات الوحشية على هؤلاء الأعراب المساكين ويتباشر بعودتهما سالمين غانمين لأهلهما، ويعتبر تلك الغزوات الشيطانية التي يقوم بها الوهابيون آنذاك على أنها نصر من الله مُبين وخُذلان لأعداء الدين، ويوثق لنا كيف قام عبد العزيز في إحدى غزواته على اليمامة، بقتل جميع الرجال وأفناهم عن بكرة أبيهم ولم يبق إلا الأطفال والنساء فقط، مُستندًا زعمًا على حديث نبوي يُبين علامات البلوغ المشتركة بين الولد والجارية وهو "الإنبات"، أي إنبات شعر العانة، ودليله هو ما رواه أحمد في مسنده إلى عطية القرظي حيث قال: "عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبت قتل، ومن لم ينبت خلي سبيله، فكنت فيمن لم ينبت فخلي سبيلي..

والرسول ﷺ كان في حالة حرب ضروس مع اليهود، ولا يجوز بأي حال من الأحوال تطبيق ذلك الحديث على حالة المُسلمين الغافلين، حتى وإن خاضوا حربًا مع آل سعود، ولكن هؤلاء الوهابيون كانوا يطبقون أحاديث الرسول ﷺ

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

لغرض استباحة دماء المُسلمين، والرسول الكريم براءٌ منهم ومن سفك دماء المُسلمين، ولا علاقة له بأفعال هؤلاء القتلة المُجرمين البتة.

وعن تلك الجرائم الوهابية الوحشية، يورد لنا المؤلف:

« ثم بعد ذلك جاهد أهل الجبيلة، وعاهدهم وأخذ عليهم العهد خمس سنين. وأدخل الإسلام في تلك الخمس سنين عرقة والجبيلة. وبعد ذلك أقام الجهاد. فأسلمت شقراء، وأبت قرية عندها تُسمى ثرمداء والقرائن. وأثيفية وجاهدن حتى أسلمن. وهذه من الوشم. ..... الخ.

في غزوة عبد العزيز أيضًا على قوم يُسمون اليمامة. وكانت أسفل وادي الدرعية. وغزاها عبد العزيز، فأخذهم وقتل منهم قومًا لا يحصون، وكان قتاله لهم الصبح، وقتل أغلبهم. وذبح رجالهم ولا ترك إلا أولادهم ونساءهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من المنبت وفوقه قتل، ومن الذي لا ينبت لا يُقتل، والنساء لا تُقتل، والله أعلم بالصواب..... الخ.

وفي غزوة عبد العزيز على قوم يُقال لهم بنو مطير، وهم مقدار ألف رجل، في أول حكمه، فغزاهم وأخذ منهم غنيمة ولها قدر وقيمة. وقتل منهم خمسين رجلاً. ورجع كاسبًا غانمًا...... الخ.

وفي غزوة غزاها عبد العزيز على قوم يُقال لهم آل مرة. فغزاهم على خمس عشرة جمل. وعلى كل جمل رجلان. فغزهم وأخذهم وذبح أغلبهم وغنم أكثر أموالهم. وما سلم منهم غير القليل. ولما رجع إلى منازله قسم الغنيمة إلى أقسام، وفرقها على القوم لكل رجل مائة قرش. ورجع إلى أهله سالمًا غانمًا. ولا قتل من قومه إلا عشرة رجال. ودفن قتلاه في مقاتلهم. فنسأل الله أن يسكنهم الجنة برحمته..... الخ.

وفي غزوة غزاها عبد العزيز على قوم العجمان. وكان مسيره عليهم مسافة عشرين يومًا. ولما أقترب إليهم أقام في سرادقه ثلاثة أيام، وأرسل إليهم من أتباعه سرًا ليتجسسوهم ويروا مكانهم بعيدًا أم قريبًا. فعدا عليهم بالليل،

وكبسهم الصبح. فأخذهم وأصاب منهم غنيمة، وقتل منهم عشرة رجال، ورجع إلى أهله سالمًا، وبالله التوفيق..... الخ.
وفي غزوة غزاها عبد العزيز على قوم بني سبيع. وأخذ في مسيره عليهم مدة ثلاثين يومًا. فأغار عليهم صباحًا، وأخذ منهم ألف بعير وثلاثة آلاف نعجة. وذبح منهم ستين رجلاً. وذُبح من أعيان المُسلمين اثنا عشر رجلاً، رحمهم الله وأسكنهم الجنة برحمته، إنهُ جواد كريم رءوف رحيم. ورجع عبد العزيز إلى أهله مسرورًا سالمًا..... الخ.
وغزا عبد العزيز بعدها بثلاثين يومًا على طائفة من بني خالد، فأخذ منهم غنيمة، وأخذهم بأرض تُسمى الدهناء. وسبب تسميتها الدهناء هو لأنها ما يوجد بأرضها ماء، وأرضها نفود، والنفود عند العرب الرمل. وأخذ منهم غنائم كثيرة. وعدد عساكره ألف وخمسمائة رجل ومائتا فارس. وكان غزوه في شدة الحر والأرض لا يوجد بها ماء، فحمل الماء على الجمال مسافة خمسة أيام، وأخذهم على ماء يُسمى ضافر في وسط النفوذ. وفي غزوة غزاها سعود بن عبد العزيز على بني خالد، وكان عدة عسكره خمسة آلاف مُقاتل. ولما قدم على بني خالد على غدير ماء يُسمى جودة، وأشرف عليهم وجدهم مُستحضرين على الحرب (جاهزين لمحاربته)، لأنهم كانوا واضعين رصادًا ورقباء إذ كان وصلهم النذير فرجع عنهم. ولم يصب منهم شيئًا، ورجع إلى أهله. وفي السنة التالية غزا عليهم فوجد عسكرهم مستعدة للقتال وذهبوا ليغزوا ولا لهم خبر أن سعودًا غزا (وكانوا مشغولين بحرب أخرى). وقد نطحهم في ساعة لم يكونوا يرجون أنهُ يأتيهم، وتناطح هو وإياهم في أرض تُسمى صاله. فتغلب عليهم، وذبح منهم ألفين، وأخذ أموالهم، ومن بعد هذا رجع إلى أهله سالمًا غانمًا. والله أعلم. ومن بعد ذلك تجاوز الأحساء، وصار في حوزته وتحت حكمه، ونصر الله دينه وخذل عدوانه..... الخ.
وفي غزوة غزاها سعود على قرية تُسمى تربة. فغزاها في شدة الحر في خمسة آلاف رجل ومعهم أربعمائة فارس، وأتاها قبل طلوع الشمس بربع

ساعة. وساق الجموع عليهم، وأخذ القرية وقطع من أشجار النخل، وأخذ أموالهم خلا قصر فيها ما أخذه إلا وقت صلاة الظهر، وقتل الذين كانوا مُحاصرين به، وأخذ أموالهم، وقرية تربة هذه تبعد عن مكة مسيرة خمسة أيام لسير الركائب المُسرعة، ورجع إلى أهله سالمًا». [۞] - انتهى الاقتباس -

وعن تلك الغزوات الوحشية والهجمات الدموية التي كانت يشنها عبد العزيز بن محمد بن سعود على أهالي البلدات والقرى في نجد، وكيف كان يُباغتهم وهم في شهر رمضان وفي الأعياد حيث يتربص بهم ويغتالهم دون مُراعاة منه ومن شيخه محمد بن عبد الوهاب لقدسية الأشهر الحرم، وكيف كان يصف أهل نجد بالمُشركين وينعت قتلاهم بأبشع الصفات والأوصاف، وكيف كان يطلق على قتلى الوهابيين بالشهداء الأبرار، يذكر لنا حسين بن غنام ويوثق في كتابه تلك الجرائم مُتبجحًا فيقول:

« ثم دخلت السنة الثامنة والستون ١١٦٨هـ: وفيها فتح الله تعالى للمُسلمين حريملا فأخذوها بالسيف عنوةً وبغتوا أهلها بها فجوة، وذلك أن عبد العزيز فسح الله له في الأجل وبلغه غاية الأمل، غزا بالمُسلمين وكانوا نحو الثمان من المئين وخيلهم لا تزيد على عشرين، فأناخ شرقي البلاد وقد اشتد الظلام الدجنة في السواد، وقد عبأ المُسلمين وجعل ذلك الكمين في موضعين، فصار الأمير عبد العزيز في شعب عوجا ومبارك بن عدوان مع مائتي رجل أقاموا بالجزيع فوجا، فلما بدا جبين النهار وأسفر وجهه واستنار وأخذ أهل الفلاحة في الانتشار شن الشعواء وأغار، فلم يكن لأهل البلد عن الظهور اصطبار، فعند ذلك نشب القتال وتلاحمت الأبطال وظهر الكمين الأول فكان كل من أهل البلد على الصبر قد عوّل، وارخصوا عند ذلك المَهج ولم يكن أحد لمنهج الفرار قد انتهج حتى بدا لهم الكمين الثاني فلم يكن أحد على القرار ثاني، بل جدوا في الفرار بلا تـوان ، وملك المُسلمون أعقابهم ، وحققوا مطالبهم فقتلوا

---

[۞] كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

منهم مائة، عجل الله ذهابهم وأراد استئصالهم وعذابهم، ونال المُسلمون بذلك غاية الآمال والمنال وغنموا تلك الذخائر والأموال، وطاف على أهل ذلك الأفعال طائف العذاب والوبال وقتل من المُسلمين سبعة رجال، ودخل المُسلمين البلد ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد، وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان وكانت البلد فيئًا من الله على سبيل الامتنان وخرج هاربًا منها مُختفيًا ابن عبد الوهاب سليمان، وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان وبئس الأمير كان، لأنهُ آثر بعد ذلك سبيل الشيطان، كما يأتي بيان ردته في شهره وسنته وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال كل نفيس عزيز، وخيره في البيوت والمنازل وفي البساتين والأصايل وأخذ ما شاء من تلك الدار وأختار ما طاب من العقار».

« ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف ١١٧٠هـ: وفيها غزا المُسلمون أهل ثادق وأميرهم عبد العزيز سلك الله تعالى به أحسن الطرائق، فلما وصلوا إلى حلتها نزلوا قريبًا من نخلها ومحلتها، فناوش المُسلمين الحرب أهلها وكان الحائل بينهم نخلها، فتراموا بالرصاص بينهم من بعيد، وكان ذلك الرامي يُصيب ويفيد، وقطع المُسلمون عليهم نخلاً وعرفوا أن هذا شأن المُسلمين فعلاً، وقتل منهم ثمانية رجال وأقاموا مُحتصرين يديرون الفكرة والاحتيال، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من غير إمهال، وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم وحقق لهم مطلوبهم ومناهم».

« ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف ١١٧٠هـ: وفيها غزا المُسلمون أهل جلاجل وعبد العزيز حرسه الله تعالى أميرهم الذي ترجع إليه سياستهم وتدبيرهم، فسار بالمُسلمين ممن معه وساعده وتبعه، فنازل أهل جلاجل وكان لإعداد الكمين فاعل، فلما خرج إليه منهم كل مُقاتل ونشب القتال وكان كل قرم لقرنه خاتل، هزم الله تعالى أهل جلاجل فولوا مُدبرين على الأعقاب، ودخلوا البلد وأغلقوا دونهم الأبواب، ونهب المُسلمون من بيوت البلد ما استطرف ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكفّ».

« ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف ١١٧٠هـ: وفيها غزا المُسلمون الرياض وأميرهم عبد العزيز وقصدهم أن يرصدوا دهامًا (ابن دواس) إذ خرج إلى منفوحة يوم العيد، وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل، وأقاموا بين البلدين يرصدون ولم يكونوا بما نووا يظفرون، إلا أنهم في تلك الإقامة خرج زيد الصمعر فوافوه فجرعوه حمامه (قتلوه)، ثم رجع عبد العزيز ومن معه من المُسلمين إلى بلادهم سالمين». ۞ -انتهى الاقتباس-

ولاحظ هنا في النص أعلاه كيف كان هؤلاء الوهابيين يتربصون ويكمنون لأمير الرياض دهام بن دواس في يوم العيد لأنهم كانوا يعلمون أنهُ تعود أن يخرج في العيد إلى منفوحة لمُعايدة أميرها ابن زامل، ولما لم يظفروا به وجدوا رجل يُدعى زيد الصمعر من أهل الرياض أخرجه حظه العاثر ومرَّ من نفس المكان الذي كانوا كامنين فيه، فقتلوه بلا رحمة ودون أي ذنب أو جريرة فقط لأنه من أهل الرياض، فنحروه في أول يوم من أيام العيد، فأي إسلام وأي دين يُدين به هؤلاء الخوارج القتلة!

« ثم دخلت السنة الحادية والسبعون ١١٧١هـ: وفيها غزا المُسلمون ثرمدا وأميرهم عبد العزيز أعزه الله بالطاعة ونصره وأتباعه، فساروا إلى ثرمدا وجرت وقعة تُسمى وقعة النقيب، وذلك أن المُسلمين لما اشتد غسق الدياجي لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجئ، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد، فلما زال سواد الظلام وذهب ذلك الإظلام وسعى العباد خارج البلاد وقد أخبروا بالمُسلمين وما هم عليهم مُجتمعين، وعرفوا أن المُسلمين دخلوا حائطًا نقبوا لهم نقبًا في جداره وأقاموا فيه متوارين بين نخيله وأشجاره، والكمين الثاني خارج البلد لم يشعر به أحد، فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة على من عرفوا في النخل مكانه ومحله، وبقوا ساعة بقربه وحياله ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله، فلما أراد من فيه الخروج لم يكن لهم عن ذلك النقب من عروج، فقاموا يخرجون منه واحدًا واحدا ولم يكن أحد منهم

لغيره فاقدا، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالاً ولا يفهمون لمن يخرج منه حالاً، حتى أسود النقب وأظلم وسد ضوءه بعد أن أعلم، فتيقنوا مصاب أصحابهم وتحققوا مصارعهم في انقلابهم، فلما تبين للمُسلمين ذلك خرج جميع من هنالك ووقعت معركة بينهم عظيمة وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة، وقتل منهم اثنا عشر، منهم: عبد المحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا ومنهم بشر بن بلاع، واستُشهد من المُسلمين في تلك الغزوة قريب من عشرين، منهم: عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن ابن موسى ومفرج بن جلال».

ولاحظ هنا كيف يوزع حسين بن غنام صكوك الجنة والشهادة على رفاقه من أتباع الوهابية، بينما كان يصم موتى خصومهم بأبشع الصفات، ويجزم أن الجنة أصبحت مرتعًا لفطائس الوهابيين، فيقول:

« ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف ١١٨١هـ: وفيها سار عبد العزيز بالمُسلمين إلى الرياض، وجرت بينهم وقعة تسمى وقعة المجوز، لكون الوقعة بمكان يُسمى بذلك، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك، ولم يقع بينهم للقتال مُقاربة ولكن كل أدرك بالرمي مطالبه، فقتل المُسلمون من أهل الرياض خمسة ومن الخيل أربعًا، وقُتل من المُسلمين نحو عشرة صارت لهم الجنة مرتعًا، منهم مبارك بن سبيت وزيد ابن سعيد وابن رشيدان، وأقام عبد العزيز بقصر الغذاونة أيامًا يُغير على الرياض ويرجع مكانه».

وبينما يمنح ابن غنام الجنة لأتباع عبد العزيز نراه هنا يشنع على قتلى أهل سدير ويسخر من موتاهم ويتهكم على وضعية جثامينهم، فيقول:

« ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون ١١٧٤هـ: وفيها غزا عبد العزيز بالمُسلمين سدير فصارت على الروضة منهم الغارة، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدارة، وشدوا للقتال إزاره، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره، ظهر عليهم الكمين فانكسروا أي انكسارة، وقُتل منهم نحو الستة حين أعطى

كل واحد منهم المُسلمين إسته [*] ثم رجع المُسلمون إلى بلادهم بعد نيل مرادهم».

وسنرى كيف يوثق لنا حسين بن غنام عمليات النهب والسلب التي كانت يُمارسها عبد العزيز مع أتباعه في شهر رمضان دون حرمة أو خوف أو خشية من الله تعالى، ومع هذا يتبجحون بتطبيق العقيدة الإسلامية!

« ثم دخلت السنة الحادية والسبعون ١١٧١هـ: وفيها في شهر رمضان سار المُسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الرياض وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض تُسمى وقعة أم العصافير، وذلك أن المُسلمين قدموها ليلاً وجعلوا لهم رجالاً وخيلاً، أعدوا لهم رجالاً في مكان يُقال له القبة كمينًا، فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمُسلمين معينًا، فاستمر بينهم القتال وضاق في المُعترك المجال حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال، وقُتل منهم تركي بن دواس وابن فريان والجبري وحمود بن ماجد، ولم يُقتل من المُسلمين غير واحد، ثم انقلب المُسلمون إلى بلادهم بعد تحصيل مرادهم».

« ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون ١١٧٣هـ: وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج فسار إلى الدلم ودخلها ليلاً وهجم، وقتل من أهلها ثمانية رجال وأخذ من الدكاكين كثير أموال، ثم خرج منها وانصرف عنها، وعدا على قرية نعجان فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان، وقتلوا منهم عودة بن علي ثم رجعوا سالمين». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما جاء أيضًا في رسالة لمحمد بن عبد الوهاب أرسلها إلى محمد بن عيد أحد مطاوعة ثرمداء، يدافع فيها عن نفسه ويُبرر آرائه التكفيرية، وخصوصًا قضية تكفيره للبدو، ومسألة استهزاءهم وسخريتهم من الحضر، حسب قوله، حيث يذكر ابن غنام: « من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم. فإن كابَر مُعاند لم يقدر على أن يقول: إن عنزة وآل ظفير وأمثالهم

---

[*] الإست : هو الشرج أو الدبر أو المؤخرة.

كلهم: مشاهيرهم والأتباع، إنهم مقرون بالبعث، ولا يشكون فيه. ولا يقدر أن يقول: إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر وأنهم عايفينه ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله. فإن كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض. فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل، وعلمه الرسول أمته، وأجمع عليه العلماء: مَن أنكر البعث أو شكَ فيه، أو سبَ الشرع، أو سبَ الآذان إذا سمعه، أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله، أو سبَ من زعم أن المرأة ترث، أو أن الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه وابنه، إنهُ كافر مُرتد ـ قال علماؤكم: معلوم أن هذا حال البوادي، لا ننكره، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهي تحميهم من الكفر ولو فعلوا ذلك. ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل في تقريركم. فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبوني غاية المسبة، وزعموا أني أكفر أهل الإسلام وأستحِل أموالهم، وصرحوا أنهُ لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر، وأن البوادي يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر وجحدوا كفرهم. وأنتم تذكرون أن من ردّ شيئًا مما جاء به الرسول بعد معرفته ـ أنه كافر، فإذا كان المويس، وابن إسماعيل، والعديلي، وابن عباد، وجميع أتباعهم، كلهم على هذا فقد صرحتم غاية التصريح أنهم كفار مرتدون. وإن ادعى مُدعٍ أنهم يكفرونهم، أو ادعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئًا، أو ادعى أنهم لا يعرفون أن دين الرسول خلاف ما هم عليه ـ فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان، وسويدًا، وابن دواس، وأمثالهم، عُبادٌ زُهاد فقراء ما شاخوا في بلد قط. ومن ادعى هذا فأسقِط الكلام معه». [۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

وربما جاء موقف محمد بن عبد الوهاب ضد البدو وخصوصًا ضد قبيلة عنزة، كردة فعل على قرار الشيخ سليمان بن شامس العنزي الذي أرغم أهل حريملا

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

على طرده من بلدتهم وإلا آذنهم بالحرب، وربما كان هذا الموقف راسخًا في عقل محمد بن عبد الوهاب، فحقد على البدو كما حقد على أمير العيينة الحضري عثمان بن معمر، وخصوصًا تركز حقده على قبيلة عنزة، التي هربت من شره إلى أقاصي الشام والعراق.

والحقيقة لم يذكر مؤرخو الوهابية تلك الحادثة، لكن صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) قد ذكر لنا تلك الحكاية، ولا يُعرف لمَ تمَّ إهمال تلك الحادثة، حيث يقول الريكي:

« وشاع في أرض نجد فسمع بذلك سليمان بن شامس العنزي، وكان كبير قومه البداة، وكانوا ينزلون طرف العارض، فأرسل إلى كبار اليمامة من تميم وغيرهم، قائلاً: أن هذا أمر حدث عندكم، وقد أخرجه فلان العالم منكم، فإياكم ومتابعته، ولا تجعلوا له مسكنًا ولا مأوى في اليمامة، فإن بلغني عنكم إبراره وإكرامه ومنعته، لأركبن عليكم برجال وفرسان، ولأجولن عليكم بعنزة كلها، فلما بلغ أهل اليمامة كتاب سليمان بن شامس، قال بعضهم لبعض: يجب علينا امتثاله فإن عنزة قوم ذات حرب وصولة، ونحن قليلون لم نبلغ معشارهم لا رجالاً ولا مالاً، وإن ما دعانا له سليمان حق لا ينبغي العدول عنه ولا التهاون فيه، مع أن محمد بن عبد الوهاب ليس بعزيز علينا كعزة أنفسنا وأعراضنا، كيف وهو أتى ببدعة كفر، وقصد تكفير المُسلمين بها، فأتفق رأي الجميع على إخراجه من بيته قهرًا حتى بنو أعمامه عزموا على ذلك، فنادى مُنادٍ يوم الجمعة أن بعد صلاة الجمعة اجتمعوا على إخراج محمد بن عبد الوهاب من بلدتكم، فإن أبى فاقتلوه، فلما سمع أخوه علي بن عبد الوهاب، وكان هو غير عالم وحقير بينهم، جاء إلى أخيه محمد بن عبد الوهاب وقال له: يا أخي أنصحك لله أن تطلع هذا اليوم من اليمامة وتمضي إلى حيث شئت، فإن أرض الله واسعة».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف: حسن جمال بن أحمد الريكي.

وفعلاً فقد رضخ محمد بن عبد الوهاب في نهاية الأمر لتهديد شيخ عنزة سليمان بن شامس، وغادر مُرغمًا بلدة حريملا، الذي يُطلق عليها المؤلف اسم اليمامة، وربما هذا ما جعله يحقد لاحقًا على العنوز كونهم أهانوه وأذلوه أمام جماعته وربعه، دون أن يفزع له أحد منهم خوفًا من بطش قبيلة عنزة، وهذا يُدلل أيضًا على أن آل سعود هم ليسوا من قبيلة عنزة، وإلا لكان محمد بن عبد الوهاب قد راعى قبيلة من آواه وعلى الأقل تحاشى أن يجمع كل تلك القبيلة ويضعها في سلة الشرك أو خانة الكفر، وهو يُعلم أن معزبه وشريكه وحاميه ابن سعود عنزي الأصل!.

ولم يتوقف القتل والتنكيل على أهل البادية فقط، فقط نال لاحقًا سكان المُدن والقرى من الحاضرة أضعاف ما ناله البداة، ويذكر لنا حسين بن غنام في كتابه، كيف نبذ عبد العزيز بن محمد بن سعود العهد والأمان مع زيد بن زامل رئيس بلدة الدلم، وكيف طلب منه الدخول في الإسلام وإلا سيُقاتله، حيث يقول ابن غنام في كتابه:

« وفي سنة ١١٨٨هـ أرسل زيد بن زامل رئيس الدلم إلى رئيس نجران مرة أخرى يستعديه على المُسلمين. وكان عبد العزيز قد أرسل إلى زيد بن زامل بنبذ العهد والأمان الذي بينهما، ويُخبره أنهُ ليس أمامه إلا الدخول في الإسلام، فلم يستجب له زيد، وغرته قوته، وأرسل إلى رئيس نجران. ثم ألحَ عليه، وأرسل له رسولاً يُغريه بمال وفير إذا استجاب له». [۞] - انتهى الاقتباس -

وشخصيًا لا أرى فارقًا شاسعًا ما بين شريعة الغاب التي يُفتي بها ابن عبد الوهاب، وبين عُرف البدو الذي كفرهم وشنع عليهم به محمد بن عبد الوهاب، فالبدو على سبيل المثال كانوا يُغيرون ويغزون في الأشهر الحرم لعدم معرفتهم بحساب الأيام أو الأشهر ولغرض الكسب والغنيمة بدافع الفقر والعوز،

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

والوهابيون كذلك، فهم لا يعترفون بُحرمة المُسلمين، بل كانوا لا يحترمون المُناسبات الدينية المُقدسة التي حُرم فيها القتال كالأشهر الحُرم والأعياد، وكانوا يشنون الحملات الوحشية عن علم وسابق إصرار وذلك لغرض كسب الغنائم وجني الأموال مع أنهم ليسوا بحاجة للسلب والنهب كما هو حال البدو المُعدمين، إذن كلاهما لص وقاطع طريق وهدفه السلب والنهب، إلا أن البدو لا ينهبون تحت ستار الدين كما يفعل الوهابيون.

وعن وسائل الحرمنة وأساليب النهب والسلب التي يُمارسها زعماء الوهابيين في ابتزاز خصومهم، يذكر ابن غنام:

« ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف ١١٨١هـ: وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على مجيئهم ودخولهم في الإسلام فأجابوهم بحصول ذلك المرام، فأقبل أهل الوشم بلده وقراه، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مراه، فدخلوا في الدائرة الحصينة والكل منهم رفض دينه، وبايعوا أهل الإسلام، واستمرت عليهم تلك الأحكام. وفيها غزا المُسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطئ جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مُرتدًا قبل ذلك الحال، فأعطاه عن ذلك من الخيل خمساً فطاب بها عبد العزيز نفسًا لكونها خيلاً بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة».[۞] -انتهى الاقتباس-

وأما عن شن الهجمات الدموية في أيام الأعياد فيذكر لنا المؤرخ النجدي عثمان بن بشر في كتابه عنوان المجد، أن عبد العزيز غزا الرياض وصبحهم بالقتال في ليلة العيد قائلاً:

«(ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف ١١٧٤هـ) وفيها أيضًا سار عبد العزيز على الرياض فصبحهم ليلة العيد فاقتتلوا قتالاً شديدًا وقتل من أهل الرياض حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وأبا المحيا وغيرهم، وقتل

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

من الغزو خزان بن عبيد وعثمان بن مجل».[*] - انتهى الاقتباس -

فتخيلوا معي كيف كانوا يُهاجمون بلدات نجد في أيام الأعياد وكيف قتلوا المُسلمين من أهل الرياض عمدًا في صباح يوم العيد، الذي يحتفل به كافة المُسلمين في العالم، حيث تتصافى القلوب ويتصالح الخصوم، ويكثر ذكر الله تهليلاً وتكبيرًا في تلك الليلة المُباركة، فهؤلاء لا يحسبون أي حساب للأعياد، ولا يأبهون للمُناسبات الدينية لدى كافة المُسلمين، ولا يرتدعون بحرمة القتال في أيام العيد، ولا يعترفون بقدسية الأشهر الحُرم. وأما القتل والحرق والسلب والنهب وقطع النخيل وهدم الآبار فحدث ولا حرج، فإذا ما قاومت بعض قرى نجد تلك العصابات الدموية، وحينما يعتصم أهل القرى في حصونهم ومدنهم، فلا يتورع الوهابيون عن حرق نخيلهم وقطع زروعهم ودفن آبارهم الخارجية!

وتلك الأفعال الشنعاء لا يقوم بها مُسلم قط، ولا حتى غير المُسلم مهما بلغت به الجراءة والعتي والفجور، وسبق وأن ذكرت وصايا الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لجند المُسلمين، وكذلك توجيهات الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب لجحافل الفاتحين.

فعن سعيد بن المسيب أن أبا بكر لما بعث الجنود نحو الشام أمر يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة قال: لما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع فقالوا: يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان؟ قال إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر دينه، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض ولا تعصوا ما تؤمرون، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على

---

[*] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**المهاجرين وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنها ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة تثمر ولا تهدموا بيعة ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصا فإذا وجدتموهم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله.** - رواه البيهقي في السنن الكبرى بلفظه عن سعيد بن المسيب (٨٥/٩) في كتاب الجهاد باب من اختار الكف عن القطع-.

بينما الوهابيون كانوا يحللون قتل المُسلمين ويسفكون الدماء ويقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ويحرقون النخيل ويدفنون الآبار ويهدمون المنازل ويرعبون الحوامل كي تسقط حملها، وكانوا يفتخرون بذلك، كونهم هم المُسلمون فقط وخصومهم من سقط المُشركين، ومن يقرأ ما دَّونه المؤرخ الوهابي العقيدة عثمان بن بشر سيعرف مدى وحشية تلك الجرائم والمآسي التي ارتكبها هؤلاء الدمويون، وسوف أذكر بعض المُقتطفات السريعة كنموذج بسيط فقط لما ذكره ابن بشر:

«(ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٧هـ) وفيها سار عبد العزيز بالجنود المنصورة وقصد الرياض ونازل أهلها أيامًا عديدة وضيق عليهم واستولى على بعض بروجهم وهدمها المسلمون وهدموا المرقب، وقتل على أهلها رجالاً كثيرًا..... الخ.

- (ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٩هـ) وفيها غزا عبد العزيز ابن محمد بن سعود بالجيوش إلى ناحية الخرج فأغار على أهل

الضبيعة القرية المعروفة في الخرج، وأخذ بعض سوارحهم وقتل من أهلها اثنى عشر رجلاً وقطع بعض نخيل البلد وبعض زروعهم ..... الخ

- ثم يقول: (ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف ١١٩١هـ)... وسار بهم عبد الله بن سعود، وصار مسيرهم مع الحيسية على الحمادة لتعمى عنهم الأخبار حتى يبغتوهم في بلادهم. فادلجوا بالليل وبالنهار فأتوا بلاد حرمه في الليل وهم هاجعون. ففرق عبد الله رجالاً في بروج البلد ومواقفها التي تلي القلعة. وفي البروج التي تقابل بيبانها القلعة والجموع في متارسها، فلما انفجر الصبح أمر عبد الله على صاحب بندق يثورها، فثوروا البنادق دفعة واحدة فارتجت البلد بأهلها وسقط بعض الحوامل ففزعوا وإذا البلاد ضبطت عليهم وليس لهم قدرة ولا مخرج ....... الخ.

- إلى أن قال: فرحل عبد العزيز بن محمد ومن معه وقصد بلد نعجان وقطع فيه نخيلاً ودمر زروعًا وقتل رجالاً. إلى أن قال: فلما استقر الصلح كتب سعود إلى أبيه عبد العزيز أخبره بذلك، فكتب إليه عبد العزيز، أن أهل هذه القرية تكرر منهم نقض العهد وهي محذور كلها فدمرها واهدمها. فأمر سعود بهدم أسوارها وبعضًا من بيوتها وأمر أيضًا على أناس من أهلها ممن أثار الشر على المُسلمين أن يرتحلوا عنها. فارتحل كثيرٌ ونزلوا المجمعة، وكثيرٌ منهم نزل بلد الزبير.

- (ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٤هـ).... وفيها غزا المسلمون إلى الزلفي وأشعلوا النار في زروعه ثم ساروا وتوجهوا ناحية الخرج وأغادروا على الدلم، ثم أن أهل الزلفي في هذه السنة بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. ثم سار سعود بالجيوش المنصورة إلى حوطة بني تميم وقتل من أهلها نحو خمسة عشر رجلاً وقتل من المُسلمين رجال منهم بطي المطيري.......

- إلى أن قال: (ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٥هـ) وفيها سار سعود ابن عبد العزيز بجميع المُسلمين إلى ناحية

الخرج فنازل أهل بلد الدلم وحاصرهم وقطع نخل ابن عشبان المُسمى بخضرا، نحو ألفي نخلة وقتل بينهم عدة رجال ....... الخ.

- إلى أن قال: وفيها سار عبد العزيز بالجنود المنصورة وقصد حوطة الجنوب فنازلهم وقطع النخل المُسمى بالرحيل، وهو من أكبر نخيلها وأعظمها وقتل عليهم نحو خمسة عشر رجلاً، ثم رحل منها وسار إلى الدلم فنازل أهلها وقطع فيها نخيلاً بالفريع ونتيقة ثم سار منها وقصد بلد نعجان ونازل أهلها وقطع فيه نخيلاً ثم رحل منه وقصد اليمامة ونازل أهلها وهدم فيها بروجًا وغيرها ...... الخ.

- إلى أن يقول: ثم إن سعودًا حل من ثادق ونزل الروضة فاشتد عليهم القتال والمواقعات واستولى على النخيل إلا ما حمته بروج القلعة، وجعل يقطع في نخيلها وقطع فيها نخيل الحويطة والرفيعة وغيرهما......الخ.

- ويقول: (ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٨هـ) .... وفيها سار سعود بالمُسلمين وقصد ناحية الأحساء فصبح أهل العيون وهجم عليهم، ولم يأتهم خبر عنه، وأخذ كثيرًا من الحيوانات ونهب من بيوتها أزوادًا وأمتعة، وقتل من المُسلمين رجال منهم ناصر بن عبد الله بن لعبون، ثم قفل راجعًا فأقتضى رأيه أن يُغير على أهل اليمامة، فوجدهم قد خرج جميعهم إلى النزهة والتفرج في البرية، فأغار عليهم المُسلمون فولوا منهزمين. وقتل منهم في تلك الهزيمة أكثر من ثمانين رجلاً... الخ.

- (ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٩هـ) وفيها سار سعود غازيًا إلى جهة الخرج فذكر له في أثناء الطريق أن قافلة من أهل الخرج والفرع وغيرهم ظاهرة من الأحساء، فرصد لهم سعود على الثليما الماء المعروف قرب الخرج فأقبلت القافلة وكانت على ظمأ وقدموا لهم ركابًا ورجالاً إلى الماء، فأغار عليهم سعود وقتلهم ثم أناخت الحدرة فنازلهم سعود واستمروا ساعة في جلاد وقتال، واقتتلوا قتلاً شديدًا وقتل بينهم قتلى كثير، والقافلة قريب ثلثمائة رجل، فحمل عليهم المسلمون وأخذوا جميع ما معهم

من الأموال والقماش والمتاع والإبل وجميع من قتل في تلك الحدرة قريب من تسعين رجلاً، منهم زامل بن زيد الهزاني وسنان بن شاهين.

- إلى أن يقول: (ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف ١٢٠٨هـ) وفيها سار سعود بالجموع المنصورة من نواحي جميع نجد وبواديها وقصد الأحساء.... ثم سارت الجموع إلى الشرق ونازلوا أهل الجبيل وحصل قتال عظيم، قتل فيه منهم عدد كثير. هذا وجميع البوادي الذين مع سعود وغيرهم يدمرون في الأحساء ويصرمون النخيل ويأخذون من التمر ويعبونها أحمالاً يأكلون ويطعمون رحائلهم من الحاضر والباد، واكتالوا جميع البوادي من الأحساء نهبًا وقروا الرحايل وأقاموا على ذلك فترة.

- ثم يقول في مكان آخر: (ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف ١٢٠٩هـ). ثم سار سعود بتلك الجيوش والجنود وقصد الحجاز فنازل بلد "تربة" بلد البقول المعروفة فحاصر أهلها حصارًا شديدًا وقطع كثيرًا من نخيلها فقتل بينهم قتلى كثير.

- ثم يقول: (ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف ١٢١٠هـ). فلما كان شهر ذي القعدة من هذه السنة سار سعود بن عبد العزيز من الدرعية... فسار بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة وقصد ناحية الأحساء... وأمر مناديه ينادي في المسلمين أن يوقد كل رجل نارًا وأن يثوروا البنادق عند طلوع الشمس.. فلما استووا على ركائبهم وساروا ثوروا بنادقهم دفعة واحدة. فأظلمت السماء وأرجفت الأرض وثار عج الدخان في الجو وأسقط كثير من النساء الحوامل في الأحساء. ثم نزل سعود في الرقيقة المذكورة فسلم له وظهر عليه جميع أهل الأحساء على إحسانه وإساءته، وأمرهم بالخروج إليه فخرجوا فأقام في ذلك المنزل مدة أشهر يقتل من أراد قتله ويجلي من أراد جلاءه ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال ويهدم من المحال، ويبني ثغورًا ويهدم دورًا وضرب عليهم ألوفًا من الدراهم وقبضها منهم. وذلك لما تكرر منهم من نقض العهد ومنابذة المُسلمين، وجرهم الأعداء عليهم، وأكثر

فيهم سعود القتل... وحاز سعود من الأموال في تلك الغزوة ما لا يُعد ولا يُحصى، فلما أراد سعود الرحيل من الأحساء أمسك عدة رجال من رؤساء أهله، منهم على بن حمد وآل عمران وبريكان ومحمد العدساني القضاة، ورجالاً كثيرًا غيرهم وظهر بهم إلى الدرعية وأسكنهم فيها».[۞] -انتهى الاقتباس-

أما حمد بن لعبون فيذكر لنا في تاريخه (تاريخ ابن لعبون) عن مآسي غزوة الأحساء التي شنها سعود بن عبد العزيز على أهل الأحساء، حيث يدون لنا تلك المجازر وهو المؤيد لها، ويصور لنا كيف كان سعود دمويًا ويقتل الناس بالظن، ويقتص منهم حسب المزاج، فيقول: « وفي سنة ١٢١٠ هـ: وفي ذي القعدة سار سعود بعساكره المنصورة للأحساء، ونزل في البلد. وفي ذي الحجة وهم تحت الطاعة أولاً، لكن حدث منهم الوحشة، وتغير السيرة وسوء الحال، ما دل على نكثهم وأوجب عقوبتهم، وتداركهم سعود قبل أن يصرحون بالحرب، ونزل البلد وسلمت له وأقام عليها مدة يقتل من أراد من يرى المصلحة في قتله، ويُجلي من أراد، ويحبس من أراد، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحال والسني، ومنهم من يأخذ ماله جملةً، ومنهم من يُناصفه وناس ظهر بهم إلى نجد مثل آل عمران، وبريكان القاضي والعدساني القاضي ومحمد بن حسن، وناس كثيرون غيرهم وأمرَ في الأحساء رجلاً منهم يُقال له ناجم بن دهنيم من صاحب العراق».[۞۞] -انتهى الاقتباس-

هكذا كانوا ينهبون ويسلبون باسم الدين، وهم من أقر وحلل عمليات السلب والنهب، ولذلك ما ورد أعلاه من مصادرهم هو أبلغ رد على من يدعي أن الجزيرة العربية وبلاد الحرمين الشريفين، كان ساحة للنهب والسلب، قبل مجيء آل سعود، وأنهم زعمًا هم من بسط الأمان وفرض الأمن، ولكن الوقائع والتاريخ يثبت عكس ذلك، ويثبت أن آل سعود ومحمد بن عبد الوهاب هم أول

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

[۞۞] كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

من أجاز قطع الطريق ونهب السابلة وأحل سفك الدماء وهتك الأعراض لغرض السلب والنهب باسم الدين الوهابي المزعوم.

ولاحظ أن جل اقتصاد ومعيشة سكان نجد يعتمد على منتج النخيل من التمور، وللنخلة مكانة كبيرة لدى النجديين بسبب أن بلادهم صحراوية جافة ولا يوجد لديهم أنهار أو وفرة في المياه كبقية الدول، كما أن النخلة تأخذ وقتًا طويلاً لكي تُثمر قد تستمر من ٤-١٠ أعوام أحيانًا، ولهذا فإن عملية صرم أو حرق النخيل هي بمثابة الحكم بالإعدام على أصحابها لأن من يقوم بحرق النخيل؛ يقوم بقطع مصدر العيش والرزق، فالنخلة هي أغلى ما يملك القروي النجدي، ومع هذا نجد أن محمد بن سعود وأبناءه وأحفاده من بعده ومعهم محمد بن عبد الوهاب كانوا يحللون ويتلذذون بحرق النخيل وقطع المزروعات وهدم الآبار الخاصة بأعدائهم، أو حتى المُخالفين لهم!.
فتخيل أن سعود بن عبد العزيز قد قام بحرق ألفي نخلة في الخرج كما يذكر ابن بشر، أي قضى على ثروة زراعية من النخيل استمرت فترة زراعتها وسقيها ومُراعاتها عشرات السنين، وهو بساعات معدودة وبدم بارد قام بالقضاء على تلك الثروة الزراعية في بلد فقير وجاف ومنعزل!!.

هكذا كان الوهابيون يبطشون ويجرمون بحق المُسلمين العزل فيغدرون بهم بسبب وبدون سبب، ولن يكفوا شرهم وأذاهم عن أحد، إلا بعد أن يُعلن توبته ويُقر بمرجعية محمد بن عبد الوهاب وبإمارة ابن سعود، ويجب عليه أن يقبل بأن ينضم إليهم في حملاتهم الدموية ضد المُسلمين في جزيرة العرب!.

وهو ما دفع الكثير من القبائل البدوية وأهل المدن والقرى للفرار من بطشهم ومذابحهم، والذهاب نحو الشمال سواء للعراق أو سوريا أو حتى الكويت، ومع هذا فلم يسلم هؤلاء الفارون من ظلم وبطش الوهابيين، فقد لحقوا بهم لصحاري الشام والعراق. فيروي لويس بوركهارت قائلاً:

« أما عربان السبعة (السِبعان من عنزة)، والذين يقطنون الآن في التخوم السورية، فقد كانوا يقيمون سابقًا في نجد، وقد تركوا تلك المنطقة قبل حوالي اثنتي عشرة سنة، وذلك للتخلص من الابتزاز الضرائبي الذي يقوم به زعيم الوهابيّين». ۞ - انتهى الاقتباس -

أما لويس دوكورانسي فيتحدث بأسى عن بعض سكان الجزيرة العربية من عرب وأتراك الذين قام سعود بطردهم عنوةً من الحجاز ومن المدينة المنورة، لأنهم رفضوا الانضمام للوهابية، حيث يقول:

« واغتنم سعود ما خلفته هذه الحماسة، ليُبعد عن المدينة وعن الأماكن المُقدسة، العدد القليل من المُسلمين الذين ظلوا مُحافظين على طقوسهم ولم ينضموا إليه. كذلك طرد جميع العثمانيين من دون تمييز من الجزيرة العربية بموجب قرار أصدره في شهر نيسان من عام ١٨٠٧م، ونفذ هذا القرار بكل دقة. ورحل هؤلاء المساكين ضحايا التعصب في عدة قوافل تحت الحراسة حتى ميزيريب، ولجأوا إلى دمشق وطرابلس وغيرها من بلاد سورية. وكانت حالتهم التعيسة تبعث على الشفقة. وقد حاول بعض المُسنين منهم عبثًا استدرار عطف سعود ليأذن لهم بالبقاء في بلاد تعودوا مناخها وأحبوا قضاء أخر أيامهم فيها. لكن سعودًا لم يُلب أي طلب لهم لأنهُ كان قد عزم على أن لا يبقي في أواسط بلاده، إلا المُخلصين لعقيدته». ۞۞ - انتهى الاقتباس -

بل أن عدد سكان اليمامة نفسها التي تُعتبر مركزًا ومقرًا للدعوة الوهابية آنذاك، وخصوصًا العاصمة الدرعية قبل أن يُدمرها القائد المصري إبراهيم باشا، كان قد انخفض قاطنيها إلى أعداد مُخيفة حيث كان في السابق سكان اليمامة حوالي ٦٠٠٠ آلاف بيت، فانخفض العدد إلى ٣٠٠ بيت فقط، وذلك بسبب الظلم والتعدي السائد في السابق، ثم زاد عليها قدوم الممارسات الوهابية الجائرة

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

۞۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

من تكفير وتعزيز وبطش وجور وعنف وتعسف وهابي لا يُطاق، دفع بالكثير للهجرة والهروب من ذلك الطغيان العظيم، حيث يذكر صاحب كتاب ( لمع الشهاب) تلك المعلومة قائلاً:

« حدثنا بعض الثقات المُعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب وقد أدركناهم شيوخًا في الزبير والكويت، يقول: حقيقة الأمر في بدعة محمد بن عبد الوهاب هو أنهُ لما رجع من سياحته المُدة المعلومة واستقر ببلدته وكانت ضعيفة بالنسبة لسائر بلدان نجد، وكان الناس تفر منها، بسبب ظلم حدث فيها، بجور حكامها وولاتها وكان فيها التعدي معروف دون غيرها، وقد زاغت قلوب أهلها عن الوفاق، وأمتلآت من النفاق، حتى قيل إن اليمامة كان يسكنها خلق كثير، يُقدر ستة آلاف بيت أو أكثر، وكانت بأيام محمد بن عبد الوهاب يسكنها ثلاثمائة بيت فقط».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب. تأليف \ حسن جمال بن أحمد الريكي.

- **مجزرة أهل الطائف الرهيبة على يد الوهابيين:**

ومن أفظع الجرائم التي اقترفها الوهابيون بحق العرب والمُسلمين من أبناء الجزيرة العربية، هي تلك المجزرة الرهيبة التي سفكوا فيها الدماء الطاهرة وأبادوا فيها أغلب سكان أهل الطائف، والتي شبهها البعض بمذبحة أهالي بغداد على يد المغول، فكان الوهابيون حينها مغول عصرهم، حيث سفكوا دماء الأبرياء وهتكوا الأعراض وسرقوا الأموال ونهبوا المُمتلكات، ودمروا البيوت وداسوا على المصاحف والكتب ورموها في الشوارع، ولم يسلم منهم لا طفل رضيع ولا امرأة حامل ولا شيخ مُسن، وكانوا يقتلون المُصلين في بيوت الله وهم راكعون، وقاموا بتعرية الرجال من ملابسهم وخلطوهم مع النساء، وقتلوا الأسرى بعد أن أعطوهم الأمان الغادر، وتم نبش البيوت وحتى بيارات الصرف الصحي بحثًا عن الأموال المُخبئة والذهب!

وقد وثق تلك المذبحة الرهيبة مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام" تحت عنوان "ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية" حيث يذكر تفاصيل تلك المحرقة الوهابية قائلاً: « فخرج البويحيت على أن يأتيهم بالأمان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته وهلاكه، فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم، وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فأدركتهم الخيل وقتلوهم وما سلم منهم إلا القليل، ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عامًا واستوعبوا الكبير والصغير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وصاروا يذبحون على صدر الأم الطفل الرضيع، وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها، فيقتلونهم. فوجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن أخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعًا. ثم خرجوا إلى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها، ويقتلون الرجل في

المسجد وهو راكع أو ساجد، حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات. فويل لهم من جبار السموات، ولم يبق من أهل الطائف شرذمة قدر نيف وعشرين انحازوا لبيت الفتنى، وترسوه ومنعوه بالرصاص من أن يصلوه، وجماعة في بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم بما طال وشاغلوهم بكثرة النضال، ثم قاتلوهم في اليوم الثاني والثالث، فعلم ابن شكبان أن لا سبيل إلى هؤلاء إلا بالمكر والخديعة، فراسلهم بالأمان وقال لهم: إنكم في وجه ابن شكبان وعثمان، وأعطوهم على ذلك العهود، فكفوا عن القتال، فأدخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم: حَمْلُهُ للمشركين غير مُباح، ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الأمير فلما مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعًا، ففازوا بالشهادة، وكان قتلهم بقوز يسمى دقاق اللوز، وكان جماعة مفرقون في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين كانوا مترسين يرمونهم برصاص فأخرجوهم أيضًا بالأمان والعهود على سلامة الأرواح والرقاب دون بقية الأسباب، ثم أخرجوهم إلى وادي وجّ وتركوهم في البرد والثلج وما زالوا مكشوفي السّوأتين حتى رموا عليهم أطمارًا بالية من الكساء، وجمعوا بين الرجال والنساء، وصارت المخدرات في أسوأ الحالات، ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يومًا على الدخول في الطين (*)، فصاروا يتكففون المسلمين فيعطون السائل الحفنة من الذرة ملء الكف يقضمها، وصار العربان كل يوم يدخلون الطائف وينقلون الأموال إلى الخارج، فنهبوا النقود والعروض والأساس والفراش، ويتهافتون على ذلك تهافت الفراش، فصارت الأموال في مخيمهم كأمثال الجبال إلا الكتب فإنهم نشروها في تلك البطاح وفي الأزقة والأسواق تعصف بها الرياح، وكان فيها من المصاحف والرباع ألوف مؤلّفة ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب أحاديث الفقه والنحو وغير ذلك من بقية العلوم شيء كثير، ومكثت أيامًا يطؤونها بأرجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة ، وأخبرهم

---

(*) يُطلق الشيخ أحمد بن زيني دحلان على الدعوة الوهابية مُسمى أو مُصطلح الطين، لأنهُ يعتبرها دعوة خرجت من بيئة صحراوية طينية تجهل الشريعة الإسلامية.

**بعض شياطينهم أن عزيز الأموال مدفونة في المخابئ، فحفروا حفيرة في بعض المحال فوجدوا فيها عزيز المال مخبأ، فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها، وأخربوها من أسافلها وأعاليها، حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات، فأخربوا تلك الربوع التي كانت عامرة بالأنس والمسامرة، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وما هذه الدنيا إلاّ موعظة واستبصار لأولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا أن نعيمها زوال، وزخرفها محال أي محال، وأن القاطن فيها على جناح سفر، فليتخذها جسر ممر، ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غُصة، وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة. وبعد جمعهم تلك الأموال التي أخذوها من الطائف، أخرجوا منها الخمس للأمير، واقتسموا الباقي كما تقسم غنائم الكفار، وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد، وبقي عثمان (المضايفي) أميرًا على الطائف،وأرسلوا كتابًا إلى سعود بما صار على الطائف من القضاء الموعود، فسر بذلك غاية السرور، وكان مبرزًا بالدهناء، راكبًا على العراق بغزية له سبعة أيام عن الدرعية، فأسرع مقبلاً إلى هذه الأطراف، فالتقى بابن شكبان فأعاده معه بمن معه من العربان، فلما وصلوا إلى قرية يقال لها العييناة، وهي إلى مكة على ثلاث مراحل، أناخوا بجنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود، فبلغ الخبر جيران بيت الله الحرام، فحصل اضطراب لأهل مكة وحجاج المسلمين، وكان ذلك في شهر ذي القعدة، ومكة قد امتلأت من الحجاج من جميع الآفاق، فاشتد كربهم لاسيما لما سمعوا بما صار على أهل الطائف».**[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] **كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).**

- **مذبحة قرية الفضول في الأحساء:**

كما حدثت أيضًا مذبحة أخرى في إحدى قرى الأحساء كان أبطالها الوهابيون بقيادة الغادر سعود بن عبد العزيز وذلك بعد أن حاول أن يُباغت أهالي الأحساء وهم نيام ففشل وعجز عن مواجهة أهل المبرز، ثم سار بقواته نحو الهفوف ولم يُفلح في اختراقهم فتوجه إلى قرية صغيرة وادعة تدعى قرية الفضول ويبدو أن سكانها كانوا من الشيعة؛ كما يلمح حسين بن غنام في مخطوطته، فتم مُباغتة تلك القرية البائسة وعندما استسلم أهاليها للوهابيين تمَّ نحرهم كما تنحر الأغنام؛ حسب وصف ابن غنام، حيث قتل الوهابيون من أهالي تلك القرية ثلاثمائة رجلاً كانوا عُزلاً في أحد البيوت فأمر سعود بن عبد العزيز قواته أن تنحرهم كما تنحر الشياه، ومن ثم نهبوا أموال وحيوانات وأثاث تلك القرية المغدورة، وتلك المعلومات لم يدونها أعداء الوهابية بل سطرها المؤرخ الوهابي حسين بن غنام الذي كان فخورًا بحدوث تلك المجزرة الرهيبة ويراعه يسيل سجعًا بسبب تلك الحادثة المُريعة، فيقول:

« ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف ١٢٠٣هـ: وفيها غزا سعود أناله الله تعالى مراتب السعود فسار بالمُسلمين يُريد الأحساء، فحث السير لذلك المرام والهجوم على أولئك الأنام حتى أشرف على البلاد وظهر له منها السواد والقتام، فأناخ على المبرز حين غطى الضياء الظلام واستحكم الكرى والمنام في مقتل أولئك الأنام، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه ويبد من إظلام تقعشه وانتهاضه حتى بدت خيله وحماته وشهرت أصوات البنادق رماته، وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان مُحيطين بفريق من العتبان، فحينما نهضوا يُريدون الأصوات أجاد كثير منهم أولئك الرماة، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج بل كانوا إلى السطوح في عروج فدافعوا عن الدخول والهجوم، فلم يكن للمُسلمين عليهم إقدام بعد القدوم، ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء وجالوا مع المُسلمين ساعة ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى وأحكمه واقتضى فكره فانصرف عنهم ومرَّ بالهفوف ولم يرد عندهم وقوف ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول فأناخ عليهم وسط

النهار وشمر للحرب معهم الإزار وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم المُبطلين وأحدقت الفرسان والرماة الأبطال بقرية أهل الزيغ والشرك والضلال وغطاهم من فوقهم سحاب الهلاك وحان لهم الاستئصال والإهلاك وأمطرهم من غيم العذاب عارض فكان لنفوسهم الخبيثة قارض وراموا للمُسلمين دفعًا وظنوا أن البلد تنال بهم امتناعًا ومنعًا، فجدوا واجتهدوا كافة ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة ورفعوا أكف الدعاء والسؤال وأخلصوا التضرع والابتهال إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب فضلاً عن كونه يدفع النوائب والخطوب، فلما فرغ سعود من صلاة المسا هب له نسيم الصبا فزال عنه الأسى، ودعا ربه بحضور قلب وبال أن يحسن له العاقبة والحال ويُمكنه من هؤلاء الضُلال، فاستجاب له ربه دعوته وعجل له طلبته وأنجح له سؤله وحقق له مأموله فنهد إليهم مُسرعًا ونهض، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض، فشدوا على القرية (الفضول) الحملة فانتدبوا إلى الفرار جملة، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق لكون المُسلمين قد ملكوا عليهم كل فجٍ وطريق. فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء في البيوت والدور فنزل بهم قضاء الله المُحتم المقدور وحل بهم الأمر المشهور، فُدخل عليهم في تلك المنازل فوردوا من الحمام أمر المناهل وشربوا منه كأسًا وأنزل الله تعالى عليهم بأسًا، فقتلوا قتل النعم وسحبوا سحب البهم وكان أكثر الرجال قد وجدهم المُسلمون وهم في بيت من البيوت مجتمعون وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعًا من غير لبس وقتل غيرهم ذلك اليوم ممن اختفى من أولئك القوم، وأخذ المُسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأواني وبعض الطعام شيء له بال، وانصرف سعود إلى بلاده راجعًا، وقد كان عسكر الحساء ذلك اليوم مُقيم، فلما برزوا أراد منهم المسير إلى الفضول مع جميع أهل المبرز فأبى كل منهم وما أحرز بل أبدى الذل والرعب وأبرز ونادى على نفسه بالجبن والذلة ورضى لها بالمذلة».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

# الزبير الملاذ الآمن ( نجد الصغيرة )

▪ **الهجرات المُتتالية نحو بلد الزبير:**

يُعتبر بلد الزبير الحالي والذي يُصنف إداريًا حسب القانون العراقي على أنهُ قضاء يتبع لمحافظة البصرة، هو الواحة السُنية المُحافظة في مُحيط يغلب عليه التشيع، حيث حافظ أهل مدينة الزبير على ثقافتهم النجدية المُميزة وعلى مذهبهم الحنبلي في الغالب رغم كل الظروف الصعبة والمصائب والمحن الكثيرة التي واجهت هذا البلد المعروف والذي كان قرية صغيرة فأصبح قصبة ثم تحول إلى مدينة على مدى قرون.

وفي بلد الزبير بن العوام وما حولها يوجد هنالك عدد كبير من أضرحة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وأرضاهم، وبالقرب منه وقعت معركة الجمل المعروفة، وقد عرف بلد الزبير باسم وادي السباع قبل وقوع معركة الجمل، حيث جاء وصف المكان تاريخيًا بأنهُ وادٍ يقع غربي البصرة يُقال له وادي النساء، ثم سَمي بوادي السباع (*)، وحين دُفن فيه الصحابي الجليل الزُبير بن العوام رضي الله عنه وأرضاه في عام ٣٦هـ سُميت المنطقة باسمه.

إذن فمدينة الزبير سميت بهذا الاسم نسبة إلى الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه والمدفون في وسط المدينة، وبالقرب من قبر الزبير يقع قبر عتبة بن غزوان، وعلى مشارف الزبير يوجد قبر الصحابي طلحة بن عبيد الله وقبر أنس بن مالك، ويقع أيضًا قبر الحسن البصري في المقبرة المسماة باسمه في داخل المدينة ، وفيها كذلك دفن محمد بن سيرين؛ رضي الله عنهم

---

(*) من المتواتر عن سبب تسمية الزبير سابقًا بوادي السباع : أن أسماء بنت دريم كانت مُنفردة في خبائها، فمر بها وائل بن قاسط وقد هَم بها، فقالت والله لئن هممت لادعونَ أسبعي، فقال ما أرى في الوادي غيرك! فصاحت ببنيها، يا كلب يا ذئب يا فهد يا سرحان يا أسيد، يا سبع، يا نمر، فلبوا النداء يتعادون بالسيوف. فقال وائل : ما هذا إلا وادي السباع، فلزم الاسم في ذلك الوادي، حتى قُتل الزبير بن العوام في معركة الجمل ودُفن في هذا الوادي فحمل اسمه.

جميعًا وعموم المسلمين، كما إن وجود قبور هؤلاء الصحابة والتابعين في مدينة الزبير وحولها، جعل العثمانيين يضفون على هذا البلد الصغير صبغة دينية، ويخصون أهلها بميزات واستثناءات خاصة، مثل إعفاء أهلها من الضرائب ومن قانون الخدمة العسكرية الإلزامية، فلما سيطر العثمانيون على العراق أقاموا مسجدًا عند قبر الزبير بن العوام، ثم أقام السلطان غازي سليم الأول في رجب ٩٧٩هـ ـ ١٦٨٩م قبة في نفس المكان، ما لبث أن توافد إليها الناس يسكنون بقربها تبركًا بالضريح وطلبًا للرزق من قاصديه من العثمانيين حيث ارتبطت إمارة الزبير رسميًا بدولة الخلافة الإسلامية العثمانية وكانت تتبع دار الخلافة الإسلامية في الآستانة، وتميزت علاقة الزبير بدولة الخلافة بميزات خاصة، حيث كان للموقع الجغرافي والطابع الديني لبلد الزبير أكبر الأثر في تميز علاقة أهالي الزبير بدولة الخلافة العثمانية وتحديد معالمها.

وقد رسمت أول اتفاقية أبرمها الشيخ يحيى بن محمد بن زهير والقاضي إبراهيم بن محمد بن جديد في سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) نيابة عن أهل الزبير مع الوالي العثماني على العراق، ملامح تلك العلاقة المتميزة، حيث كانت من أهم شروط تلك الاتفاقية هو تمتع إمارة الزبير باستقلال ذاتي ضمن سلطة الدولة العثمانية، وألا تتدخل حكومة البصرة في سياسة الزبير الداخلية، وأن يُعفى أهل الزبير من الضرائب ومن أداء الخدمة العسكرية الإلزامية، وأن تقوم الدولة بتزويد إمارة الزبير بوسائل الدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات الخارجية، وإخماد الفتن الداخلية. وبموجب تلك الاتفاقية تمتعت إمارة الزبير بنوع من الاستقلالية في اتخاذ القرار الداخلي لكنها بقيت ضمن إطار دولة الخلافة الإسلامية

ويُبعد بلد الزبير عن مدينة البصرة التي تحده شرقًا حوالي الـ ١٥ كيلومتر، بينما أصبحت الآن مدينة الزبير شبه متُداخلة تقريبًا مع مُحافظة البصرة ولا يُفصلها حاليًا عن تلك المحافظة إلا جسرًا بحريًا أنشأ في الثمانينيات ميلادي

عندما شقت الدولة العراقية قناة بحرية صناعية ومن ثم أنشأت ذلك الجسر الخرساني المُعلق هو الفاصل بين الزبير والبصرة.

بينما يحد الزبير من جهة الجنوب مدينة الكويت، ويتبع لبلد الزبير إداريًا ناحية سفوان التي ذكرها الهمداني وقد اتخذتها بعض قبائل البادية موردًا للماء، وكذلك يبرز جبل سنام الذي يتبع بدوره لناحية سفوان، وأيضًا تعتبر الروضتين إلى المطلاع من ضمن أراضي بلد الزبير، قبل أن تقتطعها الكويت وتضمها إلى أراضيها - يُمكن الرجوع إلى خارطة كارستن نيبور-.

ويذكر لنا الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" اسم سفوان وكذلك يورد ذكر كاظمة التي أصبحت لاحقًا تُسمى بالكويت، حيث يقول:

« وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنَّسرين ثم انحطَّ على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبَّادان وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرِّبا ببلاد العرب منعطفًا عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقطر وعُمان والشِّحر..... الخ».[۞] - انتهى الاقتباس -

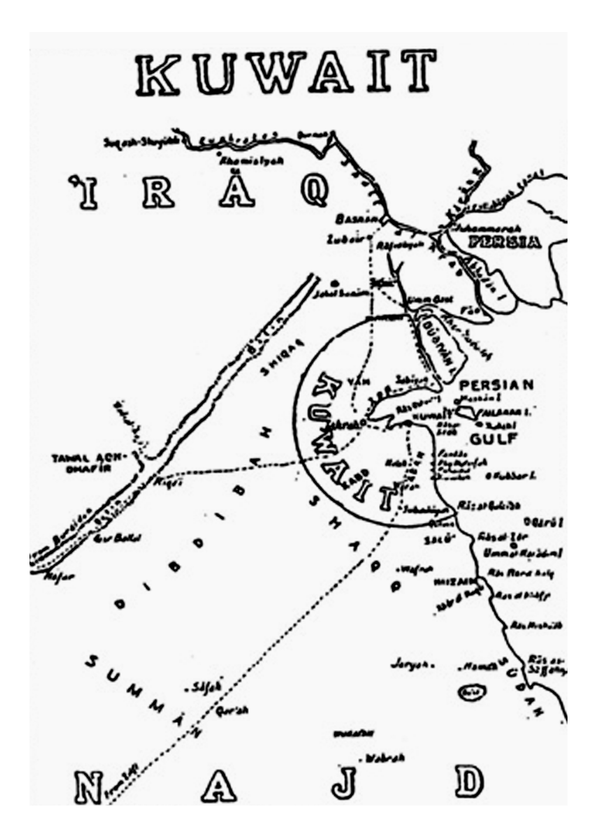
حيث كانت حدود مدينة الكويت الإدارية التي كانت أصلاً تتبع للواء البصرة، إلى حد سور الكويت الطيني، ولطالما تبرأ ابن صباح عن بعض الأحداث والمشاكل التي تقع خلف ذلك السور، بالتبرير في كل مرة أن حدوده هي في داخل السور فقط.

كما إن موقع الزبير الطبوغرافي كان له الأثر الكبير في رسم تاريخ الكويت السياسي، وما زال يُنبأ بلعب دور كبير ومؤثر على مُستقبل الكويت القادم، خصوصًا بعد استيلاء النظام الكويتي على مساحات شاسعة من أراضي بلد

[۞] كتاب : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع \
تأليف: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.

الزبير التابع جغرافيًا إلى العراق، وذلك من خلال قرارات الأمم المُتحدة الجائرة التي فُرضت بالقوة على نظام صدام حسين، مما دفعه للتنازل عن أراض عراقية لصالح النظام الكويتي في عام ١٩٩٣م، وذلك بسبب هزيمة الرئيس العراقي السابق صدام حسين أمام قوات التحالف الدولية ورضوخه لقرارات الأمم المتحدة المُجحفة والتي كان من ضمنها قرار رقم ٨٣٣ القاضي بترسيم الحدود مع العراق إلزاميًا.

وتبدو حدود الكويت في السابق عبارة عن نصف قطر دائرة من جهة البر مُقابلة لساحل الخليج العربي حيث كانت تتبع لسلطة دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، وهي بذلك تتبع إداريًا للبصرة، حيث كانت تُعتبر قضاءً وشيخها يحمل صفة قائمقام يستلم راتبه من قبل مُتصرف البصرة.




- (خارطة كارستن نيبور) -

ولو سلمنا جدلاً أنها أصبحت دولة مُستقلة فيما بعد اتفاقية سايكس بيكو سيئة الصيت، فهذا يعني أن حدوها لن تتعدى سور الكويت القديم، وما كان لها أن تبقى لولا الحماية البريطانية التي وسعت من حدودها أضعاف مُضاعفة حتى ضمت مناطق كبيرة من أراضي العراق التابعة لمدينة الزبير، وكذلك استحوذت على أراض من إقليم نجد في بلاد الحرمين الشريفين.

حيث تقع مدينة الزبير على أطراف البادية، وقد أثرت الصحراء في طباع أهلها وأعرافهم، ولكن الزبير لم تكن بمنأى عن مدينة البصرة حيث توجد سلطة الدولة العثمانية ونظمها وتشريعاتها، لذا نرى الزبيريين يلجئون مرة للبادية وعشائرها، ومرة أخرى يستندون إلى الدولة العثمانية وسلطتها، والزبير عند طرف الخليج وعلى صلة ببلدان الساحل عن طريق ميناء الخوير، وكما أن لبلدة الزبير دورًا كبيرًا في تاريخ نجد وعلاقة تواصل مع قائم مقام الكويت وبلدات الأحساء.

حيث كانت الزبير على الدوام ملاذًا آمنًا لمن يقصدها ومأوى حصين لمن يحتمي بها، فعندما تعصف الفتن والصراعات بنجد أو تقسو الظروف على أهلها وتشح المياه وتجدب الأرض وتعم الفوضى أو عندما تحل نوبات الوباء أو موجات القحط، يتجه أبناء نجد نحو الشمال الشرقي في هجرات جماعية وفردية ناشدين متسعًا من رغد العيش وباحثين عن الأمان وكسب الرزق في الزبير وبقية مناطق العراق، وقد كانت الهجرة من نجد إلى الزبير قديمة ومُتجددة، فالزبير هي بوابة نجد على العراق، وقد وجد أهل نجد المُبعدين "المَجليين" عنها قسرًا وبالقوة فرصة للإقامة في الزبير دون خوف أو قلق، فبلد الزبير كان يتوسط الطريق ما بين صحراء نجد وبداية الولوج لأرض السواد العراقية، فقد كانت طريق ومحطة للقوافل التجارية التي تعبرها من الأحساء إلى الشام، وقد كان لأصوات رغاء الإبل الأثر النفسي الكبير على نفوس وأفئدة النجديين الذين يقطنون بلد الزبير، فهي تؤنسهم وتعيد لهم ذكريات البيئة النجدية البدوية التي أجبروا للنزوح عنها.

حيث انتقلت عدة عوائل بدوية وأسر نجدية إلى الزبير سواء كانوا من أبناء الحاضرة أو حتى من أعراب البادية، وقد اتخذوا من مدينة الزبير ملاذًا آمنًا ونجدًا صغيرة وبديلة عن مواطنهم الأصلية، وجعلوا منها إمارة حية ونشطة ترفل بالحياة والحركة، حيث نقلوا إليها كل ما في نجد من عادات وتقاليد وسلوم، حتى عادات التنافس والصراع على السلطة ورئاسة البلد، فقد انتقلت معهم إلى الزبير، فتنافست عدة أسر نجدية في الأصل على إمارة الزبير، وأحيانًا يُخرج من نفس العائلة الواحدة أفراد عدة يتنافسون على الزعامة، وقد حافظ أهل نجد في الزبير على مآثرهم وعاداتهم وتقاليدهم وتوارثوها أبًا عن جد، حتى أن بعض تلك العادات والتقاليد كانت قد انقرضت في البلد الأم -نجد- ولكنها بقيت ثابتة وراسخة ومتوارثة في بلد الزبير، كما بقيت اللهجات النجدية متداولة وإن شابها بعض اللحن والتهجين وذلك من خلال التعايش مع المُحيط العراقي فأعطتها حلاوة وتميز أيضًا.

أما من الناحية الأدبية فقد كانت الزبير منارة للعلم والفقه والأدب والثقافة، حيث كانت تعج بكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، حتى أن البعض قد أطلق عليها لقب الشام الصغيرة لكثرة ما فيها من علماء وأدباء وشعراء ومثقفين. ومن أشهر الشعراء النبطيين الذين عاشوا في الزبير هو الشاعر الشعبي المعروف محمد بن حمد بن لعبون، ومن أبرز الشعراء الذين عاصروه في تلك الفترة بالزبير واضطلع بدور كبير في حياته الشعرية الشاعر النبطي عبد الله بن ربيعة الذي كان صديقًا ونديمًا لابن لعبون، حيث تبادلا معًا الإخوانيات حينًا والهجاء حينًا أخر، وهذا ما جعل بعض الأدباء يقول عنهما إنهما كانا في تنافس وسجال شديد، وربما أعاد تاريخ الأدب العربي فيهما ما كان بين جرير والفرزدق، لكن من خلال الشعر النبطي، فقد أثر كل منهما في شعر الآخر. وعرفت الزبير كذلك عددًا من الشعراء المعروفين مثل حميدان الشويعر والشيخ محمد بن غنيم، وسالم الحميد، وابن عباد، وابن

جمهور، وابن ماضي، وحمد ابن فواز، وابن حميان، وابن رماح، وابن شارخ، ومشاري السعدون، وأيضًا حدث سجال شعري بين عبد الله بن ربيعة وبين مشاري السعدون.

كما عُرف عن أهالي الزبير النشاط التجاري والعمل الدءوب، وقد نبغ وتنفذ عدد كبير من الزبارى حيث تملكوا الكثير من الأملاك وبساتين النخيل في البصرة، فكانت مصدر ثراء لهم ومتنفسًا ومتنزهًا. ومع ما لبساتين النخيل والفواكه والخضروات والأنهار الجارية في البصرة من أثر يُغري النفوس بالاستقرار بها، لاسيما لأولئك القادمين من قلب جزيرة العرب القاحلة الجرداء، ومع هذا فقد وقفت تلك العوائل النجدية وقفة تصميم وإرادة أمام تلك المغريات، وقررت الاستقرار بمدينة الزبير المعزولة والشبه صحراوية، ونظرًا لبيئة بلد الزبير الصحراوية فقد برع أهالي الزبير في إنشاء المزارع المفتوحة في الصحاري عن طريق حفر آبار، فأبدعوا في زراعة الطماطم والبطيخ والخضروات والبرسيم أيضًا وأحيوا تلك الأراضي الصحراوية القاحلة غير المُستزرعة على جهة سفوان، فباتوا هم الممولين للخضرة لأغلب مناطق جنوب العراق.

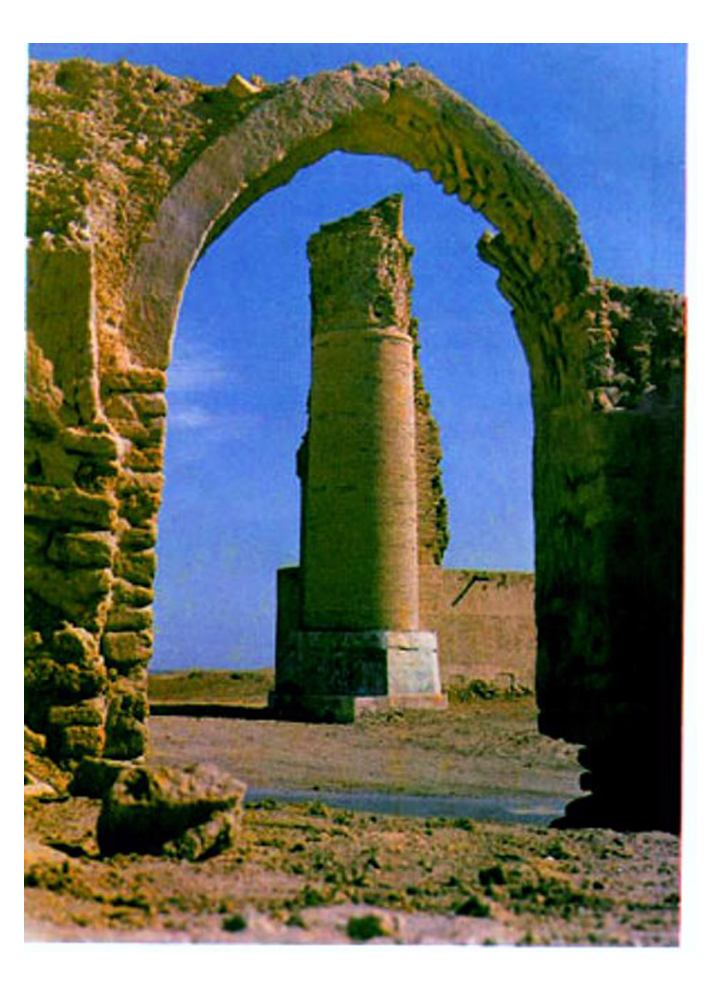
فجعلوا من الزبير إمارة حية وجاذبة لأهالي نجد تحديدًا، فنقلت إليها كل ما حملته تلك العوائل معها من جد واجتهاد ومن عادات وتقاليد وطرق معيشة، فكانت الزبير هي بمثابة «نجد الصغيرة»، يفصلها عما حولها سور يكتنف هذا المجتمع النجدي بكل جزئياته، فعندما نزحت حمائل من نجد متجهة شمالاً إلى العراق حيث الأنهار والخيرات، ظلت متمسكة بعاداتها وتقاليدها النجدية، فأبت الانصهار في المجتمعات الأخرى.

كما كان بلد الزبير ملاذًا آمنًا لكل النجديين المطاردين والهاربين سواء من أنظمة الحكم أو من الأفراد، فعندما يفر أفراد أو تُجلى عوائل بأكملها من بلدانها سواء كانوا مُعارضين لتعاليم الوهابية أو فروا خوفًا من الثأر وخشية

من الانتقام أو هربًا من التنكيل والبحث عن مكان آمن يؤيهم، فإنهم يجدون في بلد الزبير ملاذًا آمنًا وبلدًا بديلاً وادعًا.

حيث يذكر لنا المؤلف عبد العزيز عبد الغني عن بداية تكوين بلد الزبير في كتابه الموسوم "نجديون وراء الحدود" قائلاً :

« كان نمو الزبير بطيئًا أول الأمر حيث لم تكن حتى نهاية النصف الأول من نهاية القرن الثامن عشر الميلادي إلا قرية مغمورة تأوي بعض النازحين إليها لخدمة ضريح الزبير، أو المُستقرين فيها لخدمة القوافل العابرة، أو الفارين من



ـ بقايا لجامع البصرة القديمة في مدخل بلدة الزبير ـ

الاضطرابات التي تحدث عادةً في الأسر الحاكمة في الإمارات النجدية. وقد وصف جون كارمايكل الزبير في ١١٦٤هـ-١٧٥١م، بأنها قرية بائسة مُشكلة من عدد من الأكواخ التي يعمرها حوالي الستمائة إلى السبعمائة فرد. ويزيد كاماريكل في وصفها فيقول : إنها إمارة قذرة مُتسخة........ الخ.

ثم يقول : ثم يتبدل حال الزبير فجأة ويسطع نجمه بسبب ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب، حيث يُشير نيبور : فإن الكثير من النجديين الذين لم يتفهموا الدعوة الوهابية ولم يتقبلوها، نزحوا إلى الزبير التي كانت نجعًا صغيرًا "وحين أمها هؤلاء المُهاجرون عملوا على إعمارها فأصبحت الآن مدينة كبيرة" وتؤكد الوثائق المصرية هذه الحقيقة حيث جاء في بعضها عن الزبير بأنها "مُخصصة لأهالي نجد، لأجل أنه صار بنيانها من مادة السامور، فكان الذي لم يقبل دين الوهابي فسيتوجه ويمكث بالزبير ولذلك أكثر أهالي الزبير موجود لهم أقارب وعيال بنجد والزبير ودايم الأوقاف واردين ومُترددين لتلك الأطراف". وقد تأثرت الزبير بكل أمر تأثرت به نجد، وشاركت قبل دعوة محمد بن عبد الوهاب وبعدها في كل الأحداث النجدية. فحين خرج محمد بن عبد الوهاب طريدًا من البصرة قبل بدء أمره وإعلان دعوته في نجد استقبلته الزبير وأكرمته. وحينما قامت دولة الدعوة الوهابية استقبلت الزبير أيضًا المُخاصمين لها وعمرت بهم، وحين حارب العثمانيون الدعوة الوهابية اشترك الزبيريون من أهل نجد في تلك الحروب في الجانب الدولة العثمانية، وقد بنت بلدة الزبير سورًا لتحمي به ضريح الزبير من هجمات دولة آل سعود الوهابية. وحصلت الزبير على امتيازات وإعفاءات من الحكام العثمانيين، حتى وقف أهلها قلبًا وقالبًا ضد السعوديين الذين أخذوا يناهضون تلك الدولة ويمدون حدودهم إلى عمق أراضيها. فأصبح من سياسة الولاة العثمانيين في العراق تشجيع استقرار العشائر والجماعات النجدية على أطراف العراق، وذلك لأنهم أكثر مقدرة على فهم أساليب أبناء منطقتهم في القتال، وأقدر على مقاومة إستراتيجيتهم. وقد استخدم سليمان باشا الكبير عام١١٩٣-١٢١٧هـ/

١٧٧٩ـ ١٨٠٢م هذه السياسة بنجاح، وذلك حين جلب بعض العشائر النجدية وحرضها على القيام بهجمات مُضادة على قوات الدرعية على نفس الأسس الإستراتيجية التي تعتمد عليها العشائر النجدية التابعة لها........ الخ.
أما الدولة السعودية الوسطى التي لم تجاهر الدولة العثمانية بالعداء، فقد وجدت غالبًا من أهل الزبير السند والدعم». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

إذن لم يجد هؤلاء النجديون الفارون من جور آل سعود وبطش الوهابية في العراق العثماني، إلا كل الترحيب والاحترام والتكريم، وقد استفادت الدولة العثمانية هي الأخرى من نشاطاتهم في الخدمة العسكرية ـ الجندية ـ وكذلك في التجارة، ويشهد على ذلك الرحالة نيبور أن الزبير باتت بفضل جهد ونشاط هؤلاء النجديين بلدة مشهورة ذات شأن بعد أن كانت قرية مغمورة تقع على حدود البصرة.

تلك هي الزبير الرحبة التي فتحت ذراعيها للنجديين الفارين من بطش الحركة الوهابية، وهي نفس الزبير التي تعلق بها قلب الشاعر النبطي الشهير ابن لعبون، والتي هام بأطلالها وتوجد كثيرًا وهو يتذكر أحبته فيها، وظل يتغنى بها حتى وفاته، فقد وصل ابن لعبون إلى الزبير عام ١٢٢٢هـ وعاش فيها أحلى سنوات عمره ، وخرج منها في عام ١٢٤٢هـ . وهي نفسها الزبير التي آوت ذلك الغادر حفيد مرخان بعد أن قام بقتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان، وفر هاربًا ثم لجأ إلى الزبير، حيث آوت الزبير المدعو وطبان بن ربيعة بن مرخان الذي أصبح جدًا لأسرة آل ثاقب المرخانية في الزبير، وهو أحد أبناء عمومة آل سعود الأقارب، والذي يلتقي معهم في الجد مرخان.

وقد كان لآل ثاقب دور خبيث في الزبير، سبق وأن تمَّ ذكره بين طيات هذا الكتاب، وهم من ذرية وطبان ابن مرخان، وكان لهم دور كبير في زرع الشقاق وتأجيج الفتن وإشعال الصراع وتحريض شيوخ المنتفق بزعامة راشد

---

۞ كتاب : نجديون وراء الحدود \ تأليف: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم.

بن ثامر السعدون على خصمهم الشيخ يوسف الزهير الذي كان يترأس إمارة الزبير، وذلك لغرض التخلص من يوسف الزهير والاستئثار بالإمارة.
حيث وفد يحيى بن سليمان بن محمد بن زهير مع ولديه يوسف وسليمان من نجد إلى الزبير في عام ١١٦٠هـ وكان ليحيى هذا وذريته شأن كبير في صياغة تاريخ الزبير، خصوصًا ولده الشيخ يوسف الزهير الذي كان كريمًا ذو خلق وأدب، فتآمر عليه ابن ثاقب وحرض عليه راشد بن ثامر السعدون، وقد مات يوسف مريضًا ومقهورًا في البصرة، ويُشك أنهُ تمَّ تسميمه من قبل راشد السعدون.

كما استقبلت الزبير أفواجًا كبيرة من النازحين والفارين بجلودهم من نجد عقب كل موجة من موجات الجفاف والجدب أو قدوم بعض الأمراض والأوبئة المُعدية والمُميتة، وما أكثر تلك الموجات التي عصفت بنجد سواء في فترات الجوع أو ألأمراض والأوبئة، وقد أطلق الناس على أهم سنين الجفاف والقحط أسماء غريبة تميزها عن بعضها الآخر، ومنها عام بلادان وهبدان وصلهام وسحدان وسحي وشيتة وسوقة ودولاب وغيرها.

حيث يذكر لنا المؤرخ النجدي عثمان بن بشر والذي عاش أحفاده هو الآخر فيما بعد في الزبير، عن بعض تلك الهجرات القسرية سواء بسبب الغلاء والجوع أو بسبب الأمراض والأوبئة، حيث يقول:
«(ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف ١١٨١هـ). هذه السنة هي أول القحط المعروف والمشهور بسوقه، (حيث) غارت فيها الآبار وغلت الأسعار ومات كثير من الناس جوعًا ومرضًا وجلا أكثر الناس في هذه السنة والتي تليها إلى الزبير والبصرة والكويت وغيرهم».[۞] -انتهى الاقتباس-
أما المؤرخ النجدي إبراهيم بن صالح بن عيسى فيقول في حوادث ١١٣٥هـ - ١٧٢٣م: «وهذه السنة مبتدأ القحط والغلاء والعظيم المُسمى سحي.. ثم يقول

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

عن حوادث التي تليها: وغارت الآبار وجلوا أهل سدير للزبير والبصرة والكويت، ولم يبقى في العطار إلا ركيتان فيهما ماء، وكذلك بلد العودة لم يبق فيها ماء، وجلا كثير من أهل نجد إلى العراق والحسا في هذه السنة والتي بعدها. وهلك كثير من بوادي حرب والعمارات من عنزة وبني خالد وغيرهم.... الخ وفي عام ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م يقول ابن عيسى: إن الغلاء قد اشتد في نجد في تلك السنة، وأكلت الميتات وجيف الحمير ومات كثير من الناس جوعًا في هذه السنة وفي السنة التي قبلها، وجلا كثير من أهل نجد للحسا والزبير والبصرة والكويت».[۞] - انتهى الاقتباس -

كما لم تسلم الزبير نفسها من تلك الأوبئة المُعدية والأمراض المُميتة مثلها مثل بقية مناطق العراق من وقوع أوبئة قاتلة كالطاعون، ولا يُستبعد أن يكون بعض النازحين كانوا ينقلون عدوى تلك الأمراض دون قصد أو تعمد، حيث يذكر ابن بشر أيضًا: « (ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف ١١٨٧هـ)... وفي هذه السنة وقع الطاعون العظيم في بغداد والبصرة ونواحيهما ولم يبق من أهل البصرة ونواحيها إلا القليل وذكروا أنهُ مات فيه منهم ثلثمائة وخمسون ألفًا، ومات من أهل الزبير نحو ستة آلاف.........

إلى أن يقول في مكان آخر: ( ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٧هـ)... وفي هذه السنة وقع الطاعون العظيم الذي عم العراق والسواد والمجرة وسوق الشيوخ والبصرة والزبير والكويت وما حولها، وليس هذا مثل الوباء الذي قبله المُسمى العقاص بل هذا هو الطاعون المُعتاد نعوذ بالله من غضبه وعقابه، وحل بهم الفناء العظيم الذي انقطع منه قبائل وحمائل وخلت من أهلها منازل وإذا ودخل في بيت لم يخرج منه وفيه عين تطرف وجثى الناس في بيوتهم لا يجدون من يدفنهم وأموالهم عندهم ليس لها والي وأنتنت البلدان من جيف الإنسان وبقيت الدواب والأنعام سائبة في البلدان

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر – المخطوطة الأصلية\ تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

ليس عندها من يعلفها ويسقيها حتى مات أكثرها ومات بعض الأطفال عطشًا وجوعًا وخرَّ أكثرهم في المساجد صريعًا لأن أهاليهم إذا أحسوا بالألم رموهم في المساجد رجاء أن يأتيهم من ينقذهم فيموتون فيها لأنهُ لا يُقام فيها جماعة. وبقيت البلدان خالية لا يأتي إليها أحد وفيها من الأموال ما لا يُحصى عده إلا الله تعالى. فلما كان في النصف من ذي الحجة من السنة المذكورة ارتفع الوباء بإذن الله تعالى واجتمع أناس من بقية الهاربين وأكثرهم من الصلبة وهتيم فدخلوا الزبير وأطراف البصرة ونهبوا من الأموال ما لا يُحصى وليس لهم صاد ولا راد، ثم تراجع بعد ذلك في البلدان من كان مُسافر أو حاجًا ومن كان قد برئ ومن كان سالمًا وهم القليل فضبطوا بلدانهم وحموها من صليب وإخوانهم. فلما علم بذلك أهل نجد وكان أكثر من في تلك البلدان أرحامًا لهم وأصهارًا سافروا إليها وأخذوا ما وجدوا من تراثهم وتفرقت أموالهم في يد الوارث وغير الوارث، كما قيل مصائب قوم عند قوم فوائدُ. وفي هذا الطاعون مات علي بن يوسف آل زهير رئيس الزبير وكان أخر من مات ولم يمت أحد بعده». [۞] - انتهى الاقتباس -

كما استقبلت الزبير نوعًا آخر من فئات النازحين: وهم أولئك المرّحلون أو اللاجئون سياسيًا، إن صح التعبير، المسمون بـ(الجلوية) أي الذين تمَّ جلاؤهم غصبًا وقسرًا عن بلدانهم، وذلك نتيجة للأحداث السياسية والحروب الدينية وكثرة الصراعات الداخلية في نجد، حيث نزحت عوائل شتى سواء برضاها أو رغمًا عنها، حيث انتقلت عوائل نجدية كثيرة بسبب البطش الوهابي لتستقر في الزبير، وعملت مع من سبقها في بناء مجتمع نجدي خاص بها في تلك البلدة العراقية المُميزة عن محيطها.

فبعد تلك الهجرات النجدية السابقة والتي كانت دوافعها مادية ومعيشية صرفة، سواء كان لأسباب اقتصادية بسبب إنحباس الأمطار والجفاف والغلاء

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

أو لطلب الرزق وأحيانًا هروبًا من بعض الأوبئة المُميتة التي كانت مُنتشرة بشكل كبير في مناطق نجد بسبب تفشي العدوى والجهل بالوقاية وانعدام الرعاية الصحية.

ثم ظهرت هنالك موجات من الهجرات القسرية المُتتابعة، والتي يُمكن أن نطلق عليها مُسمى الهجرات السياسية والتي كانت تتم لأسباب سياسية ودينية قسرية، بسبب ظهور الحركة الوهابية في نجد، واتخاذها لأساليب التصفية الجسدية والبطش بالخصوم، وشنها الحروب الدموية والترحيل القسري الذي كانت تمارسه على أبناء نجد الرافضين للانطواء تحت رايتها. وكانت أولى تلك الهجرات القسرية قد قدمت إلى الزبير من بلدة حرمه، حيث أجليت بعض العوائل التي أخرجت من حَرْمَة قسرًا في سنة ١١٩٣هـ، بعد أن تمَّ طردهم عنوةً منها وقطع نخيلهم وهدم بيوتهم ومصادرة أملاكهم، فوجدوا في الزبير ملاذًا آمنًا وبلدًا بديلاً ومستقرًا بنوا لهم فيه نجدًا آخر.



ـ مسجد الذكير في الزبير بُني عام ١٩٢٢م ـ

حيث أجلى الوهابيون عددًا كبيرًا من أهالي بلدة حرمة التابعة لسدير، وكذلك فعلوا مع أهل حريملاء التابعة للوشم، حيث نزلت أغلب تلك الأسر المُهجرة في بلدة الزبير هربًا من بطش الوهابيين، وقد سكنوا في البداية في بيوت من القصب، وكانت الرئاسة فيهم لـ يحيى بن زهير.

وبعد أن استقر ابن الزهير في الزبير فترة وجيزة، سافر بعدها إلى بغداد وطلب من الدولة العثمانية أن تدعمه وتعينه ماديًا وتساعده عسكريًا، وقد وجد ابن الزهير القبول والدعم المالي والمعنوي من قبل دولة الخلافة العثمانية، فقام ببناء سور كبير حول الزبير، كما منحته الدولة العثمانية ما يحتاجه من السلاح وبعض المدافع ليجعل بعضها فوق سور البلدة، وأخرى يُساهم بها في رد الهجمات الوهابية، ويحمي بها الزبير من الغزوات والاعتداءات السعودية المُتكررة.

وقد رتبت كذلك الدولة العثمانية لأهل الزبير رواتب عبارة عن معاشات كافية كل حسب مرتبته وأفراد أسرته، وهكذا نجحت الدولة العثمانية في استقطاب المُهاجرين والمُهجرين النجديين لتقيم بهم مركزًا أمنيًا مُتقدمًا ضد هجمات الوهابيين، وربما كان من أشهر تلك العوائل السابقة في الهجرة إلى الزبير هي أسرة العون والعودة واللعبون من آل مدلج والعبد الكريم (المعمر) والسميط والعقيل والعنيزي والفداغ والقرطاس وغيرهم كُثر.

حيث يذكر لنا المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر عن عملية ترحيل وتهجير أهالي حرمه من قبل سعود بن عبد العزيز، وذلك بأمر صارم صدر له من قبل والده عبد العزيز بن محمد الذي كان يرى فيهم أعداء وخونة، ومتآمرين وأنهم من ناقضي العهود والوعود وعليه تدميرهم حيث يذكر ابن بشر قائلاً:
« ( ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف ١١٩٣هـ) وفيها تواعد أهل حرمة وأهل الزلفي وسعدون بن عريعر رئيس الأحساء وبني خالد أنهم يسطون في بلد المجمعة لأنهم قد أهمهم أمرها، وكان فيها مرابطة

وضباط من جهة عبد العزيز، وتحقق عند هؤلاء أنهم يأخذون المجمعة ويضبطوها، لم يكن لأهل حرمة في بلدهم قرار فسار أهل حرمة على المجمعة وأمسكوا بروج النخيل ثم قدموا عليهم أهل الزلفي بشوكتهم، ثم قدم سعدون بالجموع العظيمة من بني خالد وغيرهم. فاجتمع الجميع ونزلوا وسط النخيل واحتصن أهل المجمعة ومن عندهم من الأعوان في قلعة البلد، وبنوا أبوابها بالطين وسدوها، وأقاموا عدة أيام محاصرين لها ويقطعون في النخيل وترعى سوارحهم من الإبل والأغنام في الزروع. فلما ضاق على أهل البلد الأمر وهموا بالمصالحة أرسلوا إلى سعدون وطلبوا المهلة والانظار يومين، وإنما يرجون المدد من جهة عبد العزيز. وكان حسن بن مشاري بن سعود في بلد جلاجل ومعه قوم كثير من أهل العارض والمحمل وسدير. وكان يدير رأيه في مدد لأهل المجمعة، فيسر الله أنهُ يجهز إليهم سرية بالليل وساروا إليها مُخاطرين بأنفسهم، لأن الجموع من البادي والحاضر مُستديرة على البلد. فسارت السرية ليلاً وتخللوا الجموع وأعمى الله عنهم الأبصار، فوصلوا إلى جدار القلعة فألقوا إليهم بالحبال وصعدوا بها وكان ذلك وقت الفجر ولم ينلهم مكروه، فلما علم سعدون ومن يتبعه بهذا الأمر تحققا أنهم ممتنعون، وقد كانت ضاقت صدور الوادي من الحصار ومن حبسهم مواشيهم فرحلوا عن المجمعة منصرفين ورجع أهل الزلفي إلى بلادهم، فاستقر الحرب بين أهل المجمعة وأهل حرمة، وكانوا أهل المجمعة قبل الحصار قد أقاموا شهرًا أو نصف يُعادون أهل حرمة بالحرب ويراوحونهم فلما انفضت تلك الجموع، جهز عبد العزيز واستفزع معه البلدان وساروا مشاة وركبانا ونزل على بلد حرمة أيضًا وحاصرها أشد الحصار وملكوا أكثر نخيلها وقطعوا شيئًا منها وأقاموا عليها عدة أيام كل يوم يباكرون أهلها بالقتال ويراوحونهم حتى وصلوا إلى جدار القلعة وحصروهم فيها، فلما اشتد الحصار على أهل حرمة أوقع الله في قلوبهم الرعب فأرسلوا إلى سعود وطلبوا منه المُصالحة فأبى عليهم إلا أن يجعل نخيلها بيت مال وأن يزيل ما في البلد من المحذور من الرجال. فصالحه

أهلها على ما في بطن الحلة من الأنفس والأموال. فلما استقر الصلح كتب سعود إلى أبيه عبد العزيز أخبره بذلك، فكتب إليه عبد العزيز، أن أهل هذه القرية تكرر منهم نقض العهد وهي محذورة كلها فدمرها واهدمها. فأمر سعود بهدم أسوارها وبعضًا من بيوتها وأمر أيضًا على أناس من أهلها ممن أثار الشر على المُسلمين أن يرتحلوا عنها. فارتحل كثير ونزلوا المجمعة وكثير منهم نزل بلد الزبير». ۞ -انتهى الاقتباس-

ولم تقتصر عمليات الهروب والهجرة القسرية واللجوء السياسي للزبير من قبل أهالي نجد المُعارضين للوهابية ولآل سعود فقط، بل دارت الدوائر على بعض الوهابيين أنفسهم وذلك بعد سقوط الدرعية، فقد هرب قسم من هؤلاء إلى الزبير للبحث عن الأمن والأمان، حيث فرَّ الكثير من النجديين الوهابيين الموالين للسعوديين من وجه القائد المصري إبراهيم باشا وقصدوا بلدة الزبير ومدينة البصرة، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم ممن سبقوهم خصوصًا أولئك الذين أُجلوا رغمًا عنهم من قبل إلى تلك المناطق حينما عارضوا وتصدوا للوهابية، فسبحان كيف دارت عليهم الدوائر.

وهذا السرد التاريخي هو رد قاصم وجلي وواضح على ذلك الأفاق السعودي الكاذب المدعو خالد بن فيصل بن عبد العزيز آل سعود، الذي تبرأ من العرب والعروبة وعيرهم في قصيدته، وأدعى أنهم لم يساعدوا أهل نجد ولم يقفوا معهم أيام الجوع والفقر والأمراض، وزعم أنهم لم يتعرفوا عليه وعلى أشكاله إلا بعد أن ظهر البترول في السعودية فأصبح آل سعود في بحبوحة ورغد من العيش، فبات العرب يحسدونهم على تلك النعمة!!

بينما الوقائع والحوادث التي وردت في كتب حسين بن غنام وعثمان بن بشر وابن لعبون وابن عيسى تُثبت عكس ما ادعاه وزعمه هذا الأفاق خالد الفيصل من نكران جميل وبخس للمعروف، فالعراق والشام وحتى مصر، كانت ملجئًا

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

آمنًا للهاربين والمجليين من نجد، وأولهم كان أحد أبناء عمومته المدعو (وطبان بن مرخان)، حيث كانت بلدة الزبير حظنًا مفتوحًا له ولكل فار ومطلوب للثأر أو لأتباع الوهابية، وقد تمَّ استقبالهم جميعًا في الزبير الرحبة بكل احترام وترحيب رغم جرم جدهم المعروف.

بل إن نكران الجميل وتجاهل المعروف لا يتوقف على أسرة آل سعود وحدهم فقط، بل يشمل شيخهم وصاحب دعوتهم الموتور محمد بن عبد الوهاب الذي سبق وأن استقبله أهل الزبير بالترحاب فأكرموا وفادته وقاموا بواجبه ومن ثم دفعوا له أجرة راحلته إلى حريملاء، وذلك حينما جاءهم فارًا بجلده من البصرة لا يلوي على شيء، حيث كاد محمد بن عبد الوهاب أن يهلك في الطريق من العطش والخوف، فلقيه رجل على طريق البصرة – الزبير، وكان يعمل مكاريًا وهو من أهل الزبير ويُدعى أبا حميدان، فسقاه وحمله على دابته حتى وصل به إلى بلد الزبير، فلقيه أهلها بالترحاب والتكريم ومن ثم دفعوا له أجر راحلته ليعود إلى دياره سالمًا مُعافى، ولكن ناكر الجميل والمعروف هذا قد جزاهم جزاء سنمار لاحقًا، حيث حشد عليهم عدة حملات دموية غادرة بقيادة عبد العزيز وولده سعود، وكأن محمد بن عبد الوهاب يلوم أهل الزبير على كرمهم وعلى حسن معاملتهم له!!.

وعلى عكس ذلك النجدي الجاحد الموتور نرى موقفًا مشرفًا لأحد شيوخ الحنابلة من أهل الزبير مع أحد خصومه الوهابيين الذي سبق وأن هجاه وكفَّره، وذلك حينما دارت الدوائر على ذلك الوهابي المُكفر فساقته أقداره إلى الزبير بلد الشيخ الذي هجاه سابقًا لصالح محمد بن عبد الوهاب، وكيف عامله قاضي الزبير الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديد بسمو أخلاق وكرم وأريحية ورفق، وتلك لعمري هي أخلاق الفقهاء وسمات شيوخ الدين الربانيين، حيث يذكر لنا مفتي الحنابلة في مكة المكرمة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد في كتابه "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة" موقفًا كريمًا ومتعاليًا عن الأحقاد

والضغائن لقاضي الزبير الشيخ إبراهيم بن ناصر بن جديد الزبيري، فيقول عنه : « ٣٣- إبراهيم بن ناصر بن جديد الزبيري: ....... وبعد أن قضى وطره من الشام قدم الأحساء للأخذ عن علامتها العلم المفرد الشيخ محمد بن فيروز، فقرأ عليه في فنون عديدة واستجازه فأجازه سنة ١١٩٥هـ، ثم رجع إلى بلده الزبير فتلقاه أهلها خاصهم وعامهم بالإكرام التام والتبجيل والاحترام وصار إليه المرجع في أمور الدين وطلبوا منه أن يتولى القضاء فأبى، فلم يزالوا به حتى ولي بغير معلوم ولا خدم وصار خطيب الجامع وواعظه الذي تذرف منه المدامع ومُدرس الفقه ومُفتيه ومُسدي المعروف ومؤتيه، وكان في الفقه ماهرًا وفي الزهد والتُقى باهرًا متواضعًا جدًا سخيًا طلق الكف ولو بالدَين لا يدخر شيئًا قل أو جل، وعلى كثرة ما يأتيه (من مال) كان يحتاج لكثرة ما عود الفقراء والطلبة والواردين من الإحسان، وكان يُباشر خدمة بيته وأضيافه بنفسه، أخبرني شيخنا التقي النقي الشيخ محمد الهديبي وكان من أخص تلامذته، أنهُ إذا أتاه زائر؟ قام بنفسه وأخرج له تمرًا من (قوصرة) كانت عنده بيده....... الخ. وأخبرني من لا يعتمد، أنهُ دخل عليه شخص في هيئة بدوي، فتلطف به الشيخ (إبراهيم) واحتفل به إلى الغاية، فلما خرج (البدوي) ذاكرنا الشيخ في حقه كالمنكرين لفعله هذا مع بدوي! فقال : هذا من رفقائنا في الطلب على شيخنا الشيخ محمد بن فيروز، وكان هذا يحفظ صحيح البخاري وهو من أمراء الأحساء آل حميد، فلما هربوا من (بطش) سعود هرب معهم وسكن معهم البادية، كذا أخبر والله أعلم، وكان لا يُخالط الناس إلا لضرورة أو كالضرورة، وقل أن يرى إلا تاليًا أو مُدرسًا أو مذاكرًا أو يحكي حكايات الصالحين أو أحوال رحلته ونشأته في الطلب لتنشيط همم الطلبة، ومما يُشاع عن حلمه أن بعض أهل نجد هجاه وكفره وأطلق لسانه بالقول الشنيع فيه لكونه أنكر على ابن عبد الوهاب، والهاجي موافق له، فاتفق أن ذلك الهاجي تصعلك وافتقر ونسي ما جرى فسافر إلى بلد الزبير والشيخ المترجم (إبراهيم) إذ ذاك عينها الباصرة وكلمته مقبولة عند البادية

**والحاضرة، فعندما سمع بوصول الهاجي؛ أرسل إليه بكسوة ودراهم وقال: هذه بمقابلة هديتك التي أهديت لنا تلك السنة، وأرسل إلى الأمير أن لا يتعرض له أحد بسوء».[۞] - انتهى الاقتباس -**

---

[۞] كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

- **غزوة سعود بن عبد العزيز لبلد الزبير في عيد الأضحى وهدم قصر الدريهمية!**

ذكرت سابقًا أن عبد العزيز بن محمد قُتل اغتيالاً من قِبل درويش كردي بسبب قيامه وولده بشن هجمات دموية ضد كربلاء والنجف والسماوة والزبير وغيرها من مناطق العراق المُتاخمة لبادية شبه جزيرة العرب، وربما تكرار تلك الاعتداءات دفع الباب العالي في اسطنبول ووالي العراق في بغداد للتخلص من عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولا يُستبعد أنهم قاموا أيضًا بإرسال ذلك الكردي الانتحاري للتخلص من رأس الفتنة، أو أن العملية تمت باجتهاد شخصي من قبل الكردي الدرويش عثمان، لكننا لاحظنا لاحقًا أن الباب العالي تحرك علنيًا للتخلص من حاكم الدرعية فأرسل الكيخيا علي ليقضي عليه، ولولا خيانة بكوات بغداد وتآمر ابن ثاقب الصريح لربما انتهى أمر سعود وجيشه في تلك المعركة، إلا أن خيانة وتخاذل هؤلاء أطال في حكم آل سعود لبعض الوقت، حتى تمَّ الإيعاز لمحمد علي باشا والي مصر من قبل الباب العالي للتخلص من رجس الوهابية والقضاء على رأس الفتنة السعودية وهذا ما تمَّ فعلاً.

أما ما يخص الزبير فقد تعرضت لعدة هجمات دموية من قبل شراذم الوهابيين، فأحيانًا تكون تلك الغزوات لأغراض السلب والنهب وكسب الغنائم، وأخرى تشن لغرض مُعاقبة ومُطاردة بعض الأسر النجدية التي فرت من سطوة ونير الوهابيين فالتجأ أهلها إلى بلدة الزبير ليأمنوا على أرواحهم، وأحيانًا يكون الغرض من الغزو هدف تخريبي بحت بحجة تطبيق الشرع الوهابي المزعوم، وهذا ما حدث في غزوة سعود للزبير وتهديمه لقصر الدريهمية وتدمير القباب على أضرحة كل من طلحة بن عبيد الله والحسن البصري خارج سور المدينة، حيث شن سعود هجوم غادر على أهل الزبير في غرة عيد الأضحى، بعد أن أوهم قبيلة الظفير أنهُ عائد للدرعية كي لا يحذروا أهل الزبير من غدره، ثم ألتف ليُعيد أدراجه ويهجم على بلدة الزبير بصورة غادرة ومُباغتة.

ويذكر ابن بشر عن تلك الغزوة على أهل الزبير في كتابه "عنوان المجد" قائلاً: «(ثم دخلت السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ١٢١٨هـ)... وفي هذه السنة كانت غزوة البصرة وهدم قصر الدريهمية مشرب أهل الزبير، وقتل من كان فيه. وذلك أن سعودًا لما سار من الدرعية واستلحق جميع رعاياه من الباد والحاضر، فنهض بجيوشه المنصورة والخيل العتاق المشهورة وقصد ناحية الشمال حتى نزل القرية المعروفة بالتنومة عند القصيم، فعيد فيها عيد النحر ونحر ضحاياه، ثم ارخص لغزوان عربان الشمال من الظفير. وذكر لهم أنهُ يريد الرجوع والقفول إلى وطنه، وكان قصده بذلك أن يخبروا أهل البصرة والزبير ومن في جهتهم إذا رجعوا إليهم، أنهُ قفل حتى يبغتهم من حيث لا يعلمون. وكانت عادته إذا أراد غزو الشمال قصد جهة الجنوب أو الشرق أو الغرب، ثم رجع لما يريد والعكس. وإذا كان يريد جهة من تلك الجهات ورى بغيرها: فلما رحل غزوان بوادي الشمال من التنومة وحل منها، وقصد الدرعية فسار نحو يوم أو يومين فوصلوا تلك البوادي وأخبروا من في جهتهم بقفوله، ثم أن سعود رجع عاديًا إلى البصرة... ثم نزل سعود على الجامع المعروف قرب الزبير. فنهضت جموع المُسلمين إلى البصرة فدهموا جنوبها ونهبوها وقتلوا من أهلها قتلى كثيرة واحتصروا أهلها وسط الحلة. ثم رجعت تلك الجموع وحاصروا أهل الزبير وهدموا جميع القباب والمشاهد التي خارج البلد وضعت على القبور، وقبة الحسن البصري وقبة طلحة بن عبيد الله ولم يبقوا لها أثر. ثم أنها أعيدت قبة طلحة والحسن بعد هدم الدرعية. ثم أن سعودًا أمر على المُسلمين أن يحشدوا على قصر الدريهمية فهدموه وقتلوا أهله. فلما كان وقت غروب الشمس أمر سعود مناديه أن يُثور كل رجل من المُسلمين بندقه. فثوروها دفعة واحدة. قال لي رجل من أهل الزبير: لما ثارت البنادق شبت النار في الأرض والجو وأظلمت السماء، ورجفت الأرض بأهلها، وأنزعج أهل الزبير انزعاجًا عظيمًا. وصعد النساء في رؤوس

السطوح ووقع فيها الضجيج، وأسقط بعض الحوامل. فأقام محاصرهم نحو اثني عشر يومًا. حصد جميع زروعهم. ورجع قافلاً لوطنه».[۞] -انتهى الاقتباس-

ومن خلال سرد ابن بشر يتضح لنا أن بلد الزبير كان يُمثل هاجسًا قويًا للدرعية كونه أصبح مقرًا لأولئك المُعارضين والرافضين للدعوة الوهابية، والقارئ قد يجد تبريرًا لسعود بن عبد العزيز عندما يهاجم النجف وكربلاء مثلاً بدافع العداء الديني والخلاف المذهبي والتُكفير المتبادل بين الوهابيين والشيعة، لكن أن يُهاجم سعود بن عبد العزيز أهالي الزبير وهم مُسلمون سُنة وفي الغالبية حنابلة، فهذا ليس له تبرير إلا أن الوهابيين لا ينتمون للمذهب الحنبلي قط، وأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب دين آخر ودعوة جديدة، وبقية المُسلمين كفرة ومُشركين.

ويُلاحظ أيضًا من خلال ما أورده المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر، أن سعود بن عبد العزيز كان كباقي أفراد أسرته يمتاز بالغدر والغيلة والكذب، فهو يتعمد الكذب والمناورة لإيهام الأبرياء والآمنين في المدن الأخرى، أنهُ لا ينوي بهم الشر، لكنهُ سرعان ما ينقض عليهم بكل دناءة وخسة وغدر، فيأتيهم غيلة ويفتك بهم في أيام عيد الأضحى المُبارك، مُفتخرًا أنهُ نجح بخداعهم وقد انطلت حيلته عليهم، فقام بسفك دمائهم وأرعب نسائهم حتى أسقطت الحوامل أجنتها بسبب جرائم هذا الدموي السفاح.

حيث يذكر لنا صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) عن صفات الغدر والمكر الذي يمتاز بها سعود بن عبد العزيز، وكيف كان يُبيت الشر لأهالي الزبير، حيث يقول: « ثم أنهُ خرج من الدرعية ولا يدري أين يُريد حتى أتى الجهرة بقرب الكويت يومًا وليلة، سمع أهل الكويت بأنهُ مُريد البصرة، فأرسلوا إلى المتسلم وأعيان أهل البصرة كسيد رجب النقيب الرفاعي والسيد محمود الرديني والشيخ قاسم الكواري وبقيتهم ، يحذرون من سطوة

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

سعود بغتة. فما إن وصلت الخشب التي أرسلها أهل الكويت إلا وقد نزل سعود حول الزبير، وتبين الحال لأهل البصرة خاصًا وعامًا. فلما جاء عسكره أولاً إلى الدريهمية وهي موضع ماء على رأس نصف فرسخ من الزبير، وقد بنى فيه أهل الزبير كوت واحد قبل ذلك بأربع سنين حماية للماء لئلا ينزل عليه العدو فيستقي بسببه إذ لا ماء بعد ذلك بهذا القرب للزبير إلا في نفس سور القلعة. وقد جعلوا في ذلك الكوت أربعة مدافع وأربعين مُقاتل بوارديه فحال سعود بين الزبير وهو قد ألفى هناك وقت الظهر، ولم يكن في عسكره ماء (يكفي)، ثم تبين بأن الماء الوحيد هو في هذا الموضع، وليس بعد ذلك ماء، إلا في الزبير أو البصرة، وهما ليسا لك، ومن ناحية الشمال في الكويبدة (*) على ثمانية فراسخ عن الموضع فاختر أيها الأمير والرأي لك. فقال: ليس لنا إلا قبض هذا الموضع. فأرسل أولاً إليهم أعني أهل الكوت، وقال: هذا لكم كل واحد خمسين محبوبًا (**) وانزلوا سالمين حتى تبلغوا الزبير، فأجابوه بأن لو ملكتنا الدنيا، مُحال أن نسلم لك الكوت، إلا بعد ذهاب نفوسنا. ثم لما صار العصر أرسل لهم أميرًا من أمرائه، اسمه حجيلان، وهو الذي اليوم والي وحاكم من قبل عبد الله بن سعود على بريدة من بلاد القصيم، وأمره أن يبذل لهم قدر ما يرضون به من المال. فجاءهم حجيلان على فرس له حتى وقف قريبًا من الكوت، فقال لهم: أيها المغرورون، اهبطوا من هذا الكوت، وادعوا إمام المُسلمين وجيشه يردوا الماء، فإن العطش قد ضرهم. وهذا لكل واحد منكم مائتا ذهب، وانزلوا فإن شئتم المسير إلى نجد -وكانوا هم من أهل نجد في الأصل- فهيا نعين لكم أرضًا ونخيلاً تستعيشون بها نسلاً بعد نسل، أو تريدون المسير إلى الزبير نُبلغكم ذلك، وأنتم معذورون عند قومكم، حيث لا طاقة لكم بمحاربة هذا العسكر. فقال له رجل اسمه راشد بن سعدان: يا حجيلان

---

(*) بئر كويبدة: تلفظ محليًا جوبيدة بالجيم الفارسية.

(**) زر محبوب: هو عملة ذهبية تركية، أي زرار من ذهب يُدعى محبوب.

أنت رجل عزيز ومكرم، ونعرفك أنت من بيت شريف -كان كذلك-(•) فلا تتوسط في هذا الأمر، فتلجئنا إلى أن نرميك فنصيبك، فليس لنا جواب لهذا الرجل، يعني سعود، سوى القتال معه. فلما آيس حجيلان منهم رجع إلى العسكر فقال: أيها الإمام لا يرضون هؤلاء بالنصح، فما لك من رأي فأفعل. فأمر حينئذٍ بالحمل على الكوت، فحملت عشرة آلاف من عسكره عليه. فلم يزالوا أهل الكوت يرمونهم بالمدفع والبندق، وهم كذلك، حتى قتلوا من قوم سعود أربعمائة رجل،وفي قول ستمائة رجل. فرجعوا عن الكوت فاشتد عليهم العطش غاية الشدة، فصاح الناس: إن اليوم يوم بذل النفس، قوموا على هؤلاء اللئام بأجمعكم، فحمل العسكر وهو أربعون ألفًا بجمعهم فأخذ الحافر يحفر، والذي يضع السلم يضع، إلى أن ركبوا في الكوت، وكان لذلك الكوت، بنيان في طرفه معتلٍ مُسلط على باقيه، وقد ركب فيه رجل واحد وكان أملسًا ملتصقًا بالحصن. وكان ضاربًا بالبندق ضابطًا في ذلك، وأخذ معه قدرًا من البارود والرصاص، فجعل يرمي كل من كان في الكوت وتحته، وباقي القوم الذين كانوا في الكوت قطعوهم بالسيوف جميعًا. فلما أصبح الصباح رأى قوم سعود أن هذا الرجل الصاعد في هذه الصهوة قد ضرهم ضررًا كليًا. وقد قتل منهم بسيفه قدر مائة رجل، وأنهُ يُمانعهم عن أبيار الماء كما كان قبل أخذ الكوت، فهموا بنقب أصل الكوت فوجدوه مملوءًا من التراب فأتعبهم ذلك. ثم جاء سعود بنفسه وقال: أيها الرجل أنا إمام المُسلمين، وكبير القوم، ها أنا قد أعطيتك أمان الله وعهده، أن لا أضرك بشيء، ولا أترك أحدًا يضرك بسوء أبدًا، وأنت اليوم قد أديت ما عليك، وهذه شيمة الكرام، ولكن الساعة بقيت وحدك في هذه الصهوة، بأعلى رأس الكوت، ولابد من قلع هذا الكوت من أصله، ولو قتلت منا ألف رجل، فإن عاقبة أمرك المصير للقتل، وإنما الرأي أن تُسلم فتسلم، وهذا أيضًا أنا أكرمك وأنعم عليك لأجل شجاعتك. فنزل الرجل وأتى إلى سعود، فأعطاه فرس كانت تحته تبلغ قيمتها ألف ذهب ، وأعطاه أيضًا ألف ذهب نقد،

---

(•) تلك المداخلة كانت من قبل نفس مؤلف كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب.

ثم قال له: الآن إن شئت فأقم عندي، وإلا فسر في الأمان إلى أين شئت، فاختار الذهاب إلى الزبير. قيل لما وصل إلى الزبير قال له أهل الزبير لمَ لم تبق إلى أن تقتل، فقد فعلت فعلاً قبيحًا لأنك قبلت الأمان والعطاء وطمعت بالمال والحياة وأصحابك قد قتلوا. الحق أن نأخذ منك هذا المال، الذي أعطاك سعود. فأخذوا يلومونه، حتى قام بعضهم بنصرته، وقال: هذا الرجل ما فعل إلا كمال الشجاعة والغيرة، ولا أحد له كلام معه. وأما سعود فلما استسقى عسكره من الماء انتقل يوم الثاني إلى نحو الزبير فحين بلغ هناك رأى أنهُ لم يدرك من بلد الزبير شيئًا، فسار إلى طرف البصرة لكنه لم يُقارب سور المدينة وإنما نحو القرى الجنوبية».[۞] -انتهى الاقتباس-

وتبدو هنا في رواية حسن جمال الدين الريكي مُبالغة بعض الشيء في شجاعة ذلك الرجل الزبيري الذي كان يُدافع مع بقية رفاقه الست عن حصن أو قلعة آبار الدريهمية، وربما يكون الريكي قد استقى معلوماته من أطراف كانت قريبة أو مُتعاطفة مع ذلك الرجل، فكتب ما كتب لصالحه.

إلا أن الفرنسي لويس دوكورانسي ينقل رواية رصينة وصورة أكثر واقعية مُغايرة عما ذكره صاحب كتاب (لمع الشهاب)، حيث يذكر في الرواية الأولى أن الناجي الوحيد من الحصن، كان قد سلم نفسه في نهاية الأمر بعد أن حدث خطأ بشري أدى إلى انفجار مخزن البارود، وربما تمَّ التفاوض معه كي يسلم نفسه بعد أن انتهى الأمر، وحينها قرر التسليم وهو ما أثار عليه حنق وغضب أهالي الزبير، حيث اعتبروه مُتخاذلاً، لكنه يُقر أيضًا أن هؤلاء السبعة الزبيريون قد قاوموا مُقاومة شرسة، وقد أرسل عليهم سعود من يُفاوضهم ويغريهم بالرشوة المالية مُحاولاً إقناعهم بالتسليم، لكنهم رفضوا وفضلوا القتال إلى النهاية، وكادوا أن ينجحوا في صد عدوان سعود الذي يئِس وقرر الرحيل ، لولا ذلك الخطأ البشري الذي وقع من قبل أحدهم ، وأغلب الظن كان

---

[۞] كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف: حسن جمال بن أحمد الريكي.

المُتسبب فيه هو الشخص الأخير الذي نجى من هؤلاء السبعة. أما في روايته الثانية في نفس الكتاب، فيقول إن جميع الزبيريين السبعة الذين كانوا يُحامون عن حصن الدريهمية، قد توفوا جميعًا نتيجة ذلك الانفجار الهائل الذي حدث في مخزن ذخيرة البارود، مما سهل الأمر للوهابيين في السيطرة عليه.

وقد يكون لويس دوكورانسي تعمد أن يذكر الروايتين معًا ليجعلهما مصدرين مختلفين لنفس الرواية.

فتلك الرواية تحديدًا قد جاءت مرتين في كتاب (الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ)، والذي يروي فيه المؤلف عن بعض تلك الهجمات الوهابية العدوانية المُتكررة على تخوم العراق وخصوصًا على مدينة الزبير والبصرة وبقية مناطق العراق، فهو يقول في الرواية الأولى فيما يخص التحرشات والغزوات على بلدة الزبير، ما نصه:

« وفي بداية عام ١٨٠٤م ظهر الوهابيون بقوة كبيرة في ضواحي الزبير، وهي بلدة تقع على الفرات على مسافة قليلة شمالي البصرة. وكانت المدينة آمنة تمامًا. فالوهابيون لم يعتمدوا حتى الآن أسلوب إخضاع أي موقع بالقوة، فقرروا الاستيلاء على الزبير ليلاً. فتقدموا بهدوء، ولكن رجلاً خرج منها صدفة ليقود قطيعه إلى الساقية، فرآهم وأنذر قومه فنجت المدينة. فلما رأى سعود نفسه مُرغمًا على التخلي عن خطته، أراد أن يُخيم مع جيشه على مجرى ماء قريب من المدينة، ولكن حصنًا مُرتفعًا يحميه سبعة رجال ومدفعان منعه من الاقتراب من المكان المنشود. وكان بإمكان الحصن أن يُقاوم ضربات الوهابيين طويلاً لو لم يتيح لهم حادث غير مُنتظر الاستيلاء على موقع عجزوا عن إخضاعه بالرغم من إقدامهم. والسبب هو أن أحد السبعة رجال في الحصن، خاف أن تنقطع عنهم الذخيرة فترك الفتيلة تحترق على الأرض ودخل المخزن للتزود منه، وأوصلت الفتيلة النار إلى بعض المحروقات القريبة مما أدى إلى إشعال كمية من الذخيرة فأودت بحياة ستة من الرجال السبعة. وشعر الوهابيون بحصول شيء ما فتسلقوا الحصن ليجدوا الستة

أمواتًا وليأسروا السابع، ومن ثم ليخيموا قرب مجارى الماء. وعندها أرسل سعود نصف جيشه هذا نحو البصرة، وكانت النية معقودة على استعمال الأسلوب نفسه الذي أستعمل في الزبير. ولكن نجاح الوهابيين لم يزد عن نجاحهم في الزبير بحيث اكتفت الحملة بتخريب وسلب نواحي البصرة. والتقى بعض رجالهم بالشيخ منصور مع بعض الأعراب في الصحراء، والشيخ منصور هو شقيق شيخ المتفق وهي قبيلة عربية تعيش بالقرب من البصرة، فأسروه وقادوه إلى سعود الذي استقبله بكثير من التكريم. ودعاه رئيس الوهابيين لاعتناق مذهبه، ففضل منصور الحياة على الموت الأكيد، وقبل بالنصح. وكتب المؤمن الجديد إلى أخيه يطلب منه الاقتداء به، وأتخذ سعود الأمر حجة لدعوة حكومة الزبير إلى تسليمه المدينة بعد أن قدم لهم الوعود الخلابة. ولم تجدِ هذه الخطوة نفعًا، إذ أعاد حاكم الزبير الرسول إلى سعود بعد أن صلم أذنيه.....الخ.

إلى أن يقول جان ريمون في موضع آخر من الكتاب عن غزوة عبد الله بن سعود للزبير، حيث يقول:

وفكر عبد الله بعد انكساره بالتعويض عن هذه الخسارة بالتوجه نحو السماوة. وكانت غايته في البداية أن يُفاجئ هذه المدينة، ولكنها كانت بانتظاره، وكان الموت جزاء إقدامه. فقد حاصر المدينة لعدة أيام فخسر أكثر من ألف رجل جراء الهجمات التي كانوا يخرجون بها عليه. وانسحب عبد الله مع رجاله وهو يتألم للخسائر التي لحقت به في هاتين المُحاولتين، وقرر أن يقوم بغزو مدينة الزبير، لكي يعوض عن هزيمته بانتصار باهر. ولكن الهزيمة واجهته للمرة الثالثة. وفي الهجمات التي قام بها للاستيلاء على هذه المدينة، قتل الزبيريون أكثر من مائتي رجل. فعاد عبد الله إلى الدرعية، يجر أذيال الفشل مع بقية جيشه، بينما كان والده ينتصر في مكة». [۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

أما في الرواية الثانية، حيث يسرد لنا لويس دوكورانسي نفس تلك الحكاية ولكن بتفصيل أكثر في موضع آخر من ذات الكتاب، وربما تكون تلك الرواية جاءت على لسانه وليس على لسان جان ريمون، فيقول:

« لم يُقرر سعود غزو البصرة إلا خلال عام ١٨٠٣م، أي بعد سنة من رجوعه إلى الدرعية. وسواء كان السبب ما لاقاه من مُقاومة في جدة، أو أنه وجد هذه الفترة من الراحة ضرورية لاستعادة نشاط جيشه، بعد ما لحق به من خسارة بسبب الطاعون، فإنه لم يُحاول الاقتراب من حدود باشوية بغداد. وبعد أن عاد الوهابيون إلى وسط صحرائهم التي تفصلهم عن بقية الشرق، تناسى الأتراك وجودهم وظنوا أنهم أصبحوا في العدم. وفجأة بلغهم برعب أن اثني عشر ألف وهابي يسيرون نحو الفرات. وعلى بعد أميال من البصرة تقع الزبير، وبالقرب منها نحو الصحراء يقوم حصن مبنى من الحجر يجعل له منهل ماء قريب أهمية كبرى. ويمكن للزبير أن تجهز ما بين ستة وسبعة آلاف من الرجال. وبالنظر لوضعهم على حافة الصحراء فأنهم كعرب الصحراء مُعتادون على تحمل المشاق بينما يمتازون عنهم بالنظام. والأسوار التي تحيط المدينة ترتفع إلى علو أربعة عشر ذراعًا، وهي مبنية من الطوب المُجفف في الشمس. وهذا النوع من التحصين كثير الانتشار في مضر وفي جميع الأماكن المزروعة والمُعرضة للغزوات. وتلك الأسوار قد لا تخيف غيرهم من الأعداء لكنها تكفي للوقاية من رصاص هؤلاء وتوفر للقابعين وراء هذه الأسوار الحماية اللازمة وتؤمن لهم سهولة فتح فجوات لإطلاق نارهم في الأماكن التي يتجمع فيها العدو. وموقع الزبير يجعل منها مدخل البصرة الرئيسي من ناحية الصحراء. وذات يوم، كان الوهابيون يستعدون لمُفاجأة المدينة أثناء الليل، فاقتربوا من الأسوار والناس نيام. ولكن أحد الرعاة خرج قبل الفجر مع قطيعه، فرأى العدو وأنذر قومه، فنهض الكل إلى السلاح. ولما وجد الوهابيون أنفسهم في هذا الوضع انسحبوا وخيموا على ضفاف القناة التي توصل ماء نهر الفرات إلى المدينة. وقامت في هذه الأثناء سرية منهم

بالهجوم على الحصن القريب من الزبير. وكانت حاميته مؤلفة من سبعة جنود دافعوا عنه ولم يتركوا للوهابيين سبيلاً سوى الحصار، وهو سبيل طويل وشاق في صحراء مُحرقة. وأدرك الوهابيون ذلك خلال فترة قصيرة، فحاولوا الاستيلاء عليه بقوة المال، فلم يُفلحوا في رشوة الحامية. وبعد سبعة أيام قرروا الانسحاب، فإذا بالقدر وكأنهُ ظهر يُحارب بجانبهم، ليُسلمهم الموقع عندما قرروا الاستغناء عنه. والسبب هو أن أحد أفراد الحامية، وجد نفسه من دون ذخيرة، فنزل إلى المخزن بعد أن ترك الفتيلة مُشتعلة عند الجدار. واتصلت نار الفتيلة بكمية من الذخيرة فأحرقتها وقتلت جميع أفراد الحامية. واستغل الوهابيون الانفجار فتسلقوا الأسوار من دون خطر. أما الغارات على الزبير فكانت تُرد بالقوة، فتركها سعود وأراد مُفاجأة البصرة للتعويض عن هذه المُقاومة. ولكن سكان البصرة علموا بالأمر ولم يتيحوا له فرصة إكمال مشروعه. غير أن الفرقة التي أرسلت إلى البصرة التقت بطريقها في الصحراء برئيس إحدى أقوى القبائل العربية، وهو منصور شيخ المنتفق وشقيق حاكم الزبير، فاقتيد أسيرًا بين يدي سعود، ولم ينج من الموت إلا بإتباع الوهابية. فكانت لذلك أهمية كبيرة حيث فتحت أمام سعود باب مُحاولة الوصول إلى حاكم الزبير بواسطته. ولكن حاكم الزبير ظل مُمتنعًا ولم تفد معه لا تهديدات سعود ولا رجاء أخيه. وقد صلم أذني الرسول الذي أتى لمُفاوضته وكلفه بعد هذا التشويه بإبلاغ سيده الرفض. وهكذا لم يكن الوهابيون بأحسن حظ في البصرة مما كانوا عليه في الزبير. ولعجزهم هن مواجهة الخطر، وتفضيلهم غزوات أسهل منالاً، ابتعدوا عن أسوار هاتين المدينتين وانتشروا في القفار مما بين البصرة وشواطئ الفرات. فأرسل باشا بغداد فرقة توصلت إلى زرع الرعب الرهبة في صفوفهم وتفريقهم بأكملهم. وهكذا كانت نهاية هذه الحملة التي فشلت بسبب افتقارها إلى عنصر المفاجأة».۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

- **غزوة عبد الله بن سعود على بلد الزبير:**

حاول عبد الله بن سعود أن يُحقق ما عجز عنه والده سعود، حيث سار بحملة عسكرية على تخوم العراق، بأمر من والده سعود؛ كما ذكرت سابقًا، فشنَّ هجومًا مُباغتًا في الليل على مدينة النجف العراقية التي يُطلق عليها (مشهد علي)، ففشل وانسحب بالقرب من النجف يُريد الهجوم على المدينة نهارًا.

إلا أن الفارس الشمري فارس الجربا وصل سريعًا للنجف وهزم عبد الله شر هزيمة قرب مدينة النجف فولى هاربًا مع فلول الوهابيين نحو الصحراء، ثم أخذت عبد الله العزة بالإثم فقرر أن يسير نحو السماوة لكي يُعوض هزيمته المُنكرة، لكنه فشل أيضًا ولم يُحقق أي نصر يُذكر سوى سقوط أكثر من ألف وهابي صريع من قواته، فقرر أن يختم رحلته الفاشلة تلك بغزو بلدة الزبير، وهذا كان ديدن وسعي آل سعود دائمًا، حيث كانوا يحملون بغضًا وكرها للزبير وأهله، بسبب احتضانهم للأسر النجدية التي فرت من بطش وتنكيل الوهابية.
وعن تلك الغزوة يذكر لويس دوكورانسي قائلاً:
« وكان سعود مشغولاً في ذلك الوقت بالاحتياط لما يُمكن أن يُخلفه اقتراب عبد الله باشا من شغب في المدينة المنورة. لذلك أسند مهمة غزو الإمام علي إلى القائد الجديد، وتوجه عبد الله على رأس فرقة عديدة ووصل أسوار البلدة في نيسان ١٨٠٦م، من دون أن يُذاع خبر اقترابه منها. وكان السُكان آمنين، غير مُستعدين للدفاع، مما جعل الوهابيين يترقبون نصرًا قريبًا وأسلابًا أكيدة. حيث تحيط بالإمام أسوار منيعة نظرًا لأهمية الدفاع عنها بسبب احتوائها الضريح المُقدس. ولدى اقتراب عبد الله من المدينة ليلاً، وجد أبوابها مُغلقة وحراسها نيامًا. وباشر الوهابيون تسلق ونشر الرايات عليها، وعندما أراد أحد قوادهم إلقاء كلمة فيهم وقد ضمن المعركة، أذن بالسلب وأمر بالقتل. وأيقظت الهتافات التي سببها الخطاب حراس الإمام علي، فأطلقوا الإنذار. وتراكض السكان إلى السلاح لمواجهة الوهابيين. وكان الدافع إلى هذه المهمة السمعة التي نالها الوهابيون في مجزرة الإمام الحسين، بحيث فقد السكان

الأمل في الخلاص، فأراد كل واحد منهم أن يُقاتل وأن يموت على الأقل وهو يُدافع عن نفسه. والوهابيون لا يعرفون أي نظام في غزواتهم، فإذا أضفنا إلى ذلك ظلام الليل، أدركنا كيف عمت الفوضى بينهم خلال فترة قصيرة. وفوجئ عبد الله بمقاومة لم تكن مُنتظرة، فأمر بالانسحاب وضرب الخيام على مسافة قريبة من المدينة. وكان يقصد تجديد الهجوم في وضح النهار ولكن حيل دونه وذلك. إذ لم يكد ينبلج الصباح حتى رأى قومًا يقودهم شيخ من مشايخ ما بين النهرين(•)، يُهاجمون مضرب خيام الوهابيين، يُساعدهم في ذلك مدفع المدينة. وخسر الوهابيون المعركة كليًا، فتركوا أكثر من خمسمائة قتيل في ساحة القتال. وأراد عبد الله محو آثار الهزيمة بالهجوم على السماوة. وكأن يأمل مُباغتة تلك المدينة بأن يسبق إليها نبأ انكساره، ولكن السكان كانوا على علم به واضطر إلى مُحاصرة المدينة. ولما كان الحصار أضعف فنون الوهابيين الحربية، فقد كان حظ حصار السماوة مثل حظ حصار الإمام علي. لذلك قرر عبد الله الانسحاب، بعد بضع هجمات غير موفقة كلفته أكثر من ألف رجل قتلوا أمام المدينة. وبالرغم من صده في جميع المواقع، أراد أن يقوم بمحاولة أخيرة في ولاية علي باشا. وكلما حاول زيادة عدد أفراد جيشه، كلما زاد شعوره بالإهانة لتراجعه في كل مكان، خصوصًا أنباء الانتصارات التي حققها والده في المدينة المنورة كانت قد انتشرت في كل مكان، مما جعل انكسارات عبد الله مُخجلة حقًا بالمُقارنة مع ما توصل إليه سعود من انتصارات. لذلك رغب في المُشاركة بهذه الانتصارات وقرر أن يُهاجم الزبير قبل الانسحاب. وكانت هذه المرة الثالثة التي يُهاجم فيها الوهابيون تلك المدينة. وكما في المرتين السابقتين كان عدم التوفيق نصيبهم. وهكذا كانت نهاية حملة رافقتها الكوارث في جميع مراحلها». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

(•) هو الشيخ فارس الحميدي الجربا أحد أهم شيوخ شمر في العراق، حيث جاء بقواته مُسارعاً لنجدة أهل النجف بعد أن علم أن قوات الوهابيين تحاصر مشهد علي، فاشتبك معهم قرب - مورد الحياضية - فانهزم الوهابيون وفروا من أمامه.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسي.

- **سبب هجرة أهل نجد إلى بلد الزبير :**

كما مرَّ معنا فإن أهل نجد لم يتبعوا الدعوة الوهابية برضاهم أو عن قناعة بأصحاب تلك الدعوة، بل فُرضت عليهم فرضًا فاعتنقوها عنوةً وبحد السيف، فمنهم من خضع وقبل بإتباع دعوة محمد بن عبد الوهاب، ومنهم من أراد الاسترزاق من ورائها فتحول إلى رأس حربة لتلك الدعوة وأصبح من جنودها، والقسم الآخر رفض بشدة وامتنع وقاوم، ولكن أغلب الذين قاوموا فشلوا في صد الهجمات الوهابية الدموية، فقُتلوا وشُردوا من ديارهم، والكثير من هؤلاء الرافضين وجد في بلد الزبير وطنًا بديلاً له، ولهذا وجدنا أن أكبر حزبين استوطنا في الزبير كانا من أهل حرمة وأهل حريملاء، وهما في الأصل من ضحايا دعوة ابن عبد الوهاب.

أما القصمان فقد كانوا منذ البداية من ألدَّ أعداء الوهابيين، حيث أبدى أهالي القصيم مُقاومة شرسة للنفوذ السعودي ـ الوهابي، ولأجل ذلك الغرض تحالفوا مع كل القوى المُعارضة والمُناهضة للوهابيين في نجد وخارجها، حيث عقدوا أحلافًا عسكرية مع أهل منيخ والوشم ومع المُعارضين في سدير، وحالفوا قبيلة الظفير ذات العداء المتأصل للوهابية، بل لم يتردد أهل القصيم من التعاون مع أشراف مكة وحكام الأحساء وشيوخ المنتفق وأمراء حائل، في سبيل التخلص نير وسطوة الوهابيين والتملص من بطش الحكم السعودي، فتعاونوا مع كل القوى التي تُعادي السعوديين، لغرض التخلص من جورهم وعدوانهم الدائم.

وكان حُكَّام الدرعية بشقيهم السياسي والديني يتقبلون أدنى درجات الولاء والطاعة والخضوع من قبل القصمان تحديدًا، لعلمهم الأكيد بالعداء والكره الذي يكنه أهالي القصيم لهم، ولم يتسنى لابن سعود السيطرة التامة على منطقة القصيم، حتى استطاع أن ينجح في التلاعب في أهل القصيم والعزف

على وتر الخلاف المناطقي بينهم وشحذ التنافس ما بين مدينتي بريدة (•) وعنيزة، حيث أفلح في تأجيج ذلك الصراع والتنافس بين المدينتين ليجد له موطأ قدم بينهما، ثم تدخله المُباشر في تعيين بعض الأمراء التابعين له من أبناء تلك المنطقة، وقد استطاع أخيرًا أن يخترقهم ويجعلهم يتنافسون فيما بينهم في سبيل مرضاته والتقرب منه.

لذا فقد أدت تلك المعارك المحلية المتواصلة بين بريدة الموالية دائمًا للوهابيين، وبين مدينة عنيزة الرافضة للطاعة الوهابية إلى خروج العديد من سكان البلدتين من الزاهدين والمُتململين من ذلك الصراع العبثي، ومن ثم لجوئهم إلى العراق وخاصة إلى بلدة الزبير، خصوصًا وقد سبقهم إلى هناك بعض الأقارب واستقروا كعقيلات يخدمون في سلك الجندية والتجارة في بغداد.

والحقيقة أن طبيعة الأرض المنبسطة والمنحدرة من نجد إلى العراق هي التي ساعدت على انسياب تلك الهجرات النجدية المُتتالية نحو بلاد الرافدين كما أسلفت، فلا وجود لأي عوائق طبيعية تعرقل ذلك النزوح النجدي المُتتابع نحو العراق، فأدت الأودية والشعاب والدروب المطروقة من نجد بصورة عامة ومن القصيم بصورة خاصة إلى سهولة الهجرة نحو جنوب العراق كمحطة تجارية للتسوق، وخاصةً مدينة الزبير التي تُعتبر بوابة الصحراء بالنسبة للعراق، وقد ربطت أودية كثيرة بين عالية نجد ومنطقة الفرات، فلم تكن هناك عوائق سياسية أو حواجز سيادية تمنع ذلك الانسياب الطبيعي نحو مراكز الحضارة والأراضي الغنية والوفيرة المراعي خصوصًا بالنسبة لأصحاب المواشي والإبل، ناهيك عمن نزح للبحث عن رزقه فهاجر في سبيل اقتناص فرصة عمل أو الحصول على وظيفة لدى الأتراك من ولاة العراق حتى ولو كانت مهنة حارس أو جندي أو دليل للقوافل كما هو معروف لتلك الفئات التي

---

(•) بريدة : أصلها عين ماء لأسرة آل هذال، وهم من فخذ العمارات من كبار شيوخ عنزة، القاطنين الآن في منطقة الهباريات في العراق، وقد باعوها لراشد الدريبي العنقري التميمي في حوالي ٩٨٥هـ-١٥٧٧م.

عرفت بـ "عقيل" والتي امتهنت تلك المهن لدى الولاة العثمانيين في العراق. وعليه فتعد عنيزة من أهم معاقل وروافد تشكيلات ما سُمي بالعقيلات، حيث أدت الخلافات المحلية فيما بينهم وكذلك ظهور الحركة الوهابية التي باتت تُهدد تلك البلدة، فدفعت أهلها إلى الهجرة طوعًا أو قسرًا إلى خارج نجد.

وقد واجه أمير عنيزة في حينه عبد الله بن حمد بن زامل الحركة الوهابية بشدة منذ البداية، وقد وقف ضدها بثبات لكنه ما لبث أن قُتل، فواصلت عنيزة مُقاومتها للدرعية، حيث يذكر ابن غنام أن عنيزة قد استعانت في عام ١١٩٦هـ - ١٧٨٢م، بسعدون أمير الأحساء، وقد ساند أهالي عنيزة بزعامة أميرهم - عبد الله بن زامل - حملة حاكم الأحساء سعدون وقدموا له كل المُستلزمات التي تتطلبها صناعة المدافع، حيث تخلوا عن كل أوانيهم النحاسية من أجل هذا الهدف، كما أمدوه بالجُند والحرفيين وخيرة الصناع لاستخدامها في حصار بريدة العدو التقليدي لعنيزة.

ثم ما لبث أن صدت عنيزة هجومًا ضاريًا لقوات سعود بن عبد العزيز في عام ١٢٠٠هـ - ١٧٨٥م، إلا أن عنيزة انهارت مقاومتها لاحقًا وانهزمت بعد فشل حملة المنتفق على القصيم ومن ثم فك حصارهم على بريدة، حيث أدى انسحابهم المُفاجئ دون تحقيق الهدف الذي تطمح إليه عنيزة، فتركوا أهل عنيزة لوحدهم يواجهون مصيرهم، ولهذا انتقم سعود بن عبد العزيز من أهالي عنيزة، وقام بترحيل قسم كبير منهم إلى العراق عقوبة لهم بسبب تواطئهم مع ثويني، ولهذا السبب انخرط الكثير من أهل عنيزة في تنظيمات العقيلات.

ويذكر لنا الرحالة السويسري- البريطاني بوركهارت عن هؤلاء النجديين المُهاجرين إلى العراق والمعروفين بـ عقيل أو تشكيل العقيلات، قائلاً: « بني عقيل: قد برزت منذ فترة حكم السلطان مراد· إن كل عربان نجد الذين يلوذون إلى بغداد وأسسوا أنفسهم هناك، سواء أكانوا مستقرين أم بدوًا يصبحون أعضاء في قبيلة عقيل البغدادية، والتي تتمتع بنفوذ قوي في ذلك المكان،

وهم في الحقيقة أكبر المؤازرين للباشا في حربه مع البدو المحيطين، وضد الثوار في مدينة بغداد. إن شيخ عقيل في بغداد هو دائمًا من أحد مواطني الدرعيّة، يختارونه (عقيل) من بين أنفسهم، ويثبت لهذا المنصب من قبل الباشا ويشتهر العقيل بشجاعتهم. وهم يديرون مواكب الحجيج من بغداد إلى سوريا، وقد ردّوا مرارًا قوّات الوهابيين المتفوقة. ويقسم العقيل الموجودون في بغداد أنفسهم إلى طائفتين: (١)- الزقرتي، وهم يؤلفون الأفراد الفقراء والباعة المتجولين. (٢)- الجماميل، وهم الذين يقودون قوافل الحجاج. ويوجد ضمن هذه الفئات من بني عقيل أشخاص يعودون إلى قبائل ومناطق مختلفة مثل الأحساء والعارض والقصيم، وجبل شمّر. أما الذين يقيمون في منطقة سدير (وهي جزء من نجد) والذين يرتادون بغداد فهم ليسوا أعضاء في هذه القبيلة، وكذلك فإن الأفراد القادمين من قبيلة الدواسر الجنوبية قرب الحدود اليمنية، لا نجد منهم أحدًا بين ظهراني بني عقيل».۞ -انتهى الاقتباس-١٦

وهنالك أيضًا فئات كثيرة نزحت لمنطقة الزبير كما ذكرت سابقًا بسبب بطش الدعوة الوهابية التي امتطاها ابن سعود وسيطر من خلالها على بقية المناطق لذلك فقد قاوم الكثير من أهالي حواضر القرى النجدية تلك الدعوة الوهابية، فأصبحوا مُعارضين لها بشدة وقاوموا أتباعها، ولكن بعد أن استباحت تلك الدعوة قتل الأنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وأهدرت الدماء وعاثت بالأرض فسادًا، خرج أغلب خصوم الوهابية إلى الزبير ثم لحقهم البقية الباقية قسرًا بعد أن رُحلوا وأجلوا عن ديارهم.

وقد انتهز الولاة الأتراك في العراق تلك الفرصة ورحبوا بتلك الهجرات النجدية الوافدة، وأقاموا لهم معسكرًا في الزبير بوابة نجد، لغرض استخدام تلك الجماعات المُعارضة الفارة من طغيان الوهابيين في صد عدوان الوهابيين وكسر حملاتهم العسكرية التي باتت الدرعية تشنها على القرى والمدن

---

۞ كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

العراقية الواقعة على الأطراف، فأدرك الأتراك أن النجديين أعرف الناس بأساليب الوهابيين سلمًا وحربًا، وهكذا أصبح للنجديين النازحين نحو الزبير مكانة مرموقة لدى الولاة العثمانيين في العراق.

وقد حدثت هجرة أخرى لأهل نجد ولكنها مُتآخرة اتجه أصحابها إلى الكويت والشام كان غالبيتهم من القصمان، وحدثت تلك الهجرات بسبب خضوع القصيم لحكم آل رشيد في حائل، فوجد القصمان أنفسهم مكسورين وخاضعين لأمير حائل، فآثر بعضهم الجلاء إلى الكويت والشام، ولم يتجهوا للعراق كعادتهم. وربما يقف السبب وراء ذلك أن ابن رشيد كان ولاؤه لدولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، والعراق بأكمله هو تحت سلطة الخلافة الإسلامية، وعليه فإن القصمان لن يجدوا مؤيدين لهم في تلك البقاع، لذلك آثروا أن يلجأوا للكويت والشام، حيث يذكر العبد المحسن في حوادث عام ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م: « وفي هذه السنة سكن الفارون الذين جلوا من القصيم ومن بينهم آل مهنا وآل سليم والشاعر العوني واطمأنوا في الكويت ودمشق لاجئين هناك من حكم آل رشيد».

ففي الوقت الذي كانت فيه نجد ترزح تحت طائلة الخلافات الأسرية والحروب والنزاعات الأهلية والاضطرابات السياسية المتتالية، كان العراق كحاضرة قد استقر تحت حكم العثمانيين، الذين فرضوا على الأرض العربية والإسلامية وحدة ونظامًا مركزيًا، لذلك وجد الكثير من أهالي نجد المُهاجرين في العراق سبيلاً للعيش وكسب الرزق، وقد عملوا في تسيير القوافل وحمايتها، كما برعوا في التجارة وقد هيأت لهم المدن العراقية كالبصرة وبغداد والزبير السُبل المُناسبة للعيش والاستقرار، ولم يفقد هؤلاء المُهاجرون صلتهم بوطنهم الأم نجد، ولهذا تواترت الهجرات الفردية والجماعية في اتجاه البصرة والزبير وبغداد، وبات يُرسل المستقرون هناك لأهلهم وجماعتهم الرُسل كي يأتون للعمل معهم، وخاصة في ظل الاضطرابات الأمنية والسياسية في نجد، وكان

لأغلب تلك الأسر النجدية أتباعٌ وخدم وعبيد، حيث كانوا يستقدمونهم للعراق لغرض توظيفهم، وقد جند الكثير من هؤلاء القادمين الجُدد من نجد كعسكر محليين في الجيش العثماني في سلك عقيل.

وكان لأهل القصيم حصة الأسد في جميع تلك الهجرات المتنوعة والمُختلفة الأسباب، سواء كانوا من بريدة أو عنيزة، بسبب قربهم من طرق التجارة واتصالهم الدائم مع العالم الخارجي، وكذلك حبهم للسفر، حيث تقع البلدتان في طرق التجارة والحج فخرج القصمان منذ أمد طويل يطلبون الرزق، ولأن الزراعة كانت المهنة الدارجة للقصمان فأنهم لم يجدوا حرجًا في أن يعملوا كفلاحين وحراس بساتين في أرض العراق، كما كوَّن أهل القصيم فرقة من العمال ذهبوا للعمل في شق قناة السويس عندما بوشر بحفرها.

وعليه فإن أسباب تلك الهجرات النجدية في تلك الفترة كانت تتلخص في القحط والجوع والجدب وقلة الأمطار، ثم الهجرة لغرض طلب الرزق، وأخيرًا بسبب الاضطرابات الأمنية والسياسية التي جرتها الحركة الوهابية على أبناء نجد أثناء ظهورها.

وبسبب نزوح تلك الأفواج النجدية واستقرار غالبيتها في الزبير، سنلاحظ اتساع رقعة تلك القرية الصغيرة المدعوة بالزبير بسبب تلك الهجرات المُتتابعة، وباتت أكبر مساحة وأعظم عمرانًا من الكويت المُجاورة لها في حينه، بل أنها نافست البصرة التي تناقص شأنها بفعل البلاء الذي نزل بها بسبب وباء الطاعون ثم الحروب الفارسية.

- **النشاط التجاري لأهل الزبير:**

ساهم أهل الزبير في نمو النشاط التجاري في البصرة وفي العراق عامة، حيث اجتهد الزبارى في نقل البضائع من ميناء البصرة وإلى الشام، وذلك من خلال استقطابهم لقوافل العقيلات النجديين، فباتت تلك القوافل تحمل بضائع الهند القادمة إلى ميناء البصرة سواء من البهارات أو العطور والشاي والقهوة وغيرها من مواد أخرى، ثم يقومون بنقلها إلى أسواق الشام، وتأتي بالمُقابل القوافل المُحملة بالسلع الأوربية ومنتجات أهل الشام وتجلبها إلى أسواق بلاد الرافدين. وقد تزامن ذلك الاستقرار النجدي الكثيف في الزبير إبان قيام الدعوة الوهابية في نجد، والتي كانت حركة متطرفة طاردة للسكان النجديين ودفعتهم إلى النزوح والجلاء إلى بلدة الزبير الآمنة، وبسبب ذلك الحضور النجدي الهائل وبسبب التداول والنشاط التجاري الكبير انتعش بلد الزبير انتعاشًا اقتصاديًا هائلاً، حتى أُطلق على الزبير اسم الشام الصغيرة.

وقد ذكر المؤرخ النجدي عثمان بن بشر في كتابه عن ثراء أهل الزبير، قائلاً: « إن الله فتح على أهل الزبير وأثابهم من خير الدنيا وزينتها وكثر رجالهم وأعوانهم وخدمهم».[۞] - انتهى الاقتباس -

وقد جاء في كتاب "نجديون وراء الحدود" للمؤلف عبد العزيز عبد الغني، نبذة عن الزبير جاء فيها:

« يصف ميرزا حسن خان الزبير فيقول: "سكانها جميعًا من النجديين وأبنيتها في الغالب من الحجارة والجص"، ويصفها آخر فيقول "إن بها حوالي ألفي بيت وعددًا من الأسواق وخانًا (نزل القوافل). يتوافد التجار إلى هذه القصبة من كل صوب وحدب وخاصة الشام وحلب ومصر يتعاملون بيعًا وشراءً". كما يخبر بوجود جامع للنجادة داخل المدينة بالإضافة إلى الجامع الآخر الذي يحمل

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

اسم الزبير بن العوام رضي الله عنه. ثم تراجعت مكانتها في بداية القرن العشرين خصوصًا بعد دخول الإنجليز للمنطقة ومن ثم احتلال العراق، حيث بدأت الحال تتغير بالزبير مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبالرغم من ذلك لم تكن البلدة بالنسبة لنجد إلا منفذًا ومُتنفسًا. يصفها لوريمر في بداية القرن العشرين الميلادي فيقول: "بأنها مدينة مُحاطة بسور يقع في قلبها ضريح الزبير المُميز بمئذنة زرقاء يبلغ ارتفاعها أربعين قدمًا" وهي الآن مُهدمة آيلة للسقوط من جهة الشمال. يوجد بالمدينة سوق كبير مرصوف بني مُعظمه من الحجر. كما توجد بعض المساكن الجيدة لها أقبية مزودة بنوافذ تجلب لها الهواء البارد في أيام فصل الصيف الحارة" ويُقدر لوريمر عدد سكان الزبير في تلك الفترة السيئة بحوالي٦٠٠٠ نسمة فقط، كلهم من المُسلمين من أهل السُّنة. ويُضيف فيقول إن لكثير من وجهاء البصرة وأثريائها مساكن في الزبير يفدون إليها في فصل الصيف نظرًا لجفاف هوائها. "كما توجد في الزبير بعض العائلات الكبيرة المُنحدرة من وسط شبه الجزيرة العربية التي تُقيم في المدينة إقامة دائمة. أما بالنسبة للتجارة فقد كانت الزبير ـ في هذا الوقت ـ سوقًا هامًا بالنسبة للمناطق المحيطة بها خاصة لقبائل البدو، وكان الكثير من السكان يعملون بالتجارة، وكانت البلدة تصدر الجص والجبس والجير والصنادل والسروج التي هي من نتاجها الذاتي".
وينقل لنا الحديري:"أن أهل الزبير كلهم من أهل السُّنة والجماعة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ولهم الصلابة التامة في مذهب أهل السُّنة والجماعة، وملازمة الجماعات والعبادات. ومع ذلك فهم من أهل الشجاعة والإقدام، كلهم من نجد ذوي بأس شديد". غير أن أهل الزبير، ومقامهم عند ضريح الزبير بن العوام وأضرحة الصحابة الآخرين من أمثال طلحة وغيره وكذلك بعض التابعين، لم يروا ضيرًا في إكبار هؤلاء النفر من الأولياء الصالحين وإجلالهم حتى أقسم البعض بهم، وكان هذا من جملة المسائل التي باعدت بينهم وبين أنصار الدعوة الوهابية، التي ترى في مثل هذا القسم شركًا. حتى قال الشاعر ابن لعبون: حلفنَ لي بالحسين وبالحسن

*** قلنَ حاشا ما نطيع المُجرمين. ولم يكن هذا الأمر إلا بحكم العادة، وبتأثير البيئة العراقية، فأهل الزبير هم على مذهب أهل السُّنة والجماعة ومن خلال ذكر ميرزا حسن خان نعرف أيضًا: "أنهُ كان في الزبير خمسة عشر مسجدًا، وسبع مدارس (كتاتيب) ومدرسة ابتدائية" ولعل في هذا ما ينفي الجهل عن أهل الزبير أو وضعهم في عداد المُشركين. ويُشير الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع أن الزبير كانت آهلة بفقهاء المذهب الحنبلي، وأن الشيخ علي المحمد من أهل الزلفي كان من الذين تلقوا تعليمهم في الزبير، فلما أصبح عالمًا فقهيًا تولى القضاء في عنيزة في عام ١٢٧١هـ ـ ١٨٥٥م».۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

ويُلاحظ هنا تراجع دور الزبير كمنطقة جاذبة للوجود النجدي في العراق في نهايات القرن التاسع عشر، وذلك بسبب الفتن الداخلية والصراع على النفوذ بين الأسر النجدية، والتي كان سبب تلك الفتنة هم أبناء ثاقب بن وطبان، أحفاد مرخان السعودي، حيث أشعلوا نار الفتنة في الزبير، وأوغروا الصدور بين الأسر النافذة حتى اندلع الصراع بين أسرة الزهير والسعدون، فبات الزبير بؤرة للصراع والتنافس الأسري بين تلك العوائل النافذة.

ثم جاء احتلال العراق في بداية القرن العشرين، فتراجعت أهمية الزبير وتلاشى نفوذها التجاري وحتى السياسي، ثم توالت الانقلابات العسكرية على حكم العراق، فلم يعد أحد من ساسة العراق الجُدد يهتم بشأن الزبير أو يلتفت لأهلها، فتحولت إلى بلدة مُهمشة شبيهة بالبلدات التراثية، خصوصًا بعد أن هجرها أغلب أهلها الأصليين وتوجهوا إلى الكويت والسعودية بعد ظهور البترول في منطقة الخليج.

فقد زارها الملك عبد الله بن الحسين في عام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني، وقد ذُهل وهو يرى تلك البلدة التراثية، فلم يتمالك نفسه حتى قال لمُرافقيه في تعجب: هل أنا في نجد ؟! ثم عاد واستدرك بعد ذلك بكلمات اعتذار لمرافقيه من أبناء الزبير.

---

۞ كتاب : نجديون وراء الحدود \ تأليف: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم.

- **شيخ شنقيطي ثائر في الزبير !**

**لم تكن الزبير ملجئًا للنجديين فقط بل أصبحت ملاذًا آمنًا لكل من تقطعت به السُبل أو وقف موقفًا شرعيًا مُشرقًا لأجل الإسلام وأهله، فلم يجد أمامه إلا العيش في بلد الزبير، ومن أولئك الذين شاءت الأقدار وحكمت عليهم ظروفهم أن يقطنوا في الزبير ويستحق الذكر على موقفه التاريخي المُشرف هو الشيخ محمد الشنقيطي الذي اتخذ موقفًا شرعيًا حازمًا ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق ودفع ثمن موقفه هذا أن هجّره آل صباح من الكويت وكادوا له المكائد، ولكن قُدر لهذا الشيخ الجليل أن يقف معه شيخ الزبير إبراهيم بن عبد الله ويرد كيد ابن صباح في نحره.**

**فأن تجد جُلَّ اللائذين في الزبير هم من أهالي نجد فهذا الأمر لا غبار عليه، لأن بلد الزبير بوابة العراق على نجد، ولكن ما الذي أتى بذلك الشيخ الموريتاني إلى بلد الزبير، وما هي الظروف التي دفعته للبقاء في هذا المكان؟**

**أمر يستوجب السرد وموقف يستحق الإشادة والتوثيق، فهذا الشيخ الفاضل المدعو محمد الشنقيطي كان يعيش في الكويت، ولا يُعرف تحديدًا سبب قدوم هذا الشيخ الموريتاني إلى الكويت أو كيف وصل، ولكنه كان من أبرز مشايخها الأجلاء المُطاعين من قبل عامة أهل الكويت، وكان شيخ ورع وعالم دين فاضل ولا تأخذه في قول الحق لومة لائم، وكان لموقفه الشرعي الثابت أثناء احتلال الإنجليز للعراق أثرًا ايجابيًا كبيرًا على نفوس أهل الكويت، ثم شُرد وطرد من الكويت بسبب مواقفه ضد الغزاة وأذنابهم بالمنطقة.**

**وأثناء الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤م والبدء في عملية الاحتلال البريطاني للعراق، أفتى مشايخ العراق بوجوب جهاد الغزاة الإنجليز والدفاع عن حياض دولة الخلافة العثمانية، وكان الشيخ محمد الشنقيطي ممن أفتى بضرورة جهاد الكفار وكان يُحرض أهل الكويت على جهاد الإنجليز، وقد أدى**

موقفه إلى التصادم مع آل صباح كونهم أتباع للإنجليز، وهذا ما جعلهم يسعون للتخلص منه.

فلما كان شيخ الكويت مبارك الصباح في ضيافة شيخ المحمرة الشيخ خزعل بن مرداو وكان كلاهما عملاء أوفياء للإنجليز وممالين للاحتلال البريطاني للعراق، ثارت القبائل العربية في إقليم الأحواز العربي، حيث انتفضت قبيلة بني لام الطائية بقيادة شيخهم المعروف عضيان البنيان، وانتشروا في أطراف الحويزة وثارت معهم قبيلة بني طرف وعزما على احتلال الأحواز، فشعر الشيخ خزعل بالخطر واتصل بالإنجليز فأرسلوا له قوة بحرية عبر نهر الكارون لقمع الانتفاضة العربية التي اندلعت في عموم عربستان، ثم ثارت قبيلة الباوية من ربيعة، فأرسل عليهم خزعل قوة بقيادة ابن أخيه حنظل ونجح بقمع انتفاضتهم.

ثم سرعان ما ثارت عليه قبيلة بني كعب ذاتها، وهي قبيلة الشيخ خزعل نفسه، وذلك بعد أن اتهمه أبناء عشيرته بأنه مُجرد عميل للإنجليز وأنهُ يتآمر مع الكفار على الدولة العثمانية وهي دولة مُسلمة، علمًا أن أهل عربستان كلهم شيعة ولا يوجد فيهم من أهل السُّنة، ولكنهم غلبوا دينهم وعروبتهم على الخلاف المذهبي وهذا يُحسب لهم في ذلك الوقت.

فانتفضت قبيلة بني كعب وأعلنت الثورة والعصيان على شيخ وربيب الإنجليز خزعل وتحصنوا في منطقة الفلاحية بتاريخ ١٠ربيع الثاني عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م وأعلنوا خلعهم للشيخ خزعل وسلموا قيادتهم إلى أحد السادة العلويين يدعى السيد جابر السيد مشعل، فاشتبكت معهم قوات الشيخ خزعل بقيادة ابنه كاسب وبمعونة الإنجليز وتمَّ هزيمة الثوار.

وفي أثناء تلك الأحداث كان مبارك الصباح ضيفًا على الشيخ خزعل في عربستان، ويبدو أن خزعل خشي أن يُهزم وتصادر أمواله، فطلب من صديقه شيخ الكويت مبارك أن يمده بالسفن لنقل أمواله ومقتنياته الثمينة ويشحنها

للكويت، أو ربما حينما شاهد مبارك الوضع الصعب لخزعل بادر لمُساعدة صديقه في أزمته فأشار عليه أن يمده بالسفن والرجال، أو أن الإنجليز طلبوا من مبارك الصباح أن يمد يد العون لخزعل، وعلى أية حال فقد أرسل مبارك الصباح لولده جابر يأمره بأن يُرسل له السفن والرجال من الكويت لدعم ومناصرة الشيخ خزعل، وهنا يبرز دور الشيخ محمد الشنقيطي..

فعندما استلم جابر المبارك الصباح الرسالة العاجلة من أبيه وتلاها على جموع الكويتيين، وطلب منهم النفير العام وتهيأة السفن لمساعدة الشيخ خزعل، رفض الكويتيون طلبه مُتذرعين بفتوى دينية أصدرها الشيخ محمد الشنقيطي الذي حرضهم على عدم طاعة أوامر مبارك الصباح لأن في إطاعة أوامره ارتداد صريح عن الدين، والواجب عليهم جهاد الكفار والنفير ضد المُحتلين الإنجليز وأمرهم بعدم طاعة المخلوق في معصية الخالق، وتلك كانت أول حركة عصيان مدني تحدث في تاريخ الكويت!.



السيد رجب نقيب الأشراف — الشيخ سالم المبارك شيخ الكويت — المستر بل رئيس الخليج — الشيخ خزعل امير المحمرة — الكبتن مكلم المعتمد السياسي البريطاني

وعندما جاء جابر المبارك إلى ربابنة السفن الكويتيين ليرغمهم على الإبحار صوب المحمرة، رفضوا تنفيذ أوامره، وكانوا غاضبين على آل صباح، ويحملون المُسدسات تحت ثيابهم، وقالوا له: (لا نسمع لقولك ولا نطيع حتى وان أمرت بقتلنا، فخير لنا أن نموت على الإسلام من أن نموت على الكفر، وقد جاء في الحديث "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وأنك تطلبنا لأمر فيه معصية لله ولرسوله).

فبهت جابر الصباح عند سماعه هذا القول الجديد، وتعجب من هذا التمرد الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الإمارة، وأدرك أن الشيخ محمد الشنقيطي هو من حرَّض القوم وهو من فقَّه الناس بالدين، فأرسل رسالة عاجلة لوالده يُعلمه بما جرى، ولما علم مبارك الصباح بالأمر ثارت ثائرته وأخذ يُهدد ويتوعد وأنهُ سينزل بهم أشد العقاب.

ولما قُمعت الثورة واستعاد خزعل سطوته، ذهب بعض أعيان الكويت إلى المحمرة لمُقابلة الشيخ مبارك الصباح لكي يعتذروا منه ويطيبوا خاطره ويرموا بكامل المسؤولية على عاتق الشيخ محمد الشنقيطي ومن كان معه، فلما وصلوا إلى المحمرة وقابلوه شتمهم مبارك وتوعدهم، ثم قال لهم:
«إن أخي خزعل ليس في حاجة إليكم وها أنتم تشاهدون بأعينكم القوة الكبيرة المُجتمعة لديه، وأني لم أطلب منكم رجالاً للاشتراك في القتال، ولكن أردت سفنًا لنقل ما يجب نقله من حلاله وأمواله إلى الكويت إذا اقتضت الضرورة، وعليه ارجعوا من حيث أتيتم وبادروا بإرسال ما يمكنكم من السفن بأسرع ما يمكن». ۞ - انتهى الاقتباس -

يقول حفيد الشيخ خزعل، فعادوا إلى الكويت وجهزوا ستة سفن كبيرة وحملوا فيها مائة وثمانين رجلاً من أهل الكويت وأمروهم بالمرابطة أمام قصر الشيخ خزعل في "الفيلية" ، وبقيت تلك القوة الكويتية هناك مدة شهرين ، وعادت

---

۞ كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

بعدما أخمد الشيخ خزعل تلك الثورات المُتتالية بالكامل، ثم عاد مبارك الصباح وأخذ يتتبع أثر الشيخ محمد الشنقيطي وينتقم ممن تبعه من أهل الكويت، إلا أن الشيخ الشنقيطي كان قد خرج من الكويت قبل قدوم مبارك، والتحق في جيش المُجاهدين المُرابط في منطقة الشعيبة قرب الزبير، وقد شارك الشيخ في تلك المعركة، ولما هُزمت القوات العثمانية غادر الشنقيطي إلى عنيزة.

ولكن المؤرخ الكويتي عبد العزيز الرشيد يذكر في كتابه أن مبارك الصباح كان قد واجه الشيخ محمد الشنقيطي هو ورفيقه المدرس المصري في الكويت حافظ وهبة، وقد اتهمهما بتحريض الناس على العصيان وعلى كره الإنجليز بوجود القنصل البريطاني، ولكنهما أنكرا تلك الاتهامات، وبعدها تشاور مبارك مع القنصل البريطاني في أمر الشنقيطي وحاول مبارك أن يعتقله لكنه فرَّ هاربًا إلى الزبير، وعن تلك الأحداث يذكر عبد العزيز الرشيد في كتابه قائلاً:

«رجع مبارك إلى الكويت بعد أن وصلت إليه النجدة وقد أحاط خبرًا بكل ما جرى فاستدعى العلامة المُحدث الشيخ محمد الشنقيطي والأستاذ حافظ وهبة المصري إلى قصره وقد كان هنالك القنصل الإنجليزي في الكويت. استدعاهما ليقرعهما على ما قاما به أثناء تلك الحركة، فقال بعد أن حضرا بين يديه:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" ثم أردف ذلك بقوله أنا مُسلم عثماني أغار على ديني وعلى دولتي ولا أحب من يتعرض لهما بسوء، غير أني اتفقت مع الإنجليز على أمر فيه نفع لي ولبلدي، ولهذا لا أرضى بالطعن فيهم وإن كنت لا أحبهم وديني غير دينهم! ثم قال بعد هذا مُخاطبًا الاثنين أنه قد ورد لي كتاب بأنكما وثالثًا معكما اسمه عثمان العازم من أثاروا الناس في الكويت وحرضوهم على العصيان ضدي والكويت بلدي وأنا الحاكم فيها، والذي يُنازعني فيها فليس له عندي إلا القتل، فقال الشنقيطي: إن من أخبرك فقد أخطأ ولم يتحر الحقيقة. فقال مبارك: لا بل هو صادق فيما قال. فقال الشنقيطي: من هو الرجل الثالث الذي ذكر لك في الكتاب؟ فقال مبارك: لا

أعرفه ولكني سأبحث عنه حتى أعرفه! فرد الشنقيطي: هذا أدل شيء على كذب الخبر فإنه لا يُعقل أن يوجد في الكويت من يؤخذ برأيه ويُسمع لقوله وأنت لا تعرفه! وأمر البلد وأهلها راجع إليك وقد علمت ما يجري فيها من صغير وكبير، وأما أنا فلم أسمع بشيء مما نُسب إليَّ، أنا أحد طلبة العلم وظيفتي الوعظ والإرشاد والتربية والتعليم. فقال له مبارك: هذه الوظيفة عالية لا لوم عليك فيها، وهنا التفت إلى حافظ وهبة وقال له:"إن أبناء المدارس في الكويت يجهرون في الشوارع والأسواق بسب الإنجليزي ومدح الألمان، ولا ريب أنهم لصغرهم لا يعرفون إلا ما يلقنهم معلمهم، فصاحب المثل يقول: خذ رأي القوم من أسفهها". فرد حافظ وهبة: أنا لم أعلمهم شيئًا من هذا القبيل ولم ألقنهم من أمور السياسة ولا كلمة واحدة ومع هذا فسأزجرهم عما يقولون. وفي النهاية أمرهما مُبارك بمُغادرة المجلس وانتظاره في إحدى حجر القصر، ثم جرى بين مبارك والقنصل الإنجليزي ما يأتي:

مبارك: أسمعت ما قاله الرجلان من الأعذار؟

القنصل الإنجليزي: نعم سمعته. الذي يظهر لي أن المصري مُقتنع وأنهُ صادق فيما قال، وأما صاحبه فأنا من صدقه في ارتياب.

فقال مبارك للقنصل الإنجليزي: فماذا ترى إذًا؟

فرد القنصل: بعد ثلاثة أيام سأعلمك برأيي.

ثم بعد هذا أرسل مبارك كاتبه الخاص ملا صالح ليأذن للاثنين بالانصراف ويضرب للشنقيطي وحده موعدًا بعد ثلاثة أيام، فبلغ الكاتب الاثنين ما أمر به، ولكن الشيخ الشنقيطي ارتاب من هذا البلاغ وخشي أن يكون وراءه مكيدة فرأى الحزم يقضي عليه بأخذ الحيطة لئلا يقع في الشبكة فاختفى عن العيون وهو يتسمع ما يجري من الأخبار إلى أن أقبل في اليوم الثالث مركب من البصرة فيه رجال من العشارة فقبضت عليهم الحكومة، فبعث مبارك بأحد خدامه يبحث عن الشنقيطي ولكن الخادم لم يستفض في التفتيش ولعله كان بأمر من سيده الذي لم يشأ أن يُشارك المُعتمد في الأمر، ومهما يكن فإن

الشيخ الشنقيطي علم مما جرى صدق ما أشيع عن دائرة القنصل من عزمها القبض عليه فنأى بجانبه عن مُحيط الكويت وزم مطاياه إلى الزبير وحضر هناك واقعة الشعيبة المشهورة».[۞] -انتهى الاقتباس-

ولهذا حقد آل صباح على الشيخ محمد الشنقيطي ولما عاد من عنيزة إلى الكويت بعد سريان هدنة الحرب بين الإنجليز والأتراك، كان مبارك الصباح قد توفي وخلفه ولده جابر فحكم لمدة عام واحد فقط وتوفي هو الآخر، وحينما وصل الشنقيطي للكويت كان سالم المبارك الصباح هو الأمير، وكان هو الآخر يحمل حقدًا وغلاً دفينًا على الشيخ الشنقيطي فقام بطرده من الكويت ومن ثم بدأ يُحرض عليه الإنجليز حينما أقام في الزبير.

وعن عودة الشنقيطي للكويت وقيام سالم الصباح بطرده من البلاد، يذكر لنا حفيد الشيخ خزعل صاحب كتاب "تاريخ الكويت السياسي" فيقول:

« ترك الشيخ محمد الشنقيطي الكويت، على إثر الخلاف الذي جرى بينه وبين الشيخ مبارك، فذهب إلى البصرة واشترك مع المُجاهدين في معركة الشعيبة (قرب الزبير). ثم ترك البصرة وقصد نجدًا، وسكن في مدينة عنيزة (بعد إعلان الهدنة والسماح لكل واحد بالعودة إلى بلاده) وقصد الكويت، فوصلها في شهر شعبان ١٣٣٧هـ مايس ١٩١٩م. وحل ضيفًا على مرزوق الداود البدر، وطلب إليه أن يُهيئ له مُقابلة مع الشيخ سالم فهيئ مرزوق له لقاءً مع الشيخ سالم، لكن اللقاء لم يكن كما كان يتوقعه الشيخ الشنقيطي، حيث أبدى له الشيخ سالم فتورًا وعبوسًا وخاطبه بصيغة الغضب قائلاً: من أين قدم الشيخ؟ وما قصده من القدوم إلى الكويت؟ ومن الذي أحاطه بحمايته؟ فأجاب الشيخ محمد الشنقيطي: (إني قادم من القصيم، وليس أمامي عدو أخشاه حتى أطلب الحماية من أحد؟). فقال له الشيخ سالم: (أيسوغ لك القدوم إلى بلدي، وأنا الحاكم فيها دون أن تنبئني بذلك؟ ولعلك تقول في نفسك أن الذي كنت

---

[۞] كتاب : تاريخ الكويت \ تأليف: عبد العزيز الرشيد..

أخشى بأسه وأحذره مات، ولم يبق في الكويت من يُخاف منه؟). فأجابه الشنقيطي: ( لم يكن الأمر كذلك يا شيخ،لأني ما تركت الكويت خشية من غضب الشيخ مبارك، ورهبة من سلطانه، ولكني هربت خوفًا من بطش الإنجليز). فضحك الشيخ سالم مُستهزءًا من ذلك القول، وأجابه قائلاً: (إن كان تركك الكويت حسبما تزعم، خوفًا من بأس الإنجليز؟ فإن الإنجليز ما زالوا أصحاب النفوذ في الكويت، ويُخشى بأسهم كما كانوا في السابق أو أكثر من ذلك). فقال له الشيخ الشنقيطي: (لقد عُدت للكويت، بعد إعلان الهدنة، وإصدار البيان الذي تضمن السماح لكل شخص يشاء العودة إلى وطنه، حتى ولو كان من السياسيين المنفيين. وأني لم أكن منفيًا من جهة رسمية). وهنا أراد مرزوق الداود البدر الكلام، فبادره الشيخ سالم بقوله: (ماذا تريد أن تقول؟ أنا أعرف انكم أنتم الذين هربتم هذا الرجل، وأنتم الذين هيئتم له السفينة في كاظمة أيام والدي، وأنتم المحرضون له على كل ما قام به، فأنا الآن لا أسأل أحدًا عنه غيركم، وأنتم المُطالبون به دون سواكم، فخذه الآن واحتفظ به عندك، إلى أن يأتيك أمري) ».[۞] -انتهى الاقتباس-

نلاحظ هنا أن سالم المبارك يعترف أن الكويت كانت رهينة بيد الإنجليز، وأنها أصبحت خاضعة بالكامل للإنجليز بعد نتيجة الحرب العالمية الأولى، والدليل أنهُ أرسل كاتبه إلى المُعتمد البريطاني يُعلمه بشأن الشيخ الشنقيطي ليطلب منه المشورة أو ليتلقى منه الأوامر، كما يحاول هنا أن ينتقم لوالده ويُصفي حساباته مع الخصوم، ومن خلال ما ذكره يبدو أنه كان يحمل غلاً على مرزوق الداود البدر أيضًا.

فما أن خرج مرزوق البدر والشيخ الشنقيطي من مجلس سالم الصباح أرسل على الفور كاتبه الخاص الملا صالح إلى المُعتمد البريطاني في الكويت يُبلغه بقدوم الشيخ محمد الشنقيطي من تلقاء نفسه إلى الكويت، ودون علمه ولا

---

[۞] كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

يعرف كيف يتصرف معه، وينتظر أوامر المُعتمد البريطاني لكي يتخذ قراره، فأبلغ المُعتمد البريطاني في الكويت مبعوث سالم المبارك - الملا صالح - برسالة إلى سالم الصباح جاء في فحواها:

« لا شيء لدينا ضدّ هذا الرجل، وليس هو من الأشخاص الذين تُحاذر منهم الحكومة البريطانية، ولا نجد في سجلاتنا ما يُشير إلى شيء من ذلك، وكل ما نعرفه عنه أن الشخص المذكور كان يسكن في نجد خلال الحرب، ونجد بلاد مُسالمة لنا، وأنهُ خلال مدة مكوثه فيها لم يأت بشيء يستحق الحساب عليه. وبالرغم من كل الاحتمالات السيئة، فإن الوقت الآن وقت هدنة، ولو كان هذا الشخص تركي العقيدة، أو من المُعادين لنا فلا حق لنا عليه، وغاية ما يُمكن إجراؤه معه، إذا عادت الحرب من جديد، أن نرجعه إلى المكان الذي قدم منه، وأما الآن فلا شيء لنا معه، وان الأمر فيه يعود لكم وحدكم. أعملوا كما يوافقكم) ». ۞ - انتهى الاقتباس -

(نلاحظ هنا أن المُعتمد البريطاني في الكويت يُعتبر بلاد نجد مُسالمة لهم، وسيأتي بإذن الله ذكر الدور الخبيث الذي لعبه عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في دعم القوات البريطانية في مشروع احتلال العراق، وذلك في كتابي الجديد القادم).

وحينما عاد الملا صالح وأبلغ سالم المبارك برأي المُعتمد البريطاني في الكويت، لم يجد أمامه إلا أن يقوم بطرد الشيخ محمد الشنقيطي من الكويت، وبعد ثلاثة أيام أرسل سالم المبارك في طلب الشنقيطي وأمره بالرحيل الفوري من الكويت، وهدده في حال بقي في أي بيت كويتي فسوف يقوم بحرق البيت هو ومن فيه، وهو يعني بكلامه (مرزوق الداود البدر) صديق الشيخ الشنقيطي، كما رفض سالم المبارك وبشدة أن يمُهل الشنقيطي فترة إلى حين عودة القافلة من القصيم ليعود معها إلى نجد، وأمره أن يُغادر الكويت خلال ثلاثة أيام.

---

۞ كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

وعن اللقاء الأخير الذي جمع بين الشيخ محمد الشنقيطي وبين سالم المبارك الصباح يذكر حفيد الشيخ خزعل في كتابه: « وبعد ثلاثة أيام أرسل الشيخ سالم إلى مرزوق البدر ليحضر الشيخ محمد الشنقيطي إلى مجلسه، فلما حضر، قال له الشيخ سالم: (إني أحترم العلم وأهله، ولولا ذلك لأنزلت بك عقابًا صارمًا، حتى تكون فيه عبرة لمن بعدك. ولكني سأغض النظر عن مُعاقبتك الآن، إلا أني لا أسمح لك بالبقاء في بلدي، وعليك أن تغادره بعد ثلاثة أيام، وإذا ما ذُكرت لي بعدها في أي بيت من بيوت الكويت فسأحرقه عليك وعلى من معك). فقال له الشيخ الشنقيطي: (إن البلد بلدك، ولا يمكن أن يُقيم فيها أحد إلا بإذن منك، وبرضاك، غير أني أرجوك أن تؤجل سفري إلى حين عودة القافلة التي جئت بصحبتها، فأعود إلى القصيم من حيث قدمت؟). فلم يسمح الشيخ سالم بذلك وأمره أن يترك الكويت خلال ثلاثة أيام. عندئذ اضطر الشنقيطي إلى ترك الكويت خلال الأجل المضروب، وقصد الزبير وحل ضيفًا على شيخها الشيخ إبراهيم العبد الله فأكرم مثواه.». ۞ -انتهى الاقتباس-

ونرى أن المؤرخ الكويتي عبد العزيز الرشيد الذي عاصر الأحداث يُحمل شيخ الكويت سالم الصباح اللوم على طرده للشيخ الشنقيطي، ويرى في تصرفه هذا أعظم سيئاته، فيقول:

« إن هذه الحادثة من (الشيخ) سالم وهو الرجل الصالح التقي لمحزنة جدًا بل لنراها من أعظم سيئاته، سيما والأستاذ لم يأت ما يستحق عليه هذا العقاب الفظيع فنعذره فيما فعل، نعم سالمًا توهم أمورًا جسمها له تخوفه، أمورًا لو فرضنا أنها صحيحة فلا تبرر ما عمل، إذ ليس مثل الأستاذ أهلاً للطرد والنفي، وهو العالم الفذ والمُحقق البحاثة والتقي والورع». ۞۞ -انتهى الاقتباس-

ولم يرحم سالم الصباح الشيخ محمد الشنقيطي حتى بعد أن استوطن في بلد الزبير حيث بدأ يكيد له ويُحرِّض عليه أسياده الإنجليز ويتهمه بأبشع الاتهامات

---

۞ كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

۞۞ كتاب : تاريخ الكويت \ تأليف: عبد العزيز الرشيد.

السياسية في سبيل التخلص منه، ومع أن الشيخ الشنقيطي كان وحيدًا غريبًا في تلك البلاد ولم يكن صاحب نفوذ أو سلطة سياسية أو يتزعم قبيلة أو جماعة، بل كان رجلاً موريتانيًا مُتفقهًا في الدين، لكن الذي أرعب آل صباح منه وجعلهم يُطاردونه حتى وهو خارج سلطتهم أنهُ لم يُحابيهم ولم يلوي عنق العقيدة لصالحهم، والأهم أنهُ كشف للكويتيين نفاقهم وعمالتهم للإنجليز وتآمرهم على الإسلام والمُسلمين.

وعن تآمر ومحاولات سالم الصباح الخبيثة للإيقاع بالشيخ الشنقيطي حتى وهو في الزبير، يوثق لنا حفيد الشيخ خزعل في كتابه، فيقول:
« لم يكتف الشيخ سالم بإخراج الشيخ الشنقيطي من الكويت على تلك الحالة، بل ظل يُتابعه ويُطارده، حتى وهو في الزبير! فقد أرسل كتابًا رسميًا إلى نائب الحاكم الملكي العام البريطاني في البصرة، يقول له فيه: (بان الشيخ محمد الشنقيطي هو من ذوي الحركات الهدامة، ومن المُشاغبين، ويحذره من بقائه في الزبير). ولما وقف نائب الحاكم المذكور على فحوى تلك الرسالة، طلب مُقابلة الشيخ إبراهيم شيخ الزبير، وسأله عن الشيخ الشنقيطي، وهل هو في الزبير؟ وبضيافة مَن مِن الأهالي؟ فقال له الشيخ إبراهيم: (إن الشيخ الشنقيطي الآن في الزبير وأنهُ في ضيافته.). فقال له الحاكم العام: (إني سمعت بأن هذا الشيخ من المُشاغبين، ومن المُحركين السياسيين ويُخشى منهُ الخطر). فنفى الشيخ إبراهيم عن الشنقيطي هذه الصفات وقال لنائب الحاكم: (أن الشيخ الشنقيطي رجل دين ورع، وعالم فاضل، ولا اتصال له بالسياسة مُطلقًا، وكان قد التحق إلى جانب الأتراك في حرب الشعيبة ظنًا منه أنها حرب دينية، وأن لكثير من أمثاله من علماء الدين كانوا على هذه العقيدة، ولكن بعد أن تبين لهم أنها حرب سياسية ولا علاقة لها بالدين تركوا جبهات القتال، وعادوا إلى مساجدهم وصوامعهم، وكان الشيخ المذكور من ضمن التاركين جبهات القتال فذهب إلى نجد وأقام فيها إلى أن أعلنت الهدنة، عندئذ تركها وعاد إلى الكويت، ولكن الشيخ سالم صاحب الكويت قد أخرجه منها، لا لأمور

سياسية وإنما لتأثيرات بعض المُتلبسين بلباس علماء الدين، دفعهم لذلك عامل الغيرة والحسد). فأقتنع نائب الحاكم العام البريطاني بما قال الشيخ إبراهيم، ولم يتعرض للشيخ الشنقيطي بسوء، واستقر الأخير في الزبير مُعتكفًا على العبادة والتدريس والإرشاد». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن الشيخ محمد الشنقيطي بعد نفيه من الكويت جاء في زيارة قصيرة للكويت في عام ١٢٤٣هـ وأقام له تلامذته حفلاً تكريميًا، جاء ذكره في تاريخ عبد العزيز الرشيد الموسوم بـ تاريخ الكويت – حيث يقول:

« وفي رمضان سنة ١٣٤٣هـ زار الأستاذ الشيخ محمد الشنقيطي الكويت، فأقام له النادي هناك حفلة تكريمية ألقيت فيها عدة قصائد وخطب، وإلى هذه الحالة المؤلمة يُشير صاحبنا الأديب الفاضل سليمان أفندي العدساني بقصيدته الغراء التي يقول فيها: ». ۞ ٨٢

| | |
|---|---|
| إن الكويت لبعدكم | كادت لبلواها تميد |
| فاصفح لماضيها وغض | الطرف عن ذاك البعيد |
| هذي الكويت تبسمت | أرجاؤها لك من جديد |
| واستبشرت بقدومكم | فكأنما كانت بعيد |
| وأقام ناديها لكم | ذا المهرجان مع النشيد |
| أما الزبير فكم لكم | فيها من الأثر الحميد |
| فلكم أشدت مدارسًا | فيها وكم أثر مجيد |
| لو كان مثلك عشرة | فينا لما بعد البعيد |
| عجبي لقوم أغضبوك | أما بهم رجلٌ رشيد |
| آذوك لما أن دعوت | هم إلى أمرٍ مفيد |
| هذي السفاهة أغضبت | رب الخلائق والعبيد |

۞ كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

۞۞ كتاب : تاريخ الكويت \ تأليف: عبد العزيز الرشيد.

**رحم الله الشيخ الجليل محمد الشنقيطي فقد وقف موقفًا شرعيًا حازمًا ومُشرفًا يعجز كثير من مشايخ العلم الشرعي المزعومين أن يقفوا مثل موقفه، فذهب مبارك الصباح وذهب ولداه جابر وسالم، ولحقهم الشيخ الشنقيطي، ولكنه ربح البيع ونال رضا الله وكسب السمعة الطيبة، وأما هم فقد كسبوا العار والشنار وخدمة الاستعمار.**

## ▪ رغبة بريطانية لتحويل الزبير إلى مشيخة مُستقلة شبيهة بمشيخة الكويت:

يبدو أن بريطانيا الاستعمارية كانت على علم بالثروة النفطية الهائلة التي تحويها منطقة الزبير تحديدًا، لذلك آثرت أن تجعلها مشيخة مُستقلة مُقتطعة من الأرض الأم العراق وتجعلها إمارة مُستقلة خارجة عنها، شبيهة بمشخة الكويت السليبة، فقام السير بيرسي كوكس بمفاتحة شيخ الزبير الطيب ومُحاولة الضغط عليه لقبول فكرة أو قرار الاستقلال بالزبير وجعل البلد مشيخة مُستقلة ومن ثم إمارة كبقية إمارات الخليج العربي الحالية، لكن الموقف الوطني الحازم لشيخ الزبير آنذاك الشيخ إبراهيم العبد الله الإبراهيم الراشد، حال دون تحقيق ذلك الحلم البريطاني، مما جعل المندوب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس يغضب غضبًا شديدًا على شيخ الزبير، ويأمر باحتجازه في بغداد ومن ثم فرض الإقامة الجبرية عليه!.

إلا أن بريطانيا اضطرت لاحقًا لأن تلغي مشروعها الخاص بسلخ الزبير عن العراق، واكتفت بمشيخة الكويت كجزء منسلخ من العراق لأنهُ كان قابلاً للتمرد أو ما يُسمى بالاستقلال الذاتي عن بلده الأم، لكن الإنجليز وكعادتهم الخبيثة جعلوا الحدود ضبابية بين تلك المشيخة المُنسلخة عن العراق والمحمية من قبل بريطانيا وبين حدود البلد الأم للكويت وهو العراق.

حيث تركت بريطانيا أمر الحدود جرحًا مفتوحًا بين الطرفين، على عكس سعيها الحثيث لترسيم الحدود بين السعودية والعراق، والسعودية والكويت، وذلك لغرض أن تستحوذ على ما يُمكن أن تستحوذه من أراضي الزبير الغنية بالبترول والتابعة للعراق خصوصًا بعد ما سُمي بقرار استقلال الكويت، وذلك لمعرفة الإنجليز أن أغلب أراضي بلد الزبير تقريبًا تفيض بالبترول الخام، ولهذا فتحت المجال وشجعت ابن صباح لأن يتمدد نحو أراضي الزبير السائبة، فالتهم أغلب المناطق الإدارية التابعة لقضاء الزبير مع وجود

حكومات عراقية هزيلة ومُهادنة وأحيانًا مُتآمرة ومتخاذلة، حتى تمددت الكويت وكادت أن تصل إلى شط العرب، بعد أن كانت حدودها الإدارية عند الدروازة، أو ما يُسمى بالسور!.

وعن تلك المُحاولات البريطانية الحثيثة لسلخ منطقة الزبير عن خارطة العراق، وكذلك عن موقف شيخ الزبير الوطني والرافض لذلك المخطط الاستعماري الخبيث، ومن ثم تنازل الشيخ إبراهيم العبد الله الإبراهيم الراشد وعن طيب خاطر عن مشيخة الزبير، يذكر لنا حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه "تاريخ الكويت السياسي" ما يلي:

«استطاع الشيخ إبراهيم العبد الله، أن يُدير شؤون الزبير على أحسن ما يرام، فاستقام له الأمر في أواخر أيام الأتراك، ثم استطاع بحسن ذكائه أن يُحافظ على مدينته، ويصونها من تيارات القوات المُتخاصمة، فقد كانت القوات التركية مُرابطة بعد سقوط البصرة في محل يُدعى الشعيبة، يقع شمال مدينة الزبير. وكانت القوات البريطانية المُحتلة ترابط يومئذٍ في محل يُدعى البرجسية يقع جنوب مدينة الزبير، فأرسلت القوات البريطانية أحد ضباطها العسكريين إلى مدينة الزبير، قبيل معركة الشعيبة الشهيرة، ليتفاوض مع شيخها بالسماح للقوات البريطانية في الدخول إلى المدينة، لغرض المُحافظة عليها من الغارات التركية. فأبى عليه الشيخ إبراهيم ذلك الطلب قالاً له:" إن عملكم هذا قد يُسبب لنا خطرًا كبيرًا من جانب الأتراك، لأنهم سيسيئون بنا الظن، وقد يجرهم ذلك إلى مهاجمة مدينتنا، والفتك بنا، فالأحرى أن تتركونا وشأننا حتى تنتهي المعركة، فإن كان النصر إلى جانبكم فنحن موالون لكم ومطيعون. وإن كان النصر إلى جانب عدوكم، فنكون قد أمنا فتكهم لالتزامنا جانب الحياد. وقد اقتنع الضابط البريطاني بذلك القول، وعزم على العودة إلى معسكره، وعندما ودع الشيخ إبراهيم قال له: "نحن على كل حال، لا نريد بكم إلا الخير، ونحن على أتم الاستعداد لمساعدتكم متى شئتم منا ذلك". وفي اليوم التالي لهذه المُقابلة قدم على الزبير مُعاون القائد التركي سليمان عسكري من الشعيبة، وقابل الشيخ إبراهيم، وقال له: " لقد أرسلني إليك القائد العام، يطلب منك أن

تجهز من الزبير أربعة آلاف مُجاهد، ليشتركوا معنا بالقتال المُنتظر". فاعتذر الشيخ إبراهيم عن إجابة هذا الطلب، وقال له: " إن وضعنا الحالي لا يسمح لنا بالقيام بأي عمل من هذا القبيل، لأننا الآن في حاجة إلى الرجال، للمحافظة على مدينتنا من الاعتداء". فقال له مُعاون القائد: " إننا على استعداد لإرسال قوات نظامية مُدربة، لترابط عندكم في المدينة، وتحفظكم من كل خطر، ولا يقل عددها عن عدد المُجاهدين الذين نطلبهم منكم". فضحك الشيخ إبراهيم وقال له:"إن كان الأمر كما يدعيه حضرتكم، فالأجدر أن تبقوا قواتكم النظامية للدفاع عنكم، وتتركوا رجالنا يدافعون عن مدينتنا". فعاد المُعاون إلى قائده وأخبره بما دار بينه وبين شيخ الزبير من الحديث، فاستشاط القائد غضبًا، وأمر بأن يوجه إنذار إلى الشيخ إبراهيم، يُهدده بقصف مدينة الزبير بنار مدافعه، إذا لم يُرسل المجاهدين ويسمح للقوات التركية بدخول المدينة. أما الشيخ إبراهيم فلم يعر هذا الإنذار اهتمامًا، وقال لحامله "اذهب إلى من أرسلك، وقل له يعمل ما يشاء، فإننا لا نسمح لرجالنا بالخروج، ولا نقبل بدخول أية قوة أجنبية إلى بلدنا". وفي اليوم التالي من تقديم هذا الإنذار، أي ١٠ جمادى الأول ١٣٣٣هـ، ٢٤ نيسان ١٩١٥م. اشتبكت القوات البريطانية بالقوات التركية في معركة الشعيبة الشهيرة، ودامت يومين بلياليها، ولم تسلم مدينة الزبير من قصف المدفعية التركية، إلى أن انتهت المعركة بانتصار القوات البريطانية، وانتحار القائد سليمان عسكري بتاريخ ١٢ جمادى الثاني ١٣٣٣هـ، ١٤ آيار ١٩١٥م. وعلى أثر انتحاره انسحبت القوات التركية من تلك المنطقة، واحتلت القوات البريطانية مواقعها. وقد أقرت الحكومة البريطانية الشيخ إبراهيم على مشيخته، وأخذت تعامله مُعاملة حسنة، وتنتفع منه، وتستشيره في كثير من الأمور التي تتعلق بشيوخ البادية. وأهدته مُقاطعة نخيل في قرية الكباسي، تقديرًا منها لنصحه وإخلاصه. وبقي كذلك طيلة مدة الاحتلال البريطاني للعراق».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

- تنازل الشيخ إبراهيم العبد الله الإبراهيم الراشد عن مشيخة الزبير:

وقد انتهت المشيخة الرسمية عن بلد الزبير، وأصبح هنالك قائمام تُعينه الحكومة العراقية يُدير السلطة المحلية في البلد، ومع هذا بقيت بعض الأسر النجدية المعروفة تمتلك مكانة رمزية فقط، حيث أصبح آل سعدون لديهم مكانة اجتماعية مرموقة في الزبير ولكنها لم تصل إلى درجة المشيخة على أهالي الزبير، لأن هنالك عدة أسر وعشائر كريمة أخرى من غير قبيلة "المنتفج" قد قطنوا الزبير بعضهم سبقوا السعدون في السكنى والبعض الآخر استوطنوا الزبير لاحقًا وأصبح لهم مكانة اجتماعية تزاحم مكانة آل سعدون في الزبير.



- من اليمين إلى اليسار: حمود بن سويط وضاري بن طوالة، وشيخ الزبير إبراهيم ومحمد بن صالح السبهان سنة ١٩٢٠م -

وأما عن مُبادرة شيخ الزبير الشيخ إبراهيم العبد الله الراشد للتنازل طواعيةً عن مشيخة الزبير، يذكر حسين خلف الشيخ خزعل، في كتابه قائلاً:

« ولما قامت الثورة العراقية سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م، وعاد السير بيرسي كوكس من إيران إلى العراق، ومر بطريقه في البصرة، لم يستطع الشيخ إبراهيم مُقابلته لانحراف صحته، فأوصى السير بيرسي كوكس أن يزوره في بغداد بعد الشفاء من مرضه. فذهب الشيخ إبراهيم إلى بغداد عند شفائه، فدارت مُفاوضات بينه وبين السير بيرسي كوكس، لمح له فيها عن تأييد بريطانيا باستقلاله في الزبير، وإعلانها مشيخة كمشيخة الكويت، فلم يطعه الشيخ إبراهيم، ولما تشكلت الحكومة العراقية وعين الأمير فيصل ملكًا على العراق، قام الشيخ إبراهيم بتقديم عريضة إلى وزارة الداخلية، وسلمها إلى توفيق الخالدي تتضمن تنازله عن مشيخة الزبير إلى الحكومة العراقية، فعينت الحكومة العراقية السيد لفتة مُديرًا من قبلها على ناحية الزبير. ولما علم السير بيرسي كوكس بما قام به الشيخ إبراهيم، أصدر أمرًا بمنعه من العودة إلى الزبير، وتركه في بغداد. وبقي الشيخ إبراهيم في بغداد لا يستطيع مُغادرتها، إلى أن تولى منصب المندوب السامي البريطاني في العراق السير كلبر كلايتن، فسمح له بتاريخ ١٩٢٥م بالعودة إلى بلده، فعاد إلى الزبير ومكث فيها إلى أن وافته المنون».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : تاريخ الكويت السياسي \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.




# الأسرة السعودية الثانية: اندحار الوهابية وتراجع هيبتها

- **صراع آل سعود فيما بينهم على السلطة :**

شاهدنا كيف تشتت جمع آل سعود وآل محمد بن عبد الوهاب الذين أصبحوا يسمون فيما بعد بآل الشيخ، وقد تفرقوا في الشتات وتوزعوا على البلدان، فمنهم من أُخذ أسيرًا مع أسرته، ومنهم من فرَّ بجلده إلى عُمان وإلى بعض إمارات الساحل الشرقي التي كانت تخضع لنفوذ السلاطين في عُمان.

لقد تلاشوا تمامًا بعد هزيمتهم النكراء على يد إبراهيم باشا الذي قام بتدمير درعيتهم، فتفرق أتباعهم، بل أن كثيرًا من الوهابيين الذين اقترفوا مجازر رهيبة بحق السكان وشاركوا في غزو بعض المناطق في دول الجوار مع سعود بن عبد العزيز وولده عبد الله، عادوا والتجأوا إلى تلك المناطق التي سبق وأن كفَّروا أهلها وقتلوا أبناءها من قبل!.

فمنهم من التجأ للزبير مثلاً، وبعضهم ذهب صوب الكويت، والبعض الآخر ارتحل إلى البحرين وقطر وعُمان، وهكذا تفرق شملهم، ولم يعودوا إلا بعد أن ارتحل إبراهيم باشا وفرَّ من فرَّ من بعض أفراد آل سعود من مصر وعادوا إلى نجد وبدأوا في لملمة شتات أتباعهم، والبعض الآخر ترك تلك المُغامرات الدموية التي لم تجلب له ولأبناء جلدته سوى الدمار والتشرد، وبدأ حياة جديدة في بلدان المهجر.

إلا أن عودة الوهابية هذه المرة كانت ضعيفة جدًا ومُهلهلة وليست ذات طابع كنسي كهنوتي صرف كما كانت في السابق، حيث باتت الوهابية عبارة عن مطية شاغرة لكل من أراد أن يقفز على ناصيتها فيثب على زمام السلطة، ولم يقتصر الأمر على آل سعود فقط، بل تعدى الأمر حتى إلى أبناء أخت آل سعود، فقد بات الكل يسعى إلى الحكم عن طريق امتطاء صهوة الوهابية ومن خلال القرابة أو الخوؤلة!.

ويجب أن أنبه هنا إلى أن الصراعات الدموية بين أفراد آل سعود أنفسهم قد بلغت أوجها في تلك المرحلة؛ أي في عهد ما يُسمى بالأسرة السعودية الثانية، وكي نكون مُنصفين فإن سمة التقاتل بين الأشقاء والأقارب على السلطة كانت سمة غالبة على إمارات نجد وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية!. فسنجد مثلاً أن هنالك صراع دموي قد جرى بين زعماء الأحساء من بني خالد، وكذلك الأمر بين آل رشيد في حائل، وبين أشراف مكة، وبين سلاطين عُمان، وبين أئمة اليمن وغيرها من مناطق أخرى. لكن الصراع بين أفراد آل سعود قد طغى على الجميع وفاق كل تلك الصراعات الأسرية مُنذ بداية وجودهم في الدرعية، وكما ذكرت سابقًا كيف قام جد آل سعود الأول موسى بُمحاولة قتل أبيه ربيعة، فطعنه عدة طعنات قاتلة، لكنهُ سلم فهرب موسى من الدرعية (المليبيد وغصيبه) إلى العيينة طالبًا الإجارة من رئيس العيينة حمد بن حسن بن طويق جد آل معمر، خوفًا من انتقام والده ربيعة!!. وأيضًا عندما قام أحد أبناء عمومة آل سعود الأوائل وهو المدعو وطبان بن ربيعة بن مرخان بقتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان، حينما غدر به، وفرَّ هاربًا إلى بلد الزبير، وأصبح لاحقًا جد لأسرة آل ثاقب في الزبير الذين عرفوا أيضًا بالخبث والمكر فدفعوا ثمنًا لمؤامراتهم ضد أمير الزبير يوسف بن زهير.

ثم قيام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بقتل عمه مقرن بن محمد بن مقرن صاحب الدرعية، عندما حاول الأخير أن يغدر بابن عمه زيد بن مرخان الذي جاء بضمان من قبل محمد بن سعود وعندما حاول مقرن بن محمد أن يغدر بابن عمه زيد بن مقرن، فاضطر ابن أخيه محمد بن سعود أن يقوم بتصفيته وقتله!

إذن عملية الغدر والوثوب على السلطة والتقاتل على الإمارة طبيعة مُتأصلة في جينات آل سعود منذ أن عُرفوا، ولم يمر معنا في نجد ولا في غيرها أن قام أحد باغتيال والده لكي يقتنص منه السلطة، أو الشروع بقتال شقيقه أو بالغدر بخاله، إلا في حالة آل سعود على الأقل في ذلك الزمان، وتلك الصفة الغادرة

برأيي هي سمة وراثية لدى آل سعود وستجدها راسخة فيهم حيث تخبو فترة من الزمن ثم تعود مُجددًا، حسب الزمان والمكان، لأن العِرق دساس كما هو معروف، ولهذا سنرى صراعات دموية ضارية وقتال شرس بين الأخوة والأشقاء، وبين الأخ وخاله وابن عمه في الأسرة السعودية الثانية.

فقد كانت البدعة الوهابية في بادئ الأمر عبارة عن شركة استثمارية أو مُساهمة تجارية سياسية دينية مالية عقدت بين شخصين وربما ضمَّت في عضويتها بعض أبنائهم من بعدهم، لكن الشراكة أو الشركة الوهابية المحدودة في فترة الأسرة السعودية الثانية كانت قد ترهلت وتضخم عدد أفراد أعضائها من الورثة المُدعين الملكية لتلك الشركة المُربحة، فأصبح الجميع يُحاول أن يستثمرها لصالحه، ولهذا بدأ الصراع الدموي بين أصحاب وورثة تلك الدعوة الوهابية، كما سيمر معنا من أحداث مُتسارعة سوف أختصرها لعدم أهميتها.

وستظهر في تلك المرحلة صفة خسيسة أو حالة جديدة لدى آل سعود لم تكن على الأقل معروفة في السابق، أو قد تكون مخفية ولم تأتي الفرصة لاستعمالها أو ظهورها، لكن الظروف الصعبة التي وضعتهم على المحك، جعلتهم يُظهرون تلك السجية الخبيثة فأصبحوا لا يتورعون من اتخاذها كعقيدة راسخة ومنهج ومبدأ رئيسي في سياستهم اللاحقة، وستتجلى في أوضح صورها في هذه المرحلة أو ما يُسمى بحكم الأسرة السعودية الثالثة، وتلك الصفة هي التآمر والتخابر مع أعداء العرب والمُسلمين والاستعداد للتعاون مع الشيطان في سبيل الوثوب على السلطة وبقاء المُلك وديمومة الحكم!.

وسنرى كيف تعاون خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد مثلاً مع الجيش المصري ضد قومه وضد أبناء عمومته، حيث جاء ضمن الحملة العسكرية لـ إسماعيل أغا المصري، وأيضًا سنطلع على رسائل تركي بن عبد الله الذي كان يتوسل بالسلطان العثماني لتعيينه واليًا على نجد، وسنرى لاحقًا كيف تحالف سعود بن فيصل بن تركي مع مكرمي نجران في سبيل إزاحة شقيقه عبد الله

بن فيصل من الحكم لغرض الاستيلاء على إمارته، وبالمُقابل مُسارعة عبد الله بن فيصل للاستنصار بالقوات العراقية للتخلص من أطماع أخيه سعود، وأيضًا سنتعرف لاحقًا على خيانة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وكيف عرض نفسه كعميل رخيص للإنجليز عن طريق ووساطة شيخ الكويت مبارك بن صباح، وهذا ما سأتناوله بإذن الله في كتابي الجديد القادم.

ولكن لنأتي أولاً ونرى ما الذي حدث بعد هزيمة آل سعود وكسر شوكتهم وتدمير الدرعية وتلاشي الوهابية، ومن ثم إجلاء آل سعود وآل الشيخ هُم وأسرهم من نجد، وأخذهم كأسرى ومُرتهنين لدى محمد علي باشا في مصر، ولنأتي أولاً إلى حكاية محمد بن مشاري بن معمر الذي طالب بأحقية المُلك وإرث الوهابية، كونه كان ابن أخت سعود بن عبد العزيز بن محمد، وبما أن آل سعود هم أخواله إذن فيحق له أن يرثهم وهم أحياء بما أنهم أصبحوا بمثابة الأموات لأنهم باتوا أسرى ومُرتهنين في بلاد مصر البعيدة، وهم الآن لدى عدو مُتغطرس ومن المُحتمل أن يبطش بهم جميعًا ويقتلهم عن بكرة أبيهم.

وعن ظهور محمد بن مشاري بن معمر كوريث شرعي لآل سعود في تلك الفترة، (مع تذكير القارئ الكريم أن محمد بن مشاري هذا هو من نفس أسرة الأمير عثمان بن معمر (ذبيح المسجد)، وعن بروز دور محمد بن مشاري هذا في تلك المرحلة، يُحدثنا المؤرخ النجدي عثمان بن بشر قائلاً:

«(ثم دخلت السنة الرابعة والثلاثون بعد المائتين والألف ١٢٣٤هـ): .......
وفي أخر هذه السنة رحل محمد بن مشاري بن معمر من بلد العيينة ونزل الدرعية. وكان لما هدم الباشا الدرعية رحل عنها ونزل العيينة فلما رحل الباشا عن نجد وساروا آل سعود إلى مصر وذهبت أموالهم ورجالهم طمع في مُلك نجد وكان خاله سعود بن عبد العزيز وعنده من الأموال والسلاح ما لا يُحصى ولا يُعد. فلما نزل الدرعية سعى في عمارتها، وأظهر إعلان الدعوة [•]

---

[•] يقصد ابن بشر في قوله الدعوة: أي الدعوة الوهابية، أي دعوة محمد بن عبد الوهاب.

وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة فكاتب أهل البلدان ودعاهم بالوفود إليه والاجتماع فأطاعه أهل بلدان قليلة مما يليه في الدرعية ووفدوا عليه فاستقر فيها واستوطنها».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو أن بعض رؤساء البلدات المُجاورة للدرعية لم يرق لهم الحال في أن يروا ابن معمر يُعود إلى السلطة والنفوذ كما كان عليه آباؤه وأجداده ممتطيًا صهوة الوهابية هذه المرة، كما امتطاها آل سعود من قبله، ولهذا فقد ناشبه العداء كل من أهل حريملاء والخرج والرياض، فسعوا إلى الإيقاع به عند رئيس الأحساء ماجد بن عريعر!
لكن محمد بن مشاري بن معمر كان ماكرًا فأفسد عليهم مكائدهم ونجح في تكذيب ادعاءاتهم الباطلة، وقال لابن عريعر إنهُ لن يُخالف الدولة العثمانية قط، وسوف لن يخرج عن طاعتها أو سلطانها، بل هو تابع مُطيع لسلطان تلك الدولة العلية، مما أفسد مساعي كل من كادوا له عند ابن عريعر، ويبدو أن الدرعية كانت مهجورة ومنبوذة بعد تلك الهزيمة والتدمير الذي لحقها على أيدي المصريين، فلم تُعد تأتي إليها القوافل التجارية فشحت الموارد واختفت السلع وزاد الغلاء بصورة فاحشة، مما جعل ابن معمر يسعى جاهدًا لإغراء تلك القوافل بالمجيء والمرور على الدرعية لكي تتوفر السلع وترخص الأسعار وتعود الحياة لمجاريها.

ثم سنلاحظ أن شرائد آل سعود ممن هربوا من قبضة المصريين وتركوا الدرعية قبل سقوطها قد بدؤوا بالتقاطر على ابن معمر في الدرعية، وذلك بعدما أيقنوا أن إبراهيم باشا قد شد رحاله من نجد، وأن قواته قد تركت الدرعية مُدمرة مُقفرة ولم يبق فيها إلا حاميات مصرية صغيرة، وعندها سمعوا بتحرك محمد بن مشاري بن معمر الذي هادن المصريين واستطاع أن يُعيد الحياة إلى الدرعية جاءت فلول آل سعود تُسابق الريح.

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وعن دور ابن معمر في تلك الأحداث وعن بعض المُحاولات المُستمرة لزرع الفتن والتحريض ضد الأمير محمد بن مشاري بن معمر، يذكر ابن بشر في كتابه: «( ثم دخلت السنة الخامسة والثلاثون بعد المائتين والألف ١٢٣٥هـ): وفي هذه السنة بعد ما نزل ابن معمر الدرعية واستقر فيها وتابعه أهل منفوحة وكاتبه أناس من البلدان أهم أمره بعض البلدان فأرسلوا إلى ماجد بن عريعر رئيس الأحساء وبني خالد، فأشاروا عليه أن يسير إلى ابن معمر في الدرعية ويخرجه منها قبل أن يستحكم أمره، فسار صاحب الأحساء بمن معه من البوادي وساروا معه أهل بلد حريملا والخرج والرياض. فنازلوا بلد منفوحة ووقع بينهم وبين أهلها قتال وصالحوه وارتحل عنهم. ثم أرسل إليه ابن معمر وخدعه بشيء من المُكاتبات والهدايا وأظهر له الموافقة وذكر له أن ماله قصد يُخالف أمرهم وأنهُ مع دولة السلطان. فتعاظم أمر ابن معمر بعدها. وكانت الأسعار في الغاية من الغلاء في الدرعية وغيرها وصار الصاع والنصف والصاعين فيها بريال، وفي المحمل وسدير والوشم صاعين وثلاثة بريال، وبلغ التمر في الدرعية وزنتين ونصف بريال، وفي الوشم والمحمل وسدير ثلاث أو أربع وزنات بريال، وبلغت الشاة الذبح في العارض ثمانية أريل وفي غيره ستة أريل. ثم أن ابن معمر كاتب أهل البلدان من أهل المحمل وسدير والوشم وغيرهم في ترحيل القوافل إلى الدرعية بالطعام واستوفدهم عليه فسارت القوافل إلى الدرعية من تلك النواحي وباعوا الطعام بأبخس بيع. ثم أنهُ تمكن في البلد وصار له فيها دعاة. ثم أتى إليه في الدرعية عبد الله بن محمد بن سعود وأخوه زيد وصارا عنده وساعداه».۞ -انتهى الاقتباس-

وعندما وجد بعض أفراد آل سعود من الذين فروا بجلودهم من تلك المحرقة وهربوا من الدرعية أثناء سقوطها بيد إبراهيم باشا، الأمان، بدؤوا يتقاطرون على الدرعية وأصبح أهالي نجد في كل يوم يتناهى إلى أسماعهم أن أحد أفراد

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

آل سعود قد خرج من جُحره وعاد يُطالب باسترداد الحكم (حكم آبائه وأجداده) وهنا وقع محمد بن مشاري بن معمر في مأزق سياسي وأخلاقي، فإذا رفض تسليم السلطة لهؤلاء الجبناء الرعاديد الهاربين، سوف يتهمه الناس بالطمع وإقصاء أصحاب الحق ومحاولة الاستئثار بالسلطة، ومن جهة أخرى هو يرى نفسه أنهُ أفضل وأوجه من هؤلاء المُتخاذلين الذين هربوا كالفئران من الدرعية وتركوا أهلها لقمةً سائغةً للجيش المصري.

إلا أن ابن معمر كان يُدرك جيدًا أن أهل المناطق الأخرى المُجاورة للدرعية كحريملاء والرياض والخرج لن يرغبوا في بقائه كأمير بسبب الثارات القديمة، حيث عُرف عن أهالي نجد الحقد والبغض والحسد والضغينة، كما أن أهل الدرعية من الضعف والهوان بحيث لن يقفوا معه في الشدائد كما وقف هو معهم وأعانهم في شدتهم، وحتمًا سوف ينقلبون عليه ويصطفون مع الأقوى، ولهذا آثر ابن معمر التنازل طوعًا في بداية الأمر ثم أعلن تمرده على آل سعود، وعن تلك الإشكالية يقول ابن بشر:

« وفي جمادى الآخرة قدم مشاري بن سعود إلى الوشم، ثم سار منه إلى الدرعية ومعه عدة رجال من أهل القصيم وأهل بلد الزلفي وأهل ثرمدا وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام. وقدم الدرعية ونزل في بيت من بيوت أخواله فأنزعج ابن معمر، وهَم بالامتناع والمُحاربة. ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح، وبايع مشاري بن سعود واستقام الأمر له، ووفدوا عليه أهل سدير ورئيسهم محمد بن جلاجل وأهل المحمل وحريملا وصاحب الرياض وأكثر أهل الوشم وبايعوا هؤلاء كلهم وأهل الدرعية مشاري. وقام معه تركي بن عبد الله وعضده وقدمه عليه في الدرعية عمه عمر بن عبد العزيز وأبناء عبد الله ومحمد وعبد الملك. وكانوا قد هربوا من الدرعية وقت المُصالحة. ثم قدم الدرعية أيضًا مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري وكانوا أيضًا قد هربوا منها وقت الترك.

وحين استقر الأمر لمشاري بن سعود أمر على أهل البلدان الذين بايعوه بالغزو. فسار من الدرعية بأهل العارض والمحمل وأهل سدير والوشم وغيرهم وكثير من بوادي سبيع، وقصد ناحية الخرج ونازل أهل بلد السلية. ووقع بينهم حرب وقتال. واستولى عليها وعلى اليمامة واخرج البجادي منها. ثم نازل بلد الدلم وظهر عليه زقم ابن زامل صاحبها وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ثم رجع قافلاً إلى وطنه». ۞ -انتهى الاقتباس-

## ▪ نهاية محمد بن مشاري بن معمر:

فكما قلت فإن الجميع بات يطمح لتبوء منصب الإمارة في الدرعية، وأقول الدرعية تحديدًا لأنها باتت كرمز للدعوة الوهابية، وإلا فالبلدة قد دُمرت ولم تعد كالسابق كمحط للأنظار، ولكن التركيز عليها كان بمثابة نوع من التوقير لأهمية ذلك المكان الذي انطلقت منه الدعوة الوهابية، ولهذا قام محمد بن مشاري آل معمر بإصلاح بعض دورها وباشر في زراعة بعض أراضيها، وعليه فأصبح الاعتقاد أن من يُسيطر على الدرعية يستطيع أن يحكم نجد بأكملها، وربما أبعد من ذلك، ولهذا بات هؤلاء يتنافسون على إحياء مجد الوهابية في تلك البلدة لتحقيق مآربهم وأهدافهم الشخصية.

أي أنهم بدؤوا كما بدأ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، عندما تحالفوا وتقاسموا الغنائم، فبات الأمر شبه تقليد وربما كان فألاً حسنًا على هؤلاء الطامعين الطامحين، فأصبحت تلك الأطراف النافذة تتنافس في مُحاولة يائسة منها لإرضاء أهل الدرعية عنهم، ولهذا رأينا كيف جلب مشاري بن سعود معه حملات من الرز والطعام. والعملية لا تحتاج إلا إلى بذل مال وكذلك الادعاء بمُناصرة الدعوة الوهابية، والتعلق بحبالها كنوع من الدعاية والترويج كما يحصل في الإعلانات الانتخابية المُعاصرة.

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

ويبدو أن محمد بن مشاري بن معمر قد ذهب ضحية ذلك التنافس الدامي الحامي بين آل سعود وخصومهم، لأنهُ ظن في بداية الأمر أنهُ الوريث الشرعي الوحيد لآل سعود وللدعوة الوهابية، بعدما قُتل وشُرد وأُسر جميع أفراد آل سعود، فظن أن لا عودة لهم بعد تلك المذبحة الرهيبة، ولكن عندما عاد بعض فلول آل سعود للمطالبة بالحكم، وجد ابن معمر نفسه في مأزق ووقع في حيرة من أمره، فمن جهة هو طامح وراغب في تولي الإمارة، ومن جهة أخرى هو يخشى أن تتخلى عنه بعض البلدات ومن ثم تصطف مع شتات آل سعود العائدين ضده، لذلك ترك الأمر لردات فعله الآنية دون التخطيط المُحكم والحزم في الأمور، ولهذا فقد دفع ثمن تهاونه وتردده في البداية، وربما لأن الرجل لم يكن دمويًا فقد فشل في الإمساك بزمام الأمور.

وعن تلك الحيرة وتهاونه في الحسم، وعن التردد القاتل الذي وقع فيه محمد بن مشاري بن معمر، ذلك التردد الذي أرداه قتيلاً، يذكر ابن بشر في كتابه:

« وكان ابن معمر قد ندم على انسلاخه من هذا الأمر. وهم باسترجاع الأمر لنفسه فركب من الدرعية ونزل سدوس وأظهر أنهُ مريض وهو يدبر الرأي في استرجاع هذا الأمر فكاتب آل حمد أهل حريملا وهم يومئذٍ رؤساؤها، فاستدعوه ووعدوه النصرة، فتوجه إليهم من سدودس وقدم حريملا واستوطنها وأظهر المُخالفة لمشاري. وكاتب أهل النواحي يطلب منهم البيعة والسمع والطاعة له. وأخرج من كان في قلعة حريملا وضبطها وأقام فيها أيامًا وكاتب فيصل الدويش وأرسل إليه جيشًا من مطير، فسار من حريملا بعدة رجال من أهلها وغيرهم وسار معه ذلك الجيش وقصدوا الدرعية ودخلوها بغتة، فدخل ابن معمر ومن معه على مشاري ابن سعود في قصره وامسكوه وحبسوه، ثم أن ابن معمر جعل ولده مشاري في القصر ورحل من الدرعية بما معه من الجموع وسار إلى الرياض وكان تركي بن عبد الله فيها ومعه عمر بن عبد العزيز وبنوه فدخل ابن معمر البلد وهرب تركي وعشيرته إلى الحاير فاستقر ابن معمر في الملك ودانت له البلدان، وكان قد أقبل عساكر

من الترك مع أبوش أغا ونزل بلد عنيزة واستقر فيها وأطاع له القصيم فكاتبه ابن معمر وذكر له أنهُ دولة سلطان وأنهُ أمسك مشاري بن سعود لهم فكتب إليه أبوش(*) بإقراره في الإمارة....الخ. ثم أن تركي بن عبد الله ومن معه من عشيرته وخدمه سار من الحاير المعروف بحاير سبيع وقصد بلد ضرمى ليقضي له فيها حاجة، فلما وصلها سار منها رجل إلى ابن معمر وأخبره بأن تركي في ضرمى وليس معه إلا شرذمة قليلة، فأمر ابن معمر على ابنه مشاري وسار في أكثر من مائة رجل وقصد ضرمى وأرسل أمامه رجلاً فوافقه تركي وأمسكه فأخبره الخبر، وأخذ الكتاب الذي معه فعلم المقصود. فأمر رفقته أن ينهضوا إلى القصر من قصور البلد ويتحصنوا فيه فدخلوا فيه وأخذوا من صاحب القصر سلاحًا وامتنعوا، فلما كان بالليل خرج تركي من القصر ومعه خادمه وقصدوا أناسًا في بيت من أصحاب ابن معمر، فأمسك خادما لهم، وقال استفتح على أهل هذا البيت وإلا ضربت عنقك. فاستفتح عليهم الباب، فلما فتحوا له دخل عليهم تركي وهم على النار منكفئين بها فضرب فيهم السيف فأطفئوا النار فهربوا وتسوروا جدار البيت، فجرح فيهم جراحات كثيرة، وأخذ سلاحهم فلما فعل هذا تخاذل أصحاب مشاري بن معمر وأتوا إلى تركي وتابعوه، وهرب مشاري بن معمر على فرسه ومعه فارس أو فارسان، وأقام تركي في ضرمى وأتى إليه أناس من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم، فسار من ضرمى وقصد ابن معمر في الدرعية. وذلك في ربيع الأول من هذه السنة فدخلها بمن معه وقصد ابن معمر في قصره، فهم بالامتناع فخذلوه أهل الدرعية وأصحابه فأمسكه تركي وحبسه، وكان ذلك اليوم الذي قدم فيه تركي الدرعية قدم فيه قبله أهل سدير وأهل المحمل وافدين على ابن معمر فأولم لهم وليمة ، فلم يأكلوها وأكلها تركي وأصحابه. فلما استقر تركي

---

(*) أبوش أغا: أو (عبوش أغا) هو قائد مصري جاء بعد رحيل إبراهيم باشا. وقد لاحظنا كيف يُطلق ابن بشر على الجيش المصري آنذاك مُسمى الروم مرة وأخرى يسميهم بالأتراك، والسبب أن قادة الجيوش المصرية في حينه كانوا من المماليك وجيوشهم مُختلطة من المغاربة والرومان والمصريين.

في الدرعية سار إلى الرياض ونازل مشاري بن معمر وأمسكه واستولى على الرياض وحبس الولد وأباه، فقال تركي لابن معمر إن أطلقت مشاري بن سعود من الحبس أطلقتك وابنك، وإلا قتلتكما، فكتب ابن معمر إلى عشيرته الذين في سدوس من الحبس بإطلاقه فامتنعوا أن يطلقوه خوفًا من الترك، لأنهم قد وعدوهم قبضه وتسليمه إليهم. ثم أنهُ أقبل عسكر من الترك مع خليل أغا وفيصل الدويش فنزلوا سدوس وسلموا لهم مشاري وامسكوه الترك. فلما تحقق تركي أن مشاري أمسكه الترك ضرب عنق ابن معمر وابنه مشاري، وذلك في أخر ربيع. ثم أن الترك والدويش ساروا من سدوس وقصدوا الرياض وثبت لهم تركي وحاربهم فرجعوا وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر، ثم رحلوا إلى بلد ثرمدا ونازلها الترك وأقاموا فيها وكان آبوش ومعه مُعسكر من الترك في عنيزة، وأرسلوا مشاري بن سعود إلى عنيزة وحبسه الترك عندهم فيها ومات، وأقبل الدويش ومعه عسكر من الترك وطاول بلدان سدير كل بلد ينزلها ويأخذها ويأخذ من أهلها شيئًا كثيرًا من الدراهم والسلع».[۞]

وكان تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود هذا قد فرَّ من الدرعية متخذًا الليل ستارًا له قبل دخول إبراهيم باشا وقواته إلى عاصمة آل سعود، فهرب تركي ونفذ بجلده وترك أهل الدرعية يواجهون مصيرهم المحتوم، وقد غادر الدرعية قبيل أن تسقط بيد المصريين ثم لجأ لدى قبيلة العجمان، حيث دخل على فخذ آل شامر من بادية العجمان، فآووه كما يفعل عادةً البدو مع الدخيل، وأقام عندهم فترة من الزمن وقد تزوج من إحدى العجميات وتُدعى هويدا ابنة غيدان بن جازع بن علي، فولدت له ولدًا أسماه جلوي لأنهُ ولد أثناء جلوته عن الدرعية، وقد عاش تركي بن عبد الله حياة التشرد والتنقل حتى استقر به الحال في بلد الحلوة المعروفة في الفرع، ولما انسحبت القوات المصرية عاد من جديد وبدأ يشن هجمات كر وفر من بلد عرقة.

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وقد استمر تركي بن عبد الله بإرسال الكُتب والرسائل إلى السلطان العثماني عن طريق والي بغداد يتوسل به بأن يعُينه واليًا على إقليم نجد وأن يكون تحت أمره وطاعته، وأنهُ سيسعى لإحلال الأمن والاستقرار في ربوع نجد تحت راية الدولة العلية، وأن قوافل الحجيج ستكون بأمان في حال وافق السلطان على تعيينه! وقد سبقه ابن عمه عبد الله بن ثنيان في تقديم فروض الطاعة والولاء لسلطان الدولة العثمانية في سبيل الحصول على كرسي الإمارة،ففي إحدى الوثائق المحفوظة في اسطنبول والتي تحمل رقم (١٧٣٣٧) نجد الرد المُرسل من قبل والي محمد علي إلى رئيس الوزراء في عام ١٢٤١هـ، حيث يُعطي رأيه في طلب السلطان العثماني المشورة في مسألة تعيين تركي بن عبد الله واليًا على نجد لأن تركي بن عبد الله أرسل عدة رسائل للسلطان يستعطفه ويتوسله، فتذكر الوثيقة:

« ... يقول تركي في رسالته إلى أفندينا – وهي مكتوبة باللغة العربية ولكنها ترجمت إلى التركية – إن عشائر نجد في نزاع وصراع دائمين. والاعتداءات مُتلاحقة، والخطر على الحجاج مُستمر، فهم مُهددون في أنفسهم وأموالهم، ولا سبيل إلى إقرار الأمن في نصابه إلا بقيام زعيم يضبط الأمور ويسهر على المصلحة العامة، ولذلك يُرشح نفسه لهذه المهمة الكبرى. ولقد سُئلتُ عن رأيي في مطلب تركي، فأقول: إن تركي - وهو من البقية الباقية من آل سعود - رجل عنيف، عنيد، شديد، ويُضاف إلى ذلك أنهُ ثائر مُتمرد، فلا يُمكن الركون إليه والاعتماد عليه. "وإن كان تركي مُخلصًا حقًا، ويُريد صداقتنا، فما عليه إلا أن يحضر إلى مصر ويُقيم فيها مدة من الزمن، ويُشاهد عظمة الدولة العلية، وبعد ذلك يستطيع القول إنهُ أصبح صديقًا لنا، ويلتمس منا ما يريده". إن أمور نجد أنيطت بعبدكم، وكنت أنتظر الوقت المُلائم للقيام بما يجب عليّ لمُعالجتها، وقد تمَّ لي بعون الله التغلب على كل المصاعب والوصول إلى حلول لكل المُشكلات، وسأقوم فورًا باتخاذ التدابير اللازمة لتأديب الجماعات المُتمردة في نجد، موليًا ذلك كل جهد وكل عناية»(•).

---

(•) وثيقة تاريخية من الوثائق المحفوظة في اسطنبول والتي تحمل رقم (١٧٣٣٧).

وقد قُرئت رسالة محمد علي من قبل السلطان العثماني فكتب عليها مُعقبًا بخط يده قائلاً: «إن أحوال نجد معروفة، ولولا انشغالنا بالمعارك لعرفنا كيف نسيطر عليها، ولكن مشاغلنا لا توجب علينا إهمال مُتابعة ما يجري في ذلك الإقليم».

ويبدو أن الدولة العثمانية بسبب حروبها وانشغالاتها وعدم اهتمامها بمنطقة نجد رضيت على مضض بأن يكون تركي بن عبد الله أميرًا على العارض مُقابل أن يطيعها ويدفع خراج سنوي إلى الدولة العثمانية عن طريق شريف مكة، وبقي تركي واليًا على نجد تحت سلطان الدولة، وعندما تمَّ اغتياله من قبل ابن أخته مشاري وخلفه ولده فيصل، حاول الوريث أن يتمرد على الدولة ويتنصل من دفع الخراج، فأمرت الدولة العلية شريف مكة بالسير إليه وإرغامه على تقديم فروض الطاعة ودفع الخراج، فسار إليه الشريف محمد بن عون مع الأمير عبد الله بن رشيد أمير حائل لتأديبه وإعادته إلى جادة الصواب وإلا سيُلاقي مصير عبد الله بن سعود.

وعن جنوح فيصل بن تركي المؤقت يذكر لنا الشيخ أحمد بن زيني دحلان مُفتي مكة المُكرمة في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام" كيف أرغم فيصل بن تركي بن عبد الله على دفع الخراج إلى دولة الخلافة بعد أن ضُيق عليه وتحركت قوات شريف مكة محمد بن عون وبمُساندة من قبل أمير حائل عبد الله بن رشيد وبتوجيه من السلطان العثماني لقتال فيصل بن تركي، الذي تخلف وامتنع عن دفع الخراج وبدأ يبدي نوع من التمرد على سلطة الخلافة الإسلامية، حيث يذكر دحلان قائلاً:

« وفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين (١٢٦٢هـ) توجه مولانا الشريف محمد بن عون إلى نجد بأمر من الدولة العلية لإخماد فيصل بن تركي أمير الرياض لأنه بلغ الدولة أنه استفحل ملكه ويُخشى من تطاوله كما كان من أسلافه. فصدر الأمر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله وإخماده وأن يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره. فأخذ العساكر وتوجه بنفسه. وكان توجهه من المدينة. ولم يزل سائرًا بالعساكر والقبائل تطيعه، وسار معه ابن رشيد

أمير جبل شمر بكثير من القبائل، فلما وصلوا إلى القصيم نزلوا به، فقابله أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر. فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي دخله غاية الرعب، وأرسل لأهل القصيم وطلب منهم أن يجتهدوا له في عقد صلح، ويضعوا عليه خَراجًا. فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد في الصلح إلى أن رضي، ووضعوا على فيصل بن تركي خراجًا لكل سنة عشرة آلاف ريال. فرضي بذلك فيصل، وتم الصلح. ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر في سنته تلك. وكان رجوعه من الشرق إلى الطائف. واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة إلى أن توفي. ثم انقطع دفع ذلك الخراج. وتقدم أن وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين». ۞ - انتهى الاقتباس -

ومما يُثبت تبعية فيصل بن تركي إلى الدولة العثمانية وخضوعه إلى واليهم في الحجاز شريف مكة الشريف محمد بن عون، هو تدخل الشريف محمد في حل مشكلة الخلاف الحدودي الذي وقع على البريمي بين كل من سعيد بن طحنون شيخ أبوظبي ومعه آل بو سعيد سلاطين عمان من جهة، وبين فيصل بن تركي من جهة ثانية، وذلك حينما سيطر سعيد بن طحنون على حصن البريمي وقام بطرد وكيل فيصل بن تركي المدعو محمد بن يوسف العجاجي، فاشتكى فيصل بن تركي لدى الباب العالي عن طريق الشريف محمد بن عون، وقد تظلم لديه من تجاوزات سعيد بن طحنون وحلفائه وتعديهم على أراضيه التابعة أصلاً لأراض الدولة العلية وواليها شريف مكة.
فأرسل الشريف محمد بن عون مبعوثاً خاصاً به من أبناء عمومته يُدعى الشريف علي إلى بوشهر في الخليج العربي ليجتمع مع المُعتمد البريطاني ليقدم له اعتراضه على تجاوزات سلطان عُمان وحاكم أبوظبي المحميين من قبل بريطانيا لكي يُقنعهما المُعتمد بالإنسحاب العاجل من أراض الدولة العلية،

---

۞ كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

حيث جاء في رسالة الشريف محمد بن عون إلى المُقيم البريطاني في بوشهر ما نصه :« أريد أن أعلمكم بالنسبة لفيصل بن سعود، ولا يخفى عليكم لإن حصون البريمي هي ملك لفيصل، وأن آل بوسعيد وسعيد بن طحنون قد اعتدوا على الحصون وأخرجوه منها. وأنهُ (أي فيصل) يدفع للسلطان العثماني خراجاً سنوياً مقداره ١٧٠٠٠ ألف ريال عن المنطقة. وأن فيصل ترك الأمر، وكتب إلي عن عداوة ابن طحنون وآل بوسعيد له. وأرجوكم أن لا تقفوا موقفاً مُعاكساً له. ولا أريد أن أطول عليكم، فإن الشريف علي المُرسل من قبلي سوف يحضر عندك ومن فمه تسمع القصة».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

ولينتبه القارئ هنا إلى أن هذا السعودي الشرود تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود كانت قد خدمته الصُدف، وقد قيض له هروبه المتواصل من المعارك وخصوصًا تخاذله في تلك المعركة الفاصلة التي شنها المصريون بقيادة إبراهيم باشا على الدرعية، ومن ثم فراره من الرياض كل تلك المواقف الانهزامية قد مهدت له أن يرث العرش وإن كان محسوبًا من الشق الآخر لأبناء محمد بن سعود خصوصًا عندما انتهز تركي الفرصة وعاد لاستخلاص الحكم من محمد بن مشاري بن معمر بعد أن قام بقتله انتقامًا لمقتل مشاري بن سعود الذي سُلم إلى المصريين بأوامر سابقة من قبل ابن معمر، لكن نهاية تركي بن عبدالله على يد العبد حمزة لم تُمهله في أن يُمارس هوايته المُفضلة في الهروب من براثن الموت. ولهذا ستكون مُبايعة تركي بن عبد الله من قبل أهل الرياض في عام ١٢٣٦ هـ ـ ١٨٢٠م، تحولاً جذريًا وانتقالاً مفصليًا للسلطة، حيث سينتقل الحكم هنا من سلالة أو فرع عبد العزيز بن محمد بن سعود، إلى سلالة أو فرع شقيقه المغمور عبد الله بن محمد بن سعود، وهنا ستُسدل الستارة نهائيًا على سلالة عبد العزيز بن محمد بن سعود، الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي لدولة آل سعود الأولى ، والتي وسَّعها من بعده ولده سعود

---

[۞] كتاب : تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠م – ١٨٩١م \ تأليف: عبد الفتاح حسن أبو علية.

الذي سرق حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أضاعها من بعدهم الحفيد المشؤوم عبد الله بن سعود الذي أعدم لاحقًا في اسطنبول.
والطريف في الأمر أن وفود أهل سدير والمحمل جاؤوا ليبايعوا محمد بن مشاري بن معمر، فبايعوه في الصباح، ثم بايعوا تركي بن عبد الله بعد الظهر!

إذن هاهو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ذلك الفرع المُهمش سابقًا يعود ليقتنص الفرصة وينقض قابضًا على زمام السلطة، فيُصبح أميرًا على الرياض، ويتمسك بالإمارة هو وأبناؤه وأحفاده إلى يومنا هذا.

وبالمناسبة فإن تركي بن عبد الله هذا هو شقيق المدعو سعود بن عبد الله الذي سبق وأن مرَّ معنا في مذبحة ضرما، حينما عيَّنه عبد الله بن سعود أميرًا عليها فنكبهم حينما قام بتحدي قوات إبراهيم باشا فورّط أهل ضرما مع إبراهيم باشا شخصيًا، ولما حمي وطيس المعركة طلب سعود بن عبد الله الهدنة وفرَّ بجلده من ضرما تاركًا أهلها يواجهون مصيرهم المحتوم، ومن ثم قام إبراهيم باشا بقتله حينما أُلقي القبض عليه قرب الدرعية. ويبدو أن شقيقه تركي بن عبد الله قد نجح في الفرار من حصار الدرعية بينما سعود بن عبد الله وقع بأيدي الجيش المصري فعزروه ولقى حتفه، فلحق بضحايا أهل ضرما.

- **هزيمة آل سعود الثانية على يد حسين بيك:**

يبدو أن المصريين قد سلَّطهم الله على الوهابيين في تلك الفترة، ولذلك أوغلوا في هزيمة وإذلال آل سعود، فبعد هزيمة آل سعود على يد إبراهيم باشا، وتدمير الدرعية، عاد من عاد كما ذكرت من فلول آل سعود إلى الدرعية، لكنهم لم يتعظوا من الدروس السابقة فبدؤوا بالطغيان والاستبداد والطمع ظنًا منهم أن الأوضاع ستعود كالسابق مُتناسين أن هنالك قوات مصرية على مرمى حجر منهم تُعسكر في مناطق القصيم، ويبدو أن القوات المصرية قد آذت كثير من المناطق بسبب ما علق في ذاكرتهم من تصرفات أهل نجد كالسلب والنهب ونقض العهود، إضافة إلى ذلك كان مع تلك القوات المصرية من أبناء نجد فكانوا يطلعونهم على طبائع وأخبار تلك المناطق مما جعلهم يبطشون بهم دون رحمة.

ولذلك فإن الذاكرة النجدية لا تحتفظ بأي ذكرى طيبة للجيش المصري، وخصوصًا لدى الموروث المحكي بسبب قسوة وجلافة قادة محمد علي وبطش جنوده، وإن كانوا يطلقون عليهم آنذاك خطئًا اسم الجيش التركي وأحيانًا يكنونهم بالروم، وربما هذا من سوء حظ الأتراك العثمانيين في أنهم حملوا أخطاء وتصرفات جيش محمد علي، وإن كان الأتراك هم أيضًا لا يقلون عنهم قسوة وبطشًا مع أعدائهم، خصوصًا إزاء كل من يُحاول أن يخرج على طاعة السلطان أو يتحدى قوانين الخلافة العثمانية، تحت مُبرر "وهابي" صرف وهو حرمة الخروج على ولي الأمر، ولهذا فيعتقد الكثيرون خطأً أن بلاد الحرمين الشريفين هي الوحيدة التي لم تتعرض لاحتلال وغزو خارجي، وهذا خطأ شائع لأن المصريين بقيادة محمد علي باشا هم أول قوة خارجية تحتل شبه الجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام إذا ما استثنينا النفوذ العثماني على الحرمين الشريفين كون الخليفة العثماني كان يستمد سلطته الدينية من خلالهما، وكذلك على إقليم الأحساء باعتباره كان خاضعًا لسيطرة الدولة العثمانية الإسلامية.

ويجدر القول هنا إن الحملات العسكرية المصرية كانت قاسية وظالمة جدًا وأحيانًا وحشية ودموية، ولم تكن مُبررة أبدًا، ولكن لا يمكن أن تلوم جيش غازي موتور إذا ما بطش برعايا عدوه المهزوم، خصوصًا إذا كان ابن سعود نفسه قد تعود على أن يهدر دماء هؤلاء السكان الأبرياء بحجة الكفر والشرك تارةً، وأخرى بذريعة الخروج عليه وعدم طاعته، ولذلك فإن تصرفات الجيش المصري والبطش والظلم المُبالغ فيه ضد أهالي نجد كان لأسباب عديدة...

أهمها أن الغزوات والهجمات الوهابية السابقة سواء كانت للمناطق المُجاورة لنجد أو ضد القوات المصرية، كانت وحشية ودموية بحيث أنهم كانوا يعتبرون القوات المصرية كفارًا ويجوز قتلهم حتى وإن كانوا أسرى، مما ولّد ردة فعل قوية وعنيفة بالمُقابل من قبل الأتراك ضد الوهابيين، وهذا ما جعلهم يجرمون بحق الأهالي العزل في نجد أيضًا وبدون تمييز لأن الوهابيين لم يكونوا جيشًا مُنظمًا مُميزًا عن بقية السكان، أي لم يكن لهم تنظيم أو زي خاص في المعارك كعسكر الترك المعروفين بهيئتهم ولباسهم، لذلك عاملت القوات المصرية الجميع بدون تمييز على أنهم قوات وهابية مُتخفية، مرة عن جهل منهم ومرات عديدة عن تعمد، فكانوا يفتكون بقرى كاملة إذا ما قُتل جنود منهم قرب تلك القرى. ثم أن ضعف الإمدادات والتموين للعساكر المصريين وتفشي الفساد المالي والإداري في هيكلية القوات المصرية، جعل تلك الجيوش البعيدة عن المركز تُفلس ومن ثم تضطر لأن تعتمد في تموينها وتمويلها على جهدها الخاص في فرض الضرائب على أهالي تلك البلدات الفقيرة المُعدمة، مما أدى إلى فرض ضرائب كبيرة ورسوم مُجحفة ضد أهالي نجد، وهو الأمر الذي دفع الكثيرين للهروب من تلك القرى والبلدات.

ففي بداية حملات محمد علي باشا وأبنائه مثلاً كان الوضع مُختلفًا تمامًا، حيث كانت القوات المصرية تمول بانتظام من قبل مصر كما تشحن الدواب والأسلحة والأغذية في سفن وتُسير عبر القوافل إلى الجيوش حسب الأصول، ولم يحتاج الجيش المصري حينها لأن يفرض ضرائب أو يستولي على

الأموال والتموين من الأهالي والبلدات النجدية، بل على العكس كان يمنح ويهب الأموال للقبائل والبلدات لكسب ولائهم، ومحاولة جذبهم من جبهة ابن سعود، وكانت قوات محمد علي وإبراهيم باشا تدفع ثمن كل ما تشتريه من الحوانيت في نجد، لكن عودة محمد علي باشا وأبنائه إلى مصر بعد القضاء على آل سعود، وبقاء قادة وضباط عسكريين من رتب متوسطة وليست بالعالية أغلبهم أرسلوا لمنطقة نجد كعقوبة لهم، جعل مركز القرار والتمويل المصري يتهاون في تسيير القوافل الخاصة بالتموين والدعم، وذلك لعدم أهمية الوضع هناك بعد سقوط الدرعية وهزيمة آل سعود، وكذلك بسبب عدم أهمية هؤلاء القادة ومن ثم عدم وصول أصواتهم أو الاستماع لشكواهم المُتكررة لدى أصحاب القرار، فأصبح صاحب القرار المصري مرة يُرسل حسين بيك وأخرى حسن بيك أبو ظاهر، ومن يسير الأمور على الأرض في حقيقة الأمر هم هؤلاء الضباط الصغار من على شاكلة عبوش أغا وغيره.

والأهم أن نجد مُقارنة بمصر في ذلك الوقت كانت بمثابة المنفى القسري أو السجن الكبير بالنسبة لهؤلاء الضباط المماليك المصريين شرسي الطباع وصعبي المراس، الذين لطالما تمرد بعضهم على سلطة محمد علي باشا، لذلك لم يأبهوا أصلاً بأوضاع تلك المناطق وكان البعض منهم يُعامل النجديين كأوباش أو كمشروع للإثراء السريع قبل العودة إلى الوطن، ناهيك عن الفكرة السيئة التي كان ينقلها المُتعاونون مع القوات المصرية من أهالي نجد أنفسهم حيث كانت أغلب المناطق والبلدات النجدية تزود الجيش المصري بمُقاتلين كما كانت تفعل مع آل سعود، لأنهم يتبعون القوي المُتغلب وينفذون أوامره ونادرًا ما يتمردون على تلك الأوامر.

ولهذا فقد كانت سمعة الجيش المصري تُرعب السكان النجديين، بسبب بطش ووحشية ضباطه المماليك، ولم يعد الأهالي في نجد مُقتنعين بقيادة أو قوة آل سعود لمواجهة تلك القوات الشرسة، وهذا ما جعل تركي بن عبد الله بن محمد

بن سعود ينهزم بكل سهولة أمام قوات عبوش أغا وبدون أي مُقاومة تذكر، حيث استسلم أهالي الرياض لجيش عبوش دون قتال وتركوا تركي مع أقاربه محصورًا في قصره، فهرب الشرود تركي كعادته، وترك أبناء عمومته وأتباعه يلاقون مصيرهم على يد الضابط المصري عبوش.

وعن تلك الواقعة يقول ابن بشر: «( ثم دخلت السنة السادسة والثلاثون بعد المائتين والألف ١٢٣٦هـ): وفيها قدم حسين بيك ومعه عساكر من الترك فنزل القصيم ثم رحل منه واجتمع بأبوش (عبوش أغا) وعساكره وقصدوا الوشم ونزلوا بلد ثرمدا فلبث فيها حسين وأمر على البلدان أن يغزوا، وأتاه من كل بلد عدة رجال، من سدير والوشم والمحمل وغير ذلك، وسيرهم إلى الرياض، وسار بهم أبوش ومعه جملة من عساكر الترك ومعهم أيضًا رؤساء البلدان الذين أجلاهم ابن معمر ناصر بن حمد رئيس الرياض وحمد بن مبارك بن عبد الرحمن رئيس حريملا وغيرهم بغزاة بلدان، فقدم الجميع الرياض ورئيسهم يومئذٍ تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، فتصدى لحرب الترك وجمع عنده رجال وظن أن أهل البلد يُحاربون معه. فلما وصلت تلك الجموع البلد دخلوها بغير قتال واحتصر تركي ومن معه في القصر. فرماه الترك بالقبوس وحاربوه فهرب من القصر في الليل وحده. فلما أصبح أهل القصر طلبوا الأمان من الترك فأعطوهم الأمان وأخرجوهم من القصر وهم نحو سبعين رجلاً. ومعهم عمر ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود وأبناؤه الثلاثة فقتلوهم عن أخرهم صبرًا وحُبس عمر المذكور وأبناؤه وسيروهم إلى مصر. ثم رحل حسين من ثرمدا وقصد الرياض وأمسك أبناء إبراهيم بن سعيد أهل منفوحة وضرب عليهم الوفاء من الدراهم وأخذها منهم وصادر أهل الرياض وأخذ منهم أموالاً وحبس رجالاً من سبيع أهل الحاير. وأمر على أهل الدرعية وهم الذين نزلوها مع ابن معمر واستقروا فيها فأمر عليهم أن يرحلوا عنها إلى بلد ثرمدا بنسائهم وذراريهم. وفي ثرمدا يومئذٍ خليل أغا ومعه عسكر من

الترك فأنزلهم في موضع جميعًا بأموالهم وذراريهم وبنى عليهم بنيانًا وجعل له بابًا لا يدخلون ولا يخرجون إلا معه، ووعدهم أنهُ ينزلهم في أي موضع شاءوا من النواحي، وأظهر لهم الحشمة والوقار وهو بخلاف، وذلك شهر جمادى الآخر. فلما كان أخر رجب في تلك الأيام قدم عبد الله الجمعي أمير عنيزة من جهة الترك، أتى من مصر وقدم على حسين(بيك) وهو في الرياض. وكان الجمعي هذا من أهل عنيزة وصار من دعاة الروم، وجعلوه أميرًا عليها فلما رحل الترك من نجد أخرجوه أهل البلد منها، وتأمر فيها محمد بن حسن بن حمد المعروف بالجمل. فلما قدم الجمعي على حسين (بيك) رحل من الرياض وقصد ثرمدا فلما قرب منها قتل محمد بن حسن المذكور وقتل في الرياض عدة رجال قبل رحيله ممن يظن أنهُ يكره أمير الرياض ناصر بن حمد، منهم أولاد سليمان بن راشد خمسة أخوة قتلهم صبرًا وقطع نخيل أبا الكباش البلد المعروفة عند الدرعية. فلما قدم حسين (بيك) ثرمدا أمر المُنادي لأهل الدرعية من أراد بلدًا ينزلها فليأتينا نكتب له كتابًا يرحل إليها. ثم قال لهم اجتمعوا حتى نكتب لكم كتبكم فحضر من كان منهم غائبًا أو مختفيًا أو محترفًا. فلما اجتمعوا عنده أمر الترك أن يقتلوهم أجمعين، فجالت عليهم خيل الروم ورجالها وأشعلوا فيها النار بالبنادق والطبنجات والسيوف حتى قتلوهم عن أخرهم رحمهم الله تعالى. وهم نحو مائتين وثلاثين رجلاً، وأخذ الترك أموالهم وشيئًا من أطفالهم وتركوا نسائهم وأطفالهم...... الخ.

فلما أراد الترك أن يرحلوا من البلدان أمسكوا من كل بلد رجل ورجلين وحبسوهم في مطالب من غاب أو هرب،وساروا بهم إلى بلد ثرمدا وكان حسين (بيك) قد بنى في ثرمدا قصرًا عظيمًا وجعل فيه من الأزواد والأمتاع التي تأخذ من أهل البلدان، وأدخل فيه عسكرًا من الترك فضبطوه وأدخل فيه ما عندهم من محابس أهل البلدان الذين أمسكوهم وجعلوهم عندهم في سلاسل الحديد وأقاموا في ذلك الحبس والعذاب عند الترك في ذلك القصر حتى قدم حسن بيك أبو طاهر كما سيأتي. وفي سادس عشر رمضان ارتحل عبوش وعساكره من

سدير وارتحلت العساكر من البلدان بالرجال المحبوسين كما ذكرنا. وفي صبيحة عيد الفطر ارتحل حسين (بيك) من ثرمدا بعساكره وترك فيها رتبة في القصر وجعل في الرياض رتبة من الترك مع أبو علي المغربي، وفي قصر عنيزة في القصيم مثل ذلك وقصد المدينة ثم إلى مصر».۞ -انتهى الاقتباس-

بعد تلك الأحداث الساخنة نلاحظ أن عامة الناس في نجد لم تعد تأبه أو تهتم بالدعوة الوهابية كالسابق، وبات الأهالي مشغولين في شؤونهم المعيشية الخاصة والسعي الحثيث لكسب الرزق في ظل ظروف صعبة وقاهرة، وأما زعماء القرى وشيوخ القبائل البدوية فقد انشغلوا في التنافس على السلطة وجلهم قد تعاون مع القوات المصرية الغازية مُحاولاً أن يجد له موطئ قدم أو مكانة لدى السيد الجديد، وتناسوا أمر الدعوة الوهابية، وأصبح الكثير من أتباع الوهابية يفهم ويُدرك أن هنالك خلافات فقهية ومذهبية وبات يطلع على خبايا الأمور من خلال احتكاكه مع الأقوام الأخرى، وهذا يدل على أن الوهابية كانت قائمة على الجهل والتعصب والقوة والعنف والإرغام، ولو أنها كانت عن قناعة تامة وإيمان من قبل أتباعها لما لفظها الناس بكافة فئاتهم أمام أول هزيمة تواجهها!.

والحقيقة أن العقلية النجدية كابرت في فترة ظهور الوهابية واعتقدت لأول وهلة أن تلك الدعوة هي نبوءة ربانية ورسالة سماوية لا يُمكن أن تُقهر وسوف تخترق الآفاق وتتفوق على الجميع، وعليه فلن تُهزم لأن الأنبياء والرُسل لا يهزمون قط ولا ينكسرون أبدًا، على الأقل عندما تكتمل رسالتهم السماوية، لكنهم فوجئوا فيما بعد أن دعوتهم تلك عجزت أمام قوات مكرمي نجران المتواضعة، ثم انهارت لاحقًا وبسرعة أمام قوات انكشارية ليست مؤمنة ولا صاحبة عقيدة إسلامية محضة، بل كانوا يصنفون أتباعها على أنهم قوات رومية كافرة ومُشركة!!.

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

لذلك فقد شكّلت تلك الهزيمة الساحقة شبه صدمة نفسية أصابت المجتمع النجدي في تلك الفترة التي تلت سقوط آل سعود، وحينها فقد تنصل الجميع من ماضيهم الوهابي، وأصبح وجهاء المناطق الذين كانوا يبايعون آل سعود في كل مُناسبة يتنافسون فيما بينهم على المناصب المحلية والإقليمية، وبات الجميع يلهث خلف تلك المصالح، ومن ثم عادت الحروب المحلية التنافسية بين أمراء تلك البلدات النجدية، لأن الجميع وصل لقناعة راسخة أنهُ أفضل من غيره وهو أحق بأن يكون أميرًا على سائر بلاد نجد، وأن العملية لا تحتاج لمُعجزات ربانية أو لجيوش جرارة، بل لحنكة ومكر وتآمر مع الغزاة، ولذلك اتخذ الجميع القوات المصرية كملجأ له وكحليف استراتيجي في صراعاته.

وقد أصبحت الأوضاع في نجد متوترة وقلقة ومُرتبكة أيضًا، بالرغم من عودة بعض أفراد من آل سعود وتمكنهم من حكم بعض البلدات النجدية المُجاورة للدرعية، إلا أن الأوضاع تغيرت، والطموحات الشخصية لدى الناس زادت، وكثر النفاق والتملق والتزلف لولاة الأمر الجُدد من القادة المصريين، لأن الجيش المصري كان دائمًا يُشجع ويدعم المُتعاونين معه حاله كحال أي مُحتل آخر، فكان المصريون يبحثون دائمًا عن وكلاء محليين تابعين لهم يجنبونهم المشاكل والصدامات مع السكان، بحيث لم يستطع آل سعود أنفسهم مُقاومة تلك العروض بأن يكونوا وكلاء رسميين وعملاء محليين للمصريين في نجد، وقد استمر آل سعود بعد عودتهم لنجد بالقول إنهم لن يخرجوا قط عن طاعة السلطة المصرية التي هي بدورها كانت تخضع اسميًا لدولة الخلافة العثمانية.

وعن تلك الأوضاع يذكر لنا عثمان بن بشر:

« وفي مدة مقام في ثرمدا سار عسكر من الترك إلى سدير فأخذوا معهم رجالاً من أهل بلد الحريق المعروف عند القصب تسيارًا رئيسهم أمير الحريق إبراهيم ابن يوسف، فرصد لهم في الدرب رجال من حرامية البوادي فقتلوا العسكر وأخذوا ما معهم، وقتل إبراهيم المذكور فركب حسين (بيك) من ثرمدا

وقصد بلد الحريق يُريد هدمه وقتل رجاله، لأن الكذابين من أهل نجد ودعاة الروم قالوا إنهم هم الذين واعدوا عليهم الحرامية، فلما نزل حسين (بيك) الحريق ذكروا له أن المقتول أميرهم، وأنهم لا يعرفون الحرامية ولا علموا بهم، فنبشوا أميرهم من قبره وشهد عليه أناس من أهل نجد، فلما تحقق عنده أنهُ أمير البلد رحل وتركهم، وفي تلك الليلة التي ركب فيها حسين (بيك) إلى الحريق هب ريح عاصف وقت العشاء الآخرة ورؤيت فيها النار، وقيل إنها أحرقت زرعًا محصودًا فلما ارتحل حسين (بيك) من نجد وقعت الخرائب والفتن في البلدان وترأس عليهم الشيطان فأمرهم باللعن والشتم والبغي والظلم والقتل وجميع الإثم والعدوان، فثارت الحرب في سدير والقصيم والعارض والجنوب وغير ذلك من جميع الأوطان. (ثم دخلت السنة السابعة والثلاثون بعد المائتين والألف ١٢٣٧هـ): وفيها وقع في نجد حرب وفتن وقتل رجال وأخذ أموال ونبذ الشرائع ومحن، وسار ذلك في جميع النواحي والأقطار وتقاتلوا في وسط الأسواق والبيوت وقطعت الأرحام وقل الجار. وفي هذه السنة قدم حسن بيك أبو طاهر من المدينة ومعه نحو ثمان مائة فارس من الترك ونزل الرس وأظهر التنسك والطاعة، وذلك لما علم أن أهل نجد يحبون من فعل ذلك. وإنما فعله ليستميلهم إليه حتى يُمسك حصون البلدان فيفعل كما فعل حسين (بيك) وأبوش (أغا). وقال للناس: إنما جئت لأقاتل البدو حتى يؤدوا الزكاة وأرد المظالم على الحضر ولا أريد إلا الزكاة. ثم كتب للعسكر الذي في ثرمدا أن يُطلقوا المحابيس الذين عندهم، وهم الذين أمسكهم حسين وأبوش وجعلوهم في ذلك القصر، فأطلقوهم وخلوا سبيلهم، وأغار على أناس من بوادي عنزة وأخذهم. ووفد عليه أهل القصيم وأطاعوا له. ثم رحل من الرس ونزل عنيزة ورئيسها يومئذٍ داعية الترك عبد الله الجمعي فقام معه». [۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

ونتيجة لتلك الأحداث المُتسارعة ونظرًا لفقدان آل سعود لهيبتهم بسبب الهزائم المتتالية على يد المصريين، فقد احتقرهم الناس وتمردت عليهم البلدات لأنها وجدت سلطة أقوى وأكبر من سلطة آل سعود.

وأما تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود فقد كون له عصابة للسطو وكان يتخفى في البعض الأماكن خوفًا من استهدافه من قبل القوات المصرية، فكان يختبأ تارةً في بلدة الحلوة وأخرى في عرقة بعد أن اغتال أميرها وفي غيرها من المناطق المُحاذية. حيث كان يسطو ليلاً على بعض القرى والبلدات ويغدر بالآمنين المُطمئنين في المساجد والبيوت حاله كحال عتاة القتلة ولصوص الليل وقطاعي الطرق فيغتال وينهب وينتقم ممن تخلى عنه أو تمرد عليه، وكان تركي بن عبد الله انتهازيًا؛ كبقية أفراد أسرته؛ حيث كان يُراسل السلطان العثماني ويترجاه كي يوليه على العارض ويعده بالطاعة العمياء، ومن جهة يهدر دم كل من يتعاون من أهل نجد مع الأتراك والمصريين!.

ويذكر لنا المؤرخ السعودي المُتملق إبراهيم بن عبد الرحمن بن خميس في كتابه الاسترزاقي (أسود آل سعود) مُتبجحًا كيف قام سيده اللص الشرود تركي بن عبد الله بالغدر بأمير عرقة وقتله وهو في محراب مسجده ينوي صلاة الفجر، لأن الأخير كان يُحذر أهل عرقة من عدم الخوض في الفتن وينهاهم عن التعاون مع تركي ضد الدولة، فيذكر ابن خميس قائلاً:

« أن تركي بن عبد الله دخل مُنفردًا إلى عرقة لا يحمل إلا سيفه معه، وتوجه إلى الجامع، ودخله قبل المُصلين القادمين لصلاة الفجر، فجلس في أحد أركانه مُتخفيًا، ولما جاء المصلون لأداء صلاة الفجر، إذ بأمير عرقة يخطب في المُصلين ويحذرهم من تركي ويؤكد عليهم بوجوب الاحتياط والإبلاغ عنه فورًا متى رأوه. ولم يكد أمير عرقة ينتهي من تحذيره للأهالي، حتى وثب تركي شاهرًا سيفه في وجه الأمير، قائلاً بصوت جهوري قاطع: أنا هنا! وقطع رأس الأمير، وتملك الناس الرعب، وما عاد يجرؤ أحد على تولي الإمارة في عرقة، فبقيت دون أمير حتى عاد الحكم إلى أصحابه الشرعيين».

ولاحظ هنا كيف أن الغدر والغيلة مُتأصلة في جينات آل سعود، فقد اغتال تركي بن عبد الله أمير عرقة وهو في المسجد ودون أن يترك له فرصة للدفاع عن نفسه، لأن المُصلين عادةً حينما يأتون لأداء الصلاة لا يحملون معهن الأسلحة، بينما هذا السعودي الغادر جاء إلى الجامع ومعه سيفه، فمن سيلوم إبراهيم باشا بما فعله بآل سعود، ومع هذا تجد ذلك المقبور التافه إبراهيم بن خميس يمُجد ويفتخر بتلك الفعلة الشنعاء لسيده!.

وسبحان الله فقد عاقب الله القاتل تركي بن عبد الله بمثل ما فعل هو بأمير عرقة حينما قتله بدم بارد وهو في أحد بيوت الله ينوي أداء صلاة الفجر بالمسجد، فقد سلّط الله عليه عبدًا من عبيد ابن اخته مشاري بن عبد الرحمن يُدعى العبد إبراهيم بن حمزة حيث كلّفه سيده مشاري باغتيال خاله، فقتله العبد إبراهيم بن حمزة بفرده الشهير؛ بينما كان تركي يخطو عتبة باب مسجده!. فبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.

لقد كان تركي يترقب بشغف رحيل القوات المصرية من الرياض ونواحيها لكي يفرض سيطرته على أنحاء العارض ثم يُفاوض الدولة العلية على قبول ولايته مُقابل تسييره للأمور وحفظه للنظام، فقد كان يُراهن على دوره الفعال في بسط النظام ليكسب ود العثمانيين من خلال تقديم نفسه على أنه الرجل القوي الذي سيبسط الأمن على بلدان نجد، حيث كان حسن بيك أبو ظاهر وقواته في مدينة عنيزة على أهبة الرحيل، ولما عادت قواته من ثرمداء والتقوا به في عنيزة ساروا جميعًا إلى المدينة المنورة، بعد أن ترك خلفه قوة مكونة من ستمائة مُقاتل بقيادة محمد أغا في قصر الصفافي في مدينة عنيزة.

ويبدو أن المصريين كانوا يستخدمون سياسية التأديب، وتفكيك الإمارات، وبعثرة صفوف المُتمردين في نجد، ومن ثم الرحيل، لأنهم لم يجدوا ما يُشجعهم على البقاء واستعمار تلك المناطق، لأنها كانت بلدات فقيرة ومُجدبة ومليئة بالمشاكل والجوع والفتن، وربما كان محمد علي باشا يخشى أن يُثير حفيظة

الباب العالي إذا ما وسَّع نفوذه داخل مناطق النفوذ العثمانية، ولهذا فقد كان المصريون يُسّيرون حملات عسكرية خاطفة إذا دعت الحاجة لغرض الضرب والتأديب، ومن ثم تعيين أمراء محليين مواليين لوالي مصر، ثم يشدون رحالهم إلى المدينة.. وهكذا استمرت السياسة المصرية حتى خرجوا نهائيًا من بلاد الحرمين الشريفين.

وحينما بقي أبا علي المغربي رئيس العساكر المصريين لوحده في الرياض بات شبه مُحاصر بسبب انقطاع المواصلات وعدم تلقيه أي دعم أو مُساندة، فبدأ تركي يشن هجمات على الرياض، لكن قدوم فيصل الدويش وعربانه لنجدة أهل الرياض، أفشلت مساعي تركي وعصابته وجعلته يهرب من المواجهة ويعود أدراجه لبلد عرقة مرة أخرى.

واستمرت تلك الأوضاع حتى قرر أبا علي المغربي الرحيل من الرياض والسعي لإيجاد تسوية لمرور قواته بأمان، حينها تنفس تركي الصعداء، وتم الاتفاق مع أبا علي المغربي للخروج من الرياض، حيث غادرها صلحًا كما يذكر ابن بشر، ومن ثم استولى عليها تركي دون قتال، وعادت حليمة لعادتها القديمة!. فقد عاد آل سعود للظلم والبطش ولسياسة تخريب القرى وحرق المزروعات، وكأن شيئًا لم يكن، ولم يتعظوا من الدروس الربانية السابقة التي جعلتهم أمثولة وعبرة لكل من يعتبر!!.

المُضحك أن المؤرخ النجدي الوهابي الهوى والعقيدة عثمان بن بشر كان يُسمى تركي بن عبد الله أثناء فراره الدائم وهروبه وتخفيه من القوات المصرية، مرةً باسم تركي مُجرد وأحيانًا باسم الأمير تركي، ولكن ما أن انسحب المصريين من الرياض، بدأ عثمان بن بشر يُطلق على تركي لقب الإمام!!.

كما سنلاحظ أن التنافس والصراع الدموي على السلطة بين آل سعود، سوف يعود بعد أن خرج المصريون من الرياض، وسنرى لاحقًا كيف سيتآمر

مشاري بن عبد الرحمن على قتل خاله وابنه عمه تركي بن عبد الله، رغم إكرامه له ورغم توجده عليه عندما كان أسيرًا في مصر، ولكن صدق من قال: أن المُلك عقيم!.

وعن عودة آل سعود لممارساتهم القديمة في شن الهجمات الوهابية الوحشية على البدو المساكين بحجة أنهم جنود الله في أرضه وأنهم هُم فقط المُسلمون وغيرهم مُشركون، وذلك لغرض جني الأموال وتعويض الخسائر من خلال ذلك الريع الذي يتقاضاه ابن سعود كمغانم وزكاة وخراج من هؤلاء الأعراب المغلوبين على أمرهم فكانت أولى غزوات الإمام المزعوم على هتيم!!.

وعن عودة تركي بن عبد الله للرياض من جديد بعد انسحاب أبا علي المغربي، وكذلك عن عودة ولده فيصل ومن ثم ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن من مصر، يقول ابن بشر:

«( ثم دخلت سنة أربعين ومائتين وألف ١٢٤٠هـ): وفي أولها سار تركي بجنوده من منفوحة ونازل أهل الرياض وفيه العساكر المصرية وحصل بينهم وقائع عديدة، قُتل من الفريقين عدة قتلى. ثم أمر تركي من معه أن يصرموا نخيل الرياض فصرموها وذلك بعدما أصفرت وأحمرت ودمروا زروعها إلا ما حمته القلعة، ودام الحصار إلى نحو شهر ورئيس العارض إذ ذاك عبد الله بن حمد بن ناصر العائذي، ملكها بعد أخيه ناصر لما قتل في وقعة الحاير كما تقدم. ثم أنهُ أقبل فيصل الدويش بجميع عربانه فزعًا لأهل الرياض، فرحل تركي ونزل بجنوده بلد عرقة، وأقام الدويش عند أهل الرياض أيامًا ثم رحل عنهم فرجع إليهم تركي بجنود المُسلمين وحاصرهم أشد الحصار. ثم أن أبا علي المغربي رئيس العساكر الذين في الرياض طلب المُصالحة له من تركي ولأهل العارض الذين في العارض، فصالحه تركي على أنه يخرج بعساكره من الرياض ويذهب إلى أوطانه هو ومن معه وجميع أهل العارض وأميرهم عبد الله بن ناصر في أمان، فتم الصلح على ذلك فأمر تركي على ابن عمه مشاري

بن ناصر بن مشاري بن سعود أن يدخل بلد الرياض ويضبطها. (ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف ١٢٤١هـ): وفيها أقبل مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود هاربًا من مصر، فقدم على خاله تركي بن عبد الله في الرياض فأكرمه وأعطاه عطايا جزيلة واستعمله أميرًا في بلد منفوحة. وفيها استعمل الإمام تركي عمر بن محمد بن عفيصان أميرًا في ناحية الخرج. (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٣هـ): وفيها سار الإمام تركي بجنود المُسلمين وقصد ناحية الوشم وأغار على عربان هتيم وهم في الفروع وأخذ كثيرًا من أغنامهم وأثاثهم وقتل منهم عدة رجال وقتل الأعراب رجلين من المُسلمين من أهل سدير ثم رحل إلى القراين، وكان عربان الدواسر في تلك الأرض فنازلهم فطلبوا منه العفو فعفا عنهم وأخذ منهم زكاة السنة التي هو فيها وزكاة السنة التي قبلها وأخذ منهم نكالاً ثم أذن لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم وقفل إلى وطنه». ۞

وفي نفس تلك السنة رجع فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من منفاه في مصر، وقيل إنهُ استطاع أن يهرب من إقامته الجبرية المفروضة عليه هناك ومن ثم يعود إلى الرياض، وقد سُر والده تركي كثيرًا أثناء عودته، لأنهُ لم يكن مطمئنًا لأبناء عمومته ولم يكن يأمن جانب البعض منهم، وخاصة مشاري بن عبد الرحمن، لذا كان بحاجة ماسة لوجود ولده فيصل لأن يكون بجانبه، وعن عودة فيصل للرياض، يذكر ابن بشر في نفس العام ١٢٤٣هـ، حيث يقول: «وفيها أقبل فيصل بن تركي من مصر هاربًا من الروم، فقدم على أبيه في الرياض فاستبشر هو والمسلمون بقدومه وصارت هذه السنة كلها ميمونة وبشائر السعادة معها مقرونة». ۞ -انتهى الاقتباس-

ويذكر أيضًا: « ( ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٥هـ): ...... وفيها سار تركي إلى الأفلاج لأنه بلغه عنهم بعض المُخالفة وقطع نخيلاً

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وأجلى منهم رجالاً». إلى أن يقول: «(ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٦هـ): وفي شعبان منها سار الإمام تركي بجنود المُسلمين وقصد جهة الشمال...الخ. ثم بلغه أن ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن خرج من الرياض برجال معه من أعوانه مُغاضبًا له فقفل (تركي) إلى وطنه، وأذن لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم. وأما مشاري لما هرب من الرياض وجد منديل بن غنيمان رئيس الملاعبة من مطير هو وعربانه في المستوي فطلب منه النصرة فأبى، فرحل من عنده وكاتب رؤساء القصيم يطلب منهم النصرة، فأبوا عليه فسار إلى عربان عنزة فلم يغنوا عنه شيئًا، فسار إلى مكة وقصد الشريف محمد بن عون وهو رئيس مكة إذ ذاك فأكرمه، فطلب منه النصرة فأبى عليه وأقام عنده مدة أشهر، فلما رأى أنه لا ناصر له، خرج من مكة قاصدًا خاله الإمام تركي في بلد الرياض، فلما وصل إلى بلد المذنب طلب من رؤسائهم يركبون معه إلى خاله الإمام تركي، يأخذون له ذمة وعهدًا، وأنهُ ندم على ما سلف، فركبوا معه وقدموا على تركي في الرياض فعفى عنه وأكرمه وأنزله في بيت عنده، وذلك في أول السنة الثامنة على ما سيأتي».[۞] -انتهى الاقتباس-

ثم يذكر عثمان بن بشر حادثة طريفة حصلت في عام ١٢٤٨هـ، لا تحدث إلا في سيناريوهات الأفلام والقصص الروائية، حيث قدم شخص مجهول من مصر زاعمًا أنهُ خالد بن سعود، وذلك لأن أفراد أسرة آل سعود كان أغلبهم قد تمَّ أسره وأُخذوا كرهائن إلى مصر، وبقي القسم الكبير منهم هناك تحت الإقامة الجبرية، ويبدو أن هنالك من عرف بقصتهم في مصر، فقرر أن ينتحل شخصية أحد أفراد آل سعود، لكن هذا الشخص كان عليمًا بأحوالهم ويعرف الكثير عنهم، بحيث اختار اسم أحد أبناء سعود ممن كانوا في الأسر فعلاً، فانتحل شخصية خالد بن سعود، وعن تلك الحادثة الغريبة يقول ابن بشر: «(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف ١٢٥٨هـ). وفيها جاء رجل من مصر وادعى أنهُ خالد بن سعود، وقدم بريدة وتزوج فيها، وأمر تركي على أهل

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

البلدان بإكرامه والقيام بما ينوبه من بيت المال، فلما قدم الرياض ورآه أناس يعرفون خالد بن سعود في مصر، قالوا ليس هذا بخالد بن سعود، فهرب من الرياض إلى مصر، وقيل إنهُ قتله محمد علي باشا مصر. وفيها أقبل مشاري بن عبد الرحمن من مكة بعد هروبه من الرياض كما تقدم، فقدم الرياض ومعه رؤساء أهل المذنب يشفعوا فيه عند خاله تركي، فعفى عنه وأكرمه وسكن في بيت عند أولاده». ۞ - انتهى الاقتباس -

المُثير في تلك الحكاية الشبيهة بقصص الدراما، أن خالد بن سعود الحقيقي سوف يعود لاحقًا إلى نجد ليُطالب بالحكم، ولكنه سيكون برفقة القوات المصرية هذه المرة، حيث أصبح أحد رجال القائد المصري إسماعيل أغا، وجاء بدوره ليستولي على زمام السلطة التي هي من إرث آبائه وأجداده، وسيخوض حروب كر وفر مع ابن عمه فيصل بن تركي، وهذا ما سيأتي تباعًا ضمن تدرج الأحداث.

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

- **مقتل تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود على يد ابن أخته مشاري!**

كما أسلفت فإن الدعوة الوهابية تحولت إلى إرث ومطية لكل من أراد أن يثب من آل سعود على السلطة، ولهذا بات الجميع يطمح بالوصول إلى منصب الأمير أو "الإمام" كما يُطلق عليه محليًا، حيث أصبح منصب الأمير يحظى بمسحة دينية بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب، حيث أصبح ابن سعود يحمل اللقبين معًا اللقب السياسي وهو الأمير، واللقب الديني وهو الإمام، أما ورثة ابن عبد الوهاب فقد أصبحوا كديكور، وعبارة عن وجود صوري فقط، مهمتهم أن يضفوا الشرعية على كل من يثب على السلطة من آل سعود، مثلما سبق وأوردت.

ولهذا كانت العملية مُستباحة منذ أن قرر محمد بن مشاري بن معمر أن يتلقف المنصب وهو ليس من أسرة آل سعود وإنما كانوا أخواله، حيث لم تكن تحتاج عملية الوثوب إلا إلى مُبايعة صورية من قبل أهل الدرعية تحديدًا آنذاك، ثم تحول الأمر لاحقًا إلى مُبايعة أهالي الرياض، ويتبعها مُباركة وبيعة من قبل أحفاد آل الشيخ أي أحفاد محمد بن عبد الوهاب، وهؤلاء كانوا جبناء مُرتعبين يُطيعون كل من يسطو على السلطة، فيُؤتى بهم كالخراف ليبايعوا ولي الأمر الجديد، وهكذا أصبح الأمر تقليدًا، حتى تحول آل الشيخ لاحقًا - أعني في وقتنا الحاضر- حيث أصبحوا مجرد "بصامة" أي بصمجية بلاط ولاة الأمر فيبصمون بحوافرهم على أي شيء يأتيهم من قبل آل سعود، وبعضهم تحول إلى موظف حكومي أو رجل أمن مُخلص لآل سعود يتقاضى الملايين ومهنته الرئيسية شبيهة بمهنة عناصر المُباحث؛ التلصص والوشاية والإيقاع بالآخرين. وهذا ما جعل مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري يطمع في إزاحة خاله وابن عمه بنفس الوقت تركي بن عبد الله، ويُحاول الاستيلاء على السلطة السياسية والدينية المُجتمعة معًا في هذا المنصب الوثير، وكل ما يحتاجه هو التخلص من تركي بالاغتيال، ومن ثم جلب آل الشيخ فيبايعونه أميرًا على الرياض وإمامًا للمُسلمين على كافة بلدان نجد، وهذا ما حصل فعلاً.

**ويجب أن أنوه هنا إلى أن تركي كان يُحب ابن أخته وابن عمه مشاري، ولم يكن يحمل عليه أي حقد أو ضغينة، وربما كان الأمر كذلك بالنسبة لمشاري نفسه، لكن الطمع وطموح السلطة يُلغي كل مشاعر الحب والتقدير ويتجاوز على كل علاقات القربى خصوصًا في حالة آل سعود، لأن الأسرة جميعها قد تمَّ أسرها وترحيلها لمصر، وكل من سيأتي حتمًا سيدعي أنهُ أحق بالمُلك لأنهُ عانى وصبر وتحمل، بينما كان الآخرون يرفلون بالسلطة والنعمة في نجد، إضافة إلى ذلك فإن آل سعود كان لكل واحد منهم عبيده وخدامه من الأخويا والأتباع، ويجتهد هؤلاء عندما يعود سيدهم أو ابن سيدهم للشكوى والتذمر من سوء المُعاملة، كما يذكرون سوء المُعاملة والإهمال ويبدأون بشحن وتحريض سيدهم القادم على أقربائه طمعًا في تحسين أوضاعهم فيما لو آلت السلطة لسيدهم الجديد.**

**علمًا أن تركي بن عبد الله كان قد عيّن مشاري هذا أميرًا على منفوحة وهي قرية كانت قريبة من الرياض، وهي الآن تُعتبر من ضمن ضواحي الرياض، إلا أن مشاري كان طامحًا وعازمًا على انتزاع السلطة من خاله حتى ولو كلفه الأمر حياته.**

**وعن حكاية مشاري بن عبد الرحمن مع خاله تركي بن عبد الله، يذكر المؤرخ النجدي عثمان بن بشر في كتابه، قائلاً:**
**« (ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٩هـ)... وفي هذه السنة في يوم الجمعة أخر ذي الحجة قُتل الإمام "الشهيد"[•]. ذو الشجاعة والرأي**

---

**[•] وصف ابن بشر لتركي بن عبد الله بالإمام الشهيد، تحتاج لوقفة: فقد تعود مؤرخو الوهابية وحتى كتبة آل سعود المُعاصرين النفاق المفضوح والتزلف والتملق لآل سعود، وكذلك المُبالغة في الإطراء والإشادة، والمؤرخ الوهابي عثمان بن بشر لا يختلف كثيرًا عن هؤلاء المُدبجين، فإطلاقه صفة أو لفظ الشهادة هنا على تركي بن عبد الله لا ترتكز على دليل شرعيٍ أو واقعي وليس له أي مصداقية، أولاً كون أمر وعلم الشهادة عند الله وحده سبحانه وتعالى، وثانيًا تركي قُتل بمؤامرة من قبل ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن بسبب التنافس والصراع على السلطة، ولم يُقتل في ساحة معركة ضد أعداء الإسلام أو حتى ضد الغزاة من جيوش المصريين، حيث فرَّ هاربًا أكثر من مرة من أمام القوات المصرية، وترك أتباعه المساكين يُلاقون حتفهم ومصيرهم المحتوم.**

السديد الذي ليس لهُ مماثل في الرأي والسياسة. الجامع بين العفو والحلم والأناة والرياسة، الوافي بالعقود. تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود. وذلك أن مشاري بن عبد الرحمن ابن سعود من الذين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر، فشرد منها سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٢هـ، فقدم على خاله ابن عمه الإمام تركي بن عبد الله، وقد استقام له الأمر على نجد كلها، فقام له خاله أتم القيام وأكرمه وزاده في الإكرام. وأعطاه خيلاً وركابًا وسلاحًا وجميع ما يحتاج إليه من فرش وغيرها، وأستعمله أميرًا على منفوحة ولم يعلم ما في طي الغيب من الأقدار، وربك يخلق ما يشاء ويختار. فلما كان في سنة خمس وأربعين وشى به واش عند خاله تركي، من أنه اجتمع بأناس من ولاة الرعية، وعاقدهم على قتله فوقع في نفس تركي على أناس من أجل هذه الشبهة شيء، فعزل منهم من عزل عن ولايته وعفى عن من عفى منهم ولم يرفع في الأمر رأس وزاد في إكرام مشاري إلا أنهُ عزله عن إمارة منفوحة، فحقد (مشاري) في نفسه، فلما غزا تركي للشمال كما تقدم خرج مشاري من الرياض مُغاضبًا لخاله كما قدمناه، فلما رجع إليه مع أهل المذنب كما سبق، جعله تركي في بيت عند أهله وعياله وقام بجميع حوائجه ولا جعل عليه داخلاً من الناس خوفًا من الفتنة، فلبس عليه رجال من أهل الديوان الذين ضعف في قلوبهم الإيمان. مع ما عنده من تسويل للشيطان. وقالوا إنك أولى بالحكم. وأنت الشجاع المُقدم. وقد انتقصك وخذلك فهو أحق بالقتل. ولم يعلموا بما قاله صلى الله عليه وسلم "ما من ذنبًا أحرى أن يُعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم"، ولكن إذا جاء القدر عمى البصر. فزاد إغرائهم وحشة المكان واستطالة الزمان. هذا والإمام تركي كثير الحلم والإعراض عمن نمَّ ولم ينسج في خلده صدقه لمودته له وقرابته منه وكثرة الإحسان إليه. وقد قيل له ذلك، فقال هذا قول لا مُعول عليه. ولم يرفع بذلك رأسًا لأن الأجل قد حضر بذلك ورسا. فعزم مشاري على إظهار ما أبطن، وجرد سيفه لإثارة الفتن، وذلك بمُساعدة رجال أسافل. من

الخدام الأراذل. وتواعدوا عليه بعد صلاة الجمعة إذا خرج من المسجد، فلما صلى الجمعة وصلى سنتها التي بعدها خرج على عادته من الباب الذي جنوبي المحراب، وكان قد أعد هذا الباب في قبلة المسجد لدخوله وخروجه، ولدخول الإمام عن تخطي رقاب الناس. وكان قد وقف له البغاة بين الدكاكين وبين القصر والمسجد وبيده مكتوب يقرأه وإلى جنبه رجل على يساره فاعترضه منهم عبدٌ خادمٌ يُقال له إبراهيم بن حمزة، فأدخل طبنجة معه مع كم الإمام تركي وهو غافل فثورها فيه فوقع ميتًا، وإذا مشاري قد خرج من المسجد فشهر سيفه وتهدد الناس وتوعدهم، وشهر معه أناس سيوفهم فعلم الناس أن الأمر قد قُضي بليل. فلما رأى زويد العبد المشهور مملوك تركي عمه صريعًا شهر سيفه وجرح رجلاً من خدام مشاري، فلم يجد مُساعدًا (له) فهرب إلى القصر، ثم أن مشاري ومن معه دخلوا القصر وحبسوا زويدًا، وجلس مشاري للناس يدعوهم للبيعة، فلما علم آل الشيخ وقوع هذا الأمر جلسوا في المسجد، فأرسل إليهم مشاري فأبوا أن يخرجوا إلا بالأمان، فكتب إليه بالأمان، فأتوا إليه وبايعوه، ثم نقل تركي من موضعه ذلك وأدخلوه في بيت زويد، فجُهز وصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر ودفن في مقبرة الرياض».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**▪ دور أمير حائل عبد الله بن رشيد في ترجيح كفة فيصل بن تركي على مشاري:**

عندما نجحت خطة مشاري بن عبد الرحمن بالتخلص من خاله تركي بن عبد الله، نصّب نفسه أميرًا على الرياض وقد بايعه الجميع بحكم التغلب، ولم يعبأ بأمر ابن خاله فيصل، أولاً لأن مشاري كان فارسًا وذا سطوة، وأيضًا لأن فيصل بن تركي لم يُكن فارسًا معروفًا وكان غير ذي أهمية ولا يجرؤ على مواجهة ذلك الجبار مشاري، الذي يُقال إنهُ كان ضخم الجثة، وثانيًا لأن فيصل كان خارج الرياض ومن الصعب عودته بعد أن آلت الأمور لمشاري ودان له الجميع. حينها كان فيصل بن تركي قرب الأحساء وقد فوجئ بقدوم العبد زويد، الذي فرَّ من قبضة رجال مشاري وجاء للقطيف ليُعلم عمه فيصل بما جرى لسيده تركي، وكان زويدًا من أقرب العبيد لتركي بن عبد الله وكان وفيًا له كما مرَّ بنا، وهنا وقع فيصل في حيرة من أمره، حيث أخفى خبر مقتل والده حتى لا يتفرق عنه القوم ويميلوا إلى جهة مشاري، واجتمع بالمُقربين منه ليُعلمهم بالأمر ويطلب منهم المشورة، وكان على رأس هؤلاء الأمير الفارس عبد الله بن رشيد (أمير حائل)، ويبدو أن ابن رشيد قد خرج من حائل مُضطرًا بعد أن أجلاه أبناء عمومته من أسرة العلي، وذهب يبحث عن حليف أو يتحين الفرصة للعودة من جديد لحائل وتنحية ابن علي من رئاسة الجبل، وقد مرَّ عبد الله بن رشيد بعدة بلدان ومناطق حيث ذهب للعراق أولاً، ومن ثم عاد والتحق بقوات فيصل بن تركي،وها هي الفرصة قد واتته فهذا الأمير السعودي عديم خبرة وقد طالته الخيانة من أقرب الناس إليه، فتلقى الطعنة من ابن عمته ولا يدري ماذا يفعل. وتشاء الظروف أن يُصبح الأمير الفارس عبد الله بن رشيد من المُقربين للأمير السعودي فيصل بن تركي، بالرغم من أن الأخير سينحر ابن عمه مشاري، ولكن قتل عبد الله بن رشيد لمشاري سيصب في صالح فيصل الذي سيتوج إمامًا جديدًا لنجد بفضل جراءة وشجاعة عبد الله بن رشيد. وعن تداعيات تلك الأحداث التي أدت لعودة فيصل بن تركي إلى الرياض، ومن ثم مقتل مشاري بن عبد الرحمن على يد عبد الله بن رشيد،

يُقول ابن بشر: « ثم أمر مشاري على نساء تركي وعياله ونساء فيصل وعياله أن يخرجوا من القصر، فأخرجوهم واستولى على ما في الخزائن من الأموال والسلاح، فقسم السلاح على خدامه وأعوانه وفرَّق شيئًا كثيرًا من الدراهم والكسوة وبايعه أهل البلدان وهم في بلدانهم، فأمر من يأخذ له البيعة منهم لأنهُ تيقن أن فيصلاً لا يجسر على حربه ولا يقدم على بأسه وصولته، ولا يُساعده أحد من دولته، وهذا هو المُتردد بينه وبين أهل مشورته، ولكن الله تعالى هو الحكيم الفعال، والبغي مصرعة الرجال وقد وعد بذلك مكون الأكوان فقال: (ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانا)، ثم أن زويدًا هرب من الرياض وقصد فيصلاً فوافاه في الأحساء. وأما فيصل فأنهُ لما بلغه الخبر في القطيف أخفاه عن الناس ورحل قافلاً وقصد الأحساء. وكان الأمير فيه من جهة أبيه عمر بن محمد بن عفيصان، فلما قدم الأحساء فشا ذلك في الناس وكان معه رؤساء المُسلمين وأعيانهم منهم: الأمير عبد الله بن علي بن رشيد رئيس جبل شمر. وكان ذا رأي وشجاعة، وعبد العزيز ابن محمد بن عبد الله بن حسن رئيس بريدة، وتركي الهزاني رئيس الحريق¸ وحمد بن يحيى بن غيهب أمير الوشم، وغيرهم من رجال من رؤساء العربان فأرسل إليهم فيصل وأحضرهم عنده ومعهم عمر بن عفيصان، فأخبرهم بالأمر وأنهُ لابد من أخذه الثأر. فلما سمعوا كلامه أولئك الجماعة قاموا كلهم وبايعوه على السمع والطاعة، فكانت بإذن الله كلمة مُجتمعة على المسير والحرب معًا. ثم رحل من مكانه ودخل الأحساء وساعده بن عفيصان فيما أراد فأمر بالتزود للمسير بالذهاب والزهبة والسلاح والدراهم العداد. ثم رحل من الأحساء بجنوده ورفع راياته وبنوده وأعمى الله أخباره عن الباغين، فلم يعلموا صدوره ولا وروده. فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع عشر من المُحرم نزل قريبًا من بلد الرياض وثوروا من البارود حتى كان له رعد عظيم وانقضاض، ومع ذلك فالباغي لا يسمعه ولا يشعر به ولا خطر على باله ولا يُحدث به، ويرسل الرسل ليأتوه بالخبر فيرجعون إليه لا عين ولا أثر، ثم أمر على من كان معه من أهل

الرياض يدخلون البلد في الليل ويُمسكون البروج والبيوت المُقابلة للقصر، وأمر على رجال من غيرهم ممن يثق بهم يسيرون معهم فلما وصلوا إلى البلد وجدوا بروجهم مملوءة من الرجال، جعلهم مشاري فيها فلما رأوهم وعرفوهم سكتوا عليهم وأدخلوهم البلد. وكل ذلك مُقدمة لما قضاه رب العالمين. فدخلوا البيوت والبروج وضبطوها، فلما أحاطوا به من مدارك الفرار. شبوا النار بالبنادق وصاحوا بالثأر. فلم يفاجأ مشاري وذويه. إلا أصوات تلك الرجال وبنادقهم يثأرون عليه. وإذا بهم وسط البيوت يعشرون. ويثأرون بدم الإمام ويرمون. فلما رأى ذلك بهت وأسقط في يديه. ونزل الذعر والرعب عليه. وعلم أنها داهية شاقة. وحادثة حاقة، فأغلقوا الأبواب. وصعدوا بروجهم للحرب وهم يعلمون أن ليس لهم بذلك طاقة، ولكن أضرموا الحرب. ليرموا أسباب الهرب والخروج. وأبى الله إلا الانتقام ممن غدر بالإمام، ولما كانت صلاة الصبح ركب فيصل من مكانه بالمُسلمين ودخل الرياض ونزل البيت وفرق المُسلمين في البيوت وفي بروج البلد، وشب الحرب على من في القصر وكان الذي فيه مع مشاري نحو مائة وأربعين رجلاً منهم سويد بن علي رئيس جلاجل، وتابع الحرب عليهم في الليل والنهار، ورماهم بالمدافع الكبار. فلما كان ليلة الثلاثاء تاسع من صفر نزل من القصر رجال من سبيع وغيرهم، وأخبروا أنهم تخاذلوا ووقع في قلوبهم الرعب، فأتى رجال من أعيانهم إلى سويد وطلبوا منه أن يأخذ لهم أمانًا من فيصل، هذا وهم في حصن حصين، وعندهم من السلاح وآلات الحرب كمين، وعندهم من الأزواد وفواكه المطاعم ما لو حاربوا مائة سنة لكفاهم، ولكنه كما قيل سمين الغصب مهزول، ووالي الغدر معزول. ولما كان ليلة الخميس حادي عشر صفر أرسل سويد إلى فيصل وطلب منه الأمان على نفسه وماله ومن كان عنده في القصر من الرجال، سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد في قتله، فتشاور فيصل ورؤساء المُسلمين، فأشاروا عليه أن يُعطيهم الأمان لأجل ما في القصر من بيت المال والخزانات وخاف إن أخذوه عنوة يصير بين الناس أشتات،

فأعطاهم الأمان على الصعود إليهم للقتال فأتوا إلى القصر فرموا لهم الحبال فصعدوا إليهم وهم أربعون من الرجال مع الليث الشجاع والصارم القطاع عبدالله بن علي بن رشيد رئيس بلد شمر وبداح رئيس آل جيش من العجمان. والشجاع المقدام عبد الله بن خميس رضيع الإمام، فنزلوا عليهم في وسط القصر وقصدوا مشاري وأعوانه في مكانهم، فقتلوهم وهم ستة رجال وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر ليُعرف وينظر إليه رحمه الله تعالى(•) وعفى عنه، فإن القصاص يُكفر الله به عن الجاني ومغفرة الله أوسع من الذنوب العمد منها والزلل. ورحمته أرجا من الاجتهاد في العمل. وهو الجواد الكريم الغفور الرحيم. ولما قُتل مشاري ودخل فيصل القصر وسكنت الحروب وانفصل الأمر».۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

وهكذا فما أن تمَّ التخلص من مشاري بن عبد الرحمن وعاد فيصل إلى الرياض، حتى تقاطر عليه آل الشيخ وبعض تلامذة الحركة الوهابية ليبايعوه، لأنهم تعودوا أن يبصموا ويُعلنوا بيعتهم وتأييدهم لكل من يثب من آل سعود على السلطة، وحتمًا سوف يُبررون مُبايعتهم السابقة لمشاري على أنها أخذت منهم غصبًا ورغمًا عنهم، وهنا تحولت الوهابية إلى مُجرد طقوس وإرث وهابي خاص يتداوله آل سعود من خلال ذلك الكهنوت الوهابي أو عبر تلك الشرعية الصورية التي يمنحها أبناء وأحفاد محمد بن عبد الوهاب، وعن تلك البيعة يذكر ابن بشر، مع مُلاحظة أن المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر سرعان ما سيُسبغ لقب الإمام على فيصل بن تركي، حيث يقول: «( ثم دخلت سنة خمسين ومائتين وألف ١٢٥٠هـ) : ولما قُتل مشاري وأعوانه وتفرق شملهم بأمر الله سبحانه، ودخل الإمام فيصل إلى القصر وقارنه العز والتمكين والنصر

(•) لاحظوا أن المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر كيف يترحم وبشفقة على مشاري بن عبد الرحمن وهو الذي دبّر اغتيال إمامهم المزعوم المزعوم تركي، وليس هذا فحسب، بل يزعم أن مشاري قد قُتل قصاصًا، ولذلك فقد تطهر من الذنوب! بينما مشاري كان يُقاتل لآخر لحظة وقتل وهو يُقاوم وهذا يعني أنهُ لم يقبل بالرضوخ للشرع أو يقبل بحكم القصاص. لكنهُ النفاق الديني والعياذ بالله، فهؤلاء الوهابيون مُنذ أن عرفوا يحرفون الكلم ويتملقون آل سعود حتى القتلة منهم!.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وجلس على سرير المُلك والشرف....... الخ. ولما جلس فيصل على سرير المُلك بتدبير مالك المُلك. الذي سخر الفلك وعض الناس وحضهم على طاعة الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتب إلى قضاته يقدمون عليه، فقدم إليه الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو إذاك قاضي حوطة بني تميم وأخوه الشيخ عبد الرحمن بن حسين قاضي بلدان الخرج، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بابطين وهو إذاك قاضي الوشم فألزمه بالجلوس حتى فرغ من مغزا الدمام، وقدم إليه الشيخ محمد بن مقرن قاضي بلدان اللهزوم، فحضروا عنده مع الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فهنئوه بما بلغه الله تعالى من أخذ الثأر والمُعافاة للمُسلمين من الفتن الكبار». ۞ -انتهى الاقتباس-

بينما دَوَّنَ الرحالة الإنجليزي الشهير وليام جيفورد بالجريف والذي زار حائل بصفة طبيب شامي وأقام فيها عدة أشهر، تلك الأحداث في كتابه "وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢-١٨٦٣م) " وسرد تفاصيل مهمة عن تلك الحادثة لم يذكرها ابن بشر في كتابه؛ وربما تجاهلها عن عمد أو خشية من ولاة أمره، حيث كان بالجريف قد التقى بأمير حائل حينها الأمير طلال بن عبد الله آل رشيد، لأن الأمير عبد الله بن رشيد كان قد توفي وخلفه في الحكم ولده البكر طلال، وقد التقى أيضًا بشقيق عبد الله بن رشيد، الأمير والفارس المشهور عُبيد بن رشيد المُلقب بالذئب، حيث يروي لنا بالجريف ما حدث عندما قتل مشاري بن عبد الرحمن خاله الأمير تركي بن عبد الله بن سعود غيلة بعد خروجه من المسجد ، وكيف جاء ولده فيصل من الأحساء بمشورة من الأمير عبد الله بن رشيد ليقضي على مشاري قبل أن يستفحل أمره، وعن تلك الأحداث يذكر بالجريف قائلاً: « في العام ١٨٣٠ الميلادي أو ما يُقارب من ذلك التاريخ، نظرًا لأنني لم استطع بسبب إهمال العرب (البدو) الحصول على هذا التاريخ وغيره من التواريخ الدقيقة الخاصة ببعض الأحداث الهامة،

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

قرر الأمير تركي غزو الأحساء، واحدة من أثرى مُلحقات التاج النجدي القديم وأغناها، ونظرًا لأن شؤون البلاد العامة لم تكن تسمح له بتغييبه هو شخصيًا عن الرياض عاصمة حكمه، فقد عَيّن ولده الأكبر فيصل قائدًا للجيوش الملكية التي أرسلها لغزو شرقي الجزيرة العربية، وانضم عبد الله بن الرشيد بطبيعة الحال إلى تلك الحملة، وبرغم أنهُ غريبًا بحكم مولده، فقد كان فيصل هو وضباطه يلتزمون بتعليماته، بل إنهُ كان قائدًا لهم في جميع العمليات العسكرية تقريبًا. وما أن وصل الجيش الوهابي حدود الأحساء، وبعد أن اجتاز شعاب الغوير Ghoweyr التي سنجتازها أيضًا في الوقت المُناسب، كي يُحاصر مدينة الهفوف، وقد وصلت فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود، أنباء تفيد أن والده تركي قد أُغتيل عن طريق الخيانة أثناء تأديته صلاة العشاء في المسجد الكبير، بأيدي مشاري ابن عمه، وأن الأخير قد احتل العرش الشاغر. وانعقد مجلس الحرب على الفور، وحضر هذا المجلس "الهوشيس Hushais" (•) وكانوا يُمثلون أغلبية المجلس، ونصحوا فيصل بمواصلة الحرب في الأحساء، ثم يعود إلى الرياض بعد الاستيلاء على هذه المنطقة الغنية، ومعه غنائمه، ومن ثم يستعيد العرش والتاج من قريبه المُغتصب، ولما كان عبد الله بن الرشيد مُحنكًا في التفاوض، فقد أبدى ملاحظة مفادها: أن تأخير الهجوم على مشاري، قد يكون في صالحه ويُهيئ له الوقت الذي يستطيع فيه تجميع القوات وتحصين العاصمة، وبذلك يصبح عدوًا أكثر خطرًا، إن لم يكن يصعب التغلب عليه وهزيمته، وبناءً على ذلك أصر عبد الله بن رشيد على أن يعود الأمير فيصل فورًا إلى الرياض، ومعه كل قواته، باعتبار ذلك أفضل الطرق لمفاجأة مشاري بالهجوم والانتقام منه فورًا لمقتل الأمير تركي، وتأمين العاصمة والمناطق الوسطى لصالح الوريث الشرعي. أمـا فيما يتعلق بالأحساء ، فـإن مسألة الاستيلاء عليها أصبحت في

---

(•) يستخدم بالجريف تشبيهات وشخصيات رومانية وإغريقية وأحيانًا يستشهد بكتاب العهد القديم في مُقارناته للشخصيات في سرده للأحداث من خلال رحلته، وربما يقصد بالهوسيش هنا: المُقربون جدًا من الأمير تشبيهًا بإحدى الملاحم الإغريقية.

عرف المؤكد، ولكنها قد تتأخر بعض الوقت. ولما كان فيصل أرجح عقلاً من أبسالوم Absalom فقد أيَّد رأي عبد الله بن الرشيد، مثلما أيدته الأحداث تمامًا، وعلى الفور صدرت الأوامر بإنهاء التعبئة وبدأ الجيش كله التحرك عائدًا إلى الرياض، التي أوصلتهم الاضطرارية إلى أسوارها بسرعة، وفي الوقت الذي كان مشاري ما يزال يتخيل فيه أن منافسه ما يزال بعيدًا، على الجانب الآخر من شعاب غوير في سهول الأحساء البعيدة. وعندما ظهر الأمير الشرعي أول مرة، التفت حول لوائه العاصمة، فقد فتحت أبوابها على مصاريعها، ودخل فيصل الرياض وسط هتافات التأييد الحماسية ودون أن يُطلق طلقة واحدة. ومع ذلك فقد كان مشاري ما يزال يحتل قصر الحكم الذي تستعصي أسواره العالية وأعماله الخارجية الضخمة على الحصار وتتحمله فترة طويلة، من منظور أشكال الحصار السائدة في الجزيرة العربية، يُضاف إلى ذلك أن خزانة الدولة هي والمدفعية والذخيرة علاوة مخزون طيب من المؤن الأخرى، كانت في حوزة مشاري وتحت تصرفه داخل القلعة، تحسبًا لفرض حصار، وأخيرًا هنالك حامية قوية مكونة من حاشية مشاري الخاصة، وهي التي تتولى حمايته، وكانت تلك الحامية تتقاضى مُرتبات ممتازة وهي مُسلحة تسليحًا جيدًا، وفي ضوء تلك الاستعدادات قرر مشاري الصمود للحصار، والانتظار إلى أن يبتسم له الحظ. وفعلاً ابتسم الحظ! ولكن لـ فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود. فقد أمر فيصل من جانبه باقتحام القلعة على الفور، وحاول الجنود اقتحام القلعة ولكن أسوارها السميكة وبواباتها الضخمة التي لها إطارات من حديد علاوة على شجاعة المُدافعين المُستميتة أفشلت كل مُحاولات الاقتحام، واضطرت القوات القائمة بالاقتحام أن تنتظر النتائج البطيئة التي تترتب على الحصار الدائم. واستمر ذلك الحصار طيلة عشرين يومًا، دون أن يتمخض عن أي فوائد مادية لأي من الطرفين، وفي الليلة الحادية والعشرين، كان عبد الله بن الرشيد يُريد أن يضع حدًا لكل هذه الأمور، بأي حال من الأحوال، ومهما كانت التكاليف، ولذلك اصطحب معه اثنين من رفاقه الشمامرة الأقوياء، كانا لاجئين مثله تمامًا، وتحت ستر الظلام راح هو

ورفيقاه يتجولان حول أسوار القلعة على أمل اكتشاف مكان خال من الحراسة وأسفل نافذة ضيقة كانت تحت المزاغل (أشار إليها ذلك الرجل الذي كان يُرافقني عندما قصدنا ذلك المكان)، شاهد عبد الله بن رشيد ورفيقاه ضوءًا يتلألأ، وهنا اقترب عبد الله بن رشيد من تلك النافذة الضيقة، وتناول حبة من الحصى وألقى بها داخل النافذة، وقد نظر من النافذة رأس، قال بصوت مكتوم: من أنت؟ وقد تعرف عبد الله على صاحب الصوت، إذا كان أحد أفراد حاشية القصر، كان يعمل في خدمة المغدور الأمير تركي منذ زمن طويل، وسأله الرجل العجوز: ما غرضك؟ فرد عليه عبد الله بن رشيد قائلاً: انزل لنا حبلاً، وسنتولى نحن تدبير كل شيء بعد ذلك. وفي الحال سمع عبد الله ورفيقاه صوت حبل يتدلى على طول الجدار، وبمساعدة ذلك الحبل تسلق عبد الله هو ورفيقاه الجدار، واحدًا أثر الآخر وأصبحوا داخل القصر، ووجه عبد الله السؤال المشؤوم التالي إلى الخادم: أين ينام مشاري؟ ودلهم خادم الأمير تركي على مكان نوم مشاري، وسار عبد الله ورفيقاه حفاة الأقدام عبر ممرات القصر، يضمهم صمت الليل إلى أن وصل هؤلاء المُغامرون الثلاثة إلى غرفة نوم مشاري مُغتصب الحكم، واختبر المغامرون الثلاثة باب غرفة النوم، وكان الباب مُغلقًا بالمزلاج من الداخل، وصاح عبد الله بن رشيد مُناديًا باسم الله قائلاً: بسم الله، وبدفعة قوية كسر القفل وانفتح الباب على مصراعيه. كان مشاري يرقد داخل الغرفة، ومن تحت مخدته مُسدسين محشوين بالرصاص، وعلى أثر هذه الضوضاء نهض مشاري واقفًا ورأى أمامه ثلاثة أشكال غير واضحة. وتناول مشاري المُسدسين وفتح نيرانهما على التوالي، وسقط رفيقا عبد الله بن رشيد، مات أحدهما، وأصيب الآخر إصابة قاتلة، ولكنه كان ما يزال على قيد الحياة، ولكن عبد الله بن رشيد ثبت في مكانه بلا خوف، واندفع على ضحيته وسيفه بيده، وقد أمسك مشاري قوي البنية ضخم الحجم، أمسك ذراع سيف عبد الله بن رشيد وراح يتصارع معه، وسقط الاثنان على الأرض، ولكن مشاري أحكم قبضته على ذراع سيف عبد الله بن رشيد وانحنى عليه لكي يسترد السيف من يده، وبينما هما يتدحرجان في هذا الصراع المُميت،

استجمع صديق عبد الله بن رشيد الذي كان يحتضر كل قواه وجر نفسه بالقرب منهما، وأمسك بيده معصم مشاري بقوة شديدة جعلته لا يحكم قبضته خلال لحظة واحدة على ذراع السيف، وخلال هذه اللحظة تحرر سيف عبد الله بن رشيد وراح يغرزه مرة بعد أخرى في جسد مشاري، الذي مات بعدها دون مُقاومة. ولم تنطلق صرخة واحدة، ولا حتى إنذار واحد، وقطع عبد الله بن رشيد رأس مشاري في المكان الذي كان موجودًا فيه، وعاد بها إلى الغرفة التي كان فيها خادم الأمير تركي يرتعد خوفًا وينتظر نتيجة تلك المُحاولة الجريئة، وفي ضوء الصباح تأكدا أن الملامح التي تشوهت إنما هي ملامح مشاري المُغتصب، وهنا اتجه عبد الله بن رشيد على الفور إلى النافذة وطل منها وصاح بأعلى صوته ليبلغ قوات فيصل بما حدث، وفي الوقت الذي كانت مقدمة القوات وصلت إلى أسوار القصر، وسارع العديد من الجنود إلى الوصول إلى سور القصر بالقرب من النافذة التي كان يطل منها عبد الله بن رشيد، الذي ناداهم قائلاً: "خذوا رأس الكلب"، ثم ألقى غنيمته المُضرجة بالدماء بينهم، ودوت صرخة النصر في كل أنحاء المدينة، وفي الوقت ذاته، اندفع خادم الأمير تركي ناحية بوابة القصر الخارجية وفتحها على مصراعيها، مُعلنًا الأمان لكل حاشية مشاري، الذي كانوا على استعداد للاعتراف بـ فيصل أميرًا عليهم، وإن هي إلا لحظات قليلة حتى وقف فيصل بنفسه داخل أسوار قصر والده، الذي أصبح قصره الآن. ولم يواجه فيصل ولا قوته أية مُقاومة. وكان تعليق أتباع مشاري الوحيد وهو يعلنون ولاءهم القاطع لأميرهم الجديد:"قدر الله وما شاء فعل" وهنا أصبح فيصل حاكمًا على نجد كلها لا ينازعه أحد فيها، يُضاف إلى ذلك أن توليه العرش أمنت له المزيد من ولاء رعاياه». ۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

- **عودة خالد بن سعود إلى نجد كتابع ودليل للقوات المصرية :**

استمرت حالة اللا سلم واللا استقرار في نجد حتى بعد مقتل مشاري بن عبد الرحمن، واستفراد فيصل بن تركي بالسلطة، حيث كان ورثة آل سعود الطامعين بالسلطة كُثر، فما أن يُقتل أحدهم حتى يخرج غيره للمُطالبة بالحكم، ويبدو أن فترة الأسر أو الارتهان لدى المصريين جعلت آل سعود يشعرون بالضيم والغبن، خصوصًا وأنهم لم يحفظوا النعمة التي كانوا يرفلون بها في نجد، وقد فرطوا بملكهم وجعلوه لقمة سائغة بيد المصريين، لهذا سعى الكثير منهم للتعاون مع المصريين وتقديم خدماته وخبراته في سبيل أن يوليه المصريين من جديد على نجد.

وكان خالد بن سعود الحقيقي أحد هؤلاء السعوديين الطامحين والطامعين للعودة إلى الحكم، حيث سرعان ما عاد تحت إمرة إسماعيل أغا ليكون الحاكم الجديد لنجد، فلم يهنأ فيصل بن تركي في حكمه بعد مقتل مشاري إلا بضعة شهور معدودة فقط حتى ظهر له خالد بن سعود ليقلب حياته إلى جحيم.

ويجب أن أنبه هنا إلى أن والي مصر محمد علي باشا كان يبتز بين الحين والآخر تركي بن عبد الله ومن ثم ولده فيصل، وذلك بمطالبته الدائمة لهم بدفع الخراج وإرسال الأموال، وكان تركي يدفع الأموال كهدايا، وأما فيصل فقد اضطر أن يدفعها صاغرًا مع بعض الهدايا الشخصية، خوفًا على منصبه، خصوصًا أن الباشا كان يذكره دائمًا بوجود خالد بن سعود، أي أنهُ كان يُهدده تلميحًا بأن خالد بن سعود ممكن أن يحل محله في أي وقت، وهذا ما حدث لاحقًا. وعن تلك الأحداث يقول ابن بشر:

«وفيها قدم دوسري بن عبد الوهاب أبو نقطة من عند محمد علي باشا مصر، وكان دوسري هذا في مصر من حين نقلهم إبراهيم باشا في وقت حرب الدرعية كما تقدم، أرسله محمد علي إلى فيصل يطلب منه مطالب وخراجًا وذلك حين أراد أن يُجهز العساكر مع خالد بن سعود، فأراد ذلك جراءة على ما

أراد، فأرسل فيصل أخاه جلوي بهدية لرئيس مكة أحمد باشا، فوصل إلى مكة وأقام بها إلى وقت الحج ثم رجع. ( ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين بعد المائة والألف ١٢٥٢ هـ): وفيها سارت العساكر المصرية مع إسماعيل أغا أمير لوى وخالد بن سعود قاصدين نجد، وكان خالد هذا انتقل من الدرعية مع آل سعود حين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر». [۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

وعن تلك الأحداث يذكر لنا الشيخ أحمد زيني دحلان مُفتي مكة المُكرمة في كتابه، قائلاً:

« وينبغي أن يذكر هنا تجهيز محمد علي باشا على الدرعية والرياض لقتال فيصل بن تركي بن عبد الله ابن أخي عبد العزيز والد سعود، فيكون عبد الله والد تركي ابن عم سعود كما تقدم. وقد تقدم أيضًا أن فيصل بن تركي تملك نجدًا بعد أبيه، ثم قوي واستفحل ملكه، ورجع إلى إشهار الدعوى التي كان عليها أسلافه. فلما بلغت الأخبار محمد علي باشا، أمر بتجهيز العساكر إلى قتاله، وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذي كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين. ووقعت الفتنة بينه وبين تركي بلماز كما تقدم بيان ذلك. فتجهز خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة للمسير إلى نجد. وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين. فلما وصل إلى نجد. وقع بينه وبين فيصل بن تركي وقائع حصل فيه قتال شديد يطول الكلام بذكره، واستمر الأمر بينهما إلى أن قبض على فيصل واستولى على الدرعية والرياض وغيرهما. وأرسل فيصل إلى مصر لمحمد علي باشا سنة أربع وخمسين، وكان صحبة خورشيد باشا خالد بيك بن سعود، وكان خالد من الذين قبض عليهم إبراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم إلى مصر. فكبر خالد بن سعود وتربى بمصر. فاستحسن محمد علي باشا أن يجعله أميرًا في نجد بلاد آبائه، فأرسله بصحبة خورشيد باشا ورتَّب له المرتبات الجزيلة، فلما قبض خورشيد باشا على

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

فيصل بن تركي وأرسله إلى مصر، أقام خالد بن سعود أميرًا في الرياض، ومهد له الأمور إلى أن استقر أمره، ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن سعود سنتين، ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التي يرتضيها أهل نجد، فثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل إنه ليس من آل سعود أهل الإمارة وقيل إنه منهم، فتغلب وعاهده الناس، وأراد الفتك بخالد بن سعود، فهرب خالد وجاء إلى مكة هاربًا، وكان يتردد بين مكة وجدة إلى أن توفي، وكان له معاش جزيل مرتب من محمد علي باشا».۞

وعن عودة خالد بن سعود مع قوات إسماعيل باشا إلى نجد، يذكر سعود بن هذلول في كتابه (تاريخ ملوك آل سعود) ما نصه:

« وبايع الناس فيصلاً إمامًا عليهم، فأستتب الأمن لفيصل أربع سنوات بعد مقتل أبيه، ولكن الدولة العثمانية لم تترك فيصلاً وشأنه، بل أوعزت لوالي مصر أن يوجه عساكر كثيرة إلى نجد، فسيرها بقيادة إسماعيل باشا ومعه أحد أبناء سعود بن عبد العزيز وكان يُدعى خالد بن سعود، وخالد هذا قد حمل مع عوائل آل سعود وهو صغير السن إلى مصر وترعرع في كنف محمد علي حتى تمصر، وكانت أمه جارية حبشية فجاءوا به أميرًا على نجد من قبل الأتراك. استمرت هذه العساكر في زحفها فوصلت الرياض، فلم يقدر فيصل على مُقاومتها، لأن أهل بادية أهل نجد انقلبت عليه وفي مقدمة من انقلبوا عليه من البدو عرب مطير، وبعض عرب سبيع، وبعض عرب قحطان، وانضموا إلى العساكر المصرية، فرأى فيصل من الحكمة أن يُغادر الرياض ويذهب إلى جهة الأحساء ففعل».۞۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

۞۞ كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل بن ثنيان آل سعود.

## ▪ فرار فيصل بن تركي من الرياض خوفًا من بطش إسماعيل باشا :

كما ذكرت سابقًا فإن فيصل بن تركي لم يكن فارسًا معروفًا على عكس مشاري، ولذلك كان السبب في استيلائه على الرياض من خلال مشورة وشجاعة عبد الله بن رشيد الذي استطاع أن يقتل مشاري بسيفه، وقد سعى عبد الله بن رشيد في مُساعدة فيصل بن تركي لغرض أن يحصل على الدعم منه لاحقًا كي يعود إلى حائل ويُعاقب آل علي الذين تآمروا عليه وأجلوه من حائل، وهذا ما حصل لاحقًا، وسوف أفصل فيه في الفصل القادم.

أما فيصل فقد كان يعتمد على سمعة أسرته وعلى شجاعة بعض حلفائه، وكان يعتمد اعتمادًا كُليًا على بعض العبيد، حيث كان يُسيرهم على رؤوس الحملات، ويقودون جيشه في الغزو، ومن أمثال هؤلاء عبد أبيه الخاص زويد، وكذلك خادمه خير الله وسليمان بن ياقوت وغيرهم.

ويبدو لي أن فيصل بن تركي هذا قد خدمه الحظ كثيرًا في وصوله إلى الحكم في بداية الأمر، كما سيخدمه الحظ لاحقًا عندما سيفر من منفاه المصري ليعود من جديد إلى نجد، وإلا فمن يُصدق أن ينتصر فيصل الرعديد على مشاري الصنديد، لولا تدخل عبد الله بن رشيد الذي قتل مشاري بعد أن حوصر في القصر، ومن ثم حاول أن ينصح فيصل لاحقًا بمُباغتة قوات إسماعيل أغا وخالد بن سعود، لكنهُ أخفق بسبب خوفه وعدم خبرته وقلة مهارته في الحرب، مما سيدفعه للهرب من الرياض بدون قتال، ومن ثم التسليم لـخورشيد باشا لاحقًا، حيث سيؤخذ أسيرًا إلى مصر!.

وعن تلك الأحداث يروي عثمان بن بشر قائلاً:

« فلما وصلت العساكر المذكورة إلى ينبع البندر المعروف، علم بخبرهم الإمام فيصل، وكانوا نحو ألفين ما بين راجل وفارس. فأرسل إليهم محمد بن ناهض الحربي رئيس قصر بسام بهدية لهم ويستفحص عن خبرهم. فقدم إليهم ورجع إلى فيصل وأخبره بيقين خبرهم. ثم أنهم رحلوا إلى المدينة ثم إلى

الحناكية، فاستشار الإمام رؤساء المُسلمين في المسير إليهم أو عدمه، وكان الأمير عبد الله بن علي بن رشيد حاضرًا عنده، فأشار على فيصل بالنفير والمسير إلى القصيم والنزول فيه قبل وصول العساكر إليه، ومتابعة أهل القصيم لهم فاستنفر الإمام رعيته من الأحساء والجنوب والوشم وسدير وغيرهم، فركب من الرياض في أخر شوال ونزل الخفيسة الماء المعروف عند الدهناء وأقام فيها أيامًا إلى أن اجتمعت عليه غزواته، ثم رحل ونزل الصريف الماء المعروف قرب بلد التنومة من ناحية القصيم، فأقام عليه أكثر من شهر حتى أن خالد بن سعود وإسماعيل ومن معهما من العساكر نزلوا بلد الرس، فرحل فيصل إلى بلد عنيزة ونزلها واستنفر أهلها فركب معه أميرها يحيى بن سليمان، فسار من عنيزة واستنفر أهل بريدة فركب معه الأمير عبد العزيز بغزوه. فسار الإمام ومن معه من المُسلمين ونزل في رياض الخبرا، وذلك في أيام التشريق. فأقام في ذلك المكان أكثر من عشرين يومًا وهو مُحارب لعساكر الترك ولكن لم يحصل بينهم قتال. ثم أن الإمام كاتب أهل بلد الشنانة فطلبوا منه أن يُرسل إليهم سرية، فأرسل إليهم مائة مطية مع زويد العبد. فلما وصلوها وجدوا أميرهم في الرس، وقال لهم أهل البلد لا نقدر أن ندخلكم إلا بحضور الأمير، فوقع فشل في تلك السرية وانصرفوا إلى فيصل فلما قدموا إليه استشار رؤساء المُسلمين في الرحيل أو المقام، فأشاروا عليه أن يأمر على أهل رحلته وذهابه وعليق خيله وجميع ثقله يرحلون إلى بلد عنيزة، ثم يرحل بمن معه من المُسلمين فيشن الغارة على بعض فرقان البدو الذين تابعوا العسكر، ثم يرجع قافلاً إلى عنيزة أو بريدة، فأمر الإمام على أهل الرحلة بالرحيل، فلما شُدت رحائلهم ظن أناس من أطراف الغزو أن عليهم هزيمة فشالوا على رواحلهم ووقع في المُسلمين فشل، فأمر فيصل على رجال من خدامه بتسكينهم وضرب من رحل وانهزم، فقاموا عليهم وأدبوا فيهم فسكنوا عند ذلك، وباتوا في مكانهم، فلما كان بعد طلوع الشمس ركب فيصل بجنوده من ذلك الموضع ووقع بالمُسلمين خفة فثقل فيصل وفرسانه وفرسان

معه في ساقة جنودهم وقصدوا عنيزة ونزلوها، وذلك في يوم الخميس لخمس بقين من شهر ذي الحجة وشاور رؤساء المُسلمين في المقام أو الرحيل، فاقتضى رأيه أن يرحل بعزيزته ويقصد بلده ويقضي الله بتقدير ما أراد من تدبيره، فرحل من عنيزة وأذن لأهل النواحي أن يرجعوا إلى أوطانهم وقصد الرياض ومعه أهل الخرج والفرع ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وأذن له في الرجوع حين وصل بلد ثادق. فلما وصل فيصل بلد الرياض نزل بخيامه وأثقاله خارج البلد ومن معه من أهل الخرج وغيرهم، فدخل البلد على خيله فرأى من أهل البلد ما يُريبه، بل جاهر رجال بالعداوة فأخذ فيصل يُهيئ ما في القصر من مال وسلاح وأمتعة وغيرها، فدخل عليه رجال من اهل الرياض وحدث عليه منهم ما أوقع في قلبه الخوف منهم، ثم سار عليه أناس وحصل مجاولات فلما رأى فيصل ذلك اقتضى رأيه السديد أن يبعث في أعضادهم بالعطاء فبذل الدراهم لكل من حاذر منه، لأنهُ خاف أن يمنعوه من أن يخرج من القصر بشيء يريدونه خالد بن سعود ومن معه ومن جاهره بهذا الكلام، فلما بذل لهم ذلك سكنوا عنه فأخرج جميع ما كان في القصر من كل غال وجعله عند رحائله وخيامه خارج البلد مع غزوان أهل الجنوب، وأكثر ذلك أخرجه بخفية، فلما استكمل ما أراد أخذه من القصر وأراد الخروج منه إلى خيامه، خاف من رجال منهم على خيله وما معه فأرسل إلى الذين عند خيامه من الرجال إلى خارج البلد وأمرهم أن يرحلوا من مكانهم بجميع ما معهم. ثم خرج من القصر على خيله دفعة واحدة ووقف دونه رجال من أعوانه حتى خرج من البلد فلحق بماله مسرورًا سالمًا ومعه من الخيل نحو أربعمائة ومن العمانيات النجائب عدد كثير، فلما أنجاه الله تعالى من البغاة وسلمه خالقه وباريه من الآفات، فلما وصل الخرج أقام فيه عشرة أيام ولحقه بعض أهله وشيء من باقي أمتعته ثم رحل إلى الأحساء». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

ولاحظ هنا تبريرات ابن بشر المُضحكة وكيف يسوق لهزيمة فيصل المُذلة، وكيف يجد الأعذار الواهية لفراره وتركه الرياض بدون مواجهة أو قتال وبدون وجود أي قوات غازية تُهدده، بل استبق فيصل الأحداث قبل قدوم خالد بن سعود إلى الرياض فأطلق ساقيه للريح وهرب من عاصمته دون أن يواجهه، والمُصيبة أن عثمان بن بشر يُصور ذلك الهروب المُخزي على أنهُ كان نصرًا مؤزرًا، فقط لأنهُ قد فرَّ بجلده سالمًا مُعافى واستطاع أن يُخرج أمواله ومعه خيله وهجنه!!.

للأسف هكذا هو ديدن الوهابيين مُنذ أن وجدوا حيث تتركز مهمتهم الرئيسية في الترقيع والتبرير والبحث عن الأعذار الواهية لولاة أمورهم وأئمتهم السعوديين!.

## ▪ استسلام فيصل بن تركي إلى خورشيد باشا وأخذه كأسير إلى مصر:

حين هروب فيصل بن تركي من الرياض كانت قوات إسماعيل أغا مع خالد بن سعود مازالت في القصيم، حيث حاولت مدينة عنيزة أن تُقاوم القوات المصرية، لكن عندما علم أهلها بهروب فيصل بن تركي، اضطروا إلى الاستسلام بدون قتال إلى القوات المصرية وفتح لهم رئيس عنيزة يحيى بن سليمان الأبواب بدون قتال، وكذلك الأمر مع بريدة، حيث ركب إليهم رئيسها عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حسن وطلب الصلح من الأغا وخالد بن سعود فأجابوهم، ثم انضموا إلى قوات إسماعيل أغا وخالد بن سعود، ومن ثم بعث إسماعيل أغا وخالد بن سعود عمالاً لكي يخرصون الثمار في القصيم، وبعد أن أبدى أهل القصيم ولائهم إلى القوات المصرية، أرسلهم إسماعيل أغا مع عيسى بن علي، لقتال عبد الله بن رشيد أمير حائل، لأنهُ وكما مرَّ معنا كان حليفًا للشرود فيصل بن تركي.

وعندها جاء وفد من أهل الرياض ليُبايعوا خالد بن سعود، وليُعلموه أيضًا أن فيصل بن تركي قد فرَّ من الرياض، وتركها دون أي قوة تحميها، فقرر خالد بن سعود أن يسير إلى الرياض، بعدما علم أنها سالكة وليس فيها من سيُقاومه بعد هروب فيصل بن تركي.

وعن تداعيات هروب فيصل بن تركي من الرياض يذكر عثمان بن بشر في كتابه، قائلاً: « ثم إن إسماعيل ومن معه من العساكر لما ارتحل فيصل من عنيزة، رحلوا إليها فأغلقت دونهم الأبواب وحاربوهم ثم إنهم تصالحوا وخرج إليهم يحيى ورؤساء بلده، ثم ركب إليهم عبد العزيز رئيس بريدة وتابعهم بقية أهل القصيم. (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٣ هـ): وخالد بن سعود وإسماعيل وعساكر الترك في عنيزة، فأمر إسماعيل وخالد على يحيى بن سليمان ورجال معه يركبون إلى جبل شمر مع عيسى بن علي رئيس الجبل في القديم، فركب معهم من الترك إبراهيم المعاون مع أربعمائة فارس فساروا إلى الجبل يُريدون أن يباغتوا عبد الله بن رشيد في بلده ويمسكوه، فسبقهم إليه النذير فهرب من بلد حائل قبل قدومهم، فدخل عيسى البلد ونزل القصر بمن معه، وهرب أناس من أهل الجبل وأخذ منهم المُعاون إبراهيم دراهم، ولما استقر في الجبل رجع يحيى بن سليمان وإبراهيم المعاون ومن معهما، وبقي عند عيسى مائة رجل من الترك، وقدم على خالد رؤساء أهل الرياض في عنيزة، وأطاعت له نجد إلا أهل الخرج والفرع وما والاهم، وبعث خالد وإسماعيل وخالد عمالاً من العسكر يخرصون ثمار القصيم، وأما غير القصيم فخرص ثمارهم رجال منهم، فلم كان في أخر عاشوراء من هذه السنة رحل إسماعيل وخالد وعساكر الترك من عنيزة وقصدوا الرياض، فوصلوه يوم السبت سابع من صفر ونزل إسماعيل وخالد في القصر ونزل باقي العسكر خارج البلد، وقدم عليهم رؤساء البلدان وتابعوهم».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

لقد تعقدت الأوضاع في نجد بسبب التنافس على السلطة بين فيصل بن تركي وخالد بن سعود، ولأول مرة بات أهالي نجد يشعرون بالضيق والتذمر من عائلة آل سعود التي سيطرت عليهم لعقود طويلة، حيث باتوا أمام مشروعين أحلاهما مُرّ، ففيصل بن تركي طاغية ومُستبد رغم ضعفه وخواره أمام أعدائه، وخالد بن سعود جاء على ظهور البغال المصرية، مُحتميًا بحراب إسماعيل أغا، ولم يستسغ سكان نجد أن يُسلموا لحاهم إلى صنيعة مُحتل حتى وإن كان من آل سعود أنفسهم، ولذلك رفض أهالي الحوطة الرضوخ لخالد بن سعود، ليس ولاءً أو حبًا بفيصل بن تركي، بل رفضًا للتدخلات المصرية في شؤونهم، مما جعل إسماعيل أغا يغضب ويتوعدهم بالحرب والفناء.

ويبدو لي أن كلا الطرفين فيصل وخالد قد أحسا بأنهم مُجرد أطراف ضعيفة غير مؤثرة، والمُستفيد من تلك القلاقل هم المصريون الذين كانوا يجنون ثمار تلك الحروب، وقد سئم فيصل بن تركي من الهروب وحروب الكر والفر، فأراد أن يُصالح ابن عمه خالد بن سعود على صيغة مُرضية للطرفين، فتراسل هو وخالد لغرض إيجاد صيغة للتعايش بينهما.

وفعلاً تمَّ اللقاء بينهما قرب الرياض، وحاولا أن يعقدا صلحًا بينهما يتقاسمان فيه السلطة، ويبدو أن فيصل بن تركي قد قبل أن يخضع للسلطات المصرية، مُقابل أن يتركوا له بعض البلدات النجدية، لكن ولأول مرة يقف النجديون بصلابة ضد أطماع وطموحات آل سعود غير الشرعية، فرفض الأهالي ذلك الصلح السعودي، لأن الناس قد سئمت التسلط المصري وحتى السعودي، فرفضوا أن يخضعوا تحت سلطة إسماعيل أغا وقواته المصرية، الذين كانوا يُسمونهم بقوات الترك أو الأتراك، ولهذا فشل الطرفان في عقد ذلك الصلح، لأن فيصل لم يكن لديه مانع للتفاوض وتقديم التنازلات لابن عمه خالد بن سعود في سبيل البقاء، بالرغم من أن خالد بن سعود هذا قد أصبح تابعًا للقوات المصرية، لكن الأمر كان بيد الأهالي فرفضوا ذلك الصلح واستمرت المناوشات بين الطرفين.

ومثلما رفض أمير الحريق تركي الهزاني بشدة التعامل مع الغزاة المصريين حتى ولو أنهم جاءوا بخالد بن سعود كغطاء وواجهة لهم، فأننا سنرى بالمُقابل أن أحمد بن محمد السديري قد أعلن ولاءه الكامل للقائد المصري إسماعيل أغا، وقد استعمله كأمير على بلد سدير، كونه أبدا استعدادًا للتعاون مع القوات المصرية.

وعن تلك الهدنة التي لم تُفضي إلى صلح بين فيصل بن تركي وخالد بن سعود، يقول عثمان بن بشر: « ثم أن خالدًا وفيصلاً تراسلا في طلب الصلح، فلما كان سابع عشر من الشهر المذكور تواعدا، فخرج فيصل من مكانه وخرج إليه خالد من الرياض، وجلسا بين البلدين من صلاة الظهر إلى بعد العصر، فلم ينعقد بينهما صلح لأن أهل نجد لا يرضون بولاية الترك ولا أتباعهم، فثارت الحرب بينهم في أواخر شعبان». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

حينها أقبل القائد المصري خورشيد باشا ليستلم القيادة في نجد، وقد ظن فيصل أنهُ يستطيع أن يكسب ود الباشا خورشيد رغم تخوفه منه، إلا أنهُ أرسل شقيقه جلوي محملاً بالهدايا إلى خورشيد باشا كي يستميله لصالحه، إلا أن القائد المصري الجديد خورشيد باشا كان عازمًا على التخلص من فيصل وكسر شوكته، وهذا ما حصل لاحقًا.

وعن محاولات فيصل لكسب ود خورشيد، يقول عثمان بن بشر:
« وفي أول ذي الحجة أرسل فيصل أخاه جلوي إلى خرشد باشا (*) وهو في المدينة بهدية من الخيل والركاب العمانيات والقيلان، فقدم عليه في المدينة وأقبل معه إلى القصيم......... الخ. وفي مدة مقام خرشد في عنيزة استأذنه جلوي بن تركي أن يقصد بريدة لقضاء حاجة، فأذن له ، فلما وصلها هرب إلى

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

(*) خرشد : المقصود به هو اسم القائد المصري خورشيد باشا، إلا أن البدو يلفظون الاسم خرشد، لذلك دونه ابن بشر كما يلفظه البدو عادةً. وخورشيد كلمة فارسية أصلها ـ خرشيد ـ وتعني الشمس. وإذا جزأت الكلمة إلى مقطعين، يُقال إنها تعني: مكان مصب الماء في النهر، والله أعلم.

أخيه الإمام فيصل وهو في الخرج، وذلك أنهُ علم أن الباشا يقصد حرب أخيه، فخاف منه وهرب». [*] - انتهى الاقتباس -

وبعد وصول القائد المصري خورشيد باشا إلى المدينة، ومن ثم انتقاله إلى القصيم، بات معلومًا أنهُ سيحل محل إسماعيل أغا الذي فشل في مهمته، فأمره بالرحيل والعودة إلى مصر، وتكفل هو بالأمر، حيث عين بدلاً عنه ضابطًا كُرديًا يُدعى ملا سليمان، أما خالد بن سعود فقد انضم إلى قوات خورشيد باشا بعد رحيل إسماعيل أغا، وقد بدأ خورشيد باشا بتحريك قواته إلى الرياض.

وعن تلك الأحداث والتداعيات، يذكر ابن بشر:

«( ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين وألف ١٢٤٤ هـ): والغلاء والقحط على حاله، وخالد وإسماعيل في الرياض ووفد عليهما أهل ضرما والمحمل وما يليهم وأرسلا معهم عمالاً يقبضون الزكاة. وفيها قدم الرياض عسكر من القصيم أرسله خرشد باشا رئيسهم كردي يُقال له ملا سليمان ومعه حسن المُعاون، فلما قدموا أمروا على إسماعيل أغا أن يرحل بمن بقي معه من العسكر إلى مصر، فرحلوا ورحل معهم حسن المذكور وقدموا بلد القصيم ثم رحلوا إلى مصر. وفيها أرسل خالد أحمد السديري أميرًا في سدير وبعث معه من الترك نحو أربعين فارسًا. وذلك لأنهُ خاف من اختلاف أهل سدير عليه من أجل أن رؤسائهم مع فيصل في حرب الرياض..... الخ فلما كان أخر رجب رحل (خورشيد باشا) بعساكره من عنيزة ونزل الوشم ثم سار إلى الرياض، فركب معه خالد بأهل العارض وقصدوا بلد الدلم وفيها الإمام فيصل وقد ثبت لحربهم، فوصلوا نعجان في ثاني عشر شعبان، وإذا بأهل نعجان قد هربوا بنسائهم إلى الدلم، ثم عزل الباشا جنوده من الترك والعرب وأقبلوا إلى الدلم صفًا واحدًا، وجعلوا جيخانهم ورواحلهم ومن معهم من الأعراب خلفهم وذلك خوفًا من الهزيمة، فخرج إليهم فيصل بجنوده، وحصل بينهم قتال شديد. وكان

---

[*] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

الباشا قد جعل كميناً من الخيل والعساكر، فظهر عليهم الكمين فحصل على المُسلمين هزيمة وقصدوا البلد...الخ وتسمى هذه وقعة الخراب، ثم نزل الباشا بجنوده في الخراب وهي بلد قديمة قريبة من البلد، فأمر الإمام فيصل ببناء سور على البلد وحفر خندق، وصار في العسكر جوع عظيم من قلة ما معهم من الطعام فسعوا يقطعون من النخيل ويأكلون جمارها وانقطعت عنهم الرواحل من الرياض حتى أكلوا رواحلهم وبيع عندهم الطعام بأغلى ثمن»۞-انتهى الاقتباس-

لقد أدَّت هزيمة فيصل بن تركي المُريعة أمام قوات خورشيد باشا وخالد بن سعود، إلى تضعضع موقفه، ومن ثم هروبه إلى داخل بلد الدلم وتخندقه في داخل البلد، كل ذك أدى إلى انكسار الروح المعنوية لمن كانوا معه خصوصًا بعد فرض الحصار المُطبق عليه وعلى قواته، مما نتج عنه مجاعة وغلاء فنتج عنه تراجع في التأييد وتخاذل ممن كانوا مع فيصل، فآثروا طلب الأمان من الباشا خورشيد لينجوا بجلودهم من تلك الكماشة المُميتة، خصوصًا أن حلفاءه المُحاصرين معه من أهل الحوطة بدأوا يتراسلون مع الباشا لغرض طلب الأمان منه عن طريق أقاربهم ممن انضم لقوات خورشيد باشا!. حينها أيقن فيصل بن تركي أنهُ مهزوم لا محالة هذه المرة، فآثر أن يستسلم بدون قتال، وقد حمله خورشيد باشا كأسير إلى مصر.

وعن تلك النهاية الحتمية لفيصل يذكر عثمان بن بشر قائلاً:

« فلما كان العشر الأواخر منه ركب رجال من آل شريم أهل الحوطة، منهم راشد بن حسين وفوزان بن رشود ومعهما نحو ثلاثين رجلاً وقصدوا الباشا فأعطاهم الأمان. وكان في قصر موافق المعروف في الدلم من أهل الحوطة نحو مائة رجل عند فيصل، ورئيسهم فوزان بن محمد وإبراهيم بن عبد الله بن حسين المُلقب أبو ظهير فتراسلوا مع جماعتهم الذين عند الباشا، فأخذوا لهم منه الأمان، فقال لهم فيصل: أما إنكم قوموا معنا في الحرب، وإلا أخرجوا عنا لئلا تفتوا في أعضادنا؟ فقالوا: قد صالحنا الباشا على أيدي جماعتنا ولا ننقض عهدهم لنا، فقال: اصبروا حتى نأخذ الأمان على بلدنا وأموالنا، فأرسل

فيصل إبراهيم أبو ظهير إلى الباشا في الصلح (•)، فأجابه إلى كل ما طلب، إلا أنهُ يُسافر إلى محمد علي في مصر فيجلس عنده مع عشيرته الذين في مصر، فخرج فيصل إلى الباشا وصالحه على دماء أهل الدلم وأموالهم وعلى من كان معه من أهل العارض وغيرهم، فدخل فيصل الدلم وقضى حاجاته منها ثم خرج إلى الباشا وأقام نحو أربعة أيام، فجهز الباشا (خورشيد) حسن اليازجي وعسكره فرحلوا بفيصل وأخيه جلوي وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله وولدي فيصل: عبد الله ومحمد، وقدموا بهم إلى مصر، فأنزلوا فيصلاً في بيت وجعلوا عنده حرسًا يحفظونه». ۞ -انتهى الاقتباس-

بعد أن هَزم خورشيد باشا فيصل بن تركي بتلك السرعة الفائقة ودون خسائر تذكر، ومن ثم أرسله مخفورًا إلى مصر، هدأت الأوضاع قليلاً في نجد واستقرت الأمور لصالح خالد بن سعود، ولم يعُد لخورشيد باشا ضرورة للبقاء في نجد، بعد أن نجح في مهمته وحاز على رضا وقبول والي مصر، فأرسل إليه للعودة سريعًا لغرض التكريم، وربما لإيكال مهمة جديدة له.

الطريف في الأمر أن القائد المصري خورشيد باشا الذي بطش بأهل العارض وأذل آل سعود وكسر شوكتهم، وحمل فيصل بن تركي إلى مصر ذليلاً حاسرًا، قرر أن يتزوج في نجد قبل أن يرحل، والغريب أنهُ لم يتزوج في نجد إلا من ابنة الصوينع الهتيمي، فسبحان الله كيف وجد ضالته عند ذلك الهتيمي الذي يستخف ويستهين به النجديون، وإذا بهذا الهتيمي يُصبح نسيبًا للباشا المصري!. قد يُفسر البعض أن القبائل البدوية وحتى الحضرية كانت ترفض أن تزوج خورشيد باشا وإن كان قائدًا للجيش المصري وباشا أيضًا، كونه مملوكي الأصل وليس عربي العرق، لكنني شخصيًا لا أعتقد ذلك، فهو كان في موقع قوة وسلطان ، ولو أراد أن يتزوج من أكبر القبائل البدوية المعروفة في

---

(•) كالعادة يُطلق عثمان بن بشر على بادرة الاستسلام صُلحًا، كما يُسمي الهزيمة صلحًا أيضًا في حوادث أخرى!.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

نجد لما تمنعوا أو ترددوا، خصوصًا وأنهُ مُسلم ولا مانع شرعي يقف في وجه زواجه من أي امرأة في نجد، لكنه ربما رأى تلك الفتاة الهتيمية فأعجبته فقام بخطبتها، خصوصًا وأن النساء الهتيميات عمومًا كن أكثر تحررًا من نساء نجد، وطبعًا المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر يهول من الأمر، ويدعي أنها كانت على ذمة رجل آخر!.

ولا أدري ما الذي يجعل باشا مصري مشهور وقائد عسكري معروف وذو مُرتبة كبيرة، أن يترك نساء مصر ومن ثم يصد عن نساء الحجاز، وكذلك يتغافل عن كل النساء في نجد، ثم يأتي ويتزوج بامرأة متزوجة أصلاً!.

أعتقد أن عثمان بن بشر أراد أن يهون من وقع الأمر على القارئ النجدي تحديدًا، فقلل من شأن تلك الزيجة، وربما أراد أيضًا أن يشوه سمعة القائد المصري خورشيد باشا كونه قد أذل ولاة أمره وأئمته من آل سعود، فلم يجد أمامه إلا الادعاء بأن خورشيد باشا، قد تزوج من امرأة هتيمية(•)، وليس هذا فحسب، بل إنها كانت امرأة متزوجة وعلى ذمة رجل آخر كما زعم، ليقول القارئ (كم هو رخيص ومُنحط ومُغفل هذا القائد المصري)، مع أنهُ يذكر في نقله كلمة (قيل)، أي أنهُ لم يكن مُتأكدًا أصلاً من الأمر، حيث يقول ابن بشر في كتابه: «(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٦هـ): والباشا في ثرمدا وورد عليه الأمر بالشخوص إلى مصر فانتدب لجمع الرحائل من العربان.....الخ. إلى أن يقول ابن بشر: وفي ربيع الأول سار خرشد باشا من ثرمدا ببعض عساكره ونزل عين ابن قتور وتزوج بنت الصوينع الهتيمي، قيل إنها إذ ذاك مع زوج، وأمر على بكير أغا رئيس العسكر الذين في بلد شقرا أن يتبعه بعساكره فركب بكير من شقرا ثاني عشر ربيع الآخر وقصد الباشا».۞ -

---

(•) هتيم قبيلة عربية مُسالمة، لكنها لم تحظ بسمعة كبيرة كما حظيت بقية القبائل العربية، ولهذا يرفض البدو الزواج من قبيلة هتيم، كونها قبيلة أدنى مستوى من بقية القبائل، كما يرون هُم ذلك!.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

- **ظهور عبد الله بن ثنيان بن سعود وخروجه على خالد بن سعود :**

سبق وأن ذكرت أن آل سعود بعد أن تفرق شملهم وتشتت جمعهم، أصبح الجميع يسعى للمُلك ويطمح لأن يُصبح أميرًا على الرياض وإمامًا على كافة نجد، ولم يُستثنى أحد؛ حتى الفرع البعيد نوعًا ما عن أبناء وأحفاد محمد بن سعود صاحب الشراكة المعروفة مع محمد بن عبد الوهاب، حيث ظهر شخص جديد من أسرة آل سعود يُطالب بالحكم، وهو يلتقي مع أحفاد محمد بن سعود في الجد الأول سعود بن محمد بن مقرن، ولكنهُ وجد الفرصة سانحة أمامه لأن يمتطي ظهر الإمامة الوهابية مادام كل من هب ودب ركب على صهوتها، فظهر اسم عبد الله بن ثنيان الذي خرج عن طاعة ابن عمه خالد بن سعود الذي جاءت به القوات المصرية ونصبته أميرًا على الرياض، وبدأ يسعى للإطاحة به وتنصيب نفسه أميرًا بديلاً وإمامًا على بعض بلدات نجد!.

وعبد الله بن ثنيان هذا هو سليل الأعمى ثنيان بن سعود الذي سبق وأن توسط لديه العريني في الدرعية، كي يأخذ الأمان لمحمد بن عبد الوهاب من قبل أخيه محمد بن سعود، عندما دخل خفية إلى الدرعية، ونحن نذكر أن محمد بن سعود كان لديه شقيق ضرير يُدعى ثنيان آنذاك، وعليه فإن عبد الله هذا هو حفيد ثنيان بن سعود، ويكون تسلسله كالآتي: عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن محمد بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن، وقد أنجب عبد الله بن ثنيان هذا ثلاثة أبناء هم: محمد بن عبد الله وثنيان بن عبد الله، وسمي عبد الله بن عبد الله بن ثنيان لأن والده توفي وهو ما يزال في بطن أمه، فسُمي لاحقًا بعبد الله على اسم والده.

وعن عبد الله بن عبد الله بن ثنيان هذا، يورد لنا الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد، وهو حفيد الأمير عُبيد بن رشيد الذي شارك في إسقاط حكم ابن ثنيان، حيث يذكر نبذة مُبتسرة عن عبد الله بن ثنيان، وذلك من خلال النبذة المُختصرة التي استقاها منه وديع البستاني في عام ١٩١٣م، من خلال كتاب "نبذة

تاريخية عن نجد"، حيث يقول عنه: « وقد كان المتولي على نجد رجل من العائلة (السعودية) يُقال له: عبد الله بن ثنيان، الذي للآن أبناؤه في اسطنبول[•]. وكان رجلاً شجاعًا سفاكًا للدماء. قتل جملة من المُتدينين (المُطاوعة). وكان يقول: إن أبقاني الله لن أترك مع البدو ولا فرسًا واحدة. من أجل ذلك أبغضوه الناس مع إنهم يؤثرون محبة فيصل».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو لي أن طرائد وشرائد آل سعود ممن كانوا يختبؤون ويتوارون عن الأنظار بعد كل هزيمة أو انكسار، كانوا على الدوام ينتظرون خروج أو انسحاب القوات المصرية من نجد، ثم يعودون للبلبلة وإثارة القلائل والفتن، لأنهم لا يقوون على المواجهة وليس لهم مقدرة على الصمود، وبعضهم أخذ يُراسل الباب العالي يستعطفهم لتوليته على نجد ليسود الأمن، وقد لاحظنا أكثر من مرة أن الأمور تهدأ وتسكن عند وجود القوات المصرية، وما أن تضع حاكمًا محليًا مع حامية بسيطة وتنسحب إلى الحجاز، حتى يعود فلول آل سعود من الهاربين والمختبئين بين القبائل لإثارة المشاكل، وهذا ما حدث فعلاً بعد انسحاب خورشيد باشا من نجد، فما هي إلا أسابيع قليلة حتى ظهرت المشاكل من جديد، حيث عجز خالد بن سعود أن يحافظ على الأمن والاستقرار لوحده، وكان أول الخارجين عليه أحد أبناء عمومته الأباعد عبد الله بن ثنيان بن سعود، كما أسلفت.

وعن ظهور عبد الله بن ثنيان، يذكر ابن بشر في كتابه:
«( ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٧ هـ ): وفي هذه السنة هرب عبد الله بن ثنيان من الرياض وقصد المنتفق. وذلك أنهُ لما أراد خالد بن

---

[•] وحفيدة عبد الله بن ثنيان هي زوجة الملك فيصل المدعوة عفت بنت محمد بن عبد الله بن عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود، ولدت في تركيا عام ١٩١٥م، وعاشت طفولتها وشبابها في تركيا، وكانت تتحدث باللغة التركية ولغتها العربية سيئة جدًا، تزوجها الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز عندما كان نائبًا للملك على الحجاز ووزيرًا للخارجية عام ١٩٣٢م. وهي الوحيدة من بين زوجات ملوك السعودية التي أطلق عليها لقب (صاحبة الجلالة الملكة)، وهي أخت من الأم لـ كمال أدهم مؤسس جهاز المخابرات السعودية.

[۞] كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

سعود أن يركب إلى خرشد وهو في الشنانة كما سبق، أمر على عبد الله بن ثنيان أن يركب معه، فتعلل بأغراض وأمراض فلم يأذن له، فحين ركب خالد من الرياض هرب (عبد الله بن ثنيان) إلى المنتفق، وصار عند عيسى بن محمد رئيس المنتفق، فلما رجع خالد أرسل إليه وأعطاه الأمان فظهر إلى نجد وقدمها في أواخر رجب، فلما أقبل الرياض أرسل أمامه رجلاً من أصحابه إلى خالد يُخبره بقدومه، ونزل في البنية الموضع المعروف خارج البلد، فلما ظهر عليه الرجل من خالد ركب ركابه مُسرعًا وقصد حائر سبيع، وأقام عند راشد بن جفران السبيعي وكان بينهما مُصاهرة فوعده القيام معه والنصرة له، وكتب ابن ثنيان إلى أهالي الحريق والحوطة والحلوة وذكر لهم أنهُ يُريد إخراج العساكر من نجد، وكان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وعلي بن حسين وعبد الملك بن حسين وبنوهم إذ ذاك في الحوطة والحريق هاربين من الترك، فوعدوه النصرة فلما علم بذلك خالد أرسل إلى رؤساء سبيع، وقال لهم: اذهبوا إلى ابن ثنيان وأعطوه الأمان، فلما وصلوا إليه أبى عليه وقال: لابد من حربه. ثم أن شمر يدعوا الناس إلى القيام معه، فقدم عليه رجال من آل شامر وغيرهم، فلما علم خالد أنهُ مُصمم على حربه داخله الجُبن وكتب إلى أهل النواحي يأمرهم بالغزو فتثاقلوا عليه ولم يأته إلا أهل الخرج وأهل سدير وقليل من أهل المحمل وغيرهم». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن خالد بن سعود كان خائفًا من خروج أهل نجد عليه، وكان يُدرك كرههم للقوات المصرية التي جاء بها خالد مُحتميًا، ولذلك عندما سمع بخروج عبد الله بن ثنيان عليه، أيقن أن أهل نجد سيقفون معه، وأن لا حول له ولا قوة بعد رحيل خورشيد باشا بقواته الضاربة، ولم يبقَ معه إلا حامية متواضعة جدًا أغلب جنودها من المغاربة، فقرر أن يذهب إلى الأحساء أولاً لبعدها عن نجد وثانيًا لأن أهلها لا يكنون له الكره كما هو الحال في بلدان نجد، فغادر الرياض

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وتوجه إلى الأحساء وترك خلفه أحمد بن عياف أميرًا على الرياض خلفًا له وترك معه عمر بن عفيصان، وقد خلى الجو لابن ثنيان وبات يتحرك على راحته قرب مناطق الرياض، وقرر أن يُعاقب البلدات التي وقفت مع خالد بن سعود، فتوجه مع عصابته إلى ضرمى، وكان في ضرمى بعض الجنود المصريين، فحاصرها ثم وقع الصلح بين الطرفين بشرط أن يخرج الجنود المصريون ويرحلون إلى ثرمداء، وفعلاً تمَّ الصلح ودخل عبد الله بن ثنيان إلى ضرمى، لكنه لم يفِ بعهده الذي قطعه لأهل ضرمى وللحامية المصرية، حيث كان بحاجة ماسة إلى الأموال فغدر في الصائغ وهو من رؤساء أهل ضرمى وكان عنده أموال كثيرة، فاستولى عليها عبد الله بن ثنيان وبدأ يمول جماعته ويستقطب المُقاتلين من المُرتزقة، حتى خضعت إليه الكثير من البلدات، وبدأ يتوسع خصوصًا بعد أن انضم إليه أهل الحريق برئاسة سعد بن تركي الهزاني.

حينها استشعر أهالي الرياض بخطره الداهم وأرسلوا إلى خالد بن سعود وهو في الأحساء يحذرونه من الأخطار المُحدقة بهم، وطالبوه أن يأتي بسرعة ويواجه عبد الله بن ثنيان، لكنه لم يُلقي لهم بالاً، حتى ضجر منه بعض أهالي الرياض الذين كانوا معه في الأحساء وطالبوه إما أن يخرج للقضاء على ابن ثنيان وكف شره، أو يسمح لهم بالرحيل ومواجهته والقضاء عليه.

إلا أن خالد بن سعود كان مُرتعبًا وغير آبه بمصير أهل الرياض، ويبدو أنهُ وجد الدعة والراحة والاطمئنان في الأحساء، فظن أن هذا الإقليم سوف يحميه ويكفيه، وعندما ازدادت عليه المُراسلات من أهل الرياض وزاد تذمر بعض ممن كانوا معه الذين هم أصلاً من أهل الرياض، فقرر أن يُرسل العبد زويد كقائد لهم وقدموا إلى الرياض وهم على ثلاثمائة مطية، وبقي هو مُتحصنًا في الأحساء، إلى أن دخل عبد الله ثنيان إلى الرياض، ففر بعدها خالد بن سعود من الأحساء ولجأ أخيرًا إلى مكة المكرمة، وبعدها غابت أخباره وانتهى ذكره.

وعن تلك التحركات التي قام بها عبد الله بن ثنيان، وعن تخلي خالد بن سعود عن أهل الرياض ومن ثم دخول ابن ثنيان إلى الرياض، يذكر عثمان بن بشر في كتابه:

« ثم أن ابن ثنيان سار إلى ضرمى ومعه ستون رجلاً فأطاع له أهل المزاحميات، وكان في ضرمى عسكر من الترك فأرسل إلى الأمير علي بن عبد الله بن عبد الرحمن وإلى أهل بلده يدعوهم إلى المُتابعة فأبوا عليه لأجل ما عندهم من العسكر، فسار إليهم وحصل بينهم قتال فهزمهم إلى البلد فاحتصروا فيه. ثم وقع الصلح بينهم على أن العسكر يرحلون إلى ثرمدا، ودخل البلد واستقر فيها وقتل الصائغ وهو من رؤساء أهل ضرمى وعنده أموال كثيرة، فأخذها ابن ثنيان وكتب إلى أمير حريملا حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن وأمير المحمل سعد بن محمد بن يحيى يدعوهم إلى الإقبال إليه، فلم يعصوا ولم يطيعوا........ الخ. وفي هذه المدة وأهل الرياض يُتابعون الرُسل إلى خالد ويستحثونه وهو لا يرفع لهم رأسًا! فأتى إليه رؤساء أهل الرياض الذين معه وقالوا له: إن هذا الأمر قد وقع في ناحيتنا، فإما أن تخرج معنا أو تأذن لنا في الخروج، فأمر خالد على زويد العبد أن يَسير معهم، فساروا من الأحساء نحو ثلاثمائة مطية فقدموا الرياض في شوال ووقع بينهم وبين ابن ثنيان قتال». ۞ - انتهى الاقتباس -

سنرى أن عبد الله بن ثنيان قد استغل الفرصة للوثوب على السلطة، وساعده في ذلك تخاذل خالد بن سعود، وهروبه من الرياض دون وجود أي خطر حقيقي يتهدده، بالرغم من صمود أهل الرياض الذين كانوا يدافعون عن حكم خالد بن سعود رغم تخاذله وجبنه، وبالرغم من أنهم هزموا في بداية الأمر عبد الله بن ثنيان وحصروه، لكنهُ استطاع الهروب ليلاً، وقد اشتهر آل سعود بسرعة الفرار والمقدرة على التخفي والهروب ليلاً كلما ادلهمت الخطوب!.

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وهنالك عدة أسباب جعلت عبد الله بن ثنيان يتفوق على خصمه خالد بن سعود، ويستولي على مكانته، أولاً: لأن الأخير كان يعتمد اعتمادًا كليًا في بقائه في السلطة على صولجان القوات المصرية، ولما انسحبت تلك القوات أحس أنهُ زائل لا محالة فقرر الهروب بدون مواجهة أو خوض حرب مع خصومه كعادة أسلافه.

ثانيًا: ساعد ابن ثنيان في ذلك تذمر أهالي نجد من القوات المصرية التي كانوا يعتبرونها قوات غازية لبلدهم، وطوال فترة بقاء تلك القوات لم تجلب لهم أي رخاء، بل جلبت لهم الغلاء الفاحش وعدم الاستقرار، وكانوا يسعون بجدية للتخلص من براثن الغُزاة بأي ثمن كان وأي طريقة كانت، ولا يُهمهم من يقود تلك المُقاومة أو القوة الطاردة، لأن المهم لديهم هو خروج هؤلاء (الأتراك) كما يُطلق عليهم النجديون، ولهذا وجد عبد الله بن ثنيان في أهل نجد الغاضبين ضالته.

ثالثًا: أن عبد الله بن ثنيان لم يجد من هو أحق منه بالمنصب أو بتولي الإمارة، لأن خصمه الوريث خالد بن سعود كان ضعيفًا وخائرًا ولا ننسى أنهُ جاء محميًا بحراب المصريين، أي كما يُقال في وقتنا الحاضر، (كمن يأتي على ظهور الدبابات الأمريكية مثلاً)، ولهذا سنرى لاحقًا كيف ستتراجع أهمية عبد الله بن ثنيان وأحقيته بالمُلك، بعد عودة فيصل بن تركي من منفاه المصري.

وعليه فكان من المتوقع أن ينجح عبد الله بن ثنيان في مسعاه، لأنه كان يُحاكي طموحات ورغبات أهالي نجد الذين سئموا من بطش وعنجهية القوات المصرية، وهو قد التقط تلك الإشارات التي يُمكن أن نُسميها (تطلعات الجماهير) فقدم نفسه على أنهُ المُحرر الموعود أو القائد المُنتظر، وقد نجح نوعًا ما في مسعاه.

وسنرى أيضًا وكالعادة الانتهازية المقيتة لآل الشيخ، التي تمخضت عن قدوم أحفاد محمد بن عبد الوهاب لمُبايعة عبد الله بن ثنيان باعتباره أصبح ولي أمر

للمُسلمين، وسوف يبصمون بحوافرهم على تنصيبه، لكنهم سرعان سينقلبون عليه بعد أن يعود فيصل بن تركي، ويغيرون ولاءهم إلى ولي أمرهم الجديد، وهكذا ستستمر اللعبة أو الأسطوانة الوهابية بالدوران.

وعن تلك التداعيات يقول ابن بشر:

« ثم أن أهل الرياض ساروا بعساكرهم إلى منفوحة، وحصل بينهم وبين ابن ثنيان قتال شديد، قُتل فيه رجال من الفريقين، وكتب رؤساء أهل الرياض إلى أهل النواحي يُبشرونهم أن ابن ثنيان محصور في منفوحة..... ثم أن أهل الرياض لما حصروا ابن ثنيان في منفوحة يومهم ذلك وحجز الظلام (بينهم) رجعوا إلى بلدهم، فتبعهم ابن ثنيان وهم لا يعلمون... هذا ومقاتلة أهل الرياض وعساكرهم ما وضعوا سلاحهم يعرضون ويغنون، ولم يعلموا بدخول ابن ثنيان البلد، فلم يفاجئهم إلا وابن ثنيان شاهر سيفه وقد أقبل إليهم في رجاله من الشجعان، فهرب أكثر الناس إلى بيوتهم وفزع الترك والمغاربة وبعض خدام خالد، فباشر ابن ثنيان بنفسه القتال وشج، وصار بوجهه المغربي الكبير المُسمى الأبعج فرماه ببندقية فسلم منها. وضربه ابن ثنيان بسيفه فانقطع (السيف)، لأن الضربة وقعت في البندق فصرخ (السيف) وانصدح. فلما سمعت المغاربة صريخ السيف ولوا مُدبرين فدخلوا قصرهم وأغلقوا عليهم أجمعين. فدخل ابن ثنيان في بيت إبراهيم بن سيف فبايعه ثم دخل بيت آل عياف وجلس فيه. وأتى إليه رؤساء البلد وبايعوه، وأرسل إلى ابن عفيصان ومن معه فأتوا إليه وأطاعوه، ثم أرسل إلى من في القصر من الترك والمغاربة وأعطاهم الأمان وأنهم يرحلون من البلد ولا يبقى فيها منهم أحد..... ثم أرسل إلى سعد الدغيثر وزويد العبد ورجل (آخر) وقتلهم. وأتى إليه آل الشيخ من الحريق. وأما خالد (بن سعود) فإنه رأى الأمر (قد) انتقل إلى غيره، وهو إذاك في الأحساء، أمر على من بقي من رجاله وعساكر الترك، وقال لهم نُريد أن نعمل قوة للحرب فأتوا بخيلكم وركابكم. ثم خرج بهم

من الأحساء وهرب وترك شيئًا من ثقله وخيامه، وقصد الدمام المُعروف في القطيف، فنزل فيه هو ومن معه، فهرب عنه أكثر خدامه ورجاله فهرب إلى الكويت (*) ومنه إلى القصيم ثم إلى مكة المُشرفة». ۞ - انتهى الاقتباس -

بعد استيلاء عبد الله بن ثنيان بن سعود على الرياض، وهروب خالد بن سعود من الأحساء، دانت أغلب مناطق نجد إلى ابن ثنيان، وبدأ يُصفي حساباته مع من رفضوا مُبايعته أو أتباعه، فقتل بعضهم وحبس البعض الآخر، ثم قرر بعدها أن يُسيطر على إقليم الأحساء لما له من أهمية اقتصادية وزراعية، لأن ابن ثنيان كان مُفلسًا وقد اتخذ طريقة قذرة في استخلاص الأموال التي كان بحاجة ماسة إليها، حيث كان يستهدف الأغنياء في المناطق التي يُسيطر عليها ثم يقوم بقتلهم والاستيلاء على أموالهم كي يُسير أموره، وقد مرَّ بنا كيف قام بقتل الصائغ في بلد ضرمى، وكيف استولى على جميع أمواله وأملاكه، وقد كان هذا المغدور من رؤساء أهل ضرمى وكان لديه أموال طائلة، فتخلص منه ابن ثنيان وصادر جميع أمواله، ثم سنلاحظ كيف تبلى على ابن غانم رئيس أهل القطيف وكيف غدر به وكذلك على ابن مانع صاحب الأحساء فحبسهم وأخذ أغلب أموالهم!. فقد كان ابن ثنيان نهمًا جشعًا لم يترك أحدًا ميسور الحال إلا وشاركه في ماله، وإذا أبى قام بقتله ومن ثم الاستيلاء على جميع أمواله.

وعن تلك المُمارسات يذكر ابن بشر:

« ووفد عليه أمراء سدير فحصل من بعضهم بهت وزور من القال والقيل ورموا بعضهم بعضًا بالكذب والأباطيل، فأمر ابن ثنيان بخمسة من رؤسائهم أن تضرب أعناقهم، وهم العفيف الحصين، وعبد الله إبراهيم الحصين، وأمير حرمة عبد الله بن عثمان المدلجي، وزامل بن خميس بن عمر من رؤساء أهل الروضة، وابن حسين من أهل حرمة، وناصر بن صالح صاحب بيت مال سدير

---

(*) أظن أن عثمان بن بشر أراد أن يقول إن خالد بن سعود قد هرب إلى (قصر الكوت) في الأحساء وليس إلى الكويت، ولكن ربما وقع الخطأ المطبعي سهوًا من قبل الناسخ، والله أعلم.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

فسلم الله ابن حسين وابن صالح وقتل الثلاثة...... الخ. ثم أمر على فهد بن عبد الله بن عفيصان في رجال معه من أهل الخرج والوشم وسدير يقصدون الأحساء، ويكون فهد أميرًا فيه نائبًا لابن عمه عمر، وكتب إلى عمر أن يسير بمن عنده إلى القطيف، فسار عمر ومعه فلاح ابن حثلين ورجال معه من قومه ومن بني هاجر وآل مرة والعماير، فلما وصل القطيف أطاعوا له وأمر على ابن غانم الرافضي رئيس القطيف أن يركب إلى ابن ثنيان، واستدعى بابن عبد الرحيم رئيس سيهات فأسره وهدم سور سيهات، فلما قد ابن غانم على ابن ثنيان في الرمحية ناوبه بأشياء، وقال إنك تُمالي صاحب البحرين على طوارف، وذكر له أشياء غير ذلك ثم حبسه وأخذ منه أموالاً عديدة، وحبس ابن مانع صاحب الأحساء وعذبه وأخذ جميع أمواله، وحبس رجالاً وأخذ منهم أموالاً وأخذ من العربان خيلاً وركابًا».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو أن ظلم وطغيان ابن ثنيان لم يستمر طويلاً، ليس لأن الحكام الآخرين كانوا عادلين، لكنهم كانوا يتحرجون من سلب أموال الناس جهارًا عيانًا كما يفعل ابن ثنيان، لذلك كانت نهايته سريعة جدًا ولم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما عاد فيصل بن تركي هاربًا من منفاه المصري، متوجهًا إلى نجد ليستعيد مُلكه ويسترد سلطته من ابن عمه البعيد عبد الله بن ثنيان الذي امتنع من تسليمه زمام السلطة، مُبررًا أنهُ أحق بها منه وأنهُ استطاع أن يُعيد لملمة شتات بلدات نجد تحت سلطته.

أما المؤرخ عثمان بن بشر فهو مازال يُفكر بعقلية الوهابي المُتحاذق الذي يُحاول أن يُرجع كل حادثة أو تحول إلى بركات تلك الدعوة الوهابية، وينسب كل واقعة تقع إلى الرغبة الإلهية والحتمية القدرية لنصرة هذا الإمام المزعوم فمثلاً هو يُرجع عملية خروج عبد الله بن ثنيان على ابن عمه خالد بن سعود،

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

**واستيلائه على الرياض وبقية المناطق التي كان بحوزة خالد بن سعود، أنها كانت مُقدمة أو تمهيد لعودة ما يُسميه بالإمام فيصل بن تركي!.**

**ليس هذا فحسب فهو لا يتورع من وصف خالد بن سعود أنهُ مُجرد دخيل توقع أن الرياض ونجد هي داره ومسكن قراره، ثم تجده يمدح عبد الله بن ثنيان ويصفه بالشجاع القتال وأنهُ صاحب صولة وإقدام وقد نُصر من قبل الملك العلام، وقد أنزل الله الرعب في قلب من عاداه؛ يقصد خالد بن سعود، لكن عندما يتعلق الأمر بإمامه فيصل بن تركي، سوف ينحرف عثمان بن بشر ١٨٠ درجة وينقلب على ابن ثنيان فيصفه بالجبان!!.**

**ولا أدري كيف يستوي أن يكون المرء شجاعًا قتالاً مرة وأخرى جبانًا رعديدًا، وكيف يكون قد أرسله الله لكي يجمع شتات مُلك فيصل بن تركي، ثم يقوم بنفسه بقتال فيصل بن تركي على ذلك المُلك المزعوم!.**

**لأن الأحداث وكذلك نقولات ابن بشر وتدوينه لشتات الأخبار تقول عكس ذلك، وتُثبت أن عبد الله بن ثنيان كان طامحًا للسلطة وراغبًا في احتكار الحكم لنفسه، ولم يُخطط قط أو يُفكر للحظة واحدة أن يُقاتل في سبيل ما يُسمى بعودة أو نصرة دعوة التوحيد الوهابي، أو يُفكر في أن يُعيد الحكم أو المُلك لفيصل بن تركي كما يزعم ابن بشر، والدليل هو رفضه تسليم السلطة لفيصل بن تركي ومن ثم مُقاتلته في سبيل ذلك المُلك العضود.**

## ▪ عودة فيصل بن تركي من منفاه المصري ومواجهته لعبد الله بن ثنيان:

عاد فيصل بن تركي من المنفى المصري إلى نجد مرورًا بإمارة حائل التي وجد فيها الدعم والمؤازة والترحيب من قبل أميرها عبد الله بن رشيد، وربما أراد فيصل أن يتقاضى ويسترد معروفه القديم من عبد الله بن رشيد الذي سبق وأن استوفاه مُقدمًا، وذلك عندما خلصه عبد الله من ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن، فوقف حينها فيصل بجانب عبد الله بن رشيد ضد أبناء عمومته آل علي، والحقيقة ليس هنالك مصادر موثوقة لمعرفة القصة الحقيقية لنهاية الواثب الجديد على السلطة عبد الله بن مشاري، حيث تتضارب المصادر السعودية في سرد المآل الذي آل إليه عبد الله بن ثنيان، الذي أغتيل لاحقًا على يد أتباع فيصل بن تركي،والحال مُشابه حول أسطورة هروب فيصل من مصر، فالمؤرخون الوهابيون وعلى رأسهم ابن بشر يُبالغون كثيرًا ويزعمون أن فيصل بن تركي كان قد هرب من قبضة الحراس المصريين وفر من سجن القلعة، والدلائل تُشير لعكس ذلك تمامًا.

وعن عودة فيصل بن تركي إلى نجد من جديد، وكيفية هروبه من مصر، يُقول ابن بشر: « (ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٩هـ): ولما أراد الذي بيده الحركات والسكون، القادر الذي يقول للشيء كُن فيكون، إخراج الإمام فيصل بن تركي من حبس البأس، وظهور شمسه على الناس، وإجابة دعائه، ورد مُلكه ومُلك أبيه إليه، مع تكاثر العساكر المصرية التي في حصون نجد الكبار، وخالد بن سعود يدهُ على تلك الديار وتيقنهم أنها دارهم، ومسكنهم وقرارهم، بعث الله من عشيرته رجلاً شجاعًا قتال، وساعده النصر الإقبال، وصار له صولة وإقدام، ونصر من الملك العلام، وأنزل الله الرعب في قلب من عاداه، وأنثالت عليه الدنيا من أصدقائه وأعداءه، حتى لم يبق له في أهل المملكة له مُخالف ولا مُشاقق، بل كلهم مُطيع مرافق، فلما تمَّ أمره، وبلغ التمهيد أجله، أذن الله لصاحب هذا المُلك وفكه من الأسر، وسلم مفاتيحه إليه

بتيسير ويسر، ووقع الجُبن في قلب ذلك الشجاع المُطاع، وغاب عنه رأيه وتدبيره ضاع، حتى أسلم القادر سرير المُلك إلى صاحبه فأجلسه عليه، ونثر مفاتيحه بين يديه. ففي أول هذه السنة نزل الإمام فيصل من حبسه بحبال، لما أكثر التذلل والتضرع عند ربه والابتهال، ونزل من رأس القاهرة ومعه أخوه جلوي وابن عمه عبد الله بن إبراهيم وابنه عبد الله، وكانت العساكر رصدًا عليهم في مدخلهم ومخرجهم والفرجة التي نزلوا منها على الأرض أكثر من سبعين ذراعًا، فحفظهم الله تعالى إلى أن وصلوا إلى الأرض وكانوا قد أعدوا ركائب تحتهم فركبوها وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر، وأرسلوا إلى عبد الله بن علي بن رشيد يخبرونه بمجيئهم، فتلقاهم بالرجال والرحائل، ودخلوا بلد حائل، فقابلهم بالتكريم والإكرام، وعظمهم غاية الإعظام، وقال ابشروا بالمال والرجال، والمسير معكم والقتال».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويجب أن أتوقف هنا لمُراجعة ما ذكره المؤرخ عثمان بن بشر في كتابه "عنوان المجد في تاريخ نجد"، عن كيفية هروب فيصل بن تركي وشقيقه جلوي مع ابن عمه عبد الله وولده عبد الله، فهو يذكر لنا أن عملية الهروب بنوع من التهويل وكأنها أسطورة خرافية، وكأن فيصل ورفاقه كانوا مُقيدين بالسلاسل والأصفاد في تلك القلعة الرهيبة وحولهم مئات من الحرس والعسس وأنهم نزلوا بالحبال من علو أكثر من سبعين ذراعًا، ولا أدري هل المُبالغة والتهويل هنا هي من صناعة المؤرخ عثمان بن بشر، أم أنها من بنات أفكار فيصل الذي روى لأتباعه مُغامرة ذلك الهروب الخرافي، وبدأ الناس يتداولونها حتى وصلت إلى ابن بشر.

علمًا أن فيصل بن تركي لم يكن سجينًا في مصر بمفهوم السجن المعروف أي لم يكن مُحتجرًا بالمعنى الحقيقي في قبو أو زنزانة، بل كان يُقيم في بيت عبارة عن قصر قديم وعليه حراس، شبيه بالإقامة الجبرية، ولم يكن فيصل محبوسًا

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

في سجن عام، ثم أن ابن بشر قد نسي أنهُ سبق وذكر في بداية حديثه عن كيفية استسلام فيصل إلى جنود خورشيد باشا، حيث أنهُ قال حينها:

« فأرسل فيصل إبراهيم أبو ظهير إلى الباشا في الصلح (•) ، فأجابه إلى كل ما طلب، إلا أنهُ يُسافر إلى محمد علي في مصر فيجلس عنده مع عشيرته الذين في مصر، فخرج فيصل إلى الباشا وصالحه على دماء أهل الدلم وأموالهم وعلى من كان معه من أهل العارض وغيرهم، فدخل فيصل الدلم وقضى حاجاته منها ثم خرج إلى الباشا وأقام نحو أربعة أيام، فجهز الباشا (خورشيد) حسن اليازجي وعسكره فرحلوا بفيصل وأخيه جلوي وابن أخيه عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله وولدي فيصل عبد الله ومحمد وقدموا بهم إلى مصر، فأنزلوا فيصلاً في بيت وجعلوا عنده حرسًا يحفظونه». ۞

ثم أن فيصل بن تركي كان قد استوطن في مصر كما يذكر ابن بشر نفسه، وسبق له وأن طلب من والي مصر محمد علي باشا أن يلتقي بأسرته وأبنائه لأنهُ قد اشتاق لهم كثيرًا، وقد لبَّى الباشا طلبه، وتمَّ جلب أسرته على نفقة الحكومة المصرية ليلتقي بهم فيصل، ويبدو لي أن فيصل بن تركي كان لوحده مع شقيقه وابن عمه في مصر، لكنهُ لما استقر هناك طلب بإحضار زوجاته وأبنائه، والدليل أن ولده عبد الله لم يكن معه في الإقامة الجبرية، بل جاء لاحقًا مع والدته وبقية أخوته ليُقيم مع والده في مصر، وهذا يعني أنهُ لم يكن سجينًا بطبيعة الحال، فيذكر ابن بشر نفسه عن ذلك الطلب قائلاً: «(ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٥هـ ): وفي شعبان منها قدم خالد بن سعود بلد ثرمدا ومعه نساء فيصل وأبنائه عبد الله ومحمد، وذلك أن فيصلاً لما استوطن مصر اشتاق إلى رؤية أولاده، فطلب من محمد علي أنهم يقدمون إليه، فكتب إلى خرشد يأمره بإشخاصهم فرحلوا من ثرمدا إلى مصر ». ۞

---

(•) سبق وذكرت أن المؤرخ الوهابي عثمان بن بشر يُطلق مُصطلح (الصلح) على تلك الهزيمة الشنعاء التي أصابت آل سعود على يد إبراهيم باشا والتي أدت إلى تدمير الدرعية، ومن ثم أخذ آل سعود وآل الشيخ مع نسائهم وأطفالهم كأسرى ومُرتهنين في مصر، ومع هذا هو يُصر على تسميتها صلحًا! هكذا.

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

والدليل على أن فيصل تمَّ تهريبه أو إطلاق سراحه عن قصد ومن قبل الخديوي عباس نفسه، ولأسباب تتعلق بالصراع الداخلي في الأسرة المصرية الحاكمة، هو ما ذكره الرحّالة وليام جيفور بالجريف، الذي زار الرياض وشاهد فيصل وقابل أبناءه بعد نحو عشرين عامًا من حادثة هروب أو خروج فيصل بن تركي من قلعة مصر، وكان بالجريف قد استمع لتلك الرواية في الرياض وشاهد فيصل وهو شبه ضرير، وقد ذكر في كتابه "وسط الجزيرة العربية وشرقها" مُبينًا الدور الذي لعبه الخديوي عباس باشا في مساعدة فيصل بن تركي على الهروب أو بالأحرى الخروج من سجنه، قائلاً:

«كان ابن ثنيان قد مضى على حكمه في نجد خمس سنوات، عندما مات محمد علي باشا، الذي خلفه حفيده المعتوه عباس باشا. وقد سبق أن أفضت في شرح خطط ذلك الداعر المجنون الخاصة بالجزيرة العربية، وما أن وصل عباس باشا إلى العرش حتى خطى الخطوة الأولى في تنفيذ خططه الخاصة بالجزيرة العربية، وتمثلت في إطلاق سراح فيصل ورفاقه وتحريرهم من الأسر. ونظرًا لتخوف عباس باشا من أن يفعل هذا العمل علانية دون الحصول على إذن من القسطنطينية، الذي كان يعلم أنه لن يحصل عليه أو يجرؤ على طلبه، فقد لجأ إلى تنفيذ هذا العمل الأحمق عن طريق المكر والخداع، بأن قلل عدد حراس القلعة وأبعدهم عنها، وزود الأسرى بالحبال والوسائل الأخرى التي تمكنهم من الهروب، ويحصل الأسرى على هذه الحبال والوسائل، ويتسلقون جدران القلعة في إحدى الليالي المُظلمة، ليصلوا بعد ذلك إلى القصير على وجه السرعة، وفيها يحمدون الله ويشكرونه، مثل الوهابيين المُخلصين، ويسخرون من عباس باشا. ومن القصير، أرسل فيصل جواسيسه تتحسس له الطريق إلى العرش مرة ثانية. ولم ينتظر فيصل في القصير وقتًا طويلاً، وما أن علم الناس في نجد بإطلاق سراح فيصل مرة ثانية حتى انهالت

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

عليه في القصير الدعوات وعروض الولاء. وقال الناس: إن خورشيد باشا وابن ثنيان مكروهان، وإذا ما عاد فيصل فإن الناس سوف تنضم تحت لوائه. وفي الوقت نفسه أدرك الباشا المنحوس الخطر المحدق، وحاول دون جدوى أن يطلب من عباس باشا تزويده بالمساعدات والإمدادات، ولكن عباس باشا كان قد صمم على خيانة قضيته وخادمه. وبعد أن فقد خورشيد باشا الأمل في وصول أي شيء من القاهرة، وجد أن من الحكمة أن يجلوا عن القصيم ويخليها قبل أن تثور عليه المنطقة، وبذلك ينتهي الحكم المصري في الجزيرة العربية، بعد أن دام سبعة وعشرين عامًا مُتصلة». ۞ -انتهى الاقتباس-

وهنالك دلائل كثيرة على وجود علاقة مصلحية جمعت بين الخديوي عباس وبين فيصل بن تركي، وهي تُرجح بشدة أن الخديوي عباس نفسه كان يقف فعلاً وراء إطلاق سراح فيصل بن تركي ورفاقه من السجن، حيث يذكر لنا وليام بالجريف أن عباس باشا كان قد أهدى فيصل جارية جورجية حسناء عند توليه الحكم، وهي نفس الجارية التي أنجبت لاحقا الهجين "محبوب" وسوف يأتي ذكر تلك الحكاية لاحقًا.

وكذلك يروي لنا الرحالة الفنلندي ڤالين، في كتابه "صور من شمالي جزيرة العرب - في منتصف القرن التاسع عشر"، عن هدية كان قد أرسلها فيصل إلى عباس باشا، وهي بضعة خيول أصيلة، حيث يقول ڤالين: «قضينا اليوم التالي في خيام "الفقراء". وفي المساء لحقت بنا جماعة كان ابن سعود قد أرسلهم في أواخر السنة الماضية بخيول أصيلة إلى (الخديوي) عباس باشا، وهم الآن في طريق العودة إلى الرياض مقام زعيمهم، ومعهم واحد من عبيد باشا مصر أرسله مولاه لشراء خيول جديدة من نجد». ۞۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

۞۞ كتاب: صور من شمالي جزيرة العرب - في منتصف القرن التاسع عشر \
تأليف: جورج أوغست ڤالين

ولكن ما ذكره الشيخ أحمد بن زيني دحلان مُفتي مكة المكرمة قد قطع الشك باليقين، حيث دوَّن لنا في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام" أن عباس باشا هو من أطلق سراح فيصل بن تركي، بعد أن وعده فيصل أنهُ سيكون خادمًا مطيعًا له في نجد، حيث يذكر دحلان في كتابه، قائلاً:

« وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان، فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي الذي أرسله خورشيد باشا إلى مصر محبوسًا، صار فيصل يدبر الأمر في هربه من مصر ليصل إلى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان، فسهل الله ذلك بإعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا. وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه إبراهيم وليس لعباس باشا شيء من الأمر، إلاّ أنه كان محببًا عند جده محمد علي باشا، مسموع الكلمة عند رجال دولته، وكان يجتمع كثيرًا بفيصل بن تركي وهو محبوس. فقال فيصل يومًا إن نجدًا صارت بيد عبد الله بن ثنيان، فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد وأنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى وأصير خادمًا لأفندينا تحت أمره. فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الأمر له، وأمره بكتمانه. ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلاً خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر، واحتال في أخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرًا. فخرج في ليلة ووصل إلى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض أتباعه وركبوها وتوجهوا إلى نجد، وبعد يومين بلغ خبر هروبه إبراهيم باشا، فأركب كثيرًا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه، وكان ممن ركب معهم عباس باشا، فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا. ولم يزل فيصل سائرًا هو ومن معه إلى أن وصلوا جبل شمر، وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر، فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم، ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم. فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم، فصار الجميع جيشًا وقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض، فقاتلوه وحصروه إلى أن قبضوا عليه وحبسوه، ثم قتل خنقًا في الحبس، وكان ذلك سنة ثمان

وخمسين. واستقل فيصل بالملك، واستقامت له الأمور، واستمر إلى أن توفي سنة اثنتين وثمانين، وأصابه في أخر عمره غشاوة في عينيه، فصار لا يبصر، فكان يقف عند بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل أن يصل إليه. لما توفي فيصل، قام بالأمر بعده ابنه عبد الله. ثم وقع بينه وبين إخوته اختلاف، فانتزعوا الأمر منه، وقام به أخوه سعود بن فيصل، ثم مات. ورجع الأمر إلى عبد الله، وهو باق إلى الآن أعني سنة ألف وثلاثمائة». ۞ - انتهى الاقتباس -

وأيضًا سنلاحظ لاحقًا رواية فيصل بن تركي نفسه إلى القنصل البريطاني الذي زاره في الرياض وهو المستر لويس بلي، وقوله عن مُشاهداته للإنجليز وبقية الخواجات في مجلس محمد علي باشا بمصر، وكيف وصف هؤلاء الخواجات بأنهم كانوا مؤدبين ومُهذبين، وهذا يعني أن فيصل كان يحضر تلك المُناسبات الرسمية التي يُقيمها محمد علي باشا، وأنهُ لم يكن سجينًا، بل كان رهن الإقامة الجبرية ولكنهُ كان يُعامل باحترام ويحضر في بلاط محمد علي ويجلس في مجلسه الخاص، حيث يقول لويس بلي في كتابه نقلاً عن فيصل بن تركي:
«وبعد ذلك أسهب الأمير(فيصل) في الحديث عما جلبته زيارتي له من سرور ثم أردف أنهُ رغم معيشته الحالية في الصحراء حيث أجده، إلا أنهُ مع ذلك قد شاهد الحياة المُتحضرة، فعندما كان أسيرًا في مصر كان يرى مُمثلي أوربا الأجانب، عندما يزورون الباشا، ويعجب لسلوكهم المُهذب». ۞۞ - انتهى الاقتباس-
ويبدو أن عباس باشا كان يرمي من وراء إطلاق سراح فيصل بن تركي، في أن يجعله حليفًا له في نجد، حيث كان ينوي الخديوي عباس باشا أن يكون ملكًا على جزيرة العرب.

---

۞ كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).
۞۞ كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

وعن تلك الطموحات الشخصية لعباس باشا يوثق لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف أيضًا ومن خلال حديثه الشخصي مع الأمير متعب الرشيد الذي كان على إطلاع وعلم بتطلعات الخديوي عباس باشا، قائلاً:

« واستطعت في هذه المقابلة وفي المُقابلات التي جاءت بعد ذلك، مع الأمير متعب، الذي أصبحت حميميته تزيد يومًا بعد يوم، استطعت أن أحصل على فكرة واضحة عن الأشياء والأمور التي كنت سمعتها من قبل، غير أن هذه الفكرة كانت مُشوشة، وأنا أعني هنا المؤامرات العربية الغريبة التي قام بها عباس باشا. كان عباس باشا قد ابتكر خطة لا يستقل بمقتضاها فحسب عن الباب العالي العثماني، وإنما ليصبح هو نفسه ملكًا على الجزيرة العربية، عن طريق التحالف المزدوج مع البدو في الشمال، والوهابي في الجنوب. واستهدافًا لضمان تعاطف البدو، عهد بولده الأكبر الذي كان ما يزال طفلاً إلى فيصل بن شعلان، شيخ قبيلة الرولة الكبيرة، مًستهدفًا من ذلك أن يشب ولده كواحد من أبناء هذه العشيرة، وأن ينشأ على كل عادات وتقاليد هذه القبيلة. وعلاوة على ذلك الإجراء الفردي، أرسل هبات سخية إلى القبائل الأخرى المُجاورة، في حين كان جميع البدو الذين يجيئون إلى قصره يلقون استقبالاً طيبًا، إن صح أن أسميه كرمًا لأنهُ كان في واقع الأمر تبذيرًا، بل إن النائب المفتون وصل إلى حد تقليده للبدوي في شخصيته وفي سلوكياته، بل أنهُ كان يلبس ملابس مثل ملابس البدو، ويستسيغ أو يتظاهر بأنهُ يستسيغ طعامهم، ويعيش معهم على قدم المُساواة في ألفة خادعة، متخيلاً طوال الوقت أنهُ كان يكسب حبهم وولائهم لخدمته. ويجوز لنا أن نقول هنا، من باب الاعتذار عن تبذير عباس باشا، أن الآخرين أصحاب المطامح الأكبر، كانوا مثله من حيث التمييز الفكري، إذ كانوا يخطئون من حين لآخر في حساباتهم، فيما يتعلق بأهمية القبائل البدوية، والمزايا التي يُمكن الحصول عليها من التحالف معهم، ولكن الشيء الذي يجعلنا لا نلتمس للحاكم المصري أي عذر، هو أنهُ كان على النقيض من عمه إبراهيم باشا، والنجاح الذي حالفه في خطه السياسي

المُخالف تمامًا، إن إهمال الاستفادة من الدروس العائلية والخبرة الموروثة من الآخرين، أمر لا يُغتفر لأي حاكم من الحكام. قال لي متعب وهو يصف سلوك عباس باشا، وقوله الحق: "الرجل الذي يعتمد على مُساعدة البدو له، يشبه ذلك الذي يحتم على نفسه أن يبني له بيتًا على سطح الماء". وقد أيد الأمير متعب هذا التأكيد بأسباب جديرة بأن أسجلها هنا، نظرًا لأن هذه الأسباب وردت على لسان واحد من أولئك الذين مكنتهم خبرتهم الطويلة من تقييم الموضوعات تقييمًا سليمًا، ويستطرد الأمير، الذي أورد هنا معنى كلماته، وليست الكلمات نفسها: " البدو، لا وزن لهم في المعارك الحربية الخطيرة، بسبب افتقارهم إلى الأسلحة والتجهيزات والنظام العسكري، علاوة على ضعفهم الكامل في المعركة المُشتركة، لأنهم ينقسمون إلى فرق وطوائف شتى بسبب صراعاتهم الصبيانية المُستمرة، والتي لا تسمح لهم بالتوحد حول أي هدف من الأهداف الحقيقية، حتى ولو لمدة شهر واحد، البدو، علاوة على ذلك، هم مخلوقات اللحظة وحسب، البدو لا يهمهم سوى اللحظة الحالية، ولكن الأمس والغد عندهم لا شيء، والبدو ليس لهم هدف أو مبدأ وطني أو ديني، وليست بينهم روابط اجتماعية أو شعور وطني، كل واحد منهم مُنعزل على مصالحه الذاتية والخاصة، الجميع ضد الجميع، والكل أيضًا بدون هدف أو معنى، والبدو لا يهتمون بمن هم خارج عشيرتهم، أو حتى برجال قبيلتهم، إلا بقدر ما يصيبون منهم من منافع مُباشرة، أو الضرر الذي يصيبهم منهم، أصدقاء اليوم، أعداء الغد، ثم أصدقاء من جديد بعد غد، والآن، إذا كان ذلك هو حال البدو مع أبناء جلدتهم، فلابد أن يكون كذلك مع الغرباء عنهم، وسواء أكان سلطانًا، أو نائبًا أو تركيًا، أو مصريًا، أو إنجليزيًا، أو فرنسيًا، فالكل عندهم واحد، فهم لا يتعاطفون مع أي من هؤلاء، وليسوا على استعداد أن يرتبطوا بواحد أو آخر. ومحاباتهم الحقيقية والوحيدة تكون لمن يدفع أكثر، وعندما، وأنا هنا استعمل التعبير البدوي، "يكون طعامه ما يزال في بطونهم"، فمن المُمكن أن يؤدون عمله، ولكن أداء العمل هنا يكون مربوطًا باستفادتهم

منه، وإلا يكون خطيرًا عليهم، وفي مثل هذا الحال قد يقر المرء أن البدو يقدمون الجِمال ويحضرون الماء، أو قد يتشجعون ويُهاجمون وينهبون القرى المُجاورة لهم، أو القبائل الأضعف منهم، ولكن هذه الخدمات تكون من منظور الاستئجار أو الغنائم، ولا يكون ذلك مُطلقًا من قبيل حبهم أو تقديرهم لمُستأجرهم، كما لا يكون ذلك مُطلقًا بدافع الوطنية والشعور الوطني، وللتدليل على ذلك، سيكونون على تمام الاستعداد للانقلاب على حليفهم وصديقهم السابق ويسرقونه وينهبونه، في الساعة التي يتأكدون فيها أنهُ لم يعد قادرًا على تقديم المزايا لهم أو عاجزًا عن مُقاومتهم". هذا هو كلام الأمير متعب لحد الآن....الخ. كان سخاء عباس باشا يذهب بطبيعة الحال إلى الجيوب أو يؤكل، ثم توقع المواثيق وتختم، وتُعطى عهود بوعود لم تتحقق قط، ثم يختفي كل شيء مثل تموجات الماء، وعقب وصول أخبار وفاة عباس باشا إلى سوريا، قام فيصل بن الشعلان بالتخلص من ولد عباس باشا بأن دس له جرعة من السم، إن صحت التقارير والروايات، وبذلك ينتهي التحالف المصري البدوي، دون أن يُفيد منه أولئك الذين صنعوه، كما لم يكن عباس باشا أكثر حظًا في تحالفه الوهابي». ۞ - انتهى الاقتباس -

كما سنلاحظ لاحقًا بعد تلك الأحداث المُتسارعة أن فيصل بن تركي قد لجأ بعد هروبه من مصر إلى حائل نظرًا للعلاقة الوطيدة التي تربطه بأمير الجبل عبد الله بن رشيد، ويجب أن ننتبه هنا لمسألة مهمة، وهي عملية الإجارة والدعم أو ما يُسمى أحيانًا بـ(الفزعة) أي السير مع صاحب المعروف أو الدخيل لدعمه والقتال معه في سبيل استعادة حقه أو استرجاع مُلكه كانت عادة مُتعارف عليها في نجد وسائر مناطق جزيرة العرب، ولذلك فإن عملية الاستعانة بأمراء مُجاورين أو اللجوء لدى حُكَّام آخرين لغرض طلب المعونة والنصرة، كانت مُتداولة ومعروفة في أصقاع نجد وخارج نجد أيضًا ، فعندما يُخلع أمير

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

مُعين أو يُتآمر عليه من قبل أشقائه أو أبناء عمومته، أو تتعرض سلطته لاعتداء خارجي، يفر عادةً هذا الأمير ويدخل على أي حاكم مُجاور أو أمير آخر يطلب منه الدعم والمعونة، وسيبقى مصيره مُعلقًا ينتظر فزعة ونصرة ذلك الحاكم، وكثير من الحكام رحبوا بضيوفهم لكنهم اعتذروا عن نصرتهم، إما حياءً من الأمير المُتغلب، أو خوفًا وعدم الرغبة في توريط أنفسهم بمشاكل هم في غنى عنها.

وقد مرت بنا حالات كثيرة، ورأينا مثلاً كيف طلب مشاري بن عبد الرحمن النصرة من شيخ الملاعبة من مطير وعربانه، وأبى عليه خوفًا من بطش خاله تركي، ومن ثم سار إلى قبيلة عنزة ورفضوا نصرته، وكيف رحل بعدها مشاري بن عبد الرحمن ودخل على الشريف محمد بن عون رئيس مكة، وكيف أكرمه الشريف وأحسن وفادته لكنهُ أيضًا أبى القدوم معه لعدم رغبته في الدخول في مشاكل بين الأقرباء هو في غنى عنها، فأقام مشاري عنده ثلاثة أشهر ثم رجع نادمًا إلى خاله بعد أن يئس في إيجاد من يدعمه وينصره، وقد لاحظنا لاحقًا كيف احتال على خاله تركي وقتله من خلال العبد إبراهيم بن حمزة. وأيضًا مرَّ بنا كيف أن الأمير عبد الله بن رشيد قد حاول جاهدًا أن يجد دعمًا عسكريًا من قبل فيصل بن تركي، لكنه لم يحظى بالدعم المطلوب إلا بعد أن قام عبد الله بن رشيد بقتل مشاري واستطاع أن يُنقذ مُلك فيصل حينها مال إلى كفته ضد أبناء عمومة ابن رشيد آل علي، ولذلك دارت الدوائر على فيصل بن تركي وهاهو يطلب النصرة والدعم من قبل الأمير عبد الله بن رشيد ضد ابن عمه عبد الله بن ثنيان الذي رفض أن يُسلمه السلطة، لكنهُ رحب به كضيف مُعزز مكرم دون إمارة أو رئاسة، وهذا ما لم يُرضي فيصل طبعًا.

والحقيقة لولا وقفة أمير حائل عبد الله بن رشيد مع فيصل بن تركي لكان من المُستحيل أن ينتزع المُلك من عبد الله بن ثنيان، حيث أرسل عبد الله بن رشيد قوات تحت أمرة فيصل وبقيادة شقيقه عبيد بن رشيد الذي استطاع أن يُرجح كفة فيصل ويُقنع بقية القبائل المُترددة لأن تنحاز إلى جهة الأمير فيصل، كما

سنرى كيف سعى رؤساء بريدة للتحالف مع عبد الله بن ثنيان ضد فيصل بن تركي، وذلك نكاية في عدوهم اللدود الأمير عبد الله بن رشيد؛ الذي هزمهم في أكثر من معركة، فوجدوا أن الوقوف مع فيصل سيعني أن عبد الله بن رشيد سيكون له دورًا كبيرًا في إعادته إلى الحكم، فقرروا الانحياز إلى جهة عبد الله بن ثنيان، وعلى العكس تمامًا من موقف جيرانهم أهل عنيزة الذين قرأوا الأحداث جيدًا وقرروا أن ينحازوا إلى جهة فيصل بن تركي.

وعن مُساندة أمير حائل عبد الله بن رشيد لفيصل بن تركي بعد فراره من مصر، بمُساعدة الخديوي عباس ومن ثم قدومه لحائل، يذكر ابن بشر:
«... فحفظهم الله تعالى إلى أن وصلوا إلى الأرض وكانوا قد أعدوا ركائب تحتهم فركبوها وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر، وأرسلوا إلى عبد الله بن علي بن رشيد يخبرونه بمجيئهم، فتلقاهم بالرجال والرحائل، ودخلوا بلد حائل، فقابلهم بالتكريم والإكرام، وعظمهم غاية الإعظام، وقال ابشروا بالمال والرجال، والمسير معكم والقتال».۞ -انتهى الاقتباس-

ويذكر لنا أيضًا مُفتي مكة المُكرمة في فترة الخلافة، الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام" عن تلك الحادثة، قائلاً: «ولم يزل فيصل سائرًا هو ومن معه إلى أن وصلوا جبل شمر، وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر، فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم، ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم. فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم، فصار الجميع جيشًا وقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض، فقاتلوه وحصروه إلى أن قبضوا عليه وحبسوه، ثم قتل خنقًا في الحبس، وكان ذلك سنة ثمان وخمسين. واستقل فيصل بالملك، واستقامت له الأمور، واستمر إلى أن توفي سنة اثنتين وثمانين، وأصابه في أخر عمره غشاوة في عينيه، فصار لا يبصر، فكان يقف

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

عند بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل أن يصل إليه ».[۞] -انتهى الاقتباس-

وعن بداية الصراع والمواجهة العسكرية بين عبد الله بن ثنيان وفيصل بن تركي، يقول عثمان بن بشر:

«(سنة تسع وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٩ هـ ): فلما بلغ عبد الله بن ثنيان هذا الخبر وصح عنده واستقر، أدار الرأي فيه، وأبانه إلى خاصته ظاهره وخافيه، فأشاروا بما هو كائن في القضاء عليه، وأنهُ يُرسل إلى جميع رعاياه، من أقصى مُلكه وأدناه، ويستنفرهم حاضرهم وباديهم، وأنهم إذا سمعوا بخروجك لم يجيبوا لمُناديهم، فخرج من الرياض يوم الجمعة ومعه غزو أهل العارض فنزل ببان وأقام فيه أيامًا وورد عليه من فيصل مُراسلات، وكان فيصل لما نزل الجبل أرسل رجالاً بمُراسلات إلى أهل البلدان، فأوصلوها خفية إليهم. فلما وصلت إلى ابن ثنيان مُراسلات فيصل، هَرب من قومه رجال إلى فيصل، فجعل يدبر الرأي فأجمع أمره أنهُ يُرسل هدية إلى فيصل ويستدعيه إليه، لعله يصير عنده وبين يديه، وكتب إلى رعيته من أهل الرياض يُبشرهم بقدومه تسكينًا ويرجوا به تمكينًا. ثم أنهُ أرسل علي بن عبد الله أمير ضرمى بهدية إلى فيصل، فقدم بها عليه في الجبل، فأخذها ولم يعبأ بقوة صاحبها. ثم أن ابن ثنيان رحل من الخفس ونزل أرض سدير فوافاه رسول عبد العزيز بن محمد رئيس بريدة يستدعوه إليه ويعطيه العهود والمواثيق على القيام معه والنصرة، وسبب ذلك أن بين أهل القصيم وبين ابن رشيد عداوة عظيمة، فظن أنهم إذا صاروا يدًا واحدة مع الشجاع المُطاع أدركوا الثأر، ويأبى الله إلا ما أراد، وهو رب العباد. فرحل ابن ثنيان وقصد بريدة فنزل بجنوده خارج البلد، فخرج إليه عبد العزيز وبايعه. فلما علم بذلك رئيس عنيزة عبد الله بن سليمان بن زامل، جمع رؤساء بلده وشاورهم في هذا

---

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

الأمر، وكان فيهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين وابنه عبد العزيز، فغلب الرأي منهم أنهم يرسلون عبد العزيز بن الشيخ عبد الله إلى فيصل ويُبايعه لهم، ويُقبل به إليهم، فركب إليه عبد العزيز في رجال معه فوافاه في الكهفة وأمره أن يرحل إلى عنيزة، وأن أهلها له في السمع والطاعة، فرحل من مكانه ذلك وقصد عنيزة، وأمر على أخيه جلوي وعبيد بن رشيد ومعهما مائة رجل يقصدون محمد بن فيصل الدويش وعربانه، وينزلون معهم وكانوا إذ ذاك في الحمادة، وكان بين الدويش وبين ابن ثنيان مُخالفة، فرحل جلوي وعبيد ومن معهما إلى الدويش وقصد فيصل بلد عنيزة ومعه عبد الله بن رشيد رئيس الجبل ورجال من قومه، وعبد العزيز بن الشيخ ورجال معه، فلما علم بذلك ابن ثنيان نهض بجنوده من بريدة وترك خيامه وأثقاله ورصد لهم على طريقهم فعمى عليهم الخبر وسار فيصل وأصحابه على غير مصدرهم ودخلوا عنيزة أخر الليل، فلم يفاجأ ابن ثنيان وجنوده إلا ضرب البنادق في البلد واللعب والغناء، فعلم أن الأمر قد فاته، فرجع إلى خيامه وشرد من قومه رجال من رؤساء أهل الجنوب وسدير وغيرهم وقصدوا فيصلاً في عنيزة، ثم أن ابن ثنيان لما وصل بريدة أمرهم بالرحيل وذكر لجنوده أنهُ يُريد عنيزة مُحاربًا، فرحل وقصد المذنب مُنهزمًا إلى الرياض، وخاف من جلوي وأتباعه ومن الدويش وأتباعه فواصل الليل بالنهار، فلما علم الدويش وأتباعه بذلك وهم إذ ذاك في أسفل الغاط، فزعوا عليهم وشد الصعب والذلول ولحقوهم فلم يُدركوهم إلا في أرض الوشم، وقد تعبت خيلهم وركابهم فلم يأخذوا منهم إلا قليلاً، ثم أن ابن ثنيان لما وصل الوشم تفرقت عنه جنوده وقصد أهل النواحي بلدانهم وهو قصد الرياض ودخله، فرحل عبيد بن رشيد وجلوي وأتباعهما وقصدوا بلدة ثادق ونزل الدويش وأتباعه قصور ثادق، وأرسلوا إلى فيصل يستحثونه».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

إذن أدرك عبد الله بن ثنيان حينها أنهُ مهزوم لا محالة، خصوصًا وأنه كان مكروهًا من القبائل وأهل البلدات بسبب طمعه وجشعه وبطشه، وعرف أنه لن يقف معه أحد إلا أتباعه من أهل الرياض، لذلك هرب من القصيم واتجه صوب الرياض، ولا ننسى أنهُ حاول أن يوهم بعض أتباعه من أهل الرياض أنهُ دعا فيصل للقدوم وسوف يأتيهم عن قريب، وهذا ما جعل الكثير منهم يتخلى عنه ويتبع فيصل بعد أن علم أنهُ دخل القصيم، كان ابن ثنيان مُشتتًا ولم يحسم أمره منذ البداية، وحتى حينما حوصر في الرياض وقام عبيد بن رشيد بمفاوضته على الاستسلام، لم يُكن مُستقرًا على حال، فهو من ناحية يُريد أن يتفاوض على التسليم، ومن جهة أخرى هو يعتقد أنهُ أحق من فيصل بالحكم، فأراد أن يُناور أو يكسب الوقت، لكنهُ لم يُفلح ولم يحصل على ما أراد، فأُمسك به وُسلم إلى فيصل ذليلاً مُهانا.

## ▪ القبض على عبد الله بن ثنيان ، ومن ثم قتله وهو في المُعتقل :

يبدو أن عبد الله بن ثنيان أدرك أن أجله قد حان، وأن نهايته قد اقتربت، فآثر الهرب في كل مواجهة ربما ليفر من مصيره المحتوم أو ليؤخر أجله، لكنهُ أثبت أنهُ لم يكن شجاعًا فعلاً كما كان يروى عنه، فمن خلال رواية عثمان بن بشر الذي كان يصفه بالشجاع القتال، عاد وكشف أن ابن ثنيان عندما حوصر في القصر سقط ثلاث مرات من الخوف، بحيث كان يمشي وينخمع على وجهه خوفًا ورهبة، وتلك المواصفات لا يُمكن لصاحبها أن يواجه الأعداء في المعركة وينتصر عليهم، وشخصيًا أرى في نهاية عبد الله بن ثنيان البائسة نتيجة حتمية لظلمه وغدره بالكثير من الأبرياء طمعًا في أموالهم، فأذله الله وأخزاه في أخر أيامه، وأماته ميتةً مُريبة وهو في الأسر، وإن كانت كل الدلائل تُشير إلى أنهُ قد سُمم من قبل فيصل بن تركي نفسه.

وسنلاحظ أيضًا قدوم حفيد محمد بن عبد الوهاب، المدعو عبد الرحمن بن حسن من بلدة الفرع، لمُبايعة فيصل بن تركي بدلاً من عبد الله ابن ثنيان، وكما قلت سابقًا فأحفاد محمد بن عبد الوهاب انتهازيون بالفطرة، فأصبحوا جاهزين لمُبايعة كل من يتغلب، وما عليهم سوى خلع ولي أمر ومُبايعة آخر، وهكذا.

وعن انهيار عبد الله بن ثنيان ومن ثم القبض عليه ومقتله، يقول ابن بشر:
«ثم أن ابن ثنيان لما دخل الرياض فرق السلاح والأموال وهدم البيوت التي حول القصر وتأهب للحصار ورتب البلاد ومرابيعها، وجعل في كل موضع رجالاً وأمر فيهم أميرًا. وأما فيصل فإنه لما استقر في عنيزة وبايعه أهلها، ووفد عليه رجال من بلدان القصيم ورؤساء العربان، رحل من عنيزة في ربيع الأول وقصد الوشم ومعه أمير عنيزة عبد الله بن سليمان ومعه نحو مائتي مطية ونزل فيصل بلد شقرا فبايعه أهلها وأهل الوشم، ثم رحل منها وركب معه أمير الوشم محمد بن عبد الكريم البواري بغزوه وقدم حريملا وأقام فيها أيامًا، وقدم عليه أمراء سدير بغزوهم واجتمع به أخوه جلوي وابن عمه

وعبيد بن رشيد وأتباعهم، ووفد عليه رؤساء السهول وسبيع العجمان وغيرهم، وكتب على عبد الله بن ثنيان يدعوه إلى المُصالحة وحقن الدماء بين المُسلمين، وأنهُ يخرج من الرياض بما عنده من الخيل والركاب والسلاح والأموال والرجال، وليس له معارض وينزل أي بلد شاء في نجد أو غيرها، وله مع ذلك من الخراج كل سنة ما يكفيه، فأبى ذلك ولم يرضى إلا بالحرب. فلما كان ليلة الخميس لست بقين من ربيع الثاني جهز فيصل رجالاً من شجعان قومه مع أخيه جلوي وأمرهم يدخلون البلد وذلك بممالآت من رؤسائها، فأقبل جلوي ومن معه ودخلوا مع باب دخنة، وكان ابن ثنيان يخرج من القصر برجال معه يدورون في البلد، فلما بلغه دخول هؤلاء، انصرف إلى القصر. وذكر لي أنهُ سقط مرتين أو ثلاثًا، ثم دخل القصر واحتصر فيه، وقصد جلوي وأصحابه البيوت التي تُقابل القصر، فدخلوا في بيت مساعد بن تركي وبيت ابن دغيثر، وقاموا يرمون من في القصر، فأغلق ابن ثنيان وأصحابه القصر ثم سدوه بالطين، ثم دخل الإمام فيصل الرياض ونزل بيت مشاري بن عبد الرحمن، وجعل أهل الحريق في بيت ابن ثنيان، وأهل القويعية في بيت الشيخ عبد الله بن نصر، ونزل جلوي في بيت زويد العبد مملوك سعود، فوقع الحرب نحو عشرين يومًا، وقدم على فيصل أهل الخرج والفرع ومعهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن(•)، هذا وجنود فيصل من شمر وغيرهم خارج البلد وليس في البلد إلا المُقاتلة من أهل العارض وقدم عليه رؤساء سبيع. وذكر لي أن رجالاً منهم هموا بالغدر بفيصل، ففطن لهم وأبطل الله كيدهم. ثم أن ابن ثنيان أرسل إلى عبيد بن رشيد يطلب المُصالحة، فأتى إليه عبيد وسعى في الصلح، فلم يتفق (على) شيء لما سبق من القضاء. ثم أن الله سبحانه لما أراد أن يمضي قضاءه وقدره، خرج ابن ثنيان من القصر في الليل فوافاه رجال فامسكوه وأتوا به إلى فيصل، فأخذ سلاحه وحبسه ، وأخذ القصر عنوة،

---

(•) الشيخ عبد الرحمن بن حسن هو أحد أحفاد محمد بن عبد الوهاب، وهو من الأحفاد الذين يضفون الشرعية على كل أمير يثب على السلطة، فيقوم بمُبايعته على أنهُ ولي الأمر المزعوم.

وعفا عمن فيه من الرجال وأخذ جميع أموال ابن ثنيان وصار محبوسًا في بيت من بيوت القصر وعنده حرس يحفظونه، وأطلق فيصل الرجال الذين حبسهم ابن ثنيان ورد عليهم ما وجدوا من أموالهم. (سنة تسع وخمسين ومائتين وألف ١٢٥٩هـ ): وفيها في منتصف جمادى الآخرة يوم الجمعة توفي عبد الله بن ثنيان في الحبس وجهزه الإمام وصلى عليه المُسلمون، وظهر مع جنازته ودفن في مقبرة الرياض». ۞ - انتهى الاقتباس -

سبحان الله كم افترى وسرق ونهب عبد الله بن ثنيان، ومع هذا فلم يحصل على شيء، حتى حينما خيّره فيصل بن تركي؛ حسب قول ابن بشر، بأن يخرج من القصر ويأخذ جميع تلك الأموال المنهوبة وله الخيل والركائب التي بحوزته، ويُصرف له خراج سنوي، مع هذا أبى وأستكبر، وفي النهاية آلت جميع أمواله ومُدخراته التي نهبها من الناس إلى فيصل بن تركي!.
أما هو فقد مات بعد أشهر قليلة ذليلاً حسيرًا في سجنه، ويُعتقد أن فيصل قام بوضع السم للتخلص منه. وأما قول ابن بشر أن فيصل جهزه أي كفنه ودفنه، فهذا لا يمنع في أن آل سعود كانوا ومازالوا يقتلون القتيل ويمشون في جنازته، وخير مثال حي ومُعاصر مؤامراتهم وكيدهم ضد صدام حسين، الذين شاركوا في قتله ثم بدأوا يذرفون عليه دموع التماسيح.

وعن طريقة إلقاء القبض على عبد الله بن ثنيان ومن ثم مقتله على يد ابن عمه فيصل بن تركي، يذكر لنا بالجريف رواية تكاد تكون أقرب إلى الواقع، حيث يقول، ونقلاً عن أهل الرياض، أن الذي خان عبد الله بن ثنيان وهو في ضيافته، هو شخص وصولي معروف من أهل الرياض يدعى ابن سويلم، وأظنه جد ابن سويلم الحالي، حيث يقول عنه بالجريف:
« وفي إحدى الأمسيات، أي بعد غروب الشمس بوقت قصير، وصل المُغتصب المُحاصر (عبد الله بن ثنيان)، أثناء تجواله مكتئبًا خلال ممرات القصر، إلى

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

فتحة جانبية تطل على غرفة صغيرة، كان يجلس فيها بعض أفراد حاشيته ويدور بينهم حديث خطير، ويقترب ابن ثنيان من الفتحة ليصيخ السمع، ولكنه، مثل سائر المُتنصتين، لم يسمع خيرًا! إذ كان الخطاب يدور على النحو التالي: - أن الله قد تخلى عن حفيد عبد العزيز (يقصد المؤلف ابن ثنيان)، وأن الوقت قد حان ليرضخوا هم أنفسهم إلى مشيئة العناية الإلهية، وأن يفتحوا أبواب القصر ليسمحوا بدخول فيصل، ويحصلوا على عفوه ومكافأة منه، عندما يقدمون له رأس غريمه، وهنا أدرك ابن ثنيان أنه لا يمكن أن يثق بحاشيته بعد كل ما سمعه - لقد ضاع كل شيء، وتحت ستر الليل، يمرق ابن ثنيان من الباب السري ويهرب من القصر. وبعد أن أضناه اليأس، وبدلاً من أن يلوذ بالأمن في مكان بعيد، اتجه إلى منزل أحد الأعيان الأثرياء، اسمه ابن سويلم، وهو الشخص نفسه الذي ضربه المطاوعة بعد ذلك بعدة سنوات، ضربًا أفضى إلى موته، ويجلس ابن ثنيان في قهوة ابن سويلم، وقد وضع غترته على وجهه. ويتعرف المضيف على ضيفه ويتعجب مُتسائلاً:"ابن ثنيان"؟! ويتحول الصمت إلى أبلغ دليل. ويردف ابن سويلم قائلاً: هل جئت تطلب حمايتي؟ والسبب في ذلك أن طبيعة "المُجير" في الجزيرة العربية تبلغ من القداسة والتقدير مبلغًا يجعله يجير ابن ثنيان ولا يتخلى عنه. ولكن ابن ثنيان المنكوب يرد عليه متهورًا من فرط يأسه، قائلاً: "لا". ويسأله رب البيت قائلاً: إذن، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ إن كلمة واحدة كانت كفيلة بضمان أمنه وسلامته، ويظل ابن ثنيان صامتًا. وكرر رب البيت السؤال على ابن ثنيان مرة ثالثة، ولكن دون جدوى. وتأسيسًا على هذا الرد، أبلغ ابن سويلم فيصل، أن غريمه موجود تحت سيطرته. وأوفد فيصل جنوده على الفور إلى منزل ابن سويلم، وألقوا القبض عليه في المكان الذي كان يجلس فيه بلا حراك، وأحضروه أمام الملك الشرعي. وسأله فيصل: "هل جئت تطلب مني أن أجيرك"؟ ولو رد ابن ثنيان قائلاً: "نعم" لأنهى بذلك كل الحقد والغل، وسواء أكان ذلك كبرًا أم إحساسًا بالذنب، أم شعورًا بالدمار فقد رد ابن ثنيان على

فيصل: بـ"لا"! وينظر فيصل إلى كل الحاضرين من حوله ويقول: "اشهدوا يا جميع الحاضرين، أن الله قد سلمه لي بلا قيد أو شرط". ويستولي فيصل بعد ذلك على القصر المفتوح بطريقة سلمية. ويودع ابن عمه المنحوس في "زنزانة الدم"، ليموت فيها بعد أيام قلائل يأسًا وكمدًا كما يقول البعض، أو بدس السم له بأوامر من فيصل، كما يقول البعض الآخر، وهذان الاحتمالان واردان. وقبر ابن ثنيان يقع بالقرب من قبر تركي في المقبرة الكبيرة، ولا يزال بعض من أبنائه يعيشون في الأفلاج، التي لا تبعد سوى مسير أيام قلائل عن العاصمة». [۞] - انتهى الاقتباس -

وأما الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد، فلديه رواية أخرى لما جرى بين عبد الله بن ثنيان وفيصل بن تركي، وشاهده أن جده الأمير عُبيد بن رشيد كان شاهدًا على ما جرى، وكان طرفًا فاعلاً في المُفاوضات التي جرت بواسطته مع عبد الله بن ثنيان، فيروي لنا ما حدث في تلك الواقعة، من خلال ما ذكره وديع البستاني الذي التقاه في بومباي في الهند، عام ١٩١٣م، فيقول:
« فشاور فيصل عُبيدًا، وقال: ما ترى نحن نروح للرياض رأسًا أم نبقى مع هذه الديرة المُحاربة له؟ فقال عُبيد: أما الرياض فلا فيه فايدة، لأن القوة وأهل الرياض وأهل نجد كلهم تحت يد ابن ثنيان، وهم الآن معه، ولا تفيد روحتك للرياض. ولكن أنا أركب إلى مطير(القبيلة) الذي رئيسهم الدويش والذي حولهم من العربان، وعرباننا شمر يأتون إن شاء الله في ستة أيام. فإذا بقوا معه هؤلاء أغرنا على أهلهم وأخذناهم، وهم عتيبة وناس من مُتمردي أهل الجبل الذي مالهم قصد إلا النهب، وأضداد مطير وشمر، فإن هربوا قعد ما عنده بدو خاف من الحصار. فكانت المسألة كما قال عُبيد. لما بلغ ابن ثنيان الخبر هربوا البدو الذين معه، وبعضهم قدم على فيصل يعتذر، بالقول: إن ما حملنا على ذلك إلا الخوف منه، فعندئذ أرسل الله عليه رجفة من الرعب،

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

فهرب ابن ثنيان من القصيم إلى الرياض رأسًا. عند ذلك خف فيصل (بن تركي) في طلبه، وكان عُبيد لم يحضر في تجميع العربان، ولا أشاروا على فيصل (الذين معه) أن يروح بغير قوة بدو، فكتب حالاً لعُبيد خط (رسالة) على أن هذه هي المسألة، وأنت (يا عُبيد) ساعة وصول الخط إليك تقدم علي، والجنود تواعدهم في الأرطاوية (بئر ماء). فلما وصل الخط إلى عُبيد ركب حالاً بامتثال أمر فيصل. فلمَّا قدم عليه، قال: أنا أبشرك أنه ما يبقى، وأن ما يتبعه أحد من بعد ما شرد. وهو لم يشرد من قلة جند، ولكن رعبًا. فإذا ألقى الله سبحانه وتعالى الرعب في قلب إنسان، وهو من الشجاعة في محل، لم ينظروا إليه الناس إلا بعين الخذلان. وكأني به إما يسوي سواة مشاري وإلا يهرب. وأنت الآن لا تستعجل. صلح أحوالك أنت وأهل القصيم، وخذ منهم مواثيق وعهود على السمع والطاعة. وهو خله يعبث بأهل نجد الذي حوله، لأنهم ينبذون طاعته قبل أن تصل إليهم. وصار الأمر كذلك. استقام فيصل ثمانية أيام في القصيم، ومشى ابن ثنيان. جعل كلما مرَّ على بلد أرسل إلى أهله يتوعدهم ويتهددهم، إن لم يُسلموا له المبلغ الذي يجعل عليهم من طعام وإلا فلوس (المقصود هو المال الذي كان قد فرضه عليهم سابقًا). أما القرى الضعيفة فهي سلمت، وأما البلدان القوية فهم حالاً أعلنوا نبذ طاعته. وهو لم يقدر أن يستقيم لآن الطالب حثيث. فمشى فيصل. وكان كلما مرَّ على بلد استقبله أهلها بالذبائح والكرامة والسمع والطاعة حتى إنه وصل إلى الرياض. فلما نزل الدرعية بلغ ابن ثنيان الخبر. فجمع أهل الرياض، وقال لهم: ويش عندكم (أي: أي شيء لديكم)؟ قالوا له: ما عندنا إلا ما تحب. إن أردت نظهر ونعترض لفيصل (أي: يعترضون سبيل فيصل)، ونطرده، فعلنا، فسُر بذلك. فعندئذ جاءه رجل من ثقاته، فقال له: هل أنت مجنون؟ ما الذي يذكره أهل الرياض منك؟ وما يذكرونه من فيصل، حتى أنهم يطردونه ويؤونك؟ إنما جعلوها لك خديعة، يريدون أن يظهرونك من الأحراز إلى الأبراز، ويشدونك برمتك، ويقبضونك لفيصل، ويكونوا قد استراحوا منك، وأخذوها يدًا عند

فيصل. أنت الآن ما أرى لك إلا أمرين: إما أن تهرب، وتأخذ جميع ما في خزانتك، وتنحى. فإن قدرت بعد ذلك فتكون الحرب بينك وبين فيصل سجال. فإن ما قدرت فتكون معذورًا. فإن كان تريد أن تشترف على غاية أهل الرياض، وتتجلد إلى أن يقترب فيصل. ولا أظن أنه ينجح لك الأمر إذا فعلت الثانية. عند ذلك أحس ابن ثنيان بالخوف، وأظهر الغيض على الرجل المُتكلم وقال له: إنك تأمرنا بالفشل، وتحبب إلينا بالهزيمة. نحن قويون أشداء. ولكن إنما قولك.. فرد عليه الرجل قائلاً: أنت تدري أني لن آمن على نفسي من فيصل، إلا أن يشاء الله، لأني محضتك النصيحة قبل والآن. وفيصل يدري وأهل نجد يدرون، ولكن لا نصيحة لمعصي. فعند ذلك ارتحل فيصل، ونزل عن الرياض قريب نصف ساعة في جانحة النخيل. فلما أشرف ابن ثنيان من أعلى القصر رأى منظرًا هاله من كثرة الجنود، ورأى أن أهل الرياض لم يكن فيهم أهمية دفاع، لأن القوم نزلوا في البلاد. فعند ذلك أسقط في يده. فنادى مُناديه: يا أهل الرياض انفروا، فقالوا له: ثكلتك أمك. لم نكن لننفر على رجل أنقذنا هو وأبوه من كل محنة، ونكون معك وأنت طاغ باغ. فعند ذلك انكشف له الغطاء، وأحاطت خيل فيصل في البلاد من كل الجوانب. وكان مجبورًا على الحصار. فكان معه في القصر قدر أربعين رجلاً. لما أغلق على نفسه باب القصر، ظهروا أهل الرياض لتلقي فيصل ولديهم الذبايح، وأخبروا فيصل أن (عبد الله) ابن ثنيان قد انحصر، وسد على نفسه. عندئذ مشى فيصل ودخل البلاد. واستقام ابن ثنيان في الحصار أيامًا قلائل. ونزل من الرجاجيل الذين عنده مقدار عشرة من دون أن يدري. فلما علم أن المسألة قد طالت، وان رجاله يتسللون، ويأتون فيصلاً، عرف أن ما له من الحالات إلا أن يطلب الأمان. عند ذلك طُلب من فيصل أن عُبيدًا بن رشيد يدخل عليه (أي يدخل على ابن ثنيان) يُعطيه الجواب ويوديه لفيصل. فأبى فيصل. وبعد يوم أشاروا عليه (على فيصل) على أنك ترخص (أي تسمح لـ) عُبيد. فأمر على عُبيد، فاستمثل أمره. تكالم عُبيد مع ابن ثنيان. فأعطى لعُبيد الأمان على نفسه، وقال له عُبيدًا: أبغى

أدخل مع أحد خُدامي. فقال له ابن ثنيان: لا بأس. وحينما وصل عُبيد لباب القصر أنزلوا له حبلاً. وقالوا له: اصعد، فقال لهم عبيد: فكوا الباب؟ قالوا له: الباب مسدود، ولا نقدر نفكه إلا بأمان من فيصل. فصعد عُبيد حالاً بالحبل ومعه غلام أخيه عبد الله، واسمه عنبر. يقول عُبيد: أني يوم واجهته، وإذا هو مُختل وفيه رهبة مع أنهُ شجاع فاتك. فجلست عنده، فقال لي: أنا أخاف من فيصل أنه يقتلنا. وأنا ما أطلب شيء. إنما نجد خليت، وكنت أنا أحق بها من غيري. والآن جاء صاحب المكان. أنا حافظ وديعة، وأرد الأمانة إلى صاحبها، على أنك تضمن لي الأمان وأني أنزل في وجهك. فيقول عُبيد: صار في خاطري أن فيصل إما يقتله حالاً، وإما يحبسه حبسًا. أما القتل، فقلت له: يا أخي أنا رجل أجنبي، ولو أني لي مقامًا (أي حظوة) عند فيصل. ولكن معلومك حال الأجنبي (الغريب) أنه ما يقدر يتقلط (أي يتقدم) على ناس في أمرهم. وأنتم حمولة من دوني (أي بينكم صلة دم ورحم). غير أني ما أذخر عن السبب الذي أشوف به لك فك (أي أن أدخر جهدًا فيه صالحك). وأخبرك أن فيصل قد كاتبه بعض خدامك الذين عندك. وأنه يسوي سلالم الليلة الآتية يبغون يرقون عليك. فإن كان إنك مانت شايف بروحك قوة، فأنا أكتم أمرك على فيصل من جهة ضعفك، وأقول له: إنه يبغي أخيك جلوي لأنهُ سينزل معه إذا أمنه. فعند ذلك قبل ابن ثنيان، وشكر عُبيدًا مع أن الكُل منهما كان متحذر من صاحبه حذرًا خفيًا وظاهرًا. حتى أن عُبيد يقول: يوم جلست عنده أخذ سيفي ويقول: ويش اسم سيفك هذا؟ فقلت له: اسمه معزي. وبعدما تناول سيفي، تناولت سيفه المشهور الذي اسمه أبا القعدان. وكان يُظهر عليّ السيف شيئًا فشيئًا، وأنا أصنع مثل ذلك، فلما شهر السيف (سيف عُبيد الذي كان يتفحصه) وإذا أنا شاهر سيفه. يوري أنه ينظر لصنعة السيف، وأنا كذلك. وأنا ظننت أن عنده شيئًا، وبنيت على الأحوط. ولا يعلم ما في القلوب إلا الله. ولما رأى أني في يدي سيفه أغمد السيف، وأنا فعلت مثل ذلك. فلما ناولني سيفي ناولته سيفه. فودعته، واتيت إلى الباب، وإذا بالباب مرتوق في لبن

وطين. فرجعت ونزلت مع الحبل. وحالاً وصلت إلى فيصل، وأخبرته بأنه عنده عدة للحصار، ولكني عرضت عليه الأمان، وقال لي: ما أقبل إلا يجي جلوي. فإذا جاء جلوي معه مكتوب من فيصل نزلت. وحالاً كتب فيصل مكتوبًا فيه أمان - ليس بالقوي - ودفعه مع جلوي أخيه. فلما صعد جلوي، وأعطاه المكتوب، قرأه وإذا فيه: "أني ما أطلق سراحك، بل أحفظك. وأما القتل ما أقتلك" (أي أنني لن أطلق سراحك بل سأحتجزك عندي وأتحفظ عليك، وأما القتل فلستُ بقاتلك). بعض خدامه لما رأوا جلويًا، أشر لهم جلوي على أن الذي يبغى العافية ينزل، فنزلوا غالبهم. فلما رأى ابن ثنيان أن المسألة هكذا قبل بالأمر، وهو يدري أن الأمان ليس بتام، ولكن للضرورات أحكام. فنزل حالاً. وأمروا على القصر ففتح بابه، ونزل الردم مما عليه. أما ابن ثنيان فهم حبسوه في البيت الذي فيه عُبيد بن رشيد، لأن فيصل لم يثق عليه أن يطلق إلا عندهم. وقال لعُبيد: ما دمت عندنا توكل به من رجاجيلك من يحفظه، مع أنه مُكبل بالحديد، ومغلق عليه البيت. وبعد مضي أربع ليال بأيامها، وإذا ابن ثنيان مخفي فلوس في أكمار (ثوبه) ومعطي الحباس الذي عنده، واحد فيه مائة ليرة، فأرتاع الحباس من ذلك، وحالاً أخبر عُبيد بالأمر، وأعطاه الهميان (الكمر) فأشرف على الفلوس، وحالاً أخذ الفلوس ودخل على فيصل، وقال له: أما إن كان حبسك لابن عمك حبسًا مؤبدًا فإنا نستعفيك. وإن كان ما هو مؤبد فلا بأس، لأنهُ أعطى الحباس هذه الفلوس التي بين يديك، ووضعها قدامه، ثم قال: وأنا ما آمن إذا صار يعطي فلوس أنه يخرج. فتكون المسألة تبعتها عليّ، وحالاً قال له فيصل: أعفيناك، ونحن نوكل فيه من يحفظه في غير مكانه هذا. فنقلوه من بيت عُبيد، وحبسوه في بيت متحد. فلما استقام ستة أيام أو سبعة، قالوا: تزهد ابن ثنيان، ومات. والسبب أن الحبابيس الذين صاروا عنده، قاتل آباءهم ابن ثنيان، واغتالوه، وقالوا: مات. وعند ذلك، فيصل لسان حاله يقول: لم آمر بها ولكنها لم تسوئني». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها : وديع البستاني ، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

**ولم ينتهي الصراع السعودي أو يتوقف عند انتهاء التنافس بين عبد الله بن ثنيان وفيصل بن تركي، فسوف نتابع كيف سيتقاتل أبناء فيصل نفسه، فيما بينهم على تولي زمام السلطة والحكم، لأن المُلك هو الأساس ولا علاقة للدين والعقيدة في حساب هؤلاء الأدعياء الوصوليين.**

▪ **نبذة مختصرة عن فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود وأبنائه عبد الله وسعود:**

هو فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، وأما والدته فهي هياء بنت حمد بن علي الفقيه العنقري (من أهل بلدة ضرماء). وفيصل كما مرَّ معنا تمَّ أخذه كأسير مع أخويه جلوي وعبد الله وبقية أفراد أسرته إلى مصر من قبل القائد إبراهيم باشا. وقد تمَّ إطلاق سراحه لاحقًا من قبل الخديوي عباس باشا. وقد أصيب في أواخر أيامه بضعف البصر ما يُسمى بالمياه البيضاء Opthalmia كما وصفها بالجريف وذكر أنهُ قد أصيب بها منذ أن كان في مصر هو ورفاقه، وقد شيعوا أنهم تعرضوا إلى تسمم متعمد، ولكن حالته تضاعفت في نجد وأصبح لا يرى تمامًا، وأزداد وزنه بصورة ملفتة فأصبح جسده متكور وثقلت حركته، وبات يؤمن بالخرافات ويتصف بالجشع والبخل، كما وصفه بالجريف.

وقد أنجب عدة أبناء، تنافسوا في حياته ومن بعده على السلطة، وقد أضاعوا المُلك بسبب حقدهم وكرههم لبعضهم البعض، وأبناء فيصل هم: عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن جد آل سعود الحاليين.

وقد ذكر الرحالة وليام بالجريف الذي زار الرياض في عام ١٨٦٣م، أنهُ رأى فيصل في أواخر أيامه والتقى بابنيه المُتنافسين، وهما عبد الله وسعود، ووصف بداية فترة حكم فيصل عندما تسلم الإمارة بعد مقتل والده تركي على يد ابن عمه مشاري بالجيدة، وأشاد بقيادته الفتية لتلك المرحلة، عندما كان شابًا، ولكنه عاب عليه خواره وضعفه وقلة حيلته في الكبر، وخصوصًا تزايد نفوذ عبيد القصر وتدخلهم في قراراته، حيث يقول بالجريف عن فيصل:

« كان فيصل عندما اعتلى العرش وقمة السلطة بهذه الصورة المفاجئة يبلغ من العمر حوالي ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين عامًا. ومع أن الأحداث أخذته على حين غرة إلى حد ما، إلا أنه كان لديه من الصفات والخصائص ما يجعله

قادرًا على تحمل صعاب منصبه الجديد. فهو من حيث صفاته الشخصية كان شبيهًا لوالده تركي أكثر من جده عبد الله. كما كانت ميوله طبيعية ومحببة إلى النفوس، كما كان حصيفًا، وحذرًا بشكل مُبالغ فيه، ومعتدلاً في آرائه، وموهوبًا في بعد نظره وبصيرته، واسع الأفق، طليق اللسان، مظهره يسترعي الانتباه، أي أنه كانت فيه خصال كثيرة استحوذت على حب وولاء رعاياه له، إضافة إلى أن تلك الخصال كانت تبشر أيضًا بحاكم جيد وقوي. ولكن تعليمه الوهابي، وتعصبه المذهبي، وتأثير ذلك الذي يمكنني أن أطلق عليه؛ برغم أن ذلك لن يكون بدون تلميح أوربي بعيد؛ اسم الحزب النجدي الديني الأعلى High Orthodox Nejdean Party، وقد تضافرت كل هذه المزايا على تبديد تلك الآمال الجميلة إلى حد بعيد. وأدى تقدم فيصل في السن إلى ترسيخ آثار التعصب الوهابي أكثر فأكثر، وانتهى فيصل في سنوات حياته الأخيرة إلى أن أصبح مُجرد أداة في أيدي كل من مُستشاريه ضيقي الأفق وولده العنيف (عبد الله)، الذي كان يحكم المملكة باسم الملك القديم، ويستمد من ضعف وشيخوخة والده موافقة سهلة على أشد أنواع القمع وأفظع الجرائم. ومع ذلك، كانت تلوح بين الحين والآخر، بوادر طيبة، خلال سحب الحكم المُطلق والفساد الشديد الذي كان يحيط بأواخر أيامه، على أقل تقدير، إذا ما تهيأت له ظروف أخرى، وتعليم أفضل ومُستشارين أفضل أيضًا».۞ - انتهى الاقتباس -

كما ذكر بالجريف نبذة مبسطة عن أبناء فيصل وعن ابنته التي تبدو وحيدة، وكذلك ينقل لنا هذا الرحالة صورة عن طبيعة الصراع الدائر بين عبد الله وأخوه سعود، فيقول: « ويكفي ما قلته من قبل عن أكبر أولاده، عبد الله. وعلى كل حال، يجدر بنا أن نضيف هنا أن والدة عبد الله (وكتاب الملوك يتعرض دومًا لأمهات ملوك اليهود) تنتمي أيضًا إلى العائلة السعودية. ولكن والدة ابنه الثاني - الذي سُمي باسم سعود المؤسس الأول للعِرق السعودي -

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

ليست من العائلة السعودية، ولكنها من قبيلة بني خالد. وعبد الله يتجسد فيه المثل العربي، نظرًا لأن الصفات التي ورثها عن أمه أكثر من تلك التي أخذها عن أبيه. فبينما نجد أن عبد الله مثل والده، قصير القامة، ومتينًا، وكبير الرأس، وغليظ العنق، ويشبه الثور في مظهره، نجد أن سعودًا فارع الطول، نحيفًا، وأنيقًا، ولا يدل مُحياه على بداوة مفرطة، وسعود صريح وكريم، ومتيم بالاستعراض والفروسية، وهو محبوب من الجماعة "الليبرالية"، التي تطلق عليه اسم "أبو هلا"، التي معناها الحرفي "أبو الترحاب"، وهذه التسمية مأخوذة من التعبير "يا هلا"، الذي يُحيي به سعود كل من يفد عليه. في حين يقف عبد الله على رأس الجماعة المُتدينة، التي تتطلع إليه وتعده عونها الرئيسي وأملها المُستقبلي. ومع أن الأخوين، يكادان يتساويان في العمر، إلا أنهما مُتناقضان ومُتنافران ولا يُهادن أحدهما الآخر، ومنعًا لتكرار الصدام بين الأخوين، عين فيصل ولده "سعود" أميرًا على كل من اليمامة والحريق، على أن يتخذ من السلمية مقرًا لإقامته، وبذلك يكون قد أبعده عن الرياض، في حين أبقى فيصل ولده عبد الله في الرياض، بصفته حاكمًا خاصًا للمدينة. واستطاع سعود في ذات الوقت، أن يستحوذ بفضل بساطته وسلوكه الليبرالي، على قلوب رعاياه المقربين منه، وقلوب أولئك الذين يُعارضون التشدد والتعصب في مناطقهم. ومن ثم فمن المُسَلم به أن وفاة فيصل سوف تكون بمثابة الإشارة إلى بدء حرب دموية وغير متكافئة بين كل من رموليوس Rumulus وريموس Remus أو إن شئت بين كل من دون هنري Don Henry ودون بدرو Don Pedro، وطالما أن هناك مُستبدين، وشرين يسمحان بالخيار من بينهما، فإن كل أمانيّ الطيبة تتجه صوب سعود. وفيصل على كل حال يفضل ولده الأكبر، وذلك من باب التقوى والتدين، وربما من باب التعاطف معه أيضًا....الخ.

كان محمد، الابن الثالث لفيصل، من سيدة نجدية، والذي كان يشبه والده وأخاه الأكبر من حيث الشكل والمظهر، وهو ما يزال يُحاصر مدينة عنيزة،

كما سبق أن أوضحنا في الفصول السابقة. وعبد الرحمن(•)، هو الابن الرابع والأخير من أبناء فيصل، وهو صبي يبدو عليه أنه مثقل بالهموم، ولا يزال يسكن في جناح حريم والده، وأنا أرى أن عمره يترواح بين عشرة واثني عشر عامًا، والناظر إليه لا يتوسم له مستقبلاً واعدًا. وقد سبق وأن تحدثت عن تلك الفتاة العجوز، ابنة فيصل التي لم تتزوج، وهي سكرتيرته الخاصة. وأنا على ثقة أنها جميلة جدًا، ولكني لم أتمكن قط من النظر إليها خلسة من خلال ذلك الرداء الأسود الذي تلف نفسها فيه، مما يجعلها تشبه كومة من القماش أكثر منها ابنة ملك». ۞ -انتهى الاقتباس-

ويبدو أن وليام بالجريف توقع مبكرًا ذلك الصراع الداخلي الذي سينشب بين الأخوين عبد الله بن فيصل مع سعود بن فيصل، وذلك من خلال معاشرته لهم، وسبر أغوارهم ومعرفة ما يضمرونه لبعضهما البعض من عداء مُستحكم، وهو الأمر الذي دفع عبد الله لأن يطلب من بالجريف أن يزوده بـ سم الاستراكنين، لكي يتخلص من أخيه، ولما رفض بالجريف طلبه وصارحه بهذا الأمر، غضب منه عبد الله وحاول التخلص من بالجريف، فاضطر الأخير للهروب من الرياض والتوجه نحو المنطقة الشرقية خوفًا من بطش عبد الله ورجاله، وبالمقابل كان سعود يرسل رسائل مُشفرة إلى بالجريف، من أنه مستعد للتعاون مع المصريين إذا اقتضى الأمر، ظانًا أن وليام بالجريف جاسوس مصري.

وعن تلك المناوشات بين الإخوة وبينه يذكر بالجريف: « ولم تمض على سعود، في مسكنه الجديد، داخل القصر ثلاثة أيام، حتى جاءني خادم طويل أنيق، وذلك بعد عودتي بمنتهى الرقة والأدب، من حضرة سيده، والذي قال لي: إن سيده يُعاني من ألم في أسنانه أو من صداع -لقد نسيت أيهما- ، وأنه

(•) الصبي عبد الرحمن بن فيصل الذي ذكره بالجريف: هو جد آل سعود الحاليين، الذي جلى مع أسرته إلى قطر ثم لجئوا إلى الكويت.

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

بحاجة إلى مساعدتي العاجلة له. وعندما دخلت مسكن الأمير، استقبلني استقبالاً حارًا وبطريقته الودية المُعتادة التي يشتهر بها، وضحك بصوتٍ عالٍ عندما سألته عن أوجاعه. ويرد عليّ قائلاً: "أنا على ما يرام مثلك تمامًا". "إن كل ما أريده كان مجرد ذريعة لإحضارك إلى هنا". ثم يدخل سعود معي بعد ذلك في حديث ودي، وأعرب أو نوَّه في أقل الأحوال، عن تعاطفه الكبير مع مصر. والواقع أنه، نظرًا لأن سعود كان عدوًا لدودًا لـ عبد الله، واستشعارًا منه لحقيقة صراع غير بعيد، فإنه كان يود عن طيب خاطر، طلب المساندة من حكومة ينتظر منها أن تكون مشاعرها غير ودية بشكل عام، تجاه أخيه الوهابي المُتزمت. وتكرر استدعاؤه لي، طوال فترة مقامي في الرياض، وعبر لي عن كثير من وده الحقيقي، في ظل فكرة مفادها إنني كنت مبعوثًا من مصر، ومن منطلق هذه الفكرة أيضًا راح يحرص عليّ عبد الله، بالطريقة التي سوف أرويها هنا. كان عبد الله قد قام بزيارته الاضطرارية إلى أخيه سعود، وكان التصارع المُتبادل بن الأخوين، والذي بدأ يزداد بحكم اقترابهما من بعضهما، قد أوشك على الانكشاف، أو بالأحرى انكشف وبان للعيان، ولكن في حدود رسميات وشكليات اللياقة الاجتماعية. وبدأت رائحة المؤامرات، والخيانات، بل والعنف نفسه يفوح من خلف جدران القصر، ولم يعد التفكير في الاغتيال، سواء أكان بالخناجر أم بالفناجيل، أو بالأحرى بفناجيل القهوة، يدهش أحدًا في القصر. بل وإن محبوبًا أيضًا الذي كان كارهًا دومًا لـ عبد الله، بدأت تزداد هذه اللحظة، كراهيته لـ عبد الله أكثر من ذي قبل، ومن موقعه كوزير استطاع أن يتبين الخطر الذي يمكن أن ينزل به هو شخصيًا، عندما يضع الزمن السلطة الكاملة المُطلقة بين يدي شخص طالما كان يرهبه بالصياح والعبوس ويعطله عن الدوام. ومن هنا انضم محبوب إلى جانب سعود، وأدى بفعلته هذه إلى تسخين مشاعر عبد الله الغاضبة إلى سبعة أضعاف ما كانت عليه. وانقسم أعيان البلاد، بل وغرباؤها بين مؤيد لهذا الأخ ومعارض لذاك، ومع أن حياة فيصل، كانت مثل ذلك الخيط الحريري الذي كان

يلف الوحش في رواية ترايرمين Triermain، التي عنوانها "صالة الخوف" وكانت تبعد النمرين عن بعضهما، إلا أنها لم تكن كافية لمنع حدوث وثبة مفاجئة؛ أو بمعنى أصح انفجار سري. كان عبد الله قد تعلم من خلال محاضراته الثقافية قدرًا من المعلومات التي تمكنه من التعرف على خصائص المواد السامة وبخاصة الاستراكنين، وبرغم أن عبد الله لم يكن على دراية كاملة بألاعيب المجرمين الأوربيين، فإنه كان منافسًا لهم في الشرق. كان العلاج أو الشفاء على أقل تقدير، الذي سبقت الإشارة إليه، قد حدث في السادس عشر من شهر نوفمبر، أو في الوقت الذي كنت قد أبلغت فيه عبد الله برفضي القاطع للعروض التي قدمها، وبالتالي كان لا يعرف ماذا يفعل بعد ذلك. وبعد ذلك بيوم أو يومين أرسل إلى عبد الله، وأعرب عن أسفه لأننا قررنا مُغادرة العاصمة، وألتمس منا أن نترك بعض الأدوية النافعة حتى يُفيد منها الناس، وطلب منا، أن نعهد إليه قبل كل شيء، بذلك العقار القوي الذي بدأ الجميع يعبرون عن إعجابهم بنتائجه الباهرة. والغريب في الأمر أن عبد الله رفض رفضًا قاطعًا كل ما قلته عن عدم جدوى، بل والخطر الهائل، الذي يترتب على تداول الأيدي الجاهلة غير المتعلمة للمواد الصيدلانية. وفي النهاية، وبعد كثير من الحض، أنهى الأمير كلامه بأن قال لي أنني يمكن أن ألغي جميع العقارات باستثناء عقار الاستراكنين الذي يتحتم أن أعطيه إياه، وإنه على استعداد أن يدفع ثمنه أيًا كان! وهنا اتضح لي هدفه تمامًا، ولم يخطر ببالي أن أمد له يد العون، حتى ولو كان ذلك بطريقة غير مباشرة، في مخططاته الشيطانية، ولم أجد أمامي سبيلاً آخر غير الرفض بحزم وأدب. واستكمالاً للرفض، تظاهرت بأنني لا أشك في نواياه، ورحت أركز على طبيعة الاستراكنين الخطرة، إلى أن أثنيته مؤقتًا عن طلبه، ثم غادرت القصر بعد ذلك. وفي صبيحة اليوم التالي جدد عبد الله مطالبه، ولكن دون جدوى. والتقيته للمرة الثالثة، وكان ذلك في اليوم التاسع عشر أو العشرين من شهر نوفمبر، وبعد أن أشار لي بالجلوس إلى جانبه، أصر إصرارًا قاطعًا على الحصول على هذا السم على أن يكون في

حوزته هو، وأخيرًا، وبعد أن تخلى عن جميع الأعذار، بدأ يوضح لي الأسباب الداعية لذلك، برغم أنه لم يوضح ذلك الشخص الذي يريد السم من أجله، وأبلغني أنه لن يقبل أي عذر سواء أكان أخلاقيًا أم غير ذلك. كان عبد الله في ذلك الوقت، يجلس في الطرف القصي من القهوة، بينما كنت قريبًا منه، في حين كانت تفصلنا عن أفراد الخدم والحاشية الحاضرين مسافة لا تمكنهم من استراق السمع على حديثنا، وبخاصة عندما نتناجى. ونظرت من حولي كي أتأكد أن أحدًا لا يسمعنا أو يسترق السمع علينا، وعندما قابل رفضي الصريح برفض صريح من جانبه وإصرار على طلبه، اتجهت إليه مُباشرة، ورفعت طرف غترته، وهمست في أذنه قائلاً: "يا عبد الله، أنا أعرف جيدًا السبب الذي تريد السم من أجله، وأنا لا يخطر ببالي أن أكون لك شريكًا في جرائمك، ولست على استعداد أن يسألني ربي عما يجب أن يسألك عنه. أنا لن أعطيك هذا السم مطلقًا". فأسود وجه الرجل وأنفجر غضبًا، قائلاً: أنا لم أرَ قط شيطانًا مثلك من قبل أو من بعد. وتردد لحظة في صمت، ثم تمالك نفسه، ثم تغيرت نبرات صوته فجأة وراح يتكلم عن أشياء لا علاقة لها بالموضوع. ثم نهض بعد ذلك بلحظات، ثم عدت أنا إلى المنزل».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو أن فيصل بن تركي كان من الضعف والارتباك في أخر أيامه، بحيث أصبح ألعوبة بيد عبيد وخدم القصر، فقد كان الجميع يتلاعب به ويستغله أبشع استغلال، كانوا يدركون أنهُ يخاف من الاغتيال، فكانوا يستغلون تلك المخاوف في تسييره والتلاعب به، مما دفعه للاستعانة بابنته العانس كي تُعينه على إدارة دفة الحكم.

ويصف لنا الرحالة الإنجليزي بالجريف حال فيصل في أواخر أيامه، كما يصف لنا حال قصر الحكم، ويبين مقدار الحذر الواضح في طريقة بنائه وكيفية ترتيب ممرات ذلك القصر، خصوصًا الممر الموصل إلى المسجد الذي يُصلي

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

**فيه فيصل الجمعة، كما يوضح بالجريف درجة الخوف والرعب التي تلاحق فيصل رغم كبر سنه وضعف بصره، إلا أنهُ كان يخشى المُغتالين وكان لديه هاجس دائم يُطارده وهو أن تكون نهايته مقتولاً على يده أعدائه، مما جعله يتخذ أشد درجات الحيطة والحذر، حيث يقول بالجريف:**

**« وبعد أن مضينا في طريقنا إلى مسافة قصيرة شاهدنا قصر جلوي، شقيق الملك فيصل على الجانب الأيسر، والذي كان خارج مدينة الرياض في مهمة، وفي اتجاه قلعة بيشة وفي النهاية وصلنا الساحة الكبيرة المُربعة، والتي يتكون جانبها الأيمن، الجانب الشمالي إن شئت، من دكاكين ومتاجر، بينما يشغل جانبها الأيسر بالكامل منزل ضخم للأسرة المالكة النجدية، ومن أمامنا وإلى ناحية الغرب أشاهد ممرًا طويلاً مُغطى، تحمله مجموعة من الأعمدة غير المُتقنة، يعبر الساحة كلها ويصل القصر بالمسجد الكبير، الذي يُصبح بذلك مُتصلاً اتصالاً مُباشرة بالقلعة (القصر) من الداخل، ويُتيح الفرصة لـ فيصل المُسن، أن يُمر دون أن يراه أحد إلى المكان الرسمي المُخصص له في صلاة الجمعة، دون أن يُعرض نفسه لفضول الآخرين أو لخطر الخيانة، والسبب في ذلك أن المصير الذي لقيه والده وعمه اللذان سبقاه في تولي العرش، وكان على يدي مُغتالين طعناهما بخنجريهما أثناء الصلاة وسط الجماعة، هو الذي زاد حرص فيصل في هذا الصدد الذي لم يقتصر على وقت الصلاة وحدها. وبعد أن تجاوزنا الجزء المُكمل لهذه البوابة، وصلنا إلى ما يشبه الحارة الداخلية، أو إن شئت فقل ممرًا مفتوحًا، وعلى أحد جانبي هذا الممر كانت توجد الأجنحة التي يشغلها الملك، وغرفة اجتماعاته الخاصة، ومكان للعبادة أو إن شئت فقل المُصلى، ومن خلف الجناح يوجد الجناح الخاص بحريمه كثيرات العدد، وجناح ابنته غير المتزوجة، تلك الآنسة العجوز التي لا يقل عمرها عن خمسين عامًا على أقل تقدير، والتي تقوم بدور السكرتيرة بالنسبة لوالدها في المُراسلات الهامة، والتي لم يكن فيصل على استعداد للتخلي عنها، لهذا السبب نفسه وعلى الرغم من تقدم كثير من الخطاب لطلب يدها. وهذا**

القسم من القصر واسع وفسيح، ومُرتفع، إذ يصل ارتفاعه إلى ثلاثة طوابق، ويصل ارتفاعه بين خمسين وستين قدمًا من الأرض إلى السطح، وفي هذا الجناح قُتل الأمير مشاري بن عبد الرحمن على يد الأمير عبد الله بن رشيد، والد صديقنا الأمير طلال بن رشيد. ومُقابل الحوش الموجود على الجانب الآخر، وسبق وأن وصفته، هنالك سلم آخر في العراء، يؤدي إلى الطابق الثاني، حيث يوجد غرفة للضيوف، تتسع لحوالي أربعين فردًا، وهي جيدة التهوية وهواؤها بارد، ومن خلف هذه الغرفة مُباشرة، يُقال إن هنالك بويبًا صغيرًا داخل الجدار، يفتح على الممر السري المؤدي إلى جناح الحريم، ومن هذه الفتحة غير النافذة في الجدار، تحجب الفضيحة الشعبية لفيصل، الذي ربما يُسترق السمع؛ وهو لا يُرى؛ من خلال حاجز رقيق على كل ما يقوله زواره المطمئنون، في لحظات الانطلاق الحر، ويسجله ليستخدمه في أغراضه الخاصة، إن معول هاملت لجدير بتلك الفئران التي تختفي وراء هذه الستائر المُزركشة، والأمر هنا أنكى وأشد، وبخاصة إذا ما أجبنا بالإثبات على السؤال الذي يقول: هل الملك هو الذي وراء الستارة......الخ. وقد اندهش النائب الإيراني محمد علي الشيرازي عندما لم يجد أحدًا من الأسرة المالكة بين من جاءوا لمُقابلته، بل لم يكن هنالك أحد من كبار القوم أو من أصحاب المراكز الكبيرة، بل الأكثر من ذلك إنهُ ازداد دهشة على دهشته عندما اقتادوه ليس إلى حضرة الملك فيصل مُباشرة وإلى العناق المُفترض، وإنما إلى غرفة الجلوس التي كانوا قد اقتادونا إليها من قبل، وقدموا له غداءً مُماثلاً لذلك الذي تناولناه تمامًا، وأبلغوه بعد تناول الغداء أن يدعو لفيصل بالخير، وأن يعود للمنزل المُخصص له، في حين سيُحدد الملك الساعة واليوم اللذين يسمح وقت جلالته باستقباله فيهما!. ولم أرَ قط شخصًا بمثل هذا الغضب والاشمئزاز الذي ظهر عليه هذا الإيراني في تلك المُناسبة، فأخذ بلغة عربية مُكسرة وبصوت عالٍ يسمعه نصف من هم في القصر، وراح هذا النائب الإيراني محمد علي الشيرازي يُنفس عن غضبه من العرب، والبدو، والوهابيين، ومن

نجد، ومن المدينة، ومن البلاد ومن كل شيء، وبدأ التهجم على رجال العارض الذين سمعوا ما يقوله النائب الإيراني، وفهموا بعضًا منه، ولكنهم بلغوا من الأدب حدًا لم يستطيعوا معه أن يقولوا أو يردوا بأي شيء، وربما كان فيصل موجودًا، وغير مرئي، يسمع ما يدور من خلال تلك الفتحة الموجودة في الجدار......الخ. ولكن أظن أن الوقت قد حان "التغيير المشهد ليمثل" الإجراءات التي كانت تتخذ من وراء ستار، داخل القصر نفسه فيما يتعلق بنا، ولتبيين الأثر الذي تركته أحداث هذا الصباح على كل من فيصل وبلاطه،وسرعان ما عرفنا التفاصيل،ومن الطبيعي أن تكون التفاصيل مُضحكة لسخافتها وهي مُتأصلة في هذه الأرض وفي حكامها، كما أنها محسوبة حسابًا جيدًا لتُحدد نقاط ضعفهم كما تُحدد أيضًا الظروف التي أمدتهم بقوتهم، وكانت الحقائق على النحو التالي: عندما تلقى فيصل من استخباراته الخاصة عن ذلك السرب من الغرباء الذين وصلوا إلى بابه: القائم بالأعمال الإيراني وشكاواه، والمكيان بكذبهم الوقح، والسوريان بأهدافهما الطيبة، فقد توازنه تمامًا، وكاد يشتط غيظًا وغضبًا، عجوز وأعمى، أم مُخرف ورعديد، أم مُتعصب ومُستبد، وبغض النظر عن أي تركيبة من هذه التراكيب التي يُمكن أن تحدثها الظنون لدى الجماعة المُتنافرة التي اندفعت على هذا النحو إلى عاصمته، بل والتي خيمت عند أبواب قصره، كل ذلك زاد انزعاج الملك فيصل وزاد في شكوكه واستياءه أيضًا، لقد تدنس مركز الصفاء الديني النجدي المُقدس في لحظة واحدة، وفي آن واحد من ثلاثة مصادر بغيضة وكريهة: الإيرانيين، والمكيين، والسوريين، والشيعة، والسُنة، والمسيحيين، والمُهرطقين، والمُشركين والكفرة، وكل ذلك كفيل بإنزال جهنم من السماء إلى الأرض، أو بزلزلة الأرض من تحتهم، وأن ما يُمكن أن ينتظره الناس بعد ذلك، هو أن يغزو مرض الكوليرا البلاد، ومع ذلك، كان ما يزال هناك ما هو أسوأ من كل ذلك: فالمكيان الشحاذان، من السهل التخلص منهما، وتقديم هدية بسيطة لهما يُمكن أن ينقذ العاصمة النجدية من التلوث الذي أصابها

بسبب وجودهما، ولكن النائب الإيراني ومن خلفه شاه إيران يسند ظهره، فقد كان شأنًا آخر مُختلفًا تمام الاختلاف، يُضاف إلى ذلك أن فيصل كان يعرف جيدًا أن الشكاوى التي سيقدمها له النائب الإيراني أكثر من صادقة وأكثر من صحيحة، وإنهُ هو نفسه كان مسؤولاً أولاً وأخيرًا عن المُضايقات التي تسبب فيها عبد العزيز أبو بطين ومهنا أبا الخيل للحجاج الإيرانيين، وذلك من مُنطلق أن فيصل كان سيدهما في واقع الأمر، يُضاف إلى ذلك أن سلفه عبد العزيز بن سعود كان قد سقط قتيلاً على يد مُغتال إيراني وبخنجر إيراني أيضًا، ومن يدري إن كان النائب الإيراني أو أي واحد من حاشيته ليس معه سلاحًا مُماثلاً ليغتال به كبير المُطاوعة؟ أما فيما يتعلق بالسوريين، فالأمر سيئًا أيضًا، فلابد أن يكونا مسيحيين وربما مُغتالين أيضًا، بل من المؤكد أنهما ساحرين، وأقل ما يُمكن توقعه منهما، السحر أو الحسد، وربما تعويذة سامة، وخلاصة القول هي أنهم جميعًا جواسيس، وأن الاستنتاج لا يحتمل أدنى شك! وأنا لا أظن ولا أعرف إن كان محبوب، وعبد العزيز، أو البلاط بصفة عامة يُشاركون فيصل هذه المخاوف، وعلى كل حال فقد حرصوا على الاشتراك في لحن سيدهم، وأقروا جميعًا، أن الخطر حقيقي وبالغ، ترى ما هي الإجراءات الكفيلة بمنع هذا الخطر المُحدق؟ أو ما الطريقة التي يمكن بها التخلص من هؤلاء الأعداء الكُثر، دفعة واحدة؟ وكانت النتيجة الجماعية التي توصلوا إليها تُقيد أن الحرص هو أفضل أجزاء الشجاعة، وأن صاحب الجلالة والقداسة يتعين عليه على الفور، أن يهرب من العاصمة ومن الجوار المشؤوم لهذا العدد الكبير من الكفرة والمُحتالين، والجواسيس، والقتلة، وأن يُخفي شخصه الملكي في خطوة آمنة، في حين سيتم خلال تغيبه اتخاذ الإجراءات المُناسبة بما يُناسب نوايا هؤلاء الغرباء الذين يُثيرون الشك والريبة، ومُراقبة ما يقومون به من أعمال، واكتشاف مخططاتهم الخيانية أو الحيلولة دون تنفيذها. حتى خرج فيصل ومعه كل من محبوب، وعبد العزيز، وقليل من الرجال الآخرين، في سرية كاملة من باب السر، وتركوا القلعة واجتازوا المدينة بأكبر

قدر من الهدوء، وأخفى الملك نفسه في تجاويف البستان المُنعزل الذي يملكه عبد الرحمن الوهابي (آل الشيخ)، واصطف الحراس من حول البستان، وانتعش لدى الجميع أمل مفاده: أنهُ فيما بين المكان، وبركات الصلاح الخالص لصاحب هذا المكان، وكثافة أغضان النباتات، وسيوف العبيد السود، يستطيع فيصل أن يزوغ من عدوى الشرك، وأخطار الاغتيال، والسحر والتعاويذ والحسد، وبذلك أمكن ضمان فترة راحة للملك، وكسب مزيد من الوقت استهدافًا لكشف سر ذلك الشر، وتفريغه من محتواه. وعلى كل حال، لم يضيع المؤولون الوقت، وأمروا بتشغيل الآلة الضخمة في الحكومة الوهابية، منظومة التجسس، التي تفوق على المنظومة التي أنشأها تايبيريوس Tiberius».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويبدو أن صراع عبد الله مع أخيه سعود كان نتيجة لصراع أمهاتهم، ولذلك كل واحد منهم كان يرى أنهُ الأحق بالمُلك من الآخر، وقد تفاقم ذلك الصراع بين الأخوة، وانقسم الناس بين مؤيد للأمير عبد الله، وبين مؤيد للأمير سعود، وبقي الأب فيصل عاجزًا عن حسم ذلك الصراع العائلي البغيض بين الإخوة الأعداء.

ويروي بالجريف حادثة تؤكد ذلك الصراع بين الأخوين، حيث يذكر:
« كنت قلت إن عبد الله لم يظهر (أثناء مجيء سعود ومعه قوات الحريق). وبرغم أنه كان فرحًا لأن ذلك كان حدثًا من الأحداث التي ستساعد على تحقيق أهدافه، إلا أن حقده الشخصي لم يسمح له بالمشاركة في استقبال أخيه. وفي اليوم التالي، وبينما كان فيصل يجلس في ديوانه الخاص مع ولده سعود، سأله إن كان التقى بأخيه الأكبر، وعندما أجابه سعود بالنفي، طلب منه أن يزور أول ما يزور، أخاه عبد الله. ويرد سعود على والده قائلاً: "أنا الضيف الغريب في حين عبد الله هو من سكان المدينة، وبالتالي ينبغي عليه هو أن

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

يقوم بزيارتي أولاً". فيلح فيصل في أوامره، ولكن دون جدوى، ويُصر سعود على رفضه. ويفقد الرجل المُسن سيطرته على نفسه، وينهض بمساعدة عبدين زنجيين، ليضرب ولده سعود. ويمد سعود كتفيه ناحية والده قائلاً: "اضرب، فأنا موجود أمامك، ومع ذلك لن أذهب إلى منزل عبد الله". ويتدخل العبدان، ويشعر فيصل بالخجل لسوء تصرفه، ويأمر سعود بالابتعاد دون أي تعليق منه بعد ذلك. وبعد ذلك بساعات قلائل، ركب الملك الضرير، حصانًا، وشوهد وهو يعبر الشارع المؤدي إلى قصر ولده عبد الله. وبعد أن وصل إلى القصر، حكى لابنه ما حدث، وطلب منه أن يقوم هو بالزيارة الأولى. ولكن الابن الأكبر أثبت أنه أكثر شموخًا من الابن الأصغر، برغم أن أعذاره كانت أقل. وفي النهاية يقول فيصل لولده عبد الله: "الخطأ كله عندي أنا، فأنا الذي أسأت معاملة أخيك. لقد كان على صواب، ونحن جميعًا على خطأ. ولابد من تصحيح هذا الخطأ بأي حال من الأحوال. فهلا أتيت معي إلى القصر، ونقوم أنا وأنت بزيارته في مسكنه، إن زيارتك سيكون لها طعم آخر وأنا معك، وسوف تعود المياه إلى مجاريها المُعتادة". وهنا لم يقو عبد الله على الرفض، وأمكن بذلك فرض عادات الأدب والاحترام بين الأخوين، وبذلك أمكن تحاشي خطر حدوث فضيحة عامة شائنة، وكان قد تمَّ إبلاغ محبوب بكل ما حدث. وقد سأل محبوب فيصل قائلاً: "هل تفهم حقيقة ما يدور الآن؟ والله، ما أن تموت حتى يسمع الناس صليل السيوف فيما بين العارض وسدير". فتنهد فيصل تنهيدة عميقة وقال: ولكن ما هو العلاج، عندما ينتقل الصراع من الأمهات إلى الأبناء ويزداد الأمر سوءًا عندما يتصارع الأبناء على المُلك؟»۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

▪ **جواسيس فيصل واستغفال عبد الحميد البيشاوري (البلخي) للوهابيين:**

**لم يعرف العرب والمُسلمون في شبه جزيرة العرب مهنة التلصص والتنصت على أبناء جلدتهم، بل كانوا يحتقرون من يقوم بمهمة التلصص على جماعته وربعه، ولكنهم استوعبوا وتقبلوا أمر التجسس على أعداء المُسلمين فقط من أجل المصلحة العامة للأمة الإسلامية، ولم تنتعش وتستساغ فكرة التجسس من خلال المُتابعة وتلصص عيون السلطة إلا في فترة حكم آل سعود، حيث كانوا يستغلون أتباعهم من المطاوعة والأخويا في جلب المعلومات ومراقبة الناس لسبر أغوارهم، فكانوا يحللون مسألة التجسس ومراقبة الناس ومتابعتهم في كل شاردة وواردة بحجة تطبيق الشرع الإسلامي المزعوم، بينما تجدهم يتجاهلون وعن عمد قول رسول الهُدى عليه أفضل الصلاة والسلام: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا).**

**وكان آل سعود في بداياتهم يستغلون فقر الناس وعوزهم لكي يُجندوا بعض ضعاف النفوس كي يكونوا عيونًا لهم ترصد وتراقب الناس، ثم طوروا تلك المُهمات التلصصية فأصبحت تُناط بأتباعهم المُقربين ومواليهم المُخلصين، حتى أصبح لقسم التجسس والتحسس على المُسلمين جهاز أمن خاص به يُسمى جهاز المباحث السعودي، ورديفه في مهمة التحسس وهو (جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وبات آل سعود يرصدون تحركات الناس بحجة الإسلام وتطبيق الشريعة.**

**ويبدو أن آل سعود لهم باع طويل في تجنيد الجواسيس سواء من المواطنين أو حتى الأجانب، ولكن كثيرًا ما أخفق آل سعود في تجنيد جواسيس كانوا في نهاية الأمر وبالاً عليهم، وربما حكاية عبد الحميد البلخي أو البشاوري هو نموذج مُخزي لهؤلاء الجواسيس الذين استغفلوا ابن سعود وجعلوا من حكومته أضحوكة أمام الأجانب، حيث يذكر لنا الرحالة الإنجليزي بالجريف**

الذي زار الرياض أبان حكم فيصل بن تركي وأبنائه، حيث يروي في كتابه تلك الحكاية الطريفة، قائلاً:

«وعلى الجانب الآخر هنالك ورش مُتنوعة، من بينها محل لتصليح الساعات، كلها تعمل في خدمة الملك مُباشرة، وبجوار المطبخ يوجد المسكن الذي ينزل فيه عبد الحميد، ذلك المواطن البلخي Balkh، الذي تدور من حوله الشكوك والذي يُقال إنهُ من المُهتمين جدًا بالدراسات الدينية، والذي يشغل نفسه أيضًا بكثير من الأمور، والذي سوف أورد الكثير عنه فيما بعد.....الخ. وفجأة سمعنا طرقًا متواضعًا على الباب، وبسرعة تمَّ إخفاء الغلايين، ثم يتجه بركات إلى الردهة ليعرف ذلك الذي يطرق الباب، ويتيح لدخان التبغ فسحة من الوقت لكي يتبخر خلالها، قبل أن يفتح. ويدخل من الباب شخص لم نكن نتوقع أن نراه في الرياض، كان يرتدي ملابس مواطن أفغاني، وعلى رأسه عمامة بيضاء أنيقة، وله ملامح أهل الجنوب الغربي من حدود البنجاب، إنهُ عبد الحميد باحث القصر، يقف أمامنا بشحمه ولحمه، إنهُ جاسوس جيد، أو من المُحتمل إنهُ جاء ليجعلنا نتخلص من حذرنا، هاتان الفكرتان لم تخطر لنا على بال، والسبب في ذلك، أنهُ كان غريبًا مثلنا، ومن ثم يُمكن أن يستثير تعاطفنا ومكنون قلوبنا، ولأنهُ له أسلوب رقيق وصراحة ظاهرية ينجح إخوانه المواطنون انتحالها إذا لزم الأمر، والتي ربما خبرها بعض القراء في الشرق. عبد الحميد هذا أستاذ في مدرسة التخفي وراء مظهر آخر، لدرجة أنهُ خدع الوهابيين أنفسهم، الذين يحسبوه أي شيء سوى ما كان عليه في واقع الأمر، وربما وثق بنفسه من أنهُ قد ينجح معنا، بالرغم من تعاويذنا وأسحارنا المزعومة. وعبد الحميد هذا، حسب ما يقول هو ابن حاكم بلخ Balkh، وهو سُني مُتشدد من أتباع المذهب الحنفي، وبعد أن غادر عبد الحميد وطنه قاصدًا الحج إلى مدينة مكة، ومعه ثروته وخدمه وحاشيته، وأشياء أخرى كثيرة لا تخطر على البال، وقع لابن الحاكم صاحب هذه الحكاية الأسطورية، حادث أليم، وهذا نقلاً عما قاله هو شخصيًا، حيث تحطمت فيه السفينة التي كان

يستقلها على صخرة غير معروفة في الخليج الفارسي (العربي)، والأقسى من ذلك، أن قراصنة البحر سلبوا كل ما استطاع أن يُنقذه من البحر العميق، ووصل عبد الحميد إلى الحدود الوهابية بلا خدم وبلا مال، وبلا صحبة أو رفاق، وقد شده ذيوع صيت وكرم فيصل إلى الحضور إلى مدينة الرياض، على أمل أن يحصل على العون المطلوب الذي يمكنه من إكمال رحلة الحج والعودة إلى والديه اللذان ينتظران على أحر من الجمر، ولكن عبد الحميد بعد أن وصل إلى فردوس التقوى والعلم على الأرض (الرياض)، فتح عينيه على نور الإيمان الوهابي النقي غير المُدنس، ومن ثم قرر أن يتخلى عن وطنه وكل مباهجه، وأن يقضي بقية حياته في دراسة وممارسة الإسلام الحقيقي، بين أرواح مُتجانسة وبعيدة عن التبغ (الدخان)، والوسطاء السماويين والشرك. وبعد أن أفاء فيصل عليه من كرمه بأن زوده بالكتب المُناسبة، والحريم، بدأ ينور القصر والمدينة بصَلاته الصحيحة ومظهره الهادئ، كان وقته مُقسمًا بين المسجد والحريم، وإنهُ يشكر الله دومًا ويُثني على فيصل في كل الأوقات، وكان حديثه ينصب على التقوى والصلاح، أو النساء، ومما لا شك فيه إن هذه الشخصية يُمكن إكرام وفادتها في ضوء صدق حديثها، إضافة إلى أن الناس في كل مكان، كانوا يثنون على تضحيات عبد الحميد ويقدرونها، قد يكون من القسوة أن يُحاول المرء تلطيخ ذهب له مثل هذه الجودة والنقاء، أو التقليل من قدر هذه السمعة التي اكتسبها صاحبها عن حق، ولكننا الآن بعيدين جدًا عن الرياض، ولن يُضار عبد الحميد إذا ما نشرنا في إنجلترا تاريخه الحقيقي وصورته الأصلية، لم يكن عبد الحميد مواطنًا بلوشيًا وإنما من بيشاور، ولم يكن عبد الحميد سُنيًا وإنما هو شيعي من الشيعة، ولم يكن عبد الحميد ابن أحد الحكام، وإنما كان شخصًا عاديًا جدًا، بل إن أخلاقياته كانت أدنى وأحط من أخلاقيات العامة!. كان عبد الحميد قد طعن رجلاً في مُشاجرة في السوق، وظن أن هروبه سينجيه، وبعد أن تجول في منفاه عدة سنوات، حال حرصه خلالها، بينه وبين العودة لوطنه، فوضع الرياض نصب عينيه لتكون ملاذًا

آمنًا له إلى أن تنتهي العاصفة في بلده، واستغل عبد الحميد السذاجة النجدية عن طريق التنكر الذي هو عليه الآن، ولكن الواقع أن عبد الحميد كان شيعيًا خالصًا، إذ لم يفوت فرصة يقترن فيها اسم الخلفاء (الراشدين)، أو الصحابة وتابعيهم، دون أن يلعنهم جميعًا في السر، وكان يُسلي نفسه بسذاجة أولئك الرجال الذين كان يعتبرهم كفارًا وشديدي الحماقة والغباء، زد على ذلك، إن الإعاشة والسكن والملبس الطيب والحريم كانت كلها أشياء مُمتازة، وأن المُسليات التي من هذا القبيل تسهل عليه منفاه طوال فترة انتظاره للظروف المواتية التي تسمح له بالعودة إلى بلده. لقد عرفت كل هذه الحقائق المذهلة، فيما بعد من النائب الإيراني، الذي كان من بلد شيعي أيضًا، بل أنهُ كان في مُقتبل حياته يترحل دومًا في الوادي الأعلى لنهر الأندوس، والذي أثبت لنا أنهُ لا يفل الحديد إلا الحديد، وكان قاسيًا جدًا على عبد الحميد البشاوري، بل أنهُ لأمتعني بنص هندوستاني عن كل هذا الموضوع، وعندما حصلت على هذا المفتاح، شرعت في تشغيل ذكائي واستخلصت من عبد الحميد (برغم أن هذا الاسم أيضًا كان مُجرد ستار فقط، ولكني نسيت كنيته الحقيقية)، كل ما يؤكد صدق ما قاله الشيرازي». [۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.




# تاريخ حائل ونبذة مُختصرة عن حُكّام نجد آل رشيد

حائل بفتح الحاء المُهملة بعدها ألف فهمزة مكسورة تُقلب ياءً فـ لام، وكلمة حائل في اللغة العربية لها عدة معانٍ وعلى حسب ورودها في الجملة، وعليه فإن كلُّ متغير حائلٌ، وقولهم (وناقة حائل) حُمِل عليها فلم تَلْقح، وقيل: هي الناقة التي لم تَحْمِل سنة أو سنتين أو سَنَوات، وكذلك كل حامل يَنْقطِع عنها الحَمْل سنة أو سنوات حتى تَحْمِل، والجمع حِيال وحُولٌ وحُوَّلٌ وحُولَلٌ؛ الأخيرة اسم للجمع، وحائلٌ حُولٍ وأحْوال وحُولَلٍ أي حائل أعوام؛ وقولهم (وحالت النخلةُ) حَمَلَتْ عامًا ولم تَحْمِل آخر ومن أشهر معاني كلمة حائل والتي تتبادر إلى الذهن قولهم (حائل بينهما) أي حاجز وهو كلُّ شيء حال بين اثنين وهو مثل قول الحاجز والحجاز والمانع وغير ذلك هذا في اللغة، وهي معاني عامة ليس فيها ما يفيد في اصل التسمية وهي معاني قد تطلق على الكل وعلى الجزء أيضًا.

وأما حائل فهي بلدة قديمة جدًا قيل إن مُسماها جاء على اسم الوادي الذي كان يُمر بالقرب من البلدة، وقد قال ابن الكلبي أن حائل، هو واد في جبلي طيء، وهنالك عدة شواهد على أن حائل كان اسمًا لذلك الوادي المذكور، منها قول أبو سعيد الضرير: حائل، بطن واد بالقرب من أجأ، وهذا هو الذي أراد امرؤ القيس بقوله:

تصيفها حتى إذا لم يسغ لها      حلي بأعلى حائل وقصيص

ويدل على ذلك قوله أيضًا:

تبيت لبونى بالقرية أمنا      وأسرحها غيا بأكناف حائل

والقرية: بجبلي طيئ معروفة ويشهد لك أن حائلاً هذا قريب من الروحاء قول حسان، أنشده ابن إسحاق:

بين السراديح فأدمانة      فمدفع الروحاء في حائل

وكذلك قول الشاعر أنيف بن زيان النبهاني:

ولما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقى طلحها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيء كأسد الشرى إقدامها ونزالها

وحائل تعتبر من المحطات التجارية التاريخية الموغلة بالقدم والمُهمة حيث تقع على طريق أو ممر القوافل القديم الذي يعبر النفود من الجوف ووادي السرحان إلى نجد بالإضافة إلى طريق زبيدة (زوج هارون الرشيد) الخليفة العباسي وهو طريق الحج من الكوفة في العراق إلى مكة المكرمة.

وحائل مدينة تاريخية قديمة حيث يوجد في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة آثار معبد قديم يتجه نحو بيت المقدس في المنطقة المسماة الجر، وكذلك معبد آخر يقع في جبل أجا في الناحية الشمالية في موقع يسمى الرعيلة، وقد تأثرت المنطقة بعدة حضارات إنسانية مُجاورة منها الحضارة البابلية والحضارة الآشورية في العراق وكذلك حضارات بلاد الشام كما كان لها علاقة وطيدة بدولة المناذرة في الحيرة وقد اعتبرت حائل مفتاح الصحراء العربية المُطلة على تلك الحضارات، بل هنالك نظريات تاريخية تقول إن أغلب الأقوام الجزيرية القديمة التي هاجرت من جزيرة العرب ونزحت نحو بلاد ما بين النهرين ـ العراق، وأسست تلك الممالك العظيمة وكونت حضارات عريقة كالأكديين والبابليين كانوا قد انطلقوا أصلاً من مدينة حائل.

وقد قطنت عدة قبائل عربية في مرابع تلك المنطقة عبر الأزمان، حيث كانت أجا وسلمى في السابق مساكنًا لبني أسد ثم أزاحتهم قبيلة طيء من تلك المنطقة بعد أن جاورتهم فترة طويلة وأصبحت بلاد أجا وسلمى المقر الرئيس لقبيلة طيء، وكانت قبيلة طيء قد نزحت أصلاً من بلاد اليمن واستوطنت حائل وعاشت بين ربوع جبلي أجا وسلمى، حيث يذكر ابن سعيد الأندلسي في كتابه "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب" عن أسباب هجرة قبيلة طيء من اليمن واستيطانها في حائل، حيث يقول: « تاريخ طيء: وهي الرحى الجليلة التي نزلت حين خرجت من اليمن بعد سيل العرم، على بني أسد،

فحاربتها إلى أن اصطلحتا على الجوار، فحلت طيء بجبلي أجأ وسلمى من نجد الحجاز إلى اليوم، وانتشرت في الأقطار ولها اليوم دولة العرب بالحجاز والشام. قالوا:وطيء وهو أدد بن زيد بن كهلان. قال البيهقي: طيء كثيرة الكرماء والسادة، وكانت الرياسة في الجاهلية في بني تيم الذين يقول فيهم امرؤ القيس بن حجر ملك كندة حين استجار بهم:

أقر حشا امرئ القيس بن حجر　　　بنو تيم مصابيح الظلام

وكان ملكهم المعلى الذي يقول فيه من هذه الأبيات:

فما ملك العراق على المعلى　　　بمقتدر ولا الملك الشآمي

وذكر البيهقي: من بلاد طيء المشهورة في طريق الحجاج: سميرا وفيد. وقد ذكر صاحب الكمائم أن بلاد طيء كانت في يد بني أسد، فلما خرجت طيء من اليمن تحاربت مع أسد، واحتوت على الجبلين أجأ وسلمى وما قاربهما، ثم اصطلحتا على المجاورة. ولبني أسد من القرى المشهورة: زبالة، والثعلبية، وواقصة، وغاضرة، وهي في طريق حجاج العراق. ولهم من المنازل المذكورة في الأشعار: ناظرة، والنعف، وغير ذلك مما يذكره امرؤ القيس في شعره، لأن أباه حجرًا كان ملكهم وكان امرؤ القيس يتردد في بلادهم، ثم إنهم قتلوا حجرًا فطلبهم امرؤ القيس بثأره».۞ - انتهى الاقتباس -

وقد سكن في حائل قبل الإسلام الجواد الشهير حاتم الطائي وتوفي بها، واقترنت حائل بالكرم الحاتمي. وعندما بعث الله محمدًا ﷺ وبدأ يدعو إلى الإسلام جهرًا ويرسل الوفود إلى المدن والقرى يدعوهم إلى الدخول في الدين الإسلامي، أرسل إلى حائل الصحابي الجليل علي بن أبي طالب إلى قبيلة طيء، وعندما رفضوا الدخول في الإسلام كسر علي بن أبي طالب الصنم المعروف بـ(فلس) ووجد في البلدة سيفين يقال لهما الرسوب والمخدوم فأتى بهما إلى الرسول ﷺ فوهبهما له. وقد أسر علي من ضمن السبايا سفانا أبن حاتم الطائي

---

۞ كتاب : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب \ تأليف: علي بن سعيد الأندلسي.

فلما عرض علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أسرى طئ على الرسول الكريم، نهضت من بين القوم سفانة وقالت للرسول ﷺ : يا محمد: هلك الولد وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويفرج المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبًا، أنا بنت حاتم الطائي. فقال رسول ﷺ لسفانة: هذه صفات المؤمن حقًا، ولو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه. خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق. ثم قال النبي العظيم صلوات الله عليه في سفانة: ارحموا عزيز قومٍ ذل وغنيًا افتقر وعالمًا ضاع بين الجُهَّال. (والحديث ضعيف ولم تثبت صحته). وقد مَنَّ رسول الله على سفانة بأن أطلق سراح قومها تكريمًا لها، فاستأذنته في الدعاء له، فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت سفانة أمامه: أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم، إلا وجعلك سببًا في ردها إليه. وعادت سفانة إلى قومها بعد إطلاق سراحها مع قومها فتصدت لأخيها عدي بدومة الجندل وخاطبته بقولها: يا أخي إإت هذا الرجل (تقصد رسول الله) قبل أن تعلقك جائلة فإني رأيت هديًا ورأيًا سيغلب أهل الغلبة ورأيت خصالاً تعجبني، رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيًا فللسابق فضله، وإن يكن ملكًا فلن تزال في عز اليمن. سمع عدي بن حاتم الطائي كلام أخته سفانة فذهبا قاصدين رسول الله ﷺ فأسلما وحسن إسلامهما.

وفي سنة ٨ هـ استعانت جيوش المسلمين بخيل من طيء في غزوة مؤتة وكانت لمنطقة حائل دور كبير في الفتوحات الإسلامية نظرًا لموقعها الاستراتيجي المُتميز. وفي سنة ٩هـ وهو ما سمي بعام الوفود حيث وفدت قبائل من طيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من ضمنهم زيد الخيل،

الذي حسن إسلامه وسماه صلى الله عليه وسلم بـ زيد الخير – وقد أقطع له (فيد)، وعندما أسلم عدي بن حاتم الطائي وحسن إسلامه بعثه الرسول ﷺ إلى طيء لجبي الصدقات منها. وعندما توفي الرسول ﷺ وآلت الخلافة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام فبعث رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى بنو أسد في جبل طيء ممثلاً في قائدهم طليحة بن خويلد الأسدي، وتقاتلا في موقع بزاخة وعرفت بمعركة بزاخة واستشهد فيها الصحابي الجليل عكاشة بن محصن ودفن في شراة سلمى. وبقيت طيء تدين بالإسلام في عهد الخلفاء الراشدين وكذلك في العصر الأموي وفي العصر العباسي. وكان لأهالي طيء مواقف مشرفة ومراكز قيادية منهم قحطبة بن شبيب الطائي حيث عينه أبو العباس السفاح قائدًا للجيش في خراسان. ويفتخر الشاعر العباسي أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي بقبيلته طي فيقول:

| | |
|---|---|
| ذهبتْ طَيِّءٌ بِسابِقَةِ المَجْد | على العالَمينَ بأسًا وجُودا |
| مَعْشَرٌ أمسَكَتْ حُلومُهُمُ الأرضَ | وكادَتْ مِنْ عِزِّهِمْ أنْ تَميدا |
| نَزَلوا كاهِلَ الحجازِ فأضحى | لهم ساكنوهُ طُرًّا عَبِيدا |
| منزلاً قارَعُوا عليهِ العماليقَ | وعادًا في عِزِّها وثمودا |
| فإذا قُوتُ وائلٍ وتميم | كانَ إنْ كانَ حَنْظَلاً وهَبِيدا |
| ظلَّ وِلْدانُنا يُغادونَ نَخْلاً | مُؤْتِيًا أُكْلَهُ وطَلْحًا نَضِيدا |
| بلدٌ يُنْبِتُ المَعالِي فما يَثْغِرُ | الطفلُ فيهِ حتى يَسُودا |
| ولُيوثٌ مِنْ طَيِّءٍ، وغُيوثٌ | لهُمُ المجدُ طارفًا، وتَلِيدا |
| فإذا المَحْلُ جاءَ جاؤوا سُيُولاً | وإذا النَّقْعُ ثارَ ثارُوا أُسودا |
| يَحْسُنُ الذِّكْرُ عنهُمُ والأحاديث | إذا حَدَّثَ الحديدُ الحديدا |
| في مَقامٍ تَخِرُّ في ضَنْكِهِ البِيض | على البِيضِ رُكَّعًا وسُجودا |
| مَعْشَرٌ يُنْجِزُونَ بالخَيْرِ والشَّرِّ | يَدَ الدَّهْرِ مَوْعِدًا ووعيدا |

يَفْرِجُـونَ الـوَغى إذا مـا أثـارَ الـضَّرْب ... مِـنْ مُـصْمَتِ الحديـدِ صَـعيدا

بوجـوهٍ تُعْـشي الـسّيوفَ ضِـياءً ... وسُـيوفٍ تُعْـشي الوُجُـوهَ وُقُـودا

عَـدَلُوا الهَـضْبَ مِـنْ تِهامَـةَ أحْلمًـا ثِـقـ ... الاً ورَمْـلَ نَجْـدٍ عَديـدا

مَلَكُـوا الأرضَ قبـلَ أنْ تُمْلَـكَ الأرضُ ... وقـادُوا في حافَتَيْهـا الجُنُـودا

وجَـرَوْا قبـلَ مَوْلِـدِ الـشّيْخِ إبْـراهِيمَ ... في المَكْرُمـاتِ شَـأْوًا بَعِيـدا

فهُـمُ قَـوْمُ تُبَّـعٍ خَـيرُ قـومٍ ... لهُـمُ اللهُ بالفَخـارِ شَـهيدا

بِمَـساعٍ مَنْظُومَـةٍ ألْبَـسَتهُنَّ ... اللآلِـي قَلائـدًا وعُقـودا

سائِلِ الـدهرَ مُـذْ عَرَفنـاه هـل يَعْـرِفُ ... منّـا إلاّ الفَعـالَ الحَمِيـدا

قـد لَعَمْـري رُزْنـاه كَهْـلاً وشَـيْخا ... ورأيْنـاهُ ناشِـئًا ووليـدا

وطَوَيْنـا أيّامَـهُ وليالِيـهِ ... علـى المَكْرُمـاتِ بِيـضًا وسُـودا

لم نَـزَلْ قَـطُّ مُـذْ تَرَعْـرَعَ نَكْـسُوهُ ... نَـدىً لَيِّنًـا وبأسًـا شـديدا

فَهْـوَ مِـنْ مَجْـدِنا يَـروحُ ويَغْـدُو ... في عُلـىً لا تَبِيـدُ حتـى يَبِـيدا

عبـدُ شَـمْسٍ شمـسُ العُرَيْـبِ أبونـا ... مَلَـكَ النـاسَ واصْـطَفاهُمْ عَبِيـدا

وَطِـئَ الـسهلَ والحُزُونَـةَ بالأبْطـال ... شُـعْثًا والخيـلِ قُبًّـا وَقُـودا

وأبُـو الأنْجُـمِ الـتي لاتَنِـي تُجْـري ... علـى النـاس أنْحُـسًا وسُـعُودا

نحـنُ أبْنـاءَ يَعْـرُبٍ أعْـرَبُ النـاس ... لـسانًا وأنْـضَرُ النـاسِ عُـودا

وكـأنَّ الإلـهَ قـال لنـا في الحَـرْبِ ... كُونُـوا حِجَـارةً أو حَدِيـدا

ويؤكد لنا أبو بكر المقدسي المعروف بالبشاري، في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أن منطقة حائل أو جبال طئ هي أرض حجازية وليست نجدية كما يظن البعض، حيث مرَّ المقدسي على حائل قبل أكثر من ألف عام مضى، ووثق في رحلته التي تمت ما بين الأعوام ٣٥٦هـ/٩٦٦م-٣٧٥هـ/٩٨٥م، حجازية حائل، ومرَّ أيضًا في بلدة فيد ووصفها، حيث يقول:

« فيَد مدينة صغيرة ذات حصنين وبها حمام وبركة بأبواب حديد وآثارات لعضد الدولة يوجد بها كل خير وبها يودع الحاج أزوادهم وهم ثقات وبها عيون وآبار وبرك عذيبية، وبالبعد ماء حلو وهي من مدن الحجاز لا محالة ولكن أوصلنا إليها طريق القادسية لأن الحاجة إلى ذلك ماسة. وخلف فيد بلد يُقال له المنهب كثير النخيل والمزارع، ووادي طئ وجبالها ذات نخيل وقرى وخيرات فيد بينهما، وعليهما طريق البصرة إلى الشام، فمن المنهب إلى وادي القرى خمسة ليال، ومن المنهب إلى تيماء ٤ ليال، ومن المنهب إلى وادي طئ ليلتان، ومنه إلى تبوك سبعة ليال». ۞ - انتهى الاقتباس -

والدليل الآخر على أن حائل حجازية وليست نجدية هو ما ذكره لنا أبو بكر المقدسي في كتابه الآخر "مختصر كتاب البلدان" حيث حدد نوع الشجر الذي تتميز فيه الأرض الحجازية عن الأرض النجدية، حيث حدد الطلح والسمر من أشجار الحجاز، وكل من عرف وخبر حائل يُدرك أنها بلد الطلح والسمر وعن ذلك التفصيل يقول ابن الفقيه المقدسي: «وقد قيل فرق ما بين الحجاز ونجد أنه ليس بالحجاز غضًا، فما أنبت الغضا فهو نجد، وما أنبت الطلح والسمر والأسل وواحده أسلة فهو حجاز». ۞۞ - انتهى الاقتباس -

وقد ذُكرت حائل وقراها في عدة مصادر تاريخية وجاء ذكرها في عدد من القصائد لشعراء جاهليين، وأغلب أماكن وضلعان وقلاع وقرى حائل مازالت تحمل نفس الأسماء القديمة وللآن لم تتغير مُسمياتها، كضلعي أجا وسلمى وكذلك الأماكن والقرى الأخرى، كـ مشار وعقدة وأيضًا كقرى قفار والمستجدة وفيد وموقق والسبعان وسميرا والجحفة وطابة وغيرها من مواقع وبقية القرى والأماكن الأخرى.

---

۞ كتاب : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم \
تأليف: البشاري شمس الدين محمد بن أبو بكر البناء الشامي المقدسي.

۞۞ كتاب : مختصر كتاب البلدان \
تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه ــ ١٣٠٢هـ.

ومن تلك الأبيات الشعرية القديمة التي ورد ذكرها عن حائل وجبلي أجا وسلمى وقراها، كقول الشاعر الجاهلي قبيصة بن النصراني الجُرمي الطائي:

لنا الحصنان من أجا وسلمى ... وشرقياهما غير انتحال

وتيماء التي من عهد عاد ... حميناها بأطراف العوالي

وكذلك قول الشاعر الجاهلي أمرؤ القيس:

دَعْ عَنكَ نَهبًا صِيحَ في حَجَرَاتِهِ ... ولكن حديثًا ما حديثُ الرواحلِ

كأن دثارًا حلقت بلبونه ... عقابُ تنوفى لا عقابُ القواعلِ

تَلَعّبَ بَاعِثٌ بِذِمّةِ خَالِدٍ ... وأودى عصامٌ في الخطوبِ الأوائلِ

وَأعْجَبَني مَشْيُ الحُزُقّةِ خَالِدٍ ... كمَشْيِ أتَانٍ حُلِّئَتْ بِالمَنَاهِلِ

أبت أجأ أن تسلم العام جارها ... فمن شاء فلينهض لها من مقاتلِ

تَبِيتْ لَبُوني بِالقُرَيّةِ أُمّنًا ... واسرحها غبًا بأكناف حائل

بَنُو ثُعَلٍ جِيرَانُهَا وَحُمَاتُهَا ... وتمنع من رماةِ سعد ونائل

تلاعب أولاد الوعول رباعها ... دوين السماء في رؤوسِ المجادل

مكللةً حمراء ذات أسرة ... لها حبكٌ كأنها من وصائل

وأما الشاعر عنترة بن شداد فيقول:

سلي يا عبلةَ الجبلين عنَّا ... وما لاقتْ بنو الأعجام منَّا

أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لما أَتَوْنا ... تموجُ مواكبٌ إنسًا وجنا

وأما الشاعر طرفة بن العبد فيقول:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تل ... وح كباقي الوشم في ظاهر اليد

بروضة دعمي، فأكناف حائل ... ظللت بها أبكي وأبكي إلى الغد

وقوفا بها صحبي، عليّ، مطيّهم ... يقولون: لا تهلك أسى وتجلّد

كأن حدوج المالكية، غدوة ... خلايا سفين، بالنواصف من دد

أما الشاعر الجاهلي جابر حريش الطائي فيقول:

ولقد أرانا يا سمي بحائل | نرعى القرى فكساماً فالأصفر
فالجزع بين ضباعة فرصافة | فعوارض هو البسباس مقفرا
لا أرض أكثر منك بيض نعامة | ومذانبا تندى وروضا أخضرا

وأما حاتم الطائي فيقول:

إلى الشعب من أعلى مشار فثرمد | بسقف إلى وادي عمودان بالقمر
بكيت وما يبكيك من دمن قفر | إلى بلدة مبنى سنبس لابنة العمر

وكذلك قول قيس بن جروة:

من مبلغ عمرو بن هند رسالة | إذا استحقها العيس تندى من البعد
أيوعدني والرمل بيني وبينه | تبين رويدك ما أمامه من هند
ومن أجا حولي رعان كأنها | قبائل خيل من كميت ومن ورد

وعن بلدة موقق يقول الشاعر زيد الخيل:

ونحن ملأنا جو موقق بعدكم | بني شمخي خطية وحوافرا
وكل كميت كالقناة طمرة | وكل طمر يحسب الغوط حاجزا

ويقول لبيد بن ربيعة عن بلدة فيد وهي القرية القديمة، المشهورة في حائل:

مرية حلت بفيد وجاوزت | أهل الحجاز فأين منك مرامها

وأيضًا قول زهير بن أبي سلمى:

ضحوا قليلا قفا كثبان أسنمة | ومنهم بالقسوميات معترك
ثم استمروا وقالوا إن مشربكم | ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك
يغشى الحداة بهم وعث الكثيب كما | يغشي السفائن موج اللجة العرك

وكذلك قول شاعر جاهلي من بني عقيل، الذي ذكر في قصيدته قرية السبعان(٠) حيث يقول عنها:

| | |
|---|---|
| ألا يـــا ديـــار الحـــي بالـــسبعان | عفــت حججًــا بعــدي وهــن ثمــانِ |
| فلـم يبـق منهـا غـير نـؤيٍ مهـدمٍ | وغـــير أثـــافٍ كـــالركي دفـــان |
| وآثـــار هـــابٍ أورق اللـــون ســـافرت | بـــه الـــريح والأمطـــار كـــل مكـــان |
| قفــارٌ مــروراةٍ يحــار بهــا القطــا | ويــضحي بهــا الجأبــان يفترقــان |
| يــنيران مــن نــسج الغبــار مــلاءةً | قميـــصين أسمـــالاً ويرتـــديان |

وكذلك قول الشاعر تميم بن أبي مقبل في نفس السياق:

| | |
|---|---|
| ألا يـــا ديـــار الحـــي بالـــسبعان | أمـــل عليهـــا بـــالبلى الملـــوان |
| نهـــارٌ وليـــلٌ دائـــبٌ ملواهمـــا | علـى كـل حـال النـاس يختلفـان |
| ألا يـــا ديـــار الحـــي لا هجـــر بيننـــا | ولكـــن روعـــاتٍ مـــن الحـــدثان |
| لـــدهماء إذ للنـــاس والعـــيش غـــرةٌ | وإخلقانـــا بالـــصبا عـــسران |

وكذلك قول الأعشى وذكره للجبلين:

| | |
|---|---|
| بـل هـل تـرى برقـا علـى الج | بلـــين يعجـــبني انجيابـــه |
| مـــن ســـاقط الأكنـــاف ذي | زجـــل أرب بـــه ســـحابه |
| مثـــل النعـــام معلقـــا | لمـــا دنـــا قـــردا دبابـــه |

---

(٠) السبعان: قرية صغيرة جل أهلها من فخذ المفيد من بنو العنبر من أبناء عمرو ابن تميم، وهي تقع غرب جبل سلمى وعلى خط طول (٥-٤) وخط عرض (٢-٢٧(، ويُبعد السبعان عن مدينة حائل عاصمة المنطقة حوالي الـ ٧٥ كيلو متر جنوبًا، وترتفع عن مستوى سطح البحر ١١٠٠م. والسبعان بالمُناسبة هي قرية ومسقط رأس والد المؤلف المرحوم عبد الرحمن بن صالح بن حمد الحمد البراهيم المفيدي العنبري العمروي التميمي، كما أن السبعان ورد ذكرها في شواهد سيبويه: الطويل، في قول (ألا يا ديار الحي بالسبعان)، على أن السبعان أُعرب بالحركة على النون مع لزوم الألف. وإذا نسب إليه قيل: السبعاني. (وهو لقب مؤلف الكتاب)، وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: السبعان منقول من تثنية السبع بفتح فضم، وقال أبو منصور: هو موضعٌ معروف في ديار قيس. وقال نصر: السبعان: جبلٌ قبل فلج، وقيل: واد شمالي سلم عنده جبلٌ، يقال له: جبل العبد، أسود ليس له أركان. ولا يعرف في كلامهم اسمٌ على فعلان غيره. انتهى.

كما أن لمنطقة حائل عدة ألقاب كان من أبرزها بلاد الجبلين وجبل طي، ثم حملت اسم جبل شمّر وذلك بعد أن حكمها آل رشيد أمراء شمر الأقحاح، وكانت حائل تعيش ولقرون طويلة مُستقلة بذاتها وفي حالة من الاستقرار السياسي والمعيشي في ظل حكم مدني ذاتي بسبب موقعها الجغرافي الحصين والبعيد عن مراكز القوى المُتصارعة في نجد آنذاك، وقد بقيت تلك الواحة الجبلية الغناء تعيش حالة من الهدوء والاستقرار والطمأنينة ورغد في العيش، وفرها لها موقعها الاستراتيجي الممتاز الذي بات ممرًا آمنًا لقوافل الحجيج القادمة من العراق وإيران وشعوب ما وراء النهر، وبقيت حائل في رخاء واستقلال واستقرار بالرغم من وجود قلائل وفتن مُدلهمة في بقية أنحاء نجد حيث يكثر التناحر والتقاتل بين الأُسر النجدية على السلطة في كل من مدن العارض والقصيم، إلا أن عدوى التناحر والقلاقل ستشمل حائل لاحقًا بعد أن تواصلت في علاقاتها مع إقليم العارض.

وعن أهمية الموقع الاستراتيجي الطبيعي الذي تتميز به إمارة حائل في غابر الأزمان، والذي جعلها في مأمن من أطماع الآخرين وحصنها من الغزو والاحتلال، يصف لنا الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف ذلك في كتابه "وسط الجزيرة العربية وشرقها"، حيث يُبين للقارئ أهمية وميزة ذلك الموقع الاستراتيجي المُحصن طبوغرافيًا، بأبدع وصف، قائلاً:

« ولما كانت منطقة حائل، تحيط بها من جميع الجوانب صحراء واسعة خالية من الدروب، وبما أن حائل ليس لها موانئ أو خط ساحلي للدفاع عنه في مواجهة "كلاب البحر"، مثل الأوربيين والإنجليز بصفة خاصة، الذين يُنعتون بهذه الصفة البذيئة في الشرق، وبما أن حائل تقع وسط متاهة من الجبال والصخور شديدة الانحدار، فإنها تُصبح بذلك أخر مكان في العالم، يخشى غزوًا فرنسيًا أو احتلالاً إنجليزيًا، في حين يستطيع أهل حائل من ناحية أخرى، أن يُحققوا أرباحًا طائلة عن طريق تبادل السلع المادية والذهنية مع دول تقع على قيد باع منهم».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

كانت حائل قبل ظهور الحركة الوهابية تتكون من بيئتين مُتنافرتين، بيئة بدوية موحدة تخضع لسلطة ونفوذ آل الجربا، وبيئة حضرية مُتفرقة هي عبارة عن مُدن وقرى مُحصنة تقع بين ضلعان ووديان جبلي أجا وسلمى، وكان النفوذ في البادية محسومًا لأسرة آل محمد من شيوخ شمر، لأنهم كانوا من أهل الوبر ولم يتحضروا بعد، وكانت لهم السيطرة المُطلقة على البادية ولهم أيضًا علاقات طيبة مع مدن وقرى الجبل، حتى تمت هزيمتهم على يد الوهابيين فنزحوا بكامل عربانهم إلى العراق بعد أن كُسرت شوكتهم، وأما التنافس المحلي على النفوذ في داخل حائل البلدة فيدور بين أُسر حضرية خالصة، بعضها من شمر والبعض الآخر من عشيرة العُبيد من قبيلة زبيد، وهنالك بعض القرى تُسيطر عليها أسر تميمية حضرية أيضًا كمدينة قفار والمستجدة والسبعان وغيرها من القرى، وكان آل محمد آل جربا أو الجرباء(*) أو بالأحرى الشيخ مطلق الجربا وعشيرته حليفًا لشريف مكة الشريف غالب، ومن خلال ذلك الحلف الاستراتيجي كانت له علاقات وطيدة مع بعض القبائل التي تدين بالولاء لشريف مكة، كقبيلة مطير وعتيبة وقسم كبير من قبيلة قحطان وحرب، ويبدو أن أسرة آل علي آنذاك كانوا يخشون من قوة ونفوذ آل الجربا لأنهم أهل حرب وغزو وهم مُجرد أسرة حضرية استطاعت أن تفرض سلطتها على حضر حائل، فانتهز محمد بن عبد المحسن العلي الفرصة واستغل العداء والصراع الدائر بين الوهابيين بزعامة عبد العزيز بن محمد بن سعود وبين الشريف غالب الذي سبق وأن شن حملات عسكرية ضد مناطق الوهابيين، لذا فقد وجدت أسرة آل علي أن من مصلحتها التخلص من سطوة آل جربا وتسعى لطردهم من ربوع حائل وذلك من خلال تأليب الوهابيين على الشيخ مطلق الجربا، فطلب خصوم الجربا وهم من نفس قبيلة شمر؛ دعمًا وهابيًا سعوديًا بحجة أن مطلق الجربا بات يتعاون مع شريف مكة ويؤوي قبيلة مطير العدو اللدود للوهابيين في حينه.

---

(*) يُقال لهم الجربان نسبة إلى أمهم التي أصيبت بالجدري، فأصبح لقبهم أبناء الجربا.

كل تلك المكائد والأحابيل كانت بسبب الأطماع السياسية والتطلع إلى السيادة والاستفراد بالسلطة المُطلقة على حائل، وكذلك بسبب خوف آل علي من سطوة وتسلط الأمير مطلق الجربا الذي كان يُسيطر على جل بادية الشمال، فسارع ابن علي إلى الارتماء بأحضان ابن سعود، وهو الأمر الذي كسر قاعدة الاستقلال التي عُرفت بها إمارة حائل لزمن طويل.

وعن بدايات النفوذ الوهابي في حائل يذكر لنا حسين بن غنام عن حملة حجيلان بن حمد آل أبوعليان التميمي على حائل، وسنلاحظ كيف كان ابن غنام يصور أهل حائل وكأنهم من أصحاب الديانات الأخرى غير الدين الإسلامي، وكيف كان يصف لنا حملة حجيلان على أهل حائل وكأنه كان يواجه كفار ومُشركين خارجين عن الملة والدين، وكيف كان يخيرهم بين الدخول في الإسلام الوهابي وإلا آذنهم بالحرب!.. فيقول: « سنة ١٢٠١هـ: وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان وقصد أهل الجبل فاستقر بذلك المكان، وأقام فيه مُدة أيام وليال. وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول في الإسلام في إقبال. فقدم عليه في ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن، وعاهدوا على الإسلام، ورغبوا في الدخول والاستسلام. ومن أعرض عن ذلك وصد تصدى حجيلان لحربه وقصد، وتأهب له واستعد، وأقبل عليه بالحروب والحرابة، حتى يُدين للإسلام ويفتح بابه. وأخذ أموال من امتنع في ذلك الوقت والحال، حتى طاعوا للتوحيد بالإجمال فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحال، حتى تلقى جميعهم الإسلام بأحسن استقبال».[۞] - انتهى الاقتباس -

وأما أمين الريحاني فيذكر في كتابه "تاريخ نجد الحديث ومُلحقاته" أن مطلق الجربا كان أميرًا على أهل الجبل قبل أن يهزم في معركة العدوة، وربما كان يقصد أنهُ كان أميرًا بمفهوم الإمارة الحقيقية على عموم قبيلة شمر البداة

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

القاطنين في ربوع حائل، حيث يقول الريحاني: « آل رشيد من آل خليل، وآل خليل من آل جعفر، وهؤلاء فخذ من عبدة، أكبر قبائل شمر، وفي الفتوحات السعودية الأولى كان أمير الجبل واحدًا من هذه القبيلة يُدعى الجربا، حارب آل سعود فُغلب، وأجلي وعشيرته إلى العراق، ثم أمر سعود الكبير واحدًا من آل علي في حائل وقرب منه رجال هذا البيت». ۞ - انتهى الاقتباس -

وكما هو معلوم فإن الإمارة أو المشيخة عند أهل البادية هي عبارة عن سيف ومنسف، أي شجاعة وفروسية وإجارة مع بذل العطاء والكرم، وكل تلك الصفات كانت متوفرة في شخصية الأمير مطلق الجربا فقد كان فارسًا شجاعًا مجيرًا للضعيف غير هياب وكان كريمًا معطاءً حيث كان يمتلك العشرات من أذواد الإبل وألوف من رعايا الأغنام، فكان مضيفه عامرًا ومفتوحًا للجميع، وكانت له صولة وجولة فكسب القلوب وحاز بامتياز على النفوذ والمكانة لدى عموم بادية شمر، وحظي بالشهرة والسمعة الطيبة، فترسخ مفهوم إمارته بالأفعال وليس بالأقوال، والدليل على إمارة مطلق الجربا الشهير بـ(أخو جوزاء) على قبيلة شمر في حينه هو قول أحد شعراء قفار المدعو دندل الفهيم في قصيدة طويلة له يمدح فيها مطلق الجربا، حيث يقول في بعض أبياتها:

| | |
|---|---|
| الطنايا لابته يتلون شيخ | هو عمى عين المعادي هو دواه |
| حاميه من العظيم إليا العليم | إليا سميرا واللواء عذب المياه |
| ومن شفاء تيماء إليا حد القصيم | كلها بالسيف أخو جوزا خذاه |
| ذا كلامي والملأ لي يشهدون | كل ما قلت صدق قد وفاه |

وتلك الشجاعة والمكانة المرموقة أهلته إلى تبوء سدة الإمارة مما سببت له الحسد والغيرة من أقرب الناس إليه وهم أبناء عمومته الأباعد في قبيلة شمر، وكما تقدم فإن آل علي كانوا أول الطامحين إلى سدة الإمارة والطوالة والصديد يرون أنفسهم أندادًا للجربان، ومكانة مطلق الجربا في بادية حائل، وحتى في

---

۞ كتاب : تاريخ نجد الحديث وملحقاته \ تأليف: أمين الريحاني.

قراها كانت تشكل لهم عائقًا كبيرًا، حتى أن اسم مطلق أصبح اسمًا دارجًا لدى حضر حائل بسبب سمعة وشجاعة الفارس مطلق الجربا، وكما ذكرت سابقًا فإن آل علي كانوا من وجهاء الحضر في حائل وكذلك الأمر مع شمر الطوالة والصديد فقد كانوا شيوخ سلف ولم يكونوا أمراءً بل شيوخًا على ربعهم وجماعتهم فقط، ولم يكونوا يُضاهون مكانة وفروسية وشهرة مطلق الجربا، ولهذا بدأ هؤلاء جميعًا يشعرون بالنقمة والغيرة من الأمير مطلق الجربا لما له من سمعة ونفوذ وهيبة وقد أحرقت كبودهم الغيرة فسعوا جميعهم على تحريض عبد العزيز بن محمد بن سعود على الأمير مطلق الجربا وعلى ولده مسلط الذي رفض بشدة شروط الوهابيين في إرغام قبيلة شمر على حلق الرؤوس وتقصير الشاربين؛ كما كما جرت عليه العادة لدى الوهابيين في تطبيق تعاليمهم الجديدة.

وعن مُشاركة محمد العلي والطوالة مع سعود بن عبد العزيز في معركة العدوة ضد الأمير مطلق الجربا يذكر لنا الراوية عبد الرحمن المرشدي قائلاً:

«وأول من ذكر من العلي هو عبد المحسن بن فايز بن محمد بن عيسى بن علي ابن علي ابن عطية، ثم ذكروا الأمير محمد بن عبد المحسن بن علي والذي دخل تحت طاعة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢٠١هـ هو وجماعته أهل الجبل رغبةً منهم وليس رهبة، وكان الأمير محمد بن عبد المحسن بن علي من أقوى المؤيدين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن أقوى المناصرين للدولة السعودية (الأولى) لدرجة أنهُ دخل الحرب مع ابن سعود ضد الجربان ومن معهم من شمر ومطير التي صارت بالعدوة سنة ١٢٠٥هـ، والتي انتهت بانتصار ابن سعود على شمر ومطير. وفي أواخر سنة ١٢٠٥هـ: اجتمعت قبيلة شمر وشيخهم مطلق الجربا مع قبيلة مطير وشيخهم حسن الدويش اجتمعوا في العدوة التي تقع على طريق حائل القصيم، وحينما اجتمعوا هناك غزاهم الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ومعه أمير حائل محمد وجماعته من الحضر ومعه الطوالة شيوخ الأسلم من شمر،

ويوم صارت المعركة هناك وينذبح (قتل) الشيخ مسعود شيخ الجبلان من مطير الذي يُقال له حصان إبليس، وذبح معه شيخ العبيات من مطير، وفي المعركة الثانية ذبح الشيخ مُسلط بن مطلق الجربا، وأسباب ذبحة (مقتل) مُسلط الجربا؟ حلف مسلط أن يصل إلى خيمة سعود! وفعلاً فقد وصلها لكن فرسه انخثعت (عثرت) في أطناب الخيمة وطاح من ظهرها (سقط من على ظهرها) فتدالوه الطبابيخ (فتناوشوه) بالسواطير والفؤوس وذبحوه، وعقب ذبحة مسلط انكسروا شمر ومطير وهم ينهزمون، وينهزم الشيخ مطلق الجربا ومن معه ويزبنون العراق».[۞] - انتهى الاقتباس -

ولا ننسى هنا أن آل علي هُم من أعان وساعد حجيلان بن حمد البوعلياني في حملته العسكرية التي كان يقودها لصالح الوهابيين على بلدة حائل لجعل الجبل تابعًا لسلطة آل سعود في بداية الدعوة الوهابية، ونظيرًا لخدمات محمد بن عبد المحسن قرر حجيلان بن حمد تنصيبه أميرًا على بلدة حائل، حيث يذكر صاحب كتاب "كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب" عن غزوة حجيلان للجبل فيقول: « في غزوة غزاها حجيلان على أهل جبل شمر، وغزاهم في ألفي مقاتل ومائتي فارس. وأقبل عليهم في أيام القيظ، فسلموا له بلا قتال. ولكنه قتل منهم رجلاً ساحرًا، وهدم القباب التي كانت على القبور، وسبى أموالهم. ورجع إلى أهله. ونصب شيخ الجبل محمد بن علي، وأقام يُجاهد، وقتل قرية تُسمى تيماء فيها قليب فيه تسعون دلوًا تسقي الماء. وهي مدينة قديمة. وجاهد قرية تُسمى جبة، فأسلمت وأقام يجهد نفسه بغزو أهل بيوت الشعر. وكثر ملكه، وأقام يُجاهد على ألفي ذلول ومائة وعشر رؤوس خيل. ونصر الله دينه وخذل عدوه ومضادينه. وكان الجبل ويبعد عن العراق مقدار ثمانية أيام، فصارت تحت يد ابن سعود والله المُستعان».[۞۞]

---

[۞] تسجيل صوتي مُفرغ من شريط كاسيت للراوية الحائلي عبدالرحمن المرشد عن تاريخ حائل وإمارة الجربا

[۞۞] كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. وهي مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

وعليه فقد أصبحت حائل لأول مرة تحت وصاية ابن سعود وأصبح آل علي هم العيون والأدلاء لحجيلان ومن معه في حملته على حائل، ولهذا وجدنا الأمير عُبيد بن علي آل رشيد يرد في قصيدة مشهورة له على أمير بريدة عبد العزيز بن محمد آل أبي عليان وذلك بعد هزيمة القصمان في معركة بقعاء، ويُذكره أنه سبق (أي عبد العزيز أبوعليان) وأن تبجح قائلاً بأن جدهم حجيلان سبق وأن غزا أهل حائل بدعوى صولة أهل الدين، ولكن الحقيقة لولا أن حجيلان وجد بعض الخونة والمتواطئين في حائل ممن سهل له عملية الغزو في حينه لما استطاع أن يُقدم على غزو الجبل، وعن تلك المسألة يفسر حفيد عُبيد ابن رشيد، ضاري الفهيد آل رشيد في نبذته، ما جاء في البيت الذي رد فيه عُبيد على عبد العزيز أبوعليان، الذي يقول:

يقول جدَّهُ يوم صولة هل الدين قادوا عليه ذاهبين الحمايل

حيث يُفسر ضاري الفهيد أن المقصود بـ(ذاهبين الحمايل)؛ هم آل علي الذين مهدوا لحجيلان عملية الغزو، وهو يوضح هنا أي عُبيد في قصيدته: أن أسرة آل علي الذين كانوا خصومًا ألداء لآل رشيد لاحقًا كانوا قد استخذوا من قبل حجيلان بن حمد وأعانوه على غزو ربعهم وديارهم ومهدوا له السبيل للاستيلاء على حائل والذين قضى عليهم عُبيد بن رشيد بنفسه وشتَّت شملهم وهو الأمر الذي ظنَّ عبد العزيز آل أبي عليان قريب حجيلان أنه سيتكرر من جديد على يديه في حائل، ولكن الفارس عُبيد بن رشيد قد ردَّ عليهم عدوانهم وسدَّد الدَين القديم، حيث يقول عُبيد لـ عبد العزيز أبو عليان في قصيدته الملحمية الكاملة:

يا مل قلبٍ فيه تسعة وتسعين هجسٍ وهاجوسٍ وعدل(ن) ومايل
يديرهن دولاب الأفكار تسعين بالصدر ينشر دقهن والجلايل
وأصبحت منهن خالي كود ثنتين سعدى ومصقولٍ يداوي العلايل
وخماسين غمقٍ(ن) صوابه وجوزين إليا اقرنوا قحص الامهار الأصايل
يا دارنا من جاك جيناه عجلين بالليل نسري والصفر والقوايل

فإن كانهم عنا بالانشاد محفين ... من الراس ما نعتاز دز الرسايل
جينا مع أول سربةٍ(ن) وقم الألفين ... كن الشهر به ديدحان المسايل
حضر الجبل والبدو نلحق صليبين ... يتلننا حمرات شقر الجدايل
جينا صباح وهم لنا مستكنين ... وثار الدخن من حر صلوى الفتايل
وحصل لنا عقب المواصل وفا الدَين ... وراعي السلف ردت عليه الجمايل
من فضل رب العرش عدل الموازين ... صارت على القصمان وأولاد وايل
عجاجةٍ تجلى صدى القلب يا حسين ... دبيلةٍ ما مثلها بالدبايل
كم ميمرٍ(ن) داجوا عليه الغلامين ... خلوا دماغه عن علابيه مايل
ربعي مروية السيوف المسانين ... خلو صفا بقعا من الدم سايل
واللي ذبحت بشذرة السيف تسعين ... أيضًا ولاني عن طردهم بسايل
ذبحت أبو صالح صعوط المجانين ... وأودعت دم الشيخ بالقاع سايل
واللي وطينا ما تشوف المحبين ... والكذب تنفاه العلوم الصمايل
جونا يبون ديارنا والبساتين ... يبغون منزلنا بقفارٍ وحايل
يقول جده يوم صولة هل الدين ... قادوا عليهم ذاهبين الحمايل
ودلى على ربعه يسوق الفرامين ... فيدة عماهم تايهين الدلايل
يصيح مثل البارحة ما هنا شين ... ولا حصل يا كود قطع الوصايل
واليوم يبغونا وحنا معيين ... نجدع بحد السيف من جاه عايل
أغداه بالمكحول خرط الفراقين ... وعرضاتهم بمشورفات النثايل
أطاع حكي الذايدي والسلاطين ... وكم واحدٍ قبله رمي بالحبايل
ناسٍ يبون العز منهم ذليلين ... وش قال مشعانٍ بهم بالاوايل
واليا عطوا حق الديار الهزازين ... فحنا اليا عدت علوم القبايل
ربعي على حرب المعادي ضريرين ... هم من قديمٍ كاسبين للنفايل
عند أهله اللي يلبسون التوامين ... لا جذبوا شروا بروق المخايل
يتلون عيد الضيف ريف المساكين ... الشيخ أبو متعب عزيز النزايل
إليا سلم راس الشيخ فحنا عزيزين ... نرجيه من معطي العطايا الجزايل
إليا بغا أمرٍ(ن) ما يطيع المشيرين ... الحيد شيال الحمول الثقايل
وصلوا على قنديل سكنى الحجازين ... راعي المقام المعتلي والرسايل
ومني عدد ما شمّع اللبن بالطين ... أو ما لبيت الله تشد الرحايل

ويذكر لنا الرحالة البريطاني/ السويسري بوركهارت الذي زار جدة عام ١٨١٤م، نبذة مُختصرة عن قبيلة شمر ويوثق كيف أن شيخ شمر محمد بن علي كان مواليًا للسلطة الوهابية، رغم عداء شمر المُستحكم ضد الوهابية، فيذكر لنا بوركهارت قائلاً:

« بدو جبل شمّر: "بنو شمّر"، وشيخهم المدعو ابن علي، ذو نفوذ عال لدى البلاط الوهابي، ويمتلك بنو شمّر القليل من الخيول، ولكنهم قادرون على حشد ما تعداده من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل مسلحين بالبنادق. حيث بعضهم بدو، والآخرون (حضر) زراع، وهناك جزء منهم في منطقة بلاد ما بين النهرين (العراق)، حيث أثبتوا دائمًا على أنهم أعداء ألدّاء للوهابيين. إن أكبر فروع قبيلة شمّر هم الدغيرات. وهناك آل جعفر، وهناك الربيعيه، وهم ينحدرون من قبيلة الضيغم القديمة والتي كان زعيمها عرار الضيغمي والذي تذكره الحكايات البدوية. الزقاريط: وهم ينحدرون من بني ضيغم، وهم زرّاع في جوار الإمام الحسين (رضي الله عنه)... ويسكن في جبل شمّر ونجد عدد من القبائل البدوية الأخرى، بالإضافة إلى تلك القبائل المذكورة أعلاه ولكن لم يكن بمقدوري تأكيد وحصر أسمائهم».[۞] - انتهى الاقتباس -

ثم سنرى كيف أصبح ابن علي يتلقى أوامره من قبل ابن سعود، وبات يُشكل هو وحجيلان حاكم بريدة أدوات طيعة بيد ابن سعود، حيث يذكر ابن لعبون مثلاً بعض الأخبار في كتابه "تاريخ ابن لعبون" تدل على أن ابن علي أصبح تابعًا إلى ابن سعود، حيث يقول ابن لعبون: «وفي سنة ١٢٢١هـ: حج سعود بن عبد العزيز حجته الثالثة، خرج من الدرعية ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة مضت من ذي القعدة، وكان قد سير قبل خروجه وقت خروج شهر رمضان عبد الوهاب بن عامر أمير عسير وألمع، وفهاد بن شكبان أمير بيشة، وعثمان المُضايفي أمير الطائف، وأتباعهم من أهل اليمن، وتهامة، والحجاز، وسيّر

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

قدامه من أهل نجد شوكة القصيم مع حجيلان، وأهل الجبل مع محمد بن عبد المحسن بن محمد بن فايز بن علي، وأهل الوشم وواعدهم المدينة، واجتمع معهم سعود بن مضيان الحربي وأتباعه. وفي سنة ١٢٢٩هـ: وفي محرم منها سار حجيلان، ومحمد بن علي بأهل القصيم والجبل جيشهم نحو ثلاث مئة وزيادة، ومعهم من البدو قريب ذلك وأغاروا على قبيلة حرب على عياد الذويبي، ومن معه من بني عمرو، وغيرهم بوزن الحناكية، ثم تحشدت عليهم حرب، وصارت عليهم كسرة».[۞] - انتهى الاقتباس -

لذا فقد كانت حائل في السابق وقُبيل التدخل السعودي بلدة مُستقلة شبيهة بتكوين الإمارة وإن كانت تبعيتها الدينية خاضعة لشريف مكة التابع بدوره لسلطة الخلافة العثمانية، لكنها فقدت استقلاليتها بسبب تبعية محمد بن عبد المحسن العلي لسلطة عبد العزيز بن محمد، إلى أن تولى الأمير عبد الله بن رشيد إمارة حائل فدانت له كل القبائل البدوية والحضرية في حائل، فأصبح حاكمًا مُطلقًا على جميع الأطراف والمكونات البشرية في حائل، فكون حكومة موحدة ومُتحدة ضمت الحضر والبدو معًا، وتلك أول مرة تحصل في حائل، وقد ضمت إمارته الجوف وبعض المناطق الأخرى، ثم توسعت حكومة حائل لاحقاً على يد ولده محمد "المهاد" فأستولى على إقليم العارض بأكمله وضمَّ عاصمة الوهابيين لملكه، وقد استمر الحكم من بعده على هذا المنوال، إلى أن سقطت حائل عام ١٩٢١م.

وعن انقسام قبيلة شمر إلى جهتين، حيث أصبح هنالك شمر الشمال وهم الذين قطنوا في العراق وجزء من سوريا، وشمر الجنوب وهم أهل الجبل، أي شمر حائل وما جاورها، يوثِّق لنا القائد المصري خورشيد باشا بعض التفاصيل حول هذا الموضوع في تقريره الشهير الذي أرسله لوالي مصر محمد علي باشا، عن نجد أثناء توليه حكم نجد، حيث يذكر خورشيد باشا في تقريره قائلاً:

---

[۞] كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

« وقبيلة شمر قبيلة كبيرة أيضًا، وهي أكثر عددًا من عنزة، وموطنهم الأصلي جبل شمر، ويسكنون في الطرف الشمالي من الجزيرة، المسماة "صفوق" في جوار بغداد، وهم معدودون أنهم في حكم بغداد، والتابعون إلى نجد هم أهل جبل شمر، ويبعد عن ذلك المحل (صفوق الجربا) مسافة أربع عشرة مرحلة. وحيث أنّ الساكنين حتى منتصف الطريق هم من عرب جبل شمر، فإنهم تحت حكم عبد الله بن رشيد، والنصف الآخر تحت حكم الشيخ صفوق الجربا، وهو الذي جاء في هذه السنة من إسطنبول، وبما أنّ العرب المذكورين ينقسمون إلى قسمين لا يصعب الهجوم عليهم. وحيث إنّ عبد الله بن رشيد منهم فإنه يأخذ منهم مقدار الزكاة بمساعيه، ويستفاد من استخدامه نوعًا ما. وأولئك العرب (عرب شمر) وإن كان يؤمل منهم منافع جمة، وفوائد كلية، ولكن من حيث إنّ ديارهم مقسومة قسمين، فإذا طبّقنا عليهم من هذا الطرف، انصرفوا ذاهبين إلى صفوق الجربا، في الجزيرة المذكورة، وإذا ضُيّقوا من تلك الجهة، شدّوا رحالهم، وجاءوا إلى جبل شمر. وإنّ مشيخة صفوق الجربا بسبب حصولها من إسطنبول كما كانت عليه من قبل فقد عاهد شيخها الدولة (العثمانية) على أن يخدمها بعشرة آلاف جمل، وألف رأس من الخيل، يقدّمها، وبقي شيخًا كما كان عليه من قبل. وجاء إلى محله وطلب من عرب شمر المقدار المطلوب، فلم تجب العرب طلبه. وقامت ثلاث قبائل منهم وجاءوا إلى جبل شمر، الذي هو بطرفنا، وشرذمة منهم نزلوا على عيسى (بن محمد السعدون)، حاكم سوق الشيوخ. ومن أجل ذلك ما أمكن غير الحصول على ألف أو ألفي جمل، ومائة رأس من الخيل، من أصل المطلوب. وسبب ذلك ما قلنا آنفا».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] تقرير خورشيد باشا (وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية بالقاهرة، في المحفظة ذات الرقم: (٢٦٧) ورقم الوثيقة -١٦٣) نقلها عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم في كتابه: محمد علي وشبه الجزيرة العربية - الجزء الثاني.

## ▪ معركة العدوة نقطة التحول الفاصلة :

كان لمعركة العدوة الثانية أهمية إستراتيجية كبرى وتأثير سلبي كبير على موازين القوى في شبه جزيرة العرب، ولهذا فقد أصبحت تلك الواقعة نقطة تحول تاريخية هامة بالنسبة للوهابيين لم يشعر بها خصومهم حتى ظهرت تداعياتها لاحقًا، فربما فسّر الشريف غالب بن مساعد مجريات تلك المعركة التي اندلعت بعد رحيله بين الوهابيين وبين حلفائه في حائل على أنها معركة عادية وليست بذات بال أو أهمية لأنهُ أصلاً لم يُشارك فيها ولأنها تبقى مُجرد مواجهة بدوية عابرة كبقية المعارك التي خاضها الوهابيون ضد خصومهم فينتصرون تارة ويهزمون تارة أخرى، فلم يهتم الشريف غالب بنتائج تلك المعركة الفاصلة ومرت عليه مرور الكرام، ونفس الشيء بالنسبة لمن شارك فيها في صف سعود بن عبد العزيز وخصوصًا مشايخ شمر الناقمين والحاسدين للأمير مطلق الجربا والذين سبق وأن ارتموا في أحضان عبد العزيز بن محمد بن سعود مُستفزعين به على أبناء عمومتهم، وعلى رأسهم الطوالة والصديد تحديدًا، وأما محمد بن علي فهو تابع أصلاً لابن سعود منذ حملة حجيلان بن حمد التميمي وعليه فقد كان عبدًا مأمورًا ينفذ تعليمات من نصبوه كأمير على الحضر بعد أن كان مُجرد وجيه من وجهاء حائل، وقد ارتبط مصيره بمصير الوهابيين فلم يأبه بما ستؤول إليه الأمور لاحقًا لأنهُ باع نفسه للشيطان وانتهى.

ولهذا فإن جميع هؤلاء الطامحين الحاقدين الناقمين على الأمير مطلق الجربا لم يروا أبعد من أرنبة أنوفهم، بل كانوا يجدون في تلك المعركة المُخزية فرصة سانحة لتصفية الحسابات والاقتصاص من خصمهم الكبير مطلق بن الحميدي الجربا، وربما كانوا يظنون بسذاجة البدوان أن أثر تلك المعركة سيكون عاديًا وستمر أحداثها ومآسيها حالها حال عشرات المعارك التي خاضوها ضد بعضهم البعض، وأنهم سيعودون في يوم من الأيام ليتسامروا

ويرتشفوا القهوة ويشربوا اللبن في مضيف مطلق الجربا وكأن شيئًا لم يكن، لكن تلك التخمينات أو التمنيات الشبيهة بأحلام العصافير لم تتحقق بسبب انكسار عامود البيت العامر وسقوط رأس القبيلة المُهاب وهو الأمير مطلق الجربا الذي كان يعني انكساره ضياع واندثار سلطة وهيبة شمر، وأن تلك المعركة ستقزم قبيلة شمر وتفتت كيانها فتصبح هنالك شمرين أو ربما ثلاثة أو حتى أربعة.

إذن أضاع هؤلاء الشيوخ الطامحون من شمر مجدهم وفقأوا أعينهم بأيديهم فتآمروا على أميرهم وشاركوا في نحر كبيرهم، فتحولوا إلى أتباع خاضعين ورعايا مُستخذين لدى ابن سعود، بعد أن كانوا أباة أحرار.

ونفس الشيء ينطبق على موقف الشريف غالب، فقبيلة شمر وحلفائها بقيادة الأمير مطلق الجربا كانت هي القوة الرادعة، وهي بوابة الحجاز على العراق، وحجر الصد أو الحاجز بين وهابييّ نجد وأشراف مكة، بل كان مطلق الجربا هو جسر الوصل بين مكة والأحساء، فيذكر لنا الراوية عبد الرحمن المرشدي أن الأمير مطلق الجربا شارك وقبيلته مع سعدون بن عريعر حينما هاجم بريدة وكان عليها حجيلان المؤمر من قبل عبد العزيز بن محمد، فيقول:

« والشيخ مطلق الجربا سنة ١١٩٦هـ اشتركت قبيلته شمر مع الشيخ سعدون العريعر شيخ الحسا في مُحاصرته لبلدة بريدة في القصيم والتي كان أميرها من قبل ابن سعود الأمير حجيلان بن حمد، لكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها فرجعوا». ۞ - انتهى الاقتباس -

أي أن حائل في عهد مطلق الجربا كانت هي فعلاً الرادع والمصد والحائل بين وصول هجمات الوهابيين إلى تخوم الحجاز وكانت أيضًا ملجأً لكثير من القبائل المُطاردة والهاربة من بطش الوهابيين وخصوصًا قبيلة مطير، وعليه فقد كانت قوة شمر بقيادة الجربان قوة موازنة مُعادلة لبقية القوى الأخرى في المنطقة،

---

۞ تسجيل صوتي مُفرغ من شريط كاسيت للراوية الحائلي عبدالرحمن المرشد عن تاريخ حائل وإمارة الجربا

بحيث كان الأشراف يجهزون الحملات ويشنون الهجمات على بلدات وقرى نجد، وبالمُقابل كان الوهابيون لا يستطيعون الوصول إلى الحجاز لأنهم سيجدون شمرًا وحلفائهم أمامهم يشكلون العائق في الطريق إلى الحجاز، ولهذا حينما انهزم الأمير مطلق الجربا في العدوة ونزح صوب العراق مع قبيلته أصبح مكانه فارغًا فتشتت حلفاؤه من مطير وقحطان وعتيبة وأصبحت طريق حائل سالكة للغزاة الجُدد، فوصل سعود لاحقًا بقواته إلى الحجاز واستطاع أن يُرضخ الشريف غالب ويسيطر على كل القبائل الحجازية هناك.

إذن نتائج معركة العدوة كانت كارثية على أشراف مكة وقد تمخضت عن غياب طرف وحليف قوي كان يُمثل صمام الأمان بالنسبة للحجاز وبقية المناطق، وبخروجه انقلبت الموازين واهتزت بيضة القبان، وبهذا زال أكبر عائق عن طريق الوهابيين وتحولت قبيلة شمر من قبيلة كبيرة مناوئة للوهابيين وذات قوة ضاربة إلى مجاميع مُفتتة ومفككة يسهل الاستفراد بها والفتك برعاياها وبات أغلب شيوخها أتباع لابن سعود، وأصبحت تعد من القبائل الصغيرة في جزيرة العرب وتراجعت هيبتها إلى أن أعاد لها آل رشيد فيما بعد مكانتها وهيبتها لفترة من الزمن.

وقبل أن أبدأ في سرد أحداث معركة العدوة يجب أن أعرج أولاً على قبيلة مطير تلك القبيلة العصية التي كانت تُشكل هي الأخرى عائقًا أمام الأطماع الوهابية بالتوسع، فكانت قبيلة مطير رغم تعدد شيوخها وتفرق مضاربها إلا أن غالب زعماء تلك القبيلة كانوا متفقين على عدم الانضواء تحت الراية الوهابية في بداياتهم، وكان المطران يقفون عائقًا أمام دعوة الوهابيين وطموحاتهم، ولهذا كان عبد العزيز بن محمد بن سعود يضمر لهم الحقد والضغينة، وقد استغل عداءهم مع قبيلة عنزة فاستخدم العنوز في دحر قبيلة مطير ليصفوا حساباتهم مع بعض ويشفي هو غليله، وقد جهز عبد العزيز عدة حملات ضد قبيلة مطير بقيادة ولده سعود، وكانت قبيلة مطير دائمًا في

موقف الدفاع عن النفس أمام هجمات الوهابيين الغادرة ولم يذكر أي من مؤرخي نجد ما يُشير إلى أن قبيلة مطير قد قامت بالاعتداء على الوهابيين، وعليه فلن يؤاخذ المطران إذا ما تحالفوا مع الشريف غالب ضد عبد العزيز بن سعود لأجل رد اعتداءاته المُتلاحقة، ولن يُلاموا أيضًا حينما انضموا لاحقًا لقوات إبراهيم باشا في حملته على الدرعية، لأن الوهابيين قتلوا أبناءهم ورمّلوا نساءهم ونحروا شيوخهم ونهبوا أموالهم وإبلهم وأغنامهم؛ كما يذكر حسين بن غنام وعثمان بن بشر وغيرهم من مؤرخي الوهابية، وقبيل حملة الشريف غالب على نجد كان سعود بن عبد العزيز قد شن هجومًا غادرًا مُباغتًا على قبيلة مطير في الجريسية وقتل منهم أكثر من خمسين رجلاً ثم قام بنهب أموالهم وأمتعتهم وأزوادهم واستولى على إبلهم وأغنامهم.

وعن تلك الغزوة يذكر لنا ابن غنام في مخطوطته، فيقول:

« ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف ١٢٠٥هـ: وفيها غزا سعود أدام الله له السعود فسار بالمُسلمين وجدوا السير مُشمرين وأنضوا الجياد والركاب في ذلك التسيار والذهاب، ولم يزل يعنق وينص في ذلك السير حتى قارب أن يُشرف على عربان من مطير كبيرهم الحميداني وأسلاف آخرون في أرض الجريسية مجتمعون، وقد سبق إليهم الإنذار ولكن لا يرد الحذر الأقدار فعجلت لهم قبلة وكانوا مع ذلك على مُهلة، فرحلوا وهجوا وجدوا فيه وعجوا ونادوا بالويل وضجوا، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار فحانهم بأرض الجريسية الجبار وخانهم كما هو عادته الفرار فصبحهم الجند الكرار والحزب الذي هم ليسوا في اللقاء فرار والعصابة التي هم للدين أنصار وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار، فحاولت تلك البوادي أن يردوا الفرسان العوادي وجالوا معهم في الميدان وصار بينهم قتال وقتل وطعان حتى علاهم البأس الشديد والهلاك الأكيد من حُماة التوحيد فأخذوا غير بعيد ونفذ فيهم الوعيد فانهزموا أجمعين واستولت أعقابهم خيل الموحدين وقتلوا منهم نيفًا

وخمسين وغنم المُسلمون ما معهم من الأموال ومن الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال ورجع المُسلمون بنيل الآمال». [۞] - انتهى الاقتباس -

ونتيجة تلك الهجمات الدموية الغادرة التي يشنها الوهابيون على قبيلة مطير وبسبب تلك المُطاردات والتضييق عليهم من قبل عبد العزيز بن سعود، فقد نشأت علاقة صداقة وحلف بين مطير وقبيلة شمر بزعامة مطلق الجربا، وقد وجد جزءًا كبيرًا من قبيلة مطير ملاذًا آمنًا في ربوع حائل بعيدًا عن اعتداءات الوهابيين، وتوطدت العلاقة بين الدوشان من أمراء مطير والأمير مطلق الجربا، ويبدو أن تلك الصداقة الحميمة والإخوة بين القبيلتين أغاظت عبد العزيز بن محمد ولم تعجبه وجعلته يشعر بالضيق والحقد فأراد القضاء على أولئك الحلفاء معًا، ولكن حملة الشريف عبد العزيز بن مساعد ومن بعده الشريف غالب أجلّت انتقامه من مطير وشمر، وبقي يترصدهم ويتربص بهم ثم بدأ يتحالف مع أعدائهم ويستقبل خصومهم، كما حدث في تحالفه مع قبيلة عنزة التي كانت على خلاف وحرب مع قبيلة مطير، وكذلك استقباله لابن طوالة والصديد من شمر الذين كانا على خصومة مع مطلق الجربا، كما استمرت رسائل التحريض والوشاية التي كان يرسلها عامل حجيلان في حائل محمد بن عبد المحسن العلي ضد الأمير مُطلق الجربا، حتى باغتهم سعود بن عبد العزيز مع جيشه وشن عليهم الحرب وهم على آبار العدوة.

وكما أسلفت فإن تداعيات معركة العدوة لم يُدركها الشريف غالب ولم يشعر بخطورتها ولو كان يُدرك ما ستخلفه من تداعيات كارثية وفراغ سياسي كبير لسارع بقواته وشارك الأمير مطلق الجربا في تلك المعركة الحاسمة، لأن بقاء مطلق الجربا في رئاسته وريادته لشمر حائل هو من بقاء وديمومة أشراف مكة.

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

وحتى نُلم بجميع تلك التفاصيل، لا بد أولاً أن نتتبع الأحداث ونرصد ما جرى بالضبط قبل وقعة العدوة ونُحلل أسباب تلكما المعركتين اللتين غيرتا موازين القوى في حائل وفي عموم الحجاز لاحقًا. ولنبدأ بحملة الشريف غالب على نجد، حيث سبق وأن جهّز شريف مكة المُكرمة الشريف غالب بن مساعد أخيه الشريف عبد العزيز بن مساعد في حملة عسكرية توجهت لغزو تخوم نجد لتكون عبارة عن قوة ردع واستطلاع لم يتعدَ عدد أفراد تلك الحملة بضعة مئات من المُقاتلين؛ كما ذكر لنا في كتابه مُفتي الشافعية في مكة الشيخ أحمد بن زيني دحلان، ويبدو أن الشريف عبد العزيز هذا كان غير مؤهل بما يكفي ليقود حملة عسكرية لمسافة بعيدة، وكان يجهل أساليب وتكتيكات الوهابيين في الحرب والقتال، وعندما ذهب الشريف إلى بعض القرى النجدية فرَّ أهلها من أمامه وتركوها خالية الوفاض دون أدنى مُقاومة، ثم حاصر قصر بسام في السر وبقي مُرابطًا عند ذلك القصر ينتظر المواجهة مع الأعداء، وهو لا يُدرك أن الوهابيين لا يواجهون أندادهم في المعارك بل تعودوا على الغيلة والغدر ويعتمدون على عامل المفاجأة وإذا لم تسنح لهم فرصة المُباغتة للخصم احتموا بتلك القلاع المُحصنة مؤملين على عامل الوقت، فأي قوة مهما بلغت قوتها لن تستطيع أن تبقى عدة أشهر مرابطة في صحراء قاحلة وبعيدة عن مراكز الإمداد (والوحيد الذي كسر تلك العقيدة التكتيكية الوهابية في القتال هو إبراهيم باشا)، أما سعود فقد كان يخشى المواجهة العسكرية في معركة مفتوحة وبقي مختفيًا عن الأنظار ويُراهن على صمود المُحاصرين في قصر بسام وعلى عامل الملل واليأس الذي سينتاب الشريف عبد العزيز ومن معه والذي حتمًا سينسحب في نهاية المطاف لأن ليس لديه إمكانية في أن يبقى مدة طويلة يُحاصر فيها قصرًا ليس لهُ أهمية إستراتيجية تذكر.

أما الشريف عبد العزيز وحتى الشريف غالب فقد كانا يعتقدان أن إستراتيجية الحرب وخوض المعارك لدى الوهابيين هي كسائر المعارك التي تدور في الحجاز، أي تحشد القوات وتجتمع وتتقابل الأطراف المُتحاربة ومن ثم تبدأ

الاشتباكات والقتال المفتوح، فبقي الشريف عبد العزيز ينتظر طويلاً خروج سعود ليواجهه وينازل قواته وجهًا لوجه ولم يحظى بذلك النزال، بينما كان سعود مُختبئًا يترصد ولا يجرؤ على المواجهة، ونفس الشيء بعد أن قدم الشريف غالب فلم يجد أمامه قوات وهابية يواجهها والكل بادر بالفرار من أمامه، فأضطر أن يُحاصر هو الآخر قصر الشعراء لفترة وجيزة ثم ملَّ وعاد أدراجه.

ومن يتحمل الخطأ الكبير في فشل تلك الحملة العسكرية هو الشريف عبد العزيز الذي كان المفروض به أن يُصارح أخيه الشريف غالب بحقيقة الأمر ويطلعه على ما حدث على أرض الواقع ويخبره أن الوهابيين مُخاتلون ولا يواجهون أعداءهم بل يفرون ويشنون هجمات منفردة يقودها بضعة أفراد شبيهة بحرب العصابات، وهم طوال الوقت مُختبئون ولا يتورعون في ترك رجالهم مُحاصرين في تلك القصور المهجورة ويبقى رهانهم على عامل الوقت، لكن الشريف عبد العزيز أخذته العزة بالإثم فادعى أنهُ أحرز تقدمًا في حملته على نجد وهو يحتاج لمزيد من الدعم العسكري لإنهاء تلك المهمة بنجاح، وربما يكون الشريف مُحقًا حينما شاهد الوهابيين يفرون من أمامه ولم يجد أي قوة رصينة تتجرأ على مواجهته فاعتقد أنهُ كسر شوكتهم بعد أن توغل في ديارهم ولم يجد أي مقاومة تذكر أو مواجهة ثابتة، وهو بذلك توقع أنهُ قد حقق نصرًا عسكريًا ولا ينقصه إلا الدعم العددي لكي يؤمن المناطق التي دخلها وفر منها الوهابيون، خصوصًا أن بعض الأشراف الذين رافقوه في حملته قد تململوا من فترة البقاء الطويلة واختلفوا معه ثم تركوه لوحده هناك وعادوا أدراجهم كما يذكر دحلان.

ويبدو أن الشريف غالب قد صدَّق ادعاءات الشريف عبد العزيز ولهذا سارع بالمجيء إلى نجد ظنًا منه أن أخاه قد حسم الأمور هناك وكل ما يحتاجه هو مُجرد الدعم والمُساندة، فجهَّز الشريف غالب قواته الحجازية واستدعى قبيلة حرب وعتيبة وقسم من قبيلة جهينة وأبلغ الأمير مطلق الجربا أنهُ قادم لغزو

نجد وطلب منه أن يجهز قبيلته ويلتحقوا بهم، وفعلاً وصل الشريف غالب بن مساعد إلى نجد وقد بلغت قواته عشرة آلاف مُقاتل، وحينما وصل وجد أن أخاه عبد العزيز لم يُحقق شيئًا يُذكر وأن الوهابيين قد تواروا عن الأنظار خشية المواجهة المفتوحة مع قوات غالب الضاربة، وأن الشريف عبد العزيز لم يفهم تكتيكات الوهابيين وأنهُ كان يُبالغ في رسائله ويحاول أن يكسب مزيد من الوقت. وأما عبد العزيز بن محمد بن سعود فحينما علم بقدوم الشريف غالب طلب من ولده سعود أن يبقى على استعداد وأن لا يواجه الشريف ويبقى حذرًا يترقب، وطوال فترة بقاء غالب في نجد لم يجرؤ سعود على الخروج ومواجهته خوفًا من الهزيمة، ولما سئم الشريف غالب من الانتظار قام بمُحاصرة قرية مُحصنة تُدعى الشعراء واستمر عدة أيام في مُحاصرة أهلها، فيقول دحلان أن أهل الشعراء طلبوا الصلح من الشريف غالب فصالحهم، ويبدو أنهُ قد اقتنع أن لا سبيل لمعركة مفتوحة مع الوهابيين فقرر الرحيل حيث أمر قواته أن تشد رحالها وتعود إلى الديار، وحين وصل إلى دياره أمر قبائل البدو الذين كانوا معه في تلك الحملة بأن يتفرقوا ويذهبوا إلى بلدانهم.

وعن أحداث تلك الغزوة يذكر الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام" فيقول:

« فأول غزية كانت في سنة خمس ومائتين وألف أرسل عليهم خيلاً وركابًا وجنودًا كثيرة من السادة الأشراف وغيرهم وكان الأمير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فسار بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل ويملك القرى قرية بعد قرية حتى وصل إلى عريق الدسم فشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك ضرية وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل إلى قرية يقال لها مسكة فهرب أهلها فصيرها ملكه ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل إلى اثلة ثم إلى قرية

وضاح فطلب أهلها الأمان وكذا أهل قرية الكيريتية ثم ارتحل ونزل على عنيزة قرية بسام وكان أهلها في حصن حصين فحاصرهم أيامًا ثم انتقل عنها لأن المدة طالت وسئم من كان معه من الأشراف والجنود وأراد كثير من الأشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع إلى أم القرى لأن المدة بلغت نصف عام، فهذه الغزية الأولى وهي أول الوقعات وفي مدة هذه الغزوة غزا سيدنا الشريف بنفسه على ذوي حسن النازلين بالشاقة وصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع إلى مكة سالمًا وهذه لم تحسب من الغزوات التي كانت على الوهابية أو بسببهم فهي خارجة عن عدد تلك الغزوات. وأما الغزوة الثانية من الوقعات المُتعلقة بالوهابية فهي أن سيدنا الشريف غالبًا لما طالت غيبة أخيه في الغزوة الأولى شمر عن ساعد الجد والجهد وجهز جيشًا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والألف ولم يزل سائرًا بجنوده حتى أناخ على الشعراء وهي قرية محصنة فأحاط بجوانبها الأربع وعاملها بالقنبلة والمدفع والحرب يزاد كل يوم ثم طلب أهلها الأمان فأمنهم وأراد العود إلى مكة لقرب زمن الحج وأقبل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء وأما الأشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فإنهم قابلوا مولانا الشريف غالبًا قبل ذلك في الطريق فعاملهم بمزيد الإنعام ورجعوا معه إلى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم إلى مكة ودخلوها في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة».[۞]

أما المؤرخ الوهابي حسين بن غنام وكما هي عادته فقد هلل وطبل وزمر وجعل من تلك الغزوة الفاشلة غزوة الشريف عبد العزيز والشريف غالب تتكبد أكبر الهزائم وتخسر أفدح الأرواح وهي مُبالغات سجعية اشتهر بها وعُرف ابن غنام، لأنهُ كان يُدرك جيدًا أن حملة الشريف عبد العزيز لم تجد من

[۞] كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام- فتنة الوهابية\ تأليف الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية : الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

يواجهها رغم تواضع عدد المُقاتلين في تلك الحملة، واستمر الشريف ينتظر ظهور سعود بن عبد العزيز ليواجهه والأخير مختف عن الأنظار ويخشى لقاءه، وأما حينما قدم الشريف غالب بن مساعد فلم يجد هو الآخر من ينازله فآثر الرحيل. وعن تلك الأحداث يزعم ابن غنام فيقول:

« ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف ١٢٠٥هـ: وفيها أظهر الشريف غالب كيدًا لم يُظهره قبله مُحارب ورام أنهُ لأمر الله غالب، فقاد من الجيوش والأحزاب والحضر والعرب والأعراب ما لا يُكاد يُحصر رقمه القلم في كتاب وحشد البدوان من كل شعب وفج وساقهم من كل وادٍ ونهج وجمعهم من كل ناحية وبلاد فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد وجاءوا بأهبة واستعداد، وسارت إليه الرُسل والركبان إلى جميع القرى والبلدان تطلب العون والنصرة والكل ساعده وأنجح أمره، فلم يدع بلدًا ولا قرية له أو حوله أو يظن منها الإعانة إلا أرسل فورًا رسله وركبانه ووصلوه بما يصلح شأنه ويقوي تجبره وتكبره وشيطانه وتمالأ معه الخلق كافة وما كان لهم من الله تعالى مخافة، بل جدوا معه وقاموا وسهروا في منامهم الليالي وما ناموا، فيا خيبتهم ما طلبوا وما راموا....... الخ. وجهز عبد العزيز (بن مساعد) الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم وعجله في المسير إلى نجد فسار إليها وأمّ، وانثالت أيضًا إليه من الأعراب قبائل وأصبح كل سوادهم إليه ناثل وأقبلوا بجمعهم إليه عاجل وأرتد كثير من أسلم لأجل ذلك التسيار والسير منهم حسين الدويش وعربان من مطير وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبلدة خلق كثير لا يُحصون ولا يُعدون ويُستقصون، وبدا للشرك دخان وضرام وعلا منه بالأفق قتام وجنح إلى الضلال بعد الإسلام من الناس لئام، وتبين العناد جهرا والشقاق ونفق والله سوق النفاق بل نجم وقام على ساق....... الخ. فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العربان وكافة الأعراب والبدوان وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه (قبيلة) قحطان فنزل سريعًا على قصر في السر يُقال له قصر بسام ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام، فأناخت تلك الجموع حوله وكان لهم عنده ضوضاء

وجولة وأصوات وزعقات وجلبة هائلة وضجات، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات وراموا الصعود إلى تلك الشرفات وراموا الأسباب والسلالم والكل على التسور عازم، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه فصارت تلك الحملات عليهم خزيًا ونقمات وأعقبتهم هوانًا ومذلات، فلم يدرك منهم فائدة ولم يحصل على مراد ولا عائدة، فأنصرف خاسئًا ذليلاً وأقام في أرض السر زمانًا طويلاً نحو أربعة شهور ينتظر من أخيه غالب الظهور، وفي أثناء تلك المدة المذكورة والإقامة المسطورة عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود فرجع إليه فلم ينل ما أمل من الربح والفود، فلما نزل عليه وأناخ حواليه عزم وآلى وأقسم بالله تعالى أن لا يُبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه، وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليمين فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين وينالون منهم التولي والتمكين، فدهموا بالسلالم الجدار محتدين ولبس الدروع من يُريد الصعود لأجل التحصين وأتوا ذلك اليوم بكيد ألباب أهل الدين ورعبت قلوب الموحدين، ولكن أراد الله لهم النصرة والتمكين وإعلاء كلمة المُسلمين........ الخ. وقد قتل من جماعة الشريف وقومه في المرة الأولى والثانية في يومه رجال كثيرة وصارت حالهُ في الذل شهيرة، وفي أثناء تلك الليالي والأيام أمر عبد العزيز الإمام أهل الإيمان والإسلام أن يُجردوا مواضي العزيمة ويصدقوا النية في الجهاد لذي العطايا الجسيمة فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة والمحنة التي أرجو أن تكون لكم منحة عميمة، وأرسل بهذا الإعلام والأخبار إلى المُسلمين في جميع الديار وحثهم على سرعة المجيء والتسيار فأقبلوا بعد الجهاز إليه وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه وأقام سعود في أرض رمحين عند البلدان حتى تلاحق به جميع إمداد أهل الإيمان، ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشاري مع بعض البادية أن يغزوا تلك العربان المُعادية التي هي بالشر مُبادية فنهضوا سراعًا، فلم يفجأ بعض العربان التي مع (عبد العزيز) الشريف إلا بالخيل العادية، فأخذوا بعض الإبل ورجعوا بعد حصول الأمل........ الخ. ثم بعد ذلك وصدوره بأمد غزا سعود بمن معه ونهد وجرد

مرهف البأس على أولئك القوم وجرد، فأوخذ وأعنق بذلك السير حتى صبح أسلاف مطير عربان حسين الدويش الذين هم للحرب بحد السنان وتريش، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من سنابك العِراب والأسنة تلمع في ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب والبواتر التي تميض مثل البروق في خلل السحاب أو لمعات النار في الالتهاب، فتلقتهم أولئك المطران وأقبلوا عليهم مُجتمعين في قران كأنهم أجنحة النسور والغربان، فرام أولئك العربان أن يسقوا عطاش المران من نحور أهل الإيمان، فأبى الله أن يدنس واضح غررهم هوان أو ينال من ضررهم إنسان أو يصل إلى تلك النحور التي هي ممر لألفاظ القرآن من أيدي الأعداء سنان، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره وخذل العداة بقدرته وقهره، فقتل المُسلمون منهم فوق العشرين وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين. ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى من الذل والخزي بقي حائرًا متندمًا مُتفكرًا فلم يجد له الرأي ما يفتح له المراد إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد، فأرسل إليه الرسل أننا قد أدركنا الأمل وأنا أخذنا بلدانًا فأتنا أنت والأمداد على عجل فقد رعب أهل والمحل والكل قد جبن وذل، فلما جاء بادر إلى ذلك وظهر فرجع ولله الحمد بالذلة وصدر وناوأ المُسلمين ونواهم بالقطيعة فما قدر، وبذل وسار بمدافعه وقنابره وجاء والله بالكبر وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر ولا تعبر تياره الفكر، وكانت حالهُ لكل معبر عبرة من العبر........ الخ. وكان خروج غالب في شهر رمضان الذي تُغلق فيه أبواب النيران، فلما خرج غالب ظعن (الشريف) عبد العزيز ومن معه من أرض السر وارتحل حتى وافاه أخاه غالبًا على الشعرى فاجتمع معه ونزل واستقر بهم القرار في تلك الأرض وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض ويجري منهم بأس وشدة واصطلام وحدة وسفط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الأنام وثلم الدين والإسلام ولم يخشوا قبيح الآثام يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادي به لا يصدقون (كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون)، وأقام غالب

وجموعه وجنوده وكل يوم تزجي سحب العذاب على تلك القرية رعوده ويهددهم بالاستئصال والإهلاك وعوده، وأسبابه وآلاته وكيده على مصداق قوله وشهوده، ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده، لا يُفارق نجدًا حتى تُدمرها عساكره وراياته وبنوده، ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده، ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده ويتألم لما ناله مُحبه وودوده، فرجع ولله الحمد ذليلاً مُتندمًا هو وقروده وعادت سنانير أشباله وأسوده وأرضت أرانب قفر وبغاث نسوره وفهوده...... الخ. ولما انصرف الشريف غالب مرعوبًا غير مُدرك لما هو طالب بل مقتول من جنوده كثير من الرجل مُشتت الفكر مُكدر البال، وجاء الخبر سعودًا عن رحيله وانصرافه أمر محمد بن معيقل مع بعض من المُسلمين أن يتبع أثره ويُغير عليه من خلافه، فبادر محمد لما أمر وجد في ذلك الأثر فأغار على فريق من (قبيلة) قحطان فأخذ عليهم إبلاً كثيرة ففزع عليهم منهم فرسان وجالدوا لردها فلم يقضه الله لهم فما كان وأخذ من الأفزاع خمسة عشر فرسًا نجيبة كريمة ورجع بأوفر غنيمة».[۞] - انتهى الاقتباس -

ولاحظ هنا أن حسين بن غنام يؤاخذ الشريف غالب بسبب خروجه للغزو في شهر رمضان المُبارك حيث يقول (وكان خروج غالب في شهر رمضان الذي تُغلق فيه أبواب النيران)، رغم أن الشريف قد خرج في ٢٣ من شهر شعبان كما ذكر الشيخ أحمد بن زيني دحلان الذي قال (فخرج الشريف من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والألف)، ومع هذا فربما قد وصل الشريف غالب إلى نجد في بداية رمضان بسبب بُعد المُسافة، ولكن يتجاهل حسين بن غنام ويتناسى أنهُ قد أورد في مخطوطته عشرات الأخبار الدموية التي كان يتغنى بها سجعًا وفيها غزوات غادرة قادها من يُسميه

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ -١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

بالإمام عبد العزيز بن محمد وولده سعود، حيث كانوا يُشنون تلك الهجمات العدوانية على المُسلمين في الأعياد وفي أشهر رمضان ومُحرم، ومع هذا لم يعترض حينها المؤرخ حسين بن غنام أو يصف تلك الغزوات العدوانية أنها حدثت في أشهر تغلق فيها أبواب النيران!.

وبالمناسبة فإن المؤرخ حسين بن غنام هذا يُعتبر هو النموذج التراثي الأمثل للوهابي الجامي العتيد في تقديسه وعصمته للوهابيين وموالاته العمياء لآل سعود، وإذا كان الجاميون الجُدد قد أُطلق عليهم تهكمًا مُسمى "الجامية" نسبًا للدجال الحبشي محمد بن أمان الجامي الذي باع آخرته بدنياه فاتخذ من الدين والعقيدة تجارة وتفرغ للتملق والتزلف لآل سعود المُعاصرين، فكان الأحرى أن يُطلقوا على كل من كان يُقدس آل سعود في بداية دعوة محمد بن عبد الوهاب بأغنام الوهابية نسبة للمُتملق السجوع حسين بن غنام، الذي كان يرى القشة في عيون خصوم الوهابية ولا يرى العمود في أعين ولاة أموره الوهابيين. بل إن سعود بن عبد العزيز كان قد شن هجومًا دمويًا على قبيلة مطير عند آبار العدوة في أيام عيد الأضحى المُبارك وبعد رحيل الشريف غالب بأشهر معدودة فقط، أي أنهُ قتل المُسلمين الأبرياء العُزل وهم يحتفلون في عيد الأضحى، وهذا ما ذكره عثمان بن بشر نفسه في كتابه، والذي سيأتي ذكره تباعًا.

ومن خلال ما ذكره حسين بن غنام في أن الشريف غالب قد خرج بقواته إلى نجد في شهر رمضان، وقول أحمد بن زيني دحلان أن خروج الشريف غالب بحملته إلى نجد كان في ٢٣ من شهر شعبان ١٢٠٥هـ، وقول عثمان بن بشر أن سعود بن عبد العزيز باغت قبيلة مطير في العدوة أخر أيام عيد الأضحى، يتضح لدينا أن معركة العدوة وقعت بعد مرور حوالي الثلاثة أشهر تقريبًا من رحيل الشريف غالب إلى دياره، وهو دليل قاطع على عدم مُشاركة قوات الشريف غالب في معركة العدوة، وهو دليل آخر أيضًا أن سعود بن عبد العزيز جبن وتخاذل في مواجهة الشريف غالب، ولكنه أظهر شجاعته ورجولته

وغدره بقبيلتي مطير وشمر حينما علم أن الشريف غالب قد رحل بقواته واستقر في مكة، فأراد أن يُصفي حساباته مع تلكما القبيلتين فينتقم منهما بسبب تعاونهما مع شريف مكة.

وعن وقعتي العدوة يذكر لنا عثمان بن بشر في كتابه فيقول:

« ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف ١٢٠٥هـ: وفي هذه السنة سارت العساكر والجموع من مكة سيّرهم شريفها غالب بن مساعد مع أخيه عبد العزيز إلى نجد لمُحاربة أهلها وقتالهم، فسار عبد العزيز المذكور بقوة هائلة وعدد وعدة وعسكر كثيف نحو عشرة آلاف أو يزيدون، ومعهم أكثر من عشرين مدفعًا، وكان قصدهم الدرعية ومنازلتها فضلاً عن غيرها من البلدان وهذا الأحزاب رفعت إليه الرؤوس ووقع شيء في بعض النفوس لأن الأعداء إذا تطاولت أعناقهم لأحزاب ورأوا ما معه من العدد والعدة والأسباب رجع بالفشل وخاب فلما رأوا أن الأمر جاء من الأشراف أيقنوا بالهلكة للمسلمين والإتلاف، فأقبلت تلك العساكر والجنود وسار معهم كثير من بوادي الحجاز وشمر ومطير وغيرهم، فملأوا السهل والجبل وصار في قلوب المسلمين منهم وجل، فنازلوا قصر بسام المعروف في السر، وحاصروا أهله أكثر من عشرة أيام ونصبوا عليه المدافع وضربوه ضربًا هائلاً، فكادوه بأنواع القتال وليس في ذلك القصر إلا نحو من ثلاثين رجلاً من أهله ومن هتيم وغيرهم، فلما رأى الشريف امتناع هذا القصر ولم يعطوه الدنية رحل عنهم. وكان بناء هذا القصر ضعيفًا وأهله أضعف، ولكن الله إذا قضى أمرًا كان مفعولاً. ثم سار غالب بن مساعد الشريف وتبع تلك الجموع والعساكر بعساكر ومدافع، قيل إن معه من المدافع سبعة واجتمع بـ(الشريف) عبد العزيز وجنوده ومدافعه، فسار الجميع ونازلوا قصر الشعراء القرية المعروفة في عالية نجد، واستداروا عليها بالعساكر والمدافع وحاصروها أشد الحصار وكادوها بأنواع القتال، وساقوا عليها الأبطال وجعلوا بين رصاص المدافع سلاسل من الحديد وربطوا فيها ضلوع الحديد، وضربوا بها الجدار، وأقام غالب على تلك القرية

أكثر من شهر فرحل منها على فشل. وقتل من قومه أكثر من خمسين رجلاً، وليس في تلك القرية إلا نحو أربعين رجلاً، ورجع منها إلى أوطانه، وتفرقت جموعه وعربانه. وفيها كانت وقعة العدوة وذلك أن كثيرًا من البوادي الذين ساروا مع الشريف انفردوا عنه لما رجع إلى مكة وأكثرهم من قبائل مطير وقبائل شمر ما غاب من هاتين القبيلتين إلا القليل، فانحازوا إلى الماء المعروف "بالعدوة" وهو مزرع لشمر قرب بلد حائل فنهض إليهم سعود واستنفر أهل نجد من البادي والحاضر فسار بالجيوش المنصورة وقصدهم في تلك الناحية ونازلهم ووقع بينهم قتالٌ شديد فانهزم أولئك البوادي وقُتل منهم قتلى كثيرة من فرسانهم ورؤسائهم منهم مسعود الملقب حصان إبليس، وسمرة الفارس المشهور رئيس العبيات من مطير وعدد كثير غيرهم، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة من الإبل والغنم والأثاث والأمتعة وأخذ جميع محالهم. وهذه الوقعة في أخر الأضحى، فلما انهزم أولئك البوادي وأخذت أموالهم استنفروا ما يليهم من قبائلهم وغيرهم ممن لم يحضر الوقعة وأرسلوا إلى سعود يدعونه للمنازلة وأنهم يريدون أن يسيروا إليه. فثبت لهم واقبلوا إليه مقرنين الإبل وهو على العدوة يقسم الغنائم فساقوها على جموع المسلمين فثبتوا له، وكان في مقدم البوادي مصلط بن مطلق الجربا، وكان قد نذر أن يجشم فرسه صيوان سعود، فأراد أن يتم نذره فاختطفه المسلمون وضربه رجل بمشوى قرص فطرحه عن جواده فقُتل، وانهزمت تلك البوادي لا يلوي أحد على أحد وأخذوا جميع أموالهم من الإبل والغنم والأمتعة وأقاموا في إثرهم نحو يومين أو ثلاثة يأخذون من الأموال ويقتلون الرجال، وحاز سعود جميع الغنائم من الإبل نحو أحد عشر ألف بعير. وأكثروا من الغنم أكثر من مائة ألف، وعزل الخمس وقسم باقيها على المُسلمين للراجل منهم سهم وللفارس سهمان». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

كما يذكر لنا حسن بن جمال الريكي في كتابه "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" عن معركة العدوة تلك الأحداث التي أدت إلى جلاء الأمير مطلق الجربا من بادية حائل إلى العراق، فيقول:

« وأما قبيلة شمر فهي عددًا عشرين ألفًا، وجلهم الآن تحت طاعة ابن سعود. وقد وقع من بعضهم بعض الخلاف أخر أيام عبد العزيز، فأجلاهم من أرض طيّ إلى العراق. وكبير تلك العشيرة يُقال له مُطلق الجربا، ولم تبرح إلى الآن هناك أيضًا، وشمر نسبهم يرجع إلى قحطان، وهم من طيّ القدماء، وقد غُيّر اسمهم....الخ. إلى أن يقول: ثم إن عرب الشريف، الذين كانوا مُلتجئين به من بداة نجد، تفرقوا عنه راجعين إلى أطراف نجد. فقحطان احتازوا (انحازوا) إلى تثليث، وعتيبة إلى برية مكة، كركبة وما يليها. وأما مطير فاحتازوا إلى أرض شمر، واتفقوا مع مطلق الجربا، وبادية شمر جميعها التي في الجبل. وصار بينهم وبين أهل القرى التي في الجبل حرب. فأرسل أهل الجبل إلى عبد العزيز بن سعود، أن هذا مُطلق الجربا نكث والتجأت مطير إليه، فهذا اليوم نحاربه. وكان شيخ مطير حسين بن وطبان (الدويش) رجل شجاع. فلما سمع عبد العزيز بهذا الخبر، بعث ولده سعود بجيش إليهم، ومعه بعض من عنزة وكانوا أضدادًا لمطير ومعه أيضًا بدو العارض: سبيع والعجمان وكذا هادي بن قرملة، في جماعة من قحطان. وهذه السيرة أول مُعاضدته لآل سعود وشهور شأنه في جزيرة العرب ثم صار له صيت كبير. وهذا الجيش يبلغ خمسة آلاف رجل بواردي وثمانمائة فارس. فصبح عربًا يُقال لهم البراعصة من مطير وزعيمهم اسمه مسعود، يُكنى بحصان الشيطان، وقيل: بحصان إبليس، هو الذي كنى نفسه بهذه الكنية، وهو شجاع معدود ومعه مائتا فارسٍ من رفقته، فحاربوا سعود (بن عبد العزيز) وقد قتل من فرسانه نفر. وقد قتل حصان إبليس وأولاده وأولاد أخيه، وأخذت بيوتهم وأغنامهم وكانت إبلهم غائبة في الفلاة. وبعد هذا اشتد الأمر على مطلق الجربا، وحسين الدويش، وضاقت بهم الدنيا، وكانا على ماءٍ يُسمى ياطب، يبعد عن حائل ثمان ساعات، فأقبلا

صائلين على سعود وعسكره، يريدون مُناجزة الحرب معه. فوقعت الحروب بينهم وبين سعود، فساق أولاً في وجوههم، حتى دفع جموعهم بها. ثم أعقبهم بالخيل والرجال، فقتل ولد مطلق الجربا، اسمه سلطان، وانهزمت تلك البوادي وعددهم كثير، فأخذ أموالهم وقتل من قتل وأسر من أسر، وجملة أموالهم لا تُحصى عدًا، فجلا مُطلق الجربا إلى العراق من ذلك اليوم». [۞] -انتهى الاقتباس-

ومن خلال ما ذكره حسن جمال الدين الريكي في النص أعلاه نستدل أن موقعة العدوة حدثت بعد مُغادرة الشريف غالب وتفرق العربان المُتحالفين معه، حينها قدم سعود مع جيشه وبسرية تامة كما هي عادته وباغتهم في العدوة، وأن بعض أهل الجبل أرسلوا إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود شكاوى ضد الأمير مطلق الجربا، ويبدو أن تلك الوشايات جاءت من قبل محمد بن عبد المحسن بن علي الذي يرى نفسه كبير وجهاء حائل الحضر ومن ابن طوالة لأنهما شاركا في تلك الغزوة ضد ابن عمهما مطلق الجربا مُتهمين إياه بالتعامل مع الشريف غالب وإيواء قبيلة مطير المُعادية للوهابيين والتي كانت مُناصرة بدورها للشريف غالب، ولهذا جهز عبد العزيز جيشًا جرارًا بقيادة ولده سعود للتخلص من قبيلتي مطير وشمر والمقصود بشمر هنا الجربا ومن معهم، وكان يتحرك سعود ومن معه وفق المعلومات التي كانت تردهم من قبل محمد بن علي، وكانت قد وصلت الدرعية الأخبار سابقًا أن قبيلة مطير وعتيبة وقحطان وشمر الجربا كانوا برفقة الشريف غالب في حملته الأخيرة، وحينما عادوا من تلك الحملة وتفرقوا في الديار كان سعود بن عبد العزيز يترصدهم هو ومن معه من قبائل عنزة وسبيع والعجمان وقسم من قحطان بقيادة ابن قرملة، كما جلب معه أغلب حاضرة أهل العارض حتى بلغت قواته حوالي الـ٦٠٠٠ آلاف مُقاتل، وانتهز سعود الفرصة وقرر أن يستفرد بأعدائه كل على حدة فانقض على المطران الذين كان عددهم لا يتجاوز الـ٢٠٠ مقاتل فقط

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

وهم على مورد ماء العدوة الذي يقع بالقرب من بلدتي الشنان والسبعان في حائل فهجم عليهم مُنفردين وبطش بهم وشتت شملهم وتلك كانت هي الوقعة الأولى لمعركة العدوة وكانت ضد قبيلة البراعصة والعُبيات من مطير تحديدًا دون أي وجود لقبيلة شمر، إذن المعركة الأولى جرت بين سعود بن عبد العزيز وحلفائه ضد قبيلة مطير وزعيم المطران كان فارسًا شُجاعًا لا يشق له غبار يُدعى مسعود الضبيعي من البراعصة المُلقب بحصان إبليس، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ورغم أن سعود وقواته قد أخذوهم على حين غرة حيث فاجأهم الوهابيون لوحدهم وهم قلة عند آبار العدوة فشنوا عليهم ذلك الهجوم الضخم المُباغت إلا أنهم ثبتوا وقاوموا تلك الجموع الهائلة بشراسة ولكن قلة عددهم وضخامة عدد جيش الوهابيين أدت إلى هزيمتهم ومن ثم إلى مقتل زعيمهم مسعود البرعصي وأبنائه وأبناء أخيه.

وعليه فإن ما تحاول أن تروجه بعض المصادر السعودية من أن المعركة كانت بين فريقين ابن سعود وحلفائه من جهة وبين قوات الشريف غالب وحلفائه من جهة أخرى، فهذا غير صحيح، لأن الشريف غالب رحل مع قواته قبل اندلاع معركة العدوة بثلاثة أشهر ولم يُشارك أحد من قواته في تلك المعركة ولا حتى في المعركة التي تلتها، كما أن سعود لم يكن ليجرؤ على شن الحرب على مطير وشمر لو أن قوات الشريف غالب كانت متواجدة أو قريبة من ساحة المعركة، ولهذا فقد كانت تلك المعركة التي شنها سعود على المطران سريعة ومُفاجئة ولم يعلم بها الأمير مطلق الجربا ولا حتى ضيفه الشيخ حسين بن وطبان الدويش إلا بعد أن انتهت وقد انهزمت قبيلة مطير في وقعة العدوة الأولى، وكان الجربا وقبيلته والدويش وعشيرته في حينها مقيمين على آبار تدعى ياطب في حائل تبعد عدة ساعات عن العدوة، ولهذا فكل من زعم أن معركة العدوة حُسمت بسبب عدم حماسة شمر لأن القيادة كانت لمطير فتلك المعلومات مُضللة وتدحضها الوقائع، لأن معركة العدوة كانت معركتين وليس واحدة، ثم أن سعود تعود على الغيلة وعرف عنه الغدر

ولم يكن يجرو على مواجهة خصومه وجهًا لوجه، وكل الأخبار التي دونها ونقلها عنه وعن أبيه المؤرخان حسين بن غنام وعثمان بن بشر، كانا يؤكدان بأن عبد العزيز وولده سعود جُبلا على الغدر بخصومهم وتعودا على مُباغتة البدو وهم نيام وحينما يجهزان أي حملة كانا لا يصرحان بوجهتهما ويدعيان المسير لوجهات أخرى ليضللا ضحاياهم، خوفًا من استعداد أو تجهز الخصوم.

والحقيقة لا يُعرف الفارق الزمني بين الوقعة الأولى للعدوة والوقعة الثانية تحديدًا، هل كان يوم واحد أو يومين أو أكثر، وإن كنت أرجح أن المعركة الثانية قد وقعت بعد المعركة الأولى بعدة ساعات أي بعد يوم أو يومين على أبعد تقدير لأن الأمير مطلق الجربا حينما علم بما ألم بالبراعصة والعُبيات من مطير صال بقواته يُريد مواجهة سعود في العدوة، وكما ذكرت سلفًا فإن الأسباب تفرق العربان جاءت بعد رحيل قوات الشريف إلى مكة، ولا توجد هنالك أسباب خفية دعت إلى تشتت القوتين ومن ثم تحول الأمر إلى معركتين، بل إن حقيقة ما حصل أن سعود كان يتربص بمطير وشمر لغرض الانتقام منهما، ولا يُريد مواجهتهما مُجتمعين، وكانت أخبار تحركاتهما تأتيه أولاً بأول من قبل جواسيسه الذين كانوا يرصدون تحركات شمر ومطير، ولما عادا أدراجهما من حملة الشريف غالب وبدأوا بالاستقرار في مضاربهم، انتهز سعود الفرصة وباغت المطران وهم مُنفردين على آبار العدوة حيث كانوا بعيدين عن مدد وعون الأمير مطلق الجربا ورفاقه فانهزم المطران بعدما أبدوا شجاعة فائقة ودافعوا دفاعًا شرسًا خصوصًا وأنهم كانوا قوة محدودة إذا ما قورنوا بالأعداد الهائلة لجيش سعود، حيث قدر عددهم بمائتي فارس فقط في مُقابل ستة آلاف وهابي.

ويبدو أن الأمير مطلق الجربا لما علم بنتيجة تلك المعركة قرر أن ينطلق في ساعته ويصول بقواته على الفور لمُقارعة الوهابيين في نفس مكان العدوة، وكان ذلك خطأً استراتيجيًا وقع فيه الجربا، وقيل إن الاستعجال تمَّ من قبل

ولده مُسلط الذي كان غضوبًا وسريع الانفعال وهو الذي قاد تلك المعركة الثانية، والبعض فسّر مُسارعة مطلق الجربا لخوض تلك المعركة غير المُتكافئة مع الوهابيين هو خشيته أن يقال عنه إن مطلق جبن وتخاذل عن نصرة ضيوفه وآثر السلامة فدفعته حميته وكرامته إلى الدخول في معركة محسومة النتائج لصالح الخصم بسبب عدم تكافؤ القوى بين الطرفين. وكان لزامًا على الأمير مطلق الجربا أن يتحصن هو الآخر عند آبار ياطب وينتظر قدوم سعود وجيشه لمنازلته إذا ما أراد المواجهة لأن عدوهم كان يفوقهم عددًا وعدة وقد استمكن وتمكن في موقعه وأصبحت معنويات جنوده عالية بعد أن هزم قبيلة مطير وباتت آبار العدوة هي ساحته ومورد خيوله وإبله وقد تحصن في تلك البقعة. وكان عليه أيضًا أن يُناور ويؤجل المواجهة حتى تصله إمدادات من قبل الشريف غالب، لكن الأمير مطلق الجربا قد تسرع وربما كان اندفاعه بسبب حماسة ولده مسلط واستنهاضه من قبل الشيخ حسين بن وطبان الدويش الذي رأى أبناء عمومته يُقتلون في معركة العدوة الأولى، فأسرعا معًا بقواتهما لمواجهة جيش الوهابيين في نفس المكان رغم علم مطلق الجربا بخيانة أبناء عمومته ومن ثم انكشاف ظهر قبيلة الجربا في حائل، إضافة إلى عدم التكافؤ في الموازين حيث كانت قوات سعود ستة آلاف مقاتل بينما قوات الجربا مع حلفائه قيل إنهم لم يتعدوا الألفي مُقاتل، ومع هذا كان بإمكانهم الانتصار لو لم يتهوروا ويذهبوا طائعين إلى أرض العدوة، فمكرمي نجران كان قد هزم جيش الوهابيين وهم في عقر دارهم وعددهم كان يفوق الأربعة آلاف مُقاتل بينما كانت قوات المكرمي تتكون من ٥٠٠ مُقاتل فقط.

إذن تلك هي معركة العدوة الثانية والتي حدثت هذه المرة بين قبيلة شمر البادية فقط بقيادة مسلط الجربا ومعهم عشيرة الشيخ حسين بن وطبان الدويش وبقايا فلول من قبيلة مطير الذين نجوا من معركة العدوة الأولى فانضموا لعرب الدويش وحليفه مطلق الجربا، وقد انهزمت قبيلة شمر ومن

معها من مطير بسبب عدم تكافؤ القوى وتخاذل أهل حائل الذين كانوا منقسمين وأغلبهم كان يخشى من كيد وانتقام محمد بن عبد المحسن بن علي، فقُتل في معركة العدوة الثانية الفارس المغوار مسلط الجربا وذلك بعد أن أبلى بلاءً مُنقطع النظير في تلك المعركة الضروس، فلم يفر أو يتزحزح، بل اخترق صفوف الوهابيين يريد الوصول لسعود حتى لقي حتفه.

وعن معركتي العدوة يذكر ابن غنام في مخطوطته:

«ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف ١٢٠٥هـ: وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود فسار بالمُسلمين وأدلج في ذلك السير يُريد شمر وعربان مطير ولم يبرح يجدّ في مسيره وينتضي فيه عزمًا ويجرد له همة وحزمًا حتى أدركهم عند جبل سلمى ولم يفهموا عن مجيئه خبرًا ولا علمًا، فأناخ في ذلك المكان عند ماء يُقال له العدوة وكان عنده عربان (مطير) يدعون البراعصة والعبيات قد نزلوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه دعا الله أن ينزل عليه نصره وسكينته ويثبت جنانه وأن يذل ويهزم بحوله وقوته عدوانه، وصبح أولئك الأسلاف والعربان وشنت خيله الغارة على البدوان، فعند ذلك نهض أولئك المردة العُتاة الأباليس وكلهم ما بين معلم ومقلص وشاكي السلاح ملابيس ورئيسهم ذلك اليوم حصان إبليس فطاعنوا حتى وهنوا وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده الذل وركنوا وجدوا في الدفع عن الأعمار والأموال والظعن، وبذلوا في ذلك من البأس ما لم يبذله أحد من الناس في سابق الزمن، حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوي الضلال والفتن وأجرى للموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك في السُنن، فشمروا في الانهزام والفرار وجدوا في الإدبار والانكسار وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار فمنح الله تعالى المُسلمين جميع أموال الكفار واستولوا على تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل وقتل حصان إبليس وولده، ولو أنه ركب غيره فما ذل ولا انخذل، بل أخذ يركب العقول ويعلو قلوب الفحول فضلاً عن صهوات الخيول، وقتل أيضًا منهم أبو هليبة وغيرهم من

رجال وانهزموا بأقبح حال ولما قطع الله تعالى وصلهم وجذ حبلهم وشتت شملهم تفرقت تلك البوادي والفرسان تندب من حولهم من العربان وتخبرهم بما صدر وكان. وكانت تلك البوادي ترعى الغنم وقسيم البهم في فياض أراضي سلمى، وتحسب أنها تنال بذلك أمنا وترد على رغم العداة زلال ذلك الما، وقد أغراها الشيطان في نفسها وأغواها وزين لها أن ليس أحدًا يرومها ويقواها فضلاً عن كونه يود مصادمتها ويهواها حتى أوردها من الهلاك مهواها وحينئذ وقف عليها وناداها بدعواها هذا جزاء الغواة ومثواها إنها تهلك النفوس بطغواها. فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة جرعتهم كؤوس السم الناقعة وكانت ألبابهم منها نادة فاقعة فتداعوا إلى النصرة أفواجًا وملئوا لها مهامه وفجاجًا وهيئوا لها سببًا ومنهاجًا، وانضم إليهم ممن حولهم كل ذي عمود وكان إلى تلبية الداعي إجابة وعمود ومُبادرة للإغاثة ونهود واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود، فأقبل كل منهم يولي على عدم التولي وبذل المجهود وجاءوا بالنساء والأطفال والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدود فأوردهم ذلك البغي الطريق المسدود والذل الذي كان لهم إلى حياضه ورود ونال المُسلمون بذلك الأمر المحمود، فحين أقبلوا على المُسلمين يزحفون وهم على ذلك الماء أجمعون تأهبت للقائهم الفرسان واستعدت لطعانهم الشجعان والكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان فلم يستتر بالذل والجبن منهم إنسان سوى بعض فرسان من البدوان، وكان ورودهم على المُسلمين مساءً قبل الغروب وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب وحصل لنا المُنى والمطلوب، وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب فلا يدرك الطالب منه مرامه ويجد السير والسرى والليل أمامه وقد نشر على الساري أعلامه ويعمي أثره وأعلامه، فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد وقد زين لهم إبليس أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص متاريس،

فساقوها أمامهم وصبر المُسلمون حتى قاربت خيامهم فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم فهزموهم وصارت الإبل لهم غنائم وقتل من المُشركين كثير في تلك الحملة منهم ابن الجربا من غير مهلة، وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور في الشجاعة ما لم يصل إلى أدناه دراك ولم يذكر له نظير في العرب الأتراك، ولكن تلقتهم الحُماة بالصدور وضحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور وصدقوا في الاشتراء والابتياع وقالوا والله لا نضيع ولا نضاع فأمسى كل منهم يبذل العمر مطواع وإلى الشهادة قلبه نزاع حتى حفهم مولاهم ونال منهم غاية قصده وأنزل عليهم النصر والسكينة وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة وأجرى في أعدائه سنته وأجزل على المؤمنين فضله ومنته، فانهزم أهل الضلال بعدما أفرغوا الجهد والحال (وما كان لهم من الله من وال) وكان ظلام الليل في بدو وإقبال وولوا على أعقابهم في الأدبار وكان ضوء النهار في إدبار، وكان ذلك من نتائج الأفكار ولكن الله الكريم بفضله العميم أنال المُسلمين من أموالهم ما لا يخطر على البال وأذاق الأعداء أليم الوبال، فشمر المسلمون في أثرهم الأذيال بعد أداء المكتوبات من غير استعجال وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب في أثرهم أيامًا وليال والمُسلمون في أثرهم مجدون حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون فتراجع حينئذٍ المسلمون عنهم وجمعوا جميع ما حووا منهم من الخيل والإبل والأمتعة، والغنم ما لا يكاد يُحصل مثله ويغتنم، فالذي اجتمع عند المُسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف ومن الغنم فوق مائة ألف بلا مُنازعة ولا خلاف ولا غلو في القول ولا إسراف سوى ما مات في الفلاة، فلم يكن إليه التفات ورجع المُسلمون بالعز والإقبال وباء أهل الضلال بالإذلال وقتل منهم بعض رجال منهم مسلط بن مطلق الجربا الذي زاد في الشر وأربى».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

---

[۞] كتاب : "تاريخ نجد : روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

إذن تمت هزيمة قبيلة آل جربا ومعهم قبيلة مطير، وكانت النتيجة أن نزح الأمير مُطلق الجربا وعربانه صوب العراق ولم ترضخ قبيلته قط لسلطة الوهابيين حتى بعد مقتله، بينما دانت قبيلة مطير مُرغمة لنفوذ الوهابيين إلى حين مجيء المصريين فتحالف الدويش مع إبراهيم باشا ضد آل سعود، وأما حائل فقد أصبحت تحت سلطة محمد بن عبد المحسن آل علي المدعوم من قبل القوة السعودية الوهابية، وهذا هو التحول الأول الذي جعل لابن سعود ولأول مرة موطئ قدم ونفوذ على تراب حائل، وذلك بسبب طمع وتهالك أسرة آل علي على السلطة حتى ولو كانت سلطة شكلية محدودة ومُستخذية من قبل الوهابيين، وذلك بسبب حقدهم وحسدهم للأمير الفارس مُطلق الجربا وأبنائه، مما دفع بهم إلى الانطواء تحت عباءة الغريب في سبيل التخلص من سلطة ابن العم!. ويبدو لي أن تلك الأحقاد المُدمرة لا تحدث عادة إلا في بيئات جافة معزولة تستعر فيها مشاعر الكره والغل والحسد كتلك البيئة النجدية القاسية، كقساوة الجبال الصماء في تلك الأراضي الجرداء، حيث يُصبح كل شيء مُباح ومقبول في سبيل الوثوب على السلطة، فيستبيح الأخ دم أخيه ويستحوذ الابن على سلطة أبيه، ويُغدر ابن الأخ بعمه.

وهكذا، وبعد نزوح الشيخ مُطلق الجربا وكافة عشيرته إلى العراق أصبح ابن علي حاكمًا شكليًا للجبل وشيخًا على من بقي من شمامرة الضلع في حائل، إلا أنهُ كان يخضع ويتبع لسلطة ابن سعود.

وعن مُشاركة بعض قبائل شمر الذين كانوا ضمن قوات سعود بن عبد العزيز الغازية وقاتلوا أبناء عمومتهم شمر الجربا ومن معهم، يذكر لنا الراوية الحائلي عبد الرحمن المرشدي في أحد أشرطته، حيث يقول:

« وفي أواخر سنة ١٢٠٥هـ: اجتمعت قبيلة شمر وشيخهم مطلق الجربا مع قبيلة مطير وشيخهم حسين الدويش اجتمعوا في العدوة التي تقع على طريق حائل القصيم، وحينما اجتمعوا هناك غزاهم الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ومعه أمير حائل محمد بن علي وجماعته من الحضر ومعه

الطوالة شيوخ الأسلم من شمر، ويوم صارت المعركة هناك وينذبح (قتل) الشيخ مسعود شيخ الجبلان من مطير الذي يُقال له حصان إبليس، وذبح معه شيخ العبيات من مطير، وفي المعركة الثانية ذبح الشيخ مُسلط بن مطلق الجربا، وأسباب ذبحة (مقتل) مُسلط الجربا: حلف مسلط أن يصل إلى خيمة سعود! وفعلاً فقد وصلها لكن فرسه انخثعت (عثرت) في أطناب الخيمة وطاح من ظهرها (سقط من على ظهرها) فتدالوه الطبابيخ (فتناوشوه) بالسواطير والفؤوس وذبحوه، وعقب ذبحة مسلط انكسروا شمر ومطير وهم ينهزمون، وينهزم الشيخ مطلق الجربا ومن معه ويزبنون العراق».[۞] -انتهى الاقتباس-

ولا أدري عن مدى صحة ما أورده الراوية عبد الرحمن المرشدي وقد لمح له أيضًا عثمان بن بشر في كتابه، وذلك بالقول بأن فرس مسلط ابن مطلق الجربا كانت قد عثرت بأطناب خيمة سعود بن عبد العزيز فهوت الفرس على الأرض وسقط عن ظهرها مسلط وأنهال عليه الطبابيخ بالفؤوس فقتلوه، لأن نفس حادثة عثور الفرس رواها أيضًا عثمان بن سند في كتابه "مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود" وقال إنها تسببت بمقتل الأمير مطلق الجربا، فذكر أن فرسه هو الآخر تعثرت بعنز فهوت الفرس بفارسها، وسقط مطلق عن ظهرها فتناوشه الفرسان وقتلوه.

وعن تلك الحادثة يقول عثمان بن سند: « ومن وقائع السنة الثانية عشر بعد المائتين والألف ١٢١٢هـ: أن سعود بن عبد العزيز المُبتدع غزا بني المنتفق، فصبّح القرية المعروفة بأم العباس، فقتل منها خلقًا كثيرًا ونهب وحرق ثم كرّ راجعًا إلى الدرعية، وحمود (ابن ثامر السعدون) إذ ذاك كان في البادية، فلما بلغه الخبر جدّ في السير ليدركه فما أدركه، وفي أثناء رجوع ابن سعود أغار على بادية العراق، وكان مطلق بن محمد الجربا، نازلاً في بادية العراق، فلما صبّحهم سعود فرَّ من فرَّ وثبت من ثبت، وقاتل مطلق، وكان يكرّ

---

[۞] تسجيل صوتي مُفرغ من شريط كاسيت للراوية الحائلي عبدالرحمن المرشد عن تاريخ حائل وإمارة الجربا

على الفوارس كرير الأسد، فبينما هو يعدو خلف ابن سعود إذ عثرت فرسه في عنز فسقط هو والفرس، فهجمت عليه الفرسان حتى قتلوه، وكان قتله عند ابن سعود من أعظم الفتوحات. ومطلق هذا من كرام العرب عريق النجار شريف النسب من أشجع الشجعان وأبرز الفرسان الذين لا يمتري بشجاعتهم إنسان، له مواقف يشهد لها في السنان والقاضب ووقائع أعترف له بالبسالة فيها العدو والصاحب. وقبل هذه الواقعة صارت لمطلق مع ابن سعود واقعة أخرى قتل فيها ابنه مسلط، وبعد واقعة مسلط توجه إلى الشام وصحب أحمد باشا الجزار إلى البيت الحرام، ثم رجع إلى العراق عازمًا على أن لا يترك الجهاد على الوهابية، فلا زال (يشارك في) الغزو والقتال إلى أن استشهد في هذه الواقعة». ۞ -انتهى الاقتباس-

وكذلك أورد تلك الرواية عثمان بن بشر في كتابه "عنوان المجد" حيث ذكر هو الآخر أن فرس مطلق الجربا قد تعثرت بنعجة وليس عنز، وأنهُ سقط على الأرض هو وفرسه فأدركه أحد شيوخ السهول المدعو خزيم بن لحيان وقتله، حيث يقول ابن بشر:

« ثم دخلت السنة الثانية عشر بعد المائتين والألف ١٢١٢هـ: وفيها في رمضان سار سعود بن عبد العزيز بالجنود المنصورة من جميع نواحي نجد وبواديها وقصد الشمال وأغار على سوق الشيوخ، وقتل منهم قتلى كثيرة وانهزم منهم أناس وغرقوا في الشط. ثم سار وقصد جهة السماوة وأتاه عيونه وأخبروه بعربان كثيرة مُجتمعين في الأبيض الماء المعروف قرب السماوة فوجه الجيوش وأغار عليهم على مائهم ذلك. وكانت تلك البوادي كثيرة من بوادي شمر ورئيسهم مطلق بن محمد الجربا الفارس المشهور ومعه عدة من قبائل عربان الظفير وأل بعيج والزقاريط وغيرهم، فحصل بينهم قتال شديد وطراد خيل ثم حمل عليهم المسلمون فدهموهم في منازلهم فقتل عدة رجال من فرسان شمر والظفير وغيرهم، وقتل في ذلك اليوم مطلق الجربا المذكور وكان على جواد سابق وهو يقلبها يمنة المُسلمين ويسرتهم.

فعثرت به جواده في نعجة وأدركه خزيم بن لحيان رئيس السهول وفارسهم فقتله، وغنم المسلمون أكثر محلتهم وإبلهم ومتاعهم وقتل من المُسلمين عدة رجال من بني خالد نحو خمسة عشر رجلاً منهم ابن عبد المحسن رئيس بني خالد ومحمد العلي رئيس المهاشير». ۞ - انتهى الاقتباس -

والحقيقة أن مسألة تكرار حكاية عثور الفرس بين حادثة مقتل الابن وأبيه غير مُقنعة تمامًا، ومعروف أن مطلق الجربا قد قُتل غدرًا من قبل خزيم بن لحيان الذي تعهد لعبد العزيز بن سعود أن يخلصه من كابوس مطلق الجربا، ويذكر الرواة الشعبيون أن مطلق الجربا كان قد قتل غيلةً على يد خزيم بن لحيان السهلي، وذلك عندما تواجه هو ومطلق الجربا في الأبيض وهم على ظهور الخيل، فطرحه مطلق الجربا عن فرسه وحينما سقط ابن لحيان من على ظهر جواده على الأرض وهَمَّ أن يطعنه، قال لحيان لمطلق: "أنا في جيرتك يا الجربا" فنزل مطلق من فرسه لكي ينهضه من على الأرض، ومد له يده ولكن ابن لحيان كان يُخفي خنجرًا في ملابسه، فطعن مطلق فخر صريعًا، هذا ما تتداوله الروايات عن حقيقة مقتل مطلق الجربا، ويبدو أن عثور فرس الابن مسلط الجربا قد اختلطت على بعض الرواة فكرروها في حادثة مقتل الأب مطلق الجربا.

ومع أن ابن لعبون ذكر في تاريخه خبر مقتل مطلق الجربا لكنه لم يورد كيفية أو تفاصيل مقتله، فيقول: « وفي سنة ١٢١٢هـ: وفيها في محرم قُتل ولد مطلق الجربا وأخوه قرينيس، وهم عادون على عرباننا، وفيها سار سعود في رمضان وعدا على المجرة وقتل في أهل الجرف، وغرف وغنم بما سار إلى الشمال، وواقع بادية الشمال شمر وبعض الظفير بالزرقاء والحومانة من أرض الأبيض، وقتل مطلق الجرباء وعدة رجال معه من شمر والظفير وأخذ عليهم نعمًا ومتاعًا كثيرة ، وقتل من المُسلمين براك بن عبد المحسن آل عبيد،

---

۞ كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

ومحمد العلي المهاشير، ومعهم من بني خالد نحو خمسة عشر حيل عليهم، وجميع القتلى نحو ٩٠٠ ومن العد وأكثر».[۞] - انتهى الاقتباس -

أما التنافس الداخلي الذي سبق حكم آل رشيد لحائل، ولنقل التنافس الحضري المحموم وليس البدوي كون أغلب الأسر التي قطنت مدن وقرى حائل كانت أسر حضرية صرفة رغم بعض جذورها البدوية، فقد نشب الصراع بين زعيم العُبيد (بضم العين) من قبيلة زبيد الأمير بهيج بن ذيبان السنبسي الطائي الذي كان قد استفرد بإمارة حائل، وبين الضياغم من شمر، ويبدو أن قبيلة العبيد آنذاك وهي فرع من قبيلة زبيد الطائية لم تكن لها أكثرية طاغية في نواحي حائل، فتم التغلب عليهم من قبل أفخاذ شمر المتُعاضدة مع بعضها البعض، ومن ثم تمَّ إجلاء بهيج وعشيرته العبيد من عقدة حائل إلى حويجة العراق، حيث رُحل بهيج من حائل (أجلي قسرًا) إلى مدينة الحويجة في الجزيرة الفراتية بالعراق، كما هو معروف، حيث يقول متوجدًا على دياره:

يقول بهيج بن ذيبان مثايل ... دمعه على الأملاك دون الشلايل

جلونا عن ديارنا العذبات شمر ... قراح وبرد ماء يداوي الغلايل

ونحينا رقاب الذود عنهم وغربنا ... وعين (الزبيديات) لنجد مايل

إليا صار ما عدلٍ(ن) يعادل عديله ... ما ينقعد بالدار والشيل مايل

وليا صار ماحق الفتى بذراعه ... هبيت يا حقٍ(ن) يجي بالدخايل

صبار على البعد بسوء فعلهم ... وبالنسب ما يوجد لهم بالقبايل

ضياغم (ن) يساوي والله قبيلة ... إيلا تعلوا مكرمات الاصايل

ضياغم(ن) قطّيع قحطان جدهم ... بعاد المدالي من أعز القبايل

---

۞ كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

وعن تلك الحادثة التي أودت إلى جلاء بهيج الطائي من حي عقدة في حائل، يوثق لنا الأمير عُبيد بن رشيد النزر اليسير من ذلك الحدث في قصيدة مشهورة له، كان قد وجهها إلى بعض زعماء شمر من البدو المُتذمرين على حكم آل رشيد الحضر، فيذكرهم عُبيد بمصير بهيج لعلهم يرعون، حيث يقول:

| | |
|---|---|
| شـارخ اركـب فـوق نـابي النـسانيس | حـر عريـبٍ(ن) مـن هـذايب نـداها |
| سـيّر علـى عـدوان ونـوّخ علـى نعـيس | الـدار دار اللـي بـسيفه خـذاها |
| الـدار لليتمـان لـو يزعـل نعـيس | لـو تزعـل التومـان واللـي وراهـا |
| دارٍ لنـا مـن قبـل طـي إلى قـيس | بالـسيف صـبيان الـضياغم حماهـا |
| أبـو طـلال الـشيخ ذيـب الملابـيس | كـم هجمـةٍ يقطـع رجـا مـن رجاهـا |
| قبلـك بهـيجٍ حـدّروه الـسناعيس | مـن عقـدة اللـي مـا يزحـزح قناهـا |

ولهذا فيبدو أن الحكم في حائل قبل أن تتغلب قبيلة شمر على الرئاسة كان لقبيلة العبيد الطائية، وأن الإمارة كانت للأمير بهيج بن ذيبان السنبسي الذي تغلب عليه سناعيس شمر فآثر الجلاء حفاظًا على إبائه وكرامته.

ولهذا فإن حائل كانت مُستقلة بذاتها، وكما قلت فإن أول ملامح التبعية لقوى خارج حائل بدأت إبان حكم أسرة آل علي الذين قبلوا بتبعيتهم إلى حُكَّام الدرعية والرياض فيما بعد، لأسباب داخلية وأخرى خارجية، مما جعلهم يدفعون ضريبة الهزائم السعودية على يد القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا، حينها بدأ التنافس والصراع العائلي داخل مراكز النفوذ في حائل، وهنا برزت أسرة آل رشيد من آل جعفر وهم أبناء عمومة آل علي وسطع نجمهم فظهروا كمُنافسين وأنداد أقوياء لتلك الأسرة المُهادنة التي كانت تحكم حائل والتي تُدين بالولاء تارة لشريف مكة وأخرى لأمراء الدرعية، وحينما حاول عبد الله بن رشيد أن يطرح نفسه كخصم ومُناوئ عنيد لتلك الأسرة المؤمرة على حائل، تمَّ قمعه وجرت محاولات لاغتياله والتخلص من طموحاته

**المشروعة، مما اضطره للهروب خارج مدينة حائل يبحث عن حلفاء أو أنصار يستطيع من خلالهم الوثوب أو السيطرة على الحكم في حائل.**

**وعن تلك الحالة من التحدي والمُلاحقة التي مرَّ بها الأمير عبد الله بن رشيد في بداياته يذكر لنا الرحالة الفنلندي جورج أوغست ڤالين(•) ، الذي زار مدينة حائل مرتين، كانت الأولى في عام ١٨٤٥م في عهد الأمير عبد الله بن رشيد، وقد التقى الرحالة الفنلندي ڤالين بأمير حائل شخصيًا، والذي يُعتبر الأجنبي الوحيد الذي قابل الأمير والفارس المشهور عبد الله بن علي بن رشيد، والذي يؤكد هو الآخر في كتابه الدور الكبير الذي لعبه عبد الله بن رشيد في التخلص من مشاري بن عبد الرحمن، لكنه لا يُفصل في تلك الحادثة، حيث استقى ڤالين معلوماته من قبل أهالي حائل وليس من لسان الأمير نفسه، ويبدو لي أن ڤالين لم يسأله عن تلك الحادثة وكذلك الأمير عبد الله بن رشيد لم يُفصل الحديث عما وقع، ولم يفصح للرحالة عن أحداث ما جرى منعًا للإحراج، إذ من غير المقبول أخلاقيًا أن يتباهى الأمير بشجاعته لأنهُ قام بقتل ابن عم صديقه الأمير فيصل مهما كانت الأسباب، وربما أيضًا لم يرغب أن يسرد أمام الآخرين بطولاته فيبدو وكأنه شخص مغرور يتفاخر أو يتباهى بأفعاله بدون مُبرر. إلا أن الرحالة الفنلندي ڤالين يوثق لنا هنا مسألتين مهمتين قد تنفعان القارئ وكل الباحثين عن الحقيقة، المسألة الأولى: وهي أن الأمير السعودي فيصل بن تركي لم يُرسل قوات أو دعم عسكري مع عبد الله بن رشيد عندما عاد إلى حائل فاتحًا، كي يستعيد مكانته ويطرد أحد أبناء عمومته الأباعد، والمقصود هنا هو عيسى بن علي آل علي الحاكم آنذاك، فصحيح أن فيصل بن تركي لم ينس معروف وجميل عبد الله بن رشيد في عملية التخلص من أشرس**

---

**(•) جورج أوغست ڤالين: هو رحالة فنلندي قيل إنهُ قد أسلم، وقد عرف عربيًا باسم "عبد المتولي". ويخطأ الكثير من المُترجمين والكتاب العرب في قراءة اسم الرحالة جورج ڤالين، حيث يكتبون ويلفظون اسم عائلته باسم والين، ولأن اللغة الفنلندية ومثلها السويدية وغيرها من بقية اللغات الإسكندنافية تكتب حرف (W) ولكنهُ يقرأ بلغة القوم بصوت حرف (V) لأنهم يعتبرون حرف الدبليو، هو عبارة عن ـ دبل ڤي ـ، لذلك يظن القارئ العربي أن اسم الرحالة ڤالين هو والين. لذا اقتضى التنويه من قبل الكاتب.**

**وأخطر أعدائه وهو ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن، لكن فيصل لم يُقدم لعبد الله بن رشيد أي دعم عسكري، ولم يُبادر بإرسال رجال معه كقوات دعم تُعين عبد الله وترجح كفته ضد خصمه اللدود ابن علي المُتحصن والمُتمكن في حائل، بل كل ما قام به فيصل هو أنهُ قد أعلن تخليه عن دعم أمير حائل عيسى بن علي كونه كان مُبايعًا لتركي بن عبد الله بالرغم من تبعيته للوالي العثماني في المدينة المنورة، والغريب في أمر عيسى بن علي أنهُ جاء بإرادته ليُبايع تركي بن عبد الله المُطارد من قبل المصريين، رغم أن تركي لم يرسل عليه ولم يطلب منه البيعة لكن جبنه وخواره دفعه للمجيء وتقديم تلك البيعة، ربما اعتقادًا منه بأنهُ يتجنب المشاكل ويحصل على الدعم من الجميع، حيث يذكر ابن بشر في كتابه: «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ١٢٤٣هـ: وفيها وفد عيسى بن علي رئيس جبل شمر على الإمام تركي ومعه رجال من قومه فبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة».[۞]** - انتهى الاقتباس -

**ولذلك أبلغ فيصل بن تركي صديقه عبد الله بن رشيد أنهُ قد خلع ابن علي وتخلى عنه وسوف لن يدعمه ضد عبد الله بن رشيد في صراعهم على الإمارة وذلك ردًا لمعروفه دون أن يجهزه بأي قوة. ويبدو أن سبب تهاون فيصل بن تركي وعدم دعمه لـ عبد الله بن رشيد عسكريًا كان خشية من أن يستفز الوالي العثماني في المدينة المنورة الذي هو صاحب القرار في تعيين الأمير في حائل، ولهذا آثر فيصل بن تركي عدم التدخل في الأمر خصوصًا وهو يمر بظروف صعبة جدًا بعد خيانة ابن عمه مشاري، ولم يكن بوارد أن يتخلى عن أي فرد من أفراد قواته لصالح عبد الله بن رشيد خوفًا من حدوث مشاكل وقلاقل في الرياض أو ربما حدوث ردات فعل ارتدادية على مقتل مشاري من قبل مؤيديه أو عبيده المتعاطفين معه، وهكذا ترك صديقه عبد الله بن رشيد لوحده يقلع أشواكه بيديه ويُلاقي مصيره، أي كما قالت اليهود**

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

لموسى: (يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أنت وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون).

وهكذا ذهب الأمير العصامي الجريء عبد الله بن رشيد بمفرده ودخل حائل بجهده الذاتي وبمعونة أخيه الذئب عُبيد، بعد أن ضمن تخلي فيصل بن تركي عن دعم أمير حائل صالح بن علي، وقد راسل عبد الله أقرباءه ومؤيديه في داخل حائل، ومن ثم نجح في الانقضاض على خصمه ابن علي، فقام بطرده بمُساعدة شقيقه الفارس المشهور عُبيد بن رشيد، الذي قام بمُطاردة آل علي جميعهم بعد هروبهم من حائل، وقتل منهم من قتل قرب قرية قصر السُليمي على طريق المدينة المنورة.

وعلى عكس تصرف فيصل بن تركي مع عبد الله بن رشيد حيث تركه يواجه مصيره لوحده، لاحظنا كيف كانت ردة فعل عبد الله بن رشيد وشهامته مع فيصل حينما قام بدعمه بالرجال والمال والرحائل، وذلك عندما فرَّ فيصل بن تركي من مصر، ولجأ إلى الأمير عبد الله بن رشيد في حائل، حيث أرسل معه عبد الله بن رشيد قوة عسكرية بقيادة شقيقه عُبيد، والتي كان لها دور كبير في التخلص من الأمير عبد الله بن ثنيان، وعودة فيصل للحكم مرة ثانية.

المسألة المهمة الأخرى أن عبد الله بن رشيد كان قد طلب الشرعية لحكمه من خلال الباب العالي مُمثلة بالحاكم التركي في الحجاز وعليه فإن السلطة العليا آنذاك كانت للأتراك في منح الشرعية في الحكم، وليس لابن سعود كما يزعم البعض، حتى وإن كان فيصل حينها ذا سلطة إلا أنهُ ليس له نفوذ مُطلق أو سلطة على حائل تحديدًا، لكن ذهاب عيسى لمبايعة تركي كان اجتهادًا شخصيًا منه يُصنف على أنه خوار وجبن، لأن تركي بن عبد الله وولده فيصل كانا هما أيضًا يطلبان شرعيتهما من قبل الباب العالي في اسطنبول، حيث أرسل تركي عدة رسائل للباب العالي يتوسل فيها الخليفة العثماني ويطلب منه قبوله واليًا على نجد تحت سلطة الخلافة. ثم رأينا كيف قام الأمير عبد الله بن رشيد بإرسال شقيقه عُبيد بهدية كبيرة للحاكم التركي في المدينة المنورة قيل إنها

كانت عبارة عن ألفين من الإبل ومبلغ من المال مع هدايا أخرى، لكي يكسب ود الوالي العثماني في المدينة المنورة ويستميله لصالحه، بعد أن نجى عيسى بن صالح بن علي ولجأ إلى الحاكم التركي هناك ليحرضه على ابن رشيد. وكلنا يعلم أن الحاكم التركي أو المصري القائم في الحجاز تكون مرجعيته في القاهرة ثم الباب العالي في اسطنبول، وتكمن أهمية ذلك الحاكم العسكري في ترشيح أو تزكية أي أمير عربي محلي يرغب بتولي الحكم أو الولاية على أي منطقة في جزيرة العرب، وكثيرًا ما مرَّ علينا أن قام أحد الأشراف في مكة المكرمة بالسيطرة على الحكم أو الانقلاب على ابن عمه، وشاهدنا كيف تكون ردة الفعل للباب العالي، حيث يصدر فرمانًا سلطانيًا يقضي بتولية أحد الأشراف غير ذلك المنقلب، ثم يأتي ذلك الشريف مُعززًا بقوة عسكرية مصرية أو تركية، حاملاً ذلك الفرمان الخاص بتعيينه. إذن تبقى مسألة الاختيار وترجيح كفة على أخرى، متوقفة على رأي ذلك الحاكم أو الضابط العثماني، وهذا ما رجح كفة عبد الله بن رشيد مبدئيًا بعد أن أثبت قوته وضعف خصمه، ومن ثم استطاع من خلال تلك الهداية القيمة أن يكسب ود الحاكم التركي الذي أقره على إمارة حائل. وحتى حينما ساند المصريون لاحقًا عيسى بن علي؛ على العودة مرة أخرى لحائل، لم يستطع البقاء طويلاً، وفرَّ هاربًا لا يلوي على شيء، ويبدو لي أنها كانت الفرصة الأخيرة الممنوحة لآل علي من قبل الباب العالي ليستعيدوا مكانتهم، وقد فشل فيها عيسى وانتهى أمره إلى غير رجعة.

ومن خلال ما ذكره ذلك الرحالة الفنلندي جورج أوغست ڤالين، يُثبت أن الأمير عبد الله بن رشيد كان رجلاً عصاميًا شق طريقه بمجهوده الفردي، ومن ثم حصل على الإمارة بجهده الخاص وبشجاعته المنقطعة النظير وكذلك بدعم من قبل شقيقه الفارس عُبيد بن رشيد، ولم يتلقَ أي دعم عسكري خارجي لا من قبل صديقه فيصل بن تركي ولا حتى من قبل الأتراك أنفسهم، حيث صنع نفسه بنفسه حتى أصبح وجوده أمرًا واقعًا. ومن ثم اعتمدت

**شرعية أسرته الحاكمة من بعده على اعتراف وتأييد الباب العالي في الآستانة بسلطتهم، وهو الأمر الذي بقي عليه آل رشيد أوفياء وأمناء إلى أن زالت دولتهم بتخطيط ورغبة إنجليزية مُلحة.**

**وحول تلك الأحداث يذكر لنا الرحالة الفنلندي جورج أوغست ڤالين، قائلاً: «قال لي أبناء حائل إن عبد الله بن الرشيد حكم قبيلة شمر عشر سنوات تقريبًا وكان صالح بن علي؛ سلفه وابن عمه؛ قد نفاه خوفًا من نفوذه واعتبار الناس له، فلجأ عبد الله إلى الرياض، التي صارت عاصمة نجد بعد تدمير الدرعية، وأقام فيها الأمراء الوهابيون من آل سعود، وحاكمهم آنذاك الأمير العاثر الحظ تركي بن سعود والد فيصل حاكم نجد الحالي، فأنضم عبد الله إلى حملة قام بها فيصل على ضواحي الأحساء، وفيما هم في الغزو جاءهم نبأ بمقتل الأمير تركي، قتله ابن عمه مشاري وأعلن نفسه حاكمًا بعده على نجد، واحتل قصره وطرد زوجاته ونساءه وجميع من فيه، فكتم الرجلان (فيصل السعود وعبد الله الرشيد) النبأ وأسرعا في العودة إلى الرياض فاحتلاها بعد معركة قصيرة بخدعة استنبطها عبد الله بن رشيد، وأخذ مشاري أسيرًا وأعدم، ونودي من على مئذنة الجامع بفيصل حاكمًا على نجد، وبايعه السكان. وبعد استيلائه على الحكم خلع فيصل صالحًا بن علي وأقر عبد الله بن رشيد شيخًا على شمر، تقديرًا منه لبراعته وحكمته في إنجاح العملية كلها. ولما يكن لدى فيصل قوى كافية لدعم هذا التعيين، فإن عبد الله رجع إلى بلده وحيدًا، مُتكلاً على مؤهلاته الشخصية وعلى تقدير مواطنيه له، ليُنازل صالحًا ابن عمه وينتصر عليه، ولقد عانى عبد الله مصاعب جمة في ذلك، ووصف بعضها في شعرٍ جميل نظمه فيها، فإنه اختبأ نهارًا في سلسلة جبل أجا، ونزل ليلاً إلى بلدتي حائل وقفار، إلى منازل أصدقائه وأنصاره الذين كانوا قد أعدوا جماعتهم للثورة. وما أن تجمع معه عدد كاف من الرجال حتى جابه خصمه وقهره، فانفضت القبيلة عن صالح وفر هذا مع إخوته الثلاثة إلى المدينة (المنورة)، لعله يلقى مُساعدة واليها التركي، غير أن عُبيدًا أخا عبد الله، لحق**

بهم إلى قرية صغيرة تُدعى قصر السُليمي وقتلهم ولم ينجوا منهم إلا واحد، وهو عيسى فتابع هربه إلى المدينة، حيث استقبله واليها التركي ولاطفه ووعده بجنود أتراك لاستعادة أرضه. وفي تلك الأثناء عينها أوفد عبد الله بن الرشيد أخاه عبيدًا لمفاوضة الوالي التركي ومعه عرض يفوق عرض مناوئه، فأقره الوالي شيخًا على جبل شمر، وقيل إن العرض يومها كان ألفين من الإبل ومبلغًا من المال وهدايا أخرى، واحتفظ الأتراك بعيسى "ضيفًا" رهينة حتى ينجز عبد الله وعده. ومنذ ذلك اليوم استقر عبد الله حاكمًا على بلاده دون منازع حتى وافاه اجله في صيف ١٨٤٧م».۞ -انتهى الاقتباس-

بينما يذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف عن تلك الأحداث نفسها، قائلاً: « في ذلك الوقت كان يعيش في مدينة حائل شيخ شاب وواعد من عائلة آل رشيد، وينتمي إلى فرع آل جعفر أنبل فرع في قبيلة شمر، كان الكثير من أقرب أقارب ابن رشيد هذا من البدو، برغم أن أجداده كانوا من الحضر منذ زمن طويل، كان اسمه: عبد الله بن رشيد، ثري بمعايير الثروة في هذا المكان، من أصل طيب، وكان على وعي بالسلطة ومراكز القوى ويُدرك أبعادهما، ولذلك كان يتطلع إلى انتزاع ذروة السلطة من مشايخ بيت آل علي، وقد قدَّم له أقاربه الكثيرون الأقوياء يد العون في تلك المُحاولة التي كان يود القيام بها، كان سكان حائل مُنقسمين قسمين، قسم منهما يُساعد هذا الطرف والقسم الآخر يساعد الطرف الآخر، وكان قسم عبد الله بن رشيد هو الأقوى داخل مدينة حائل نفسها، غير أن القرية المُجاورة، "قفار" كانت تساند رجلاً من بيت آل علي، وكانت قفار في ذلك الوقت مُساوية لحائل من حيث القوة والسكان، والواقع أننا من مُنطلق الحكم على الأمور، من خلال الأغاني الشعبية والتقاليد المحلية،نجد أن قفار كانت أكثر أرستقراطية ورقيًا من حائل. وقد بدأ الصراع الحقيقي بين عبد الله بن رشيد وبيت آل علي، بعد سلسلة

۞ كتاب : صور من شمالي جزيرة العرب – في منتصف القرن التاسع عشر \ تأليف: جورج أوغست فالين.

طويلة من المُشاحنات الأولية، ولكن النتيجة جاءت مُخيبة لآمال المنافس الشاب على السلطة والسيادة، وطرده بيت آل علي ليعيش في المنفى. حدث ذلك في العام ١٨١٨ أو ١٨٢٠م. فسار عبد الله بن رشيد ومعه قليل من أقاربه الذين هربوا مثله، في طريق الجوف أملاً في طلب اللجوء والتحالف، غير أنه لم يعثر على أي منهما، وواصل مسيره إلى وادي السرحان، الذي ظلت أعماقه إلى يومنا هذا ملجئًا وملاذًا لكل من هو في مأزق مماثل لمأزق ابن رشيد، وبينما عبد الله بن رشيد يتجول مع أتباعه في متاهات وادي السرحان، هاجمتهم فجأة فئة من بدو عنزة، الأعداء اللدودين لقبيلة شمر، وقد أبلى عبد الله ورفاقه بلاءً حسنًا في القتال ولكن الغلبة كانت للكثرة، وسقط آل جعفر بلا استثناء قتلى في ميدان المعركة، وجردت عنزة الظافرة القتلى من أشيائهم ومُتعلقاتهم، ولم يبق أحد من أتباع عبد الله بن رشيد على قيد الحياة، بل إنهُ هو نفسه تُرك بين الحياة والموت مع جثث القتلى فوق الرمال. وقبيلة عنزة كما هي عادتهم "يؤكدون بشدة" أنهم قطعوا أزوار (أعناق) الجرحى في الأماكن التي سقطوا فيها على الأرض، ومن هذه الناحية لم يكن عبد الله بن رشيد أحسن حالاً من رفاقه، ولكن وريث العرش لم يكن ليموت قبل الأوان؟ حيث تصادف أن مرَّ بالقرب من مشهد المجزرة تاجر من دمشق بصحبته قافلة صغيرة قادمًا من الجوف قاصدًا سوريا، وشاهد التاجر الشاب الجريح وتدخل القدر العجيب لصالح هذا الشاب، وبعد أن أذهل ذلك المنظر التاجر، وبعد أن أيقن أن العناية الإلهية حافظت على حياة هذا الشاب، توصل إلى أنهُ لابد أن يكون له مُستقبل غير عادي، هنا شب التاجر نارًا بالقرب من الجريح، وربط جراحه وأعطاه كل ما ينعش الحياة المعلقة، في ضوء ما تجود به الظروف والمكان، بعد كل ذلك، وضع التاجر الجريح على أحد الجمال وأخذه معه إلى دمشق. وبسرعة بدأ عبد الله بن رشيد الذي حل ضيفًا على هذا التاجر المُحسن الذي كان يُعامله مُعاملة الابن تمامًا، بدأ عبد الله يستعيد قوته وحيويته. ثم زوده منقذه الكريم بالسلاح والمؤن التي تكفيه

مشوار رحلته وأعاده إلى الجزيرة العربية مُسلحًا ومزودًا تزويدًا جيدًا. ولكن لم يكن بوسع عبد الله بن رشيد أن يعود إلى جبل شمر أميرًا مثلما كان، ولم يكن يرض أن يعيش في شمر عيشة واحد من الرعايا المُعتادين، وبناء على ذلك قطع عبد الله بن رشيد لنفسه طريقًا طويلاً حتى وصل لاحقًا إلى قلب نجد، حيث عرض فروسيته وخدماته الممتازة على الأمير تركي بن عبد الله بن سعود، ذلك الأمير المُستبد الذي لقي نهاية مأساوية، سوف نتعرض لها فيما بعد، هي ومصير أسرته الحاكمة، كان تركي مشغولاً في ذلك الوقت بإعادة بناء مملكة والده التي تحطمت وانهارت بعد الغزو المصري، كما كان مشغولاً أيضًا باستعادة المناطق الواحدة تلو الأخرى التي كانت خاضعة من قبل السيطرة الوهابية، وكان طبيعيًا أن يجد عبد الله بن رشيد ترحيبًا كبيرًا من تركي بن عبد الله بن سعود، الذي كان لديه الكثير من تلك الأعمال الارتزاقية، كان عبد الله بن رشيد الأول دائمًا في كل المعارك وفي كل نزاع، إلى أن أصبح رئيسًا لفرقة كبيرة من فرق الجيش الوهابي». ۞ - انتهى الاقتباس -

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

## ▪ لو طعت شورك ما تعديت ذنب ثورك :

كما سبق وأن ذكرت فإن أسرة آل رشيد حالها حال بقية أسر حائل الحضرية، فقد كان آل رشيد ومعهم آل علي من حضر حائل، وهم أصحاب زرع وبساتين نخيل، وآل رشيد امتهنوا الفلاحة وكانت لهم بساتين نخل في وسيطاء حائل وفي عقدة وأم القلبان، والزراعة والفلاحة في حائل كانت مهنة شريفة ومُحترمة عكس بعض مناطق نجد، لأن أهل حائل كانوا يعتمدون اعتمادًا كليًا على الزراعة، والنخلة كانت بالنسبة لهم مصدر رزق لا يُمكن الاستغناء عنه، ولهذا وجد أهل حائل في مهنة الزراعة مصدر رزق ووسيلة ناجعة للتبادل التجاري مع البدو، حيث تكونت علاقات صداقة حميمة بين حضر حائل وباديتها، فيُهدي الحضري للبدوي التمر بأنواعه، ويرد عليه البدوي بهديته المكونة من السمن والأقط وهكذا.

وأما والد الأميرين عبد الله وعبيد فهو علي بن رشيد بن حمد بن خضير، فقد كان رجلاً متدينًا مسالمًا محدود الطموحات كما تذكر المصادر، وكان يشتغل بزراعة الأرض، ولا يبدو عليه أي طموحات سياسية أو اهتمام بالزعامة، رغم كونه من أبناء الأسر القريبة من أسرة الزعامة في حائل وقتذاك أسرة (آل علي)، وكان علي ـ أبو عبد الله وعبيد ـ يمنع أبناءه عن طموحاتهم كما تذكر بعض المراجع والروايات، حيث كان يقول لولده عبد الله: (يا ولدي خل عنك المغازي وسنع زرعك واشتغل بفلاحتك). وكان عبد الله يرد على أبيه بقوله: (لو طعت شورك ما تعديت ذنب ثورك).

ومهما كان هذا الرد قاسيًا بعض الشيء، إلا أنهُ أثبت صحته ومصداقيته ولهذا فقد أصبحت مقولة عبد الله تلك، مثلاً دارجًا في حائل وفي نجد، ولكن للأسف فقد توفي علي بن رشيد في عام ١٢٤٠هـ، قبل أن يرى حكم أبنائه لحائل، حيث تولى عبد الله الحكم بعد وفاة والده بحوالي عقد من الزمان.

أما الأمير ضاري بن فهيد الرشيد حفيد الأمير عُبيد بن رشيد، فيذكر لنا نبذة مختصرة عن حال جده عُبيد وأخيه عبد الله مع أبيهم جده الأول علي بن رشيد، قائلاً: « أما علي المذكور فهو صاحب ديانة وورع وكرم، ولا يُريد حركة (أي أنهُ كان لا يُريد أي تمرد من طرف أبنائه ضد أبناء عمومتهم آل علي)، وقد كان أولاده، مذ كانوا (يافعين وأفعالهم) أفعال الرجال، يطلبون العليا، وهو يردهم عن ذلك، حتى إنهم انحدروا إلى العراق بواسطة أبيهما أنهُ منعهم عن الحركة على أبناء عمهم، أي الرؤساء الأولين. وطبوا جزيرة شمر (أي دخلوا على منطقة الجزيرة في العراق)، والرئيس في شمر بالجزيرة هو صفوق الجرباء، وذلك في سنة ولاية داود باشا على بغداد، وسار عليه صفوق الجرباء وملك بغداد، وفضى الحلة (أي نهبها)، وأبلى عنده أبناء الرشيد (•) بلاءً جيدًا، وأكرمهم غاية الإكرام، وذلك من الجهتين: جهة النسب، وجهة أنهم كان لهم موقف عنده. وقد كان في الزمن السابق، كل من قصرت عليه المعيشة في بلاده من أهل نجد انحدر إلى العراق». ۞ -انتهى الاقتباس-

وقد اختلف المؤرخون المحليون في حقيقة ما حصل للأمير عبد الله بن رشيد بعد هروبه من حائل، خصوصًا وأنهُ خرج مرتين، الأولى عندما أرغموه آل علي على الجلاء من حائل مع أخيه وأمه، والثانية عندما عاد عيسى بن علي مُستعينًا بقوات مصرية للتخلص من حكم عبد الله بن رشيد في حائل. إلا أن أغلب الرواة الشعبيين يجزمون أن عبد الله بن رشيد لم يجرح إلا في المواجهة مع مشاري، ولم تحدث أي مجزرة بحق قومه، وهو لم يذهب للشام أصلاً؛ كما نقل بالجريف نقلاً عن أهل حائل، بل لجأ إلى العراق وبقي شقيقه عبيد مُختفيًا

---

(•) ويقصد الأمير ضاري الفهيد بكلامه لوديع البستاتي فيما ورد أعلاه بقوله أبناء الرشيد وقوله أيضًا جهة النسب، وهو قطعًا يقصد الأمير عبد الله بن رشيد وأخوه من أمه عبد العزيز بن جراد التميمي، لأن عبيدًا لم يذهب للعراق مع أخيه عبد الله في تلك الرحلة، ولم يُغادر الجبل، بل بقي عند شخص يُقال له هندي القويعي، الذي تزوج عُبيد ابنته لاحقًا، وأما قول ضاري هذا يحتمل أن ضاري كان يظن أن جده عُبيدًا هو من رافق عبد الله في حدرته إلى العراق، أو لأنه سمع الرواية من الجربا، وأن عبد الله أصلاً لم يبلغ الجربان من أن عبد العزيز الجراد هذا هو ليس من آل رشيد بل هو أخ له من الأم، وهو في الحقيقة تميميًا وليس شمريًا كما ذكر ضاري، ولهذا ربما ظن البعض أن عبد العزيز الجراد أنه أخ شقيق لعبد الله.

۞ كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

في أحد ضلعان جبل أجا، وقد ذكر عبد الله في قصيدته المشهورة أنهُ نزل ضيفًا على شيخ الرمال من شمر ابن رخيص، ومن ثم ذهب وحيدًا إلى للعراق وقيل إنهُ استقر في مدينة الحلة العراقية لبعض الوقت وقد شارك في بعض الغزوات هناك مع الشيخ صفوق الجربا.

ومصداقًا لتلك الرواية، فإن الأمير عبد الله بن رشيد قد دون تلك الرحلة المُضنية في ملحمته الشعرية خصوصًا بعد أن تخلى عنه بعض أهالي حائل ووقفوا لاحقًا بجانب خصمه عيسى بن علي، ويبدو جليًا من خلال فحوى تلك القصيدة أن عيسى بن علي كان مُعترضًا على طموحات وتطلعات عبد الله وأخوه عُبيد، حيث كانا يُطالبان آل علي برد العدوان الذي تشنه بعض القبائل البدوية على أطراف حائل، وذلك من خلال تجهيز حملات عسكرية ضاربة تردع البدو، ومن ثم التوسع وضم بعض المناطق لحائل، لكن ابن علي كان رعديدًا بخيلاً ولا يُريد أن يخسر المال، وهذا الأمر أدى إلى تصادم بين الطرفين، ومن ثم وقوف أهل قفار مع عيسى بن علي، وتخلي أهل حائل عن عبد الله وشقيقه عبيد، الأمر الذي ولّد ألم وغصة في قلب عبد الله وقد باح بتلك المرارة في قصيدته المعروفة.

حيث ذكر عبد الله بن رشيد في ملحمته الشعرية النبطية الشهيرة لاحقًا، أنهُ شاهد العجب في رحلته المُضنية تلك، وكيف أنه قد مرَّ بالشط والهور، وهما قطعًا في العراق وليسا في الشام، كما ذكر أنهُ قد رأى القبة الذهبية الضخمة المليئة بالياقوت والزمرد والتي تجعل كل من يراها تزوغ عينيه ويتعجب، وهو هنا قطعًا يقصد القبة الذهبية الموجودة في مشهد علي (النجف)، أي القبة الموجودة فوق ضريح علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، أو ربما تلك الموجودة في كربلاء سواء كانت القبة الموجودة فوق ضريح الحسين أو العباس أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأرضاهما، وكذلك ذكر عبد الله بن رشيد في قصيدته الملحمية أنهُ قد دخل إلى أحد الأسواق الضخمة وراء جسر بغداد، وقد ذهل وهو يرى تلك البضائع

المتنوعة والمُبهرة، ثم يعود وينتقد عيسى بن علي بشدة ويتهكم عليه بسبب حبه للمال وخوفه من الحرب وتخاذله عن نصرة ربعه وجماعته.

وبحق فإن قصيدة عبد الله بن رشيد النبطية تلك تعتبر بمثابة ملحمة شعرية، حيث دون من خلالها جزءًا كبيرًا من سبب الخلاف وأسباب رحلته العجيبة تلك، ووثق لنا من خلالها الأوضاع والأحوال التي كانت سائدة آنذاك، حيث يقول فيها:

يا هيه يا اللي مالك مع الناس وداد … ما ترحمون الحال يا عزوتي ليه

ما ترحمون اللي غدا دمعه ابداد … طال الزمانٍ وحرق الدمع خديه

جالي زمانٍ ما تهنيت برقاد … وقصر الحشا قامت تهدم مبانيه

من شوفتي للترف مزبور الانهاد … متمشلحٍ(ن) ياطا على أطراف رجليه

وأقفى يجر الثوب للضلع شراد … ومجليٍ(ن) عن دار جده وأهاليه

الشوك ماله عن مواطيه رداد … أيضًا ولا سبتٍ(ن) قويٍ يوقيه

يا من يسوي له زرابيلٍ اجداد … من المي لو ياطا على القطن يحفيه

بمشمرخات الهيف بالزحف صعاد … وكم ماعرٍ من خوف الاروام راقيه

اخذ ثمانٍ(ن) مع ثمان له اذواد … ولا لقى من عزوته من يلفيه

وجبه سقاها من أول الوسم رعاد … ما حدرت خشمٍ أم سلمان تسقيه

حيث أنها للمنهزم دار ميعاد … ومن لاذ به تقل الحرم لايذٍ(ن) فيه

ومصيخ بن فرحان عريب الأجداد … خلا العساكر نكسه تتلي البيه

نكس بهم عامر ومحسن وزياد … والكل منهم ما رجع يم أهاليه

وفزنا على شهب الغوارب من غاد … وكم عيلٍ(ن) يبكي من القيض شاويه

وجينا قليبٍ(ن) صايرٍ وسط الانفاد … بالخمس مع نصف الثمانين ندليه

ليا ابن رخيصٍ(ن) نازلٍ حد الاجراد … قال اقبلوا وانتم هل الدار ياهيه

يا ابن رخيص الحضر يبغون ببلاد … والحيضري بالهدي يكره تبدويه

ونبغي نقارب من هل الجوف خلاد … وندعي عسا أن الوبل يسقي مفاليه

وأهل سكاكا نعم بذالة الزاد ... ونعم النكيف أليا لفا السير طاويه

أوي والله يا الضويحي من أجواد ... ونعم الرفيق أليا نصا لمدح أهاليه

والمدح بدوا فيه لرشيد وابجاد ... والكل منهم سيف(ن) يقطع بحديه

وشلنا على حمرٍ(ن) طويلات الابداد ... يم الشمال ونية الهور نبغيه

كن جيت لي بدوانٍ(ن) بالاذواد وراد ... وكلٍ يزين للعشاير مواديه

واحلوا شرشوح المغاتير لنقاد ... لا دوه الراعي بحلو التداويه

ليا الشط لي في يمة الشط منقاد ... كن الشفلح فوق موجات جاريه

يا ما عليه من مخاليق واعباد ... والكل منهم والي الأقدار مشقيه

هذاك فلاحٍ وهذاك كراد ... وهذا مريح(ن) وساهراتٍ(ن) دواليه

وهذا يهل الغزل من فوق الأعواد ... وهذاك يبرم له وهذا يساديه

طبيت لي سوقٍ(ن) من ورا جسر بغداد ... كن الدبل تكفان يزهي لوحيه

قبة ذهب ياقوت حتى الزمراد ... يروع قلب المصلحي من مشى فيه

لاهو بشفٍ(ن) لي ولاهو بالأمراد ... ولاهو هواي وطاري النفس يطريه

من يوم جانا العلم تحذير الاوكاد ... قيل العساكر غربوا تتلي البيه

وحنا بديرة من يعدون الأجداد ... هذا ولد عمه وهذا بناخيه

هب الهوا يا ذاري الريح وأنقاد ... ويا من يدور قضا حلاله وأهاليه

الله يسود وجهكم يا هل السواد ... سود السما أللي كل الخلايق تراعيه

من باب خدامٍ إليا باب عواد ... ومن ينتخي بالضيغميه انطاليه

يا اللي نسيتوا عمل الأجرب وفهاد ... ومن عقب هذا داخلين(ن) قهاويه

يذكر جراد(ن) في جماعاتنا ساد ... هذا يخس خس به وهذا ينسويه

لو تجتمع كل الخلايق بميعاد ... الا جرادٍ(ن) ما لك الله مصافيه

وعيسى يقول الحرب للمال نفاد ... والمال من هبت نسايم ذواريه

يا اللي تقول الحرب ما به لنا زواد ... انشد مسوي السيف هو ليه حانيه

لا صار ما يرويه من دم الأضداد ... يديه يم العرفجيه ترويه

ولا صار ما مرَّ يزغرت بالاكباد ... ترى الموصي يسفه أللي موصيه

ولا صــــار مـــا ناصـــل ونـــضرب بالأحــــداد　　هبيـــت يـــا ســـيفٍ(ن) طـــوا الهـــم راعيـــه
ولا صــــــار مــــــا هـــــمٍ بـــــصنديد الأولاد　　فـــالعن شـــبابٍ(ن) مـــا يبهيـــه راعيـــه
والله لـــــو أنـــــي مـــــن ورا جـــــسر بغـــــداد　　أنـــي لكـــم مثـــل العمـــل عنـــد راعيـــه

ومثلما ذكرت سابقًا فإن ثقافة أو سياسة الاستعانة بالجيران أو بطرف خارجي مُسلم سواء كان القوات العثمانية أو المصرية في نجد وحتى في الحجاز كان أمرًا مُستساغًا ومُباحًا أيضًا وهو مُتعارف عليه لدى الإمارات المُتصارعة، حيث كانت الغاية لدى أمراء الجزيرة العربية تُبرر الوسيلة من أجل الرئاسة أو الإمارة، ولطالما استخدم ذلك الأسلوب في استعادة المُلك أو الوثوب على السلطة من خلال دعم خارجي إسلامي كل من الأشراف وآل عريعر وحتى آل سعود، لذلك أراد ابن رشيد أن يسلك نفس المسلك، بعد أن تمَّ إخراجه غصبًا من ديرته وتخلى عنه بعض جماعته.

وكما مرَّ بنا سابقًا، فبعد أن تمكن الأمير عبد الله بن رشيد من قتل الأمير السعودي المُنقلب مشاري بن عبد الرحمن بن سعود في قصره، فقد عاد الأمير عبد الله بن رشيد إلى حائل مُكللاً بالنصر المؤزر مدعومًا معنويًا فقط من قبل الأمير فيصل بن تركي، خصوصًا بعد أن استطاع أن يقضي على خصمه اللدود ذلك الجبار الموتور مشاري بن عبد الرحمن وهو مُتحصن في قلعته وبين أهله وجماعته، وأن يُعيد المُلك المسلوب إلى فيصل بن تركي.

وقد استطاع عبد الله بن رشيد من خلال شجاعته الفردية الاستثنائية مُنقطعة النظير، وقوة عزيمته وإصراره أن يبني له مجدًا شخصيًا ويكسب سمعة كبيرة وصلت أصداؤها إلى كل بقعة من بقاع جزيرة العرب وخارجها، وهنا قرر الأمير عبد الله بن رشيد أن يعود مرة أخرى لمدينته حائل ليقتص ممن تآمروا عليه وأجلوه من ديرته.

وعن عودة عبد الله بن رشيد الموفقة إلى حائل، وعن تلك المسيرة المُكللة بالنجاح والنصر، والتي جاءت بعد مُعاناة طويلة وجهد كبير وكفاح مرير وبعد أن أبلى بلاءً حسنًا في إمارة الرياض، يذكر لنا وليام بالجريف رأيًا آخر عن تلك العودة، حيث استقى معلوماته تلك من أحد أهالي الرياض من أتباع فيصل، حيث يقول:

« ولم يكن ولد تركي (فيصل) ناكرًا لجميل ذلك الشخص الذي استطاعت جسارته أن تضع فيصل على عرش والده، واعترف فيصل على الملأ ـ وهذا تصرف مُشرف من جانب حاكم أو ملك من الملوك- بالخدمات الجليلة والشجاعة التي أبداها عبد الله بن رشيد، وقرر أن يتوج ذلك الجسور بتاج، وأنعم عليه بتاج مُقابل التاج الذي مكنه ابن رشيد، من استعادته، وتنفيذًا لقرار الأمير فيصل عُين عبد الله حاكمًا مُطلقًا على جبل شمر، وحق خلافة أبنائه له، وزوده بالقوات وكل المستويات الأخرى التي تمكنه من إقامة ذلك الحكم. عاد عبد الله بن رشيد إلى حائل ولم يُعد منفيًا مثلما كان، وإنما رئيسًا قويًا مُهابًا، ومعه جيش يأتمر بأمره، وهنا سرعان ما طرد أسرة آل علي المُنافسة من المدينة، التي أصبحت سلطته فيها من الآن هي العليا، وحدد محل سكنه وإقامته في مدينة حائل، في حين أوكل إلى أخيه الأصغر عبيد "الذئب" الاسم الذي يعرفه به الجميع، والذي اكتسبه بسبب قسوته الشديدة ومراوغته الداهية، أوكل عبد الله مسألة الثأر من رؤساء بيت آل علي، وعلى إثر ذلك قام عبيد ومعه الخيالة بإخراج بيت آل علي من قفار، ولكن بعد قتال مرير وطاردهم مُتعقبًا إياهم من بلد إلى آخر، إلى أن دخلوا مدينة القصيم وهب سكان القصيم للدفاع عن الهاربين، وطلب عبيد مزيدًا من القوات من نجد، وواصل اشتباكاته وجعلها رهن أوامر الأمير فيصل، وبناء على ذلك الشرط، أرسلت تعزيزات إلى عبيد، وقاد الذئب هذه التعزيزات التي حول بها أراضي القصيم الخصبة إلى أرض خراب، في موجة من الغضب المتوحش، أصبح اسمه على إثرها لعنة في كل أنحاء منطقة القصيم، مثلما اسم كل من كرمويل

وكلافيرهوس Claverhouse لعنة، في كل من أيرلندة وأسكتلندة، وقد اجتث جذور وأفرع بيت آل علي، ولم ينجو من القتل سوى طفل واحد فقط اختبأ في قرية صغيرة على حدود القصيم الخارجية، وعندما اعتلى طلال العرش بعد ذلك بسنوات، أرسل في طلب ذلك الصبي المُمثل الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من أعداء ابن رشيد. وأسبغ عليه ضياعًا وثروات، وانزله في مسكن أنيق داخل العاصمة نفسها، واستطاع عن طريق هذا الكرم النادر الذي يتصف بالدبلوماسية، أن يتجنب احتمالات وجود طرف منافس له».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويجب أن أذكر هنا ملاحظة مهمة وهي أن لا يُشترط بأن يكون الشخص الذي يطلب المعونة من طرف محلي أن يكون مواليًا له، أو تابعًا له، بل على العكس ربما يُصبح عدوًا له في المُستقبل القريب، وهذا لا يمنع أن يحفظ المعروف لصاحب المعروف، فعبد الله بن رشيد مثلاً أنقذ فيصل من ضياع ملكه مرتين، فقام بقتل ابن عمه مشاري مُغتصب المُلك، وشيء طبيعي أن يُجازي فيصل عبد الله بن رشيد على معروفه، فقد كان عليه أن يُزوده بالرجال لكي يُعاقب آل علي في حائل ويطردهم مثلما طردوه، لكن فيصل لم يفعل، فهو أيد عبد الله بن رشيد فقط وهذا لا يعني أن يكون عبد الله تابعًا لفيصل أو خاضعًا له، وإلا لكان فيصل هو أيضًا تابع لعبد الله بن رشيد حينما لجأ إليه بعد أن هرب من مصر بمُساعدة الخديوي عباس، فأرسل معه عبد الله قوات بقيادة أخيه عُبيد، تلك القوات التي قضت على عبد الله بن ثنيان وأعادت فيصل للحكم من جديد.

وعن تلك الاستراتيجية؛ أو ما نُسميها بطلب المعونة والمُساندة أو الاستعانة بدعم الجيران والأصدقاء وتبادل الخدمات بين الحلفاء، أو ما يُطلق عليها مُصطلح سياسة التخادم؛ يقول وليام بالجريف في كتابه عن سياسة عبد الله بن رشيد، قائلاً:

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

« وقد رأينا بالفعل شقيقه الأكبر عبد الله بن رشيد متطوعًا موثوقًا به، وله وزنه في الجيوش التركية، ولعب دورًا متميزًا ومهمًا في الأحداث المشؤومة التي نزلت بأسرة آل سعود في نجد خلال أحرج المراحل التي مرت بحياة هذه الأسرة، ولكن عبد الله بن رشيد برغم صلاته الحميمة، سواء كجندي أو أمير مع الحكومة الوهابية يكاد لا يتعاطف أو يميل مُطلقًا إلى مبادئ ذلك المذهب الوهابي المُتزمت، لقد كان عبد الله بن رشيد حليفًا سياسيًا ولم يكن تابعًا على الإطلاق، ولكن شقيقه عبيد المُتكبر والمُتشدد لم يكن كذلك. فقد وجد عقله أنهُ متوافق مع التشدد النجدي نصًا وروحًا، لذلك انغمس في ذلك التزمت قلبًا وقالبًا، إلى حد الشك في أن الرياض نفسها لم يكن فيها وهابي أكثر إخلاصًا من عبيد بن رشيد الموجود في حائل».[۞] - انتهى الاقتباس -

وبالنسبة لحكام حائل الذين سبقوا حكم آل رشيد لحائل، فكما ذكرت سابقًا فهم أسرة آل علي، وهم من أسرة حائلية حضرية ولم يكونوا بدوًا، وهم جميعهم من آل جعفر وينتمون إلى قبيلة شمّر من فرعها القحطاني، وقد تحضرت كما هو حال أسرة آل رشيد. ويذكر الأمير ضاري بن فهيد الرشيد في هامش من كشكول وديع البستاني، أن كل من آل علي وآل رشيد وآل الحميان كان جدهم رجل واحد، والحميان هم أخوال عبد الله وعبيد، لأن أمهم كانت من أسرة الحميان، وهي علياء بنت عبد العزيز بن حميان، وهم أيضًا من آل جعفر أحد بطون عَبدة القحطانية. والمعروف أن والدتهم علياء الحميان كانت متزوجة من شخص يُدعى ابن جراد من قبل أن تتزوج بـ علي بن رشيد والد عبد الله وعبيد، وقد تطلقت من ابن جراد ولها منه ولد، ثم تزوجت من علي بن رشيد وأنجبت منه عبد الله وعبيد وبنت اسمها نورة التي عادة ما ينتخي بها عبد الله بن رشيد بقوله (أنا أخو نورة)، وهي للآن عزوة آل رشيد، وكما قلت فقد كان لعلياء الحميان ولد من ابن جراد اسمه عبد العزيز وهو أخ من جهة الأم

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف

لعبد الله وعبيد، وعبد العزيز الجراد هذا هو الذي رافق عبد الله في رحلته إلى العراق، وهو الذي قتل في كون بقعا، وظن عبد الله عندما سمع الخبر أن القتيل هو شقيقه عُبيد ففتك بأمير عنيزة عبد الله بن سليمان بن سُليم. وهنالك من يزعم أن عبد الله وعبيد ليسا شقيقين، وأن الحميان هم أخوال عُبيد فقط، مُعتمدين في ذلك على أقوال ضاري الفهيد الرشيد الذي يُكرر دائمًا في كشكول البستاني، أن الحميان هم أخوال عبيد، دون أن يذكر أنهم أخوال لعبد الله، وهذا قطعًا لا يعني نفي خؤولتهم لعبد الله، لكن ضاري كان يُركز في حديثه على سيرة جده عُبيد لأنهُ كان مُهتمًا به أكثر من الآخرين، ولهذا كان ينصب حديثه عن مآثر جده أكثر من بقية أفراد الأسرة الآخرين. ولم أجد أي مصدر يوثق هذا الادعاء على الأقل حسب علمي، بل أكد لي الأمير محمد الطلال آل رشيد أن جده الأمير عبد الله بن رشيد وأخيه الأمير عُبيد هما شقيقان وأمهما هي علياء الحميان.

وكما مرَّ فإن آل علي هم أبناء عمومة لآل رشيد وهم من الأسر الحضرية التي كانت لها مشيخة حضرية على جزء من مدينة حائل وليس الكل أو ما يُسمى بـ(حدري البلد) أي أسفله، إلا أن حكمهم الفعلي لحائل قد بدأ بعد نزوح الأمير مطلق الجربا إلى العراق أي في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وقد بدأ نفوذهم بالظهور في حوالي العام ١٢٠١هـ حينما غزا حجيلان حائل ونصب ابن علي أميرًا عليها، وانتهى حكم آل علي في عام ١٨٣٤م، على يد الأمير عبد الله العلي الرشيد. أما حُكَّام آل رشيد فهم أيضًا من الأسر الحضرية الحائلية حيث ابتدأ حكمهم على يد الأمير المغوار عبد الله العلي الرشيد عام ١٨٣٤م، إلا أن عيسى بن صالح آل علي استطاع استعادة حكم آباءه لفترة وجيزة في عام ١٨٣٧م وذلك بمُساعدة من قبل المصريين، ولكنه لم يبق في الحكم إلا أشهر معدودة فقط، حيث استعاد الأمير عبد الله العلي الرشيد الحكم في نفس العام، واستمر حكم آل رشيد حتى سقوط حائل عام ١٩٢١م.

- تسلسل حكم آل رشيد:

| | |
|---|---|
| عبد الله العلي الرشيد (المؤسس) | ١٨٣٤ ـ ١٨٤٧م |
| طلال العبد الله الرشيد | ١٨٤٧ ـ ١٨٦٦م |
| متعب العبد الله الرشيد | ١٨٦٦ ـ ١٨٦٩م |
| بندر الطلال الرشيد | ١٨٦٩ ـ ١٨٧٣م |
| محمد العبد الله الرشيد | ١٨٧٣ ـ ١٨٩٧م |
| عبد العزيز المتعب الرشيد | ١٨٩٧ ـ ١٩٠٦م |
| متعب العبد العزيز الرشيد | ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧م |
| سلطان الحمود الرشيد | ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م |
| سعود الحمود الرشيد | ١٩٠٨ ـ ١٩٠٨م |
| سعود العبد العزيز الرشيد | ١٩٠٨ ـ ١٩٢٠ م |
| عبد الله المتعب الرشيد | ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ م |
| محمد الطلال الرشيد | ١٩٢١ ـ ١٩٢١م |
| سقوط حائل | |

وقد خلف الأمير عبد الله بن رشيد في الحكم ولده البكر طلال، حيث كان الأمير عبد الله يُمهدَ لولده البكر لخلافته، وكان يتردد في حائل أن عبيدًا كانت له رغبة في الحكم بعد عبد الله، ولكنه لم يُطالب بهذا الحق بالحكم بعد وفاة عبد الله، بل على العكس فقد أتى عبيد بابن أخيه طلال وهو ابن خمسة وعشرين عامًا، ودخل به إلى المجلس وجمع أهل حائل وقال: قوموا فعاهدوا أميركم، وقد كانوا يظنون أن الأمير عُبيد سيتولى الأمر بعد أخيه، فلم يفعل.

وعن نوع العلاقة بين الأمير طلال بن عبد الله والوهابيين ومع بعض جيرانه والقوى الأجنبية الأخرى الفاعلة في المنطقة، فيشرح بالجريف نوع تلك العلاقة المُعقدة نوعًا ما، ويوثق بوضوح أيضًا كيف كان الأمير طلال بن رشيد يرفض رفضًا قاطعًا التعاون مع الدول الأوربية بدافع مبدئي، فيقول:

« وعليه لما كان منافسو طلال وأعداؤه يراقبونه مراقبة لصيقة من جميع الجوانب، ولما كان يبحر بمركبه المُنشأ حديثًا بين الصخرة الوهابية والصخرة العثمانية، فقد حتم عليه ذلك أن يبحث لنفسه عن حلفاء وأصدقاء يستعين بهم ساعة الخطر. التي لا يمكن له برغم حصافته وحنكته أن يتحاشاها سنوات كثيرة، والواقع أنهُ يرفض أي شكل من أشكال الاتصال أو التعاون مع الأوربيين ومن أية دولة كانوا، اللهم من باب الأدب واللياقة فقط، إذا ما تطلب الأمر ذلك، اقتناعًا منه نتيجة الأحداث التي وقعت لبعض الدول، بل في بعض البلدان المُجاورة أن تدخل أي من الدول الأوربية يكون في أغلب الأحيان غير مفيد وضار، ولكنه حافظ على اتصالاته الوثيقة بكل من مصر من ناحية الغرب، وبلاد فارس من ناحية الشرق، لأنهُ يحصل من بلاد فارس على مزايا تجارية كثيرة، فضلاً عن المُساندة الأدبية من بغداد، في حين يُمكنه الاعتماد على مصر في تقديم المساعدة العسكرية والسلاح القوي، إذا تطلب الأمر ذلك».[۞]

أما أحد الضباط العثمانيين الذين خدموا في نجد فيقول عن عبد الله بن رشيد في مذكراته: « وهو عبد الله بن علي بن رشيد بن خليل بن عطية، سُميت الإمارة باسمه لأنهُ هو الذي ساق بني عمه عليه وتولاها بعد قتال بينه وبين بني عمه، وقد سافر إلى العراق واستقر به مدة، وحضر فيها بعض الوقائع التي دارت بين رجال الحكومة العثمانية وبين أهالي العراق، ومنها واقعة الحلة وكربلاء حينما غزا ابن سعود ديار العراق. وكان (عبد الله بن رشيد) ذا قوة وبأس عظيم في نفسه، وكان ذا شجاعة وجسارة فائقة، فتقدم إلى بعض الحصون المُحاصرة واختلع باب الحصن بقوته فدخلت الجنود، وفاز في هذه الواقعة بغنائم ثمينة، منها غزال (من) ذهب، فأخذها وبعد ذلك قدم (إلى) حاضرة إمارة السعود وهي بلدة الرياض، فأهدى إلى ابن سعود أشياء ثمينة من بينها غزال الذهب، واستقام عنده مدة وهو في جملة وزرائه الذين يعتمد

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

على آرائهم. ومن بعد ذلك توسط له ابن سعود عند بني عمه على أن يتنازلوا له عن شيء، فكان ذلك إمارة الحاج، وكان وقتئذ يذهب حاج عظيم من العراق على طريق جبلي طيء، فيمر بحائل فيستفيد منه العرب فائدة عظمى، وكان دخل هذا الحاج له، ثم بعد ذلك تولى الإمارة بعد نزاع وقتال بينه وبين بني عمه، فتم له الأمر سنة ١٢٥١، واستقام له الأمر إلى أن توفي سنة ١٢٦٣ فخلفه ابنه طلال بن عبد الله الرشيد». ۞ - انتهى الاقتباس -

وبالرغم من الحلف الوهابي – آل رشيدي من خلال العلاقة المصلحية المُتبادلة التي نشت بين أمير حائل عبد الله بن رشيد والأمير فيصل بن تركي، وبالرغم من خروج آل سعود الصريح عن ولاية الخليفة العثماني، وكذلك ولاء عبيد بن رشيد للمدرسة الوهابية عن قناعة شخصية منه، إلا أن حُكَّام حائل بقوا دائمًا على ولائهم الديني والعقائدي للباب العالي، واستمروا في بيعتهم للخلافة الإسلامية في اسطنبول ولم يخرجوا عن طاعة الخلافة أو يخلعوا بيعتهم لخليفة المُسلمين العثماني كما فعل آل سعود، واستمر الدُعاء للخليفة العثماني في مساجد حائل قائمًا بالرغم من حالات الضعف والتضعضع التي مرت بها تلك الخلافة ومع وجود حالات من التذمر يُغذيها أتباع آل سعود في بعض المناطق، ورغم أن حُكَّام حائل كانوا شبه مُستقلين عن السلطة العثمانية، فقد كانوا يقرون بولاية وشرعية الخلافة الإسلامية وكانوا يجتهدون في إرجاع أي قرار داخلي أو خارجي أو مراسيم التعيين أو الغزو لمصلحة الخلافة العثمانية. وعن ذلك الولاء الاختياري المحض وتلك البيعة الرشيدية الصادقة للباب العالي، يذكر لنا الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف في كتابه عن بعض المظاهر السياسية والعسكرية التي تدل على ولاء ومرجعية أمراء حائل الطوعية لسلطان الخلافة في اسطنبول، وهو ما يُثبت أن حُكَّام حائل كانوا تحت ولاية الخلافة العثمانية طوعيًا ولم يخرجوا عن الإجماع الإسلامي كما خرج غيرهم،

---

۞ كتاب: مُذكرات ضابط عثماني في نجد - الأوضاع العامة في منطقة نجد \ تأليف: حسين حسني.

فيقول بالجريف: «كان اسم السلطان العثماني بكل ألقابه التي لا معنى لها، يُذكر في خطبة الجمعة التي كانت تُلقى في الجامع الكبير في حائل، وكان يُشار في هذه الخطبة إلى أن طلال نائبًا له (للخليفة)، ويستمد سلطته منه، ولم يكن جبل شمر يُرسل "بارة" (•) واحدة لخزينة القسطنطينية، ولم يُساهم جبل شمر حتى ولو بجندي واحد، من كل أنحاء مملكة طلال بن رشيد في الكتائب التركية. ولم يكن مسموحًا لأي إنسان في حائل أن يذكر السلطان عبد العزيز خان إلا بالخير ويُعرب عن احترامه له، والذي كان يُلقب دائمًا بـ "السلطان" والحاكم، وبرغم أن الوهابيين يسمونه بـ "الكافر" وينعته بعض أهل جبل شمر بـ "البغل التركي"، إلا أن هذه الأقوال المؤذية لا يتداولها الناس إلا سرًا، وإذا ما تصادف، وقد يحدث هذا في بعض الأحيان، أن يكون أحد الضباط الأتراك عائدًا من الحج عن طريق ممرات حائل، أو عن طريق المدينة (المنورة)، فإنهُ يُقابل بكل أدب واحترام، ولا يسمع أي شيء غير الولاء والإخلاص، وإذا ما انتقلنا إلى الأمور الحساسة، نجد أن طلال نفسه عندما يغزو كلاً من خيبر وتيماء، وكلتاهما داخلة ضمن الحدود الخيالية للباب العالي، وعندما يُهاجم طلال أيضًا القبائل الغربية من مدائن صالح إلى الكرك، ضمن ممتلكات السلطان نفسه، فهو يفعل ذلك خدمة لصاحب الجلالة العثماني أيضًا، بل إن طلال عندما يُعين حاكمًا للجوف، بإشارة أو بدون إشارة من القسطنطينية، أو عندما يُسير حملات عسكرية إلى حدود البلقاء Belka، بل وإلى أسوار مشهد علي (النجف) فإن كل ذلك يكون باسم السلطان عبد العزيز خان، ولمصلحة جلالته». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويروي لنا الألوسي الذي عاصر حكم الأمير عبد العزيز الرشيد عن أحوال حائل وعن حكامها فيقول: « وفي البلد (حائل) مسجد تُقام فيه الجُمع والجماعات. وفيه مدارس وعلماء وفيه سوق. والسكنة نحو عشرين ألف نفس

---

(•) البارة : وحدة نقدية تركية (هي جزء من أربعة آلاف جزء من الليرة التركية).

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

كلهم مسلمون من أهل السُّنة المواظبين على الطاعات، وهم كسائر أهل نجد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والأمير إلى اليوم من آل رشيد، وهم من الموالين للدولة العلية العثمانية والمُنقادين لأوامرها، وهم يحكمون بالعدل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا ينحرفون في أحكام الرعايا عن الشريعة الغراء، ولدى الأمير كل وقت عالم من علماء الحنابلة كلما حدثت حادثة أحالها الأمير إليه فيبين حكم الله تعالى فيها فينفذه الأمير من غير تأخير وهكذا سائر بلاد نجد. والأمير اليوم عبد العزيز، وهو ذو سيرة حسنة ومزيد أدب وانقياد للدولة العلية وله صلاح ومعرفة في الدين وعدل. وكان سلفه محمد بن رشيد أيضًا على جانب من محاسن الأخلاق حتى استمال بحسن سيرته وسياسته قلوب كثير من أهل نجد. وآل رشيد كلهم شجعان محبون للغرباء والأضياف كما هو شأن العرب الأماجد في الغيرة والوفاء بالعهود والكرم، وغير ذلك من محاسن الشيم، ومنهم اليوم أمراء الحاج المُسافرون من بغداد على جهة الجبل وبواسطتهم تأمن السابلة وأبناء السبيل، نسأله تعالى أن يوفقنا وإياهم لصالح الأعمال».۞

---

۞ كتاب: تاريخ نجد \ تأليف : محمود شكري الآلوسي.

## ▪ إمارة حائل والتغلغل الوهابي :

الحقيقة أن التدين في حائل كان موجودًا من قبل أن يظهر محمد بن عبد الوهاب بدعوته الوهابية، لذلك تجد في حائل شرائح مُتدينة عديدة حالها حال أي بلدة أو مدينة من المدن العربية الأخرى، سواء كان في العراق أو الشام أو حتى في مصر، إلا أن المظهر العام لأهالي حائل كان التسامح الديني وعدم الغلو في الدين، وذلك بسبب أن إمارة حائل كانت مركزًا ومحطة مرور مهمة للقوافل التجارية وحملات الحجيج القادمة من ما وراء النهر وإيران وتركيا والعراق، ولهذا فسكان حائل كانوا مُنفتحين على الآخرين لأنهم على تماس واختلاط دائم بكافة الأجناس والمذاهب الدينية الإسلامية.

وثانيًا: بسبب كثرة سفر أهل حائل وترحالهم وحدراتهم الموسمية نحو العراق والشام جعلتهم أكثر معرفة وانفتاحًا على بقية الشعوب المُجاورة، وأدركوا أنهم ليسوا الوحيدين في المعمورة الذين يعبدون الله ويُصلون ويؤدون فرائض الحج والعمرة، بل أن رزقهم كان يعتمد بعد الله اعتمادًا كليًا على مرور تلك القوافل الأجنبية والتي تنقل الفئات المذهبية المُختلفة من المُسلمين من شتى بقاع الأرض، الذين يمرون بمحطة حائل في طريقهم إلى الحجاز قاصدين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ولهذا فقد كان الحائليون متحضرون وكانوا مُتفهمين وغير مُتعصبين دينيًا، ويؤدون فرائضهم الدينية بكل قناعة وإيمان راسخ، ولم يكونوا بحاجة للتذكير أو الغصب والتعزير لعبادة الخالق عز وجل، وحتى حينما ظهرت الحركة الوهابية، فلم تؤثر على أخلاقهم أو طبائعهم أو تدينهم الصحيح المعروف، لأنهم سبقوا أولئك الوهابيين بمعرفة الله وتطبيق شعائره وتعاليم نبيه المعصوم، بدون محفزات أو ضغوط خارجية أو تهديد ووعيد من الداخل.

وحائل كإمارة لم تلتزم بمذهب إسلامي واحد فقط، فكان هنالك من يتبع المذهب المالكي وهنالك من يتبع المذهب الحنبلي، وهنالك من اتخذ المذهب الحنفي كونه مذهب دولة الخلافة الإسلامية في اسطنبول، كما بقي أمراء حائل مُلتزمين بتطبيق الفروض الإسلامية بدون ضغوط أو إملاءات من أحد، وبقوا يتبعون لسلطة الخلافة الإسلامية مختارين غير مُجبرين، حتى بعد أن ضعفت تلك الخلافة وانهارت لاحقًا، إلا أنهم كان يؤمنون بأن في رقبتهم بيعة لولي أمر المُسلمين الخليفة العثماني.

ويؤيد هذا الكلام الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف، حيث يصف أهالي حائل بالمُتسامحين دينيًا، وبالمؤدبين دينيًا مع غيرهم ممن يختلفون معهم في الدين والمذهب، حتى أنهُ ذكر أن أهل حائل كانوا يعرفون بأنهُ كان مسيحيًا هو وخادمه المسيحي اللبناني، ومع هذا سمحوا لهما بالحضور ولم يتعرضوا لهما بأي أذى أو سوء، كما يذكر بالجريف أن الوهابية كفكر تكاد تكون شبه معدومة في حائل، بل ذكر أنهُ التقى بأشخاص من بريدة فروا إلى حائل طلبًا للأمان، وكانوا يلعنون الوهابية، لكنه يعود فيُقر بنفس الوقت أن هنالك جواسيس للوهابية مُنتشرون في أرجاء حائل، لنقل الأخبار للرياض، حيث يقول بالجريف: «ففي أحيان كثيرة كان يجيء إلينا نجدي يرتدي ثياب المطوع المصنوعة من القطن، وتصرفاته المُرائية التي تدعي التقوى والصلاح، ووجههُ الكريه ليطل برأسه في حوش فنائنا. كان هؤلاء الناس جواسيس في خدمة حكومة الرياض، أوفدتهم على عجل ليتبينوا ذلك الذي يجري في حائل، كُنا نلتقي بهم دومًا في الشوارع وفي السوق، وهم يُراقبون كل شيء، ويتجنبهم الجميع، ومع ذلك يُعاملهم الجميع بشيء من الاحترام الحذر، ولا يُمكن للغرباء أو المسيحيين أمثالنا، أن يهربوا من مُلاحظة هؤلاء المطوعين لهم، والواقع أننا أصابنا قدر كبير من المُراقبة، إضافة إلى أن الكراهية الفطرية التي لا تُعبر عنها كلماتهم لم تكن غائبة عنا».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

- **الأمير عبيد بن علي بن رشيد المُتشدد الوحيد دينيًا في أسرة آل رشيد:**

عُرف آل رشيد جميعًا بالتسامح الديني مع المُخالفين لهم في الدين والمذهب، وكذلك عُرف عنهم عدم ممارستهم للبدع والخرافات كونهم على مذهب أهل السُّنة والجماعة، لكن تدينهم كان طبيعيًا ولم يصل قط إلى مرحلة التشدد أو التكفير، باستثناء الأمير عُبيد بن رشيد الذي كان يميل نوعًا ما إلى الحزم في تطبيق الشعائر الدينية، لكنه لم يرقى إلى مرحلة التكفير أو التبديع التي اتخذها الوهابيون شعارًا لهم. وربما يكون عبيد بن رشيد قد تأثر فعلاً بتعاليم الحركة الوهابية لأهداف سياسية وذلك بحكم صداقته بفيصل بن تركي ومن ثم مصاهرته لابن فيصل المدعو عبد الله، فوثق فيه فيصل بن تركي لأنهُ سبق وأن ساعده في القضاء على خصمه عبد الله بن ثنيان، وأيضًا بصفته المبعوث الخاص والدائم لأخيه عبد الله إلى الرياض، وربما كان لعُبيد تطلعات وطموح خفي في أن يرث شقيقه في الحكم بعد موته، فآثر التعاون ومُمالأة حكومة الرياض فطرح نفسه كـ"مطوع وهابي" بنسخة حائلية، لعله يجد الدعم والمؤازرة من قبل آل سعود في حال توفي عبد الله.

ويبدو أيضًا أن فيصل بن تركي وولده عبد الله بن فيصل حاولا تأجيج ذلك الصراع العائلي بين أسرة آل رشيد، خصوصًا بعد وفاة الأمير عبد الله بن رشيد، فمن خلال رواية وليام بالجريف الذي زار الرياض في عهد فيصل بن تركي، فقد كان عبد الله بن فيصل كارهًا وناقمًا على طلال بن رشيد، وربما كان يميل لجانب عمه عُبيد بن رشيد الذي على تواصل دائم معه عبر الرسائل خصوصًا بعد أن تزوج عبد الله بابنة عُبيد طريفة، وكان بود عبد الله لو أن عبيدًا هو من خلف عبد الله بن رشيد بالحكم، فيذكر لنا بالجريف عن دور فيصل وأبنائه في إثارة الأحقاد والضغائن بين أفراد أسرة آل رشيد قائلاً:

«أما فيما يتعلق بجبل شمر والمناطق التابعة له، فكان قد تمَّ فصله فعلاً عن نجد بفعل الحيوية والنشاط اللذين دبا هناك في الأسرة المالكة، والتي كانت

مُمثلة في شخص عبد الله بن رشيد. وعلى كل حال، فقد حاول فيصل (بن تركي) أن يبذر بذور النزاع والفرقة بين أعضاء الأسرة المالكة (في حائل)، وذلك عن طريق عملائه المُنافقين، إلى أن تحين الفرصة التي تسمح له بالتدخل المُسلح، وهذا أمر مُمكن إذا ما سارت الأمور على ما هي عليه...... الخ. إلى أن يقول في مكان آخر في كتابه: وبدأ الأمير عبد الله (بن فيصل) يستفسر بشكل عام عن جبل شمر، والسبب في ذلك، أنهم كانوا قد أبلغوه بزيارتنا لتلك المنطقة، وأوضح الأمير عبد الله أمامنا، عدم رضاه عن طلال (بن رشيد)، وسب ولعن المُدافعين عن عنيزة، كما سبَّ زامل (بن سليم) ولعنه أيضًا». ۞ -انتهى الاقتباس-

وبالرغم من التحريض السعودي بين أفراد آل رشيد وبالرغم مما ذكره بالجريف، فلم يثبت على عُبيد بن رشيد لاحقًا أي دليل أو بوادر على نيته بالانقلاب على سلطة ابن أخيه طلال، مع أن هنالك بوادر وإشارات واضحة دلّت لاحقًا على تحريض وتواطؤ بين عبيد بن رشيد مع أبناء ابن أخيه طلال بن عبد الله كل من بندر وبدر وسلطان وبقية إخوانهم، عندما أقدموا على اغتيال عمهم الأمير متعب بن عبد الله، ولو أحسنا الظن فربما يكون عُبيد قد تهاون أو تخاذل في تهدئة النفوس، أو ربما أراد من أبناء طلال أن يؤدبوا عمهم متعب فقط ولم يتوقع أن يقتلوه، لأن مُتعبًا كان شديدًا وقاسيًا معهم ومع عمه عُبيد أيضًا، ولكن هنالك من اتهم عُبيد بن رشيد بالتآمر صراحةً مع أبناء طلال في عملية قتل عمهم الأمير متعب بن عبد الله، وهذا القول يؤيده المؤرخ النجدي ابن عيسى في كتابه حيث يقول:

« وفي سنة ١٣٨٥هـ، قُتل متعب بن عبد الله بن علي بن رشيد أمير الجبل، قتله أولاد أخيه طلال بن عبد الله بن رشيد، ومالأهم على قتله عُبيد بن علي بن رشيد». ۞۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الأنجليزي وليم جيفورد بالجريف

۞۞ كتاب: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر – المخطوطة الأصلية\ تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

أما حفيد عُبيد بن رشيد الأمير ضاري بن فهيد الرشيد، فله رأي آخر فيما حدث، وربما يميل في رأيه لصالح جده عُبيد بحكم القرابة، حيث يقول:

« أما طلال بن رشيد فهو استقام أميرًا على الجبل وعربانه اثنين وعشرين سنة، وعُبيد باق، ومات طلال رحمه الله، وقد خلّف أولادًا: أكبرهم بندر، وبدر، وسلطان، ومسلط، ونايف، وعبد الله، ونهار. وقد قام بالأمر من بعده أخوه متعب، واستقام سنة ونصفًا، وكان رجلاً شجاعًا. ولكنه لم يجر على السياسة التي هي تجمع الكلمة؛ وذلك أن عنده وزير سوء (عليوي بن كريشان الخالدي) حتى أنهُ أمره في التضييق على أولاد أخيه طلال، حتى أنهُ (الوزير) ضربهم برضا متعب!. فعند ذلك غضبوا، وأتوا إلى عُبيد وقالوا له (أي اشتكوا له). فقال (لهم عبيد) أقول لعمكم وأنتم إياه من دوني، هو محل والدكم، وأنا شايب كبير، ولا لي في هذه الأمور دخل. فدخل عليه عُبيد، وقال: يا متعب، إن هؤلاء ليسوا بالصغار يؤَدبون تأديب الجاهل، وأنت ترى أنهم مُحتاجون إلى التأديب، وهم يأنفون، لأن بندرًا هذا معه أولاد، وأنت تريد ضربه كما يُضرب العبد أو الجاهل! وأنا أخاف عليك إنك تحنقهم، ويبدر أمر عليك ما هو طيب. فقال له متعب: إنما أنت شايب خبل، ثم قال: والله لو وجدوني ميتًا إن يقولوا نخاف إنه نايم. فعند ذلك قال عُبيد: كلكم عندي سواء وإنما قلت ما قلت لأجل السياسة واجتماع الكلمة، وإلا أنت وإياهم تختارون من دوني. وقد جعلوا لهم خادم (أي أبناء طلال)، يستمع لكلام متعب على عُبيد إذ نصحه وما يرد عليه عبيد. وقد كان ذلك في الليل. فلما رأوا إصرار متعب، وغضب عُبيد وتخليه من الدخول في شأنهم، اغتنموا الفرصة. فلما أصبحوا -وقد كان للإمارة مجلس مُعتاد، الصبح بعد طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر- فلما جلس متعب الصبح، وإذا هم قد استعدوا له بالتفقان (البنادق)، وقد كان مجلسه مُقابل القصر، وهم في القصر، لأن متعب أبقاهم في دار أبيهم، وهو إذاك قد بنى قبل إمارته بيتًا كبيرًا أحسن من القصر وبقي فيه. أما هم حالاً أطلقوا عليه رصاصتين، أما واحدة فقد ضربت عند كتفه ولم تصبه، وأما الثانية فأصابته، ولم يصل الأرض وفيه

روح. وكان عُبيد يخرج عادةً إلى نخل أبيه، كل يوم من الصبح، ويأتي بعد انفضاض المجلس. فلما وصل النخل، وجاء على عادته، وإذا الناس في ضوضاء، وإذا بالوزير المُشار إليه يُعارضه ويصيح قائلاً: ما تقول يا عُبيد في هؤلاء الجهال الذين قتلوا متعب؟ وكان عُبيد راكبًا فرسًا، وعبيده ورجاجيله يمينه ويساره كجاري العادة. فعند ذلك قال عُبيد: والله ما قتل مُتعبًا إلا أنت. اقبضوا عليه، فقبضه أحد العبيد، وجعل عمامته في عنقه، وقال امش قدامي، فلما مشى اخترط عُبيد سيفه، وضربه ضربة واحدة في المتن قصت أضلاعه، فسقط ميتًا. أما أولاد طلال فجاءوا إلى عُبيد يعتذرون ويتصفحون ما في خاطره، فلما حضروا قال: ما فللتم إلا عضدكم، ولا قللتم إلا عددكم، وقد عققتم أباكم وعمكم، فحسبكم الله ونعم الوكيل». ۞ -انتهى الاقتباس-

تلك هي رواية ضاري الفهيد آل رشيد لما حدث بين متعب وأبناء أخيه كما جاءت في كشكول البستاني، وقطعًا فإن ضاري سيميل لجانب جده عُبيد في تبرير ما حدث، ولكن من خلال ما ذكره ضاري فإن عُبيدًا كان حانقًا وناقمًا على وزير مُتعب المدعو عليوي بن كريشان الخالدي، ومسارعة عُبيد بقتله تدل على أن عُبيدًا كان يتربص به، وأعتقد أنهُ كان باستطاعة عُبيد حل تلك الخلافات بين متعب وأبناء أخيه، لكنه تهاون؛ أو ربما تعمد أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه، بسبب تجاهل متعب لرأي عمه عُبيد واستعانته بذلك المُساعد أو الوزير ابن كريشان.

ومن يدري فربما كان عُبيد يُخفي ولائه للوهابيين في السابق خوفًا من شقيقه عبد الله حينما كان حيًا، وذلك لأن شقيقه عبد الله بن رشيد المؤسس، لم يتعاطف أصلاً أو يميل إلى الوهابية كما يعرف الجميع، وكانت علاقته مع الرياض علاقة براغماتية سياسية مصلحية بحتة؛ كما ذكر بالجريف، ولهذا فقد بقي عُبيد مُطبقًا لسياسة شقيقه عبد الله دون أي تدخل أو اعتراض منه،

---

۞ كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

وربما تغيرت أوضاعه بعد وفاة عبد الله. فقد كانت تربطه علاقة صداقة متينة مع فيصل بن تركي ومن ثم مع ولده عبد الله، وقد توثقت تلك الصداقة بعد وفاة شقيقه عبد الله حينما تكللت بزواج ابنته طريفة من عبد الله الفيصل، وربما تلك الصداقة هي التي جعلت بالجريف يجزم أن عُبيدًا كان طامعًا بالسلطة وينوي عمل انقلاب وهابي في حائل، لكن كل شكوك وتوقعات بالجريف لم تحصل على أرض الواقع؛ على الأقل من طرف عُبيد، بل ربما كانت تلك العلاقة الوطيدة والمُصاهرة التي جمعت بين عُبيد بن رشيد من جهة وبين عبد الله بن فيصل بن تركي من جهة أخرى، هي التي منعت نشوب حرب كانت حتمية بين طلال بن رشيد من جهة وبين فيصل بن تركي وأبنائه من جهة أخرى. فقد تلقى أمير حائل طلال بن رشيد أكثر من مرة دعوات وتوسلات من قبل أهالي القصيم، وخصوصًا من قبل أمير عنيزة زامل بن سليم، يُطلب منه العون والفزعة ضد ابن سعود، وكان طلال في كل مرة يتردد ويعتذر منه، وقد كان لعُبيد تأثيرًا كبيرًا على ابن أخيه طلال حيث يدفعه في كل مرة إلى رفض تلك الدعوات حفاظًا على الود والعلاقة بين عُبيد بن رشيد من جهة، وبين آل سعود من جهة أخرى.

وكما قلت فإن عُبيد بن رشيد مال كثيرًا نحو فيصل بن تركي وأبنائه بعد وفاة أخيه عبد الله، وقد توثقت تلك العلاقة بين آل فيصل وبين عُبيد بعد أن تزوج عبد الله الابن البكر لفيصل من طريفة ابنة عُبيد بن رشيد، ولهذا بدأ عُبيد يوالي حُكَّام الرياض ولاءً مُطلقًا، وهو ما أثار حفيظة أبناء أخيه عبد الله.

وعن نوع تلك العلاقة الوطيدة التي نشئت بين عبيد بن رشيد وبين آل سعود، وخصوصًا علاقة عُبيد مع عبد الله بن فيصل بن تركي، يذكر لنا وليام بالجريف قائلاً: « أدى التماثل في الشخصية وفي الآراء الدينية إلى حميمية مُتأصلة بين كل من عُبيد بن رشيد، وبين عبد الله ابن الأمير فيصل في الرياض، وقد دارت بين هذين الصديقين المُتماثلين، مُراسلات ودية، كانت كلها لصالح الفئة الوهابية، ولم تكن في صالح طلال إطلاقا، والذي ذكره عُبيد (عن طلال) على

أنهُ مُجرد مُتحرر، أي أفضل قليلاً من كافر مُستتر، إنسان يُفضل الرفاه الحسي والمادي لكل من مملكته ورعاياه، على وحدة الإيمان الحقيقي وانتصار الحركة الوهابية. وعلى النقيض من طلال تمامًا، أصبح عُبيد المُحرك الرئيسي للطائفة الوهابية في جبل شمر، حيث تحول قصره إلى ملاذ يومي للمُتزمتين والمطاوعة النجديين، كان أولئك الذين جمعت بينهم الرغبة في السلب والنهب والاستبداد والحكم المُطلق،يجتمعون ويُهاجمون التراخي والتساهل والمُبغضات السائدة في البلاد، كما كانوا يندون بالتجارة، والدخان والشرك». ۞

وقد تكون بعض من مُلاحظات الرحالة البريطاني وليام بالجريف فيها الكثير من الصحة، إلا أن خاتمة عُبيد لا توحي بما أثاره بالجريف من وجود أطماع مكبوتة وحقد دفين في قلب عُبيد ضد ابن أخيه طلال، فقد بقي عبيد بن رشيد مواليًا لأخيه عبد الله حتى بعد وفاته، وبالرغم من شعوره الخفي بالغبن والتهميش الذي طاله من قبل شقيقه عبد الله بن رشيد في مسالة التوريث، حيث كان عبد الله يُهيئ ابنه البكر طلال للحكم مفضلاً إياه على أخيه وساعده الأيمن عُبيد، ليكون أميرًا على حائل من بعده، ومع هذا فقد استوعب عُبيد الأمر ودعم ابن أخيه طلال وأشار على القوم مُبايعته، واستمر عبيد في خدمة ابن أخيه طلال دون كلل أو ملل ولم يتذمر قط، وقد كان لعُبيد إبان حكم طلال نفوذ كبير في إمارة حائل.

أما بالجريف فيرى أن عُبيد بن رشيد كان يُمثل النفوذ الوهابي في داخل حائل، ويعتقد أن لديه تطلعات وهابية طاغية وأطماع سياسية خفية للاستيلاء على السلطة والسطو على الحكم بعد وفاة شقيقه عبد الله، ربما لأن بالجريف ومن خلال مُعايشته لأهل حائل لعدة أشهر ومُتابعته للأوضاع الداخلية في حائل، فهم؛ أو سمع وإطلع على الكثير مما يُقال ويُردد بين العامة ومن قبل العم عُبيد المُتذمر وأنصاره خصوصًا مؤاخذاتهم على تصرفات ابن أخيه الانفتاحية،ومن

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

ثم ربط بالجريف بين ما يتردد ويُقال مع وضع الأمير الشاب طلال بن رشيد الذي كان غير مُلتزم دينيًا بالمفهوم العقائدي المتزمت لدى الوهابيين، أي أنهُ لم يكن مُتمسكًا بصفات وتعاليم الوهابية المُتعارف عليها، على عكس عمه المُلتزم والمُتشدد عُبيد، حيث يذكر بالجريف عن تطلعات وطموح عُبيد للمُلك، قائلاً: « ولكن بعد وفاة عبد الله بن رشيد، بدأت تتزايد مطامح عُبيد الذي لم ترضه بعد كل الانتصارات التي حققها في حملاته الدموية، وراح يتطلع إلى التاج الملكي، إضافة إلى صبا طلال (صغر سنه) الذي لم يكن قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره، ترك أمام عُبيد المجال مفتوحًا، ولكن طلال بن رشيد برغم صغر سنه، كان واسع الخبرة، واستطاع أن يضم إلى جانبه كلاً من أعيان المدينة والرؤساء المحليين الآخرين الذين كانوا لا يميلون كثيرًا إلى جانب عُبيد». ۞ -انتهى الاقتباس-

وعلى العموم فما ذكره بالجريف هو ممكن جدًا، وقد يكون هذا الإنجليزي الماكر الفطن قد أصاب في رأيه وكان قارئًا جيدًا للأحداث في حائل كما قرأ الأحداث لاحقًا في قصور الرياض، حيث توقع نشوب الصراع الدموي بين أبناء فيصل، وقد حدث فعلاً ما توقعه بالضبط، فقد فهم بالجريف وهو الرحالة العابر للسبيل والمار بحائل مرور الكرام، أن هنالك مطامع خفية وتطلعات دفينة يخفيها العم الصامت عُبيد بن رشيد الذي ربما كان يطمح للوصول إلى السلطة بعد رحيل أخيه عبد الله، ولكن الغريب في الأمر أن عُبيدًا لم يُطالب بالحكم لنفسه حتى بعد أن تصارع أبناء وأحفاد عبد الله على السلطة، ربما لأنهُ كان قد فقد الأمل بعد أن كبر في السن وتلاشى حلم توليه الإمارة، ويُقال إن عُبيدًا انشغل في أواخر أيامه بالتعبد والصلاة.

ولكن الخلافات والنزاعات بين أبناء طلال بن عبد الله بن رشيد وعمهم متعب بن عبد الله بن رشيد كانت قد بدأت وتفاقمت في حياة العم عُبيد وقد انفرطت

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

الأمور بعد وفاته، فلم يُفلح عُبيد في ضبط الأمور وإيقاف القتال بين أفراد الأسرة حينما كان حيًا، بل ربما يكون قد تواطأ أو ساهم هو بتأجيجها دون أن يُدرك ذلك الخطأ التاريخي المُميت، حيث يتهمه بعض المؤرخين أنهُ كان قد حرّض أو شجّع أحفاد أخيه الأمير عبد الله لكي يغتالوا عمهم الأمير متعب، حيث يذكر ابن عيسى في تاريخه عن ممالأة عبيد أبناء طلال على قتل عمهم متعب، حيث يذكر ابن عيسى:

« ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائتين والألف: وفيها قُتل متعب بن عبد الله بن علي بن رشيد أمير الجبل، قتله أولاد أخيه طلال بن عبد الله بن علي بن رشيد ومالأهم على قتله عمه عبيد بن علي بن رشيد، وتولى الإمارة بعده بندر بن طلال، وكان أخوه محمد آل عبد الله قد ركب من الجبل وافدًا على عبد الله بن فيصل فجاءه الخبر بقتل أخيه متعب إذ ذاك في الرياض، فأقام عند "الإمام" إلى السنة التي بعدها. ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائتين والألف: وفيها وفد بندر بن طلال بن رشيد على عبد الله بن فيصل ومعه له هدية جليلة، فأكرمه "الإمام" هو ومن معه، وطلب من عمه محمد آل عبد الله بن علي بن رشيد الرجوع معه إلى حائل وأعطاه عهودًا ومواثيق على أنه ما يناله منه شيء يكرهه، وأقاموا هناك أيامًا، ثم رجعوا إلى حائل ومعهم محمد آل عبد الله المذكور، وحصل منه على عيال الطلال ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في سنة ١٢٨٩ هـ».[۞] -انتهى الاقتباس-

وهنالك أيضًا بعض الروايات الشفهية تتهم عُبيد بن رشيد وتنسب لهُ دورًا تحريضيًا على قتل ابن أخيه الأمير متعب بن عبد الله الذي أُغتيل على يد أبناء أخيه طلال في سنة ١٢٨٥هـ، ويبدو أن عُبيد المُتشدد لم يكن راضيًا عن سياسات وتصرفات الأمير متعب المُنفتح الذي تخلى عن خدمات ومشورة عمه عُبيد واستعان بمشورة عليوي ابن كريشان الخالدي، حيث يذكر بعض الرواة

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر – المخطوطة الأصلية\ تأليف إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

أن عُبيدًا قد قال أبياتًا من الشعر في إحدى الغزوات حينما كان مُرافقًا لابن أخيه الأمير متعب، فدعا عليه بالويل والثبور، وقد جاء في أحد الأبيات، قوله:

سرنا مع اللي جعل ما يرمق النور | عساه بأسفل وادي مع هل النار

ويُقال أيضًا أن الأمير متعب كان مُنزعجًا هو الآخر وغير راضٍ عن تدخلات حُكَّام الرياض في حائل، وكان مُتذمرًا من علاقة عمه عُبيد مع عبد الله بن فيصل، خصوصًا بعدما قام عُبيد بتزويج ابنته طريفة إلى عبد الله بن فيصل، ويُقال إن الأمير متعب غضب يومًا على عمه عُبيد بسبب دفاعه المُستميت عن حُكَّام الرياض، ولا صحة للرواية التي تزعم أن الأمير متعب بن عبد الله بن رشيد كان غاضبًا على عمه عُبيد، لأنه زوج ابنته طريفة لآل سعود، لأن شقيقة الأمير متعب نورة بنت عبد الله بن رشيد كانت قد تزوجت من عبد الله بن فيصل قبل أن يتزوج بطريفة بنت عُبيد، وقد تزوج عبد الله الفيصل بابنة عبيد بعد أن توفيت نورة.

إذن غضب الأمير مُتعب من عمه عُبيد لم يكن بسبب تلك المُصاهرة، بل لأن عُبيدًا كان يُحابي أنسابه حُكَّام الرياض ويقدم مصلحتهم على حساب مصلحة حائل وأهلها، ولهذا قال متعب يومًا لعمه ساخرًا: (لماذا لا تحمل زكاة أهل حائل إلى الرياض كما حملت ابنتك).

ويبدو أن عُبيدًا قد تأثر كثيرًا وغضب من تلك المقولة المُهينة ودفعته للحقد على ابن أخيه متعب، ولهذا السبب يُصر البعض على وجود دور كبير لعُبيد في تحريض أبناء طلال الرشيد في قتل عمهم متعب سنة ١٢٨٥هـ وربما ما يؤكد تلك الرواية، ورود بعض أبيات الشعر التي ذكرها فهد المارك، والذي زعم أن بندر بن طلال قالها وهو نادم على قتله لعمه متعب ومُحملاً عُبيدًا المسؤولية، فقال:

يلي تدزون المراسيل | قولوا تراني بين حذوة ومسمار
اطعت حكي المقعدية بعمي | يعل عُبيد وشيبته بأسفل النار

وفي الحقيقة لا توجد لدينا تفاصيل دقيقة ولا روايات موثقة لما جرى بالضبط في حادثة الاغتيال، وهل للأمير عُبيد بن رشيد دورٌ فعلي في مقتل الأمير متعب أم لا، ولا يُمكن التأكد من صحة ما يُذكر ويتردد من الأقاويل والروايات الشفهية غير الموثقة، ولذلك أنا أوردها هنا بصيغة (يُقال ويقولون) ولكن لا بد من ذكر وسرد تلك الأحداث حتى وإن كانت مُجرد روايات شفهية عابرة وغير دقيقة، حتى لا يظن البعض أن هُنالك مُحاباة أو مُجاملة لأسرة آل رشيد، وسوف أورد ما حدث من خلافات وتقاتل بين أفراد أسرة آل رشيد في كتابي القادم بإذن الله، وسأخصص فيه فصلاً خاصًا عن أسباب سقوط إمارة حائل وتداعيات ذلك الاحتلال السعودي.

ومن يدري فربما تحول عُبيد إلى طامح إلى السلطة بتحريض من قبل صديقه فيصل وصهره عبد الله بن فيصل كما ذكر بالجريف، لأن عُبيدًا كان لا يُخفي نقمته وعدم رضاه على تصرفات ابن أخيه متعب مثلما كان منزعجًا في السابق من تصرفات ابن أخيه طلال، وكان على تواصل دائم عن طريق الرسائل مع حُكَّام الرياض، خصوصًا بعد أن تحول عُبيد بن رشيد إلى وهابي مُتزمت أكثر من الوهابيين أنفسهم، فبات كما يقول المثل ملكيًا أكثر من الملك نفسه، حيث أصبح راديكاليًا أكثر من مطاوعة ابن سعود في الرياض ظانًا أنهم سيصطفون معه في حال تنافس على السلطة بحكم المُصاهرة مع عبد الله بن فيصل وبحكم إتباعه لعقيدتهم الوهابية.

ثم أن عُبيد بن رشيد ليس معصومًا وتبقى تراوده طموحات وملذات البشر ويسعى لتحقيق تطلعاته الشخصية، وأما حقيقة إيمانه بالدعوة الوهابية فإما أنهُ كان يهدف من وراء اعتناقها أن توفر له تلك الدعوة الدعم والقبول الشرعي في حال حدث تنافس وصراع على الحكم بعد وفاة أخيه عبد الله، أو أنهُ انخدع فعلاً بتلك الدعوة حاله كحال الكثيرين الذين وقعوا ضحايا في شراك الوهابية عن حسن ظن ونية سليمة، أو عن سذاجة، وربما من أشهر أولئك المخدوعين كان شهيد الجمعة الأمير عثمان بن معمر أمير العيينة.

ولكن يجب أن أنوه هنا أن وليام بالجريف كان يبدو مُتحاملاً بعض الشيء على شخصية عُبيد بن رشيد في كتابه، ربما بسبب آراء عُبيد الدينية المُتزمتة، أو ربما بسبب تلك الرسالة الملغومة التي أرسلها عُبيد بيد بالجريف إلى عبد الله بن فيصل بن تركي بشأن مُساعدة بالجريف وصاحبه لتكون بمثابة تزكية لهما وعبارة عن جواز مرور، والتي فهم منها بالجريف أنها تحمل تحذيرًا مُبطنًا يُدينهما، كما سيأتي ذكرها.

وعن تحامل ومشاعر بالجريف السلبية نحو عُبيد، جاء في كتابه ما نصه:

« ولكن عبد الله برغم صلاته الحميمة، سواء كجندي أو أمير مع الحكومة الوهابية، يكاد لا يتعاطف أو يميل مُطلقًا إلى مبادئ ذلك المذهب (الوهابي) المتزمت، لقد كان عبد الله بن رشيد حليفًا سياسيًا، ولم يكن تابعًا على الإطلاق، ولكن شقيقه عبيد المُتكبر والمُتشدد لم يكن كذلك. فقد وجد عقله أنهُ متوافق مع التشدد النجدي (الوهابي) نصًا وروحًا، ولذلك انغمس في ذلك التزمت قلبًا وقالبًا، إلى حد الشك في أن الرياض نفسها لم يكن فيها وهابي أكثر إخلاصًا من عبيد بن رشيد الموجود في حائل. ولما كان عبيد مُحاربًا ممتازًا، وصاحب خبرة وشجاعة فريدتين، ويستشهد به في كل مصادر الخداع والعنف، ولما كان مشهورًا بسفك الدماء، والحنث باليمين، فقد أخله كل ذلك ليكون رائدًا للمذهب الوهابي في كل من جبل شمر والمناطق التابعة له، وإذا ما صحت التقارير، فإن هذا الرجل يكون قد قتل بيديه هو شخصيًا، ما لا يقل عن ثمانمائة فرد "في ميادين القتال" (أي أعداء)، ناهيك عن الآلاف التي قتلها أتباعه». [۞] - انتهى الاقتباس -

ويُلاحظ هنا مدى الغضب والنقمة التي أبداها بالجريف بحق عُبيد بن رشيد، وأما عن لقاء بالجريف بالأمير عُبيد بن رشيد بعد عودته إلى حائل من إحدى الغزوات، فسنرى كيف حاول عُبيد بن رشيد إيصال رسالة واضحة إلى بالجريف

---

[۞] كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.

بعد أن شك بأنهُ جاسوس إنجليزي (وهنالك دلائل تشير على أن بالجريف كان جاسوسًا فعلاً)، ولهذا نجد أن بالجريف يُبدي حنقه ونقمته في كتابه على شخصية عبيد بن رشيد تحديدًا، ويظهر تخوفه الواضح من التطرف الذي يحمله عُبيد في داخله خصوصًا ضد أبناء ملته المسيحيين، حيث يروي بالجريف ذلك اللقاء الحاد، قائلاً: « وذات صباح أرسل عُبيد في طلبي لأفحص رجلاً من أهل بيته كان بحاجة إلى العلاج الطبي، وذهبت إلى بيته وبرفقتي مُساعدي بركات الشامي، وعندما دخلنا قصر عُبيد، دخلنا معه في حديث حول الأحداث الدائرة في الباشاويات المُجاورة في كل من سوريا وبغداد، وعن النفوذ المسيحي ورد الفعل الإسلامي. وحجب عُبيد عنا بصورة مؤقتة، أسلوبه المُتحيز الذي كان يستعرضه دومًا أمامنا، وبدأ يُعرب عن ارتياحه للتقدم المُرتقب والتحسن الذي أوشك أن يبدأ في الشرق، وفجأة حدثت صدمة كهربية من مشاعره الحقيقية تغلبت على إثرها على سلوكه الظاهري، وتحولت نغمته المُهادنة وعباراته الناعمة إلى لغة مملوءة بالحقد والكراهية والتحدي الصريح، راح على إثرها يَذُم المُبتدعين ذمًا عنيفًا، هُم والمسيحيين، والإمعات، وكل أولئك الذين لم يتمسكوا بنقاء الإسلام القديم وشموليته، إلى أن قال لنا بتعبير فظيع وبموجة غضب شديدة: ولكن أنتما، أيما كنتما، يجب أن تعلما أنهُ لو قدر لابن أخي ولشعبه وللجزيرة العربية كلها أن يرتدوا عن الإسلام، ولن يبقى في الدنيا كلها سوى مُسلم واحد، فإنني سأكون ذلك المُسلم، وبعد أن شعر بأنهُ تجاوز حدوده، توقف على الفور، وعاد فجأة دونما انتقال أو تدرج، شأنه شأن تغيير منظر من المناظر في مسرحية من المسرحيات، إلى ابتسامته العريضة وحديثه الودي، كما لو كان لم يعرف الشك أو الغضب، ولكننا عند هذا الحد نكون قد عرفنا عنه الكثير، وانتهت اعتبارًا من تلك الساعة زيارتنا له وحديثنا معه». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

ويبدو أن ذلك اللقاء المتوتر الذي جرى بين الأمير عبيد بن رشيد وبين الرحالة الإنجليزي بالجريف المُتخفي بهيئة طبيب شامي مع خادمه اللبناني، كان له الأثر النفسي الكبير على شخصية ووجهة نظر بالجريف، حيث بنى عليه موقفه الحذر والمُرتاب من ناحية عُبيد، فأصبح بالجريف يُفسر أي تحرك ودي من جانب عُبيد نحوه على أنهُ مؤامرة تُحاك ضده، ولهذا فسر بالجريف ما جاء في تلك الرسالة التي أعطاها إياه عبيد بن رشيد كتعريف له عند عبد الله بن فيصل على أنها فخ مُميت ومكيدة، بينما عُبيد لم يكن بحاجة للف والدوران لو أنهُ أراد أن يفتك بـ بالجريف، لكن الخوف والرعب الذي تولد في قلب بالجريف من شخصية عُبيد بن رشيد المُرعبة، وكذلك الحكايات والروايات التي يتداولها أهالي حائل عنه وعن شجاعة وفروسية وبطش عُبيد بخصومه في ساحة المعركة، جعلت بالجريف يرتاب بنوايا عُبيد ويحسب له ألف حساب، حتى حينما كان يُلاطفه وحاول مُساعدته عن طريق تلك الرسالة، فأساء الظن بالجريف بنوايا عُبيد وفسرها على أنها مُجرد مكيدة وخدعة!.

ويبدو أن بالجريف فهم خطأ أن عُبيدًا كتب في تلك الرسالة أن حاملها يمتهن السحر، كي يحرِّض عليه حاكم الرياض، بينما رسالته كانت تقول إن هذا الشخص لديه معرفة بالطب وعلوم أخرى، والحقيقة لم يكذب عبيد ولم يتبلى عليه، فهو أصلاً لم يكن طبيبًا حقيقيًا، بل مُتخفي بشخصية طبيب، ولو أراد عبيد به الشر لقتله في الحال وهو في حائل، أو على الأقل لأخبر عبد الله بن فيصل أن هذا الشخص دجال وساحر بصريح العبارة، ولكن سوء الفهم والخطأ في الترجمة جعلت بالجريف يُسيء الظن في عُبيد بن رشيد.

وعن تلك الحادثة التي أرعبت وليام بالجريف وأثارت حقده وضغينته ضد عبيد بن رشيد، يوثق بالجريف تلك الحادثة في كتابه، قائلاً: « وعندما حان موعد البداية (كان يوافق اليوم الرابع من شهر سبتمبر من العام ١٨٦٢ الميلادي)، أصدر عُبيد أوامر بنصب خيمته في السهل الموجود خلف الأسوار الشمالية، وراح يستقبل قواته في تلك المنطقة، كان ثلث قواته تقريبًا من

الخيالة، أما بقية القوات فكانت تركب جمالاً خفيفة وسريعة (هجن)، كان الجنود جميعهم مُسلحين بالرماح وبنادق الفتيل، التي زاد الجنود عليها السيوف، وبينما اتجهت القوات هنا وهناك في مُناورات خادعة على ارض استعراض القوات، كان شكل القوات العام رائعًا وعسكريًا تمامًا، وهنا فرد عُبيد بيرقه العجيب، الذي يرمز فيه اللون الأخضر الذي يُحيط بأطراف البيرق الأبيض، إلى الإسلام، في حين كانت أرضية البيرق البيضاء من نفس لون البيرق النجدي العريق، الذي ذكره منذ أربعة عشر قرنًا مضت، عمرو ابن كلثوم، شاعر تغلب، هو وشعراء آخرون، ووقفت أنا مع بركات الشامي بين المُتفرجين، ورآنا عُبيد، وكان أخر لقاء لنا معه قد مضت عليه عدة أيام، وأشار إلينا بدون أي تردد، واتجه نحونا، وبينما مد يده لنا ليُصافحنا مُصافحة الوداع، قال لنا: "بلغني أنكما تنويان السفر إلى الرياض، وفي الرياض سوف تلتقون عبد الله بن فيصل بن سعود، وهو صديق لي بصفة خاصة، وأتمنى أن أراكما ترفلان في أفضاله، ولذلك فقد كتبت له رسالة بهذا المعنى لصالحكم، وسوف تحملانها أنتما نفسيكما إليه، وستجدون هذه الرسالة في منزلي، فقد تركتها لكم مع واحد من الخدم، ثم أكد لنا بعد ذلك، أنهُ إذا وجدنا في الرياض عند عودته، فأنهُ سوف يواصل صداقته الودية معنا من جميع النواحي، ولكن إذا ما واصلنا رحلتنا صوب نجد، فسوف نجد صديقًا حميمًا في عبد الله بن فيصل بن سعود، وبخاصة إذا ما سلمناه الرسالة التي نحملها له من عُبيد. ثم استأذن منا بطريقة تنم عن الود والحب، جعلت الواقفين يندهشون، وبذلك يكون قد أيد ذلك المظهر الخادع الذي انتحله للحظة واحدة، وسلم لنا رئيس خدمه في الليلة نفسها تلك الرسالة، وبخاصة أن عُبيدًا كان قد خلف رئيس الخدم وراءه ليقوم على أمر رعاية المنزل والحديقة طوال فترة غيابه، ومما لاشك فيه، أن القارئ يود أن يعرف نوعية تلك التوصية التي زودنا بها عُبيد؟ لقد كانت التوصية مكتوبة على قصاصة من الورق المقوى، طول ضلعها أربعة بوصات، طواها بعناية وختمها بخاتمه ثلاث مرات، وعلى كل حال فقد

"أنستنا مخاوفنا الأخلاق"، وأيدنا هاملت في رأيه عندما أراد أن يستفيد من ذلك التكليف العظيم قبل أن يصل إلى محطة الوصول. وعليه فقد فضضنا الأختام بحِرص يسمح لنا بإعادة إغلاق الرسالة مرة ثانية مثلما كانت في البداية، وقرأنا المكر والخداع الملكي، وأنا أورد محتويات تلك الرسالة هنا كلمة بكلمة وبحذافيرها: تقول الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، نحنُ عُبيد بن رشيد، نُحييكم يا عبد الله يا ابن فيصل بن سعود، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، (وهذه هي بداية الرسائل الوهابية، التي لا تعترف بصيغ التحية السائدة والمُستعملة من قبل الشرقيين). ثم تستطرد الرسالة، وبعد: نبلغكم أن حاملي هذه الرسالة هما سليم العيسى، ورفيقه بركات الشامي، اللذان يُقدمان نفسيهما على أن لديهما شيء من المعرفة في.... [•]، ووردت في الرسالة هنا كلمة مأساوية لكلمة "الطب" أو "السحر"، لكنها تستعمل في نجد بمعنى الكلمة الأخيرة، وهو ما يُعد في الرياض جريمة يُعاقب عليها بالإعدام، والآن، حفظك الله من كل مكروه، ونحن نُحيي والدك فيصل أيضًا، وأشقاءك، وكل أسرتك، ونحن في انتظار أخبارك في الرد، والسلام عليكم ورحمة الله. وخُتمت الرسالة بعد ذلك. إنها توصية ظريفة جدًا، خاصة في ظل الظروف الراهنة، ومع ذلك لم يكتف عُبيد بذلك، فأوجد وسيلة أخرى أرسل عن طريقها مزيدًا من المعلومات هنا، وكلها تحمل المعنى نفسه إلى الرياض، مثلما اكتشفنا بعد ذلك». ۞

ويبدو أن الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف كان قد تلقى معلومات أخرى من قبل أتباع حاكم الرياض، تُفيد أن سبب الخوف منه وعدم الرغبة في مُقابلته من قبل فيصل بن تركي، هو بسبب الرسائل والتحذيرات التي أرسلها لهم عُبيد بن رشيد من حائل، أو هكذا ادعوا فترسخت تلك الفكرة السيئة عن عُبيد لدى وليام بالجريف.

---

[•] لم يذكر وليام بالجريف تلك الصفة التي وصمهم بها عبيد بن رشيد في رسالته المذكورة في النسخة المُترجمة لكنني أعتقد أنهُ ذكر في الرسالة بأن "بالجريف" له معرفة بعلم السيمياء والله أعلم، وهي كلمة عبرية تعني علم أسرار الحروف، وقد تحدث عن هذا العلم ابن خلدون والغزالي وابن سينا وابن حيان وغيرهم، (توقع من قبل المؤلف).

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

▪ وليام بالجريف يصف أمير حائل طلال بن عبد الله بن رشيد وعمه عُبيد:

ربما يكون وليام بالجريف هو أول من وثّق ودوّن معلوماتٍ دقيقة حينما قام بوصف أمير حائل طلال بن عبد الله بن رشيد وكذلك أعطى صورة جلية لعمه عبيد بن رشيد حيث وصفهما وصفًا دقيقًا يصعب أن تجده في أي مصدر تاريخي آخر، لقد وثّق هذا الإنجليزي المسيحي المُتزمت بكل شفافية وصدق ما شاهده في حائل، ورغم موقفه السلبي المُسبق ضد العرب والمُسلمين وانتقاده الدائم للتعاليم الإسلامية بسبب مُشاهداته ومُتابعاته للجاليات العربية والإسلامية في بعض المناطق التي مرَّ بها، لكنه لم يستطع أن يُخفي دهشته وأن يعترف بأن ما شاهده في حائل هو أنموذج حقيقي للدولة العربية المتحضرة شبيه بالأنظمة الغربية المُتطورة، وقد فوجئ ومُرافقه بالنظام والعدل القائم في حائل، كما أشاد بالشجاعة والحكمة والكرم والأريحية التي يتميز بها أمير حائل طلال بن رشيد، حيث يقول في كتابه واصفًا تلك الحالة الفريدة من الحكم في ذلك الزمان، حيث يصف أول لقاء له بالأمير الرشيدي:

« كانت الشخصية التي في الوسط، الأمير نفسه، قصير القامة، عريض المنكبين، قوي البنية داكن البشرة تمامًا، له شعر طويل أسود، عينان سوداوان ثاقبتان، ووجه ينم عن الصرامة أكثر من الانبساط والوضوح، ويمكن أن نقدر عمره بما يزيد عن أربعين عامًا، برغم أن عمره لا يزيد على السابعة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين على أكثر تقدير، كان خطوه محسوبًا، وسلوكه رزينًا وفيه شيء من التعالي والشموخ، أما ثيابه فكانت عبارة عن رداء طويل من الكشمير، كان يُغطي القميص العربي الأبيض، ومن فوق ذلك مشلح مُتقن الصنعة، مصنوع في عُمان، من وبر الجمال، وهذا المشلح يُعد شيئًا نادرًا وذا قيمة كبيرة في هذا الجزء من الجزيرة العربية، وكانت تزين رأسه غترة مطرزة، ولم تستبعد خيوط الحرير أو الذهب من تطريز الغترة، وعقال على شكل عصابة عريضة، مصنوع من وبر الجمال المجدول مع الحرير الأحمر، ومصنوع في مدينة مشهد علي (النجف)، وكان يتدلى على

جنبه سيف مقبضه من الذهب، أما ثيابه فقد كانت مُعطرة بطيب المسك، المُعد بطريقة تعجب حاسة الشم العربية أكثر من الأوربية. أما نظراته فلم تهدأ قط ولو للحظة واحدة، فتراه أحيانًا ينظر إلى القريبين منه، وأحيانًا أخرى ينظر إلى الجمهور، وأنا أعترف بأني لم أرَ في حياتي عين نسر من هذا القبيل، في سرعتها وفي ذكائها. ووقف الجميع عندما اقترب منهم طلال الرشيد، وأشار لنا سيف (رئيس الحاشية) بأن نتبعه، وفسح لنا طريقًا خلال الجماهير، ثم حيا مليكه بالتحية الرسمية المُعتادة قائلاً: "السلام عليكم يا طويل العمر"، وهذه التحية أفضل من قول "حامي الحمى Protector" وأكثر تواضعًا، وعندئذ نظر إلينا طلال نظرة ثاقبة، ووجه سؤالاً بصوت خفيض إلى سيف، الذي جاءت إجابته عن السؤال بنفس الصوت الخفيض. ثم نظر الأمير تجاهنا مرة ثانية، ولكن وجهه في هذه المرة كان يفيض ودًا. واقتربنا منه، ولمسنا يده المفتوحة، وكررنا التحية نفسها التي حيا بها سيف مليكه، فلا انحناء ولا تقبيل للأيدي ولا أية احتفاءات أخرى في مثل هذه المُناسبات. ورد طلال التحية ثم همس لحظة إلى سيف دون أن ينبس ببنت شفة، وراح بعد ذلك يجتاز بوابة القصر. ويندر جدًا أن يحكم هذا الملك المُبرز بالإعدام، وأقصى عقوبة وقعها منذ أن تولى العرش، على المُجرمين السياسيين هي النفي أو السجن، بل إنهُ في حالات القتل أو الاغتيال، كان يميل إلى تحكيم العرف السائد بين العرب والذي يُعطي خيارًا بين دفع الدية أو القتل، وإنهُ كان يفتدي القاتل، بأن يدفع من ماله الخاص الدية المُقررة لأهل القتيل، وذلك من منطلق إنساني فقط، وتنفيذ القصاص يكون هنا دومًا بقطع الرأس، وليست هنالك أية طريقة أخرى للقصاص في الجزيرة العربية غير هذه الطريقة، وللحق أقول: إن الهمجية العثمانية والفارسية بكل ما فيها من تشويه وحرق وما إلى ذلك من الأشياء المُحرمة ممنوعة هنا وفي نجد، وسوف نقف فيما بعد على استثناء واحد فقط من هذه القاعدة العامة، وعلى كل حال فالجلد هنا أمر شائع، ولكنه يكون على الظهر وليس على القدمين، والجلد عن المُخالفات

الصغرى التي من قبيل السرقة والسب أو التشاجر، وفيما يتعلق بالتشاجر يتم في أغلب الأحيان جلد الطرفين. وطلال بن رشيد يتسامح أكثر من اللازم مع أفراد حاشيته الكثيرين، فهو عفو عن الأخطاء الناتجة عن السهو، ولكنه لا يعفو مُطلقًا عن الكذب، ومن المعروف عن طلال أن من يكذب عليه مرة واحدة؛ أيًا كان؛ يخسر كل أمله في الصفح عنه مُستقبلاً. وهو في حياته الخاصة يسترخي كثيرًا جراء متاعبه في العمل الرسمي، وهو يضحك، ويُنكت، ويُدردش، ويتذوق الشعر والحكايات، وهو لا يُدخن إلا في وجود أصدقائه الحميمين فقط، وهو متزوج ثلاث زوجات، جاء زواجه منهن نتيجة لبعض الدوافع السياسية، وإحدى زوجاته هي ابنة الأمير فيصل (بن تركي بن عبد الله بن سعود) الحاكم الوهابي، والثانية من عائلة من أعيان حائل، أما الثالثة فهي من نساء أهله من قبيلة آل جعفر، وبذلك يكون طلال قد وفق بين ثلاثة مصالح مُختلفة ولكن جمعها كلها في عائلة واحدة. وطلال له ثلاثة أبناء: أكبرهم اسمهُ بدر، وهو صبي ذكي عمره اثنا عشر عامًا، أو ما يُقارب من ذلك، وثانيهم اسمه بندر، أما ثالثهم فاسمه عبد الله، وهو طفل ماهر ذكي يتراوح عمره بين خمس وست سنوات، وطلال له أيضًا بنات، ولكني لا أعرف عددهن، نظرًا لأن البنات هنا مثلما في الشرق، يُنظر إليهن على أنهن عار ولذلك لا تذكر أسماؤهن مُطلقًا، ولن يختفي ذلك العمل السيئ الذي ورثه العرب عن الجاهلية، والذي يُحرمه دين محمد ﷺ، قبل مرور زمن طويل. كان طلال بن رشيد يتمتع بشعبية فاقت شعبية والده، وكشف عن علامات مُبكرة تدل على تلك الخصال السامية التي رافقته عند توليه العرش، وقد اتحدت الأطراف كلها ونادت بطلال وريثًا شرعيًا للمملكة وخليفةً قانونيًا للسلطة الملكية، وبذلك أمكن القضاء منذ البداية على مطامح عُبيد بن رشيد المُنافسة على الحكم، وخاصة أن عُبيدًا كان مكروهًا من قبل الكثيرين ويخشاه الجميع، وبذلك أمكن تحجيم هذه المطامح منذ البداية، دون أدنى صراع من أي شكل كان. كان الملك الشاب في حقيقة الأمر لديه كل احتياجات الأفكار العربية التي

تضمن حكمًا وشعبية دائمة، ولما كان طلال حلو المعاشرة مع عامة الشعب، ومُتحفظًا ومُتعاليًا مع أهل الطبقة الأرستقراطية، ولما كان شجاعًا وماهرًا في الحرب، ومُحبًا للتجارة والبناء في وقت السلم، ولما كان جوادًا إلى حد الإسراف، ولما كان حريصًا دومًا على الحفاظ على متحصلات الدولة ومداخيلها، ولما كان مُعتدلاً وغير متراخ في أمور الدين، ولما كان يُحيط خططه بإطار من السرية، ولما كان شهيرًا بأنهُ لم يحنث في وعد قطعه على نفسه، ولما كان لا يخلف العهود والمواثيق التي تعهد بها، ولما كان شديدًا في إدارته ويُعارض سفك الدماء، فقد جاء مُلبيًا تمامًا للصورة التي ينبغي أن يكون عليها أي أمير عربي، وهنا يتحتم عليّ أن أضيف إلى ذلك أنني لم أر مثيلاً لفن الحكم عند طلال بن عبد الله بن رشيد بين جميع الملوك والحكام الأوربيين أو الآسيويين الذين تشرفت بمعرفتهم». [۞] - انتهى الاقتباس -

كما لم يُفت الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف أيضًا أن يصف عم الأمير الفارس المُتنفذ عُبيد بن رشيد الذي كان مؤيدًا للوهابيين، ومُتمسكًا بتعاليمهم المُتطرفة وهو في حائل، حتى وصفه بالجريف بأنهُ كان وهابيًا أكثر من الوهابيين أنفسهم، وربما يكون بالجريف قد استمع لأخبار سلبية من أطراف لا ترتاح للأمير عبيد في حائل، فأخذ موقفًا مُسبقًا منه، ومع هذا فهو لم يبخسه حقه رغم أسلوبه الحذر في التعاطي والتعامل مع هذا الأمير الشمري المُتدين بمفهوم ذلك الزمان، حيث يصف بالجريف في كتابه الأمير عُبيد بن رشيد، وذلك بعد عودته إلى حائل من إحدى غزواته قائلاً عنه:

« وفي اليوم التالي لوصوله (عبيد)، وقبيل الظهر جاء إلى باب دارنا راكبًا حصانه، وبرفقته عشر من حاشيته، وكانت تحيته لنا تحمل في ظاهرها أكبر قدر من الود، ومد يده ليصافحنا وهو راكب حصانه، وأعرب عن سعادته لأننا كنا ضيوفًا على ابن أخيه، ومن ثم ضيوفًا عليه أيضًا. كنا لم نزل بعد لا نعرف

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

شخصيته معرفة كاملة، ومعروف عن العرب حتى عندما يكونون في قمة صراحتهم وتواصلهم، أنهم لا ينسون قوانين الحرص عندما يتعرضون لطرف ثالث، وهم لا يحبذون الخوض في حق الغائب، وخاصة إذا كانوا يتوقعون وصوله بعد قليل من الوقت، وكان من نتيجة ذلك، أننا حتى هذا التاريخ لم نسمع عن عبيد سوى عبارات عامة ونكات وطُرف لا تحمل معنى مُعينًا. ومن أول وهلة قال لنا طوله الفارع الذي لم تحنيه السنين، وسماته وقسماته الواضحة تمامًا، وأسلوبه السهل الذي يشبه أسلوب العسكريين، الكثير والكثير عن هذا الرجل، ولكني لن أنسى مُطلقًا ذلك الأثر الذي أحدثه في تلك النظرة التي حدقتني بها عيناه الرماديتان الواسعتان، فقد بدت لي تلك النظرة وكأنها تنتمي إلى وجه آخر، إذ كانت على العكس تمامًا من التعبير الذي ارتسم على بقية مُحياه. وليس هنالك أحرج ولا أبهى من نغمته في الحديث، وأبدى رغبته الشديدة في أن يعرف كل شيء عنا، حتى يتسنى له مساعدتنا بطريقته الخاصة. وأصبح يزور منزلنا بشكل يومي تقريبًا، وألتمس إلينا مُقابل ذلك أن نكثر من زيارتنا له في بيته، كان قصر عبيد في المدينة، مُقابلاً لقصر الأمير طلال، وكانت لقصره حديقة كبيرة، حديثة المزروعات ومُنسقة تنسيقًا جيدًا، والسبب في ذلك أنهُ كان يمتد نشاطه الحماسي إلى جميع الأشياء والأمور التي تخصه، وكانت حيويته في حفر بئر أو حفر مجرى مائي لا تقل عن حيويته في إحراق القرى أو تقطيعه للكفار إربًا إربًا، كان عبيد يأمر بفرش السجاد مساءً تحت الأشجار بالقرب من جدار القصر، حيث كان يمضي الساعات الأولى من الليل بصحبة أصدقاء كان يختارهم طبقًا لأهدافه وبما يُناسب ذوقه، وكان عبيد يدعونا دومًا إلى مُناسبات المساء هذه، وكان من عادته عند مجيء الشفق، أن يدخل في خطاب الدين أو السياسة، بطريقة تصلح تمامًا لأن يستخلص من ردودنا أفكارنا الشخصية ونوايانا، وفي النهاية ومن خلال الأسئلة المُباشرة والمُراقبة الدقيقة، استطاع أن يكون فكرة سليمة إلى حد ما، عن ماهيتنا والأسباب التي جاءت بنا إلى حائل، وقد حدث كل ذلك

بعد فترة وجيزة من مُقابلاتنا الودية مع كل من زامل والأمير طلال. وقد أدى تظاهر عبيد بصداقتنا في ظل الظروف التي كنا نمر بها، إلى أن نكون على حذر منه منذ البداية، زد على ذلك أن التلميحات التي كنا نلاحظها بين الحين والآخر، من أولئك الذين يُلاحظون تزايد ألفة عبيد معنا وصداقته لنا، جعلنا نستريب فيه، ولكننا استطعنا خلال وقت قصير أن نعرف صديقنا الخطير حق المعرفة. إلا أننا لم نشرك عبد المحسن (مُستشار طلال الخاص) في هذا السر، فقد قررنا ألا نتكلم معه بخصوص هذا الموضوع على أقل قدير، ولكنه ربما قد سمع الأمير طلال شيئًا يدور، أو ربما تكون حنكته الوطنية وخبرته قد أوصلته إلى تحذيرات ليست بعيدة عن الحقيقة، وأيًا كان ما يدور في ذهنه، فقد بلغ من الأدب حدًا منعه من أن يُفاتحنا بطريقة مُباشرة، أنهُ استطاع أن يعرف من خلال شخص مُستتر باسم مُستعار، ذلك الذي رأينا أن زامل ليس من حقه الإطلاع عليه، ولكن زامل عندما أصبح على علم باهتمامات عبيد بنا، والاجتماعات المُتكررة بيننا وبينه، دفعته صداقته لنا أو حرصه علينا أن يُحذرنا من عبيد. وهنا راح زامل يُحيطنا علمًا بتاريخ رئيسه ووضعه الحقيقي، واختتم كلامه بأن وصفه بأنهُ مُمثل حكومة الظل أو إن شئت فقل حزب المُعارضة في جبل شمر».۞ - انتهى الاقتباس -

كما يورد لنا لوريمر نبذة مُختصرة عن الأمير عُبيد بن رشيد وعن تاريخ وفاته، ويبدو أنهُ قد استقى تلك المعلومات عن طريق وليام بالجريف، حيث يذكر في كتابه "دليل الخليج" قائلاً: « موت عُبيد ١٨٦٩م: وبموت العم العجوز عبيد بعد أن تقدمت به السن كثيرًا في سنة ١٨٦٩م. وكان عبيد وهابيًا مخلصًا ولكنه رغم ذلك ورغم طبعه الحاد فقد كان محبوبًا إلى ابعد الحدود، كما كان مشهودًا له بالقدرة والنفوذ حتى إن أحد المصادر يذكر أنهُ كان الحاكم الفعلي لإمارة جبل شمر منذ موت شقيقه عبد الله، وترك عبيد بعده

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

ستة أبناء وخلف لهم إرثًا ضخمًا من الأراضي بحائل، والنخيل في جوف الأمير (الجوف) ونصف العائد من واحات حيات».[۞] -انتهى الاقتباس-

أما الرحالة البريطانية الليدي " آن بلنت " التي زارت هي الأخرى حائل في عهد الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد، أي بعد زيارة الرحالة الإنجليزي بالجريف بحوالي ١٧ سنة، حيث كانت زيارتها لحائل هي وزوجها بين عامي ١٨٧٩- ١٨٨٠م، بينما كانت زيارة وليام جيفورد بالجريف لحائل في عام ١٨٦٢- ١٨٦٣م، فنجد أن الليدي آن بلنت تخالف ما كتبه وليام بالجريف في رحلته عن شخصية الأمير عبيد بن رشيد، وتفند ما قاله في كتابها (رحلة إلى بلاد نجد) بالقول:

«لم نسمع شيئًا عن عبيد يؤكد قصص الشر التي ذكرها "بالجريف" وبالعكس فقد ترك عبيد سمعة طيبة بين العرب».

وأما عن وصفها لأمير حائل في حينه محمد بن عبد الله الرشيد فتقول إن بلنت عنه، قائلة: «وللأمير وجه غريب، وقد يكون شعورنا مُجرد وهم، أوحت به إلينا معرفتنا بحياة ابن رشيد السابقة، ولكن ملامحه أعادت إلى ذاكرتنا صورة "ريتشارد الثالث" وجه نحيل، ووجنات شاحبة غائرة، وشفتان دقيقتان مع تعبير عن الألم، إلا حينما يبتسم، ولحية سوداء خفيفة وحاجبان معقودان أسودان، وعينان رائعتان، عينان عميقتان ونفاذتان كعيني صقر، ولكنهما أبدًا تتنقلان بملل من وجه أحدنا إلى آخر، ثم إلى وجوه الذين بجانبه. لقد كان نفس النموذج لوجه واقع تحت وخز الضمير، أو تحت الخوف من مُغتال، ويداه أيضًا طويلتان يشبهان مخلبين، ولا تستقران لحظة، تعبثان بسبحته، أو بأهداب عباءته عندما يتحدث. وبكل هذا بدا الأمير مُتميزًا في مظهره، طويلاً، كل جزء منه يُعبر عن ملك».[۞۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

[۞۞] كتاب : رحلات إلى بلاد نجد \ تأليف: الليدي آن بلنت.



sketches of prince Mouhammd Bin Rished by Julius Euting 1884.

الامير محمد بن رشيد بريشة يوليوس اويتنج (1884)

كما يذكر لنا أيضًا الرحالة الألماني يوليوس أويتنج الذي زار إمارة حائل مع رفيقه هوبر في ١٠\٢١ من عام ١٨٨٣م، والذي افترق عن زميله هوبر الذي قُتل لاحقًا على يد أدلائه، حيث يصف لنا أوتينج الذي يتقن الرسم بالفحم، معالم وصفات الأمير محمد بن عبد الله بن علي آل رشيد قائلاً: «يبلغ الأمير محمد بن عبد الله الرشيد من العمر الثامنة والأربعين تقريبًا، وهو مثل كل أمراء عائلته ذو بشرة بيضاء نسبيًا، وذقن سوداء تمامًا، وتعبيرات وجهه تنم عن عزيمة وإصرار، وعيناه في حركة دائمة، أما مظهره الخارجي فيتسم بالبساطة، حيث كان يرتدي ثوبًا أبيض وفوقه مشلح أسود مطرز وعلى رأسه شماغ وعقال مُطرز بلون الذهب، وتحتها تتدلى ضفيرتان سوداوان جدلتا بشكل رائع، ويلبس في قدميه صندلاً جلديًا بدون جوارب، أما الشيء الوحيد الذي يزهو به فهو سلاحه السيف المُعلق جانبه على الجدار الذي ربما تبلغ قيمة الذهب الموشى به نصله ومقبضه حوالي ألفين إلى ثلاثة آلاف مارك، وقد كانت عقلانيته تفوق ليس فقط أتباعه، ولكن أيضًا أقاربه إلى حد بعيد، وعلى الرغم من إيمانه إلا أنهُ يُبدي تسامحًا نحو من يُخالفونه في العقيدة ممن التقى بهم كثيرًا في بغداد، وهو يتحدث العربية والفارسية والتركية في درجة واحدة من الإتقان، كما أنهُ على علم دقيق بقدامى الشعراء العرب، بالإضافة إلى معرفته بجميع أشعار الفكاهة البدوية قديمها وحديثها"».[۞] -انتهى الاقتباس-

وأما المؤلف النجدي سليمان الدخيل فيذكر أن محمد بن رشيد هو أول من أزاح آل سعود، وأصبح حاكمًا مُطلقًا لنجد، حيث يقول:

« وكان في السابق أيام أن تمكن آل سعود من الحكم في نجد كاملاً، سُمي الحاكم فيها بإمام المُسلمين إلا أن محمد بن رشيد أفاد من ضعف هذه الأسرة فقام بالاستيلاء على هذه المنطقة وأصبح حاكمًا عليها باسم أمير نجد. ونظرًا لتعرف الناس في نجد على هاتين الأسرتين الحاكمتين ، فقد حاولت كل واحدة

---

[۞] كتاب : رحلة داخل الجزيرة العربية \ تأليف: يوليوس أويتنج.

منهما الانتصار على الأخرى. ونظرًا لوقوع البدو والحضر المتوطنين في نجد آلة طيعة لرغبات هاتين الأسرتين في الوصول إلى الحكم، فإن الوقت الذي يمر عليهم دون عراك قليل جدًا. وتقوم كل أسرة بذكر عيوب الأسرة الأخرى لجذب الناس إليها، فتبدأ بالحكم لأصحاب المصالح مُظهرة العدل والشفقة عليهم، وبعد وجود فترة استقرار في نجد واستتباب الأمن فيها فترة يسيرة، ومع مرور الزمن واكتساب الأسرة المعنية القوة اللازمة، وشعورها بضعف خصمها تقوم بتوسيع نفوذها وسيطرتها، إلى أن يصل إلى درجة لا يُمكن معه أن يُطاق الوضع، فيقوم عند ذلك بالرجوع إلى الأسرة التي كانت محرومة من الحكم، فيتفقون معهم على العصيان في وجه الأسرة الحاكمة. فهذه هي أصول الحكم التي تجري في نجد والبدو هم المُستفيدون من هذا الوضع المتدهور، حيث يقومون في كل مرة تحصل فيها فوضى بالميل إلى الطرف الذي ترجح كفته في الغلبة على الطرف الآخر، ثم يقومون بالإغارة عليه ونهب أمواله فيؤمنون بذلك مصالحهم والمتضررون هم أهل الحضر، حيث يتعرضون للنهب من قبل البدو من جهة ويتعرضون لسيطرة إحدى الأسرتين عليهم من جهة أخرى». ۞ - انتهى الاقتباس -

وأما عن طبيعة الحكم في إمارة حائل وعن مواصفات وصفات الحكام من أسرة آل رشيد، يذكر لنا الرحالة الإنجليزي بالجريف أيضًا معلومات غنية وجد مفيدة، وهو لا يُخفي إعجابه بذلك النظام الرشيدي السديد والمُنظم في حائل رغم مسيحيته الطاغية والمُتطرفة، وقد وصف بالجريف مدينة حائل وأميرها طلال بن رشيد وصفًا دقيقًا يدعو للتأمل والإعجاب أيضًا، فقد جاء في وصفه لطريقة الحكم وطبيعة النظام الحاكم قائلاً: « وفيما يتعلق برعاياه، فإن سلوكه تجاههم يمتاز بأنه يجعلهم يدخلون في طاعته ويعطونه ولاءهم، مع قليل من المراسيم المُطلقة هي التي تُصيب نجاحًا هنا، فهو يفتح أبوابه للشعب

---

۞ كتاب : القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد \ تأليف: سليمان بن صالح الدخيل.

مرة أو مرتين كل يوم، ويُنصت إلى شكاويهم، ويتخذ هو نفسه القرار المُناسب الذي يُحدد فيه أدق التفاصيل بحنكة كبيرة، وفيما يتعلق بالبدو الذين يُشكلون جزءًا لا يُستهان به من حكم طلال بن رشيد، فهو يُعوض القيود التي عليهم، والجزية التي يجمعها منهم، يعوض كل ذلك بكرمه المُسرف وبضيافته التي لا تجد لها مثيلاً في أي مكان آخر في الجزيرة العربية، بدءًا من العقبة إلى عدن. ولا يقل عدد ضيوفه في الغداء وفي العشاء عن خمسين أو ستين ضيفًا، بل إنني عددت الضيوف في إحدى المرات، وجدت عددهم يقترب من المائتي ضيف، في حين أن هداياه لهم من الملابس والأسلحة تكاد لا تنتهي، بل مُستمرة بشكل يومي. ويصعب على الأوربيين أن يستوعبوا مدى تلك الشعبية التي يحظى بها هذا الأمير الآسيوي، جراء تصرفه على هذا النحو، يُضاف إلى ذلك أن أهل الحضر وأهل الريف يحبونه للمزايا الأمنية المتينة التي ينعمون بها في ديارهم، كما يحبونه أيضًا لعمله على ازدهار التجارة، وتوسيع ممتلكاته وعظمته العسكرية. زد على ذلك أننا بوصفنا من البشر المُتحضرين، لا أكثر ولا أقل، فإن الشكل العام للسلطة، والنظام، والكثافة السكانية والازدهار، والحيوية والحكم، ومساحة القصر والاستحكامات، أو إن شئت فقل طاقم العاصمة كله، إضافة إلى شخصية حاكمها وطبيعته، كل ذلك لم يفشل في ترك انطباع أكيد لدينا وعلى عقولنا وفي حواسنا، جعلنا نتعود طوال عدة أشهر مضت على وحدة الصحراء، وعلى النظام شبه الهمجي في كل من معان والجوف، بل جعلنا نتعود قبل ذلك أيضًا، على فوضى الحكم التركي السيئ، أو غيابه في سوريا، فقد قال لي رفيق رحلتي(•)، فور وصوله إلى حائل، والذي لم يرَ في حياته شيئًا أفضل من مُشاجرات لبنان والفوضى التي تعم مناطقه، قال هذا الرفيق عندما وصل إلى حائل: "هذه حكومة جادة بمعنى الكلمة".

---

(•)اصطحب الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف معه في رحلته المشهورة، شابًا لبنانيًا مسيحيًا من أصول يونانية يُدعى جرجيري من سكان مدينة زحلة، اتخذه كرفيق درب أطلق عليه اسمًا مزيفًا هو (بركات الشامي) وبركات هذا الذي كان رفيق وترجمان بالجريف هو الذي ارتقى لاحقًا إلى السدة البطريركية الكاثوليكية، فصار البطريرك بطرس الجرجيري، وأصبح مشهورًا جدًا، بينما اختار بالجريف لنفسه اسمًا وهميًا هو (سليم أبو محمود العيسى).

وللحق أقول: إن إدارة طلال بن رشيد وحكومته تتفوق تمامًا على الإدارة العثمانية، ولكنها لا تصل إلى مرتبة الإدارة الإنجليزية أو الروسية. أولاً وقبل كل شيء، يجب أن نقر أن القومية (الوطنية) شيء مهم وطيب، وأن الحكم الأجنبي يُعد بديلاً هزيلاً عنها، هنا، نُشاهد حاكمًا عربيًا، يحكم عربًا بطريقتهم العربية الوطنية الخاصة بهم، وينجح نجاحًا مُنقطع النظير في نشر الأمن والسلام في ربوع بلاده وفي تأمين السعادة لرعاياه، وتأمين استمرار تطبيق النظام والقانون والعدالة، والحفاظ على نظام هادئ ومُستقر في بلاده، أكثر مما حققه أو يستطيع تحقيقه أي موفد من القسطنطينية، سواء خورشيد باشا، أم فؤاد باشا، أم عمر باشا، في المناطق التي أوفدوا إليها. إن الحاجة لا تفصح عن الأسباب أو المُسببات والعقل المُفكر (والسياسة الشرقية بحاجة إلى واحدة من هذا القبيل) يستطيع أن يُكمل الباقي. ولو قُدر النظام المُطبق في حائل، أن يُطبق في كل من سوريا، وبغداد، ووادي الموصل، وأراضي ما بين النهرين العليا، لكان ذلك خيرًا ومنفعة لهذه المناطق كلها».[۞] -انتهى الاقتباس-

وعن أسباب لجوء الكثير من أعيان بريدة وبعض من سكان القصيم لإمارة حائل، فقد قدم البعض منهم بسبب مواقفهم السياسية وآخرون هربوا من مُضايقات الوهابيين لهم، وهنالك من جاء لطلب الرزق في حائل بسبب الاستقرار والتسامح وحرية العمل والتجارة في تلك الإمارة الوادعة، وذلك بعد أن لاقى الكثير منهم عقوبات صارمة وعانوا الأمرين على أيدي الوهابيين، فاتخذ بعض القصمان إمارة حائل كملاذ آمن وموطن جديد لهم، وباتت مصدرًا للرزق، حيث يذكر لنا لوريمر كيف تحولت حائل إلى ملجأ آمن لكل من يفر من بطش الوهابيين، وكيف كان فيصل يتقبل ذلك الأمر على مضض، حيث يقول: « وحوالي سنة ١٨٤٨ انتهت مفاوضات سرية بإعلان أهل القصيم ولاءهم المُباشر لحائل بدلاً من الرياض، ففي حائل اعتاد أهل القصيم الفارون من

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

طغيان الوهابيين أن يجدوا ملجأهم، واضطر الأمير الوهابي (فيصل) إلى القبول بهذا الوضع بعض الوقت..الخ. ورغم الحماية التي كان طلال يسبغها على اللاجئين والمُتمردين على الوهابيين من أهل القصيم، ورغم أن عاداته المُنافية "للدين" كارتداء الحرير وتدخين التبغ كانت تثير حفيظة الوهابيين، فإن علاقته بسادة الرياض ظلت ودية كما هي، وكان طلال قد تزوج مؤخرًا بابنة الأمير فيصل صديق أبيه، وظل يقوم بزيارته السنوية للرياض حيث يُقدم الهدايا المُعتادة من الخيول بنفسه للأمير، واعترف طلال في نفس الوقت بسيادة الباب العالي، وأمر بالدعاء للسلطان (العثماني) في صلوات الجمع بمساجد حائل، وادعى أن فتوحاته كلها باسم السلطان ولأجل المصالح العثمانية، وهذا الموقف الذي كان طلال مرغمًا عليه إلى حد ما، نتيجة زيادة الاحتكاك بالأتراك في الغرب والشمال». ۞ - انتهى الاقتباس -

أما وليام بالجريف فيوثق تلك الهجرة الاضطرارية نحو حائل، ويصف لنا إحدى الشخصيات البريداوية المُهمة التي استقرت في حائل، حيث يقول:

« وبعد ذلك بوقت قصير تحول سكان القصيم الذين مَلوا الاستبداد الوهابي إلى طلال بن رشيد، الذي كان قد منح حق اللجوء السياسي الأكيد لأعداد كبيرة من الذين نفوا من منطقة القصيم، ودارت مفاوضات سرية حول هذا الأمر، وفي اللحظة المُناسبة أعلنت منطقة الأراضي العليا كلها (القصيم) - بطريقة غير مُستغربة في الجزيرة العربية - ضم نفسها إلى مملكة شمر عن طريق الموافقة العلنية وبإجماع الآراء، وقدم طلال الاعتذارات اللازمة لحاكم نجد (فيصل) العاهل الأصلي للمنطقة التي انضمت إلى شمر، وأعرب عن عجزه عن الوقوف أمام رغبة شعبية، وأن ما حدث فُرض عليه فرضًا الخ الخ، ولكن غرب أوربا تعرف هذا الشيء تمامًا وليس غريبًا عليها، واستشعر الأمير فيصل أن الوقت غير مُناسب لنشوب حرب مع تلك القوة التي تتنامى بشكل سريع، والتي كان

---

۞ كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

هو السبب الرئيسي في نشوئها منذ سنوات قلائل، وبعد أن عبَّر فيصل عن اشمئزازه مرة أو مرتين، كتم أحزانه، وفي الوقت ذاته وإدراكًا من طلال بن رشيد لقيمة السمعة العسكرية المدوية في الداخل والخارج، شارك بنفسه في سلسلة من العمليات العسكرية ضد تيماء والمناطق المُحيطة بها، وانتصر طلال في جميع المعارك التي دخلها، وقد أكسبه تواضعه واعتداله أثناء الانتصار ولاء المنهزمين له وتعلقهم به».۞ - انتهى الاقتباس -

وربما من أهم الشخصيات التي لجأت لحائل من مدينة بريدة تحديدًا هو الشيخ عبد المحسن آل بو عليان(•)، وهو أحد أفراد الأسرة الحاكمة لبريدة في السابق، قبل أن يغدر بهم فيصل بن تركي، ويُفر هو بجلده صوب حائل. وعن شخصية وصفات عبد المحسن آل أبو عليان، يحدثنا بالجريف بالقول:

« ولن أقول شيئًا الآن عن تلك الابتسامة المُحتشمة التي عَلت على شفتي عبد المحسن، الرفيق الثاني للملك (الأمير طلال) في مسيرته المسائية، وسوف نلتقي عبد المحسن هذا، بعد فترة قصيرة، كصديق حميم جدًا ودائم. كان بابنا لم يفتح بعد، عندما سمعنا طرقة خفيفة تعلن وصول زائر، ويذهب رفيقي ليفتح المزلاج، ويقول للزائر "سم" Samm بمعنى "تفضل بالدخول"، في مثل هذه المُناسبات. كان الطارق هو عبد المحسن، الشخص نفسه الذي شاهدناه في الليلة السابقة برفقة طلال بن رشيد، ويدخل علينا قائلاً: "آمل ألا أكون أزعجتكم"؟ ويبدأ في تلمس الأعذار لنفسه على زيارته لنا في تلك الساعة المُبكرة، ثم يسأل عن أحوالنا وصحتنا، ويتمنى أن نكون قد استرحنا بعض الشيء من متاعب رحلتنا، وخلاصة القول: إنهُ كان مؤدبًا بدون إفراط أو تصنع وهو بذلك لا يقل في استقباله لضيوفه، عن استقبال ماركيز فرنسي قديم

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

(•) أسرة آل أبي عليان - (البوعليان) : هي من الأسر التميمية الكبيرة في القصيم وفي بريدة تحديدًا، والتي تنتمي إلى فخذ العناقر من بني سعد، من ذرية علي بن قيس بن عاصم المنقري، وقد بنوا مدينة بريدة وعمروها وتأمروا عليها. من أشهر أمرائهم الأمير حجيلان بن حمد البوعليان.

لضيوفه في قصره الصغير، وينتقل عبد المحسن بعد ذلك إلى السؤال عن الطريق الذي قطعناه، وعن الوجبات التي تناولناها، ويعتذر عن سلوكيات البدو غير المُهذبة وسوء التربية، وجو الصحراء الحار، ثم يُعرب لنا بعد ذلك، عن رغبته في التدرب على مُمارسة الطب، وأردف قائلاً: إنهُ ليس جاهلاً تمامًا بفن العلاج، ثم يوجه الحديث بشكل سلس وموجز وجهة تجعلنا نشعر بالألفة كما لو كنا في منازلنا، ويواصل استفساره عن الغرض الحقيقي من زيارتنا لمدينة حائل، وعن هوياتنا الحقيقية؟ كان مظهره يدل على مخبره، إذا كان يوحي بالثقة والألفة، ومن يراه لا يُصدق أنهُ فوق الخمسين، ولكن من الواضح أن سنى عمره كانت تمضي على ما يُرام، وبشرته تضاهي بشرة الإيطاليين من حيث الشقرة، وعيناه واسعتان وتشعان ذكاء، مُتناسق القسمات، ويبدو أنهُ كان أنيقًا في شبابه، نحيف البنية مُنحنيًا قليلاً بفعل تقدم السن، أنيق الملبس بلا أي رتوش، يُمسك في يده العصا المُعتادة مما يوحي بأن دوره مُسالم وغير مُصطبغ بالصيغة العسكرية، وقصارى القول: إنهُ كان يبدو كما كان من الشخصيات العلمية والأدبية في الحاشية، وربما كان مؤلفًا، والمؤكد أنهُ رجل كريم المُحتد، وتنطبع على مُحياه ابتسامة عجيبة، تختفي إلى حد ما وراء حفاوته البالغة عندما يزور إنسانًا لأول مرة، وتكشف عن حبه للنكتة، زد على ذلك أن هذه الابتسامة العجيبة تُخفف أيضًا من حدة ذلك التأمل المُفرط الذي ينعكس على جبهته الكبيرة وعينه الفاحصة. كان ذلك، هو عبد المحسن الصديق الحميم للأمير والرفيق الذي لا يُفارقه مُطلقًا، كان عبد المحسن من أسرة العليان العريقة النبيلة، رؤساء بريدة في القصيم والمناطق التابعة لها، عاش عبد المحسن في مدينة بريدة ذات يوم، وكان يتمتع بثقة إخوانه المواطنين هناك، وأيضًا بصداقة خورشيد باشا حاكم بريدة المصري، طوال فترة احتلال خورشيد لمدينة بريدة، قبل إعادة تأسيس الأسرة المالكة الوهابية، وبرغم إنهُ كان يتحاشى لعب أي دور علني في الشؤون السياسية، وبرغم أيضًا إنهُ كان يُكرس نفسه من الناحية المظهرية للأدب والمُجتمع، إلا

أنهُ كان في واقع الأمر أمكر المُتآمرين في المنطقة، فضلاً عن توجيهه لجميع المُحاولات التي كان أهله يقومون بها استهدافًا لتخليص بلادهم من الاحتلال الأجنبي، ولكن الطريقة التي تمَّ بها التخلص من هذا الاحتلال، وكذلك الدور الذي لعبه الأمير الوهابي فيصل في تنفيذ خطة التخلص من ذلك الاحتلال الأجنبي، أثرنا الحديث عنهما ضمن تاريخ الأسرة المالكة النجدية، ومن هنا رأينا تأجيل ذلك إلى فصل لاحق من هذا الكتاب. ولكن عندما اكتشف عبد المحسن بعد ذلك بسنوات قلائل أن فيصل تقاعس في مسألة تحرير أهل بريدة والقصيم من الطغيان المصري، على أمل أن يخضعهم لطغيانه، تحول عبد المحسن من جديد إلى مُمثل ناشط ولكن سري لعائلته القوية، في وقوفها في وجه تقدم السيطرة والحكم الوهابيين، وأخيرًا تمَّ القضاء على أسرة آل بوعليان، وقد توج هذا العمل بأبشع أعمال الخيانة وأشدها اسودادًا في سجلات تاريخ وسط الجزيرة العربية، وقد تمكن عبد المحسن البوعليان من الهرب من تلك المذبحة المروعة، التي أفنت الغالبية العظمى من أقاربه، ولكنه أدرج بعد ذلك ضمن قانون المحرومين من الحماية القانونية، الذي صدر عقب المذبحة مُباشرةً، مما اضطره إلى الهرب نجاة بحياته، وبعد أن ظل عبد المحسن مُختفيًا عدة أشهر على حدود المنطقة، وبعد أن فقد الأمل في العودة إلى بلاده، طلب اللجوء لدى طلال بن رشيد، وهو يعيش منذ عشر سنوات في قصر أمير شمر، كضيف في بداية الأمر، ثم بعد ذلك كصديق ثم كواحد من المُقربين للأمير، يُرحب به الأمير في فترات استرخائه، بسبب روحه المرحة ورقته الطبيعية غير المُتكلفة ومعرفته الواسعة بالتاريخ العربي والطُرف العربية، ولكن الأمير يحتفظ له بمنزلة خاصة في الساعات الحرجة، لنصائحه السليمة ومشورته الحكيمة، وعندما كنا في طريق عودتنا إلى الوطن بعد عام، رحت أنا ورفيقي نتسلى باستعادة ذكرياتنا عن الساعات الطويلة التي أمضيناها على ظهور الخيل في سهول الموصل أو على تلال أورفه **Orfah**، كما استعرضنا أيضًا بطريقة عابرة أحداث رحلتنا إلى الجزيرة العربية،

وتوصلنا على أثر ذلك إلى حقيقة مفادها: أننا لم نلتق في المسافة من غزة إلى رأس الحيد Ras-el-Hadd، أي إنسان يتفوق على عبد المحسن البوعليان أو حتى يتساوى معه في مواهبه الفطرية وذهنه الراق».۞ -انتهى الاقتباس-

بالإضافة إلى شخصية عبد المحسن البوعليان البريداوية، يذكر لنا أيضًا بالجريف أنهُ قد التقى في حائل عندما كان يُمارس الطبابة بمواطن آخر من بريدة يُدعى دحيم، كانت قد دفعته هو الآخر الظروف المعيشية الصعبة والتضييق الوهابي في بريدة للنزوح إلى حائل، حيث يصفه بالجريف قائلاً:

« أنتقل مُباشرة إلى الميكانيكي الذي يتقدم نحوي، بعد طول انتظار في الظل، وصبر عربي حقيقي، وهو يتقدم ناحيتي وتعلو وجهه ابتسامة عريضة تنم عن الطيبة، ويرجوني أن أصحبه إلى منزله، حيث يُعاني أخوه من الحُمى، وبعد أن تحدثت معه قليلاً، طلبت من بركات أن يبقى في المنزل إلى أن أعود، وأحس الميكانيكي بالرضا لأنني قبلت رجاءه ودعوته. وهو قصير القامة بشرته تميل إلى الاحمرار، قوي البنية، البراعة والحنكة ترتسمان على مُحياه، الذي يشبه وجه "الصبي الشحاذ الأسباني في رواية موريللو"، ذلك هو دحيم (ومعنى اسمه الحرفي "الأسمر"(*)، الذي يُمثل عينة ممتازة لفئة كبيرة من سكان وسط الجزيرة العربية النجديين، كانت أسرة دحيم قد نزحت منذ وقت قصير عن القصيم إلى حائل، التي أقامت فيها لأسباب تتعلق من ناحية بسعة الرزق، وبالتشدد الوهابي من الناحية الأخرى، ولكنها ما تزال مُتمسكة بكثير من الخصائص والعادات الفارقة التي تتميز بها منطقة القصيم، وقد شاعت مؤخرًا الهجرة التي من هذا القبيل، وأسهمت في زيادة القوة العددية والقوة العسكرية في جبل شمر، في حين أنها تزيد أيضًا من ازدهار الصناعة والتجارة في جبل شمر. ويتحفني دحيم بمزيد من الأوصاف لكل من

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

(*) دحيم : هو تصغير لاسم داحم، والداحم هو القوي الشديد، وأحياناً يُطلق اسم دحيم على من كان اسمه عبد الرحمن تحببًا، وربما فهم بالجريف الاسم خطأً.

نجد والقصيم، ويُطنب في وصف مسقط رأسه، وهو يقول: إنهُ شاهد أيضًا الملك الوهابي شخصيًا، برغم أن ذلك لم يكن في الرياض عاصمة حكمه».[۞]

- **مجزرة آل أبي عليان على يد عبد الله بن فيصل بن تركي بن سعود:**

سبق وأن ذكرت أن هنالك أُسر وعوائل نجدية كثيرة من الحضر كانت قد نزحت وغادرت إقليم نجد مُضطرة بسبب التصفية والقمع والاستبداد الوهابي بشقيه السياسي مُمثلاً بسلطة آل سعود، وبشقه الديني متمثلاً بآل الشيخ وأتباعهم الوهابيين المُتطرفين، ولم تتوقف تلك الهجرات القسرية عند عهد محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، بل استمرت حتى بعد رجوع فيصل من مصر واستعادته للسلطة.

وقد هاجر كثير من أهالي العارض والقصيم إلى الزبير والكويت، ونزحت كثير من القبائل البدوية النجدية للعراق والشام كقبيلة الظفير وعنزة وقسم كبير من قبيلة شمر، وبعض أفراد الأُسر النجدية لجأت إلى حائل في أوقات متفاوتة، وقد ضرب لنا الرحالة الإنجليزي بالجريف بعض الأمثلة المعروفة، حيث ذكر في كتابه بعض المعلومات عن الشيخ عبد المحسن البوعليان الذي لجأ عند أمير حائل طلال بن رشيد، كما دوَّن لنا بالجريف حكاية اغتيال أسرة آل بوعليان على يد أحد أبناء أمير الرياض فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود، بالرغم من أن كثيرًا من أفراد تلك ألأسرة البريداوية كانوا قد ناصروا وقاتلوا في سبيل آل سعود، وأذكر القارئ الكريم هنا، على أن أمير بريدة السابق "حجيلان بن حمد" الذي سبق وأن مرَّ بنا في إحدى غزوات سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود على مدينة الزبير، والذي شارك فيها حجيلان في حصار قلعة الدريهمية، وهو أحد أهم أفراد أسرة آل بوعليان المشهورين.

---

[۞] كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

لكن تاريخ حجيلان بن حمد أو غيره من زعماء البوعليان خصوصًا من الذين استماتوا في خدمة آل سعود لم يشفع لبقية أفراد أسرتهم؛ أسرة آل بوعليان؛ أمام بطش وعجرفة فيصل بن تركي وأبنائه الذين عُرفوا بالشك والريبة والغدر، لهذا تمَّ الغدر بهم، إلا أن بالجريف يذكر لنا حادثة على لسان أحد أفراد أسرة البو عليان من الذين نجوا من تلك المجزرة وهو الشيخ عبد المحسن البوعليان، حيث يذكر بالجريف عن تلك المجزرة، قائلاً:

« عندما عاد فيصل الحاكم الوهابي، أو إن شئت فقل فيصل بن سعود للمرة الثالثة في العام ١٨٤٣ أو ١٨٤٤ الميلاديين، (وأنا هنا لستُ متأكدًا تمامًا من التاريخ) إلى وطنه نجد كوريث للعرش، اكتشف أن منطقة القصيم الثرية كثيفة السكان، هي العون الأول والأخير له في تأسيس حكمه وطرد بقايا الاحتلال المصري، وانتهز سكان منطقة القصيم هذه الفرصة لضم أنفسهم إلى الحكم الوهابي، وقد كان سبب ذلك الانضمام نابعًا من كراهية أهل القصيم لـ باشوات مصر الأغراب، وليس تعاطفًا مع أهل نجد (الرياض) الذين شن عليهم أهل القصيم حربًا في الأزمان السابقة، ووافق أهل القصيم على أن يزودوا فيصل كل عام بالمال وبالرجال أيضًا، كلما تطلب الأمر ذلك شريطة عدم التدخل في شؤون شيوخهم، أو إدارتهم المدنية أو عاداتهم أو تقاليدهم، واستمر الحال على هذا المنوال طوال سبعة أو ثمانية أعوام، إلى أن استطاع فيصل إحكام قبضته ليس فقط في المناطق الوسطى، أعني سدير والوشم والعارض واليمامة والحريق والأفلاج والدواسر، وإنما أخضع أيضًا كلاً من الأحساء والقطيف، إضافة إلى النجاح الكبير الذي حققه في اتجاه كل من البحرين وعُمان، هنا شعر فيصل بن سعود، بأن صولجانه بلغ من القوة حدًا يستطيع عنده أن يقمع ما تبقى من حريات القصيم، ويُعيد شيوخها وشعبها إلى تلك الدرجة من العبودية التي تناسب من منظور الوهابيين ـ كل أولئك الذين ليسوا "مُسلمين" أو من أتباع دين محمد ﷺ، بمعنى كل الناس باستثناء أنفسهم. كانت أول خطوة يخطوها فيصل بن سعود لتحقيق هذا الهدف، تتمثل في قهر

العائلات الكبيرة التي حكمت القصيم منذ قديم الأزل، أو تجريدها على أقل تقدير من السلطة والقوة، وكانت بريدة وعنيزة في ذلك الوقت هما أهم مدينتين في القصيم، وكان لشيوخ هاتين المدينتين نفوذ لا ينازع على ثلث المراكز التجارية الرئيسية، أعني أنهم كانوا لهم نفوذ على مدينة الرس وعلى حوالي خمسين أو ستين مدينة وقرية أخرى تنتشر في كل أنحاء البلاد، كان أعيان بريدة، الذين منهم صديقي عبد المحسن، ينتمون إلى أسرة العليان (آل بوعليان)، أما أعيان عنيزة فكانوا ينتمون إلى أسرة عطية (زامل آل سليم)(*) Atee`yah، ولكن بريدة كانت أقل أهمية وعددًا وثروة من شقيقتها عنيزة، ولكنهما كانتا تتساويان من حيث العراقة، ويُقدر عدد سكان عنيزة بحوالي ثلاثين ألف نسمة، ولكن سكان بريدة يقدرون بما يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين ألفًا من السكان، وقد وجه فيصل كل جهوده الأولى ضد مدينة بريدة ظنًا منه أنهُ سيجدها فريسة سهلة. ودخل في معركة مع شيوخ آل بوعليان وداهمهم فترة من الزمن عن طريق المعارك المُستمرة بقيادة ابنه الأكبر عبد الله صاحب المواهب، المتوحش الذي لا يعرف المبادئ، واستغرقت الهدنة والهجوم المُتقطع فترة طويلة من الزمن، إلى أن تحقق أعيان بريدة، من أن تجارتهم أوشكت على التوقف، كما اكتشفوا أيضًا أن قوتهم أقل من قوة عبد الله بن فيصل بن سعود، وبدءوا يتطلعون إلى السلام بأي ثمن، واستجابة لممثلي أعيان بريدة، أعطاهم فيصل وعدًا لا عن طريق ابنه عبد الله، الذي يضفي وضعه كوريث للعرش، الصفة الرسمية على كل ما يصدر حاملاً اسمه، وإنما عن طريق ولده الثالث محمد، مفاده أنهُ قد عفا عن عصيانهم وتمردهم، ودعاهم إلى زيارة الرياض، حيث يُمكن التوصل إلى شروط سلمية ترضي الطرفين، وأرسل فيصل بن سعود هذا الوعد شفاهة، ولم يكن مكتوبًا، وبدون ضمانات شخصية كافية من محمد بن فيصل بن سعود الذي حمل ذلك الوعد إلى

---

(*) أعتقد أن بالجريف يعني أسرة آل سليم حُكَّام عنيزة المشهورين، ويبدو أنهم في زمن بالجريف كانوا يعرفون بقبيلة بني عطية، بينما الآن يُقال إنهم من قبيلة سبيع.

أهل بريدة، ولكن آل بو عليان انتظروا أو تمهلوا بعض الوقت، تشككًا منهم، وقد كانوا على حق في ذلك، في وجود فخ قد خبئ لهم، وعلى كل حال أمكن التغلب في النهاية على تردد أعيان بريدة، عن طريق التأكيد مرارًا على السلوك السوي والمُعاملة الطيبة، ودعمًا لهذه التأكيدات أرسلت دعوات مكتوبة وممهورة من ولي العهد نفسه، عبد الله بن فيصل، ومُستفتحة باسم الله، الذي أقسم به عبد الله، بأن دعوته ودعوة والده لا تحملان أي شكل من أشكال المكر أو الخداع، وبعد ذلك، وفي ساعة مشؤومة شد العلياني[*] شيخ بريدة رحاله إلى الرياض، ومعه اثنان من أبنائه وعديد من أقاربه المُقربين بصحبة محمد بن فيصل بن سعود. وبريدة تبعد عن الرياض عاصمة نجد مسيرة عشرة أيام بالمعدل المُعتاد، وطوال الرحلة كان أعيان البوعليان يُعاملون مُعاملة تليق بمكانتهم، إلى وصلوا الرياض، والتي لم يجدوا فيها أحدًا في استقبالهم خارج أسوارها، طبقًا للأعراف والتقاليد، الأمر الذي أصابهم بالدهشة والحيرة، واعتذر لهم محمد بن فيصل بن سعود قائلاً لهم: إن أخاه عبد الله لابد أن يكون مشغولاً بتجهيز مكان مُناسب لاستقبالهم، وأنهم سيجدونه في انتظارهم عند باب قصره، وفي كل الأحوال كانت الشكوك التي دارت في أذهان الضحايا، عندئذ عديمة النفع ولا طائل من ورائها، لقد فات أوان الهروب كما فات أيضًا أوان التفاوض على الشروط وقد وصل آل بو عليان يُحيط بهم جمهور من زبانية الرياض المُتعصبين إلى البوابة الخارجية، لأفضل قصر من قصور الأمير عبد الله، وكان الأمير عبد الله نفسه يقف أمام البوابة راكبًا حصانه، تحيط به حاشية مُسلحة، وبعد أن شاهد عبد الله أن العلياني يقترب منه، سارع بإدارة حصانه ودخل بوابة القصر دونما انتظار منه لرد تحية ضيوفه، وتبع الضيوف الأمير عبد الله، ولكنه كان قد أخفى نفسه عنهم في أحد الأماكن الداخلية وبدلاً من الأمير عبد الله،شاهد آل بو عليان

---

[*] أظن أن بالجريف يقصد الأمير عبد العزيز بن محمد آل بو عليان الذي قُتل على يد عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود.

فناء القصر وقد امتلأ بالرجال المُسلحين ورجال آخرين يشهرون سيوفهم، وأغلقت عليهم البوابة فجأة، وبدأت المذبحة. وقد قطعت أجساد كلٍ من العلياني وولده الأكبر وأقاربه ومرافقيه إربًا إربًا داخل ذلك المكان، وسالت دماؤهم على أعتاب مضيفهم الخائن، ولم يبق على قيد الحياة، سوى الابن الأصغر لـ شيخ بريدة، وقد اتخذوه رهينة مُقابل أفراد العائلة الذين بقوا في القصيم. وعلى الفور توجه عبد الله بن فيصل بن سعود وأعوانه القتلة قاصدين القصيم التي وصلوها قبل أن تفوح أخبار خيانته، وهاجم عبد الله مدينة بريدة على الفور، وهو مُرتبك مما جرى مؤخرًا، ومتورط في الإمساك بالبقية المُتبقية من أسرة آل بوعليان، كي يُلاقوا مصير أقاربهم في الرياض، ونجت من القتل قلة قليلة من آل بوعليان، كان عبد المحسن من بينها، وقد حددت أسعار لرؤوسهم، وبعد أن خسر الحضر شيوخهم ورؤسائهم، استسلموا بعد كفاح لم يدم طويلاً، وعُين واحد من أهل الرياض، اسمه مهنا (أبا الخيل) حاكمًا على بريدة، بصفته نائبًا لـ فيصل بن سعود، الذي خوله سلطة كاملة، وبعد أن انتهت المُعارضة أصدر عبد الله أوامره بقتل ولد عليان الوحيد الذي بقي على قيد الحياة، والذي كان يحتجزه في السجن منذ تاريخ المذبحة، ثم استفاد بعد ذلك من الخوف والفزع الذي انتشر في كل أرجاء القصيم، بأن حاول توجيه ضربة قاضية وحاسمة إلى عنيزة نفسها».۞ -انتهى الاقتباس-

أما مؤرخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود المعروف بـ إبراهيم بن صالح بن عيسى فيدون لنا في تاريخه تفاصيل مختلفة تمامًا عن مذبحة البوعليان، حيث يسرد في كتابه (عقد الدُرر) أحداثًا تختلف عما أورده الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف الذي استقى معلوماته من قبل عبد المحسن البوعليان أحد الناجين من أسرة البوعليان والذي كان مُحتميًا بابن رشيد، وحتى لا ننحاز أو نميل إلى إحدى الروايتين على حساب الحقيقة؛ يجب علينا أن نُحلل ماجاء على

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليم جيفورد بالجريف.

**لسان محسن البوعليان في رواية بالجريف ومُقارنتها مع رواية ابن عيسى ونرى هل حصل تزييف في أحداث تلك الروايتين، وهل ما ذُكر يستوي منطقيًا؟**

**فقد جعل ابن عيسى من عبد العزيز المحمد البوعليان عبارة عن شخص رعديد خائف ومُتملق، وصوّره وكأنه رجل أحمق جاء من بريدة مع أبنائه لكي يسترضي فيصل بن تركي ويتوسل به ويعترف بأخطائه!. فلو كانت تلك هي شخصية أمير بريدة عبد العزيز المحمد البوعليان فعلاً، فهل نُصدق أو هل يقتنع القارئ أن مثل هذا الرجل الضعيف الخائر "المُتملق" كما يصفه ابن عيسى، يُمكن أن يُهدد ويتحدى سلطة فيصل وأبنائه؟!**

**ولكن بسبب ولاء وميول ابن عيسى لعبد العزيز بن عبد الرحمن فقد حاول أن يُرقع ويُجمل ويُهذب ما حدث، والدليل أن ابن عيسى لم يذكر أن عبد العزيز المحمد البوعليان لم يأتي أصلاً لكي يعتذر من فيصل بن تركي؛ كما حاول أن يوحي ابن عيسى، بل جاء بعد مُراسلات ومُناشدات لغرض عقد الصلح وتوثيق شروط المُصالحة بين فيصل وأهل بريدة، ولكن فيصل غدر به وبأبنائه بعد وصولهم إلى الرياض، فتحول أمير بريدة وأبنائه إلى أسرى ورهائن، وسواء قتلهم عبد الله ابن فيصل في نفس اليوم أو تمَّ تأخير مقتلهم لعدة شهور فالنتيجة واحدة وهي الغيلة والغدر.**

**وحالة الغدر تلك لم تكن جديدة على طباع وأخلاق ومُمارسات آل سعود مع ضيوفهم، وهي ليست المرة الأولى، فسوف يأتي لاحقًا ذكر حادثة غدر عبد الرحمن بن فيصل بابن سبهان الذي جاء يزوره ويعوده في منزله بسبب ادعائه المرض، ثم نرى أن ابن عيسى يُحمل المسؤولية لآل أبي عليان عما جرى لهم من تصفية دموية على أيدي فيصل بن تركي وأبنائه بحجة أنهم غدروا بابن عدوان علمًا أن القاتل والمقتول هما من أسرة آل أبي عليان، وقد قتل عبد الله بن عدوان العلياني وعبد العزيز المحمد العلياني كان أسيرًا هو وأبنائه في الرياض، هذا إذا سلمنا برواية ابن عيسى لما حدث.**

ثم لنفرض جدلاً أن عبد العزيز المحمد العلياني وأبناءه كانوا قد تآمروا على فيصل بن تركي وأبنائه، فما ذنب بقية أفراد أسرة آل أبي عليان ليُفتك بهم جميعًا!؟

وقد نسي ابن عيسى أن عوامل الضغينة والحسد والغيرة حاضرة في تلك الأحداث المحلية، وهي تملأ قلوب أهالي البلدات والقرى النجدية، وإمارة البوعليان لم تكن استثناءً فحالهم حال بقية الأسر النجدية الحاكمة فقد وقعوا فريسة لكيد وافتراءات خصومهم وسقطوا ضحية لتطلعاتهم وطموحاتهم الكبيرة، علمًا أن جد هذه الأسرة؛ كما ذكرت؛ هو الفارس المشهور الأمير حجيلان بن حمد الذي سبق وأن انتصر في معارك عديدة لصالح عبد العزيز بن محمد بن سعود في فترة حكم محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، لكن تاريخ ومواقف حجيلان مع إمارة آل سعود الأولى لم يشفع لأسرته حينما أصبحت تشكل خطرًا مزعومًا على إمارة آل سعود الثانية المُتهالكة، فتمَّ تصفيتهم بحجة سعيهم للشقاق والخروج عن طاعة فيصل بن تركي.

ويختصر لنا ابن عيسى تلك الأحداث قائلاً:

«ودخلت سنة خمس وسبعين ومائتين وألف: وفي رجب من هذه السنة كتب "الإمام" فيصل إلى عبد العزيز المحمد (أبوعليان) أمير بريدة أن يقدم عليه، فركب عبد العزيز المذكور، وقدم على "الإمام" فيصل ومعه ولداه عبد الله وعلي وثلاثة من خدامه، فلما جلس عبد العزيز بين يدي "الإمام" انتهره وأغلظ له في الكلام، وجعل "الإمام" يُعدد عليه أفعاله القبيحة، وما حصل منه من الشقاق، فقال:"كل ما تقوله حق، وأنا أطلب العفو والمُسامحة". فأنزله "الإمام" في بيت هو ومن معه، وأجرى عليهم من النفقة ما يكفيهم وأمرهم بالمقام عنده في الرياض، وأمر في بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان، وهو من آل العليان عشيرة عبد العزيز آل محمد المذكور......الخ. إلى أن يقول في موضع آخر: ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين وألف: وفيها في صفر

قتل عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان أمير بلدة بريدة في بيت الضبيعي، وهو يصنع له القهوة ودخلوا له مع بيت عبد الله الغانم، وهو جار بيت الضبيعي، قتله خمسة رجال من عشيرته آل أبي عليان، وهم عبد الله الغانم وآخو محمد وحسن آل عبد المحسن، وأخوه عبد الله بن عرفج. وكان "الإمام" فيصل قد جعله في بريدة أميرًا لمَّا عزل عبد العزيز المحمد عنها وأمره بالمقام عنده في بلدة الرياض، وكان ابن عدوان قد تولى إمارة بريدة في دخول رجب ١٢٧٥ هـ كما تقدم في السنة التي قبل هذه، وآل أبي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، لما جاء الخبر إلى "الأمام" فيصل غضب على عبد العزيز المحمد (أبوعليان)، وأمر بحبسه وجعل محمد الغانم أميرًا في بريدة مكان ابن عدوان، وكثر القيل والقال، وجعل عبد العزيز المحمد (أبوعليان) وهو في الحبس يكتب إلى "الإمام" فيصل ويحلف له إيمانًا مُغلظة أنهُ ليس له علم بذلك الأمر، ولا رضي به، ولو أذنت لي بالمسير إلى بريدة لأصلحت ذلك الأمر، وأمسكت الرجال الذين قتلوا ابن عدوان، وأرسلتهم إليك مقيدين بالحديد، أو نفيتهم عن البلاد. فأمر "الإمام" فيصل بإطلاقه من الحبس، وأحضره بين يديه وجعل يَحلف لفيصل ويتملق، فأخذ "الإمام" عليه العهود والمواثيق على ذلك، وأذن له "الإمام" بالرجوع إلى بريدة، واستعمله أميرًا عليها وعزل محمد الغانم عن الإمارة، وتوجه عبد العزيز (أبوعليان) المذكور هو وابنه علي، ولما وصل عبد العزيز المحمد إلى بريدة، قرَّب الذين قتلوا ابن عدوان وأدناهم. وكان وصوله إلى بريدة في جمادى من السنة المذكورة، وجعل يكتب "للإمام" فيصل بأشياء مكرًا وكذبًا، فحاق به مكره وحصل عليه ما سيأتي (ذكره) في السنة التي بعدها إن شاء الله......الخ.

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائتين والألف: ثم إن عبد الله بن فيصل بعد ذلك قفل بمن معه من جنود المُسلمين راجعًا إلى نجد، فلما وصل إلى الدهناء بلغه أن سحلي بن سقيان ومن تبعه من بني عبد الله من (قبيلة) مطير على "المنسف" بالقرب من بلد الزلفي، فعدا عليهم وأخذهم، وقتل منهم

عدة رجال منهم حمدي بن سقيان أخو سحلي، قتله محمد بن "الإمام" فيصل، ثم توجه إلى القصيم ونزل روضة "الربيعة"، ولما بلغ الخبر أمير بريدة عبد العزيز المحمد بن عبد الله بن حسن (أبوعليان) ركب خيله وركابه، هو وأولاده حجيلان وتركي وعلي، ومعهم عشرون رجلاً من عشيرتهم ومن خدامهم، وهربوا من بريدة إلى عنيزة، ثم خرجوا منها متوجهين إلى مكة، ولما بلغ عبد الله بن فيصل خبرهم أرسل في طلبهم سرية مع أخيه محمد بن "الإمام" فيصل، فلحقوهم في الشقيقة وأخذوهم، وقتلوا منهم سبعة رجال، وهم الأمير عبد العزيز (أبوعليان) وأولاده حجيلان وتركي وعلي، وعثمان الحميضي من عشيرة عبد العزيز المذكور من آل أبي عليان، والعبد جالس بن سرور، وأخوه عثمان بن سرور، وتركوا الباقين، ثم إن عبد الله رحل من روضة الربيعة ونزل في بلد بريدة وأقام فيها مدة أيام، وكتب إلى أبيه يُخبره بمقتل عبد العزيز آل محمد (أبوعليان) وأولاده، ويطلب منه أن يجعل في بريدة أميرًا، فأرسل "الإمام" فيصل، عبد الرحمن بن إبراهيم إلى بلد بريدة، واستعمله أميرًا فيها، وهدم بيوت عبد العزيز المحمد (أبوعليان)، وبيوت أولاده، وقدم عليهم في بريدة الأمير طلال بن عبد الله بن رشيد، بغزو أهل الجبل من البادية والحاضرة، ولما فرغ (عبد الله) من هدم تلك البيوت ارتحل من بريدة بمن معه من جنود المُسلمين، وعدا على ابن عقيل ومن معه من الدعاجين والعصمة والنفعة من عتيبة وهم على "الدوادمي"، فصبحهم وأخذهم، ثم قفل راجعًا إلى الرياض مؤيدًا منصورًا، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم،وكان عبد الله بن عبد العزيز المحمد (أبوعليان) قد أمر عليه "الإمام" فيصل بالمقام عنده في الرياض، حين أذن لأبيه عبد العزيز (أبوعليان) بالمسير إلى بريدة كما تقدم في السنة التي قبلها، فخرج عبد الله (أبوعليان) المذكور مع عبد الله ابن "الإمام" فيصل في هذه الغزوة، فلما قرب من الرياض شرد من الغزو، فالتمسوه فوجدوه قد اختفى في غار هناك، فامسكوه وأرسلوه إلى القطيف، وحبسوه فيه فمات في حبسه، وكثرت

التهاني من الرؤساء والمشايخ "للإمام" فيصل بما منَّ الله عليه من العز والنصر على أعدائه المُفسدين الطغاة المُعتدين نظمًا ونثرًا».[۞] -انتهى الاقتباس-

ونلاحظ هنا من خلال ما أورده ابن عيسى في النص أعلاه أنه قد ذكر اسم عبد الرحمن بن إبراهيم، وهو الشخص الذي عيّنه فيصل بن تركي كأمير على بريدة بعد أن تمَّ القضاء على أسرة البوعليان وعلى رأسهم أمير بريدة عبد العزيز وبقية أبنائه، وذلك يُعتبر هو أول ظهور لأسرة ابن إبراهيم على الساحة السياسية، وهذا المدعو عبد الرحمن بن إبراهيم هو جد أبناء ابن إبراهيم الحاليين أصحاب قنوات Mbc، الذي تزوج الملك السابق فهد بن عبد العزيز بحفيدته الجوهرة بنت إبراهيم وأنجبت له أصغر أبنائه عبد العزيز الشهير بـ(عزوز). وسنرى لاحقًا أن عبد الرحمن بن إبراهيم هذا قد أخفق في إدارة بريدة،وفشل فشلاً ذريعًا في كل غزواته التي شنها على أهالي عنيزة، فقد أغار ابن إبراهيم على أهالي عنيزة في شهر رمضان ونهب منهم إبلهم وأغنامهم، ولكنهم سرعان ما لحقوا به وردوا كل ما أخذه منهم، فقفل راجعًا إلى بريدة يجر أذيال الخيبة والخسران، فقد كان ابن إبراهيم انتهازيًا وصوليًا اتصف بالمكر والخداع وسنرى لاحقًا كيف شارك ولده عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم مع سالم بن سبهان في قتل أبناء سعود في الخرج، وقد عزله فيصل بن تركي بعد أن خبر طباعه وصادر جميع أمواله التي حصل عليها بالباطل. وعن تخبطات وتصرفات عبد الرحمن بن إبراهيم الخرقاء، يروي ابن عيسى في كتابه، قائلاً: «(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٨ هـ): وفي شعبان من هذه السنة وقع الحرب بين "الإمام" فيصل وبين أهل عنيزة، فأمر "الإمام" على البوادي أن يغيروا على بلدة عنيزة، فأغار عليها آل عاصم في أخر شعبان من السنة المذكورة وأخذوا أغنامًا، فأرسل "الإمام" سرية مع صالح بن شلهوب إلى بريدة، وكتب إلى أميرها

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

عبد الرحمن ابن إبراهيم، يأمره أن يُغير بهم على أطراف عنيزة، فلما كان في شهر رمضان أغاروا على أهل عنيزة، وأخذوا إبلاً وأغنامًا، ففزعوا عليه، وحصل بينهم وبين عبد الرحمن بن إبراهيم قتال. وتكاثرت الأفزاع من أهل عنيزة، فترك لهم ابن إبراهيم ما أخذ منهم وانقلب راجعًا إلى بريدة. ولمَّا كان في شوال من السنة المذكورة قدم إلى عنيزة محمد الغانم من المدينة (المنورة) وهو من آل عليان رؤساء بريدة، ومن الذين قتلوا ابن عدوان؛ كما تقدم في سنة ١٢٧٦هـ؛ فشجَّعهم على الحرب وزيَّن لهم السطو على بلد بريدة، فخرجوا من عنيزة على خمس رايات، وقصدوا بريدة، فدخلوها أخر الليل، وصاحوا في وسط البلد، وقصد بعضهم بيت مهنا الصالح أبا الخيل، وبعضهم قصد القصر، وفيه أمير بريدة عبد الرحمن بن إبراهيم، وعدة رجال من أهل الرياض، ومعه صالح بن شلهوب وأصحابه، فانتبه لهم البلد ونهضوا إليهم من كل جانب، ووضعوا فيهم السيف وأخرجوهم من البلد، فانهزموا راجعين إلى بلادهم، وقُتل منهم عدة رجال، ولمَّا وصل الخبر إلى "الإمام" فيصل، أمر على بلدان المُسلمين بالجهاد، وأرسل سرية إلى بريدة وأمرهم بالمقام فيها عند عبد الرحمن بن إبراهيم، ثم أمر غزو الوشم وسدير بالمسير إلى بريدة، واستعمل عليهم أميرًا عبد الله بن عبد العزيز بن دغيثر، فساروا إليها، واجتمع عند ابن إبراهيم خلائق كثيرة، وكثرت الغارات منهم على أهل عنيزة، ثم إنهُ حصل بين ابن إبراهيم وابن دغيثر وبين أهل عنيزة وقعة في "رواق"، وصارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه. وقُتل من أتباعه نحو عشرين رجلاً منهم عبد الله بن عبد العزيز بن دغيثر، فساروا إليها، واجتمعوا عند ابن إبراهيم، وبعد هذه الوقعة غضب "الإمام" فيصل على ابن إبراهيم لأشياء نُقلت عنه، فاستلحقه من بريدة إلى "الرياض" وأمر بقبض جميع ما عنده من مال».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

- **سقوط إمارة آل سعود الثانية على يد أمراء حائل – آل رشيد:**

الحقيقة التاريخية الثابتة أن آل رشيد لم يكن لهم أية نوايا أو أطماع مُسبقة لضم منطقة الرياض لدولتهم، بل كان جل اهتمامهم مُنصبًا على منطقتي القصيم والجوف، والسبب أن أمراء آل رشيد كانوا مُقتنعين بوضعهم الجيوسياسي، كما كانت لهم علاقات نسب ومُصاهرة وصداقة مع آل سعود، ولم تكن لديهم الإمكانات اللازمة للاستحواذ والتوسع، فلا إمكاناتهم البشرية ولا حتى المالية تشجعهم للسيطرة على منطقة قاحلة ومعزولة عن العالم وبعيدة جغرافيًا عن حائل، وحتى حينما تحرك آل رشيد نحو الرياض مُضطرين للدفاع عن وجودهم، فقد كان هدفهم الدائم هو إما ردع أعدائهم أو ردّ الاعتداءات ودرء المؤامرات التي يحيكها حُكَّام الرياض المُتأخرين ضدهم، ولهذا شاهدنا أن ابن رشيد لم يهتم بأمر حكم منطقة الرياض حينما أصبحت جل اليمامة تحت سيطرته، فجعل عليها أحد رجاله ليُدير شؤونها بالنيابة عنه، بل أن الأمير محمد بن رشيد كان قد عين في بداية سيطرته على الرياض محمد بن فيصل بن تركي آل سعود كأمير على الرياض، وهذا دليل واضح على زهده وعدم مُبالاته بشأن الرياض أو بموقعها النائي.

وحتى حينما بدأت المُناوشات وحرب العصابات وتكتيكات الكر والفر التي كان يشنها عبد الرحمن بن فيصل وولده عبد العزيز من بعده على حاميات ابن رشيد في العارض، فقد كان ابن رشيد يجهز الحملات لردع مناوشاتهم على مبدأ ضرب الخصم ومن ثم العودة من جديد لحائل، وذلك كان الخطأ الاستراتيجي الفادح الذي وقع فيه جميع حُكَّام آل رشيد المُتأخرين باستثناء بسيط في عهد الأمير محمد بن رشيد، وهو أنهم لم ينقلوا عاصمتهم أو على الأقل مقر حكومتهم إلى الرياض فيتولوا هم الحكم بأنفسهم من هناك، إلا أنهم كانوا يعتبرون حائل هي دولتهم وهي عاصمتهم وهي مركز كل شيء بالنسبة لهم، وكل ما يتعداها أو دونها مُجرد خواء، وذلك الانطواء على حائل

والقوقعة على الذات والقناعة بالمناطق القريبة من حائل هو الأمر الذي أدَّى إلى ضعف ومن ثم زوال حكم آل رشيد والتعجيل بسقوط إمارة حائل.

ثم أن هنالك خطوطًا حمراء كانت مفروضة على ابن رشيد من قبل الدولة العثمانية التي كانت في أواخر أيامها على اتصال وتفاهم مع الإنجليز بسبب الضعف والانهيار، فأصبحوا يتغاضون عن تدخلات بريطانيا في المنطقة، خصوصًا في مسألة توفير الإنجليز الحماية لأتباعهم كما حصل مع رجلهم في الكويت مبارك بن صباح، مع هذا كان باستطاعة ابن رشيد أن يضرب بعرض الحائط بكل توصيات وأوامر الدولة العثمانية لو أراد ذلك، ولو توفرت لديه الإمكانيات والبدائل.

والواقع أن ابن رشيد كان مخنوقًا جغرافيًا ولم تكن لديه قوات عسكرية كافية لشن الحروب البعيدة وتحقيق تلك الأهداف الإستراتيجية، بل كل غزوات وحملات ابن رشيد كانت تعتمد وترتكز على الشجاعة الفردية والإقدام المنقطع النظير لآل رشيد، وذلك لكونهم كانوا فرسان لا يُشق لهم غبار، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة، والتحالفات المحلية والإقليمية تنتصر في نهاية المطاف على شجاعة وبسالة الأطراف المنفردة. فإمارة حائل كمساحة وكتكوين بشري لم تكن ذات كثافة سكانية هائلة يُعتد بها، فجل جيش ابن رشيد كان يتكون من حاضرة حائل وكذلك من بعض قبائل البدو من أبناء عمومته من قبيلة شمر المُتمركزة حول حائل، لأن أغلب عشائر شمر قد استوطنت في العراق والشام وأصبح لتلك العشائر زعماؤهم الخاصين ولم يكن لابن رشيد أي سلطة أو نفوذ فعلي عليهم، بل إذا أراد أن يستعين أو يستنجد ببعض أبناء عمومته من شمامرة العراق كان لابد عليه أن يأخذ موافقة الباب العالي ويستأذن والي العراق!. ولهذا قيدت الدولة العثمانية تحركات ابن رشيد من خلال وضع القيود على قبائل شمر في العراق، وعزلهم عن سلطة ابن عمهم أمير حائل، وأما ما تبقى من عشائر شمر الذين كانت مضاربهم بالقرب من حائل فهم أيضًا ينتقلون سنويًا خلف الماء والكلأ، فتجدهم في كل موسم يرحلون مع

إبلهم ومواشيهم صوب العراق من أجل الرعي هناك، ولهذا وجدنا أن ابن الرشيد كان يخوض معاركه بمن معه من حضر حائل لأن ولاءهم له شديد ولا يفرون من المعارك كما يفعل البدو عادةً، وأيضًا كان ابن رشيد يغزو في أحيان كثيرة ومعه بعض القبائل البدوية من جهة الحجاز مثل قبيلة حرب وبني رشيد وأحيانًا عنزة، والدافع هو إما بحكم خضوع بعض تلك القبائل لسيطرته كبني رشيد، أو من أجل تقاسم الغنائم مع الأمير، ولكن هذا الأمر لم يكن ثابتًا في كل الأحوال، فقبائل البدو سرعان ما تُغير ولاءاتها وتوجهاتها والمصالح في مثل تلك الظروف عادةً ما تتقلب وتتبدل موسميًا، ومن يغزو اليوم مع ابن رشيد سيكون في العام القادم ضده، وهكذا.

وحتى حينما خضعت القصيم لاحقًا لسيطرة ابن رشيد، فقد كان أهالي بريدة وعنيزة غير صادقين في ولائهم ويتحينون عليه الفرص، بسبب ثاراتهم القديمة وحروبهم السابقة مع حُكَّام حائل،وحينما كان يخرج أهالي القصيم مع ابن رشيد في غزواته لم ينفروا معه عن صدق نية وقناعة تامة ولم يتحمسوا قط للنصر بل كانوا مُضطرين، وأحيانًا خوفًا من بطش الأمير ودرءًا للعواقب، والوحيدين الذين صدقوا في قولهم وموقفهم مع ابن رشيد ولم ينقلبوا عليه هم أهل المجمعة، لكنهم كانوا قلة ولا قبل لهم في التمرد وسط بيئة مُعادية لهم.

أما في حالة آل سعود فالوضع مُختلف تمامًا، لأنهم لم يكن لهم قبيلة معروفة كي يحكموا باسمها أو يحتموا بها، أو يستنصروا بأبنائها ضد أعدائهم، وكما قلت في وقت سابق أن آل سعود كانوا أسرة حضرية متواضعة قطنوا قرية الدرعية وقد عرفوا بـ(حمولة المقرن)، ولو كانوا من قبيلة قوية ولها وزن ونفوذ ومكانة كقبيلة عنزة الشهيرة مثلاً، لقام آل سعود بحشد أغلب العنوز معهم، بل على العكس نجد أن آل سعود هم أول من شتت جمع قبيلة عنزة وهجّرهم خارج حدود نجد، ومع أن تلك النقطة تُحسب لصالح آل سعود وليس ضدهم، كونهم لم يكونوا من قبيلة عربية معروفة ومشهورة ومع هذا استطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم على جل القبائل العربية العتيدة سواء بالمكر

والحيلة، أو بقناع الدين المُزيف؛ لأنهم اتخذوا شماعة الدين كمطية لهم، وقد نجحوا بجدارة، وعليه فنجد أن آل سعود وعبر المراحل الزمنية التي حكموا فيها إقليم نجد، كانوا يحملون على الدوام تلك الشعارات الدينية الفضفاضة الكاذبة، ولكنها كانت شعارات براقة ومقبولة لدى العامة وبسطاء الناس، مثل رفع راية التوحيد وتطبيق الشرع الإسلامي، ولهذا نجحوا في تحشيد الناس حولهم دون الحاجة إلى العصبية القبلية، وأقنعوا أتباعهم أنهم يُجاهدون في سبيل الله، وأن قتالهم من أجل رفع راية الدين ودحر المُشركين، وإن صادف وقُتلوا فهم شهداء قديسون ومأواهم مضمون في الجنة.

إذن كانت القبيلة هنا عاملاً سلبيًا وليس إيجابيًا في مُعادلة الحكم بالنسبة لآل رشيد، بل إننا لاحظنا انضمام بعض مشايخ شمر المعروفين مع جيش ابن سعود ضد الأمير مطلق الجربا، وسنرى لاحقًا كيف سينضم بعض شيوخ الشمامرة ضد أبناء عمومتهم من آل رشيد وبقية شمر، وذلك عندما غسلت أدمغتهم فتوهبوا وجاءوا يُقاتلون أهلهم وجماعتهم مع جيش الإخوان (إخوان من طاع الله).

ثم أن هنالك أمر دولي مهم كان قد استجد في المنطقة وقلب جميع القوى والموازين في بداية القرن التاسع عشر، وهو بداية النفوذ والتدخل البريطاني على شبه الجزيرة العربية، ولهذا بدأت بريطانيا تدعم وتحرض شيوخ وحكام ساحل الخليج العربي على النفوذ العثماني في المنطقة.

وربما من أكبر الأخطاء الفادحة التي أرتكبها آل رشيد خلال فترة حكمهم، أنهم لم يكونوا جادين في إزالة الحكم السعودي من جذوره، فخلال حكم كل من سبقوا عهد الأمير محمد بن رشيد لم يكونوا راغبين أصلاً بضم منطقة الرياض وما جاورها إلى سلطانهم، والسبب كما أوردت أنها كانت منطقة نائية وفقيرة ولا تُغري أحدًا على غزوها أو حتى مُجرد التفكير بضمها لأنها ستكون عبءً وعالة على من يحكمها. ثم أن آل رشيد الأوائل كانوا يحتفظون بمشاعر الود

والصداقة لآل سعود، خصوصًا تلك العلاقة التي ربطت بين الجد الأول والمؤسس لإماراتهم عبد الله بن رشيد، وبين فيصل بن تركي بن سعود، وتتوجت تلك العلاقات من خلال المُصاهرة بين آل سعود وآل رشيد، حيث تزوج طلال بن عبد الله بن رشيد من ابنة فيصل بن تركي، وبالمُقابل تزوج عبد الله ابن فيصل بن تركي من نورة بنت عبد الله بن رشيد، وقد استمرت تلك العلاقة الأسرية الطيبة بين الطرفين رغم ضعف وانهيار قوة آل سعود في الرياض وبقية المناطق التابعة لهم.

وطوال فترة الضعف وتضعضع الحكم السعودي كان آل رشيد غير مُبالين، ولم تكن لهم أطماع سياسية في حكم إقليم العارض، ولم يُفكر آل رشيد في يوم من الأيام أن يزحفوا بقواتهم نحو الرياض، إلا بعد أن أخذ اللاحقون من آل سعود يسعون لتقويض نفوذ آل رشيد في المجمعة ويحرضون أهالي القصيم على التمرد على سلطة ابن رشيد. حينها أصبح الأمير محمد بن رشيد في موقف المُضطر وبات يفكر جديًا في وضع حد لتلك المؤامرات والتحرشات السعودية العدوانية، ولو تابعنا الأحداث التاريخية لتلك الفترة لرأينا أن آل رشيد كانوا مُتسامحين كثيرًا مع الصلف والنزغ السعودي، بل إن الأمير محمد بن رشيد كان في كل مرة ينوي فيها أن يُعاقب آل سعود ويكسر شوكتهم يعود ويغفر لهم، وذلك بعد أن يأتوا إليه ويعتذروا منه ويستسمحوه فيعفو عنهم ويتراجع عن خططه، حتى وصل به السيل الزبا وبلغ السيف العذل.

ولتحليل السبب الحقيقي وراء انفراط عقد آل سعود، ومن ثم سقوط دولتهم الثانية على يد أمير نجد محمد بن رشيد، علينا أن نعود أولاً لمُراجعة تاريخ الصراع الداخلي الأسري المحموم الذي دار بين أبناء فيصل، حيث تنافس سعود بن فيصل مع أخيه الأكبر عبد الله والذي كان بمثابة ولي العهد في حياة والده ثم أصبح إمامًا بعد وفاة الأب فيصل بن تركي، والجدير بالذكر أن أول من تنبأ بوقوع ذلك الصراع الدموي بين الأخوين هو الرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف الذي زار الرياض في أواخر أيام حكم فيصل بن تركي،

وشعر بذلك العداء المُتأصل بين الأخوين، بل اطلع على نوايا عبد الله بن فيصل الذي كان يسعى للحصول على مواد سامة من قبل بالجريف لكي يتخلص من أخيه المُنافس العنيد سعود بن فيصل.

وقد خرج الصراع الدموي بين الأخوين عن السيطرة وظهر إلى العلن بعد وفاة أبيهما فيصل بن تركي، حيث بقي سعود كاظمًا لغيظه بعد مُبايعة عبد الله كإمام على العارض، ثم بعد مرور حوالي العام تمرد على أخيه عبد الله وثار عليه، وهنا بدأ دور قبيلة العجمان للظهور من جديد، حيث استغلوا حدة الخلاف الدائر بين الأخوين المُتنافسين سعود وعبد الله، فاصطفوا إلى جانب المُتمرد الناقم سعود بن فيصل لكي يثأروا ويقتصوا من عدوهم التقليدي عبد الله بن فيصل ومن أتباعه وممن تحالفوا معه في غزوه لقبيلة العجمان وساهموا في تشريدهم من ديارهم، وفي المُقابل استغلهم سعود أفضل استغلال في سبيل التخلص من سلطة أخيه الأكبر عبد الله، وذلك بعد أن تقطعت به السبل وتعرض للخذلان أكثر من مرة من قبل الأصدقاء والحلفاء الذين طلب يد العون منهم، حيث سارع بطلب الدعم والعون من أمير عسير محمد بن عائض فخذله لأن علاقة ابن عائض كانت علاقة وطيدة مع عبد الله بن فيصل، فأرسل ابن عائض رسالة تطمينية إلى عبد الله يخبره فيها بأنه رفض طلب أخيه سعود لدعمه عسكريًا، فيقول لعبد الله: (إن سعودًا قدم علينا وطلب منا المُساعدة والقيام معه ضدكم، فلم نوافق على طلبه. وقد أشرنا عليه بالرجوع، ونضمن له كل ما يريد منكم فلم يقبل، وفي نيته أن يُغادر بلادنا إلى نجران). وفعلاً فقد توجه سعود بن فيصل بعدها إلى نجران وطلب الدعم من قبل المكرمي وقد أمده النجراني بالرجال والسلاح، لكن سعود انهزم أمام قوات عبد الله وجُرح في يده كما مرَّ معنا في الفصل السابق.

وعن بداية الحرب الضروس التي اندلعت بين الأخوين عبد الله بن فيصل وأخيه سعود، يذكر لنا حفيد الأمير عُبيد بن رشيد، ضاري بن فهيد الرشيد في نبذته التاريخية عن نجد، بعض تلك التفاصيل قائلاً:

«فلما مات فيصل تولى الأمر ابنه عبد الله، وسار على سيرة فيصل ثلاث سنين أو أربع. عند ذلك ظهر عليه أخوه سعود بن فيصل. وهو كان - أعني عبد الله - قد صار بينه وبين العجمان بعض المُشاغبة انتهت عن تلافهم. حتى أنهم قد كانوا قبل من أكثر من بوادي نجد إلى أن صاروا أفرادًا. ووقائعه معهم مشهورة، مثل (وقعة) الطبعة وملح وغيرها. فلما جرت عليهم هذه الوقعات تشتتوا. وبعد ما ظهر سعود اجتمعوا عليه. وفي سنتين كان معهم جمع غفير مع الذي فيه خلاف على عبد الله. فصار سعود مزبنًا (لهم). ومن غضب عليه عبد الله راح لسعود. فزحف سعود، ووجه إليه عبد الله أخاه محمد في قوم من أهل الرياض وبوادي الرياض من سُبيع والسُهول. فتلاقوا في مكان يُسمى "جودة" وهو بين الأحساء والرياض، وصارت الهزيمة على محمد (بن فيصل) وقتل من قومه مقدار أربع مئة من الحضر، والبدو ينقصون عن ذلك، إلى أن طالت المدة. وكان بينهم عدة وقعات، منها يوم البرة، ويوم المعتلى، ويوم الجزعة، حتى أن سعودًا استولى على الرياض. وبعد أن استولى على الرياض فعلوا البدو في أهل الرياض أفعالاً مُنكرة من جهة المالية (الأملاك). وشرحها يطول. فقد كانوا يأخذون من صاحب البيت جميع ما استحسنوا من أثاث وسلاح». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعن تلك الأحداث الدموية التي وقعت بين الأخوين، أو تلك الفتنة كما يُسميها المُفتي عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب الذي عايش تلك الأحداث، حيث يوضح عبد اللطيف موقفه المُتقلب من صراع الأخوين في رسالة له بعثها لآل الشثري، يقول فيها:

« بسم الله الرحمن الرحيم \ من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخوين المُكرمين زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري، سلمهما الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: وبعد، فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو على نعمه

۞ كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

والخط وصل، أوصلكم الله إلى ما يُرضيه، وما ذكرتموه كان معلومًا وموجب تحرير هذا ما بلغني بعد قدوم عبد الله وغزوه من أهل الفرع، وما جرى لديكم من تفاصيل الخوض في أمرنا والمراء والغيبة، وإن كان قد بلغني أولاً كثير من ذلك، لكن بلغني مع من ذكر تفاصيل ما ظننتها، فأما ما صدر في حقي من الغيبة والقدح والاعتراض والمسبة، ونسبتي إلى الهوى والمصيبة، فتلك أعراض انتهكت وهتكت في ذات الله أعدها لديه جل وعلا ليوم فقري وفاقتي، وليس الكلام فيها، والقصد بيان ما أشكل على الخواص والمُنتسبين من طريقتي في هذه الفتنة العمياء الصماء، فأول ذلك مفارقة سعود لجماعة المُسلمين وخروجه على أخيه وقد صدر منا الرد عليه وتسفيه رأيه، ونصيحة ولد عائض وأمثاله من الرؤساء عن مُتابعته والإصغاء إليه ونصرته، وذكرناه ما ورد من الآثار النبوية والآثار القرآنية بتحريم ما فعل، والتغليظ على من نصره، ولم نزل على ذلك إلى أن وقعت "وقعة جودة" فثل عرش الولاية وانتثر نظامها وحبس محمد بن فيصل، وخرج الإمام عبد الله شاردًا وفارقه أقاربه وأنصاره. وعند وداعه وصيته بالاعتصام بالله وطلب النصر منه وحده وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة، ثم قدم علينا سعود بمن معه من العجمان والدواسر وأهل الفرع وأهل الحريق وأهل الأفلاج وأهل الوادي ونحن في قلة وضعف، وليس في بلدنا من يبلغ الأربعين مُقاتلاً، فخرجت إليه وبذلت جهدي ودافعت عن المُسلمين ما استطعت خشية استباحته البلدة، وممن معه من الأشرار وفجار القراء من يحثه على ذلك ويتفوه بتكفير بعض رؤساء بلدتنا، وبعض الأعراب يطلقه بانتسابهم إلى عبد الله بن فيصل، فوقى الله شر تلك الفتنة ولطف بنا ودخلها (الرياض) بعد صلح وعقد، وما جرى من المظالم والنكث دون ما كنا نتوقع، وليس الكلام بصدده. وإنما الكلام في بيان ما نراه ونعتقده، وصارت له ولاية بالغلبة والقهر تنفذ به أحكامه وتجب طاعته في المعروف، كما عليه كافة أهل العلم على تقادم الأعصار ومر الدهور. وما قيل من تكفيره لم يثبت لدي فسرت على أهل العلم واقتديت بهم في الطاعة في

المعروف وترك الفتنة وما توجب من الفساد على الدين والدنيا، والله يعلم أني بارٌ راشد في ذلك. ومن أشكل عليه شيء من ذلك فليُراجع كتب الإجماع، كمصنف ابن حزم ومصنف ابن هبيرة وما ذكره الحنابلة وغيرهم. وما ظننت أن هذا يخفى على من له أدنى تحصيل ومُمارسة، وقد قيل سلطان ظلوم، خير من فتنة تدوم. وأما الإمام عبد الله فقد نصحت له كما تقدم أشد النصح وبعد مجيئه لما أخرج شيعة عبد الله سعود وقدم من الأحساء ذاكرته في النصيحة وتذكيره بآيات الله وحقه وإيثار مرضاته والتباعد عن أعدائه وأعداء دينه أهل التعطيل والشرك والكفر البواح، وأظهر التوبة والندم، وأضمحل أمر سعود، وصار مع شرذمة من البادية حول آل مرة والعجمان وصار لعبد الله غلبة ثبتت بها ولايته على ما قرره الحنابلة وغيرهم كما تقدم أن عليه عمل الناس من أعصار متطاولة، ثم ابتلينا بسعود وقدم إلينا مرة ثانية وجرى ما بلغكم من الهزيمة على عبد الله وجنده، ومر بالبلدة مُنهزمًا لا يلوي على أحد، وخشيت من البادية وعجلت إلى سعود كتابًا في طلب الأمان لأهل البلدة وكف البادية عنهم، وباشرت بنفسي مُدافعة الأعراب مع شرذمة قليلة من أهل البلد ابتغاء ثواب الله ومرضاته، فدخل البلد وتوجه عبد الله إلى الشمال، وصارت الغلبة لسعود والحكم يدور مع علته. وأما بعد وفاة سعود فقدم الغزاة ومن معهم من الأعراب العُتاة، والحضر الطُغاة، فخشينا الاختلاف وسفك الدماء وقطيعة الأرحام بين حمولة آل مقرن مع غيبة عبد الله وتعذرت مُبايعته بل ومُكاتبته، ومن ذكره يخشى على نفسه وماله، أفيحسن أن يترك المُسلمون وضعفاؤهم نهبًا وسبيًا للأعراب والفجار، وقد تحدثوا بنهب الرياض قبل البيعة، وقد رامها من هو شر من عبد الرحمن وأطغى، ولا يُمكن ممانعتهم ومراجعتهم، ومن توهم أني وأمثالي أستطيع دفع ذلك مع ضعفي وعدم سلطاني وناصري فهو أسفه الناس وأضعفهم عقلاً وتصورًا. ومن عرف قواعد الدين، وأصول الفقه، وما يُطلب من تحصيل المصالح ودفع المفاسد، لم يشكل عليه شيء من هذا، وليس الخطاب مع الجهلة والغوغاء، وإنما الخطاب معكم معاشر القضاة

والمفاتي والمُتصدين لإفادة الناس وحماية الشريعة المُحمدية، وبهذا ثبتت بيعته وانعقدت، وصار من ينتظر غائبًا لا تحصل به المصالح فيه شبه ممن يقول بوجوب طاعة المُنتظر وأنهُ لا إمامة إلا به. ثم أن حمولة آل سعود صارت بينهم شحناء وعداوة والكل يرى له الأولوية بالولاية، وصرنا نتوقع كل يوم فتنة وكل ساعة محنة، فلطف الله بنا وخرج ابن جلوي من البلدة وقتل صنيتان وصار لي إقدام على مُحاولة عبدالرحمن في الصلح وترك الولاية لأخيه عبدالله فلم آل جهدي في تحصيل ذلك والمشورة عليه، مع أني قد أكثرت في ذلك حين ولايته ولم أزل أكرر عليه في ذلك يومًا فيوما حتى يسّر الله قبل قدوم عبد الله بنحو أربعة أيام، أنهُ وافق على تقديم عبد الله وعزل نفسه، ورأى الحق له وأنهُ أولى منه لكبر سنه وقدم إمامته، فلما نزل الإمام عبد الله بساحتنا، اجتهدت إلى أن محمد بن فيصل يظهر إلى أخيه ويأتي بأمان لعبد الرحمن وذويه وأهل البلد، وسعيت بفتح الباب واجتهدت في ذلك، ومع ذلك كله فلما خرجت للسلام عليه، وإذا أهل الفرع وجهلة البوادي ومن معهم من المُنافقين يستأذنونه في نهب نخيلنا وأموالنا، ورأيت معه بعض التغير والعبوس، ومن عامل الله ما فقد شيئًا، ومن ضيع الله ما وجد شيئًا، ولكنه بعد ذلك أظهر الكرامة ولين الجانب وزعم أن الناس قالوا ونقلوا - وبئس مطية الرجل زعموا - وتحقق عندي دعواه التوبة وأظهر لدي الاستغفار والتوبة والندم، وبايعته على كتاب الله وسنة رسوله، هذا مُختصر القضية....... الخ».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد استعان عبد الله بن فيصل بن تركي بقوات الدولة العثمانية، حيث أرسل خادمه عبد العزيز أبا بطين إلى والي العراق، يحمل معه رسائل وهدايا من عبد الله بن فيصل يطلب من والي العراق ومن دولته العلية في اسطنبول التدخل العسكري لصالحه ومُساعدته في هزيمة أخيه سعود، مُقابل أن يُسلمهم الأحساء والقطيف، وقد بقي أبا بطين في العراق طوال فترة تجهيز الحملة

---

[۞] كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية- الجزء١٣ يضم رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ

العسكرية العراقية ثم قدم برفقتهم، وقد استطاعت القوات العراقية أن تدخل الأحساء وتطلق سراح محمد بن فيصل من السجن، وكان عبد الله بن فيصل مع عرب قحطان في رويضة العرض، فأمروه بالقدوم إلى الأحساء، فجاء عبد الله على وجه السرعة وانضم للجيش العراقي بمن معه، وقد استطاع ذلك الجيش هزيمة سعود وأتباعه ومن ثم إعادة السلطة لعبد الله الفيصل.

وعن تلك الأحداث يذكر ابن عيسى في تاريخه:

«ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائتين والألف: وكان الإمام عبد الله بن فيصل لما بلغه مسير سعود من البحرين إلى الأحساء، أمر جميع بلدان نجد بالتجهيز للغزو، وأمرهم أن يقدموا عليه في بلد الرياض، فقدم عليه غزو أهل ضرما، والمحمل وسدير. وكان أهل الهفوف يُتابعون إليه الرُسل ويطلبون منه النصرة، فأمر أخاه محمد بن فيصل أن يسير بهم مع غزو أهل العارض وسبيع والسهول للأحساء لقتال أخيه سعود، فسار بهم محمد بن فيصل المذكور. ولما بلغ سعود بن فيصل مسير أخيه محمد، وكان إذ ذاك محاصرًا بلد الهفوف، ارتحل وسار للقاء أخيه محمد، وسبقه إلى جودة الماء المعروف، فنزل عليها ومعه خلائقٌ كثيرةٌ من العجمان، وآل مرة، ومعه أهل المبرز وأحمد بن الغتم بن خليفة، وابن جبيل، وأقبل محمد بن فيصل ومن معه من الجنود وقد سبقه أخوه سعود وأصحابه على الماء فنزل محمد ومن معه بالقرب منهم، وحصل بين الفريقين قتال شديد، وذلك في اليوم السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة، فخان بعض الجنود محمد بن فيصل، وهم قبيلة سبيع، وأنقلبوا على أصحابهم ينهبونهم، فصارت الهزيمة على محمد بن فيصل وأتباعه، وقتل منهم نحو أربعمائة رجل.... وقتل من أتباع سعود عددٌ كبيرٌ، وقبض سعود على أخيه محمد بن فيصل وأرسله إلى القطيف فحبسه هناك، ولم يزل في حبسه ذلك إلى أن أطلقه عسكر الترك في السنة التي بعدها. وأقام سعود بن فيصل على جودة بعد هذه الوقعة وكاتب رؤساء أهل الأحساء يأمرهم بالقدوم عليه، والمُبايعة فقدموا عليه هناك

وبايعوه، ثم ارتحل بعد ذلك من جودة وسار إلى الأحساء واستولى عليه، وأخذ من أهلها أموالاً عظيمة وفرقها على العجمان، وأقام هناك، وأما الإمام عبد الله الفيصل فإنه خرج من الرياض لما بلغه ما حصل على أخيه محمد بن فيصل بأمواله، وخيله، وركابه، وخدامه. وقصد ناحية شمر (حائل)، ومعه عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبابطين، وناهض بن محمد بن ناهض. فلما وصل إلى البعيثة ـ الماء المعروف في العروق ـ نزل عليه وضرب خيامه هناك وأرسل الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز أبا بطين برسائل وهدايا لباشا بغداد، وباشا البصرة والنقيب محمد (نقيب البصرة)، وطلب منهم النصرة والمُساعدة على أخيه سعود فوعدوه بذلك، وأخذوا في تجهيز العساكر إلى الأحساء والقطيف، وأقام عندهم عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين هناك للمسير معهم. ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائتين والألف: وفي ربيع الأول من هذه السنة سارت العساكر من البصرة إلى الأحساء والقطيف ومُقدمهم يُقال له ـ فريق باشا ـ ومعهم عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين، فلما وصلوا إلى الأحساء والقطيف أطلقوا محمد بن فيصل من الحبس، وكان محبوسًا في القطيف بعد وقعة جودة كما تقدم في السنة التي قبلها، وأخرجوا فرحان بن خير الله من الأحساء. وكان سعود بن فيصل قد جعله أميرًا كما تقدم، وأظهروا له أنهم جاءوا لنصرة عبد الله بن فيصل والقيام معه والمُساعدة له على حرب أخيه سعود بن فيصل. وأرسلوا إلى عبد الله بن فيصل وهو إذ ذاك مع عربان قحطان على رويضة العرض يأمرونه بالقدوم عليهم. فسار إليهم وقدم عليهم في بلد الأحساء، فأكرموه ظاهرًا وهم بضد ذلك، وأقام عندهم هناك. وفي أخر جمادى الآخرة من هذه السنة سار سعود بن فيصل من بلد الدلم وتوجه إلى الأحساء، وقدم على وادي العجمان وآل مرة، فرغبوا في أخذ الأحساء والقطيف من عسكر الترك، واجتمع عليه خلائق كثيرة فعاثوا في قرى الأحساء بالنهب والتخريب، وذلك في رجب من السنة المذكورة، فخرجت عليهم عساكر الترك ومعهم عبد الله بن

فيصل، فالتقى الفريقان في الحويرة، واقتتلوا قتالاً شديدًا، وصارت الهزيمة على سعود بن فيصل وأتباعه، وقتل منهم خلائق كثيرة». [۞] - انتهى الاقتباس -

ويذكر لنا أيضًا الأمير السعودي سعود بن هذلول صاحب كتاب (تاريخ ملوك آل سعود) عن استعانة عبد الله بن فيصل بالقوات العراقية لدحر أخيه سعود والقضاء على قواته، حيث يذكر أنهُ قد استقى تلك المعلومات من كتاب ابن عيسى، ويبدو أن ابن هذلول قد حصل على نسخة أصلية لمخطوطة ابن عيسى، فيقول في كتابه:

« أما عبد الله بن فيصل فعندما بلغه خبر مذبحة جنوده في "جودة" ووصلته فلول المنهزمين، خرج من الرياض بخيله وأمواله وخدامه ومعه عبد العزيز ابن الشيخ عبد الله أبا بطين، وأحد مشايخ حرب: ناهض بن محمد بن ناهض وتوجه نحو الشمال واستنجد بصديقه القديم الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد الذي كان قد قتل أبناء أخيه طلال بندرًا وبدرًا وسلطان ومسلط، وتولى إمارة حائل فلم يلبِ له طلبًا. ثم عرج على ماء البعيثة الماء المعروف فضرب خيامه هناك وشرع يَكتب لوالي بغداد مدحت باشا ولمتصرف البصرة وإلى محمد النقيب يستنجد بهم على قتال أخيه سعود وإخراجه من الأحساء، وأردف الكتب بالهدايا وأرسلها إليهم بصحبة عبد العزيز أبا بطين فلم يخيبوا له طلبًا، بل شرعوا في تجنيد الجنود وإعداد العدة، وقد استبقوا رسول عبد الله عندهم في بغداد حتى يتم التجنيد، ويسير معهم.... الخ. وفي هذا العام سارت الجنود العراقية التي استنجد بها عبد الله لنصرته وإنقاذ الأحساء من أخيه سعود كما تقدم سيرها مدحت باشا، فسارت برًا وبحرًا قاصدة الأحساء. كانت الجنود التي سارت من طريق البر مؤلفة من عدة طوابير نظامية يقودها الفريق نافذ باشا، أما الجنود التي سارت عن طريق البحر تحملها السفن الشراعية فمؤلفة من عشائر العراق، يقودها الشيخ مبارك الصباح، ومعهم عبد العزيز أبا بطين

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

مندوب الإمام عبد الله كما تقدم. زحفت هذه الجنود برًا وبحرًا فاحتلت الجبيل والدمام والقطيف وأطلقت سراح محمد بن فيصل الذي كان مُعتقلاً فيها بعدما أخذ أسيرًا في وقعة جودة، ولم يُلاقوا أي مُقاومة». [۞] -انتهى الاقتباس-

وقد بقي عبد الرحمن بن فيصل -جد آل سعود الحاليين- لاحقًا أربعة أعوام وهو مُقيم في العاصمة بغداد فيما قيل إنها مفاوضات مع مدحت باشا حول الأحساء، وقد فشل في مفاوضاته، ولا أعرف ما هي تلك المفاوضات التي استمرت لمدة أربعة سنوات ولم تنتهي!. حيث يقول صاحب تاريخ الكويت السياسي: « أراد سعود الفيصل أن يسترد الأحساء بعد أن أضاعها أخوه الأمير عبد الله الفيصل فرأى أن يبدئ هذا الأمر أولاً عن طريق المُفاوضة والسلم فبعث أخاه الأمير عبد الرحمن الفيصل إلى بغداد في عام ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م لمفاوضة الوزير مدحت باشا بهذا الشأن. فذهب الأمير عبد الرحمن إلى بغداد وأقام فيها أربعة سنين يُفاوض ولكنه لم ينل من كافة المفاوضات السياسية أي نتيجة تذكر فترك بغداد في عام ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م وعاد إلى نجد فأوقف (أطلع) أخاه سعود على إخفاقه». [۞۞] -انتهى الاقتباس-

وكذلك يذكر سعود بن هذلول في كتابه ما ذهب إليه صاحب كتاب تاريخ الكويت السياسي حيث يقول:

« وفي سنة ١٢٩١هـ: قدم عبد الرحمن بن فيصل ومعه فهد بن صنيتان قدما من بغداد، وقد ذهبا من قبل إلى العراق يُطالبان أولياء الأمور هناك سحب جنودهم الأتراك من الأحساء والقطيف، فلم يجدا أذنًا صاغية، ولم يحصلا على شيء من النجاح لمُهمتهما التي ذهبا إلى هناك من أجلها». [۞] -انتهى الاقتباس-

وبعد أن يأس عبد الله بن فيصل بن تركي من مُماطلة والي العراق مدحت باشا وأدرك أنهُ لن يسلمه الأحساء بعد أن سيطر عليها عسكريًا واستقرت فيها

---

[۞] كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.

[۞۞] كتاب : تاريخ الكويت السياسي ٥ أجزاء \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.

قواته، وكذلك بسبب ضعف عبد الله وتهاونه وتراجع هيبته، وتسلط أخيه سعود عليه وخروجه عن سلطته، أدرك عبد الله بن فيصل أن سلطته قد زالت عن الأحساء، وأن لا سبيل لاستخلاصها من مدحت باشا، فبدأ يتوسل بالباب العالي كون سلطته أعلى من سلطة والي العراق، فأرسل رسالة استجداء إلى والي مصر في حينه الخديوي إسماعيل يستعطفه فيها ويترجاه بإذلال وخنوع واضح، لعله يساعده ويسترحم له لدى سلطان الباب العالي كي يعيدوا سلطته على إقليم الأحساء. وكل من من سيطلع على تلك الرسالة الشخصية التي أرسلها عبد الله بن فيصل إلى الخديوي إسماعيل في عام ١٨٧١م، وهي موجودة في دار الوثائق القومية المصرية في القاهرة تحت رقم ٢ محفظة ١٩ بحر برا تركي، سيجد أنها رسالة توسلية مهينة وبنفس الوقت تحريضية ضد أخيه سعود، وهي شبيهة بالرسالة الاستخذائية التي أرسلها محمد بن عبد الوهاب في حينه إلى شريف مكة الشريف أحمد بن سعيد، حيث جاء فيها: «الذي نعرضه للمقام العالي، أنهُ قبل هذا بمدة قد وصلنا من طرف نجد (الكولونيل لويس بيلي) قنصل الإنجليز بخليج بحر فارس ومعه هدية، وقد فهمنا موجب قدومه أن مرامه أن نعطيه مركز في ساحل البحر إما البحرين أو الدمام أو بعض القطع غيرها، وقد تعذرناه ورجعنا هديته عليه، حيث أن هذه الأماكن التي في يدنا من الممالك المحروسة الراجعة إلى خليفة رسول الله السلطان نصره الرحمن، وقد رجع منا مايوس (يائسًا) مكدر لعدم ايجاب مطلوبه، وكان أخينا سعود ولد سفيه، وجاهل، واستجلبه القنصل المؤمأ إليه (بيلي) فأفسده وأغراه بتحريكات المفاسد، وأمده بما يقتضي له من الذخيرة، والمهمات، وجمع له حربية من الأشقياء، ولا زلنا نردعه ونكسر شوكته، والقنصل المؤمأ إليه كما ذكرناه غمره بالذخيرة والنقود بواسطة أهل البحرين، ولما رأينا الأمر بهذه الصورة انتصرنا بالله ثم بدولتنا العلية، وعرضنا الحال إلى والي بغداد (مدحت باشا). وقد سار عسكر تحت رياسة الفريق نافذ باشا وضبطوا الأحساء والقطيف، وخادمكم قد توجهت لخدمة

الدولة، وحضرت عند الفريق المومأ إليه بالأحساء وملتقي بالخدمة، وبعد هذا صدر من والي بغداد إعلانات جملة إلى كافة الرعايا بالاعتراض على آل فيصل وعدم استخدامهم، وهذا خلاف ما كنا نأمله من مراحم الدولة وعدالتها، وصرت ميأوس (يائس) وظهرت (خرجت) من الأحساء، ولا زالت معروضاتي (خطاباتي) مترادفة على الفريق المومأ إليه، وإلى والي بغداد، مُستجلبًا مراحم وتعطفات دولتي وعدالتها، التي هي ملجأ لكل مسلم، ولا صدر مني بحق الحكومة، ولا بحق الرعية ما يوجب الصدود والتغافل عن خادمكم، فأما الشقي سعود فهو لا يزال على فساده، ومرتين يتلاقى مع العساكر الشاهانية التي طاعتها فريضة على كل مُسلم، والآن خادمكم جامع حربية من الرعايا والعشاير، وبحول اللّه ندمره ونقطع عرق فساده، حيث إن اليوم كافة أهل نجد والعسكر الذي بالأحساء والقطيف بغير طمأنينة من حركاته وفساده. فأما نحن أهل هذا البيت (آل سعود) غرس عين المرحوم المبرور محمد علي باشا طيب اللّه ثراه، وأنجاله المعظمون، فالذي نلتمس من شفقة مراحمكم أن تنظرون خادمكم وتنقلون بعرض حالي على أعتاب دولتي العلية، وتستجلبون وقوع أنظارها السنية، بصدور فرمان يتضمن وقوع أنظارها على عبدها، ومع الأنظار تحسن على عبدها بمعاش (راتب) من واردات الأحساء والقطيف، وتسجلبونا بذلك الدعوات الخيرية منا ومن كافة الفقراء والرعية، وتخلص رقاب هذه الأمة من جور هذا الشقي وسفاهته، ولأجل الدخالة على مقامكم العالي والالتجاء إلى فضلكم المتوالي، واستجلاب مراحمكم في تسوية الأحوال بما يراه نظركم.. وقد حررنا هذا العرض وشرحنا ما يلزم، ونحن حاليا قريبين من البصرة منتظرين من فضلكم الجواب، وعلى كل حال الأمر لحضرة من له الأمر، أفندم. خادمكم عبد اللّه بن فيصل السعود».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] وثيقة مُرسلة من الأمير عبد الله بن فيصل إلى الجناب العالي بدون تاريخ، وثيقة رقم ٢ محفظة ١٩ بحر برا تركي، في دار الوثائق القومية بالقاهرة.

ولو تتبعنا مصير آل سعود قبل القضاء عليهم من قبل الأمير محمد بن رشيد، لرأينا حجم ذلك الصراع المُسلح فيما بينهم، وللمسنا أن تنافسهم وطمعهم في الوصول إلى السلطة قد فاق كل حدود، وأن مبادئ الوهابية المزعومة لم يُعد لها أي وجود أو ذكر منذ زمن طويل، حتى ولو كانت بصورة شكلية، حيث كشر أفراد آل سعود عن أنيابهم وبات الجميع يسعى إلى الوثوب على السلطة، حتى ولو بمساعدة (الكفار) حسب وصفهم، سواء كان ذلك الدعم قادم من المصريين أعدائهم التقليديين، أو عن طريق الاستعانة بالقوات العراقية التابعة لسلطة الدولة العثمانية، وعلى أية حال فلم تكن تلك هي المرة الأولى التي يستعين بها آل سعود بالقوات الخارجية للاستنصار على بعضهم البعض، وعبد الله بن فيصل حينما توجه إلى العراق للاستعانة بقوات الدولة لكي يُعينوه على أخيه سعود الذي تغلب عليه واستطاع هزيمته واستولى على الرياض، فسعود هو الآخر كان قد سبقه واستعان بقوات مكرمي نجران وبأهل البحرين ضد أخيه ولم يفلح حتى وجد الدعم من قبل العجمان فأزاح عبدالله عن السلطة. وأنا سبق وذكرت في هذا الكتاب أن خورشيد باشا كان قد جلب خالد بن سعود معه من الأسر المصري، وقد أتى به المصريون معهم ليكون تابعًا لهم وعاملاً على نجد، فيجنبهم الحملات العسكرية المُكلفة والمُتكررة على إقليم نجد في كل مرة، وبعد صراع مرير بين خالد بن سعود الذي استولى على الرياض والمدعوم من قبل القوات المصرية، وأخذ وجذب بينه وبين ابن عمه فيصل بن تركي الذي تحصن في الخرج، انهزم فيصل بن تركي وقرر أن يُسلم نفسه لـخورشيد باشا طائعًا ليذهب به مخفورًا إلى والي مصر محمد علي باشا وكان عليه أيضًا أن يُسلم المدافع التي استولى عليها من قوات إسماعيل بيك، وقد قبل فيصل بن تركي بتلك الشروط وأُخذ أسيرًا إلى مصر - كما ذكرت سابقًا-.

وعن تلك الأحداث يذكر لنا إبراهيم بن صالح بن عيسى في كتابه "عقد الدُرر" المُقتبس أصلاً من كتاب عثمان بن بشر؛ ولكن بطريقة مُبسترة، حيث يروي

مُختصرًا للصراع الدائر بين أبناء العمومة من آل سعود، ويوثق التنافس المحموم الذي وقع بين فيصل بن تركي وبين خالد بن سعود، فيقول:

« وفي سنة ١٢٥٤هـ: قدم خرشد باشا عنيزة في صفر قادمًا من مصر بالعساكر العظيمة وأقام فيها مدة، ثم حصل بينه وبين أهل عنيزة حربٌ، قُتل فيه ناسٌ من الفريقين، ثم تصالحوا وقدم عليه فيها كثيرٌ من أهل نجد وأقام فيها، والإمام فيصل بالخرج وخالد بن سعود في الرياض، فلما كان في رجب أقبل خرشد بالعسكر قاصدًا الرياض فقدمها ثم خرج منها في اليوم التالي من قدومه، قاصدًا فيصل في الخرج، ثم نزل الدلم وفيها فيصل وأتباعه، فحاصرهم وجرى بينهم عدة وقعات، قُتل فيها خلقٌ كثير. فلما كان في اليوم السابع عشر من رمضان تسلم البلد بالأمان على أن الإمام فيصل يُقابل محمد علي، وعلى تسليم المدافع المأخوذة من إسماعيل بيك، وتم الصلح على ذلك، ثم جهز بعض عسكره وخرجوا قاصدين مصر بفيصل».[۞] - انتهى الاقتباس -

وعن بدايات الخلاف واندلاع المواجهات الحربية بين الأخوين عبد الله بن فيصل وسعود، وتفاقم هذا الصراع بعد وفاة أبيهم فيصل بن تركي، وكيف كان عبد الله بن فيصل الذي خلف أبيه في الحكم حذرًا ومُرتابًا من تحركات أخيه الناقم سعود بن فيصل، يذكر لنا ابن عيسى نبذة مُختصرة في تاريخه، فيقول عن تلك الأحداث: « ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائتين والألف: وفيها لتسع بقين من رجب توفي فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى..... وكان له أربعة أولاد هم: عبد الله، ومحمد، وسعود، وعبد الرحمن، وبايع المُسلمون بعده وفي عهده ابنه عبد الله، فضبط الأمور وساس المُلك أتم سياسة وسار سيرة جميلة ونشر العدل، وكان شجاعًا مُهابًا وافر العقل سمحًا كريمًا وافر الحشمة حكيمًا جوادًا ذا حزم ودهاء ولكن لم تتم له الولاية، فإنه نازعه أخوه سعود بن فيصل.

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

وجرت بينهما عدة وقائع ومُنافسات على المُلك. وكانت أيامه منغصة عليه مُكدرة من كثرة المُخالفين. ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائتين والألف: وفيها أمر "الإمام" عبد الله بن فيصل على جميع رعاياه من البادية والحاضرة بالجهاد، وسار بهم إلى ناحية الشمال فأغار على عربان الظفير، وهم على شقراء المعروفة بالقرب من الهور بالقرب من بلد الزبير. وكان قد سبقهم النذير إليهم وانهزموا فأخذ عليهم إبلاً وأغنامًا وكان مغاره بعيدًا فتقطعت بعض خيله ولم يستفد كثيرًا، ثم قفل إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم وكان معهم أخوه سعود بن فيصل، وكان بينهما مُغاضبة وكان عبد الله يخاف منه وقد جعل عليه عيونًا لئلا يبدر منه بادرة. وكان قد حجر عليه في بيته في الرياض فلا يدخل عليه أحد، وجعل رجلين عند بابه حافظين له. وكان إذا غزا أمر سعودًا بالغزو معه. فلما كان بعد قدومهم الرياض بأيام قليلة، هرب أخوه سعود من الرياض في الليل، ومعه ابنه محمد إلى بلدان عسير مُغاضبًا لأخيه عبد الله. وتوجه إلى محمد بن عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير فقدم عليه، وأقام عنده مدة وطلب منه النصرة». [۞] - انتهى الاقتباس -

ويُمكن متابعة تلك الأحداث مُفصلة في فصل (التجاء سعود بن فيصل بن تركي بن سعود إلى مكرمي نجران). وسنلاحظ أن الصراع استمر طويلاً بين الأخوين واستمرت المعارك بينهما ما بين كر وفر وتمكين وانحسار، وكان الضحية هم أبناء تلك البلدان المغلوبين على أمرهم، حتى سيطر في نهاية الأمر سعود على حكم الرياض، وبقي عبد الله مُشردًا في الفيافي والقفار يسعى لطلب العون والنجدة من جميع الأطراف، حيث سارع في الاتصال بالحكومة العراقية وبالدولة العثمانية وطرح عليهم مُساعدته ضد أخيه سعود في مُقابل الدخول تحت حمايتهم والسماح لهم بالسيطرة على إقليم الأحساء.

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

وعن تلك التداعيات وعن نجاح سعود في استخلاص الرياض من عبد الله بن تركي يقول ابن عيسى:

«ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائتين والألف: وفيها في المحرم خرج سعود بن فيصل بجنوده من الأحساء وترك فيه فرحان بن خير الله أميرًا، وقصد بلد الرياض. فلما قرب منها خرج الإمام عبد الله الفيصل منها وقصد بوادي قحطان، وكان قد أرسل قبل خروجه من الرياض أمتعته، وأثاثه ومدافعه، وقبوسه مع سرية كبيرهم حطَّاب بن مقبل العطيفة، وأمرهم أن يتوجهوا بذلك إلى عربان قحطان، فصادفهم سعود بن فيصل في الجزعة فحصل بينهم وبين السرية المذكورة قتالٌ شديدٌ وصارت الهزيمة على حطَّاب المذكور وأصحابه. وأخذ سعود ركابهم وسلاحهم وجميع ما معهم، وقتل منهم عدة قتلى. ومن مشاهيرهم حطاب بن مقبل العطيفة، وفلاح بن صقر العطيفة، وعويد بن حطاب العطيفة، ومحمد بن راشد الفقيه. ثم دخل سعود بلد الرياض ومعه خلائق كثيرةٌ من العجمان وغيرهم فعاثوا في البلد ونهبوا بلد الجبيلة، وقتلوا جماعة من أهلها وقطعوا نخيلها، وخربوها وتفرق باقي أهلها في بلدان العارض، ولم يبق فيها ساكن، وانحل نظام المُلك وكثر في نجد الهرج والمرج واشتد الغلاء والقحط وأكلت الحمير، ومات خلائق كثيرة جوعًا، وحلَّ بأهل نجد من القحط والجوع والمحن والنهب والقتل والفتن والموت الذريع أمر عظيم وخطب جسيم، فنعوذ بالله من غضبه وعقابه. ثم إن سعود بن فيصل لما استقر في الرياض كتب إلى رؤساء البلدان وأمرهم بالقدوم عليه للمُبايعة، فقدموا عليه وبايعوه، وأمرهم بالتجهز للغزو. فلما كان في ربيع الأول من السنة المذكورة خرج من الرياض غازيًا ومعه خلائق من العجمان وآل مرة وسبيع والسهول والدواسر وأهل الرياض والجنوب والخرج ومعه عمه عبد الله بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، وكان يميل إلى عبد الله بن فيصل وتوجه إلى قحطان وهم على الأنجل، ومعهم عبد الله بن فيصل. فلما وصل إلى ثرمدا جاءه الخبر أنهم ارتحلوا من الأنجل، ونزلوا على البرة القرية

المعروفة، فسار سعود بمن معه من الجنود إلى البرة لقتال أخيه عبد الله بن فيصل ومن معه من قحطان، وأرسل عمه عبد الله بن تركي إلى شقرا ومعه عدة رجال من الخدام، وأمرهم بالمقام فيها، وكان بين سعود وبين عمه وحشة. ولما كان في اليوم السابع من جمادى الأولى من السنة المذكورة وصل سعود ومن معه من الجنود إلى البرة، فأقتتل الفريقان قتالاً شديدًا، وصارت الهزيمة على عبد الله بن فيصل ومن معه من (قبيلة) قحطان وغيرهم. ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائتين والألف: وأما سعود بن فيصل فإنه لما أذن لمن معه من الجنود بالرجوع إلى أهليهم بعد وقعة البرة المذكورة، ولم يبق عنده في الرياض غير خدامه وشرذمة من العجمان قام عليه أهل الرياض، وعمه عبد الله بن تركي فحاصروه في قصره وثار الحرب بينه وبينهم أيامًا. ثم إنهم أخرجوه هو ومن معه من القصر بالأمان، وتوجهوا إلى بلد الدلم وتولى (عمه) عبد الله بن تركي على الرياض. وفي أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة سار سعود بن فيصل من بلد الدلم وتوجه إلى الأحساء، وقدم على وادي العجمان وآل مرة، فرغبوه في أخذ الأحساء والقطيف من عسكر الترك، واجتمع عليه خلائق كثيرة فعاثوا في قرى الأحساء بالنهب والتخريب، وذلك في رجب من السنة المذكورة، فخرجت عليهم عساكر الترك ومعهم عبد الله بن فيصل، فالتقى الفريقان في الحويرة، واقتتلوا قتالاً شديدًا وصارت الهزيمة على سعود بن فيصل وأتباعه وقُتل منهم خلائق كثيرة. ثم دخلت سنة التسعين بعد المائتين والألف: وفي المحرم منها خرج سعود بن فيصل من بلد الدلم بمن معه من الجنود، وقصد بلد ضرما وأخذ من أهلها أموالاً عظيمة وقسمها على جنوده. ثم سار منها إلى بلد حريملاء فلما وصل إليها خرج أهلها لقتاله فحصل بينه وبينهم وقعة شديدة خارج البلد، وصارت الهزيمة على أهل حريملاء وقتل منهم نحو ثلاثين رجلاً منهم الأمير ناصر بن حمد آل مبارك وابنه، وسليمان السياري من رؤساء ضرما، صادف تلك الأيام في بلد حريملاء فحضر الوقعة، وتحصن أهل البلد في بلدهم وأمر سعود من

معه من الجنود بقطع نخل حريملاء، فقطعوا كثيرًا منها. ثم أنهم صالحوه وارتحل عنهم وسار إلى الرياض فلما قرب منها خرج عليه أخوه عبد الله بن فيصل، ومعه أهل الرياض فحصل بينه وبينهم وقعة شديدة في الجزعة، وصارت الهزيمة على عبد الله وأهل الرياض، وقتل منهم عدة رجال منهم مساعد بن سليمان الظفيري، وأخوه فهد، ودخل أهل الرياض بلدهم. وأما عبد الله بن فيصل فإنهُ توجه بمن معه من الخدام إلى جهة الكويت وأقام هناك عند بادية قحطان على الصبيحية. ثم إن سعود بن فيصل بعد هذه الوقعة دخل بلد الرياض وبايعه أهلها على السمع والطاعة، وكتب إلى رؤساء البلدان وأمرهم بالقدوم عليه للمُبايعة، فقدموا عليه وبايعوه على السمع والطاعة وأمرهم بالتجهز للجهاد. ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائتين والألف: وفي هذه السنة في ذي القعدة خرج سعود بن فيصل من بلد الرياض غازيًا، فلما وصل حريملاء مرض فرجع إلى الرياض مريضًا، وتوفي بعد وصوله إليها بأيام قليلة في ثامن عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة، وقام بالأمر من بعده أخوه الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وكان عبد الله بن فيصل إذ ذاك هو وأخوه محمد بن فيصل مع بادية عتيبة. ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائتين والألف: وفي هذه السنة قُتل فهد بن صنيتان، وصنيتان لقب على عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، يوم الجمعة في جامع بلد الرياض، قتله محمد بن سعود بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعن أسباب هزيمة قوات عبد الله بن فيصل في موقعة "جودة" والتي كانت قيادة القوات فيها بقيادة أخيه محمد بن فيصل، حيث يُعزي سعود بن هذلول في كتابه سبب الهزيمة إلى مؤامرة خبيثة قد حُيكت وخيانة حدثت من قبل قبيلة سبيع، حيث اتفقوا مع سعود على الانقلاب أثناء المعركة على قوات

---

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

محمد بن فيصل، وهو ما أدى إلى هزيمة قوات عبد الله بن فيصل هزيمة ساحقة، حيث يقول هذلول: «وقد يتساءل القارئ الكريم عن سبب تلك الخيانة التي جرت من قبل قبيلة سبيع، وهو يعلم أنهم من المُتحيزين لعبد الله بن فيصل منذ توليه الحكم، وما الذي حملهم على هذا الفعل الشنيع؟ يقول بعض الرواة أن سبب خيانة سبيع لمحمد (الفيصل) وانقلابهم عليه في هذه الوقعة؛ هو أن المدعو "ليل المتلقم" أحد رؤساء العجمان كان قد لجأ إلى فراج أبو اثنين أحد رؤساء سبيع قبل وقعة "جودة" بعام كامل، لجأ إليه لما يعلم له من المكانة عند الإمام عبد الله، وطلب منه أن يشفع له عند عبد الله كي يعفو عنه، فذهب فراج إلى الرياض لمُقابلة الإمام عبد الله وترك "ليل المتلقم" عند أهله بين سبيع. وعندما قابل عبدالله وطلب منه أن يعفو عن المتلقم وجماعته؛ أعطاه الأمان على دمائهم فقط، أما أموالهم وخيولهم وإبلهم فقد أرسل لها سرية من قبله فصادرتها، فغاظ قبيلة سبيع هذا العمل، واستبطنوا الغدر عندما تسنح لهم الفرصة، فقد اتفقوا مع سعود يوم وقعة جودة على أنهُ إذا حمي الوطيس واشتد القتال؛ انسحبوا على أدبارهم مُتقهقرين وينهبون رواحل محمد بن فيصل ومعسكراته، ويسببون الهزيمة عليه. هذا ما بلغني عن هذه القضية ولله الأمر من قبل ومن بعد». ۞ - انتهى الاقتباس -

وعن هروب عبد الله بن فيصل من الرياض خوفًا وهلعًا من بطش أخيه سعود، ومن ثم دخول سعود للرياض دون مُقاومة تذكر ومن ثم استباحتها وسلبها من قبل قواته، يذكر سعود بن هذلول في كتابه: « وفي مستهل عام ١٢٨هـ خرج سعود من الأحساء بعدما جعل فيها أميرًا من قبله يُدعى فرحان بن خير الله، وتوجه نحو الرياض فلما قرب منها، أخرج عبد الله جميع أمواله وأثقاله ومدافعه يُرافقها قلة من الجنود مع حطاب بن مقبل العطيفة، وأمرهم أن يذهبوا بها معهم إلى عرب قحطان الذين كانوا مُقيمين في بلد الرويضة

---

۞ كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.

بالقويعية ويبقوها عندهم. فصادفهم سعود في موضع يُقال له "الجزعة" فهجم على حطاب ومن معه وقتله ومعظم رجاله واستولى على جميع ما معهم، فلما علم عبد الله بمقتل رجاله وأخذ الأموال التي معهم، هرب من الرياض وتركها للفوضى وقصد قحطان، فدخل سعود الرياض دون مُقاومة، واستولى عليها ونهبت جنوده الرياض وعاثت فسادًا فيها واستأصلوا في نهبهم وسلبهم إلى ما وراء الرياض بل وصلوا حتى بلدة الجبيلة ونهبوها وقطعوا نخيلها وخربوا دورها وتركوها خالية من السكان كما تُشاهد اليوم، وقد حالفهم على فسادهم انتشار المجاعة فقد كان هذا العام عام قحط وقلة في أسباب المعيشة مما ساعد على الحروب والخراب والدمار على إهلاك أهل نجد من الفتن والقحط والقتل والموت أمر عظيم، وخطب جسيم فنعوذ بالله من مُضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن».[۞] -انتهى الاقتباس-

وعن وفاة سعود بن فيصل يذكر ضاري الفهيد الرشيد في نبذته، أن سعودًا ربما مات مسمومًا، وهذا يُعيد لنا الحكاية التي ذكرها الرحالة الإنجليزي وليام بالجريف في كتابه حينما زار الرياض والتقى بـ عبد الله الفيصل أثناء حكم فيصل، حيث أصر عبد الله بن فيصل على بالجريف أن يعطيه مادة سامة كونه كان طبيبًا، وقد رفض بالجريف طلبه بشدة، مما جعل عبد الله بن فيصل يُعادي بالجريف ويُحاول التخلص منه، فهرب بالجريف من الرياض وترك الأخوين في صراع، وربما يكون عبد الله قد حصل على السم من جهة أخرى وقام بالتخلص من أخيه سعود وهذا هو المُرجح، وعن ذلك يقول ضاري:

« أما سعود فلم يلبث أن مات من علة. ويقول بعض الناس: إنه مسموم، وقد خلف أولادًا، أكبرهم اسمهُ سعد، وبعده محمد، وبعده عبد الله، وبعده عبد العزيز فلما استقام عبد الله بن فيصل سنة، قاموا عليه أولاد أخيه (سعود)، وصار بينهم وقعات انفصلت في أنهم تقاسموا المملكة النجدية. وكان عاصمتهم

---

[۞] كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.

الخرج ومُلحقاته. وهو (أي عمهم عبد الله) على الرياض وملحقاته. لبثوا سنتين. بعد ذلك قاموا عليه خيانة، وحبسوه».[۞] -انتهى الاقتباس-

وبعد وفاة سعود تمكن أبناؤه واستطاعوا لاحقًا طرد عمهم عبد الرحمن بن فيصل من الرياض، فاضطر أن يذهب إلى أخيه الجلاوي عبد الله بن فيصل لكي يسترضيه ويتحالف معه ضد أبناء أخيه سعود، وفعلاً ذهب الابن الأصغر لفيصل وهو عبد الرحمن إلى أخيه عبد الله وكان حينها عبد الله مُستجيرًا بقبيلة عتيبة، فلحقه عبد الرحمن واسترضاه وبايعه، فجمعا معًا المُرتزقة من كل مكان وعادا من جديد إلى الرياض، حينها فرَّ أبناء سعود من الرياض وذهبوا إلى الدلم، وعندما استعاد عبد الله مُلكه وبايعه المُبايعون كالعادة، أراد أن يُعيد مكانته وسطوته على بقية المناطق، ولكن أثناء الصراع الدائر بينه وبين أخيه سعود، كانت بريدة والمجمعة قد خرجتا من سلطة آل سعود ودخلتا تحت سلطة وحماية ابن رشيد، وأصبحتا تدينان بالولاء والطاعة لأمير حائل، ولهذا نجد أن خصوم أمير بريدة حسن بن مهنا أبا الخيل قد قدموا مُسارعين إلى عبد الله بن فيصل بعد عودته إلى الرياض لكي يُحرضوه على غزو بريدة لاسترجاع نفوذهم القديم ونفوذ آل سعود عليها، وبدأ آل أبوعليان يُزينون الأمر لعبد الله بن فيصل ويؤملوه بتلقي الدعم والنصرة من قبل عنيزة ومن داخل بريدة أيضًا لكي يُقدم على غزو بريدة.

وقد انجر عبد الله بن فيصل خلف وشايات أعداء وخصوم حسن ابن مهنا، وبدأ يحشد قواته لغرض غزو بريدة رغم علاقاته الأسرية الطيبة مع آل رشيد خصوصًا أن بعض المصادر تُشير إلى أن عبد الله بن فيصل كان قد تزوج أيضًا من ابنة عُبيد بن رشيد بالإضافة إلى زواجه القديم من شقيقة الأمير محمد بن رشيد، وبالرغم أنهُ كان يُدرك جليًا نتيجة تلك المُخاطرة، وكان يعلم جيدًا أنهُ في حال تحرش في أمير بريدة أو بأهل المجمعة فأنهُ حتمًا سيدخل لا محالة في

---

[۞] كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

حرب ضارية لا قبل له فيها مع أنسابه آل رشيد، لأن وضعه العسكري كان مهزوزًا وهو أضعف بكثير من أن يدخل في صراع عسكري ونزاع مع ابن رشيد، ولهذا فمن الخطأ القول إن ابن رشيد كان طامعًا في حكم نجد، فإن كانت أرض حائل تُعد نجدية مع أن المؤرخين العرب اختلفوا في نجديتها، إذن فإن محمد بن رشيد كان حاكمًا فعليًا لنجد حينما سيطر على الجوف وإقليم القصيم والمجمعة باستثناء عنيزة التي بقيت معزولة ومُحاصرة وأما إذا كان المقصود بحكم نجد هو السيطرة على عاصمة العارض الرياض وضمها لدائرة حكمه، ففي الحقيقة أن محمد بن رشيد كان زاهدًا في بلدان العارض والرياض تحديدًا، ولولا أن أهالي المجمعة هم من أرسل الرُسل والمكاتيب إلى محمد بن رشيد يطلبون منه ضمهم لحكمه وحمايتهم من فتن ومعارك آل سعود فيما بينهم، خصوصًا لمَّا تحرك عبد الله بن فيصل صوبهم، فاضطر محمد بن رشيد إلى التدخل مُجبرًا، وقد تحاشى ابن رشيد الصدام مع آل سعود مرارًا، وكان قادرًا على سحقهم، لكنه تراجع لأسباب عديدة منها علاقة النسب مع عبد الله بن فيصل، وكذلك لأن حكم الرياض وما جاوره يُعتبر غير ذي جدوى اقتصادية ولا حتى سياسية، لأنهُ سيُرهق كاهل ابن رشيد بالمال والرجال دون فائدة مرجوة من الاستحواذ على بقعة جرداء معزولة.

ولكن ذلك الشعور الذي يُبديه المؤرخ ابن عيسى في كتابه، ومشاعر الكثيرين غيره من أهالي العارض هو بسبب الهوان وإحساسهم بالخذلان لأنهم كانوا يشعرون بضعف وتخاذل ولاتهم وبالمُقابل يلمسون قوة وشجاعة الأمير محمد بن رشيد، ولهذا تجدهم يتذمرون ويحملون ابن رشيد مسؤولية ضعف وهوان وتقاتل آل سعود فيما بينهم، وكذلك فإن سوء طوية عبد الله بن فيصل وتحريض أعداء أمير بريدة له ولأخيه عبد الرحمن من بعده، هي ما دفع وأجبر الأمير محمد بن رشيد للقدوم بقواته إلى العارض ومن ثم ضم الرياض وحسم الأمر، فقد تكررت استفزازات عبد الله بن فيصل لابن رشيد؛ وذلك حسب ما يذكر ابن عيسى نفسه؛ ومع هذا كان ابن رشيد حليمًا واثقًا من نفسه

ورشيدًا ومُحافظًا على علاقة الود والمُصاهرة مع عبد الله بن فيصل، ولم يسعى للمواجهة رغم تفوقه العسكري وثقته بالنصر، بل كان يُرسل إشارات عسكرية مفهومة للخصم مفادها أنك غير كفء لمواجهتي، وسرعان ما يلتقط عبد الله بن فيصل تلك الرسائل فينسحب في كل مرة مُتخليًا عن أطماعه وطموحاته إلى حين.

وعن تلك المناورات التي قام بها عبد الله بن فيصل بتحريض وتأليب من عبد الله بن مدلج، يذكر ابن عيسى في كتابه، قائلاً: « ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائتين والألف: وفيها حصل بين الإمام عبد الرحمن بن فيصل وبين أولاد أخيه سعود بن فيصل منافرة، فخرج من الرياض وقدم على أخيه عبد الله بن فيصل وهو إذ ذاك مع بادية عتيبة، فلما قدم عليه أكرمه إكرامًا زائدًا وأخذ عبد الله في جمع الجنود من البادية والحاضرة، وجمع جموعًا ثم توجه بهم إلى قتال أولاد أخيه سعود بن فيصل في الرياض ومعه أخوه عبد الرحمن بن فيصل. فلما قرب عبد الله من الرياض خرج أولاد سعود منه بغير قتال وساروا إلى الدلم وأقاموا بها. فدخل عبد الله بن فيصل بلد الرياض واستقر فيها ثم قدم عليه رؤساء البلدان وبايعوه على السمع والطاعة، وقد قدم عليه عبد الله بن عبد المحسن بن مدلج من آل عليان رؤساء بلد بريدة في الماضي ممن أجلاهم منها أبو الخيل، ومعهم كتاب من زامل آل عبد الله بن سليم أمير بلد عنيزة يطلب منهم القدوم عليه في عنيزة ويعده بالقيام معه والمُساعدة له على أهل بريدة. وطلب عبد الله بن عبد المحسن آل محمد المذكور ومن معه من عشيرته القيام معهم والمُساعدة في أخذ بريدة من أيدي آل أبا الخيل، وذكروا للإمام أن لهم عشيرة في البلد وأنهم إذا وصلوا إلى البلد ثاروا فيها وقاموا معهم وفتحوا لهم الباب. فسار معهم الإمام عبد الله بن فيصل بجنوده من المُسلمين من البادية والحاضرة، وقدم بلد عنيزة ونزل خارج البلد. وكان حسن آل مهنا أبا الخيل لما بلغه خبر سيرهم كتب إلى محمد بن عبد الله بن رشيد أمير بلد الجبل (حائل) يستحثه، فخرج ابن رشيد من

حائل بجنوده واستنفر من حوله من بادية حرب، وشمر، وهتيم، وبني عبد الله، وتوجه بهم إلى بلد بريدة ونزل عليها بمن معه من الجنود. ولما علم بذلك الإمام عبد الله الفيصل ارتحل من عنيزة بمن معه من الجنود ورجع إلى بلد الرياض، وأقام ابن رشيد على بريدة مدة أيام ثم رجع إلى بلده».[۞]

ويبدو لي أن عبد الله بن فيصل شعر بالارتياح والتفرد بعد وفاة عدوه وخصمه اللدود سعود، وأدرك أنهُ أمام وضع جديد يتحتم عليه أن يستعيد قوته ونفوذ أسرته السابق، خصوصًا وأن أبناء أخيه سعود كانوا في بداية أمرهم أضعف من شوكة أبيهم، ولم يكن لهم تأثيرٌ طاغ كما كان عليه الحال في عهد الأب سعود بن فيصل، ولهذا كان لابد لعبد الله بن فيصل أن يُدخل في مواجهة عسكرية مع ابن رشيد، بحكم أنهُ يسعى لإعادة إقليم القصيم كاملاً لسلطة آل سعود، ولكن موازين القوى والولاءات في بلدات القصيم قد تغيرت خلال فترة الصراع الدموي بين آل سعود، وسنلاحظ أن المؤرخ ابن عيسى؛ وهو كما أسلفت سابقًا بأنهُ يُميل بشدة لصالح كفة آل سعود بسبب ولائه الكبير لولي نعمته الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن؛ فنراه يُعزي السبب في قبول ابن رشيد لنجدة بريدة والمُجمعة هو طمعه في ولاية نجد بعد أن تضعضع أمر آل سعود بسبب الخلافات بينهم، ولو كان الأمر كما زعم ابن عيسى لما تأخر ووفر ابن رشيد نصرًا حاسمًا له وتراجع عدة مرات عندما كان يفر عبد الله بن فيصل بقواته من أمام ابن رشيد، وكان يُلام ابن رشيد لأنهُ لم يُكمل زحفه نحو الرياض وهو قادر على سحقهم.

والسبب الحقيقي الذي دفع محمد بن رشيد للتدخل في نهاية المطاف والسيطرة على الرياض، هو عبد الله بن فيصل نفسه، حيث عادت حليمة لعادتها القديمة وبدأ عبد الله الفيصل تراوده أحلام وأطماع السيطرة فأخذ يتحرش بالمناطق الموالية لابن رشيد، والدليل أن عبد الله بن فيصل لما خلعه أبناء أخيه سعود،

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

بادر إلى طلب المعونة والدعم من قبل أمير حائل محمد بن رشيد، ولما قويت شوكة أبناء سعود وخلعوا عمهم عبد الله وحاصروه في الرياض، بادر عبد الله بن فيصل بنفسه إلى دعوة ابن رشيد والاستنجاد به للتدخل.

ولو كان رأي ابن عيسى سديدًا في أن ابن رشيد كانت له أطماع في حكم الرياض، لأدرك عبد الله الفيصل ذلك الأمر ولما وجه له الدعوة بنفسه للقدوم إلى الرياض، ولكان قد تجرع مرارة الهزيمة والخسارة في أن تكون ولاية الرياض بيد خصومه من آل سعود؛ أي بيد أبناء أخيه سعود، على أن يستولي على الرياض الأمير محمد بن رشيد، لكن الحقيقة أن عبد الله بن فيصل كان يُدرك جيدًا أن آل رشيد ليس لهم مطامع بعيدة عن حدود إماراتهم، ولم يأبهوا أصلاً في حكم إمارة الرياض، بل إن ما يهمهم هو إقليم القصيم القريب منهم والغني بالتجارة، ولهذا عاد عبد الله واستنصر بمحمد بن رشيد على أبناء أخيه سعود، بل حتى حينما سيطر الأمير محمد بن رشيد على كافة أجزاء نجد وأصبح سيدًا مُطلقًا على كامل التراب النجدي، قام بتعيين محمد بن فيصل بن تركي آل سعود على إمارة الرياض، وقد أثار ذلك التعيين استغراب البارون الروسي ادوارد نولده الذي التقى بالأمير محمد بن رشيد في خيمته، وقد سأل نولده مُضيفه ابن رشيد عن الحكمة من وراء تعيين شخص ما انفكت أسرته تتآمر على حكمه؟ فأبلغه الأمير أنهُ لا يريد أن يرى آل سعود لاجئين مُشردين بعد أن كانوا أمراء، وهو يريد أن يُحافظ على مكانتهم. حيث يذكر نولده عن ذلك الحوار بكتابه قائلاً:

« بعد عدة أشهر من الحكم المُباشر (لـ نجد) قام ابن رشيد بتعيين أحد أعضاء أسرة ابن سعود، وهو الأمير محمد بن فيصل، كما كان يُلقب، رغم أنهُ في واقع الأمر لم يكن أكثر من تابع لسيد نجد القوي (الأمير محمد بن رشيد) منذ معركة بريدة (المليدة). وعند سؤاله لماذا فعل ذلك؟ قال لي ابن رشيد: "يجب أن تفهم أن على المرء فعل ما يُعد صحيحًا من الناحية السياسية، وفي نفس الوقت أن يكون عمله مقبولاً عند الله، لقد ظل آل سعود لفترة طويلة يحكمون

في نجد، وحتى والدي كان مواليًا لهم، لذلك لا أرغب في أن أجعل من أفراد تلك العائلة مُشردين ولاجئين لا مأوى لهم. ولقد عانوا بالفعل ما يكفي من الحظ العاثر». [۞] - انتهى الاقتباس -

واستمر عبد الله بن فيصل رغم ضعفه يقوم بتحركات استفزازية ضد ابن رشيد، وهي التي أدت في نهاية الأمر إلى الصدام بينهما.

وعن تلك المُناورات والمناوشات التي كان يقوم بها عبد الله الفيصل ومُحاولته الدؤوبة لاحتلال المجمعة ومن ثم انسحابه السريع من تخومها، عندما علم بتحرك ابن رشيد بقواته لحماية المجمعة، يقول ابن عيسى:

« ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائتين والألف: وفيها وقع الحرب بين أهل المجمعة وبين الإمام عبد الله بن فيصل، فأمر أهل بلدان نجد بالتجهز للغزو. ثم خرج من بلد الرياض وتوجه إلى بلد المجمعة ومعه جنود كثيرة من أهل العارض، والمحمل، وسدير، والوشم، وسار معه بوادي عتيبة بأهاليهم ونزلوا بلد حرمة، وحاصروا بلد المجمعة، وقطعوا كثيرًا من نخيلها. وكان أهل المجمعة قد اتفقوا مع محمد بن عبد الله بن رشيد أمير الجبل (حائل) على أنهم يكونون تحت ولايته، وأنهُ يقوم بحمايتهم فوعدهم بذلك، وواطئهم على الإمام عبد الله بن فيصل. وكان ابن رشيد قد طمع في ولاية نجد لما رأى اختلاف آل سعود، وما حصل بينهم من الحروب، وأنهُ قد تضعضع أمرهم لكثرة اختلافهم وتفرقهم. وكان أهل المجمعة لما بلغهم الخبر بمسير الإمام إليهم كتبوا إلى ابن رشيد يستحثونه وتتابعت الرسل منهم إليه يستنجدونه، فخرج بجنوده من حائل، واستنفر من حوله بادية شمر وحرب بني عبد الله، وتوجه إلى بلد بريدة ونزل عليها ومعه جنودٌ عظيمةٌ، وكان حسن آل مهنا أبا الخيل أمير بلد بريدة قد جمع جنودًا كثيرة من أهل القصيم، ومن أهل البوادي،

---

[۞] كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر \ تأليف: البارون ادوارد نولده.

واستعد للمسير مع ابن رشيد لنصرة أهل المجمعة. ولما تكاملت على ابن رشيد جنوده، وهو على بريدة ارتحل منها ومعه حسن آل مهنا، ونزل على الزلفي. فلما علمت بذلك بوادي عتيبة ارتحلوا من حرمة مُنهزمين، وارتحل الإمام بمن معه من المُسلمين، وتوجه إلى بلد الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وكانت مدة إقامته على بلد المجمعة مُحاصرًا لها أربعين يومًا. ثم إن ابن رشيد ارتحل من الزلفي بمن معه من الجنود، ونزل على بلد المجمعة وأقام عليها أيامًا. ثم ارتحل منها ورجع إلى بلده وجعل فيها أميرًا سليمان بن سامي من أهل حائل».[۞] - انتهى الاقتباس -

وهكذا نرى أن عبد الله بن فيصل قد فرَّ من مواجهة الأمير محمد بن رشيد بعد أن شد الرحال لمنازلته، وقد هرب عبد الله من المواجهة وعاد أدراجه إلى الرياض، ولو كان ابن رشيد ينوي به الشر لتبعه إلى الرياض واقتلعه من جذوره؛ خصوصًا بعد فرار قبيلة عتيبة وتخليها عن عبد الله بن فيصل.

وعن تحرشات عبد الله بن سعود المُتكررة بأهل المجمعة، ومن ثم طلبهم العون من ولي أمرهم الأمير محمد بن رشيد، ومن ثم هروب عبد الله بن فيصل وهزيمته في معركة روضة أم العصافير، يذكر لنا سعود بن هذلول في كتابه:

« وفي سنة ١٢٩٩هـ: أظهر أهل المجمعة عصيانهم لعبد الله ابن فيصل ونبذوا طاعته وحالفوا أخصامه محمد بن رشيد وحسن المهنا على أن يكونوا تحت ولاية محمد بن رشيد أمير حائل ويقوم بحمايتهم إذا هجم عليهم عبد الله ابن فيصل...... الخ. وفي سنة ١٢٠١هـ: خرج عبد الله بن فيصل بجنود كثيرة من الرياض وقصد بلد شقرا وكتب إلى أهل المحمل وأهل الوشم والأمراء الموالين له في سدير وبوادي عتيبة أن يقدموا عليه فأجابوه، فلما تكاملت عليه جنوده وارتحل من شقرا ونزل بهم روضة أم العصافير قرب المجمعة،

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

فلما علم أهل المجمعة كتبوا إلى ابن رشيد وحسن المهنا يستحثونهم، فجاءوا مُسرعين إلى نجدتهم وهجموا على عبد الله ومن معه في روضة أم العصافير، فحصل بينهم وقعة شديدة هائلة صارت الهزيمة فيها على عبد الله وأتباعه، قتل فيها من أتباع عبد الله خلق كثير، من أشهر القتلى تركي بن عبد الله بن تركي آل سعود وفهد بن سويلم وفهد بن سلطان وفهد بن غثيان وفهد بن صالح وفهد الظفيري وحمد بن عياف المقرن وعبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين وشيخ عتيبة عقاب بن شبنان وعبد العزيز بن حسن وعبد العزيز بن محمد بن عقيل وأحمد بن عبد المحسن السديري، وهرب عبد الله بعد هذه الهزيمة راجعًا إلى الرياض. أما ابن رشيد فقد أقام في روضة أم العصافير واستدعى رؤساء البلدان من أهل الوشم وأهل سدير وأهل المحمل فقدموا عليه في منزله هناك فأمر في كل بلد من بلدانهم أميرًا من قبله، وتسهل له بعد هذه الوقعة الاستيلاء على نجد والله غالب على أمره، فلينظر المُعتبر كيف كانت عاقبة تنازع أبناء فيصل فيما بينهم وقتال بعضهم بعضًا وكيف جنى هذا الشقاق والفتن فيما بينهم على كافة بلدان نجد من الخراب والدمار وإراقة الدماء، ثم ما أضاعوه من مُلك آبائهم وأجدادهم وكيف صار مآل حكمها إلى ابن رشيد والأمر يومئذٍ لله». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن عبد الله بن فيصل لم يرتدع من تحذير ابن رشيد السابق له، وذلك حينما قرر عبد الله غزو المجمعة في المرة الأولى وسارع ابن رشيد لردعه عسكريًا في حينها دون أن تقع الحرب بينهما، إلا أن عبد الله بن فيصل استمر في غيه وكان مُصرًا على مواجهة الأمير محمد بن رشيد عسكريًا بالرغم من أن الأخير لم يكن يرغب بهزيمته لعدة أسباب سبق وأن ذكرتها أهمها أن عبد الله بن فيصل كان صهرًا لمحمد بن رشيد، ولكن عبد الله أصر على حماقته وكرر مُحاولاته الفاشلة في غزو المجمعة والتي كانت تحت ولاية وحماية ابن

---

۞ كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.

رشيد وكان عبد الله الفيصل يُدرك عواقب الاعتداء عليها، ولهذا اضطر ابن رشيد هذه المرة لأن يزحف بقواته ويخوض الحرب فعليًا ويهزم ابن فيصل ويكسر شوكته، وتلك كانت المعركة الفاصلة والقاضية على سلطة ونفوذ آل سعود رغم تسامح وأريحية الأمير محمد بن رشيد مع عبد الله الفيصل حتى بعد المواجهة العسكرية التي جرت بينهما، إلا أن آل سعود قد فقدوا هيبتهم ونفوذهم بعد تلك الهزيمة الشنعاء.

وعن تلك الوقعة يذكر لنا ابن عيسى في تاريخه، فيقول:

« ثم دخلت سنة واحدة وثلاثمائة وألف: وفي ربيع الأول من هذه السنة خرج الإمام عبد الله بن فيصل من الرياض غازيًا، وأمر على أهل بلدان نجد بالجهاد، ونزل على بلد شقراء واستلحق غزو البلدان فقدموا عليه فيها، وأمر بوادي عتيبة أن ينزلوا الحمادة المعروفة. وكان يُريد حرب أهل المجمعة فنزل عربان عتيبة الروضة المعروفة الحمادة المُسماة أم العصافير. ولما تكاملت على الإمام جنوده ارتحل من شقراء بمن معه من الجنود، ونزل على عربان عتيبة هناك. وكان أهل المجمعة لما بلغهم خروج الإمام من الرياض أرسلوا لابن رشيد يستحثونه، وتتابعت الرُسل منهم إليه، وإلى حسن آل مهنا أمير بريدة، فجمع حسن آل مهنا جنوده، وخرج ابن رشيد بجنوده من حاضرة الجبل (حائل) واستنفر من حوله من البوادي وتوجه إلى بريدة فنزل عليها، ثم ارتحل منها ومعه حسن آل مهنا بمن معه من الجنود، وتوجه لقتال عبد الله بن فيصل ومن معه من عتيبة. فحصل بينه وبينهم وقعة شديدة في صبيحة يوم الاثنين الثامن والعشرين من ربيع الآخر، وصارت الهزيمة على الإمام عبد الله ومن معه من العربان، وقُتل منهم خلقٌ كثيرٌ. ومن مشاهير القتلى من أهل الرياض تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن، وفهد بن سويلم، وابن عياف، وفهد بن غشيان. وقتل من أهل شقراء عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين، ومحمد بن عبد العزيز بن حسين، وعبد العزيز بن محمد بن عقيل، وأحمد بن عبد المحسن السديري أمير بلد الغاط. وقتل من مشاهير

عتيبة عقاب بن شبنان بن حميد. وقتل من أتباع ابن رشيد عددٌ كثيرٌ. وأقام ابن رشيد بعد هذه الوقعة في الحمادة مدة أيام، واستلحق رؤساء بلدان الوشم وسدير فقدموا عليه في موضعه ذلك، وأمر في كل بلد من بلدان الوشم وسدير أميرًا، ثم ارتحل من ذلك الموضع، ورجع إلى بلده، وطمع بعد هذه الوقعة في الاستيلاء على مملكة نجد وأطمعه أهل المقاصد والأغراض في ذلك، وأخذ يُكاتب رؤساء البلدان ويبذل فيهم المال».[۞] -انتهى الاقتباس-

هنا أدرك عبد الله الفيصل الخطأ الكبير الذي وقع فيه، وعرف حجمه الحقيقي، وشعر أنهُ قد تورط في حرب عبثية مع نسيبه ابن رشيد وخسر صداقته وفقد السيطرة على بلدان الوشم وسدير بعد أن هزمه ابن رشيد في معركة روضة الحمادة المُسماة "أم العصافير"، لأن أمير حائل بعد أن هزم عبد الله الفيصل وقواته أرسل في طلب أهل الوشم وسدير الذي شاركوا في تلك الحرب ضده، وعين عليهم أمراء آخرين منهم، ولكنه عزل الأمراء السابقين الذين عينهم آل سعود في السابق، وهنا فقد عبدالله بن فيصل سلطته ونفوذه على بلدان الوشم وسدير، فقرر أن يُعيد العلاقة الطيبة مع ابن رشيد، ويُحاول أن يتملقه ويسترضيه لكي يكف يده عن الوشم وسدير، لأنهُ بدون الوشم وسدير لا يعدو إلا أن يكون حاكمًا لقرية، وقد أوفد عبد الله بن فيصل أخاه محمد بن فيصل كواسطة ورسول عنه ليسترضي الأمير محمد بن رشيد ويُعيد المياه إلى مجاريها، والغريب أن الأمير محمد بن رشيد قد قبل تلك المُصالحة وتجاوز عن تصرفات عبد الله بن فيصل الحمقاء، وقرر برضاه أن يسحب يده عن بلدان الوشم وسدير ومن ثم يُعيدها لسلطة عبد الله بن فيصل، وهذا التصرف مُستحيل أن يصدر من شخص له أهداف ومطامع في السيطرة والنفوذ على بلدان العارض.

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

وعن تراجع عبد الله بن فيصل عن أطماعه وحماقته وإرسال شقيقه محمد لكي يُعيد العلاقة من جديد مع الأمير محمد بن رشيد، يذكر ابن عيسى:

« ثم دخلت سنة واحدة وثلاثمائة وألف: وفي سلخ شوال من هذه السنة ركب محمد بن فيصل من الرياض لمحمد بن عبد الله ابن رشيد في الجبل (حائل) بمُكاتبة من أخيه الإمام عبد الله بن فيصل فأكرمه ابن رشيد إكرامًا زائدًا. ثم دخلت السنة الثانية بعد الثلاثمائة والألف: وفيها في أول المُحرم قدم محمد بن فيصل إلى الرياض راجعًا من الجبل ومعه هدية جليلة لأخيه الإمام عبد الله بن فيصل من إبن رشيد، وترك له بلدان الوشم وسدير، وكان قد مد يده عليها كما تقدم في السنة التي قبلها، فعزل الإمام من أراد عزله من أمراء البلدان المذكورة، وأبقى من أراد بقاءه منهم، فكثر على الإمارة الاختلاف، وعظم الشقاق، وتغلب بعض أهل البلدان على بلدانهم، وضعف أمر آل سعود بسبب تفرقهم واختلاف كلمتهم وكثرة تنازعهم. فحصل بسبب ذلك خطوب جسيمة، ومحن عظيمة».[۞] - انتهى الاقتباس -

وخلال تلك الأحداث الأخيرة وتجدد الصراع بين أبناء سعود وبين عمهم عبد الله بن فيصل، كانت إمارة حائل تأخذ جانب الحياد وعدم التدخل في شؤون آل سعود الداخلية، واعتبروا أن ما يدور بينهم من صراع وتنافس على السلطة هو شأن داخلي خاص بهم، إلى أن توجه عبد الله بن فيصل إلى أمير حائل طالبًا منه يد العون والنصرة، حيث أرسل له رسالة خطية يطلب فيها من الأمير محمد بن رشيد الدعم والمُناصرة كونه صهرًا لآل رشيد بعد أن تكالب عليه أبناء أخيه سعود وطردوه. وعن طلب عبد الله بن فيصل للدعم العسكري من حاكم حائل، يذكر ضاري الفهيد الرشيد في كتابه "نبذة تاريخية عن نجد" قائلاً:

« جاء الخبر إلى محمد بن عبد الله الرشيد في كتاب من عبد الله بن فيصل، وهو إذ ذاك عنده بنت عُبيد، فلبّى نداءه، وغزا، وحصر أولاد سعود بالرياض،

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

واصطلحوا على أنهم يرجعون على حدهم الأول، وأن عبد الله يبقى على حده، وأنك تصير كفيلاً. بعدما ظهر عبد الله وإذا هو مريض من داء الاستسقاء، وطلب من محمد بن رشيد أنهُ يجعل في مكانه خليفة من أوادمه، وأنهُ يسافر هو وزوجته طريفة بنت عُبيد الرشيد إلى حايل. فامتثل لأمره محمد بن رشيد، وأمر في البلاد رجلاً يُسمى سالم بن سبهان، وقفل (محمد بن رشيد) راجعًا وبصحبته عبد الله بن فيصل، واستقام في الجبل (حائل) سنتين. أما أولاد سعود فلما استقاموا في الخرج سنة، أتى سالم بن سبهان منهم أخبار على أنهم يتهددونه ويتوعدونه بالقتل. فركب ابن سبهان حالاً ومعه مقدار خمسة وثلاثين خيالاً، وهجم عليهم وهم وقتئذ ليسوا في أهبة تحفظ، إنما هم متفرقون، لأن عندهم عدة نساء وعدة بيوت، ومعلوم حال صاحب النسوة المُتعددة أنهُ يوفيهن حقوقهن كل يوم بالمُجالسة والمشاهدة. ولما كانوا في هذه الصورة، أقبل ابن سبهان على البلاد، وإذا هو مُكاتب ناس من أهل البلد الذين قتلوا منهم آل سعود عدة رجال. من أجل هذا الأمر كانوا يُراجعون ابن سبهان بأخبارهم، ويفصحون له عن أسرارهم. ولما دخل أطراف النخيل، وإذا بعدة نفر ينطحونه بالأخبار، وأن هذا مكان محمد، وهذا مكان سعد، وهذا مكان عبد الله. وعبد العزيز إذ ذاك لم يكن حاضرًا. إنما هو راكب إلى العجمان. يقولون إنه ذهب يطلب منهم المُساعدة على ابن سبهان. فهجم ابن سبهان في خيله بعد ما فرقهم عدة فرق، وجعل كل فرقة تنصى واحد في مكانه، وخلاهم يعبرون مع وسط البلد، وقال: من سألكم قولوا: نطلب ركب سارقين لهم معاويد (المعيد هو البعير الذي يُساق على النخل) وذلك من حلول صلاة العصر. فحالاً صادفوا عبد الله خارجًا من بيت إلى بيت وهم يعرفونه، فقتلوه. وأما محمد فقد أحس بالخبر، وركب فرسه وهرب، وإذا الذين لم يطلبوه ينتظرونه، فطردوه وانهزم، وهو شجاع ولكن: "وإذا المنية أنشبت أظفارها". فعند ذلك دخل في قصر، والقصر يعهده له بابان، وقصده أن يغلق الباب الذي مما يليهم ويخرج من الباب الثاني ليكون بينه وبينهم مسافة ربع ساعة، لأن القصر فيه

حيطان ومزارع وحفر. فلما صعد البرج إذا بالبرج ليس فيه منفذ ليخرج التفك (البندقية) بدون أن يرى إلا فرجة فوق المرزاب وهي لم تسعفه على الرمي لأنها تعسر وصاحب التفك إلا يكون مكانه عدل. أما الطلب (أي الطالبين له) لما وصلوا إلى الباب قبضوا الفرس ودخلوا، وترجلوا وقبضوا خيلهم اثنين منهم، وهم تفرقوا يتجسسون. فعند ذلك لاحت من أحدهم نظرة وإذا هو يرى خاصرته (محمد بن سعود) من عند الفرجة. فكتم على أصحابه، ورماه بالبندق، فحالما وصلت إلى بدنه قضى نحبه من الرصاصة، والله المُستعان. أما سعد، وهو أكبرهم، فشرد. وكان هنالك عرب يسمون الغييثات (فخذ من قبيلة الدواسر). فلم علم ابن سبهان أن محمدًا وعبد الله قتلوا، وهم الذي منهم المحذور، سأل أين توجه سعد؟ قالوا: توجه إلى العرب المذكورين. حالاً التفت إلى السوق، سوق البلدة، وإذا فيه ناس من أكابر العرب المذكورين، فأمر عليهم يحبسون حتى يأتوا بسعد. فإن ما أتوا فيه عاهد الله أنهُ يقتلهم. وقد كانوا اثني عشر رجلاً غالبهم من أبناء أكابر هؤلاء العرب. فلما أصبحوا أتوا به إليه، فقتله ورجع إلى الرياض. فكتب إلى محمد بن رشيد يُخبره في الخبر. فعند ذلك محمد قام من مجلسه مُغضبًا، وقال: والله وبالله وتالله فلا عندي مما سوى ابن سبهان خبر، لا دقيق ولا جليل. وأني أشهد الله أني لم أمره به. ومشى إلى عبد الله بن فيصل، وأخبره، وحلف له، وقال عبد الله (بن فيصل): عندي من المعلوم بأنك لم تأمر عليهم، ولكن هذي عاقبة بغيهم عليّ، ونكثهم لعهد الله بيني وبينهم، كما قال الله سبحانه: (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا). أما عبد العزيز بن سعود بن فيصل فلما بلغه خبر مقتل إخوته، وبلغه خبر مقالة محمد بن رشيد، قدم على محمد، وأكرمه، وحلف له مثلما حلف آنفًا، فقبل. فعند ذلك أرسل محمد بن رشيد بعزل ابن سبهان، وولى بعده فهاد بن عيادة بن رخيص. فلما أقام عبد الله بن فيصل في الجبل (حائل) سنتين، طلب من محمد بن رشيد أن يرجع إلى الرياض، ففعل. ورجع هو وزوجته، ومحمد بن فيصل، وأخوه عبد الرحمن بن فيصل إذ ذاك في الرياض. فلما قدم

عبد الله الرياض. وكان محمد بن رشيد أعطاه خيلاً وركابًا وما يلزم مما يُليق بحق الجميع، فاستقام ثلاثة أيام وتوفي».[۞] - انتهى الاقتباس -

وأما الرحالة الروسي البارون ادوارد نولده فيذكر أن عبد الله بن فيصل كان قد تزوج من شقيقة محمد بن رشيد، وهنالك غيره من المؤرخين النجديين ذكروا زواج عبد الله بن فيصل من نورة بنت عبد الله بن رشيد وهذا الأمر ممكن ووارد أيضًا، لأن علاقة المُصاهرة السياسية بين أسرة آل سعود وبين أسرة آل رشيد بدأت منذ زمن الأمير عبد الله بن رشيد، حيث تزوج طلال بن عبد الله بن رشيد من ابنة فيصل بن تركي، وبالمقابل تزوج عبد الله بن فيصل من شقيقة طلال بن عبد الله بن رشيد فأصبحا عديلين، كما تزوج محمد بن رشيد من شقيقة حسن بن مهنا أبا الخيل، وتلك الزيجات تُصنف على أنها مصاهرات سياسية لتوثيق العلاقات بين الأسر الحاكمة آنذاك، ولكن لا صحة لما قيل من أن عبد الله بن رشيد كان قد تزوج من ابنة تركي بن عبد الله بن سعود، فعلى عكس ما يروجه بعض الرواة فإن الأمير عبد الله بن رشيد لم يتزوج من شقيقة فيصل المدعوة الجوهرة بنت تركي ولم ينجب منها لأنهُ لم يتزوجها أصلاً، بل تزوجها ابن عمتها مشاري عنوةً حينما غدر بخاله تركي والذي دفع العبد حمزة على اغتياله، ثم أرغم مشاري الجوهرة على الزواج به عنوةً وتزوجها طوال فترة اغتصابه للحكم، وبقيت الجوهرة على ذمته إلى أن جاء شقيقها فيصل من الأحساء إلى الرياض ومن ثم قام عبد الله بن رشيد بقتل مشاري وهو مُتحصن في داخل القصر.

ويبدو أن الجوهرة بنت تركي قد أعجبت بشجاعة وإقدام عبد الله بن رشيد وبدأت تُشيد بشجاعته وبمواقفه الرجولية وتتغزل في فروسيته، وقد نشئت علاقة حب خفية بين الاثنين ولكنها لم تتوج بالزواج، والدليل هو قول عبد الله بن رشيد لأخيه عبيد في القصيدة أن الجوهرة عسيرٌ أمرها أو صعب منالها،

---

[۞] كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

وقد غادر عبد الله بن رشيد الرياض بعد عدة أشهر ليشق طريقه نحو المجد وترك العشق والغزل وراء ظهره، ومعلوم أن الأمير عبد الله بن رشيد قد اقترن بزوجتين فقط، الزوجة الأولى هي منيرة الجبر الرشيد من أسرة الجبر أبناء عمومة عبد الله وقد أنجبت له طلال ومتعب وهيا ورثعة. وأما الزوجة الثانية فكانت سلمى بنت محمد بن عبد المحسن العلي وهي من أسرة آل علي وقد أنجبت له الأمير محمد المهاد وشقيقته نورة التي تزوجها عبد الله بن فيصل بن تركي، ولم يُذكر قط أن عبد الله بن رشيد قد تزوج من الجوهرة بنت تركي، وكما ذكرت يبدو أن هنالك نوع من الاستلطاف والإعجاب من قبل الجوهرة بعبد الله بن رشيد ولكنه لم يكن في وارد المصاهرة فقد كان جل تفكيره واهتمامه مُنصبًا على كيفية الاستحواذ على حكم حائل، ولهذا نجد أن الجوهرة تُشيد بفروسية وعصامية عبد الله بن رشيد وتثني عليه بإعجاب وتقول مفتخرة كيف أصبح الناس يُدارون رأيه بعدما كان هو من يُداري آراء الآخرين، ويبدو أن عبيدًا قد حمل لأخيه عبد الله ما قالته فيه الجوهرة بنت تركي من الغزل المُبطن، حيث تقول الجوهرة:

| | |
|---|---|
| حـرٍ(ن) شـلع مـن فـوق قـصر ابـن دواس | يـم الجبـل فـرّق فـروخ الحبـاري |
| متقلـدٍ(ن) في منكبـه سـيف عبـاس | اللـي تـصفح بـه عتـاري مـشاري |
| في مجلـسه تلقـى كـثير مـن النـاس | يـضرب بـسيف مـاضٍ(ن) مـا يـداري |
| تلقـى العـرب عنـده علـى الزبـر جـلاَّس | يـدرون رايـه عقـب مـاهو يـداري |

فرد عبد الله بن رشيد على قصيدة الجوهرة بنت تركي مُخاطبًا أخيه عبيد شارحًا وضعه وحاله فيقول:

| | |
|---|---|
| يـا مـل عـين كـل مـا جـا طربهـا | يطـري لهـا خـلٍ(ن) بـوادي حنيفـه |
| الجـادل اللـي كـن زمـة حجبهـا | زمـة قطـاة كـروش عقـب النكيفـه |
| تـركتهـا يـا عبيـد عـسرٍ(ن) طلبهـا | وفارقتهـا فرقـى الوليـف لوليفـه |

وعن تلك الزيجات أو المُصاهرات السياسية التي تمت بين آل سعود وآل رشيد يذكر لنا لوريمر في كتابه "دليل الخليج" قائلاً:

«وكان طلال (بن رشيد) قد تزوج مؤخرًا بابنة الأمير فيصل صديق أبيه، وظل يقوم بزيارته للرياض حيث يُقدم الهدايا المُعتادة من الخيول بنفسه للأمير...الخ. ويقول لوريمر في مكان آخر من كتابه: وتزوج عبد الله (الفيصل) بنورة أخت محمد (بن رشيد) المُحببة إليه، وبعد موتها تزوج بابنة من بنات عُبيد، وهكذا ارتبط بأسرة آل رشيد برباط مُضاعف من المُصاهرة....الخ.

ثم يضيف لوريمر: وقد تزوج الأمير محمد (بن رشيد) مرات كثيرة، ولكن أكثر ذلك كان لاعتبارات سياسية، فقد ارتبط مثلاً بالأسرة الحاكمة في بريدة بزواجه بشقيقة حسن بن مهنا (أبا الخيل)، لكن هدفه الأول بلا شك كان تكوين أسرة كبيرة له، غير أنهُ لم يستطع تحقيق هذا الأمل ومات بلا أبناء في سنة ١٨٩٧م، وهو مصير ربطت الروايات الشعبية بينه وبين تلك القسوة التي ذبح بها أبناء أخيه طلال».[۞] - انتهى الاقتباس -

لكن الجديد هنا هو ما رواه نولده حيث ذكر أن عبد الله بن فيصل كان قد حُبس هو وزوجته نورة بنت عبد الله بن رشيد من قبل ولدهما تركي، بينما يذكر لوريمر أن نورة بنت عبد الله كانت قد توفيت وتزوج عبد الله بن فيصل بعدها بـ(طريفة) ابنة عُبيد بن رشيد!. وضاري الفهيد آل رشيد كان قد ذكر في نبذته أن عبد الله بن فيصل حينما احتجزه أبناء أخيه سعود في الرياض، وذهب محمد بن رشيد لاستنقاذه كان متزوجًا من طريفة بنت عُبيد بن رشيد !.

وربما تكون زوجته السابقة نورة بنت عبد الله بن رشيد قد توفيت كما ذكر لوريمر، فتزوج بعد وفاتها من ابنة عمها طريفة، لكن الجديد في رواية البارون ادوارد نولده أن عبد الله بن فيصل كان قد تمَّ عزله وسجنه هو وزوجته نورة من قبل ابنهما تركي بن عبد الله، وهنا استنجدت نورة بنت

---

[۞] كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

عبد الله بن رشيد بشقيقها الأمير محمد بن رشيد وصادف أنهُ كان قريبًا من الرياض فهب لنجدتها هي وزوجها.

ولا يُعرف هل اختلط الأمر على الرحالة الروسي ادوارد نولده، وتداخلت عليه الأحداث، وأن المقصود مما ذكره هو الانقلاب المعروف الذي قام به أبناء سعود على عمهم عبد الله بن فيصل، أو أن هنالك فعلاً حادثة أخرى قد وقعت وكان بطلها الابن العاق تركي بن عبد الله بن فيصل، ولهذا السبب لم يذكرها أو يدونها مؤرخو نجد.

وعن تلك الحادثة الجديدة يذكر نولده: «كانت نورة شقيقة ابن رشيد المحبوبة ورفيقة صباه، والتي اشتهر جمالها عبر الجزيرة العربية حتى أثناء هذه الأحداث قد تزوجت من عبد الله بن فيصل أمير الرياض الذي خُلع عن العرش للمرة الأولى في عام ١٨٧٢م، وتم سجنه مع زوجته نورة في برج بواسطة ابنهما (تركي) وكانا سيموتان من الجوع. إلا أن نورة على أية حال تمكنت من إخطار شقيقها عن مأزقهم المأسوي وذلك بمساعدة رسول بعثته على ظهر جواد. في تلك الأثناء تصادف أن كان ابن رشيد في جوار مدينة شقراء. وبما انه كان قادرًا على الوصول إلى الرياض بصورة عاجلة ومُفاجئة فهو لم يستطع أن ينقذ حياة شقيقته فحسب، بل نجح أيضًا في إعادة تنصيب الأمير عبد الله من موضع الرهينة لابنه غير المُطيع. ولم يدم هذا الأمر طويلاً، إذ تمَّ عزل عبد الله مرة ثانية بعد سنتين، وكان محظوظًا هذه المرة ليهرب إلى حائل حيث دخل في تحالف مع الأتراك».[۞] - انتهى الاقتباس -

وعن تاريخ وفاة "تركي" ابن عبد الله بن فيصل ونورة بنت عبد الله آل رشيد، يوثق ابن عيسى في تاريخه سنة وفاته فيقول: «ثم دخلت السنة السابعة بعد الثلاثمائة والألف: وفيها توفي تركي بن الإمام عبد الله بن فيصل في بلد حائل.

---

[۞] كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر \ تأليف: البارون ادوارد نولده.

وفيها خرج الإمام عبد الله بن فيصل من حائل متوجهًا إلى بلد الرياض ومعه أخوه عبد الرحمن بن فيصل، وكان الإمام إذ ذاك مريضًا، فلما وصل إلى الرياض اشتد به المرض، وتوفي بعد قدومه بيوم. وذلك يوم الثلاثاء في اليوم الثالث من ربيع الثاني من السنة المذكورة». ۞ - انتهى الاقتباس -

ورغم أن كل الدلائل تُشير إلى أن السبب الرئيس وراء انهيار دولة آل سعود هو اختلافهم وتنافسهم المحموم على السلطة وخوضهم للمعارك العبثية وكره بعضهم البعض، إلا أن مؤرخ عبد العزيز المدعو ابن عيسى الذي يُبدو أنهُ كان يُعاني من فوبيا آل رشيد بقي مُصرًا في كتابه على أن محمد بن رشيد هو السبب الرئيس وراء ضياع ملك آل سعود، ويجزم أيضًا أنهُ كان وراء مقتل أبناء سعود، بينما يتجاهل ابن عيسى أن أبناء سعود هم من تآمر أولاً وحاولوا اغتيال ابن سبهان فتغدى بهم قبل أن يتعشوا به، كما نسي أيضًا أن أبناء سعود هم من أراد الفتك بعمهم الإمام عبد الله بن فيصل، لولا تدخل الأمير محمد بن رشيد وتوفير الحماية له. ولهذا فإن ابن عيسى له تفسيرٌ خاصٌ به لمُجريات الأحداث، حيث يقول:

« ثم دخلت السنة الخامسة بعد الثلاثمائة والألف: وفيها في أخر المُحرم سطا أولاد سعود بن فيصل في الرياض، وقبضوا على عمهم الإمام عبد الله بن فيصل، فكتب الإمام عبد الله إلى محمد بن عبد الله بن رشيد أمير الجبل (حائل) واستنجد به على أولاد أخيه سعود، فسار ابن رشيد بجنوده إلى الرياض ومعه حسن ابن مهنا أبا الخيل أمير بلد بريدة، وحاصر البلد أيامًا قلائل. ثم وقعت المُصالحة بين ابن رشيد وبين أهل الرياض، وبين أولاد سعود على أن تكون لهم إمارة بلد الخرج. فخرج أولاد سعود إلى الخرج، وأقام ابن رشيد هناك أيامًا، وجعل محمد بن فيصل أميرًا في بلد الرياض والمُتصرف فيها من جهته سالم بن سبهان. ثم ارتحل في جمادى الأولى من السنة المذكورة راجعًا إلى

---

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

الجبل ومعه الإمام عبد الله بن فيصل، وابنه تركي، وأخوه عبد الرحمن بن فيصل وسعود بن جلوي، وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وأخذ يُدبر الحيلة في قتل عيال سعود، ويُكاتب أعداء عيال سعود من أهل الخرج ويطلب المواطأة على قتلهم ويعدهم ويُمنيهم فواطئه على ذلك إذا أمكنتهم الفرصة». [۞] - انتهى الاقتباس -

وأما عن مقتل أبناء سعود فكما ورد على لسان ضاري الفهيد آل رشيد أن أبناء سعود كانوا يضمرون الشر ويتوعدون سالم السبهان بالويل والثبور وكانوا يخططون لقتله، وقد وشى بهم أعداؤهم من آل تويم إلى سالم بن سبهان وأعلموه بمُخططهم، ولهذا قرر ابن سبهان أن يفتك بهم قبل أن يقضوا عليه، فقام بقتلهم وأراح أهل الرياض والخرج من شرهم.

وأما ضاري بن فهيد آل رشيد فيقول إن سعدًا قد التجأ عند الغييثات من الدواسر، وبعض المصادر تقول إنهم كانوا الهواشلة من الدواسر، ولكن على أية حال فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن قام بقتل شيخ الهواشل الصاع الدوسري، انتقامًا لسعد بن سعود، وأما الأمير محمد بن رشيد فقد تضايق كثيرًا وغضب على سالم بن سبهان وتبرأ من فعلته ثم عزله من إمارة الرياض وأعاده إلى حائل، وربما لما اكتشف محمد بن رشيد أن آل سعود لا ينفع معهم إلا سياسة ابن سبهان أعاد لهم ابن سبهان مرة أخرى.

أما ابن عيسى فكعادته يُنزه أبناء سعود ويظهرهم كضحايا أبرياء تمَّ الغدر بهم دون ذنب أو جريرة، هكذا يعتقد ابن عيسى على أية حال في كتابه، والمُثير أنه يذكر في كتابه أن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود قد انتقم لاحقًا من قتلة أبناء سعود وقتل أغلبهم، حيث يقول ابن عيسى: « ثم دخلت السنة الخامسة بعد الثلاثمائة والألف: ولمَّا كان في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة سطا سالم بن سبهان بسرية معه على أولاد سعود بن فيصل في

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

الخرج وقتلهم غدرًا، وهم: محمد، وعبد الله، وسعد. وكان أخوهم عبد العزيز بن سعود قد ركب في أول الشهر المذكور لابن رشيد في حائل، فكتب أهل الخرج إلى سالم (السبهان) يستدعونه، وابن سبهان في الرياض ومعه إبراهيم (•) بن عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف من أهل أبا الكباش في قصر الرياض، وتوجهوا إلى الدلم واتفق أن ركبًا من الدواسر أخذوا إبلاً لأهل بلد زميقة من بلدان الخرج، فركب محمد بن سعود على فرسه في أثرها، واستنفذ الإبل منهم ورجع بها وصادف وصوله في الإبل وصول سالم بن سبهان. وكان محمد بن سعود قد نزل من فرسه عند صاحب قصر هناك. وصاحب القصر يعمل له قهوة، فلم يُفاجئه إلا خيل ابن سبهان قد خرجت عليه، فلما رآهم قام وترك فرسه فانهزم ودخل مقصورة هناك فتبعوه، ولما وصلوا إليه في المقصورة حصل بينهم وبينه كلام. وقالوا له: إننا في طلب إبل قد أخذها ركب. وكان في المقصورة فرجة ومحمد واقف يكلمهم فرماه خلف الشمري مع الفرجة المذكورة ببندق فوقع محمد ميتًا. ثم توجهوا إلى الدلم وطرق رجل من أصحاب سالم (السبهان) على عبد الله بن سعود الباب ممن كان يعرفه عبد الله بن سعود، وذلك صبح الخميس أول يوم من ذي الحجة، ففتح عبد الله الباب وكان مع الذين طرقوا الباب عبد من عبيد ابن رشيد، فضرب عبد الله بن سعود بسيفه فقتله. وكان سعد بن سعود في نخل له خارج البلد، فلما بلغه الخبر ركب فرسه وانهزم إلى عرب هناك، ونزل عندهم. واتفق أن شيخ العرب المذكورين، وهو المعروف بالصاع جاء إلى سالم بن سبهان فربطه، وقال: إن لم تأتني بسعد بن سعود قتلتك. فأرسل الصاع إلى أهله، وأمرهم بالقبض على سعد بن سعود، والمجيء به، فقبضوا عليه وجاءوا به إلى ابن سبهان فقتله. ثم إن ابن سبهان أرسل إلى ابن رشيد يخبره بمقتل عيال سعود، فلما وصل الرسول إلى حائل ؛ وإذا أخوهم عبد العزيز بن سعود قد وصل إليها

---

(•) أخطأ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى في ذكر الاسم الأول لابن إبراهيم وهو من أهل أبا الكباش والخوي الخاص بأمير الرياض سالم بن سبهان، حيث أورد اسمه مرتين وبصورة مُختلفة في نفس الخبر، فمرة ذكره باسم (إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم) وأخرى باسم (عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم).. فاقتضى التنويه للقارئ الكريم.

قبل الخبر بثلاثة أيام، وأخبره ابن رشيد بما صار على إخوته، وأمره بالإقامة عنده في حائل، وأذن لمن معه من الأتباع والخدام بالرجوع إلى أهلهم، فمنهم من رجع ومنهم من أقام هناك. وبعد أن تولى الملك عبد العزيز على الرياض عام ١٣٢٠ هـ، ظفر بالصاع المذكور وابنه فقتلهما، وظفر بـ عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم عند بادية العجمان». ۞ -انتهى الاقتباس-

وللتذكير فقط فإن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم هذا الذي قتله الملك عبد العزيز، هو ابن عبد الرحمن بن إبراهيم الذي سبق وأن عينه فيصل بن تركي أميرًا على بريدة ومن ثم عزله، وعبد الله بن عبد الرحمن هو شقيق (إبراهيم بن عبد الرحمن) جد أسرة البراهيم الحاليين أصحاب قنوات Mbc، وهو جد الجوهرة بنت إبراهيم وهو أيضًا جد عبد العزيز بن فهد من جهة الأم.

وحتى بعد أن تمَّ قُتل أبناء سعود بن فيصل المُشاغبين، ومن ثم توفي عبد الله بن فيصل فلم ينتهي آل سعود من مؤامراتهم ولم يتوقفوا عن مكائدهم، وحينما اختلف أمير بريدة حسن بن مهنا أبا الخيل مع الأمير محمد بن رشيد، وذلك بسبب قيام رجال ابن رشيد بجباية الزكاة لشوواي القصيم، وبرغم طلب محمد بن رشيد من رجاله بعدم التعدي على مناطق القصيم، إلا أن حسن بن مهنا كان يُضمر الشر وبدأ يتآمر على صديقه وحاميه الأمير محمد بن رشيد، فتصرف ابن مهنا برعونة قضت عليه وعلى أفراد أسرته، فقرر مُصالحة خصمه اللدود زامل بن عبد الله بن سليم أمير عنيزة كي يتفرغ لحرب ابن رشيد، وبدأ حسن بن مهنا يفجر في خصومته مع ابن رشيد حيث بدأ يُراسل عبد الرحمن بن فيصل سرًا ويُحرضه على الانتقام من ابن رشيد ومن عامله في الرياض سالم بن سبهان، ويؤمله بالقيام معه لاسترجاع حكم الرياض، فبدأ عبد الرحمن بن فيصل يُخطط للانقلاب على ابن سبهان وقد رتب مكيدة للإيقاع بابن سبهان ومن ثم قتله.

---

۞ كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

ويذكر لنا ضاري الفهيد آل رشيد نبذة مُختصرة عن محاولة عبد الرحمن بن فيصل وحمولته في التخلص من عامل ابن رشيد في الرياض سالم بن سبهان، حيث يورد في نبذته، قائلاً: «فلما قدم عبد الله (بن فيصل) الرياض، وكان محمد بن رشيد أعطاه خيلاً وركابًا وما يلزم مما يليق بحق الجميع، استقام (عبد الله بن فيصل) ثلاثة أيام وتوفي رحمه الله. فعند ذلك ورد الخبر إلى محمد بن رشيد. وحالاً كتب إلى محمد بن فيصل على أنك أنت الأمير في الرياض، وأن فهادًا (بن عيادة بن رخيص) ورجاجيلنا يأتون إلا إن بغيت يبقون فهم تحت أمرك. واستمر محمد على ذلك سنة ونصفًا، وقد تزوج زوجة (أرملة) أخيه عبد الله المذكورة، وتوفي. فعندئذ رجع سالم بن سبهان أميرًا على الرياض. وعبد الرحمن بن فيصل جاء إلى حائل. استقام به أشهرًا قلائل، استرخص، ورخصه محمد (بن رشيد) بالرجوع إلى الرياض. فلما استقام (عبد الرحمن) سنة قام على سالم بن سبهان وحبسه هو ورجاجيل محمد بن رشيد، وأخذ سلاحهم، واستقل بالرياض. فلما أتى الخبر محمد بن رشيد غزا إلى الرياض، وانحصر عبد الرحمن في البلاد، وقد كانت مُسورة. وعدة أيام الحصار أربعون يومًا. وقال محمد بن رشيد: أنا ما لي في بلادكم حاجة، إنما أنتم الذين جلبتُموني إليها. الآن بلادكم لكم. فقط رجاجيلي وسلاحي تعطونني إياهم. وبعد ذلك إن أردتونا صديقًا فنحن كما أردتم، وإلا فكل ذرعه يكسيه، فعند ذلك قال عبد الرحمن: إذ سلمنا لك رجاجيلك وسلاحك ترتحل؟ قال: نعم، ففعلوا كل منهم ما قاله لصاحبه».[۞] - انتهى الاقتباس -

أما المؤرخ إبراهيم بن عيسى فروايته مُتضاربة ومُتناقضة، وأخرها يدحض أولها، فهو تارةً يزعم أن ابن سبهان أراد أن يقتل عبد الرحمن بن فيصل، ولهذا عاجله عبد الرحمن وقبض عليه، وفي نفس الخبر يعود ابن عيسى ليُناقض نفسه فيقول إن الدافع وراء القبض على ابن سبهان ورجاله، هو بسبب المنافرة التي وقعت بين ابن رشيد وبين ابن مهنا، وأن فكرة القبض

---

[۞] كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

على ابن سبهان كانت بطلب من ابن مهنا، ولهذا فإن رواية ضاري الفهيد يؤيدها ما جاء في نهاية الخبر الذي أورده لنا ابن عيسى، في قوله مجازًا أن عبد الرحمن بن فيصل غدر بضيفه ابن سبهان في عيد الأضحى حينما جاء يعوده بداعي المرض، حيث يذكر ابن عيسى في كتابه:

« ثم دخلت السنة السابعة بعد الثلاثمائة والألف: وكان ابن رشيد حين استولى على الرياض قد جعل فيه محمد بن فيصل أميرًا، وجعل سالم بن سبهان ومعه عدة رجال من أهل الجبل (حائل) في قصر الرياض، وصار سالم (السبهان) المذكور هو المُتصرف فيها بأوامر ابن رشيد. ولما كان في الحادي عشر من شهر ذي الحجة من هذه السنة جاء الخبر إلى الإمام عبد الرحمن بن فيصل بأن ابن سبهان المذكور يُريد الغدر به، والقبض عليه. فلما تحقق الإمام عبد الرحمن بن فيصل من ذلك الخبر، ودخل سالم بن سبهان المذكور بمن معه من الخدام على الإمام عبد الرحمن للسلام عليه على عادته، وكان الإمام قد جمع رجالاً عنده في القصر وأمرهم بالقبض على سالم ومن معه إذا دخلوا القصر، فلما دخل سالم ومن معه القصر قبضوا عليهم وحبسوهم وقتلوا خلف بن مبارك من الأسلم من شمر، لأنهُ هو الذي قتل محمد بن سعود بن فيصل؛ كما تقدم. واحتوى الإمام عبد الرحمن بن فيصل على ما في القصر من الأموال. وكان سبب القبض على سالم (السبهان) وأصحابه المُنافرة التي وقعت بين ابن رشيد، وابن مهنا كما تقدم، والاتفاق بين زامل السليم، وحسن المهنا، فكتب ابن مهنا إلى الإمام عبد الرحمن يطلب منه القبض على ابن سبهان. والاستيلاء على الرياض. ويعده النصرة له والقيام معه وصارت الرُسل تترا منه إلى الإمام في ذلك. فلما كان في يوم عيد الأضحى أظهر الإمام عبد الرحمن أن معه بعض الأثر(أي المرض)، وكان إذ ذاك في القصر العتيق وابن سبهان وأصحابه في القصر الجديد. وقال الإمام (عبد الرحمن) لابنه فيصل: سر إلى الأمير سالم بن سبهان، كما هي عادتهم في الأعياد، فإن سألك عني فقل له: إن معه بعض الأثر (مريض)، وهو يُسلم عليكم، ولو قدر على الوصول إليكم لفعل. وكان الإمام عبد الرحمن قد أخبر ابنه (فيصل) بالخبر،

وأنهُ يريد القبض على ابن سبهان وأصحابه إذا أمكنته الفرصة. فسار فيصل إلى ابن سبهان وسلم عليه، فلما استقر به الجلوس سأله سالم (السبهان) عن والده؟ فقال له: إن معه بعض الأثر، وهو يُسلم عليكم. فقال سالم: لابد أن نُسلم عليه، ولكن اليوم ما لنا فرصة، وبعد طلوع الشمس بكرة نأتي إليكم للسلام عليه. وقام فيصل وأخبر أباه بذلك فتأهب لمجيئهم. فلما كان صبيحة ذلك اليوم وهو الحادي عشر من ذي الحجة جلس الإمام عبد الرحمن في روشن في القصر، وكان قد تمالأ هو وعدة رجال من آل مقرن، منهم عبد الله بن جلوي، وأخوه فهد، ومحمد بن حسن بن مشاري، وناصر بن فرحان، وفيصل بن ناصر وعدة رجال من أتباعهم وخدامهم وأمرهم بالجلوس في موضع من القصر، فإذا دخل سالم (السبهان) وأصحابه فليُغلقوا الباب، باب القصر ثم يجلسون عنده إلى أن يأتيهم الأمر، ففعلوا ذلك. وقام معه في هذا الأمر ابنه فيصل وكان شهمًا شجاعًا. فلما جاء سالم وأصحابه تلقاهم فيصل ابن الإمام عبد الرحمن ورحب بهم وصعد معهم إلى الروشن الذي فيه والده، فلما أقبلوا على الباب قام الإمام عبد الرحمن وتلقاهم وجلسوا. وحين دخل سالم وأصحابه القصر وصعدوا، قام من هناك من آل سعود وأتباعهم وأغلقوا باب القصر. ولما استقر المجلس بسالم وأصحابه، قام الإمام عبد الرحمن وخرج من الروشن وأمر على من هناك من أصحابه أن يُحيطوا بالروشن ويقبضوا على سالم وأصحابه، ففعلوا ذلك وقبضوا عليهم وحبسوهم ولم يقتلوا منهم إلا خلف الشمري. وكان قبل ذلك في افتتاح شهر ذي القعدة قد ركب من الرياض خمسة رجال من آل سعود وافدين على ابن رشيد في حائل، فقدموا عليه وأكرمهم وأقاموا هناك أيامًا، ثم أذن لهم بالرجوع إلى أهليهم، فخرجوا من حائل. ولما كان في اليوم الذي خرجوا فيه من حائل جاء الخبر إلى ابن رشيد بما حصل على سالم (السبهان) وأصحابه، فأرسل خلفهم من يردهم إلى حائل، فرجعوا إليها وأقاموا هناك وأخذ ابن رشيد يتجهز للغزو».[۞]

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

ومن حسن حظ سالم بن سبهان أن بعض أسرة آل سعود كانوا في زيارة لأمير حائل محمد بن رشيد، ولولا أنهُ سارع ولحق بهم واتخذهم رهائن ليُبادلهم بابن سبهان ورفاقه، لذبح ابن سبهان ولم يأبه به عبد الرحمن بن سعود، لكن حظه العاثر أن تلك الزمرة من آل سعود ساروا إلى حائل لكي يستلموا خرجيتهم من ابن رشيد، فأصبحوا بُدلاء لابن سبهان، وبهذا يكون عبد الرحمن قد كشف عن معدنه وانكشفت أوراقه وقد حان قطافه.

وهنا بدأ محمد بن رشيد يُجهز قواته ويُحشد أتباعه، لحرب أهل القصيم لأنهم هم من حرضوا وأوهموا عبد الرحمن بن فيصل وعلى رأسهم حسن بن مهنا، وأما عبد الرحمن بن فيصل فأمره سهل، لأن لدى ابن رشيد رهائن بالمُقابل وهو يعلم أنه سيُبادلهم مع ابن سبهان وبعدها يتفرغ للقصمان، وقد أدرك عبد الرحمن بن فيصل المأزق وعرف أنهُ لن يستطيع قتل سالم بن سبهان، وأن ابن رشيد قادم للرياض، ولكنه هذه المرة سوف لن يغفر له ولا لمن أوقعه في هذه الورطة، حتى وإن انسحب إلى حائل.

وعن مُبادلة ابن سبهان بآل سعود يذكر ابن عيسى:

« ثم دخلت السنة الثامنة بعد الثلاثمائة والألف: وفي المُحرم منها توجه محمد بن عبد الله بن رشيد بجنوده من الحاضرة والبادية، وتوجه إلى بلد الرياض، ونزل عليهم في خامس من شهر صفر من السنة المذكورة، وحاصر البلد نحو أربعين يومًا، وقطع جملة من نخل الرياض ولم يحصل على طائل. ثم وقعت المُصالحة بينه وبين الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وأطلق سالم بن سبهان ومن معه من الحبس وأخرجهم إلى ابن رشيد، وارتحل ابن رشيد راجعًا إلى بلده، وأخذ يستعد لحرب أهل القصيم».[۞] - انتهى الاقتباس -

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.



**- صورة قديمة التقطها رحالة أجانب لرجال ابن رشيد وهم خارج أسوار حائل -**

**وربما كان أكبر الخاسرين من تلك المعارك هو أمير بريدة حسن بن مهنا آل أبا الخيل، فلو بقي الأمير حسن على حلفه مع ابن رشيد لربما أصبح ابن مهنا أميرًا على القصيم والعارض بموافقة ابن رشيد، ولكن عدم وفائه وطمعه أودى به إلى التهلكة.**

**وقد ذكر البارون الروسي ادوارد نولدة الذي زار حائل في كتابه أن أمير بريدة حسن بن مهنا هو من نقض العهد وغدر بصديقه وصهره الأمير محمد بن رشيد، حيث لم يتوقع محمد بن رشيد أن يخذله حسن بن مهنا وينضم إلى حلف الأعداء، وقد ذكر نولده أن الأمير محمد بن رشيد قد منح ابن مهنا هدايا وأموال لكي يسترضيه خوفًا من أن يميل إلى صف أعدائه، وقد صُدم محمد بن رشيد حينما علم أن ابن مهنا اصطف في الخندق المُضاد له، وربما هذا ما جعل محمد بن رشيد يسجن حسن مهنا لاحقًا في حائل ويبقيه في المعتقل إلا أن توفي، وعن تلك الأحداث يقول نولدة:**

« في ربيع عام ١٨٩١م حدث شيء سيُحدد مصير نجد لزمن قادم طويل كما أظهرت الأحداث، لقد تشكل حلف كبير ضد أمير حائل القوي الذي كانت قوته تتزايد باضطراد. وكانت القوة البارزة لهذا التحالف: عنيزة وهي تحت زعامة المُحارب العجوز الشيخ زامل بن سليم، وجميع أسرة آل سعود الذين نبذوا خلافاتهم الداخلية جانبًا بسبب الرغبة في الانتقام، وكذلك يضم الحلف كل من بريدة والرس وشقراء، وجميع قبائل عتيبة ومطير. وقبل أن يُصبح هذا الحلف المُهم حلفًا رسميًا، كان على كل الأعداء والمُتنافسين فيما بينهم أن يدفنوا خلافاتهم. فمائة عائلة من العائلات العريقة تخلت نهائيًا عن مُطالبات الدم مع أعدائها وخصومها، لقد كانت الكراهية المُشتركة بين هؤلاء لابن رشيد هي التي وحدت بينهم، ولكن القوة المُحركة خلف كل هذه المؤامرة هو زامل السليم، كان زامل رجلاً استثنائيًا، فبرغم بلوغه الـ٦٠ عامًا من العمر، فقد كان يتمتع بشهرة بطل حرب والرجل الأقوى والأكثر شجاعة في الجزيرة العربية، لقد تمَّ تعيين زامل قائدًا أعلى لقوات ذلك الحلف، وفي مقر حكومته تمَّ عقد الاجتماع الأخير لقادة الحلف بعد إرسال خبر إعلانهم للحرب على ابن رشيد إلى حائل. لقد حشد التحالف قوة قوامها ٣٠,٠٠٠ ألف رجل بين عنيزة وبريدة، وبعد زمن وجيز برز أمامهم ابن رشيد الذي كان لديه نفس العدد من القوات تقريبًا، كان من بين حلفاء المُهمين قبيلة حرب بأكثر من ١٠,٠٠٠ آلاف رجل، وحوالي ١٠٠٠ فارس بخيولهم جاءوا على وجه السرعة من قبيلة شمر الشمالية في الهلال الخصيب (العراق) لمُساندة ابن عمهم أمير حائل. لقد احتشد في هذه المعركة ٦٠,٠٠٠ مُحارب - وهو عدد كبير بصورة غير عادية بالنسبة للجزيرة العربية. ولقد شككت في البداية في صحة تلك الأعداد بالنظر إلى الخيال الشرقي والنزعة الشرقية إلى المُبالغة. ولكن بالحصول على بيانات دعم من مصادر مُختلفة فإنني الآن أعتقد بصدق بأنهُ كان من المُمكن للغاية أن يصطف مثل ذلك العدد الكبير من المُحاربين ضد بعضهم البعض حيث دارت حمى معركة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجزيرة

العربية حسبما يمكن أن يتذكر أي إنسان منذ الوقت الذي احتشد فيه كل العرب القادرين على حمل السلاح تحت راية الوهابيين للدفاع عن صحرائهم ضد (قوات القائد المصري) إبراهيم باشا. وفي ذلك اليوم برز وضع لم يكن ابن رشيد يضعه في الحسبان، وسيصبح له أهمية قصوى بالنسبة له. لقد اعتقد بأنهُ كسب أمير بريدة حسن بن مهنا إلى جانبه وذلك عبر مهارته الدبلوماسية وبمنحه عدة هدايا بما في ذلك ستمائة جنيه إسترليني نقدًا، وهو ما يُعد مبلغًا ضخمًا لشيخ عربي في تلك الأيام. إلا أنهُ وبدلاً من أن تنضم بريدة وزعيمها (حسن بن مهنا) إلى حلفه، أو على الأقل تبقى في موقف الحياد حسبما توقع ابن رشيد، فقد وجد نفسه مخذولاً في أخر لحظة، لأن بريدة كانت جزءًا من ذلك الحلف المُضاد. تلك النكسة غير المتوقعة لم تكن مُزعجة ومقلقة فحسب بل قد أخلت بتوازن القوة العددية، ودعمت بشكل بالغ الأهمية الوضع الدفاعي للبلدان المؤيدة للحلف». ۞ - انتهى الاقتباس -

وربما ظنَّ حسن بن مهنا أنهُ يستطيع أن يهزم ابن رشيد بعد أن يشغله بالمناوشات مع آل سعود ومع زامل بن سليم، وقد يكون حسن بن مهنا راهن على وعود عبد الرحمن بن فيصل، ولكن الأخير كان قد خذله وتوانى عن نصرته، حيث كان عبد الرحمن بن فيصل ينتظر نتيجة المعركة ليتحرك، وحينما سمع في أول الأمر أن ابن رشيد أخفق في المواجهة الأولى مع القصمان، جهز قواته وسار نحو القصيم ليقطف معهم ثمرة الانتصار، وحينما بلغه خبر الهزيمة الساحقة على أهل القصيم وهو في الطريق، عاد أدراجه ثم فرَّ هاربًا من الرياض مع حريمه، وترك القصمان يلاقون مصيرهم المحتوم، فأطلق عليه أهل حائل (الشرود).

وعن تلك النهاية الدراماتيكية لأمير بريدة السابق حسن بن مهنا أبا الخيل بعد هزيمته في معركة المليداء، يذكر ضاري الفهيد آل رشيد في نبذته، قائلاً:

---

۞ كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر \ تأليف: البارون ادوارد نولده.

« فلما استقام محمد بن رشيد أربعين يومًا، ظهر غازيًا إلى نواحيهم، أي القصيم. فكانت الوقعة بينهم المشهورة المُسماة بوقعة المُليداء. انجلت عن قتل أنفس كثيرة من أهل القصيم. من أعيانهم الرئيس زامل وابنه وابن أخيه. وأما حسن (المهنا) فهو كسرت يمينه، وانهزم إلى عنيزة، وهي فيها آل بسام ورئيسهم عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام. وهو إذ ذاك من أعز أهل نجد على ابن رشيد. فقال له حسن: إني أتيتك لتؤمني من ابن رشيد، فقال له (البسام): أنا ما أقدر، ولا لي حجة، فإن كان ودك إنك تنهزم، فأنا أدبر معك من يهزمك وأنت تحتك جيش وخيل. فأبى حسن (المهنا) إلا أن يواجه ابن رشيد. فلما أصرَّ ركب عبد الله بن عبد الرحمن (البسام) إلى ابن رشيد، وأخبره بالقصة، وطلب له أمان. فقال ابن رشيد: إني لا آمنه (لا أثق فيه)، لأني لقيت له مكاتيب بينه وبين عبد الرحمن آل فيصل فيهن مواعيد عليّ. والآن يوم أنك تكلمت، القتل ما أقتله، ولكن أحبسه حتى يموت. إن قبل فيأتي، وإن ما قبل يسوي ما بدا له. فلما أتاه الخبر جاء في محمل. وحالاً أرسلوه إلى الجبل، فلم يزل محبوسًا مدة خمس عشر سنة. وقد كان قبل أميًا. وختم القرآن في الحبس، وتديّن. بعد ذلك توفي وهو في سن السبعين. أما أولاده فما يزالوا محبوسين حبس إكرام إلى أن فرج الله لهم، وشردوا، وطبوا الكويت». [۞] - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن حسن بن مهنا أبا الخيل قد شعر بالندم ولكن بعد فوات الأوان، والغريب أن هذا الرجل قد أصر على مُقابلة ابن رشيد وطلب العفو منه، وحتى حينما فشل عبد الله بن بسام في الحصول له على عفو من ابن رشيد؛ قبل ابن مهنا أن يُسجن في حائل وكان بإمكانه أن يفر إلى الكويت مثلاً كما فعل أقاربه. شخصيًا أعتقد أن الأمير حسن مهنا قد شعر بغلطته وأحسَّ بذنبٍ كبير فيما حدث وربما أراد أن يُكفر عن ذنبه من خلال ذهابه برجليه إلى سجن ابن رشيد.

---

[۞] كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.

وعن معركة المليداء الفاصلة والحاسمة التي دارت بين الأمير محمد بن رشيد من جهة وبين القصمان في الجهة الأخرى، والتي كان السبب فيها كما تقدم، هو حسن بن مهنا الذي قام بالتحالف مع ابن سليم ومع عبد الرحمن بن فيصل وقرروا خوض الحرب على الأمير محمد بن رشيد، يذكر ابن عيسى:

« ثم دخلت السنة الثامنة بعد الثلاثمائة والألف: ولما كان في جمادى الأولى من هذه السنة خرج (محمد) ابن رشيد من بلده وتوجه بمن معه من الجنود إلى القصيم، ونزل القرعاء، فخرج زامل آل عبد الله بن سليم، وحسن آل مهنا ومعهما جنودٌ عظيمةٌ من أهل القصيم، ومن البادية لقتال ابن رشيد، فحصل بينه وبينهم وقعةٌ شديدةٌ قي القرعاء، وصارت الغلبة فيها لأهل القصيم على ابن رشيد. وذلك في ثالث من جمادى الآخرة في السنة المذكورة، قتل فيها عدة من رجال الفريقين، وكان من قتلى قوم ابن رشيد مبارك الفريخ صاحب راية ابن رشيد، وحمد الزهيري، وعدة رجال. واتفق أنهُ قدم على ابن رشيد بعد الوقعة المذكورة أمداد كثيرة من شمر، ومن الظفير، ومن عنزة فحصل قوة فارتحل من القرعاء ونزل في غضى. وبعد ثلاثة أيام ارتحل أهل القصيم من القرعاء، وارتحل ابن رشيد من غضى، فالتقى الفريقان في المليدى (المُليداء) في يوم السبت جمادى الأولى، وتقاتلوا قتالاً شديدًا، وصارت الهزيمة على أهل القصيم وأتباعهم، وقتل منهم خلائق كثيرةٌ. ومن مشاهير القتلى من أهل عنيزة أميرها زامل بن عبد الله آل سليم، وابنه علي، وخالد آل عبد الله آل يحيى بن سليم، وعبد الرحمن آل علي بن سليم، وعبد العزيز آل إبراهيم بن سليم، وسليمان آل محمد بن سليم، ومحمد بن الروق، وسليمان الصالح القاضي، وأخوه عبد الله، وعبد العزيز آل محمد العبد الله القاضي، وأخوه حمد، ومن عيال الخروب ثلاثة، وناصر العوهلي، وعبد الله بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى، وعلي العبد الله بن حماد، وعيال منصور آل غانم، وعبد الرحمن الخياط، ومحمد الناصر العماري، وعبد العزيز بن عبد الله آل منصور، والخنيني، وعثمان آل منصور، وعبد الله الطجل، والأشقر، وقتل من

أهل بريدة خلقٌ كثيرٌ، ومن مشاهيرهم عبد العزيز بن عبد الله آل مهنا الصالح، وعبد العزيز ابن صالح آل مهنا، ومحمد آل عودة أبا الخيل، وعودة آل حسن آل عودة أبا الخيل، وأخوه عبد الله، وعبد الرحمن آل حسن الصالح أبا الخيل، وعبد الله بن جربوع، وعيال ناصر العجاجي وهم خمسة، وصالح آل مديفر. ومن مشاهير أهل المذنب صالح الخريدلي أمير بلد المذنب، ومنصور آل عبوش. وانهزم حسن آل مهنا الصالح أبا الخيل جريحًا مكسورة يده برصاصة إلى بريدة، وأراد الامتناع فيها ومُحاربة ابن رشيد فلم يساعده أهل البلد فخرج منها إلى بلد عنيزة، وأرسل ابن رشيد سربة في طلبه إلى عنيزة، فامسكوه وجاءوا به إلى ابن رشيد فأرسله هو وأولاده، ومن ظفر بهم من آل أبا الخيل إلى حائل، وحبسوا هناك ولم يزل حسن في حبسه ذلك إلى أن توفي سنة ١٣٢٠هـ. وقتل من أتباع ابن رشيد خلائق كثيرةٌ، واحتوى ابن رشيد على بلدان القصيم ونزل بلد بريدة، وولى إمارة عنيزة لـعبد الله آل يحيى الصالح، وكانت وقعة المليدا المذكورة في ثالث عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة. وكان الإمام عبد الرحمن بن فيصل لما بلغه وصول ابن رشيد إلى القصيم، فجمع جنوده من الحاضرة والبادية، واجتمع عليه جنودٌ كثيرة، وتوجه بهم لنصرة القصيم، فلما وصل إلى الخفس بلغه خبر الوقعة واستيلاء ابن رشيد على القصيم (فر) وأقام مع بادية العجمان».[۞] - انتهى الاقتباس -

وقد ذكر نولده أيضًا أنهُ أصبح من أصدقاء الأمير محمد بن رشيد وقد أخبره الأمير أن أي شخص يأتي من طرفه سوف يُعامل كصديق وضيف عزيز تكريمًا له، وقد استغل نولده ذلك الكرم الحائلي فتوسط لاحقًا لأبناء زامل الذين كانا لاجئين في الكويت وأرسل رسالة من بغداد إلى الأمير محمد بن رشيد يشفع فيها لأبناء زامل بن سليم، وقد قبل الأمير محمد بن رشيد وساطته وسمح لهم بالعودة إلى عنيزة وأعاد لهم منازلهم وأملاكهم.

---

[۞] كتاب : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر \ تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.

وعن تلك الوساطة يقول نولده: « لقد بدأ ابن رشيد تدريجيًا في إظهار شيء من العاطفة تجاهي بالرغم من أنه واحد من أولئك الأشخاص الذين لا يسمحون مُطلقًا لمشاعرهم الحقيقية أن تظهر على السطح. وهنا أجد لزامًا عليّ أن أكرر القول بأنهُ كان دائمًا كريمًا معي حتى النهاية. ولقد استمرت الصداقة بيننا حتى بعد رحيلي. وقد أخذ الأمير عددًا من نماذج تواقيعي وختمي الشخصي ووعدني بأن أي شخص يحضر إلى بلاده حاملاً معه رسالة بتوقيعي وختمي الخاص سوف يُعامل كصديق حميم – وإذا كان ذلك الشخص هو ابن عمي (الكونت أندريه كروتز) الذي قمت معه بعدة رحلات في الماضي، فإنهُ سوف يُعامل بنفس الطريقة التي عوملت بها تمامًا. "ومن ضمن المُناسبات التي تمَّ بها اثبات هذه الصداقة كانت المُناسبة التالية: لقد كان هناك ولدان من أبناء زامل بن سليم أمير عنيزة الذي قُتل في معركة بريدة، يعيشون مُطاردين في الكويت، وقد أتوا إلى بغداد يرجونني التوسط لدى الأمير محمد بن رشيد بالنيابة عنهم. ولقد فعلت ذلك من خلال رسالة لابن رشيد الذي وعلى الفور حقق لهم جميع رغباتهم، كما وصلتني الأخبار قبل مُغادرتي بغداد، لقد أُعيدت إليهم جميع البيوت والأملاك التي تمت مُصادرتها قبل أكثر من عامين. كما تمَّ تحقيق رغبتهم بالرجوع إلى بلدتهم عنيزة». ۞ - انتهى الاقتباس -

وكالعادة يُحاول المؤرخ ابن عيسى أن يهون من وقع تلك الهزيمة الساحقة في وقعة المُليداء، من خلال مُعادلة الهزيمة النهائية مع هزيمة أولية لحقت بابن رشيد في وقعة القرعاء، فتراه مرة يذكر أن ابن رشيد قد هُزم في وقعة القرعاء ولكنه عاد فانتصر بعد أن وصله المدد من شمر، وأخرى يذكر أن ابن رشيد تكبد خسائر فادحة في نهاية المطاف، والحقيقة أن ما حصل في القرعاء لم يكن معركة حقيقية بمفهوم المعارك بل هو عملية هجوم فاشل من قبل قوات ابن رشيد على مواقع القصمان الحصينة وقد تمَّ صدهم، ولهذا لم يتعدى

---

۞ كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر \ تأليف: البارون ادوارد نولده.

عدد القتلى من جيش ابن رشيد العشرة أشخاص. وسبب فشل الهجوم أو التعرض العسكري الذي شنه ابن رشيد في بداية الأمر على مواقع القصمان، هو لأن أهل القصيم قد اتخذوا موقعهم في جبهة حصينة تحيط بهم التلال وتفصلهم الكثبان الرملية فتمرزكوا في هذا المكان وتحصنوا به، لأنهم كانوا في موقع المُدافع وليس في موقع الهجوم، أما ابن رشيد فقد كان ملزمًا بالهجوم عليهم في مواقعهم لأنهُ أتاهم غازيًا في عقر دارهم، وكان ابن رشيد يعتمد اعتمادًا كليًا على سلاح الخيالة والهجانة، وطبيعة الأرض التي تموقع فيها القصمان عرقلت خيوله وجعلت رجاله هدفًا سهلاً لبنادق القصمان، ولهذا فقد تراجع جيش ابن رشيد تكتيكيًا ولم ينهزم، لأن المهزوم يفر من المعركة لا يلوي على شيئًا، وقطعًا لن يُعيد الكرة، أما ابن رشيد فقد أدرك الحكمة من اتخاذ القصمان لذلك المكان العصي في وقعة القرعاء، وفكّر هو ورجاله في خطة تكتيكية مُحكمة الغرض منها سحب القصمان من موقعهم في نفود الغميس، (وقيل إنها كانت مشورة من ضيف الله الذويبي أمير بني عمرو من حرب، الذي قال لابن رشيد "بأن عليه أن يخرج القصمان من جحورهم" وكان يقصد إظهارهم من حفر النفود التي احتموا بها وهي محاجي ومزابن حفروها ليتمترسوا فيها)، لأن القصمان كانوا قد تحصنوا في أرض محصورة تحيط بها الكثبان الرملية، فتعيق حركة الخيل والأفراد أيضًا وتجعلهم هدفًا سهلاً لخصومهم، وكانوا متخندقين في مواقعهم ويطلقون الرصاص على جيش ابن رشيد، خصوصًا وأن ابن رشيد كان يعتمد في حروبه الخاطفة على الخيالة، فعجز فرسان ابن رشيد من الخوض بخيلهم في تلك البقعة، وكان هدف القصمان من تحصنهم في ذلك الموقع هو إطالة أمد الحرب حتى يأتيهم المدد المُنتظر من قبل عبد الرحمن بن فيصل.

ولهذا فكر ابن رشيد الشهير بـ"المهاد" بطريقة مُغرية يستطيع من خلالها سحب القصمان من مواقعهم الحصينة، ومن ثم جرهم إلى أرض صلبة ومفتوحة حتى يفتك بهم، ولهذا قام بمُناورة ذكية حيث كر بجيشه على أهل

القصيم ولما اشتبكوا مع طلائع جيش ابن رشيد أمرهم أن يفروا أمامهم وكأنهم انكسروا، وانزاحوا صوب موقع يُدعى "الضلفعة" شمال المليداء، وقد وقع القصمان في الفخ، مع أن بعض أهل القصيم أشار على جماعته أن يتركوا جيش بن رشيد المُندحر ويكتفوا بهزيمتهم، ولكن الأغلبية أصروا على اللحاق بفلول الجيش المهزوم والقضاء عليهم والحصول على أمتعتهم، وهنا بلع القصمان الطعم وتم لابن رشيد ما أراده وتمناه ونجحت خطته، فلما ظهروا من أماكنهم ودخلوا الأرض المستوية الحماد يلاحقون طرائدهم، انقض عليهم ابن رشيد بخيله وفرسانه وأحاطهم بفرقة من هجانة الإبل وأصبحوا بين فكي كماشة من الخيل والإبل، وهنا بدأت المعركة الحقيقة فتم الفتك بالقصمان وأبيدوا عن بكرة أبيهم، فأصبحوا ما بين قتيل وجريح.

وقد ذكر المؤرخ اللبناني الماروني أمين الريحاني عن ذلك التكتيك العسكري الذي اتخذه الأمير محمد بن رشيد في إستراتيجية حرب القصمان، وقد نقل الريحاني معلوماته تلك من مخطوطة ابن عيسى الأصلية ودونها في كتابه الموسوم "تاريخ نجد الحديث ومُلحقاته" حيث طلب الريحاني من الملك عبد العزيز شخصيًا أن يأذن له بأن يزوده المؤرخ النجدي إبراهيم بن صالح بن عيسى بنسخة أصلية من تاريخه المدون، وقد أعطاه المؤرخ النجدي ابن عيسى مخطوطته الأصلية لينقل منها ما يشاء. وعن معركة المليداء يذكر أمين الريحاني في كتابه:

« ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م: أما أهل القصيم فعندما عاد الأمير محمد بن رشيد إلى الجبل طلبوا منه أن يَبر بوعده، فسَوف وتردد، فنهضوا ثانية عليه وحشدوا قواتهم للحرب. وما كان هذا الأمير الشمري ليرد طلبًا، فقد استنفر قبائله وتلاقى وأهل القصيم في القرعاء، فتصادموا وتناوشوا في العشر الأول من جمادى الأولى من هذه السنة وكانت الغلبة لأهل القصيم، فاقترح بعض رجال ابن رشيد أن يخرجوا من ذلك المكان كأنهم مُنهزمون ويسيروا إلى البادية حيث لا ضلعان (امتدادات جبلية) ولا مزابن (أماكن يُكمن فيها) فيظن العدو أنهم

انهزموا، فيتقفاهم، فيقطعون ساقته بالخيل. قال الراوي: "وأهل القصيم أناس شجاعتهم كثيرة ورأيهم قليل" فلما انسحب محمد بن رشيد صاحوا: انهزم، انهزم، ولحقوه، فبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم (ركابهم)، فهجمت عليهم الخيل (خيل ابن رشيد) فاجتزت مؤخرهم، وكانت الهزيمة عظيمة. قيل إنهُ قتل ألف رجل من أهل القصيم في تلك الوقعة التي تُدعى وقعة المليده، والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن رشيد على نجد. ولم يقم لآل سعود قائم بعدها. فقد كان الإمام عبد الرحمن خارجًا برجاله من الرياض لينجد أهل القصيم، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق بوقعة المليدة، عاد إلى الرياض، فأخرج حريمه وأولاده منها وارتحلوا إلى الأحساء، وكان يومئذٍ عاكف باشا مُتصرفها». ۞ - انتهى الاقتباس -

وقد رثت شاعرة عنيزة نورة محمد الهطلاني قتلى عنيزة في كون أو موقعة المليداء، حيث جسّدت في قصيدتها مُعاناة أهالي عنيزة من الآثار المدمرة التي خلفتها تلك المعركة الطاحنة والتي لم تسلم منها أسرة واحدة في عنيزة، مما دفع بأحد الباحثين إلى عدها أكبر خسارة لحقت بعنيزة على مدى تاريخها، ومما قالته نورة الهطلاني عن تلك الوقعة:

| | |
|---|---|
| لعل جو الضلفعة للدمارا | ولا يدب به الحيا دايم حاف |
| لا واحسايف ياعيال(ن) سكارا | زمول الأوادم ما ثمنهم بالآلاف |
| ترى السعيد اللي قعد له بدارا | ولا حضر كون المليدا ولا شاف |

ولهذا فقد ذهل الرحالة الروسي البارون ادوارد نولده حينما مرَّ على أرض المعركة فشاهد أثار لمعركة طاحنة كانت عبارة عن ملحمة اختلط فيها بقايا الدواب من رفاة الإبل والخيل التي كانت مُتناثرة على امتداد مساحة سهل المليداء الواسع، حيث جاء في وصف البارون ادوارد نولده للأمير محمد بن رشيد، حينما زاره في مخيمه بعد معركة المليداء بعدة أشهر، حيث يقول عنه:

---

۞ كتاب : تاريخ نجد الحديث وملحقاته \ تأليف: أمين الريحاني.

« وبعد ثلاث مسيرات شاقة أخرى، تجاوزنا خلالها شقراء التي كانت واقعة بالجهة اليسرى لنا، عبرت ما يُسمى بالنفود الصغرى لبريدة حيث نصبت مخيمي في يوم ٢٣ فبراير ١٨٩٣، على بعد حوالي مسيرة خمس ساعات من مكان اللقاء المتفق عليه مع ابن رشيد. وبينما كنتُ مضطجعًا على فراشي دخل رسول الأمير بالأخبار التي تفيد بأنه قد وصل إلى المكان المتفق عليه منذ الأمس، وأنهُ يبعث لي بتحياته ويأمل أن ألحق به على مائدة الإفطار في صباح اليوم التالي..... الخ. عندما غادرت في الصباح لأقوم بالرحلة الأخيرة إلى مخيم ابن رشيد، انتابني شعور بحب الاستطلاع والإثارة لفكرة اللقاء وجهًا لوجه في النهاية مع هذا الرجل الغريب - من نوعية الملك ريتشارد الثالث - ملك الصحراء كما كان يعرف في بغداد والقسطنطينية. بالطبع وتمشيًا مع أمره، كان لابد لي أن أترك قافلتي خلفي وأسرع مُتقدمًا. وعلى بعد حوالي مسيرة ساعة من المُعسكر قابلت كوكبة رائعة من الفرسان، الذين أرسلوا من قبل الأمير لملاقاتي - لقد كانوا ٣٠٠ فارس بقيادة خليفة ابن رشيد وولي العهد فيما يبدو، وهو ابن أخيه عبد العزيز ابن متعب. لقد كان برفقته عدد من الأشخاص الذين يعتبرون من الشخصيات الهامة الذين تصادف وجودهم في مخيم ابن رشيد وهم: ماجد الابن الأكبر لحمود مع أشقائه السبعة، واثنان من عائلة ابن سعود من الرياض، والذين كان ابن رشيد يحتفظ بهم كرهائن معه دائمًا، وشيخ الحوطة وعدة شيوخ من قبيلة حرب، وكذلك بعض الوهابيين من شقراء والرياض وناصر (سكرتير ابن رشيد الخاص) وفهد (كبير أمناء الخزانة). إن العرب رغم أسلوب حياتهم الصعب وغير المحكوم، يخافون من الغزو (الخارجي) بقدر خوفهم من الأشباح. انهم يرون إن ما حدث خلال الغزو المصري وبالمثل خلال المحاولات التركية المُتلاحقة كان تدخلاً في شؤونهم واستغلالاً لنزاعاتهم التقليدية الداخلية. إن مثل هذا الفهم هو ما يؤمن به ويصدقه البدو، لذلك فإنهم لا يجدون سببًا للسماح للغرباء أن يجوبوا بلادهم ويستغلون كل فرصة لتصوير ووصف موطنهم، على أنه أكثر فقرًا وخوفًا مما

هو عليه بالفعل. إن أي وكلَّ شيء يجب أن يُنتقد ويُعالج وفقًا لأسلوب تفكيرهم وبأسلوب مختلف، وكمثال على ما أعنيه هو الدهشة التي انتابتني في حائل عندما رأيت روعة ترتيبات المطبخ وبالمثل حجم وعدد الأواني في القلعة الشيء الذي قادني إلى إحصاء عدد الفقراء الذين يتحتم على الأمير إطعامهم في هذه البلاد الرهيبة....... الخ. عند وصولي للمخيم، استقبلني ابن رشيد بالكيفية التالية: لقد تمَّ نصب خيمة هندية جميلة للغاية يفوق جمالها الخيمة العادية ثلاث مرات على تكتل من الرمال، وكان المدخل الأمامي للخيمة يعطي الانطباع انه منصة عالية لقد شكلت واجهة الخيمة جانبًا واحدًا لمربع، أما الجوانب الأخرى فتشكلت بـ٢٠٠٠ من الجنود كحرس شرف، لقد أظهرت الصورة في مُجملها مع المخطط العام للمُخيم وتنظيم المُشاهدين موهبة مُعتبرة لإخراج عرض مسرحي. ثم تقدمتُ راكبًا عبر الميدان النابض بالحياة إلى ساحة فسيحة يرافقني كل من عبد العزيز وماجد الأميرين الأولين لأسرة حائل، بعد أن ترجلت واقتربت من الخيمة قام ابن رشيد وتقدم بضع خطوات نحوي ثم دعاني للدخول في خيمته. إن محمد بن رشيد الذي يبلغ الآن حوالي الثالثة والخمسين من العمر ذو قامة تكاد تكون متوسطة حيث كان بدينًا وقوي البنية، لقد كانت تقاطيع وجهه ناعمة ومشذبة، وعيناه حادتان وذاتا نظرة ثاقبة للغاية للدرجة التي تبدوان أحيانًا وكأنهما نظرات نمر، كانت لحيته السوداء غير طويلة ومشذبة قليلاً أسفل الخدين وتتناقص تدريجيًا إلى نقطة أسفل الفك مُباشرة، وهي من طراز اللحى التي تعرف في أوروبا بـ"الأسباني" لقد اخبرني لاحقًا أن لحيته قد صارت بيضاء مُشيبة للغاية، وأنها تظهر بذلك السواد فقط لأنه قد صبغها. أول حديث جرى بيننا كان ذلك التمهيد المحتضر المعتاد وهو السؤال عن الصحة والرحلة الشاقة وما إلى ذلك، بالرغم من أن الأمير لم يستطع تفادي التطرق إلى بعض المسائل ذات الطبيعة الحساسة. لقد أدار دفة الحديث ببراعة ليحول النقاش حول التمرد في اليمن سائلاً عما إذا كنت أثناء رحلتي قد رأيت جنودًا أتراكًا هاربين من الخدمة في اليمن؟ إنه لن

يكون من المقبول له أن تصبح نجد ملاذًا لكل الجنود الهاربين من خدمة السلطان، ولكن في ذات الوقت لم يكن ليدري ماذا يفعل حيال ذلك، مثلاً أيمكن للمرء أن يرفض تقديم المساعدة لبعض أولئك الناس الذين وصلوا وهم أنصاف موتى بعد مواجهة الصعوبات التي لا توصف؟ وقال الأمير: "أنني سوف أقوم بإرسال بعض أولئك ألأشخاص إليك" وأضاف: "إنك سوف تعرف الكثير منهم، إن هنالك بعضًا منهم ممن يتكلمون لغة غير معروفة (*)، ولا يستطيعون فهم لغة زملائهم من الأتراك"، وربما يستطيع مرافقك نصر الله أن يتحدث مع هؤلاء الناس، حيث انه يفهم عدة لغات، إذ على الأقل أستطيع أن أتأكد بأنهم لم يؤمروا بإخباري بروايات معينة، وعليه فإنه سيكون عملاً يستحق المُحاولة إذا ما استطعت إعادة بعض هؤلاء الأشخاص الغرباء إلى مواطنهم في رحلاتي اللاحقة". وأعترف الأمير قائلاً: أن اليمن لا تدخل ضمن إهتمامتي، ولكنني لا استطيع كبت الإحساس بالسخط لما يدور هناك من أعمال وحشية، ويُقال إن حوالي ستين كتيبة من الجنود النظاميين يُقاتلون في تلك البلاد الجهنمية لمدة عامين حتى الآن، ولا تزال نهاية هذه الحرب غير منظورة. وبالطبع فإن ذلك يسر "البشوات" لأنهُ كلما طالت وأمتدت الحملات والاضطرابات كان هناك الكثير مما يُسرق. إن كل ذلك تقع مسؤوليته على الحكومة التركية، إن السلطان بوصفه حاكمًا مرموقًا ومحبوبًا لا يستطيع بالكاد أن يعي أن كل الباشوات دون استثناء هم رجال أشرار يدمرون كل شيء في طريقهم. استمر الأمير في هذا الأسلوب الساخن مظهرًا المرارة الداخلية لجميع العرب ضد كل ما هو تركي، وهو حنق جامح يحتاج فقط إلى ابسط استفزاز لكي يجعلهم غاضبين بعنف شديد، لقد سعدت عندما وصلت المحادثة إلى توقف مؤقت ودعاني ابن رشيد لتفقد خيمته. ويحيط بالأمير في جميع الأوقات حرس شخصي مكون من ٢٠٠٠ من الرجال المختارين بعناية

---

(*) وضّح البارون نولده في أسفل الهامش أن هؤلاء الجنود الغرباء الذين هربوا من مُعسكرات الجيش التركي في اليمن ولجئوا لأمير حائل هم: بعض الأكراد ومعهم جنديان لا يتكلمان إلا اللغة الكلدانية، وهما من المنطقة الواقعة خلف الأحمدية، وقد أخذهم نولده معه، وذكر أنهم وصلوا إلى مواطنهم الجبلية سالمين.

وهم من أفضل المسلحين من راكبي الإبل مع أفضلها وأسرعها ومع هذا الحرس الإمبراطوري جيد التدريب بصورة غير عادية والذي هو على أهبة الاستعداد ورهن الإشارة لمُغادرة المخيم يمكن لابن رشيد إن يظهر فجأة على بعد مئات من الكيلومترات ليدخل الرعب في نفس أي من البدو الذين قد يتمردون عليه، أو لا يقومون بدفع الضرائب. إن المكافأة على العمل في خدمة حرس الأمير هي الإمداد بالمؤن والملابس بكميات اكبر بكثير مما يحلم به البدو وغيرهم، إن لكل منهم منزله الخاص وعائلته في حائل ويعامل بكرم وبنصيب من الغنائم الناتجة عن الحروب والغارات. وعندما يتأمل الإنسان يرى أن خلف هذه السلطة نوعًا من الدولة تتمتع بثروة لا مثيل لها حسب مقاييس العرب، ولها حلفاء مما يجعل المرء وحتى الأوروبي يفهم ولا يستغرب أن بدويًا يحكم كل هؤلاء الناس ويكون ملكًا لصحراء ورجل دولة ولابد أنه سيعتبر أيضًا عند الشرقيين رمزًا للعظمة والحظ وبالتالي فهو محسود كزعيم. إن اللون المفضل للأمير هو اللون البرتقالي الذهبي الداكن وإن جميع أولئك الذين من حوله وفي خدمته يرتدون ثوبًا طويلاً من نفس اللون، ولابد وان يكون ابن رشيد قد اعتاد على الملابس الفاخرة في الأزمان السابقة، ولكنني لم أشاهده مطلقًا قد ارتدى شيئًا غير عادي، وأنه فقط عندما يقوم المرء بتفحصه عن قرب يبدو له واضحًا أن المادة المصنوعة منها ملابسه هي من أكثرها كلفة على الإطلاق إن بعضًا من معاطفه مثلاً مصنوعة من الشال الكشميري الفاخر والغالي جدًا بالرغم من أنه يبدو عادي المظهر. إن علم دولة ابن رشيد أحمر اللون بلون الدماء مع الكلمات المشهورة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" مطرزة عليه. كما إن حامل هذه الراية هو أكثر الأشخاص أهمية في حاشية ابن رشيد وتتم معاملته وفق ذلك. إنه يسكن في خيمة خاصة منصوبة خلف خيمة الأمير ويعيش حياة غريبة للغاية في حراسة الراية، وأثناء زيارتي كان حامل الراية صغير السن وربما لم يكن عمره يتجاوز ٢٠ أو ٢١ سنة، وكان مهندمًا وأنيق المظهر وخرج الأمير عن عادته

ليقدمه لي شارحًا بأنه في الحالات الاستثنائية فقط من يكون من الممكن لشخص صغير السن أن يقلد مثل ذلك المنصب الهام لقد كان والده حامل الراية في معركة بريدة حيث سقط قتيلاً وقد كادت الراية أن تفقد نتيجة لذلك ولكن الابن الذي كان عمره آنذاك ١٧ أو ١٨عامًا وهو الشاب المعني أنقذ الراية وأحضرها إلى موقع الأمان لذلك فإنه في مقابل تلك الخدمة وتخليدًا لذكرى والده الذي سقط قتيلاً لم يكن للمرء سوى منحه ذلك المنصب.... الخ.
إن الأمير لم يكن رجلاً ذكيًا وعادلاً فحسب بل كان راويًا ومصورًا للناس والأحداث بشكل منقطع النظير للدرجة التي كنت أظل أستمع له لساعات عديدة في دهشة وإعجاب. وباستثناء السلطان كان وصفه في الغالب قاسيًا ولاذعًا لكسل وغباء الإدارة التركية وساستها..... الخ. لقد كان الأمير مشتركًا في عدد من الصحف العربية والتركية في مصر وسوريا والقسطنطينية وكان يقوم بكتابة العديد من الرسائل المطولة، وأثناء إقامتي كان يحضر على الأقل مرة يوميًا إلى المخيم حامل البريد وأحيانًا اثنان أو ثلاثة من مختلف الأقاليم. بالإضافة إلى المحادثات والأنس فقد تمَّ تنظيم بضع رحلات صيد بالصقور فضلاً عن بعض أمسيات رقصات الحرب بالسيوف والتي قام بأدائها أكثر من ألف من الرجال المسلحين. لقد أضيئت الصحراء وتوهجت الخلفية بإشعال نار كبيرة، وكانت ضوضاء النفير البطيئة العابسة وقرع الطبول والرقص وأداء أغاني الحرب، كل شيء كان مبهجًا متوحشًا ورومانسيًا. وفي يوم ٢ مارس حضر الأمير محمد آل سعود أمير الرياض إلى المخيم ليوم واحد، لقد كان رجل في حوالي الأربعين من العمر ويتمتع بسمعة مفكر عربي ضليع، ولكنه سياسيًا مجرد تابع لابن رشيد....... الخ. وفي الحقيقة كان الأمير كريمًا للغاية، لقد حظي كل أتباعي من المرافقين دون استثناء على هدايا عبارة عن ملابس وقطع ذهبية وجمال. وفي اليوم السابق لرحيلي تلقيت من الأمير أيضًا الهدية الخاصة بي وكانت عبارة عن فرس وثلاثة مهور أصيلة من سلالة خيل ابن رشيد المُفضلة من المهرة "فرحة" وهي المعروفة رسميًا كأولى الخيل

العربية أصالة. وبوصفه أميرًا للعرب كانت هذه الهدايا هي أقيم شيء يُمكنه أن يهديني إياه، فوق كل ذلك أهداني العديد من الأشياء الأخرى مثل الجمال وقرب كبيرة من الماء، ومؤن كافية لرحلتي عبارة عن كمية هائلة من الأرز والشعير والتمر والزبد.....الخ. وبدأ قائلاً: إن كل شيء ممكن قد تمَّ عمله لكي تكون رحلتك إلى بغداد مأمونة ومريحة، إن جميع حلفائي من العرب قد تمَّ أعلامهم بالطريق الذي سوف تسلكه، وقد أمروا بأن يقدموا لك المُساعدة حيثما كانت ممكنة، ولقد كتبت إلى الحاج حسن (حاكم عام بغداد) والى ابن هذال (شيخ قبيلة عنزة)، وهكذا فإن كل شيء هو كما يجب أن يكون لهذه الغاية....الخ. لقد رافقني الأمير عند مُغادرتي لما يقارب الساعة مع رهط كبير من الأتباع، وكلاب الصيد والصقور في المقدمة، وقد كان مشهدًا ملوكيًا بحق...الخ. ثم أخذ الأمير نماذج من توقيعاتي وختمي ووعدني بأن أي شخص يحضر إليه يحمل رسالة بتوقيعي وختمي سوف يُعامل كصديق حميم. وأخيرًا حانت لحظة الاحتضان للوداع الأخير والذي جرى في جدية ووفق اللياقة العربية دون النظر أو الالتفات إلى الخلف».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويذكر لنا الرحالة الفرنسي شارل هوبير الذي قُتل لاحقًا على يد أدلائه من بدو هتيم، وصفًا مُختصرًا عن شخصية وصفات الأمير محمد بن رشيد المُقلب بـ"المهاد"، والذي كان حاكمًا على عموم نجد أثناء زيارة الفرنسي هوبير، فيذكر لنا في كتابه الموسوم برحلة في الجزيرة العربية الوسطى، قائلاً:

« أخذ أحد هؤلاء الرجال ناقتي من اللجام وسار بها عبر ممر طويل إلى باحة كبيرة، ثم فتح بابًا آخر يفضي إلى فناء حيث ترجلت. كان بانتظاري هنا رجل يعتمر كوفية من الحرير الأصفر وعقالاً مُقصبًا بالذهب، وعلى كتفيه عباءة سوداء مُطرزة بالذهب حول العنق، يحمل بيده سيفًا بمقبض وزينة من الفضة

---

[۞] كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر \ تأليف: البارون ادوارد نولده.

الخالصة، وبادرني بـ "السلام عليك" فرددت بتودد "وعليك السلام" فأبلغني تحية الأمير، وأنهُ مُكلف بمُرافقتي إليه. فأخذني بيميني ليُثبت لي أنني في أمان وجعلني أعبر بابًا صغيرًا فوجدنا أنفسنا أما حوض يُغذيه ماء جار. وأبعد منه يمتد بُستان جميل، مزروع بشكل حصري بالرمان يسود فيه ظل وبرودة لذيذان. فدرنا حول الحوض ووجدت نفسي في حضرة أربعين رجلاً مصفوفين بشكل دائري يجلسون جميعًا القرفصاء على الأرض. ويمتد السجاد أمام منزل صغير، هنا كان يجلس الأمير وحيدًا، وظهره مُسند إلى سرجه لدى وصولي، وقف اثنان من المُساعدين ليسمحا لي بدخول الدائرة. حييت الأمير فنهض لي عندئذ وأضاف في رده على تحيتي:"مرحبا" ثم أعطاني يده على الطريقة العربية، أي دون أن يشدها ثم قبل السبابة وجعلني أجلس على جانبه. سألني بكثير من الاهتمام ما إذا كانت رحلتي موفقة ولم ألق مشقة فيها أو تعبًا، ثم استفسر عن هدف رحلتي، وتطرق إلى هذا الموضوع مرارًا ليس في هذا المساء فحسب، بل لاحقًا أيضًا. فهو لا يعتقد أبدًا أن العلم وحده يدفع أيًا كان للسفر في صحاري الجزيرة العربية، حيث لا يرى هو فيها أي شيء علمي على الإطلاق. ثم طلب مني أخبارًا سياسية وبالأخص ما قيل في دمشق وحوران، بشأن الغزو الذي قام به قبل شهرين في وادي السرحان، متوغلاً إلى ما هو أبعد من القصر الأزرق، إلى ما يقل عن مسافة يوم من جبل الدروز، وقد شعر مدحت باشا والي دمشق في ذلك الحين، بقلق عميق من جراء ذلك. وحدثني عن السيد والسيدة بلانت اللذين أمضيا ثمانية عشر شهرًا في حائل. وقد احتفظ بذكرى طيبة عنهما ولكنه أبدى تعجبًا شديدًا لرؤية السيد بلانت لا يقبل أبدًا فنجان القهوة إلا بعد زوجته، ويجعلها دائمًا تمر قبله، وتجلس دائمًا في المرتبة الثانية.... الخ وسألني ما إذا كانت الأمور تجري على هذا النحو عند جميع النصارى؟ ولكن أكثر ما أدهش الأمير وجميع العرب كذلك، هو رؤية ليدي آن بلانت تمتطي حصانًا وعلى أكمل وجه. وقد بلغ الأمير محمد بن رشيد من العمر ستًا وأربعين سنة، وطوله ١,٦٥م. ووجهه ينضح بالعزم

ومُعبر. نظره ثاقب وكثر الحركة، وهو يتنقل باستمرار من شخص إلى آخر، مما يجعله يبدو دائم القلق. في المُقابل ابتسامته سخية وعذبة جدًا، ولحيته الخفيفة الشعر والسوداء، تشهد على أنهُ بدوي، وهو مُتحدث ويُحب الدعابة. رأيته شديد الاهتمام بضيفه باستمرار بأن يكون مرتاحًا في جلوسه ويأخذ راحته تمامًا. وقد أوصاني دائمًا بألا أقلد مواطنيه، بل أن اتبع تقاليدنا نحن، مؤكدًا لي أن ذلك يسعده. ومنذ اللحظات الأولى من مُحادثتنا، بعد تبادل اللياقات، وما أن عرف نيتي بالإقامة في بلد عربي (إسلامي)، حتى شعر بوخز الضمير إزاء البقاء طويلاً على الاتصال مع شخص غير مؤمن (مُسلم)، لكن فكره المتنور من نواح أخرى دفعه إلى كتم هذا الوخز. ولكي يُريح ضميره سألني بغتة: ما إذا كنت أعرف شهادة الدين الإسلامي؟ فأجبت: بالإيجاب! فقال: "رددها"، فتلوت في الحال بمنتهى الجدية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله". وكانت الدقة تقضي بأن أذكر كلمة "أشهدُ" قبل الجملة المُقدسة، إلا أنهُ شاء التغاضي عن هذه الثغرة. ولم أكد ألفظ الشهادة العزيزة على المؤمنين، والتي استقبلها كل الجمع بهمس مؤيد، حتى صاح الأمير: "والله أنت مُسلم عندي". منذ تلك اللحظة التي لم يعد يُخالجه فيها أي تأنيب ضمير، تحرر من كل قيد وعاملني كأخ في الدين، أي كندٍ له. وفي ختام دراسة العادات الموجزة، أضيف أن طوال إقامتي في الجبل، وباستثناء مرة أو مرتين أصابتني بسبب حسد أشخاص آخرين، فقد تمتعت بحظوة الأمير وابن عمه حمود وكل عائلتهما الثابتة. فكنت أدخل بحرية تامة إلى كل مكان، والجميع كانوا يُنادونني بالأخ والصديق. وفي نهاية إقامتي، قال لي الأمير مرارًا أنني أصبحت الآن واحدًا منهم وإنني شمري ». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

---

۞ كتاب : رحلة في الجزيرة العربية الوسطى \ ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢م، تأليف الفرنسي: شارل هوبير.

وعن هزيمة عبد الرحمن بن فيصل وهروبه من مواجهة محمد رشيد، وعن زوال دولة آل سعود الثانية، يذكر ضاري الفهيد في نبذته الأحداث الأخيرة للأيام الأخيرة لعبد الرحمن بن فيصل وأسرته، وذلك قُبيل جلائهم إلى قطر ومن ثم الكويت، حيث يقول:

« أما عبد الرحمن بن فيصل لما قتلوا أهل القصيم علم أن محمد بن رشيد أشرف على مُكاتبيه، ووعده لهم، صار يترقب. أما محمد فغفل (أظهر أنه غير مُهتم)، ولم يذكر شيئًا. كأنه ما سمع شيئًا، حتى مضى ثمانية أشهر، وهو لم يزل يترقب فرصة عبد الرحمن، ويرسل عليه الجواسيس والعيون خفية، حتى إنهم جاءوه، وقالوا: إنهُ ظهر من الرياض، ونزل قرية يُقال لها: حُريملاء، وعنده شرذمة قليلة من البدو، وهم العجمان وبعض شيع فعند ذلك ركب حالاً ابن رشيد غازيًا، فلما وصل حُريملاء، أرسل خيلاً عيونًا (له)، فجاؤوه مُسرعين على أنهم قد رأوا خيام عبد الرحمن، وقد كانت ثلاثين خيمة، فحالاً أمر على القوم أن يجردوا الركاب من جميع الثقل وأن يركبوا خفافًا. والمسافة التي بينهم خمس ساعات، وذلك بعدما تعلت الشمس. فعند ذلك أغاروا عليهم فجأة، ولم يكن لهم من النجدة إلا الهزيمة. أما عبد الرحمن فهم انهزموا فيه أربعة خيالة من العجمان، وجنبوا فيه درب الهزيمة، وانحدروا إلى الأحساء. أما الهزيمة (المُنهزمين) فالذي قُضب (مُسك) ذلك النهار فلا تسأل عنه. بعد ذلك قدم جيش إلى الرياض يُخبرهم. وقد جاءهم بعض الفل (المهزومين) قالوا: نحن ما نُريد إلا محمدًا. وعبد الرحمن نحن لهُ كارهون، ولو أن ما هذا الذي عندهم. ولكن الظروف تقتضي ذلك. وحالاً قدم ابن رشيد الرياض، وقضّ (هدم) السور الذي مُحيط بالبلدة، وقض الحصن، وخلف فيه فهاد (بن عيادة) بن رخيص المذكور أولاً. فعند ذلك اجتمعت كلمة أهل نجد على محمد بن رشيد إلى أن توفي في سنة ١٣١٥ هـ، رحمه الله».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.



ـ عبد الرحمن بن فيصل بن تركي جد آل سعود الحاليين الشهير بـ"الشرود" ـ

وعن هزيمة عبد الرحمن بن فيصل من قبل محمد بن رشيد في حريملاء وهروبه من الرياض مع حريمه، يذكر لنا سعود بن هذلول في كتابه "تاريخ ملوك آل سعود" فيقول: « وعندما علم ابن رشيد بوصول عبد الرحمن إلى حريملاء وهو لا يزال في القصيم حشد جنوده وسار بهم مُسرعًا إلى حريملاء فهجم على عبد الرحمن بغتة ومن معه من العجمان وقتل مُعظم رجاله ففر عبد الرحمن مُنهزمًا بمن سلم من قومه ودخل الرياض ليلاً وأخذ حريمه وعوائله وذهب إلى جهة الأحساء عند البادية». ۞ ـ انتهى الاقتباس ـ

---

۞ كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.

ويصف لنا الرحالة الروسي البارون ادوارد نولده الأوضاع في إمارة حائل في عصرها الذهبي إبان فترة حكم الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد - حاكم نجد - الشهير بـ"المهاد"، ويتحدث عن الشؤون الداخلية لتلك الدولة الواعدة وعن نهضتها وتطورها، وكذلك يصف شخصية الأمير حمود بن عُبيد آل رشيد، حيث يقول:

« وصلت إلى مسامعي أنباء غير سارة حقًا عندما كنت في الحيانية. إن الأمير كما يُطلق عليه، غائب عن حائل في غزوة إلى مكان ما بعيدًا في الجنوب، تقريبًا في منتصف الطريق إلى عدن وفي حائل تمَّ تعيين وصاية للعرش تحت قيادة حمود (العبُيد) ابن عم (الأمير محمد) ابن رشيد. إن كل ذلك قد يقودني إلى وضع محرج حقا إذ أن الأوصياء على العرش في حائل ربما لا يرغبون فيَّ، أو حتى لا يشعرون بقوة كافية لاستقبال شخص أجنبي، ولكن تحت أي من الظروف فإنه ليس هناك من خيار سوى مواصلة الرحلة. وفي يوم ٩ فبراير كنت على مشارف حائل ومناظرها الخلابة التي تشكل سلسلة جبال "أجا وسلمى" خلفية فنية رائعة لها. لقد دخل نصر الله الذي أرسلته مُسبقًا إلى حائل في نقاش عاصف مع (الأمير) حمود نائب الأمير الذي رفض أن يسمح لي بحرية التجوال في حائل. إن كل المصائب والحروب التي خاضها ابن رشيد مع الوهابيين الذين تمت هزيمتهم مؤخرًا مع سكان نجد الآخرين، كانت نتيجة لعدم الرضا عن إقامة الأمير لعلاقات ودية مع الأتراك، وغير المؤمنين من جميع الأنماط، ومع العرب الآخرين، واتهامه بأنه يفضل مصالح الأجانب.. الخ وبعدها بفترة وجيزة دخلت حائل ممتطيًا صهوة جوادي. ملأ حشد كبير تعداده على الأقل عدة آلاف الشوارع والميدان أمام مبنى الحكومة، ووقف حمود أمام بوابة المبنى محاطًا بأتباعه وبكل أدب انتظر ليدعوني إلى أول استقبال رسمي....الخ. لقد كان الاستقبال الأول مهذبًا وحضاريًا للغاية للدرجة التي فكرت معها بأنه من غير الحكمة في شيء أن استعجل الأمور. لذلك قررت عند الاستقبال الأول بألا أدخن وألا أطلب الإذن لذلك. وفي أخر دقيقه بينما كنت أرتدي جوارب الأيدي استعدادًا للمُغادرة بدا أن حمودًا قد فكر في هذه

المسألة. فاعتذر لأنه قد نسي أن يسألني عما إذا كنت أدخن وأنه ربما لذلك السبب لم أدخن....الخ. إن مقر الإقامة الذي تمَّ توفيره لي كان قصر ابن رشيد الخاص، وبالطبع فإنه قصر فقط بالمفهوم العربي، أما في الواقع على أية حال فإنه تكتل للعديد من الغرف المظلمة على الدوام ما بين ٢٠٠ الى٣٠٠ غرفة وحجيرات صغيرة، غرف علوية وممرات ودهاليز وأروقة، بالإضافة إلى الأفنية الكثيرة والكبيرة للغاية، وحديقة شاسعة وجميلة حقًا. يحيط بالمجمع كله جدار ذو أبراج، وحتى في الداخل فإن هناك أبراجًا بأعداد وافرة وفتحات دفاعية وما شابه ذلك، إنه على نحو ما "برج لندن" في حائل، فيما يتعلق بعشرين سنة دامية من تاريخ الجزيرة العربية تمَّ صنعها هنا. فقد بقي ابن رشيد في هذا القصر حتى عام ١٨٩١م حيث بنى لنفسه منزلاً صغيرًا متصلا بالمبنى الحكومي، لأنه رغب أن يكون بالقرب من ثروته ومدافعه وأسلحته. إن أغلب سجناء الدولة المهمين مُحتجزون في مكان تحت إشرافه الشخصي، وحسن بن مهنا (أبا الخيل) شيخ بريدة قد تمَّ تحويله حسب معلوماتي في يوم وصولي إلى المبنى الحكومي. ...... الخ. إن حائل (المدينة) ليست بالمكان الكبير ويُحتمل إلا يزيد عدد سكانها عن ١٠،٠٠٠ إلى ١٢،٠٠٠. يقضي ابن رشيد معظم الوقت في الصحراء ويبقى في حائل فقط أثناء الشهرين أو الثلاثة اشهر الأكثر حرارة في السنة عندما تكون الصحراء جافة للدرجة التي لا توجد معها حتى نبتة شوكية لتأكلها الجمال. وهكذا فإن حائل (المدينة) لا تلعب بكل تأكيد دورًا كعاصمة في هذه الدولة العربية، بل مكان للتخزين حيث تحفظ فيها الزوجات والأبناء والأموال. إن كل ما يشاهده المرء في حائل (من مبان وجدران وحدائق وآبار) جميعها في حالة رائعة وتبدو نظيفة ومُرتبة وكل شيء جديد وقد تمَّ بناؤه أو اكتمل للتو. إن المدينة بأكملها مُحاطة بجدار من الطين السميك، والذي لم يكن بقصد الدفاع الحصين ولكن على الأرجح لفرض القانون، ولبسط الأمان في المدينة، وأيضًا إذا ما دعت الحاجة أن يقدم الحماية فقط ضد غارات عصابات النهب الممتطين للخيول أو صد الهجمات المُفاجئة عندما لا يكون هناك إلا عدد قليل من الجنود أو عدم وجود جُند على

الإطلاق بالمدينة. خلاصة القول إن حائل هي المدينة الوحيدة في الجزيرة العربية التي قد يفكر حكامها فيها، كما كان ملوك بروسيا يفكرون في برلين، فأحسن دفاع عنها يكمن في السيطرة على الريف المحيط بها. إن القصر الحكومي هو مبنى ضخم مُحصن، وبالرغم من كآبته وعبوسه فإن له مظهرًا مميزًا للغاية، فمثله مثل الحصون العربية له جدران لا نوافذ لها وبفتحات متاريس فقط. إن الجدران كانت على الأقل بارتفاع ٢٥ مترًا حسبما أتذكر، ويوجد عليها ستة أبراج. إن كل شيء بها يذكرني بالقلاع الفرنسية والأسبانية المُحصنة التي من المحتمل جدًا أن يكون طابعها المعماري ذو أصل عربي. كما إن مطابخ قلعة حائل بنظافتها غير العادية وبتجهيزها الجيد يمكن أن توصف بكل أمانه بأنها رائعة، ولابد لها أن تكون كذلك فابن رشيد حينما يكون موجودًا بحائل فانهُ لا يطعم حاشيته فقط، ولكنه أيضًا يُطعم حرسه الشخصي الذين في العادة يكونون ملازمين له، ويبلغ جملة من يطعمهم أكثر من ٢,٠٠٠ شخص، إن الكلفة اليومية لإدارة المطبخ تصل إلى ١٠٠ جنيه إسترليني. بالإضافة إلى مخزون كبير من الأسلحة والبنادق والسيوف والذخيرة شاهدت في القلعة ثمانية مدافع عتيقه للغاية، وهي بالكاد أن تكون ذات نفع ماعدا الدفاع عن القلعة بالطلقات ذات الشظايا لخلق نوع من الخدعة والحيلة والتي قد تكون ذات أهمية حاسمة ضد جمهرة من الغوغاء العدائيين. إن ثروة ابن رشيد محفوظة في القلعة وتشمل أساسًا قطعا تركية وإنجليزية من الذهب قيمتها مابين ١,٥ إلى ٢ مليون جنيه إسترليني، وهو مقدار ضخم للغاية في الجزيرة العربية، خاصة إذا كان نقدًا. بالطبع لست متأكدا عما إذا كان هذا الرقم دقيقًا، ولكن ذلك احتمال وارد، فابن رشيد رجل ثري للغاية. ويمكن للمرء أن يُقدر أنهُ يحصل على عائد سنوي ما بين ٦٠,٠٠٠ إلى ٧٥,٠٠٠ جنيه إسترليني تقريبًا وهو المبلغ الفائض عن مصاريفه. كما إن المحافظة على آبار الماء بالإضافة إلى إنشاء آبار أخرى جديدة يستوعب معظم وقت وأنفاق الإدارة الحكومية. إن هذا الأمر له أهمية بالغة، نظرًا لعدم وجود صنابير للماء، وتأخر موسم الأمطار السنوي، إن مياه الآبار ليست

مصدرًا لحياة الناس فحسب ولكنها المياه الوحيدة التي لابد من استخدامها لري البساتين والحقول. ويتم سحب المياه من أعمق الآبار بواسطة بكرات تجرها الجمال، ومن ثم عبر قنوات صغيرة إلى الأرض التي يرغب في ريها. إنها عملية شاقة ومضنية حتى لري العدد القليل من الحقول المحيطة بحائل، ولكن بالرغم من ذلك فإنه يبدو أنها تنتج القمح الذي ترتفع أسعاره بصورة غير عادية. ..... الخ. وهناك أربع مدارس في حائل، وتوصف هذه المدارس وفق معايير العرب بأنها جيدة للغاية. لقد انغمس ابن رشيد بشكل كبير في هذا الترف الثقافي فجلب عددًا من المعلمين من سوريا ومصر وكان يُحاول بمساعدتهم توسيع نشر التعليم بين أتباعه. بالإضافة إلى تعليم القرآن واللغة العربية وهما يمثلان بالطبع المواد الأساسية، وكانت تُدَّرس بعض مواد الرياضيات والجغرافيا، وقد تمَّ عرض اثنين من صبيان البدو عليّ لتفوقهما في مادة الرياضيات وتميزهما في فهمهما بصورة سلسلة للدرجة التي كانوا معها قادرين على استخدام الفواصل العشرية. إن المرء ليجد أحيانًا وعيًا على قدر لا بأس به بين البدو عن النجوم، وقد أدهشني الأمير (حمود) على وجه الخصوص حقًا بمعرفته الواسعة في هذا الموضوع، إذ كان يعرف أسماء مئات النجوم ووصف لي بالتحديد الدقيق كيف أن كل واحدة منها تُغير موقعها خلال الساعة الواحدة، وكيف أن كل ذلك يؤخذ في الاعتبار لمعرفة وتأكد المرء من موقعه وصحة مساره. وكان ينهمك في مثل هذه الأمور للدرجة التي يراجع ويقارن فيها بصورة يومية ساعاته وبوصلاته المختلفة. أما فيما يتعلق بجهازه لمقياس الضغط الجوي (الباروميتر) فإنه قد نوَّه مازحًا بأن مثل هذه الأدوات غير ذات نفع للأعراب، وأن اهتمامه الوحيد بها رغم عدم دقتها بالنسبة للأمطار التي لا يمكن توضيحها هو أن "الباروميتر" عندما يهبط مؤشره أحيانًا فإنه يعني سكون الرياح والعواصف، التي لقي منها المرء ما يكفي.... الخ. وفي إحدى المُناسبات سألت الأمير مستفسرا كيف عرفت أن خادم الرحالة "هوبر" كان ألمانيًا، أو على وجه التحديد روسيًا؟ فكون كليهما كان يتكلم اللغة الألمانية مع الآخر لا يبرهن شيئًا على الإطلاق حيث كان هوبر

نفسه من الإلزاس وأن خادمه ربما كان حقًا من مواطنيه. أجاب الأمير وهو يكاد يفصح عن غضبه قائلاً: حسنًا إني أعرف كل شيء عن منطقة الالزاس، لماذا لا يجب أن أعرف؟ إنه البلد الذي أُنتزع من فرنسا بواسطة الألمان قبل عشرين عامًا، وكنتيجة لذلك تمَّ قصف المدينة المشهورة باريس، وأن الفرنسيين الآن غاضبون جدًا على ألمانيا لدرجة أنهم تحالفوا مع حكومة موسكو، وأن عدم الوضوح هذا شكل نقطة المركز لكل السياسات الأوروبية، وأنها سياسات يتعلق بها مصير الدولة العثمانية، وهو مصير ذو أهمية كبيرة واهتمام بالنسبة لنا في الجزيرة العربية ولنكون مُستعدين مسبقًا. لقد وجدت مسبقًا أن ابن رشيد ذكي وداهية ماكر وبدوي مُستنير ومُطلع بصورة جيدة، إن فهمه الواضح للشئون الأوروبية كان حقًا مثارًا للدهشة إذا ما أخذنا في الاعتبار ذلك المزيج الغريب والمتكرر لدى العرب من دهاء سياسي ومن وحشية مع كياسة وكرم ضيافة تقليديين ومن فهم شاف وفطنة مع جهل وتعصب ـ الحقيقة إنهُ مزيج غريب وخلطة مدهشة...الخ. أخيرًا وصلت الأنباء الهامة: لقد انتصر الأمير في معركة كبرى ضد قبائل عتيبة ومطير المُتحالفتين وكنتيجة لذلك النصر فقد غنم ٦٠٠٠ من الإبل و٣٠٠ حصان..... الخ. وعندما تأكد الأمر لاحقًا بأن أعداء ابن رشيد كانوا قد ولوا الأدبار مندحرين أمامه قبل ثلاث ساعات من مغيب الشمس......الخ. في ذلك اليوم نفسه تمَّ ترتيب زيارتي لمسجد صلاة الجمعة، وهو مبنى جديد وجميل حقًا، وهكذا فقد سار كل شيء في حائل نحو الأفضل، وبدأت استمتع بوقتي. وقبل مغادرتي بوقت قصير قمت مع "حمود" الذي كان دائمًا كريمًا ومضيافًا بنزهة إلى "عايدة" وهي قلعة من الصخر على الجبال على مسافة ساعتين من حائل، إن جبال حائل تقع بالقرب من المدينة شامخة كسلسلة لجبل منفرد أو كتلة جبلية واحدة، إنني أقدر طول سلسلة الجبال هذه بنحو ٣٠ إلى ٤٠ كم، وعرضها بحوالي ١٠كم، إن حائل تقع على ارتفاع نحو ١١٠٠متر فوق سطح البحر، وان ارتفاع قمة جبل شمر هو حوالي ٧٠٠ متر فوق ذلك أي بارتفاع حوالي ١٨٠٠متر، على هذه الارتفاعات لا توجد بالطبع أي ثلوج وهو من سوء الطالع لواحة حائل، وإلا

لكان الناس قد حصلوا على مياه كافية وبوفرة، ويمكن توزيعها بالصنابير، إن هذه الجبال ترتفع عموديًا من بطن الصحراء دون انحدار انتقالي تدريجي. إنها جميعًا تشتمل على أهرامات من الصخر وصخور حادة مكومة إلى أعلى فوق بعضها البعض، ولها مظهر خلاب ومُهيب وحتى ألوانها الليلكية التي تصبح ذات لون وردي عند المغيب هي جميلة للغاية». [۞] - انتهى الاقتباس -

بعد هروب من بقي من أسرة آل سعود إلى قطر ومن ثم التجائهم إلى مبارك بن صباح في الكويت، دانت نجد بأكملها إلى حكم الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد، ووصل الأمر في حكمه إلى حالة من الرخاء والاستقرار السياسي وتوسع النفوذ وزيادة الموارد المالية للدولة لذلك لقب الأمير محمد بن رشيد بـ"المهاد" لأنه مهد جميع أراضي نجد تحت حكمة وكانت الأوضاع في سهود ومهود، وهنالك بيت شعر نبطي مشهور قاله أمير العجمان راكان بن حثلين في الأمير محمد بن رشيد حيث يقول فيه:

من باب نجران اليا باب عمان      ما هو أنا يالضيغمي أنت أميره

وقد عمل الأمير محمد بن رشيد على مد نفوذه وتوسيع أراضي دولته حتى بلغت دولة آل رشيد أقصى اتساع لها في عصره إذ وصلت حدودها الشمالية إلى منطقة الجوف، وغربا وصلت حدوده حتى حدود منطقة الحجاز وقد ضم تيماء في الشمال الغربي. وفي الشرق وصلت حدود دولته حتى الجهراء في الكويت وفي الجنوب وصل حتى وادي الدواسر، وقد قاد حملة عسكرية على بلاد الشام حتى وصل إلى تخوم دمشق، حيث يذكر الموظف البريطاني لوريمر في كتابه دليل الخليج: « الأمير محمد بن عبد الله الرشيد يغزو حدود سوريا ١٨٨٠م: وفي سنة ١٨٨٠م اقتحم محمد (بن رشيد) إقليم حوران متوغلاً حتى بصرى على بعد سبعين ميلاً فقط من دمشق، وكانت نتيجة هذه الغزوة

---

[۞] كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر \ تأليف: البارون ادوارد نولده.

إعادة الاتفاق مع القبائل الجنوبية واحتفل محمد بتوقيع هذه الاتفاقية احتفالاً كبيرًا».[۞] - انتهى الاقتباس -

وكان عهد حاكم نجد الأمير محمد بن رشيد قد شهد توسعًا كبيرًا واستقرارًا ورفاهٍ كثيرًا، وواكب حكمه بشائر الخير والرخاء، فزال الجدب وكثرت الأمطار والسحب، حتى يُذكر أهالي حائل أن الكمأ (الفقع) كان يظهر في باحات المنازل وعند أبواب المساجد في المدن والقرى وهو دلالة على وفرة الخير وازدهار المراعي والمرابع.




---

[۞] كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

وقد ساد الأمن والأمان على عموم نجد وكثرت الخيرات حتى ظن بعض الناس في عهده أنهُ هو (القحطاني الموعود) الذي جاء ذكره في الحديث النبوي الشريف الذي سيظهر قبل قيام الساعة، وقد شاعت تلك الأخبار والأقاويل حتى وصلت إلى أسماع الإنجليز وهم في أوكارهم في إمارات الخليج الساحلية، وقد اجتهد الوهابيون في نفي تلك الإشاعات خوفًا أن يُسحب البساط من تحت أقدام دعوتهم الوهابية، وقد جاء ذكر لتلك الأخبار في تقارير استخباراتية لوكيل المُقيمية البريطانية في الشارقة ويُدعى أبو القاسم أرسله إلى المُقيم البريطاني في الخليج في ٢٨ محرم عام ١٣٠٦هـ، كما تكررت تلك المعلومات في تقرير ميرزا عبد الكريم الموجه إلى المقيم البريطاني في ٩ صفر عام ١٣٠٦هـ، وكانت تلك التقارير الأمنية تتحدث عن المُراسلات التي حدثت بين حاكم نجد الأمير محمد بن رشيد وبين أمير قطر قاسم بن ثاني، حول نية الأمير محمد بن رشيد غزو الساحل العُماني، والوثيقة مُصنفة تحت رقم ١٩-٦-١٥iro وقد ذُكرت تلك الوثيقة في رسالة ماجستير لحمد الحماد بعنوان (حكم محمد العبد الله الرشيد لنجد ١٢٨٩هـ - ١٣١٥هـ)، حيث جاء في فحوى الخبر:

« وأثناء زيارة المقيم البريطاني لقطر سلمه ميرزا عبد الكريم أحد المُتعاونين مع المُقيمية البريطانية في الخليج تقريرًا يُفيد بأن الأمير محمد بن رشيد أرسل خطابًا للشيخ قاسم يذكر له بأنه سيسير من الرياض إلى الأحساء ثم سيستمر إلى الظفرة، كما أبلغ الشيخ قاسم بأنهُ في انتظار وصول خطابات من اسطنبول للموافقة على هذا المشروع. وقد ذكر ميرزا عبد الكريم في خطابه أنهُ يُتداول في نجد بأن القحطاني الوارد في حديث الرسول ﷺ هو الأمير محمد بن رشيد، وأن ذلك سوف يدعم موقف ابن رشيد في حملته الموعودة».

ورغم أن القحطاني الموعود بالظهور وحسب الأحاديث النبوية سيخرج بعد ظهور المهدي، إلا أن العامة في نجد ربطوا بين حركة المهدي التي حدثت في السودان، وبين فترة حكم أمير نجد محمد بن رشيد الذي جاء عهده بعد بزوغ نجم مهدي السودان، وقد أشار البسام إلى أن الشيخ علي بن وادي (١٣٦١هـ)

قد قابل الأمير محمد بن رشيد في حائل عام ١٢٩٩هـ، أي بعد ثورة المهدي في السودان، وأنهُ قال للأمير محمد بن رشيد: إن أهل العلم في السودان ذكروا له أحاديث نبوية في "الرجل القحطاني" الذي سيسود الناس، وأنهم يترقبون منكم ـ أي من ابن رشيد ـ إعلان الجهاد في سبيل الله!.

وقد روي أن معاوية بن أبي سفيان قد ثارت ثائرته حينما علم أن عبد الله بن عمرو يُحدث عن ظهور القحطاني الذي سيملك ناصية العرب، فأزبد وأرعد وهدد وتوعد كل من يُردد تلك الأحاديث التي أسماها بالأماني التي تضل الجهال، وكانت تلك الغضبة خشية على ملكه، حيث جاء في تلك الحادثة:

« أخرج البخاري في صحيحه ـ كتاب الأحكام ـ عن الزهري قال: (كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث، أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش، أن عبد الله ابن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالا منكم يُحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله، وأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين".)».

وبالمُقابل نرى دهاقنة الوهابيين قد سارعوا إلى نفي وتفنيد تلك الإشاعات التي تتردد في عموم نجد عن ظهور القحطاني، واجتهدوا في دحضها خوفًا من ضياع إرث الوهابية، وممن ردَّ على تلك الأقاويل في حينه، هو الشيخ سعد بن حمد بن عتيق الذي عيَّنه عبد الله بن فيصل بن تركي قاضيًا على الأفلاج، وحينما سيطر الأمير محمد بن رشيد على نجد أبقاه في منصبه على قضاء الأفلاج، حيث جاء في رسالة له يُفند تلك الأقاويل، فيذكر:

« وقال الشيخ سعد ابن الشيخ حمد بن عتيق، عفا الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أشرف المُرسلين، وعلى آله وأصحابه والتابعين. أما بعد: فقد وقع البحث في الحديث

الذي في الصحيحين، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه"، فصرح بعض الحاضرين بأن القحطاني المذكور في هذا الحديث، هو: محمد بن رشيد، الذي خرج في أواخر المائة الثالثة بعد الألف من الهجرة، وعظمت شوكته، وانتشرت دولته في أوائل المائة الرابعة، واستولى على كثير من البلدان، النجدية، وقهر جماعات من أهل البادية، حتى استسلم لأمره كثير من أهل نجد، واليمامة، أو أكثرهم؛ فسألني بعض الخواص، هل يسوغ القول بما قاله هذا القائل؟ وهل ينبغي الجزم به، أم لا؟ ثم بلغني عن الإخوان: أنه نسب هذا إلى صديق حسن الهندي[*]، وأنه نقل عن صديق، أن الحديث يفيد: أن القحطاني المذكور في الحديث، مُسلم، وليس بمؤمن؛ فعنَّ لي أن أذكر بعض ما وقفت عليه من كلام أهل العلم، على هذا الحديث، مع كلمات يسيرة، يستفيد بها السائل؛ وإن كنتُ لست أهلاً لذلك، لقلة العلم، وعدم وجود من استفيد منه، من أهل التحقيق. ولأن الكلام على أحاديث الرسول، مما يحجم عنه الجهابذة الفحول، فكيف بمن هو مزجى البضاعة، قاصر الباع؟ وإني لمعترف -والصدق منجاة - بأن: طلب الإفادة، ممن هو مثلي، من عجائب الدهر، ولكن الضرورة قد تلجئ إلى أعظم من ذلك، فأقول في الجواب: اعلم: أن قول القائل، إن القحطاني المذكور في الحديث، هو الرجل الذي وصفنا، لاشك أنه تعيين لمراد المعصوم صلى الله عليه وسلم، وتبيين لمقصوده، وهذا مفتقر إلى أحد شيئين؛ الأول: النقل الثابت عنه صلى الله عليه وسلم، برواية الثقات؛ ونقل: العدول، المعتبرين عند أهل النقل بالتنصيص، على المقصود بكلامه، إنه هذا الرجل بعينه؛ وهذا: مما لا سبيل إليه البتة. الثاني: وجود القرائن، وقيام الشواهد، الدالة على أن المُراد بقوله صلى الله عليه وسلم هو هذا؛ ولكن لا يطلع عليها إلا من حصل المعرفة التامة بمدلول لفظ الحديث وضم إلى ذلك

---

[*] صديق حسن الهندي: هو النواب، صديق خان صاحب بهو بال العالم المشهور.

النظر في سيرة هذا، الذي يدعي أنه المقصود واعتبار حاله وما كان عليه، وأما الجزم بالتعيين مع تخلف العلم بمدلول اللفظ أو وجود بعض الاحتمالات التي يتعذر معها الجزم بالمفهوم أو عدم اعتبار حال المدعي أنه المراد والإعراض عن التفتيش في سيرته فلا يخفى بعده عن العلم المفيد عند أهل المعرفة. وإذا عرف هذا فنقول: قال بعض أهل العلم في معنى الحديث، هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم لهم واتفاقهم عليه، قال إلا أن في ذكرها ـ يعنى العصا ـ دليل على عسفه لهم وخشونته عليهم وقال بعضهم هو حقيقة أو مجاز عن القهر، والضرب، ونقل: محمد طاهر الهندي، في شرح غريب الآثار عن شرح المصابيح، أنه عبارة عن التسخير، كسوق الراعي، انتهى. فظهر بهذا: إن المذكور في الحديث يكون له تسلط على الناس حتى يقهرهم ويستولي عليهم كاستلاء الراعي على غنمه بحيث لا يتخلف أحد من رعيته عن طاعته ومن تأمل ما وقع من كثير من الناس من التخلف عن متابعة هذا الأمير والخروج عن طاعته والعصيان لأمره وعرف ما قاله العلماء في معنى الحديث، أوجب له ذلك: التوقف فيما قاله هؤلاء العلماء والإنكفاف عما أقدموا عليه هذا لو لم ينقل في شأن القحطاني إلا هذا. فكيف وقد قال القرطبي: يجوز أن يكون القحطاني هو: الجهجاه، المذكور في الحديث الذي رواه مسلم يشير إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل، يقال له الجهجاه" ونقل في بعض الأخبار: أن خروج القحطاني بعد المهدي كما سيأتي بيانه. وأما إسلام القحطاني، أو إيمانه، فليس في حديث الصحيحين تعرض لذلك، وقد تقدم الحديث، ولفظه: "لا تقوم الساعة، حتى يخرج رجل من قحطان، يسوق الناس بعصاه" وليس في هذا ما يدل على إسلامه، ولا إيمانه، كما أنه لا يدل على كفره، ولا نفاقه، بل هذا: خبر مجرد كإخباره صلى الله عليه وسلم بالجهجاه وهذا من أنباء الغيب التي أخبر بها ﷺ كما أخبر بالفتن، والملاحم، والدخان، والدابة، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك مما أخبره به ﷺ مما

سيكون نعم: إن ثبت ما رُوى: أن خروج القحطاني يكون بعد المهدي، وأنه يسير على سيرة المهدي، فلا شك أنه من أهل الإسلام والإيمان ومن الدعاة إلى شريعة محمد ﷺ فقد وردت أحاديث تدل: على خروج المهدي، وحكمه بالقسط والعدل، وهى: مذكورة في سنن أبي داود، وابن ماجة وغيرهما، منها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لو لم يبقى من الدنيا إلا يوم، لطوّله الله حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي، يوطء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا" وقد ورد حديث، فيه:"لا مهدي إلا عيسى بن مريم". قال شيخ الإسلام:ابن تيمية رحمه الله تعالى هو حديث ضعيف رواه يونس عن الشافعي عن شيخ من أهل اليمن ولا يقوم بإسناده حجه وقال الذهبي في الميزان يونس ابن عبد الأعلى، أبو موسى الصدفي، روى عن ابن عيينة وابن وهب وعنه ابن خزيمة، وأبي عوانه، وخلق، وثقه: أبو حاتم وغيره، ونعتوه بالحفظ، والعقل إلا انه تفرد عن الشافعي بذلك الحديث: "لا مهدي إلا ابن مريم" فهو منكر جدًا، انتهى. وقال: صديق - في عون الباري بعد ذكر حديث القحطانى يكون بعد المهدي ويسير على سيرته، رواه أبو نعيم بن حماد في الفتن، انتهى، فإن ثبت هذا فهو يدل مع أحاديث المهدي على تأخر خروج القحطاني وأنه لا يخرج إلا بعد خروج المهدى وأنه يكون على سيرة حسنة وحالته مرضية، لا كما نقل عن البعض، أن حديث الصحيحين، يدل على أنه: مسلم، وليس بالمؤمن فإن الحديث لا يدل على ذلك لا بمنطوقه ولا بمفهومه، فإن كان صديق قال ذلك، فلا يخفى ما فيه. وكذلك النقل عن صديق أنه قال: أقرب ما يكون القحطاني المذكور في الحديث، أنه محمد بن رشيد في ثبوته عنه نظر، فقد قدمنا في هذا جزم صديق في كتابه بأن خروج القحطاني يكون بعد خروج المهدي واستدلاله على ذلك بما رواه أبو نعيم، فكيف يتفق هذا، وذاك؟! ولا شك في عدم ثبوت هذه المقالة عمن اخذ عن صديق وسمع كلامه. فلذلك: أقول ينبغي أن ينظر فيمن نقل هذا عن صاحبنا، الذي نقل عن: صديق،

وعلى تقدير ثبوت هذا فهو قولٌ مجردٌ عن الدليل، ومناقض لما قرره، هو واستدل عليه، كما عرفناك قريبًا (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا)[النساء:٨٢] والله أعلم». [١] - انتهى الاقتباس - ٨٦

كما يذكر لنا حفيد الشيخ خزعل، صاحب كتاب "تاريخ الكويت السياسي" نبذة مُختصرة عن العصر الذهبي لحاكم نجد الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد وكيف توسعت البلاد وتوطد النظام ونمت الموارد في فترة حكمه، فيقول:
« يُعتبر محمد بن عبد الله بعد أخيه طلال أقوى من حكم هذه البلاد من أسرة آل رشيد، حيث عكف على تنمية موارد بلاده وتوطيد النظام ونشر الأمن في ربوعها بفضل إدارته الحازمة وعدله. وكان الباب العالي يؤيده، لذلك لم يكتف بما كان تحت يده من البلاد، بل احتل الرياض عام ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م وتوسعت حدود إمارته حتى امتدت من وادي السرحان إلى وادي الدواسر ومن تيماء وخيبر إلى قرب الخليج العربي، وكثيرًا ما تمتد إلى تدمر وجبال حوران شمالاً. واستتب الأمر للأمير محمد الرشيد في نجد ودان له النجديون بالولاء بالنظر لما كان يتمتع به من رجاحة العقل ووفرة الكرم ولين الجانب. فرأى أن يزيد في إرضاء النجديين، وفي عام ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م سمح للأميرين عبدالله وعبد الرحمن الفيصل بالذهاب إلى الرياض والإقامة فيها، غير أن المنية لم تمهل الأمير عبد الله فقد توفي بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد في ٢ربيع الثاني ١٣٠٧هـ - ٢٦تشرين الثاني ١٨٨٩م». [٢] - انتهى الاقتباس -

---

[١] كتاب : الدُرر السنية في الأجوبة النجدية – الجزء الأول.

[٢] كتاب : تاريخ الكويت السياسي ٥ أجزاء \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.




# الوهابية : وبداية العلاقة مع الغرب والإنجليز

لقد كانت مُعظم الدول الاستعمارية الغربية آنذاك ترى في وجود دولة الإمبراطورية العثمانية، خطرًا داهمًا يتهددهم، وحجر عثرة يقف أمام تطلعاتهم الاستعمارية، فكانوا يرون في بقاء ذلك الكيان الإسلامي المُترابط الأوصال مُعضلة سياسية وجغرافية كبيرة، حيث كانت تلك الدولة الإسلامية ومُنذ نشوئها تشكل هاجسًا وخطرًا عظيمًا يُهدد تخوم أوربا ويقطع الطريق على مصالحها الحيوية في بقية المُستعمرات، وخصوصًا الطريق البري المؤدي إلى الهند؛ والتي ستكون بدورها من أهم مُستعمرات بريطانيا، حيث كان يفرض على المُستعمرين الغربيين؛ وخصوصًا الإنجليز؛ المرور برًا في أراض الإمبراطورية العثمانية للوصول لتلك المستعمرات النائية، أو يتكلفون مشاق الالتفاف حول البحار والمحيطات لكي يصلوا لمُستعمراتهم، وهو ما يُضاعف الجهد ويرفع تكاليف ومدة الإبحار لتلك الرحلات البحرية لعشرات الأضعاف من الزمن المطلوب للوصول إليها برًا، ولهذا نشطت رحلات الاستكشاف البحرية الأوربية للوصول إلى طرق جديدة ومُختصرة تتوجت لاحقًا باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

فكان الإنجليز والفرنسيون من عُتاة المُستعمرين الطامعين الذين يتململون من وجود تلك العقبة الكأداء أمام طموحاتهم ومشاريعهم الاستعمارية، وكانوا يتحينون الفرص لزعزعة وتفتيت جسد الخلافة الإسلامية، كي يجدوا لهم ممرات برية وبحرية مفتوحة وطرق سريعة، وحينها سيحصلون على مواطئ أقدام يستفيدون منها في بسط نفوذهم التجاري والسياسي وزيادة سيطرتهم العسكرية، وهذا ما تمَّ لهم لاحقًا في منطقة الخليج العربي.

وسنلاحظ كيف توجهت أنظار نابليون للسيطرة على طريق الهند البري والتهيؤ لاحتلال بلاد الشام وقطع الطريق البري على مُنافسيه الإنجليز، حيث كان التنافس على أشده بين تلكما الدولتين الاستعماريتين، وكان السباق محمومًا بين جواسيس وعملاء بريطانيا من جهة، وبين جواسيس فرنسا من

الجهة الأخرى، وربما يجد الباحث ضالته في مُذكرات الجاسوس الفرنسي تيودور لاسكاريس، وكذلك في مذكرات صبيه النصراني السوري فتح الله الصايغ الحلبي، حيث تكشف تلك المُذكرات بجلاء عن تلك النوايا الاستعمارية التوسعية الفرنسية القديمة، وتوضح الجهود الكبيرة التي بُذلت لكسب ود زعماء القبائل البدوية سواء كانوا في بادية الشام أو في بادية العراق؛ وحتى في درعية نجد، ولكن هزيمة نابليون المُبكرة على يد الروس وئدت وبددت ذلك الحلم الاستعماري الفرنسي وإن كان إلى حين، إذ سرعان ما عاد ذلك المشروع الاستعماري التوسعي مُشتركًا بعد مرور قرن من الزمان، فيما سُمي لاحقًا باتفاقية سايكس وبيكو.

وربما يجد القارئ ضالته في مُذكرات المُعتمد البريطاني السابق في بغداد السير هارفرد جونز بريدجز Sir Harford Jones Brydges والذي عاصر عبد العزيز بن محمد بن سعود وكان نائبًا للقنصل البريطاني في البصرة المستر صاموئيل مانستي Samuel Masesty، والذي أكد في تقاريره الاستخبارية الموجهة للخارجية البريطانية العلاقة الوثيقة التي تجمع بين عبد العزيز بن محمد وولده سعود، وبين المُقيمية البريطانية في البصرة، ومُراسلاتهم المُستمرة مع القنصل البريطاني في البصرة المستر مانستي، حيث جاء في كتاب السير هارفرد "موجز التاريخ الوهابي" ما نصه:

« توصل (نابليون) بونابرت في مايو ١٨٠٧م (صفر ١٢٢٢هـ) إلى مُعاهدة فنكنشتاين (Finkenstein) مع شاه فارس، كان من أهم بنودها قطع العلاقات السياسية والتجارية بين الفرس والبريطانيين، وإعلان الشاه الحرب عليهم، وتعيين سفير فرنسي في طهران وتقديم المُساعدات المُمكنة للفرنسيين في هجومهم على الهند، في مُقابل تقديم التدريب العسكري الأوربي للشاه والمُساندة الدبلوماسية ضد الروس. ولم يمض على مُعاهدة فنكنشتاين سوى شهرين حتى توصل نابليون إلى هدنة تليست (Tilsit) مع قيصر روسيا، مما أضعف من ثقة الشاه بالوعود الفرنسية، وزاد من مخاوف البريطانيين على

الهند، فصدرت أوامر الحكومة في لندن بإرسال هارفرد جونز بعد منحه لقب البارونية (Baronetcy) في بعثة إلى طهران بمُهمات مُتعددة ومُعقدة في بلاد فارس والعراق. وقد أمر جونز في حال فشله في تلك المُهمات بالاتصال بالأمير سعود بن عبد العزيز زعيم الدولة الوهابية الذي كان يسيطر في ذلك الوقت على جزيرة العرب من البحر إلى البحر لكسب تعاونه ضد أي تقدم فرنسي من البحر المتوسط في اتجاه الهند». [۞] - انتهى الاقتباس -

لذلك فقد سُرَّ الإنجليز كثيرًا عندما علموا أن هنالك عصابات بدوية مُتمردة وخارجة على سلطة مركز الخلافة الإسلامية، وتوسموا خيرًا بتلك الحركات المُتمردة، وذهب البعض من المُستعمرين لأن يكون عربيًا أكثر من العرب أنفسهم، فيًطالب بنظام حكم عربي للمناطق العربية وطرد الأتراك منها، وهو ما تمخضت عنه الفكرة الجهنمية التي عرضها السير هنري مكماهون ولورنس على الشريف حسين في مكة لاحقًا.

أما بالنسبة لعلاقة الإنجليز مع آل سعود، فكما ذكرت فإن ظهور الحركة الوهابية مُمثلة بآل سعود، فأنها باتت تشكل أكبر مصدر للإزعاج والقلق بالنسبة للعثمانيين، وأصبحوا ورقة رابحة يتنافس عليها الإنجليز والفرنسيين، ولهذا فإن ظهور تلك الحركة الدموية قد أسعد الإنجليز كثيرًا وكادوا أن يطيروا من الفرح، بالرغم من الخلاف الديني والأيدلوجي والعقائدي وحتى الحضاري، لأن همهم الأساس كان تطبيق سياسة (فرق تسد) ولا ضير في أن يتحالفوا مع الشيطان نفسه في سبيل تحقيق مصالحهم الإستراتيجية في إزاحة ذلك الكابوس العثماني الجاثم على صدورهم، والذي يقف عقبة أمام توسيع مشاريعهم الاستعمارية في المنطقة.

لذلك كانت العلاقة بين بريطانيا وبين السعوهابية مُتدرجة بثلاث مراحل، حيث بدأت أولاً بمشاعر الإعجاب والشغف في المرحلة الأولى لبروز الوهابية

---

[۞] كتاب : موجز التاريخ الوهابي \ تأليف: السير هارفرد جونز بريدجز.

**وتحكم محمد بن سعود وأبنائه فيما بعد بتلك الحركة النشطة، فلزم الإنجليز موقف المُراقب الحذر، ولكنهم كانوا يتابعون بلهفة واهتمام ذلك الدور الجديد الذي يُمكن أن يلعبه ابن سعود مع حركته الوهابية في خلخلة الجبهة الجنوبية لكيان الخلافة الإسلامية.**

**ثم نضجت تلك العلاقة الغرامية لاحقًا وتحولت إلى علاقة غزل وإغراء بين الطرفين، وخصوصًا في عهد سعود بن عبد العزيز، ومن ثم في فترة ما يُسمى بالأسرة السعودية الثانية إبان حكم فيصل بن تركي، وكان بالإمكان أن تصل تلك العلاقة المشبوهة بين الطرفين إلى مرحلة الفراش بين الطرفين، لولا سقوط تلك الإمارة على يد آل رشيد، ومن ثم تفرق أفرادها في المنافي الخليجية.**

**وأما المرحلة الأخيرة فقد توجت تلك العلاقة بدخول عش الزوجية وتكللت بعقد لزواج كاثوليكي بين الإنجليز وآل سعود بعد صبر طويل وطول ترقب ومُعاناة وهيام ولهفة واشتياق، حيث كانت العلاقة الأخيرة عبارة عن ضم واحتضان ورعاية، تمخض عنها ولادة قيصرية لجنين طفلة مشوهة سُميت لاحقًا بالسعودية، وتلك المرحلة الثالثة تكاد تكون ثمرة تلك العلاقة السفاح غير الشرعية التي جاءت بعد ذلك الغزل الطويل والمُراسلات بين الإنجليز والوهابيين مُمثلين بآل سعود الذين احتكروا المنصبين معًا الديني والسياسي.**

**وأقرب تشبيه بلاغي لتلك العلاقة الغرامية المشبوهة التي نشئت بين الطرفين البريطاني والسعوهابي عبر مراحلها الثلاثة، هو ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي، في قصيدة (خدعوها)، حيث يقول في أحد أبيات تلك القصيدة:**

**نظــرةٌ فابتــسامةٌ فــسلامٌ          فكــلامٌ فموعــدٌ فلقــاءُ**

**وسوف أقوم بإذن الله بإيراد تلك العلاقة المصيرية الخبيثة بين الأسياد الإنجليز وأتباعهم وصنائعهم من الوهابيين في مراحلها الثلاثة التراتبية، ولكن سوف يكون الجزء الأخير والمهم من تلك العلاقة الوطيدة بين**

البريطانيين وصنيعتهم العميل العتيد ـ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود ـ في كتابي القادم، لأنهُ يحتاج لمزيد من الشرح والتفصيل والتوضيح، وهو ما سأسعى إليه بإذن الله تعالى.

وكذلك الأمر بالنسبة للفرنسيين الذين كانوا يُنافسون جيرانهم وأعداءهم التقليديين الإنجليز في الاستحواذ على بعض مناطق النفوذ في أفريقيا وآسيا، فكانوا هم أيضًا يصطدمون بقوة ونفوذ الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، ناهيك عن العامل الديني والحقد التاريخي المُتجذر من خلال إرث الحروب الصليبية، والتي خرجت أولى شراراتها من مدينة كليرمونت الفرنسية، والتي أصلت تلك العقدة الدينية الناقمة لدى هؤلاء المُستعمرين الذين يرون في ضياع القدس "أورشليم" منهم في العصور الوسطى، على أنهُ كان خطأً تاريخيًا مهولاً وغلطة جيوسياسية لا تُغتفر، تمامًا مثلما يرى المُسلمون الآن الوضع بالضبط.

لذا فقد كان الأوربيون يتحينون الفرصة للقضاء على كيان الدولة العثمانية، وقد بدأت مخاوفهم منذ أيام حكم السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي أرهق وأقلق أوربا في زمانه، ومن يقرأ رسالة الإمبراطور الألماني شارلكان يعرف مدى الخوف والهلع الذي أصاب الممالك الأوربية، فعندما سيطر شارلكان الألماني الكاثوليكي المتعصب من آل هابسبورغ على أوروبا في زمن الخليفة العثماني سليمان القانوني، حيث أصبح شارلكان الألماني إمبراطورًا على أغلب ممالك أوروبا من إسبانيا إلى النمسا وبوهيميا والمجر، وقد تحالف مع الصفويين في إيران ضد الخلافة الإسلامية العثمانية، حينها أصيبت أوربا بالفزع من قوة الدولة العثمانية، فأرسل شارلكان المذكور في ١٦ نيسان ١٥٢٣م برسالة إلى سفيره في بريطانيا يقول فيها:

«..... وعليك أن توضح للملك والكاردينال مبلغ الخطر الذي يتعرض له العالم المسيحي... ونكاد نعتقد أن الأتراك سينوون مُهاجمة العالم المسيحي هذه السنة، وستكون أرض المعركة إما في إيطاليا أو هنغاريا أو في البلدين معًا

وفي الوقت ذاته........ ولكن أينما هاجم الأتراك في العالم المسيحي فإن ذلك من شأنه أن يُعرض كرامتنا، بصفتنا إمبراطورًا وحاميًا للكنسية، إلى الامتهان. كما أنهُ يُعرض كرامة أخينا حامي الإيمان، إذا نحن تغاضينا عن مثل هذا التحدي في حياتنا. وإذا سمحنا للعدو أن يقوم بمثل هذا العمل العدائي فأنهُ سيكون بمثابة وصمة عار تلحق بنا إلى الأبد، هذا فضلاً عما سنتعرض إليه من بؤس وشقاء».[*] -انتهى الاقتباس-

وتدل هذه الرسالة الأوربية المُرتعبة على مبلغ الفزع الذي انتاب أووربا من جراء التوسع الإسلامي العثماني، ولهذا لم يدخروا وسيلة أو طريقة للتخلص من تلك الدولة العظيمة وتفتيت أوصالها.




---

[*] كتاب : نشوء القومية العربية - ١٩٦٨ \ تأليف: زين نور الدين زين.

لذا فقد رأى الإنجليز في ظهور الحركة الوهابية في قلب نجد فرصة ذهبية سانحة للنيل من سيادة الخلافة العثمانية، ووجدوا فيها سبيلاً لمشاغلتها وإضعافها ومن ثم تفكيكها، وكذلك فعل الفرنسيون وغيرهم من المُستعمرين الذين رأوا في بروز الوهابية كحركة مُتمردة مناوئة للإمبراطورية العثمانية سلاحًا مُدمرًا وفعالاً يُمكن أن يؤدي خدمة تاريخية جليلة لتنفيذ مشروعهم الاستعماري في السيطرة على المنطقة العربية بالكامل، ومن ثم تقسيمها؛ كما حدث لاحقًا في اتفاقية سايكس بيكو سيئة الصيت. بل من يقرأ كتب المُستشرقين ومذكرات الرحالة الغربيين في تلك الفترة، يفاجئ بالتشجيع الحماسي والحميمية التي يكتب بها هؤلاء الغربيون عن حركة محمد بن عبد الوهاب، وهو أمر يدعو للحيرة والعجب والاستغراب أيضًا!.
فمن خلال ما دّونه الرحالة والموظفون الأوربيون؛ سواء كان تقرير الضابط الفرنسي جان ريمون أو ما ذكره مانجان، وأيضًا ما دونه المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي، وكذلك ما ذكره الرحالة السويسري- البريطاني جون لويس بوركهارت ومواطنه المُعتمد البريطاني السير هارفرد جونز بريدجز، وأيضًا ما أورده الموظف البريطاني جون غوردن لوريمر وغيرهم، نلمس ذلك الإعجاب والتشجيع والتعاطف المفضوح مع الوهابيين، رغم دمويتهم وخروجهم على أبسط مبادئ القانون الدولي الذي يتبجحون به ليل نهار!.

والسبب الرئيس وراء تعاطف وتأييد هؤلاء المؤرخين والرحالة الغربيين من النصارى وحتى اليهود، مع تلك الحركة الدينية المتطرفة والذي من المُفترض أنهم يختلفون معها دينيًا وعقائديًا وحضاريًا، أنهم كانوا يرون فيها الشرارة الأولى التي ستندلع في أطراف وجسد الخلافة الإسلامية وهي حتمًا ستنهك تلك الإمبراطورية المُتربعة على عرش الآستانة، وهم واثقون كل الثقة أن تلك الحركة الدينية الوحشية سوف تساهم في نخر وإضعاف قوة وسطوة تلك الإمبراطورية الإسلامية وتقطيع أوصالها، وتهيأ عملية الاقتسام لاحقًا.

كما يفعل الإنجليز والأمريكان والإسرائيليين بالضبط في وقتنا المعاصر في تغذية وتحريض الأقليات العرقية للانفصال عن بعض الدويلات العربية التي قطعت أوصالها وجُزئت أصلاً من جسد الخلافة الإسلامية السابقة التي كانت تحكم الوطن العربي بأكمله وجزء كبير من العالم الإسلامي.

فنفس السيناريو الاستعماري القديم يتكرر اليوم وبنفس الأيادي الآثمة الخبيثة لقوى الإنجلوسكسونيا والفرانكفونيا، مضافًا إليها الصهيونية العالمية مُمثلة بإسرائيل وأذرعها في الغرب، فتجدهم يدعمون ويُمولون المتمردين الأكراد في شمال العراق وسوريا وتركيا وحتى إيران، وكذلك يغذون المذهبية والطائفية في العراق كي يُقسموه ويُفتتوه لكي يضعفوا دوره الإقليمي في المنطقة باعتباره يُشكل خطرًا داهمًا على الكيان الصهيوني، وأيضًا يحرضون السُذج من السودانيين سواء كانوا في الجنوب أو في دارفور للانفصال، كي يمزقوا أوصال السودان ويسيطروا على ثرواته النفطية ويُهيمنوا على منابع نهر النيل الذي يغذي مصر، بينما تجدهم في المُقابل يحرصون كل الحرص على بقاء النظام السعودي الخادم لمصالحهم الاستعمارية!.

ومن يقرأ كتاب السويسري المولد البريطاني الجنسية "جون لويس بوركهارت" وكذلك مواطنه "هارفرد جونز بريدجز" ويطلع على شوفينيتهم البغيضة ووصفهم المُجحف بحق الأتراك كعنصر بشري، وكعادات وتقاليد وكحضارة وثقافة، سيلمس جيدًا مقدار تحامل الأوربيين والإنجليز على العنصر التركي، وسيُلاحظ البغض الذي يكنه لهم هؤلاء المُستعمرون، وسيرى محاولاتهم الحثيثة للتقليل من شأن الأتراك كأمة عظيمة وكإمبراطورية واسعة في حينه، حينها سيكتشف القارئ جليًا أن حقد هؤلاء القوم على الأمة التركية نابع أصلاً بسبب عجزهم عن إزاحة الأتراك ومزاحمتهم لهم ومنعهم من الوصول إلى المنطقة، بسبب قوة الأتراك وعنفوانهم، وجاء أيضًا بسبب اعتناق الأتراك للإسلام والمضي به كُمبشرين وفاتحين نحو قلب أوربا، وهو ما دفعهم لكره كل ما يمت للأتراك بصلة!.

بل إن الرحالة بوركهارت السويسري رغم خطأه المهني في تصنيف العرب كبدو رُحل وحصرهم في البادية، ناسيًا الحضارات العربية المتوالية، إلا أنهُ يُصنف العروبة بالبدو وهو لا يُميز بن العرب والأعراب، وبالرغم من أنهُ يظن أن العرب البدو هم فوضويون وهمج امتهنوا السلب والنهب، لكنهُ يمتدح البدو إذا ما قارنهم بأعدائه التقليديين وهم الأتراك، حيث يُضفي على البدوي صفات الكرم والعرفان بالجميل وإجارة الضيف، عكس التركي الذي ينعته بأشنع الأوصاف، وهذا طبعًا يرجع لمخزون الحقد والغل الذي يكنه هؤلاء المُستشرقين الأوربيين للدولة العثمانية التي أذاقت دولهم الويلات، وليس حبًا في سجايا وصفات البدو كما يزعم.

فيُقارن مثلاً جون لويس بوركهارت في كتابه ملحوظات عن البدو والوهابيين، بين شخصية التركي المُتعجرف وبين شخصية البدوي العربي، الهمجي حسب وصفه قائلاً: « ويبدي العربي سلوكه الرجولي للعيان عندما يدافع عن ضيفه، ويعرض حياته للخطر، ويواجه الحظ العاثر والكرب المخيب للرجاء، باستسلام أعظم الصابرين، وإلى جانب أنه متميز عن الأتراك، بفضائله بالشفقة، والعرفان بالجميل، والتي نادرًا ما يمتلكها الأتراك، فإن التركي فظّ، ولكن العربي ذو مزاج لطيف مهذّب، فهو يرأف ويساند المسحوقين. ولا ينسى أبدًا أي كرم وسماحة عومل بهما حتى ولو كان ذلك من عدّوه. فالعرب غير متعطشين للدماء، كتلك المناظر التي تقسي وتفسد قلوب العثمانيين. ويتعلم البدوي منذ نعومة أظفاره كيف يمسك عن، أو يمتنع عن شيء ما، وكيف يعاني، ويتعلم من خبرته عظمة الرأفة والعزاء. إن العربي إنسان حُرّ، مفعم بالحيوية والنشاط، فكهُ (ميّال للتنكيت أو المزاح) وأصيل في محادثاته المألوفة. إنّ التركي مُتملّق، قاتم، حذر في حديثه، ونادرًا ما يضحك، ومغرم في فرط فحشه أو في تلميحاته غير المحتشمة التي لا يراعي فيها شعور الآخرين. والعربي ليس صامتًا كما يصوّره بعض الرحالة، فهو على النقيض رفيق مرح. ويجب الاعتراف أن العرب قليلاً ما يتكلمون في رحلاتهم، ذلك أنه أثناء

الإعياء الذي يصيب المسافر في حرِّ الصيف، فإن التكلم يثير العطش، وينشف الريق، ولكنهم عندما يجتمعون في أفياء خيامهم، فإنهم يواصلون محادثة مفعمة بالحيوية، فيما بينهم بدون انقطاع.... الخ. إن الأمل بسخاء الله سبحانه والاستسلام الكامل إلى إرادته الإلهية، إنما هي أمور مغروسة في أعماق صدر العربي، ولكن هذا الاستسلام لا يشل البدوي من بذل مجهوداته الكبيرة، وذلك بعكس الأتراك (حيث الاستسلام المطلق يشل بذل المجهود عندهم). ولقد سمعت عربًا يعيبون على الأتراك لا مُبالاتهم وغبائهم، وذلك أنهم (الأتراك) يعزون إلى إرادة الله سبحانه ما هو في الحقيقة مجرد نتيجة لأخطائهم الخاصة أو غبائهم، وإنني هنا اقتبس مثلاً يقول: "لا تفتح صُرمَك للدبابير وتقول تقادير"...الخ. والبدوي متهم وبكل تأكيد بحُب اكتساب المال واختزانه ونزعته إلى السلب؛ ولكن فضائله من الكثرة بحيث تقيل الكثير من عثراته، بينما التركي والذي يتميز بنفس الصفات الوراثية كالبدوي (رغم حاجة التركي لإعطائها - هذه الصفات - منفذًا ولكنه نادرًا ما يتصف (أي التركي) بأية صفة جيدة وحميدة. إن من يفضل حرية البدو الفوضوية، على شعور اللامبالاة والاستبداد لدى الأتراك، يحب أن يُسلّم أنه من الأفضل أن تكون عربيًا همجيًا في الصحراء موهوبًا فضائل طبيعية على العبودية اللمّاعة التي يتصف بها الأتراك والذين رغم قلّة الرذائل الرهيبة، عندهم (الأتراك) إلا أن فضائلهم قليلة جدًا».[۞] - انتهى الاقتباس -

تخيلوا هو يتمنى لنفسه وربما للقارئ، أن يكون عربيًا همجيًا في الصحراء على أن يكون تركيًا مُستبدًا مُستعبدًا، كما يزعم! وللعلم فإن هذا الكلام كان قد دوّنه بوركهارت قبل مائتي عام تقريبًا من الآن، أي حينما كان الإمبراطورية العثمانية في أوج عظمتها، وحينما كانت سدًا منيعًا وشوكة في نحر الغزاة المُستعمرين.

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف : جون لويس بوركهارت.

وأما مسألة تغزلهم وإشادتهم بالوهابية وأصحابها، فهو ليس حبًا عذريًا لها بل نكاية بالدولة العثمانية العصية عليهم، وإلا فهم يدركون جيدًا أن الدولة العثمانية كانت دولة مهابة الجانب ولها تأثيرها في العالم، وخاضت حروبًا طاحنة مع ملوك أوربا الصليبيين، بينما الوهابية كانت حركة متمردة في قلب الصحراء خارجة عن طاعة ولي الأمر الشرعي وخليفة المُسلمين أجمع في كافة أصقاع المعمورة؛ على الأقل حسب الفقه الوهابي الذي لطالما دندن أتباعه على وتر وجوب إطاعة ولي الأمر، وكفَّروا كل من يخرج عن الجماعة فكانوا هم أول من خرج على سلطة ولي أمر المُسلمين الشرعي آنذاك!!.

وكذلك سنلاحظ كيف كان المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي، هو وجان ريمون، كيف كانوا يتوسمون المصلحة في ظهور الوهابية، ويراهنون على أنها ستكون الند والخصم العنيد لدولة الخلافة العثمانية؛ التي كانت تزعجهم كثيرًا وتؤرق منامهم، حيث كانت آنذاك تمثل عائقًا سياسيًا وعسكريًا أمام طموحاتهم الاستعمارية، حيث يقول:

« فإذا قارنا حاضرهم بماضيهم وقارنا بين يوم ظهورهم ويوم توصلهم إلى التقدم والازدهار، وجدنا أن قومًا عظماء كهؤلاء بما يتصفون به من سرعة الحركة في الصحراء القاحلة، واعتبار التقشف من الصفات الأساسية، ويجعل التعب المُتزايد أساس تدريبه، نرى أنهُ لا ينقصه ليصبح غير قابل للانكسار سوى النظام العسكري لأفراده، وتعلمه أساليب الدفاع ضد العدو، والرغبة بالتحكم في جيرانه والعلاقات التجارية التي باشر بعقدها مع الأوربيين الذين يكنون له تقديرًا كبيرًا. إن هذا سيقوده حتمًا إلى غايته. وقد انتشرت فكرة الفتوحات وعمت جميع الطبقات وأحيت ذكرى قوة العرب السالفة، حتى في قلوب الضعفاء منهم، أمل العودة إلى حكم أمراء من قومهم. وتأييدًا لما أقول، فقد سمعت بالأمس وهابيًا يقول بلهجة التنبؤ "اقترب الوقت الذي سنرى فيه عربيًا على عرش الخلافة، فقد بقينا ما فيه الكفاية تحت حكم المُغتصب". ولم أذكر هذه الحادثة إلا لأسترعي الانتباه إلى درجة الغليان الذي يسود هذه البلاد

والطريق الذي تواجه بها الوهابية.....الخ. إلى أن يقول في موضع آخر في نفس الكتاب: وقد نبذ الشيخ محمد بنفس الشدة كل أنواع التكريم سواء للمسيح أم لموسى أم لغيرهما من الأنبياء ممن يعترف بهم المسلمون، وأعلن استياء الله من الأتراك لما يبدون نحو محمد، وبيَّن أن هدفه هو محو هذه الوثنية والعودة بالناس إلى عبادة الله وحده. وأضاف أن المسلمين الذين يبقون على التعاليم السائدة، ليسوا سوى وثنيين يستحقون القتل لأنهم خاطئون بحق الجلالة، ومدنسون للعبادة التي هي من حق الله...... الخ.
ثم يقول: ومن الغريب أن يكون الوهابيون أكثر تساهلاً مع اليهود والمسيحيين. ويبدو أنهم لا يُضايقونهم إذا وقعوا تحت حكمهم، ولا يُحاولون ضمهم إلى دينهم. وإن كان إجراء طقوس هذه الديانات في العلن محظورًا عندهم. فإن المسيحيين واليهود لا يُمنعون من الصلاة في منازلهم. والضريبة الوحيدة التي يخضعون لها تستوفى بمعدل خمسة قروش عن الشخص الواحد. وخلاف ذلك فأنهم لا يدفعون أية إتاوات، ولا تُلحق بهم أية مضايقات خاصة، لذلك فهم أوفر حظًا في حكم الوهابيين مما هم عليه في حكم العثمانيين». [۞] - انتهى الاقتباس -

ويبدو أن نتائج تلك التقارير الاستخبارية السرية التي كان يبعثها عملاء بريطانيا وفرنسا في المنطقة العربية، أدت لاحقًا لاستغلال ذلك الطموح العربي ومن ثم إيهام بعض قيادات العرب وخداعهم بمشروع الوحدة العربية المزعوم، ودغدغة مشاعرهم بأن من سيحكمهم في حال ثاروا على الأتراك سيكون ملكًا عربيًا بدلاً من الخليفة العثماني، وقد كان غرضهم أن يحرضوا العرب ويدفعونهم للثورة على نظام الخلافة الإسلامية التي كانت تؤرقهم وتقف حجرة عثرة أمام مشاريعهم الاستعمارية التوسعية، وهذا ما تمَّ فعلاً خلال ما سمي بالثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين وأبنائه.

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسيارت.

وقد تحولت الحركة الوهابية بقيادة محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب لأكبر عصابة سلب ونهب في التاريخ، حتى أن الكثير من القبائل البدوية بدأت تنضم لتلك الحركة، ليس إيمانًا منها بمبادئها ولا تدينًا، وإنما خوفًا من البطش، والبعض الآخر سعيًا للكسب السريع وطمعًا في تقاسم الغنائم والأسلاب. فقد كانوا يشنون هجمات سريعة وخاطفة ويحصدون الكثير من الغنائم الثمينة من المواشي والأموال تحت شعار الدين وتحت راية التوحيد المزعوم، حتى اكتظت خزائن عبد العزيز بالكنوز والأموال والذهب، وإذ يستغرب جان ريمون من إخلاص هؤلاء البدو لتلك الحركة؛ نسي أن فكرة السلب والحصول على الأموال بسرعة ودون مشقة سيدفع جميع البدو للدخول والمشاركة في ريع تلك العصابة المُساهمة، لكنه عاد وعزى سبب تلك الطاعة العمياء لدافع الخوف من القتل والتصفية الجسدية، حيث يذكر لويس دوكورانسي عن طاعة هؤلاء البدو لعبد العزيز الذي كان يحكمهم بالنيابة عن أبيه محمد بن سعود قائلاً:

«ونتيجة لتلك الانتصارات وجد عبد العزيز خزائنه مكتظة بالكنوز كما وجد نفسه على رأس جيش رهن إشارته، وكان أتباعه يخلصون له إخلاصًا أعمى، بحيث كان يكتفي في حال حاجته للغزو، بأن يكتب لقبيلة ما كتابًا بهذا المعنى: "من عبد العزيز إلى الشيخ فلان، يجب وجود عدد كذا عدد من الرجال في اليوم الفلاني في المكان الفلاني"، فكان هذا الطلب يُنفذ حرفيًا. ولا ينبغي استغراب إخلاص كهذا لأن أي تردد كان يؤدي إلى موت من يلجأ إليه».۞

والخطأ الإستراتيجي الذي وقع فيه الباب العالي، أنهُ تهاون واحتقر تلك التحركات المُتمردة وخصوصًا الوهابيين، وكان يرى فيهم مُجرد لصوص وقطاعين طرق وعصابات سلب ونهب منظمة، عكس الإنجليز والفرنسيين الذين توقعوا مُستقبلاً باهرًا لتلك الحركة وأتباعها، وقد ندم الباب العالي أشد الندم لأنهُ تجاهل تلك الحركة الدموية في بداياتها ولم يقضي عليها مُبكرًا،

---

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسيارت.

وكان ينظر لها بعدم المُبالاة، ولم يحسب العثمانيون حساب استغلال مثل تلك الحركات من قبل الخارج لتقويض سلطة الخلافة الإسلامية في الآستانة. وأولى الدلائل الموثقة التي دلَّت على وجود علاقة وطيدة بين الوهابية وبين الإنجليز، هي لمحات مُقتضبة ذكرها المُعتمد البريطاني السابق في العراق إبان عهد عبد العزيز بن محمد بن سعود، وهو السير هارفرد جونز، حيث أورد في مُذكراته أن هنالك علاقات ومراسلات وهدايا بين المُقيمية البريطانية في البصرة وبين رئيس الوهابيين عبد العزيز بن محمد بن سعود ومع ولده سعود فيما بعد، حيث يقول: « عندما كان السيد لاتوش (Latouche) يشغل منصب المُقيم (البريطاني) في البصرة، كان يُرسل من وقت لآخر هدايا صغيرة إلى (عبد العزيز بن محمد بن) سعود، وكان ابن سعود يُعبر عن امتنانه عند استلامه لها، وقد واصلت أنا والسيد مانستي (Mancsty) هذه العادة ولذلك نادرًا ما كانت تُعترض إرسالياتنا. وحتى عندما يتم احتجاز حاملي البريد من وقت لآخر فإن الإرساليات كانت تصل إلينا دائمًا في نهاية الأمر دون أن تفض أختامها. وهكذا تمَّ الحفاظ منذ ذلك الوقت على تفاهم جيد بين طائفة الوهابية والوكالة. وقد علمت فيما بعد ولأسباب جيدة أن ابن سعود كان تواقًا إلى استمرار هذا الوضع».[۞] - انتهى الاقتباس -

وهو ما أكده أيضًا الضابط الفرنسي جان ريمون في مذكرته أو في تقريره الاستخباري المذكور، ونقلها عنه لويس دوكورانسي، وكذلك ما ذكره الموظف البريطاني لوريمر.

أما الاتصالات بين الوهابيين والإنجليز، فقد كانت هنالك علاقات واتصالات سرية جرت بين الإنجليز من خلال قنصلياتهم وممثلياتهم في كل من إيران والعراق وبعض إمارات الخليج، وبين محمد بن سعود وصاحبه محمد بن عبد الوهاب، إلا أنها لم توثق أو تدون في مصادر أو وثائق رسمية، بسبب شح تلك

---

[۞] كتاب : موجز التاريخ الوهابي \ تأليف: السير هارفرد جونز بريدجز.

الفترة من عمليات التدوين والحفظ، ولكن أولى دلائل تلك الاتصالات المدونة هي علاقة القنصل البريطاني في بغداد، وكذلك المُراسلات بين المُقيم البريطاني في البصرة المستر مانستي، وبين عبد العزيز بن محمد بن سعود في عهد محمد بن عبد الوهاب، وكذلك المُراسلات التي تمت بين القنصل البريطاني في بوشهر وبين سعود بن عبد العزيز، حيث يذكر المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي نقلاً عن الضابط الفرنسي جان ريمون في كتابه "الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ" الآتي:

« وقبل هجمات سعود الأخيرة بمدة طويلة، أي في الوقت الذي كان السلام قائمًا بين بغداد والدرعية، كان قنصل إنكلترا المُقيم في بغداد يُحاول معرفة موقف عبد العزيز، فقدم له الهدايا الثمينة، وطلب منه برسالة فيها الكثير من التودد، أن يؤمن رسُله المحملين ببريد الهند ويحميهم أثناء اجتيازهم الصحراء من البصرة إلى حلب. وقبل عبد العزيز هداياه وأجابه بما اعتاد عليه من إيجاز: "استلمت كتابك وسيمر رسلك بحرية طالما يسود السلام بيني وبين باشا بغداد."....الخ.

إلى أن يقول: كان عبد العزيز دقيقًا وصادقا في المُحافظة على مواثيقه، وكان المُمثل البريطاني المُقيم في البصرة قد حاول توثيق الصلات بينه وبين عبد العزيز، لتسهيل إرسال الطرود بين البصرة وحلب، وطلب ذلك إلى عبد العزيز الذي أصدر أمرًا يُحذر جميع التابعين له من مغبة التعرض لمُراسلي المُقيم السيد مانستي!! وبالرغم من هذا التحذير فقد سلب الوهابيون مراسلاً يحمل طردًا إلى حلب. فشكا المُمثل البريطاني المُقيم الأمر لدى عبد العزيز الذي أذاع بلاغًا إلى جميع الجهات يطلب مثول المذنب أمامه. ولابد أن المذنب اقتنع أنهُ لن يستطيع النجاة من غضب سيده. فجاء مرتميًا عند قدميه وبيده الطرد المفقود، فكان الموت عقابًا لعدم طاعته، وأمر عبد العزيز بقطع رأسه، بعد أن غمس الطرد بدم هذا المسكين، أعاده ملوثًا بالدماء إلى السيد مانستي، ليبين له الدقة التي يُحافظ بها على تعهداته. ومهما كانت دوافع عبد العزيز السرية،

يجب القول بأنه كان للسياسة قسط أوفر في عمله هذا، كما كان للصداقة المُتبادلة بينه وبين المُمثل المُقيم البريطاني». [۞] -انتهى الاقتباس-

وهنا تجدر الملاحظة من خلال ما ذكره الضابط الفرنسي جان ريمون وكذلك المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي عن طبيعة تلك العلاقة بين عبد العزيز بن محمد بن سعود وبين الإنجليز مُمثلة بالمُقيم البريطاني في البصرة والقنصل البريطاني في بغداد، أنها كانت تبدو علاقة وطيدة وممتازة قد نشئت بين الطرفين وفق تبادل للمصالح أو الخدمات. فمن غير المعقول أن يغضب عبد العزيز كل ذلك الغضب العارم لأجل سلب ونهب بريد خاص بالإنجليز، بينما قام هو وأبوه من قبله ومعهم محمد بن عبد الوهاب بسفك دماء أبناء الجزيرة العربية وهم عرب أقحاح ومُسلمون وقتل الأبرياء من شيوخ ونساء وأطفال، ولم يرجف له جفن ولم يهتم أو يغضب كما فعل عندما علم أن أحد سعاة البريد الخاصين بالمستر مانستي قد تمَّ سلبه!!!. إذن هنالك ما هو أكبر وأهم من علاقة عابرة، وقطعًا كان هنالك ثمن مادي ومعنوي تلقاه عبد العزيز من الإنجليز لقاء خدماته لهم، بحيث أن المُقيم البريطاني قد طلب منه أن يؤمن الطريق لبريدهم من البصرة حتى حلب، وقد فعل عبد العزيز!.

ولو فرضنا جدلاً أن هنالك صفقة تمت بين الإنجليز وعبد العزيز بن محمد بن سعود بأن يمنع جماعته من السلب والسطو على بريد الإنجليز، وفق رسوم مالية أو أعطيات بريطانية كما منحت لأحد أحفاده لاحقًا، وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، فهذا يعني أن الحركة الوهابية كانت مهمتها السلب والنهب وخلخلة أوضاع الدولة العثمانية لصالح الإنجليز والفرنسيين، وهي أول من سنّت سُنة السلب والنهب، الذي لطالما أزعجنا وهابيو هذا الزمان من أن عبد العزيز بن سعود الأخير، هو من قضى على مظاهر السلب والنهب وهو من جلب الأمن للبلاد والعباد زعمًا.

---

[۞] كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف: لويس دوكورانسيارت.

إذن ها هو التاريخ يُثبت أن مظاهر السلب والنهب وخلخلة الأمن كانت من صنع أجداده وكانت بدعة وهابية صرفة، حيث هم أول من درّب البدو على السرقة وعلمهم الحرمنة وقتل الحجاج وعابري السبيل بدم بارد، ووفق فتاوى وهابية جاهزة تبيح دماء هؤلاء الأبرياء.

ولهذا فلا نلوم الضابط الفرنسي جان ريمون حينما يعجب في تقريره ويشمئز أيضًا من تصرف عبد العزيز إزاء تلك الحادثة، حيث حاول عبد العزيز أن يُثبت من خلالها للمُمثل البريطاني في البصرة صداقته الحميمة وعمق ولائه للإنجليز بحيث قطع رأس البدوي المسكين الذي سرق البريد، ومن ثم غمس الطرد بدم ذلك القتيل وأرسله للمستر مانستي، حتى يُثبت له الولاء والحزم والطاعة أيضًا.!!

## ▪ سعود بن عبد العزيز واللعب على ورقة القرصنة:

لم يجد أتباع آل سعود في الوقت المُعاصر حجة للدفاع أو النفاح عن الوهابية سوى القول إن الإنجليز كانوا قد تآمروا مع المصريين لكي يزيلوا الحكم السعودي ـ الوهابي من الدرعية، ودليلهم على تلك الادعاءات المُضحكة هو مُقابلة الضابط البريطاني الكابتن سادلبير لإبراهيم باشا وتهنئته بانتصاره على دولة آل سعود. ولهذا وجدت أن من المهم توضيح تلك الفرية التاريخية وتفنيد تلك الحجة الواهية التي ينعق بها أتباع الوهابية، وإزالة اللبس المُتعمد والغبش عن عيون الجهلة والمُغرر بهم، ليس دفاعًا عن سياسات والي مصر محمد علي، ولا نفاحًا عن إبراهيم باشا، بل لتوثيق الواقعة التاريخية وكشف حقيقة ما جرى، وتوضيح حرباوية آل سعود وفضح مُراسلاتهم السرية مع الإنجليز، وتلاعبهم بورقة القرصنة للضغط على الإنجليز، وتحقيق المكاسب الشخصية والأهداف السياسية على حساب جهاد ونضال عرب القواسم.

ويجب أن أسجل حقيقة تاريخية أخرى هنا، وهي أن المصلحة كانت مُشتركة بين الجميع أي بين كل أطراف النزاع، فالوهابيون ربحوا كثيرًا من وراء التلويح للإنجليز بورقة القرصنة حتى بعد زوال حكمهم في الدرعية، والقواسم هم أيضًا ربحوا بالترويج للبعبع الوهابي وجنوا بعض المكاسب في مفاوضاتهم مع الإنجليز من خلال إثارة الرعب في سواحل الخليج والادعاء أنهم موجهون من قبل أمير الوهابيين، والإنجليز كذلك حققوا أهدافهم ومصالحهم الإستراتيجية المهمة، حيث استغلوا الرعب الدولي والفوبيا من عمليات القرصنة في سواحل الخليج العربي، فوضعوا لهم قواعد بحرية ومركز مُتابعة ومكاتب تجارية تتبع لشركة الهند الشرقية في كل زاوية وركن من مناطق الخليج العربي. لقد طرحوا أنفسهم كحامي للسفن التجارية أو كشرطي للخليج يُحافظ على سير الملاحة الدولية، بزعم مُلاحقة القراصنة ولفرض النظام عبر بوارجهم الحربية، والفضل في ذلك يعود للدور الذي لعبه الوهابيون ومعهم القواسم، سواء كان بعلمهم أو بدون علم.

ولكن يجب أن أوضح مسألة مهمة وهي أن عمليات ما يُسمى بـ"القرصنة" في الخليج العربي لم تكن وليدة الساعة ولم تنشأ في عهد الوهابيين، بل كانت عمليات المُقاومة ومُطاردة سفن الأعداء، سائدة منذ الاحتلال البرتغالي لسواحل عُمان وبقية الجزر في داخل الخليج العربي، ولكنها لم تكن بتلك الكثافة والفعالية التي حدثت في عهد تواجد الأساطيل الإنجليزية.

ويذكر لنا الموظف البريطاني في حكومة الهند الإنجليزية جون غوردن لوريمر في كتابه الشهير "دليل الخليج" عن بدايات ما يُسمى بعمليات "القرصنة" في سواحل الخليج العربي، حيث كان العُمانيون يُقاومون ويُهاجمون سفن الاحتلال من قبل أن يتمكن الوهابيون في المنطقة، وكان يُطلق عليهم من قبل الأوربيين بـ"قراصنة الساحل"، حيث يقول في كتابه:

« وفي سنة ١٦٧٧م - حين زار دكتور فراير منطقة الخليج - كان أهل عُمان قد اكتسبوا بالفعل شهرة في أنهم "قوم قُساة مُعتدون، يكسبون من السلب والنهب قدر كسبهم من التجارة". وبحلول سنة ١٦٩٥م، كان هؤلاء قد تورطوا تمامًا في أعمال القرصنة، وأصبح لديهم خمس سفن ضخمة على ظهرها حوالي ١٥٠٠ رجل، وكانوا قد أغاروا على كنج واستولوا على سفينة للأرمن، وهددوا بندر عباس حتى طلب موظف الجمارك الإيراني فيها إبقاء السفينة الإنجليزية "ناساو" مدة عشرين يومًا لتحمي الميناء، وأجيب إلى طلبه. وقد أدت هذه الأحداث إلى أن يتنبأ كابتن برانجوين - وكان ذلك الوقت هو وكيل الشركة في إيران - "بأن يصبح العمانيون طاعونًا في الهند، كما كان المغاربة طاعونًا في أوروبا".... الخ. وفي سنة ١٧٠٥م استولى العمانيون على سفينة غينية كان يقودها كابتن ميرفيل، وكانت مُحملة من البنغال في طريقها إلى إيران، واستولى عليها العمانيون نتيجة بحارتها الذين لم يبدو أية مُقاومة. وفي سنة ١٧٠٤- ١٧٠٥م، أعلن مجلس إدارة شركة الهند القديمة قراره بتسليح السفن بمُجرد انتهاء الحرب مع فرنسا، وذلك "لتطهير البحار وقطع دابر هؤلاء القراصنة من أعراب مسقط" ».[۞] - انتهى الاقتباس -

وعلى هذا الأساس استمرت عمليات مهاجمة وقطع الطريق على السفن الإنجليزية قبل أن يعتنق القواسم المذهب الوهابي، لأنهم عانوا الأمرين من بطش وبلطجة الأساطيل الأوربية التي كنت تمخر عباب الخليج، ولكن صادف لاحقًا أن تتفق المصلحة الوهابية مع مصلحة القواسم، حينما سيطر ابن سعود على أجزاء من مناطق عُمان الكُبرى، حيث لم تكن آنذاك دولة الإمارات العربية المُتحدة، وكان الصراع قائمًا على أشده بين سلطان عُمان والوهابيين الذين بدأوا يزحفون على سلطنته ويُهددون عرشه. وعن بروز عرب القواسم كقوة بحرية مُرعبة للأوربيين ومُقلقة للإنجليز، يذكر لنا لوريمر:

---

[۞] كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

«وفي نهاية الفترة التي نحن بصددها أي ١٧٧٨م -١٧٨٠م، كان القواسم في رأس الخيمة قد بدأوا الإسراف في عمليات قرصنة بلا تمييز. وما لبثوا إلا سنوات قلائل حتى ذاعت شهرتهم..... الخ. غير أن نذير مُستقبل مُزعج بدأ في هجمتين جريئتين قامت بهما قبيلة القواسم في البحر. حيث استولوا سنة ١٧٩٧م على السفينة البريطانية "باسين"، كما هاجموا المُدمرة البريطانية "فايبر"». ۞ -انتهى الاقتباس-

وقد وجد آل سعود ضالتهم في شجاعة وعناد عرب القواسم، فاستفادوا من جهادهم ونضالهم الطويل ثم جيروه لصالحهم في محاولة منهم لابتزاز الإنجليز للاعتراف بهم كأسرة حاكمة وكقوة باطشة يمتد ذراعها على ساحل الخليج العربي.

وعن تلك الشراكة أو التحالف الوهابي – القاسمي، يذكر لوريمر:

« فالحركة الوهابية كانت القوة البرية الصاعدة والقواسم كانوا يمثلون القوة البحرية التي لا تعبأ بالهجوم على السفن البريطانية. لقد انزعج البريطانيون كثيرًا من القواسم ووجهوا حملاتهم ضدهم في العام ١٨٠٥ و١٨٠٩م، ولكن هذه الحملات لم تكن لتمنع القواسم من معاودة النهوض وترتيب أسطولهم من جديد. وبعد تحالف القواسم مع الوهابيين، وازدياد خطرهم في المنطقة وجّه الوالي العثماني محمد علي باشا حملته ضد الوهابيين عام ١٨١٩م، فاستغلت بريطانيا الفرصة وقامت بمهاجمة القواسم في رأس الخيمة في العام نفسه. وقد استطاع البريطانيون تدمير أسطول القواسم وكان من نتائج هذه الحملة التوقيع على معاهدة السلم العامة عام ١٨٢٠م». ۞ -انتهى الاقتباس-

وصحيح أن الإنجليز كانوا يتعاملون مع القواسم على أنهم أعداء ألداء يسعون لهزيمتهم والتخلص منهم بأي وسيلة كانت، ولكنهم بنفس الوقت كانوا يتواصلون سرًا مع سعود بن عبد العزيز، ويجزمون أنهُ ليس له علاقة بما

---

۞ كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

**يُسمى بعمليات القرصنة التي يقوم بها عرب القواسم، بل كانوا يجدون الأعذار والمُبررات لابن سعود وينفون ادعاءات القواسم حينما يقولون إنهم مكلفون من قبل الوهابيين بتلك الأعمال، ويفسرونها على أنها مُجرد ادعاءات باطلة هدفها تخويف الإنجليز وإعلامهم أنهم مدعومون من قِبل حُكَّام الدرعية، ولكن فات على القواسم أن آل سعود كانوا على تواصل دائم مع القنصل البريطاني في البصرة المستر مانستي، وربما يكون القواسم قد نجحوا في إرهاب الإنجليز لفترة وجيزة، ولكن بعد الاتصالات التي أجراها الإنجليز مع حُكَّام الدرعية، فقد وصلوا إلى حقيقة مفادها أن القواسم غير مدعومين من قِبل الوهابيين، وأن أمير الوهابية وعدهم بالوقوف على الحياد إذا ما فكّروا بالهجوم على عرب القواسم، وتلك الحقيقة يذكرها لنا أيضًا الموظف البريطاني في حكومة الهند الإنجليزية، لوريمر، حيث يقول:**

**«وأخيرًا لاحت في أواخر يوليو أمام الحلفاء فرصة لمُحاصرة أسطول القواسم في رأس قشم فانتهزوها بغير تأخير. لكن سلطان عُمان كان فاترًا حيال عقد مُعاهدة شاملة وسريعة مع القواسم، كما يبدو أن المُقيم البريطاني أيضًا قد اهتم أكثر مما يجب باعتذراتهم الحارة ووعودهم الكثيرة بدفع التعويضات. أما حكومة بومباي فيبدو أنها أسرفت في تثمين قيمة الدرس الذي لقيه القواسم، لذلك جنحت في البداية إلى فرض شروط رهيبة وقاسية من أجل الصلح، ولكن حين تحققت من استحالة تنفيذ مثل تلك الشروط دون استمرار القتال، وافقت على أن ينص في المُعاهدة على إعادة هيكلي السفينتين (شانون) و(تريمر) بعد أن نُهب منهما كل ما لهُ قيمة. وتنازلت الحكومة الهندية أيضًا عن مطالب التعويضات لقاء تعهد من القواسم بدون ضمانات بحسن السلوك في المُستقبل. وكان تاريخ ما سُمي بهذه المُعاهدة هو ٦ فبراير سنة ١٨٠٦م. وقد كان في الموضوع نقطة ذات بال ألا وهي الشك في علاقة أمير الوهابيين بالموضوع (بموضوع القرصنة)، فقد استند القواسم إلى إملائه في تبرير بعض أعمالهم اللاحقة، وعبثًا حاول المستر مانيستي أن ينجح في أخذ تعويضات منه مع أنهُ**

أرسل له (لسعود) مبعوثًا خاصًا. وفي ذلك الوقت كان يسود منطقة الخليج تصوير مُبالغ فيه لقوة الوهابيين، وقد استغله القواسم بذكاء كي يُقنعوا البريطانيين بالقبول بتسوية غير مُجزية. لقد كانت حصيلة تلك الإجراءات الروتينية، وما واكبها من تعليمات وأوامر للمقيم البريطاني بتلافي الاحتكاك بالوهابيين والإيرانيين والأتراك، وكذلك ما حصل من خلاف في الرأي بين المقيم (البريطاني) وزميله في البصرة والمحمرة، أدى إلى تأجيل الفصل الحاسم مع القبائل إلى أن وجدت القرصنة جوًا أفضل في المُستقبل لتعود إلى الحياة ناشطة». ۞ - انتهى الاقتباس -

ويؤكد لنا لوريمر من جديد في كتابه "دليل الخليج" أنه لا توجد علاقة تربط القواسم بأمير الدرعية، ويذكر هذا الموظف البريطاني العتيد وبحماسة منقطعة النظير الأدلة الدامغة على براءة أمير الدرعية من تهمة القرصنة التي يرمونه بها عرب القواسم، وهذا يدل على أن الإنجليز أصبحوا مُحامين بالنيابة عن الوهابيين فباتوا يترافعون عن آل سعود، حيث يجتهدون بتبرئة أمير الوهابيين من تهمة عمليات القرصنة.

ويعزو لوريمر سبب عمليات القرصنة تلك إلى جشع وعداوة القواسم للإنجليز ثم يذكر كيف أرسل الإنجليز بخطاب إلى أمير الوهابيين يستفسرون منه عن موضوع القرصنة، فردَّ زعيم الوهابيين على الإنجليز برسالة يعلن فيها موقفه المُحايد، وأنه طلب من جميع أتباعه أن لا يُهاجموا أي سفينة بريطانية، حيث يذكر لوريمر: « القواسم في سنة ١٨٠٩-١٨٠١م، وانتعشت عمليات القرصنة انتعاشًا شديدًا، كما أنها بدأت في الوقت الذي كان فيه الوهابيون في وضع سيء، حيث تقلص نفوذهم المحلي إلى حد الزوال، الأمر الذي يوضح أن عداوة هذه القبائل العربية (القواسم) وجشعها كانا الدافع الأول لهذه الاضطرابات في مياه الخليج (العربي) ، وليس مرد ذلك إلى تحريض الوهابيين

۞ كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

لهم، أو استكراههم إياهم على القرصنة كما كانوا من قبل يزعمون. وكانت القوة الوحيدة في منطقة الخليج (العربي) التي تقف ضد الوهابيين والقواسم على السواء هي سلطنة عُمان، التي استمرت في حرب دائمة مع هذين الطرفين...... الخ. ولقد أخفقت الحملة في الحصول من القبائل العربية على اعتراف بالهزيمة أو إقرار رسمي بالكف عن الأعمال العدائية في المُستقبل. وهكذا ظل السلم في البحر مهمة قائمة لم تنجز بعد، وقد أرسل خطاب إلى أمير الوهابيين في الموضوع، فبعث برد يُعلن فيه حياده بالنسبة للبريطانيين، مؤكدًا أنهُ طلب إلى أتباعه ألا يُهاجموا السفن البريطانية».[۞] -انتهى الاقتباس-

ويذكر لوريمر أيضًا أن مبعوثًا خاصًا قد أرسله زعيم الوهابيين في حدود عام ١٨١١ – ١٨١٢م إلى إيران، لغرض تقديم عروض لقيام علاقات صداقة وتعاون تجاري مع الإنجليز، وهذا يعني أن ذلك الرسول قد أُرسل هذه المرة من قبل الأمير سعود بن عبد العزيز، الذي توفي عام ١٨١٥م، ولولا تدخل سلطان عُمان الذي كان على عداء شديد مع الوهابيين وسبق له أن عقد مُعاهدة دفاع مُشترك مع الإنجليز، لوقع الإنجليز مُعاهدة تعاون وحماية مع سعود، ولكن اعتراض سلطان عُمان حال دون توقيع المُعاهدة ولهذا ترددت حكومة الهند الإنجليزية. ويبدو أن سعود لم ييأس فقام بإقناع القواسم بالكف عن عملياتهم وعدم الاعتداء على السفن الإنجليزية لغرض مصالحه الخاصة، وقد أرسل مبعوثًا جديدًا إلى المُقيم البريطاني في بوشهر هو وشيخ القواسم معًا يعرض إقامة علاقات دبلوماسية مع الإنجليز، ويعلن موافقته على توقيع اتفاقية يتوقف من خلالها القواسم عن الاعتداء على أي سفينة تحمل العلم البريطاني، ويُعيدوا الممتلكات التي استحوذوا عليها من السُفن البريطانية، وتعهدوا أنهم سيرفعون علمًا خاصًا بهم لتميزهم البحرية البريطانية. وعن تلك المُراسلات يورد لوريمر: «لم يكن موقف حكومة الهند حيال الوهابيين والقواسم في السنوات العصيبة التي أعقبت حملة ١٨٠٩-١٨١٠م؛ مُحددًا،

---

[۞] كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

وربما بسبب هذا التردد نفسه ضاعت نتائج كل العمليات السابقة. ولم يقصر مبعوث الوهابيين الذي زار إيران في سنة ١٨١١ أو ١٨١٢م، في أن يُقدم للمُقيم البريطاني في بوشهر عروضًا لقيام علاقات الصداقة والتجارة المُتبادلة بين الدولتين، غير أن حكومة الهند ترددت في القطع بهذا الأمر حتى سنة ١٨١٤م، حين قررت دون إجحاف ببقاء أو زيادة روابط الصداقة والاتصال، أن تتحاشى الدخول في مُعاهدة مع أمير الوهابيين، وقبل أن يُرسل سلطان عُمان حملته على رأس الخيمة في سنة ١٨١٤م، حيث حاول أن يُقنع السلطات البريطانية في الهند بالاشتراك معه في العمل ضد القواسم. وكان يُجادل أيضًا بأن اتفاقيتي ١٧٩٨ و١٨٠٠م، بينه وبين الدولة البريطانية يُشكلان تحالفًا دفاعيًا هجوميًا بينهما، مما يستحيل معه على بريطانيا أن ترفض مطلبه، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق على قناعاته تلك. ولم تقدم إليه أي نوع من المعونة البحرية أو العسكرية، غير أن المقيم البريطاني في الخليج - بأوامر من حكومته - رافق الأسطول العماني إلى رأس الخيمة في مُناسبتين، غير أنه لم تبد فرصة مواتية كان معها مأمولاً في تدخل ناجح من جانبه لنصرة المصالح البريطانية. وقرب نهاية سنة ١٨١٤م، ونتيجة طلب تقدم به المُقيم البريطاني بالتعويض عن حادثة مُعينة، وصل إلى بوشهر مبعوث يحمل إليه خطابات من أمير الوهابيين وشيخ القواسم ويعرض مبدئيًا شروط اتفاقية يتوقف بمُقتضاها القواسم عن اعتداءاتهم على السفن التي ترفع العلم البريطاني، ويعيدون بعض الممتلكات التي كانوا قد استولوا عليها من السفن البريطانية، وأن يتخذوا لهما علمًا مُميزًا يرفعونه على سفنهم. لكن هذه التعهدات ظلت حروفًا ميتة لم تنفذ.....الخ. وفي سنة ١٨١١ أو ١٨١٢م وكعرض من أعراض القلق لدى الوهابيين أو على الأقل كدليل على رغبتهم في الخروج عن سياسة العُزلة المُطلقة التي كانوا يلتزمونها، أرسل أمير الوهابيين مبعوثًا إلى الحكومة الإيرانية في إقليم فارس. غير أن هذه البعثة لم تحقق أية نتائج». ۞ - انتهى الاقتباس -

---

۞ كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

### ▪ الوهابيون والتشبث بشماعة الكابتن سادليير:

لا شك أن العلاقات الإنجليزية الوهابية بدأت فعليًا في عهد الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي كانت له علاقة صداقة حميمة مع المُقيم البريطاني في البصرة المستر مانستي، وإن كانت هنالك علاقات أو إشارات سبقت ذلك العهد، فليس هنالك مصادر تاريخية توثقها، وكما مرَّ معنا فقد ذكر لوريمر أن أمراء الدرعية سبق لهم وأن أرسلوا عدة مبعوثين للإنجليز، وهم بالمُقابل أرسلوا لهم خطابات خاصة من قبلهم، وكادوا أن يعقدوا مع سعود بن عبد العزيز اتفاقيات مُشتركة، لولا اعتراض سلطان عُمان، بل على العكس فقد كان الإنجليز على الدوام يبرؤون حُكَّام الدرعية من تهم القرصنة، وكانت علاقات الإنجليز بهم جيدة.

ولكن بسبب الجهل المُطبق وعدم الإطلاع يستغل المؤرخون السعوديون الخلط التاريخي وقلة المصادر فيقلبوا الحقائق ويُصوروا الوهابيين أو آل سعود بأنهم كانوا على عداء شديد مع الإنجليز وأنهم شوكة في نحر الكفار، وأنهم كانوا ضد الفرنسيين وغيرهم من الإفرنجة، ولكي يُثبتوا كذب ادعاءاتهم الزائفة يتشبثون بشماعة ذلك الضابط البريطاني "الكابتن جورج فورستر سادليير"، الذي قابل إبراهيم باشا، وتجدهم دائمًا وفي كل مُجادلة يُلوحون بورقة الكابتن سادليير، والقول إذن لماذا ذهب الضابط البريطاني سادليير ليُهنئ إبراهيم باشا على انتصاره على الوهابيين، فهم يعتبرون هذا دليلاً قاطعًا على أن الإنجليز كانوا يتآمرون مع المصريين في سبيل القضاء على حُكَّام الدرعية!. دون أن يكلفوا أنفسهم في البحث والتحقيق والتدقيق، لأن الحقيقة هي عكس ذلك تمامًا، فالبريطانيون والفرنسيس كانوا منزعجين جدًا من تمدد دولة الخلافة العثمانية كما مرَّ ذكره، وكان من صالحهم أن ينهزم وينكسر الجيش المصري في مواجهة الوهابيين، ليس لأن هذا الجيش يُمثل محمد علي، بل لأنهُ يُعتبر في تلك الفترة على الأقل ذراع اسطنبول الضارب،

بل إن محمد علي قد عاد مُسرعًا إلى مصر وترك قواته في الحجاز لأنهُ علم أن القوات البحرية الفرنسية تجول سواحل البحر المتوسط، وخشي أن تعود لتحتل مصر من جديد، وأما الإنجليز فقد سبق لهم وأن منعوا الفرقاطة الحربية المصرية الوحيدة التي يمتلكها محمد علي من الإبحار لمُساندة قواته في الحجاز.

وأما صراع الإنجليز ضد ما يُسمى بعمليات "القرصنة" التي يقوم بها عرب القواسم، فلم يكن العداء معهم لأنهم من أتباع الدرعية، بل لأنهم كانوا يُهددون سير الملاحة الدولية ويُعرقلون تجارة الإنجليز في الهند المارة عبر شواطئ الخليج العربي، ومع هذا فقد أثبت لنا الموظف البريطاني في حكومة الهند الإنجليزية لوريمر أن الإنجليز لم يكن لديهم أي مشاكل أو عداء تاريخي مع حاكم الدرعية، كما أكَّد في كتابه "دليل الخليج".

ولم يشعر الإنجليز قط بأن لهم عداء مُستحكم أو حرب مع حُكَّام الدرعية، بل سرعان ما عادوا وفتحوا معهم القنوات السياسية بعد عودة فيصل بن تركي من مصر، وأرسلوا له القنصل البريطاني في بوشهر لويس بلي لإكمال ما بدؤوه من مشاورات في السابق للتفاهم على ضبط الأوضاع في الخليج. كان الإنجليز منزعجين كثيرًا من ما يسمونهم بالقراصنة، أي عرب القواسم من قبل أن يعتنقوا الوهابية، وكان هؤلاء يشكلون خطرًا على سير السفن، ويُهددون سلطة إمام مسقط، ولهذا فقد فوجئ الإنجليز حينما علموا بأن القائد المصري إبراهيم باشا قد نجح نجاحًا مُذهلاً وقضى على حُكَّام الدرعية الوهابيين قضاءً مُبرمًا، فأسقط بيدهم وتأملوا أن يستمر في حملته ويقضي على عرب القواسم قرب السواحل ويريحهم منهم، وبهذا يكونوا قد استفادوا هم من تلك العملية العسكرية دون أن يدفعوا تكاليف الحرب أو يخسروا جنودهم، لكن إبراهيم باشا أنهى مهمته بنجاح وقرر الانسحاب من المنطقة، ولم يكن في باله الاستمرار في حملته أو السيطرة على مناطق أخرى.

ولهذا قرر الإنجليز أن يتشاوروا مع إمام مسقط حول إقامة حلف عسكري ضد عرب القواسم، ومن ثم الطلب من إبراهيم باشا أن يسير معهم ليقضي على القواسم، وقررت حكومة بومباي الإنجليزية بالهند إرسال ضابط الارتباط البريطاني الكابتن جورج فورستر سادلبير ليقوم بتلك المهمة العاجلة، وفعلاً جاء سادلبير للتشاور مع سلطان عُمان وقد حصل على موافقته، ومن ثم قرر الذهاب فورًا إلى الدرعية لمُقابلة القائد المصري إبراهيم باشا لمفاتحته بالأمر وعرض بنود الشراكة أو التحالف عليه، في سبيل القضاء على دابر "القراصنة" في الخليج العربي، بل كان من المُقرر أن يمنح الإنجليز مدينة رأس الخيمة إلى إبراهيم باشا في سبيل إغرائه في المُشاركة في حرب القواسم، لكنه رفض تلك المُغريات. ويؤكد لنا لوريمر ذلك العرض المُغري، حيث يقول: « وفي ربيع سنة ١٨١٩م، أرسل الكابتن "سادلبير" كطليعة من بومباي ليبحث إجراءات التعاون مع البريطانيين ضد القواسم وكذلك إمكانية التعاون مع القوات المصرية التي كانت عندئذٍ تحتل نجد والأحساء، وقد فوض الكابتن سادلبير في أن يعرض على قائد القوات المصرية إعطاءه رأس الخيمة لإغرائه على المُشاركة في الحملة (العسكرية). وقد تمَّ التوصل إلى اتفاقٍ مُرضٍ مع السيد سعيد (إمام مسقط). ولكن التفاهم مع المصريين لم يكن مُمكنًا منذ البداية، فقد جلا هؤلاء نهائيًا من جميع مواقعهم في الأحساء ومن بعض مواقعهم في نجد، قبل أن يحين موعد الحملة البريطانية في خريف سنة ١٨١٩م». ۞ - انتهى الاقتباس -

وسنجد أن هنالك مُراسلات قد تمت بين الكابتن سادلبير وبين الحاكم العام ورئيس المجلس الحاكم في بومبي في ٧ نوفمبر ١٨١٨م، يذكر الحاكم فيها برغبته في مفاتحة إبراهيم باشا ودعوته للمشاركة مع الإنجليز في الهجوم على شاطئ القراصنة، وأن ينتهزوا الفرصة في انتصارات إبراهيم باشا

---

۞ كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

**ويُهنئوه بنجاحه في حملته العسكرية، ويرسلوا له أحد السيوف كهدية، ومن ثم يقترحون عليه الشراكة معهم في الحرب والقضاء على مركز القراصنة القوي في رأس الخيمة.**

**وسنلاحظ كيف كان الكابتن جورج فورستر سادليير مُتشائمًا ويائسًا منذ البداية من فكرة إقناع القائد المصري إبراهيم بالانضمام إلى حملة الإنجليز وإمام مسقط ضد عرب القواسم، حيث يقول في إحدى رسائله إلى السير إيفان نبيان بارت الحاكم العام ورئيس المجلس في حكومة بومبي:**

**« أما عن خططي المُستقبلية فإنني أود أن أعترف بأنهُ لولا خوفي من إهانة صاحب الفخامة الماركيز هيستنغ Hasting، فإنني كنت سأنهي هذه المسؤولية وأعود من حيث بدأت، ولكن ولاعتقادي بأن مسؤوليتي والتي كلفني بها الحاكم العام (الماركيز هيستنج) لا تقتصر على إقناع الباشا (إبراهيم) في الدخول معنا في حملة عسكرية ضد رأس الخيمة فقط، بل إن أبعادها أكثر من ذلك، لذا سوف أواصل مسيرتي لتنفيذ أوامره».**[۞] - انتهى الاقتباس -

**وكان إبراهيم باشا في ذلك الوقت قد ترك الدرعية ورحل إلى الحجاز، فقام الكابتن سادليير باللحاق به، وهو مُتشائم كثيرًا وواثق من أن مهمته ستفشل، وفعلاً فقد صدق حدسه وحدث ما توقعه وفشلت مهمته، وقد فوجئ إبراهيم باشا بوصول ذلك الضابط البريطاني المشبوه، وسأله بحزم: لماذا أتيت هنا؟ وما سبب تلك الزيارة المُفاجئة؟ ثم طلب منه أن يكتب رسالة عاجلة إلى القنصل الإنجليزي في القاهرة المستر سالت، طالبًا منه توضيح أسباب زيارة ذلك الضابط الإنجليزي له وهو في الجزيرة العربية.**

**ويبدو أن قرار طلب المعونة من القائد المصري إبراهيم باشا قد صدر من قبل الحكومة البريطانية في الهند، دون علم مكتب الحكومة البريطانية في مصر، ولهذا سنشهد لاحقًا صراعات سياسية وتنافس شديد ومحموم بين مكتب**

---

[۞] **كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادليير.**

المندوب السامي في القاهرة وبين مكتب المندوب السامي في بومباي بالهند، وحينما شعر إبراهيم باشا بعجرفة ذلك الضابط البريطاني سادلبير طرده من جده وطلب منه فورًا الرحيل إلى ميناء مخا في اليمن، حيث يذكر الكابتن سادلبير في كتابه، أن إبراهيم باشا أمره أن يُراسل القنصل البريطاني في القاهرة المستر سالت، ويطلب منه توضيحًا لمهمة هذا الضابط البريطاني، حيث يقول سادلبير:

«طلب مني الباشا كتابة رسالة إلى القنصل الإنجليزي في القاهرة (السيد سالت) مُبينًا له أسباب زيارتي لإبراهيم باشا في الجزيرة العربية، وما توصلنا إليه أثناء مُحادثاتنا، وأرسلت بالفعل هذه الرسالة مع رسائل الباشا إلى مصر. وقد طلبت من صاحب السعادة (إبراهيم باشا) السماح لي بمرافقته في طريقه إلى مكة على أن أواصل مسيرتي إلى جدة وأنتظر هناك إلى حين عودته من الحج، ووافق بالفعل على ذلك مع تغيير مُفاجئ في القرار ومن ثم إرسالي إلى ينبع بدلاً من جدة، مع وعد منه بالعودة إلى ينبع، ومُناقشة فحوى رسائلي معه في اجتماع آخر بعد الحج. فلم أجد بديلاً إلا مواصلة السير إلى ينبع مع المجموعة التي نقلت حريم الباشا إلى ينبع. لقد كانت إقامتي في ينبع بائسة وأزداد تأثيرها بعد إصابتي بالحمى مع غياب الراحة والمُساعدة الطبية أو حتى الأدوية اللازمة. ثم عاد الرسول من مصر إلى ينبع في ١٩ أكتوبر، وحمل إليَّ رسالة أثناء غياب السيد سالت من القاهرة. ولأنني أعلم أن هذا الرجل (الرسول) يحمل رسائل إلى إبراهيم باشا من باشا مصر، قررت أن أتوجه إلى جدة وبأسرع فرصة ممكنة، وبالفعل استغرقت رحلتي في السفينة المكشوفة أربعة أيام. وصلنا وقت القيلولة إلى جدة (في السابع والعشرين)، ومع ذلك لم أتمكن من الحصول على سكن لي، إلى ظهر اليوم التالي. لقد كان الباشا مشغولاً عني بالكامل بأمور الباشليك (جدة)، حتى أنهُ لم يسمح لي بمقابلته في أي وقت، وطلبت مُقابلة وزير أو ممثل شخصي له، لكي أستطيع التواصل من خلاله بالباشا، ولكنه لم يُعين أحدًا كما اقترحت. في النهاية أرسل الباشا رسالة

باللغة العربية، يقول فيها إنهُ يعتذر لعدم تمكنه من التعاون، وذلك لأن رسائل الهند وصلت مُتأخرة إليه، وأنه بالفعل كان راغبًا في التعاون، واقترح صاحب السعادة إرسال هدية منه إلى صاحب الفخامة الحاكم العام، وكانت قصة الفرس». ۞

وفي جدة يلتقي سادلبير بإبراهيم باشا وتسوء العلاقة (بينهما) ويبدي سادلبير حسب قوله، بعدم رغبته في قبول هدية إبراهيم باشا (عبارة فرس وحصان مع سرج مهترئ) للحاكم العام في الهند، ويعتذر سادلبير (عن قبول تلك الهدية) بحجة أن اللجام والسرج قديمان ولا يُمكن الحصول على بديل جديد، لذا لا داعي لإرسال الهدية المذكورة. ويقول سادلبير: « لقد أخبرت المُترجم أن يُخبر صاحب السعادة (إبراهيم باشا) بأن الهدية المذكورة والتي سبق وأن استخدامها لا تناسب مقام صاحب الفخامة، والمُتبوء أعلى مركز في السلطة في إدارة الحكومة البريطانية (الماركيز هايستنج). بعد ذلك قام صاحب السعادة (إبراهيم باشا) بالأمر بإنزال الحصان والفرس، ومزّق رسالته التي أعطاها لي لنقلها إلى الحاكم العام، وطلب مني المُغادرة في الغد على ظهر السفينة المُعدة للتوجه إلى (مخا). وهدد بإرسال رسالة من القاهرة إلى الحاكم العام وإعادة السيف إلى الحاكم في الهند». ۞ - انتهى الاقتباس -

ومن خلال مذكرات الضابط البريطاني المُكلف بمُفاتحة إبراهيم باشا، وهو الكابتن سادلبير، نكتشف أن إبراهيم لم يكن له أي تعامل سابق مع الإنجليز، وأنه فوجئ بوصول ذلك الضابط البريطاني، وقد عامله إبراهيم باشا بفظاظة واستعلاء وفوقية واحتقار، ولم يرغب في مقابلته في بداية الأمر، وحينما فرض ذلك البريطاني الثقيل نفسه في المرة الأولى، أرسله إبراهيم باشا إلى ينبع بعيدًا عن جدة، ولما احتال سادلبير وذهب بنفسه إلى جدة في مُحاولة لفرض الأمر الواقع، تجاهله إبراهيم بالكامل، ولم يُقابله ورفض أن يعين أي

---

۞ كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادلبير.

شخص ليتعامل مع سادليير!. ويبدو أن إبراهيم باشا كان قد أرسل رسالة عاجلة إلى والده محمد علي باشا يبلغه فيها برغبة الإنجليز بالتحالف مع المصريين ومهاجمة قبائل الساحل الشرقي للخليج العربي، وحينما وصله الجواب بالرفض، حسم إبراهيم باشا موقفه وقرر أن يبلغ الرسول رفضه للعرض الإنجليزي، فوافق على مضض في مُقابلة ذلك الضابط الإنجليزي القادم بمهمة استخبارية عاجلة، ويبدو أنهُ كان يبحث عن مُبرر أو حجة لطرده من جدة وسرعان ما وجد الُمبرر المُناسب للتخلص من هذا الضيف الثقيل، وذلك بعد أن اعترض على هدية إبراهيم باشا إلى حاكم الهند، فأثار غضب الباشا وأمر بطرده من جدة، وأرغمه إلى الذهاب عن طريق ميناء مخا في اليمن. وبهذا اللقاء العاصف انتهت رحلة سادليير نهاية تعيسة قبل أن تبدأ وفشلت مهمته الاستخبارية السرية فشلاً ذريعًا، وعندها شعر سادليير بالإهانة وجرح في الكرامة ولكنه كان مُضطرًا على قبول الفشل والرضوخ لأوامر إبراهيم باشا، ويبرر قبوله لأوامر إبراهيم باشا المُجحفة بحقه قائلاً: «في هذا الموقف كان لزامًا عليَّ أن أوافق على الأمر، لأنهُ لو غيرت الرأي فإن ذلك يعني السفر على نفقتي الخاصة وإلى الوجهة التي أريدها أنا».[۞] -انتهى الاقتباس-

واضطر سادليير أن يبقى في جدة لأكثر من شهرين، إلى أن غادرها إلى مخا ثم إلى الهند، حيث يذكر في كتابه:

« كان تاريخ هذه الأسطر الرابع عشر من نوفمبر، وبقي هو في جدة إلى الثالث والعشرين من يناير ١٨٢٠م، عندما اقتربت سفينة بريطانية من جدة. ثم ارتحل سادليير من جدة على ظهر السفينة المُسماة بأمير ويلز، ومن جدة إلى مخا في اليمن، والتي وصلت في ١١ فبراير ١٨٢٠م، بعد ستة أسابيع من البقاء في اليمن يُغادر سادليير ميناء مخا متوجهًا إلى الهند ويصلها في الثامن من مايو ١٨٢٠م».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادليير.

ولكن جورج سادلير لم يغفر أو ينسى للقائد المصري إبراهيم باشا إهانته له، وهو يذكرنا بالشخصية الغربية الانتهازية المُعاصرة، فحينما يجد الغربي مصالحه تتقاطع من الأنظمة الدكتاتورية فأنهُ يتجاهل كل المبادئ والقيم، ويتناسى الأخلاق ويصبح ضميره غائبًا ويغط في سبات عميق، وحينما يفقد تلك المصالح يبدأ يُدندن ويعزف على سيمفونية المبادئ والقيم والأخلاق وحقوق الإنسان، وهذا بالضبط ما حصل مع الضابط البريطاني جورج سادليير، فقد كان يتأمل في البداية أن ينجح في تحقيق مصالح جمة وعلاقات وثيقة مع إبراهيم باشا، فكان يكيل من الألقاب والكُنى المزخرفة، وحينما صده إبراهيم باشا ورفض استقبال هدايا الإنجليز، ثارت ثائرة سادليير وبدأ يُشنع عليه، ولهذا نجده قد أظهر تحاملاً وحقدًا على إبراهيم باشا بعد أن عامله كضابط بريطاني مُتعجرف مُعاملة مُزرية تليق بعجرفته، وظهر ذلك جليًا في رسائل سادليير اللاحقة إلى رؤسائه، حيث بدت رسائله شديدة اللهجة ومُجردة من ألقاب صاحب السعادة كما كان ينعته في السابق وأصبحت خالية من اللياقة واللباقة المعهودة التي تعود على إضفائها على شخص إبراهيم باشا، حيث يذكر في أحد رسائله عن إبراهيم قائلاً:

« لقد كان من سوء طالعي أن أكون قد تعرفت على الباشا، ومن مُلاحظاتي الخاصة. أعتقد أنهُ أقدم على أعمال بربرية لا يقبل بها الدين أو الذوق العام وسلب ونهب من القبائل الفقيرة كل ما لديها من أجل مكاسبه الشخصية، وقتل من قتل منهم في ثورات داخلية عنيفة ورغبة منه في سفك دماء الناس. لقد قمت بإبلاغ القنصل العام (البريطاني) في مصر عن مُجريات الأمور مع الباشا، وذلك لكي يقوم بدوره بإبلاغ باشا مصر عن تصرفات ابنه، وسوف أبقى في جدة إلى حين وصول سفينة إنجليزية تنقلني من جدة».[۞] -انتهى الاقتباس-

---

[۞] كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادليير.

وقد كتب في رسالته إلى القنصل العام البريطاني في مصر هـ . سالت H. Salt بنفس الأسلوب الحاقد والناقم والمُحرض على إبراهيم باشا، يتباكى فيها على المذهب الشيعي شارحًا كيف تجاهل إبراهيم باشا كل محاولات شاه إيران بالتقرب إليه، ولم يتجاوب مع الشاه في إرسال بعثة فارسية إلى الأماكن المُقدسة، وبهذا يكون قد أضاع على الدولة المصرية فرصة الحصول على عطايا كثيرة من شاه إيران، مُتأملاً أن تصل تلك المعلومات المُحرضة والمُتحاملة عن إبراهيم باشا إلى والده حاكم مصر محمد علي باشا ليُؤلبه ويُثير غضبه عليه، حيث يذكر في رسالته: « بكل أسف أرسل صاحب الجلالة ملك فارس (الشاه) عدة رسائل إلى إبراهيم باشا، في مُحاولة للتقرب من الباشا ومن أجل الحصول على موافقة الأخير في إرسال بعثة فارسية تزور المدينة (المنورة) باسم الشاه وتقيم الصلاة وتقدم العطايا قرب قبر رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)....الخ. ولم ينجح الشاه في رغباته هذه، وأتقدم بكل احترام إلى ملك الملوك في فارس، وأطلب منه أن يستمر على عقيدته، وأن يطلب الخلاص على يد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من خلال تقديم الألماس والياقوت والأحجار الكريمة إلى مقامه، حيث أنها سوف تقبل دون شك، وربما تكون سببًا في تأخير زيارة عزرائيل للشاه. إنني أخشى أنهُ إذا ما وقع هذا الملك المؤمن في يد محمد علي باشا فإنهُ سوف يكتشف سريعًا بأن الباشا أحد نواب عزرائيل وأكثرهم خبرة على الأرض».[۞] - انتهى الاقتباس -

ومما يؤيد الكلام الوارد أعلاه في أن إبراهيم باشا كان ينتظر جوابًا من والده على اقتراح الإنجليز، لكي يتصرف مع العرض الإنجليزي الذي حمله الضابط البريطاني الكابتن جورج سادلبير، هو ما ذكره المُستشرق الفرنسي إداورد جوان، الذي كان قد عاصر إبراهيم باشا، وسبق له أن رافق حملة شقيقه طوسون باشا إلى الحجاز ، حيث يوثق إدوارد جوان لقاء الكابتن سادليير مع

---

[۞] كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادليير.

إبراهيم باشا في كتابه "مصر في القرن التاسع عشر: سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية" حيث يذكر أن الإنجليز وقعوا في مأزق وحاولوا أن يظهروا أنفسهم على أنهم جاءوا لنجدة الجيش المصري من خلال أسطول بحري، إلا أنهم فوجئوا أن الجيش المصري قد حسم المعركة بسرعة فائقة! هكذا أراد الإنجليز أن يتظاهروا أمام المصريين. ويبدو أن إبراهيم باشا أدرك مأزق الإنجليز وفهم أهدافهم الخبيثة المُبيتة من وراء ذلك الحلف، ولهذا كان رده على الضابط البريطاني فيه نوع من التهكم والمُسايرة الماكرة، حيث شكره وأبلغه أنهُ ليس بحاجة لأي مساعدة وأن الأمر قد تمَّ حسمه لصالح القوات المصرية بدون أي تدخل أو مُساعدة من أي طرف خارجي، ولإدراك إبراهيم باشا أن الإنجليز متضايقين جدًا من تحركات القواسم، وأنهم بحاجة ماسة للدعم المصري، أراد أن يطلع والده أولاً على الأمر ويستلم منه الأوامر، ويبدو أن محمد علي كان واعيًا ومُدركًا لخبث ومكر الإنجليز، فرفض عرضهم بكل ثقة.

وليس تنزيهًا لوالي مصر الطموح محمد علي ولا لولده إبراهيم باشا فقد تكون لهما علاقات صداقة سابقة مع الإنجليز، لكنهما في حرب الوهابيين تحديدًا لم يتعاونا قط مع الإنجليز، وبشهادة الكابتن سادلبير نفسه، وذلك من خلال كتابه "رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م" وكذلك من خلال شهادة المُستشرق الفرنسي ادوارد جوان في كتابه "مصر في القرن التاسع عشر: سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية"، حيث يورد لنا ادوارد جوان قائلاً: «وفي سبتمبر سنة ١٨١٩م، وردت الأخبار إلى إبراهيم باشا، برغبة الكابتن (سادلبير) الضابط بالجيش البريطاني في مفاوضته وأنهُ ليتعذر دخوله المدينة (المنورة) بصفته مسيحيًا، وقد وقف غربيها عند بئر علي، فقصد الباشا إليه في هذه النقطة، فعلم منه أن حكومة

الهند الإنجليزية ساءها تكرار العدوان من قبل سكان سواحل (الحسا) على السفن الماخرة في الخليج الفارسي (العربي) وأنها ما إن علمت بأخبار حملة مصر العسكرية في نجد حتى قررت إرسال أسطول حربي: حماية التجارة البحرية، وتحويل همة الوهابيين تحويلاً يُلائم مصلحة الحملة المصرية. ثم قال إن فرقاطة واحدة وبضع سفن للنقل قد أنزلت ثلاثة آلاف جندي هندي إلى جون القطيف، حيث أصابتهم الدوسنتاريا بسبب رداءة الماء، وأن قائدهم علم عندما وطأت قدماه جزيرة العرب، أن دولة الوهابيين قد زالت وأن الدرعية عاصمتهم قد أصبحت أثرًا بعد عين، فاعترته لذلك دهشة شديدة، إلا أنهُ ودّ أن يُبلغ إلى إبراهيم باشا ما كان مرسومًا للدوننمة الإنجليزية، أن تقوم به من الأعمال المُعززة له. فشكر الأمير له هذه النجدة التي لم يبق لها أي محل بعد، فعرض عليه المستر سادليير خططًا أخرى، مؤداها عودته إلى نجد لاحتلال النقط التي انجلى عنها، فأرسل الباشا إلى والده ليوافيه بهذا الاقتراح، ويسأله رأيه فيه، وقد قدم الضابط الإنجليزي إلى إبراهيم باشا هدايا جليلة، في مُقابل ما قدمه الباشا إليه من المؤن والمرطبات وأظهره نحوه من جميل الرعاية، وجاء الرد من محمد علي إلى المستر سادليير مُباشرة برفض ذلك الاقتراح، وإهداء جوادين كريمين إليه في الآن نفسه، فاعتذر الضابط عن قبولهما، لأن حكومته لم تعطه ترخيصًا خاصًا بقبول مثل هذه الهدية، ثم أبحر بسفينة إلى (مخا) حيث كان ينتظره أمير الأسطول الإنجليزي الذي لم يلبث أن أخذ سمته إلى بومباي».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويؤكد لنا أيضًا الموظف البريطاني في حكومة الهند الإنجليزية لوريمر في كتابه "دليل الخليج" أن الإنجليز كانوا متواطئين مع أمير الوهابيين، وأنهم كانوا عدائيين ضد تحركات الجيش المصري، وقد حرَّضوا عدة قبائل عربية

[۞] كتاب : مصر في القرن التاسع عشر : سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف : ادوارد جوان.

في واحة البريمي لغرض دفعهم لقتال الجيش المصري، وبعد أن انسحبت القوات المصرية تخلى الإنجليز عن عرب النعيم، وأبلغوهم أنهم لن يدعموهم ضد الوهابيين كما دعموهم من قبل ضد المصريين.

وعن تلك الأحداث يقول لوريمر:

« وسرعان ما كشفت أعمال قائد القوات المصرية في نجد أن هدفه كان إخضاع البحرين وعُمان المُتصالحة وسلطنة عُمان جميعًا وضمها إلى مصر. وقامت حكومة الهند من جانبها، وهي مُدركة بأن توسع محمد علي في تركيا الغربية أمر لا ترضى عنه حكومة صاحبة الجلالة، بإصدار أوامرها إلى قائد البحرية في جزر الهند الشرقية، والمُقيم العام في الخليج بإحباط خطة القوات المصرية، وصدرت الأوامر بتولي القوات البحرية مهمة الدفاع عن البحرين، كما شجع البريطانيون قبائل ومشايخ عُمان المُتصالحة للوقوف في وجه المُعتدين، بل وقام ضابط بريطاني بزيارة البريمي ليُشجع بني نعيم المُقيمين هناك في عدائهم للمصريين، وتم تحالف بين سيد عُمان وقريبه حاكم صحار لمُقاومة العدوان المصري، لكن بعض الرؤساء المحليين - ومن بينهم مشايخ البحرين وأبوظبي- كانوا مُترددين متخوفين يودون الخضوع للمصريين الذين يتصورونهم لا يغلبون لأنهم استطاعوا هزيمة الوهابيين، بل إن شيخ البحرين قد دخل سرًا في مفاوضات مع القائد العام (إبراهيم باشا)، انتهت بأن رضي بدفع الجزية لحكومة القاهرة. اعتداءات الوهابيين ١٨٤٤_١٨٥٣م: فبعد انسحاب المصريين، تابع الوهابيون سياستهم نحو الإمارات العربية في منطقة الخليج، غير أن أعمال هؤلاء كانت أقل خطورة من المصريين بالنظر لإمكاناتهم المحدودة، وتنظيمهم غير المُحكم، وجهلهم سياسة أوربا.. وبالتالي فقد كانت الحكومة البريطانية تنظر لهم بشجاعة ولا مُبالاة. وفي سنة ١٨٤٣م أُبلغ بنو نعيم في البريمي أن بريطانيا لن تُساندهم ضد الوهابيين، كما ساندتهم ضد المصريين، لكن نفوذ البريطانيين قد تدخل - على أي حال- ليمنع حربًا أهلية في البحرين (١٨٤٢-١٨٤٥) كانت على وشك أن توقع تلك

الإمارة في أيدي الوهابيين. وقد سُمح لأمير الوهابيين سنة ١٨٤٤م بأن يتملك الدمام عوضًا عن خسارته في البحرين». ۞ - انتهى الاقتباس -

وسنلاحظ أنه بالرغم من هجمات من أسمتهم بريطانيا بـ"قراصنة الساحل" من عرب القواسم، لأنها صنفتهم كأعداء حربيين لأنهم كانوا يُغيرون على سفنها الحربية والتجارية في الخليج، ومن ضمنها تلك السفن التجارية الأجنبية المؤمنة من قبل بريطانيا، إلا أن العلاقة بين الوهابيين والإنجليز بقيت طبيعية ولم تتوتر، بل تمت لقاءات ومراسلات بين الوهابيين والإنجليز في الجانب الإيراني من الخليج العربي، بالرغم من ادعاءات بعض ضباط الإنجليز أن ابن سعود هو من يسيطر على هؤلاء القواسم، لكنهم لم يتحرشوا أو يحذروا وهابية الدرعية من مغبة تلك الأفعال، بل صبوا جام غضبهم على عرب القواسم، والعجيب كما أوردت أن الإنجليز وجدوا أعذارًا وحججًا واهية لآل سعود في أنهم لا يقفون خلف عمليات القرصنة التي يقوم بها القواسم!!.

وحسب ما يذكر المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي في كتابه، ربما تكون تلك خطة مبيته من قبل بريطانيا، كي تظهر نفسها مُهددة فتقوم ببناء قلاع خاصة بها في داخل حدود الدولة العثمانية، بحجة تهديد الوهابيين لمصالحها، وسواء كانت الادعاءات صحيحة أو متفق عليها، فإن الوهابيين هم من ساعد بوجود النفوذ الإنجليزي في العراق وفي دويلات الخليج.

وعن تلك الأحداث يقول دوكورانسي:

« أما في البصرة فكان الخوف يسيطر على الشعب باستمرار من قرب هجوم الوهابيين. وقد توجه علي باشا إلى الحلة مُباشرة بعد عودته في كانون الأول ١٨٠٧م إلى بغداد، استعدادًا للوقوف في وجه غارات هؤلاء العرب ولحماية ضريحي الإمام علي والإمام الحسين. وكان الخوف من غاراتهم قد أعطى المُقيم البريطاني حجة لطلب بناء قلعة لحماية نفسه. وكان الطلب معقولاً،

۞ كتاب : دليل الخليج \ تأليف: جون جوردون لوريمر.

خصوصًا بعد أن أصبح البريطانيون؛ أصدقاء الوهابيين سابقًا؛ أعداء لهم في الخليج، حيث لم يفتر القواسم عن مُهاجمة السفن البريطانية. لاقى هذا الطلب في البداية مُعارضة شديدة من مُتسلم البصرة ومن باشا بغداد. ثم أُزيلت كافة الاعتراضات أخيرًا، ونقلت المواد اللازمة كما نُقل العمال من بومباي وبنيت القلعة في كردلان على شاطئ النهر الشرقي».۞ -انتهى الاقتباس-

إذن كان هدف البريطانيين من استغلال البعبع الوهابي، هو أن يثبتوا أقدامهم في منطقة الخليج العربي وذلك من خلال بناء قلاع وحصون بحجة الخوف من غزوات الوهابيين الدموية، والحقيقة أن الإنجليز وكذلك الفرنسيين وجدوا ضالتهم في ظهور الحركة الوهابية لكي تُرهق دولة الخلافة الإسلامية، وتشغل جيوشها التي كانت تُقاتل على أكثر من جبهة، لكنهم كانوا يسعون إلى استخلاص ولاية العراق ومنطقة الخليج من قبضة الخلافة العثمانية التي وصل نفوذها إلى قلب أوربا.

والدليل على ذلك أن العداء بين الوهابيين بقيادة سعود وبين البريطانيين كان مُجرد ادعاء وتضليل، سنرى كيف سعى سعود لدى السيد مانستي المُقيم البريطاني في البصرة، كي يتوسط له عند والي العراق سليمان باشا، حيث يذكر لنا المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي عن تلك المساعي، قائلاً:
« وفي هذا الوقت انتشرت شائعة وفاة سعود، ولم تكن هذه المرة الأولى التي ينتشر فيها هذا الخبر الكاذب. وفي هذه المرة كان تكذيب الخبر بعروض الصلح التي قدمها سعود في شباط ١٨٠٨م لسليمان باشا. وسواء كان يخشى هذا الحاكم أو أنهُ أراد خداعه، أو أنهُ ظن أنهُ يستطيع كسبه في دعوته، فقد أرسل إليه رُسلاً (•) مهمتهم العمل في سبيل التقارب. ولكن لهجة عروضهم لم

---

(•) يضع دوكورانسي هامشًا في نهاية الفصل في كتابه، حيث يُبين فيه أن من ضمن هؤلاء الرُسل الذين توسط لديهم سعود، كان القنصل البريطاني في البصرة السيد صاموئيل مانستي.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ. تأليف \ لويس دوكورانسي.

**ترق حاكم بغداد فرفض أي نوع من التسوية. واشترط قبل سماع أي شيء أن يقبل سعود الخضوع للسيد الكبير».**

**ثم يُضيف المؤرخ الفرنسي لويس دوكورانسي في هامش كتابه، قائلاً:**

**« لم تكن هذه المُحاولة الأولى في هذا المجال. فقد سبق أن طلب في عام ١٨٠٦م، من السيد مانستي (•) المُقيم البريطاني في البصرة أن يتوسط بينه وبين سليمان باشا حاكم بغداد لعقد الصلح. ولم يوافق السيد مانستي على إجراء أي اتصال قبل أن يحصل من سعود ومن الشيخ حسين وغيرهما من كبار رؤساء الوهابيين على إعلام مُوقَّع يبينون فيه رغبتهم بالصلح والشروط التي يشترطون للتحالف مع سليمان باشا. ولدى تسليم هذا الإعلام إلى سليمان باشا، أجاب أنهُ سيعرضه على السيد الكبير وينتظر أوامره. ولم تؤدِ هذه الاتصالات إلى أية نتيجة، كما لم تؤدِ العروض التي لحقتها والتي قدمها سعود لهذه الغاية. ولاشك بأن كافة عروض الصلح هذه لم تكن تهدف إلا إلى إشغال العثمانيين وإعمائهم عن توسع الوهابيين وإطفاء حقدهم وحملهم بالتدرج بالانضمام إليهم».** ۞ - انتهى الاقتباس -

**كما سنلاحظ لاحقًا أن الإنجليز كانوا يسعون لإفشال حملة محمد علي باشا والي مصر على الوهابيين، وكانوا يُظهرون بعض التعاطف معهم، ومن خلال ما ذكره الرحالة السويسري - الإنجليزي جون لويس بوركهارت نكتشف أن الإنجليز كانوا قد منعوا فرقاطة محمد علي العسكرية من الإبحار من مصر والخروج عبر مضيق جبل طارق ومن ثم الالتفاف عبر رأس الرجاء الصالح، للالتحاق بقواته على شواطئ البحر الأحمر، إذ لم يتم حفر قناة السويس في**

---

(•) والسيد مانستي هذا هو نفسه القنصل البريطاني الذي عقد اتفاق تعاون مع عبد العزيز بن محمد، والذي انتصر له عبد العزيز وقام بقتل البدوي الذي سلب بريد القنصلية البريطانية، كما مرَّ بنا سابقًا. وكان السيد صاموئيل مانستي (Samuel Manesty) أحد كبار موظفي المُقيمية الإنجليزية في البصرة منذ عام ١١٩٤هـ - ١٧٨٠م، ثم تولى منصب المُقيم التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية والحكومة البريطانية في البصرة منذ عام ١٢٠١هـ - ١٧٨٦م، ولكنه عُزل لاحقًا من منصبه في بداية عام ١٢١٠هـ - ١٧٩٦م، بسبب خلافه مع التجار اليهود في البصرة وباشوية بغداد، ثم أُعيد إلى منصبه في شهر يوليو من السنة نفسها.

۞ كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ. تأليف \ لويس دوكورانسي.

ذلك الوقت، وطبعًا يُحاول بوركهارت البحث عن حجج واهية والترقيع وإرجاع سبب الرفض الإنجليزي هو الحرص والخوف على الفرقاطة المصرية من الغرق، وكأن المصريين يجهلون وسائل وطرق الإبحار!.

ويذكر لنا بوركهارت عن تلك الحادثة قائلاً:

«أبدى الباشا (محمد علي) رغبته في تحريك الفرقاطة الحربية الوحيدة التي يمتلكها والموجودة في ميناء الإسكندرية، أقول رغب في إبحارها حول رأس الرجاء الصالح إلى عرض البحر الأحمر ثم إلى الحجاز، غير أن الحكومة الإنجليزية رفضت منحها الإذن بهذا التجوال. وذلك لمعرفتها أن السفينة المذكورة سيئة التجهيز من حيث البنية والطواقم البشرية، وقد تضيع في عرض البحار المجهولة بالنسبة للبحرية التركية، وإذا ما وقع مثل هذا الضياع أو الفقدان، فسوف يعتبره الأتراك الشكاكون بطبعهم إلى الأوامر السرية الإنجليزية، حيث أن قناة السويس لم تكن قد نشأت بعد، وأصبح من المتعذر الإبحار في المتوسط ثم الأطلسي ثم الأحمر».[۞] - انتهى الاقتباس -

تلك الإشارات البسيطة كانت تؤكد على وجود علاقات ومُراسلات بين الوهابيين الأوائل على حياة محمد بن عبد الوهاب، وبين المُقيم البريطاني في البصرة والقنصل البريطاني أيضًا في بغداد، ويبدو أن الإنجليز كانوا يتوقعون مُستقبلاً زاهرًا للوهابيين وذلك من خلال المُراهنة عليهم بأن يلعبوا دورًا مهمًا في تقويض كيان الدولة العثمانية، إلا أن انهيار الوهابيين في تلك المرحلة وهزيمتهم على يد إبراهيم باشا ومن ثم تدمير عاصمتهم الدرعية، أحبط الإنجليز وتبخرت أحلامهم وجعلهم يتراجعون في توقعاتهم، وعلموا حينها أنهم كانوا متفائلين كثيرًا، ولذلك بدؤوا يتحرشون في محمد علي والي مصر. وحينما تجمعت فلول آل سعود وعادوا من جديد إلى نجد من منافيهم ومن ملاجئهم، وحاولوا أن يشكلوا سلطة جديدة في نجد كما كانت عليه سلطتهم

---

[۞] كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف: جون لويس بوركهارت.

الأولى، لم يهتم لهم الإنجليز في بادئ الأمر، وترفعوا عن التخاطب معهم، لأن انهيار ملك آل سعود السريع أوصل جزءًا كبيرًا من السياسيين البريطانيين حينها إلى قناعة راسخة أن هؤلاء الوهابيين هُم مُجرد عصابة عابثة من البدو قد حالفهم الحظ واستطاعوا أن يخلخلوا النظام في تخوم الدولة العثمانية، لكن سُرعان ما تمَّ تدميرهم، خصوصًا أن عودة آل سعود مرة ثانية كانت ضعيفة ومُهلهلة تقاتل فيها أفراد الأسرة فيما بينهم للسيطرة والوثوب على رأس السلطة.

وعند تولي فيصل بن تركي زمام السلطة في الرياض في فترة ما يُسمى بـ"الأسرة السعودية الثانية"، وبعد أن قضى على أغلب خصومه وأخذ يستعيد جزءًا من قواعد الوهابيين السابقة خصوصًا في الأحساء وبعض أجزاء من عُمان، قام فيصل بمُراسلة البريطانيين لمُساعدته وتخليصه من النفوذ المصري الذي كان مازال قائمًا في الحجاز، إلا أن الإنجليز تجاهلوه تمامًا بسبب ضعفه وبسبب وجود الجيش المصري هناك وهو ما جعل فيصل ينفر من أي موظف إنجليزي يشغل منصب المُقيم البريطاني بسبب عدم مُبالاة الإنجليز بتوسلاته السابقة؛ كما يذكر المُقيم البريطاني الليفتنانت كولونيل لويس بلي. حيث شعر فيصل بن تركي بنوع من الإذلال والتجاهل المُتعمد من قبل البريطانيين، وهذا يدفعنا للتساؤل ربما عن وجود اتصالات سابقة مما دفعه يغضب ويشره عليهم.

وعن ذلك الشعور بالتجاهل من قبل الإنجليز لابن سعود، يذكر لنا المُقيم البريطاني لويس بلي في تقريره الاستخباري السري الذي قدمه لحكومته، ونشر حديثًا، والذي كان قد ذهب بدوره للرياض لمُقابلة فيصل وتطييب خاطره من أجل التعاون معه في إيقاف عمليات القرصنة ومحاولة مد خط بريد وبرق عبر نجد، حيث دون تلك الرحلة الرسمية والتي تُعتبر سرية في كتابه (تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين، في وسط شبه الجزيرة العربية)، فذكر عن تلك الأحداث قائلاً:

**« لقد انكمش التحالف الوهابي بعدئذ في الداخل بمنطقة نجد الجبلية وقد قدم الأمير (السعودي) في أيام ضعفه عروضًا، ليعقد مع حكومتنا مُعاهدة ارتباط لكن عروضه لم تلق منا قبولاً. ومضى الزمن، وخرج الباشوات المصريون من شبه الجزيرة العربية، وأصبحنا نحن، أنفسنا، ليس لنا وجود كقوة بحرية في الخليج. وأصبح أي جهد يُمكن أن تبذله مشيخات الساحل العربي نحو إحباط التحالف الوهابي مُحكومًا عليه بالفشل، بسبب الحزازات والصراعات الدموية بين هذه المشيخات».** [۞] - انتهى الاقتباس -

**إلا أن الإنجليز عندما تراجعت وتضعضعت قوتهم في الخليج العربي بسبب زيادة عمليات القرصنة البحرية، اكتشفوا لاحقًا أن الوهابيين مازالوا قادرين على خدمة المشاريع الاستعمارية الإنجليزية في منطقة الخليج، وأن هؤلاء الوهابيين يُمكن أن يلعبوا دورًا حاسمًا في إعادة هيبة الإنجليز في المنطقة، وأنهم ممكن أن يتحولوا إلى وكيل حصري ومُنفرد للإنجليز في شبه جزيرة العرب، حيث سيتحكمون من خلالهم بفرض نفوذهم على جميع إمارات ومشايخ الخليج العربي، وخصوصًا مشيخات الشاطئ الشرقي للخليج، ولهذا ندموا كثيرًا على تجاهلهم لتوسلات فيصل بن تركي السابقة، وحاولوا أن يُصلحوا ما أفسدوه ويُعيدوا المياه إلى مجاريها، فيحتضنوا فيصل من جديد، إلا أن الرياح كانت قد تغيرت في نجد، حيث انسحب المصريون من الحجاز، ولم يعد فيصل بحاجة مُلحة لدعم الإنجليز الذين ازدروا به، لكن هذا لا يعني أن فيصلاً كان يرفض مبدأ التعاون مع الإنجليز، بل كان تمنعه هذا هو نوع من رد الاعتبار ومحاولة منه لرد الصفعة البريطانية، أي على المبدأ القائل: (يتمنعن وهُن راغبات).**

**وعن ذلك التمنع ومن ثم القبول، يذكر المُقيم البريطاني لويس بلي في كتابه، كيف أنهُ أراد أن يحتوي فيصل من جديد، وأرسل له رسالة يُريد أن يُقابله في**

---

[۞] كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

الرياض، وأن فيصلاً كان غاضبًا من الإنجليز في بداية الأمر، بسبب تجاهلهم له أثناء حاجته الماسة لهم، لكنهُ سرعان ما تراجع غضبه فعاد ووافق على دعوة المقيم البريطاني إلى الرياض، للتفاهم وبناء علاقات وطيدة مع الإنجليز، وسأقتبس منه بعض النصوص ما يلي:

« تأكد لي ـ بمزيد من البحث في أمورها ـ أن هذه المشيخات في حقيقة الأمر تُمثل دمى ـ على نحو ما ـ في أيدي قوة نجد الداخلية، التي كانت ـ أي تلك القوة ـ تضغط على طول الحدود البرية لهذه المشيخات، وتتلقى منها ما يدل على التبعية. ذلك أن تجربة الماضي قد أظهرت أن النفوذ الوهابي قد بدا بشكل واضح يُكرس جهده في اتجاه خطر. وأن سيطرة الحكومة الوهابية فيما مضى على كل خط الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، من الكويت إلى رأس الحد كانت مُرادفة للقرصنة على نطاق واسع. وذلك في خليجي عُمان وفارس وفي المحيط الهندي، من حيث إلحاق أذى بليغ بالتجارة والسلام العام. (راجع تقريري رقم ٣٩ في ١٢ فبراير سنة ١٨٦٣م) ».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

ثم يقول:

« لقد ظهر لي أنه للقضاء بفعالية على النزاعات العدوانية لعرب الساحل، فأنهُ يتحتم علينا أن نُعالج الأمور من جذورها بتعاملنا مع الحكومة الوهابية. ولقد كنت واثقًا من أنني لو استطعت إعادة تكوين علاقات مع حاكم كفيصل، فإننا ساعتها، ربما سنستفيد من نفوذه على مشيخات الساحل، دون أن تعترينا رهبة من أن هذا النفوذ الوهابي سيُكرس لغير التوجهات الحضارية. وعلى هذا، فقد وجهت مذكرة رقيقة مُهذبة للأمير مُعربًا فيها عن رغبتي في تكوين علاقة صداقة، ومُخبرًا إياه أنهُ إذا وافق على ذلك، فإنني سأكون سعيدًا بزيارته في عاصمته، وكان ردهُ مُقتضبًا جافًا، وهو يعكس بهذا موقفه ممن

---

[۞] كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

شغل منصب المُقيم البريطاني قبلي. لقد بدا لي ـ على أية حال ـ أن هذا النفور بين شاغل منصب المُقيم البريطاني والأمير، يُشكل عقبة. ولذا فقد منحت نفسي فرصة أخرى لمُراسلته مؤكدًا له أنهُ رغم إظهار عدم تفهمه لمشاعري إلا أنني مع ذلك أرغب بأن أسجل تقديري لحكمه العادل بين القبائل، ومع هذا، لم أتلق من سموه ردًا على خطابي».[۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

ثم يعود المُقيم البريطاني لويس بلي الذي كان موجودًا حينها في الكويت للتنسيق مع فيصل بن تركي لغرض المُسير للرياض ومُقابلته هناك، حيث وجد تمنعًا شبيهًا بالعتب والتغلي، إلا أن فيصل سرعان ما عاد ووافق على مجيء المُقيم الإنجليزي لزيارته في الرياض لعودة العلاقات إلى مجاريها، ويُلاحظ هنا المكر الإنجليزي الواضح في مُداعبة فيصل ودغدغة مشاعره كنوع من الترضية والتعويض عن الإهانة الإنجليزية التي لحقته في السابق، حيث يقول بلي:

« عود للحديث عن الكويت: بعد مرور بضعة أسابيع مع الشيخ (يوسف بن بدر) وصل من الرياض رجل وهابي ذو شأن، في طريقه لبغداد. وكان قد جلب معه ثلاثة جمال تحمل وسم الأمير فيصل، وأخبرني أن أمامه ثلاث مهام، عليه إنجازها، وأن التعليمات لديه هي إعادة واحد من الجمال عقب إنجاز كل مهمة دلالة على أن المُهمة تمت. وقد توقف هذا الرجل مدة يوم أو أكثر من أجلي في الكويت، وقدّم لي قدرًا من المعلومات المُختلفة عن الأحوال في العاصمة، وقد ذكر لي ـ بين أمور أخرى ـ كيفية استقبال اقتراحي الأول بزيارة الأمير في مجلسه durbar، وكيف أنهُ عند استلام خطابي الأول، أنكر هو وحاشيته زيارتي إنكارًا قاطعًا، وكيف أنهُ عند وصول خطابي الثاني الذي طلبت فيه أيضًا مُساعدة الأمير لي بخبراته الطيبة لشراء بعض الخيول العربية المُمتازة انشرح صدر الأمير قليلاً، وكيف أن الأمير في لحظة مُغادرته للرياض علم أنني

---

[۞] كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

في الطريق لزيارته، فشرع في الضحك، بينما ظلَّ علماء الدين والحاشية مُصممين على موقفهم السابق. ولقد سألت الرجل إذا ما كان راغبًا في إلغاء رحلته إلى بغداد ليكون دليلي إلى الرياض، ولقد بدا لبرهة راغبًا هذا التغيير، لكنه بعد أن عقد اجتماعًا ليليًا برجاله، عاد في صبيحة اليوم التالي وبَيّن لي أن الأمير قد يقتله إذا عاد دون إنجاز مهامه. وعلى أية حال، فقد أضاف بأنهُ سيكون سعيدًا إذا ما ترك تحت تصرفي أحد جماله الموسومة بعلامة الأمير وشارته، فإذا ما ضايقني أحد أو تحرش بي في الطريق، فما علي إلا أن أظهر علامة الأمير، وساعتها سيُلقي البدو السلام من على بعد. على أن هذا الترتيب سيكون غير مُفيد إذا ما نفق الجمل أو إذا كان البدو غير قادرين على معرفة وسم الأمير. وعند هذا الحد توقفت مفاوضاتنا. وأخيرًا، ظهر رسولي عائدًا حاملاً البريد، وقد جلب لي مُلاحظة مُقتضبة من الأمير بالسماح بالتقدم، ولم يكن ثمة مُرشد أو مندوب. وعلى أية حال، فإن فصل الشتاء أوشك على الانتهاء، فليس ثمة وقت لإضاعته. وقد كنتُ في الوقت نفسه قد جمعت عددًا من المعلومات الطبوغرافية المُعينة، وقد ضمنت بعض هذه المَعارف بمذكرتي المُرفقة بالخطاب رقم ١١ المؤرخ في ١٤ فبراير سنة ١٨٦٥م»[۞] -انتهى الاقتباس-

وبعد أن تلقى المُقيم البريطاني الليفتنانت كولونيل لويس بلي، رسالة خاصة من الأمير فيصل بن تركي بن سعود، يدعوه فيها للقدوم إلى الرياض، ذهب بلي مع فريقه في قافلة من الإبل انطلق من الكويت عبر صحراء الصمان ثم وصل إلى الرياض، وسوف أقتبس كل ما دار في حديث المُقيم البريطاني لويس بلي مع الأمير فيصل بن تركي منذ أن وصل إلى الرياض إلى أن غادر، وسيكون هذا الاقتباس مطولاً بعض الشيء، لكنهُ مهم جدًا ويستحق التوثيق، وسوف أعلق عليه بعد إيراده كاملاً، لأن ما ذكره المُقيم البريطاني في تقريره الاستخباري السري عن تلك الرحلة إلى الرياض، هو بمثابة وثيقة تاريخية

---

[۞] كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

مُهمة، تُثبت أن جد آل سعود الحاليين فيصل بن تركي بن سعود، هو أيضًا كان يُغازل الإنجليز ويعرض عليهم خدماته في سبيل دعمه ومناصرته ضد خصومه الأتراك وضد سلطان مسقط، وعليه فإن العميل الإنجليزي العتيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود، لم يخرق العادة ولم يكسر القاعدة، بل كان يستلهم الخيانة والتآمر من آبائه وأجداده كابرًا عن كابر في هذا المَستنقع الخياني، ويبدو أن عبد العزيز عندما قدمه مُبارك بن صباح للمُقيم البريطاني في الكويت لم يُكن مُجهولاً لدى الإنجليز، لأنهم كانوا على معرفة تامة وتواصل وثيق مع جده فيصل، بحيث أنهم قاموا في ذلك الوقت بشراء مضخات مياه لآبار الرياض، كما قام المُقيم البريطاني لويس بلي بتصليح ساعة فيصل بن تركي الذهبية في إنجلترا، في نفس الوقت الذي كانوا يجزون فيه رؤوس أبناء الحرمين الشريفين بحجة الشرك والوثنية وعدم مُبايعة ولي الأمر السعودي!.

وعن تلك الرحلة التي قام بها المُقيم البريطاني لويس بلي قبل مائة وخمسين عامًا تقريبًا، حيث يقول:

« في صباح اليوم السادس انتظرت بطبيعة الحال رسولاً من سموه، لكن أحدًا لم يصل. وظهر أن أتباع الأمير - حول المنزل - مُتحفظون ومُتيقظون، وعلى كل حال فقد بدا وكأن الاستقبال سيكون فاترًا. وبعد الظهر بقليل أرسل الأمير (فيصل بن تركي) من يقول إنهُ سوف يكون مسرورًا بمُقابلتي في المكان الذي يُصلي به في قصره. وبدون أدنى تأخير ذهبت إليه مُصطحبًا موظفي معي. لم يكن القصر بعيدًا إذ كان يقع في وسط البلدة. وأمام القصر كان ثمة ميدان واسع، وبعد بوابة القصر الخارجية مُباشرة كان ثمة عدد قليل من المدافع القديمة تعوق المرور. لم يكن أي جزء من المبنى مُتسمًا بالتعقيد. وكان مكان الاستقبال عبارة عن قاعة سفلية طويلة ذات أعمدة خشبية كانت قد قطعت بطريقة بدائية. وكان الدخول للقاعة عن طريق سلم مُعتم. لقد وجدت الأمير

جالسًا في صدر القاعة على سجادة صغيرة جميلة، ساندًا ظهره إلى وسادة وثيرة. وكان ابنه الأصغر (عبد الرحمن) جالسًا بالقرب منه، وكان سكرتيره محبوب موضع ثقته يجلس على مسافة منه في مكان منخفض عن ذلك المكان الذي يجلس فيه الأمير. وعندما اقتربت من الأمير نهض بصعوبة، وصافحني وتحسس كل يدي ببطء، ثم طلب مني الجلوس بالقرب منه على السجادة، لقد كان كفيف البصر تمامًا، لكن ملامح وجهه كانت عادية، تمثل الهدوء والصرامة ورباطة الجأش والطمأنينة. لقد كان الأمير يبدو مُتجاوزًا السبعين من العمر. وكان يرتدي ملابس فاخرة تنم عن ذوق. إذ كان يلبس فوق الكوفية العربية عصابة مطوية من الكشمير الأخضر. لقد كان صوته ينساب انسيابًا حسنًا، كما كانت عباراته هادئة وموزونة. لقد كان جليلاً إلى درجة من الوداعة ومع هذا تشعر أنهُ يمكن أن يكون قاسيًا عديم الرحمة. وبعد تبادل التحيات، قدمت له مساعدي، كما عبرت له عن سروري لمُقابلته والتعرف عليه. فأجاب مُشيرًا إليَّ بالقول: بأنني أعلم أن الرياض مكان غريب بالنسبة لزائر أوروبي، فلم يسبق أن سمح لأوروبي بدخولها، ولكن الأمور ستتيسر بسبب ثقته بي. ولقد أكدت له بأنهُ سبق لي أن قمت بعدد من الزيارات المُماثلة لحكام أواسط آسيا، وإنني أحتفظ بذكريات طيبة عن كل زيارة من هذه الزيارات. وأنني لا أشك في أن مُقابلتي مع سموه سوف تُحقق قدرًا مُساويًا من النجاح لما حققته زياراتي لحكام وسط آسيا، وأنهُ سوف يزول أقل قدر من عدم الارتياح، يكون قد خامر ذهن الأمير، بسبب أحداث سابقة. إن الحكومة الإنجليزية في الحقيقة لم تكن لها أية رغبة - فيما يتعلق بقبائل الجزيرة العربية- سوى رؤيتها تعيش في سلام ورفاهية في مناطقها تحت رعاية حكامها. ولقد أجاب الأمير أن علاقاته قليلة مع الدول الأجنبية بالرغم من أن له وكلاء في كل بلد يطلعونه على كل ما يحدث من أمور. وكان الأمير - دائمًا- يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع جاعلاً كل الجزيرة العربية تقريبًا مملكة له، إذ قال مرة: "هذه الجزيرة العربية من الكويت إلى القطيف إلى رأس الخيمة، إلى عُمان إلى رأس الحد،

وما وراءه ـ هي التي أعطانا الله إياها"، لقد أشار إلى أن الأتراك قد استولوا على بعض المناطق التابعة له في وقت سابق ولكنه لم يكن يخاف منهم. وفي إحدى المُناسبات سألني عما إذا كما نميل إلى مُساعدته في مُحاربة الأتراك أو أي قبيلة أخرى. لقد شرحت له أن السياسة الإنجليزية في الشرق سياسة مُتحفظة وأنهُ في الوقت الذي يسعدنا دائمًا أن نرى جيراننا كأصدقاء وتجار في المناطق التابعة لنا، إلا أنهُ ينبغي ألا نسمح لأنفسنا بالمُساعدة على العدوان. وقال الأمير إنهُ كان قد سمع بعض الشيء عن الحكومة الإنجليزية من صديق قديم ـ وهو أحد باشوات مصر ـ إنها؛ أي الحكومة الإنجليزية، تبدو من الناحية السياسية منظمة وجيدة وأنها أقل مُخادعة من الحكومة الفرنسية. ومع هذا فقد رفع صوته مؤكدًا "نحن نرفض دينكم" ثم أخذ بعد ذلك يهمس بدعوات مؤداها أن يبصر الله هؤلاء الكفار بسوء طريقتهم وفسادها. ثم أضاف فإننا نقتل الجميع، ولكن عندما تكون المسألة سياسية فإن هناك استثناءات"، وبعد ذلك عاد الأمير إلى موضوع الفرنسيين، فقال إن سفينة حربية تابعة لفرنسا ذهبت إلى مسقط وعرضت خدمات عسكرية على السلطان لمُساعدته في حربه ضد الوهابيين. وقد أكدت للأمير أنني لا أعلم من هذا الأمر شيئًا، وأنني أعتقد شخصيًا أنهُ قد أعطي معلومات خاطئة. عندها اندفع الأمير يتحدث بازدراء مرٍّ ضد سلطان مسقط واصفًا إياه بأنهُ رجل ضعيف يُحيط به رجال ضعاف، وهو غريق يُحاول التشبث بالقش. ثم أردف "مسقط تابعة لنا. لقد أخذناها بقوة السلاح. إن الإمام السابق السيد سعيد كان يفهم الأمور، وكان يسير وفق الاتفاقات، ولكن السيد ثويني، أصبح وضعه مُختلفًا ولذلك يجب أن يخضع بالقوة. وبعد ذلك رجع الأمير إلى موضوع الفرنسيين مرة أخرى، وقال إنهُ منذ سنوات كان قد تسلم رسالة من سفينة فرنسية تعرض عليه مُساعدة بحرية أو برية إذا ما احتاج لها، ولكنه لم يجب على هذه الرسالة. ومنذ حوالي سنتين خليتا وردت رسالة حول الموضوع نفسه مع طلب بأن يُرسل الأمير جوابه إلى القنصل في دمشق فأجاب على المُراسلة

شاكرًا وموضحًا أنهُ لم يكن يحتاج في ذلك الوقت أية مُساعدة. ٧٥- سأل الأمير عما إذا كان لدي أي موضوع أحب أن أبحثه معه على انفراد؟ فأجبته بالنفي، وأن هدفي الرئيس من زيارته هو الرغبة في توثيق التعارف الشخصي مع حاكم مشهور، ولأن كلاً منا يرمي إلى هدف مُشترك فيما يتعلق بحفز السلام في منطقة الخليج العربي (لويس بلي كتبه: الفارسي)، فإنهُ يجب علينا أن نحتفظ بعلاقة صداقة مُشتركة. إن المعرفة الشخصية بين أولي الفضل تكون مصدرًا للثقة، وتحول دون قيام طرف ثالث بعمل مزعج وأنهُ لا يساورني الشك في أن زيارة المودة هذه ستحسن من علاقتنا وسيكون لها أثر طيب على حضارة كل الشعوب الخاضعة لحكم كل منا. لقد ظهر أن الأمير كان مُرتاحًا لكل ما قيل، ثم أنهُ أنهى المُقابلة قائلاً: إن هذه الزيارة كانت مُجرد مُقابلة رسمية وأنهُ يأمل أن أعود مرة أخرى بمفردي لإجراء مُحادثة خاصة. وفي صباح اليوم التالي بَكرت بزيارة الأمير بعد تحديد موعد معه، واصطحبت مُترجمي فقط. وعندما وصلت لم يكن الأمير قد أكمل ارتداء ملابسه، وبعد قليل، فتح باب بالقرب من السجادة وظهر الأمير مُعتمدًا على جاريتين، وعندما تخطى العتبة تسلمه عبدان، ولزم كل منهما أحد جنبيه، وقاداه إلى مكان جلوسه. لقد كان استقباله لنا اليوم وديًا جدًا، ولأمر ما قد حدث لا يسعني إلا الافتراض بأنهُ كان متفهمًا، لقد تحدثنا في موضوعات شتى، فمن بين موضوعات أخرى، تحدثنا عن مشروعنا البرقي الجديد. لقد قال إنهُ يخشى أن نواجه مشاكل مع العربان. وأضاف أنهُ منذ سنوات مضت حاول عباس باشا في مصر أن يُنشئ اتصالات بريدية مع نجد، لكنه عندما وجد أن مُضايقات القبائل الرحل وأضرارهم لا تنتهي أُجبر على التخلي عن محاولته تلك، رغم أنهُ في البداية كان قد أوقع بالعربان المُعتدين أشد العقوبات. بعد ذلك تحدث الأمير عن حكمنا للهند خلال الفترة الأخيرة ومُقارنته بحكم المُسلمين. وقلت له إننا في الحقيقة لم نمكث في الهند إلا حوالي ٣٠٠ سنة فقط، ولكننا ولله الحمد قد أصبحنا في رخاء عظيم هناك. ثم سأل مرة أخرى عما إذا كنا

سنساعده في حربه ضد أعدائه؟ ونستولي معًا على بعض البلاد، أو عما إذا كنا مثلاً نميل إلى التحالف معًا ضد تركيا؟ أو نميل إلى غزو بعض البلاد في الشرق؟ مُشيرًا على ما أعتقد إلى فارس. فضحكت وكررت أنهُ سيسعدنا أن نرى رعيته يُتاجرون في المناطق التابعة لنا ولكننا لا نستطيع الاعتداء. ثم تحدث الأمير بإدراك عظيم على الأحوال الطبيعية والسياسية لشبه الجزيرة العربية، موضحًا حاجتها الشديدة للأمطار، فلو هطلت الأمطار بكثرة لأصبحت الزراعة ممكنة، وعندها قد تتحول القبائل (البدو الرحل) إلى حياة الاستقرار. وفيما بعد، أمر بإجراء اتصالات معي عن طريق سكرتيره، مفادها أنهُ سيكون مسرورًا إذا أمكن جلب بعض الآلات إلى ضواحي العاصمة لرفع الماء، بحيث تكون من نوعية أفضل من آلة الدولاب الفارسي الشائعة (السواني)، وأقوى منها. وقد أكدت له أنني سأكون سعيدًا في أن أساهم في عمل حكيم كهذا. وقد تمَّ الاتفاق في النهاية على أن أقيس عمق الماء في الآبار وأن أحصل له على زوج من المضخات المطورة أو أية آلات أخرى من إنجلترا. وبناءً على هذا قمت ببعض التحريات عندما وصلت إلى إنجلترا. وبناءً على الموافقة الكريمة للسيد ليارد Mr. Layard فُوضت من قبل وزارة خارجية جلالتها لرصد مبلغ ١٥٠ جنيهًا لشراء مضخات، لتقديمها للأمير، لقد بينت الأحداث اللاحقة أنهُ لم يكن من المُستحسن أن أقوم بإهداء المضخات في ذلك الوقت!. لكن تبقى حقيقة الفوائد العظيمة ممثلة في إدخال الطاقة المائية المطورة إلى نجد، وفي الطريق إلى بوشهر الآن مضخة مطورة تعمل بطاقة الحيوان قادرة على استخراج مائتي جالون من الماء في الدقيقة من عمق حوالي خمسين قدم.

٧٨- وأعود مرة أخرى إلى حديثي مع الأمير، لقد اختتم فيصل كلامه قائلاً: على كل حال، فإن شبه الجزيرة العربية مهما كان بها من عيوب، هي بلادنا، ويمكن القول إنكم تستغربون كيف نعيش هنا هكذا، منقطعين عن بقية العالم، ومع ذلك فنحن راضون. نحن أمراء على قدر حالنا. "إننا نشعر بأننا ملوك بكل ما تحمل الكلمة من معنى". ثم قال إنهُ يستطيع أن يسوس أمور أتباعه

من العرب، وأن خطته تقوم على الضغط الشديد على رؤساء القبائل الموالين له عندما يقوم أتباعهم بالنهب أو يقترفون جرائم أخرى، وإذا أردت زيارة السجن فستجد أن فيه الآن أكثر من سبعين شيخ قبيلة!. ثم أردف قائلاً: "نعم إننا نتسم بالشدة والصرامة، ولكننا نعدل". ثم سألته أن يسمح لي برؤية سلالة خيله، فأجاب: أن كل الخيول تقريبًا في السيح بالخرج في ذلك الوقت، فإذا ما أحببت أن أقوم برحلة إلى هناك فما عليّ إلا أن أختار أي زوج من الخيل أريد وأعتبره كهدية. وإذا رغبت بعد ذلك أن أشتري أي عدد آخر، فهذا ممكن أيضًا. لقد أوضحت للأمير أنني لم أكن ألمح بطلب هدية عندما طلبت أن أرى خيوله، ولكنهُ إعجاب بأفضل سلالات الخيل العربية. ثم أضفت أنهُ من الآداب المعروفة بيننا - نحن الإنجليز - أنهُ عندما يطلب رجل إنجليزي رؤية إسطبل خيل رجل آخر، أن يتجنب التعليق. وبعد ذلك قلت له إن السير هنري رولنسون Henry Rowlinson عندما أخذ حصانًا كميتًا نجديًا إلى إنجلترا وأثيرت الشكوك حول سلالته بسبب لونه، وأنهُ ليسرني أن أعرف رأيه في مسألة اللون وعلاقته بالسلالة، فقال: في الحقيقة إن أفضل سلالات الخيل النجدية يمكن أن تحمل أي لون، ولكن اللون الغالب بين أرقى السلالات هو اللون الرمادي بدرجاته المُختلفة. ثم أضاف، وكقاعدة فإن الفلو يكتسب لونه من أبيه. وبوجه عام، فإن أهمية اللون قليلة. كما أن ارتفاع الخيل لا أهمية له فالعبرة بسلامة الدم التي هي كل شيء. لقد بدا من الواضح أن الأمير كان يتوقع مني أن أشير إلى النزاع مع مسقط، وإلى اقتراح السلطان أن أقوم بالتحكيم في هذا النزاع. لكنني - على أية حال - اعتبرت نفسي غير مُلم إلمامًا تامًا بتفاصيل المسألة مما جعلني غير مؤهل للمُغامرة بإبداء أية مُلاحظة وأن ما يُقال في هذا الشأن يجب أن يكون تحت إشراف الحكومة البريطانية وموافقتها. وفي نهاية المُقابلة علق الأمير موجهًا حديثه إلى قومه قائلاً: إنهُ يظهر أنني رجل فاضل وأنهُ يأسف لكوني كافر. ٨٠- ثم وجَّه الأمير حديثه إليَّ قائلاً، إنني أستطيع الذهاب إلى أي مكان في بلاده، وأنهُ يرجو أن نفتح من

الآن صفحة جديدة ملؤها علاقات الصداقة، وأنهُ سيكتب دائمًا إليَّ ويُطلعني على الأمور المُتعلقة برعاياه المُتاخمين للخليج الفارسي. وعند مُغادرتي عَبر الأمير عن رضاه الكبير عن هذه الزيارة، وقد أهديت له بندقية وساعة ذهبية وبعض الأقمشة من الجوخ الأحمر ومُسدسًا مُذهبًا وسيفًا مصنوعًا حسب الطريقة العربية. ويبدو أن السيف قد حاز على إعجابه أكثر من أي شيء آخر.....الخ. عندما عدت إلى المنزل، زارني سكرتير الأمير (محبوب) فتحدثت معه عن زيارتي المُقترحة إلى المنطقة الغنية بالمراعي والمياه بالخرج والمعروفة باسم السيح. وعلى أية حال، فقد حدث في هذا اليوم شيء ما، لم أحط به تمامًا، ربما حتى هذه اللحظة، فقد تسبب هذا الشيء في انقلاب مكانتي في الرياض إلى الأسوأ. لقد بدأ السكرتير يضع المُعوقات في طريق رحلتي إلى الخرج، وعندما زارني مرة ثانية في المساء، اقترح عليّ في نهاية زيارته أن أبقى في الرياض حتى تحضر بعض الخيول فأنظر إليها، فأجبت على الفور بأن هذا التأخير غير مقبول إطلاقًا، إذ إنهُ بإمكاني أن أدخل بعض التعديل على خطة سيري لساعات قليلة، لمُشاهدة خيول الأمير ولكنني لا أستطيع التريث عدة أيام لإشباع رغباتي الخاصة، ذلك لأن بآخرة تنتظرني هناك على الساحل. وبالإضافة لما ذكرته له فقد كنتُ قد حُذرت بشدة في الكويت بأنهُ لا ينبغي لي أن أمكث في الرياض - إذا ما كنت مُصرًا على زيارتها- أكثر من يومين - كحد أقصى- وذلك لتفادي الحوادث لأن هؤلاء الأعراب - كما أعيد على مسامعي- غدارون للغاية، كما أن آراءهم عرضة للتقلب. لقد كان كثيرٌ مما رأيته وسمعته أثناء ذلك اليوم يُنذر بأن هناك تغييرًا يجري الآن. وعمومًا فقد وصلت إلى استنتاج محصلته أنهُ بينما كان الأمير نفسه، رجلاً واعيًا وذا خبرة، إلا أنهُ كان يُحيط به في الوقت ذاته عددًا من أشد ما يُمكن أن يُقابل المرء من البشر تهيجًا وتجردًا من المبادئ الخلقية، وخطرًا وتعصبًا وزاد من موقفي ضعفًا أن الأمير نفسه كان كفيفًا تمامًا، لذا فقد كان يعتمد على سكرتيره (محبوب) في كل ما يتعلق بتسيير الأمور من حوله، ومن المُحتمل

جدًا أن يُصور هذا الهجين والطائش والحقود الأمور لتسير في اتجاه تعقيدات خطيرة. ولهذا قررت إلا استمر في التزلج على جليد بالغ الرقة كهذا، واضعًا في اعتباري مسؤولياتي تجاه الحكومة وتجاه رفاقي، بالإضافة إلى بطء وسائل النقل. لكل هذا أخبرت السكرتير بحزم أنني يجب أن أغادر الرياض في اليوم التالي وأنني طلبت إحضار جمالي في الصباح فأجاب أنهُ سيخبر الأمير وأنهُ من الضروري قبل الرحيل أن أودع الأمير. وبعد ذلك ذهب السكرتير إلى الأمير ولكنه تردد علينا مرتين خلال المساء. لقد تغير سلوكه كليًا الآن فأمسى فظًا ويكاد يكون عدواني السلوك. فقد أعاد الحديث في موضوع تصرفات المُقيم البريطاني السابق، فيما يتعلق بمُصادرة السفن التابعة للوهابيين، ثم أنهُ بدا يُهاجم مرة أخرى أعمالنا ضد تجارة الرقيق. وقد وصفنا بأننا قراصنة ناجحون، وأخذ يهزأ بفكرة الإنسانية لدينا. لقد كان السكرتير (محبوب) شديد الرغبة في أن أوقع مُعاهدة ما يُستثنى بمقتضاها عرب عُمان وصور والخليج الفارسي مما ندعيه لأنفسنا من حق مًصادرة شحنات الرقيق، كما كان شديد الرغبة في أن يحصل منا على التعويضات نفسها التي قدمناها لسلطان زنجبار، عندما عقدنا اتفاقًا مع سموه (سلطان زنجبار) مما فُهم منه اعترافنا بتجارة الرقيق، وأضاف السكرتير أن الأمير قد فوضه لعقد مُعاهدة في مُقابل ذلك. تلزمه بمنع عرب عُمان والخليج من النهب أو إلحاق الضرر بمنشآتنا البرقية. لقد تخطى السكرتير (محبوب) في سلوكه حدود اللياقة بعض الشيء إذ صرح بأنني ما دُمت موجودًا في عاصمتهم فإن الوقت سيكون ملائمًا لإنجاز مشروع الاتفاقية، فعنفته على طريقته ورفضت طلبه رفضًا باتًا ثم أعطيته الإذن بالانصراف، ومع هذا كان بإمكاني أن أرى ما في عقل هذا الوغد المُمتلئ نزوعًا للأذى. وعند مُغادرته لنا لم يُعين أي ساعة لزيارتي التوديعية للأمير. ثم استأنفت سيري إلى قصر الأمير. لقد كان الأمير ودودًا وأعتقد أنهُ صادق في ادعاءاته من حيث رغبته في العمل بانسجام معي في سبيل السلام العام، لكن عقلية الوهابيين ـ وعقلية العرب بشكل عام في حقيقة الأمر ـ من

الغدر والقابلية للتغير وسرعة التأثر والحقد بحيث تجعل المرء لا يطمئن إلى ظواهر الأمور لمدة ساعة واحدة. لقد اقترح الأمير أن أمدد فترة زيارتي، لكنني أجبت بهدوء وحزم بأن ترتيباتي قد اكتملت، وأنني يجب أن أرحل تلك الليلة. وبعد ذلك أسهب الأمير في الحديث عما جلبته زيارتي له من سرور ثم أردف أنهُ رغم معيشته الحالية في الصحراء حيث أجده، إلا أنهُ مع ذلك قد شاهد الحياة المُتحضرة، فعندما كان أسيرًا في مصر كان يرى مُمثلي أوربا الأجانب، عندما يزورون الباشا، ويعجب لسلوكهم المُهذب وأبدى الأمير رغبة فيما يتعلق بالقطيف والعقير، مؤداها أن أطلعه إذا ما حدثت قرصنة أو تحطيم للسفن حتى يُعاقب المُعتدين أشد العقوبة، كما رجاني في المُقابل أن أحمي مصالحه البحرية على الساحل الفارسي. وردد رغبته في أن أثق به كصديق خاص، ثم ختم حديثه بإبداء الرغبة في أن أكتب إليه، فأشرت إلى أنني كنت قد فعلت ذلك لكن إجاباته لم تكن مُشجعة كثيرًا!، فقال: إن إجاباته المُقتضبة كانت بسبب علاقاته السابقة مع المُقيمية، لكنه الآن سيبدأ صفحة جديدة، وأنهُ قد أصدر تعليماته بهذا الخصوص إلى أمرائه على الساحل، وبعد ذلك التمس مني أن أقبل اثنين من الخيول العربية النجدية، وكان يُريد إهداءهما لباشا بغداد، وهما موجودان الآن في القطيف بانتظار الشحن، وأخيرًا قال الأمير إنهُ وضع تحت تصرفي خادمًا موثوقًا به لمرافقتي للساحل. وعندما غادرت القصر أشار السكرتير إلى الخادم، ليدلني عليه، فرافقني الرجل إلى المنزل ثم استأذن للعودة لأن لديه ذلولاً سريعة ويستطيع بسهولة أن يلحق بي قبل أن أصل إلى الأحساء. وفي الوقت الذي بدأت التحرك فيه، قدم رجل ومعه ساعة الأمير الذهبية من نوع (fry-ing-pan class) وقال إن الساعة تعطلت وإن الأمير سيكون مُمتنًا إذا ما تمكنت من إصلاحها له، فوافقت على ذلك، وقد تمَّ إصلاح الساعة في إنجلترا وأعيدت للرياض لاحقًا. لقد كان أمير الهفوف مُهذبًا، فأرسل مؤنًا، ولكن لم يقم أحد بزيارتنا كما كان الحال حقيقة في الرياض. وكان التفسير لذلك، هو الحذر الشديد من قبل الحكومة الوهابية. لكون

الأحساء منطقة حديثة الفتح، ولم تكن بأية حال، ميالة إلى طريقة الوهابيين المُحافظة، فإن الحكومة ترتاب أكثر مما ينبغي في كل حركاتها وعند كل بادرة ـ وليس هناك أي شك على ما أعتقد ـ أن مناطق الأحساء والقطيف ستعمد إلى التخلص من الحكم الوهابي، عندما تجد الفرصة لذلك. وهنا كما كان مُرتبًا من قبل، وجدنا البآخرة راسية في عرض البحر وقاربًا ينتظرنا من الشاطئ. ويظهر أن بحارة القارب قد نزلوا إلى الساحل حسب التعليمات، ونصبوا خيمة صغيرة مزودة بالمؤن لاستقبالنا، ولكن الحاكم (محمد بن أحمد السديري) الذي تلقى تقريرًا خاطئًا يُفيد بأنني لم أستقبل استقبالاً حسنًا في العاصمة (الرياض)، أمر بأن تطوى الخيمة، ويعود الرجال إلى القارب. فلما عرف خطأه، أصبح بعدها يتكلف اللطف، فأرسلت لإحضار بحار إنجليزي واقترحت على الحاكم أن يعتذر له عن تصرفه، ففعل». [۞] ـ انتهى الاقتباس ـ

ومن خلال من أورده لويس بلي في تقريره الاستخباري السري عن زيارته للرياض تحديدًا، ومُقابلته للأمير فيصل بن تركي، نستشف عدة أمور:

أولاً: أن الأمير السعودي فيصل بن تركي كان كبيرًا في السن وضريرًا لا يكاد يُبصر، وكان ضعيفًا جدًا، بحيث أصبح عبيد القصر (كالعبد جوهر وولده محبوب) يتحكمون به ويُسيّرون شؤون إمارته، ولذلك كان يُحاول أن يظهر أمام المُقيم البريطاني بمظهر الحاكم القوي الباطش المُسيطر، وذلك عندما تفاخر أمامه بسطوته وقوة بأسه وأنهُ استطاع أن يسجن حوالي سبعين شيخ من قبائل البدو، ومن ثم قام برمي خصمه سلطان مسقط بكل عذاريبه، حيث قال إنهُ رجل ضعيف يُحيط به رجال ضعفاء، وكأنهُ كان يتحدث عن نفسه، على مبدأ رمتني بدائها وانسلت، حتى أن لويس بلي أخذ فكرة سيئة عن العرب ونعتهم بالغدر وعدم وفائهم بالعهود بسبب تصرفات سكرتير فيصل الذي كان يصول ويجول في الرياض بسبب ضعف وهوان فيصل وأبنائه.

---

[۞] كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

**ثانيًا: حاول فيصل بن تركي أن يُلمح أكثر من مرة استعداده للتعاون مع بريطانيا لمُحاربة الأتراك وأي قبيلة أو جهة يحددونها، بل إنهُ قال للمستر بلي إنهُ مُستعد للتعاون معهم في غزو القبائل والاستيلاء على بعض البلدان، ثم حاول أن يُغازل الإنجليز بقوله للمُقيم البريطاني، إن الفرنسيين قد عرضوا عليه أكثر من مرة أن يتعاونوا معه، ويُساعدوه لكنهُ رفض!.**

**وكأن فيصل بن تركي يقول للمُقيم البريطاني إنه الحصان الرابح للإنجليز، وأنهُ مرغوب به من قبل الجميع، وأن الفرنسيين مُستميتين على التعاون معه، لكنهُ رفض، ثم يُشيد بالإنجليز بقوله إنهم أكثر صدقًا وأقل مُخادعة من الفرنسيين، وكأنهُ يعرض على لويس بلي خدماته وولاءه، لكن المُقيم البريطاني ليس في وارد التفاوض السياسي معه الآن، فقد جاء خصيصًا للشروع في تنفيذ مشروع البرق، وقد حاول فيصل أكثر من مرة أن يُلمح للويس بلي إذا ما كان يُريد التحدث معه على انفراد بعيدًا عن أنظار وأسماع الحاضرين، سواء رفاق بلي أو أخويا الأمير فهو جاهز، لكن بلي كان يرفض لأن رحلته تلك كانت مُقررة للتفاهم على مد مشروع البرق والبريد عبر أراضي نجد.**

**ثالثًا: حاول فيصل أن يزج المُقيم البريطاني في نزاعه مع سلطان مسقط، حيث أراد منه أن يكون وسيطًا وحكمًا في هذا النزاع الدائر بينهما، لكن لويس بلي اعتذر بلطف لأنهُ غير ملم بأوليات تلك القضية. ثم أراد فيصل أن يُحرض الإنجليز على الفرنسيين وبذلك يستميلهم نحوه، حيث أبلغ المُقيم البريطاني أن سفينة حربية فرنسية توجهت لمسقط لتساعدهم ضده وضد حلفائه هناك، فرد عليه لويس بلي أن تلك الأخبار غير صحيحة، وأنها معلومات خاطئة. ولما شعر فيصل أن لا فائدة من تلك المُناورات وأن المُقيم البريطاني سيرحل؛ عرض عليه خدماته، وطلب منه أن يتراسل معه وأن يُبلغه عن أي تجاوز من قبل أتباعه في المنطقة الشرقية، كما ترجى لويس بلي أن يحمي مصالحه البحرية على الساحل الفارسي، كون "لويس بلي" هو المُقيم البريطاني في**

بوشهر. ومما يؤكد على صحة كلامي أعلاه، هو ما ذكره المُقيم البريطاني لويس بلي نفسه لاحقًا بين طيات كتابه، حيث أفاد عن تدهور صحة فيصل بن تركي حيث أصيب بالشلل ثم توفي بالكوليرا، وكذلك كيف دخل أبناء فيصل في صراع دموي فيما بينهم، ربما كان أحد أسبابه هو نفس الخادم الماكر، أو الابن غير الشرعي "محبوب بن جوهر"، حيث يسرد بلي تلك الأحداث اللاحقة قائلاً: « لقد هبط الأمير فيصل (تراجعت صحته)، الذي كان قد ضَعُف جسميًا وكَفّ بصره حينما قابلته، إلى حالة من الشلل بعد ذلك حتى حوالي شهر يونيو الماضي. ويظهر أنهُ قد تخلى عن تدبير الأمور لابنه عبد الله. لم أُقابل عبد الله شخصيًا في الرياض، بالرغم من أنني إذا ما قابلته وتعرفت هناته وسلوكه، فإنهُ يمكنني في المُستقبل أن أمارس تأثيرًا غير مُناسب على تصرفاته. لقد نُقل خبر وفاة الأمير خطأً عن طريق مصر إلى لندن في شهر أغسطس. ولكنه مات أخيرًا بالكوليرا في ١٣ رحب ١٢٨٢هـ، الموافق الثاني من ديسمبر ١٨٦٥م، وخلفه ولده عبد الله. لقد أحدث تسلم عبد الله لمقاليد الأمور تغييرًا خطيرًا في وضع سكرتير الأمير المتوفى وموضع ثقته، محبوب [*]، الذي صُودرت بعض ممتلكاته الشخصية بعد ذلك مُباشرة تقريبًا. والحقيقة أن محبوبًا لم يكن أبدًا على وفاق مع عبد الله. وقد علمتُ أنهُ الآن ينتظر في العاصمة فرصة مواتية للهرب. لقد قُلتُ له في الربيع الماضي إن المسلك الذي ينتهجه، ربما يسوقه إلى المُقيمية في بوشهر ويظهر أنهُ الآن، سيقبل مسرورًا هذا المصير، أو أنهُ سينتهي إلى مكة. وفي الوقت نفسه فإن وضع عبد الله نفسه -على أية حال- ليس آمنًا تمامًا. فالمناطق الساحلية كالقطيف والأحساء كما ذُكر سابقًا غير موالية في الباطن، وهي فقط، تنتظر الفرصة الملائمة، كما أن أخاه سعودًا يُكن له عداوة شخصية منذ عدة سنوات. وإذا ما توجهت

---

[*] ومما يؤيد كلام المُقيم البريطاني لويس بلي عن مسألة عدم الوفاق بين عبد الله بن فيصل وبين السكرتير محبوب بن جوهر، أن الأخير قد انضم إلى جانب سعود بن فيصل، الذي خرج عن سلطة أخيه بعد أن خلف عبد الله أباه فيصل كإمام وأمير للدولة، وقد التحق محبوب بسيده سعود في الأحساء عام ١٢٨٨هـ - ١٨٦١م، بعد استيلاء سعود على تلك المنطقة.

الأحداث في صالحه فإنهُ سيطمح إلى السلطة. إن مزاج سعود أكثر اعتدالاً من مزاج عبد الله، وهو مُفضل من قبل السكان الحضر. إن قوة عبد الله تكمن في شخصيته كُمقاتل وذلك يُثير إعجاب البدو». ۞ -انتهى الاقتباس-

ونلاحظ أن المقيم البريطاني لويس بلي، يعطي أهمية كبرى لذلك "العبد الخلاسي محبوب"، الذي هو ابن العبد جوهر، لكن الرحالة وليام بالجريف الذي سبق لويس بلي في زيارة الرياض بعدة سنوات، لديه معلومات دقيقة ومفصلة عن هذا الـ(محبوب)، حيث يعتقد بالجريف أن محبوبًا ليس ابنًا شرعيًا لعبد القصر جوهر، بل هو ابن غير شرعي للإمام فيصل بن تركي نفسه من تلك الجارية الجورجية التي أهداها عباس باشا لفيصل، ولديه ظنون مشروعة ووجهة نظر معتبرة في هذا الجانب. حيث يروي بالجريف في كتابه عن ذلك العبد محبوب، قائلاً:

«وبينما راحت تنهال علينا أفضال عبد الله، وبينما كنا نكتب وصفات طبية لحيواناته من ناحية ولخدمة موظفيه من الناحية الأخرى، وافق محبوب، بفعل تأثره بمدائح والده، على أن يزورنا، وهو الأمر نفسه الذي دفعنا حرصنا إلى تجنب القيام به تحسبًا للتوقعات. رئيس الوزراء محبوب، وما أدراك ما رئيس الوزراء! ومن حُسن حظي أن أبا عيسى كان قد وصف لي صورة سعادته في أحيان كثيرة، مما جعلني أتعرفه فور دخوله إلى منزلنا، غير أن رفيقي بركات، لم يكن يُصدق مُطلقًا أن الشخص الذي أمامه هو العمود الرئيسي في نجد بل وفي الإمبراطورية الوهابية كلها. ولما كان محبوب ابن أمة جورجية (جارية شركسية) Georgian، أهداها عباس باشا للملك فيصل عند اعتلائه العرش.، فإن عمر محبوب يُقدر بحوالي خمسة وعشرين عامًا، وكان مظهره صبياني جدًا، وغير نجدي، وغير عربي أيضًا، مما أحارني وأثار دهشتي!

---

۞ كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف: الليفتانت كولونيل لويس بلي.

ووالد محبوب هو (العبد) جوهر، مريضنا الأسود!. وأنا أقصد بذلك والده القانوني، والسبب في ذلك، أن هذه البشرة البيضاء، وهذا الشعر الملون الناعم، وهاتين العينين الزرقاوين، وهذه الأطراف المُتناسقة، لا يمكن بأي حال من الأحوال عزوها إلى والد أسود!، اللهم إلا إذا كانت دراستي وكتبي وملاحظتي مُزيفة، ولا أساس لها من الصحة، والواقع أنه إذا كان اللسان الرسمي، من قبيل الحرص الذي سوف ألتزمه طوال كتابة هذه القصة؛ يجعل جوهرًا أبًا لرئيس الوزراء، فلا أحد، سواء أكان كبيرًا أم صغيرا، يُنكر أو يُخامره أي شك في أن فيصل هو صاحب الحق أولاً وأخيرًا في منح هذا اللقب العزيز. وأنا هنا في غنى عن الدخول في تفاصيل أسرار البلاط الملكي أو فضائحه، إن قدر للفضائح أن تجد لها مكانًا في نجد، وهنا ينبغي على القارئ الكريم، أن يثق بأنني على يقين من أنه طالما المرأة الجورجية هي أم محبوب، فإن فيصل سيدها الأول ومالكها، لا بد أن يكون والد محبوب أيضًا. ومحبوب شاب ماهر وذكي، بلا أدنى شك، وهو جريء وجسور أيضًا. وتذوقه للأدب بصفة عامة، وحبه للبحث يُدلان على أصله القوقازي، ويظهران عليه بشكل واضح. ومع ذلك فإن الغرور، والصفاقة، والتباهي، والقسوة الاستبدادية والسلوك الطائش الذي يتناقض مع الوقار والرزانة المُعتادة في الرياض. كل ذلك في شخص محبوب، وليس في ذلك ما يُثير الدهشة أو العجب، إذا ما أخذنا أصله وتربيته في القصر بعين اعتبارنا. وعلى كل حال، فإن هذه العيوب تعدُ مستورة ومقنعة إلى حد ما، بل إنها تكاد تكون لائقة ومقبولة، في ضوء استقلاله الفكري والسلوكي القوي، ونغمته الصريحة، وبشاشته الصادقة في بعض الأحيان، والتي يفتقر إليها كثير من النجديين المحيطين به. وأخيرًا وليس آخرًا، فإن محبوبًا وسيم بشكل ملفت للنظر، وجميل، وجورجي تمامًا. والخلاصة هي أن محبوبًا عبارة عن شخصية آرنولد التي أوردها الشاعر الإنجليزي بايرون Byron في الحلم الغريب، في قصيدته "ممسوخ مشوه" De Formed Trans Formed" تلك الصورة التي كانت تقفز إلى ذهني، في معظم

الأحيان، وأنا أتحدث مع محبوب الخلاسي. هذه البسطة في العقل وفي الجسم تجعل هذا الغلام القوقازي المولد، وهو في سن يُجاهد فيها الإنجليز الخُلص في المدارس، أو يعملون عازفي أبواق أو ضباط صف في البحرية، يقود طاغية نجد العجوز من أنفه، ويرهب ابنه المُخيف بالصياح والعبوس، ويتحكم في عبودية أفراد البلاط، وفي الرؤساء، وفي المطاوعة، كما أنه هو وحده الذي يتحكم في مصير أكثر من نصف شبه الجزيرة العربية». ۞ -انتهى الاقتباس-

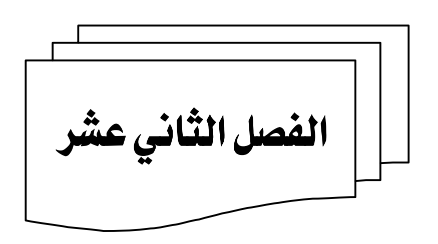
والحقيقة يراودني شعور كبير بالفضول وربما يُشاركني الكثير من القراء لمعرفة مصير محبوب، وهل نجا لاحقًا من مطاردة عبد الله بن فيصل له، بعد أن كان حاقدًا عليه وصادر جميع ممتلكاته لأنهُ كان مواليًا لأخيه المُنافس سعود، وهل تزوج محبوب وأنجب أبناء ؟ وهل رُزق بأحفاد ؟ وهل هم الآن على قيد الحياة ؟... أسئلة كثيرة تبحث عن أجوبة.

فالرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف، وصف محبوب وصفًا دقيقًا وقال إن عمره آنذاك كان في حدود الـ ٢٥ عامًا، وذلك عندما قابله في الرياض عام ١٨٦٣م، أي أن عمره يكون قد بلغ الـ ٦٠ عامًا في عام ١٩٠٠م، هذا في حال أنه قد سلم من المطاردة ولم يُقتل، وفي حال تزوج وكان لديه أبناء، فإن أحد أحفاده يكون الآن في عمر الـ ٧٠ عامًا، وعليه قد تكون تلك المعلومات مفيدة لكل من كان من سكان نجد، واسم جده محبوب، وهو من ذوي البشرة البيضاء والأعين الزرقاء، خصوصًا إذا عرف أحفاده الحاليون أن جدهم محبوب كان ابنًا غير شرعيًا لفيصل بن تركي.

- ملاحظة : سيكون التفصيل أكثر والبحث أوسع عن علاقة وتعاون آل سعود مع الإنجليز، ومن ثم مع الأمريكان، خصوصًا علاقة العميل العتيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، وهذا ما سأتناوله في كتابي القادم بإذن الله تعالى.

---

۞ كتاب: وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.




# نجد : وعقدة قرن الشيطان !

ربما من سوء حظ الوهابيين وسوء طالع محمد بن عبد الوهاب، أنهم كانوا من أهل اليمامة، وأن شيخهم وصاحب دعوتهم وُلد هو الآخر في قرية العيينة؛ تلك البقعة التي كانت ساحةً لموقعة دموية دارت عليها رحى حروب الردة، والتي أستشهد فيها خيار صحابة رسول الله ﷺ، وأن دعوتهم الوهابية خرجت من عمق وقلب نجد التي ذكرها الرسول ﷺ مُنفِرًا من أهلها ومحذرًا من كون تلك البقعة هي أرض الزلازل والفتن وأن بها قرن الشيطان، كما أن القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ كانت تحذر وتنبه من نفاق وكفر وغلظة قلوب الأعراب الذين كان أغلبهم في إقليم نجد؛ أي في الفدادين؛ وهم أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل من ربيعة ومضر، ورأس الكفر نحو المشرق.

وكثير من الأحاديث النبوية تربط تلك الفتن بجفاء أولئك القوم، وما فيهم من الغلظة والقسوة، المرتبطة بطريقة عيشهم، أي بوصفهم (الفدادين) رعاة الإبل. وكما هو معروف للجميع أن قبائل نجد جزيرة العرب هم من ربيعة ومضر، الذين كانوا هم رأس الكفر والردة والحرب والعداوة لله ورسوله لاسيما رأس الفتنة مُسيلمة الكذاب.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الحجرات : ١٤.

وقال تعالى: ﴿ الأَعْرَابُ أشد كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة :٩٧-٩٩

وجاء في تفسيره الشوكاني لقول الله تعالى ﴿الأَعْرَابُ أشد كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ قوله: ٩٧- "الأعراب أشد كفرًا ونفاقا" لما ذكر الله سبحانه أحوال المُنافقين بالمدينة

ذكر حال من كان خارجًا عنها من الأعراب، وبين أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر غيرهم ومن نفاق غيرهم، لأنهم أقسى قلبًا وأغلظ طبعًا وأجفى قولاً، وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسله، والأعراب: هم من سكن البوادي بخلاف العرب، فإنه عام لهذا النوع من بني آدم سواء سكنوا البوادي أو القرى، وذلك أن من استوطن القرى العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو أعرابي، إذن الأعراب مواطنهم هي الصحاري والبوادي والقفر، وقد جاء في السنة النبوية في الترمذي: حدثنا ابن أبي عمر وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فصلى، فلما فرغ قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: لقد تحجرت واسعًا! فلم يلبث أن بال في المسجد فأسرع إليه الناس....

وفي شرح تحفة الأحوذي: قوله (دخل أعرابي) بفتح الهمزة منسوب إلى الأعراب وهم سكان البوادي ووقعت النسبة إلى الجمع دون الواحد.

فقيل أعرابي لأنه جرى مجرى القبيلة كأنها واحد لأنه لو نسب إلى الواحد وهو عرب لقيل عربي فيشتبه المعنى.

لأن العربي كل من هو من ولد إسماعيل عليه السلام سواء كان ساكنًا في البادية أو بالقرى وهذا غير المعنى الأول.

وأما حادثة اعتراض ذو الخويصرة التميمي على قسمة الرسول ﷺ، فهي أشهر من نار على علم.

(عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال له الرسول ﷺ:" ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل"! فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال:"دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم،

وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس".).

وجاء أيضًا عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك، عن رسول اللّه ﷺ قال: (سيكون في أمتي اختلافٌ وفرقةٌ، قومٌ يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدِّين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتدَّ على فوقه، هم شرُّ الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب اللّه وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى باللّه تعالى منهم) قالوا: يا رسول اللّه، ما سيماهم؟ قال: (التحليق). وفي رواية عن أنيس قال: (سيماهم التحليق والتسبيد فإذا لقيتموهم فأنيموهم) قال أبو داود: التسبيد: استئصال الشعر. أخرجه أحمد في المسند (١٩٧/٣) وأبو داود في باب في قتال الخوارج. رقم: ٤٧٦٥

وعليه فإن الراجح أن الرسول ﷺ لم يرتح لنجد ولا لأهلها، لأن سكان نجد كانوا من الأعراب الغادرين الذين لا يؤمن جانبهم ويتصفون بالنفاق وغلظة القلوب، ولهذا حذر الرسول ﷺ منهم، وأنذر المُسلمين بأنهم سيكونون بؤرةً وقرنًا للشيطان.

ومما جاء في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام عن نجد وأهلها من الأعراب من أهل الوبر:

فقد جاء الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري: [حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ، يشير إلى المشرق فقال: (ها إن الفتنة ها هنا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان)].

**وقد عقب الإمام أبو حاتم محمد بن حبان في (صحيح ابن حبان) بعد ذكر الحديث بنحوه قائلاً: [مشرق المدينة هو البحرين ومسيلمة منها وخروجه كان أول حادث حدث في الإسلام]، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: (إسناده صحيح على شرطهما).**

**كما جاء أيضًا في الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري: [حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا حسين بن الحسن قال: حدثنا بن عون عن نافع عن بن عمر قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قال: قالوا وفي (نجدنا؟!). قال: قال هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان].**

**وروي عن أبي مسعود عقبة بن عمرو:[ أشار رسول الله ﷺ، بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان ها هنا؛ ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر)]**

**وجاء هو في الجامع الصحيح المختصر: [حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن إسماعيل قال: حدثني قيس عن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال: أشار رسول الله ﷺ، بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان ها هنا؛ ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر)].**

**وكذلك حديث أبي سعيد الخدري:[افتخر أهل الإبل عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (السكينة والوقار في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في أهل الإبل].**

**كما جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل: [حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثني شريح بن عبيد عن عبد الرحمن بن عائذ الأزدي عن عمرو بن عبسة السلمي قال: كان رسول الله ﷺ، يعرض يومًا خيلاً وعنده عيينة بن حصن بن بدر الفزاري فقال له رسول الله ﷺ: (أنا أفرس بالخيل منك)؛ فقال عيينة: (وأنا أفرس بالرجال منك!) فقال له النبي ﷺ: (وكيف ذاك؟) قال: (خير**

الرجال رجال يحملون سيوفهم على عواتقهم جاعلين رماحهم على مناسج خيولهم لابسو البرود من أهل نجد!). فقال رسول الله ﷺ: (كذبت: بل خير الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان: إلى لَخْمٍ وَجُذَامَ وَعَامِلَةَ وَمَأْكُولُ حِمْيَرَ خَيْرٌ مِنْ آكِلِهَا، وَحَضْرَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، وَقَبِيلَةٌ خَيْرٌ مِنْ قَبِيلَةٍ، وَقَبِيلَةٌ شَرٌّ مِنْ قَبِيلَةٍ. وَاللَّهِ مَا أُبَالِي أَنْ يَهْلِكَ الْحَارِثَانِ كِلَاهُمَا. لَعَنَ اللَّهُ الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ : جَمَدَاءَ وَمِخْوَسَاءَ وَمِشْرَخَاءَ وَأَبْضَعَةَ وَأُخْتَهُمْ). ثُمّ قال: (أَمَرَنِي رَبِّي عَزّ وَجَلّ أَنْ أَلْعَنَ قُرَيْشًا مَرّتَيْنِ فَلَعَنْتُهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ فَصَلّيْتُ عَلَيْهِمْ، مَرّتَيْنِ) ثُمّ قال: (عُصَيّةُ عَصَتْ اللّهَ وَرَسُولَهُ غَيْرَ قَيْسٍ وَجَعْدَةَ وَعُصَيّةَ). ثُمّ قال: (لَأَسْلَمُ وَغِفَارُ وَمُزَيْنَةُ وَأَخْلَاطُهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ خَيْرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وَغَطَفَانَ وَهَوَازِنَ عِنْدَ اللّهِ عَزّ وَجَلّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ثُمّ قال: (شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ نَجْرَانُ وَبَنُو تَغْلِبَ وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنّةِ مَذْحِجٌ وَمَأْكُولُ)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله :ﷺ سلوني ... قال يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأحدثك عن أشراطها إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها). الحديث رواه البخاري ومسلم صحيح الترغيب والترهيب.

(إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها ورأيت أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رؤوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها]. (صحيح).

عن عبد الله بن عباس مرفوعا به وزاد في أخره قال: جلس رسول الله ﷺ مجلسًا له فأتاه جبريل عليه السلام فجلس بين يدي رسول الله، واضعًا كفيه على ركبتي رسول الله، فقال: يا رسول الله حدثني ما الإسلام (قلت: فذكر الحديث بطوله وفيه) قال: يا رسول الله فحدثني متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله: {إن الله عنده علم الساعة...}

الآية، ولكن إن شئت حدثتك بعالم لها دون ذلك قال: أجل يا رسول الله فحدثني قال رسول الله: فذكره. وزاد في أخره: قال: يا رسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال: العرب. (صحيح). (الْعَالَة) جَمْع عَائِل بِمَعْنَى الْفَقِير، (رِعَاء الشَّاء) .... وَالْمُرَاد الْأَعْرَاب وَأَصْحَاب الْبَوَادِي.

ففي رواية الإمام أحمد إن بين يدي الدجال سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويخون فيها الأمين ويؤمن فيها الخائن وذكر بقيته ومضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث، يرجع إلى أن الأمور توسد إلى غير أهلها كما قال النبي ﷺ لمن سأله عن الساعة، إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة فإنه إذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء وهم أهل الجهل والجفاء رؤساء الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان، فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا، فإنه إذا كان رؤوس الناس من كان فقيرًا عائلاً فصار ملكًا على الناس سواء كان ملكه عامًا أو خاصًا في بعض الأشياء فإنه لا يكاد يعطى الناس حقوقهم بل يستأثر عليهم بما استولى عليهم من المال، فقد قال بعض السلف لأن تمد يدك إلى فم التنين فيقضمها خير لك من أن تمدها إلى يد غني قد عالج الفقر وإذا كان مع هذا جاهلاً جافيًا فسد بذلك الدين لأنه لا يكون له همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم بل همته في جباية المال وإكثاره ولا يبالي بما أفسد من دين الناس ولا بمن أضاع من أهل حاجاتهم وقال في حديث آخر لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وإذا كان ملوك الناس ورؤوسهم على هذه الحال انعكست سائر الأحوال فصدق الكاذب وكذب الصادق وائتمن الخائن وخون الأمين وتكلم الجاهل وسكت العالم أو عدم بالكلية، كما صح عن النبي ﷺ أنه قال إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل وأخبر أنه يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، وقال الشعبي لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلاً والجهل علمًا وهذا كله من انقلاب الحقائق في أخر الزمان وانعكاس الأمور.

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم، قالوا وإن ذلك لكائن؟ قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر. قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قالوا وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: كيف إذا رأيتم المعروف منكرًا ورأيتم المنكر معروفًا! قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وأشد منه سيكون يقول الله بي حلفت لأتيحن لكم فتنة يصير الحكيم فيها حيران) جامع الأحاديث.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب).

أما الوهابية فيفسرون هذا الحديث حسب أهوائهم ومزاجهم كي يذودوا عن دعوة صاحبهم محمد بن عبد الوهاب الذي كفَّر أغلب أبناء الجزيرة العربية واتهمهم بالردة والشرك، فيقولون زاعمين:
"ارتد أكثر العرب بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكثير منهم رجع إلى عبادة الأوثان، وقال محمد بن عبد الوهاب في: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان، ثم ذكر بعض الأحاديث الدالة على ذلك". فزعم أن هذا الحديث يعني أن الشيطان قد أيس في أن يجمع كل المصلين على الكفر وليس الأفراد والجماعات!

ولو نفرض جدلاً أن محمد بن عبد الوهاب كان فعلاً هو من أنقذ أولئك الأفراد والجماعات من براثن الشرك والوثنية وعبادة الشيطان، وأن سكان نجد قد عادوا لأيام الجاهلية الأولى فأرسل الله لهم من ينتشلهم من شركهم وكفرهم... فمن أنقذ بقية سكان الجزيرة العربية الذين لم ينضووا تحت سلطة محمد بن عبد الوهاب وشريكه محمد بن سعود؟!

ثم لنبتعد عن حدود الجزيرة العربية ونذهب لبقية البلدان العربية والإسلامية الأخرى، فلماذا لم يعبد المصريون مثلاً أو الأردنيون أو السوريون أو العراقيون؛ الأوثان ويشركوا بالله؟ (وأعني هنا أهل السُّنة والجماعة طبعًا حتى لا يجدوا لهم مخرجًا)، مع أن تلك الشعوب والدول لم يخرج لديهم مثل ذلك الدعي محمد بن عبد الوهاب؟!

وإن قالوا : إن ذكرك لوجود غير أهل السُّنة في تلك البلدان فهو دليل على وجود الشرك ومذاهب غير مذاهب أهل السُّنة في تلك الأصقاع!...
فأقول : ونفس الشيء ينطبق على شبه الجزيرة العربية، فقد بقي بها المذهب الشيعي والإسماعيلي والزيدي وغيرهم من مذاهب أخرى، بل أن محمد بن عبد الوهاب أمر بمصالحة مكرمي نجران عندما قام الأخير بهزيمة جيش الدرعية، فأهداه عشرين فرسًا وأموال وأمتعة، وهذا يعني أن دعوة محمد بن عبد الوهاب لم تغير أو تقضي على المُخالفين والقبوريين في جزيرة العرب كما زعموا.

إذن فالقول إن تلك الدعوة والزعم بأنها أنقذت سكان الجزيرة العربية من براثن الوثنية والشرك، هي فرية وترهة؛ بل نكتة سمجة شبيهة بكذبة سلمان بن عبد العزيز الذي زعم يومًا أمام الملأ أن سبب ظهور البترول في (السعودية) كان بسبب دعاء لعجوز سعودية فقيرة في الرياض، دعت لأبيه عبد العزيز أن يفتح الله له خزائن الأرض، فكان ما كان، وذلك عندما زعم أن والده ذهب مُتخفيًا ـ كما يروي سلمان ـ لكي يتفقد الضعفاء والفقراء ليلاً، ولكي يعطي تلك العجوز بعض المال، فأمسكت بيد عبد العزيز وفتحت جيب صدرها ودعت له أن يفتح الله له خزائن الأرض، فظهر البترول! هكذا؟!
ونسي سلمان بن عبد العزيز أن البترول ظهر قبل ذلك في العراق وفي إيران وثم في الكويت والإمارات، وحتى النرويج وفنزويلا!
فهل فهنالك عجوز نرويجية مثلاً دعت لملك النرويج ففتح الله له ولشعبه آبار بحر الشمال في أعماق المحيط؟!... أم هل هنالك عجوز قطرية فتحت جيب صدرها ودعت لقاسم بن ثاني فتفجرت آبار الغاز والنفط لصالحه؟!

**مهازل مُضحكات لا تروج إلا على السذج ولا يقبلها عقل؛ إلا عقول الوهابيين الفارغة، ولذلك هم على استعداد كامل لعصر أدمغتهم والبحث عن ذرائع وحجج واهية وأن يتخذوا أخبث الأساليب والطرق المُلتوية لتزوير وفبركة الأحاديث، أو تجيير الآيات القرآنية كي تنساق وفق رؤيتهم، بعيدًا عن قدسية النص أو أي احترام لقائله!.**

**هكذا يُحاول الوهابيون دائمًا تسخير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ولوي عنق العقيدة كي يجيروها لصالح شيخهم ابن عبد الوهاب.**

**وليتهم وقفوا عند التزوير والتلفيق والنفاح المُستميت، بل تعدوا ذلك لإرغام أتباعهم لقبول تفسيرات غير منطقية، ونسبتها زورًا للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، في سبيل تبرئة ساحتهم أو رفع الشبهة عن منطقتهم وخصوصًا تلك البقعة التي خرج منها صاحبهم ابن عبد الوهاب!**

**فهم لا يتورعون ولا يعنيهم أن يُخطئِوا الرسول الكريم ﷺ عمدًا، أو يُظهروه بمظهر الذي لا يعرف أو يجهل الاتجاهات والأسماء، حاشاه، بقدر ما يعنيهم أن يُنافحوا ويستميتوا في الدفاع عن نبيهم الجديد محمد بن عبد الوهاب ويعصموا دعوته.**

**فقد كان الرسول محمد ﷺ صادقًا صدوقًا بليغًا فصيحًا لبيبًا عارفًا مُطلعًا، قبل أن ينزل عليه الوحي، وحينما بُلغ بالرسالة الربانية ونزل عليه الوحي لم يكن ينطق عن الهوى، بل كان وحيًا إلهيًا يوحى إليه استلهامًا من رب العباد، ولهذا فكل ما بشرنا به وذكره وقع فعلاً وسيقع، ولعمري تلك الأحاديث التي صحت روايتها عنه كانت برهانًا صادقًا ونذيرًا صدوقًا لكل من كابر وتعجرف ومال بوجهه وصد عن الحق.**

**وللأسف فقد حاول الوهابيون الجُدد جاهدين حرف الكلم وتعمدوا التفسير الخاطئ بدافع العصبية والتمذهب ولغرض التنطع والتلبيس... فهل كان الرسول ﷺ، لا يدرك في وقته أن العراق يُسمى عراقًا، وهو ما يزال تحت**

السيطرة الفارسية آنذاك، ومع هذا يتغافل الرسول ﷺ عن تلك الحقيقة ويُطلق على العراق مُسمى نجدنا؟!

فكيف يكون العراق نجدًا لنا وهو مازال يرزح تحت السيطرة الفارسية ومحكوم من قبل أكاسرة الفرس، ولم يُحرر بعد؟!

وهل يجهل المُصطفى ﷺ منازل ربيعة ومضر، ولا يعرف من هم أهل الوبر ومن هم أهل المدر، حتى يخلط بين حاضرة العراق وبادية اليمامة؟

ثم هل كان الرسول ﷺ وحاشاه يجهل اتجاه الشرق، أو لا يعرف من أين تُشرق الشمس على المدينة المنورة لكي يؤمئ بيده نحو المشرق وهو يعني العراق؟

ومع أن العالم والمفتي الجليل الشيخ "جوجل" قد قام بالمهمة على أفضل وجه وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن اليمامة وجزء من البحرين هي التي تقع في شرق المدينة المنورة، وعليه فلن نحتاج لجغرافيين ولا إلى شيوخ غفلة لكي يصروا على دجلهم ويستمروا في غيهم بالقول إن الشمس تشرق على المدينة المنورة من جهة العراق، وعليه فإن عقولهم الجوفاء لا تستوعب وتُصر على أن نجد المقصودة في الحديث هي بلاد الرافدين.

ولأن الوهابيين قد جُبلوا على التدليس وأباحوا التزوير والتلفيق تحت ذريعة الذود عن عرض شيخهم والدفاع عن مذهبهم، فهم لا يتورعون عن الكذب والتزييف ولوي عنق الحقيقة في سبيل أن يرفعوا عن كاهلهم ما نعتهم به الرسول الكريم ﷺ، وخصوصًا قوله أن نجد هي قرن الشيطان، وأن منها تخرج الزلازل والفتن.

ولما رأوا أن نعتهم بصفة قوم أو أصحاب قرن الشيطان سوف لن ييسر لهم الأتباع ولن يسهل عليهم تسويق دعوتهم الشيطانية، فرموا بدائهم على العراق وأهله وانسلوا، بحجة أن العراق حدثت فيه قلائل وفتن وعليه فهو المقصود بمسمى نجد كما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، وليس نجدهم وعاصمتها اليمامة، وهم يعلمون يقينًا ويدركون جيدًا أنهم يكذبون ويحرفون

في قول المُصطفى، ويا ليت كذبهم هذا وتحريفهم للحديث جاء ضربًا ونكثًا بكلام شخص عادي، أو تكذيبًا وتحريفًا لحديث شيخ أو داعية أو عالم، فكلٌ يؤخذ منه ويُرد، بل جاءت دفوعاتهم الباطلة تلك وحميتهم النتنة ضد قول خير البرية وسيد الخلق الرسول المُصطفى ﷺ، كل ذلك في سبيل تنصلهم من صفة قرن الشيطان ونصرة لصاحبهم، ورفع الشبهات عن دعوتهم الدموية، ونسوا أن صاحب هذا القبر؛ كما قال مالك، لا يُرد في قوله أبدًا... فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وليعلم الوهابيون وأتباعهم الجاميون والذين يتحمسون لهم بالباطل أو بدافع الحمية المذهبية أو العنصرية المناطقية، أن خصيمهم في الدنيا والآخرة هو الرسول المُصطفى محمد ﷺ، وليس أنا أو مُخالفيهم أو أعداءهم كما يظنون. فهم أمام خيارين لا ثالث لهما... إما أنهم يعرفون الحقيقة ولكنهم يعاندون مُتعمدين ذلك الفعل ومُصرين على الخطأ، ومُدركين بأنهم يُحرفون كلام وأحاديث الرسول ﷺ، مع سبق الإصرار والترصد، ومُعاندين لصوت الحق ورافضين للتوبة والرجوع لطريق الصواب والرشاد.
وإما أنهم حمقى ومُغفلون ويُصرون بغباء مُنقطع النظير على أن شرق المدينة المنورة هو العراق وليس اليمامة، وأن الرسول ﷺ بأبي هو وأمي صاحب الرسالة الغراء، حاشاه وكلا، فهو لا يفقه في الاتجاهات ويجهل من أين تشرق الشمس على المدينة المنورة!

وفي كلا الحالتين هم آثمون مُعتدون ولاشك وأنهم ضالون مضلون إذا لم يرتدعوا ويرجعوا عن غيهم ويعتذروا من الرسول ﷺ قبل كل شيء، ومن ثم يعترفوا لأتباعهم الذين ضللوهم بالكذب والتدليس طوال تلك السنين، لأن خصمهم هو النبي الهادي الأمين ﷺ والذي لا ينطق على الهوى.

وأول من أصر من الوهابيين على أن نجد المقصودة في الحديث هي العراق وليس اليمامة كان حفيد محمد بن عبد الوهاب المدعو عبد اللطيف بن عبد الرحمن، حيث أصر في رده على محاوره العلامة العراقي الشيخ داود بن سليمان بن جرجس، حيث زعم أن نجد التي ذكرها الرسول ﷺ والتي ذكر أنها أرض الزلازل والفتن هي نجد العراق، وربما لا يُلام عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ لأنهُ لم يلحق على تقنية جوجل وكان مُتعصبًا يجهل الاتجاهات. وقد فصّل الرحالة وليام بالجريف الكثير من شخصية عبد اللطيف هذا وذلك عندما زار الرياض في حينه، وهو ما يوضح سبب تعصبه وجهله المركب في مسألة تحديد شرق المدينة المنورة، فيزعم عبد اللطيف آل شيخ هذا في رده ويقول:

« لو سلمنا أن المراد بنجد في الحديث القطعة الشهيرة مع أن الأمر ليس كما فهمت أنت وأضرابك. بل المراد بنجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق لأنهُ يُحاذي من جهة الشرق يوضحه أن في بعض طرق هذا الحديث "وأشار إلى العراق". قال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق نواحيها فهي مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها».[۞] -انتهى الاقتباس-

ونأتي هنا لدحض هرطقات عبد اللطيف آل الشيخ وتفنيد تلك الادعاءات الزائفة بالدلائل والبراهين؛ وبشهادة السيد جوجل أيرث، وسأثبت لهؤلاء المُتنطعين أن نجد المُقصودة في كلام المُصطفى ﷺ هي يمامة مُسيلمة الكذَّاب وخليفته محمد بن عبد الوهاب وليس العراق كما زعموا، وليعلموا أن تقنية (جوجل إيرث) لا تُحابي ولا تماري أحدًا، ولن تسمح بتضييع الوقت أو تُدلس على الناس كما يفعل مشايخ الإفك والظلال، لأن قول أقمار ناسا هي الفصل والصور المُلتقطة من الفضاء هي الحسم، ولكن يجب مُجاراة أتباع من زعم أن الأرض لا تدور، وأن رواد الفضاء لم ينزلوا على ظهر سطح القمر.

---

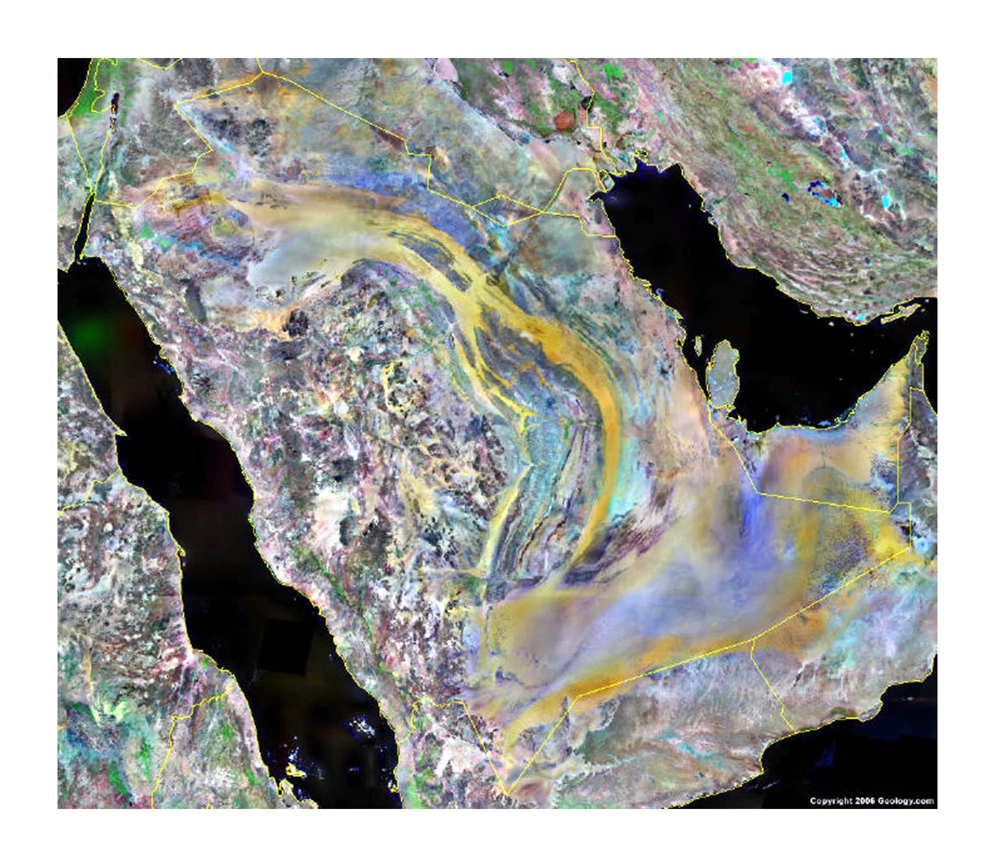
[۞] كتاب: تاريخ نجد \ تأليف : محمود شكري الآلوسي.




وقبل أن نبحث في الأمر ونطرح البراهين والحُجج، يجب أن نعرف أولاً أن كل بلاد العرب والمُسلمين قبل الفتوحات الإسلامية وبعدها، كانت ومازالت تحيط بها المشاكل والحروب والفتن الداخلة والقلائل، وكلام المُصطفى لم يكن يعني به، حدوث مشاكل داخلية أو حروب أهلية أو قلائل عامة، بقدر ما أنهُ كان يُنبه عن وقوع خطر خارجي داهم وحدوث شيء عظيم ومؤامرات عالمية كبرى تُحاك ضد المُسلمين سيكون أطرافها والشركاء الفعليون في تدبير تلك المؤامرات والقلاقل هُم من كنَّاهم بقرن الشيطان، ومن يدري فربما القادم أعظم وأشد وأن بعض تلك النُذر الجلية لم تقع بعد، والله أعلم.

**ولو أن الأمر كان يقتصر على حدوث فتن وقلائل داخلية لكان الأحرى بالرسول ﷺ أن ينعت اليمن بأرض الزلازل والفتن، لأن بها خرج الأسود العنسي وأدعى النبوة هو الآخر في حياة الرسول، لكنه كان يرمي من كلامه بوقوع زلازل وفتن وأخطار كبيرة تحل بالأمة الإسلامية جمعاء وليس مقتصرة بقطر ما، وبالرغم مما جرته نجد الحالية "مركز السعودية المُعاصرة" من كوارث ومحن على الإسلام والمُسلمين، بدءً من استقدام حكامها الحاليين من آل سعود لنصف مليون جندي صليبي ويهودي أمريكي، دنسوا بهم طهارة وعفة جزيرة العرب، ومن ثم انطلاقهم من أراضيها بأرمادتهم العسكرية الهائلة والمُدمرة على مدى العشرين عامًا الماضية، لقتل وتدمير وسحق العرب والمُسلمين في العراق "الذي زعم الوهابيون أنه نجد المعنية بالحديث" وكذلك في أفغانستان، وباكستان والصومال واليمن، وغيرها من بلدان عربية وإسلامية أخرى. ثم لاحظنا كيف يسّرت نجد اليمامة الحالية عملية الاحتلال الصهيوصليبي للعراق وتشريد أهله وتمكين أهل الخيانة والرفض منه، وكذلك غزو أفغانستان وتمزيق أوصاله، وساهمت بشكل فعال في سقوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية، وذلك بفتح أراضيها وأجوائها لقوات المارينز الأمريكية المُعتدية، ودعمتهم بالمال والبترول الرخيص، وكيف موّلت تلك الجيوش الغازية بالغذاء والدواء؛ وحتى مياه مكة المُكرمة المعدنية المُعبأة في السعودية.**

**فهل بعد كل هذه الكوارث والمجازر الدموية التي جلبها آل سعود على العرب والمُسلمين، يطلب أتباع الوهابية أدلة وبراهين مصداقا لقول المُصطفى ﷺ عندما قال إن نجد بها قرن الشيطان وأن الزلازل والفتن تظهر منها، ولا أعرف لما يُصر الوهابيون وبكل بجاحة تحميل الضحية المسؤولية وإثم ما اقترفوه من مؤامرات وجرائم فينعتون العراق بنجد، وهم يُدركون جيدًا أن نجدهم هي تلك التي اقترفت كل الجرائم وأعانت الكفار وشاركت بالحصار وموّلت نحر أهل العراق!؟**




- نأتي لطبوغرافية العراق وتضاريس نجد اليمامة:

أولاً، وكما هو معلوم للجميع، فإن كلمة النجد تعني في اللغة العربية أو تطلق على ما ارتفع وعلا عن الأرض، كما إن أرض العراق مُقارنة مع نجد الجزيرة العربية أو لنقل (نجد اليمامة) قطعًا ستكون سهلاً لا نجدًا، والدليل أن بعض أودية وشعاب نجد الحالية، ينتهي مصبها في أراضي العراق الحالي، أي أن أرض العراق هي منخفضة عن أرض نجد اليمامة المُرتفعة، ولذلك تسيل الوديان والشعاب نحو منخفض العراق، وكم من مرة سالت مناطق عراقية مثل سفوان وبعض مناطق الزبير والسماوة جراء مياه الأمطار المُنسابة من وديان وشعبان نجد اليمامة. ثم أن أرض العراق مُنخفضة عما جاورها، فهي ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٠٠ متر علوًا فقط، أما نجد اليمامة فترتفع إلى قرابة الألف متر فوق مستوى سطح البحر.

وأن أرض سواد العراق هي في الغالب أرض سهلية مُنبسطة بين نهرين عظيمين "دجلة والفرات" تكونت تربتها وبقية تضاريسها عبر آلاف السنين، ولا يصل فارق الارتفاع ما بين العاصمة بغداد مثلاً التي تقع في وسط العراق وبين أقصى منطقة في الجنوب الشرقي في محافظة البصرة أكثر من مترين، ولا توجد أصلاً مرتفعات أو هضاب في أرض سواد العراق التاريخية قبل الفتوحات الإسلامية، فهي عبارة عن سهل رسوبي كما تشير حقائق التاريخ والجغرافيا.

ثم نأتي لنُفصل في قول الرسول ﷺ: (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان).

فإذا كان الحديث النبوي الشريف يؤخذ على ظاهره أي يعني كما وردت في ظاهر المعنى، حدوث ظاهرة الزلازل والهزات الأرضية أي كظواهر ربانية وكعقوبات إلهية حلت بأقوام طغوا وتكبروا وبغوا من قبل، وليس المُعنى المجازي اللغوي لمفهوم الزلازل أي المحن والمصائب التي تُشبه بلاغيًا بالزلزال، فإن أرض العراق الحالي ليست بأرض زلازل ولم يُعرف ذلك عنها، لحد الآن على أقل تقدير. وحيث أن الحديث النبوي يُشير صراحة إلى أن نجد المذكورة في الحديث هي أرض للزلازل أو أنها ستكون أرضًا للزلازل حسب ظاهر الحديث، ودون أن يُحدد ﷺ الوقت أو الزمان، أي أنها تقع ضمن دائرة الهزات الأرضية الممكنة الوقوع، فإن العراق أو أرض السواد كما هو معلوم جغرافيًا هي خارجة عن خط الزلازل الذي يمر في المنطقة العربية، على الأقل لحد الآن لم تقع فيها زلازل أو هزات أرضية، ولم تُرصد أي نشاطات بركانية من قبل في العراق، وعلى العكس من القشرة الأرضية للعراق فإن تضاريس الجزيرة العربية عبارة عن صفائح تكتونية مُضطربة، وكذلك وجود عشرات الحراة والبراكين الخامدة والتي بدأ بعضها ينشط كما هو الحال مؤخرًا في حرة الشاقة وغيرها من الحرات الأخرى.




وكذلك هضبة نجد "السعودية" الحالية والتي تنتمي هي الأخرى إلى صفيحة تكتونية، وهي بالأصل امتدادًا لما يعرف جيولوجيًا بالأخدود الأفريقي والذي يعتبر درع الجزيرة العربية حيث هضبة تعتبر نجد جزءًا جيولوجيًا منها، ومعروف أن الدرع العربي هذا قد تعرض إلى عدة زلازل وبراكين مُتعددة فيما مضى، في حقب تاريخ مُختلفة مما يؤكد أن نجد الجزيرة هي المقصودة بالحديث لا غيرها.

قد يقول قائل: إن الهزات البركانية المتوسطة التي حدثت أخيرًا في حرة الشاقة وغيرها، هي تابعة للمدينة المنورة، وليس لنجد، فكيف تكون دليلاً على وجود الزلازل في نجد؟!

أقول إن الهدف من ذكري هنا لتلك الحالات ليس الغرض منها رمي شبهة الزلازل على أرض نجد، بل القصد منها التوضيح في أن تلك المنطقة ـ أرض الجزيرة العربية ـ منطقة نشطة بركانيًا، وهي مُعرضة للهزات الأرضية والزلازل في أي وقت، لأنها أصلاً مناطق بركانية خامدة قد تنشط في أي وقت، عكس أرض العراق المُستقرة زلزاليًا.

وعليه فلا مجال هنا للمُقارنة بين هضبة نجد النشطة بالزلازل عبر تاريخها السحيق، وبين أرض العراق المنبسطة الساكنة.
هذا بالنسبة لتركيب وطبوغرافية الأرض.

أما بالنسبة إلى صفات وأخلاق ومواصفات وطبائع وطباع السكان سواء لأهل نجد أو أهل العراق أو بقية المناطق الأخرى، يدِّون لنا الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" عن بعض الأحاديث النبوية الشريفة وكذلك السير الخاصة بأهل العراق، حيث يذكر:
« أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن بكير المقرئ قال حدثني أحمد بن محمد بن إبراهيم الأنباري قال نبأنا أبو عمر محمد بن أحمد الحليمي قال نبأنا آدم بن أبي إياس عن بن أبي ذئب عن معن بن الوليد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: قال النبي ﷺ اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا قال فقام إليه رجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا فأمسك النبي ﷺ فلما كان في اليوم الثاني قال مثل ذلك فقام إليه الرجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا فأمسك النبي ﷺ فلما كان في اليوم الثالث قام إليه الرجل فقال يا رسول الله وفي عراقنا فأمسك النبي ﷺ فولى الرجل وهو يبكي فدعاه النبي ﷺ فقال أمن العراق أنت قال نعم قال إن أبي إبراهيم عليه السلام هم أن يدعو عليهم فأوحى الله تعالى إليه لا تفعل فإني جعلت خزائن علمي فيهم وأسكنت الرحمة قلوبهم».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويذكر أيضًا الخطيب البغدادي في نفس كتابه روايات وأحاديث أخرى فيما جاء عن أهل العراق فيقول: «أخبرنا الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ قال أنبأنا محمد بن جعفر التميمي الكوفي قال إنبأنا الجلودي يعني أبا أحمد البصري قال نبأنا محمد بن زكويه عن بن عائشة قال كتب عمر بن الخطاب إلى كعب الأحبار اختر لي المنازل قال فكتب يا أمير المؤمنين أنه بلغنا أن الأشياء

---

[۞] كتاب : تاريخ بغداد أو مدينة السلام \ للحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ.

اجتمعت فقال السخاء أريد اليمن فقال حسن الخلق أنا معك، وقال الجفاء أريد الحجاز فقال الفقر وأنا معك، وقال البأس أريد الشام فقال السيف وأنا معك، وقال العلم أريد العراق فقال العقل وأنا معك، وقال الغنى أريد مصر فقال الذل وأنا معك، فاختر لنفسك، قال فلما ورد الكتاب على عمر قال: فالعراق إذًا فالعراق إذًا»

« أخبرنا محمد بن الحسين القطان قال أنبأنا عبد الله بن جعفر النحويُ قال حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن رجل عن عمر قال أهل العراق كنز الإيمان وجمجمة العرب وهم رمح الله عز وجل يحرزون ثغورهم ويمدون الأمصار».[۞] -انتهى الاقتباس-

وقد سأل الحجاج بن يوسف الثقفي يومًا ابن العرية عن طبائع أهل البلاد العربية وصفاتهم، فقال له: « أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم عنها، رجالها حفاة ونساؤها عراة، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة، وأهل عمان عرب استنبطوا وأهل البحرين نبط استعربوا، وأهل اليمامة أهل جفاء واختلاف أراء، وأهل فارس أهل بأس شديد وعز عتيد، وأهل العراق أبحث الناس عن صغيرة وأضيعهم للكبيرة، وأهل الجزيرة أشجع فرسان وأقتل للأقران، وأهل الشام أطوعهم لمخلوق وأعصاهم لخالق، وأهل مصر عبيد لمن غلب، أكيس الناس صغرًا وأجهلهم كبارًا».

ثم لنقرأ ما كتبه المؤرخ النجدي الوهابي العقيدة والهوى عثمان بن بشر عن بلاد نجد وسكانها، وإن كان هدفه من التدوين هو التطبيل والتزمير لـ محمد بن عبد الوهاب، لكنهُ ذكر حقائق ثابتة وسمات راسخة عن نجد وعن حال أهلها، يمكن للقارئ الحصيف أن يطلع على ما كتبه ابن بشر من باب ( من فمك أدينك، أو شهد شاهد من أهلها) وشخصيًا أعتقد أن كتاب عثمان بن بشر الموسوم بـ"عنوان المجد في تاريخ نجد" يُغني عن أي شرح وأي تفصيل،

---

[۞] كتاب : تاريخ بغداد أو مدينة السلام \ للحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ.

وأي قارئ بسيط سيطلع على هذا الكتاب، سيقتنع تمامًا أن نجد اليمامة هي المقصودة بأرض الزلازل والفتن، فقد وثق ابن بشر في أخباره أحداث يشيب لها الولدان، وقد ذكر لنا كيف يقتل الأخ أخاه بدم بارد، وكيف يغتال أحد أجداد آل سعود أباه طمعًا في الإمارة، وكيف يغدر الضيف بضيفه، وكيف ينهب الجار جاره، ويُغتال المُصلي وهو يؤدي صلاته في مسجده، ووو....الخ، حيث يقول ابن بشر عن حال نجد قبل مجيء محمد بن عبد الوهاب:

« واعلم رحمك الله أن هذه الجزيرة النجدية هي موضع الاختلاف والفتن، ومأوى الشرور والمحن، والقتل والنهب والعدوان بين أهل القرى والبلدان، ونخوة الجاهلية بين قبائل العربان، يتقاتلون في وسط البيوت والأسواق،، والحروب بينهم قائمة على ساق، وتعذرت الأسفار فيها قديم وحديث، والطيب فيها مغلوب بالخبيث، فقام الشيخ رحمه الله بهذا النور، وزالت هذه الشرور، وساعده ملوك الجهاد ملوكها، وجهزوا الجيوش لأقصى نواحيها وسلكوها، حتى افتتحوا بلادها الشاسعة بالقهر والحرب».[۞] - انتهى الاقتباس -

ويجب التنبيه هنا أن من أفضل من كتب في هذا الموضوع الخاص بـ(قرن الشيطان) من الناحية الفقهية وفصل فيه تفصيلاً شرعيًا وعلميًا، من خلال الطرح الموضوعي بالدلائل والأحاديث، هو الدكتور العلامة الشيخ محمد بن عبد الله المسعري [•]، حيث أبطل كل حجج ومزاعم منظري الوهابية الذين حرَّفوا الكلم وحاولوا أن يفتروا على رسول الله ﷺ، وزعموا أن نجدًا التي جاء ذكرها في حديث الرسول كمقر وبؤرة لفتن قرن الشيطان، هي العراق وليس نجد المعروفة باليمامة، تملصًا وهروبًا من شبهة الخوارج وتكفير الخلق!

لقد دلسوا وحوروا في حديث الرسول ﷺ عن سابق إصرار وتعمد، كي يرفعوا عن كاهلهم تهمة المروق وشبهة الالتصاق بـ"قرن الشيطان"، ويبدو أن

---

[۞] كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ للمؤرخ النجدي عثمان بن بشر.

[•] الدكتور محمد بن عبد الله المسعري : أمين عام حزب التجديد الإسلامي، المُعارض للنظام السعودي.

**مشاعرهم الغاضبة تلك وتصرفاتهم الموتورة لا تختلف كثيرًا عن ردة فعل محمد بن عبد الوهاب نفسه، الذي حاول فيما ما مضى أن يطمس قبور الصحابة كقبر زيد بن الخطاب، وقبر ضرار بن الأزور؛ وغيرهم، ليُخفي معالم تلك الواقعة النكراء، هروبًا من الفضيحة وتملصًا مما دوَّنه التاريخ.**

**وأنصح القارئ الكريم أن يطلع على بحث الدكتور الفاضل محمد المسعري كاملاً، كي يُلم بكل الروايات المذكورة ويطالع الحجج والقرائن، ويطلع على تفنيد جميع الادعاءات الوهابية وأنصارها.**

**وسوف أقتبس بعض النصوص الطويلة من بحث الدكتور المسعري لعلها تفي بالغرض المطلوب هنا، فيما يخص هذا الفصل تحديدًا من كتابي هذا. حيث يرد ويُفصل الدكتور المسعري جزاه الله خير، جميع ما ادعاه مشايخ الوهابية، من أن منطقة نجد التي جاء ذكرها في الحديث النبوي الشريف، هي ليست نجد - اليمامة- المعروفة للجميع، بل قُصد بنجد في سياق الحديث (العراق)!!**

**حيث يذكر الدكتور محمد المسعري ما نصه:**

**« فقد كثر الجدل مؤخرًا حول الحديث الصحيح، المتفق على صحته، حول (نجد): (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان). وهل المقصود المنطقة المشهورة المعلومة المسماة (نجد) في وسط الجزيرة العربية، أم أنها (نجد العراق)، كما يزعم البعض. وزاد الطين بلة أن الدوافع والأهواء المذهبية والطائفية، بل والقبلية والجهوية، دخلت في الموضوع وأوشكت أن تفسده. ولتحرير المسألة والخروج بها من الشبهات والظنون إلى مرتبة القطع واليقين لابد:**

**أولاً: من معرفة الواقع الحسي للمناطق المسماة بذلك وعلاقتها الجغرافية بعضها ببعض، ونسبتها إلى موقع المدينة النبوية المنورة الشريفة جغرافيًا..**

**ثانيًا: استجلاء المعنى اللغوي والأصل التاريخي للتسمية بـ(نجد) وكذلك (العراق) بحيث لا تبقى في معانيها أي شبهة، ومدى انطباق لفظة (نجد) على (العراق).**

**ثالثًا: ولا بد من دراسة الحديث بكافة طرقه دراسة مشبعة للتعرف على اللفظ النبوي المعصوم، على أن يكون ذلك وفق القواعد التي أصلناها في البيان التأسيسي لتنظيم التجديد الإسلامي (ملحق أصول الأحكام، وقواعد الاستنباط) حيث قلنا في: [مادة (٤): لا يحل الاستشهاد، ولا تقوم الحجة، بنص من مرويات السنة إلا إذا ثبتت صحته ونسبته إلى النبي ﷺ، إما ثبوتًا يقينيًا قاطعًا بالتواتر، أو بأن يكون قد ثبت ثبوتًا يتجاوز كل شك معقول، أو مطعن مقبول أو علة قادحة. كما لا يحل الاستشهاد بخبر ثابت صحيح إلا بعد استيعاب كل طرق روايته، وتحرير جميع ألفاظه، لتعيين اللفظ الثابت الصحيح، أو لاستنباط المعنى الثابت المشترك بين الطرق والروايات.**

**مادة (٥): لا بد من اعتبار نصوص الكتاب والسنة جميعها نصًا واحدًا متصلاً، على مرتبة واحدة من الحجية ومن وجوب الطاعة لها جميعها. فلا يجوز إعمال نص وإهمال آخر مطلقًا، ولا يحل تقديم نص على نص آخر أبدًا، إلا ببرهان من النصوص نفسها، أو لضرورة حس أو عقل.**

**مادة (٦): لا بد من إمضاء النصوص جميعها على عمومها وإطلاقها، فلا يحل تخصيص شيء منها أو تقييده إلا ببرهان منها، أو بضرورة حس أو عقل....الخ (راجع: البيان التأسيسي لتنظيم التجديد الإسلامي)]. فهذه القواعد تلزم باستقصاء الأحاديث الأخرى المتعلقة بالموضوع.**

**رابعًا: تحرير انطباق الأحاديث: هل هي لكل الأزمنة، أم لأزمنة مخصوصة فقط، وإن أمكن: على من تنطبق؟.**

**فبالنسبة للجزئية الأولى: نلاحظ أن الأحاديث الشريفة تتحدث عن اليمن، والشام، ونجد، والمشرق، وربما عن (العراق)، و(مصر). وكلها قد تلفظ بها النبي ﷺ، إبان إقامته في المدينة النبوية الشريفة المنورة (أو حولها)، فالمشرق إذن ضرورة هو بالنسبة للمدينة المنورة، وما حولها. والمدينة النبوية الشريفة المنورة تقع تقريبًا على خط عرض مدار السرطان، لذلك فإن الشمس تتعامد عليها في قمة الصيف (حوالي ٢١ من يونيو) فيكون مشرق**

**الشمس، في رأي العين، هو المشرق الجغرافي. أما في حضيض الشتاء (حوالي: ٢٣ ديسمبر) فيكون مشرقها، في رأي العين، هو الجنوب الشرقي الجغرافي، أي بزاوية ٤٥ درجة نحو الجنوب، تقريبًا. ولكن جمهور المخاطبين لا يتعاملون مع الخرائط الجغرافية والمساطر، لذلك نتوقع أن يطلق الإنسان العامي لفظة (المشرق) أيضًا على (الشرق) المنحرف بشمال خفيف. لذلك فإن الحزم والاحتياط يوجب السماح بالانحراف شمالاً (في اتجاه الشمال الشرقي) بزاوية معقولة. ولما كان الشمال الجغرافي المحض يبعد عن الشرق الجغرافي المحض بتسعين درجة، فإنه من المستبعد أن يتساهل الناس فيدخلوا في مفهوم (الشرق) ما يجاوز ثلث هذه المسافة الزاوية أي نحو ٣٠ درجة تجاه الشمال، وإلا دخلنا منطقة الشمال الشرقي بلا شبهة. وبتأمل الخريطة المرفقة يتضح أن هذا الخط الحدي الممتد من المدينة إلى الشرق بشمال خفيف (٣٠ درجة فقط) لا يمر أصلاً في العراق، وإنما يلامس جنوب الكويت ثم يستمر نحو شمال إيران، فبلاد ما وراء النهر، حتى يصل، تقريبًا، إلى منتصف بلاد المغول والتتار.**

**فشرق المدينة النبوية الشريفة المنورة: يضم معظم (نجد)، أي نجد جزيرة العرب المعروفة، في المسافات المباشرة القريبة. ويضم خراسان وأفغانستان، وبلاد ما وراء النهر، وشرق الصين، وبلاد الترك (ومنهم المغول والتتار) في المدى البعيد. فالعراق المعروف هو قطعًا ليس إلى الشرق من المدينة، ولكن نصفه الشمالي يقع في شمال المدينة النبوية الشريفة المنورة، ونصفه الجنوبي يقع في الشمال الشرقي.**

**هذه هي الحقائق الحسية القاطعة التي لا يجوز إغفالها وتجاوزها ولا بحال من الأحوال. وبهذا يظهر لك بطلان قول الإمام الخطابي: [نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة].. ثم قال بعدها فورًا: [وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة]، انتهى**

كلام الإمام الخطابي.. وفقرته الأولى خطأ محض، لا يقول به إلا من لم يستطع تمييز يمينه من شماله، عياذًا بالله. أما جملته الثانية فصواب، وهي تنقض كلامه الأول، كما سيظهر قريبًا، إن شاء الله. كما يظهر لك بطلان قول الشيخ حكيم محمد أشرف سندهو في رسالته المعنونة: (أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان)، حيث قال: (مقصود الأحاديث أن البلاد الواقعة في جهة المشرق من المدينة المنورة، هي مبدأ الفتنة والفساد، ومركز الكفر والإلحاد، ومصدر الابتداع والضلال، فانظروا في خريطة العرب بنظر الإمعان، يظهر لكم أن الأرض الواقعة في شرق المدينة إنما هي أرض العراق فقط موضع الكوفة والبصرة وبغداد)!

ونحن نقول: ها هي الخريطة أمامنا، ولا تحتاج كبير نظر وإمعان للحكم على قوله بالسخف والتهافت والبطلان. فلعل الشيخ حكيم سندهو استخدم خريطة رسمها العور والعميان!

ولا صحة أيضًا لزعم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ أن (العراق) هو المراد بالمشرق ونجد الذي ورد ذمه في الحديث فقال: (إن المراد بالمشرق ونجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق؛ لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق، يوضحه أن في بعض طرق هذا الحديث: وأشار إلى العراق).

وأما بالنسبة للجزئية الثانية: فلعلنا نتأمل أولاً النصوص التالية، فأولها استقصاء الإمام الحافظ الحجة الكبير الخطيب البغدادي، لأصل التسمية بـ(العراق) كما هو: في (تاريخ بغداد، ج١، ص٢٤): [أخبرنا علي بن أبي علي البصري قال: أنبأنا إسماعيل بن سعيد المعدل قال: قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال: ابن الأعرابي: (إنما سمي العراق عراقًا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر. أخذ من: عراق القربة، وهو الخرز الذي في أسفلها).

وقال غيره: (العراق معناه في كلامهم الطير قالوا وهو جمع عرقة والعرقة ضرب من الطير. ويقال أيضًا العراق جمع عرق).

وقال قطرب: (إنما سمي العراق عراقًا لأنه: دنا من البحر وفيه سباخ وشجر. يقال استعرقت إبلكم إذا أتت ذلك الموضع).

أخبرنا أحمد بن أبي جعفر القطيعي قال: نبأنا محمد بن العباس الخزاز قال: أنبأنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب قال: قال أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي: (العراق من بلد إلى عبادان، وعرضه من العذيب إلى جبل حلوان، وإنما سميت العراق عراقًا لأن كل استواء عند نهر أو عند بحر عراق، وإنما سمي السواد سوادًا لأنهم قدموا يفتحون الكوفة فلما أبصروا سواد النخل قالوا ما هذا السواد ].

وبغض النظر عن الأصل اللغوي، فلا شك أن العراق منخفض، مستوي، قريب من سطح البحر، وهو قد سفل عن نجد، وهذه حقائق حسية لا جدال فيها. ومن كان في شك من ذلك فليذهب بنفسه مصطحبًا آلة قياس مناسبة وليقس بنفسه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فالعراق أقرب أن يكون (غورًا)، وليس (نجدًا) كما اعترف الإمام الخطابي، إذ قال: [وأصل (النجد) ما ارتفع من الأرض وهو خلاف (الغور) فإنه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة].

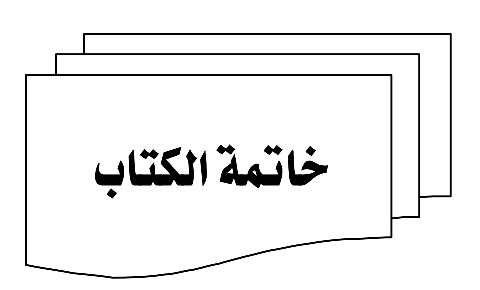
وكذلك اعترف به الشيخ حكيم محمد أشرف سندهو في رسالته المشار إليها آنفًا، وهي المعنونة: (أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان)، حيث قال: (واتفقت كلمة شرّاح الحديث وأئمة اللغة ومهرة جغرافية العراب أن (النجد) ليس اسمًا لبلد مخصوص ولا اسمًا لبلدة بعينها، بل يقال لكل قطعة من الأرض مرتفعة عما حواليها نجد (.. مع كونه من أشد المدافعين عن القول بأن المقصود هو (العراق)، وليس نجد جزيرة العرب. ويؤيد هذا ما قاله الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد نقله كلام الإمام الخطابي آنف الذكر، إذ حكم بضعف كلام الداودي كما هو في (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٣، ص ٤٧): [وعرف بهذا وهو ما قاله الداودي: (أن نجدًا من ناحية

العراق)، فإنه توهم ان نجدًا موضع مخصوص وليس كذلك بل: كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجدًا، والمنخفض غورًا] والعراق، فضلاً عن كونه ليس نجدًا، أي ليس مرتفعًا من الأرض.. فهو بالقطع خارج جزيرة العرب، الذي جاءت النصوص الشرعية بأحكام خاصة لها، من مثل: (اخرجوا المشركين من جزيرة العرب)، ونحو ذلك.. فمن المحال أن يكون هو المقصود بلفظة (نجدنا)، والتي تشعر الإضافة فيها إلى المتكلمين أنها مكان معلوم مخصوص، وليس مجرد أي (مرتفع) من الأرض.

وأما بالنسبة للجزئية الثالثة: فهي العمل الرئيسي ها هنا. وسنكتفي ها هنا بالتلخيص، مع ذكر كافة النصوص بطولها، وكامل أسانيدها في الملحق. الحديث الرئيس في هذه المسألة: كما هو في (الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري): [حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا حسين بن الحسن قال: حدثنا بن عون عن نافع عن بن عمر قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا قال: قالوا وفي (نجدنا؟!). قال: قال اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قال: قالوا وفي (نجدنا؟!)، قال: قال هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان]. وكما هو في (الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري): [حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد عن بن عون عن نافع عن بن عمر قال: ذكر النبي ﷺ اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)]. وهو كذلك بنحو هذا اللفظ، بذكر (نجدنا)، برواية كل من: حسين بن الحسن، وأزهر بن سعد، كليهما عن بن عون عن نافع عن بن عمر، في عامة كتب الحديث، كما هو في الملحق».۞ -انتهى الاقتباس-

---

۞ كتاب : نجد.. قرن الشيطان \ تأليف: الدكتور محمد بن عبد الله المسعري.


خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، كما أحمده وأشكره على أن يسّر لي وأعانني على إتمام هذا الكتاب التاريخي الذي اعتمدت فيه على عدة مصادر ومراجع تاريخية في تأليفه، والذي أزعم أنهُ مُهم للباحثين عن الحقيقة، فقد تمَّ بعون الله وتوفيقه الانتهاء من تدوين هذا الكتاب المتواضع، الموسوم بـ(الوهابية دين سعودي جديد - كشف المستور في تاريخ نجد المبتور) وأرجو من الله أن أكون قد وُفقت في بحثي وسُددت في رميّ ونجحت في تبيين بعض الحقائق المُغيبة عن الأنام وكشف النزر اليسير من المستور، وتسليط الضوء الساطع على المحظور، وما ذكرته في كتابي هذا ما هو إلا رأس قمة جبل الجليد فقط؛ وليس كامل الجبل، وهو يبقى جهدًا فرديًا متواضعًا، وهو بمثابة جهد المُقل وعطاء المُنشغل، في ظل انحدار أدبي وإعلامي، وابتذال وتهالك ثقافي، حتى بات كل من لا يُغرد مع السرب السعودي؛ هو كالغريب المنبوذ، أو كمن يمخُر عباب بحر مُتلاطم من عتاة المُنافقين والمُتملقين ومُمتهني التزلف المدفوع الأجر.

فقد سعى النظام السعودي الحالي بكل ما يُملك من إمكانات مادية هائلة، ومن خلال أذرعته الإعلامية المُتعددة والتي هي كأذرع الإخطبوط الذي يُسيطر على كافة المراكز الحساسة في محيطه، وذلك لغرض السيطرة الإعلامية والتغول والاحتكار الديني وقمع المُخالفين له والمُناوئين لتوجهاته الوهابية وأهدافه الشيطانية.

فمنذ ظهور البترول في شبه جزيرة العرب وتوفر المال بكثرة حيث مكّن الآلة السعودية من حجب الأصوات المُخالفة وتغييب الحقيقة وطمس الحقائق، وذلك من خلال السيطرة الكاملة على مفاصل الإعلام واحتكار كل ما هو مطبوع ومنشور ومن ثم استئجار العقول وتوظيف أقلام الاسترزاق للنفاح عن الباطل والترويج للدين السعودي الجديد، المُسمى بـ"الوهابية".

وأنا هنا حينما أدعو الوهابية بالدين الجديد، ليس المعنى هو أن تكون دين سماوي جديد بحق، وإنما هو دين شيطاني مُبتدع من صناعة البشر، تغلف أو تقنع صاحبه بثوب الرسالة المُحمدية الغراء ليطرح نفسه كإمام مُجدد أو مُسيطر على ذلك الدين الرباني العظيم، وللأسف فإن تخاذل وتراجع وعدم مُبالاة بقية المُسلمين في أصقاع المعمورة، فسحت المجال لهؤلاء الأدعياء الوصوليين لأن يستولوا على تركة الدين الإسلامي العظيم ويسعودوه، ويحتكروا تعاليمه ومناسكه، ومن ثم الوثوب على سدته، فقدموا أنفسهم على أنهم دُعاة توحيد وحُماة للدين وأنهم حراس للعقيدة، خصوصًا بعد أن سيطروا على مراكز ومنابر الحرمين الشريفين بمُساعدة الإنجليز ومن ثم الأمريكان.

فكان لزامًا عليَّ إذن كشف تلك الحقيقة المُغيبة، وكان لابد من الغوص وسبر أغوار الحركة الوهابية منذ أن نشأت على يد ذلك المُبتدع النجدي، إلى أن تمكنت وتغلغلت في العالم العربي والإسلامي، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، ولهذا فإن هذا الأمر يحتاج لجهد كبير وجمع مصادر تاريخية عديدة، ويتطلب تفرغ تام وقراءة متواصلة وتتبع للسير وربط للأحداث مع بعضها.

لقد كان من المؤمل أن أصدر هذا الكتاب المتواضع ليشمل تاريخ نجد منذ ظهور محمد بن عبد الوهاب وحتى وقتنا الحاضر، إلا أن توسع وتشعب تلك الأحداث، وتراكم المعلومات، وتتابع الحوادث في تلك الفترة الزمنية المقصودة، أي منذ ظهور الدعوة الوهابية وحتى مرحلة سقوط الدرعية، ومن ثم عودة أدعياء التركة السعودية للصراع من جديد على غنيمة المُلك وكعكة السلطة، وكذلك الخوف على القارئ من عامل الملل والإطالة والزيادة في حجم الكتاب، كل تلك الأمور جعلتني أكتفي بتلك الفترة المذكورة في هذا الكتاب، وسيتبعه بإذن الله كتابٌ آخر جديد ومُنفصل يرصد تاريخ نجد منذ مجيء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من منفاه الكويتي إلى وقتنا الحالي.

ففي هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، هو بمثابة المرحلة الأولى، وهو عبارة عن دراسة وتحقيق للحركة أو الدعوة الوهابية منذ نشوئها إلى حين سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا، وحتى سقوط الأسرة السعودية الثانية على يد حُكَّام حائل من أسرة آل رشيد، وهذا ما جاء في هذا الكتاب الذي بين أيديكم.
أما المرحلة الثانية أو الكتاب القادم، فسيكون عبارة عن دراسة مُعاصرة لاستمرار الحركة الوهابية الأخيرة أو ظهورها الجديد، أي انبعاثها الجديد على يد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود الذي كان لاجئًا في الكويت، والذي وجد ضالته في عودة الوهابية من جديد ليستغلها كحصان طروادة لاسترجاع مُلك أجداده وعودة سلطانهم الضائع، كما يصف مؤرخو آل سعود عن أسباب تلك العودة، والتي كانت وفق رغبة ورعاية بريطانية خالصة.

وعليه فإن هذا الكتاب قد تمَّ إنجازه بحمد الله تعالى وتوفيقه، وها هو الآن بين أيديكم فأرجو من الله أن يكون عند حسن ظن المُنصفين، ويقع موقع الرضا والاستحسان لدى القارئ المُستقل اللماح والمُحايد، خصوصًا بالنسبة لتتبع الأحداث وإيراد الوقائع والحقائق وربطها ببعضها البعض من خلال مصادر تاريخية عديدة وموثقة، وكل عمل لا بد أن يقع فيه بعض الأخطاء والهفوات غير المقصودة ويحدث فيه التقصير والزلل أحيانًا، إما بسبب أخطاء من قبل المؤلف نفسه، وأحيانًا كثيرة تقع لأسباب خارجة عن مسؤولية المؤلف، منها مثلاً عدم توفر المخطوطات الأصلية القديمة من كُتب المؤرخين سواء كانوا وهابيين أو من خصوم الوهابية، فيضطر المؤلف للرجوع إلى النسخ المطبوعة، وأحيانًا للنسخ الحكومية السعودية المُحرفة والمُنقحة حسب المزاج السعودي الوهابي.

وكتابي المتواضع هذا سيكون كشفًا بسيطًا ودليلاً قاطعًا أيضًا ليفضح بعض أساليب التزوير والتلفيق الذي تمارسه الجهات الرسمية السعودية في عمليات تغييب وطمس وتغيير الحقائق والوقائع التاريخية أثناء عمليات الطبع والنشر الحكومية.

كما يبقى هذا الكتاب كدراسة مُختصرة ومُيسرة للقارئ الكريم، هو نتاج بشري فردي قابل للنقد والتصحيح والإضافة والتعديل، ولكن بشرط صارم بحيث تكون تلك الإضافات من قبل المؤلف نفسه لا غيره، وأن لا يتم التغيير أو التصحيح أو التعديل أو حتى الإضافة من قبل أي جهة كانت، حتى وإن ادعت تلك الجهة أنها مخولة بحجة القرابة أو الوراثة أو التبعية الحكومية، فلا يحق لأحد العبث أو التعديل أو الطمس سواء كانت مؤسسة طباعة ونشر أو حتى دارة عبد العزيز المزعومة أو مكاتب سلمان بن عبد العزيز المُختصة في التزوير والتحريف والطمس والحذف المزاجي.

وسيليه قريبًا بإذن الله الكتاب الثاني، وهو أيضًا ستكون أحداثه التاريخية وتسلسله الزمني مُكملاً للكتاب الأول، لكنه سيكون مستقلاً عن هذا الكتاب، لكن أحداثه ستتابع على اعتبار أن الموضوع الرئيسي والقاسم المُشترك بين الكتابين، هو أثر محمد بن عبد الوهاب وحركته الوهابية على أبناء جزيرة العرب.

وفي الختام...

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم

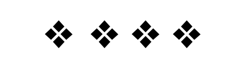
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين وسلم تسليمًا كثيرا.

سعود بن عبد الرحمن السبعاني

السويد ١\٧\٢٠١٠

alsabaani@yahoo.com



# مراجع ومصادر الكتاب


١. كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد \ تأليف: عثمان بن بشر.

٢. كتاب : تاريخ نجد :"روضة الأفكار والأفهام لمُرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" \ تأليف: حسين بن غنام. الطبعة المصرية عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣. كتاب : تاريخ ابن لعبون \ تأليف: حمد بن محمد بن ناصر بن لعبون.

٤. كتاب : تاريخ الفاخري \ تأليف: محمد بن عمر الفاخري ( ت١٢٧٧هـ).

٥. كتاب : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب \ تأليف: حسن جمال بن أحمد الريكي.

٦. كتاب : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة \ تأليف: الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي، مفتي الحنابلة بمكة المكرمة.

٧. كتاب : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - فتنة الوهابية \ تأليف: الشيخ أحمد بن زيني دحلان، مُفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية، الطبعة الأصلية الأولى (مخطوطة ١٣٠٥هـ).

٨. كتاب : فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبد الوهاب \ تأليف: سليمان بن عبد الوهاب.

٩. كتاب : كيف كان ظهور محمد بن عبد الوهاب. مخطوطة نجدية لمؤلف مجهول ألفت حوالي العام ١٢٠٦هـ - ١٢٢١ هـ وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٦١.

١٠.كتاب : الدُرر السنية في الرد على الوهابية \ ألفه وجمعه: الشيخ أحمد زيني دحلان.

١١.كتاب : مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود \ تأليف: الشيخ عثمان بن سند البصري.

١٢. **كتاب : عجائب الآثار في التراجم والأخبار – الجزء الرابع \ تأليف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.**
١٣. **كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٣\ رسائل عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ المولود سنة ١٢٢٥هـ - والمتوفي ١٢٩٢ هـ.**
١٤. **كتاب : نبذة تاريخية عن نجد \ كتبها: وديع البستاني، نقلاً عن الأمير ضاري بن فهيد آل رشيد.**
١٥. **تقرير خورشيد باشا (وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية بالقاهرة، في محفظة رقم : (٢٦٧) وثيقة (١٦٣)، نقلها عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم في كتابه : محمد علي وشبه الجزيرة العربية.**
١٦. **كتاب : تاريخ الوزير محمد علي باشا \ مخطوطة بيد أحد علماء الأزهر الشيخ خليل بن أحمد الرجبي.**
١٧. **كتاب : خزنة التواريخ النجدية- مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود \ تأليف: مقبل بن عبدالعزيز بن مقبل الذكير**
١٨. **كتاب : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد \ تأليف: إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي.**
١٩. **كتاب : عقد الدُرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر - المخطوطة الأصلية \ تأليف : إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي.**
٢٠. **كتاب : التاج المُكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول \ تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري. ١٢٤٨هـ - ١٣٠٨هـ.**
٢١. **كتاب : ترجمان الوهابية \ تأليف : محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري. ١٢٤٨هـ ١٣٠٨هـ.**
٢٢. **كتاب : القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد \ تأليف : سليمان بن صالح الدخيل.**
٢٣. **كتاب : مُذكرات ضابط عثماني في نجد الأوضاع العامة في منطقة نجد \ تأليف: حسين حسني.**

٢٤. كتاب : خزانة التواريخ النجدية – تاريخ ابن عيسى \ جمع وترتيب: عبد الله بن عبد الرحمن البسام.

٢٥. كتاب : علماء نجد خلال ثمانية قرون \ تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام.

٢٦. كتاب : تاريخ نجد \ تأليف: محمود شكري الآلوسي.

٢٧. كتاب : تاريخ الكويت \ تأليف: عبد العزيز الرشيد.

٢٨. كتاب : مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام ١٢١٦هـ ١٨٥١م \ تأليف: الحبيب علوي بن أحمد بن حسن بن قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد.

٢٩. كتاب : رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية.

٣٠. كتاب : رحلة مُرتضى بن علوان إلى البلاد المُقدسة ومناطق أخرى، سنتي ١١٢٠- ١١٢١هـ.

٣١. كتاب : سفرنامه \ تأليف : ناصر خسرو علوي سنة ٤٥٣ - ٤٥٥هـ/١٠٦٠-١٠٦٣م.

٣٢. كتاب : المرآة الوضية في الكرة الأرضية \ تأليف: كرنيليوس فان الآن فانديك الأمريكاني ١٨٨٦م.

٣٣. كتاب : آثار الأدهار \ تأليف: سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة ١٨٧٧م.

٣٤. كتاب : رحلات عبر جزيرة العرب وأقطار أخرى في الشرق \ تأليف: كريستيان نيبور.

٣٥. كتاب : الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ \ تأليف : لويس دوكورانسي.

٣٦. كتاب : مصر في القرن التاسع عشر - سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم وسليمان الفرنسي من النواحي الحربية والسياسية والقصصية \ تأليف: ادوارد جوان.

٣٧. كتاب : ملحوظات عن البدو والوهابيين قبل قرنين \ تأليف: جون لويس بوركهارت. \ ترجمة وتعليق: الدكتور أحمد عويدي العبادي.
٣٨. كتاب : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م \ تأليف: الكابتن جورج فورستر سادليير.
٣٩. كتاب : تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية \ تأليف: فيلكس مانجان.
٤٠. كتاب : وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م \ للرحالة الإنجليزي وليام جيفورد بالجريف.
٤١. كتاب : رحلة في الجزيرة العربية الوسطى: ١٨٧٨-١٨٨٢م \ تأليف: الفرنسي شارل هوبير.
٤٢. كتاب : رحلة داخل الجزيرة العربية \ تأليف: يوليوس أويتنج.
٤٣. كتاب : موجز التاريخ الوهابي \ تأليف: السير هارفرد جونز بريدجز.
٤٤. كتاب : صور من شمالي جزيرة العرب – في منتصف القرن التاسع عشر \ تأليف: جورج أوغست ڤالين (عبد المتولي).
٤٥. كتاب : ترحال في صحراء الجزيرة العربية \ تأليف: الرحالة الإنجليزي تشارلز مونتاغو داوتي.
٤٦. كتاب : دليل الخليج \ تأليف : جون جوردون لوريمر.
٤٧. كتاب : الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر : حائل، الرياض، القصيم \ نص رحلة البارون ادوارد نولده مبعوث روسيا إلى نجد ١٨٩٢م
٤٨. كتاب : تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض عاصمة الوهابيين في وسط شبه الجزيرة العربية \ تأليف : الليفتنانت كولونيل لويس بلي.
٤٩. كتاب : رحلات إلى بلاد نجد \ تأليف: الليدي آن بلنت.
٥٠. كتاب : رسائل جيرتروود بيل (رحلة إلى حائل ١٩١٣-١٩١٤م).
٥١. كتاب : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث \ تأليف: ستيفن همسلي لونكريك.
٥٢. كتاب : نجد الحديث وملحقاته \ تأليف: أمين الريحاني.

٥٣. كتاب : تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) \ تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
٥٤. كتاب : فتوح البلدان \ تأليف: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ٢٧٩ هـ - ج ١.
٥٥. كتاب : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع \ تأليف: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.
٥٦. كتاب : معجم البلدان \ تأليف : ياقوت الحموي.
٥٧. كتاب : معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب \ تأليف: ياقوت الحموي.
٥٨. كتاب : مقاتل الطالبيين \ تأليف: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني.
٥٩. كتاب : الكامل في التاريخ \ تأليف: علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري ابن الأثير.
٦٠. كتاب : صورة الأرض \ تأليف: محمد أبو القاسم ابن حوقل.
٦١. كتاب : صفة جزيرة العرب \ تأليف: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.
٦٢. كتاب : تاريخ بغداد أو مدينة السلام \ تأليف: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ.
٦٣. كتاب : نهاية الأرب في فنون الأدب \ تأليف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري.
٦٤. كتاب : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب \ تأليف: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي.
٦٥. كتاب : الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية \ تأليف: الفخر الرازي.
٦٦. كتاب : عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب \ تأليف: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨ هجرية.
٦٧. كتاب : الفخري في أنساب الطالبيين \ تأليف: عزيز الدين أبي طالب إسماعيل بن الحسين بن محمد بن أحمد المرزوي الأزورقاني.
٦٨. كتاب : المسالك والممالك \ تأليف: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة.

٦٩. كتاب : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم \ تأليف: البشاري شمس الدين محمد بن احمد بن أبو بكر البناء الشامي المقدسي. ٣٥٦هـ/٩٦٦م - ٣٧٥هـ /٩٨٥م.

٧٠. كتاب : مختصر كتاب البلدان \ تأليف: أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني. المعروف بابن الفقيه.

٧١. كتاب : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب \ تأليف: علي بن سعيد الأندلسي.

٧٢. كتاب : التعريف بالمُصطلح الشريف \ تأليف: القاضي ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ٧٠٠هـ - ٧٤٩هـ.

٧٣. كتاب : تاريخ ابن خلدون \ تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الشهير بابن خلدون.

٧٤. كتاب : مُقدمة ابن خلدون \ تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الشهير بابن خلدون.

٧٥. كتاب : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون \ تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي.

٧٦. كتاب : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك \ تأليف: نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي الطَّرَسوسي.

٧٧. كتاب : تاريخ الافتاء في حلب الشهباء \ تأليف: محمد عدنان كاتبي.

٧٨. كتاب : لسان العرب \ لـ: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي.

٧٩. كتاب : جمهرة اللغة \ تأليف: محمد بن الحسن بن دُريد أبو بكر.

٨٠. كتاب : الكتاب \ تأليف: سيبويه- ت١٨٠هـ: تحقيق الشيخ عبد السلام هارون.

٨١. كتاب : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب \ تأليف: أحمد بن علي المعروف باسم تقي الدين المقريزي.

٨٢. كتاب : تاج العروس من جواهر القاموس \ تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني.

٨٣. كتاب : تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار \ تأليف: المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي ١٠٠٣ - ١٠٧٦هـ.

٨٤. كتاب : غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر \ تأليف: ياسين العمري.
٨٥. كتاب : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث \ تأليف: الدكتور علي الوردي.
٨٦. كتاب : تاريخ الكويت السياسي - ٥ أجزاء \ تأليف: حسين خلف الشيخ خزعل.
٨٧. كتاب : نجد.. قرن الشيطان \ تأليف: الدكتور محمد بن عبد الله المسعري.
٨٨. كتاب : السياسة في واحة عربية – إمارة آل رشيد \ تأليف: الدكتورة مضاوي آل رشيد.
٨٩. كتاب : تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠م -١٨٩١م \ تأليف: عبد الفتاح حسن أبو علية.
٩٠. كتاب : نجديون وراء الحدود \ تأليف: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم.
٩١. كتاب : تاريخ آل سعود \ تأليف: ناصر السعيد.
٩٢. كتاب : تاريخ ملوك آل سعود \ تأليف: سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل ابن ثنيان آل سعود.
٩٣. تسجيل صوتي مُفرغ من شريط كاسيت للراوية الحائلي : عبد الرحمن المرشد عن تاريخ حائل وإمارة الجربا.



# المؤلف في سطور

- سعود بن عبد الرحمن بن صالح السبعاني.
- كاتب ومؤرخ وناشط سياسي عربي/ سويدي، مواليد عام ١٩٦٨م ومُقيم في مملكة السويد.
- حاصل على شهادة البكالوريوس في قسم التاريخ من كلية الآداب – جامعة البصرة.
- عمل في مجال الصحافة، ويكتب مقالات سياسية أسبوعية في عدة صحف إلكترونية.
- سبق وأن رأس تحرير صحيفة صدى نجد والحجاز الإلكترونية، ويشغل حالياً رئاسة تحرير صحيفة جزيرة العرب نيوز الإلكترونية.
www.jazeeratalarab.com

- صدر له :

- ملوك وأتباع : كتاب سياسي ساخر ، عام ٢٠٠٩م.

- الوهابية : دين سعودي جديد. كشف المستور في تاريخ نجد المبتور شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٢م


- البريد الإلكتروني: alsabaani@yahoo.com

- وعلى تويتر : @alsab3aani

# محتويات الكتاب




(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net